كتاب إحياء العلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

احمد الله تعالى اولاً حمداً كثيراً متوالياً وان كان يتضاءل دون حق جلاله
حمد الحامدين واصلي على رسله ثانياً صلوة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين
واستخيره سبحانه ثالثاً فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في احياء علوم الدين وانتدب
لقطع تعجبك رابعاً ايها العاذل الغالي في العذل من بين الزمرة الجاحدين المسرف
في التقريع والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين فلقد حل عن لساني عقدة الصمت
وطوقني عهدة الكلام وقلادة النطق ما انت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج
في نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من اثر النزوع قليلاً عن مراسم الخلق ومال
ميلاً يسيراً عن ملازمة الرسم الى العمل بمقتضى العلم طمعاً في نيل ما تعبده الله به من تزكية
النفس واصلاح القلب وتداركاً لبعض ما فرط من اضاعة العمر يأساً عن تمام التلافي والجبر
وانحيازاً عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه اشد الناس عذاباً يوم القيمة
عالم لا ينفعه الله بعلمه ولعمري لا سبب لاصرارك على التكبر الا الداء الذي عم الجم الغفير بل شمل الجماهير
من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الامر والجهل بان الامر اد والخطب جد والاخرة مقبلة والدنيا مدبرة
والاجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وما سوى الخالص لوجه الله من العلم
والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الاخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب
ومكد فادلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الانبياء وقد شغر عنهم الزمان ولم يبق الا المترسمون
وقد استحوذ على اكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان واصبح كل واحد بعاجل حظه
مشغوفاً فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً حتى ظل علم الدين مندرساً ومنار
الهدى في اقطار الارض منطمساً ولقد خيلوا الى الخلق ان لا علم الا فتوى حكومة تستعين
بها القضاة على فصل الخصام عند تهارش الطغام او جدل يتدرع به طالب المباهاة
الى الغلبة والافحام او سجع مزخرف يتوسل به الواعظ الى استدراج العوام اذ لم يروا
ما سوى هذه الثلثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام فاما علم طريق الاخرة وما درج عليه السلف
الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه فقهاً وحكمة وعلماً وضياء ونوراً وهداية ورشداً فقد اصبح من

بين الخلق مطوياً وصار نسياً منسياً ولما كان هذا ثلماً في الدين ملماً وخطباً مدلهماً
رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهماً احياء لعلوم الدين وكشفاً عن مناهج الائمة
المتقدمين وايضاحاً لما هي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين ولقد
اسسته على اربعة ارباع ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات
وصدرت الجملة بكتاب العلم لانه غاية المهم لاكشف اولاً عن العلم الذي تعبد رسول الله صلى الله
عليه وسلم الاعيان بطلبه اذ قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وامتيز فيه العلم النافع عن الضار
اذ قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع وأحقق ميل اهل العصر عن شاكلة الصواب و
انخداعهم بلامع السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب

ربع العبادات

٣

ربع العادات

١٢٥

فأما ربع العبادات

فأذكر فيها من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليه واكثر ذلك مما أهمل في فن الفقهيات واما ربع العادات فاذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني متدين عنها واما ربع المهلكات فاذكر فيه كل خلق مذموم ورد القران باماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه واذكر في كل واحد من تلك الاخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي تترتب (عليها) ثم العلامات التي بها يعرف ثم طريق المعالجة التي بها منها يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار والآثار وأما ربع المنجيات فاذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي تقرب من رب العالمين (يتقرب العبد) واذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تعرف وفضيلتها التي لاجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف في بعض هذه المعاني كتب ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة امور الاول حل ما عقدوه وكشف ما اجملوه الثاني ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه الثالث ايجاز ما طولوه وضبط ما قرروه الرابع حذف ما كرروه الخامس تحقيق امور غامضة اعتاصت على الافهام لم يتعرض لها في الكتب اصلا اذ الكل وان تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر ان ينفرد كل واحد من السالكين بالتنبه لامر خفي يخصه ويغفل عنه رفقاؤه او لا يغفل عن التنبه ولكن يسهو عن ايراده في الكتب او لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه العلوم وانما حملني على تأسيس الكتاب على اربعة ارباع امران احدهما وهو الباعث الاصلي ان هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضروري لان العلم الذي به يتوجه الى الآخرة ينقسم الى علم المعاملة والى علم المكاشفة واعني بالمكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط واعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في ايداعها الكتب وان كانت هي الغاية في مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق اليه ولكن لم يتكلم الانبياء مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد اليه واما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الانبياء فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التأسي والاقتداء ثم ان علم المعاملة ينقسم الى علم ظاهر اعني العلم باعمال الجوارح والى علم باطن اعني العلم باعمال القلوب والجاري على الجوارح اما عبادة او عادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت

اما محمود واما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم الى شطرين ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق
باحوال القلب بالجوارح الى عبادة وعادة والشطر الباطن المتعلق باحوال القلب واخلاق النفس
انقسم الى محمود والى مذموم فكان المجموع اربعة اقسام ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الاقسام
الباعث الثاني اني رايت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله تعالى
للتذرع به الى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات وهو مرتب على اربعة ارباع و
المرتب بزي المحبوب محبوب فلم ابعد ان يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا في استدراج
القلوب ولهذا تلطف من رام استمالة قلوب الرؤساء الى الطب فوضعه على هيئة التقويم في
النجوم موضوعا في الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون انسهم بذلك الجنس جاذبا لهم الى المطالعة و
التلطف في اجتذاب القلوب الى العلم الذي يفيد حيوة الابد اهم من التلطف في اجتذابها
الى الطب الذي لا يفيد الا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والارواح المتوصل به الى حيوة
تدوم ابد الاباد فاين منها الطب الذي يعالج به الاجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في
اقرب الاماد فنسال التوفيق للرشاد انه الكريم الجواد

كتاب العلم

وفيه سبعة
ابواب الباب الاول في فضل العلم والتعليم والتعلم **الباب الثاني** في بيان فرض
العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه وبيان علم الاخرة وعلم الدنيا **الباب الثالث**
فيما يعده العامة من علوم الدين وليس منها وفيه بيان جنس العلوم المذموم وقدره **الباب
الرابع** في افات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل **الباب الخامس**
في اداب المعلم والمتعلم **الباب السادس** في افات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين
علماء الدنيا والاخرة **الباب السابع** في العقل وفضيلته واقسامه وما جاء فيه من
الاخبار

الباب الاول

في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل في
فضيلة العلم اما شواهدها من القران فقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا
العلم قائما فانظر كيف بدا بنفسه وثنى بالملائكة وثلث باهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا في
جلالا ونبلا وقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال ابن عباس للعلماء
درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال تعالى قل هل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به
تنبيها على انه اقتدر بقوة العلم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن بين ان عظم قدر
الاخرة يعلم بالعلم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال تعالى
ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه في الوقايع الى استنباطهم
والحق رتبتهم برتبة الانبياء في كشف حكم الله وقيل في قوله تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا
يواري سواتكم وريشا يعني اليقين ولباس التقوى يعني الحياء وقال تعالى ولقد جئناهم بكتاب
فصلناه على علم وقال تعالى فلنقصن عليهم بعلم وقال تعالى بل هو ايات بينات في صدور الذين
اوتوا العلم وقال تعالى خلق الانسان علمه البيان وانما ذكر ذلك في معرض الامتنان **واما
الاخبار** فقد قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده وقال

عليه الصلوة والسلم العلماء ورثة الانبياء ومعلوم انه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف
الوراثة لتلك الرتبة وقال عليه الصلوة والسلم يستغفر للعالم ما في السموات والارض واي منصب
يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه و
هم مشغولون بالاستغفار له وقال عليه الصلوة والسلم ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك
حتى تجلسه مجالس الملوك وقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا ومعلوم ان الاخرة خير وابقى وقال عليه
الصلوة والسلم خصلتان لا تكونان في منافق حسن سمت ولا فقه في دين ولا تشكن في الحديث
لنفاق بعض فقهاء الزمان فانه ما اراد به الفقه الذي ظننته وسياتي بيان معنى الفقه وادنى درجات
الفقيه ان يعلم ان الاخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت برأته عن النفاق والرياء و
قال عليه الصلوة والسلم افضل الناس المؤمن العالم الذي ان احتيج اليه نفع وان استغني عنه اغنى
نفسه وقال الايمان عريان فلباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقال اقرب الناس من
درجة النبوة اهل العلم والجهاد اما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد
فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل وقال لموت قبيلة ايسر من موت عالم وقال الناس
معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وقال يوزن يوم القيمة مداد
العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء وقال من حفظ على امتي اربعين حديثا
من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة وقال عليه الصلوة والسلم من
حمل من امتي اربعين حديثا لقي الله يوم القيمة فقيها عالما وقال من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه
من حيث لا يحتسب وقال اوحى الله تعالى الى ابرهيم عليه السلم يا ابرهيم اني عليم احب كل عليم وقال العالم امين الله
في الارض وقال صنفان من امتي اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس الامراء والفقهاء
وقال اذا اتى علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني الى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم وقال
عليه الصلوة والسلم في تفضيل العلم على العبادة والشهادة فضل العالم على العابد كفضلي على
ادنى رجل منكم من اصحابي فانظر كيف نزل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم
وان كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة وقال فضل العالم على
العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال يشفع يوم القيمة ثلاثة الانبياء ثم العلماء
ثم الشهداء فاعظم برتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهداء وقال ما عبد الله
بشيء افضل من فقه في دين ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا
الدين الفقه وقال خير دينكم ايسره وافضل العبادة الفقه وقال فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد
سبعون درجة وقال انكم اصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم
وسياتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل و
قال بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وقيل يا رسول الله اي
الاعمال افضل فقال العلم بالله عز وجل قيل اي الاعمال تريد قال العلم بالله عز وجل فقيل نسال عن العمل وتجيب
عن العلم فقال ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وقال يبعث الله العباد يوم القيمة
ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء اني لم اضع علمي فيكم الا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم اذهبوا
فقد غفرت لكم **واما الاثار** قال علي رضي الله عنه يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت

ترس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال ينقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق وقال ايضا العالم
افضل من الصائم القائم المجاهد واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه وقال ايضا
ما الفخر الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء ووزن كل امرء ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء
ففز بعلم وكن حيا به فالناس موتى واهل العلم احياء وقال ابو الاسود ليس شيء اعز من العلم الملوك حكام الناس
والعلماء حكام على الملوك وقال ابن عباس خير سليمن بن داود صلى الله عليهما بين العلم والمال فاختار العلم فاعطى
المال والملك معه وسئل ابن المبارك عن الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذي يأكل
بدينه ولم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصية التي بها يتميز الناس عن سائر البهائم هو العلم فالانسان انسان بما هو شريف
لاجله وليس ذلك لقوة شخصه فان الجمل اقوى منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه ولا بأكله
فان الجمل اوسع بطنا منه ولا ليجامع فان اخس العصافير اقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم وقال بعض الحكماء ليت
شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فاته من ادرك العلم وقال فتح الموصلي اليس المريض اذا منع الطعام والشراب و
الدواء يموت قالوا نعم قال كذلك القلب اذا منع العلم والحكمة ثلثة ايام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم و
الحكمة وبهما حياته كما ان غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ شغل
الدنيا وحبها ابطل احساسه كما ان غلبة الخوف قد تبطل احساس الم الجرح في الحال وان كان واقعا فاذا حط الموت عنه
اعباء الدنيا احس بهلاكه وتحسر تحسرا لا ينفعه وذلك كاحساس المفيق عن سكره بما اصابه من الجراحات في حالة
السكر او الخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن يوزن مداد العلماء
بدم الشهداء وقال ابن مسعود عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه ان يهلك رواته فوالذي نفسي بيده ليودن رجال
قتلوا في سبيل الله شهداء ان يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم وان احدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم وقال
ابن عباس تذاكر العلم بعض ليلة احب الي من احيائها وكذا عن ابي هريرة واحمد بن حنبل وقال الحسن في قوله تعالى
ربنا آتنا في الدنيا حسنة هي العلم والعبادة وفي الآخرة حسنة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء اي الاشياء تقتنى
قال الاشياء التي اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم وقيل اراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت
وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال الشافعي
ان من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو في شيء حقير فرح ومن دفع عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه ايها الناس
عليكم بالعلم فان لله رداء محبة فمن طلب بابا من العلم رداه بردائه فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا
استعتبه فان اذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك وان تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال
الاحنف كاد العلماء ان يكونوا اربابا وكل عز لم يوكد بعلم فالى ذل مصيره وقال سالم بن ابي الجعد اشتراني
مولاي بثلثمائة درهم واعتقني فقلت باي حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى اتاني امير
المدينة زائرا فلم آذن له وقال الزبير بن ابي بكر كتب الي ابي بالعراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالا وان
استغنيت كان لك جمالا وحكي ذلك في وصايا لقمن لابنه وقال يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي
القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل المطر وقال بعض الحكماء اذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في
الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقال الزهري العلم ذكر ولا يحبه الا ذكور الرجال

فضيلة التعلم

اما الآيات فقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وقوله فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا
تعلمون واما الاخبار فقوله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وقال
ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع وقال لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي مائة ركعة

الناس من جهة التمثال اكفاء ابوهم آدم والام حواء فان يكن لهم في اصلهم شرف يفاخرون به فالطين والماء

وقال باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وقال طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال اطلبوا العلم ولو
بالصين وقال العلم خزائن مفاتيحها السؤال فسلوا فانه يوجر فيه اربعة السائل والعالم والمستمع والمحب
لهم وقال لا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على علمه وفي حديث ابي ذر حضور مجلس
عالم افضل من صلوة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن
فقال فهل ينفع القرآن الا بالعلم وقال من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه وبين الانبياء
في الجنة درجة واحدة

واما الآثار

فقال ابن عباس ذللت طالبا فعززت مطلوبا وكذلك
قال ابن ابي مليكة ما رأيت مثل ابن عباس اذا رأيته رأيت احسن الناس وجها فاذا تكلم فاعرب الناس
لسانا فاذا افتى فاكثر الناس علما وقال ابن المبارك عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة و
قال بعض الحكماء اني لا ارحم رجالا كرحمتي لاحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلب وقال
ابو الدرداء لان اتعلم مسئلة احب الي من قيام ليلة وقال ايضا العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس
همج لا خير فيهم وقال ايضا كن عالما او متعلما او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك وقال عطاء مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا
من مجالس اللهو وقال عمر موت الف عابد قائم الليل والنهار اهون من موت عاقل بحلال الله وحرامه وقال
الشافعي طلب العلم افضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم كنت عند مالك اقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت
الكتب لاصلي فقال يا هذا ما الذي قمت اليه بافضل مما كنت فيه اذا صحت النية وقال ابو الدرداء من رأى ان الغدو
الى العلم ليس بجهاد فقد نقص في رأيه وعقله

فضيلة التعليم

اما الآيات فقوله تعالى ولينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه وهو ايجاب التعليم وقال تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وهو تحريم
الكتمان كما قال في الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ما آتى الله عالما علما الا اخذ
عليه من الميثاق ما اخذ من النبيين ان يبينه ولا يكتمه وقال تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا
وقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقال ويعلمهم الكتاب والحكمة

واما الاخبار

فقال صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها
وقال من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين نبيا صديقا وقال عيسى عليه السلم من علم وعمل وعلم
فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات وقال النبي عليه الصلوة والسلم اذا كان يوم القيمة يقول الله للعابد
والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل انتم عندي كبعض ملائكتي
اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون بالعلم المتعدي بالتعليم لا اللازم الذي لا يتعدى
وقال عليه الصلوة والسلم ان الله لا ينزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء
فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق الا رؤساء جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون
وقال من علم علما فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من نار وقال نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوي عليها ثم
تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة وقال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه او
معلما او متعلما وقال ان الله وملائكته واهل السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون
على معلم الناس الخير وقال ما افاد المسلم اخاه فائدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه وقال كلمة من الخير يسمعها
المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير من عبادة سنة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين احدهما
يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال اما هؤلاء فيسئلون ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما

هولاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس وقال مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث
الكثير اصاب ارضا وكانت منها بقعة قبلت الماء فنفع الله به الناس شربوا وزرعوا وكانت منها بقعة لا تمسك
ماء ولا تنبت كلأ فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثاني ذكره مثلا للنافع والثالث للمحروم منهما وقال اذا
مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلث علم ينتفع به وقال الدال على الخير كفاعله وقال لا حسد الا في اثنين رجل
آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس وقال عليه الصلوة والسلام على خلفائي رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال
الذين يحيون سنتي يعلمونها عباد الله **الآثار** قال عمر رضي الله عنه من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر
ذلك العمل وقال ابن عباس معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين
الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل فقد روي ان سفيان الثوري قدم عسقلان فمكث لا يساله انسان
فقال اكتروا لي لاخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وانما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء
للعلم به وقال عطاء دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال ليس احد يسالني عن شيء وقال
بعضهم العلماء سرج الازمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به اهل عصره وقال الحسن لولا العلماء لصار الناس
مثل البهائم اي انهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية الى حد الانسانية وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنا قيل وما ذاك
ان تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه وقال يحيى بن معاذ العلماء ارحم بامة محمد من آبائهم وامهاتهم قيل وكيف ذلك قال
آباؤهم وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة وقيل اول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ
ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال
معاذ بن جبل في التعليم والتعلم ورايته ايضا مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث
عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على السراء
والضراء والوزير عند الاخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله تعالى به اقواما فيجعلهم في
الخير قادة هداة يقتدى بهم ادلة في الخير تقتص آثارهم وترمق افعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وكل
رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها لان العلم حياة القلوب من العمى
ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى التفكر فيه يعدل بالصيام
ومدارسته بالقيام به يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه توصل الارحام وهو امام والعمل تابعه يلهمه السعداء
ويحرمه الاشقياء **الشواهد العقلية** اعلم ان المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم تفهم الفضيلة
في نفسها ولم تحقق المراد منها لم يمكن ان تعلم وجودها صفة للعلم او لغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق من طمع ان يعلم ان زيدا
حكيم ام لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها فالفضيلة ماخوذة من الفضل وهو الزيادة واذا تشارك شيئان في امر
واختص احدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء كما يقال الفرس افضل من الحمار بمعنى
انه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم
يقل انه افضل لان تلك زيادة في الجسم ونقصان في المعنى وليس من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته
لا لجسمه واذا فهمت هذا لم يخف عليك ان العلم فضيلة ان اخذته بالاضافة الى سائر الحيوانات ان شدة العدو فضيلة
في الفرس وليست فضيلة على الاطلاق والعلم فضيلة في ذاته على الاطلاق من غير اضافة فانه وصف كمال الله تعالى وبه شرف
الملائكة والانبياء بل الكيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة على الاطلاق من غير اضافة واعلم ان الشيء النفيس المرغوب فيه
ينقسم الى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب لذاته اشرف وافضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره
الدراهم والدنانير فانهما حجران لا منفعة فيهما ولولا ان الله يسر قضاء الحاجة بهما لكانا والحصباء بمثابة واحدة واما الذي

يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر الى وجه الله تعالى واما الذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة
البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوب من حيث انه سلامة عن الالم ومطلوب للمشي بها والتوصل الى المآرب والحاجات
وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى دار الآخرة و
سعادتها وذريعة الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به واعظم الاشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الابدية
وافضل الاشياء ما هو وسيلة اليها ولن يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل
فاصل السعادات في الدنيا والآخرة هو العلم فهو اذن افضل الاعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء ايضا
بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق الملائكة ومقارنة الملأ الاعلى هذا
في الآخرة واما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبياء الترك واجلاف
العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر
الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم مطلقا كما سياتي بيانه
وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها واما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه فان العلم اذا كان افضل الامور كان تعلمه
طلبا للافضل وكان تعليمه افادة للافضل وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة
وهي الآلة الموصلة الى الله لمن اتخذها آلة ومنزلا ولم يتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الآدميين
واعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلثة اقسام احدها اصول لا قوام للعالم دونها وهي اربعة الزراعة وهي للمطعم
والحياكة وهي للملبس والبناء وهي للمسكن والسياسة وهي للتألف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة و
ضبطها القسم الثاني ما هي مهيأة لكل واحد من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة
من الصناعات باعداد آلاتها وكالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد محلها القسم الثالث ما هي متممة للاصول
ومزينة كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام امر العالم الارضي مثل اجزاء
الشخص بالاضافة اليه فانها ثلثة اضرب اما اصول كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها كالمعدة والعروق
والشرايين والاعصاب والاوردة واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين واشرف هذه
الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة بالتاليف والاستصلاح ولذلك يستدعي هذه الصناعة
من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات والسياسة في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق
المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على اربع مراتب الاولى وهي العليا سياسة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة
في ظاهرهم وباطنهم والثانية الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على
باطنهم والثالثة العلماء بالله وبدينه الذين هم ورثة الانبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى
الاستفادة منهم ولا ينتهي قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن
العوام فقط واشرف هذه الصناعات الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة
المهلكة وارشادهم الى الاخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم وانما قلنا ان هذا افضل من سائر الحرف والصناعات
لان شرف الصناعات يعرف بثلثة امور اما بالالتفات الى الغريزة التي بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية
على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة
على الصياغة واما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ محل احدهما الذهب ومحل
الآخر جلد الميتة وليس يخفى ان العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة انما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء و
العقل اشرف صفات الانسان كما سياتي بيانه اذ به تقبل امانة الله تعالى وبه يتصل الى جوار الله تعالى واما عموم

النفع فلا تسترب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الاخرة واما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر و
نفوسهم واشرف موجود على الارض جنس الانس واشرف جزء من جوهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله
وتجليته وتطهيره وسياقته الى القرب من الله تعالى فتعليم العلم من وجه عبادة لله تعالى ومن وجه خلافة لله
تعالى وهو اجل خلافة فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو اخص صفاته فهو كالخازن لانفس خزائنه ثم
هو ماذون له في الانفاق على كل محتاج اليه فاية رتبة اجل من كون العبد واسطة بين ربه وبين خلقه في تقريبهم الى
الله زلفى وسياقتهم الى جنة المأوى **الباب الثاني في العلم المحمود والمذموم** واقسامهما واحكامهما
وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان ان موقع الفقه والكلام من علم الدين الى اي حد هو و
تفضيل علم الاخرة **بيان العلم الذي هو فرض عين** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم فريضة على كل مسلم و
قال اطلبوا العلم ولو بالصين واختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم وتحزبوا فيه اكثر من
عشرين فرقة ولا نطول بنقل التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي
هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ
به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه الآحاد دون الوقايع
النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به
هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة
الملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على اقوام مخصوصين هم اهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه
وقال ابو طالب المكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام وهو قوله عليه الصلوة والسلم بني الاسلام على خمس
لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب والذي ينبغي ان يقطع به المحصل ولا يسترب فيه ما
نذكره وهو ان العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم الى علم معاملة والى علم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم الا علم المعاملة
والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلثة اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام او السن ضحوة
نهار مثلا فاول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناها وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه ان يحصل
كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب
نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث وبرهان اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجلاف العرب
بالتصديق والاقرار من غير تعليم دليل واذا فعل ذلك فقد ادى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عليه في الوقت تعلم
الكلمة وفهمها وليس يلزمه امر وراء هذا في الوقت بدليل انه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله غير عاص وانما يجب غيره
ذلك بعارض يعرض وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنه وتلك العوارض اما ان تكون في الفعل
واما في الترك واما في الاعتقاد اما الفعل فبان يعيش من ضحوة النهار الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم
الطهارة والصلوة وان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت
لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد ان يقول الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل ان يقال وجوب العلم الذي هو
شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فان عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب
تعلم الصوم وهو ان يعلم ان وقته من الصبح الى غروب الشمس وان الواجب فيه النية والامساك عن الاكل والوقاع وان
ذلك يتمادى الى رؤية الهلال فان تجدد له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكوة ولكن لا يلزمه في الحال انما يلزمه
عند تمام الحول من وقت اسلامه فان لم يملك الا الابل لم يلزمه تعلم زكوة الغنم وكذا في ساير الاصناف فاذا دخل اشهر
الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج مع ان فعله على التراخي فلا يكون تعلمه على الفور ولكن ينبغي لعلماء الاسلام ان ينبهوه

طلب د — اى علمنا ن — اوكان له مال م

على ان الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو مالكا حتى يرى الحزم لنفسه في المبادرة
فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولا يلزمه الا تعلم اركانه وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك نفل
فعلمه ايضا نفل فلا يكون فرض عين وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب اصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه و
هكذا التدريج في علم ساير الاعمال التي هي فرض عين واما التروك فيجب علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف
بحال الشخص اذ لا يجب على الابكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوي تعلم ما يحل الجلوس
فيه من المساكن فذلك ايضا واجب على حسب ما يقتضيه الحال فما يعلم انه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس
له يجب تنبيهه فيه كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير او جالسا في غصب او ناظرا الى غير محرم فيجب تعريفه
ذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالاكل فيجب تعليمه ذلك حتى اذا كان في بلد تتعاطى
فيه شرب الخمر واكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب تعلمه **واما الاعتقادات
واعمال القلوب** فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه
تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم وانه مرئي وانه ليس
محلا للحوادث الى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات
بعضها يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من اهل البلد فان كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي
ان يصان في اول بلوغه عنها بتلقين الحق فانه لو القي اليه الباطل لوجب ازالته من قلبه وربما عسر ذلك كما انه لو
كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع في البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا فهذا هو الحق في العلم الذي
هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العمل الواجب ووقت وجوبه علم العلم الذي هو فرض عين
وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولمة الملك حق ايضا ولكن في حق من يتصدى له واذا كان الغالب
ان الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه ان يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا
اليه وكيف لا يجب وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات الخبر ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذموما
احوال القلب كالكبر والعجب واخواتهما تتبع هذه الثلث المهلكات وان ازالتها فرض عين ولا يمكن الا بمعرفة حدودها
ومعرفة اسبابها ومعرفة علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده فكيف يمكن دون
معرفة السبب والمسبب فاكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الاعيان وقد تركه الناس كافة اشتغالا بما
لا يعني ومما ينبغي ان يبادر في القائه اليه اذا لم يكن قد انتقل عن ملة اخرى الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر
حتى يؤمن به ويصدق وهو من تتمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق بكونه رسولا ينبغي ان يفهم الرسالة التي هو
مبلغها وهو ان من اطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاه فله النار واذا انتبهت لهذا التدريج علمت ان المذهب
الحق هذا وتحققت ان كل عبد فهو في مجاري احواله في يومه وليلته لا يخلو عن وقايع في عباداته ومعاملاته تجدد
لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا
فاذا تبين انه عليه الصلوة والسلم انما اراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله طلب العلم فريضة علم العمل الذي
هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدريج في وقت وجوبه **بيان العلم الذي
هو فرض كفاية** اعلم ان الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر اقسام العلوم والعلوم بالاضافة الى الغرض الذي
نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية واعني بالشرعية ما استفيد من الانبياء صلوات الله عليهم ولا يرشد
العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم الى ما هو
محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى ما

يرى م — الافعال ن — النصب ن — طي — ذات — ان م — عن تجدد اللزوم ن

هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة اما **فرض الكفاية** فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان على الصحة وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الاخرين ولا تتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة فانه لو خلا البلد عن الحجام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذي انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله واما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب **واما المذموم** منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات واما **العلوم الشرعية** وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية وتكون مذمومة فلتنقسم الى المحمودة والمذمومة اما المحمودة فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات فهي اربعة اضرب الضرب الاول الاصول وهي اربعة كتاب الله وسنة رسوله واجماع الامة وآثار الصحابة والاجماع اصل من حيث انه يدل على السنة لان الصحابة قد شاهدوا الوحي فهو اصل في الدرجة الثانية وكذلك الاثر فانه يدل ايضا على السنة لان الصحابة قد شاهدوا الوحي والتنزيل وادركوا بقرائن الاحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا تحيط العبارات بما ادرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص وعلى وجه مخصوص عند من رآه ولا يليق بيانه بهذا الفن الضرب الثاني الفروع وهو ما فهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها بل بمعان تنبهت لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ وغيره كما فهم من قوله لا يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي وهو حاقن وجائع ومتألم بمرض وهذا على ضربين احدهما ما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه فن الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم من علماء الدنيا والثاني ما يتعلق بالآخرة وهو علم احوال القلب واخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي عند الله وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الاخير من هذا الكتاب اعني جملة كتاب احياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الاول الضرب الثالث المقدمات وهي التي تجري منها مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو من العلوم فانهما آلة لعلم كتاب الله وسنة رسوله وليس اللغة والنحو من العلوم الشرعية في انفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة فلا تظهر الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات كتابة الخط الا ان ذلك ليس ضروريا اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اميا ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضروريا الضرب الرابع المتممات وذلك في علم القرآن فانه ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءة ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه ويتناول السنة ايضا واما المتممات في الآثار والاخبار فالعلم بالرجال واساميهم وانسابهم واسامي الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم باحوالهم ليتميز الضعيف عن القوي والعلم باعمارهم ليتميز المسند عن المرسل وكذلك ما يتعلق به فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات فان قلت لم الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم ان الله اخرج آدم من التراب واخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الارض ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة او الى النار فهذا مبدؤهم وهذه غايتهم وهذه منازلهم

وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم امورهم في الدنيا ولعمري هو متعلق ايضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين توأمان والدين اصل والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الخصومات بالفقه وكما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الاولى بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم ان الحج لا يتم الا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق الى الحج شيء ثان والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج الا بها شيء ثالث ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسندا لا يفتي الناس الا ثلاثة امير او مأمور او متكلف فالامير هو الامام وقد كانوا هم المفتين والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به الا طلب الجاه والمال فان قلت هذا ان استقام لك في احكام الحدود والجراحات والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم ان اقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الاعمال التي هي اعمال الآخرة ثلاثة الاسلام والصلاة والحلال والحرام فاذا تأملت منتهى نظر الفقيه علمت انه لا يجاوز حدود الدنيا الى الآخرة فاذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها اظهر اما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه الا الى اللسان اما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال هلا شققت عن قلبه للذي قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بانه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع انه يعلم ان السيف لم يكشف له عن نيته ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فان السيف ممتد الى رقبته واليد ممتدة الى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دام له رقبة ومال وذلك في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم واموالهم جعل اثر ذلك في الدم والمال واما الآخرة فلا تنفع فيها الاقوال بل انوار القلوب واسرارها واخلاصها وليس ذلك من فن الفقه وان خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض في الكلام والطب وكان خارجا عن فنه واما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة اذا اتى بصورة الاعمال مع ظاهر الشروط وان كان غافلا في جميع صلاته من اولها الى آخرها مشغولا بالتفكر في حساب معاملاته في السوق الا عند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة كما ان القول باللسان في الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة اي ان ما فعله حصل به امتثال صيغة الامر وانقطع به عنه القتل والتعزير فاما الخشوع واحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له كان خارجا عن فنه واما الزكاة فالفقيه ينظر الى ما يقطع به مطالبة السلطان حتى اذا امتنع واخذها السلطان منه قهرا حكم بانه برئت ذمته وحكي ان ابا يوسف كان يهب ماله لزوجته في آخر الحول ويستوهب مالها اسقاطا للزكاة فحكي لابي حنيفة فقال ذلك من فقهه وصدق فان ذلك من فقه الدنيا ومضرته في الآخرة اعظم من كل جناية ومثل هذا

العلم هو الضار واما الحلال والحرام فالورع من الحرام من الدين ولكن الورع له اربع مراتب الاولى الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة وهو الذي يخرج الانسان بتركه عن اهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر الثانية ورع الصالحين وهو التوقي من الشبهات التي تتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال الاثم حواز القلوب الثالثة ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه اداؤه الى الحرام قال صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به باس وذلك مثل التورع عن التحدث باحوال الناس خيفة من الانجرار الى الغيبة والتورع عن اكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المودي الى مقارفة المحظورات الرابعة ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله خوفا من صرف ساعة من العمر الى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله وان كان يعلم ويتحقق انه لا يفضي الى الحرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه الا الدرجة الاولى وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة والقيام بذلك لا ينفي الاثم في الآخرة قال صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وان افتوك وان افتوك والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط فاذا جميع نظر الفقيه يرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم في الاثم وصفات القلب واحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام وكما يدخل الحكمة في النحو والشعر وكان سفيان الثوري وهو امام في العلم الظاهر يقول ان طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على ان الشرف في العلم العمل به فكيف تظن انه علم اللعان والظهار والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الامور ليتقرب بتعاطيها الى الله فهو مجنون انما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات والشريف هو علم تلك الاعمال وان قلت فقد سويت بين الفقه والطب اذ الطب ايضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به ايضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف اجماع المسلمين فاعلم ان التسوية غير لازمة بل بينهما فرق فان الفقه اشرف منه بثلاثة اوجه احدها انه علم شرعي اي هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فانه ليس من علم الشرع والثاني انه لا يستغني عنه احد من سالكي طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض واما الطب فلا يحتاج اليه الا المرضى وهم الاقلون والثالث ان علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لانه نظر في اعمال الجوارح ومصدر الاعمال ومنشاها صفات القلوب فالمحمود من الافعال يصدر من الاخلاق المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم يصدر عن المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب واما الصحة والمرض فمنشاهما صفات في المزاج والاخلاط وذلك من اوصاف البدن لا من اوصاف القلب فمهما اضيف الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا اضيف علم طريق الآخرة الى الفقه ظهر ايضا شرف علم الآخرة فان قلت فصل لي علم الآخرة تفصيلا يشير الى تراجمه وان لم يمكن استيفاء تفاصيله فاعلم انه قسمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة او كبر وقيل من كان محبا للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم واقل عقوبته من ينكره انه لا يذوق منه شيئا وهو علم الصديقين والمقربين اعني علم المكاشفة وهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسماءها ويتوهم لها معان مجملة غير متضحة فيتضح له ذلك حتى يحصل المعرفة الحقيقية بذات الله وبصفاته التامات وبافعاله وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحي اليهم والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه

ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات اهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدري في جو السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله اذ للناس في معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذي اعده الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعي امورا عظيمة في المعرفة بالله وبعضهم يقول حد معرفة الله ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو انه موجود عالم قادر مريد سميع بصير متكلم فنعني بعلم المكاشفة ان يرتفع الغطاء حتى يتضح جلية الحق اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان لولا ان مرآة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا وانما نعني بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيته وتطهيره بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء في جميع احوالهم فبقدر ما ينجلي عن القلب ويحاذى به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل اليه الا بالرياضة التي ياتي تفصيلها في موضعه والا بالتعلم وهذه العلوم التي لا تسطر في الكتاب ولا يتحدث بها من انعم الله عليه بشيء منها الا مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا العلم الخفي هو الذي اراده صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله فلا تحقروا عالما اتاه الله علما فان الله لم يحقره اذ آتاه العلم واما القسم الثاني وهو علم المعاملة فهو علم احوال القلب اما ما يحمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاوة ومعرفة المنة في جميع الاحوال والاحسان وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص فمعرفة حقائق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التي بها يكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة واما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والانفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والمدح والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهات والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها ذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ الاخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة وطول الامل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها واسبابها وثمرتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة والمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالاضافة الى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح الآخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في

اهماله هلاكه في الاخرة ولو سالته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي
تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شيء منها وان احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها
ليلا ونهارا في حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين واذا روجع فيه قال اشتغلت به لانه علم الدين وفرض
الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلمه والفطن يعلم انه لو كان غرضه اداء حق الامر في فرض الكفاية فكم من بلدة ليس
فيها طبيب الا من اهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من احكام الفقه ثم لا نرى احدا يشتغل به
ويتهاترون على علم الفقه لاسيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع
فليت شعري كيف يرخص الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة واهمال ما لا قائم به هل لهذا سبب الا ان
الطب ليس يتيسر التوصل به الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة مال الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على
الاقران والتسلط به على الاعداء هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس علماء السوء فالله المستعان واليه
الملاذ في ان يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان اهل الورع من علماء الظاهر
مقرين بفضل علماء الباطن وارباب القلوب كان الشافعي يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله
كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوي فيقول ان هذا وفق لما اغفلناه وكان احمد بن حنبل ويحيى بن
معين يختلفان الى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم لما قيل
له كيف نفعل اذا جاءنا امر لم نجده في كتاب ولا في السنة فقال سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولذلك قيل علماء
الظاهر زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت وقال الجنيد قال لي السري شيخي اذا قمت من عندي
فمن تجالس فقلت المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وادبه ودع عنك تشقيقه للكلام ورده على المتكلمين ثم لما وليت سمعته
يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث اشار الى ان من حصل الحديث والعلم ثم تصوف
افلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه فان قلت لم لم تورد في اقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين انهما مذمومان او
محمودان فاعلم ان حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما
فهو اما مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سيأتي بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات
التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مألوفا
في العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الآن حكمه اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن و
السنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما مؤلفا فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذونا فيه بل صار من
فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به المبتدع اذا قصد الدعوة الى البدعة وذلك الى حد محدود سنذكره في
الباب الذي يلي هذا واما الفلسفة فليست علما براسها بل هي اربعة اجزاء احدها الهندسة والحساب وهما مباحان
كما سبق ولا يمنع عنهما الا من يخاف عليه ان يتجاوزهما الى علوم مذمومة فان اكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما الى البدع فيصان الضعيف
عنه لا لعينه كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خيفة من الوقوع في النهر كما يصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا
عليه مع ان القوي لا يندب الى مخالطتهم والثاني المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان
في علم الكلام والثالث الالهيات وهو بحث عن ذات الله وصفاته وهو داخل في الكلام والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر
من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما ان الاعتزال ليس علما براسه بل اصحابه طائفة من المتكلمين واهل
النظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة والرابع الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل و
ليس بعلم حتى يورد في اقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه
بنظر الاطباء الا ان الطبيب ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الاجسام من حيث

تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه واما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها فاذا الكلام صار
من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع
كما حدث حاجة استئجار البذرقة في طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار
الحراس من شرط طريق الحج فكذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة وليعلم المتكلم حده
من الدين وان موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فاذا تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج والمتكلم اذا تجرد للمناظرة و
المدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب واصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين اصلا وليس عند المتكلم من الدين
الا العقيدة التي يشاركه سائر العوام فيها وهي من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة
واما معرفة الله وصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا اليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد يكون الكلام حجابا
ومانعا منه وانما الوصول اليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا فان قلت فقد رددت حد المتكلم الى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما ان حد البذرقة حراسة
امتعة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه الى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض اهل العدوان
عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة الى علم الدين وعلماء الامة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون
وهم افضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين فاعلم ان من عرف الحق
بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهله ان كنت سالكا طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما
اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد اجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم
وانهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها وما
فضل ابو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ولا بكثرة رواية وفتوى وكلام ولكن بسر وقر
في صدره كما شهد له سيد البشر صلوات الله عليه فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر
المكنون ودع عنك ما تطابق الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لاسباب ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الوف من الصحابة كلهم علماء بالله اثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم احد
يحسن صنعة الكلام ولم ينصب نفسه للفتيا منهم احد الا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر منهم وكان اذا سئل عن
الفتيا يقول اذهب الى هذا الامير الذي تقلد امور الناس وضعها في عنقه اشارة الى ان الفتيا في القضايا
والاحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة اعشار
العلم فقيل له اتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لست اريد علم الفتيا والاحكام انما اريد العلم بالله
افترى انه اراد صنعة الكلام والجدل فما لك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر وهو الذي سد
باب الكلام والجدل وضرب صبيغا بالدرة لما اورد عليه سؤالا في تعارض آيتين من كتاب الله تعالى وهجره وامر
الناس بهجره واما قولك ان المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم ان ما ينال به الفضل عند الله شيء
وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر فلقد كان شهرة ابي بكر رضي الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر
في صدره وكان شهرة عمر بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة اعشاره بموته وبقصده التقرب
الى الله في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو امر باطن في سره فاما سائر افعاله الظاهرة فيتصور صدورها
من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة فيكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا
يطلع عليه فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة وقد انقسموا فمنهم من اراد الله بعلمه وفتياه وذبه عن سنته
ولم يطلب به رياء ولا سمعة فاولئك اهل رضوان الله وفضلهم لعملهم بعلمهم ولارادتهم وجه الله بفتواهم ونظرهم

فان كل علم عمل فانه علم مكتسب وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على التقرب الى الله بعلمه فيكون مثابا على
علمه من حيث انه عامل لله والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله لا من حيث انه متكفل بعلم
الدين بل هو متقلد لعمل يقصد به التقرب الى الله واقسام ما يتقرب به الى الله ثلاثة علم مجرد وهو علم المكاشفة
وعمل مجرد كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من علم وعمل وهو علم طريق الاخرة فان صاحبه من
العلماء والعمال جميعا فانظر الى نفسك تكون يوم القيمة في حزب عمال الله او علماء الله او في حزبهما او تضرب
بسهمك مع كل فريق منهما فهذا اهم لك من التقليد بمجرد الاشتهار شعر خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به
في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل ● على انا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به ان الذين انتحلوا مذاهبهم
ظلموهم وانهم من اشد خصمائهم يوم القيمة فانهم ما قصدوا بالعلم الا وجه الله وقد شوهد من احوالهم ما هو علامات
علماء الاخرة كما سياتي بيانه في باب علامات علماء الاخرة فانهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب
ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التصنيف والتدريس فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع
انهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتاوى والصوارف والدواعي متيقنة ولا حاجة الى ذكرها ونحن الان نورد من احوال
فقهاء الاسلام ما تعلم به ان ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن اظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم في اعمالهم
وسيرتهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق اعني الذين كثر اتباعهم في المذاهب خمسة الشافعي ومالك واحمد
ابو حنيفة واحمد بن حنبل وسفين الثوري رحمهم الله وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الاخرة وفقيها في
مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة
وهي التشمر والمبالغة في تفاريع الفقه لان الخصال الاربع لا تصلح الا للاخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح
للدنيا والاخرة ان اريد بها الاخرة فقل صلاحها في الدنيا تشمروا لها وادعوا بها مشابهة اولئك الائمة وهيهات
فلا تقاس الملائكة بالحدادين فلنورد من احوالهم ما يدل على هذه الخصال الاربع فان معرفتهم بالفقه ظاهرة اما
الشافعي فيدل على كونه عابدا ما روي انه كان يقسم الليل ثلاثة اجزاء ثلثا للعلم وثلثا للصلوة وثلثا للنوم
وقال الربيع كان الشافعي يختم القران في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلوة وكان البويطي احد اصحابه يختم
القران في كل يوم مرة وقال الحسين الكرابيسي بت مع الشافعي غير ليلة وكان يصلي نحوا من ثلث الليل فما رايته يزيد
على خمسين اية فاذا اكثر فمائة وكان لا يمر باية رحمة الا سال الله لنفسه ولجميع المومنين ولا باية عذاب الا تعوذ منها
وسال النجاة لنفسه وللمومنين فكانما جمع له الرجاء والرهبة معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين اية على
تبحره في اسرار القران وتدبره فيها وقال الشافعي ما شبعت منذ ستة عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن
ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر الى حكمته من ذكر افات الشبع ثم
في العبادة اذ طرح الشبع لاجله وراس التعبد تقليل الطعام وقال الشافعي ما حلفت بالله عز وجل لا صادقا
ولا كاذبا فانظر الى حرمته وتوقيره لله ودلالة ذلك على علمه بجلال الله وسئل الشافعي عن مسئلة فسكت فقيل له الا
تجيب رحمك الله فقال حتى ادري الفضل في سكوتي او في الجواب فانظر في مراقبته للسانه مع انه اشد الاعضاء
تسلطا على الفقهاء واعصاها على الضبط والقهر وبه يستبين انه كان لا يتكلم ولا يسكت الا لنيل الفضل وطلب الثواب
وقال احمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي يوما من سوق القناديل فاذا رجل يسفه على رجل من اهل العلم فالتفت
الشافعي الينا فقال نزهوا اسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون السنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وان
السفيه لينظر الى اخبث شيء في وعائه فيحرص ان يفرغه في اوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقي بها
قائلها وقال الشافعي كتب حكيم الى حكيم قد اوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم بنور

علمهم **واما زهده** فقد قال الشافعي من ادعى انه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب وقال
الحميدي خرج الشافعي الى اليمن مع بعض الولاة وانصرف الى مكة بعشرة الاف درهم فضرب خباءه في موضع خارج
من مكة فكان الناس ياتونه فما برح من موضعه حتى فرقها كلها وخرج من الحمام مرة فاعطى الحمامي مالا كثيرا وسقط
سوطه من يده مرة فرفعه اليه انسان فاعطاه جزاء عليه خمسين دينارا وسخاوة الشافعي اشهر من ان تحكى وراس الزهد
السخاء لان من احب شيئا امسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال الا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد ويدل على قوة زهده
وشدة خوفه من الله واشتغال همته بالاخرة ما روي انه روى سفيان بن عيينة حديثا من الرقائق فغشي على الشافعي فقيل له
قد مات فقال ان مات فقد مات افضل اهل زمانه وروى عبد الله بن محمد البلوي قال كنت انا وعمر بن نباتة جلوسا
نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر ما رايت اورع ولا افصح من محمد بن ادريس الشافعي خرجت انا وهو والحارث بن لبيد
الى الصفا وكان الحارث تلميذ الصالح المري فافتتح يقرا وكان حسن الصوت فقرا هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
فرايت الشافعي وقد تغير لونه واقشعر جلده فاضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما افاق جعل يقول اعوذ بك
من مقام الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت رقبة المشتاقين الهي هب لي جودك وجللني
بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك قال ثم قمنا فانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط اتوضا
للصلوة اذ مر بي رجل فقال يا غلام احسن وضوءك احسن الله اليك في الدنيا والاخرة فالتفت فاذا انا برجل يتبعه جماعة
فاسرعت في وضوئي وجعلت اقفو اثره فالتفت الي فقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله شيئا فقال
لي اعلم ان من صدق الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يراه من ثواب الله غدا
افلا ازيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلث خصال فقد استكمل الايمان من امر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى و
حافظ على حدود الله افلا ازيدك قلت بلى فقال كن في الدنيا زاهدا وفي الاخرة راغبا واصدق الله في جميع امورك
تنج مع الناجين ثم مضى فسالت من هذا فقالوا هو الشافعي فانظر الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه كيف يدل
ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد الا من معرفة الله انما يخشى الله من عباده العلماء ولم يستفد
الشافعي هذا الخوف من علم كتاب السلم والاجارة وساير كتب الفقه بل من علوم الاخرة المستخرجة من القران و
الاخبار اذ حكم الاولين والاخرين مودعة فيهما واما كونه عالما باسرار القلب وعلوم الاخرة فتعرفه من الحكم المأثورة
عنه روي انه سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى حيال ابصار قلوب العلماء فنظروا
اليها بسوء اختيار النفوس فاحبطت اعمالهم وقال الشافعي اذا انت خفت على عملك العجب فاذكر رضى من
تطلب وفي اي نعيم ترغب ومن اي عقاب ترهب واي عافية تشكر واي بلاء تذكر فانك اذا فكرت في واحدة
من هذه الخصال صغر في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار افات القلب و
قال الشافعي من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وقال من اطاع الله بالعلم نفعه سره وقال ما من احد الا له محب و
مبغض فاذا كان كذلك فكن مع اهل طاعة الله وروي ان عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان
يسال الشافعي في الورع مسائل والشافعي يقبل عليه لورعه فقال للشافعي ايما افضل الصبر او المحنة او التمكين فقال
الشافعي التمكين درجة الانبياء ولا يكون التمكين الا بعد المحنة وامتحن موسى عليه السلم ثم مكنه وامتحن ايوب ثم
مكن له وامتحن سليمن ثم اتاه ملكا والتمكين افضل الدرجات قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف وايوب بعد المحنة
العظيمة مكن قال الله تعالى واتيناه اهله ومثلهم معهم الاية فهذا الكلام من الشافعي يدل على تبحره في اسرار القران
واطلاعه على مقامات السائرين الى الله من الانبياء والاولياء وكل ذلك من علوم الاخرة وقيل للشافعي متى يكون الرجل
عالما قال اذا تحقق في علم يعلمه وتعرض لساير العلوم فنظر فيها فانه عند ذلك يكون عالما فانه قيل لجالينوس انك تامر

للداء الواحد والادوية الكثيرة المجتمعة فان انما المقصود منه واحد وانما يجعل معه غيره ليسكن حدته لان الافراد قاتل

فهذا واشاله مما لا يحصى يدل على عظم رتبته في معرفة الله وعلوم الاخرة واما ارادته بالفقه خاصة وبالمناظرة فيه وجه الله

فيدل عليه ما روي عنه انه قال وددت ان الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب الي منه شيء فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب

الاسم به وكيف كان منزه القلب عن الالتفات اليه مجرد النية فيه لوجه الله وقال الشافعي ما ناظرت احدا قط فاحببت ان

يخطئ وقال ما كلمت احدا الا احببت ان يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله وحفظ وما كلمت احدا

قط وانا ابالي ان يبين الله الحق على لساني او لسانه وقال ما اوردت الحق والحجة على احد فقبلها الا هبته واعتقدت محبته

ولا كابرني على الحق احد ودافع الحجة الا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على ارادة الله بالفقه

والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها ايضا

ولهذا قال ابو ثور ما رايت ولا راى الراءون مثل الشافعي وقال احمد بن حنبل ما صليت صلوة منذ اربعين سنة الا

وانا ادعو للشافعي فانظر الى انصاف الداعي والى درجة المدعو له وقس به الاقران والامثال من العلماء في هذه الاعصار

وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه اي رجل

كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا فقال احمد يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف

وقال احمد بن حنبل ما مس احد بيده محبرة الا وللشافعي في عنقه منة وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلوة منذ اربعين

سنة الا وانا ادعو فيها للشافعي لما فتح الله عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من احواله فان

ذلك خارج عن الحصر واكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن ابرهيم المقدسي في مناقب

الشافعي **واما مالك** رحمه الله فانه كان ايضا متحليا بهذه الخصال الخمس فانه سئل مالك ما تقول في طلب العلم

فقال حسن جميل ولكن انظر الى الذي يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فالزمه وكان رحمه الله في تعظيم علم الدين حتى كان اذا

اراد ان يحدث توضا وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن في الجلوس على وقار وهيبة ثم

حدث فقيل له في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور يجعله الله

حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى واما ارادته وجه الله بالعلم

فيدل عليه قوله الجدال في الدين ليس بشيء ويدل عليه ايضا قول الشافعي اني شهدت مالكا سئل عن ثمان واربعين مسئلة

فقال في اثنتين وثلثين منها لا ادري ومن يرد غير وجه الله بعلمه فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري ولذلك

قال الشافعي اذا ذكر العلماء فمالك النجم وما احد امن علي من مالك وروي ان ابا جعفر من الخلفاء منعه من رواية

الحديث في طلاق المكره ثم دس عليه من يساله فروى على ملاء من الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط

ولم يترك رواية الحديث وقال مالك ما كان رجل صادق في حديثه لا يكذب الا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا

خرف واما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روي ان المهدي امير المؤمنين ساله وقال له هل لك دار فقال لا ولكن احدثك

حديثا سمعت ربيعة بن ابي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وساله الرشيد هل لك دار فقال لا فاعطاه ثلثة آلاف

دينار وقال اشتر بها دارا فاخذها ولم ينفقها فلما اراد الرشيد الشخوص قال لمالك ينبغي ان تخرج معنا فاني عزمت ان احمل

الناس على الموطا كما حمل عثمان الناس على القران فقال له اما حمل الناس على الموطا فليس الى ذلك سبيل لان اصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده في الامصار فحدثوا فعند كل اهل مصر علم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف

امتي رحمة واما الخروج معك فلا سبيل اليه قال صلى الله عليه وسلم المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال المدينة تنفي

خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هي ان شئتم فخذوها وان شئتم فدعوها يعني انك انما تكلفني مفارقة

المدينة بما اصطنعته لدي فلا اوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حمل

اليه الاموال الكثيرة من اطراف الدنيا لانتشار علمه واصحابه كان يفرقها في وجوه الخير وسخاوه على تعجيل قلة

حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال وانما الزهد فراغ القلب عنه فلقد كان سليمن عليه السلم في ملكه من الزهاد

ويدل على احتقاره للدنيا ما روي عن الشافعي انه قال رايت على باب مالك كراعا من افراس خراسان وبغال مصر ما

رايت احسن منه فقلت لمالك ما احسنه فقال هو هدية مني اليك يا ابا عبد الله فقلت دع لنفسك منها دابة

تركبها فقال اني استحيي من الله تعالى ان اطا تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فانظر الى سخائه اذ وهب

جميع ذلك دفعة والى توقيره لتربة المدينة ويدل على ارادته بالعلم وجه الله واستحقاره الدنيا ما روي عنه انه

قال دخلت على هرون الرشيد فقال لي يا ابا عبد الله ينبغي ان تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطا فقال قلت اعز الله

الامير ان هذا العلم خرج منكم فان انتم اعززتموه عز وان اذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا ياتي فقال صدقت اخرجوا الى المسجد

حتى يسمع مع الناس **واما ابو حنيفة** رضي الله عنه فلقد كان ايضا زاهدا عابدا عارفا بالله خائفا منه مريدا وجه الله بعلمه فاما

كونه عابدا فيعرف بما روي عن ابن المبارك انه قال كان ابو حنيفة له مروة وكثرة صلاة وروى حماد بن ابي سليمن انه كان يحيي

الليل كله وروي انه كان يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان وهو يمشي وقال لاخر هذا هو الذي يحيي كل الليل فلم يزل بعد ذلك

يحيي كل الليل وقال انا استحيي من الله ان اوصف بما ليس في من عبادته واما زهده فقد روي عن الربيع بن عاصم قال ارسلني

يزيد بن عمرو بن هبيرة فقدمت بابي حنيفة عليه فاراده على بيت المال فابى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب عن الولاية واحتمل

العذاب وقال الحكم بن هشام الثقفي حدثت بالشام عن ابي حنيفة انه كان من اعظم الناس امانة واراده سلطان على ان

يتولى مفاتيح خزائنه او يضرب ظهره فاختار عذابهم على عذاب الله وروي انه ذكر ابو حنيفة عند ابن المبارك فقال

اتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وروي عن محمد بن شجاع عن بعض اصحابه انه قيل لابي حنيفة قد امر لك

ابو جعفر امير المؤمنين بعشرة الاف درهم قال فما رضي ابو حنيفة فلما كان في اليوم الذي توقع ان يؤتى بالمال صلى

الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر ما يكلمنا الا

بالكلمة بعد الكلمة اي هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم اوصى ابو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته

فقال لابنه اذا مت ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له هذه وديعتك التي اودعتها

ابا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على ابيك لقد كان شحيحا على دينه وروي انه دعي الى ولاية

القضاء فقال انا لا اصلح لهذا فقيل له لم قال ان كنت صادقا فما اصلح لها وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء واما

علمه بامور الاخرة وطرق الدين ومعرفته بالله فيدل عليه شدة خوفه من الله وزهده في الدنيا وقد قال ابن جريج بلغني عن كوفيكم

هذا النعمان بن ثابت انه شديد الخوف لله وقال شريك النخعي كان ابو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس

فهذا من اوضح الامارات على العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين فمن اوتي الصمت والزهد فقد اوتي العلم كله فهذه نبذة من احوال

الائمة الثلث **واما احمد بن حنبل وسفيان الثوري** واتباعهما من هؤلاء وسفيان اقل اتباعا من احمد ولكن اشتهارهما بالزهد والورع

اظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات افعالهما واقوالهما فلا حاجة الى التفصيل الان فانظر الان في سير هؤلاء

الائمة وتامل ان هذه الاحوال والاقوال والافعال في الاعراض عن الدنيا والتجرد لله هل تثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة

السلم والاجارة والظهار واللعان او يثمرها علم اخر اعلى واشرف منه فانظر ان الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء صدقوا في

دعواهم ام لا

الباب الثالث فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي

يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل اسامي العلوم وهي الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم

الشرعية وقدر المذموم منها بيان العلم المذموم وقدره لعلك تقول العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون

الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم ان العلم لا يذم لعينه وانما يذم في حق العبد لاحد اسباب ثلاثة الاول ان يكون مؤديا

الى الضرر اما بصاحبه او بغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق اذ شهد القران له وانه سبب يتوصل به الى التفرقة
بين الزوجين وقد سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى اخبره جبرئيل واخرج السحر من تحت حجر في قعر
بئر وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة
الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص من المطالع ويقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوسل
بسببها الى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله العادة احوال غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه
الاسباب من حيث انها معرفة ليست مذمومة ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق والوسيلة الى الشر شر فكان ذلك هو
السبب في كونه مذموما بل من اتبع وليا من اولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز اذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه
عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه ارشاد وافادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم لادائه الى الضرر الثاني ان يكون
مضرا بصاحبه في غالب الامر كعلم النجوم فانه في نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان قسم حسابي وقد نطق القران بان مسير
الكواكب محسوب اذ قال الله تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم والثاني
الاحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من
المرض وهو معرفة بمجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكنه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر
القدر فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال اخاف على امتي بعدي ثلاثا حيف الائمة والايمان
بالنجوم وتكذيب بالقدر وقال عمر تعلموا من النجوم ما تهتدوا به في البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه من ثلاثة اوجه احدها
انه مضر باكثر الخلق فانه اذا القي اليهم ان هذه الاثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم ان الكواكب هي المؤثرة
وانها الالهة المدبرة لانها جواهر شريفة سماوية ويعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها ويرى الخير والشر محذورا
ومرجوا من جهتها وينمحي ذكر الله عن القلب فان الضعيف يقصر نظره على الوسايط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على ان الشمس و
القمر والنجوم مسخرات بامره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة
لو خلق لها عقل وكان على سطح قرطاس وهي تنظر الى سواد الخط يتجدد فيعتقد انه فعل القلم ولا يترقى نظرها الى مشاهدة الاصابع
ثم منها الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منه الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى خالق اليد والقدرة والارادة فاكثر
نظر الخلق مقصور على الاسباب القريبة السافلة مقطوع عن الترقي الى مسبب الاسباب وهذا احد اسباب النهي عن النجوم
وثانيها ان احكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق احاد الاشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون مذموما على
هذا من حيث انه جهل لا من حيث انه علم ولقد كان ذلك معجزة لادريس صلوات الله عليه فيما يحكى وقد اندرس ذلك وقد
انمحى ذلك العلم وانمحق وما يتفق من اصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لانه قد يطلع على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب
عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع عليها فان اتفق ان قدر الله بقية الاسباب وقعت الاصابة و
ان لم يقدر اخطأ ويكون ذلك كتخمين الانسان في ان السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك
وربما يحمى النهار بالشمس ويبدد الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا في مجيء المطر وبقية الاسباب لا يدرى و
كذلك تخمين الملاح ان السفينة تسلم اعتمادا على ما الفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح اسباب خفية وهو لا يطلع عليها
فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطئ ولهذه العلة يمنع القوي من النجوم ايضا وثالثها انه لا فائدة فيه فاقل احواله انه خوض
في فضول لا يعني وتضييع العمر الذي هو انفس بضاعة الانسان بغير فائدة وهو غاية الخسران فقد مر رسول الله صلى الله عليه
وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا فقالوا بالشعر وانساب العرب فقال علم لا ينفع
وجهل لا يضر وقال انما العلم اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة فاذا الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر و
خوض في جهالة من غير فائدة فان ما قدر كان والاحتراز عنه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة اليه واكثر ادلته مما يطلع عليه

وبخلاف التعبير وان كان تخمينا لانه جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ولا خطر فيه السبب الثالث الخوض في علم لا يستقل
الخائض فيه فانه مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وكالبحث عن الاسرار الالهية اذ يطلع الفلاسفة والمتكلمون
عليها ولم يستقلوا بها ولا يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها الا الانبياء فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق
به الشرع ففي ذلك مقنع للموفق وكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها ولو لم يخض فيها لكان حاله احسن في دينه مما صار
اليه ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وانواع الحلاوى اللطيفة بالصبي الرضيع بل رب شخص ينفعه
الجهل ببعض الامور فقد حكي ان بعض الناس شكى الى طبيب عقم زوجته وانها لا تلد فجس الطبيب نبضها فقال لها لا حاجة لك
الى دواء الولادة فانك ستموتين الى اربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت المراة خوفا عظيما فتنغص عليها عيشها
واخرجت اموالها وفرقتها واوصت وبقيت لا تاكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب وقال له
لم تمت فقال الطبيب علمت ذلك فجامعها الان فانها تلد فقال كيف ذلك فقال رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها ف
علمت انها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم
ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر
عنها ولازم الاقتداء بالصحابة واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث والاستقلال ولا تكثر اللجج برأيك
وبمعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك اني ابحث عن الاشياء لاعرفها على ما هي عليها فاي ضرر في التفكر فان ما يعود عليك من
ضرره اكثر وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك ضررا يكاد يهلكك في الاخرة ان لم يتداركك الله برحمته واعلم انه
كما يطلع الطبيب الحاذق على اسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذا الانبياء اطباء القلوب والعلماء باسباب
الحيوة الاخروية فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في اصبعه فيقتضي عقله ان يطليها حتى
ينبهه الطبيب الحاذق ان علاجه ان يطلي الكف من الجانب الاخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم
كيفية انشعاب الاعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الامر في طريق الاخرة وفي دقائق سنن الشرع وادابها
وفي عقائدها التي تعبد الناس بها اسرار لطيفة ليس في سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما ان في خواص الاحجار امورا عجائب
غاب عن اهل الصنعة علمها حتى لم يقدر احد على ان يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد فالعجائب والغرائب في
العقائد والاعمال وافادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وزكائها واصلاحها للترقي لجوار الله وتعرضها لنفحات فضله
اكثر واعظم مما في الادوية والعقاقير وكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع الادوية مع ان التجربة سبيلا اليه فالعقول
تقصر عن ادراك ما ينفع في حيوة الاخرة مع ان التجربة غير متطرقة اليها وانما كانت التجربة تتطرق اليها لو رجع الينا بعض
الاموات فاخبرنا عن الاعمال المقبولة النافعة المقربة الى الله تعالى زلفى وعن الاعمال المبعدة عنه وكذا عن العقائد وذلك لا يطمع
فيه فيكفيك من منفعة العقل ان يهديك الى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد اشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن
التصرف ولازم الاتباع فانك لا تسلم الا به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم جهلا وان من القول عيالا ومعلوم ان
العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تاثير الجهل في الاضرار وقال ايضا قليل من التوفيق خير من كثير العلم وقال عيسى عليه السلام ما
اكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما اكثر الثمر وليس كلها بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع

بيان ما بدل من الفاظ العلوم

اعلم ان منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الاسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة الى معان
غير ما اراده السلف الصالح والقرن الاول وهي خمسة الفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه اسامي محمودة و
المتصفون بها ارباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الان الى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف
بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الاسامي عليهم

اللفظ الاول الفقه

فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل و
التحويل اذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات

المتعلقة بها فمن كان اشد تعمقا فيها واكثر اشتغالا بها يقال هو الافقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الاول مطلقا
على علم طريق الاخرة ومعرفة دقائق افات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة
التطلع الى نعيم الاخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله تعالى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا
رجعوا اليهم وما به الانذار والتخويف هو هذا العلم وهذا الفقه دون تفريعات الطلاق واللعان والسلم والاجارة
فذلك لا يحصل به انذار وتخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد من المتجردين له
وقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها واراد به معاني الايمان دون الفتاوى ولعمري الفقه والفهم في اللغة اسمان
لمعنى واحد فانما يتكلم في عادة الاستعمال قديما وحديثا وقال تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم
قوم لا يفقهون فاحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان ذلك نتيجة عدم الحفظ
لتفريعات الفتاوى او نتيجة ما ذكرناه من العلوم وقال عليه السلم علماء حكماء فقهاء للدين وفدوا عليه وسئل سعد بن
ابرهيم اي اهل المدينة افقه فقال اتقاهم فكانه اشار الى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوي والاقضية
وقال صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بالفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله ولا يؤيسهم من
روح الله ولم يدع القران رغبة عنه الى ما سواه ولما روى انس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم لان اقعد مع قوم يذكرون
الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب قال فالتفت الى يزيد الرقاشي وزياد النميري
وقال لم يكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص احدكم ويخطب على اصحابه ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد فنذكر
الايمان ونتدبر القران ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا فسمى تدبر القران وعد النعم تفقها وقال عليه الصلوة و
السلم لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقران وجوها كثيرة وروي ايضا موقوفا على
ابي الدرداء مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا وسال فرقد السبخي الحسن عن شي فاجابه فقال ان الفقهاء
يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك فريقد وهل رايت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الاخرة
البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع
ذلك الحافظ لفروع الفتاوي ولست اقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى في الاحكام الظاهرة ولكن كان بطريق
العموم والشمول او بطريق الاستتباع وكان اطلاقهم له على علم الاخرة اكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس
على التجرد له والاعراض عن علم الاخرة واحكام القلب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به
عسير والتوصل به الى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب
بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع به **اللفظ الثاني العلم** وقد كان يطلق ذلك على
العلم بالله وباياته وافعاله في عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر قال ابن مسعود رضي الله عنه مات تسعة اعشار
العلم فعرفه بالالف واللام ثم فسره بالعلم بالله وقد تصرفوا فيه ايضا بالتخصيص حتى شهروه في الاكثر بمن يشتغل بالمناظرة
مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل
به يعد من جملة الضعفة ولا يعدونه في زمرة اهل العلم وهذا ايضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد في فضائل العلم
والعلماء اكثره في العلماء بالله وباحكامه وافعاله وصفاته وصار الان يطلق على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء
سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والاخبار وعلم المذهب وغيره و
صار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من الطلبة **اللفظ الثالث التوحيد** وقد جعل الان عبارة عن صناعة الكلام
ومعرفة طريقة المجادلة والاحاطة بمناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الاسولة واثارة الشبهات
وتاليف الالزامات حتى لقب طوائف منهم انفسهم باهل العدل والتوحيد وسمي المتكلمون العلماء بالتوحيد مع ان جميع

ما هو خاصية هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الاول بل كان يشتد النكير منهم على من يفتح بابا من
الجدل والمماراة واما ما يشتمل عليه القران من الادلة الظاهرة التي تسبق الاذهان الى قبولها في اول السماع فلقد
كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقران هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن امر اخر لا يفهمه اكثر المتكلمين
وان فهموه لم يتصفوا به وهو ان يرى الامور كلها من الله رؤية تقطع التفاته عن الاسباب والوسايط فلا يرى الخير و
الشر الا منه وهذا مقام شريف احدى ثمراته التوكل كما سياتي في كتاب التوكل ومن ثمراته ترك شكاية الخلق وترك
الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله وكان احدى ثمراته قول ابي بكر رضي الله عنه لما قيل له في مرضه نطلب لك طبيبا
فقال الطبيب امرضني وقول اخر لما مرض وقيل له ما قال لك الطبيب في مرضك فقال قال لي اني فعال لما اريد وسياتي
شواهده في كتاب التوكل وكان التوحيد جوهرا نفيسا وله قشران احدهما ابعد عن اللب من الاخر فخص الناس الاسم
بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر واهملوا اللب بالكلية فالقشر الاول ان تقول بلسانك لا اله الا الله وهذا يسمى
توحيدا مناقضا للتثليث الذي يصرح به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره والقشر
الثاني ان لا يكون في القلب انكار ومخالفة لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده والتصديق
به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة والثالث وهو اللباب ان يرى
الامور كلها من الله رؤية تقطع التفاته عن الوسايط وان يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا
التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه
وسلم ابغض اله عبد في الارض عند الله هو الهوى وعلى التحقيق من تامل عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم انما يعبد
هواه اذ نفسه مائلة الى دين ابائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المالوفات احد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج
من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله كيف يتسخط على غيره فلقد كان التوحيد
عبارة عن هذا المقام وهو من مقامات الصديقين فانظر الى ماذا حول وباي قشر قنع وكيف اتخذوا هذا معتصما
في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كافلاس من يصبح
بكرة ويتوجه الى القبلة ويقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وهو اول كذب يفاتح الله به كل
يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها الى الله على الخصوص فانه ان اراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه الا الى الكعبة
وما صرفه الا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والارض حتى يكون المتوجه اليها متوجها
اليه تعالى عن ان يحده الجهات والاقطار وان اراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق قوله
وقلبه متردد في اوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع الاموال والجاه واستكثار
الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والارض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة
التوحيد فالموحد هو الذي لا يرى الا الواحد ولا يتوجه وجهه الا اليه وهو امتثال قوله تعالى قل الله ثم ذرهم و
ليس المراد به القول باللسان انما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب اخرى وانما موقع نظر الله تعالى هو المترجم عنه
وهو القلب فهو معدن التوحيد ومنبعه **اللفظ الرابع الذكر والتذكير** وقد قال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع
المؤمنين وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر اخبار كثيرة كقوله عليه الصلوة والسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا
فيها قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث ان لله ملائكة سياحين في الهواء اذا راوا مجالس الذكر ينادي
بعضهم بعضا الا هلموا الى بغيتكم فياتونهم ويحفون بهم ويستمعون الا فاذكروا الله وذكروا بانفسكم فنقل ذلك الى ما ترى
اكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والاشعار والشطح والطامات **اما القصص** فهي
البدعة وقد ورد نهي السلف عن الجلوس الى القصاص وقالوا لم يكن ذلك في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمان

ابي بكر وعمر حتى ظهرت الفتنة وظهرت القصاص وروي ان ابن عمر خرج من المسجد وقال ما اخرجني الا القاص ولولاه
لما خرجت وقال ضمرة قلت للثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على
ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الامير القصاص ان يقصوا ودخل الاعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص
ويقول حدثنا الاعمش فتوسط الحلقة واخذ ينتف شعر ابطه فقال القاص يا شيخ لا تستحيي فقال لم انا في سنة وانت في كذب
انا الاعمش وما حدثتك وقال احمد اكثر الناس كذبا القصاص والسؤال واخرج علي رضوان الله القصاص من مسجد البصرة و
لما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه اذ كان يتكلم في علم الآخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الاعمال و
خواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد في شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها
وقلة عهدها وخطر الآخرة واهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذي روي الحث عليه في حديث ابي ذر حيث قال حضور
مجلس ذكر افضل من صلوة الف ركعة وحضور مجلس علم افضل من عيادة الف مريض وحضور مجلس علم افضل من شهود الف جنازة
قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن الا بالعلم وقال عطاء مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا
من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الاحاديث حجة على تزكية انفسهم ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق
الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص التي تتطرق اليها الاختلاف والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وت
زيد عليه فان من القصص ما ينفع سماعه ومنه ما يضر وان كان صادقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق
بالكذب والنافع بالضار فعن هذا نهي عنه ولذلك قال احمد بن حنبل ما احوج الناس الى قاص صادق فان كانت القصة من
قصص الانبياء فيما يتعلق بامور دينهم وكان صحيح الرواية فلست ارى به باسا فليحذر الكذب وحكاية احوال تومي الى هفوات
او مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها او عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات ومتداركة بحسنات تغطي عليها
فان العامي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بانه حكي كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض
الاكابر وكلنا بصدد المعاصي فلا غرو ان عصيت الله فقد عصاه من هو اكبر مني ويفيده ذلك جراءة على الله من حيث لا
يدري فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا باس به وعند ذلك يرجع الى القصص المحمودة والى ما يشتمل عليه القرآن وصح
في الكتب الصحيحة من الاخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويزعم ان قصده فيه دعوة
الخلق الى الحق فهذا من نزغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكر الله سبحانه ورسوله غنية
عن الاختراع كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع قال سعد بن ابي وقاص لابنه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذي
يبغضك الي لا قضيت حاجتك ابدا وقد كان جاءه في حاجة وقد قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من
ثلث كلمات اياك والسجع يا ابن رواحة وكان السجع المذكور المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل في دية
الجنين كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال صلى الله عليه وسلم أسجع كسجع الكهان
واما الاشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون و
قال وما علمناه الشعر وما ينبغي له واكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال
المعشوق وروح الوصال والم الفراق والمجلس لا يحوي الا اجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن
الالتفات الى الصور المليحة فلا تحرك الاشعار من قلوبهم الا ما هو مستكن فيها فيشتعل فيها نيران الشهوة فيزعقون ويتواجدون
واكثر ذلك او كله يرجع الى نوع فساد فلا ينبغي ان يستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل استشهاد واستيناس
فقد قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله ولم
يكن معهم غيرهم فان ذلك لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولي على
قلبه كما سياتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان يتكلم الجنيد على بضعة عشر فان كثروا لم يتكلم وما تم اهل مجلسه

عشرين وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقيل له تكلم فقد حضر اصحابك فقال ما هؤلاء اصحابي انما هم اصحاب المجلس اي
اصحابي هم الخواص **واما الشطح** فنعني به صنفين من الكلام احدثه بعض المتصوفة احدهما الدعاوي الطويلة
العريضة في العشق مع الله والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب و
المشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين الحلاج
الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق وبما يحكون عن ابي يزيد البسطامي
انه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم
واظهروا مثل هذه الدعاوي فان هذا كلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس
بدرك المقامات والاحوال فلا تعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة و
مهما انكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن ان يقولوا ان هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل
عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ونحوه مما قد استطار في بعض البلاد شرره
وعظم ضرره ومن نطق بشيء منه فقتله افضل في دين الله من احياء عشرة واما ابو يزيد البسطامي فلا يصح عنه
ما يحكى عنه وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول انني انا الله لا
اله الا انا فاعبدني فانه ما كان ينبغي ان يفهم منه ذلك الا على سبيل الحكاية الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة
لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك اما ان تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط
في عقله وتشويش في خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر
على تفهيمها وايرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته العلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالالفاظ الرشيقة ولا
فائدة لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الاذهان او يحمل على ان يفهم منها معاني ما اريدت
بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفهمونه
الا كان فتنة عليهم وقال صلى الله عليه وسلم كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله و
هذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه القائل فان كان يفهمه القائل دون السامع فلا يحل ذكره قال عيسى صلوات الله
عليه لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع
الداء وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير اهلها جهل ومن منعها اهلها ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذي حق حقه
واما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وامر آخر يخصها وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى
امور باطنة لا يسبق منها الى الافهام فائدة كدأب الباطنية في التاويلات وهذا ايضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا
صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك
بطلان الثقة بالالفاظ وسقط به منفعة كلام الله وكلام رسوله فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط
له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من البدع الشائعة العظيم ضررها وانما قصد اصحابها
الاغراب فان النفوس مائلة الى الغريب ومستلذة بها وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتاويل
ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكيناه من مذهبهم في كتاب المستظهري المصنف في الرد على الباطنية ومثال تاويل اهل
الطامات قول بعضهم في تاويل قوله اذهب الى فرعون انه طغى انه اشار الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان
وفي قوله ان الق عصاك اي كل ما تتوكأ عليه وتعتمده مما سوى الله فينبغي ان تلقيه وفي قوله عليه الصلوة والسلام تسحروا فان في السحور
بركة اراد به الاستغفار بالاسحار وامثال ذلك حتى يحرفون القرآن من اوله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس و
سائر العلماء وبعض هذه التاويلات يعلم قطعا بطلانها كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا وجوده ودعوته

موتى له كابي جهل وابي لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة ومما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التاويل الى الفاظها وكذلك حمل التسحر على الاستغفار فانه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول تسحروا وهلموا الى الغداء المبارك فهذه امور يدرك بالتواتر والحس بطلانه وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور لا يتعلق بها الاحساس وكل ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك من الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم ولا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه فليتبوأ مقعده من النار معنى الا هذا النمط وهو ان يكون غرضه ورايه تقرير امر وتحقيقه فيستجر شهادة القران اليه ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية او نقلية ولا ينبغي ان يفهم منه انه يجب ان لا يفسر القران بالاستنباط والفكر فان من الايات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ونعلم ان جميعها غير مسموع من النبي صلى الله عليه وسلم فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل ومن يستجيز من اهل الطامات مثل هذه التاويلات مع علمه بانها غير مرادة بالالفاظ ويزعم انه يقصد بها دعوة الخلق الى الحق يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه حق ولكنه لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسالة يراها حقا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار بل الشر في تاويل هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للثقة بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القران بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق من العلوم المحمودة الى المذمومة وكل ذلك تلبيس علماء السوء بتبديل الاسامي فان اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات الى ما عرف في العصر الاول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما في هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل اللفظ **اللفظ الخامس وهو الحكمة** فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على اكف السوادية في شوارع الطرق والحكمة هي التي اثنى الله تعالى عليها فقال ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقال عليه الصلوة والسلام كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه والى ماذا نقل وقس به بقية الالفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم اعظم على الدين من شر الشياطين اذ الشيطان بواسطتهم يتدرج الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابى وقال اللهم غفرا حتى كرروا عليه ثم قال هم علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس واليك الخيرة في ان تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف او تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع محدث وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء فقيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون ما افسده الناس من سنتي والذين يحيون ما اماتوه من سنتي وفي خبر اخر هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفي حديث اخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثوري اذا رايت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق ابغضوه

بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلاثة اقسام قسم مذموم قليله وكثيره وقسم محمود قليله وكثيره وكلما كان اكثر كان احسن وافضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل احوال البدن فان منه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنه ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنه ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد وان كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم فالقسم المذموم قليله وكثيره ما لا فائدة فيه في دين ولا دنيا او فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه اصلا وصرف العمر الذي هو انفس ما يملكه الانسان اليه اضاعة واضاعة النفائس مذمومة ومنه ما فيه ضرر يربي على ما يظن انه يحصل به من قضاء وطر في الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل منه **واما القسم المحمود** الى اقصى غاية الاستقصاء فهو العلم بالله وبصفاته وافعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الاخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به الى سعادة الاخرة وبذل المقدور فيه الى اقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذي لا يدرك غوره وانما يحوم المحومون على سواحله واطرافه بقدر ما تيسر لهم وما خاض اطرافه الا الانبياء والاولياء والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة احوال العلماء اعني علماء الاخرة كما سياتي علاماتهم هذا في اول الامر ويعين عليه في الاخر المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيه بانبياء الله واوليائه ليتضح منه لكل ساع الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها واما العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهي العلوم التي اوردناها في فروض الكفايات فان في كل علم منها اقتصارا هو الاقل واقتصادا هو الوسط واستقصاء وراء الاقتصاد لا مرد له الى اخر العمر فكن احد الرجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الصلوة والطهارة والصوم وانما الاهم الذي اهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها ويذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة من الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب واخواتها وجميع ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التاذي بالجرب والدماميل والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالاعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الاطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الاخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب وانما فزع الاكثرون الى الاعمال الظاهرة عن تطهير القلب لسهولة اعمال الجوارح واستصعاب اعمال القلوب كما يفزع الى الطلاء الظاهر من يستصعب شرب الادوية المرة المفرة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في المواد ويتضاعف به الامراض فان كنت مريدا للاخرة وطالبا للنجاة وهاربا من هلاك الابد فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم يجر ذلك بك الى المقامات المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والارض اذا نقيت من الحشيش انبتت اصناف الزرع والرياحين وان لم تفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفي الخلق من قد قام به فان مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة من دخلت الافاعي والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب اذا هممن به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما ابعد ذلك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابدا بكتاب الله ثم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القران من الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم باصول الفقه وهكذا الى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد

منه طالبا الاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم الات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها
بل لغيرها وكلما يطلب لغيره فلا ينبغي ان ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شايع علم اللغة على ما تفهم
به كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القران وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق
بالكتاب والسنة فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير اليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها
غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القران في المقدار كما صنفه علي الواحدي النيسابوري وهو الوجيز و
الاقتصاد ما يبلغ ثلاثة اضعاف القران كما صنف من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه ولا مرد له
الى انتهاء العمر واما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث واما حفظ اسامي
الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك ان تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله
تحصيلا تقدر على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة واما الاقتصاد فيه فان تضيف اليهما ما خرج منهما مما ورد في المسندات
الصحيحة واما الاستقصاء فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة
في النقل ومعرفة احوال الرجال واساميهم واوصافهم واما الفقه فالاقتصار فيه على ما يحويه مختصر المزني رحمه الله وهو الذي رتبناه
في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة امثاله وهو القدر الذي اوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء
ما اوردناه في البسيط الى ما وراء ذلك من المطولات واما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من
السلف لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الامور من غير طريقه ومقصود حفظ السنة يحصل رتبة الاقتصار
منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي اوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذه الكتب والاقتصاد فيه ما يبلغ
قدر مائة ورقة وهو الذي اوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما
يفسدها وينزعها عن قلب العامي وذلك لا ينفع الا مع العامي قبل اشتداد تعصبه اما المبتدع بعد ان يعلم من الجدل و
لو شيئا يسيرا فقل ما ينفع معه الكلام فانك ان افحمته لم يترك مذهبه واحال بالقصور على نفسه وقدر ان عند غيره جوابا
وهو عاجز عنه وانما انت ملبس بقوة المجادلة عليه واما العامي اذا صرف عن الحق بنوع جدل فيمكن ان يرد اليه بمثله قبل
ان يشتد التعصب للاهواء فاذا اشتد تعصبهم وقع الياس عنهم اذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهذا ايضا
من افات العلماء السوء فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون الى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم
الدواعي بالمكافات والمقابلة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل وتقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ولو جاؤا
من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير لانجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع
ولا يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم والتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن
المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس واما الخلافيات التي احدث في هذه الاعصار
المتاخرة وابدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف فاياك ان تحوم حولها واجتنبها
اجتناب السم القاتل فانها الداء العضال وهو الذي رد الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهات على ما سيأتيك تفصيل
غوائلها وافاتها وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس اعداء ما جهلوا ولا تظنن ذلك فعلى الخبير سقطت فيه
واقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا وزاد فيه على الاولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم الهمه الله رشده واطلعه
على عيبه فهجره واشتغل بنفسه ولا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل
المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الاولون ولا الصحابة وكانوا اعلم بعلل الفتاوى من غيرهم
بل هي مع انها غير مفيدة في علم المذهب فهي ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذي يشهد له حدس المفتي اذا صح ذوقه
في الفقه لم يكن تشبثه على شروط الجدل في اكثر الامر فمن الف طبعه رسوم الجدل اذعن ذهنه بمقتضيات الجدل

ويجبن عن الاذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بانه يطلب علل المذهب
وقد ينقضي عليه العمر ولا يصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن في امان واحترز من شياطين الانس
فانهم اراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضي عند العقلاء ان تقدر نفسك
في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتامل فيما يعنيك فيما بين يديك
ودع عنك ما سواه والسلام وقد راى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل
فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا ما انتفعت الا بركعتين خلصتا لي في جوف
الليل وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرا ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون
وفي الحديث في معنى قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية هم اهل الجدل الذين عنى الله تعالى بقوله واحذرهم ان
يفتنوك وقال بعض السلف يكون في اخر الزمان قوم يغلق عنهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان
الهمتم فيه العمل وسياتي قوم يلهمون الجدل وفي الخبر المشهور ابغض الخلق الى الله الالد الخصم وفي الخبر ما اوتي قوم المنطق الا منعوا
العمل

الباب الرابع في سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل افات المناظرة و الجدل وشرط اباحتها

اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون وكانوا
ائمة وعلماء بالله وفقهاء في احكامه ومستقلين بالفتوى والاقضية وكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادرا في
وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الاخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق
باحكام الخلق من الدنيا واقبلوا على الله بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوها
بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع
احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم وقد كان بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم صفو
الدين ومواظب على سمت علماء السلف وكانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا واضطر الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتولية
القضاء والحكومات فراى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم فاشرأبوا لطلب
العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا
اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الابتذال فاصبح
الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله
في كل عصر من علماء دينه وقد كان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليها في
الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من سمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه الى
سماع الحجج فيها فغلبت رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على علم الكلام واكثروا فيها التصانيف و
رتبوا فيها طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا ان غرضنا الذب عن دين الله والنضال عن
السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم الاستقلال بفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقا على خلق الله
ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح
بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الناشية المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة
في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم واثالوا على
المسائل الخلافية بين الشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفين واحمد وغيرهم
وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد اصول الفتاوى واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات
ورتبوا فيها انواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه الى الان وليس ندري ما الذي قدر الله فيما بعدنا من الاعصار

فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرة لا غير ولو مال نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام
آخر من الائمة او الى علم آخر من العلوم لمالوا ايضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به علم الدين وان لا مطلب
لهم سوى التقرب الى رب العالمين **بيان التلبيس** في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات
السلف اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بان غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق
مطلوب والتعاون على النظر وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر وهكذا كان عادة الصحابة في مشاوراتهم كتشاورهم في مسئلة
الجد والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الامام اذا اخطأ كما نقل من اجهاض امرأة جنينها خوفا من عمر وكما نقل في
مسائل الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعي ومحمد بن الحسن ومالك وابي يوسف وغيرهم من العلماء ويطلعك على هذا التلبيس
ما اذكره وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان الاول ان لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات
من لم يتفرغ عن فروض الاعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض الكفاية وزعم ان مقصوده الحق فهو كذاب ومثاله
من يترك الصلوة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي بها ستر عورة من يصلي عريانا ولا يجد ثوبا فان ذلك
ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة
مهملون لامور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وتحرم بالصلوة التي هي اقرب القربات الى الله
عصى به فلا يكفي في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب الثاني ان لا يرى فرض
كفاية اهم من المناظرة فان رأى ما هو اهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله من يرى جماعة من العطاش اشرفوا على الهلاك وقد اهملهم الناس
وهو قادر على احيائهم بان يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم انه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس واذا
قيل في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول وهذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل
الاشتغال بالواقعة الملمة بالجماعة العطشى من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها
واما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد عن جملة من الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها واقربها الطب اذ لا يوجد في اكثر
البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول على قول الطبيب فيه شرعا ولا يرغب احد من الفقهاء في الاشتغال به وكذا الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر فهي من فروض الكفايات وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت
ويناظر في مسئلة لا يتفق وقوعها وان وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم انه يريد ان يتقرب الى الله بفرض الكفاية وقد
روى انس انه قيل يا رسول الله متى يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال اذا ظهر الادهان في خياركم والفاحشة في شراركم
وتحول الملك في صغاركم والفقه في ارذالكم الثالث ان يكون المناظر مجتهدا يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وابي حنيفة وغيرهما
حتى اذا ظهر له الحق في مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق الشافعي وافتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة والائمة فاما من ليس له
رتبة الاجتهاد وهو حكم اهل العصر وانما يفتي فيما يسأل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له ان
يتركه فاي فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه ان يقول لعل عند صاحب مذهبي
جوابا عن هذا فاني لست مستقلا بالاجتهاد في اصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان او قولان لصاحبه
لكان اشبه فانه ربما يفتي باحدهما فيستفيد من البحث ميلا الى احد الجانبين ولا ترى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك
المسئلة التي فيها وجهان او قولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتا **الرابع** ان لا يناظر الا في مسئلة واقعة او قريبة
الوقوع غالبا فان الصحابة ما تشاوروا الا فيما تجدد من الوقائع او ما يغلب وقوعه كالفرائض ولا ترى المناظرين يهتمون بانتقاد
المسائل التي تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي يتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الامر وربما يتركون ما يكثر
وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية او هي من الزوايا وليست من الطبول فمن العجائب ان يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسئلة
لانها خبرية ومدرك الحق هو الاخبار او لانها ليست من الطبول فلا يطول فيها الكلام والمقصود في الحق ان يقصر الكلام ويبلغ

الغاية على القرب لا ان يطول **الخامس** ان تكون المناظرة في الخلوة احب اليه واهم من المحافل وبين اظهر الاكابر و
السلاطين فان الخلوة اجمع للهم واحرى لصفاء الفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب
الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا او مبطلا وانت تعلم ان حرصهم على المحافل والمجامع اكثر فان الواحد يخلو بصاحبه
مدة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب فاذا ظهر مقدم او انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو
المتخصص بالكلام **السادس** ان يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة على يده او على يد من يعاونه
ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره اذا عرفه الخطأ واظهر له الحق كما لو اخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه
على ضالته في طريق آخر فانه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة حتى ان امرأة
ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملأ من الناس فقال اصابت امرأة واخطأ رجل وسأل رجل
عليا رضي الله عنه فاجابه فقال ليس كذلك يا امير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال اصبت واخطأت وفوق كل ذي علم عليم
واستدرك ابن مسعود على ابي موسى الاشعري فقال ابو موسى لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لما سئل ابو موسى
عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان امير الكوفة فقال ابن مسعود اعد على الامير فلعله لم يفهم فاعاده
واعاد الجواب فقال ابن مسعود وانا اقول ان قتل فاصاب الحق فهو في الجنة فقال ابو موسى الحق ما قال فهكذا يكون انصاف
طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لاقل فقيه لانكره واستبعده وقال لا يحتاج الى ان يقال اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل
واحد فانظر الى مناظري زمانك كيف يسود وجه احدهم اذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في
مجاحدته باقصى قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحيي من تشبيه نفسه بالصحابة في تعاونهم **السابع** ان لا
يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه
جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمني ذكره وهذا يناقض كلامك الاول فلا يقبل منك فان الرجوع الى
الحق ابدا يكون مناقضا الباطل ويجب قبوله وانت ترى ان جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل
على اصل بعلة يظنها فيقال له وما الدليل على ان الحكم في الاصل معلل بهذه العلة فيقول ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح
واولى منه فاذكره حتى انظر فيه فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا اذكرها ولا يلزمني
ذكرها ويقول المستدل عليك ابراز ما تدعيه وراء هذا ويصر المعترض على انه لا يلزمه ويتوخى مجالس المناظرة
بهذا الجنس من السؤال وامثاله ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اني اعرفه ولا اذكره اذ لا يلزمني كذب على
الشرع فانه ان كان لا يعرف معنى وانما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله سبحانه وتعالى وتعرض
لسخطه بدعواه معرفة هو خال منها وان كان صادقا فقد فسق باخفاء ما عرفه من امر الشرع وقد سأله اخوه المسلم ليفهمه
وينظر فيه فان كان قويا رجع اليه وان كان ضعيفا اظهر له ضعفه واخرجه عن ظلمة الجهل الى نور العلم ولا خلاف ان اظهار ما
علم من علم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني اي في شرع الجدل الذي ابدعناه بحكم التشهي والرغبة
في طرق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني والا فهو لازم في الشرع فانه بامتناعه عن الذكر اما كاذب واما
فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف هل سمعت فيها ما يضاهي هذا الجنس وهل منع احد
من الانتقال من دليل الى دليل ومن قياس الى اثر ومن خبر الى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس اذ كانوا يذكرون
كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه **الثامن** ان يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مستقل بالعلم
والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق على لسانهم ويرغبون فيمن دونهم طمعا في ترويج
الباطل عليهم ووراء هذا شروط دقيقة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك الى من يناظر لله ومن يناظر
لعلة واعلم بالجملة ان من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدو له ولا يزال يدعوه الى الهلاك ثم

يشتغل بمناظرة غيره في مسائل المجتهدات فيها مصيب او مساهم للمصيب في الاجر فهو ضحكة للشياطين وعبرة للمحصلين
ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي نعددها ونذكر تفصيلها **بيان آفات المناظرة**
وما يتولد منها **من مهلكات الاخلاق** اعلم ان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل والشرف
عند الناس وقصد المباهات والمماراة والمباراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله
المحمودة عند عدو الله ابليس ونسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس و
حب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقتل والقذف والسرقة وكما ان الذي خير بين الشرب و
سائر الفواحش استصغر الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه
حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهات يدعوه ذلك الى اضمار الخبائث كلها في النفس ويهيج منه جميع
الاخلاق المذمومة وهذه الاخلاق سياتي ادلة مذمتها في الاخبار والايات في ربع المهلكات ولكنا نشير الان الى مجامع ما
يهيجه المناظرة فمنها **الحسد** وقد قال صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب ولا ينفك
المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يُغلب وتارة يحمد كلامه واخرى يحمد كلام غيره فما دام يبقى في الدنيا واحد
يُذكر بقوة في العلم والنظر او يظن بانه احسن منه كلاما واقوى نظرا فلا بد ان يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف
الوجوه والقلوب عنه اليه والحسد نار محرقة فمن بلي به فهو في العذاب الدائم في الدنيا ولعذاب الاخرة اشد واعظم ولذلك
قال ابن عباس خذوا العلم حيث وجدتم ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم في بعض فانهم يتغايرون كما يتغاير التيوس في الزريبة
ومنها **التكبر والترفع على الناس** وقد قال صلى الله عليه وسلم من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله وقال
حكاية عن الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته ولا ينفك المناظر عن التكبر على الاقران و
الامثال والترفع الى فوق قدره حتى انهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيها في الارتفاع والانخفاض و
القرب من وسادة الصدر والبعد منه والتقدم في الدخول عند تضايق الطرق وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم
بانه يبغي صيانة عز العلم وان المؤمن منهي عن اذلال نفسه فيعبر عن التواضع الذي اثنى الله عليه وسائر انبيائه بالذل والتكبر الممقوت
عند الله بعز الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما ومنها **الحقد** فلا يكاد المناظر
يخلو عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود وورد في ذم الحقد ما لا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على ان لا يضمر
حقدا على من يحرك راسه على كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك الى
اضمار الحقد وتربيته في النفس وغايته تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه الى الظاهر لا محالة في غالب الامر وكيف
ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع احواله في ايراده واصداره ثم لو صدر
من خصمه ادنى تشبيب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا يقلعه يد الدهر الى اخر العمر ومنها **الغيبة**
وقد شبهها الله تعالى باكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا على اكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه
ان يصدق عليه ولا يكذب في الحكاية فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة فاما
الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على ان يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغي الى خصمه ويقبل عليه
حتى ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة ومنها **تزكية النفس** قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم
وقيل للحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر عن الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم
بالفضل على الاقران ولا ينفك في اثناء المناظرة عن قوله لست ممن يخفى عليه امثال هذه الامور وانا المتفنن في العلوم و
المستقل بالاصول وحفظ الاحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة الى ترويج كلامه ومعلوم
ان الصلف والتمدح مذموم شرعا وعقلا ومنها **التجسس وتتبع عورات الناس** وقد قال الله تعالى ولا تجسسوا

والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات اقرانه وتتبع عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود مناظر الى بلده فيطلب
من يخبر بواطن احواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعده ذخيرة لنفسه في افضاحه وتخجيله اذا مست اليه
حاجته حتى انه ليستكشف عن احوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة او على عيب به من قرع او غيره ثم
اذا احس بادنى غلبة من جهته عرض به ان كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويعد من لطائف التسبيب ولا يمتنع
عن الافصاح ان كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما حكي عن قوم من اكابر المناظرين والمعدودين من فحولهم
ومنها **الفرح بمساءة الناس والغم بمسارهم** ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من اخلاق المؤمنين و
كل من طلب المباهاة باظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء اقرانه واشكاله الذين يسامونه في الفضل ويكون التباغض
بينهم كما بين الضرات وكما ان احدى الضرات اذا رات صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها فهكذا
ترى المناظر اذا راى مناظرا تغير لونه ويضطرب عليه فكره فكانه شاهد شيطانا ماردا او سبعا ضاريا فاين الاستئناس
والاسترواح الذي يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتساهم في السراء و
الضراء حتى قال الشافعي العلم بين اهل الفضل والعقل رحم متصل فلا ادري كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم
بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور ان ينتتب الانس مع طلب الغلبة والمباهات هيهات هيهات فناهيك بالشيء
شرا ان يلزمك اخلاق المنافقين ويبرئك عن اخلاق المؤمنين والمتقين ومنها **النفاق** ولا يحتاج الى ذكر
الشواهد في ذمه وهم يضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم واشياعهم ولا يجدون بدا من التودد باللسان و
اظهار الشوق والاعتداد بمكانهم واحوالهم ويعلم المخاطب والمخاطب وكل من يستمع ذلك منهم ان ذلك كذب وزور
ونفاق وفجور وانهم متوادون بالالسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله منه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله عند ذلك فاصمهم واعمى
ابصارهم رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة ومنها **الاستكبار** عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى ان ابغض
الشيء الى المناظر ان يظهر الحق على لسان خصمه ومهما ظهر تشمر لجحده وانكاره باقصى جهده وبذل غاية امكانه في المخادعة
والمكر والحيلة لدفعه ثم يصير المماراة عادة فيه طبيعية فلا يسمع كلاما الا وينبعث من طبعه داعية للاعتراض عليه
حتى يغلب ذلك على قلبه في ادلة القران والفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور
اذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ترك المراء بالحق على الباطل فقال من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض
الجنة ومن ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذب
بالحق لما جاءه وقال فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ومنها **الرياء وملاحظة الخلق** والجهد في
استمالة قلوبهم وصرف وجوههم والرياء هو الداء العضال الذي يدعو الى اكبر الكبائر كما سياتي في
كتاب الرياء والمناظر لا يقصد الا الظهور عند الخلق وانطلاق السنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خصال من امهات الفواحش
سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدي الى الضرب واللطم وتمزيق الثياب والاخذ باللحى وسب الوالدين وشتم
الاستاذين والقذف الصريح فان اولئك ليسوا معدودين في زمرة المعتبرين وانما الاكابر والعقلاء منهم لا ينفكون عن هذه
الخصال العشر نعم قد يسلم بعضهم عن بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه او ظاهر الارتفاع عليه او هو بعيد عن بلده و
اسباب معيشته ولا ينفك احد منهم عنه مع اشكاله المقاربين له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر
عشر اخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل احادها مثل الانفة والغضب والبغضاء وحب طلب المال والجاه للتمكن
من الغلبة والمباهاة والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والسلاطين والتردد اليهم والاخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب
والثياب المحظورة واستحقار الناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب

واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلاته ما الذي يقرأ ومن الذي يناجيه فلا يحس بالخشوع من قلبه واستغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظرة مع أنها لا تنفع في الآخرة حتى تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر إلى غير ذلك من أمور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك أعظمهم دينا وأكثرهم عقلا من جمل من مواد هذه الأخلاق وإنما غايته إخفاؤها ومجاهدة النفس بها واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضا إذا كان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعز وهي لازمة أيضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الأبد أو يحييه حياة الأبد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه فلقد ضره مع أنه لم ينفعه وليته نجا منه رأسا برأس وهيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك أو الهلك وهو كطالب الملك في الدنيا فإن لم يتفق له الإصابة لم يطمع في السلامة من الأذلال بل لا بد من لزوم أفضح الأحوال فإن قلت في الرخصة في المناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم إذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد إذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان في المكتب وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل على أن طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال فيهم صلى الله عليه وسلم إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم وقال إن الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا وذلك فيمن كان حاله في ظاهر الأمر حال العلماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة إما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها وإما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون إلى الله الراغبون عن الدنيا ظاهرا وباطنا وإما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه فانظر من أي الأقسام أنت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له ولا تظنن أن الله يقبل غير الخالص لوجهه من العلم والعمل وسيأتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات ما ينفي عنك الريبة فيه إن شاء الله

الباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم

أما المتعلم فآدابه ووظائفه كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل

الوظيفة الأولى تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وهو كذلك باطنا وظاهرا قال تعالى إنما المشركون نجس تنبيها للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر أي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فإنها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤون عن المذمومات فلا يلحظون إلا طيبا ولا يعمرون بما

عندهم من خزائن رحمة الله إلا طاهرا ولست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ولكني أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فإن هذا طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والأبرار إذ معنى الاعتبار أن يعبر مما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون له فيها عبرة بأن يعبر منها إلى التنبه لكونه أيضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر أنت أيضا من البيت الذي هو بناء الخلق إلى القلب الذي هو بيت من بناء الله سبحانه ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة إلى روح الكلبية وهي السبعية واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشره إلى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لأعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة ونور البصيرة يلاحظ المعاني دون الصور والصور في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية فيحشر الممزق لأعراض الناس كلبا ضاريا والشره إلى أموالهم ذئبا عاديا والمتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة أسد وقد وردت بذلك الأخبار وشهد به الاعتبار عند ذوي البصائر والأبصار فإن قلت كم من طالب رديء الأخلاق حصل العلوم فهيهات ما أبعده عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة فإن من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصي سموم مهلكة وهل رأيت من يتناول سما مع علمه بكونه سما قاتلا إنما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بألسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم أخرى وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذف في القلب وقال بعضهم إنما العلم الخشية إذ قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وكأنه أشار إلى أخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله أن العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وإنما حصل لنا حديثه وألفاظه فإن قلت إني أرى جماعة من الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والأصول وعدوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وإنما غناؤه من حيث كونه عملا لله إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى وقد سبق إلى هذا إشارة وسيأتيك فيه مزيد بيان وإيضاح

الوظيفة الثانية أن يقلل علائقه من أشغال الدنيا ويبعد عن الأهل والوطن فإن العلائق شاغلة وصارفة وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فإذا أعطيته كلك فأنت من إعطائه إياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع

الوظيفة الثالثة أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصحه إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليه الصلاة والسلام ليس من أخلاق المؤمن التملق إلا في طلب العلم فلا ينبغي للطالب أن يتكبر عن العلم ومن تكبره على العلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فإن العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الهرب مشهور أو خامل وضراوة سباع النار بالجهال بالله أشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها إليه كائنا من كان ولذلك قيل العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي فلا ينال العلم إلا بالتواضع

والقى السمع قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ومعنى كونه ذا قلب ان
يكون قابلا للعلم فهما ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما
القي اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كارض دمثة نالت
مطرا غزيرا فتشربت بجميع اجزائها واذعنت بالكلية لقبوله ومهما اشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده و
ليدع رأيه فان خطاء مرشده انفع له من صوابه في نفسه اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع انه يعظم نفعها
فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض اوقاته بالحرارة ليزيد في قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج فيتعجب منه من
لا خبرة له وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلم حيث قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وكيف
تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك
منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل في مراودته الى ان كان ذلك سبب الفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رايا و
اختيارا وراء اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران فان قلت فقد قال الله سبحانه وتعالى فاسألوا اهل
الذكر فالسؤال مامور به فاعلم انه كذلك ولكن فيما ياذن المعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم يبلغ رتبتك الى فهمه مذموم
ولذلك منع خضر موسى عن السؤال اي دع السؤال قبل اوانه فالمعلم اعلم بما انت اهله وباوان الكشف وما لم يدخل
اوان الكشف في كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل اوان السؤال وقد قال علي رضي الله عنه ان من حق العالم ان لا
تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تاخذ بثوبه اذا نهض ولا تفشي له سرا ولا تغتاب
عنده احدا ولا تطلب عثرته وان زل قبلت معذرته وعليك ان توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ امر الله ولا تجلس
امامه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته **الوظيفة الرابعة** ان يحترز الخائض في العلم في مبدأ الامر
عن الاصغاء الى اختلافات الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او علوم الاخرة فان ذلك يدهش عقله و
يحير ذهنه ويفتر رايه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولا الطريقة الواحدة المرضية عند استاذه
ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه مستقلا باختيار راي واحد وانما عادته نقل المذاهب
وما قيل فيها فليحترز منه فان اضلاله اكثر من ارشاده ولا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله فهو بعد
في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار وندب القوي
الى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ولهذا يمنع العاجز عن التهجم على صف الكفار و
يندب الشجاع له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء ان الاقتداء بالاقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات
جائز ولم يدر ان وظائف الاقوياء تخالف وظائف الضعفاء ولذلك قال بعضهم من راني في البداية صار صديقا
ومن راني في النهاية صار زنديقا اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرائض فيتراءى للناظر
الناظر انها بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذي هو
افضل الاعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوي فيما يرى من ظاهره انه هفوة يضاهي اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة
في كوز ماء بان اضعاف هذه النجاسة قد تلقى في البحر والبحر اعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز اجوز ولا يدري
المسكين ان البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلائه الى صفته والقليل تغلبه النجاسة فتحيله الى صفتها و
هذا جوز للنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يجوز لغيره حتى ابيح له تسع نسوة اذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل
الى نسائه وان كثرن واما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار اليه حتى ينجر الى معصية الله في طلب
رضاهن فما افلح من قاس الملائكة بالحدادين **الوظيفة الخامسة** ان لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا
نوعا من انواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم فاستوفاه

وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط بالبعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك
العلم بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا وقال تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم قال
الشاعر ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فالعلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله او معينة على
السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفظة الرباطات و
الثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته اجر في الاخرة اذا قصد به وجه الله **الوظيفة السادسة** ان العمر
اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان ياخذ من كل شيء احسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف جمام قوته في الميسور
من علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم الاخرة اعني قسمي المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة
وغاية المكاشفة معرفة الله ولست اعني به الاعتقاد الذي يتلقنه العامي وراثة او تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة
في تحصين ذلك عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله في قلب
عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهي الى رتبة ايمان ابي بكر الصديق رضي الله عنه الذي لو وزن بايمان العالمين
لرجح كما شهد له به سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فما عندي ان ما يعتقده العامي ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العامي
الا في الكلام ولاجله سميت صناعته كلاما كان يعجز عنه عمر وعلي وسائر الصحابة حتى كان يفضلهم ابو بكر بالسر الذي
وقر في صدره والعجب ممن يسمع هذه الاقوال من صاحب الشرع صلوات الله عليه ثم يزدري ما يسمعه على وفقه
ويزعم انه من ترهات الصوفية وان ذلك غير معقول فينبغي ان تتئد في هذا فعنده ضيعت راس المال فكن حريصا
على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك اليه الا حرصك في الطلب وعلى الجملة فاشرف
العلوم معرفة الله وهو بحر لا يدرك منتهى غوره واقصى غاية درجات البشر فيه رتبة الانبياء ثم الذين يلونهم وقد روي
صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين في مسجد وفي يد احدهما رقعة فيها ان احسنت كل شيء فلا تظنن انك احسنت
شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الاخر كنت قبل ان عرفت الله سبحانه اشرب
والظما حتى اذا عرفته رويت بلا شرب **الوظيفة السابعة** ان تعرف السبب الذي به يدرك شرف العلوم وان ذلك
يراد به شيئان احدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة احدهما الحياة الابدية
وثمرة الاخر الحياة الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان الحساب اشرف لوثاقة ادلته وقوتها
وان نسب الحساب الى الطب كان الطب اشرف باعتبار ثمرته والحساب اشرف باعتبار ادلته وملاحظة الثمرة اولى
ولذلك كان الطب اشرف وان كان اكثره بالتخمين وبهذا يتبين ان اشرف العلوم العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله و
العلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فاياك وان ترغب الا فيه وتحرص الا عليه **الوظيفة الثامنة** ان يكون قصد المتعلم
في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه والترقي الى جوار الملأ الاعلى من الملائكة و
المقربين ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الاقران واذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الاقرب
الى مقصوده وهو علم الاخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم اعني علم الفتاوى وعلم النحو واللغة
المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما اوردناه في المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية
ولا تفهمن من غلونا في الثناء على علم الاخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور و
المرابطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله فمنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي
يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك واحد منهم عن اجر اذا كان قصده اعلاء كلمة الله دون حيازة الغنائم فكذلك
العلماء قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال هم درجات عند الله والفضيلة نسبية
واستحقارنا الصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين ولا تظنن ان ما نزل عن الرتبة القصوى

فسا فطر القدر والرتبة العليا للانبياء ثم للاولياء ثم للعلماء الراسخين ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجملة
من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن قصد الله بالعلم اي علم كان نفعه ورفعه **الوظيفة التاسعة** ان يعلم نسبة
العلوم الى المقصد كيما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شانك
في الدنيا والاخرة واذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الاخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري
مجرى العيان فالاهم ما يبقى ابد الاباد وعند ذلك يصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد
الا لقاء الله ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف في هذا العالم الا الاقلون والعلوم بالاضافة الى لقاء الله والنظر الى
وجهه الكريم اعني النظر الذي طلبه الانبياء وفهموه دون ما يسبق الى فهم العوام والمتكلمين على ثلث مراتب تفهمها
بالموازنة بمثال وهو ان العبد الذي علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له ان حججت وتممت وصلت الى العتق
والملك جميعا وان ابتدات بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من
شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلثة اصناف من الشغل الاول تهيئة الاسباب بشري الناقة وخرز
الراوية والراحلة والاخر السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل والثالثة الاشتغال باعمال الحج
ركنا بعد ركن ثم بعد النزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة وله في كل مقام
منازل من اول اعداد الاسباب الى اخره ومن اول سلوك البوادي الى اخره ومن اول اركان الحج الى اخره وليس قرب من
ابتدا باركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدا بالسلوك بل اقرب منه فالعلوم
ايضا ثلثة اقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشري الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح
البدن في الدنيا وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع
تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها الاولون والاخرون الا الموفقون فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل
علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها لا يغني علم تهذيب الاخلاق دون
مباشرة التهذيب لكن المباشرة دون العلم غير ممكنة وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج واركانه وهو العلم بالله وصفاته
وملائكته وافعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وههنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك
للطريق اذا كان غرضه المقصد وهو السلامة واما الفوز بالسعادة فلا ينالها الا العارفون فهم المقربون المنعمون
في جوار الله بالروح والريحان وجنة النعيم واما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال تعالى فاما
ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وكل
من لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض له او انتهض الى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من اصحاب
الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم واعلم ان هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين اعني
انهم ادركوه بمشاهدة من الباطن اقوى واجلى من مشاهدة الابصار وترقوا فيه من حد التقليد بمجرد السماع و
حالهم حال من اخبر فصدق ثم شاهد فحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ بالمشاهدة
والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة والمكاشفة وراء علم المعاملة التي هي سلوك طريق الاخرة وقطع عقبات
الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك وذلك
وراء سلامة البدن ومساعدة اسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتيسر به
الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على منهج العدل والسياسة في ناحية
الفقيه واما اسباب الصحة ففي ناحية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان واشار الى الفقه
اراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة فان قلت لم شبهت علم الفقه والطب باعداد الزاد

والراحلة فاعلم ان الساعي الى الله لينال قربه هو القلب دون البدن ولست اعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر
من اسرار الله لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح واخرى بالنفس المطمئنة والشرع
يعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف
الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا رخصة في ذكره وغاية المأذون فيه ان يقال
هو جوهر نفيس ودر عزيز اشرف من هذه الاجرام المرئية وانما هو امر الهي كما قال تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح
من امر ربي وكل المخلوقات منسوبة الى الله ولكن نسبة القلب اشرف من نسبة سائر اعضاء البدن فلله الخلق و
الامر جميعا والامر اعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لامانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات و
الارضين اذ ابين ان يحملنها واشفقن منها من عالم الامر ولا تفهم من هذا تعريضا بقدمه فالقائل بقدم الارواح
مغرور جاهل لا يدري ما يقول ولنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود ان هذه
اللطيفة هي الساعية الى قرب الرب لانه من امر الرب فمنه مصدره واليه مرجعه واما **البدن** فمطيتها التي تركبها و
تسعى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله كالناقة في طريق الحج وكالراوية الحاوية للماء الذي يفتقر اليه البدن فكل
علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح البدن المطية ولا يخفى ان الطب كذلك فانه يحتاج اليه في حفظ
الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه يفارقه في انه لو كان الانسان وحده ربما كان
يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه ان يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعي في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع
والطبخ وفي تحصيل الملبس والمسكن وفي تحصيل آلات ذلك كله فاضطر الى المخالطة والاستعانة ومهما اختلط الناس
وثارت شهواتهم تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج
كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل وبالطب يحفظ الاعتدال في الاخلاط المتنازعة
من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طريق اعتدال الاخلاط طب وعلم طريق
اعتدال احوال الناس في المعاملات والاعمال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه او الطب
اذا لم يجاهد نفسه ولم يصلح قلبه كالمتجرد لشري الناقة وعلفها وشري الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق
عمره في دقائق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الاسباب التي بها تستحكم الخيوط التي بها
تخرز راوية الحج ونسبة هؤلاء من السالك لطريق اصلاح القلب الموصل الى علم المكاشفة كنسبة اولئك الى سالكي
طريق الحج وملابسي اركانها فانظر هذا اولا واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه غاليا ولم يصل اليه الا بعد جهد شديد
وجراءة تامة على مباينة الخلق في الخاصة والعامة في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف في بيان وظائف
المتعلم **بيان وظائف المرشد المعلم** اعلم ان للانسان في علمه اربعة احوال كحاله في اقتناء الاموال اذ لصاحب
المال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون غنيا به عن السؤال وحال انفاق على نفسه فيكون به
منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو اشرف احواله فكذلك العلم يقتنى كالمال فله حال الطلب والاكتساب
وحال التحصيل يغني عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو اشرف الاحوال
فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماء فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة وكالمسك الذي يطيب و
هو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التي
تكسو غيرها وهي عارية وذبالة المصباح تضيء غيرها وهي تحترق **شعر** ما هو الا ذبالة وقدت
تضيء للناس وهي تحترق ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه
الوظيفة الاولى الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده فان قصد

انقاذهم من نار الاخرة وهو اهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين
فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ولولا المعلم لساق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما
المعلم هو المفيد للحياة الاخروية الدائمة اعني معلم علوم الاخرة او علوم الدنيا على قصد الاخرة لا على قصد الدنيا فاما
التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه وكما ان حق ابناء الرجل الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على
المقاصد فحق تلامذة الرجل الواحد التحاب ولا يكون الا كذلك ان كان مقصودهم الاخرة ولا يكون الا التحاسد و
التباغض ان كان مقصودهم الدنيا فان العلماء وابناء الاخرة مسافرون الى الله وسالكون اليه الطريق من الدنيا و
سنوها وشهورها منازل الطريق والترافق في الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التحاب والتوادد فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق
في طريقه ولا ضيق في سعادات الاخرة فلذلك لا يكون بين ابناء الاخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فلذلك
لا ينفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله انما المؤمنون اخوة وداخلون
في مقتضى قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين **الوظيفة الثانية** ان يقتدي بصاحب الشرع
صلوات الله عليه فلا يطلب على افاضة العلم اجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكورا بل يعلم لوجه الله وطلبا للتقرب اليه ولا
يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله بزراعة
العلوم فيها كالذي يعير الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض فكيف تقلده منة وثوابك
في التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله تعالى
قال لا اسألكم عليه اجرا فان المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف
النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح اسفل مداسه بمحاسنه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم
مخدوما وذلك هو الانتكاس على ام الراس ومثله هو الذي يقوم في العرض الاكبر مع المجرمين
ناكسي رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى امر الدين الى قوم يزعمون ان مقصودهم التقرب
الى الله بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون اصناف
الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم ان يقوم له
في كل نائبة وينصر وليه ويعادي عدوه وينتهض حمارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في اوطاره فان قصر
فيه ثار عليه وصار من اعدى اعدائه فاخس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من ان
يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى صنوف الاغترارات
الوظيفة الثالثة ان لا يدخر من نصح المتعلم شيئا وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها و
التشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على ان الغرض بطلب العلوم القرب الى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة
والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر باكثر مما يفسده فان علم من باطنه
انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوي
في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله
فابى العلم ان يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به من علم الاخرة و
معرفة اخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا بأس ان يتركه فانه يثمر له
طمعا في الوعظ ولكن ينتبه في اثناء الامر او اخره اذ فيه العلوم المخوفة من الله المحقرة للدنيا المعظمة للاخرة وذلك
يوشك ان يؤدي الى الصواب في الاخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالي
الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده اذ خلق الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق ايضا

حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فاما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفريعات
الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة في القلوب وغفلة عن الله وتماديا في الضلال وطلبا للجاه الا
من تداركه الله برحمته او مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر و
استبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله اعلم وقد رؤي سفيان الثوري حزينا فقيل له ما لك
فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا يلزمنا احدهم حتى اذا تعلم جعل عاملا او قاضيا او قهرمانا **الوظيفة الرابعة**
وهي من دقائق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا
بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراءة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار قال
صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء وينبهك على هذا
قصة ادم وحوا وما نهيا عنه فما ذكرت القصة لتكون سمرا بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولان التعريض ايضا يميل
النفوس الفاضلة والاذهان الذكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم ان ذلك
مما لا يعزب عن فطنته **الوظيفة الخامسة** ان المتكفل ببعض العلوم لا ينبغي ان يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه
كمعلم اللغة اذ عادته تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وان ذلك نقل محض وسماع
وهو شان العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فرع وهو كلام في حيض النسوان
فاين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي ان تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي ان
يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وان كان متكفلا بعلوم فينبغي ان يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى
رتبة **الوظيفة السادسة** ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره او يخبط عليه عقله
اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على
قدر عقولهم فليبث اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها قال صلى الله عليه وسلم ما احد يحدث قوما بحديث
لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال علي رضي الله عنه واشار الى صدره ان ههنا علوما جمة لو وجدت
لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغي ان يفشي العالم كل ما يعلمه الى كل احد هذا اذا كان
يفهمه المتعلم ولم يكن اهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير فان
الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان
فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل
اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام و
اذهب فان جاء من يفقهه فكتمته فليلجمني وقد قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيها على ان حفظ العلم ممن
يفسده ويضره اولى وليس الظلم في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق فمن منح الجهال علما اضاعه ومن
منع المستوجبين فقد ظلم **الوظيفة السابعة** ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى اليه الجلي اللائق به ولا يذكر له ان
وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش قلبه ويوهم اليه البخل عنه اذ يظن كل احد
انه اهل لكل علم دقيق فما من احد الا وهو راض عن الله في كمال عقله واشدهم حماقة واضعفهم عقلا هو
افرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم ان من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد الماثورة عن السلف
من غير تشبيه ومن غير تاويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله اكثر من ذلك فلا ينبغي ان يشوش عليه
اعتقاده بل ينبغي ان يخلى وحرفته فانه لو ذكر له تاويلات الظواهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر تقييده بقيد الخواص
فيرتفع السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي ان يخاض مع العوام

في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الامانة في الصناعة التي هو بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة في الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليه شبهة فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك وبالجملة لا ينبغي ان يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص

الوظيفة الثامنة ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لان العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالابصار وارباب الابصار اكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم عليه فيقولون لولا انه اطيب الاشياء والذها لما كان يستأثر به ومثل المعلم المرشد مثل النقش من الطين والعود من الظل وكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه وكيف يستوي الظل والعود اعوج ولذلك قيل

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ❊ عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولذلك كان وزر العالم في معاصيه اكثر اذ يزل بزلته عالم كثير فيقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه

الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الاخرة والعلماء السوء قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على انهم اشد الخلق عذابا يوم القيمة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الاخرة ونعني بعلماء الدنيا العلماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها قال صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال ايضا العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال ايضا يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال ايضا لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما عنده الجمه الله بلجام من نار وقال ايضا لانا من غير الدجال اخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذاك فقال ائمة مضلون وقال ايضا من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى صلوات الله عليه الى متى تصفون الطريق للمدلجين وانتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظم خطر العلم وان العالم اما متعرض لهلاك الابد او لسعادة الابد وانه بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة واما الاثار فقد قال عمر رضي الله عنه ان اخوف ما اخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لابي هريرة اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة له وقيل لابراهيم بن عيينة اي الناس اطول ندامة فقال اما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره واما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن احمد الرجال اربعة رجل يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك نائم فانبهوه ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذلك مسترشد فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وقال الثوري يهتف العلم بالعمل فان اجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل وقال الفضيل اني لارحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالما يلعب به الدنيا وانشد

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ❊ ومن يشتري دنياه بالدين اعجب

وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العالم ليعذب عذابا يطيف به اهل النار استعظاما لشدة عذابه اراد به العالم الفاجر وقال اسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا فيطوف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وانما يضاعف

عذاب العالم في معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال الله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله ولدا ولا قالوا انه ثالث ثلثة ولكن انكروا بعد المعرفة اذ قال تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال تعالى في بلعم بن باعورا واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى قال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث وكذلك العالم الفاجر فان بلعم اوتي كتاب الله فاخلد الى الشهوات فشبه بالكلب اي سواء اوتي الحكمة او لم يؤت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل العلماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع ومثل العلماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الاخبار والاثار تبين ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد عذابا من الجاهل وان الفائزين المقربين هم علماء الاخرة ولهم علامات فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الاخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادتان وانهما كالضرتين مهما ارضيت احداهما اسخطت الاخرى وانهما ككفتي الميزان مهما رجحت احداهما خفت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من احدهما بعدت من الاخرى وانهما كقدحين احدهما مملوء والاخر فارغ فبقدر ما تصب منه في الاخر حتى يمتلئ يفرغ الاخر فان من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بالمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم امر الاخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان فكيف يكون من العلماء من لا ايمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للاخرة وان الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشرائع الانبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من اوله الى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الاخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته وفي اخبار داود ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتي ان احرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسأل عني عالما قد اسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي يا داود اذا رأيت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد الي هاربا كتبته جهبذا ولم اعذبه ابدا ولذلك قال الحسن رضي الله عنه عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الاخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ الرازي انما يذهب بهاء العلم والحكمة اذا طلب بهما الدنيا وقال عمر رضي الله عنه اذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب ان الله عز وجل يقول ان اهون ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل الى اخ له انك قد اوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم في نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول لعلماء الدنيا يا اصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية واثوابكم ظاهرية واخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية واوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فاين المحمدية وانشدوا

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها ❊ فكيف اذا الرعاة لها ذئاب

وقيل

يا معشر القراء يا ملح البلد ❊ ما يصلح الملح اذا الملح فسد

وقيل لبعض العارفين أترى ان من يكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله قال لا اشك ان من يكون الدنيا آثر عنده من الاخرة انه لا يعرف الله وهذا دون ذلك بكثير ولا تظنن ان ترك المال يكفي في اللحوق بعلماء الاخرة فان الجاه اضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من ابواب الدنيا واذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول اوسعوا لي ودفن بشر بن الحارث بضعة عشر ما بين قمطر وقوصرة من الكتب وكان يقول انا اشتهي ان احدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث حدثت وقال هو وغيره اذا اشتهيت ان تحدث فلا تحدث واذا لم تشته فحدث وهذا لان التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد اعظم من كل تنعم في الدنيا فمن اجاب شهوته فيه فهو من ابناء الدنيا ولذلك قال الثوري فتنة الحديث اشد من فتنة الاهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد البشر صلى الله عليه وسلم ولولا ان

ثنائه لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقال سهل العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص وقال الناس موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يختم له به وقال ابو سليمن الداراني اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر في طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا وانما اراد به طلب الاسانيد العالية او طلب الحديث الذي لا يحتاج اليه في طريق الآخرة وقال عيسى عليه السلم كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على دنياه وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به وقال صالح بن حسان البصري ادركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروى ابو هريرة انه عليه الصلوة والسلم قال من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة وقد وصف الله تعالى العلماء السوء باكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال في علماء الدنيا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وقال في علماء الآخرة وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الى قوله لهم اجرهم عند ربهم وقال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الانبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصد طلب الدنيا بعلمه وروى ابو الدرداء انه قال عليه الصلوة والسلم اوحى الله الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزءون لاتيحن لهم فتنة تذر الحليم حيرانا وروى الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال علماء هذه الامة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله يوم القيمة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما فضن به على عباد الله واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا يأتي يوم القيمة ملجما بلجام من نار ينادي مناد على رؤس الخلايق هذا فلان بن فلان آتاه الله علما في الدنيا فضن به على عباد الله واخذ به طمعا واشترى به ثمنا يعذب حتى يفرغ من حساب الناس واشد من هذا ما روي ان رجلا كان يخدم موسى فجعل يقول حدثني موسى صفي الله حدثني موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله حتى اثرى وكثر ماله ففقده موسى فجعل يسأل عنه فلا يحس له اثرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل اسود فقال له موسى اتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يا رب اسالك ان ترده الى حاله حتى اسأله فيما اصابه هذا فاوحى الله اليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه فما اجبتك فيه ولكن اخبرك لم صنعت هذا به لانه كان يطلب الدنيا بالدين واغلظ من هذا ما روي عن معاذ بن جبل موقوفا ومرفوعا في رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطاء وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب ان يوجد عند غيره فذلك في الدرك الاول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شيء من علمه او تهون بشيء من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يرى اهل الحاجة له اهلا فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطأ والله يبغض المتكلفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروة ونبلا وذكرا في الناس فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ انف فذلك في الدرك السابع من النار عليك بالصمت فبه تغلب الشيطان واياك ان تضحك من غير عجب وتمشي في غير ارب وفي خبر آخر ان العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وروي ان الحسن انصرف من مجلسه فحمل

اليه رجل من خراسان كيسا فيه خمسة آلاف درهم وعشرة اثواب من دقيق البز وقال يا ابا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله يوم يلقيه ولا خلاق له وروي عن جابر موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تجلسوا عند كل عالم الا عالما يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة وقال الله تعالى فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون الآية الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا فعرف اهل العلم بايثار الآخرة على الدنيا ومنها ان لا يخالف فعله قوله بل لا يامر بالشيء ما لم يكن هو اول عامل به قال الله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال في قصة شعيب وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقال واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا وقال تعالى لعيسى صلى الله عليه يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي بقوم كانت تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلاك امتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء وقال الاوزاعي شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه وقال الفضيل رحمه الله ان الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيمة قبل عبدة الاوثان وقال ابو الدرداء ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل به سبع مرات وقال الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة الى قوم من اهل النار فيقولون لهم ما ادخلكم النار وانما ادخلنا الله الجنة بفضل تاديبكم وتعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال حاتم الاصم ليس في القيمة اشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك وقال مالك بن دينار ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وانشدوا

يا واعظ الناس قد اصبحت متهما ... اذ عبت منهم امورا انت تأتيها

وقيل

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال ابراهيم بن ادهم مررت بحجر مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته فاذا عليه مكتوب انت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لا تعلم وقال ابن السماك كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جريء على الله وكم من مقرب الى الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من تال لكتاب الله منسلخ من آيات الله وقال ابراهيم بن ادهم لقد اعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في اعمالنا فلم نعرب وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه قال حدثني عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا ندرس العلم في مسجد قبا اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن ياجركم الله حتى تعملوا وقال الاوزاعي اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع وقال عيسى عليه السلم مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تبارك وتعالى يوم القيمة على رؤس الاشهاد وقال معاذ احذروا زلة العالم لان قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر رضي الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقيل ثلث يهدم بهن الزمان احدهن زلة العالم وقال ابن مسعود سياتي على الناس زمان يملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه فيكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء ولا يوجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة ويطفئ مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه انه يخشى الله بلسانه والفجور بين في عمله فما اخصب الالسن يومئذ واجدب القلوب فوالله الذي لا اله الا هو ما ذلك الا لان المعلمين علموا لغير الله والمتعلمين تعلموا لغير الله وفي الانجيل مكتوب لا تطلبوا علم ما لم تعملوا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة انكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك

وسيأتي زمان من عمل بعشر ما علم نجا وذلك لكثرة البطالين واعلم ان مثل العالم مثل القاضي وقد قال عليه الصلوة والسلم
القضاة ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم او لا يعلم فهما في النار وقال كعب
يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة و
يأتونهم ويؤثرون الدنيا على الآخرة ياكلون بألسنتهم يقربون الاغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير
النساء على الرجال يغضب احدهم على جليسه اذا جالس غيره اولئك الجبارون اعداء الرحمن وقد روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم فقيل يا رسول الله فكيف ذلك قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال
في العلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل وقال سري السقطي اعتزل رجل للتعبد كان حريصا على طلب علم الظاهر
فسألته فقال رأيت في النوم قائلا يقول الى كم تضيع العلم ضيعك الله فقلت اني لأحفظه فقال ان حفظ العلم
العمل به فتركت الطلب واقبلت على العمل وقال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن
اعلموا ما شئتم ان تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية وقال مالك طلب
العلم لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي ولا تؤثرن عليه شيئا
وقال ابن مسعود انزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتي قوم يثقفونه مثل القنا ليسوا بخياركم والعالم
الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذائذ الاطعمة ولا يجدها وفي مثله قال ولكم الويل
مما تصفون وفي الخبر مما اخاف على امتي زلة العالم وجدال المنافق في القرآن **ومنها** ان يكون عنايته بتحصيل
العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعة متجنبا للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال من يعرض
عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال مثال رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته
فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والادوية وغرائب الطب وترك مهمه الذي هو مؤاخذ به وذلك محض السفه
وقد روي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علمني من غرائب العلم فقال له ما صنعت في رأس العلم
قال وما رأس العلم قال هل عرفت الرب قال نعم قال وما صنعت في حقه قال ما شاء الله قال هل عرفت الموت قال نعم
قال فما اعددت له قال ما شاء الله قال اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعال نعلمك غرائب العلم بل ينبغي ان يكون التعلم من جنس
ما روي عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي انه قال له شقيق منذ كم صحبتني فقال حاتم ثلث وثلثين سنة فقال
فما تعلمت مني في هذه المدة فقال ثماني مسائل قال شقيق انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم
الا ثماني مسائل قال يا استاذ لم اتعلم غيرها واني لا احب ان اكذب فقال هات هذه الثماني مسائل حتى اسمعها قال نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر واذا وصل
الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال احسنت يا حاتم فما الثانية قال نظرت
في قول الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فعلمت ان قوله سبحانه وتعالى هو
الحق فاجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله الثالثة اني نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل من معه
شيء له قيمة عنده ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت في قول الله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكلما وقع معي
شيء له مقدار وقيمة وجهته اليه ليبقى لي عنده الرابعة اني نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع الى المال و
الحسب والشرف والنسب فنظرت فاذا هي لا شيء ثم نظرت الى قول الله عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقاكم فعملت في
التقوى حتى اكون عند الله كريما الخامسة نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا واصل هذا
كله الحسد ثم نظرت الى قول الله عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان
القسم من عند الله وتركت عداوة الخلق عني السادسة نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم
بعضا فرجعت الى قوله سبحانه ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وحده واجتهدت في اخذ حذري منه

لأن الله تعالى شهد عليه انه عدو لي فتركت عداوة الخلق السابعة نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب
هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الى قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
فعلمت اني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله علي وتركت ما لي عنده الثامنة نظرت الى هذا الخلق
فرأيتهم متوكلين على مخلوق هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق فرجعت
الى قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت عليه فهو حسبي قال شقيق يا حاتم وفقك الله فاني
نظرت في علم التورية والانجيل والزبور والقرآن العظيم وهي تدور على هذه الثماني فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربع
فهذا الفن من العلم يهتم بادراكه والتفطن له علماء الآخرة واما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه
ويهملون امثال هذه العلوم التي بها بعث الانبياء كلهم وقال الضحاك بن مزاحم ادركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض الا
الورع وهم يتعلمون اليوم الكلام **ومنها** ان يكون غير مائل الى الترفه في المطعم والتنعم في الملبس والتجمل في الاثاث
والمسكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل الى الاكتفاء بالاقل في جميع ذلك وكلما ازداد
الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع في علماء الآخرة حزبه ويشهد لذلك ما حكي عن ابي عبد الله الخواص وكان
من اصحاب حاتم الاصم قال دخلت مع حاتم الري ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا نريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس
معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال
لحاتم الك حاجة فاني اريد ان اعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر الى الفقيه عبادة فانا ايضا
اجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا الى الباب فاذا هو مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول
باب عالم على هذه الحالة ثم اذن لهم فدخلوا فاذا دار قوراء وامتعة وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس
الذي هو فيه فاذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الرازي وسأله وحاتم قائم فأومأ اليه
ابن مقاتل ان اجلس فقال لا اجلس فقال لعل لك حاجة فقال نعم قال وما هي قال مسألة اسألك عنها قال سلني
قال قم فاستو حتى اسألك فاستوى قال حاتم علمك هذا من اين اخذت قال الثقات حدثوني به قال عمن قال عن اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن جبريل عن الله سبحانه وتعالى قال حاتم
ففيما اداه جبريل عن الله سبحانه وتعالى الى رسول الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه واصحابه الى الثقات
واداه الثقات اليك هل سمعت في العلم من كان في داره اميرا وكان سعته اكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة
اكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة واحب المساكين وقدم لآخرته
كان له عند الله تعالى المنزلة ارفع فقال له حاتم فانت بمن اقتديت ابالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الصالحين رضي
الله عنهم ام بفرعون ونمرود اول من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المكالب على الدنيا الراغب
فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا اكون انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ اهل الري ما جرى
بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ان الطنافسي بقزوين اكثر شيئا منه فسار حاتم اليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله انا
رجل اعجمي احب ان تعلمني مبدأ ديني ومفتاح صلوتي كيف اتوضأ للصلوة قال نعم وكرامة يا غلام هات اناء فيه ماء
فأتي به فقعد الطنافسي وتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ قال حاتم مكانك حتى اتوضأ بين يديك فيكون اوكد لما
اريد فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل الذراعين اربعا فقال الطنافسي اسرفت يا هذا قال له حاتم فيماذا
قال غسلت ذراعك اربعا قال يا سبحان الله انا في كف من ماء اسرفت وانت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي
انه قصد ذلك دون التعلم فدخل الى البيت فلم يخرج الى الناس اربعين يوما فلما دخل بغداد اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا
يا ابا عبد الرحمن انت رجل الكن عجمي ليس يكلمك احد الا قطعته قال معي ثلاث خصال بهن اظهر على خصمي افرح اذا اصاب

خصمي والحزن اذا اخطأ واحفظ نفسي ان تجهل علي فبلغ ذلك احمد بن حنبل فقال يا سبحان الله ما اعقله قوموا بنا
اليه فلما دخلوا عليه قالوا يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا ابا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك اربع
خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك وتبذل شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كنت هكذا سلمت ثم سار الى المدينة
فاستقبله اهل المدينة فقال يا قوم اية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاين قصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى اصلي فيه قالوا ما كان له قصر انما كان له بيت لاطئ في الارض قال فاين قصور اصحابه رضي
الله عنهم قالوا ما كانت لهم قصور انما كانت لهم بيوت لاطية فقال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فاخذوه وذهبوا
به الى السلطان وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون قال الوالي ولم ذلك قال حاتم لا تعجل علي انا رجل عجمي غريب
دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة الرسول عليه الصلوة والسلم فقلت اين قصره وقص القصة ثم
قال وقد قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فانتم بمن تاسيتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ام
بفرعون اول من بنى بالجص والآجر فخلوا عنه وتركوه هذه حكاية حاتم وسيأتي من سيرة السلف في البذاذة وترك
التجمل ما يشهد لذلك في مواضعه والتحقيق فيه ان التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى
يشق تركه واستدامة الزينة لا يمكن الا بمباشرة اسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة
ومراعاة الخلق ومراياتهم وامور اخر هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لان من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت
السلامة مبذولة لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم ونزع خاتم الذهب
في اثناء الخطبة الى غير ذلك مما سيأتي فقد حكي ان يزيد النوفلي كتب الى مالك بن انس بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على محمد في الاولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن انس اما بعد فقد بلغني انك تلبس
الدقاق وتاكل الرقاق وتجلس على الوطاء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وضربت اليك المطي وارتحل
اليك الناس واتخذوك اماما ورضوا بقولك فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة مني كتابا
ما اطلع عليه الا الله تعالى والسلم فكتب اليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن انس الى يحيى بن يزيد
سلام عليك اما بعد فقد وصل الي كتابك فوقع مني موقع النصيحة والشفقة والادب امتعك الله بالتقوى وجزاك
بالنصيحة خيرا واسأل الله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاما ما ذكرت لي اني آكل الرقاق والبس الدقاق
واحتجب واجلس على الوطاء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى وقد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده
والطيبات من الرزق واني لاعلم ان ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلم
فانظر الى انصاف مالك اذ اعترف بان ترك ذلك خير وافتى بانه مباح وقد صدق فيهما جميعا ومثل مالك في منصبه اذا
سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فيقوى ايضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا
يحمله ذلك على المراياة والمداهنة والتجاوز الى المكروهات واما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم في المباح خطره
عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر و
ومنها ان يكون منقبضا عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز من مخالطتهم
وان جاءوا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم و
استمالة قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل
عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم فيزدري نعمة الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا لهم او يتكلف في كلامه لمرضاتهم
وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع في ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتي في كتاب
الحلال والحرام ما يجوز ان يؤخذ من اموال السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح

الشرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط وقد قال صلى الله عليه وسلم من بدا جفا يعني من سكن البادية جفا
ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن وقال عليه الصلوة والسلم سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون
فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده الله قيل افلا نقاتلهم قال لا ما صلوا وقال سفيان
في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء
يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال عليه الصلوة والسلم العلماء امناء الرسل على عباد الله
ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس وقيل للاعمش لقد احييت
العلم لكثرة من ياخذه عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون السلطان فهم شر الخلق والثلث
الباقي لا يفلح منهم الا قليل ولذلك قال سعيد بن المسيب اذا رايتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه لص وقال الاوزاعي
ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال صلى الله عليه وسلم شرار العلماء الذين ياتون الامراء وخيار الامراء الذين
ياتون العلماء وقال مكحول الدمشقي من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا لما في يديه خاض في
نار جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما اسمج بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال انه عند الامير
قال وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان
الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك وانتم ترون ما القاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه
ولوددت اني انجو من الدخول كفافا مع اني لا آخذ منهم شيئا ولا اشرب لهم شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء
بني اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو اخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم
وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابن المبارك عنى به سعد بن ابي وقاص قال كان لا يغشى السلطان وينفر عنه فقال له بنوه ياتي هؤلاء من ليس
هو مثلك في الصحبة والقدم في الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بني آتي جيفة قد احاط بها قوم والله لئن استطعت لا شاركهم
فيها قالوا يا ابانا اذا نهلك هزلا قال يا بني لان اموت مؤمنا مهزولا احب الي من ان اموت منافقا سمينا قال الحسن
خصمهم والله اذ علم ان التراب ياكل اللحم والسمن دون الايمان وفي هذا اشارة الى ان الداخل على السلطان لا يسلم من
النفاق البتة وهو مضاد للايمان وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلطان فانك لا تصيب من دنياهم شيئا
الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة و
كلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي اليه ان في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع
الى ان يخيل اليه ان الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل لم يلبث ان يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والاطراء
وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا
هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن رحمهما الله اما بعد فاشر علي باقوام استعين بهم على امر الله تعالى فكتب اليه
اما اهل الدين فلن يريدوك واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه
بالخيانة هذا في عمر بن عبد العزيز وكان ازهد زمانه فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه فكيف يستتب طلب غيره و
مخالطته ولم يزل السلف مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وابرهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط يتكلمون في
علماء الدنيا من اهل مكة والشام اما لميلهم الى الدنيا واما لمخالطتهم السلاطين ومنها ان لا يكون مسارعا الى الفتيا
بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب او نص حديث او اجماع
او قياس جلي افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادري وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال
على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر العلم ثلاثة كتاب ناطق

وسنة قائمة ولا ادري وقال الشعبي لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله فليس باقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف
بالجهل اشد على النفس وهكذا كانت عادة الصحابة والسلف كان ابن عمر اذا سئل عن الفتوى قال اذهب الى الامير الذي
تقلد امور الناس فضعها في عنقه وقال ابن مسعود ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا ادري فاذا
اخطاها اصيب مقاتله وقال ابرهيم بن ادهم ليس شيء اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشد
علي من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة وكلامهم ضرورة اي لا يتكلمون حتى يسالوا واذا سالوا ووجدوا من يكفيهم
سكتوا فان اضطروا اجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومر علي وعبد الله برجل يتكلم على الناس
فقال هذا يقول اعرفوني وقال بعضهم انما العالم الذي اذا سئل عن المسئلة فكانما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول تريدون ان
تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم وقال ابو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال ان يقال له يوم القيمة من
اين اجبت وكان ابرهيم التيمي اذا سئل يبكي ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم الي وكان ابو العالية الرياحي وابرهيم والثوري و
ابرهيم بن ادهم رحمة الله عليهم يتكلمون على اثنين وثلاثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال صلى الله عليه وسلم ما ادري اعزير
نبي ام لا وما ادري اتبع ملعون ام لا وذو القرنين نبي ام لا ولما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا ادري حتى نزل جبريل فساله فقال
لا ادري حتى اعلمه الله تعالى ان خير البقاع المساجد وشر البقاع الاسواق وكان ابن عمر يسال عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت
عن تسع وكان ابن عباس يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء من يقول لا ادري اكثر من ان يقول ادري منهم سفين
الثوري ومالك بن انس واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحارث وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت في هذا المسجد
مائة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من احد يسال عن حديث او فتوى الا ود ان اخاه كفاه ذلك وفي لفظ
اخر كانت المسئلة تعرض على احدهم فيردها الى اخر ويردها الاخر الى الاخر حتى تعود الى الاول وروي ان اصحاب الصفة اهدي الى
واحد منهم راس مشوي وهو في غاية الضر فاهداه الى اخر واهدى الاخر الى اخر وهكذا دار بينهم حتى رجع الى الاول فانظر الان
كيف انعكس امر العلماء فصار المهروب عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ويشهد بحسن الاحتراز من تقلد الفتوى ما روي مسندا
انه لا يفتي الناس الا ثلاثة امير او مامور او [illegible] واشدهم دفعا لها اورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين في خمسة اشياء
قراءة القران وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم
كل كلام ابن ادم عليه لا له الا ثلاثة امر بمعروف او نهي عن منكر وذكر الله وقال الله تعالى لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة
او معروف او اصلاح بين الناس الاية وراى بعض العلماء بعض اصحاب الراي من اهل الكوفة في المنام فقال ما رايت فيما كنت عليه من الفتوى
والراي فكره وجهه واعرض وقال ما وجدناه شيئا وما حمدنا عاقبته وقال ابن حصين ان احدهم ليفتي في مسئلة لو وردت على
عمر رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر فلم يزل السكوت دأب اهل العلم الا عند الضرورة وفي الخبر اذا رايتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا فاقتربوا
منه فانه يلقن الحكمة وقيل العالم اما عالم عامة وهو المفتي وهم اصحاب الاساطين او عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد واعمال القلوب وهم ارباب
الزوايا المتفردون وكان يقال مثل احمد بن حنبل مثل دجلة كل احد يغترف منها ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها
الا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان اكثر كلاما وفلان اكثر عملا وقال ابو سليمان الداراني المعرفة الى
السكوت اقرب منها الى الكلام وقال بعضهم اذا كثر العلم قل الكلام وكتب سلمان الى ابي الدرداء وكان قد اخى بينهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا اخي بلغني انك قعدت طبيبا تداوي المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء وان كنت متطببا فالله
الله لا تقتل مسلما فكان ابو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل وكان انس اذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس
يقول سلوا جابر بن زيد وابن عمر يقول سلوا سعيد بن المسيب وحكي انه روى صحابي في حضور الحسن عشرين حديثا
فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي الا ما رويت فاخذ الحسن في تفسيرها حديثا حديثا فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه فاخذ
الصحابي كفا من حصا ورماهم به وقال تسالوني عن العلم وهذا الحبر بين اظهركم ومنها ان يكون اكثر اهتمامه بعلم

الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الاخرة وسلوكه وصدق رجائه في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة
تفضي الى المشاهدة في دقائق علم القلوب وتتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب اما الكتب فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر
والعد انما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله تعالى في الخلوة مع حضور القلب
بصافي الفكر والانقطاع الى الله سبحانه عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف وكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة
مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله سبحانه له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي
الالباب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب السالفة يا بني اسرائيل لا تقولوا
العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر به فان العلم مجعول في قلوبكم تادبوا بين
يدي باداب الروحانيين وتخلقوا لي باخلاق الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وقال سهل التستري خرج
العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح الا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا وعنده مفاتح
الغيب ولولا ان ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال استفت قلبك وان افتوك وافتوك و
قال عليه الصلوة والسلام لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا الحديث فكم من معان دقيقة من
اسرار القران تخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها افاضل المفسرين واذا انكشف ذلك للمراقب
وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا ان ذلك من تنبيهات القلوب الزكية والطاف الله تعالى بالهمم المتوجهة اليه وكذلك في علوم
المكاشفة واسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب
بقدر ما رزق وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال علي رضي الله عنه في حديث طويل القلوب
اوعية وخيرها اوعاها والناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا
بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه النفقة
محبة العالم دين يدان به يكسبه الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال
تزول بزواله مات خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعداء وقال هاه ان ههنا علما جما
لو وجدت له حملة بل اجد طالبا غير مامون يستعمل الة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على اوليائه ويستظهر
بحجته على خلقه او منقادا لاهل الحق ينزرع الشك في قلبه باول عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذة
سلس القياد في طلب الشهوات او مغرى بجمع الاموال والادخار منقاد الهواه اقرب شبها بهم الانعام السائمة اللهم
هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه ثم لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهر مكشوف واما خائف مقهور لئلا تبطل حجج
الله وبيناته وكم واين اولئك هم الاقلون عددا الاعظمون قدرا اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله
بهم حججه حتى يودعوها من وراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فا
ستلانوا ما استوعر منه المترفون وانسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك
اولياء الله من خلقه وعماله في ارضه والدعاة الى دينه ثم بكى وقال واشوقاه الى رؤيتهم فهذا الذي ذكره اخيرا هو صفة
علماء الاخرة وهو العلم الذي يستفاد اكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة ومنها ان يكون شديد العناية بتقوية
اليقين فان اليقين هو راس مال الدين قال صلى الله عليه وسلم اليقين الايمان كله ولا بد من تعلم علم اليقين اعني اوائله ثم ينفتح
للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على
الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن
اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما من ادمي الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل
وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب تاب واستغفر وندم فيكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك

قال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام
النهار وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص
يقينه وقال يحيى بن معاذ ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد احرق لسيئات الموحدين من نار الشرك
لحسنات المشركين واراد به اليقين وقد اشار القرآن الى ذكر الموقنين في مواضع دل به على ان اليقين هو الرابطة للخيرات
والسعادات فان قلت فما معنى اليقين وما معنى ضعفه وقوته ولا بد من فهمه اولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما
لا يفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم ان اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين اما النظار والمتكلمون
فيعنون به عدم الشك اذ ميل النفس الى التصديق بالشيء له مقامات الاول ان يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر
عنه بالشك كما اذا سئلت عن شخص معين ان الله سبحانه يعاقبه ام لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل الى الحكم
فيه باثبات ونفي بل يستوي عندك امكان الامرين فيسمى هذا شكا الثانية ان تميل نفسك الى احد الامرين مع الشعور
بامكان نقيضه ولكنه امكان لا يمنع ترجيح الاول كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى انه بعينه لو مات
على هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل الى انه لا يعاقب اكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح
ومع هذا فانت تجوز اختفاء امر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساوق لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه
فهذه الحالة تسمى ظنا الثالثة ان تميل النفس الى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال
تأبى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة اذ لو احسن صاحب هذا المقام التأمل والاصغاء الى التشكيك
والتجويز اتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها اذ رسخ في
نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة تثق بصحة مذهبها واصابة امامها ومتبوعها ولو ذكر لاحدهم امكان خطأ امامه نفر عن
قبوله الرابعة المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور التشكك فيه فاذا امتنع وجود الشك
وامكانه يسمى يقينا عند هؤلاء ومثاله انه اذا قيل للعاقل هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لان القديم
غير محسوس لا كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم اوليا ضروريا مثل العلم بان الاثنين
اكثر من الواحد بل مثل العلم بان حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا ايضا ضروري فحق غريزة العقل ان تتوقف
عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جزما ويستمر
عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو ان يقال له ان لم يكن في الوجود
قديم فالموجودات كلها حادثة وان كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب او فيها حادث بلا سبب وهو محال والمؤدي الى المحال محال
فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لان الاقسام ثلاثة وهو ان يكون الموجودات كلها قديمة او كلها حادثة
او بعضها قديمة وبعضها حادثة فان كان كلها قديمة فقد حصل المطلوب اذ حصل على الجملة قديم وان كان الكل حادثا فهو
محال اذ يؤدي الى حدوث حادث بغير سبب فيثبت القسم الثالث او الاول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا سواء حصل
بنظر مثل ما ذكرناه او حصل بحس او بغريزة العقل كالعلم باستحالة الحادث بلا سبب او بتواتر كالعلم بوجود مكة او بتجربة كالعلم
بان المطبوخ مسهل او بدليل كما ذكرناه فشرط اطلاق هذا الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء
وعلى هذا فلا يوصف اليقين بالضعف اذ لا تفاوت في نفي الشك الاصطلاح الثاني للفقهاء والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان
لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك بل الى الاستيلاء والغلبة على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين مع انه لا شك فيه ويقال
فلان قوي اليقين في اتيان الرزق مع انه قد يجوز انه لا يأتيه فمهما مالت النفس الى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى
حتى صار هو المتحكم والمتصرف في النفس بالتحريض والمنع سمي ذلك يقينا ولا شك في ان الناس مشتركون في القطع بالموت
والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت اليه ولا الى الاستعداد له وكانه غير موقن به ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق

همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقينا لا شك
فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن اردنا بقولنا ان من شأن
علماء الآخرة صرف العناية الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفي الشك ثم تسليطه على النفس حتى يكون هو الغالب
المتحكم وهو المتصرف واذا فهمت هذا علمت المراد من قولنا اذا قلنا ان اليقين ينقسم ثلاثة انقسامات بالقوة والضعف
والقلة والكثرة والخفاء والجلاء فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات
اليقين في القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق في استعدادهم للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني واما
التفاوت بالخفاء والجلاء فلا ينكر ايضا اما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر اعني الاصطلاح الثاني وفيما انتفى الشك عنه ايضا
لا سبيل الى انكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى ويوشع
مع انك لا تشك في الامرين اذ مستندهما التواتر ولكن ترى احدهما اجلى واوضح في قلبك من الثاني لان السبب في احدهما
اقوى وهو كثرة المخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعلومة بالادلة فانه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد
كوضوح ما لاح له بادلة كثيرة مع تساويهما في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه
فيما يدركه من تفاوت الاحوال واما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان اكثر علما اي معلوماته اكثر و
لذلك قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد به الشرع وقد يكون قوي اليقين في بعضه فان قلت فقد فهمت اليقين
وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفي الشك وبمعنى الاستيلاء على القلب فما متعلقات اليقين ومجاريه
وفيماذا يطلب اليقين فاني ما لم اعرف ما يطلب فيه اليقين لم اقدر على طلبه فاعلم ان جميع ما ورد به الانبياء من اوله الى آخره هو
من مجاري اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في احصائها
ولكني اشير الى بعضها امهاتها فمن ذلك التوحيد وهو ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى
الوسائط مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا مؤمن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن باحد المعنيين
فان غلب على قلبه غلبة ازالت عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم
واليد في حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين وواسطتين فقد صار موقنا
بالمعنى الثاني وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفائدته ومهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم والجماد و
النبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بامره حسب تسخير القلم في يد الكاتب وان القدرة الازلية هي المصدر للكل استولى
على قلبه التوكل والرضا والتسليم وصار بريا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا احد ابواب اليقين ومن ذلك الثقة
بضمان الله تعالى للرزق في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واليقين بان ذلك يأتيه وان ما قدر له
سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على ما يفوته واثمر هذا اليقين
ايضا جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك ان يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصي
الى العقاب كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك وكما يحرص على تحصيل الخبز طلبا للشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك
يحرص على الطاعات قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فيجتنب قليل المعاصي وكثيرها وصغيرها وكبيرها فا
اليقين بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المؤمنين واما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في
الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والاحتراز عن السيئات وكلما كان اليقين ابلغ كان الاحتراز اشد
والتشمر ابلغ ومن ذلك اليقين بان الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك و
فكرك وهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم الشك واما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به

الصديقون وثمرتها ان يكون الانسان في خلوته متأدبا في جميع احواله كالجالس بمشهد ملك عظيم ناظر اليه فانه لا يزال متأدبا
متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الادب ويكون في فكرته الباطنة كهو في اعماله الظاهرة اذ يتحقق ان الله مطلع على
سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله الكالئة اشد من مبالغته في تزيين
ظواهره لسائر الناس وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من
الاخلاق المحمودة وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة و
هذه الاخلاق في القلب كالاغصان المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار وكالانوار
المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاساس والاصل وله مجار وابواب اكثر مما عددناه وسيأتي ذلك في ربع المنجيات
وهذا القدر كاف في تفهيم معنى اللفظ الآن ومنها ان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية على
هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره مذكرا لله وصورته دليلا على عمله
فالجواد عينه مرآته فعلماء الاخرة يعرفون بسيماهم في السكينة والذلة والتواضع وقد قيل ما البس الله تعالى عبدا لبسة
احسن من خشوع في سكينة فهي لبسة الانبياء وسيما الصديقين والعلماء فاما التهافت في الكلام والتشدق والاستغراق
في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والامن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه و
هو دأب ابناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به وهذا لان العلماء ثلاثة كما قال سهل التستري عالم بامر الله لا بايام
الله وهم المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله لا بامر الله ولا بايام الله وهم عموم المؤمنين وعالم
بالله وبامر الله وبايام الله وهم الصديقون والخشية والخشوع انما يغلب عليهم واراد بايام الله انواع عقوباته الغامضة ونعمه
الباطنة التي افاضها الله على القرون السالفة واللاحقة فمن احاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه قال عمر رضي الله عنه
تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم
بجهلكم ويقال ما آتى الله عبدا علما الا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفي الاثر من آتاه
الله تعالى علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وفي الخبر ان من خيار امتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة
الله ويبكون سرا من خوف عذابه ابدانهم في الارض وقلوبهم في السماء وارواحهم في الدنيا وعقولهم في الاخرة يتمشون
بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق ابوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحارث من طلب
الرياسة بالعلم فتقرب الى الله ببغضه فانه ممقوت في السماء والارض وروي في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف
ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى وصف بالحكيم فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض نفاقا ولم تردني بشيء
من ذلك واني لا اقبل من نفاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق وواكل بني اسرائيل و
تواضع في نفسه فاوحى الله تعالى الى النبي قل له الآن وافقت رضائي وحكي الاوزاعي عن بلال بن سعد انه كان يقول
ينظر احدكم الى الشرطي فيستعيذ بالله منه وينظر الى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوقين الى الرياسة فلا يمقتهم
هذا احق بالمقت من ذلك الشرطي وروي انه قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله
قيل فاي الاصحاب خير قال صاحب ان ذكرت الله اعانك وان نسيته ذكرك قيل فاي الاصحاب شر قال صاحب ان نسيت لم يذكرك
وان ذكرت لم يعنك قيل فاي الناس اعلم قال اشدهم لله خشية قالوا فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الذين اذا رؤوا ذكر الله
تعالى لرؤيتهم قالوا فاي الناس شر قال اللهم غفرا قالوا اخبرنا يا رسول الله قال العلماء اذا فسدوا وقال صلى الله عليه
وسلم ان اكثر الناس امنا يوم القيامة اكثرهم فكرا في الدنيا واكثر الناس ضحكا في الاخرة اكثرهم بكاء في الدنيا واشد
الناس فرحا في الاخرة اطولهم حزنا في الدنيا وقال علي رضي الله عنه في خطبته ذمتي رهينة وانا به زعيم لا يهيج على
التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ اصل وان اجهل الناس من لا يعرف قدره وان ابغض الخلق الى الله تعالى رجل

قمش علما غارا في اغباش الفتنة سماه اشباه الناس وارذالهم عالما ولم يغن في العلم يوما سالما بكر فاستكثر ما قل منه خير مما
كثر حتى اذا ارتوى من ماء آجن واكثر من غير طائل جلس للناس معلما لتخليص ما التبس على غيره وان نزلت به احدى
المبهمات هيأ لها حشوا من رأيه فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري اخطأ ام اصاب ركاب جهالات خباط
عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم تبكي منه الدماء وتصرخ منه المواريث ويستحل بقضائه
الفرج الحرام ولا ملي والله باصدار ما ورد عليه ولا هو اهل لما فرط به اولئك الذين حلت عليهم المثلات وحقت عليهم النياحة
والبكاء ايام الحياة وقال علي ايضا رضي الله عنه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض
السلف من ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل اذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع
المتعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المعلم العقل والادب وحسن الفهم وعلى الجملة فالاخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك
عنها علماء الاخرة لانهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة قال ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وان احدنا يؤتى الايمان قبل القرآن
وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي ان يقف عنده منها ولقد رأيت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل
الايمان فيقرأ ما بين فاتحته الى خاتمته لا يدري ما آمره وما زاجره وما ينبغي ان يقف عنده وينثره نثر الدقل وفي خبر آخر بمثل
معناه كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتينا الايمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان
يقيمون حروفه ويضيعون حدوده يقولون قرأنا فمن اقرأ منا وعلمنا فمن اعلم منا فذلك حظهم وفي لفظ آخر اولئك
شرار هذه الامة وقيل خمس من الاخلاق هي من علامات علماء الاخرة مفهومة من خمس آيات الخشية والخشوع والتواضع وحسن
الخلق وايثار الاخرة على الدنيا وهو الزهد اما الخشية فمن قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء واما الخشوع فمن قوله تعالى خاشعين
لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا واما التواضع فمن قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين واما حسن الخلق فمن قوله
تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم واما الزهد فمن قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولما تلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل ما هذا الشرح فقال ان النور اذا قذف في
القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت
قبل نزوله ومنها ان يكون اكثر بحثه في علم الاعمال عما يفسد الاعمال ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر فان اصل
الدين التوقي عن الشر ولذلك قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولان الاعمال الفعلية قريبة و
اقصاها المواظبة على ذكر الله بالقلب واللسان وانما الشأن في معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما يكثر شعبه ويطول تفريعه
وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة اليه ويعم به البلوى في سلوك طريق الاخرة واما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريع في
الحكومات والاقضية ويتعبون في وضع صور تنقضي الدهور ولا تقع وان وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم واذا وقع كان في
القائمين به كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل والنهار في خواطرهم ووساوسهم واعمالهم وما ابعد عن السعادة من
باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله تعالى وشرها في ان يسميه البطالون من ابناء
الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله تعالى ان لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد
القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد كان الحسن البصري اشبه الناس كلاما
بكلام الانبياء واقربهم هديا من الصحابة اتفقت الكلمات في حقه على ذلك وكان اكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الاعمال
ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس وقيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن اين اخذته
قال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن اين اخذته فقال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
الناس يسألونه عن الخير وكنت اسأله عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ
آخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني اسأل عن آفات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة قد خص

كنت ... ما لمن عمل كذا وكذا فيسألونه عن فضائل الاعمال وكنت اقول يا رسول الله ما ... مع

ايضا بعلم المنافقين وافرد بمعرفة علم النفاق واسبابه ودقائق الفتن وكان عمر وعثمان واكابر الصحابة رضي الله عنهم يسالونه
عن الفتن العامة والخاصة وكان يسال عن المنافقين فيخبر باعداد من بقي ولا يخبر باسمائهم وكان عمر يساله عن نفسه هل
يعلم به شيئا من النفاق فبراه من ذلك وكان عمر اذا دعي الى الجنازة نظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك وكان يسمى صاحب
السر فالعناية بمقامات القلب واحواله دأب علماء الاخرة لان القلب هو الساعي الى قرب الله تعالى وقد صار هذا
الفن غريبا مندرسا واذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فاين التحقيق ويرون التحقيق
في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال الطرق شتى وطرق الحق مفردة • والسالكون طريق الحق افراد • لا يعرفون ولا يدرى
مقصدهم • فهم على مهل يمشون قصاد • والناس في غفلة عما يراد بهم • فجلهم عن سبيل الحق رقاد • وعلى الجملة لا يميل اكثر الخلق الا
الى الاسهل والاوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وادراكه شديد وطريقه مستوعر لا سيما معرفة صفات
القلب وتطهيرها من الاخلاق المذمومة فان ذلك نزع الروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة شارب الدواء يصبر على مرارته رجاء
الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة في مثل هذا الطريق
ولذلك قيل انه كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين واحوال القلوب وصفات الباطن
الا ثلاثة مثل سهل التستري والصبيحي وعبد الرحيم وكان يجلس الى اولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى والى هؤلاء عدد يسير قلما
يجاوز العشرة لان النفيس العزيز لا يصلح الا لاهل الخصوص وما يبذل للعموم فامره قريب **ومنها** ان يكون اعتماده في
علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع
صلوات الله وسلامه عليه فيما امر به وقاله وانما يقلد الصحابة من حيث ان فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم اذا قلد صاحب الشرع صلوات الله عليه في تلقي اقواله وافعاله بالقبول فينبغي ان يكون حريصا على فهم اسراره فان
المقلد انما يفعل الفعل لان الرسول صلى الله عليه وسلم فعله ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله لا بد وان يكون لسر
فيه فينبغي ان يكون شديد البحث عن اسرار الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولم يكن عالما الا اذا كان
شانه الحفظ ولذلك كان يقال فلان من اوعية العلم وكان لا يسمى عالما اذا كان شانه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والاسرار
ومن انكشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقتدى فلا ينبغي ان يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس
ما من احد الا يؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرا على ابي بن كعب ثم خالفهما
في الفقه والقراءة جميعا وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الراس والعين وما جاءنا
عن الصحابة فناخذ ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وانما فضل الصحابة بمشاهدتهم قرائن احوال
رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم امورا ادركت بالقرائن فيسددهم ذلك الى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية
والعبارة اذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الاكثر عن الخطا واذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا
غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمان الصحابة وصدر التابعين وانما حدثت بعد
سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار
التابعين بل كان الاولون يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القران و
عن التدبر والتفكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره ابو بكر الصديق رضي الله عنه وجماعة من الصحابة تصحيف
القران في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف
وقالوا نترك القران يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء ليكون هو شغلهم وهمهم حتى اشار عمر رضي الله عنه وبقية
الصحابة رضي الله عنهم بكتب القران خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليه
في كلمة او قراءة من المتشابهات فانشرح صدر ابي بكر لذلك فجمع القران في مصحف واحد وكان احمد بن حنبل ينكر على مالك

تصنيف الموطا ويقول لا نبتدع ما لم يفعله الصحابة وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الاثار وحروف التفاسير
عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا ماثورة نبوية
ثم كتاب الموطا بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع سفيان الثوري ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر
الخوض في الجدال والغوص في ابطال المقالات ثم مال الناس اليه والى القصص والوعظ بها فاخذ علم اليقين في الاندراس
من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعرض عن
ذلك الا الاقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لان العوام هم
المستمعون اليهم وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره ولم تكن سيرة الصحابة وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا
يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف واصبح علم الاخرة مطويا وغاب عنهم
الفرق بين العلم والكلام الا عن الخواص منهم كان اذا قيل لهم فلان اعلم ام فلان فكان يقال فلان اكثر علما وفلان اكثر كلاما وكان
الخواص بعد يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا و
قد انتهى الامر الى ان مظهر الانكار يستهدف للنسبة الى الجنون فالاولى ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت **ومنها** ان يكون
شديد التوقي من محدثات الامور وان اتفق عليه الجمهور فلا يغرنه اطباق الخلق على ما احدث بعد الصحابة وليكن حريصا على
التفتيش عن احوال الصحابة وسيرتهم واعمالهم وما كان فيه اكثر همهم أكان في التصنيف والتدريس والمناظرة والقضاء
والولاية وتولي الاوقاف والوصايا واكل مال الايتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة او في الخوف والحزن والتفكر و
المجاهدة ومراقبة الباطن واجتناب دقيق الاثم وجليه والحرص على ادراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان الى غير ذلك
من علوم الباطن واعلم تحقيقا ان اعلم اهل الزمان واقربهم الى الحق اشبههم بالصحابة واعرفهم بطريق السلف فمنهم اخذ
الدين ولذلك قال علي رضي الله عنه خيرنا اتبعنا لهذا الدين لما ان قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي ان تكترث بمخالفة اهل
العصر في موافقة اهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الناس راوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم اليه ولم تسمح نفوسهم
بالاعتراف بان ذلك سبب الحرمان عن الجنة فادعوا انه لا سبيل الى الجنة سواه ولذلك قال الحسن محدثان احدثا في الاسلام رجل
ذو راي سوء يزعم ان الجنة لمن راى مثل رايه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار
ان رجلا اصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه الى دنياه وصاحب هوى يدعوه الى هواه قد عصمه الله منهما يحن الى السلف
الصالح يسال عن افعالهم ويقتص اثارهم متعرض لاجر عظيم فكذلك فكونوا وقد روي عن ابن مسعود موقوفا ومسندا انه قال
انما هما اثنان الكلام والهدي فاحسن الكلام كلام الله واحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم الا واياكم ومحدثات
الامور فان شر الامور محدثاتها ان كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة الا لا يطولن عليكم الامل فتقسو قلوبكم الا كل ما هو
ات قريب الا ان البعيد ما ليس بات وفي خطبة النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال
اكتسبه من غير معصية وخالط اهل الفقه والحكم طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس
شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وكان ابن مسعود
يقول حسن الهدي في اخر الزمان خير من كثير العمل وقال انتم في زمان خيركم فيه المسارع في الامور وسياتي بعدكم زمان يكون خيرهم المتثبت
المتوقف لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتثبت في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك
كما هلكوا وقال حذيفة اعجب من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان قد اتى و
انكم لن تزالوا بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فاكثر معروفات هذه الاعصار منكرات
في عصر الصحابة اذ من غرر المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتنجيدها وانفاق الاموال العظيمة في دقائق عمارتها
وفرش البسط الرفيعة فيها وقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قلما

يحصلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من اجل علوم الزمان ويزعمون انه اعظم
القربات وقد كان ذلك من المنكرات ومن ذلك التلحين في الاذان والقران ومن ذلك التقشف في النظافة والوسوسة
في الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حل الاطعمة وتحريمها الى نظائر لذلك ولقد صدق
ابن مسعود حيث قال انتم اليوم في زمان الهدى فيه تابع للعلم وسياتي عليكم زمان يكون العلم تابعا للهوى وكان احمد يقول تركوا
العلم واقبلوا على الغرائب ما اقل الفقه فيهم والله المستعان وقال مالك بن انس لم يكن الناس فيما مضى يسالون عن هذه الامور
كما يسال الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ادركتهم يقولون مكروه ومستحب ومعناه انهم كانوا ينظرون في دقائق
الكراهة والاستحباب فاما الحرام فكان تحتنبه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسالوهم اليوم عما احدثوا فانهم قد
اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان ابو سليمن الداراني يقول لا ينبغي لمن الهم شيئا ان يعمله حتى
يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذا وافق ما في نفسه وانما قال هذا لان ما ابدع من الاراء قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب
وربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الاثار ولهذا لما احدث مروان المنبر
في صلوة العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري وقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست بدعة هي خير مما
تعلم ان الناس قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد والله لا تاتون بخير مما اعلم ابدا والله لا صليت وراءك
اليوم وانما انكر ذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكا في خطبة العيد والاستسقاء على قوس او عصا لا على
المنبر وفي الحديث المشهور من احدث في ديننا ما ليس منه فهو رد وفي خبر اخر من غش امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين قيل يا رسول الله وما غش امتك قال ان يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وقال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا ينادي
كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته ومثال الجاني على الدين بابداع ما يخالف السنة بالنسبة
الى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته الى بالنسبة الى من خالف امر الملك في خدمة معينة وذلك قد يغفر له
اما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال
اخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف عنده اكتفى وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالنمط الاوسط
الذي يرجع اليه العالي ويرتفع اليه التالي وقال ابن عباس ان الضلالة لها حلاوة في قلوب اهلها قال الله تعالى اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال
افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فكل ما احدث بعد الصحابة مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو
وحكي عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شانكم فقالوا ما راينا مثل هؤلاء ما
نصيب منهم شيئا قد اتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سياتي بعدهم قوم تنالون
منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما راينا اعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء بعد
الشيء من الذنوب فاذا كان اخر النهار اخذوا في الاستغفار فيبدل سياتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء
شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سياتي بعد هؤلاء قوم تقر اعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم
بازمة اهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل سياتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرون الاولى
فبث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعداء
وقادتهم اين شاءوا فان قلت من اين عرف قائل هذا ما قاله ابليس ولم يشاهد ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم ان ارباب
القلوب يشاهدون ويكاشفون باسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا
يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الامثلة كما يكون في المنام
وهذا اعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما ان الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة
فاياك وان يكون حظك من العلم انكار كل ما جاوز حد قصورك فيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمين انهم احاطوا بعلم

المعقول والجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لاولياء الله ومن انكر ذلك للاولياء لزمه انكاره للانبياء
وكان خارجا عن الدين بالكلية وقال بعض العارفين انما انقطع الابدال في اطراف الارض واستتروا عن اعين
الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء وقال
سهل التستري ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا
فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان يخوض فيما احب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك
قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا والعوام العصاة اسعد حالا من الجهال بطريق
الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العامي العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم وان
ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائله الى الدنيا من سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال
مستمرا عليه الى الموت واذا غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم للدين
المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما سياتي في كتاب العزلة بيانه ولذلك كتب يوسف بن اسباط الى حذيفة المرعشي
ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا يذكر الله تعالى معه الا كان اثما وكانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله ولقد صدق
فان مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة او عن سماع غيبة او عن سكوت عن منكر واحسن احواله ان يفيد علما او يستفيد علما
ان المستفيد انما يريد ان يجعل ذلك الة في طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له وردءا او ظهيرا ومهيئا
لاسبابه كالذي يبيع السيف من قطاع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو وذلك لا
يرخص في بيعه ممن يعلم بقراين احواله انه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنا عشرة علامة من علامات
علماء الاخرة يجمع كل واحد منها جملا من اخلاق علماء السلف فكن احد الرجلين اما متصفا بهذه الصفات او معترفا
بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلبس على نفسك بان تبدل الة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين
بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الايسين نعوذ بالله من خدع الشياطين فبها هلك
الجمهور فنسال الله تعالى ان يجعلنا ممن لا تغره الحيوة الدنيا ولا يغره بالله الغرور

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه

بيان شرف العقل اعلم ان هذا مما لا يحتاج الى
تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم يجري منه مجرى
الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين وكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والاخرة او كيف يسترا
فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان اعظم البهائم بدنا واشدها ضراوة واقواها سطوة اذا راى صورة
الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه بما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال عليه الصلوة والسلام الشيخ في
قومه كالنبي في امته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك
ترى الاتراك والاكراد واجلاف العرب مع قرب رتبتهم من البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك قصد كثير من المعاندين
قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت اعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلالا على
ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل وشرف العقل مدرك بالضرورة وانما
القصد ان نورد ما وردت به الاخبار والايات في ذكر شرفه وقد سماه الله سبحانه وتعالى نورا في قوله الله نور السموات
والارض ومثل نوره كمشكوة وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحيوة فقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقال او من كان ميتا فاحييناه
وحيث ذكر النور والظلمة اراد به العلم والجهل كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وقد قال صلى الله عليه وسلم
يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجيكم عند ربكم واعلموا
ان العاقل من اطاع الله وان كان ذميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله ورسوله تعالى و

اذ كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير اعقل عند الله ممن
عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانكم من الخاسرين وقال عليه الصلوة والسلام اول ما خلق الله العقل فقال
له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك
اثيب وبك اعاقب فان قلت فهذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهر
قائما بنفسه لا يتحيز فاعلم ان هذا من علم المكاشفة فلا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا علم المعاملة وعن انس رضي
الله عنه قال اثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل
فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاحمق يصيب
بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم وعن عمر انه صلى الله عليه و
سلم قال ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى
يكمل عقله وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى
يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه واطاع ربه وعصى عدوه ابليس وعن ابي سعيد الخدري انه عليه الصلوة والسلام قال لكل شيء
دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفاجر لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب
السعير وعن عمر انه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما سألتك فقال كما قلت ثم قال سألت جبريل ما السودد قال العقل وعن البراء قال كثرت المسائل يوما على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان لكل شيء مطية واحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة افضلكم عقلا وعن
ابي هريرة قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غزوة احد سمع الناس يقولون كان فلان اشجع من فلان وفلان
ابلى ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال انهم قاتلوا
على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على منازل شتى فاذا كان
يوم القيمة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم وعن البراء بن عازب انه صلى الله عليه وسلم قال جد الملائكة و
اجتهدوا في طاعة الله بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فاعلمهم بطاعة الله اوفرهم عقلا وعن عائشة
قالت قلت يا رسول الله باي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم
فقال يا عائشة وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله من العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا
يجزون وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل ولكل شيء مطية
ومطية المرء عقله ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم راع وراع العابدين
العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب
عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذين ينسبون اليه ويذكرون
به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل وقال صلى الله عليه وسلم ان احب المؤمنين الى الله من نصب في
طاعة الله ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فابصر وعمل به ايام حيوته فافلح وانجح وقال صلى الله عليه وسلم اتمكم
عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا

بيان حقيقة العقل واقسامه

اعلم ان الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الاكثر عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار
ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على اربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا
على معان عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي ان يطلب لجميع اقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه **فالاول**
الوصف الذي يفارق الانسان به سائر البهائم وهو الذي به استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية
الفكرية وهو الذي اراده الحارث المحاسبي حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيأ بها درك العلوم النظرية وكانه نور يقذف
في القلب به يستعد لادراك الاشياء ولم ينصف من انكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم
والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة مع فقد العلوم وكما ان الحيوة غريزة يتهيأ بها الجسم للحركات الاختيارية
والادراكات الحسية كذلك العقل غريزة بها يتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز ان يسوى بين الانسان و
الحمار في الغريزة ويقال لا فرق الا ان الله بحكم اجراء العادة يخلق في الانسان علوما وليس يخلقها في الحمار والبهائم لجاز ان يسوى
بين الحمار والجماد في الحيوة ويقال لا فرق الا ان الله تعالى يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة فانه لو قدر الحمار جمادا
ميتا لوجب القول بان كل حركة تشاهد منه فالله قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب ان يقال لم يكن مفارقته للجماد
في الحركات الا بغريزة اختصت بها عبر عنها بالحيوة فكذلك مفارقة الانسان البهيمة في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها
بالعقل وهو كالمرآة التي تفارق غيرها من الاجسام في حكاية الصور والالوان بصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك
العين تفارق الجبهة في هيئات وصفات بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ونسبة
القرآن والشرع الى هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس الى البصر فهكذا ينبغي ان يفهم هذه الغريزة
الثاني هي العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر
من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون في مكانين وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل انه بعض العلوم الضرورية
بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح في نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد
ان ينكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم **الثالث** علوم تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته
التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف به يقال انه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم
يسمى عقلا **الرابع** ان تنتهي قوة تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها
فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم
الشهوة العاجلة وهذا ايضا من خواص الانسان التي بها يتميز عن الحيوان فالاول هو الاس والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع
الاقرب اليه والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمرة
الاخيرة وهي الغاية القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال علي رضي الله عنه العقل عقلان فمطبوع
ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله عليه الصلوة و
السلام ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله عليه الصلوة والسلام اذا تقرب الناس بابواب البر فتقرب
انت بعقلك وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابي انت وامي
وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله وأد فرائض الله تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد في
عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعز وعن سعيد بن المسيب ان عمر وابي بن كعب وابا هريرة
دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال العاقل قالوا فمن اعبد الناس فقال
العاقل قالوا فمن افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت
منزلته فقال عليه الصلوة والسلام ان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين وان العاقل هو المتقي
وان كان في الدنيا خسيسا دنيا وقال في حديث آخر انما العاقل من امن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ويشبه
ان يكون الاسم في اصل اللغة لتلك الغريزة وكذلك في الاستعمال وانما اطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف
الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله فان الخشية ثمرة العلم فيكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس
الغرض البحث عن اللغة والمقصود ان هذه الاقسام الاربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها

الا ان القسم الاول والصحيح وجودها بل هي الاصل وهذه العلوم كانها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر في
الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود حتى كان هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكانها كانت مستكنة
فيه فظهرت ومثاله الماء في الارض فانه يظهر بحفر القني ويجتمع ويتميز بالحس لا بان يساق اليه شيء جديد وكذلك الدهن في اللوز
وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى فالمراد اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا في اقرار الالسنة حيث وجدت الالسنة والاشخاص ولذلك
قال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون معناه ان اعتبرت احوالهم شهدت به نفوسهم وبواطنهم فطرة الله التي فطر
الناس عليها اي كل آدمي فطر على الايمان بالله بل على معرفة الاشياء على ما هي عليها اعني انها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك
ثم لما كان الايمان مركوزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس الى من اعرض فنسي وهم الكفار والى من جال خاطره فتذكر فكان كمن
حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال تعالى لعلكم تتذكرون وليتذكر اولوا الالباب واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه
الذي واثقكم به ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد كان التذكر ضربان احدهما ان تذكر
صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه لكن غابت بعد الوجود والآخر ان يكون عن صورة كانت متضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق
ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من مستروحه السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط في مثل
هذه الايات ويتعسف في تاويل التذكر واقرار النفوس انواعا من التعسفات ويتخايل اليه في الاخبار والايات ضروب من
المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الاعمى الذي يدخل دارا
فيعثر فيها بالاواني المصفوفة في الدار فيقول ما لهذه الاواني لا ترفع من الطريق وترد الى مواضعها فيقال له انها في مواضعها
وانما الخلل في بصرك فكذلك خلل البصيرة يجري مجراه واطم منه واعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس
اضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصر الظاهر قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض وسمى ضده عمى وقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال ومن كان في
هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا وهذه الامور التي كشفت للانبياء بعضها كان بالبصر وبعضها بالبصيرة وسمى
الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين الا قشوره وامثلته دون لبابه وحقائقه فهذه
اقسام ما يطلق اسم العقل عليها

بيان تفاوت الناس في العقل

قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى
للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الاولى المبادرة الى التصريح بالحق والحق الصريح فيه ان التفاوت يتطرق الى الاقسام
الاربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان من عرف ان الاثنين اكثر من الواحد
عرف ايضا استحالة كون الشخص في مكانين وكون الشيء الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل ما يدركه يدركه
ادراكا محققا من غير شك فاما الاقسام الثلثة فالتفاوت يتطرق اليها اما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع
الشهوات لا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت احوال الشخص الواحد وهذا التفاوت تارة يكون لتفاوت
الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن
ترك الزنا واذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الريا والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت
في العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه
في العقل اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن اذا كان علم الطبيب اتم كان خوفه اشد فيكون
الخوف جندا للعقل وعدة في قمع الشهوة وكسرها ولذلك يكون العالم اقدر على ترك المعاصي من الجاهل لقوة
علمه بضرر المعاصي واعني به العالم الحقيقي دون ارباب الطيالسة وارباب الهذيان فان كان التفاوت من جهة
الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا فانه يقوي غريزة العقل
فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه وقد يكون لمجرد التفاوت في غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة
لا محالة اشد اما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وسرعة الادراك
ويكون سببه اما تفاوت في الغريزة واما تفاوت في الممارسة واما الاول وهو الاصل اعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل الى جحده
فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادي اشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفي التدريج الى ان
يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان اوائله يخفى خفاء يشق ادراكه ثم يتدرج الى الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص
الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الاعمش وبين حاد البصر بل سنة الله جارية في جميع خلقه
بالتدريج في الايجاد حتى ان غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذا
جميع القوى والصفات ومن انكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكانه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن ان عقل النبي صلى الله
عليه وسلم مثل عقل احاد الناس من السوادية واجلاف البوادي فهو اخس في نفسه من احاد السوادية وكيف ينكر
تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم والى
ذكي يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الامور دون التعليم كما قال يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
وذلك مثل الانبياء صلوات الله عليهم اذ يتضح لهم في باطنهم امور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله
عبر صلى الله عليه وسلم حيث قال ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك
ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به وهذا النمط من تعريف الملائكة للانبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت
بحاسة الاذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك اخبر عن هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة والخوض
فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظنن ان معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي اذ لا يبعد ان يعرف
الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وان كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر
فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ووليا ولا كل من عرف الورع والتقوى ودقائقه كان تقيا وانقسام الناس الى من
يتنبه ويفهم من نفسه والى من لا يفهم الا بتنبيه وتعليم والى من لا ينفعه التعليم ايضا ولا التنبيه كانقسام الارض الى ما
يجتمع فيه الماء ويقوى فيتفجر بنفسه عيونا والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج الى القنوات والى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس
وذلك لاختلاف جواهر الارض في صفاتها فكذلك هذا ايضا لاختلاف النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت
العقل من جهة النقل ما روي ان ابن سلام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف
عظم العرش وان الملائكة قالت يا رب هل خلقت شيئا اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات
لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال فاني خلقت العقل اصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطي حبة
ومنهم من اعطي حبتين ومنهم الثلث والاربع ومنهم من اعطي فرقا ومنهم وسقا ومنهم اكثر من ذلك فان قلت فما بال اقوام
من المتصوفة يذمون العقل والمعقول فاعلم ان السبب فيه ان الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة
بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على ان يقرروا عندهم انكم اخطأتم في التسمية اذ كان ذلك لا
ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الالسنة فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم فاما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف
الله ويعرف صدق رسوله فكيف يتصور ذمه وقد اثنى الله تعالى عليه وان ذم فما الذي يحمد فان كان المحمود هو الشرع
فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع ايضا مذموما ولا يلتفت الى من يقول انه يدرك
بعين اليقين ونور الايمان وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي عن البهائم حتى ادرك بها حقائق الامور واكثر
هذه التخبطات انما ثارت من جهل اقوام طلبوا الحقائق من الالفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس في الالفاظ وهذا
القدر كاف في بيان العقل والله اعلم بالصواب تم كتاب العلم والحمد لله وحده وصلواته على رسوله محمد وآله وصحبه

لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما يريد به بعين اليقين ونور الايمان

كتاب قواعد العقائد وهو الكتاب الثاني من كتب احياء علوم الدين من ربع
العبادات وفيه اربعة فصول الفصل الاول في ترجمة عقيدة اهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي احد مباني
الاسلام فنقول وبالله التوفيق بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المبدئ المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش
الشديد الهادي صفوة العبيد الى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم
عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم واقتفاء آثار صحبه الاكرمين المكرمين
بالتأييد والتسديد المتجلي لهم في ذاته وافعاله بمحاسن اوصافه التي لا يدركها الا من القى السمع وهو شهيد المعرف اياهم
انه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وانه قديم لا اول له ازلي لا بداية له ابدي لا نهاية له مستمر الوجود
لا آخر له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء وتصرم الآماد
وانقراض الآجال بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن التنزيه وانه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا
يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا
ولا يماثله موجود ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه السموات
وانه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي اراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال
لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء الى تخوم الثرى
فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما انه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك
قريب من كل موجود وهو اقرب الى العبد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا تماثل ذاته ذات
الاجسام وانه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن ان يحويه مكان كما تقدس عن ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان و
المكان وهو الآن على ما عليه كان وانه بائن من خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وانه مقدس عن التغير
والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة
الاستكمال وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار في دار القرار واتماما للنعيم بالنظر
الى وجهه الكريم القدرة وانه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء و
لا موت وانه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه
والخلائق مقهورون في قبضته وانه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم و
قدر ارزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته
العلم وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الارضين الى اعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في
الارض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم
السر واخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم ازلي لم يزل موصوفا به في
ازل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال الارادة وانه مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري
في الملك والملكوت قليل او كثير صغير او كبير خير او شر نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر
فوز او خسر زيادة او نقصان طاعة او عصيان الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا
يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه و
لا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة
والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيئته عجزوا عنه وان ارادته قائمة بذاته في جملة صفاته
لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في ازله لوجود الاشياء في اوقاتها التي قدرها فوجدت في اوقاتها كما اراده في ازله

من غير تقدم وتأخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا تغير دبر الامور لا بترتيب افكار وتربص
زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن السمع والبصر وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع
وان خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام ويرى من غير حدقة واجفان
ويسمع من غير اصمخة واذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما
لا تشبه ذاته ذوات الخلق الكلام وانه متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام ازلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق و
ليس بصوت يحدث من انسلال هواء واصطكاك اجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة او تحريك لسان وان القرآن و
التوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله وان القرآن مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب و
انه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والفراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى سمع كلام الله بغير
صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا
سميعا بصيرا متكلما بالحياة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات الافعال وانه لا موجود
سواه الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على احسن الوجوه واكملها واتمها واعدلها وانه حكيم في افعاله عادل في اقضيته
ولا يقاس عدله بعدل العباد اذ العباد يتصور منهم الظلم بتصرفهم في ملك غيرهم ولا يتصور الظلم من الله فانه لا يصادف
لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من جن وانس وشيطان وملك وسماء وارض وحيوان ونبات وجماد وجوهر
وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشأه انشاء بعد ان لم يكن شيئا اذ كان في الازل موجودا
وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق بعد ذلك اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا
لافتقاره اليه وحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح
لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على ان يصب على عباده انواع العذاب ويبتليهم
بضروب الآلام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما وانه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم
والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لاحد عليه حق وان حقه في الطاعات
وجب على الخلق بايجابه على لسان انبيائه لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره و
نهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤوا به معنى الكلمة الثانية وهي شهادة الرسول بالرسالة وانه
بعث النبي الامي القرشي محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرائع الا ما قرره
وفضله على سائر الانبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم تقترن بها
شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه في الدنيا والآخرة وانه لا يتقبل
ايمان عبد حتى يؤمن بما اخبر عنه بعد الموت واوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد في
قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر
وسؤالهما اول فتنة بعد الموت وان يؤمن بعذاب القبر وانه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء ويؤمن
بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته في العظم انه مثل طباق السموات والارض توزن فيه الاعمال بقدرة الله والسنج
يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل ويطرح صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان
على قدر درجاتها عند الله بفضل الله ويطرح صحائف السيئات في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله وان يؤمن بان
الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم احد من السيف وادق من الشعر تزل عليه اقدام الكافرين بحكم الله فتهوي بهم
الى النار ويثبت عليه اقدام المؤمنين فيساقون الى دار القرار وان يؤمن بالحوض المورود حوض محمد عليه الصلاة والسلام يشرب
منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا عرضه مسيرة شهر ماؤه اشد بياضا من

اللبن واحلى من العسل حوله اباريق عددها بعدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان من الكوثر وان يؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسأل من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسأل المبتدعة عن السنة ويسأل المسلمين عن الاعمال وان يؤمن باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تعالى وان يؤمن بشفاعة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين كل على حسب جاهه ومنزلته ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع اخرج بفضل الله تعالى فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وان يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم وان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وان يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما اثنى الله تعالى ورسوله عليهم اجمعين وكل ذلك مما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من اهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسأل الله تعالى كمال اليقين والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين انه ارحم الراحمين

الفصل الثاني في وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد ما ذكرناه من ترجمة العقيدة ينبغي ان يقدم الى الصبي في اول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله على قلب الانسان ان شرحه في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه فلا بد من تقويته واثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته واثباته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من انوار العبادات ووظائفها وما يسري اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وهيئاتهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له فيكون اول التلقين كالقاء بذر في الصدر وتكون هذه الاسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي ان يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل يضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بان تكثر اجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الاغلب والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا وناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة اهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الريح مرة هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا اذ لا فرق بين التقليد في تعلم الدليل او تعلم المدلول فتلقن الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوه على هذه العقيدة ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد الحق اذ لم يكلف الشرع اجلاف العرب اكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فاما البحث والتفتيش وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوه اصلا وان اراد ان يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له ابواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور الهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده تعالى اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية ايمان الصديقين والمقربين واليه الاشارة بالسر الذي وقر في قلب ابي بكر الصديق رضي الله عنه

حيث فضل الخلق بانكشاف ذلك السر له وتلك الاسرار لها درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه وسائر العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه مسألة فان

قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم او هو مباح او مندوب اليه **فاعلم** ان للناس في هذا غلوا واسرافا في اطراف فمن قائل انه بدعة وحرام وان العبد ان يلقى الله بكل ذنب سوى الشرك خير له من ان يلقاه بالكلام ومن قائل انه واجب وفرض اما على الكفاية او على الاعيان وانه افضل الاعمال واعلى القربات فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله الى التحريم ذهب الشافعي ومالك واحمد بن حنبل وسفيان وجميع اهل الحديث من السلف قال ابو عبد الاعلى سمعت الشافعي يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول لان يلقى الله تعالى العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من ان يلقاه بشيء من الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا اقدر ان احكيه وقال ايضا قد اطلعت من اهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولان يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من ان ينظر في الكلام وحكى الكرابيسي ان الشافعي سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا يعني حفصا الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما انت فيه وقال ايضا لو علم الناس ما في الكلام من الاهواء لفروا منه فرارهم من الاسد وقال ايضا اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهد بانه من اهل الكلام ولا دين له وقال الزعفراني قال الشافعي حكمي في اصحاب الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واخذ في الكلام وقال احمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام ابدا ولا تكاد ترى احدا نظر في الكلام الا وفي قلبه دغل وبالغ فيه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة وقال ويحك الست تحكي بدعتهم اولا ثم ترد عليهم الست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك الى الرأي والبحث وقال احمد علماء الكلام زنادقة وقال مالك ارأيت ان جاءه من هو اجدل منه ايدع دينه كل يوم لدين جديد يعني ان اقوال المجادلين تتفاوت وقال مالك لا تجوز شهادة اهل البدع والاهواء فقال بعض اصحابه في تأويله انه اراد باهل الاهواء اهل الكلام على اي مذهب كانوا وقال ابو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجالسوا اهل الاهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق اهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع انهم اعرف بالحقائق وافصح بترتيب الالفاظ الا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون اي المتعمقون في البحث والاستقصاء واحتجوا ايضا بان ذلك لو كان من الدين لكان ذلك اهم ما يأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثني على اربابه فقد علمهم الاستنجاء وندبهم الى حفظ الفرائض واثنى عليهم ونهاهم عن الكلام في القدر وقال صلى الله عليه وسلم امسكوا وعلى هذا استمر الصحابة والزيادة على الاستاذ طغيان وظلم وهم الاستاذون والقدوة ونحن الاتباع والتلامذة واما الفرقة الاخرى فانهم احتجوا بان المحذور من الكلام ان كان هي لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم يعهدها الصحابة فالامر فيه قريب اذ ما من علم الا وقد احدث فيه اصطلاحات لاجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع لما كانوا يفهمونه فاحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وان كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به الا معرفة الدليل على حدث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء به الشرع فمن اين تحرم معرفة الله بالدليل وان كان المحذور هو التشغب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي اليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما ان الكبر والرياء وطلب الرياسة مما يفضي اليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لاجل ادائه اليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم

وقال ليهلك من هلك عن بينة وقال هل عندكم من سلطان اي من حجة وبرهان وقال فلله الحجة البالغة وقال الم تر الى
الذي حاج ابرهيم الى قوله فبهت الذي كفر اذ ذكر احتجاج ابرهيم ومجادلته وافحامه خصمه في معرض الثناء عليه وقال و
تلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه وقال تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وقال في قصة فرعون وما رب العالمين
الى قوله اولو جئتك بشيء مبين وعلى الجملة فالقران من اوله الى اخره محاجة مع الكفار فعمدة ادلة المتكلمين في التوحيد قوله
تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي البعث قوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة الى غير ذلك من الادلة ولم يزل
الرسل يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى وجادلهم بالتي هي احسن والصحابة ايضا كانوا يجادلون عند الحاجة وكانت
الحاجة اليه قليلة في زمانهم واول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق علي رضي الله عنه اذ بعث ابن عباس الى الخوارج
بكلمهم فقال ما تنقمون على امامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم قال ذلك في قتال الكفار ارايتم لو سبيت عائشة في يوم الجمل
فوقعت في سهم احدكم اكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي امكم في نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم الى الطاعة بجداله
الفان وروي ان الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر علي بن ابي طالب رضي الله عنه رجلا من القدرية وناظر عبد الله
بن مسعود يزيد بن عميرة في الايمان قال عبد الله لو قلت انا مؤمن لقلت انا في الجنة فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله
هذه زلة منك وهل الايمان الا ان نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان ونقيم الصلوة والزكوة والصوم
ولنا ذنوب لو نعلم انها تغفر لنا لعلمنا انا من اهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله انها مني لزلة فينبغي ان يقال كان خوضهم فيه
قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة فيقال اما قلة خوضهم فكانت لقلة
الحاجة اذ لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان واما القصر فقد كان الغاية افحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق فلو طال اشكال
الخصم لطال لا محالة الزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ومكيال بعد الشروع فيها واما عدم تصديهم للتدريس
والتصنيف فهكذا كان في الفقه والتفسير والحديث ايضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تتفق الا
على الندور اما ادخارا ليوم وقوعها وان كان نادرا او تشحيذا للخاطر فنحن ايضا نرتب طرق المحاجة لتوقع وقوع الحاجة بثوران
شبهة وهيجان مبتدع او لتشحيذ الخاطر او لادخار الحجة حتى لا يعجز عنه عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد
السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن ان يذكر للفريقين فان قلت فما المختار فيه عندك فاعلم ان
الحق فيه ان اطلاق القول بذمه في كل حال او بحمده في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل فاعلم اولا ان الشيء قد يحرم
لذاته كالخمر والميتة واعني بقولي لذاته ان علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار والموت وهذا اذا سئلنا عنه
اطلقنا القول بانه حرام ولا نلتفت الى اباحة الميتة عند الاضطرار واباحة تجرع الخمر اذا غص الانسان بلقمة ولم
يجد ما يسيغها به سوى الخمر وما يحرم لغيره كالبيع على بيع اخيك في وقت الخيار والبيع في وقت النداء وكاكل الطين فانه
يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم الى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بانه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره
والى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره يضر بالمحرور وكاكل الطين وكان اطلاق التحريم
على الطين والتحليل على العسل التفات الى اغلب الاحوال فان تصدى شيء تقابلت فيه الاحوال فالاولى والابعد
عن الالتباس ان نفصل فنعود الى علم الكلام ونقول ان فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع
حلال او مندوب او واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام اما مضرته فاثارة
الشبهات وتحريك العقائد وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف
فيه الاشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر في تاكيد اعتقاد المبتدعة وتثبيتها في صدورهم بحيث تنبعث
دواعيهم ويشتد حرصهم على الاصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى
المبتدع العامي يمكن ان يزال اعتقاده باللطف في اسرع زمان الا اذا كان نشؤه في بلد يظهر فيه الجدل والتعصب فانه

لو اجتمع عليه الاولون والاخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين
وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد ان يكشف الله لك الغطاء فيعرفك بالعيان
ان الحق مع خصمك كره ذلك خيفة من ان يفرح به خصمه وهذا هو الداء العظيم الذي استطار في البلاد والعباد
وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره واما منفعته فقد يظن ان فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما
هي عليها وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه اكثر من الكشف والتعريف و
هذا اذا سمعته من محدث او حشوي ربما خطر ببالك ان الناس اعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد
حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه الى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق في علوم اخر تناسب نوع الكلام و
تحقق ان الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وايضاح لبعض الامور
ولكن على الندور وفي امور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها
على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بانواع الجدل فان العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا و
معارضة الفاسد بالفاسد يدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها اذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح
دينهم ودنياهم واجتمع السلف الصالح عليها والعلماء متعبدون بحفظ ذلك على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ
اموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب واذا وقعت الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغي ان يكون كالطبيب الحاذق في استعمال
الدواء الخطر اذ لا يضعه الا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة وتفصيله ان العوام المشغولين بالحرف
والصناعات يجب ان يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فان تعليمهم الكلام
ضرر محض في حقهم اذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح واما العامي المعتقد
للبدعة فينبغي ان يدعى الى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق ادلة
القران والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فان ذلك انفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين اذ العامي اذا سمع ذلك اعتقد
انه نوع صنعة تعلمها المتكلم ليستدرج الناس الى اعتقاده فان عجز عن الجواب قدر ان المجادلين من مذهبه ايضا يقدرون على
دفعه فالجدل مع هذا ومع الاول حرام وكذا من وقع له شك اذ الحاجة ازالته باللطف والوعظ والادلة القريبة المقبولة البعيدة
عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل وانما ينفع في موضع واحد وهو ان يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل
ذلك الجدل بمثله فيعود الى اعتقاد الحق وذلك لمن ظهر له من الانس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات
العامية فقد انتهى هذا الى حالة لا يشفيه الا دواء الجدل فجاز ان يلقى اليه واما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها
المذاهب فنقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا نتعرض للادلة ونتربص وقوع شبهة فان وقعت ذكر
بقدر الحاجة فان كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان ان يخدعوا فلا باس ان يعلموا القدر الذي اودعناه
كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تاثير مجادلات المبتدعة ان وقعت اليهم وهذا مقدار مختصر وقد اودعناه
هذا الكتاب لاختصاره فان كان فيه ذكاء تنبه بذكائه لموضع سؤال او ثار في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة
وظهر الداء فلا باس ان يرقى منه الى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه
خروج عن النظر في قواعد العقائد الى غير ذلك من مباحث المتكلمين فان اقنعه ذلك كف عنه وان لم يقنعه ذلك فقد
صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر امكانه وينتظر قضاء الله فيه الى ان ينكشف له
الحق بتنبيه من الله سبحانه او يستمر على الشك والشبهة الى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات
هو الذي يرجى نفعه فاما الخارج منه فقسمان احدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات والاكوان وعن
الادراكات والخوض في ان الرؤية هل لها ضد يسمى المنع او العمى وان كان فذلك واحد هو منع جميع ما لا يرى او ثبت لكل

بريء يمكن رؤيته منع بحسب عدده الى غير ذلك من الترهات المضلة والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الادلة في غير
تلك القواعد وزيادة اسئلة واجوبة وذلك ايضا استقصاء لا يزيد الا ضلالا وجهلا في حق من لم تقنعه ذلك الكلام فرب
الكلام يزيده الاطناب والتقرير غموضا ولو قال قائل البحث عن حكم الادراكات والاعتمادات فيها تشحيذ الخاطر والخاطر
آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين وذلك هوس فان الخاطر
يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف منها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحالة التي تذم فيها و
الحالة التي تحمد والشخص الذي ينتفع به والذي لا ينتفع فان قلت مهما اعترفت بالحاجة اليه في دفع المبتدع والآن قد ثارت البدع
وعمت البلوى وارهقت الحاجة فلا بد وان يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الاموال وسائر الحقوق
كالقضاء والولاية وغيرها وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في
مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي ان يكون التدريس فيه ايضا من فروض الكفايات بخلاف زمان الصحابة فان
الحاجة ما كانت ماسة اليه فاعلم ان الحق انه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك
يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء
وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من انواع الضرر فالعالم به ينبغي ان يخصص بتعليم هذا العلم
من فيه ثلاث خصال احداها التجرد للعلم والحرص عليه فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وازالة الشكوك اذا عرضت
والثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فان البليد لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام
ولا يرجى فيه نفعه والثالثة ان يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا يكون الشهوات غالبة عليه فان الفاسق
بادنى شبهة ينخلع عن الدين فان ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد بينه وبين الملاذ فلا يحرص على ازالة الشبهة بل يغتنمها
ليتخلص من اعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم اكثر مما يصلحه واذا عرفت هذه الانقسامات اتضح
لك ان الحجة المحمودة في الكلام ما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل
في التقسيمات والتدقيقات التي لا يفهمها اكثر الناس واذا فهموها اعتقدوا انها شعوذة وصنعة تعلمها صاحبها
للتلبيس فاذا قابله مثله في الصنعة قاومه وعرفت ان الشافعي وكافة السلف انما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من
الضرر الذي نبهنا عليه وان ما نقل عن ابن عباس من مناظرة الخوارج وما نقل عن علي رضي الله عنه من المناظرة في القدر وغيره
كان من الكلام الظاهر الجلي وفي محل الحاجة وذلك محمود في كل حال نعم قد تختلف الاعصار في كثرة الحاجة وقلتها ولا
يبعد ان يختلف الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها واما ازالة الشبهة
وكشف الحقائق ومعرفة الاشياء على ما هي عليها وادراك الاسرار التي يترجمها ظاهر الفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له
الا المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالكلية على الله وملازمة الفكر الصافي عن شوائب المجادلات وهي رحمة من الله تفيض على من
يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبقدر قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ
ساحله مسألة فان قلت هذا الكلام مشير الى ان هذه العلوم لها ظواهر واسرار وبعضها جلي يبدو اولا وبعضها خفي تتضح
آخرا بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شيء من اشغال سوى المطلوب وهذا يكاد يكون
مخالفا للشرع اذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فاعلم ان انقسام هذه العلوم
الى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وانما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في اوائل الصبى شيئا وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترق
الى شأو العلى ومقامات العلماء والاولياء وذلك ظاهر من ادلة الشرع قال عليه الصلاة والسلام ان للقرآن ظاهرا وباطنا
وحدا ومطلعا وقال علي رضي الله عنه واشار الى صدره ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وقال عليه الصلاة والسلام
نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم وقال ما حدث احد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الا كان فتنة

عليهم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال عليه الصلاة والسلام ان من العلوم كهيئة
المكنون لا يعرفها الا العالمون بالله الحديث الى آخره كما اوردناه في كتاب العلم وقال عليه الصلاة والسلام لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعري ان لم يكن ذلك سرا منع من افشائه لقصور الافهام عن دركه او لمعنى آخر فلم لم يذكره
لهم ولا شك في انهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس في قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيره لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم انه كافر وقال صلى الله عليه وسلم ما فضلكم ابو بكر بكثرة
صيام وصلاة ولكن بسر وقر في صدره ولا شك في ان ذلك كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد
الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره وقال سهل التستري للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا
يسعه اظهاره الا لاهله وعلم هو بينه وبين الله لا يظهره لاحد وقال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم
للربوبية سر لو اظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سر لو اظهروه لبطلت الاحكام وهذا
القائل ان لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح انه لا تناقض وان الكامل
من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ومدار الورع النبوة **مسألة** فان قلت هذه الآيات والاخبار يتطرق اليها تأويلات
فبين كيفية اختلاف الظاهر والباطن فان الباطن ان كان مناقضا للظاهر ففيه ابطال الشرع وهو قول من قال ان
الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لان الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وان كان لا يناقضه ولا يخالفه
فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا فاعلم ان هذا السؤال يحرك خطبا
عظيما وينجر الى علوم المكاشفات ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فان العقائد التي ذكرناها من
اعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بان يتوصل الى ان ينكشف لنا حقائقها
فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا انه من الاعمال لما اوردناه في هذا الكتاب ولولا انه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما
اوردناه في الشطر الاول من الكتاب وانما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك
خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فمن قال ان الحقيقة تخالف الشريعة او الباطن يناقض
الظاهر فهو الى الكفر اقرب منه الى الايمان بل الاسرار التي يختص المقربون بدركها ولا يشاركهم الاكثرون في علمها ويمتنعون
عن افشائها اليهم ترجع الى خمسة اقسام القسم الاول ان يكون الشيء في نفسه دقيقا يكل اكثر الافهام عن دركه فيختص
بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوه الى غير اهله اذ يصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر افهامهم عن الدرك واخفاء سر
الروح وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما تكل الافهام عن دركه وتقصر الاوهام
عن تصور كنهه ولا تظنن ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف
نفسه فكيف يعرف ربه ولا يبعد ان يكون ذلك مكشوفا لبعض الاولياء والعلماء وان لم يكونوا انبياء ولكنهم يتأدبون
بادب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل في صفات الله سبحانه من الخفايا ما تقصر افهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم منها الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى
علمهم وقدرتهم اذ كان لهم من الاوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما
ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيء لم يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكرت للصبي او العنين لم يفهمها الا بمناسبة الى لذة
المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم اكثر من المخالفة
بين لذة الجماع والاكل وبالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه وصفات نفسه مما هو حاضر له في الحال او مما كان له
من قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بان بينهما تفاوتا في الشرف والكمال فليس في قوة البشر الا ان
يثبت لله ما هو ثابت في نفسه من العلم والفعل والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بان ذلك اكمل واشرف فيكون

منظم يجمع على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال عليه الصلوة والسلم لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك وليس المعنى به اني عجزت عن التعبير عما ادركته بل هو اعتراف بالقصور عن ادراك جلاله ولذلك
قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله وقال الصديق رضي الله عنه الحمد لله الذي لم يجعل سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته
ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض وهو ان احد الاقسام ما يكل الافهام عن دركه ومن جملته الروح و
من جملته صفات الله ولعل الاشارة الى مثله في قوله عليه الصلوة والسلم ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت
سبحات وجهه كل ما ادركه بصره **القسم الثاني** من الخفيات التي يمتنع الانبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في
نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين ولا يضر بالانبياء والصديقين وسر القدر الذي منع اهل العلم عن
افشائه من هذا القسم ولا يبعد ان يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما
يضر رياح الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر والزنا والمعاصي والشرور بقضاء الله وارادته ومشيته حق في
نفسه وقد اضر سماعه بقوم اذ اوهم ذلك عندهم دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم فقد الحد
وطائفة من المخذولين بمثل ذلك وكذلك سر القدر لو افشي لاوهم عند اكثر الخلق عجزا اذ تقصر افهامهم عن درك ما يزيل ذلك
الوهم عنهم ولو قال قائل ان القيامة لو ذكر ميقاتها وانها بعد الف سنة او اكثر او اقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر
لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الامد واذا استبطات النفوس وقت العقاب قل اكتراثها و
لعلها كانت قريبة في علم الله ولو ذكرت لعظم الخوف واعرض الناس عن الاعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون
مثالا لهذا القسم **القسم الثالث** ان يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه
على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم وقع ذلك الامر في قلبه كما لو قال قائل
رايت فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير فكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره
والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت
الناس بذلك ومن هذا قول الشاعر شعر رجلان خياط واخر حائك متقابلان على السماء الاول لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر
ويخيط صاحبه ثياب المقبل فانه عبر عن سبب سماوي في الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع الى التعبير
عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى او مثله ومنه قوله عليه الصلوة والسلم ان المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي
الجلدة في النار وانت ترى ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه ان روح المسجد معناه كونه معظما ورمي النخامة فيه
تحقير فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال اجزاء الجلدة وكذلك قوله اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول
الله راسه راس حمار وذلك من حيث الصورة قط لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن اذ راس الحمار لم يكن بحقيقته
للونه وشكله بل لخاصيته وهي البلادة والحمق ومن رفع راسه قبل الامام فقد صار راسه راس حمار في معنى البلادة والحمق
وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق ان يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان
وانما يعرف ان هذا السر على خلاف الظاهر اما بدليل عقلي او شرعي اما العقلي فان يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله عليه الصلوة
والسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اذ لو فتشنا عن صدور المؤمنين فلم نجد فيها اصابع فعلم انها كناية عن
القدرة التي هي سر الاصابع وروحها الخفي وكنى بالاصابع عن القدرة لان ذلك اعظم وقعا في تفهيم تمام الاقتدار ومن
هذا القبيل كنايته عن الاقتدار بقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فان ظاهره ممتنع اذ قوله كن ان كان
خطابا للشيء قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وان كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين
ولكن لما كانت هذه الكناية اوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل اليه واما المدرك بالشرع فهو ان يكون اجراؤه على الظاهر
ممكنا ولكن يروى انه اريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى وانزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الاية فان معنى

الماء هو القرآن ومعنى الاودية القلوب وان بعضها احتملت شيئا كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل الكفر
والنفاق فانه وان ظهر وطفا على راس الماء فانه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس تمكث وفي هذا القسم تعمق جماعة فاولوا ما ورد
في الاخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة اذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية واجراؤه على الظاهر غير محال فيجب اجراؤه
على الظاهر **القسم الرابع** ان يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا له
فيتفاوت العلمان ويكون الاول كالقشر والثاني كاللب والاول كالظاهر والاخر كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان شخص في عينه
في الظلمة او على البعد فيحصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخير ضد الاول
بل هو استكمال له فكذلك في العلم والايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن
تحققه به عند الوقوع اكمل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان في الشهوة والعشق وسائر الاحوال ثلثة احوال متفاوتة و
ادراكات متباينة الاول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والآخر عند وقوعه والآخر بعد تصرمه فان تحققك بالجوع بعد
الزوال يخالف التحقق به قبل الزوال فكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالنسبة بالاضافة
الى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الاقسام الاربعة تتفاوت الخلق وليس في شيء منها باطن
يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر **القسم الخامس** ان يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر
الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال
سل من يدقني ولم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى فقال لها و
للارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فالبليد يفتقر في فهمه الى ان يقدر لهما حياة وعقلا وفهما للخطاب وخطابا
هو صوت وحرف تسمعه الارض فتجيب بصوت وحرف وتقول اتينا طائعين والبصير يعلم ان ذلك لسان الحال وانه انباء عن
كونه مسخرا بالضرورة ومضطرا الى التسخر ومن هذا قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده فالبليد يفتقر فيه الى ان يقدر للجماد حياة و
عقلا ونطقا وصوتا وحرفا حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم انه ما اريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده
ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله كما يقال وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها
بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى انها تقول اشهد ولكن بالذات والحال وكذلك ما من شيء الا وهو محتاج في نفسه الى موجد يوجده
ويبقيه ويديم اوصافه ويردده في اطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين
على الظواهر ولذلك قال تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم اما القاصرون فلا يفقهون اصلا واما المقربون والعلماء الراسخون
فلا يفقهون كنهه وكماله اذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس الله وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد
تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة فهذا ايضا مما يتفاوت ارباب الظواهر وارباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الباطن
للظاهر وفي هذا المقام لارباب المقامات اسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر او اكثرها
حتى حملوا قوله تعالى وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم وقوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق
كل شيء وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي الميزان والحساب ومناظرات اهل النار واهل الجنة في قولهم
افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله زعموا ان كل ذلك بلسان الحال وغلا آخرون في حسم الباب منهم احمد بن حنبل حتى منع
تاويل قوله كن فيكون وزعموا ان ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كل مكون حتى سمعت بعض
اصحابه انه حسم باب التاويل الا لثلثة الفاظ قوله عليه الصلوة والسلم الحجر الاسود يمين الله في الارض وقوله قلب المؤمن بين اصبعين
من اصابع الرحمن وقوله اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن ومال الى حسم الباب ارباب الظواهر والظن باحمد بن حنبل
انه علم ان الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التاويل حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق
فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الامر عن الضبط وجاوز حد الاقتصاد اذ حد الاقتصاد لا ينضبط ولا باس بهذا الز

ويشهد لسيرة السلف فانهم كانوا يقولون امروها كما جاءت حتى قال مالك لما سئل عن الاستواء الاستواء معلوم و
الكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طايفة الى الاقتصاد ففتحوا باب التاويل في كل ما يتعلق
بصفات الله وتركوا ما يتعلق بالاخرة على ظواهرها ومنعوا التاويل وهم الاشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى اولوا من صفات
الله الرؤية واولوا كونه سميعا بصيرا واولوا المعراج وزعموا انه لم يكن بالجسد واولوا عذاب القبر والميزان والصراط و
جملة من احكام الاخرة ولكن اقروا بحشر الاجساد وبالجنة واشتمالها على المأكولات والمشروبات والمنكوحات والملاذ
المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق للجلود ومحرق ويذيب الشحوم ومن ترقيهم الى هذا الحد زاد الفلاسفة
فاولوا كل ما ورد في الاخرة وردوها الى آلام عقلية روحانية ولذات عقلية وانكروا حشر الاجساد وقالوا ببقاء
النفس وانها تكون اما معذبة واما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم المسرفون وحد الاقتصاد ما بين هذا
الانحلال وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون الذين يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع ثم اذا انكشف
لهم اسرار الامور على ما هي عليها نظروا الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف
اولوه فاما من ياخذ معرفة هذه الامور من السمع المجرد فلا يستقر له فيه قدم ولا يتعين له موقف والاليق بالمقتصر على
السمع المجرد مقام احمد بن حنبل والان فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الامور داخل في علم المكاشفة والقول
فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن للظاهر وانه غير مخالف له وقد انكشف بهذه الاقسام الخمسة واذا راينا
ان نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وانهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الاولى الا اذا كان خوف تشويش
لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية الى عقيدة فيها لوامع من الادلة مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب
تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه لاهل القدس وسميناه الرسالة القدسية وهي مودعة في هذا الفصل الفصل

الثالث من كتاب قواعد العقائد في لوامع الادلة للعقيدة التي ترجمناها بقولنا بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بانوار اليقين واثر رهط الحق بالهداية الى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائغين و
ضلال الملحدين ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتاسي بصحبه الاكرمين ويسر لهم اقتفاء اثار السلف الصالحين
حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الاولين وعقائدهم بالمنهج المبين فجمعوا بالقبول بين نتائج
العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا ان النطق بما تعبدوا به من قول لا اله الا الله محمد رسول الله ليس له طائل و
محصول ان لم تتحقق الاحاطة بما يدور عليه هذه الشهادة من الاقطاب والاصول وعرفوا ان كلمتي الشهادة على ايجازها
تتضمن اثبات ذات الاله واثبات صفاته واثبات افعاله واثبات صدق الرسول فعلموا ان بناء الايمان على هذه
الاركان وهي اربعة ويدور كل ركن على عشرة اصول الركن الاول في معرفة ذات الله ومداره على عشرة
اصول وهي العلم بوجود الله وقدمه وبقائه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا
على مكان وانه مرئي وانه واحد الركن الثاني في صفاته ويشتمل على عشرة اصول وهي العلم بكونه حيا عالما قادرا
سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وانه قديم العلم والكلام والارادة الركن الثالث في افعاله
تعالى ومداره على عشرة اصول وهي ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة لله وانه متفضل
بالخلق وان له تكليف ما لا يطاق وله ايلام البريء ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع وان بعثة
الانبياء جائزة وان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات الركن الرابع في السمعيات وهو اثبات
الحشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامامة الركن الاول
من اركان الايمان معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة اصول الاصل الاول معرفة وجوده تعالى واولى ما
يستضاء به من الانوار ويسلك من طريق الاعتبار ما ارشد اليه القرآن فليس بعد بيان الله بيان وقد قال تعالى الم نجعل الارض

مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم
سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا وقال
تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من
السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض
لايات لقوم يعقلون وقال تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس
سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وقال تعالى افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن
الخالقون الى قوله تعالى نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فليس يخفى على من معه ادنى مسكة اذا تامل بادنى
فكرة مضمون هذه الايات وادار نظره على عجائب خلق الله في الارض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات ان
هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل يكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة
تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال تعالى افي الله شك فاطر السموات والارض ولهذا بعث الانبياء كلهم
لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا الله وما امروا ان يقولوا لنا اله وللعالم اله فان ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم
من مبدإ نشوهم وفي عنفوان شبابهم ولذلك قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى
فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذن في فطرة الانسان و
شواهد القرآن ما يغني عن اقامة البرهان ولكن على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول من بداهة العقول
ان الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب اما قولنا الحادث لا يستغني عن سبب فجلي فان كل حادث فهو مختص بوقت
يجوز في العقل تقديمه وتاخيره فاختصاصه بوقته دون ما بعده وما قبله يفتقر بالضرورة الى المخصص واما قولنا العالم
حادث فبرهانه ان اجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ففي هذا
البرهان ثلاث دعاوى الاولى ان الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيه
الى تامل وافتكار فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا والثانية قولنا انهما
حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الاجسام وما لم يشاهد فما من
ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك الا والعقل قاض بجواز سكونه فالطاري منهما حادث لطريانه والسابق
حادث لانه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سياتي بيانه في اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس والثالثة قولنا ما لا يخلو
عن الحوادث فهو حادث وبرهانه انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا اول لها ولو لم تنقض تلك بجملتها
لا تنتهي النوبة الى وجود الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولانه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها
لكان لا يخلو عددها عن ان يكون شفعا او وترا او شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا ومحال ان يكون شفعا ووترا
جميعا او لا شفعا ولا وترا فان ذلك جمع بين النفي والاثبات اذ في اثبات احدهما نفي للاخر وفي نفي احدهما اثبات الاخر
ومحال ان يكون شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحد فكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال ان يكون وترا اذ الوتر يصير
شفعا بزيادة واحد فكيف يعوزها واحد مع انه لا نهاية لاعدادها فيحصل من هذا ان العالم لا يخلو عن الحوادث فهو اذن
حادث فاذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة الاصل الثاني العلم بان الباري تعالى قديم
لم يزل ازلي ليس لوجوده اول بل هو اول كل شيء وقبل كل ميت وحي وبرهانه انه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو ايضا
الى المحدث وافتقر محدثه الى محدث وتسلسل ذلك الى غير نهاية وما تسلسل لم يتحصل او ينتهي الى محدث قديم هو الاول
وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم وبارئه ومحدثه ومبدئه الاصل الثالث العلم بانه مع كونه ازليا ابديا
ليس لوجوده آخر فهو الاول والاخر والظاهر والباطن لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم لكان لا يخلو اما

ان ينعدم بنفسه او يعدم بضاده ولو جاز ان ينعدم شئ بتصور دوامه بنفسه لجاز ان يوجد شئ بنفسه فكما يحتاج طريان
الوجود الى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم الى سبب وباطل ان ينعدم بمعدم يضاده لان ذلك المعدم لو كان قديما
لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده وان كان
الضد المعدم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده باولى من القديم في مضادته للحادث
حتى يدفع وجوده بل الدفع اهون من القطع والقديم اقوى من الحادث **الاصل الرابع** العلم بانه ليس بجوهر متحيز بل
يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان يكون ساكنا فيه او متحركا
عنه فلا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان
يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسمي جوهرا ولم يرد المتحيز كان مخطئا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى **الاصل الخامس**
العلم بانه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر واذا بطل كونه جوهرا مخصوصا بحيز
بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر وجوهر فيستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون
والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدث ولو جاز ان يعتقد ان صانع العالم جسم لجاز ان يعتقد الالهية للشمس والقمر
او لشئ اخر من اقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير ارادة التاليف من الجواهر كان ذلك غلطا
في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم **الاصل السادس** العلم بانه تعالى ليس بعرض قائم بجسم او حال في محل لان
العرض ما يحل في الجسم وكل جسم فهو حادث ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الازل
وحده وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض بعده لانه عالم قادر مريد خالق كما سياتي بيانه وهذه الاوصاف
تستحيل على الاعراض بل لا يعقل الا لموجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم وان العالم كله جواهر واعراض و
اجسام فاذن لا يشبه شيئا ولا يشبهه شئ بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شئ وانى يشبه المخلوق خالقه والمقدر المصور
مقدره ومصوره والاجسام والاعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته **الاصل
السابع** العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة اما فوق واما اسفل واما يمين او شمال او
قدام او خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها واحدثها بواسطة خلق الانسان اذ خلق له طرفين احدهما يعتمد على
الارض ويسمى رجلا والاخر يقابله ويسمى راسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الراس واسم السفل لما يلي جهة الارض حتى ان
النملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا وان كان في حقنا فوقا وخلق للانسان
اليدين واحديهما اقوى من الاخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى والشمال لما يقابله وسمي الجهة التي تلي اليمين يمينا و
الاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من احدهما ويتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها
فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود
البتة فكيف كان في الازل مختصا بجهة والجهة حادثة او كيف صار جهيا بعد ان لم يكن له ابان خلق العالم تحته وتعالى ان يكون له
تحت اذ تعالى ان يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولان المعقول من كونه مختصا بجهة انه
مختص بالحيز اختصاص الجوهر او مختص بالجوهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا او عرضا فاستحال كونه
مختصا بجهة وان اريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى ولانه لو كان فوق العالم
لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم فاما ان يكون مثله او اصغر او اكبر وكل ذلك تقدير محوج الى مقدر ويتعالى عنه الخالق
المدبر فاما رفع الايدي عند السؤال الى جهة السماء فهو لانها قبلة الدعاء وفيه ايضا اشارة الى ما هو وصف للمدعو من الجلال
والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء **الاصل الثامن**
العلم بانه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي اراده الله تعالى بالاستواء وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه سمات

الحدوث والفناء وهو الذي اريد بالاستواء الى السماء حيث قال في القران ثم استوى الى السماء وهي دخان و
ليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق و
اضطر اهل الحق الى هذا التاويل كما اضطر اهل الباطل الى تاويل قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم اذ حمل بالاتفاق على
الاحاطة والعلم وحمل قوله عليه الصلوة والسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل
قوله عليه الصلوة والسلم الحجر يمين الله في الارض على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء
لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله او اكبر او اصغر وذلك محال وما يؤدي الى
المحال محال **الاصل التاسع** العلم بانه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والاقطار مرئي
بالاعين والابصار في الدار الاخرة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا يرى في دار الدنيا تصديقا لقوله تعالى
لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ولقوله تعالى في خطاب موسى لن تراني وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفة
رب الارباب ما جهله موسى وكيف سال موسى الرؤية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوي البدع والاهواء من الجهلة الاغبياء
اولى بالجهل بالانبياء واما وجه اجراء اية الرؤية على الظاهر فانه غير مؤدي الى المحال فان الرؤية نوع كشف وعلم الا انه اتم و
اوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وكما يجوز ان يرى الله الخلق وليس في مقابلتهم جاز
ان يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز ان يعلم من غير كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك من غير كيفية وصورة **الاصل
العاشر** العلم بان الله واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والابداع واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له يساميه
ويساويه ولا ضد له فينازعه وينافيه وبرهانه قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وبيانه انه لو كانا اثنين واراد
احدهما امرا فالثاني ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن الها قادرا وان كان قادرا
على مخالفته ومدافعته كان الثاني قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا ولم يكن الها قادرا **الركن الثاني العلم
بصفات الله تع** ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول** العلم بان صانع العالم قادر وانه تعالى في قوله وهو على
كل شئ قدير صادق لان العالم محكم في صنعته مرتب في خلقته ومن راى ثوبا من ديباج حسن النسج والتاليف متناسب
التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه من ميت لا استطاعة له او انسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في
سلك اهل الغباوة والجهل **الاصل الثاني** العلم بانه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه
مثقال ذرة في الارض والسموات صادق في قوله وهو بكل شئ عليم ومرشد الى صدقه بقوله الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير ارشدك الى الاستدلال بالخلق على العلم لانك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب و
لو في الشئ الحقير اللطيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله تعالى هو المنتهى في الهداية والتعريف
الاصل الثالث العلم بكونه حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حيوته ولو تصور قادر عالم فاعل مدبر
دون ان يكون حيا لجاز ان يشك في حيوة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حيوة ارباب الحرف و
الصناعات وذلك انغماس في غمرة الجهالات **الاصل الرابع** العلم بكونه تعالى مريدا لافعاله فلا موجود الا وهو مستند
الى مشيته وصادر عن ارادته فهو المبدئ المعيد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه امكن ان يصدر منه
ضده وما لا ضد له امكن ان يصدر منه ذلك بعينه قبله وبعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة
فلا بد من ارادة صارفة للقدرة الى احد المقدورين ولو اغنى العلم عن الارادة في تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد في
الوقت الذي سبق العلم بوجوده جاز ان يغني عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لانه سبق العلم بوجوده **الاصل
الخامس** انه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت
دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس

بنقص فكيف يكون المخلوق اكمل من الخالق والمصنوع اشرف واتم من الصانع وكيف يعتدل القسمة مهما وقع النقص في
جنبته والكمال في خلقه وصنعه او كيف يستقيم حجة ابرهيم عليه السلم على ابيه اذ كان يعبد الاصنام جهلا وغيا
فقال له لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ولو انقلب عليه ذلك في معبوده لاصبحت حجته داحضة ودلالته
ساقطة ولم يصدق قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب و
دماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا اذن اذ لا فرق بينهما **الاصل السادس** انه تعالى متكلم بكلام وهو وصف
قايم بذاته ليس بحرف ولا صوت بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام
النفس وانما الاصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والاشارات وكيف التبس هذا على طايفة
من الاغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حتى قال قائلهم شعر ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا و
من لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن ان يقول لساني حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك
وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم ان القديم عبارة عما ليس قبله شيء وان الباء قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون
السين المتاخر عن الباء قديما فنزه عن الالتفات اليه قلبك ولله سر في ابعاد بعض العباد ومن يضلل الله فما له من
هاد ومن استبعد ان موسى سمع في الدنيا كلاما ليس بصوت فليستنكر ان يرى في الآخرة موجودا ليس بجسم ولا لون
وان عقل ان يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر وكمية وهو الى الآن لم ير غيره فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة
البصر وان عقل ان يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه
بالعبارات وان عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظا في مقدار ذرة من القلب
وان ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدقة من غير ان تحل ذات السموات والجنة والنار في الحدقة والورقة فليعقل كون الكلام
مقروا بالالسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها اذ لو حلت ذات الله تعالى بكتبة
اسمه في الورق لاحترق وهذا كلام على اهل الحق محقق فان من يعتقد ان الذات مستوية على العرش لم يزل ولا يزال
كيف يطلق عليها الانتقال بل كلامه القديم في الاوراق مكتوب يظهر مسموعا بالالسن ومنظورا بالعيون **الاصل
السابع** ان كلامه القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته اذ يستحيل ان يكون محلا للحوادث داخلا تحت
التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات ولا يعتريه التغيرات ولا يحله الحادثات بل لم يزل في قدمه
موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال في ابده كذلك منزها عن تغير الحالات لان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو
عن الحادث فهو حادث وانما ثبت نعت الحدوث للاجسام من حيث تعرضها للتغاير وتقلب الاوصاف فكيف يكون
خالقها شاركا لها في قبول التغير وينبني على هذا ان كلامه قديم قائم بذاته وانما الحادث هو الاصوات الدالة عليه وكما
عقل طلب التعلم وارادته بذات الوالد قبل ان يخلق ولده وعقل خلق الله له علما بما في قلب ابيه من الطلب صار مامورا بذلك
الطلب الذي قام بذات ابيه ودام وجوده الى وقت معرفة ولده فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله اخلع نعليك
بذات الله تعالى ويصير موسى مخاطبا به بعد وجوده اذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم
الاصل الثامن ان ارادته تخصيص علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات
لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلي اذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك تقديرا
حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند الطلوع معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر فهكذا ينبغي ان يفهم قدم علم الله
تعالى **الاصل التاسع** ان ارادته قديمة وهي في القدم تعلقت باحداث الحوادث في اوقاتها اللايقة بها على وفق سبق
العلم الازلي اذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا بها كما لا تكون انت متحركا بحركة
ليست في ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة اخرى وكذا الارادة الاخرى تفتقر الى اخرى ويتسلسل الامر

الى غير نهاية ولو جاز ان يحدث ارادة بغير ارادة لجاز ان يحدث العالم بغير ارادة **الاصل العاشر** ان الله تعالى
عالم بعلم حي بحيوة قادر بقدرة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وله هذه الاوصاف من هذه الصفات
القديمة وقول القائل بلا علم كقوله غني بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والمعلوم والعالم امور متلازمة
كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل فلا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل فكذلك لا يتصور
عالم بلا علم وعلم بلا معلوم ومعلوم بلا عالم بل هذه الثلثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك
العلم عن العالم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم اذ لا فرق بين هذه الاضافات **الركن الثالث**
العلم بافعال الله تعالى ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول** العلم بان كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه و
اختراعه لا خالق سواه ولا محدث الا اياه خلق الخلق وصنعهم واوجد قدرتهم وحركتهم فجميع افعال عباده مخلوقة له ومتعلقة
بقدرته تصديقا له في قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون وفي قوله واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا
يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير امر العباد بالتحرز في اقوالهم واسرارهم واضمارهم لعلمه بموارد افعالهم واستدل على
العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركات ابدان العباد والحركات متماثلة
وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون بعض مع تماثلها او كيف يكون الحيوان مستبدا
بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وساير الحيوانات من لطايف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الالباب فكيف
انفردت هي باختراعها دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت
المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار السموات **الاصل الثاني** ان انفراد الله سبحانه وتعالى باختراع حركات
العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار و
المختار فاما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب وليس بكسب له واما الحركة فخلق للرب ووصف للعبد وكسب له فانها
خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه فكانت للحركة نسبة الى صفة اخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف
تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية او كيف يكون خلقا للعبد وهو
لا يحيط علما بتفاصيل اجزاء الحركات المكتسبة واعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد في الاعتقاد وهو انها
مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنها بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق
القدرة بالمقدور ان يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله في الازل كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها
وهي عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر ان تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها **الاصل
الثالث** ان فعل العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا
فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله وقدره وبارادته ومشيته فمنه الخير والشر والنفع والضر والاسلام والكفر و
العرفان والنكر والفوز والخسران والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والايمان لا راد لقضائه ولا معقب
لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسال عما يفعل وهم يسالون ويدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ما شاء الله كان
وما لم يشا لم يكن وقوله تعالى ولو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ويدل عليه من جهة
العقل ان المعاصي والجرايم ان كان الله يكرهها ولا يريدها وانما هي جارية على وفق ارادة العدو ابليس لعنه الله مع انه عدو
الله فالجاري على وفق ارادة العدو اكثر من الجاري على وفق ارادته فليت شعري كيف يستجيز المسلم ان يرد ملك الجبار ذي الجلال
والاكرام الى رتبة لو ردت اليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها اذ لو كان ما يستتب لعدو الزعيم في القرية اكثر
مما يستتب له لاستنكف من زعامته وتبرا عن ولايته والمعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف
ارادة الحق وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الارباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر ان افعال العباد مخلوقة

لله تعالى صح انها مرادة له فان قيل فكيف ينهى عما يريد ويامر بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك اذا
ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فاراد اظهار حجته بان يامر
عبده بفعل ويخالفه بين يديه فقال اسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يامره بما لا يريد امتثاله ولو لم
يكن امرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال الاصل
الرابع ان الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه
وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال اذ هو الموجب والآمر والناهي وكيف يتهدف لايجاب
او يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب احد امرين اما الفعل الذي في تركه ضرر اما آجل كما يقال يجب على العبد
ان يطيع الله او ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان ان يشرب الماء حتى لا يموت واما ان يراد به الذي عدمه
يؤدي الى محال وهو ان يصير العلم جهلا فان اراد الخصم بان الخلق واجب على الله للمعنى الاول فقد عرضه للضرر وان اراد
به المعنى الثاني فهو مسلم اذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وان اراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب
لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم ان مصلحة العباد في
ان يخلقهم في الجنة فاما ان يخلقهم في دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض و
الحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الالباب الاصل الخامس انه يجوز على الله سبحانه ان يكلف عباده ما لا يطيقونه
خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سألوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولان
الله تعالى اخبر نبيه بان ابا جهل لا يصدقه ثم امره بان يصدقه في جميع اقواله وكان من جملة اقواله انه لا يصدقه فكيف
يصدقه في انه لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده الاصل السادس ان لله تعالى ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم
سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف في ملكه ولا يتصور ان يعدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة
عن التصرف في ملك الغير وهو محال على الله فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز
ذلك وجوده فان ذبح البهائم ايلام لها وما صب عليها من انواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة
فان قيل ان الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام ويجب ذلك على الله فنقول من زعم انه
يجب على الله احياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل اذ يقال و
الثواب والحشر بكونه واجبا عليه ان كان المراد به انه يتضرر بتركه فهو محال وان اريد به غيره فقد سبق انه غير
مفهوم اذ خرج عن المعاني المذكورة للواجب الاصل السابع انه يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الاصلح
لعباده لما ذكرناه من انه لا يجب عليه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب فانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وليت شعري
بم يجيب المعتزلي في قوله ان الاصلح واجب عليه عن مسألة نفرضها عليه وهو ان نفرض مناظرة في الآخرة بين صبي
مات مسلما وبين بالغ مات مسلما فان الله يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لانه تعب بالايمان والطاعات
بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يا رب لم رفعت منزلته علي فيقول لانه بلغ واجتهد في
الطاعات فيقول الصبي انت امتني في الصبى فكان يجب ان تديم حياتي حتى ابلغ فاجتهد فقد عدلت عن العدل في
التفضل عليه بتطويل العمر دوني فلم فضلته فيقول الله لاني علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان الاصلح لك
الموت في الصبى هذا عذر المعتزلي عن الله وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى ويقولون اما علمت انا اذا بلغنا
اشركنا فهلا امتنا في الصبى فانا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فبماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا الا
القطع بان الامور الالهية تتعالى بحكم الجلال عن ان توزن بميزان اهل الاعتزال فان قيل مهما قدر على رعاية صلاح
العباد ثم سلط عليهم اسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة قلنا معنى القبيح ما لا يوافق الغرض حتى قد يكون الشيء

قبيحا عند شخص حسنا عند غيره واذا وافق غرض احدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص اولياؤه ويستحسنه
اعداؤه فان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري فهو محال اذ لا غرض له فلا يتصور منه قبح كما لا يتصور منه ظلم اذ
لا يمكنه التصرف في ملك الغير وان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم ان ذلك عليه محال وهل هذا الا مجرد تشهي
يشهد بخلافه ما فرضناه من مخاصمة اهل النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الاشياء والقادر على احكام فعلها على وفق
ارادته وهذا من اين يوجب رعاية الاصلح واما الحكيم منا يراعي الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء و
في الآخرة ثوابا او يدفع عن نفسه به آفة وكل ذلك على الله محال الاصل الثامن ان معرفة الله سبحانه وطاعته
واجبة بايجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لان العقل ان اوجب الطاعة فلا يخلو اما ان يوجب لغير فائدة وهو
محال فان العاقل لا يوجب العبث واما ان يوجب لفائدة وغرض وذلك لا يخلو اما ان يرجع الى المعبود وذلك محال فانه
يتقدس عن الاغراض والفوائد بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى سيان واما ان يرجع الى غرض العبد
وهو محال لانه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات بسببه وليس في المآل الا الثواب ومن اين يعلم
ان الله تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليهما مع ان الطاعة والمعصية في حقه متساويان اذ ليس له الى
احدهما ميل ولا لاحدهما به اختصاص وانما عرف تميز ذلك بالشرع ولقد زل من اخذ هذا من المقايسة بين الخالق
والمخلوق حيث يفرق المخلوق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ باحدهما دون الآخر
فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي ان
العقل ليس يوجب علي والشرع لا يثبت الا بالنظر ولست اقدم على النظر ادى الى افحام الرسول قلنا هذا يضاهي
قول القائل للواقف في موضع من المواضع ان وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن المكان قتلك وان التفت ونظرت
عرفت صدقي فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم التفت ورائي ولا التفت ورائي ولا انظر ما لم يثبت صدقك
فيدل على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادي المرشد فكذلك النبي يقول وراءكم الموت
ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة ان لم تاخذوا منها حذركم وتعرفون صدقي بالالتفات الى معجزتي فمن
التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت واصر هلك وتردى ولا ضرر علي ان هلك الناس كلهم اجمعون وانما علي
البلاغ المبين فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقوله
في المستقبل والطبع يستحثه على الحذر من الضرر ومعنى كون الشيء واجبا انه يعرف الضرر المتوقع فان العقل
لا يهدي الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتاثيرهما في تقدير الواجب
ولولا خوف العقاب على ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى للواجب الا ما يرتبط بتركه ضرر في الآخرة الاصل
التاسع انه ليس يستحيل بعثة الانبياء خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة في بعثتهم اذ في العقل مندوحة عنهم و
هذا باطل لان العقل لا يهدي الى الافعال المنجية في الآخرة كما لا يهدي الى الادوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق الى الانبياء
كحاجتهم الى الاطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة الاصل العاشر ان الله
تعالى قد ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصابئين وايده
بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر وتسبيح الحصى وانطاق العجماء وما تفجر من بين اصابعه من الماء ومن آياته
الظاهرة التي تحدى بها مع كافة العرب القرآن فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبيه ونهبه وقتله ولم
يقدروا على معارضته بمثله اذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه
اميا غير ممارس للكتب والانباء عن الغيب في امور تحقق صدقه فيها في الاستقبال كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين وكقوله الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ووجه د

المعجزة على صدق الرسول ان كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعل الله فمهما كان مقرونا بتحدي النبي نزل منزلة قوله
صدقت وذلك مثل القائم بين يدي الملك المدعي على رعيته انه رسول الملك اليهم فانه مهما قال للملك ان كنت
صادقا فقم على سريرك ثلثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بان ذلك
نازل منزلة قوله صدقت **الركن الرابع السمعيات وتصديقه** عليه الصلوة والسلم فيما اخبر عنه ومداره على
عشرة اصول **الاصل الاول الحشر والنشر** وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق به واجب لانه في العقل ممكن
ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم قل
يحييها الذي انشاها اول مرة فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والاعادة
ابتداء ثان فهو ممكن كابتداء الاول **الاصل الثاني سؤال منكر ونكير** وقد وردت به الاخبار فيجب التصديق به
لانه ممكن اذ ليس يستدعي الا اعادة الحيوة الى جزء من الاجزاء الذي به فهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما
يشاهد من سكون اجزاء الميت وعدم سماعنا السؤال فان النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الالام واللذات
ما يحس بتاثيره عند التنبه وكان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام جبرئيل عليه السلم ويشاهده ومن حوله لا
يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه **الاصل الثالث عذاب
القبر** وقد ورد به الشرع قال الله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد
العذاب واشتهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين الاستعاذة من عذاب القبر وهو ممكن فيجب
التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق اجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطيور فان المدرك لالم العذاب من الحيوان اجزاء
مخصوصة يقدر الله تعالى على اعادة الادراك اليها **الاصل الرابع الميزان** قال الله تعالى ونضع الموازين
القسط ليوم القيمة وقال تعالى فمن ثقلت موازينه ووجهه ان الله تعالى يحدث في صحائف الاعمال وزنا بحسب درجات
الاعمال عند الله فيصير مقادير اعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب او الفضل في العفو و
تضعيف الثواب **الاصل الخامس الصراط** وهو جسر ممدود على متن النار ادق من الشعر واحد من السيف
قال الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على ان يطير الطير
في الهواء قادر على ان يسير الانسان على الصراط **الاصل السادس ان الجنة والنار مخلوقتان** قال الله تعالى وسارعوا الى
مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين فقوله تعالى اعدت دليل على انها مخلوقة فيجب اجراؤه على الظاهر
اذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فائدة في خلقهما قبل يوم الجزاء لان الله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون **الاصل السابع**
ان الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه
وسلم على امام اصلا اذ لو كان لكان اولى بالظهور من نصبه احاد الولاة والامراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف
خفي هذا وان ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل الينا فلم يكن ابو بكر اماما الا بالاختيار والبيعة واما تقدير النص على غيره فهو
نسبة للصحابة كلهم الى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الاجماع وذلك مما لم يستجرئ على اختراعه الا الروافض و
اعتقاد اهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما اثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما جرى بين
معوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معوية في الامامة اذ ظن علي ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة
عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب امر الامامة في بدايتها فراى التاخير اصوب وظن معوية ان تاخير امرهم
مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالائمة ويعرض الدماء للسفك وقد قال افاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون
المصيب واحد ولم يذهب الى تخطئة علي رضي الله عنه ذو تحصيل اصلا **الاصل الثامن** ان فضل الصحابة على حسب
ترتيبهم في الخلافة اذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله تعالى وذلك لا يطلع عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد ورد في الثناء على جميعهم اخبار وانما يدرك المشاهدون للوحي والتنزيل بقرائن الاحوال دقائق التفصيل
فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الامر كذلك اذ كانوا لا تاخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف **الاصل
التاسع** ان شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسب قريش لقوله عليه
الصلوة والسلم الائمة من قريش واذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من
اكثر الخلق والمخالف للاكثر باغ يجب رده الى الانقياد للحق **الاصل العاشر** انه لو تعذر وجود الورع والعلم
فيمن يتصدى للامامة وكان في صرفه اثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد امامته لانا بين ان نحرك فتنة بالاستبدال
فما يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي اثبتت لمزية المصلحة فلا يهدم اصل
المصلحة شغفا بمزاياها كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا وبين ان نحكم بخلو البلاد عن الامام وبفساد الاقضية
وذلك محال ونحن نقضي بنفوذ قضاء اهل البغي في بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضي بصحة الامامة عند
الحاجة والضرورة فهذه الاركان الاربعة الحاوية للاصول الاربعين هي قواعد العقائد فمن اعتقدها كان
موافقا لاهل السنة ومباينا لرهط البدعة والله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة
جوده وقد فرغ الامام حجة الاسلام من تصنيف الاعتقاد في المسجد الحرام مجتنبا لا لثمار اهلها وراجيا لان
ينال ببركتها وبركة دعاء سكانها من الله تعالى ان يحقق فيهم امله ويختم بالسعادة اجله انه الكريم المنان الدائم
الاحسان **الفصل الرابع** من قواعد العقائد **في الايمان والاسلام** وما بينهما من الاتصال والانفصال و
ما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه مسائل ثلثة **مسئلة** اختلفوا في ان
الاسلام هو الايمان او غيره وان كان غيره فهو منفصل يوجد دونه او هو مرتبط به يلازمه فقيل انهما شيء واحد
وقيل انهما شيئان لا يتواصلان وقيل انهما شيئان يرتبط احدهما بالاخر وقد اورد ابو طالب المكي في هذا كلاما
شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل له فنقول في هذا
ثلاث مباحث بحث عن موجب اللفظين في اللغة وبحث عن المراد بهما في اطلاق الشرع وبحث عن حكمهما في الدنيا و
الاخرة والبحث الاول لغوي والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي البحث الاول في موجب اللغة والحق فيه ان الايمان
عبارة عن التصديق قال الله تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان
والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمانه واما التسليم فانه عام
في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب هو تسليم وترك الاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان و
كذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان اخص فكان الايمان عبارة عن اشرف اجزاء
الاسلام فاذن كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا البحث الثاني عن اطلاق الشرع والحق فيه ان الشرع
قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل اما الترادف
ففي قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد وقال
تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال عليه الصلوة والسلم بني الاسلام على خمس وسئل مرة عن
الايمان فاجاب بهذه الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ومعناه
استسلمنا في الظاهر فاراد بالايمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح
وفي حديث جبرئيل عليه السلم لما سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وبالبعث
بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره فقال فما الاسلام فذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول
والعمل وفي حديث سعد انه عليه الصلوة والسلام اعطى رجلا عطاء ولم يعط الاخر فقال له سعد يا رسول الله

تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال او مسلم فاعاد عليه فاعاد رسول الله وروي ايضا انه سئل وقيل له اي الاعمال
افضل فقال الاسلام فقال اي الاسلام افضل فقال الايمان وهذا دليل على الاختلاف والتداخل وهو اوفق
الاستعمالات لغة لان الاسلام عمل من الاعمال وهو افضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح
وافضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى ايمانا واستعمالهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل
على سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة اما الاختلاف فهو ان يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب
فقط وهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو ايضا موافق للغة فان التسليم ببعض محال التسليم ينطلق
عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن ان يوجد المعنى فيه فان من لمس غيره ببعض بدنه
يسمى لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى
هذا الوجه جرى قوله قالت الاعراب امنا وقوله في حديث سعد او مسلم لانه فصل احدهما عن الاخر فيريد بالاختلاف
تفاصيل المسميين واما التداخل فهو موافق ايضا للغة وهو ان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل
جميعا والايمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو القلب وهو الذي عنيناه بالتداخل وهذا موافق للغة في
خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا الوجه خرج قوله الايمان في جواب قول السائل اي الاسلام افضل لانه
جعل الايمان خصوصا من الاسلام فادخله فيه واما استعماله على سبيل الترادف بان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم
بالقلب والظاهر جميعا وان كل ذلك تسليم وكذا الايمان ويكون التصرف في الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال الظاهر
في معناه وهو جائز لان تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر
مع ثمره على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه
خرج قوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين البحث الثالث عن الحكم الشرعي في الاسلام والايمان حكمان اخروي و
دنيوي اما الاخروي فهو الاخراج من النار ومنع التخليد اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في
قلبه مثقال ذرة من الايمان وقد اختلفوا في ان هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بان الايمان ماذا فمن قائل
يقول انه مجرد العقد ومن قائل يقول انه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان و
نحن نكشف الغطاء عنه ونقول من جمع هذه الثلث فلا خلاف في ان مستقره الجنة وهذه درجة الدرجة الثانية
ان يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة او بعض الكبائر فعند هذا
قالت المعتزلة خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه الفاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد في النار
وهو باطل كما سنذكره الدرجة الثالثة ان يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الاعمال بالجوارح
وقد اختلفوا في حكمه فقال ابو طالب المكي العمل من الايمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بادلة تشعر بنقيض غرضه
كقوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذ هذا يدل على ان العمل وراء الايمان لا من نفس الايمان والا فيكون العمل في حكم المعاد
والعجب انه ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله عليه الصلوة والسلام لا يكفر احد الا بجحوده بما اقر به وينكر على
المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل بعين مذهب المعتزلة اذ يقال له من صدق بقلبه وشهد
بلسانه ومات في الحال فهل هو في الجنة فلا بد وان يقال نعم وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل فنزيد ونقول لو بقي حيا
حتى دخل عليه وقت صلوة واحدة فتركها ثم مات او زنا ثم مات فهل يخلد في النار فان قال نعم فهو مراد المعتزلة وان
قال لا فهو تصريح بان العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا في وجوده ولا في استحقاق الجنة به وان قال اردت به ان
يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم على شيء من الاعمال الشرعية فما ضبط تلك المدة وما عدد الطاعات التي بتركها
يبطل الايمان وما عدد الكبائر التي بارتكابها يبطل الايمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر اليه صائر اصلا الدرجة

الرابعة ان يوجد التصديق بالقلب فقبل ان ينطق باللسان او يشتغل بالاعمال مات فهل نقول مات مؤمنا بينه
وبين الله وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسد اذ قال عليه الصلوة
والسلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد ولم يشترط في
حديث جبرئيل للايمان الا التصديق بالله وملائكته واليوم الاخر كما سبق الدرجة الخامسة ان يصدق
بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل ان يجعل امتناعه عن النطق
كامتناعه عن الصلوة ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار والايمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان
الايمان فلا بد وان يكون الايمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الاظهر اذ لا مستند الا
اتباع موجب الالفاظ ووضع اللسان ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب وقد قال يخرج من النار من كان في قلبه
مثقال ذرة من الايمان ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل
الواجب وقال قائلون القول ركن اذ ليس كلمة الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشاء عقد وابتداء شهادة و
التزام والاول اظهر وقد غلا في هذا طائفة المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار اصلا وقالوا ان المؤمن وان عصى فلا
يدخل النار وسيبطل ذلك عليهم الدرجة السادسة ان يقول بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله ولكن لم
يصدق في قلبه فلا نشك في ان هذا في حكم الاخرة من الكفار وانه مخلد في النار ولا نشك في انه في حكم الدنيا الذي يتعلق
بالائمة والولاة من المسلمين لان قلبه لا يطلع عليه وعلينا ان نظن به انه ما قاله بلسانه الا وهو منطو عليه في قلبه وانما
نشك في امر ثالث وهو الحكم الدنيوي فيما بينه وبين الله وذلك بان يموت له في هذه الحالة قريب مسلم ثم يصدق
بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن في يدي فهل يحل لي بيني وبين
الله او نكح مسلمة ثم صدق هل يلزمه اعادة النكاح هذا في محل النظر فيحتمل ان يقال احكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر
ظاهرا او باطنا ويحتمل ان يقال نيط بالظاهر في حق غيره لان باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين
الله تعالى والاظهر والعلم عند الله انه لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه اعادة النكاح ولذلك كان حذيفة لا يحضر جنازة من
يموت من المنافقين وعمر كان يراعي ذلك ولا يحضر اذا لم يحضر حذيفة والصلوة فعل ظاهر في الدنيا وان كان من العبادات
والتوقي عن الحرام ايضا في جملة ما يجب لله كالصلوة وليس هذا مناقضا لقولنا ان الارث حكم الاسلام وهو استسلام
بل الاستسلام التام ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الالفاظ والعمومات والاقيسة
فلا ينبغي ان يظن القاصر في العلوم ان المطلوب فيه القطع فما افلح من نظر الى العادات والمراسم في العلوم فان قلت فما
شبهة المعتزلة والمرجئة وما حجة بطلان قولهم فاقول شبههم عمومات القرآن اما المرجئة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وان اتى
بكل المعاصي لقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ولقوله والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
ولقوله تعالى كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء وقوله
كلما القي عام فينبغي ان يكون كل من القي مكذبا ولقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وهذا حصر واثبات
ونفي ولقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون والايمان راس الحسنات ولقوله والله يحب
المحسنين وقال انا لا نضيع اجر من احسن عملا ولا حجة لهم فيها فانه حيث ذكر الايمان بهذه الايات اريد به الايمان مع العمل
اذ بينا ان الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التاويل اخبار كثيرة
في معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان فكيف يخرج اذا لم يدخل
من القرآن قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فالاستثناء بالمشية يدل على الانقسام وقوله
ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله الا ان الظالمين في عذاب مقيم وقال تعالى ومن جاء بالسيئة

فكبت وجوههم في النار فهذه العمومات في معارضة عمومات ولا بد من تخصيص التسليط والتاويل على الجانبين لان الاخبار
مصرحة بان العصاة يعذبون بل قوله تعالى وان منكم الا واردها كالصريح في ان ذلك لا بد منه للكل اذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه
وقوله تعالى لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى اراد به من جماعة مخصوصين او اراد بالاشقى شخصا معينا وقوله كلما
القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير اي فوج من الكفار وتخصيص العمومات قريب ومن هذه الاية وقع الاشعري وطائفة
من المتكلمين في انكار صيغ العموم وان هذه الالفاظ يتوقف فيها الى ان يرد قرينة تدل على معناها واما المعتزلة فشبهتهم قوله
تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله
وان منكم الا واردها الى قوله ثم ننجي الذين اتقوا وقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وكل آية ذكر العمل الصالح مقرونا
فيها بالايمان وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم وهذه العمومات ايضا مخصوصة بدليل قوله ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فينبغي ان يبقى له المشية في مغفرة ما سوى الشرك وكذلك قوله اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان
وقوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين فكيف يضيع اصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة وقوله ومن يقتل مؤمنا
متعمدا اي لايمانه وقد ورد على مثل هذا السبب فان قلت فقد مال الاختيار الى ان الايمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن
السلف قولهم الايمان عقد وقول وعمل قلنا لا يبعد ان يعد العمل من الايمان لانه مكمل له ومتمم كما يقال الراس واليد
هو من الانسان ومعلوم انه يخرج عن كونه انسانا بعدم الراس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذا يقال التسبيحات و
التكبيرات من الصلوة وان كانت لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان كالقلب من وجود الانسان اذ
ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالاطراف وبعضها اعلى من بعض وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين
يزني وهو مؤمن والصحابة ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا ايمانا
تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف هذا ليس بانسان اي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الانسانية مسئلة
فان قلت فقد اتفق السلف على ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعات وينقص بالمعصية فاذا كان التصديق هو
الايمان فلا يتصور فيه زيادة ونقصان فاقول السلف هم الشهود العدول وما لاحد عن قولهم عدول فما ذكروه
حق وانما الشان في فهمه وفيه دليل على ان العمل ليس من اجزاء الايمان واركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد
موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز ان يقال الصلوة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالاداب والسنن
فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان فان قلت فالاشكال قائم في ان
التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فاقول اذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا
الغطاء ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من ثلثة اوجه الاول انه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل
الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام بل ايمان الخلق كلهم الا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة
على القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي كالعقدة على الخيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبر
باليهودي في صلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا تخييل ووعظ ولا تحقيق ولا برهان و
كذا النصارى والمبتدعة ومنهم من يمكن تشكيكه بادنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بادنى استمالة او تخويف
مع انه غير شاك في عقده كالاول ولكنهما يتفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد الحق ايضا والعمل يؤثر في
نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في نماء الاشجار ولذلك قال الله تعالى فزادهم ايمانا وقال زادتهم ايمانا و
قال ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقد قال عليه الصلوة والسلام فيما يروى في بعض الاخبار الايمان يزيد وينقص وذلك بتاثير
الطاعات في القلب وهذا لا يدركه الا من راقب احوال نفسه في اوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع
اوقات الفتور وادرك التفاوت في السكون الى عقائد الايمان في هذه الاحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من

يزيحه بالتشكيك بل المعتقد في اليتيم معنى الرحمة اذا عمل بموجب اعتقاده فمسح راسه وتلطف به ادرك من باطنه
تاكد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع اذا عمل بموجبه مقبلا او ساجدا لغيره احس من قلبه
بالتواضع عند اقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها اعمال الجوارح ثم يعود اثر الاعمال عليها فتؤكدها
وتزيدها وسياتي هذا في ربع المنجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والاعمال بالعقائد والقلوب
فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت واعني بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك
بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والاعضاء واعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى
الى حد ظن بعض الناس اتحاد احدهما بالاخر وظن آخرون انه لا عالم الا عالم الشهادة وهو هذه الاجسام المحددة و
من ادرك الامرين وادرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه وقال رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر ولنرجع الى المقصود فان هذا العلم خارج عن علم المعاملة ولكن بين
العلمين ايضا اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة الى ان تكف عنها بالتكلف
فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال علي رضي الله عنه ان الايمان ليبدو لمظة بيضاء
فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات زادت حتى
يسود القلب كله فيطبع على القلب فذلك الختم وتلا كلا بل ران على قلوبهم الاية الاطلاق الثاني ان يراد به التصديق والعمل
جميعا كما قال الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال لا يزني الزاني وهو مؤمن حين يزني واذا دخل العمل في مقتضى لفظ الايمان
لم يخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة الايمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد اشرنا الى انه مؤثر
فيه الاطلاق الثالث ان يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة و
هذا ابعد الاقسام عن قبول الزيادة ولكني اقول الامر اليقيني الذي لا شك فيه تختلف طمانينة النفس الى ان الاثنين اكثر
من واحد كطمانينتها الى ان العالم مصنوع حادث وان كان لا شك في واحد منهما بل اليقينيات تختلف في درجات الايضاح
وفي درجات طمانينة النفس اليه وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الاخرة فلا حاجة الى
الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات ان ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق وكيف لا وفي الاخبار انه يخرج من النار من
في قلبه مثقال ذرة من الايمان وفي بعض المواضع في خبر آخر مثقال دينار فاي معنى لاختلاف مقاديره ان كان ما في القلب
لا يتفاوت مسئلة فان قلت ما وجه قول السلف انا مؤمن ان شاء الله والاستثناء شك والشك في الايمان كفر وقد
كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون منه فقال سفيان الثوري من قال انا مؤمن عند الله فهو من الكذابين
ومن قال انا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم انه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا في نفسه كان مؤمنا
عند الله كما ان من كان طويلا او سخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا او حزينا او سميعا او بصيرا
ولو قيل للانسان هل انت حيوان لم يحسن ان يقول انا حيوان ان شاء الله ولما قال سفين ذلك قيل له فماذا نقول
قال قولوا امنا بالله وما انزل الينا واي فرق بين ان يقول امنا وبين ان يقول انا مؤمن وقيل للحسن امؤمن انت فقال ان شاء الله
فقيل له تستثني يا ابا سعيد في الايمان فقال اخاف ان اقول نعم فيقول الله كذبت يا حسن فتحق علي الكلمة وكان يقول ما يؤمنني
ان يكون الله سبحانه قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني وقال اذهب لا قبلت لك عملا فانا اعمل في غير معمل وقال ابراهيم
اذا قيل لك امؤمن انت فقل لا اله الا الله وقال مرة قل انا لا اشك في الايمان وسؤالك اياي بدعة وقيل لعلقمة امؤمن
انت فقال ارجو ان شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندري ما نحن عند الله فما معنى هذه
الاستثناءات فالجواب ان هذا الاستثناء صحيح وله اربعة اوجه وجهان مستندان الى الشك لا في اصل الايمان ولكن في
خاتمته او كماله ووجهان لا يستندان الى الشك الوجه الاول الذي لا يستند الى الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس

قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقال الم تر الى الذين يزكون انفسهم ثم قال انظر كيف يفترون على الله الكذب وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء الانسان على نفسه والايمان من اعلى صفات الحمد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كانها تنقل من عرف التزكية كما يقال للانسان انت طبيب او فقيه او مفسر فيقول نعم ان شاء الله لا في معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التاويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء. الوجه الثاني التادب بذكر الله في كل حال واحالة الامور كلها الى مشيئة الله فقد ادب الله سبحانه نبيه فقال ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وكان الله عالما بانه يدخل لا محالة وانه شاء ولكن المقصود تعليمه ذلك فادب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان او مشكوكا حتى قال لما دخل المقابر السلام عليكم اهل دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الادب ذكر الله وربط الامور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمني فاذا قيل لك ان فلانا يموت سريعا فتقول ان شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشككك واذا قيل فلان سيزول مرضه ويصح فتقول ان شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك الى معنى الرغبة فكذلك العدول الى معنى التادب بذكر الله كيف ما كان الامر. الوجه الثالث ومستنده الشك ومعناه انا مؤمن حقا ان شاء الله اذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين باعيانهم اولئك هم المؤمنون حقا فانقسموا الى قسمين ويرجع هذا الى الشك في كمال الايمان لا في اصله وكل انسان شاك في كمال ايمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الايمان حق من وجهين احدهما من حيث ان النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفي لا يتحقق البراءة منه والثاني انه يكمل باعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال اما العمل فقال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال اولئك الذين صدقوا وقد قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح الاية وقال هم درجات عند الله وقال عليه الصلوة والسلام الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال الايمان بضع وسبعون بابا ادناها اماطة الاذى عن الطريق فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال واما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان واذا خاصم فجر وفي بعض الروايات واذا عاهد غدر وفي حديث ابي سعيد الخدري القلوب اربعة قلب اجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كالبقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلب عليه حكم له بها وفي لفظ آخر غلب عليه ذهب به وقال عليه الصلوة والسلام اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وفي حديث الشرك اخفى في امتي من دبيب النمل على الصفا وقال حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى ان يموت واني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء اقرب الناس من النفاق من يرى انه بريء منه وقال حذيفة المنافقون اليوم اكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله فهو خفي وابعد الناس منه من يتخوفه واقربهم منه من يرى انه بريء منه فقد قيل للحسن يقولون ان لا نفاق اليوم فقال يا اخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطرق وقال هو او غيره لو نبت للمنافقين اذناب ما قدرنا ان نطأ على الارض وسمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال ارايت لو كان حاضرا اكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعده نفاقا

في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الاخرة وقال ايضا شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون لا نخاف النفاق فقال والله لان اكون اعلم اني بريء من النفاق احب الي من طلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة اني اخاف ان اكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق ان المنافق قد امن من النفاق وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلاثين ومائة وفي رواية خمسمائة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من اصحابه فذكروا رجلا واكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك اذ طلع الرجل عليهم ووجهه يقطر ماء من اثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه اثر السجود فقالوا يا رسول الله هذا الرجل هو الذي وصفناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارى على وجهه سفعة من الشيطان والسفعة علامة من سواد والاسفع الذي اصاب خده علامة سوداء فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال نشدتك بالله هل حدثت نفسك حين اشرفت على القوم انه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني استغفرك لما علمت وما لا اعلم فقيل له اتخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه وتعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات فكانت في كفة السيئات وقال سري السقطي لو ان رجلا دخل الى بستان فيه جميع الاشجار عليها من جميع الاطيار فخاطبه كل طير منها بلغته فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا في يديها فهذه الاخبار والاثار تعرفك خطر الامر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وانه لا يؤمن منه حتى كان عمر يسال حذيفة عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين وقال ابو سليمان الداراني سمعت من بعض الامراء شيئا منكرا فاردت ان انكره فخفت ان يامر بقتلي ولم اخف من الموت ولكن خشيت ان يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج الروح فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا اصله فالنفاق نفاقان احدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في النار والثاني يفضي الى النار الى مدة او ينقص من درجات العليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه فلذلك حسن الاستثناء واصل هذا النفاق تفاوت السر والعلانية والامن من مكر الله والعجب وامور اخر لا يخلو عنها الا الصديقون. الوجه الرابع وهو مستند ايضا الى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لا يدري ايسلم له الايمان عند الموت ام لا فان ختم له بالكفر حبط الايمان السابق لانه موقوف على سلامة الاخرة ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال انا صائم قطعا فلو افطر بعد ذلك تبين كذبه اذ كانت الصحة موقوفة على التمام الى غروب الشمس من اخر النهار وكما ان النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات الصحة للايمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولاجلها كان اكثر بكاء الخائفين لاجل انها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الازلية التي لا تظهر الا بظهور المقضي به ولا يطلع عليه بشر فخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري انه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل في قوله وجاءت سكرة الموت بالحق بالسابقة يعني اظهرتها وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال خواتيمها وكان ابو الدرداء يحلف بالله ما احد من ان يسلب ايمانه الا سلبه ويقال من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله منه وقيل هي عقوبة دعوى الولاية والكرامة بالافتراء وقال بعض العارفين لو عرضت علي الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على الشهادة لاني لا ادري ما يعرض لقلبي من التغير عن التوحيد الى باب الدار وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم احكم انه مات على التوحيد وفي الحديث من قال انا مؤمن فهو كافر ومن قال انا عالم فهو جاهل وقيل في قوله

ي ي صفة

اي

سبقها

تمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا لمن مات على الايمان وعدلا لمن مات على الشرك وقد قال الله تعالى ولله عاقبة
الامور فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لان الايمان عبارة عما يفيد الجنة كما ان الصوم عبارة
عما يبرئ الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الايمان بل لا يبعد ان يسال عن
الصوم الماضي الذي لا يشك فيه بعد الفراغ فيقال اصمت بالامس فيقول نعم ان شاء الله اذ الصوم الحقيقي هو المقبول
والمقبول غائب عنه لا يطلع عليه الا الله فمن هذا يحسن الاستثناء في جميع اعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول اذ يمنع من القبول
بعد جريان ظاهر شروط الصحة اسباب خفية لا يطلع عليها الا رب الارباب فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن
الاستثناء في الجواب عن الايمان وهي آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب
والحمد لله وصلواته على خير خلقه محمد واله وصحبه اجمعين في رمضان سنة سبع عشرة وخمسمائة

كتاب اسرار الطهارة ومهماتها

وهو الكتاب الثالث من كتب احياء علوم الدين من العبادات • بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة وافاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم انواره والطافه واعد
لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة والصلوة على محمد المستغرق بنور الهدى اطراف العالم و
اكنافه وعلى اله الطيبين الطاهرين صلوة تنجينا بركاتها يوم المخافة وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة اما بعد
فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وقال مفتاح الصلوة الطهور وقال الله تعالى فيه رجال يحبون
ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان وقال الله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من
حرج ولكن يريد ليطهركم فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر ان اهم الامور تطهير السرائر اذ يبعد ان يكون المراد بقوله
الطهور نصف الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء وتخريب الباطن وابقاؤه مشحونا بالاخباث والاقذار هيهات
هيهات فالطهارة لها اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث والفضلات الثانية تطهير الجوارح
عن الجرائم والاثام الثالثة تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة والرابعة تطهير السر عما سوى الله
وهي طهارة الانبياء والصديقين والطهارة نصف العمل الذي فيها فان الغاية القصوى في عمل السر ان ينكشف له
جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله ولذلك قال الله تعالى قل الله ثم
ذرهم لانهما لا يجتمعان في قلب ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه واما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته
بالاخلاق المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل
المذمومة فتطهيرها احد الشطرين وهو الشطر الاول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شطر الايمان
بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي احد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني وهذه مقامات
الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة
السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة من لم يفرغ عن طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته
بالمحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلوب
وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته ولا تظنن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا
نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التي هي كالقشر
الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريه ويستوعب جميع اوقاته في
الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل العقل
ان الطهارة المطلوبة المشرفة هي هذه فقط وجهلا بسيرة الاولين واستغراقهم جميع الهم والوكد في تطهير

القلوب وتساهلهم في امر النظافة الظاهرة حتى ان عمر رضي الله عنه مع علو منصبه توضأ بماء في جرة نصرانية وحتى
انهم ما كانوا يغسلون اليد عن الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان من
البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين
التراب حاجزا في مضجعه كان من اكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء وقال ابو هريرة وغيره من اهل
الصفة كنا نأكل الشواء فتقام الصلوة فندخل اصابعنا في الحصباء ثم نفركها بالتراب ونكبر وقال عمر ما كنا نعرف
الاشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كانت مناديلنا بواطن ارجلنا كنا اذا اكلنا الغمر مسحنا بها ويقال
اول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة المناخل والاشنان والموائد والشبع وكان عنايتهم كلها
بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلوة في النعلين افضل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع نعله في صلوته اذ
اخبره جبرئيل عليه السلام ان عليه نجاسة وخلع الناس نعالهم وحينئذ قال عليه الصلوة والسلام لم خلعتم نعالكم قال
النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت لو ان محتاجا جاء واخذه منكرا لخلع النعل فهكذا كان تساهلهم في هذه الامور
بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الارض ويأكلون من دقيق
البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليها ولا يحترزون من عرق الابل والفرس مع كثرة تمرغها في النجاسات
ولم ينقل قط عن واحد منهم سؤال في دقائق النجاسات فهكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الان الى طائفة
يسمون الرعونة نظافة ويقولون هي مبنى الدين فاكثر اوقاتهم في تزيين الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن
خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك منه ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر
على الاستنجاء بالحجر او مشى على الارض حافيا او صلى على الارض او على بواري المسجد من غير سجادة مفروشة او مشى على الفرش
من غير غلاف للقدم من ادم او توضأ من آنية عجوز او رجل غير متقشف اقاموا عليه القيامة وشددوا عليه النكير و
لقبوه بالقذر واخرجوه من زمرتهم واستنكفوا من مؤاكلته ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة و
الرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه
فان قلت افتقول ان هذه العادات التي احدثها الصوفية في هيآتهم ونظافتهم من المحظورات او المنكرات فاقول
حاش لله ان اطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني اقول هذا التكلف والتنظف باعداد الاواني والالات واستعمال
اغلاف القدم والازار المتقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الاسباب ان وقع النظر الى ذاتها على سبيل التجرد
فهي من المباحات وقد يقترن بها احوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فاما كونه مباحا في نفسه
فلا يخفى اذ صاحبه متصرف به في ماله وبدنه وثيابه فليفعل به ما يريد اذا لم يكن فيه اضاعة واسراف واما مصيره
منكرا فبان يجعل ذلك اصل الدين ويفسر به قوله صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل
الاولين او ان يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم فان ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكرا
بهذين الاعتبارين واما كونه معروفا فبان يكون القصد منه الخير دون التزيين وان لا ينكر على من ترك ذلك ولا
يؤخر بسببه الصلوة عن اوائل الاوقات ولا يشتغل به عن عمل هو افضل منه او عن تهيئة علم او غيره فاذا لم يقترن به
شيء من ذلك فهو مباح يمكن ان يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك الا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الاوقات
اليه اشتغلوا بنوم او حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به اولى لان الشاغل بالطهارات يتجدد ذكر الله وذكر
العبادات فلا بأس اذا لم يخرج الى منكر واسراف واما اهل العلم والعمل فلا ينبغي ان يصرفوا من اوقاتهم اليه الا قدر الحاجة
والزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع للعمر الذي هو انفس الجواهر واعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا
يتعجب من ذلك فان حسنات الابرار سيئات المقربين فلا ينبغي للبطال ان يترك النظافة وينكر على الصوفية ويزعم انه يتشبه

بالصحابة اذ التشبه بهم في ان لا يتفرغ له لما هو اهم منه كما قيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك قال اني اذن لفارغ
فلهذا لا ارى للعالم ولا للعاقل ان يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من ان يلبس الثياب المقصورة توهما
بالقصار تقصيرا في الغسل فقد كانوا في العصر الاول يصلون في الفراء المدبوغة ولم يعلم منهم فرق بين المدبوغة و
المقصورة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة اذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات
الدقيقة بل كانوا يتاملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي معه فنظر الى باب
دار مرفوع لا تفعل ذلك فان الناس لو لم ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف فالناظر اليه معين له على
الاسراف وكانوا يعدون من جمام الذهن لاستنباط هذه الدقائق لا في احتمال النجاسات فلو وجد العالم عاميا يتعاطى
لغسل الثياب محتاطا فهو افضل فانه بالاضافة الى التساهل خير وذلك العامي ينتفع بتعاطيه اذ يشغل نفسه الامارة
بالسوء بعمل مباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال والنفس ان لم تشتغل شغلت صاحبها واذا قصد به
التقرب الى العالم صار ذلك عنده من افضل القربات فوقت العالم اشرف من ان يصرفه الى مثله فيبقى محفوظا عليه و
اشرف وقت العامي ان يشتغل بمثله فيتوفر الخير من الجوانب وليتفطن بهذا المثال لنظائره من الاعمال وترتيب فضائلها
ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها الى الافضل اهم من التدقيق في
اموال الدنيا بحذافيرها واذا عرفت هذه المقدمة واستيقنت ان الطهارة لها اربع مراتب فاعلم انا في هذا الكتاب
لسنا نتكلم الا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر لانا في الشطر الاول من الكتاب لا نتعرض قصدا الا للظواهر فنقول
طهارة الظاهر ثلاثة اقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم
والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره القسم الاول في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال
به والازالة الطرف الاول في المزال وهي النجاسات والاعيان ثلاثة جمادات وحيوانات واجزاء الحيوانات
اما الجمادات فطاهرة كلها الا الخمر وكل منتبذ مسكر والحيوانات طاهرة الا الكلب والخنزير وما تولد منهما فاذا
ماتت فكلها نجسة الا خمسة الادمي والسمك والجراد ودود التفاح وفي معناه كل ما يستحيل اليه الاطعمة وكل ما
ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرهما ولا ينجس الماء بوقوع شيء منها فيه واما اجزاء الحيوانات فقسمان
احدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجز والموت والعظم ينجس الثاني الرطوبات الخارجة من باطنه فكل
ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط وما له مقر وهو مستحيل فنجس الا ما هو مادة
الحيوان كالمني والبيض واما القيح والدم والروث والبول فنجس من سائر الحيوانات ولا يعفى عن شيء من هذه النجاسات
قليلها وكثيرها الا عن خمسة الاول اثر النجو بعد الاستجمار بالاحجار يعفى عنه ما لم يعد المخرج والثاني طين الشوارع وغبار
الروث في الطرق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب المتلطخ به الى تفريط او
سقطة الثالث ما على اسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطرق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة الرابع دم البراغيث
ما قل منه او كثر الا اذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك او ثوب غيرك فلبسته الخامس دم البثرات وما يترشح منها
من قيح وصديد دلك ابن عمر رضي الله عنه بثرة على وجهه وخرج منها الدم وصلى ولم يغسل وفي معناه ما يترشح من لطخات الدماميل
التي تدوم غالبا وكذا اثر الفصد الا ما يقع نادرا من خراج او غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى دم البثرات
التي لا يخلو الانسان عنها في احواله ومسامحة الشرع في هذه النجاسات الخمس تعرفك ان امر الطهارات على التساهل وما
ابتدع فيها وسوسة لا اصل لها الطرف الثاني في المزال به وهو اما جامد واما مائع اما الجامد فحجر الاستنجاء وهو
مطهر تطهير تخفيف بشرط ان يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم واما المائعات فلا يزال شيء منها الا الماء ولا كل ماء
بل الطاهر الذي لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغني عنه ويخرج الماء عن الطهارة بان يتغير بملاقاة النجاسة طعمه او

لونه او ريحه فان لم يتغير وكان قريبا من مائتين وخمسين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم ينجس لقوله صلى الله عليه
وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وان كان دونه صار نجسا عند الشافعي هذا في الماء الراكد اما الجاري اذا تغير
بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لان جريات الماء متفاصلة وكذا النجاسة الجارية اذا جرت
بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها اذا تقاصر عن قلتين وان كان جري الماء اقوى من جري
النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما سفل عنها فنجس وان تباعد وكثر الا اذا اجتمع في حوض قدر قلتين واذا
اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا مذهب الشافعي وكنت اود ان يكون مذهبه كمذهب
مالك في ان الماء وان قل فلا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة ماسة اليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولاجله شق
على الناس ذلك وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتامله ومما لا اشك فيه ان ذلك لو كان مشروطا لكان
اولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة اذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن اول عصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى اخر عصر الصحابة لم ينقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات
وكانت اواني مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء والذين لا يحترزون عن النجاسات وقد توضا عمر رضي الله عنه بماء في جرة
نصرانية وهذا كالصريح في انه لم يعول الا على عدم تغير الماء والا فنجاسة النصرانية وانائها غالب يعلم بظن قريب فاذا
عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الاعصار دليل اول وفعل عمر دليل ثان والدليل الثالث اصغاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء للهرة وعدم تغطيتهم الاواني منها بعد ان يرى انها تاكل الفارة ولم يكن في
بلادهم حياض تلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل في الابار والرابع ان الشافعي نص على ان غسالة النجاسة طاهرة اذا لم
تتغير ونجسة ان تغيرت واي فرق بين ان يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها او بورودها عليه واي معنى لقول القائل ان
قوة الورود تدفع النجاسة مع ان الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وان احيل ذلك على الحاجة فالحاجة ايضا ماسة الى هذا ولا
فرق بين طرح الماء في اجانة فيها ثوب نجس او طرح الثوب النجس في الاجانة وفيها ماء كل ذلك معتاد في غسل الثياب
والاواني الخامس انهم كانوا يستنجون على اطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي انه اذا وقع بول في ماء
جار ولم يتغير انه يجوز التوضي به وان كان قليلا واي فرق بين الجاري والراكد وليت شعري الحوالة على عدم التغير اولى
ام على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة اهو يجري في المياه الجارية في انابيب الحمامات ام لا فان لم يجر فما الفرق
وان جرى فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الاواني على الابدان وهي ايضا جارية ثم البول اشد اختلاطا
بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة اذ قضي بانه ما يجري عليها وان لم يتغير نجس الى ان يجتمع في مستنقع قلتان فاي
فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط اشد من الجوار السادس انه اذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقتا فكل
كوز يغترف منه طاهر ومعلوم ان البول منتشر فيه وهو قليل وليت شعري تعليل الطهارة بعدم التغير اولى او بقوة كثرة
الماء بعد انقطاع الكثرة وزوال المعنى مع تحقق بقاء اجزاء النجاسة فيها السابع ان الحمامات لم تزل في الاعصار الخالية يتوضا
فيها المتقشفون ويغمسون الايدي والاواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بان الايدي النجسة والطاهرة
كانت تتوارد عليه فهذه الامور مع الحاجة الشديدة تقوي في النفس انهم كانوا ينظرون الى عدم التغير معولين
على قوله صلى الله عليه وسلم خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او ريحه وهذا فيه تحقيق وهو ان طبع كل
مائع ان يقلب الى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما ترى الكلب يقع في المملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته
لصيرورته وزوال صفة الكلبية عنه فكذلك الخل يقع في الماء واللبن يقع فيه وهو قليل فيبطل صفته ويتصف بصفة
الماء وينطبع بطبعه الا اذا كثر وغلب ويعرف غلبته بغلبة طعمه او لونه او ريحه فهذا المعيار وقد اشار الشرع اليه
في الماء القوي على ازالة النجاسة فهو جدير بان يعول عليه فيندفع به الحرج فيظهر معنى كونه طهورا اذ يغلب عليه

فيطهر كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي اصغاء الاناء للهرة ولا نظن ان
ذلك عفو اذ لو كان كذلك لكان كاثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقي له نجسا ولا نجس بالغسالة ولا
بولوغ السنور في الماء القليل واما قوله لا يحمل خبثا في نفسه مبهم فانه يحمل اذا تغير فان قيل اراد به اذا لم يتغير فيمكن ان
اراد انه في الغالب لا يتغير بالنجاسة المعتادة ثم يتمسك بالمفهوم فيما اذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم باقل من الادلة التي
ذكرناها ممكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهر في نفي الحمل اي يقلبه الى صفة نفسه كما يقال المملحة لا تحمل كلبا ولا غيره اي ينقلب
الى صفته وذلك لان الناس قد يستنجون في المياه القليلة في الغدران ويغمسون الاواني النجسة فيها ثم يترددون في انها
تغيرت تغيرا مؤثرا ام لا فبين انه اذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات فان قلت قد قال خبثا ومهما كثرت حملها فهذا
ينقلب عليك فانها مهما كثرت حملها ايضا حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا
وعلى الجملة فيلي في امور النجاسات الى المساهلة فيما من سيرة الاولين وحسما لمادة الوسواس ولذلك افتيت بالطهارة
فيما وقع الخلاف فيه من هذه المسائل الطرف الثالث في كيفية الازالة فالنجاسة ان كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم محسوس
فيكفي اجراء الماء على جميع مواردها وان كانت عينية فلا بد من ازالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا
بقاء اللون الا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص واما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعفى
عنها الا اذا كان الشيء له رائحة فائحة يعسر ازالتها فالدلك والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحت والقرص في اللون و
المزيل للوسواس ان يعلم ان الاشياء خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد عليها النجاسة ولا يعلمها يقينا يصلي معها ولا ينبغي ان
يتوصل بالاستنباطات الى تقدير النجاسات القسم الثاني في طهارة الاحداث ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدم عليها
الاستنجاء فنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وهو قضاء الحاجة **اداب قضاء الحاجة** ينبغي ان يبعد عن اعين الناظرين في الصحراء وان يستتر بشيء ان وجده وان لا يكشف عورته قبل الانتهاء
الى موضع الجلوس وان لا يستقبل الشمس والقمر وان لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها الا اذا كان في بناء والعدول عنها
في البناء ايضا احب وان استتر بالصحراء براحلته جاز وكذا بذيله وان يتقي الجلوس في متحدث الناس وان لا يبول في الماء
الراكد وتحت الشجرة المثمرة وفي الجحر وان يتقي الموضع الصلب ومهاب الرياح في البول استنزاها من رشاشه وان يتكئ
في جلوسه على الرجل اليسرى وان كان في بنيان يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج ولا يبول قائما قالت
عائشة رضي الله عنها من حدثكم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه وقال عمر رآني عليه الصلاة والسلام
وانا ابول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما وفيه رخصة اذ روى حذيفة انه عليه الصلاة والسلام بال قائما فاتيته بوضوء فتوضأ
ومسح على خفيه ولا يبول في المغتسل قال عليه الصلاة والسلام عامة الوسواس منه قال ابن المبارك ان كان الماء جاريا فلا بأس ولا
يستصحب شيئا عليه اسم الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس وان يقول عند الدخول
بسم الله اعوذ بالله من الخبث المخبث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وابقى علي ما ينفعني
وان يعد النبل قبل الجلوس وان لا يستنجي بالماء في موضع الحاجة وان يستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا وامرار اليد على اسفل
القضيب ولا يكثر التفكر في الاستبراء فيوسوس ويشق عليه الامر وما يحس به من بلل فليقدر انه بقية الماء فان كان يؤذيه
ذلك فليرش الماء عليه حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم فعل
ذلك اعني رش الماء وقد كان اخفهم استبراء افقههم فيدل الوسواسة فيه على قلة الفقه وفي حديث سلمان علمنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة امرنا ان لا نستنجي بعظم ولا روث ونهانا ان نستقبل القبلة بغائط او بول
وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا احسبك تحسن الخراءة فقال بلى وابيك اني بها لحاذق ابعد الاثر
واعد المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح واقعي اقعاء الظبي واجفل اجفال النعام الشيح نبت طيب الرائحة يكون بالبادية والاقعاء ههنا ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع
عجزه ومن الرخص ان يبول الانسان وبقربه صاحبه مستترا عنه فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شدة
حيائه ليبين للناس **كيفية الاستنجاء** ثم يستنجي لمقعدته بثلاثة احجار فان انقى كفى والا استعمل رابعا فان
انقى استعمل خامسا لان الايتار مستحب قال عليه الصلاة والسلام من استجمر فليوتر ويأخذ الحجر بيساره ويضعها على
مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمرها بالمسح والادارة الى المؤخر ويأخذ الثانية ويضعها على المؤخر كذلك ويمرها
الى المقدمة ويأخذ الثالثة فيديرها حول المسربة ادارة وان عسرت الادارة ومسح من المقدمة او المؤخر اجزأه ثم يأخذ
حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار ويمسح ثلاثا في ثلاث مواضع او في ثلاثة احجار
او في ثلاثة مواضع من جدار الى ان لا يرى الرطوبة في محل المسح فان حصل ذلك بمرتين اتى بالثالثة ووجب ذلك ان اراد
الاقتصار على الحجر وان حصل بالرابعة استحب الخامسة للايتار ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجي بالماء بان يفيضه باليمنى على
محل النجو ويدلكه باليسرى حتى لا يبقى اثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع
الوسواس وليعلم ان كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم يبرز وكل ما هو ظاهر
وثبت له حكم النجاسة فحد ظهوره ان يصل الماء اليه فيزيله فلا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم
طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش ويدلك يده بحائط او بالارض ازالة للرائحة ان بقيت والجمع بين الماء و
الحجر مستحب فقد روي انه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم لاهل قباء ما هذه الطهارة التي اثنى الله بها عليكم قالوا انا نجمع بين الماء والحجر **كيفية الوضوء** اذا فرغ من الاستنجاء
اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم قط خارجا من الغائط الا توضأ ويبتدئ بالسواك فقد قال صلى الله عليه و
سلم ان افواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك فينبغي ان ينوي عند السواك تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكر الله في
الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم صلاة على اثر السواك افضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك وقال لولا ان اشق على امتي
لامرتهم بالسواك عند كل صلاة وقال صلى الله عليه وسلم ما لي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا اي صفر الاسنان وكان عليه
الصلاة والسلام يستاك في الليلة مرارا وعن ابن عباس انه قال لم يزل يامرنا بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شيء
وقال عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم مرضاة للرب وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه السواك يزيد في الحفظ ويذهب
البلغم وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم وكيفيته ان يستاك بخشب الاراك او غيره
من قضبان الاشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك عرضا وطولا وان اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل
وضوء وان لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم او طول الازم او اكل ما يكره رائحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء
ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يسم الله اي لا وضوء كاملا ويقول عند ذلك اعوذ بك من
همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ثم يغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما الاناء ويقول اللهم اني اسألك اليمن و
البركة واعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث او استباحة الصلاة ويستديم النية الى ان يغسل الوجه فان نسيها
عند الوجه لم يجزه ثم ياخذ غرفة لفيه فيتمضمض بها ثلاثا ويغرغر بان يرد الماء الى الغلصمة الا ان يكون صائما فيرفق و
يقول اللهم اعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم ياخذ غرفة لانفه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس الى خياشيمه
ويستنثر ما فيه ويقول في الاستنشاق اللهم اوجد لي رائحة الجنة وانت عني راض وفي الاستنثار اللهم اني اعوذ بك من
روائح النار ومن سوء الدار لان الاستنشاق ايصال والاستنثار ازالة ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبتدإ تسطيح
الجبهة الى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الاذن الى الاذن في العرض ولا يدخل في حد الوجه النزعتان على طرفي الجبين فهما من
الراس ويوصل الماء الى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع
طرف الخيط على رأس الاذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الماء الى منابت الشعور الاربعة الحاجبان والشاربان و

والاهداب والعذاران لانها خفيفة في الغالب والعذاران مايوازى الاذنين من مبتداء اللحية ويجب ايصال الماء الى
منابت اللحية الخفيفة اعني مايقبل من الوجه واما الكثيف فلا وحكم العنفقة حكم اللحية في الكثافة والخفة ثم يفعل
ذلك ثلاثا ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الاصبع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل
وينقيهما فقد روي انه عليه الصلوة والسلم فعل ذلك ويأمل عنده لتخرج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو
ويقول عنده اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه اعدائك
ويخلل اللحية عند غسل الوجه فهو مستحب ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلاثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء الى اعالي
العضد فانهم يحشرون يوم القيمة غرا محجلين من آثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه الصلوة والسلم من استطاع ان
يطيل غرته فليفعل وروي ان الحلية تبلغ مواضع الوضوء ويبدأ باليمين ويقول اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني
حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم اني اعوذ بك ان تعطيني كتابي بشمالي او من وراء ظهري ثم يستوعب
راسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق رؤوس اصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الراس ويمرهما الى القفا ثم يردهما
الى المقدمة وهي مسحة واحدة يفعل ذلك ثلاثا ويقول اللهم غشني برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلني تحت عرشك
يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بان يدخل مسبحتيه في صماخي اذنيه ويدير ابهاميه على ظاهر
اذنيه ثم يضع الكف على الاذنين استظهارا ويكرره ثلاثا ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
اللهم اسمعني منادي الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته لقوله عليه الصلوة والسلم مسح الرقبة امان من الغل يوم القيمة و
يقول اللهم فك رقبتي من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل باليد اليسرى من اسفل
اصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل فيه الاقدام في النار ويقول
عند غسل اليسرى اعوذ بك ان تزل قدمي على الصراط يوم تزل اقدام المنافقين ويرفع الماء الى انصاف الساقين فاذا
فرغ رفع راسه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم و
بحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين
واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني صبورا شكورا واجعلني اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا فيقال ان من قال
هذا بعد الوضوء ختم على وضوءه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم
القيمة **ويكره في الوضوء** امور احدها ان يزيد على الثلث وان يسرف في الماء توضأ عليه الصلوة والسلم ثلاثا و
قال من زاد فقد ظلم واساء وقال عليه الصلوة والسلم سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعاء والطهور
ويقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور قال ابرهيم بن ادهم يقال اول ما يبدأ الوسواس من قبل الطهور وقال
الحسن ان شيطانا يضحك بالناس في الوضوء يقال له الولهان ويكره ان ينفض اليد فيرش الماء وان يتكلم في اثناء
وضوءه وان يلطم وجهه بالماء لطما وكره قوم التنشف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهري
ولكن روى معاذ انه عليه الصلوة والسلم مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عايشة انه كان له منشفة ولكن طعن في
الروايه عن عايشة ويكره ان يتوضأ من اناء صفر وان يتوضأ بالمشمس وذلك من جهة الطب وقد روي عن ابن عمر وابي
هريرة كراهة الاناء الصفر وقال بعضهم اخرجت لشعبة ماء في اناء صفر فابى ان يتوضأ ونقل كراهة ذلك من ابن عمر ومهما
فرغ عن وضوءه واقبل على الصلوة ينبغي ان يخطر بالبال انه طهر ظاهره وهو مطرح نظر الخلق فينبغي ان يستحيي من مناجاة الله
من غير تطهير قلبه وهو موقع نظر الرب وليتحقق ان طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الاخلاق الذميمة فان من اقتصر على طهارة
الظاهر كمن اراد ان يدعو ملكا الى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار وما اجدره
بالتعرض للمقت والبوار **فضيلة الوضوء** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فاسبغ الوضوء وصلى ركعتين
لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ اخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه
وقال ايضا الا انبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع الدرجات اسباغ الوضوء في المكاره ونقل الاقدام الى المساجد و
انتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة فقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به
وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله اجره مرتين وتوضأ ثلاثا ثلاثا فقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء قبلي
ووضوء خليلي ابرهيم صلوات الله عليه وقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الله عند وضوءه طهر الله جسده كله ومن لم
يذكر الله لم يطهر منه الا ما اصاب الماء وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وقال الوضوء على
الوضوء نور على نور وهذا حث على تجديد الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم اذا توضأ العبد المسلم فمضمض خرجت الخطايا من فيه
واذا استنثر خرجت الخطايا من انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من اشفار عينيه فاذا غسل يديه
خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت اظفار يديه فاذا مسح براسه خرجت الخطايا من راسه حتى تخرج من اذنيه فاذا غسل رجليه
خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت اظفاره ثم كان مشيه الى المسجد وصلوته نافلة له ويروى ان الطاهر كالصائم
وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع راسه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وقال عمر رضي الله عنه ان الوضوء الصالح يطرد عنك
الشيطان وقال مجاهد من استطاع ان لا يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الارواح تبعث على ما قبضت عليه
كيفية الغسل وهو ان يضع الاناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويغسل يديه ثلاثا ثم يستنجي كما وصفناه ويزيل ما على بدنه من
نجاسة ان كانت ثم يتوضأ وضوءه للصلوة كما سبق الا غسل قدميه فانه يؤخرهما فان غسلهما ثم وضعهما على الارض كان
كالاضاعة للماء ثم يصب الماء على شقه الايمن ثلاثا ثم على شقه الايسر ثلاثا ثم يدلك ما اقبل من بدنه وما ادبر ويخلل شعر
الراس واللحية ويوصل الماء الى منابتهما ما كثف منه او خف وليس على المراة نقض الضفائر الا اذا علمت ان الماء لا يصل الى خلال
الشعور ويتعهد معاطف البدن وليتق ان يمس ذكره في اثناء ذلك فان فعل ذلك فليعد الوضوء وان توضأ قبل
الغسل فلا يعيده بعد الغسل فهذه سنة الوضوء والغسل ذكرنا منهما ما لا بد لسالك طريق الاخرة من علمه وعمله وما
عداه من المسائل يحتاج اليها في عوارض الاحوال فيرجع فيها الى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الغسل
امران النية واستيعاب البدن بالغسل ومن الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الراس
وغسل الرجلين الى الكعبين والترتيب واما الموالاة فليست بواجبة والغسل الواجب اربعة الغسل لخروج المني والتقاء
الختانين والحيض والنفاس وما عداه من الاغتسال سنة كالغسل للجمعة والعيدين والاحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة
ولدخول مكة وثلثة اغسال ايام التشريق ولطواف الوداع على قول والكافر اذا اسلم غير جنب والمجنون اذا افاق و
لمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب **كيفية التيمم** من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب او بمانع له عن
الوصول اليه من سبع او حابس او كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه او عطش رفيقه او كان ملكا للغير ولم يبع منه
الا باكثر من ثمن مثله او كان به جراحة او مرض وخاف من استعماله فساد العضو او شدة الضنا فينبغي ان يصبر
حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور غباره فيضرب عليه كفيه
ضاما بين اصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوي عنده استباحة الصلوة ولا يتكلف ايصال الغبار الى ما تحت
الشعور خف او كثف ويجتهد ان يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لا يزيد
على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج فيها بين اصابعه ثم يلصق
ظهور اصابع يده اليمنى ببطون اصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز اطراف الانامل من احديهما عرض المسبحة من الاخرى
ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده اليمنى الى المرفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على بطن ساعده اليمنى

ويمرها الى الكوع ويمر بطن ابهامه اليسرى على ظهر ابهامه اليمنى ثم يفعل باليد اليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين
اصابعه وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب الى المرفقين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك فلا باس بان يستوعب
بضربتين و زيادة فان صلى به الفرض فله ان يتنفل كيف شاء فان جمع بين فرضين فينبغي ان يعيد التيمم للثانية وهكذا
يفرد كل فريضة بتيمم والله اعلم **القسم الثالث من النظافة التنظيف عن الفضلات الظاهرة** وهي نوعان اوساخ واجزاء **النوع الاول**
الاوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية **الاول** ما يجتمع في شعر الراس من الدرن والقمل والتنظيف عنه مستحب بالغسل
والترجيل والتدهين ازالة للشعث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا ويامر به ويقول
ادهنوا غبا وقال صلى الله عليه وسلم من كانت له شعرة فليكرمها اي ليصنها عن الاوساخ ودخل عليه رجل ثائر الراس
اشعث اللحية فقال اما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل احدكم كانه شيطان **الثاني** ما يجتمع من الوسخ في
معاطف الاذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصماخ فينبغي ان ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة
ذلك ربما يضر بالسمع **الثالث** ما يجتمع في داخل الانف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبها ويزيلها الاستنشاق و
الاستنثار **الرابع** ما يجتمع على الاسنان واطراف اللسان من القلح ويزيلها السواك والمضمضة وقد ذكرناهما **الخامس**
ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل اذا لم يتعهد ويستحب ازالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط وفي الخبر المشهور انه عليه
الصلوة والسلام كان لا يفارق المشط والمدرى في سفر ولا حضر وهي سنة العرب وفي خبر غريب انه كان يسرح لحيته في اليوم
مرتين وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية وكذلك كان ابو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان علي عريض اللحية وقد
ملأت ما بين منكبيه وفي حديث اغرب منه قالت عائشة اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرايته
يطلع في الجب يسوي من راسه ولحيته فقلت او تفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من عبده ان يتجمل لاخوانه
اذا خرج اليهم والجاهل ربما يظن ان ذلك من حب التزين للناس قياسا على اخلاق غيره وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات
فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مامورا بالدعوة وكان من وظائفه ان يسعى في تعظيم امر نفسه في قلوبهم كيلا
يزدري نفوسهم وتحسين صورته في اعينهم كيلا يستصغره اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم
وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الله تعالى وهو ان يراعي من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه و
الاعتماد في مثل هذه الامور على النية فانها اعمال في انفسها يكتسب الاوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد
محبوب وترك الشعث في اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو اهم منه محبوب وهذه احوال
باطنة بين العبد وبين الله تعالى والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الامور التفاتا
الى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم ان قصده الخير فيرى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة
ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمجادلين والتقرب الى الله تعالى به وهذا ينكشف يوم تبلى السرائر ويوم يبعثر ما في
القبور ويحصل ما في الصدور فعند ذلك يتميز السبيكة الخالصة من البهرج فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر
السادس وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الانامل كانت العرب لا يكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام
فيجتمع في تلك الغضون وسخ فامرهم صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم **السابع** تنظيف الرواجب امر صلى الله عليه وسلم
العرب وهي رؤس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ لانها كانت لا تحضرها المقراض في كل وقت فيجتمع فيها اوساخ
فوقت لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة اربعين يوما ولكنه امر بتنظيف ما تحت
الاظفار وجاء في الاثر ان النبي صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحي فلما هبط جبريل قال له كيف ننزل عليكم وانتم لا تغسلون
براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لا تستاكون مر امتك بذلك والاف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن وقوله تعالى ولا
تقل لهما اف اي لا تعيبهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتاذ بهما كما تتاذى بما تحت الظفر **الثامن** الدرن الذي يجتمع على

جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا باس بدخول الحمام دخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه و
سلم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روي ذلك عن ابي الدرداء وابي ايوب
الانصاري وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذلك لفضيلته ولا باس بطلب
فائدته عند الاحتراز عن آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات فعليه واجبان في عورته وهو ان
يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير ولا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين
السرة والعانة وفي اباحة مس ما ليس بسوءة لازالة الوسخ احتمال لكن الاقيس التحريم ثم اذ الحق مس السوءتين في التحريم
بالنظر فكذلك ينبغي ان يكون في سائر العورة والواجبان في عورة الغير ان يغض بصر نفسه عنها وان ينهى عن كشفها لان
النهي عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر الا لخوف ضرب او شتم او ما يجري
عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه ان ينكر حراما يرهق المنكر عليه الى مباشرة حرام آخر فاما قوله اعلم ان ذلك لا يفيد ولا
يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بد من الذكر فلا يخلو قلب عن التاثر بسماع الانكار واستشعار الاحتراز عند التعيير بالمعاصي
وذلك يؤثر في تقبيح الامر في عينه وتنفير نفسه فلا يجوز تركه ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الاوقات
اذ لا يخلو عن عورات مكشوفة لا سيما ما تحت السرة الى ما فوق العانة اذ الناس لا يعدونها عورة وقد الحقها الشرع بالعورة
وجعلها كالحريم لها ولهذا يستحب تخلية الحمام قال بشر بن الحارث ما اعنف رجلا لا يملك الا درهما دفعه ليخلى له الحمام وروي
ابن عمر في الحمام ووجهه الى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لا باس بدخول الحمام ولكن بازارين ازار
للعورة وازار للراس يتقنع به ويحفظ عينيه **اما السنن فعشرة** الاول النية وهو ان لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا
لاجل هوى بل يقصد به التنظيف المحبوب تزينا للصلوة ثم يعطي الحمامي الاجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول وكذا ما
ينتظره الحمامي فتسليم الاجرة دفع للجهالة من احد العوضين وتطييب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله
الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة او يتكلف تخلية الحمام فانه وان لم يكن في الحمام
الا اهل الدين والمحتاطين للعورات فالنظر الى الابدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكر للتامل في العورات ثم لا
يخلو الناس في الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف في اطراف الازار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولاجله عصب
ابن عمر عينيه ويغسل جناحيه عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الاول وان لا يكثر صب الماء بل يقتصر على
قدر الحاجة فانه الماذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه لا سيما الماء الحار فله مؤنة وفيه تعب وان يتذكر
حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيسه الى جهنم فانه اشبه بيت بجهنم النار من تحت و
الظلام من فوق نعوذ بالله بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء او
نار او غيرهما عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دارا معمورة مفروشة
فاذا تفقدتهم رايت البزاز ينظر الى الفرش يتامل قيمتها والحائك ينظر الى الثياب يتامل نسجها والنجار ينظر الى السقف
يتامل كيفية تركيبها والبناء ينظر الى الحيطان يتامل كيفية احكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى
من الاشياء الا ما يكون له موعظة من الآخرة بل لا ينظر الى شيء الا ويفتح الله له فيه طريق عبرة فان نظر الى سواد تذكر ظلمة
اللحد وان نظر الى حية تذكر افاعي جهنم وان نظر الى صورة قبيحة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع صوتا هائلا
تذكر نفخة الصور وان راى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد او قبول في سوق او دار تذكر ما ينكشف
من آخر امره بعد الحساب من الرد والقبول وما احدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل اذ لا يصرفه عنه الا مهمات
الدنيا فاذا نسب مدة المقام في الدنيا الى مدة المقام في الآخرة استحقرها ان لم يكن ممن اغفل قلبه واعميت بصيرته و
من السنن ان لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره وان اجاب قال عافاك الله ولا

باس ان يصافح الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن الا سرا ولا باس باظهار
الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا باس بان
يدلكه غيره فقد نقل عن يوسف بن اسباط انه اوصى بان يغسله انسان لم يكن من اصحابه وقال انه دلكني في الحمام مرة فاردت
ان اكافيه بما يفرح به وانه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل في
بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت بي ثم مهما فرغ من الحمام
شكر الله تعالى على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار في الشتاء من النعيم الذي يسأل عنه وقال ابن عمر الحمام من النعيم الذي
احدثوه هذا من جهة الشرع اما من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد النورة امان من الجذام وقيل ان النورة في كل شهر
مرة تطفئ المرارة وتنقي اللون وتزيد في الجماع وقيل بولة في الحمام قائما في الشتاء انفع من شربة دواء وقيل نومة
في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام امان من النقرس ويكره
صب الماء البارد على الراس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال اما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يحل
للرجل ان يدخل حليلته الحمام وفي البيت مستحم والمشهور حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر وحرام على المراة دخول
الحمام الا لنفساء او مريضة دخلت عائشة حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل الا بمئزر سابغ ويكره
للرجل ان يعطيها اجرة الحمام فيكون معينا لها على المكروه النوع الثاني ما يحدث من البدن من الاجزاء وهي ثمانية الاول
شعر الراس ولا باس بحلقه لمن اراد التنظف ولا باس بتركه لمن يدهن ويترجل الا اذا تركه قزعا اي قطعا وهي دأب اهل
الشطارة او ارسل الذوائب على هيئة اهل الشرف حيث صار ذلك شعارا لهم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا
الثاني شعر الشارب وقد قال صلى الله عليه وسلم قصوا الشوارب وفي لفظ اخر جزوا الشوارب وفي لفظ حفوا الشوارب
واعفوا اللحى اي اجعلوها حفا في الشفة اي حولها وحفاف الشيء حوله ومنه وترى الملائكة حافين من حول العرش وفي
لفظ اخر احفوا وهذا يشعر بالاستئصال وقوله حفوا يدل على ما دون ذلك قال الله تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا اي
يستقصي عليكم واما الحلق فلم يرد والاحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين الى رجل احفى
شاربه فقال ذكرتني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المغيرة بن شعبة نظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد طال شاربي فقال تعال فقصه لي على سواك ولا باس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر وغيره لان
ذلك لا يستر الفم ولا تبقى فيه غمر الطعام اذ لا يصل اليه وقوله اعفوا اللحى اي كثروها وفي الخبر ان اليهود يعفون شواربهم
ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلماء الحلق وراه بدعة الثالث شعر الابط ويستحب نتفه في كل اربعين يوما
مرة وذلك سهل على من تعود في الابتداء نتفه فاما من تعود الحلق فيكفيه الحلق اذ في النتف تعذيب وايلام والمقصود
النظافة وان لا يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالحلق الرابع شعر العانة ويستحب ازالة ذلك اما بالحلق او بالنورة
ولا ينبغي ان يتاخر عن اربعين يوما الخامس الاظفار وقلمها مستحب لشناعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة قلم اظفارك فان الشيطان يقعد على ما طال منها ولو كان تحت الظفر وسخ
فلا يمنع ذلك صحة الوضوء اما لانه لا يمنع وصول الماء او لانه يتساهل فيه للحاجة لا سيما في اظفار الرجل وفي الاوساخ
التي تجتمع على البراجم وظهور الارجل والايدي للعرب واهل السواد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرهم بالقلم
وينكر ما يرى تحت اظفارهم من الاوساخ ولم يامرهم باعادة الصلوات ولو امرهم لكان فيه فائدة اخرى وهو
التغليظ والزجر عن ذلك ولم ار في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روي انه صلى الله عليه و
سلم بدأ بمسبحة اليمنى وختم بابهام اليمنى فابتدأ باليسرى بالخنصر الى الابهام وفي اليمنى من المسبحة الى الخنصر والختم بابهام
اليمنى ولما تاملت في هذا خطر لي من المعنى ما يدل على ان الرواية فيه صحيحة اذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء الا بنور النبوة و

اما العالم ذو البصيرة فغايته ان يستنبط من الفعل بعد نقل الفعل اليه والذي لاح لي فيه والعلم عند الله انه لا بد من قلم الاظفار
والرجل واليد واليد اشرف من الرجل فيبدأ بها ثم اليمنى اشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة اصابع والمسبحة
اشرفها اذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الاصابع ثم بعدها ينبغي ان يبتدئ بما على يمينها اذ الشرع يستحب ادارة
الطهور وغيره على اليمين وان وضعت ظهر اليد على الارض فالابهام هو اليمين وان وضعت الكف فالوسطى هي اليمين و
اليد اذا تركت بطبعها كان الكف مائلا الى جهة الارض اذ جهة حركة اليمنى الى اليسار واستتمام الحركة الى اليسار يجعل ظهر
الكف عاليا فما يقتضيه الطبع اولى ثم اذا وضعت الكف على الكف صارت الاصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضي ترتيب الدور
الذهاب عن يمين المسبحة الى ان يعود الى المسبحة فيقع البداية بخنصر اليسرى والختم بابهامه ويبقى ابهام اليمنى وانما قدرت الكف
موضوعا على الكف حتى يصير الاصابع كاشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك اولى من تقدير وضع الكف على ظهر
الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع واما اصابع الرجل فالاولى عندي ان لم يثبت فيه نقل ان يبدأ بالخنصر اليمنى ثم يختم
بخنصر اليسرى كما في التخليل فان المعاني التي ذكرناها لا تتجه ههنا اذ لا مسبحة في الرجل وهذه الاصابع في حكم صف
واحد ثابت على الارض فيبدأ من جانب اليمين فان تقديرها حلقة بوضع الاخمص على الاخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين
وهذه الدقائق في الترتيب تنكشف بنور النبوة في لحظة وانما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتداء عما لم يخطر لنا واذا
ذكر لنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه تيسر لنا ربما بامارته صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط
المعنى ولا تظنن ان افعاله صلى الله عليه وسلم في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الامور الاختيارية
التي يتردد فيها الفاعل بين قسمين او اقسام كان لا يتقدم على واحد معين بالاتفاق بل لمعنى يقتضي الاقدام والتقديم
فان الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعاني سجية اولياء الله تعالى وكلما كانت حركات
الانسان وخطراته الى الضبط اقرب وعن الاهمال والترك سدى ابعد كان مرتبته الى رتبة الانبياء والاولياء اكثر
وكان قربه من الله اظهر اذ القريب من النبي وهو قريب من الله لا بد وان يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالاضافة
الى غيره فنعوذ بالله ان يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في ناصية الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات
باكتحاله صلى الله عليه وسلم فانه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين فبدايته باليمنى لشرفها وتفاوته بين العينين
ليكون الجملة وترا فان للوتر فضلا على الزوج فان الله وتر يحب الوتر فلا ينبغي ان يخلو فعل العبد عن مناسبة لوصف
من اوصاف الرب ولذلك استحب الايتار في الاستجمار وانما لم يقتصر على الثلث وهو وتر لان اليسرى لا يخصها الا
واحدة والغالب ان الواحدة لا تستوعب اصول الاجفان بالكحل وانما خصص اليمين بالزيادة لان التفضيل لا بد
منه للايتار واليمين افضل فهو بالزيادة احق وان قلت لم اقتصر على اثنين لليسرى وهو زوج فذلك ضرورة اذ
لو جعل لكل واحدة وترا كان المجموع زوجا اذ الوتر مع الوتر زوج ورعاية الايتار في مجموع الفعل وهو في حكم الخصلة
الواحدة احب من رعايته في الاحاد ولذلك ايضا وجه وهو ان يكتحل في كل واحدة ثلاثا على قياس الوضوء وقد
نقل ذلك في الصحيح وهو الاولى ولو ذهبت استقصي دقائق ما راعاه صلى الله عليه وسلم في حركاته لطال الامر
فقس بما سمعته ما لم نسمعه واعلم ان العالم لا يكون وارثا للنبي صلى الله عليه وسلم الا اذا اطلع على جميع معاني
الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم الا درجة وهي درجة النبوة وهي الدرجة الفارقة بين الوارث
والموروث اذ الموروث هو الذي حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر
عليه ولكن انتقل اليه وتلقاه منه بعد حصوله فامثال هذه المعاني مع سهولة امرها بالاضافة الى الاغوار والا
لا يستقل بدركها ابتداء الا الانبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الانبياء عليها الا العلماء الذين هم
ورثة الانبياء السادسة والسابعة زيادة السرة وقلفة الحشفة اما السرة فتقطع في اول الولادة واما التطهير

بالختان فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير الى ان يثغر الولد احب وابعد عن الخطر قال
صلى الله عليه وسلم الختان سنة للرجال مكرمة للنساء وينبغي ان لا يبالغ في خفض المراة قال صلى الله عليه وسلم لام
عطية وكانت تخفض يا ام عطية اشمي ولا تنهكي فانه اسرى للوجه واحظى عند الزوج اي اكثر لماء الوجه ولحسن
في جماعها فانظر الى جزالة لفظه في الكناية والى اشراق نور النبوة من مصالح الاخرة التي هي اهم مقاصد النبوة
الى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو امي من هذا الامر النازل قدره ما لو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان
من ارسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم والثامن ما طال من اللحية و
انما اخرناها لنلحق بها ما في اللحية من السنن والبدع اذ هذا اقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها
فقيل ان قبض الرجل على لحيته واخذ ما تحت القبضة فلا باس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي
وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة قالوا تركها عافية احب لقوله صلى الله عليه وسلم اعفوا اللحى والامر في هذا قريب
اذا لم ينته الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فان الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق السنة المغتابين بالنسبة
اليه فلا باس بالاحتراز عنه على هذه النية وقال النخعي عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا ياخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين
فان التوسط في كل شيء حسن ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل **فصل في اللحية عشر خصال مكروهة** وبعضها
اشد من بعض وهي خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة فيها و
تسريحها تصنعا لاجل الرياء وتركها شعثة اظهارا للزهد والنظر الى سوادها عجبا بالشباب والى بياضها تكبرا بعلو السن و
خضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين اما الاول وهو الخضاب بالسواد وهو منهي عنه قال صلى الله عليه
وسلم خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لا في تبييض الشعر و
نهى عن السواد بالخضاب وقال هو خضاب اهل النار وفي لفظ اخر الخضاب بالسواد خضاب الكفار وتزوج رجل
على عهد عمر وكان يخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه اهل المراة الى عمر فرد نكاحه واوجعه ضربا و
قال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك ويقال اول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس رضي الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم يكون في اخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة الثاني
الخضاب بالحمرة والصفرة وهو جائز تلبيسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل
للتشبه باهل الدين فهو مذموم فقد قال صلى الله عليه وسلم الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا
يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لاجل الغزو وذلك لا باس به اذا صحت
النية ولم يكن فيه هوى وشهوة الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا لاظهار علو السن توصلا الى التوقير وقبول
الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا على الشبان واظهارا للكثرة العلم ظنا بان كثرة الايام يعطيه فضلا
وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل الا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة لا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول
المدة يؤكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشبان بالعلم كان عمر رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن
على اكابر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس ما اتى الله تعالى عبدا علما الا شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله تعالى قالوا
سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقوله تعالى انهم فتية امنوا بربهم وقوله واتيناه الحكم صبيا وكان انس يقول قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا ابا حمزة فقد اسن فقال لم يشنه الله
تعالى بالشيب فقيل او شين هو قال كلكم يكرهه ويقال ان يحيى بن اكثم ولي القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة فقال
له رجل في مجلسه يريد ان يخجله بصغر سنه كم سن القاضي ايده الله فقال انا اسن من عتاب بن اسيد حين ولاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم امارة مكة وقضاءها فافحمه وروي عن مالك انه قال قرات في بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فان التيس له

لحية وقال ابو عمرو بن العلاء اذا رايت طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان امية بن عبد شمس
وقال ايوب السختياني ادركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه وقال علي بن الحسين من سبق اليه العلم قبلك
فهو امامك فيه وان كان اصغر سنا منك وقيل لابي عمرو بن العلاء ايحسن من الشيخ ان يتعلم من الصغير قال ان كان الجهل
يقبح به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لاحمد بن حنبل وقد راه يمشي خلف بغلة الشافعي يا ابا عبد الله تركت حديث
سفيان بعلوه وتمشي خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال احمد لو عرفت لكنت تمشي من الجانب الاخر ان علم سفيان ان فاتني
بعلو ادركته بنزول وان عقل هذا الشاب ان فاتني لم ادركه بعلو ولا بنزول الرابع نتف بياضها استنكافا من الشيبة
وقد نهى عليه الصلوة والسلام عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهة ما سبق و
الشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور الخامس نتفها او نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه و
مشوه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة وهما جنبتا العنفقة شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكيه فرد
شهادته ورد عمر بن الخطاب وابن ابي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان ينتف لحيته واما نتفها في اول النبات تشبها بالمرد
فمن المنكرات الكبار فان اللحية زينة الرجال ولله ملائكة يقسمون والذي زين بني ادم باللحى وهي من تمام الخلقة وبها
يتميز الرجال عن النساء وقيل في غريب التاويل اللحية هي المراد بقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء قال اصحاب الاحنف
وددنا ان نشتري للاحنف لحية ولو بعشرين الفا وقال شريح القاضي وددت ان لي لحية بعشرة الاف وكيف يكره اللحية
وفيها تعظيم الرجل والنظر اليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس واقبال الوجوه اليه والتقدم على الجماعة ووقاية العرض
فان من يشتم يعرض باللحية اذا كان للمشتوم لحية وقيل ان اهل الجنة مرد الا هارون اخا موسى فان له لحية الى سرته
تخصيصا له وتفضيلا السادس نتفها بالتعبية طاقة على طاقة للتزين للنساء والتصنع قال كعب يكون في اخر
الزمان اقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقبون نعالهم كالمناجل اولئك لا خلاق لهم السابع الزيادة فيها وهو ان
يزيد في شعر العارضين من الصدغ وهو من شعر الراس حتى يجاوز عظم اللحي او ينتهي الى نصف الخد وذلك يباين هيئة
اهل الصلاح الثامن تسريحها لاجل الناس قال بشر في اللحية شركان تسريحها لاجل الناس وتركها متفتلة لاظهار الزهد
التاسع والعاشر النظر الى سوادها او بياضها بعين العجب وذلك مذموم في جميع اجزاء البدن بل في جميع الاخلاق و
الافعال على ما سياتي بيانه فهذا ما اردنا ان نذكره من انواع التزين والنظافة وقد حصل من الاثار احاديث
من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة خمس منها في الراس فرق شعر الراس والمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب
وثلاث في اليد والرجل وهي القلم وغسل البراجم وتنظيف الرواجب واربعة في الجسد وهو نتف الابط والاستحداد و
الختان والاستنجاء بالماء فقد وردت الاخبار بمجموع ذلك واذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة
دون الباطنة فلنقتصر على هذا ولنتحقق ان فضلات الباطن واوساخها التي يجب تنظيفها منها اكثر من ان تحصى و
سياتي تفصيلها في ربع المهلكات مع تعريف الطريق في ازالتها وتطهير القلب منها ان شاء الله تم هذا الكتاب بحمد الله و
وصلواته على خير خلقه محمد واله

كتاب اسرار الصلوة ومهماتها

وهو الكتاب الرابع من ربع العبادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غمر العباد بلطائفه وعمر قلوبهم بانوار الدين ووظائفه الذي تنزل عن عرش الجلال الى السماء الدنيا من درجات
الرحمة احدى عواطفه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في السؤال والدعاء فقال هل من داع
فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص للعباد في المناجاة بالصلوات
كيفما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفاء
الملوك لا يسمح بالخلوة الا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما اعظم شانه واقوى سلطانه واتم لطفه واعم احسانه

والصلوة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى آله واصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى اما بعد فان الصلوة عماد الدين وعصام اليقين وسيد القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا في فن الفقه في بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه اصولها وفروعها صارفين جمام العناية الى تفاريعها النادرة ووقائعها الشاذة ليكون خزانة للمفتي منها يستمد ومعولا اليها يفزع ويرجع ونحن الآن في هذا الكتاب نقتصر على ما لا بد للمريد منه من اعمالها الظاهرة واسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها الخفية في معاني الخشوع والاخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكرها في الفقه ومرتبون الكتاب على سبعة ابواب الباب الاول في فضائل الصلوات الباب الثاني في تفصيل الاعمال الظاهرة من الصلوة الباب الثالث في تفصيل الاعمال الباطنة منها الباب الرابع في الامامة والقدوة الباب الخامس في صلوة الجمعة وادابها الباب السادس في المسائل المتفرقة يعم بها البلوى الباب السابع في التطوعات

الباب الاول

في فضائل الصلوات والسجود والجماعة والاذان وغيرها

فضيلة الاذان

قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم القيمة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وام بقوم وهم به راضون ورجل اذن في مسجد ودعا الى الله عز وجل ابتغاء وجه الله ورجل ابتلي بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شيء الا شهد له يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم يد الرحمن على راس المؤذن حتى يفرغ وقيل في قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله نزلت في المؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن وذلك محبوب الا في الحيعلتين فانه يقول في الاولى لا حول ولا قوة الا بالله وفي الثانية كذلك وفي قوله قد قامت الصلوة اقامها الله وادامها ما دامت السموات والارض وفي التثويب صدقت وبررت وعند فراغ المؤذن يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود الذي وعدته وقال سعيد بن المسيب من صلى بارض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فاذا اذن واقام صلى وراءه امثال الجبال من الملائكة

فضيلة المكتوبة

قال الله تعالى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله عز وجل على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله ان يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من درنه قالوا لا شيء قال فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال ايضا ان الصلوات كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وقال بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال من لقي الله وهو مضيع للصلوة لم يعبأ الله بشيء من حسناته وقال الصلوة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين وسئل اي الاعمال افضل فقال الصلوة لمواقيتها وقال من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيمة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال مفتاح الجنة الصلوة وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد احب اليه من الصلوة ولو كان شيء احب اليه منه تعبد به ملائكته فمنهم راكع وساجد وقائم وقاعد وقال من ترك صلوة متعمدا فقد كفر اي قارب ان ينخلع عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلد انه بلغها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم من ترك صلوة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة من توضأ فاحسن الوضوء ثم خرج عامدا الى الصلوة فانه في صلوة ما كان يعمد الى الصلوة وانه يكتب باحدى خطوتيه حسنة ويمحى عنه بالاخرى سيئة فاذا سمع احدكم الاقامة فلا يسعى فان اعظمكم اجرا ابعدكم دارا قالوا لم يا ابا هريرة قال من اجل كثرة الخطى ويروى ان اول ما ينظر فيه يوم القيمة من عمل العبد الصلوة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة مر اهلك بالصلوة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يخلص له الربح حتى يخلص له راس المال وكذلك المصلي لا يقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة وكان ابو بكر يقول اذا حضرت الصلوة قوموا الى ناركم التي اوقدتموها فاطفئوها

فضيلة تمام الاركان

قال صلى الله عليه وسلم الصلوة المكتوبة كمثل الميزان من اوفى استوفى وقال يزيد بن الرقاشي كانت صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كانها موزونة وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجلين من امتي ليقومان الى الصلوة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلوتيهما ما بين السماء والارض واشار الى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله عز وجل يوم القيمة الى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال صلى الله عليه وسلم اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله وجهه وجه حمار وقال ايضا من صلى الصلوة لوقتها فاسبغ وضوءها واتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال عليه الصلوة والسلام اسوء الناس سرقة من سرق صلوته وقال ابن مسعود وسلمان الصلوة مكيال فمن اوفى وفي له ومن طفف فقد علم ما قال الله تعالى في المطففين

فضيلة الجماعة

قال صلى الله عليه وسلم الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا في بعض الصلوات فقال لقد هممت ان آمر رجلا يصلي بالناس ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها فامر بهم فتحرق عليهم بحزم الحطب بيوتهم ولو علم احدهم انه يجد عظما سمينا لشهدها يعني صلوة العشاء وقال عثمان مرفوعا من شهد العشاء فكانما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكانما قام ليلة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما اذن مؤذن منذ عشرين سنة الا وانا في المسجد وقال محمد بن واسع ما اشتهي من الدنيا الا ثلاثة اخا ان تعوجت قومني وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلوة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها وروي ان ابا عبيدة الجراح ام قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان بي انفا حتى اريت ان لي فضلا على غيري لا أؤم ابدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس بغير علم كمثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه وقال حاتم الاصم فاتتني الجماعة فعزاني البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني اكثر من عشرة الاف لان مصيبة الدين اهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس من سمع المنادي ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وقال ابو هريرة لان يملأ اذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع النداء ثم لم يجب وروي ان ميمون بن مهران اتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله لفضل هذه الصلوة احب الي من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم من صلى اربعين يوما الصلوات في جماعة لا يفوته تكبيرة الاحرام كتب له براءتان براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال انه اذا كان يوم القيمة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فيقول لهم الملائكة ما اعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم يحشر طائفة وجوههم كالاقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم يحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الاذان في المسجد ويروى ان السلف كانوا يعزون انفسهم ثلاثة ايام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة

فضيلة السجود

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقرب العبد الى الله بشيء افضل من سجود خفي وقال ما من مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه بها درجة وحط بها عنه خطيئة وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يجعلني من اهل شفاعتك ويرزقني مرافقتك في الجنة قال اعني بكثرة السجود وقيل ان

من اذانه

وانا اليه راجعون

بعضهم بعضا

اقرب ما يكون العبد الى الله ان يكون ساجدا وهو معنى قوله تعالى واسجد واقترب وقال عز وجل سيماهم في وجوههم من اثر
السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الارض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر و
هو الاصح وقيل هي الغرر التي يكون في وجوههم يوم القيمة من اثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة
فسجد اعتزل الشيطان يبكي وقال واويلاه امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار ويروى
عن علي بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد في كل يوم الف سجدة وكانوا يسمونه السجاد ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان لا
يسجد الا على التراب وكان يوسف بن اسباط يقول يا معشر الشبان بادروا الى الصحة قبل المرض فما بقي احد احسده الا
رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما اسى على شيء من الدنيا الا على السجود و
قال عقبة بن مسلم ما من خصلة في العبد احب الى الله من رجل يحب لقاء الله وما من ساعة العبد فيها اقرب الى الله منه
حيث يخر ساجدا وقال ابو هريرة اقرب ما يكون العبد الى الله اذا سجد فاكثروا الدعاء عند ذلك **فضيلة الخشوع**
قال الله تعالى واقم الصلوة لذكري وقال تعالى ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى
تعلموا ما تقولون قيل سكارى من كثرة الهمم وقيل من حب الدنيا وهب ان المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا اذ
بين فيه العلة فقال حتى تعلموا ما تقولون وكم من مصل لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلوته وقال النبي صلى الله
عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم انما الصلوة
تمسكن وتواضع وتضرع وتباوس وتنادم وتقنع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وروي عن
الله في الكتب السالفة انه قال ليس كل مصل اتقبل صلوته انما اتقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على واطعم الفقير
الجائع لوجهي وقال صلى الله عليه وسلم انما فرضت الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا
لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال صلى الله عليه وسلم واذا صليت
صلوة فصل صلوة مودع اي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر الى مولاه كما قال يا ايها الانسان انك
كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال تعالى واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلوته عن
الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا والصلوة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة وقال بكر بن عبد الله يا ابن ادم
اذا شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن دخلت قيل كيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا انت قد دخلت
على مولاك بغير اذن فكلمته بغير ترجمان وعن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا
حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى صلوة لا
يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابرهيم الخليل صلوات الله على نبينا وعليه اذا قام الى الصلوة سمع وجيب قلبه
على ميلين وكان سعيد التنوخي اذا صلى لم ينقطع الدموع من خديه على لحيته وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا
يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ويروى ان الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصا ويقول
اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب الحور العين وانت تعبث وقيل لخلف بن ايوب الا يؤذيك الذباب
في الصلوة فتطردها فقال لا اعود نفسي شيئا يفسد علي صلوتي قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغني ان الفساق
يصبرون تحت اسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فانا قائم بين يدي ربي افاتحرك لذبابة وروي
عن مسلم بن يسار انه كان اذا اراد الصلوة قال لاهله تحدثوا انتم واني لست اسمعكم ويروى عنه انه كان يصلي
يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلوة وكان
علي بن ابي طالب اذا حضر وقت الصلوة يتزلزل ويتلون فيقال له ما لك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت امانة
عرضها الله على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها ويروى عن علي بن الحسين انه كان اذا
توضا اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم ويروى
عن ابن عباس انه قال قال داود عليه السلم الهي من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلوة فاوحى الله اليه يا داود انما يسكن بيتي
واقبل الصلوة ممن تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي يطعم الجائع ويؤوي الغريب
ويرحم المصاب فذلك يضيء نوره في السماء كالشمس اذا دعاني لبيته وان سالني اعطيته اجعل له في الجهل حلما و
في الغفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وانما مثله في الناس كالفردوس في الجنان لا تيبس انهارها ولا تتغير ثمارها و
يروى عن حاتم الاصم انه سئل عن صلوته فقال اذا حانت الصلوة اسبغت الوضوء واتيت الموضع الذي اريد الصلوة
فيه فاقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم اقوم الى صلوتي فاجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار
عن يساري وملك الموت ورائي واظنها اخر صلوتي ثم اقوم بين الرجاء والخوف واكبر تكبيرا بتحقيق واقرا القران ترتيلا
واركع ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخشع واقعد على الورك الايسر وافرش ظهر قدمها وانصب القدم اليمنى على الابهام
واتبعها الاخلاص ثم لا ادري اقبلت مني ام لا وقال ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه

فضل المسجد وموضع الصلوة قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من
بنى مسجدا لله ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له قصرا في الجنة وقال من الف المسجد الفه الله تعالى وقال اذا دخل احدكم
المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وقال لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد وقال الملائكة تصلي على احدكم ما دام في
مصلاه الذي فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث او يخرج من المسجد وقال انه في اخر الزمان ناس من امتي يأتون
المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال قال الله عز وجل
ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان
يكرم زائره وقال اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فانما
يجالس ربه فما احقه ان لا يقول الا خيرا ويروى في الاثر او في الخبر الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش
وقال النخعي كانوا يرون ان المشي في الليلة المظلمة موجبا للجنة وقال انس بن مالك من اسرج في مسجد سراجا لم
يزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اذا مات
العبد بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرا فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال
ابن عباس تبكي عليه الارض اربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض
الا شهدت له بها يوم القيمة وبكت عليه يوم يموت وقال انس بن مالك ما من بقعة يذكر الله عز وجل عليها بصلوة
او ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد
يقوم يصلي الا تزخرفت له الارض ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم الا اصبح ذلك المنزل يصلي عليهم او يلعنهم

الباب الثاني في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلوة والبداية بالتكبير وما قبله ينبغي
للمصلي اذا فرغ من الوضوء وطهارة الخبث في البدن والثياب والمكان وستر العورة من السرة الى الركبة ان ينتصب
قائما مستقبلا الى القبلة ويراوح بين قدميه فلا يضمهما فان ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل وقد نهى عليه الصلوة
والسلام عن الصفن والصفد في الصلوة والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى واخرين مقرنين في الاصفاد
والصفن هو رفع احدى الرجلين ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد هذا ما يراعى في الرجل عند القيام ويراعى في
ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب واما راسه فان شاء تركه على استواء القيام وان شاء اطرق والاطراق اقرب الى الخشوع
واغض للبصر وليكن بصره محصورا على مصلاه الذي يصلي عليه فان لم يكن مصلى فليقرب من جدار او ليخط خطا فان
ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره ان يجاوز اطراف المصلى وحدود الخط وليدم على هذا القيام

كذلك الى الركوع من غير التفات هذا ادب القيام فاذا استوى قيامه واستقباله واطراقه كذلك فليقرا قل اعوذ
برب الناس تحصنا بها من الشيطان ثم ليات بالاقامة وان كان يرجو حضور من يقتدي به فليؤذن اولا ثم ليحضر
النية وهو ان ينوي في الظهر مثلا ويقول بقلبه اؤدي فريضة الظهر لله ليميزها بقوله اؤدي عن القضاء وبالفريضة
عن النفل وبالظهر عن العصر وليكن معاني هذه الالفاظ حاضرة في قلبه فانه هو النية والالفاظ مذكرات و
اسباب لحضورها ويجتهد ان يستديم ذلك الى آخر التكبير حتى لا يعزب فاذا حضر في قلبه ذلك فليرفع يديه الى
حذو منكبيه بعد ارسالهما بحيث يحاذي بكفيه منكبيه وبابهاميه شحمة اذنيه وبرؤوس اصابعه رؤوس اذنيه ليكون
جامعا بين الاخبار الواردة فيه ويكون مقبلا بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجا ولا
ضما بل يتركها على مقتضى طبعها اذ نقل في الاثر النشر والضم وهذا بينهما فهو اولى فاذا استقرت اليدان في مقرهما
ابتدا التكبير مع ارسالهما واحضار النية ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى اكراما
لليمنى بان تكون محمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالخنصر والبنصر على كوع
اليسرى وقد روي التكبير مع رفع اليدين ومع استقرارهما ومع الارسال فكل ذلك لا حرج فيه واراه بالارسال
اليق فانه كلمة العقد ووضع احدى اليدين على الاخرى في صورة العقد ومبداه الارسال وآخره الوضع ومبدا
التكبير الالف وآخره الراء فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد واما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية ثم لا
ينبغي ان يرفع يديه الى قدام رفعا عند التكبير ولا يردهما الى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضا اذا
فرغ من التكبير ويرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا ويستانف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال وفي بعض
الروايات انه كان اذا كبر ارسل يديه فاذا اراد ان يقرا وضع اليمنى على اليسرى وان صح هذا فهو اولى مما ذكرناه و
اما التكبير فينبغي ان يضم الهاء من الله ضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين الهاء والالف شبه الواو وذلك
ينساق اليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء اكبر ورائه الفا كانه يقول اكبار ويجزم راء التكبير ولا يضمها فهذه هيئة
التكبير وما معه **القراءة** ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح وحسن ان يقول عقيب قوله الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا
وسبحان الله بكرة واصيلا وجهت وجهي الى قوله وانا من المسلمين ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى
جدك ولا اله غيرك ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد في الاخبار وان كان خلف الامام اختصر ان لم يكن للامام سكتة
طويلة يقرا فيها الفاتحة ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرا الفاتحة بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد
في الفرق بين الضاد والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة ويمدها مدا ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهر
بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء الا ان يكون ماموما ويجهر بالتامين ثم يقرا السورة او قدر ثلاث آيات من القرآن
فما فوقه ولا يصل آخر السورة بتكبير الهوي بل يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرا في الصبح من السور الطوال من
المفصل وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء نحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفي الصبح في
السفر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم
للقيام ووضع اليدين كما وصفناه في اول الصلاة **الركوع ولواحقه** ثم يركع ويراعي فيه امورا ان يكبر للركوع و
ان يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وان يمد التكبير مدا الى الانتهاء الى الركوع وان يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع و
اصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وان يمد ظهره مستويا وان يكون
عنقه وظهره كالصحيفة الواحدة لا يكون راسه اخفض ولا ارفع وان يجافي مرفقيه عن جنبيه وتضم المراة مرفقيها
الى جنبيها وان يقول سبحان ربي العظيم ثلاثا والزيادة الى السبعة والى العشرة حسن ان لم يكن اماما ثم يرتفع من
الركوع الى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات

والارض وما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام الا في صلاة التسبيح ويقنت في الصبح في الركعة الثانية
بالكلمات الماثورة **السجود** ثم يهوي الى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض ويضع جبهته وكفيه مكشوفة
ويكبر عند الهوي ولا يرفع يديه مع غير الركوع وينبغي ان يكون اول ما يقع منه على الارض ركبتاه وان يضع
بعدهما وجهه وان يضع انفه على الارض وان يجافي مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المراة ذلك وان يفرج بين
رجليه ولا تفعل المراة ذلك وان يكون مخويا ولا تكون المراة مخوية والتخوية رفع البطن عن الفخذين والتفريج
بين الفخذين وان يضع يديه على الارض حذاء منكبيه وان لا يفرج اصابعهما بل يضمهما ويضم الابهام اليها وان
لم يضم فلا باس ولا يفترش ذراعيه على الارض كما يفترش الكلب فانه منهي عنه وان يقول سبحان ربي الاعلى ثلاثا
وان زاد فحسن الا ان يكون اماما ثم يرتفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا فيرفع راسه مكبرا ويجلس على رجله
اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والاصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول رب
اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطول هذه الجلسة الا في سجود التسبيح
ياتي بالسجدة الثانية كذلك ويستوي فيها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا يتشهد عقيبها ثم
يقوم فيضع اليد على الارض ولا يقدم احدى رجليه في حالة الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من
القعود الى وسط ارتفاعه الى القيام بحيث يكون هاء الله عند استوائه جالسا وكاف اكبر عند اعتماده على اليد للقيام
وراء اكبر في وسط ارتفاعه الى القيام ويبتدئ في وسط ارتفاعه الى القعود حتى يقع التكبير في وسط انتقاله و
لا يخلو عنه الا طرفاه وهو اقرب الى التعميم ويصلي الركعة الثانية كالاولى ويعيد التعوذ في الابتداء **التشهد**
ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الاول ثم يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى
ويقبض اصابعه اليمنى الا المسبحة ولا باس بارسال الابهام ايضا ويشير بمسبحة يمناه وحدها عند قوله الا الله لا
عند قوله لا اله ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين وفي التشهد الاخير يستكمل الدعاء الماثور
بعد الصلاة على الآل كسنن التشهد الاول لكن يجلس في الاخير على وركه الايسر لانه ليس مستوفزا للقيام بل هو
مستقر ويضجع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويخرج راس الابهام الى جهة القبلة ان لم يشق عليه ثم يقول السلام
عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الايمن من وراءه من جانب اليمين ويلتفت شمالا كذلك ويسلم تسليمة ثانية
وينوي الخروج بالسلام من الصلاة وينوي السلام على من على يمينه من الملائكة والمسلمين في الاولى وينوي مثل ذلك في الثانية
ويحذف السلام فلا يمده مدا فهو السنة هذه هيئة صلاة المنفرد **المنهيات** نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الصلاة عن الصفن والصفد وقد ذكرناهما وعن الاقعاء وعن السدل والكف وعن الاختصار وعن الصلب وعن صلاة الحاقن
والحاقب والحازق وعن صلاة الجائع والغضبان والمتلثم وهو ستر الوجه اما الاقعاء فهو عند اهل اللغة ان يجلس على
وركيه وينصب ركبتيه وعند اهل الحديث ان يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الارض الا رؤوس اصابع الرجلين والركبتين و
اما السدل فمذهب اهل الحديث فيه ان يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود
في صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه فلا ينبغي ان يركع ويسجد ويداه في بدن القميص وقيل معناه ان يضع وسط
الازار على راسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير ان يجعلهما على كتفيه والاول اقرب واما الكف فهو ان يرفع ثيابه من بين يديه
او من خلفه اذا اراد السجود وقد يكون الكف في شعر الراس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهي للرجال وفي الحديث امرت
ان اسجد على سبعة اعضاء ولا اكف شعرا ولا ثوبا وكره احمد بن حنبل ان ياتزر فوق القميص في الصلاة وراه من الكف
واما الاختصار فهو ان يضع يديه على خاصرتيه واما الصلب فان يضع يديه على خاصرتيه ويجافي بين عضديه في القيام
واما المواصلة فهي خمسة اثنان على الامام ان لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ولا ركوعه بقراءته واثنان على الماموم ان لا يصل

تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمة بتسليمه وواحد بينهما ان لا يصل تسليم الفرض بالتسليمة ويفصل بينهما او ما
الحاقن فمن البول واما الحاقب فمن الغايط والحازق فصاحب الخف الضيق وان ذلك كله يمنع الخشوع وفي معناه
الجايع والمهتم وفهم نهي الجايع عن قوله صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشاء واقيمت الصلوة فابدأوا بالعشاء الا ان يضيق الوقت
او يكون ساكن القلب وفي الخبر لا يدخل احدكم الصلوة وهو مقطب ولا يصلين احدكم وهو غضبان وقال الحسن كل
صلوة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وفي الخبر سبعة اشياء في الصلوة من الشيطان الرعاف والنعاس و
الوسوسة والتثاوب والحكاك والالتفات والعبث بالشيء وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف اربعة في
الصلوة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصا وان يصلي بطريق من يمر بين يديك ونهي ايضا ان يشبك اصابعه
او يفرقع اصابعه او يستر وجهه او يضع احدى كفيه على الاخرى ويدخلهما بين فخذيه في الركوع قال بعض الصحابة كنا
نفعل ذلك فنهينا عنه ويكره ايضا ان ينفخ في الارض عند السجود للتطهير وان يسوي الحصا بيده فانها افعال مستغنى عنها
ولا يرفع احدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند في قيامه الى حائط فان استند بحيث لو سل ما استند اليه سقط
فالاظهر بطلان صلوته **تمييز الفرايض والسنن** جملة ما ذكرناه اشتملت على السنن والهيات والاداب التي ينبغي
لمريد طريق الاخرة ان يراعي جميعها والفرض من جملتها اثنا عشر النية وقوله الله اكبر والقيام والفاتحة والانحناء في الركوع
الى ان ينال راحتاه ركبتيه مع الطمانينة والاعتدال قايما والسجود مع الطمانينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه
قاعدا والجلوس للتشهد الاخير والتشهد الاخير والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام الاول فاما نية
الخروج فلا يجب وما عدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيات فيها وفي الفرايض **واما السنن** فمن الافعال اربعة
رفع اليدين في تكبيرة الاحرام وعند الهوي الى الركوع وعند الارتفاع والجلسة للتشهد الاول واما ما ذكرناه من كيفية
نشر الاصابع وحد رفعها فهي هيات تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش هيات تابعة للجلسة والاطراق وترك
الالتفات هيات للقيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدها من اصول السنن في الافعال لانها كالتحسين
لهيئة الارتفاع من السجود الى القيام لانها ليست مقصودة في نفسها ولذلك لم يفرد بذكر واما السنن **من الاذكار**
فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله امين فانه سنة موكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقالات ثم الذكر في الركوع
والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الاول والصلوة فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء في اخر التشهد الاخير
ثم التسليمة الثانية وهذه وان جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة اذ يجبر من جملتها بسجود السهو اربعة
اشياء من الافعال فواحد فهو الجلسة الاولى للتشهد الاول فانها موثرة في ترتيب نظم الصلوة في اعين الناظرين حتى يعرف
بها انها رباعية ام لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يوثر في تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض وقيل الابعاض تجبر بالسجود و
اما الاذكار فكلها لا يقتضي سجود السهو الا ثلاثة القنوت والتشهد الاول والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات واذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لان الركوع والسجود في صورتهما مخالفان
للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الاذكار وعن تكبيرات الانتقالات فعدم تلك الاذكار لا يغير صورة
العبادة واما الجلسة للتشهد الاول فهو فعل معتاد وما زيدت الا للتشهد فتركه ظاهر التاثير وكذا دعاء الاستفتاح
والسورة فتركهما لا يوثر مع ان القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة بها وكذلك الدعاء في التشهد الاخير
والقنوت ابعد ما يجبر بالسجود ولكنه شرع مد الاعتدال في الصبح لاجله فكان كمد جلسة الاستراحة اذ صار بالمد مع
التشهد جلسة للتشهد الاول فيبقى هذا قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب وفي الممدود احتراز عن غير الصبح
وفي الخلو عن ذكر واجب احتراز عن اصل القيام فان قلت تمييز السنن عن الفرايض معقول اذ يفوت الصحة بفوت الفرض
دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فاما تمييز سنة عن سنة والكل مامور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل و

في الصلوة

الثواب يرجو على الكل فما معناه فاعلم ان اشتراكها في الثواب والعقاب والاستحباب لا يدفع تفاوتها وينكشف لك ذلك بمثال
وهو ان الانسان لا يكون انسانا موجودا كاملا الا بمعنى باطن واعضاء ظاهرة فالمعنى الباطن هو الحيوة والروح والظاهر
اجسام اعضائه ثم بعض تلك الاعضاء ينعدم الانسان بعدمه كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحيوة بفواته
وبعضها لا تفوت بها الحيوة ولكن تفوت بها مقاصد الحيوة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا تفوت بها
الحيوة ولا مقاصدها ولكن تفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون وبعضها لا تفوت بها
اصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية وتناسب خلقة وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون فهذه
درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورة صورها الشرع وتعبدنا باكتسابها فروحها وحيوتها الباطنة الخشوع و
النية وحضور القلب والاخلاص كما سياتي ونحن الان في اجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وساير الاركان تجري
منها مجرى القلب والراس والكبد اذ يفوت وجود الصلوة بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح
والتشهد الاول تجري منها مجرى اليدين والعينين والرجلين لا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحيوة بفوات هذه
الاعضاء ولكن يصير الشخص بسببه مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على اقل ما يجزي من الصلوة
كان كمن اهدى الى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الاطراف واما الهيات وهي ما وراء السنن فتجري مجرى اسباب
الحسن من الحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون واما الطايف الاداب في تلك السنن فهي مكملات الحسن
كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلوة عندك قربة وتحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة
يهديها طالب القربة من السلاطين اليهم وهذه التحفة تعرض على الله ثم ترد عليك في يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة في
تحسين صورتها وتقبيحها فان احسنت فلنفسك وان اسات فعليها ولا ينبغي ان يكون حظك من ممارسة الفقه ان يتميز لك
السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من اوصاف السنة الا انه يجوز تركها فتتركها فان ذلك يضاهي قول الطبيب ان فقء
العينين لا يبطل وجود الانسان ولكن يخرجه عن ان يصدق رجاء المتقرب في قبول السلطان اذا اخرجه في معرض
الهدية فهكذا ينبغي ان يفهم مراتب السنن والهيات والاداب وكل صلوة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي الخصم
الاول على صاحبها يقول ضيعك الله كما ضيعتني فطالع الاخبار التي اوردناها في كمال اركان الصلوة ليظهر لك
وقعها **الباب الثاني في الشروط الباطنة** من اعمال القلب ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلوة
بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعاني الباطنة وحدودها واسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي ان يحضر في كل
ركن من الصلوة لتكون صالحة لزاد الاخرة **بيان اشتراط** الخشوع وحضور القلب اعلم ان ادلة ذلك كثيرة
فمن ذلك قوله تعالى اقم الصلوة لذكري فظاهر الامر للوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلوته كيف
يكون مقيما للصلوة لذكري وقوله تعالى ولا تكن من الغافلين نهي وظاهره التحريم وقوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون تعليل
لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوساوس وافكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم انما الصلوة تمسكن و
تواضع حصر بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق وقد فهم الفقهاء من قوله انما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والاثبات و
النفي وقوله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلوته عن الفحشاء لم تزده من الله الا بعدا وصلوة الغافل لا تمنع من الفحشاء و
قال صلى الله عليه وسلم كم من قايم حظه من صلوته التعب والنصب وما اراد به الا الغافل وقال ايضا ليس للعبد من
صلوته الا ما عقل والتحقيق فيه ان المصلي مناج ربه كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه
ان الزكوة ان غفل الانسان عنها مثلا فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر
لسطوة الهوى الذي هي الة الشيطان عدو الله فلا يبعد ان يحصل منهما مقصود مع الغفلة وكذلك الحج افعاله شاقة
شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الابتلاء كان القلب حاضرا مع افعاله او لم يكن اما الصلوة فليس فيها الا ذكر وقراءة

الاعضاء

الاستفتاح

والمنكر

وركوع وسجود وقيام وقعود اما الذكر فانه محاورة ومناجاة مع الله تعالى فاما ان يكون المقصود منه كونه خطابا و
محاورة او المقصود الحروف والاصوات امتحانا للسان بالعمل كما يمتحن المعدة والفرج بالامساك في الصوم
وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة اخراج الزكوة واقتطاع المال المعشوق ولا يشك في ان هذا
القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما اخفه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث انه عمل بل المقصود الحروف
من حيث انه نطق ولا يكون نطقا الا اذا اعرب عما في الضمير ولا يكون معربا الا بحضور القلب فاي سؤال في قوله تعالى
اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا واذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فاي مشقة في حركة اللسان به
في الغفلة لا سيما بعد الاعتياد هذا حكم الاذكار بل اقول لو حلف الانسان وقال لاشكرن فلانا واثني عليه واسأله
حاجة ثم جرت الالفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم لم يبر في يمينه ولو جرى على لسانه في ظلمة وذلك
الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا في يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن
هو حاضرا في قلبه فلو كان يجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر الا انه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق
الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب اليه عند نطقه لم يصر بارا في يمينه ولا يشك في ان المقصود
من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه
فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود بالصلوة التي
شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله تعالى ورسوخ عقد الايمان به هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية
لا سبيل الى انكارها في النطق وتميزه بها عن الفعل و **اما الركوع والسجود** فالمقصود بهما التعظيم قطعا ولو جاز
ان يكون معظما لله تعالى بفعله وهو غافل عنه لجاز ان يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل او يكون معظما للحائط
الذي بين يديه وهو غافل واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد
الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسببه على
الخصوص ما ارى ان هذه العظمة كلها للصلوة من حيث اعمالها الظاهرة الا ان يضاف اليها مقصود المناجاة فان
ذلك يتقدم على الصوم والزكوة والحج وغيره بل الضحايا والقرابين التي هي مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى
لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اي الصفة التي استولت على القلب حتى حملته على امتثال الاوامر
هي المطلوبة فكيف الامر في الصلوة ولا ارب في افعالها فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب فان
قلت ان حكمت ببطلان الصلوة وجعلت حضور القلب شرطا في صحتها خالفت اجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا الا
حضور القلب عند التكبير فاعلم انه قد تقدم في كتاب العلم ان الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون عن القلوب
ولا في طريق الاخرة بل يبنون ظاهر احكام الدنيا على ظاهر اعمال الجوارح وظاهر الاعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان
فاما انه ينفع في الاخرة فليس هذا من حدود الفقه على انه لا يمكن ان يدعى الاجماع فقد نقل عن بشر الحارث فيما رواه عنه
ابو طالب المكي عن سفيان الثوري انه قال من لم يخشع فسدت صلوته وروي عن الحسن انه قال كل صلوة لا يحضر
فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلوة فلا
صلوة له وروي ايضا مسندا قال عليه الصلوة والسلام ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له سدسها ولا عشرها
وانما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها وهذا لو نقل من غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد
بن زيد اجتمعت العلماء على انه ليس للعبد من صلوته الا ما عقل منها فجعله اجماعا وما نقل من هذا الجنس من
الفقهاء والمتورعين وعن علماء الاخرة اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى ادلة الشرع والاخبار والاثار ظاهرة
في هذا الشرط الا ان مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقيد بقدر قصور الخلق فلا يمكن ان يشترط على الناس احضار

القلب في جميع الصلوة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد
له الا ان يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة واولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف
بذلك ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل في جميع صلوته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل
ظاهرا او احضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلوته باطلة عند الله ولكن له اجر ما بحسب فعله
وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى ان يكون حاله اشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة
ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالا من الذي يعرض عن الخدمة فاذا تعارض اسباب الخوف والرجاء
وصار الامر مخطرا في نفسه فاليك الخيرة بعده في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما افتوا به
من الصحة مع الغفلة وان ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن علم سر الصلوة علم ان الغفلة تضادها ولكن
قد ذكرنا في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد ان قصور الخلق احد الاسباب المانعة عن التصريح
بكل ما ينكشف من اسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الاخرة واما المجادل
المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الان وحاصل الكلام ان حضور القلب هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى به رمق الروح الحضور
عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح في اجزاء الصلوة وكم من حي لا حراك به قريب من
ميت فصلوة الغافل في جميعها الا عند التكبير حي لا حراك به **بيان المعاني الباطنة** التي بها تتم حيوة الصلوة
اعلم ان هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء
والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم اسبابها ثم العلاج في اكتسابها اما التفاصيل فالاول حضور القلب ونعني به ان يفرغ
القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا في غيرهما ومهما
انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب
ولكن التفهم لمعنى الكلام امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ
فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي اردناه بالتفهم للقران والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها
المصلي في اثناء الصلوة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها
تفهم امورا تلك الامور تمنع من الفحشاء لا محالة واما التعظيم فهو امر وراء حضور القلب والفهم اذ الرجل يخاطب عبده
بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما واما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هي
عبارة عن خوف منشأه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من
الاسباب الخسيسة لا يسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة فالهيبة خوف مصدرها الاجلال واما الرجاء
فلا شك في انه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه او يخاف سطوته ولكن لا يرجو مبرته والعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلوته
ثواب الله كما انه خائف بتقصيره عقاب الله واما الحياء فهو زائد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب
ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب اما اسباب هذه المعاني الستة فاعلم
ان حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شاء او ابى فهو مجبول عليه
ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلوة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج
لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلوة والهمة لا تنصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان و
التصديق بان الاخرة خير وابقى وان الصلوة وسيلة اليه فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل
من مجموعهما حضور القلب في الصلوة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك اذا حضرت بين يدي بعض الاكابر ممن لا يقدر على
مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظن

ان له شيئا سوى ضعف الايمان فاجتهد الآن في تقوية الايمان وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع واما التفهم
فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار القلب مع الاقبال
على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها اعني التنزع عن تلك الاسباب التي
تنجذب الخواطر اليها وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن احب شيئا اكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على
القلب بالضرورة فلذلك ترى ان من احب غير الله لا يصفو له صلوة عن الخواطر واما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من
معرفتين احديهما معرفة جلال الله وعظمته وهي من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة
حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى تتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم
وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره الآمن على نفسه
يجوز ان يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لان القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس و
حاجتها لم تقترن اليه واما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله تعالى وسطوته ونفوذ مشيته فيه مع قلة
المبالاة به وانه لو اهلك الاولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الانبياء والاولياء من المصائب و
انواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الارض وبالجملة كلما زادت الخشية والهيبة وسياتي اسباب
ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات واما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وانعامه عميم ولطائف صنعه ومعرفة
صدقه في وعد الجنة بالصلوة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة واما
الحياء فاستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بتعظيم حق الله ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس
وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل في جميع افعالها مع العلم بعظم ما يقتضيه جلال
الله والعلم بانه مطلع على السريرة وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعث
منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه اسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه احضار سببه ففي
معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الاسباب الايمان واليقين اعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى
كونها يقينا انتفاء الشك واستيلائها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب و
لذلك قالت عائشة كان عليه الصلوة والسلام يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وقد روي
ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى اذا ذكرتني فاذكرني وانت تنتفض اعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا
واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجيني بقلب وجل ولسان
صادق وقد روي انه اوحى اليه قل لعصاة امتك لا يذكروني فاني آليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته واذا ذكروني ذكرتهم
باللعنة هذا في عاص غير غافل فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم
الناس الى غافل يتمم صلوته ولم يحضر قلبه في لحظة والى من يتمم ولم يغب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث
لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط اسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة
ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ووجيب قلب ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه وسلم كان يسمع على ميلين وجماعة كان تصفر
وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فان اضعافه مشاهدة في همم الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع
ضعفهم وعجزهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل على ملك او وزير ويحدثه بمهمه ويخرج ولو سئل عمن حواليه
او عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه والحاضرين حوله ولكل درجات مما عملوا فحظ
كل واحد من صلوته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موضع نظر الله القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة
يحشر الناس يوم القيمة على مثال هيئتهم في الصلوة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه
يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب
يصاغ الصور في الدار الآخرة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم

بيان الدواء النافع في حضور القلب

اعلم ان المؤمن لا بد وان يكون معظما لله وخائفا له وراجيا ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد
ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة
القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلوة ولا يلهي عن الصلوة الا الخواطر الردية الشاغلة فالدواء في احضار القلب هو
دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء الا بدفع سببه فليعلم سببه وسبب توارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في
ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكر
الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم يصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته
لم يلهه ما يجري على حواسه ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق به فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره او يصلي
في بيت مظلم ولا يترك بين يديه ما يشغل حسه ولا يقرب من حائط عند صلوته حتى لا يتسع مسافة بصره ويحترز من
الصلوة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم
سعته بقدر السجود ليكون ذلك اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزونه موضع السجود
ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم وكان ابن عمر لا يدع في موضع الصلوة مصحفا ولا سيفا الا
نزعه ولا كتابا الا محاه اما الاسباب الباطنة فهي اشد فان من تشعبت به الهموم في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل
لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه ان يرد النفس
قهرا الى فهم ما يقرؤه ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الآخرة و
موقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله تعالى وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحرم بالصلوة عما يهمه فلا يترك لنفسه
شغلا يلتفت اليه خاطره قال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان بن شيبة اني نسيت ان اقول لك تخمر القدر الذي في
البيت فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلوتهم فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا يسكن هائج
افكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الداء من اعماق العروق وهو ان ينظر في الامور
الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شك في انها تعود الى مهماته وانها انما صارت مهمة بشهواته فليعاقب
نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلوته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه
فامساكه اضر عليه من اخراجه كما روي انه صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة التي اتى بها ابو جهم وعليها علم وصلى
فيها نزعها بعد صلوته وقال اذهبوا بها الى ابي جهم فانها الهتني آنفا عن صلوتي وائتوني بانبجانية ابي جهم وامر بتجديد
شراك نعله ثم نظر اليه في الصلوة اذ كان جديدا فامر ان ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان عليه الصلوة والسلام قد
احتذى نعلا فاعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي كيلا يمقتني ثم خرج بها فدفعها الى اول سائل لقيه ثم امر عليا
ان يشتري له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما وكان في يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلني هذا
نظرة اليه ونظرة اليكم وقيل ان ابا طلحة صلى في حائط له فيه شجر فاعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة
ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث
شئت وعن رجل آخر انه صلى في حائط والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليها فاعجبته فلم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان وقال
هو صدقة فاجعله في سبيل الله فباعه عثمان بخمسين الفا فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان
الصلوة وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يغني غيره واما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر
ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل الا حواشي القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين

بل لا يزال يجاذبها ويجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلوتك في شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة اراد ان يصفو
له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود الى فكره فيعود العصافير فيعود
الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السواني ولا ينقطع فان اردت الخلاص فاقلع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا
استعلت وتفرعت اغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول
في دفعها فان الذباب كلما ذب آب ولاجله سمي ذبابا فكذا الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقل ما يخلو العبد عنها ويجمعها
اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة واساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب
الدنيا حتى مال الى شيء منها لا ليتزود منها ويستعين بها على الاخرة فلا يطمعن في ان يصفو له لذة المناجاة في الصلوة
فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة
اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلوة وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو
الدواء ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا
ركعتين لا يحدثون انفسهم فيها بامور الدنيا فعجزوا عنه فاذن لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم لنا من الصلوة شطرها او ثلثها
عن الوسواس لنكون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الاخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح
فيه خل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج من الخل لا محالة ولا يجتمعان بيان تفصيل ما ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن
وشرط من اعمال الصلوة فنقول حقك ان كنت من المريدين للاخرة ان لا تغفل اولا عن التنبيهات التي في شروط الصلوة و
اركانها اما الشروط والسوابق فهي الاذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية فاذا سمعت
نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيمة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا
النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار مشحونا
بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحنا يا بلال اي
ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كان قرة عينه فيها واما الطهارة فاذا اتيت بها في مكانك وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك وهو
غلافك الاقرب ثم في بشرتك وهي قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة
والندم على ما فرط وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك واما ستر العورة فاعلم
ان معناه تغطية مقابح بدنك عن ابصار الخلق وان ظاهر بدنك موضع نظر الخلق فما رأيك في عورات باطنك وفضائح
سرائرك التي لا يطلع عليها الا ربك فاخطر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر عن عين الله ساتر وانما
يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما فتذل به
نفسك وتستكين تحت الخجلة وتقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه من الحياء
والخوف واما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله افترى ان صرف القلب من سائر الامور
الى امر الله ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط الجوارح وتسكين لها
بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به
عن وجه الله فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف عن غيرها فلا
ينصرف القلب الى الله تعالى الا بالتفرغ عما سوى الله وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قام العبد الى صلوته وكان هواه
ووجهه وقلبه الى الله انصرف كيوم ولدته امه واما الاعتدال قائما فانما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله فليكن
راسك الذي هو ارفع اعضائك مطرقا مطاطا مستكينا وليكن وضع الراس عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع
والتذلل والتبري عن الترأس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر المقام بين يدي الله تعالى في هول المطلع عند التعرض

للسؤال واعلم في الحال انك قائم بين يدي الله وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان ان
كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلوتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من اهلك
او ممن ترغب في ان يعرفك بالصلاح فانه تهدأ عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك ويسكن جميع اجزائك خيفة
ان ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست من نفسك التماسك عند ملاحظة عبد مسكين
فعاتب نفسك وقل انك تدعين معرفة الله وحبه افلا تستحيين من اجترائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده او تخشين الناس
ولا تخشينه وهو احق ان يخشى ولذلك لما قال ابو هريرة كيف الحياء من الله فقال صلى الله عليه وسلم ان تستحيي منه كما
تستحيي من الرجل الصالح من اهلك واما النية فاعزم على اجابة الله في امتثال امره بالصلوة واتمامها والكف عن نواقضها
ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة باذنه اياك
في المناجاة مع سوء ادبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي وعند
هذا ينبغي ان تعرق جبينك من الخجلة وترتعد فرائصك من الهيبة وتصفر وجهك من الخوف واما التكبير فاذا نطق به
لسانك فينبغي ان لا يكذبه قلبك فان كان في قلبك شيء هو اكبر من الله تعالى فالله يشهد انك كاذب وان كان الكلام
صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم انك لرسول الله فان كان هواك اغلب عليك من امر الله وانت اطوع له منك لله فقد
اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان يكون قولك الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في
ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله وعفوه واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض وليس المراد بالوجه وجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه يتنزه
عن ان يحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذي يتوجه به الى فاطر السموات فانظر اليه امتوجه
هو الى امانيه وهمه في البيت والسوق ومتبع للشهوات او مقبل على فاطر السموات واياك وان يكون اول مفاتحتك للمناجاة بالكذب
والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله الا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام ليكون
قولك في الحال صدقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن
كذلك كنت كاذبا فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر
ببالك الشرك الخفي فان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يقصد بعبادته
وجه الله وحمد الناس وكن متقيا من هذا الشرك واستشعر الخجلة في قلبك ان وصفت نفسك بانك لست من المشركين من
غير براءة من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا حال عبد مفقود
لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحيوة ورهبته من الموت لامور الدنيا
لم يكن ملائما للحال واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله حسدا لك
على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه
وتبديله بما يحبه الله تعالى لا بمجرد قولك وان من قصده سبع او عدو ليفترسه او يقتله فقال اعوذ منك بذلك الحصن
الحصين وهو ثابت على مكانه ان ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه الا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب
الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان
وحصنه لا اله الا الله اذ قال تعالى فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا معبود له
سوى الله فاما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله واعلم ان من مكايده ان يشغلك في الصلوة
بذكر الاخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرا فاعلم ان كل ما شغلك عن معاني قراءتك فهو وسواس فان حركة
اللسان غير مقصود بل المقصود معانيها واما القراءة فالناس فيها ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع

ويفهم منه كانه يسمعه من غيره وهو درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعانى اولا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه
ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب او يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب تفصيل ترجمان
المعانى انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله
وان المراد بالاسم ههنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير
الله نعمة او يقصد غير الله بشكر لا من حيث انه مسخر من الله ففى تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن
الرحيم فاحضر فى قلبك انواع لطفه ليتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك
يوم الدين اما العظمة فلانه لا مالك الا هو واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذى هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك
اياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبرى عن الحول والقوة بقولك اياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا
باعانته وان له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين
مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت عن التعويذ بقولك بسم الله وعن التحميد وعن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين
سؤالك ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذى يسوقنا الى جوارك ويفضى بنا الى مرضاتك وزده
شرحا وتفصيلا وتاكيدا واستشهادا بالذين افاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والصالحين دون
الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الاجابة وقل آمين فاذا تلوت
الفاتحة كذلك فتشبه ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم فيما اخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم قسمت الصلوة بينى وبين عبدى
نصفين نصفها لى ونصفها لعبدى يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله حمدنى عبدى واثنى علىّ وهو معنى قوله سمع الله
لمن حمده الحديث الى اخره فان لم يكن لك من صلوتك حظ سوى ذكر الله فى جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف بما
ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغى ان يفهم ما يقرأه من السورة كما سياتى فى كتاب تلاوة القران فلا تغفل عن امره و
نهيه ووعده ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه فلكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف
حق الوعيد والعزم حق الامر والنهى والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء وروى
ان زرارة بن اوفى انتهى الى قوله فاذا نقر فى الناقور فخر ميتا وكان ابرهيم بن ادهم اذا سمع قوله اذا السماء انشقت اضطرب
حتى يضطرب اوصاله وقال عبد الله بن واقد رايت ابن عمر يصلى مغلوبا وحق له ان يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فانه عبد
ذليل مذنب بين يدى جبار قاهر ويكون هذه المعانى بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء
القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلوة مفتاح القلوب فيها ينكشف اسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق
الاذكار والتسبيحات ايضا ثم يراعى الهيئة فى القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك ايسر للتامل ويفرق بين نغماته فى اية
الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم كان النخعى اذا مر بمثل قوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه
من اله يغض صوته كالمستحيى عن ان يذكره بكل شئ ويقال لصاحب القران اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا
اما دوام القيام فهو تنبيه على اقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم ان الله مقبل على
المصلى ما لم يلتفت وكما يجب حراسة الراس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك يجب حراسة السر عن الالتفات الى
غير الصلوة فاذا التفت الى غيره فذكره باطلاع الله عليك وبقبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجى ليعود اليه والزم
الخشوع القلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه
وسلم وقد راى مصليا يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعى ولهذا ورد فى الدعاء
اللهم اصلح الراعى والرعية وهو القلب والجوارح وكان الصديق فى صلوته كانه وتد وابن الزبير كانه عود وبعضهم كان
يسكن فى الركوع بحيث يقع العصافير عليه كانه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدى من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يتأدب

بين يدى ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ومن يطمئن بين يدى غير الله خاشعا ويضطرب اطرافه بين يدى الله
فذلك لقصور معرفته عن جلال الله وعن اطلاعه على سره وضميره قال عكرمة فى قوله تعالى الذى يراك حين تقوم
وتقلبك فى الساجدين قال القيام وركوعه وسجوده وجلوسه **واما الركوع والسجود** فينبغى ان تجدد عنده
ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيرا بعفو الله من عقابه ومتبعا سنة نبيه ثم تستانف له ذلا وتواضعا بركوعك
وتجتهد فى ترقيق قلبك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك فى قلبك بلسانك
فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع عن ركوعك
راجيا انه راحم ذلك ومؤكدا للرجاء فى نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اى اجاب الله لمن شكره ثم تردف ذلك بالشكر
المتقاضى للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء السموات وملء الارض ثم تهوى الى السجود وهو اعلى
درجات الاستكانة فتمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل بينهما حائلا
فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخضوع وادل على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم انك وضعته
موضعه ورددت الفرع الى اصله فانك من التراب خلقت واليه رددت فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان
ربى الاعلى ثلاثا واكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الاثار فاذا رق قلبك وظهر ذلك فليصدق رجاؤك فى رحمة
ربك فان رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر فارفع راسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر و
ارحم وتجاوز عما تعلم او ما اردت من الدعاء ثم اكد التواضع بالتكرار فعد الى السجود ثانيا كذلك **واما التشهد** فاذا
جلست له فاجلس متادبا وصرح بان جميع ما يدلى به من الصلوات والطيبات اى الاخلاق الطاهرة لله وكذا الملك لله وهو
معنى التحيات واحضر فى قلبك النبى صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل السلام عليك ايها النبى وليصدق املك فى انه
يبلغه ويرد عليك ما هو اوفى منه ثم سلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين وتامل ان يرد الله عليك سلاما وافيا بعدد
عباده الصالحين ثم تشهد له بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله باعادة كلمتى الشهادة و
مستانفا للتحصن بهما ثم ادع فى اخر صلوتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء
بالاجابة واشرك فى دعائك ابويك وسائر المؤمنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلوة
به واستشعر شكر الله على توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهم انك مودع لصلوتك وانك ربما لا تعيش بمثلها قال صلى الله
عليه وسلم صل صلوة مودع ثم اشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير فى الصلوة وخف ان لا تقبل صلوتك وان تكون
ممقوتا بذنب ظاهر او باطن فيرد صلوتك فى وجهك وترجو مع ذلك ان يقبلها بفضله وكرمه كان يحيى بن وثاب اذا صلى
مكث ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلوة وكان ابرهيم يمكث بعد الصلوة ساعة كانه مريض فهذا تفصيل صلوة الخاشعين
الذين هم على صلوتهم يحافظون والذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم يناجون الله تعالى على قدر استطاعتهم فى العبودية
فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلوة فبالقدر الذى تيسر له منها ينبغى ان يفرح وعلى ما يفوته ينبغى ان يتحسر وفى مداواة
ذلك ينبغى ان يجتهد واما صلوة الغافلين فانها مخطرة الا ان يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض فنسأل
الله تعالى ان يغمرنا برحمته ويتغمدنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته واعلم ان تخليص الصلوة
عن الآفات واخلاصها لوجه الله واداءها بالشروط الباطنة التى ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول
انوار فى القلب تكون تلك الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فاولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والارض واسرار الربوبية
انما يكاشفون فى الصلوة لا سيما فى السجود اذ يتقرب العبد بالسجود ولذلك قال تعالى واسجد واقترب ويكون مكاشفة
كل مصل على قدر صفائه عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء حتى
ينكشف لبعضهم الشئ بعينه وينكشف لبعضهم الشئ بمثال كما انكشف لبعضهم الدنيا فى صورة جيفة والشيطان فى صورة

كلب جاثم عليها يدعو اليها وتختلف ايضا بما فيه المكاشفة فبعضهم يكشف له من صفات الله وجلاله ولبعضهم من افعاله
ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة ويكون لتعيين تلك المعاني في كل وقت اسباب خفية لا تحصى واشدها مناسبة
الهمة فانها اذا كانت مصروفة الى شيء معين كان ذلك اولى بالانكشاف ولما كانت هذه الامور لا تتراءى الا في المرائي
الصقيلة وكانت المرائي كلها صدئة فاحتجب عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بل لتراكم الخبث على مصب الهداية وتسارعت
الالسنة الى انكار مثل ذلك اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل لانكر امكان وجود انسان في متسع
الهواء ولو كان للطفل تمييز ربما انكر ما يزعم العقلاء ادراكه من ملكوت السموات والارض وهكذا الانسان في
كل طور يكاد ينكر ما بعده ومن انكر طور الولاية لزمه ان ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق اطوارا فلا ينبغي ان ينكر كل
واحد ما وراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحث المشوشة ولم يطلبوه من تصفية القلب عما سوى الله
فقدوه فانكروه ومن لم يكن من اهل المكاشفة فلا اقل من ان يؤمن بالغيب ويصدق به الى ان يشاهد بالتجربة ففي
الخبر ان العبد اذا قام في الصلوة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى
الهواء يصلون بصلوته ويؤمنون على دعائه وان المصلي لينثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق راسه وينادي
مناد لو علم المصلي من يناجي ما التفت وان ابواب السماء تفتح للمصلين وان الله يباهي ملائكته بعبده المصلي ففتح
ابواب السماء ومواجهة الله اياه بوجهه كناية عن الكشف الذي ذكرناه وفي التورية مكتوب يا ابن آدم لا تعجز ان تقوم بين
يدي مصليا باكيا فانا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رايت نوري قال فكنا نرى ان تلك الرقة والبكاء و
الفتوح الذي يجده المصلي في قلبه من دنو الرب تعالى من القلب واذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له
الا الدنو بالهداية والرحمة وكشف الحجاب ويقال ان العبد اذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف
منهم عشرة الاف وباهى الله به مائة الف ملك وذلك ان العبد قد جمع فيه بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد
فرق ذلك على اربعين الف ملك فالقائمون لا يركعون الى يوم القيمة والساجدون لا يرفعون الى يوم القيمة وهكذا الراكعون و
القاعدون فان ما رزق الملائكة من القربة والرتبة لازم لهم مستمر على حالة واحدة لا يزيد ولا ينقص ولذلك قالوا
وما منا الا له مقام معلوم وفارق الانسان الملائكة في الترقي من درجة الى درجة فانه لا يزال يتقرب الى الله فيستفيد
مزيدا وباب المزيد مسدود عليهم وليس لكل واحد الا رتبته التي هي وقف عليه وعبادته التي هو مشغول بها لا ينتقل
الى غيرها ولا يفتر عنها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلوات قال الله
تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون فمدحهم بعد الايمان بصلوة مخصوصة وهي مقرونة بالخشوع
ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلوة ايضا في آخرها والذين هم على صلواتهم يحافظون ثم قال في ثمرة تلك الصفات
اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فوصفهم بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس اخرا وما
عندي ان هذرمة اللسان مع غفلة القلب ينتهي درجتها الى هذا الحد وكذلك قال تعالى في اضدادهم ما
سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين والمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله والمتمتعون
بقربه ودنوه من قلوبهم نسال الله تعالى ان يجعلنا منهم وان يعيذنا من عقوبة من تزينت اقواله وقبحت افعاله انه الكريم
المنان القديم الاحسان **حكايات واخبار في صلوة الخاشعين** اعلم ان الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل
بجلال الله سبحانه ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلوة وفي غير الصلوة بل في خلوته وفي بيت الماء عند قضاء
الحاجة فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد
الخشوع وليست مختصة بالصلوة ولذلك روي عن بعضهم انه لم يرفع راسه الى السماء اربعين سنة حياء من الله
تعالى وخشوعا له وكان الربيع بن خيثم من شدة غضه للبصر واطراقه يظن بعض الناس انه اعمى وكان يختلف الى

منزل ابن مسعود عشرين سنة فاذا راته جاريته قالت لابن مسعود صديقك ذاك الاعمى قد جاء فيضحك ابن مسعود من
قولها وكان اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول وبشر
المخبتين اما والله لو راك محمد لفرح بك وفي اخرى لاحبك ومشى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدادين فلما نظر
الى الاكوار تنفخ والى النيران تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند راسه الى وقت الصلوة فلم
يفق فحمله على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه الى الساعة التي صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند راسه
يقول هذا والله الخوف وكان الربيع يقول ما دخلت في صلوة قط فاهمني فيها الا ما اقول وما يقال لي وكان عامر بن
عبد الله من خاشعي المصلين كان اذا صلى ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن في البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا
يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدثك نفسك في الصلوة بشيء قال نعم بوقوفي بين يدي الله تعالى ومنصرفي الى احدى
الدارين قيل فهل تجد شيئا مما نجد من امور الدنيا فقال لان تختلف الاسنة فيّ احب الي من ان اجد في الصلوة ما تجدون و
كان يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقد كان مسلم بن يسار منهم ونقلنا انه لم يشعر بسقوط اسطوانة المسجد و
تآكل طرف من اطراف بعضهم واحتيج الى القطع فلم يمكن منه فقيل انه في الصلوة لا يحس بما يجري عليه فقطعت وهو
في الصلوة وقال بعضهم الصلوة من الاخرة فاذا دخلت في الصلوة خرجت من الدنيا وقيل لاخر هل تحدث نفسك
في الصلوة بشيء من الدنيا فقال لا في الصلوة ولا في غيرها وسئل بعضهم هل تذكر في الصلوة شيئا فقال وهل شيء احب
الي من الصلوة فاذكره فيها وكان ابو الدرداء يقول من فقه الرجل ان يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلوة ليدخل في
الصلوة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلوة خيفة الوسواس وروي ان عمار بن ياسر صلى صلوة فاخفها
فقيل له خففت يا ابا اليقظان فقال هل رايتموني نقصت من حدودها شيئا قالوا لا قال اني بادرت سهو الشيطان ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليصلي الصلوة فلا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا
سدسها ولا عشرها وكان يقول انما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها ويقال ان طلحة والزبير وطائفة من الصحابة
كانوا اخف الناس صلوة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان وروي ان عمر قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه
في الاسلام وما اكمل لله تعالى صلوة قيل وكيف ذاك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله فيها وسئل
ابو العالية عن قوله تعالى الذين هم عن صلوتهم ساهون قال هو الذي يسهو في صلوته فلا يدري على كم ينصرف
اعلى شفع او على وتر وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلوة حتى تخرج وقال بعضهم هو الذي ان صلاها في
اول الوقت لم يفرح وان اخرها من اول الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها برا ولا تاخيرها اثما واعلم ان الصلوة قد يحسب
بعضها ويكتب دون بعض كما دلت الاخبار عليه وان كان الفقيه يقول ان الصلوة في الصحة لا تتجزى ولكن ذلك له
معنى اخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الاحاديث اذ ورد جبر نقصان الفرائض بالنوافل وفي الخبر قال
عيسى يقول الله تعالى بالفرائض نجا مني عبدي وبالنوافل تقرب الي عبدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى لا ينجو مني عبدي الا باداء ما افترضت عليه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلوة فترك من قراءتها
آية فلما انفتل قال ماذا قرات فسكت القوم فسال ابي بن كعب فقال قرات سورة كذا وتركت آية كذا فما ندري
انسخت ام رفعت فقال انت لها يا ابي ثم اقبل على الاخرين فقال ما بال اقوام يحضرون صلوتهم ويتمون صفوفهم
ونبيهم بين ايديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب الله ربهم الا ان بني اسرائيل كذا فعلوا فاوحى الله تعالى الى نبيهم
ان قل لقومك تحضروني ابدانكم وتعطوني السنتكم وتغيبون عني قلوبكم باطل ما تذهبون وهذا يدل على
ان استماع ما يقرا الامام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم ان العبد ليسجد السجدة عنده انه
تقرب بها الى الله تعالى ولو قسمت ذنوبه في سجدته على اهل مدينته هلكوا قيل وكيف ذاك قال يكون ساجدا عند الله

وقلبه مصغي الى الهوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه فهذه صفة الخاشعين فيدل هذه الحكايات والاخبار
مع ما سبق على ان الاصل في الصلوة الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد والله
اعلم بالصواب

الباب الرابع في الامامة والقدوة

وعلى الامام وظايف قبل الصلوة وفي القراءة و
في اركان الصلوة وبعد السلام اما الوظايف قبل الصلوة فست اولها ان لا يتقدم للامامة على قوم يكرهونه فان
اختلفوا كان النظر الى الاكثرين فان كان الاقلون هم اهل الخير والدين فالنظر اليهم اولى وفي الحديث ثلثة لا يجاوز صلوتهم
رؤسهم العبد الابق وامراة زوجها ساخط عليها وامام قوم وهم له كارهون وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم فينهى عنه
ان كان وراءه من هو افقه منه والا اذا امتنع من هو اولى منه فله التقدم فان لم يكن شيء من ذلك فليتقدم
مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الامامة ويكره عند ذلك المدافعة فقد قيل ان قوما تدافعوا الامامة بعد
اقامة الصلوة فخسف بهم وما روي من مدافعة الامامة من الصحابة فسببه ايثارهم من راوه اولى بها او خوفهم على
انفسهم السهو وخطر ضمان صلوتهم فان الائمة ضمناء وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الاخلا
ص في الصلوة حياء من المقتدين لا سيما في جهره بالقراءة وكان لاحتراز من احتراز اسبابه من هذا الجنس الثانية اذا
خير المرء بين الاذان والامامة فينبغي ان يختار الامامة فان لكل واحد فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغي ان يكون
الامام غير المؤذن واذا تعذر الجمع فالامامة اولى وقال قايلون الاذان اولى لما نقلناه في فضيلة الاذان ولقوله
صلى الله عليه وسلم الامام ضامن والمؤذن مؤتمن ففي الامامة خطر الضمان وقال ايضا الامام امير فاذا ركع فاركعوا
واذا سجد فاسجدوا وفي الحديث فان اتم فله ولهم وان نقص فعليه لا عليهم ولانه قال عليه الصلوة والسلام اللهم
ارشد الائمة واغفر للمؤذنين والمغفرة اولى بالطلب فان الرشد يراد للمغفرة وفي الخبر من اذن في المسجد سبع سنين
وجبت له الجنة ومن اذن اربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ولذلك نقل عن الصحابة انهم كانوا يتدافعون الامامة
والصحيح ان الامامة افضل اذ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر والائمة نعم فيها خطر الضمان
والفضيلة مع الخطر افضل كما ان رتبة الامارة والخلافة افضل لقوله صلى الله عليه وسلم ليوم من سلطان عادل
افضل من عبادة سبعين سنة ولكن فيه خطر ولذلك وجب تقديم الافضل والافقه قال صلى الله عليه وسلم ائمتكم
وفدكم الى الله تعالى فان اردتم ان تزكوا صلوتكم فقدموا خياركم وقال بعض السلف ليس بعد الانبياء افضل من العلماء
ولا بعد العلماء افضل من ائمة المصلين لان هؤلاء قاموا بين يدي الله وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا
بعماد الدين وهو الصلوة وبهذه الحجة احتج الصحابة في تقديم ابي بكر للخلافة اذ قالوا نظرنا فاذا الصلوة عماد الدين
فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وما قدموا بلالا احتجاجا بانه رضيه للاذان و
ما روي انه قال له رجل يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة فقال كن مؤذنا قال لا استطيع قال فصل بازاء
الامام فلعله ظن انه لا يرضى بامامته اذ الاذان اليه والامامة الى الجماعة وتقديمهم له ثم بعد ذلك توهم انه ربما
يقدر عليه الثالثة ان يراعي الامام اوقات الصلوة فيصلي في اوايلها ليدرك رضوان الله ففضل اول الوقت على
آخره كفضل الاخرة على الدنيا هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث ان العبد ليصلي الصلوة في
آخر وقتها ولم تفته ولما فاته من اول وقتها خير من الدنيا وما فيها ولا ينبغي ان يؤخر الصلوة لانتظار كثرة الجمع بل عليهم
المبادرة لحيازة فضيلة اول الوقت فهي افضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا اذا حضر اثنان في
الجماعة لم ينتظر الثالث واذا حضر اربعة في الجنازة لم ينتظر الخامس وقد تاخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
صلوة الفجر وكانوا في سفر وانما تاخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها قال فاشفقنا من ذلك فقال قد احسنتم هكذا فافعلوا وقد تاخر في

قال كن اماما فقال لا استطيع

صلوة الظهر فقدموا ابا بكر حتى جاء هو في الصلوة فقام الى جانبه وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على المؤذن
انتظار الامام للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره الرابعة ان يؤم مخلصا لوجه الله ومؤديا امانة الله تعالى في
طهارته وجميع شروط صلوته فاما الاخلاص فبان لا ياخذ عليها اجرة فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان
بن ابي العاص الثقفي فقال واتخذ مؤذنا لا ياخذ على الاذان اجرا والاذان طريق الى الصلوة فهي اولى بان لا يؤخذ
عليها اجر فان اخذ رزقا من المسجد قد وقف على من يقوم بامامته او من السلطان او من احاد الناس فلا يحكم بتحريمه و
لكنه مكروه والكراهة في الفرايض اشد منها في التراويح ويكون اجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة
مصالح المسجد في اقامة الجماعة لا على نفس الصلوة واما الامانة فهي الطهارة باطنا عن الفسوق والكباير والاصرار على
الصغاير فالمترشح للامامة ينبغي ان يحترز عن ذلك بجهده فانه كالوفد والشفيع للقوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث
والخبث فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر في اثناء صلوته حدثا او خرج منه ريح فلا ينبغي ان يستحيي بل ياخذ بيد من
يقرب منه وليستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة في اثناء صلوته فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل
في الصلوة قال سفيان صلوا خلف كل بر وفاجر الا مدمن خمر او معلن بالفسق او عاق لوالديه او صاحب بدعة
او عبد ابق الخامسة ان لا يكبر حتى يستوي الصفوف فيلتفت يمينا وشمالا فان راى خللا امر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون
بالمناكب ويتضامون بالكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة والمؤذن يؤخر الاقامة عن الاذان بقدر استعداد
الناس ففي الخبر ليتمهل المؤذن بين الاذان والاقامة بقدر ما يفرغ الاكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره وذلك
لانه نهى عن مدافعة الاخبثين وامر بتقديم العشاء طلبا لفراغ القلب السادسة ان يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وساير
التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته الا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلوته وصلوة
القوم اذا نووا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الامامة وليؤخر تكبيره عن تكبيرة الامام فيقتدي بعد
فراغه

واما وظايف القراءة

فاولها ان يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة
في جميع الصبح واوليي العشاء والمغرب وكذا المنفرد ويجهر بقوله امين في الصلوة الجهرية وكذا المأموم ويقرن
المأموم تامينه بتامين الامام معا لا تعقيبا ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاخبار فيه متعارضة واختار الشافعي
الجهر الثانية ان يكون للامام في القيام ثلث سكتات هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن حصين عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اوليهن اذا كبر وهي الطولى منهن بقدر ما يقرا من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح
فانه ان لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلوتهم فان لم يقرأوا الفاتحة في سكوته واشتغلوا
بغيرها فذلك عليهم لا عليه السكتة الثانية اذا فرغ من الفاتحة ليتم من لم يقرا الفاتحة في السكتة الاولى فاتحته وهي
نصف السكتة الاولى السكتة الثالثة اذا فرغ من السورة قبل ان يركع وهي اخفهما وذلك بقدر ما ينفصل القراءة
عن التكبير فقد نهي عن الوصل فيه ولا يقرأ المأموم وراء الامام الا الفاتحة وان لم يسكت الامام قرا الفاتحة معه والمقصر
هو الامام وان لم يسمع المأموم في الجهرية لبعده او كان في السرية فلا باس بقراءة السورة الثالثة ان يقرا في الصبح سورتين
من المثاني ما دون المائة فان الاطالة في قراءة الفجر والتغليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا باس
ان يقرا في الثانية باواخر السور نحو الثلاثين او العشرين الى ان يختمها لان ذلك لا يتكرر على الاسماع كثيرا فيكون ابلغ
في الوعظ وادعى الى التفكر وانما كره بعض العلماء قراءة بعض اول السورة وقطعها وقد روي انه عليه الصلوة والسلام قرا
بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر فرعون قطع وركع وقد روي انه قرا في الفجر اية من البقرة وهي قوله قولوا امنا بالله الاية
وفي الثانية ربنا امنا بما انزلت وسمع بلالا يقرا من ههنا وههنا فساله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال
احسنت ويقرا في الظهر بطوال المفصل الى ثلاثين اية وفي العصر بنصف ذلك وفي المغرب باواخر المفصل واخر صلوة

صلاتها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرابينا بسورة والمرسلات ما صلى بعدها حتى قبض وبالجملة التخفيف
اولى سيما اذا كثر الجمع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة اذا صلى احدكم بالناس فليخفف فان
فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ما شاء وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم العشاء
فقرا البقرة فخرج رجل من الصلوة واتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر صلى الله
عليه وسلم معاذا وقال افتان انت اقرا سورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحيها **وظائف الاركان ثلثة** اوليها
ان يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلاث فقد روي عن انس انه قال ما رايت اخف صلوة من رسول الله صلى الله
عليه وسلم في تمام نعم روي ايضا ان انس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان اميرا بالمدينة قال ما صليت
وراء احد اشبه بصلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب قال وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا وروي مجملا انهم
قالوا كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشرا وذلك حسن ولكن الثلث اذا كثر الجمع احسن
فاما اذا لم يحضر الا المتجردون للدين فلا باس بالعشر هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي ان يقول الامام عند رفع راسه من
الركوع سمع الله لمن حمده الثانية المأموم لا ينبغي ان يساوق الامام في الركوع والسجود بل يتاخر فلا يهوي للسجود الا اذا
وصلت جبهة الامام الى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يهوي للركوع حتى يستوي
الامام راكعا وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلوة على ثلاثة اقسام طائفة بخمس وعشرين صلوة وهم الذين يكبرون و
يركعون بعد ركوع الامام وطائفة بصلوة واحدة وهم الذين يساوقونه وطائفة بلا صلوة وهم الذين يسبقون
الامام وقد اختلف في ان الامام في الركوع هل ينتظر لحوق من دخل لينال فضل جماعتهم وادراكهم لتلك الركعة ولعل
الاولى ان ذلك مع الاخلاص لا باس به اذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين وان حقهم مرعي في ترك التطويل عليهم
الثالثة لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص في الدعاء نفسه بل ياتي بصيغة الجمع
فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لي فقد كره للامام ان يخص نفسه ولا باس ان يستعيذ في تشهده بالكلمات
الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة
المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال واذا اردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين وقيل سمي مسيحا لانه يمسح
الارض بطولها وقيل لانه ممسوح العين اي مطموسها **وظائف التحلل ثلثة** اولها ان ينوي بالتسليمتين السلام
على القوم والملائكة الثانية ان يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر فيصلي
النافلة في موضع اخر فان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفي الخبر المشهور انه عليه الصلوة والسلام لم يكن يقعد
الا قدر قوله اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام الثالثة اذا وثب فينبغي ان يقبل بوجهه
على الناس ويكره للمأموم القيام قبل انفتال الامام فقد روي عن طلحة والزبير انهما صليا خلف امام فلما سلما قالا للامام
ما احسن صلوتك واتمها الا شيئا واحدا انك لما سلمت لم تنفتل بوجهك ثم قالا للناس ما احسن ما صليتم الا انكم انصرفتم
قبل ان ينفتل امامكم ثم ينصرف الامام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين احب هذه وظيفة الصلوات اما الصبح
فيزيد فيها القنوت فيقول اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني ويؤمن المأموم فاذا انتهى الى قوله انك تقضي ولا يقضى
عليك فلا يليق به التامين لانه ثناء فيقرا معه او يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين او صدقت وبررت و
ما يشبه ذلك وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت فاذا صح الحديث استحب ذلك وان كان على خلاف الدعوات
في اخر التشهد اذ لا يرفع بسببها اليد بل التعويل على التوقيف وبينهما ايضا فرق وهو ان لليد وظيفة في التشهد وهو
الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما ههنا فلا يبعد ان يكون رفع اليد هو الوظيفة في القنوت فانه
لائق بالدعاء والله اعلم فهذه جمل اداب القدوة والامامة **الباب الخامس في فضائل الجمعة وادابها**

وسننها وشروطها **فضيلة الجمعة** اعلم ان هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخصص به المسلمين وقال اذا نودي
للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله حرم الاشتغال بامور الدنيا وبكل صارف عن السعي الى الجمعة وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير
عذر طبع الله على قلبه وفي لفظ اخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس يساله عن رجل مات
لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال في النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يساله عن ذلك وهو يقول في النار وفي الخبر ان
اهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله له واخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم اولى
الناس به سبقا واهل الكتابين لهم تبع وفي حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني جبرئيل في كفه مراة بيضاء
وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك ليكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا
فيها بخير هو له قسم اعطاه الله تعالى او ليس له قسم ذخر له ما هو اعظم منه او تعوذ من شر ما هو مكتوب عليه الا اعاذه
الله تعالى منه او ليس مكتوبا عليه الا اعاذه الله تعالى من اعظم منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في الاخرة يوم
المزيد قلت ولم قال ان ربك اتخذ في الجنة واديا افيح من مسك ابيض فاذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه
فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه وقال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم عليه السلم
وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو
يوم النظر الى الله تعالى في الجنة وفي الخبر ان لله تعالى في كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار وفي حديث انس انه صلى الله
عليه وسلم قال اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وقال صلى الله عليه وسلم ان الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس
في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلوة كلها وان جهنم لا تسعر فيه وقال كعب ان الله تعالى
فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة ويقال ان الطير والهوام تلقى بعضها بعضا يوم الجمعة فتقول
سلم سلم يوم صالح وقال عليه الصلوة والسلم من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر **بيان شروط
الجمعة** اعلم انها تشارك سائر الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط الاول الوقت فلو وقعت تسليمة الامام
في وقت العصر فاتت الجمعة وعليه ان يتمها ظهرا والمسبوق اذا وقعت ركعته الاخيرة خارجا من الوقت ففيه خلاف
الثاني المكان فلا يصح في الصحارى والبوادي وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لابنية لا تنقل تجمع اربعين ممن يلزمهم الجمعة
والقرية فيه كالبلد ولا يشترط حضور السلطان ولا اذنه ولكن الاحب استيذانه الثالث العدد فلا ينعقد باقل من
اربعين ذكورا مكلفين احرارا مقيمين لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا فان انفضوا حتى نقص العدد اما في الخطبة او في
الصلوة لم يصح الجمعة بل لا بد منهم من الاول الى الاخر الرابع الجماعة فلو صلى اربعين في قرية او بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن
المسبوق اذا ادرك الركعة الثانية وان لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر واذا سلم الامام تممه ظهرا
الخامس ان لا يكون الجمعة مسبوقة باخرى في تلك البلدة وان تعذر الاجتماع في جامع واحد جاز في جامعين وثلاثة بقدر
الحاجة وان لم يكن حاجة فالصحيح الجمعة التي وقع بها التحريم اولا واذا تحققت الحاجة فالافضل الصلوة خلف الافضل من
الامامين فان تساويا ففي المسجد الاقدم فان تساويا ففي الاقرب ولكثرة الناس ايضا فضل يراعى السادس الخطبتان فهما
فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفي الاولى اربع فرايض التحميد واقله الحمد لله والثاني الصلوة على
رسول الله والثالثة الوصية بتقوى الله والرابعة قراءة اية من القران وكذا فرايض الثانية اربعة الا انه يجب فيها الدعاء
بدل القراءة واستماع الخطبة واجب من الاربعين **واما السنن** فاذا زالت الشمس واذن المؤذن وجلس الامام على
المنبر انقطعت الصلوة سوى التحية والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس اذا اقبل عليهم
بوجهه ويردون عليه السلم فاذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت ويشغل يديه بقائمة السيف او العنزة

كيلا يعبث بهما او يضع احدهما على الاخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ولا
يتغنى ويكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ويستحب ان يقرا اية في الثانية ايضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فان سلم
لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب حسن ولا يشمت العاطس ايضا هذه شروط الصحة فاما **شروط الوجوب** فلا تجب
الجمعة الا على كل ذكر بالغ عاقل مسلم حر مقيم في قرية تشتمل على اربعين جامعين بهذه الصفات او في قرية من سواد البلد
يبلغها نداء البلد من طرف يليها والاصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة
فاسعوا الى ذكر الله ويرخص لهؤلاء في ترك الجمعة بعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض اذا لم يكن للمريض قيم ثم
يستحب لهم تاخير الظهر الى ان يفرغ الناس من الجمعة فان حضر الجمعة مريض او مسافر او عبد او امراة صحت جمعتهم واجزات
عن الظهر

بيان اداب الجمعة

على ترتيب العادة وهي عشر جمل الاول ان يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا
لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لانها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة قال
بعض السلف ان لله فضلا سوى ارزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل الا من ساله عشية الخميس ويوم الجمعة ويغسل في هذا
اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب ان لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الاشغال التي تمنعه من البكور الى الجمعة وينوي في هذه
الليلة صوم يوم الجمعة فان له فضلا وليكن مضموما الى يوم الخميس او السبت لا مفردا فانه مكروه ويشتغل باحياء هذه
الليلة بالصلوة وختم القران فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجامع اهله في هذه الليلة او في يوم الجمعة
فقد استحب ذلك قوم وحملوا عليه قوله عليه الصلوة والسلم رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل وهو حمل الاهل
على الغسل وقيل معناه غسل ثيابه فروي بالتخفيف واغتسل لجسده وبهذا يتم ادب الاستقبال ويخرج عن زمرة الغافلين
الذين اذا اصبحوا قالوا ما هذا اليوم قال بعض السلف اوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها وراعاها من الامس
واخسهم نصيبا من اذا اصبح يقول ايش هذا اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لاجلها الثاني اذا اصبح ابتدا
بالغسل بعد طلوع الفجر وان كان لا يبكر فاقربه الى الرواح احب ليكون اقرب عهدا بالنظافة فالغسل مستحب استحبابا
موكدا وذهب بعض العلماء الى وجوبه قال صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم والمشهور من حديث نافع
عن ابن عمر من اتى الجمعة فليغتسل وقال صلى الله عليه وسلم من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل وكان اهل المدينة
يتسابون بينهم فيقال لانت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقال عمر لعثمان رضي الله عنهما لما دخل وهو يخطب اهذه الساعة منكرا
عليه ترك البكور فقال ما زدت بعد ان سمعت الاذان على ان توضات وخرجت فقال والوضوء ايضا وقد علمت ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يامر بالغسل وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان وبما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال من توضا يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل افضل ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرة اخرى على نية
غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزاه وحصل له الفضل اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة
وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال اللجمعة فقال لا بل من جنابة فقال اعد غسلا ثانيا وروى الحديث
في غسل الجمعة على كل محتلم وانما امره به لانه لم يكن نواه وكان لا يبعد ان يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون
النية ولكن هذا ينقدح في الوضوء ايضا وقد جعل في الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم احدث توضا
ولم يبطل غسله والاحب ان يحترز ذلك الثالث الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي في ثلاثة الكسوة والنظافة و
تطييب الرائحة اما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ما سبق في كتاب الطهارة قال
من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه داء وادخل فيه شفاء فان كان قد دخل الحمام في الخميس او الاربعاء فقد حصل
المقصود وليتطيب في هذا اليوم باطيب طيب عنده ليغلب بها الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والراحة الى مشام
الحاضرين في جواره واحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه وروي ذلك في

الاثر وقال الشافعي من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله **واما الكسوة** فاحبها البيض من الثياب اذ احب
الثياب الى الله تعالى البيض ولا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر اليه لانه
بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة في هذا اليوم روى واثلة بن الاسقع ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله وملائكته يصلون على اصحاب العمائم يوم الجمعة فان اكربه الحر فلا باس بنزعها قبل الصلوة و
بعدها ولكن لا ينزع في وقت السعي من المنزل الى الجمعة ولا في وقت الصلوة وعند صعود الامام المنبر وفي خطبته الرابع
البكور الى الجامع ويستحب ان يقصد الجامع من فرسخين وثلثة وليبكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور
عظيم وينبغي ان يكون في سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد الى وقت الصلوة قاصدا للمبادرة الى
جواب نداء الله اياه الى الجمعة والمسارعة الى مغفرته ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وسلم من راح الى الجمعة في الساعة
الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب
كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما اهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما اهدى بيضة فاذا
خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما
جاء لحق الصلوة ليس له من الفضل شيء والساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها
حتى ترمض الاقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلى الى الزوال وفضلها قليل ووقت الزوال حق الصلوة فلا
فضل فيه وقال صلى الله عليه وسلم ثلث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا الابل في طلبهن الاذان والصف الاول والغدو
الى الجمعة قال احمد بن حنبل افضلهن الغدو الى الجمعة وفي الخبر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم
صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وجاء في الاثر ان الملائكة يتفقدون العبد اذا تاخر عن
وقته يوم الجمعة فيسال بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذي اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره فقر فاغنه
وان كان اخره مرض فاشفه وان كان اخره شغل ففرغه لعبادتك وان اخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك وكان يرى
في القرن الاول سحرا وبعد الفجر الطرقات مملوة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها الى الجامع كايام العيد حتى
اندرس ذلك فقيل اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجامع وكيف لا يستحيي المؤمنون من اليهود والنصارى
وهم يبكرون الى البيع والكنائس يوم السبت والاحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون الى رحاب الجامع للبيع والربح فلم
لا يسابقهم طالب الاخرة ويقال ان الناس يكونون في قربهم عند النظر الى وجه الله على قدر بكورهم الى الجمعة ودخل
ابن مسعود بكرة فراى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول لنفسه معاتبا اياها رابع اربعة
وما رابع اربعة ببعيد الخامس في هيئات الدخول فينبغي ان لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين ايديهم والبكور يسهل
عليه ذلك فقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو انه يجعل جسرا يوم القيمة يتخطاه الناس يوم القيمة وروى
ابن جريج مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم بينا هو يخطب يوم الجمعة اذ راى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس
فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلوته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع اليوم معنا فقال يا نبي الله
قد جمعت فقال او لم ارك تتخطى رقاب الناس اشار الى انه احبط عمله وفي حديث مسند انه قال ما منعك ان تصلي
معنا فقال اولم ترني فقال رايتك تانيت وآذيت اي تاخرت عن البكور وآذيت بالحضور ومهما كان الصف الاول
متروكا خاليا فله ان يتخطى رقاب الناس الذين يقعدون على ابواب الجامع يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم واذا لم يكن
في المسجد الا من يصلي فينبغي ان لا يسلم فانه تكليف جواب في غير محله السادس ان لا يمر بين يدي الناس ويجلس حيث هو الى قرب
من اسطوانة او حائط حتى لا يمر وان بين يديه اعني بين يدي المصلين فان ذلك لا يقطع الصلوة ولكنه منهي عنه قال صلى الله
عليه وسلم لان يقف اربعين سنة خير له من ان يمر بين يدي المصلي وسوى في حديث اخر بين المار والمصلي وقال

لان يكون الرجل رمادا او مدقوقا تذروه الرياح خير له من ان يمر بين يدي المصلي وسوى في حديث آخر بين المار والمصلي
حيث صلى على الطريق او قصر في الدفع فقال لو يعلم المار بين يدي المصلي ما عليهما في ذلك لكان ان يقف اربعين سنة
خيرا له من ان يمر بين يديه والاسطوانة والحائط والمصلى المفروش حد المصلي فمن اجتاز به فينبغي ان يدفعه قال صلى الله
عليه وسلم ليدفعه فان ابى فليدفعه فان ابى فليقاتله فانه شيطان وكان ابو سعيد الخدري يدفع من يمر بين
يديه حتى يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه مروان فيخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم امره بذلك فان لم
يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر الذراع ليكون ذلك علامة لحده السابع ان يطلب الصف الاول
فان فضله كثير كما رويناه وفي الخبر من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان له ذلك كفارة لما
بين الجمعتين وزيادة ثلاثة ايام وفي لفظ آخر غفر الله له الى الجمعة الاخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس و
لا تغفل في طلب الصف الاول عن ثلاثة امور اولها انه ان كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام
او غيره وصلوة في سلاح كثير ثقيل شاغل او سلاح مذهب او غير ذلك مما يجب فيه الانكار فالتاخر له اسلم واجمع
للهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحرث نراك تبكر وتصلي في آخر الصفوف فقال
انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد واشار به الى ان ذلك اسلم لقلبه ونظر سفين الثوري الى شعيب بن حرب عند
المنبر يستمع الى الخطبة من ابي جعفر فلما فرغ من الصلوة قال شغل قلبي قربك من هذا هل امنت ان تسمع كلاما يجب
عليك انكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما احدثوا من لبس السواد فقال يا ابا عبد الله اليس في الخبر ادن فاستمع فقال ويحك
ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فاما هؤلاء فكلما ابعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان اقرب الى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر
صليت الى جنب ابي الدرداء فجعل يتاخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قلت له اليس يقال خير الصفوف
اولها فقال نعم الا ان هذه امة مرحومة منظور اليها من بين الامم فان الله تعالى اذا نظر الى عبد في الصلوة غفر له ولمن وراءه
من الناس فانما تاخرت رجاء ان يغفر لي بواحد منهم ينظر الله اليه وروى بعض الرواة انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
قال ذلك فمن تاخر على هذه النية ايثارا واظهارا لحسن الخلق فلا باس وعند هذا يقال الاعمال بالنيات ثانيها انه ان لم يكن
مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين فالصف الاول محبوب والا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة
كان الحسن وبكر المزني لا يصليان في المقصورة ورأوا انها قصرت على السلطان وهي بدعة احدثت بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد انقطع ذلك على خلافه وصلى انس بن مالك وعمران بن حصين
في المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع فاما مجرد المقصورة اذا لم يكن منع
فلا يوجب كراهية ثالثها ان المنبر يقطع بعض الصفوف وانما الصف الاول الواحد المتصل الذي في فناء المنبر وما على
طرفيه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الاول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لانه متصل ولان الجالس فيه يقابل
الخطيب ويسمع منه ولا يبعد ان يقال الاقرب الى القبلة هو الصف الاول ولا يراعى هذا المعنى ويكره الصلوة في
الاسواق والرحاب الخارجة من المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب الثامن ان يقطع الصلوة عند
خروج الامام ويقطع الكلام ايضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند
قيام المؤذنين ولا يثبت له اصل في خبر ولا اثر ولكنه ان وافق سجود تلاوة فلا باس ان يغتنم الدعاء لانه وقت فاضل
ولا يحكم بتحريم هذا السجود فانه لا سبب لتحريمه وقد روي عن علي وعثمان رضي الله عنهما من استمع وانصت فله اجران
ومن لم يستمع وانصت فله اجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد وقال صلى الله عليه
وسلم من قال لصاحبه والامام يخطب انصت او صه فقد لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له وهذا يدل على
ان الاسكات ينبغي ان يكون باشارة او رمي حصاة لا بالنطق وفي حديث ابي ذر لما سال ابيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب

فقال متى انزلت هذه السورة فاومى اليه ان اسكت فلما نزل صلى الله عليه وسلم قال له ابي اذهب فلا جمعة لك فشكاه
ابو ذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صدق ابي وان كان بعيدا من الامام فلا ينبغي ان يتكلم في العلم وغيره بل
يسكت لان ذلك يتسلسل ويفضي الى همهمة تنتهي الى المستمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد
فلينصت فهو المستحب واذا كان يكره الصلوة في وقت خطبة الامام فالكلام اولى قال علي رضي الله عنه يكره الصلوة
في اربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلوة والامام يخطب التاسع ان يراعي في قدوة الجمعة ما
ذكرناه في غيرها فاذا سمع قراءة الامام لم يقرأ سوى الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد سبع مرات قبل ان يتكلم وقل
هو الله احد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا وقد روي عن بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا
له من الشيطان ويستحب ان يقول بعد صلوة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني بحلالك
عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء اغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد
الجمعة ست ركعات وقد روى ابن عمر انه عليه الصلوة والسلام كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وروى ابو هريرة اربعا وروي
علي وعبد الله ستا والكل صحيح في احوال مختلفة والاكمل افضل العاشر ان يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان وقف الى المغرب فهو
الافضل يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب عمرة فان لم يامن التصنع ودخول الافة عليه من
نظر الخلق الى اعتكافه او خاف الخوض فيما لا يعني فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا لله تعالى متفكرا في الائه شاكرا على توفيقه
خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا يفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي ان يتكلم في الجامع وغيره من
المساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم امر دنياهم ليس لله فيهم حاجة
فلا تجالسوهم **بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب** السابق الذي يعم جميع النهار وهي سبعة الاول ان يحضر مجالس العلم بكرة
او بعد الصلوة او بعد العصر فلا يحضر مجالس القصاص فلا خير في كلامهم ولا ينبغي ان يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات
والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو في خير ولا ينبغي ان يحضر الحلق قبل الصلوة الا ان يكون عالما بالله مذكرا بايام الله
ومتفقها في دين الله يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور والاستماع واستماع العلم النافع في الآخرة افضل من
اشتغاله بالنوافل فقد روى ابو ذر ان حضور مجلس علم افضل من اشتغاله بالنوافل صلوة الف ركعة قال انس بن مالك في قوله
تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اما انه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة
وتعلم علم وزيارة اخ في الله وقد سمى الله العلم فضلا في مواضع قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال
ولقد آتينا داود منا فضلا يعني العلم فتعليم العلم في هذا اليوم وتعلمه من افضل القربات والصلوة افضل من مجالس القصاص
اذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع حضر ابن عمر الى مجلسه في الجامع فاذا قاص يقص في موضعه فقال له قم عن
مجلسي فقال لا اقوم وقد جلست وسبقتك اليه فارسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه ولو كان ذلك من السنة لما حل اقامته
فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقيمن احدكم اخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر اذا قام الرجل من
مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه وروي ان قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد آذاني بقصصه
وشغلني عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصا على ظهره ثم طرده الثاني ان يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففي الخبر المشهور
ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله تعالى فيها شيئا الا اعطاه وفي خبر آخر لا يصادفها عبد يصلي واختلف فيها
فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الخطيب المنبر واخذ في الخطبة وقيل اذا قام
الناس الى الصلوة وقيل آخر وقت العصر اعني وقت الاختيار وقيل قبيل غروب الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت
وتامر خادمتها ان تنظر الى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتاخذ بالدعاء والاستغفار الى ان تغرب الشمس وتخبر بان
تلك الساعة هي المنتظرة وتاثره عن ابيها صلى الله عليه وسلم وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر

حتى يتوفر الدواعي على مراقبتها وقد قيل انها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الاشبه وله
سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغي ان يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في ايام دهركم نفحات
الا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من جملة تلك الايام فينبغي ان يكون العبد في جميع نهاره متعرضا لها باحضار القلب
ملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات وقد قال كعب الاحبار انها في
اخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال ابو هريرة كيف يكون اخر ساعة وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها
عبد يصلي ولات حين صلوة فقال كعب الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر الصلوة فهو في الصلوة قال
بلى قال فذاك صلوة فسكت ابو هريرة وكان كعب مائلا الى هذه رحمة من الله للقائمين بحق اليوم واوان ارسالها عند
الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الامام المنبر فليكثر الدعاء فيهما الثالث يستحب ان يكثر الصلوات
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له
ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلوة عليك فقال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي
الامي وتعقد واحدة فان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلوة تكون لك رضاء ولحقه اداء واعطه الوسيلة و
المقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه افضل ما جزيت نبيا عن امته وصل على جميع اخوانه من النبيين و
الصالحين يا ارحم الراحمين تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله
عليه وسلم وان اراد ان يزيد اتى بالصلوات المأثورة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وشرائف زكوات
رأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح
البر ونبي الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الاولون والاخرون اللهم اعطه
الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم اعط محمدا سؤله وبلغه مأموله
واجعله اول شافع واول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وافلج حجته وارفع في اعلى المقربين درجته اللهم احشرنا في
زمرته واجعلنا من اهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته واوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين
ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين رب العالمين وعلى الجملة كل ما اتى به من الفاظ الصلوة ولو بالمشهور
في التشهد كان مصليا وينبغي ان يضيف اليه الاستغفار فان ذلك ايضا مستحب في هذا اليوم الرابع قراءة القرآن
فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روى ابن عباس وابو هريرة مرفوعا ان من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم
الجمعة اعطي نورا من حيث يقرأها الى مكة وغفر له الى الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى
يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال ويستحب ان يختم القرآن في يوم الجمعة وليلتها
ان قدر وليكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر ان قرأ بالليل او في ركعتي المغرب او بين الاذان والاقامة للجمعة فله فضل عظيم
وكان العابدون يستحبون ان يقرأ في يوم الجمعة قل هو الله احد الف مرة ويقال ان من قرأها في عشر ركعات او عشرين ركعة فهو
افضل من ختمة وكانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الف مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة
وان قرأ المسبحات الست في يوم الجمعة او ليلتها فحسن وليس يروى انه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ سورا باعيانها الا في يوم الجمعة
وليلتها كان يقرأ في صلوة المغرب ليلة الجمعة سورة الجمعة وسورة المنافقين وكان يقرأ في صلوة العشاء الاخرة ليلة الجمعة
سورة الجمعة وسورة المنافقون وروي انه كان يقرأهما في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمان
وسورة هل اتى على الانسان الخامس الصلوات يستحب اذا دخل الجامع ان لا يجلس حتى يصلي اربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله
احد مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة
او يرى له ولا يدع ركعتي التحية وان كان الامام يخطب ولكن يخفف امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وفي حديث

عنه بانه صلى الله عليه وسلم سكت للداخل حتى فرغ فقال الكوفيون ان سكت له الامام صلاها ويستحب في هذا اليوم
ان يصلي اربع ركعات باربع سور الانعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرأ يس وسجدة لقمان وسورة دخان
وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع في ليلة الجمعة ففيه فضل كثير ومن لا يحسن القرآن يقرأ ما يحسن فهو بمنزلة
ختمة ويكثر من سورة الاخلاص ويستحب ان يصلي صلوة التسبيح كما سيأتي في باب التطوعات كيفيتها لانه
قال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضي الله عنه صلها في كل جمعة وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلوة يوم الجمعة بعد الزوال
كان يخبر عن جلالة فضلها والاحسن ان يجعل وقته للصلوة الى الزوال ويجعل بعد الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعده الى المغرب للتسبيح و
الاستغفار السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تضاعف الا على من سأل والامام يخطب وكان يتكلم في
كلام الامام فهذا مكروه قال صالح بن احمد سأل مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان الى جنب ابي فاعطى رجل ابي
قطعة ولم يعرف لينا وله اياها فلم يأخذها منه ابي وقال ابن مسعود اذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق ان لا يعطى واذا
سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على سؤال الجامع الذين يتخطون رقاب الناس الا ان يسأل قائما
او قاعدا في مكان من غير تخطي وقال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة
ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما ثم يقول اللهم اني اسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو
الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه وقال بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة ثم
غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم اسألك ان تغفر لي وترحمني و
ان تعافيني من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له السابع ان يجعل يوم الجمعة للاخرة فيكف فيه عن جميع اشغال الدنيا و
يكثر فيه الاوراد ولا يبتدئ فيه السفر فقد روي ان من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر حرام الا
اذا كانت الرفقة تفوت وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد من السقاء ليشربه او يسبله حتى لا يكون مبتاعا في المسجد فان
البيع والشرى في المسجد مكروه وقالوا لا بأس لو اعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب او سبل في المسجد وبالجملة ينبغي ان يزيد
في الجمعة في اوراده وانواع خيراته فان الله اذا احب عبدا استعمله في الاوقات الفاضلة بفواضل الاعمال واذا مقته
استعمله في الاوقات الفاضلة بسيئ الاعمال ليكون اوجع في عقابه واشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت و
يستحب في الجمعة دعوات وسيأتي ذكرها في كتاب الدعوات

الباب السادس في مسائل تعم

البلوى بها ويحتاج المريد الى معرفتها فاما المسائل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه **مسئلة** الفعل القليل
وان كان لا يبطل الصلوة فهو مكروه الا لحاجة وذلك في دفع المار او قتل العقرب التي يخاف ويمكن قتلها بضربة او ضربتين
فلو صار ثلاثا فقد كثر وبطلت الصلوة وكذا القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما وكذا حاجته الى الحك الذي
يشوش عليه الخشوع كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلوة وكان ابن عمر يقتل القملة في الصلوة حتى يظهر الدم
على يده وقال النخعي يأخذها ويوهمها ولا شيء عليه ان قتلها وقال ابن المسيب يأخذها فيخدرها ثم يطرحها قال مجاهد الاحب
الي ان يدعها الى ان تؤذيه فتشغله عن صلوته فيوهنها قدر ما لا تؤذي ثم يلقيها وهذه رخصة والا فالكمال في الاحتراز
عن الفعل وان قل ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب وقال لا اعود نفسي ذلك فيفسد علي صلوتي وقد سمعت ان
الفساق يصبرون بين يدي الملوك على اذى كثير ولا يتحركون ومهما تثاوب فلا بأس ان يضع يده على فيه وهو الاولى
فان عطس حمد الله في نفسه ولا يحرك لسانه وان تجشأ فلا ينبغي ان يرفع رأسه الى السماء وان سقط رداءه فلا ينبغي
ان يسويه وكذا طرف عمامته فكل ذلك مكروه الا لضرورة **مسئلة** الصلوة في النعلين جائزة وان كان نزع
النعلين سهلا فليست الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معناها المداس صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال لم خلعتم نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا فقال ان جبريل اتاني

واخبران بهما خبثا فاذا اراد احدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فان راى خبثا فليمسحه بالارض وليصل بهما وقال
بعضهم الصلوة فى النعلين الصلوة فى النعلين افضل لانه قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة فانه سألهم ليبين لهم سبب خلعه
واذ علم انهم خلعوا على موافقته وقد روى عبد الله بن السائب ان النبى صلى الله عليه وسلم خلع نعليه فاذن قد فعل كليهما
فمن خلع فينبغى ان لا يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعه بين يديه ولا يتركه وراءه فيكون
قلبه ملتفتا اليه ولعل من راى الصلوة فيه افضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب اليه وروى ابو هريرة عنه صلى الله عليه و
سلم انه قال اذا صلى احدكم فليجعل نعليه بين رجليه وقال ابو هريرة لغيره اخلعهما واجعلهما بين رجليك ولا تؤذى بهما
مسلما ووضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان اماما وللامام ان يفعل ذلك اذ لا يقف احد على يساره و
الاولى ان لا يضعهما بين قدميه فيشغلاه ولكن قدام قدميه ولعله المراد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه
بين قدميه بدعة مسئلة اذا بزق فى صلوته لم تبطل صلوته لانه فعل قليل وما يحصل به من صوت لا يعد كلاما
وليس على شكل حروف الكلام الا انه مكروه فينبغى ان يحترز عنه الا كما اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اذ روى
بعض الصحابة انه عليه راى فى القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون كان فى يده وقال ائتونى بعبير فلطخ اثرها
بزعفران ثم التفت الينا فقال ايكم يحب ان يبزق فى وجهه فقلنا لا فقال فان احدكم اذا دخل فى صلوته فان الله عز وجل بينه وبين
القبلة وفى لفظ آخر واجهه الله تعالى فلا يبزقن احدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه لكن عن شماله او تحت قدمه اليسرى فان بدرته
بادرة فليبصق فى ثوبه وليفعل به هكذا ودلك بعضه ببعض مسئلة لوقوف المقتدى سنة وفرض اما السنة
فان يقف الواحد عن يمين الامام متاخرا عنه قليلا والمراة الواحدة تقف خلف الامام فان وقفت بجنب الامام لم تضر ولكن
خالفت السنة فان كان معهما رجل وقف الرجل على اليمين وهى خلف الرجل ولا يقف احد خلف الصف منفردا بل يدخل فى الصف
او يجر الى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلوته مع الكراهة اما الفرض فاتصال الصف وهو ان يكون بين
المقتدى والامام رابطة جامعة فانهما فى جماعة فان كانا فى مسجد كفى ذلك جامعا لانه بنى له فلا يحتاج الى اتصال صف بل الى
ان يعرف افعال الامام صلى ابو هريرة على ظهر المسجد بصلوة الامام واذا كان الماموم على فناء المسجد فى طريق او صحراء مشتركة
وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفى القرب بقدر غلوة سهم وهى رابطة اذ يصل فعل احدهما الى الاخر وانما يشترط اذا
وقف فى صحن دار عن يمين المسجد او يساره وبابها لافظ فى المسجد فالشرط ان يمتد صف المسجد فى دهليزها من غير
انقطاع الى الصحن ثم يصح صلوة من فى ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه وهكذا حكم الابنية المختلفة فاما البناء
الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء مسئلة المسبوق اذا ادرك آخر صلوة الامام فهو اول صلوته فليوافق الامام و
ليبن عليه وليقنت فى الصبح فى آخر صلوة نفسه وان قنت مع الامام وان ادرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء
وليبدأ بالفاتحة وليخففها فان ركع الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه فى اعتداله عن الركوع فليتم فان عجز وافق الامام
وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فيسقط عنه بالسبق وان ركع الامام وهو فى السورة فليقطعها وان ادرك
الامام فى السجود او التشهد كبر للاحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما اذا ادركه فى الركوع فانه يكبر ثانيا فى الهوى لان ذلك
انتقال محسوب له والتكبيرات للانتقالات الاصلية فى الصلوة لا للعوارض بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة ما لم
يطمئن فى الركوع والامام بعد فى حد الراكعين وان لم يتم طمانينته الا بعد مجاوزة الامام حد الراكعين فاتته تلك الركعة
المسئلة من فاتته الظهر الى وقت العصر فليصل الظهر اولا ثم العصر فان ابتدأ بالعصر اجزأه ولكن ترك الاولى و
اقتحم شبهة الخلاف فان وجد اماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فان الجماعة بالاداء اولى وان صلى منفردا فى اول
الوقت ثم ادرك جماعة صلى بالجماعة ونوى صلوة الوقت والله يحتسب اكملهما فان نوى فائتة او تطوعا جاز وان كان قد
صلى جماعة فادرك جماعة اخرى فلينو الفائتة او النافلة فاعادة المؤداة بالجماعة مرة اخرى لا وجه له وانما احتمل ذلك

لدرك فضيلة الجماعة مسئلة من صلى ثم راى على ثوبه نجاسة فالاحب قضاء الصلوة ولا يلزمه ولو راى النجاسة فى اثناء
الصلوة رمى الثوب واتم والاحب الاستيناف واصل هذا قصة خلع النعلين حيث اخبر جبرئيل بان عليهما نجاسة فانه
صلى الله عليه وسلم لم يستانف الصلوة مسئلة من ترك التشهد الاول او القنوت او ترك الصلوة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى التشهد الاول او فعل فعلا سهوا وكان يبطل الصلوة بعمده او شك فلم يدر اصلى ثلاثا ام اربعا اخذ باليقين
وسجد سجدتى السهو قبل السلام فان نسى فبعد التسليم مهما تذكر على القرب فان سجد بعد السلام واحدث بطلت الصلوة فانه لما
رغب فى السجود كانه جعل سلامه نسيانا فى غير محله فلم يحصل التحلل به وعاد الى الصلوة فلذلك يستانف السلام بعد السجود وان
تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد او بعد طول الفصل فقد فات مسئلة الوسوسة فى نية الصلوة سببها خبل فى
العقل او جهل بالشرع لان امتثال امر الله مثل امتثال امر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره فى حق القصد ومن قصد دخل عليه عالم
فقام له فلو قال نويت ان انتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لاجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهى سفه
فى عقله بل كما يراه ويعلم فضله ينبعث داعية التعظيم فيقيمه ويكون معظما الا اذا قام لشغل اخر او فى غفلة واشتراط كون
الصلوة ظهرا اداء فرضا فى كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث
آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو قام مدبرا عنه او صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظما ثم هذه الصفات
لا بد وان تكون معلومة وان تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها فى النفس فى لحظة واحدة وانما يطول نظم الالفاظ
الدالة عليها اما تلفظا باللسان واما تفكرا بالقلب فمن لم يفهم نية الصلوة على هذا الوجه فكانه لم يفهم النية فليس فيه
الا انك دعيت الى ان تصلى فى وقت فاجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل فان هذه القصود وهذه العلوم تجتمع فى
النفس فى حالة واحدة ولا يكون مفصلة الاحاد فى الذهن بحيث تطالعها النفس وتتاملها وفرق بين حضور الشئ فى
النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للعزوب والغفلة وان لم يكن مفصلا فان من علم الحادث فيعلمه بعلم واحد فى
حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما هى حاضرة وان لم يكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدم و
التاخر والزمان وان التقدم للعدم وان التاخر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل ان العالم بالحادث اذا
لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط او التاخر او العدم او تقدم العدم او تاخر الوجود او الزمان المنقسم الى المتقدم و
المتاخر فقال ما علمته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله انى اعلم الحادث ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فان
الموسوس يكلف نفسه ان يحضر فى قلبه الظهرية والادائية والفرضية فى حالة واحدة فيفصلها بالفاظها وهو يطالعها و
ذلك محال ولو كلف نفسه ذلك فى القيام لاجل العالم لتعذر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو ان يعلم ان امتثال
امر الله فى النية كامتثال امر غيره ثم انى ازيد عليه على سبيل التسهيل والرخصة واقول لو لم يفهم الموسوس النية الا بإحضار هذه
الامور مفصلة ولم يتمثل فى نفسه الامتثال دفعة واحدة واحضر جملة ذلك فى اثناء التكبير من اوله الى آخره بحيث لم يفرغ من
التكبير الا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه ان يقرن الجميع باول التكبير او آخره فان ذلك شطط تكليف ولو كان مأمورا به
لوقع للاولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة فى النية فعدم وقوع ذلك دليل على ان الامر على التساهل فكيفما تيسرت النية
للموسوس ينبغى ان يقنع به حتى يتعود ذلك ويفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فان التحقيق يزيده فيه وقد ذكرنا
فى الفتاوى وجوها من التحقيق فى تفصيل العلوم والقصود المتعلقة بالنية يفتقر العلماء الى معرفتها فاما العامى فربما يضره
سماعها او يهيج عليه الوسواس فلذلك تركنا ذكرها مسئلة لا ينبغى ان يتقدم الماموم على الامام فى الركوع والسجود والرفع
منهما وفى سائر الاعمال ولا ينبغى ان يساوقه بل يتبعه ويقفو اثره فهذا معنى الاقتداء فان ساوقه عمدا لم تبطل صلوته كما لو وقف
بجنبه غير متاخر عنه وان تقدم عليه بركن ففى بطلان صلاته خلاف ولا يبعد ان يقضى بالبطلان تشبيها بما لو تقدم فى
الموقف على الامام بل هذا اولى لان الجماعة اقتداء فى الفعل لا فى الموقف فالمتابعة فى الفعل اهم وانما شرط ترك التقدم فى الموقف تسهيلا

المتابعة في الفعل وتحصيلا لصورة التبعية اذ اللائق بالمقتدي به ان يتقدم فالتقدم عليه في الفعل لا وجه له الا ان يكون سهوا ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه النكير وقال اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار واما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلوة وذلك بان يعتدل الامام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر الى هذا الحد مكروه فان وضع الامام جبهته على الارض وهو بعد لم ينته الى حد الراكعين بطلت صلوته وكذا ان وضع الامام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الاول **مسئلة** حق على من حضر الصلوة اذا راى من غيره اساءة في صلوته ان يغيره وينكر عليه وان صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الامر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والانكار على من يرفع راسه قبل الامام الى غير ذلك من الامور فقد قال صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود من راى من يسيء في صلوته ولم ينهه فهو شريكه في وزرها وعن بلال بن سعد انه قال الخطيئة اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا اظهرت فلم تغير اضرت بالعامة وجاء في الحديث ان بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة وعن عمر قال تفقدوا اخوانكم في الصلوة فاذا فقدتموهم فان كانوا مرضى فعودوهم وان كانوا اصحاء فعاتبوهم والعتاب انكار على ترك الجماعة ولا ينبغي ان يتساهل فيه فقد كان الاولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة الى باب دار من تخلف عن الجماعة اشارة الى ان الميت هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد فينبغي ان يقصد يمين الصف ولذلك تزاحم الناس عليه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال عليه الصلوة والسلم من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الاجر ومهما وجد غلاما في الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله ان يخرجه الى خلف الصف ويدخل مكانه اعني اذا لم يكن بالغا فهذا ما اردنا ان نذكره من المسائل التي يعم البلوى بها وسيأتي احكام الصلوات المتفرقة في كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى

الباب السابع في النوافل من الصلوات

اعلم ان ما عدا الفرائض من الصلوات تنقسم الى ثلثة اقسام سنن ومستحبات وتطوعات ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلوة الضحى والوتر والتهجد وغيرها لان السنة عبارة عن الطريقة المسلوكة ونعني بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله في صلوات الايام والليالي في الاسبوع وكالصلوة عند الخروج من المنزل او الدخول فيه وامثال ذلك ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه خبر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله بالصلوة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا فكانه متبرع به اذ لم يندب الى تلك الصلوة بعينها وان ندب الى الصلوة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع وتسمى الاقسام الثلثة نوافل من حيث ان النفل هو الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع اردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الالفاظ بعد فهم المقاصد فكل قسم من هذه الاقسام تتفاوت درجاته في الفضل بحسب ما ورد فيه من الاخبار والآثار المعرفة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحسب صحة الاخبار الواردة فيه واشتهارها ولذلك نقول سنن الجماعات افضل من سنن الانفراد وافضل سنن الجماعة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء وافضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها واعلم ان النوافل باعتبار الاضافة الى متعلقاتها تنقسم الى ما يتعلق باسباب كالكسوف والاستسقاء والى ما يتعلق باوقات والمتعلق بالاوقات ينقسم الى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة او بتكرر الاسبوع او بتكرر السنة فالجملة اربعة اقسام **القسم الاول** ما يتكرر بتكرر الايام والليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوات الخمس وثلثة وراءها وهي صلوة الضحى واحياء ما بين العشائين والتهجد الاولى راتبة الصبح وهي ركعتان قال صلى الله عليه وسلم ركعتا الصبح خير من الدنيا بما فيها ويدخل وقتهما بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وادراك ذلك بالمشاهدة عسير في اوله الا ان يتعلم منازل القمر او يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكوكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فان القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثنتي عشرة من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق اليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الاوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو بطلوع الشمس ولكن السنة اداؤهما قبل الفرض فان دخل المسجد وقد قامت الصلوة فليشتغل بالمكتوبة قال صلى الله عليه وسلم اذا اقيمت الصلوة فلا صلوة الا المكتوبة ثم اذا فرغ من المكتوبة قام اليهما وصلاهما والصحيح انه اداء ما وقع قبل طلوع الشمس لانه تابع للفرض في وقته وانما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتاخير اذا لم يصادف جماعة فاذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقي اداء والمستحب ان يصليهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتي التحية ثم يجلس ولا يصلي الى ان يصلي المكتوبة وفيما بين الصبح الى طلوع الشمس الاحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة الثانية راتبة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي سنة مؤكدة واربع قبلها وهي ايضا سنة وان كانت دون الركعتين الاخيرتين روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى اربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون الف ملك يستغفرون له حتى الليل وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع اربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول ان ابواب السماء تفتح في هذه الساعة فاحب ان يرفع لي فيها عمل رواه ابو ايوب الانصاري وتفرد به ودل عليه ايضا ما روت ام حبيبة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بني له بيت في الجنة ركعتين قبل الفجر واربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب وقال ابن عمر حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات فذكر ما ذكرته ام حبيبة الا ركعتي الفجر فانه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثتني اختي حفصة انه كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء فصارت الركعتان آكد من جملة الاربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الاشخاص المنتصبة مائلا الى جهة المشرق اذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب يستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب الى ان تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع اخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة محسوسة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعا ان الزوال في علم الله وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط الا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس اول الجدي ومنتهى قصره بلوغها اول السرطان ويعرف ذلك بالاقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن احسن مراعاته ان يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الارض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث يكون احد اضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب الى الارض ثم توهمت خطا مستقيما من مسقط الحجر الى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين اي لا يكون الخط مائلا الى احد الضلعين ثم تنصب عمودا على اللوح نصبا مستويا في موضع علامة وهو بازاء القطب فيقع ظله في اول النهار مائلا الى جهة المغرب في صوب خط ا ثم لا يزال يميل الى ان ينطبق على خط ب بحيث لو مددته لانتهى على الاستقامة الى مسقط الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقي والغربي غير مائل الى احدهما فاذا بطل ميله الى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فاذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح الى الجانب الشرقي فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقا في وقت هو قريب من

اول الزوال في علم الله ثم يعلم على راس الظل عند انحرافه علامة فاذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت
العصر فهذا القدر لا باس بمعرفته من علم الزوال الثالثة راتبة العصر وهي اربع ركعات قبل العصر روى
ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله عبدا صلى اربعا قبل العصر ففعل ذلك على رجاء الدخول
في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحب استحبابا مؤكدا فان دعوته مستجابة لا محالة ولم يكن
مواظبته على السنة كمواظبته على ركعتين قبل الظهر الرابعة راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم
يختلف الروايات فيهما واما ركعتان قبلها بين اذان المؤذن واقامته على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من
الصحابة كابي بن كعب وعبادة بن الصامت وابي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة او غيره كان المؤذن
اذا اذن لصلوة المغرب ابتدر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين وقال
بعضهم كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب انا صلينا فيسال اصليتم المغرب وذلك
يدخل في عموم قوله بين كل اذانين صلوة لمن شاء وكان احمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما فقيل له فقال لم ار
الناس يصلونهما فتركتهما وقال ان صلاهما الرجل في بيته او حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت
المغرب بغيبوبة الشمس عن الابصار في الاراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال فان كانت محفوفة
بها من جهة المغرب فيتوقف الى ان يرى اقبال السواد من جانب المشرق قال صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل
من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد افطر الصائم والاحب المبادرة في صلوة المغرب خاصة وان اخرت و
اديت قبل غيبوبة الشفق الاحمر وقع ذلك اداء ولكنه مكروه اخر عمر صلوة المغرب ليلة حتى طلع نجم
فاعتق رقبة واخرها ابن عمر حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين الخامسة راتبة العشاء الاخرة وهي اربع ركعات
بعد الفريضة قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد العشاء الاخرة اربع ركعات ثم ينام
واختار بعض العلماء من مجموع الاخبار ان يكون عدد الرواتب سبعة عشر كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح
واربع قبل الظهر وركعتان بعده واربع قبل العصر وركعتان قبل المغرب وثلاث بعد العشاء وهي الوتر و
مهما عرفت الاحاديث الواردة في ذلك فلا معنى للتقدير وقد قال صلى الله عليه وسلم الصلوة خير موضوع فمن
شاء اكثر ومن شاء اقل فاذا اختيار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير وقد ظهر فيما
ذكرناه ان بعضها اكد من بعض وترك الاكد ابعد لا سيما والفرائض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها
يوشك ان لا يسلم له فريضته من غير جابر السادسة الوتر قال انس بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه و
سلم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرا في الاولى سبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل يا ايها الكافرون
وفي الثالثة قل هو الله احد وجاء في خبر انه كان صلى الله عليه وسلم يصلي بعد الوتر جالسا ركعتين وفي بعضها
متربعا وفي بعض الاخبار فاذا اراد ان يدخل الى فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين قبل ان يرقد يقرا فيهما اذا
زلزلت وسورة الهاكم التكاثر وفي رواية اخرى قل يا ايها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة
وبتسليمتين وقد اوتر صلى الله عليه وسلم بركعة وثلاث وخمس وهكذا بالاوتار الى احدى عشرة والرواية
مترددة في ثلاث عشرة وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة وكانت هذه الركعات اعني ما سميناه جملتها وترا
صلوته بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة مؤكدة وسياتي ذكر فضلها في كتاب الاوراد ان شاء الله
تعالى وفي الافضل خلاف فقيل ان الايتار بركعة فردة افضل اذ صح انه عليه الصلوة والسلم كان يواظب على الايتار
بركعة فردة وقيل الموصول افضل للخروج عن شبهة الخلاف لا سيما للامام اذ قد يقتدي به من لا يرى الركعة الفردة
فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وان اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء ونوى الوتر صح لان

لو

وقد اوتر الفرض به

شرط الوتر ان يكون في نفسه وترا وان يكون موترا لغيره مما سبق قبله ولو اوتر قبل العشاء لم يصح اي لا ينال
فضيلة الوتر الذي هو خير من حمر النعم كما ورد به الخبر والا فركعة فردة صحيحة في اي وقت كان وانما لم يصح لانه
خرق لاجماع الخلق في الفعل ولانه لم يتقدم ما يصير به وترا فاما اذا اراد ان يوتر بثلثة مفصولة ففي نيته في
الركعتين نظر فانه ان نوى به التهجد او سنة العشاء لم يكن من الوتر وان نوى الوتر لم تكن هي في نفسها وترا وانما الوتر
ما بعدها ولكن الاظهر انه ينوي الوتر كما ينوي في الثلث الموصولة الوتر ولكن للوتر معنيان احدهما ان يكون في
نفسه وترا والاخر ان ينشا ليجعل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وترا والركعتان من جملة الثلاثة الا ان وتريته موقوفة
على الركعة الثالثة واذا كان هو على عزم ان يوترهما بثالثة كان له ان ينوي بهما الوتر فالركعة الثالثة وتر في نفسها بنفسها
وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا بانفسهما ولكنهما موترتان بغيرهما والوتر ينبغي ان يكون آخر صلوة
الليل فيقع بعد التهجد وسياتي فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما في كتاب ترتيب الاوراد السابعة

صلوة الضحى

فالمواظبة عليها من عزائم الافعال وفواضلها اما عدد ركعاتها فاكثر ما نقل فيها ثماني ركعات
روت ام هانئ اخت علي رضي الله عنه انه صلى الضحى ركعتان ثماني ركعات اطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا العدد غيرها
فاما عائشة فانها ذكرت انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى اربعا ويزيد ما شاء الله فلم تحد الزيادة اي انه كان على
المواظبة على الاربع ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروي في حديث مفرد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى
ست ركعات واما وقتها فقد روي عن علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ستا في وقتين اذا اشرقت
الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو اول الورد الثاني من اوراد النهار كما سياتي بيانه واذا انبسطت الشمس
وكانت في ربع السماء من جانب الشرق صلى اربعا فالاول انما يكون اذا ارتفعت قدر نصف رمح والثاني اذا
مضى من النهار ربعه بازاء صلوة العصر فان وقتها ان يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى
على منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال كما ان العصر على منتصف ما بين الزوال الى الغروب هذا افضل الاوقات
ومن وقت ارتفاع الشمس الى ما قبل الزوال وقت الضحى على الجملة الثامنة احياء ما بين العشائين سنة
مؤكدة ومما نقل عدده من فعله صلى الله عليه وسلم بين العشائين ست ركعات ولهذه الصلوة فضل عظيم وقيل
انها المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ما بين المغرب
والعشاء فانها من صلوة الاوابين وقال صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد
جماعة لم يتكلم الا بصلوة او قرآن كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام و
يغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وسياتي بقية فضائلها في كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى
القسم الثاني ما يتكرر بتكرر الاسابيع وهي صلوات ايام الاسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة اما الايام
فنبدأ فيها بيوم الاحد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاحد اربع ركعات
يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول كتب له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات واعطاه
الله ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة الف صلوة واعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من
مسك اذفر وروى علي رضي الله عنه انه قال وحدوا الله بكثرة الصلوة يوم الاحد فانه سبحانه واحد لا
شريك له فمن صلى يوم الاحد بعد صلوة الظهر اربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرا في الركعة الاولى
فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام وصلى ركعتين اخريين يقرا فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة
وسال الله حاجته كان حقا على الله ان يقضي حاجته

يوم الاثنين

روى جابر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد

مرة والمعوذتين مرة مرة واذا سلم استغفر الله عشر مرات غفر الله له ذنوبه كلها روى انس بن مالك عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين اثنتا عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فاذا
فرغ قرأ قل هو الله احد اثنتا عشرة مرة واستغفر الله اثنتي عشرة مرة ينادي به يوم القيمة اين فلان بن فلان ليقم
فليأخذ ثوابه من الله تعالى فاول ما يعطى من الثواب الف حلة ويتوج بتاج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة
الف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على الف قصر من نور يتلألأ **يوم الثلثاء** روى يزيد الرقاشي
عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الثلثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار وفي
حديث عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلث مرات لم يكتب
عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة **يوم الاربعاء**
روى ابو ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعاء اثنتا عشرة
ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلث مرات و
المعوذتين ثلث مرات نادى ملك عند العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله
عنه عذاب القبر وضيقه وظلمته ودفع عنه شدائد القيمة ورفع له من يومه عمل نبي **يوم الخميس** عن عكرمة عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الاولى
فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية الفاتحة مرة وقل هو الله احد مائة مرة ويصلي على محمد مائة مرة
اعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من
آمن بالله وتوكل عليه حسنة **يوم الجمعة** روى علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
في يوم الجمعة صلوة ما من عبد مؤمن قام اذا استقبلت الشمس وارتفعت قدر رمح او اكثر من ذلك فتوضأ
واسبغ الوضوء فصلى تسبيحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا الا كتب له مائتي حسنة ومحي عنه مائتي سيئة ومن صلى
اربع ركعات رفع الله له في الجنة اربعمائة درجة ومن صلى ثماني ركعات رفع الله له في الجنان ثمانمائة درجة و
غفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتا عشرة ركعة كتب الله له الفا ومائتي حسنة ومحي عنه الفا ومائتي سيئة ورفع
له في الجنة الفا ومائتي درجة وعن نافع عن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من دخل الجامع يوم الجمعة
فصلى اربع ركعات قبل صلوة الجمعة قرأ في كل ركعة الحمد وقل هو الله احد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من
الجنة او يرى له **يوم السبت** روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى يوم السبت اربع
ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا ايها الكافرون ثلث مرات فاذا فرغ قرأ آية الكرسي كتب
الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف اجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه الله بكل حرف
ثواب شهيد وكان تحت ظل الله مع النبيين والشهداء **اما الليالي** فقد روى انس بن مالك في ليلة
الاحد انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة قرأ في كل ركعة الحمد لله مرة وقل هو الله احد
خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله مائة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على
النبي مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته ثم قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان آدم صفوة الله وفطرته وابرهيم
خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمد حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا و
من لم يدع لله ولدا وبعث الله يوم القيمة مع الآمنين وكان حقا على الله ان يدخله الجنة مع النبيين **ليلة**
الاثنين روى الاعمش عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين اربع ركعات
قرأ في الركعة الاولى الحمد لله وقل هو الله احد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله احد عشرين

مرة وفي الثالثة الحمد لله مرة وقل هو الله احد ثلاثين مرة وقرأ في الرابعة اربعين مرة ثم سلم وقرأ قل هو الله
احد خمسا وسبعين مرة واستغفر لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة وصلى على محمد صلى الله
عليه وسلم خمسا وسبعين مرة ثم ليسأل الله حاجته كان حقا على الله ان يعطيه سؤله ما سأل وهي
تسمى صلوة الحاجة **ليلة الثلثاء** يصلي ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله
احد والمعوذتين خمس عشرة مرة فاذا سلم قرأ آية الكرسي خمس عشرة مرة واستغفر الله خمس عشرة مرة **ليلة**
الاربعاء روت فاطمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ست ركعات ليلة الاربعاء
بثلث تسليمات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك الى اخر الآية فاذا فرغ من صلوته يقول
سبعين مرة جزى الله محمدا عنا ما هو اهله غفر الله له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار و
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ليلة الاربعاء ركعتين يقرأ في اول الركعة فاتحة الكتاب مرة وقل
اعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الناس عشر مرات نزل من
كل سماء سبعون الف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيمة **ليلة الخميس** قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس
مرات وقل هو الله احد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلوته استغفر الله خمس عشرة مرة وجعل
ثوابه لوالديه فقد ادى حق والديه عليه وان كان عاقا لهما واعطاه الله ما يعطي الصديقين والشهداء **ليلة**
الجمعة قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتا عشرة ركعة
يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد عشر مرات فكانما عبد الله اثنتا عشرة سنة صيام نهارها و
قيام ليلها وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة صلوة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي
السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات قرأ في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة ثم اوتر
بثلث ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة فكانما احيى ليلة القدر وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا
علي من الصلوة في الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة **ليلة السبت** قال انس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتا عشرة ركعة بني له قصر في الجنة
وكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله ان يغفر له **القسم الثالث ما يتكرر بتكرر**
السنين وهي اربعة صلوة العيدين والتراويح وصلوة رجب وصلوة شعبان الاول **صلوة العيدين**
وهي سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين وينبغي ان يراعى فيها سبعة امور الاول التكبير ثلاثا نسقا فيقول
الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين
له الدين ولو كره الكافرون يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة الى اخر النهار يوم الثالث عشر هذا اكمل الاقاويل
ويكبر عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرائض آكد الثاني اذا اصبح يوم العيد يغتسل
ويتزين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والرداء والعمامة وهو الافضل للرجال وليجتنب الصبيان الحرير و
العجائز الزينة عند الخروج الثالث ان يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور الرابع المستحب الخروج الى الصحراء الا بمكة و
بيت المقدس وان كان يوم مطر فلا بأس بالصلوة في المسجد ويجوز في يوم الصحو ان يأمر الامام رجلا يصلي بالضعفة
في المسجد ويخرج بالاقوياء مكبرين الخامس يراعي الوقت فوقت العيد ما بين طلوع الشمس الى الزوال ووقت الذبح
للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر ركعتين وخطبتين الى اخر اليوم الثالث عشر ويستحب تعجيل صلوة الاضحى

لاجل الذبح وتاخير صلوة الفطر لاجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
السادس في كيفية الصلوة فليخرج الناس مكبرين في الطريق واذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل وللناس
التنفل ثم ينادي مناد الصلوة جامعة ويصلي الامام ركعتين يكبر في الاولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع
سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ويقول وجهت عقيب تكبيرة
الافتتاح ويؤخر الاستعاذة الى ما وراء الثامنة ويقرا سورة ق في الاولى بعد الفاتحة واقتربت في الثانية و
والتكبيرات الزائدة في الثانية خمس سوى تكبيرتي القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة
ومن فاتته صلوة العيد قضاها السابع ان يضحي بكبش ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبش ضحى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذبح بيده وقال بسم الله والله اكبر هذا عني وعن من لم يضح من امتي وقال من راى هلال ذي الحجة
واراد ان يضحي فلا ياخذن من شعره ولا من اظفاره وقال ابو ايوب الانصاري كان الرجل يضحي على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن اهل بيته فياكلون ويطعمون وله ان ياكل من الضحية بعد ثلاثة ايام فما فوقها
وقال سفيان الثوري يستحب ان يصلي بعد عيد الفطر اثنا عشرة ركعة وبعد عيد الاضحى ست ركعات وقال
هو من السنة التراويح وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة موكدة وان كانت دون العيدين
واختلفوا في ان الجماعة فيها افضل ام الانفراد وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ليلتين او ثلاثا للجماعة
ثم لم يخرج وقال اخاف ان يوجب عليكم وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث امن من الوجوب
بانقطاع الوحي فقيل ان الجماعة افضل لفعل عمر رضي الله عنه ولان للاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض
ولانه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد افضل لان هذه سنة ليست من الشعائر
كالعيدين فالحاقها بصلوة الضحى وتحية المسجد اولى ولم يشرع فيهما جماعة وقد جرت العادة بان يدخل المسجد
جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوة التطوع في بيته على صلوته في المسجد كفضل
صلوته على المكتوبة في المسجد على صلوته في البيت وروي انه قال صلوة في مسجدي هذا افضل من مائة صلوة في غيره
من المساجد وصلوة في مسجد الحرام افضل من الف صلوة في مسجدي وافضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية
ركعتين لا يعلمها الا الله تعالى وهذا لان الرياء والتصنع ربما يتطرق اليه في الجمع ويامن منه في الوحدة فهذا
ما قيل فيه والمختار ان الجماعة افضل كما راه عمر فان بعض النوافل قد شرع فيها الجماعة وهذا جدير بان يكون
من الشعائر التي تظهر واما الالتفات الى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة
الجمع من حيث انه جماعة وكان قائله يقول الصلوة خير من تركها بالكسل والاخلاص خير من الرياء فليفرض المسئلة
فيمن يثق من نفسه انه لا يكسل لو انفرد ولا يرائي لو حضر الجمع فايهما افضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين قوة
الاخلاص وحضور القلب في الوحدة فيجوز ان يكون في تفضيل احدهما على الاخر تردد ومما يستحب القنوت في
الوتر في النصف الاخير من رمضان اما صلوة رجب فقد روي باسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ما من احد يصوم اول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والمغرب اثنتا عشرة ركعة يفصل بين
كل ركعتين بتسليمة يقرا في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وانا انزلناه في ليلة القدر ثلث مرات وقل هو الله احد
اثنتا عشرة مرة فاذا فرغ من صلوته صلى علي سبعين مرة ويقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى اله ثم يسجد ويقول
في سجوده سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع راسه ويقول رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فانك انت
العلي الاعظم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الاولى ثم يسال حاجته في سجوده فانها تقضى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلي احد هذه الصلوة الا غفر الله جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل

ووزن الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيمة في سبعمائة من اهل بيته ممن قد استوجب النار فهذه صلوة
مستحبة وانما اوردناها في هذا القسم لانها تتكرر بتكرر السنين وان كان لا تبلغ رتبتها رتبة التراويح وصلوة العيد
ولكن رايت اهل القدس باجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فاحببت ايرادها اما صلوة شعبان
فهي ان يصلي في الليلة الخامسة عشرة منه مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله
احد عشر مرات وان شاء صلى عشر ركعات يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله احد فهذا ايضا مروي في
جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلوة ويسمون هذه الصلوة صلوة الخير ويجتمعون فيها و
ربما صلوها جماعة روي عن الحسن انه قال حدثني ثلاثون من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان من صلى هذه
الصلوة في هذه الليلة نظر الله تعالى اليه سبعين نظرة قضى الله له بكل نظرة سبعين حاجة ادناها
المغفرة **القسم الرابع** من النوافل ما يتعلق باسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة
صلوة الخسوف والكسوف والاستسقاء وصلوة الجنازة وتحية المسجد وركعتي الوضوء وركعتين
بين الاذان والاقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول اليه ونظائر لذلك فنذكر منها ما يحضرنا الان
الاول صلوة الخسوف والكسوف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله
لا ينخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله والى الصلوة قال ذلك لما مات
ولده ابرهيم وكسفت الشمس فقال الناس انما كسفت لموته والنظر في كيفيتها ووقتها اما الكيفية فاذا انكسفت
الشمس في وقت الصلوة فيه مكروهة او غير مكروهة نودي الصلوة جامعة وصلى الامام بالناس في
المسجد ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين اوائلهما اطول من اواخرهما ولا يجهر فيقرا في الاولى من قيامي
الركعة الاولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وال عمران وفي الثالث الفاتحة وسورة النساء و
في الرابع الفاتحة والمائدة او مقدار ذلك من القران من حيث اراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام اجزاه ولو
اقتصر على سور قصار فلا باس ومقصود التطويل دوام الصلوة الى الانجلاء ويسبح في الركوع الاول قدر
مائة اية وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع
في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلوة بينهما جلسة ويامر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك
يفعل في خسوف القمر الا انه يجهر في الصلوة لانها ليلية فاما وقتها فهو عند ابتداء الخسوف الى تمام
الانجلاء ويخرج وقتها بان تغرب الشمس كاسفة ويفوت صلوة الخسوف القمر بان يطلع قرص الشمس
اذ يبطل سلطان الليل ولا يفوت بغروب القمر خاسفا لان الليل كله سلطان القمر وان انجلا في اثناء الصلوة اتمها
مخففة ومن ادرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاتته تلك الركعة لان الاصل هو الركوع الاول الثانية صلوة
الاستسقاء فاذا غارت الانهار وانقطعت الامطار او انهارت القناة فيستحب للامام ان يامر الناس اولا
بصيام ثلاثة ايام وما اطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم يوم الرابع بالعجائز
والصبيان متنظفين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب اخراج الدواب
لمشاركتهم في الاحتياج الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رتع لصب
عليكم العذاب صبا ولو خرج اهل الذمة متميزين ايضا لم يمنعوا فاذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء
نودي الصلوة جامعة وصلى بهم الامام ركعتين مثل صلوة العيد من غير تكبير ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة
خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية ان يستدبر الناس ويستقبل
القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعل اعلاه
اسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ثم

يستقبلهم بختم الخطبة ويدعون او ديتهم محولة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا ثيابهم ويقول في الدعاء اللهم
امرتنا بدعائك ووعدتنا اجابتك فقد دعوناك كما امرتنا فاجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة
ما قارفنا واجابتك في سقيانا وسعة رزقنا ولا باس بالدعاء ادبار الصلوات في الايام الثلاثة قبل الخروج ولهذا
الدعاء اداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها وسياتي ذلك في كتاب الدعوات **الثالثة صلوة
الجنازة** وكيفيتها مشهورة واجمع دعاء ماثور ما روي في الصحيح عن عوف بن مالك قال صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع
مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا
من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار
قال عوف حتى تمنيت ان اكون ذلك الميت ومن ادرك التكبيرة الثانية فينبغي ان يراعي ترتيب صلوة نفسه ويكبر تكبيرات
الامام فاذا سلم الامام قضى ما فاته كفعل المسبوق فانه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلوة معنى
والتكبيرات هي الاركان الظاهرة وجدير بان تقام مقام الركعات في سائر الصلوات هذا هو الاوجه عندي و
ان كان غيره محتملا والاخبار الواردة في فضل صلوة الجنازة وتشييعها مشهورة فلا نطول بايرادها و
كيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفايات وانما يصير نفلا في حق من لم يتعين عليه بحضور غيره ثم ينال به
فضل فرض الكفاية وان لم يتعين لانهم بجملتهم قاموا بما هو فرض واسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك
كنفل لا يسقط به فرض عن احد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والادعية واشتماله على ذي دعوة مستجابة
لما روى كريب عن ابن عباس انه مات ابن له فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا اناس
قد اجتمعوا له فاخبرته فقال تقول هم اربعون قال قلت نعم قال اخرجوه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله فيه و
اذا شيع الجنازة فوصل المقابر او دخلها ابتداء قال السلام على اهل الديار من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين
ويرحم الله المستقدمين منا والمستاخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون والاولى ان لا ينصرف حتى يدفن الميت
فاذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك رد اليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبيه
وافتح ابواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم ان كان محسنا فضاعف له في احسانه وان كان
مسيئا فتجاوز عنه **الرابعة تحية المسجد** ركعتان فصاعدا وهي سنة مؤكدة حتى انها لا تسقط
وان كان الخطيب على المنبر في الخطبة يوم الجمعة مع تاكد وجوب الاصغاء الى الخطيب ولو اشتغل بفرض او
قضاء تادى به التحية وحصل الفضل اذ المقصود ان لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق
المسجد ولهذا يكره ان يدخل المسجد على غير وضوء فان دخل لعبور او جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات فيقال انها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي رحمه الله انه لا يكره
التحية في اوقات الكراهة وهي بعد العصر والصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روي انه صلى الله
عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت اصليهما بعد الظهر فشغلني
عنهما الوفد فافاد هذا الحديث فائدتين احديهما ان الكراهية مقصورة على صلوة لا سبب لها ومن اضعف
الاسباب قضاء النوافل اذ اختلف العلماء في ان النوافل هل تقضى واذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء فاذا انتفت
الكراهية باضعف الاسباب فبالحري ان تنتفي بدخول المسجد وهو سبب ولذلك لا يكره صلوة الجنازة اذا حضرت
ولا صلوة الخسوف والاستسقاء في هذه الاوقات لان لها اسبابا الفائدة الثانية قضاء النوافل اذ قضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة وقالت عائشة كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غلبه نوم او مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة وقد قال
العلماء من كان في الصلوة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى واجاب وان كان المؤذن قد سكت ولا معنى
الان لقول من يقول ان ذلك مثل الاول وليس بقضاء اذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
في وقت الكراهية نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغي ان لا يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت
اخر كي لا يميل نفسه الى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولانه عليه الصلوة والسلام قال
احب الاعمال الى الله ادومها وان قل فيقصد به ان لا يفتر في دوام عمله وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقته الله فيحذر ان يدخل تحت هذا الوعيد وتحقيق هذا
الخبر انه مقته الله فتركها ملالة فلولا المقت والابعاد لما سلطت الملالة عليه **الخامسة ركعتان بعد الوضوء**
مستحبتان لان الوضوء قربة ومقصودها الصلوة والاحداث عارضة فربما يطرأ الحدث قبل الصلوة فينتقض
الوضوء ويضيع السعي فالمبادرة الى الركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال
اذ قال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فرايت بلالا فيها فقلت لبلال بم سبقتني الى الجنة فقال بلال لا اعرف شيئا
الا اني لا احدث وضوءا الا اصلي عقيبه ركعتين او كما قال **السادسة ركعتان عند دخول المنزل**
وعند الخروج منه روى ابو سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرجت من منزلك فصل
ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء وفي معنى هذا كل امر
يبتدا به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان عند الاحرام وركعتان عند ابتداء السفر وركعتان عند الرجوع من
السفر في المسجد قبل دخول البيت وكل ذلك ماثور فعلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين اذا
اكل اكلة صلى ركعتين واذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل امر يحدثه وبدايات الامور ينبغي ان يتبرك فيها
بذكر الله وهي على ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالاكل والشرب فيبدا فيه ببسم الله قال صلى الله عليه وسلم كل امر ذي
بال لم يبدا فيه ببسم الله فهو ابتر الثانية ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة
فالمستحب فيها ان يصدر بحمد الله سبحانه فيقول المزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله زوجتك ابنتي و
يقول القابل الحمد لله والصلوة على رسول الله قبلت هذا النكاح وقد كانت عادة الصحابة في ابتداء اداء
الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد الثالثة ما لا يتكرر كثيرا واذا وقع دام وكان له وقع كالسفر
وشرى دار جديدة والاحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وادناه الخروج من المنزل والدخول
اليه فانه نوع سفر قريب **السابعة صلوة الاستخارة** فمن هم بامر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف ان الخير
في تركه او في الاقدام عليه فقد امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يصلي ركعتين يقرا في الاولى
فاتحة الكتاب وقل يا ايها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله احد فاذا فرغ دعا فقال اللهم اني
استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك فانك تعلم ولا اعلم وتقدر ولا اقدر وانت علام الغيوب اللهم ان كنت
تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله واجله فاقدره لي ثم يسره لي وان كنت تعلم ان هذا
الامر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله واجله فاصرفني عنه واصرفه عني واقدر لي الخير اينما
كان انك على كل شيء قدير رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في
الامور كلها كما يعلمنا السورة من القران وقال اذا هم احدكم بامر فليصل ركعتين ثم يسمي الامر ويدعو بما ذكرناه و
قال بعض الحكماء من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن
اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب **الثامنة صلوة الحاجة** فمن ضاق عليه

عليه الامر ومست حاجته في صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه فليصل هذه الصلوة فقد روي عن وهيب بن الورد
انه قال ان من الدعاء الذي لا يرد ان يصلي العبد اثنتا عشرة ركعة يقرا في كل ركعة بام القران واية الكرسي وقل هو
الله احد فاذا فرغ خر ساجدا ثم قال سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي لبس العز وقال به
سبحان الذي احصى كل شيء بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي المن والفضل سبحان ذي العز والكرم
سبحان ذي الطول اسالك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك
الاعلى وكلماتك التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلي على محمد وعلى ال محمد ثم يسال حاجته التي لا معصية
فيها فيجاب ان شاء الله تعالى وقال وهيب وبلغنا انه كان يقال لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونون بها على معصية الله
تعالى وهذه الصلوة رواها ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم التاسعة صلوة التسبيح وهذه الصلوة ماثورة
على وجهها ولا تختص بوقت ولا سبب ويستحب ان لا يخلو الاسبوع عنها مرة واحدة او الشهر فقد روى عكرمة عن
ابن عباس انه قال صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب الا اعطيك الا امنحك الا اخبرك بشيء اذا انت فعلته
غفر الله لك ذنبك اوله واخره قديمه وحديثه خطاه وعمده سره وعلانيته تصلي اربع ركعات تقرا في كل ركعة
فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة في اول الركعة وانت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقو
عشرا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات فان استطعت ان تصليها في كل يوم مرة فافعل فان
لم تفعل ففي كل شهر مرة وفي رواية اخرى انه يقول في اول الصلوة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشرا بعد القراءة والباقي كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجدة
الاخيرة قاعدا وهذا هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع في الروايتين ثلثمائة تسبيحة فان صلى نهارا
فبتسليمة واحدة وان صلاها ليلا فبتسليمتين احسن اذ ورد ان صلوة الليل مثنى مثنى وان زاد بعد التسبيح ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فهذه هي الصلوات الماثورة ولا يستحب شيء
من هذه النوافل في الاوقات المكروهة الا تحية المسجد وما اوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلوة السفر و
الخروج من المنزل والاستخارة فلا فان النهي موكد وهذه الاسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء
والتحية وقد رايت بعض المتصوفة يصلي في الاوقات المكروهة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد لان الوضوء لا يكون
سببا للصلوة بل الصلوة سبب للوضوء فينبغي ان يتوضا ليصلي لا انه يصلي لانه توضا وكل محدث يريد ان يصلي في
وقت الكراهة فلا سبيل له الا ان يتوضا ويصلي فلا يبقى للكراهة معنى ولا ينبغي ان ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي
ركعتي التحية بل اذا توضا صلى ركعتين تطوعا كيلا يتعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب
الوضوء وحديث بلال لم يدل على ان الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضوء فيستحيل ان ينوي
بالصلوة الوضوء بل ينبغي ان ينوي بالوضوء الصلوة وكيف ينتظم ان يقول في وضوئه اتوضا لصلوتي ويقول في
صلوته اصلي لوضوئي بل من اراد ان يحرس وضوءه عن التعطيل في وقت الكراهة فلينو قضاء ان كان يجوز ان يكون
في ذمته قضاء صلوة يطرق اليها خلل لسبب من الاسباب فان قضاء الصلوات في اوقات الكراهة غير مكروه فاما
نية التطوع فلا وجه له ففي النهي في اوقات الكراهة مهمات ثلاثة احدها التوقي من مضاهاة عبدة الشمس والثاني
الاحتراز من انتشار الشياطين اذ قال عليه الصلوة والسلام ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها
فاذا تضيفت للغروب قارنها واذا غربت فارقها ونهى عن الصلوة في هذه الاوقات ونبه على العلة والثالث
ان سالكي طريق الاخرة لا يزالون يواظبون على الصلوة في جميع الاوقات والمواظبة على نمط واحد من العبادات تورث

الملال ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعي والانسان حريص على ما منع منه ففي تعطيل هذه الاوقات
زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصصت هذه الاوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملال
بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة الى نوع اخر ففي الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفي الاستمرار
على شيء واحد استثقال وملال ولذلك لم تكن الصلوة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادة
من اعمال مختلفة واذكار متباينة فان القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال اليها ولو واظب على الشيء
الواحد لتسارع اليه الملال فاذا كانت هذه امورا مهمة في النهي عن اوقات الكراهة الى غير ذلك من اسرار اخر ليس في قوة
البشر الاطلاع عليها والله ورسوله اعلم بها فهذه المهمات لا تترك الا باسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات و
صلوة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد فاما ما ضعف عنها فلا ينبغي ان يصادم به مقصود النهي هذا هو الاوجه
عندنا هذا اخر كتاب الصلوة والحمد لله رب العالمين وصلوته على سيدنا محمد خاتم النبيين واله الطيبين الطاهرين

كتاب اسرار الزكوة

وهو الكتاب الخامس من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي اسعد واشقى وامات واحيى واضحك وابكى واوجد وافنى
وافقر واغنى الذي خلق الحيوان من نطفة تمنى ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ثم خصص بعض عباده بالحسنى فافاض عليه
من نعمه ما ايسر به واستغنى واحوج اليه من اخفق في رزقه واكدى اظهارا للامتحان والابتلاء ثم جعل الزكوة للدين اساسا
ومبنى وبين ان بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن غناه زكى ماله من زكى والصلوة على محمد المصطفى سيد الورى و
شمس الهدى وعلى اله واصحابه المخصوصين بالعلم والتقى اما بعد فان الله تعالى جعل الزكوة احد مباني الاسلام و
اردف بذكرها الصلوة التي هي اعلى الاعلام فقال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقال صلى الله عليه وسلم بني
الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال
تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ومعنى الانفاق في
سبيل الله اخراج الزكوة قال الاحنف بن قيس كنت في نفر من قريش فمر ابو ذر فقال بشر الكانزين بكي
في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكي من قبل اقفائهم يخرج من جباههم وفي رواية انه يوضع على حلمة ثدي احدهم
فيخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل وقال ابو ذر انتهيت الى النبي صلى الله عليه
وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت من هم قال الاكثرون اموالا
الا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا
غنم لا يؤدي زكوتها الا جاءت يوم القيمة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطاه باظلافها كلما
نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس واذ كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين فقد
صار من مهمات الدين الكشف عن اسرار الزكوة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع
الاقتصار على ما لا يستغني عنه من معرفتها مؤدي الزكوة وقابضها وينكشف ذلك في اربعة فصول الفصل
الاول في انواع الزكوة واسباب وجوبها الفصل الثاني في ادابها وشروطها الظاهرة والباطنة
الفصل الثالث في القابض وشروط استحقاقه واداب قبضه الفصل الرابع في صدقة التطوع و
فضلها

الفصل الاول في انواع الزكوة واسباب الوجوب

والزكوات باعتبار متعلقاتها
ستة انواع زكوة النعم والنقدين والتجارة وزكوة الركاز والمعدن وزكوة المعشرات وزكوة الفطر النوع
الاول زكوة النعم لا تجب هذه الزكوة وغيرها الا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل يجب في مال
الصبي والمجنون هذا شرط من عليه فاما المال فشروطه خمسة ان يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا

مملوكا على الكمال الشرط الاول كونه نعما فلا زكوة الا في الابل والبقر والغنم اما الخيل والحمير والمتولد من بين الظباء والغنم فلا زكوة فيها الثاني السوم فلا زكوة في معلوفة فاذا اسيمت في وقت واعلفت في وقت فاذا تظهر بذلك مؤنتها فلا زكوة فيها الثالث الحول قال صلى الله عليه وسلم لا زكوة في مال حتى يحول عليه الحول ويستثنى عن هذا نتاج المال فانه ينسحب عليه حكم المال وتجب الزكوة فيه بحول الاصول ومهما باع المال في اثناء الحول او وهب انقطع الحول الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكوة في الماشية المرهونة لانه الذي حجر على نفسه فيه ولا تجب في الضال والمغصوب الا اذا عاد بجميع نمائه فتجب زكوة ما مضى عند عوده ولو كان عليه دين مستغرق لماله فلا زكوة عليه فانه ليس غنيا به اذ الغنى ما يفضل عن الحاجة الخامس كمال النصاب اما الابل فلا شيء فيها حتى يبلغ خمسا ففيها جذعة من الضان والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية او ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمسة عشر ثلث شياه وفي عشرين اربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثانية فان لم يكن في ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو التي في السنة الثالثة يؤخذ وان كان قادرا على شراها وفي ست وثلاثين بنت لبون ثم اذا بلغت ستا واربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فاذا صارت احدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فاذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فاذا صارت احدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت احدى وعشرين ومائة ففيها ثلث بنات لبون واذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين بنت لبون واما البقر فلا شيء فيها حتى يبلغ ثلاثين ثم فيها تبيع وهي التي في السنة الثانية ثم في اربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في الستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك في كل اربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع واما الغنم فلا زكوة فيها حتى يبلغ اربعين ففيها شاة جذعة من الضان او ثنية من المعز ثم لا شيء فيها حتى يبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان الى مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه الى اربع مائة ففيها اربع شياه ثم استقر الحساب في كل مائة شاة وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد في النصب فاذا كان بين رجلين اربعون من الغنم ففيها شاة وان كان بين ثلاثة نفر مائة وعشرون ففيها شاة على جميعهم وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن يشترط ان يريحا ويسقيا معا ويحلبا معا ويسرحا معا ويكون المرعى معا ويكون انزاء الفحل معا وان يكونا جميعا من اهل الزكوة فلا حكم للخلطة مع الذمي والمكاتب ومهما نزل في واجب الابل عن سن الى سن فهو جائز ما لم يجاوز بنت المخاض في النزول ولكن يضم اليه جبران السن لسنة واحدة شاتان او عشرين درهما ولسنتين اربع شياه او اربعين درهما وله ان يصعد في السن ما لم يجاوز الجذعة في الصعود ويأخذ الجبران من الساعي من بيت المال ولا يؤخذ في الزكوة مريضة اذا كان بعض المال صحيحة ولو واحدة ويؤخذ من الكرام كريمة ومن اللئام لئيمة ولا يؤخذ من المال الاكولة ولا الماخض ولا الربا ولا الفحل ولا غذاء المال النوع الثاني زكوة المعشرات فيجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة من ولا شيء فيما دونها ولا في الفواكه والقطن ولكن في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويعتبر ان يكون ثمانمائة من تمرا او زبيبا لا رطبا وعنبا ويخرج بعد التجفيف ويكمل احد الخليطين بمال الاخر في خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة فيجب على جميعهم ثمانمائة من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا تعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت فانه نوع منه هذا قدر الواجب ان كان يسقى بسيح او قناة فان كان يسقى بنضح او دالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فالاغلب يعتبر واما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ عنب ولا رطب الا اذا حلت بالاشجار آفة وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الادراك فيؤخذ الرطب ويكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا ان القسمة بيع

بل يرخص في مثل هذه الحاجة ووقت الوجوب ان يبدو الصلاح في الثمار وان يشتد الحب ووقت الاداء بعد الجفاف النوع الثالث زكوة النقدين فاذا تم الحول على مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو درهم ونصاب الذهب عشرون دينارا خالصا وما زاد فبحسابه وان نقص من النصاب حبة فلا زكوة ويجب على من معه دراهم مغشوشة اذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة وتجب الزكوة في التبر وفي الحلي المحظور كاواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب في الحلي المباح وتجب في الدين الذي هو على ملي ولكن تجب عند الاستيفاء وان كان مؤجلا فلا تجب الا بعد حلول الاجل النوع الرابع زكوة التجارة وهي كزكوة النقدين وانما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة ان كان النقد نصابا وان كان ناقصا او اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشرى ويؤدي الزكوة من نقد البلد وبه يقوم فان كان ما به الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به اولى من نقد البلد ومن نوى التجارة في مال القنية فلا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكوة والاولى ان تؤدي زكوة تلك السنة وما كان من ربح في السلعة في اخر الحول وجبت الزكوة فيه بحول راس المال ولم يستانف له حول كما في النتاج واموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكوة ربح مال القراض على العامل وان كان قبل القسمة هذا هو الاقيس النوع الخامس الركاز والمعدن والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في ارض لم يجر عليها في الاسلام ملك فعلى واجدها من الذهب والفضة الخمس والحول غير معتبر والاولى ان لا يعتبر النصاب ايضا لان ايجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة واعتباره ايضا ليس ببعيد لان مصرفه مصرف الزكوات ولذلك يخصص على الصحيح بالنقدين واما المعادن فلا زكوة فيما يخرج منها سوى الذهب والفضة ففيهما بعد الطحن والتحصيل ربع العشر على اصح القولين وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي الاشبه قول انه الخمس فعلى هذا لا يعتبر ولا بد ان يكون التقدير ليحمله في قدر الواجب بزكوة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات فلا يعتبر لانه عين الرفق ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط ان يخرج الخمس من القليل والكثير ومن غير النقدين ايضا خروجا عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قريبة من التعارض وجزم الفتوى فيها مخطر لتعارض الاشباه النوع السادس صدقة الفطر وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلثا من يخرجه من جنس قوته او من افضل منه فان اقتات الحنطة لم يجز الشعير وان اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن ايها اخرج اجزاه وقسمتها كقسمة زكوة الاموال فيجب فيها استيعاب الاصناف ولا يجوز اخراج الدقيق والمسوس ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه واولاده وكل قريب هو في نفقته من الاباء والامهات والاولاد قال صلى الله عليه وسلم ادوا صدقة الفطر عمن تمونون ويجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا يجب صدقة العبد الكافر وان تبرعت الزوجة بالاخراج عن نفسها اجزاته وللزوج الاخراج عنها دون اذنها وان فضل عنه ما يؤدي عن بعضهم فاولاهم بالتقديم من كان نفقته اكد وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم فهذه احكام فقهية لا بد للغني من معرفتها وقد يعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله ان يتكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد احاطته بهذا المقدار

الفصل الثاني في الاداء وشروطه الباطنة والظاهرة بيان شروطه الظاهرة اعلم انه يجب على مؤدي الزكوة مراعاة خمسة الاول النية وهو ان ينوي بقلبه زكوة الفرض وليس عليه تعيين الاموال وان كان له مال غائب فقال هذا عن مالي الغائب ان كان سالما والا فهو نافلة جاز لانه ان لم يصرح به فكذلك يكون عند اطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكوة ولكن في ظاهر حكم الدنيا اعني في قطع المطالبة عنه اما في الاخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة الى ان يستانف الزكوة واذا وكل باداء الزكوة ونوى عند التوكيل بالنية كفاه

لان توكيله بالنية نية الثاني البدار عقيب الحول وفي زكوة الفطر ان لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها
بغروب الشمس من اخر يوم من رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن اخر زكوة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط
عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق وان اخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكوة عنه وتعجيل الزكوة جائز
بشرط ان يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز تعجيل زكوة حولين ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول او
ارتد او صار غنيا بغير ما عجل اليه او تلف مال المالك او مات فالمدفوع ليس بزكوة واسترجاعه غير ممكن الا اذا قيد
الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا اخر الامر وسلامة العاقبة الثالث ان لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه
فلا يجوز ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وان زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي رضي الله عنه
يتساهل في ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما ابعده عن التحصيل فان سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود
بل واجبات الشرع ثلاثة اقسام قسم هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والاغراض فيه وذلك كرمي الجمرات مثلا اذ لا حظ للجمرة
في وصول الحصى اليها فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى فقد يساعد
الطبع عليه ويدعوه اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية اذ العبودية تظهر بان تكون الحركة لحق امر المعبود فقط لا
بمعنى اخر واكثر اعمال الحج كذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في احرامه لبيك بحجة حقا وتعبدا ورقا تنبيها على
ان ذلك اظهار العبودية بالانقياد لمجرد الامر وامتثاله كما امر من غير استيناس العقل منه بما يميل اليه ويحث عليه القسم
الثاني من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معلوم وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الادميين ورد المغصوب فلا جرم
لا يعتبر فيه فعله ونيته ومهما وصل الحق الى مستحقه باخذ المستحق او ببدل عنه عند رضاه تادى الوجوب وسقط خطاب الشرع
فهذان القسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس القسم الثالث هو المركب الذي يقصد منه الامران
جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ رد الحقوق فهذا
قسم في نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي ان ينسى ادق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق
بسبب اجلاهما ولعل الادق هو الاهم والزكوة من هذا القبيل ولم ينتبه له غير الشافعي رضي الله عنه فحظ الفقير
مقصود في سد الخلة وهو جلي سابق الى الافهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت
الزكوة قرينة للصلوة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في ان على المكلف تعبا في تمييز اجناس ماله واخراج حصة
كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الاصناف الثمانية كما سياتي والتساهل فيه غير قادح في حظ الفقير
ولكنه قادح في التعبد ويدل على ان التعبد مقصود بتعيين الانواع امور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهيات
ومن اوضحها ان الشرع اوجب في خمس من الابل شاة فعدل عن الابل الى الشاة ولم يعدل الى النقدين والتقويم وان قدر ان ذلك
لقلة النقود في ايدي العرب بطل بذكره عشرين درهما في الجبران مع الشاتين فلم لم يذكر في الجبران قدر النقصان
من القيمة ولم قدره بعشرين درهما وشاتين ان كان الثياب والامتعة كلها في معناها فهذا وامثاله من التخصيصات
يدل على ان الزكوة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والاذهان الضعيفة تقصر عن درك
المركبات فهذا منشأ الغلط الرابع ان لا ينقل الصدقة الى بلد اخر فان اعين المساكين في كل بلدة تمتد الى اموالها وفي النقل
تخييب للظنون فان فعل ذلك اجزاه في قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف اولى فليخرج زكوة كل مال في تلك البلدة
ثم لا باس ان يصرف الى الغرباء في تلك البلدة الخامس ان يقسم ماله بعدد الاصناف الموجودين في بلده فان استيعاب
الاصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين وانه يشبه قول المريض انما ثلث
مالي للفقراء والمساكين وذلك يقتضي التشريك في التمليك والعبادات ينبغي ان يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر
وقد عدم من الثمانية صنفان في اكثر البلاد وهم المؤلفة والعاملون على الزكوة ويوجد في جميع البلاد اربعة اصناف

الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون اعني ابناء السبيل وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون بعض وهم الغزاة و
المكاتبون فان وجد خمسة اصناف مثلا قسم زكوة امواله خمسة اقسام متساوية وعين لكل صنف قسما ثم قسم كل قسم ثلثة
اسهم فما فوقها اما متساوية او متفاوتة وليس عليه التسوية بين احاد الصنف فان له ان يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب
كل واحد واما الاصناف فلا يقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي ان ينقص في كل صنف من ثلاثة ان وجد
ثم لو لم يجب الا صاع للفطرة ووجد خمسة اصناف فعليه ان يوصله الى خمسة عشر نفرا ولو نقص منه واحد مع الامكان غرم
نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك جماعة ممن عليهم الزكوة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع المستحقين
وليسلم اليهم حتى يتساهموا فيه فان ذلك لا بد منه بيان دقائق **الاداب الباطنة** في الزكوة اعلم ان على مريد طريق
الاخرة بزكوته وظائف الاولى فهم وجوب الزكوة ومعناها ووجه الامتحان فيها وانها لم جعلت من مباني الاسلام مع انها
تصرف مالي وليست من عبادات الابدان وفي ذلك ثلاثة معان الاول ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة
بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء به ان لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد
قليل الجدوى وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يا
نسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي
هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو
مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء الله والمسامحة بالمال اهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الاموال انقسم الناس الى ثلاثة اقسام
فقسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهده ونزلوا عن جميع اموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما وابوا ان يتعرضوا لوجوب الزكوة
عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكوة في مائتي درهم فقال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل
الجميع ولهذا جاء ابو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم ما ابقيت لاهلك فقال
مثله وقال لابي بكر ما ابقيت لاهلك فقال الله ورسوله اعلم فقال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كلمتيكما فالصديق
وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله القسم الثاني درجتهم دون هذا وهم الممسكون
اموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم
وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر وجوهها وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكوة وقد ذهب جماعة من
التابعين الى ان في المال حقوقا سوى الزكوة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد قال الشعبي بعد ان قيل له هل في
المال حق سوى الزكوة قال نعم اما سمعت قوله تعالى وآتى المال على حبه ذوي القربى الاية واستدلوا بقوله
تعالى ومما رزقناهم ينفقون وبقوله وانفقوا مما رزقناكم وزعموا ان ذلك غير منسوخ باية الزكوة بل هو داخل في
حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكوة والذي يصح في
الفقه من هذا انه مهما ارهقت حاجته كان ازالتها فرض كفاية اذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل ان يقال ليس على
الموسر الا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا فلا يلزمه بذله بعد ان سقط الزكوة عن نفسه ويحتمل ان يقال يلزمه بذله في الحال ولا
يجوز له الاقتراض اي لا يجوز تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه والاقتراض نزول الى الدرجة الاخيرة من درجات
العوام وهي درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على اداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهي اقل الرتب
وقد اقتصر جميع العوام على ذلك لجهلهم وبخلهم بالمال وميلهم اليه وضعف حبهم للاخرة قال الله تعالى ان يسألكموها فيحفكم
تبخلوا يحفكم اي يستقصي عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بان له الجنة وبين عبد لا يستقصي عليه لبخله فهذا احد
معاني امر الله تعالى عباده ببذل الاموال المعنى الثاني **التطهير** عن صفة البخل فانه من المهلكات قال صلى الله عليه وسلم
ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وسياتي

الاداب الباطنة في الزكوة

في ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التفصي عنه وانما يزول صفة البخل بان يتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع
الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكوة بهذا المعنى طهرة اي تطهر صاحبها عن خبث
البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى المعنى الثالث
شكر النعمة فان لله على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال
وما اخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى على اغنائه عن
السؤال واحواج غيره اليه بربع العشر او العشر من ماله الوظيفة الثانية في وقت الاداء من اداب وقت الادا
عند ذوي الدين التعجيل عن وقت الوجوب اظهارا للرغبة في الامتثال وايصالا للسرور الى قلوب الفقراء ومبادرة
لعوائق الزمان ان تعوق عن الخيرات وعلما بان في التاخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو اخر عن وقت
الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي ان يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من
اصابع الرحمن فما اسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويامر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم
الفرصة وليعين لزكوته ان كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد ان يكون من افضل الاوقات ليكون ذلك سببا
لنماء قربته وتضاعف زكوته وذلك كشهر المحرم فانه اول السنة وهو من الاشهر الحرم او رمضان فقد كان النبي صلى الله
عليه وسلم اجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا ولرمضان فضيلة ليلة القدر وانه انزل
فيه القران وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة ايضا من الشهور الكثيرة الفضل
فانه شهر حرام وفيه الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهي العشر الاول والايام المعدودات وهي ايام التشريق وافضل ايام
شهر رمضان العشر الاواخر وافضل ايام ذي الحجة العشر الاول الوظيفة الثالثة الاسرار فان ذلك ابعد عن الرياء والسمعة
قال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال بعض العلماء ثلاث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة
وقد روي ايضا مسندا قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله له سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في
العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء وفي الحديث المشهور سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله
احدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله ما اعطته يمينه وفي الخبر صدقة السر تطفئ غضب الرب تعالى وقال تعالى
وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وفائدة الاخفاء الخلاص من آفة الرياء والسمعة فقد قال صلى الله عليه وسلم
لا يقبل الله من مسمع ولا مرائي ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطي في ملأ من الناس يبغي الرياء والاخفاء و
السكوت هو المخلص من ذلك وقد بالغ في قصد الاخفاء جماعة حتى اجتهدوا ان لا يعرف القابض المعطي وكان بعضهم
يلقيه في يد اعمى وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي وبعضهم كان يصره في ثوب
الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم المتوسط شانه
ويوصيه بان لا يفشيه كل ذلك توصلا الى اطفاء غضب الرب واحترازا من الرياء والسمعة ومهما لم يمكن الا بان يعرفه شخص
واحد فتسليمه الى وكيل ليسلم الى المسكين والمسكين لا يعرف اولى اذ في معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس في معرفة المتوسط الا
الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لان الزكوة ازالة للبخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه اشد
استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في الاخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم المثال
عقربا لادغا وصفة الرياء تنقلب في القبر في حكم المثال افعى من الافاعي وهو مامور بتضعيفهما او قتلهما لدفع اذاهما
فمهما قصد الرياء والسمعة فكانه جعل بعض اطراف العقرب مقويا للحية فبقدر ما ضعف من العقرب زاد في قوة الحية ولو
ترك الامر كما كان لكان الامر اهون عليه وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها فاي فائدة في ان يخالف داعي
البخل ويجيب داعي الرياء فيضعف الادنى ويقوي الاقوى وسياتي اسرار هذه المعاني في ربع المهلكات الوظيفة الرابعة

فانه اسم من اسماء الله صح

من افضل الاعمال

ان يظهر حيث يعلم ان في الاظهار ترغيبا للناس في الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذي سنذكره في
معالجة الرياء في كتاب الرياء فقد قال تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وذلك حيث يقتضي الحال الابداء اما
للاقتداء واما لان السائل انما سال على ملأ من الناس فلا ينبغي ان يترك التصدق خيفة من الرياء في الاظهار بل ينبغي ان
يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا لان في الاظهار محذورا ثالثا سوى المن والرياء وهو هتك
ستر الفقير فانه ربما يتاذى بان يرى في صورة المحتاج فمن اظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا
المعنى في اظهاره وهو كاظهار الفسق على من يتستر به فانه محظور والتجسس فيه والاغتياب بذكره منهي عنه فاما من
اظهره فاقامة الحد عليه اشاعة ولكن هو السبب فيها وبمثل هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحياء فلا غيبة
له وقد قال تعالى وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ندبا الى العلانية ايضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق
التامل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيها فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فقد يكون الاعلان في بعض
الاحوال لبعض الاشخاص افضل ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الاولى والاليق بكل حال الوظيفة
الخامسة ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واختلفوا في حقيقة المن والاذى
فقيل المن ان يذكرها والاذى ان يظهرها وقال سفيان من من فسدت صدقته فقيل له كيف المن فقال ان يذكره ويتحدث
به وقيل المن ان يستخدمه بالعطاء والاذى ان يعيره بالفقر وقيل المن ان يتكبر عليه لاجل عطائه والاذى ان ينتهره او
يوبخه بالمسئلة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صدقة منان وعندي ان المن له اصل ومغرس وهو من احوال
القلب وصفاته ثم يتفرع عليه احوال ظاهرة على اللسان والجوارح واصله ان يرى نفسه محسنا اليه ومنعما عليه وحقه
ان يرى الفقير محسنا اليه بقبول حق الله منه الذي هو طهرته ونجاته من النار وانه لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه ان يتقلد
منة من الفقير اذ جعل كفه نائبا عن الله في قبض حقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة تقع بيد الله قبل
ان تقع في يد السائل فليتحقق انه مسلم الى الله حقه والفقير آخذ من الله رزقه بعد صيرورته مسلما الى الله ولو كان عليه
دين لانسان فاحال به صاحب الدين عبده او خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدي الدين كون
القابض تحت منته سفها وجهلا فان المحسن اليه المتكفل برزقه فاما هو فيقضي الدين الذي لزمه بشراء ما احبه فهو ساع في حق
نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعاني الثلاث التي ذكرناها في فهم وجوب الزكوة او احدها لم ير نفسه محسنا الا الى
نفسه اما ببذل ماله اظهارا لحب الله تعالى او تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل او شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد وكيفما
كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا اليه ومهما حصل هذا الجهل بان راى نفسه محسنا اليه تفرع
منه الى ظاهره ما ذكر في معنى المن وهو التحدث به واظهاره وطلب المكافاة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم
والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الامور فهذه كلها ثمرات المنة ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه
واما الاذى فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالاظهار وفنون الاستخفاف وباطنه
هو منبعه امران احدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فان ذلك يضيق الخلق لا محالة والثاني رؤيته انه خير
من الفقير وان الفقير بسبب حاجته اخس منه رتبة وكلاهما منشاه الجهل اما كراهية تسليم المال فهو حمق لان من كره بذل
درهم في مقابلة ما يساوي الفا فهو شديد الحماقة ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضا الله والثواب في الدار الاخرة وذلك
اشرف مما بذله او يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل او شكرا لطلب المزيد وكيفما فرض فالكراهة لا وجه لها واما الثاني
فهو ايضا جهل لانه لو علم فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الاغنياء لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته فصلحاء الاغنياء
يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم هم الاخسرون ورب الكعبة فقال ابو ذر من هم قال
هم الاكثرون اموالا الحديث ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله تعالى مسخرا له اذ يكتسب المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد في

حفظ لمقدار الحاجة وقدر الزمان ان يسلم الى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلم اليه فالغني مستخدم
للسعي في رزق الفقير ومتميز عنه بتقلد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات الى ان يموت فياكله اعداؤه فاذن مهما
انتفت الكراهة وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله له في اداء الواجب وتقييضه الفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله
منه انتفى الاذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة فهذا منشأ المن والاذى فان قلت
فرؤيته نفسه في درجة المحسن امر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف انه لم ير نفسه محسنا فاعلم ان له علامة دقيقة
واضحة وهو ان يقدر ان الفقير لو جنى عليه جناية او مالا عدوا له عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على
استنكاره قبل التصدق فان زاد فلم يخل صدقته عن شائبة المنة لانه توقع بسببها ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك فان قلت فهذا
امر غامض لا ينفك قلب احد عنه فما دواؤه فاعلم ان له دواء باطنا ودواء ظاهرا اما الباطن فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في
فهم الوجوب وان الفقير هو المحسن اليه في تطهيره بالقبول واما الظاهر فالاعمال التي يتعاطاها متقلد المنة فان الافعال التي
تصدر عن الاخلاق تصبغ القلب بالاخلاق كما سياتي اسراره في الشطر الاخير من الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة
بين يدي الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسأله قبول ذلك حتى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهة لو رده
وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير وتكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وام سلمة رضي الله عنهما اذا ارسلتا معروفا
الى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله ويقولان هذا بذاك حتى يخلص لنا صدقتنا وكانوا
لا يتوقعون الدعاء لانه شبه المكافاة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما
فهكذا كان ارباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر الا هذه الاعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول
المنة ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها هذا من حيث العمل وذاك من حيث العلم ولا يعالج القلب الا بمعجون العلم والعمل و
هذه الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلوة وثبت ذلك بقوله عليه الصلوة والسلم ليس للمرء من صلوته الا
ما عقل وثبت هذا بقوله لا يقبل الله صدقة منان وبقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واما فتوى الفقيه
بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنه دون هذا الشرط فحديث اخر وقد اشرنا الى معناه في كتاب الصلوة الوظيفة السادسة
ان يستصغر العطية فانه ان استعظمها اعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للاعمال قال الله تعالى ويوم حنين اذ
اعجبتكم كثرتكم وقيل ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله و
قيل لا يتم المعروف الا بثلث تصغيره وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المن والاذى فانه لو صرف ماله الى
عمارة المسجد او رباط امكن فيه الاستعظام ولا يمكن المن والاذى بل الاستعظام يجري في جميع العبادات ودواؤه
علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم ان العشر او ربع العشر قليل من كثير وانه قد قنع لنفسه باخس درجات البذل كما ذكرناه في
فهم الوجوب فهو جدير بان يستحيي منه فكيف يستعظمه فان ارتقى الى الدرجة العليا فبذل كل ماله او اكثره فليتامل انه من اين
له المال والى ماذا يصرفه فالمال لله وله المنة عليه اذ اعطاه ثم وفقه لبذله فلم يستعظم في حق الله ما هو عين حق الله وان كان
مقامه تقتضي ان ينظر الى الاخرة وانه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه واما العمل فهو ان يعطيه عطاء
الخجل من بخله بامساك بقية ماله عن الله تعالى فيكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك
بعضها ويرد البعض لان المال كله لله وبذل جميعه هو الاحب عند الله وانما لم يامر به عبده لانه يشق عليه
بسبب بخله كما قال ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا الوظيفة السابعة ان ينتقي من ماله اجوده واحبه اليه واجله و
اطيبه فان الله طيب لا يقبل الا الطيب واذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفي
حديث ابان عن انس طوبى لعبد انفق من مال اكتسبه من غير معصية واذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء
الادب اذ يمسك الجيد لنفسه او لعبده او لاهله فيكون قد اثر على الله غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه اردى

الطعام في بيته لاوغر به صدره هذا ان كان نظره الى الله وان كان نظره الى نفسه وثوابه في الاخرة فليس بعاقل
من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق به فابقى او اكل فافنى والذي ياكله قضاء وطر في الحال
فليس من العقل قصور النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال الله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ولا تيمموا الخبيث
منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اي لا تاخذونه الا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا
به ربكم وفي الخبر سبق درهم مائة الف درهم وذلك بان يخرجه الانسان وهو من احل ماله واجوده فيصدر ذلك
عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على انه ليس يؤثر الله بشيء مما يحبه وقد
ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا وقف بعض القراء على النفي تكذيبا
لهم ثم ابتدأ وقال جرم ان لهم النار اي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار الوظيفة الثامنة ان يطلب لصدقته من تزكو
به الصدقة ولا يكتفي بان يكون من عموم الاصناف الثمانية فان في عمومهم خصوصا فليراع خصوص تلك الصفات وهي
ستة الاولى ان يطلب الاتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الاخرة قال صلى الله عليه وسلم لا تاكل الا طعام
تقي ولا ياكل طعامك الا تقي وهذا لان التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في طاعته باعانتك اياه وقال
صلى الله عليه وسلم اطعموا طعامكم الاتقياء واولوا معروفكم المؤمنين وفي لفظ اخر اضف بطعامك من تحبه
في الله وكان بعض العلماء يؤثر بالعطاء فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان افضل
فقال لا هؤلاء قوم همتهم لله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت هم احدهم فلان ارد همة واحد الى الله احب الي من اعطاء
الف ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من اولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان
كلاما احسن من هذا ثم حكي ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك
ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا ياخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه الصفة الثانية ان
يكون من اهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخصص
بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال اني لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجته
لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم افضل الصفة الثالثة ان يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده
انه اذا اخذ العطاء حمد الله تعالى وشكره ورأى النعمة منه ولم ينظر الى واسطة فهذا هو اشكر العباد لله تعالى وهو ان
يرى النعم كلها منه وفي وصية لقمن لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله فكانه
لم يعرف المنعم ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله اذ سلط الله عليه دواعي الفعل ويسر له الاسباب فاعطى وهو
مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد ان القى الله تعالى في قلبه ان صلاح دينه ودنياه في فعله فمهما قوي الباعث اوجب
ذلك جزم الارادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوي الذي لا تردد فيه والله خالق البواعث ومهيجها
ومزيل الضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب
الاسباب وتيقن مثل هذا العبد انفع للمعطي من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل في الاكثر جدواها واعانة
مثل هذا الموحد لا تضيع فاما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الايذاء واحواله
متفاوتة وقد روي انه صلى الله عليه وسلم بعث معروفا الى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما اخذه قال
الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعني نفسه فاجعل فلانا لا ينساك
فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسر وقال علمت انه يقول ذلك فانظر كيف قصر التفاته على الله تعالى وحده وقال
صلى الله عليه وسلم لرجل تب فقال اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال عرف الحق لاهله ولما نزلت براءة
عائشة رضي الله عنها في قصة الافك قال ابو بكر قومي فقبلي راس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا افعل

احمد الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها يا ابا بكر وفي لفظ اخر انها قالت لابي بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد
صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك مع ان الوحي وصل اليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورؤية
الاشياء من غير الله وصف الكافرين قال الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة
واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط
فكانه لم ينفك عن الشرك الخفي سره فليتق الله في تصفية توحيده عن كدورة الشرك وشوائبه **الصفة الرابعة** ان
يكون مستترا مختفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى او يكون من اهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش
في جلباب التجمل قال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا اي لا يلحون
في السؤال لانهم اغنياء بيقينهم اعزة بصبرهم وهذا ينبغي ان يطلب بالتفحص عن اهل الدين في كل محلة ويستكشف
عن بواطن احوال اهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسؤال **الصفة
الخامسة** ان يكون معيلا او محبوسا بمرض او بسبب من الاسباب فيوجد فيه معنى قوله تعالى للفقراء الذين احصروا
في سبيل الله اي حبسوا في طريق الاخرة بعيلة او ضيق معيشة او اصلاح قلب لا يستطيعون ضربا في الارض لانهم
مقصوصو الجناح مقيدو الاطراف بهذه الاسباب كان عمر رضي الله عنه يعطي اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما
فوقها وكان صلى الله عليه وسلم يعطي العطاء على مقدار العيلة وسئل عمر عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال
الصفة السادسة ان يكون من الاقارب وذوي الارحام فتكون صدقة وصلة رحم وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى
قال علي رضي الله عنه لان اصل اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصله بعشرين درهما احب
الي من ان اتصدق بمائة درهم ولان اصله بمائة درهم احب الي من ان اعتق رقبة والاصدقاء واخوان الخير ايضا يقدمون
على المعارف كما يتقدم الاقارب على الاجانب فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات
فينبغي ان يطلب اعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد
في ذلك واصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر واحد فان احد اجريه في الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتأكيد
حب الله تعالى في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه فتشوقه الى لقاء الله تعالى والاجر الثاني
ما يعود اليه من فائدة دعوة الاخذ وهمته فان قلوب الابرار لها آثار في الحال والمآل فان اصاب حصل الاجران وان
اخطأ حصل الاول دون الثاني فبهذا يتضاعف اجر المصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر المواضع والله اعلم

الفصل الثالث في القابض واسباب استحقاقه ووظائف قبضه **بيان اسباب الاستحقاق** اعلم انه لا يستحق الزكوة
الا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي اتصف بصفة من صفات الاصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله فلا يصرف
زكوة الى كافر ولا الى عبد ولا الى هاشمي او مطلبي اما الصبي والمجنون فيجوز الصرف اليهما اذا قبض وليهما فلنذكر صفات
الاصناف الثمانية **الصنف الاول** الفقراء والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة له على الكسب فان كان معه قوت يومه
وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وان كان معه قميص وليس
معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم يكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير لانه في الحال
قد عدم ما هو محتاج اليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي ان يشترط في الفقير ان لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فان
هذا غلو والغالب انه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه معتادا للسؤال فلا يجعل السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على
كسب فان ذلك يخرجه عن الفقر فان قدر على الكسب بآلة فهو فقير ولا يجوز ان يشترى له آلة وان قدر على كسب
لا يليق بمروءته وبحال مثله فهو فقير ولا تعتبر قدرته وان كان متعبدا يمنعه الكسب عن وظائف العبادات واوراد الاوقات
فليكتسب لان الكسب اولى من ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة بعد الفريضة واراد به السعي في الاكتساب

الكسب وهو

بعشرين درهما

وقال عمر رضي الله عنه كسب في شبهة خير من المسألة وان كان مكتفيا بنفقة ابيه او من تجب عليه نفقته فهذا اهون
من الكسب فليس بفقير **الصنف الثاني المساكين** والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك الف درهم
وهو مسكين وقد لا يملك الا فأسا وحبلا وهو غني والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا
يسلبه اسم المسكين وكذا اثاث البيت اعني ما يحتاج اليه وذلك ما يليق به وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة واذا لم
يملك سوى الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب واثاث البيت فانه محتاج اليه ولكن ينبغي ان يحتاط
في فهم الحاجة الى الكتاب فالكتاب يحتاج اليه لثلاثة اغراض التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة اما حاجة التفرج
فلا تعتبر كاقتناء كتب الاشعار وتواريخ الاخبار وامثال ذلك مما لا ينفع في الاخرة ولا يجدي في الدنيا الا مجرد التفرج و
الاستئناس فهذا يباع في الكفارة وزكوة الفطر ويمنع اسم المسكنة واما حاجة التعليم فان كان لاجل الكسب كالمؤدب
والمعلم والمدرس باجرة فهذه آلته فلا تباع في الفطرة كادوات الخياط وسائر المحترفين وان كان يدرس للقيام بفرض
الكفاية فلا يباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لانها حاجة مهمة واما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره
كتاب الطب ليعالج به نفسه او كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فان كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه
وان لم يكن فهو محتاج اليه ثم ربما لا يحتاج الى مطالعة الكتاب الا بعد مدة فينبغي ان يضبط مدة الحاجة والاقرب ان
يقال ما لا يحتاج اليه في السنة فهو مستغنى عنه فان من فضل من قوت يومه شيء لزمه الفطرة فاذا قدرنا بحاجة القوت
باليوم فحاجة اثاث البيت وثياب البدن ينبغي ان تقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب بالثياب و
الاثاث اشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة الا الى احداهما فان قال احداهما اصح والاخرى احسن فانا
محتاج اليهما قلنا اكتف بالاصح وبع الاحسن ودع التفرج والترفه وان كانت نسختان من علم واحد احداهما بسيطة
والاخرى وجيزة فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وان كان قصده التدريس فيحتاج اليهما اذ في كل واحدة
فائدة ليست في الاخرى وامثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض له في فن الفقه وانما اوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن
هذا النظر على غيره فان استقصاء هذه الصور غير ممكن اذ يتعدى مثل هذا النظر في اثاث البيت في مقداره وعدده
ونوعه وفي ثياب البدن وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الامور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه ويقرب
في التحديدات بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والمتورع يأخذ بالاحوط ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه والدرجات المتوسطة
المشكلة بين الاطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجي منها الا الاحتياط **الصنف الثالث** العاملون وهم السعاة الذين
يجمعون الزكوة سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ والنقال ولا يزاد واحد
منهم على اجر المثل فان فضل شيء من الثمن عن اجر مثلهم رد على بقية الاصناف وان نقص كمل من مال المصالح **الصنف
الرابع المؤلفة قلوبهم** وهو الشريف الذي اسلم وهو مطاع في قومه وفي اعطائه تقريره على الاسلام وترغيب نظرائه
واتباعه **الصنف الخامس** المكاتبون فيدفع الى السيد سهم المكاتب وان دفع الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكوته
الى مكاتب نفسه لانه عبده **الصنف السادس** الغارمون والغارم هو الذي استقرض في طاعة او مباح وهو
فقير فان استقرض في معصية فلا يعطى الا اذا تاب وان كان غنيا لم يقض دينه الا اذا كان قد استقرض لمصلحة واطفاء
فتنة **الصنف السابع** الغزاة الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة فيصرف اليهم سهم وان كانوا اغنياء اعانة لهم
على الغزو **الصنف الثامن** ابن السبيل وهو الذي شخص من بلده ليسافر في غير معصية او اجتاز بها فيعطى ان كان
فقيرا وان كان له مال ببلد آخر اعطي قدر بلغته فان قلت فبم تعرف هذه الصفات قلنا اما الفقر والمسكنة فيقبل
قول الآخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز الاعتماد بقوله اذا لم يعلم كذبه واما الغزو والسفر فهو امر مستقبل فيعطى
بقوله اني غاز فان لم يف به استرد واما بقية الاصناف فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق فاما
مقدار ما يصرف الى كل واحد فسيأتي ان شاء الله تعالى **بيان وظائف القابض** وهي خمسة الاولى ان

يعلم ان الله تعالى اوجب صرف الزكوة اليه ليكفي همه ويجعل همومه هما واحدا فقد تعبد الله الخلق بان يكون
همهم واحدا وهو الله واليوم الاخر وهو المعنى بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولكن لما اقتضت
الحكمة ان يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم افاضة نعمة تكفي الحاجات فاكثر
الاموال وصبها في ايدي عباده ليكون لهم آلة في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم فمنهم من اكثر
ماله فتنة وبلية فاقتحم الخطر ومنهم من احبه فحماه الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق اليه
قدر حاجته على يد الاغنياء ليكون شغل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم وفائدته تنصب الى الفقراء فيتجردون
لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا يصرفهم عن ذلك فضول الدنيا ولا يشغلهم عن التاهب الفاقة وهذا منتهى
النعمة فحق الفقير ان يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله عليه فيما زواه عنه اكثر من فضله فيما اعطاه كما سياتي
بيانه في كتاب الفقر وتحقيقه ان شاء الله تعالى فليأخذ ما ياخذه من الله رزقا له وعونا على الطاعة وليكن نيته فيه ان
يتقوى به على طاعته فان لم يقدر عليه فليصرفه الى ما اباحه الله تعالى فان استعان به على معصية الله تعالى كان كافرا لانعم
الله مستحقا للبعد والمقت من الله الثانية ان يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن
كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعم الله اليه وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة وذلك لا ينافي رؤية النعمة
من الله فقد قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد اثنى الله على عباده في مواضع على اعمالهم وهو خالقها
وخالق القدرة عليها نحو قوله تعالى نعم العبد انه اواب الى غير ذلك وليقل القابض في دعائه طهر الله تعالى قلبك في قلوب
الابرار وزكى عملك في عمل الاخيار وصلى على روحك في ارواح الشهداء وقد قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا
فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافأتموه ومن تمام الشكر ان يستر عيوب العطاء ان كان فيه
عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطي الاستصغار
ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه اذ موجبات التصغير والتعظيم
تتعارض والنافع للمعطي ملاحظة اسباب التصغير ويضره خلافه والاخذ بالعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية
النعمة من الله فان من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر ان يرى الواسطة اصلا الثالثة ان ينظر فيما ياخذه فان
لم يكن من حله تورع عنه فمن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا
من الحلال فلا ياخذ من اموال الاتراك والجنود وعمال السلاطين ومن اكثر كسبه من الحرام الا اذا ضاق عليه الامر و
كان ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا معينا فله ان ياخذ بقدر الحاجة فان فتوى الشرع في مثل هذا ان يتصدق به على
ما سياتي بيانه في كتاب الحلال والحرام وذلك اذا عجز عن الحلال واذا اخذ لم يكن اخذه اخذ زكوة اذ لا يقع زكوة
عن مؤديه وهو حرام الرابعة ان يتوقى مواقع الريبة والاشتباه في مقدار ما ياخذه فلا ياخذ الا القدر المباح ولا ياخذ الا اذا
تحقق انه موصوف بصفة الاستحقاق فان كان ياخذ بالكتابة او الغرامة فلا يزيد على قدر الدين وان كان ياخذ
بالعمل فلا يزيد على اجرة المثل وان اعطي زيادة ابى وامتنع اذ ليس المال للمعطي حتى يتبرع به وان كان مسافرا لم يزد
على الزاد وكراء الدابة الى مقصده وان كان غازيا لم ياخذ الا ما يحتاج اليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة
وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريبه الى ما لا يريبه وان اخذ بالمسكنة فلينظر
اولا الى اثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغني عنه بعينه او يستغني عن نفاسته فيمكن ان يبدل بما يكفي ويفضل
بعض قيمته وكل ذلك الى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق معه انه مستحق وطرف اخر مقابله يتحقق معه انه غير مستحق و
بينهما اوساط مشتبهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والاعتماد في هذا على قول الاخذ ظاهرا وللمحتاج في تقدير
الحاجة مقامات في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع الى التضييق وميل المتساهل الى التوسع حتى يرى

نفسه محتاجا الى فنون من التوسع وهو ممقوت في الشرع ثم اذا تحققت حاجته فلا ياخذن مالا كثيرا بل ما يتم كفايته من
وقت اخذه الى سنة فهذا اقصى ما يرخص فيه من حيث ان السنة اذا تكررت تكررت اسباب الدخل ومن حيث ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ادخر لعياله قوت سنة فهذا اقرب ما يحد به حد الفقير والمسكين ولو اقتصر على حاجة شهر او حاجة
يومه فهذا اقرب الى التقوى ومذاهب العلماء في قدر الماخوذ بحكم الزكوة والصدقة مختلفة فمن بالغ في التقليل الى حد
اوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن السؤال مع الغنى
فسئل عن غناه فقال غداؤه وعشاؤه وقال اخرون ياخذ الى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكوة اذ لم يوجب الله تعالى
الزكوة الا على الاغنياء فقالوا له ان ياخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكوة وقال اخرون حد الغنى خمسون درهما
لما روى ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سال وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش قيل وما غناه قال
خمسون درهما او قيمتها من الذهب وقيل راويه ليس بقوي وقال قوم اربعون لما رواه عطاء بن يسار منقطعا انه عليه الصلوة
والسلام قال من سال وله اوقية فقد الحف في السؤال وبالغ اخرون في التوسيع فقالوا له ان ياخذ مقدار ما يشتري به ضيعة
فيستغني بها طول عمره او يهيئ بضاعة ليتجر فيها ويستغني لان هذا هو الغنى وقد قال عمر رضي الله عنه اذا اعطيتم
فاغنوا حتى ذهب قوم الى ان من افتقر فله ان ياخذ بقدر ما يعود به الى مثل حاله ولو عشرة الاف درهم الا اذا خرج عن حد
الاعتدال ولما شغل طلحة بستانه عن الصلوة قال جعلته صدقة فقال عليه الصلوة والسلام اجعله في قرابتك فهو خير لك
فاعطاه حسان وابا قتادة فحائط من نخل لرجلين كثير مغن واعطى عمر اعرابيا ناقة معها ظئرها فهذا ما حكي فيه اما
التقليل الى قوت اليوم او الاوقية فذلك ورد في كراهية السؤال والتردد على الابواب وذلك مستنكر وله حكم اخر بل
التجويز الى ان يشتري ضيعة فيستغني بها اقرب الى الاحتمال وهو ايضا مائل الى الاسراف والاقرب الى الاعتدال كفاية
سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضييق وهذه الامور اذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس للمجتهد الا الحكم بما يقع
له ثم يقال للورع استفت قلبك وان افتوك وافتوك كما قال صلى الله عليه وسلم اذ الاثم حزاز القلوب فاذا وجد
القابض في نفسه شيئا مما ياخذه فليتق الله ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر فان لفتاويهم قيودا ومطلقات
من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقي من الشبهات من شيم ذوي الدين وعادات السالكين لطريق
الاخرة الخامسة ان يسال صاحب المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن فلا ياخذه منه فانه لا يستحق مع
شريكه الا الثمن فلينقص من الثمن مقدار ما يصرف الى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب على اكثر الخلق فانهم لا يراعون
هذه القسمة اما جهلا او تساهلا وانما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الامور اذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم وسياتي ذكر
مظان السؤال ودرجات الاحتمال في كتاب الحلال والحرام

الفصل الرابع في صدقة التطوع

وفضلها و
اداب اخذها واعطائها بيان فضيلة الصدقة من الاخبار روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تصدقوا ولو
بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقال عليه الصلوة والسلام اتقوا النار ولو بشق تمرة
فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا
الا كان الله عز وجل ياخذها بيمينه فيربيها كما يربي احدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل احد وقال لابي الدرداء اذا طبخت
مرقة فاكثر ماءها ثم انظر اهل بيت من جيرانك فاصبهم منه بمعروف وقال ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله الخلافة
على تركته وقال كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وقال الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وقال صدقة
السر تطفئ غضب الرب وقال ما المعطي من سعة بافضل اجرا من الذي يقبل من حاجة ولعل المراد به الذي يقصد من دفع
حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطي الذي يقصد باعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي
الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تامل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا

ولفلان كذا او قد كان لفلان وقال صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل ان عندي دينارا فقال انفقه
على نفسك قال ان عندي آخر قال انفقه على زوجتك قال ان عندي آخر قال انفقه على ولدك قال ان عندي آخر قال
انفقه على خادمك قال ان عندي آخر قال انت به ابصر وقال صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لآل محمد انما هي
اوساخ الناس وقال ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام وقال لو صدق السائل ما افلح من رده وقال
عيسى عليه السلام من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة ايام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يكل خصلتين الى
غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده وقال عليه الصلاة والسلام ليس المسكين الذي ترده التمرة و
التمرتان واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقرءوا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا وقال عليه الصلاة والسلام
ما من مسلم يكسو مسلما الا كان في حفظ الله ما دامت عليه منه رقعة **الآثار** قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة
رضي الله عنها بخمسين الفا وان درعها لمرقع وقال مجاهد في قول الله تعالى ويطعمون الطعام على حبه قال وهم يشتهونه وكان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون على اولي الحاجة منا وقال عبد العزيز بن
عمير الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن ابي الجعد ان الصدقة
لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفا وانها لتفك لحى سبعين شيطانا وقال ابن مسعود
ان رجلا عبد الله تعالى سبعين سنة ثم اصاب فاحشة فاحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه و
رد عليه عمل سبعين سنة وقال لقمان لابنه اذا اخطأت خطيئة فاعط صدقة وقال يحيى بن معاذ ما اعرف حبة تزن جبال
الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن ابي رواد كان يقال من كنوز الجنة ثلاثة كتمان المرض وكتمان المصائب وكتمان
الصدقة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة انا افضلكن وكان عبد الله بن عمر يتصدق
بالسكر ويقول سمعت الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والله يعلم اني احب السكر وقال النخعي اذا كان
الشيء لله لا يسرني ان يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة اجوع ما كانوا قط واعطش ما كانوا قط
فمن اطعم لله اشبعه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كسا لله كساه الله وقال الحسن لو شاء الله لجعلكم اغنياء لا فقير فيكم
ولكنه ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة احوج من الفقير الى صدقته فقد ابطل صدقته وضرب بها وجهه وقال
مالك لا نرى بأسا ان يشرب الموسر من الماء الذي يتصدق به ويسقى في المسجد لانه انما جعل للعطشان من كان ولم
يرد به اهل الحاجة والمسكنة على الخصوص ويقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس اترضى في ثمنها الدرهم و
الدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله عز وجل رضي بالحوراء العين بالفلس واللقمة **بيان اخفاء الصدقة و
اظهارها** قد اختلف طرق طلاب الاخلاص في ذلك فمال قوم الى ان الاخفاء افضل ومال قوم الى ان الاظهار افضل ونحن نشير الى ما
في كل واحد من المعاني والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه اما الاخفاء ففيه خمسة معان الاول انه ابقى للستر على الآخذ فان اخذه
ظاهرا هتك لستر المروءة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذي يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف
الثاني انه اسلم لقلوب الناس والسنتهم فانهم ربما يحسدون او ينكرون عليه اخذه ويظنون انه اخذ مع الاستغناء او
ينسبونه الى اخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر وصيانتهم عن هذه الجرائم اولى وقال ابو ايوب
السختياني اني لاترك لبس الثوب الجديد خشية ان يحدث في جيراني حسد وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال
الشيء لاجل اخواني يقولون من اين له هذا وعن ابراهيم التيمي انه رأى عليه قميص جديد فقال له بعض اخوانه من اين لك
هذا فقال كسانيه اخي خيثمة ولو علمت ان اهله علموا به ما قبلته الثالث اعانة المعطي على اسرار العمل فان فضل
السر على الجهر في الاعطاء اكثر والاعانة على اتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم الا باثنين فمهما اظهر هذا انكشف امر المعطي
ودفع رجل الى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده ودفع اليه آخر شيئا في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال ان هذا عمل بالادب في اخفاء

معروفه فقبلته وذلك اساء ادبه في عمله فرددت عليه واعطى رجل بعض الصوفية شيئا في الملأ فرده فقال لم ترد على الله
ما اعطاك فقال انك اشركت غير الله فيما هو لله ولم تقنع بعين الله عز وجل فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين في
السر شيئا كان رده في العلانية فقيل له في ذلك فقال عصيت الله في الجهر فلم اكن عونا لك على المعصية واطعته بالاخفاء
فاعنتك على برك وقال الثوري لو علمت ان احدهم لا يذكر صلته ولا يتحدث بها لقبلت صلته الرابع ان في اظهار
الاخذ ذلا وامتهانا وليس للمؤمن ان يذل نفسه كان بعض العلماء يأخذ في السر ولا يأخذ في العلانية ويقول
ان في اظهاره اذلالا للعلم وامتهانا لاهله فما كنت بالذي ارفع شيئا من الدنيا بوضع العلم واذلال اهله الخامس
الاحتراز عن شبهة الشركة قال صلى الله عليه وسلم من اهدي له هدية وعنده قوم فهم شركاء فيها وبان يكون ورقا او
ذهبا لا يخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم افضل ما اهدى الرجل الى اخيه ورقا او يطعمه خبزا فجعل الورق هدية
فانفراده بما يعطى بالملأ مكروه الا برضى جميعهم ولا يخلو عن شبهة فاذا انفرد سلم عن الشبهة واما الاظهار والتحدث به
ففيه معان اربعة الاول الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراءاة والثاني اسقاط الجاه والمنزلة
واظهار العبودية والمسكنة والتبري عن الكبرياء ودعوى الاستغناء واسقاط النفس عن اعين الخلق قال بعض العارفين
لتلميذه اظهر الاخذ على كل حال ان كنت آخذا فانك لا تخلو من احد رجلين رجل تسقط من قلبه ان فعلت ذلك فذلك
هو المراد لانه اسلم لدينك واقل للآفات نفسك او رجل تزداد في قلبه باظهارك الصدق فذلك الذي هو يريد اخوك
لانه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه اياك فتؤجر انت اذ كنت سبب مزيد ثوابه الثالث هو ان العارف لا نظر له
الا الى الله والسر والعلانية في حقه واحد فاختلاف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبأ بدعاء من يأخذ في
السر ويرد في العلانية والالتفات الى الخلق حضروا ام غابوا نقصان في الحال بل ينبغي ان يكون النظر مقصورا على الواحد
الفرد حكي ان بعض الشيوخ كان يكثر الميل الى واحد من جملة المريدين فشق على الآخرين ذلك فاراد ان يظهر لهم فضيلة
ذلك المريد فاعطى كل واحد منهم طائرا وقال له اذبحه حيث لا يراك احد فذهبوا ثم جاءوا وقد ذبح كل واحد طائره الا
ذلك المريد فانه رد طائره حيا فقال الشيخ ما لك لم تذبح كما ذبح اصحابك فقال لم اجد موضعا لا يراني فيه احد فان الله تعالى
يراني في كل موضع فقال الشيخ هذا اميل اليه لانه لا يلتفت الى غير الله الرابع ان الاظهار اقامة لسنة الشكر وقد قال الله تعالى واما بنعمة
ربك فحدث والكتمان كفران للنعمة وقد ذم الله تعالى من كتم ما آتاه الله وقرنه بالبخل وقال الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل و
يكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله تعالى على عبد نعمة احب ان ترى عليه واعطى رجل بعض
العارفين شيئا في السر فرفع يده به وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها افضل والسر في امور الآخرة افضل ولذلك قال
بعضهم اذا اعطيت في الملأ فخذ ثم اردد في السر والشكر محثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله
والشكر قائم مقام المكافاة حتى قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فاثنوا عليه به خيرا
وادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافأتموه ولما قالت المهاجرون في الشكر يا رسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عليهم قاسمونا
الاموال حتى خفنا ان قد ذهبوا بالاجر كله فقال كلا ما شكرتم لهم واثنيتم به عليهم اي هو مكافأة فالآن اذا عرفت هذه
المعاني فاعلم ان ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في المسألة بل هو اختلاف حال فكشف الغطاء فيه هذا انا لا نحكم
حكما بتا بان الاخفاء افضل في كل حال والاظهار افضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف
الاحوال والاشخاص فينبغي ان يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان
والمكر والخداع اغلب في معاني الاخفاء منه في الاظهار مع ان له دخلا في كل واحد منهما فاما مدخل الخداع في الاسرار فمن
ميل الطبع اليه لما فيه من حفظ الجاه والمنزلة وسقوط القدر من اعين الناس ونظر الخلق اليه بعين الازدراء والى المعطي
بعين المنعم المحسن اليه فهذا هو الداء الدفين ويستكن في النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتى يتعلل بالمعاني

الخمسة التي ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه امر واحد وهو ان يكون تألمه بانكشاف اخذه للصدقة كتألمه بانكشاف
صدقة اخذها بعض اقرانه وامثاله فانه ان كان يبغي صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن او يتقي انتهاك
الستر او اعانة المعطي على الاسرار او صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة لغيره فان كان
انكشاف امره اثقل عليه من انكشاف امر غيره فتقديره الحذر من هذه المعاني اغاليط واباطيل من مكر الشيطان وخدعه
فان اذلال العلم محذور من حيث انه علم لا من حيث انه علم زيد او علم عمرو والغيبة محذورة من حيث انها تعرض لعرض مصون
لا من حيث انها تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن يحسن ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه والا فلا يزال كثير العمل
قليل الحظ واما جانب الاظهار فميل الطبع اليه من حيث انه تطييب لقلب المعطي واستحثاث له على مثله واظهار
عند غيره انه من المبالغين في الشكر حتى يرغبوا في اكرامه وتفقده وهذا داء دفين في الباطن والشيطان لا يتسلط
على المتدين الا بان يروج عليه هذا الخبث في معرض السنة ويقول له الشكر من السنة والاخفاء من الرياء ويورد عليه
المعاني التي ذكرناها ليحمله على الاظهار وقصده الباطن ما ذكرناه ومعيار ذلك ومحكه ان ينظر الى ميل نفسه الى الشكر حيث
لا ينتهي الخبر الى المعطي ولا الى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون في اخفائها و
عادتهم ان لا يعطوا الا من يخفي ولا يشكر فان استوت هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه السنة فلا ينبغي ان يغفل عن
قضاء حق المعطي فينظر فان كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغي ان يخفي ولا يشكر لان قضاء حقه ان لا ينصره على الظلم
وطلبه الشكر ظلم واذا علم من حاله انه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه و
سلم للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها ما افلح مع انه عليه الصلوة والسلم كان يثني على قوم في وجوههم لثقته
بيقينهم وعلمه بان ذلك لا يضرهم بل يزيدهم في رغبتهم في الخير فقال لواحد انه سيد اهل الوبر وقال في اخر اذا جاءكم كريم
قوم فاكرموه وسمع كلام رجل فاعجبه فقال ان من البيان لسحرا وقال اذا علم احدكم من اخيه خيرا فليخبره فانه يزداد
رغبته في الخير وقال اذا مدح المؤمن في وجهه ربا الايمان في قلبه وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح
الناس وقال ايضا ليوسف بن اسباط اذا اوليتك معروفا فكنت انا اسر به منك ورايته نعمة من الله علي فاشكر
والا فلا تشكر فدقائق هذه المعاني ينبغي ان يلحظها من يراعي قلبه فان اعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقائق ضحكة
للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه ان تعلم مسئلة واحدة منه افضل
من عبادة سنة اذ بهذا العلم يحيى عبادة العمر وبالجهل به يموت عبادة العمر ويتعطل وعلى الجملة فالاخذ في الملاء
والرد في السر احسن المسالك واسلمها فلا ينبغي ان يدفع بالتزويقات الا ان تتكمل المعرفة بحيث يستوي السر والعلانية
وذلك هو الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى

بيان الافضل الصدقة والزكوة

كان ابرهيم الخواص والجنيد
وجماعة يرون ان الاخذ من الصدقة افضل فان في اخذ الزكوة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ولانه ربما لا يكمل
في اخذها صفة الاستحقاق كما وصف في كتاب الله تعالى واما الصدقة فالامر فيها اوسع وقال قائلون يأخذ
الزكوة دون الصدقة لانها اعانة على واجب ولو ترك المساكين كلهم اخذ الزكوات لاثموا ولان الزكوة لا منة فيها
وانما هي حق واجب لله رزقا لعباده المحتاجين ولانه اخذ بالحاجة والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا واخذ
الصدقة اخذ بالدين فان الغالب ان المتصدق يعطي من يعتقد فيه خيرا ولان مرافقة المساكين ادخل في الذل
والمسكنة وابعد عن التكبر اذ يأخذ الانسان الصدقة في معرض الهدية فلا يتميز عنه وهذا تنصيص على ذل الاخذ و
حاجته والقول الحق في هذا ان هذا يختلف باحوال الشخص وما يغلب عليه ويحضره من النية فان كان في شبهة
من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي ان يأخذ الزكوة واذا علم انه مستحق قطعا كما اذا حصل عليه دين صرفه الى
خير وليس له وجه في قضائه فهو مستحق قطعا فاذا خير هذا بين الزكوة والصدقة فان كان صاحب الصدقة لا

يتصدق بذلك المال لو لم يأخذه هو فليأخذ الصدقة فان الواجب يصرفه صاحبه الى مستحقه ففي ذلك تكثير
للخير وتوسيع على المساكين وان كان المال معرضا للصدقة ولم يكن في اخذ الزكوة تضييق على المساكين فهو
مخير والامر فيهما متفاوت واخذ الزكوة اشد في كسر النفس واذلالها في غالب الاحوال هذا اخر كتاب الزكوة

كتاب اسرار الصوم ومهماته

وهو الكتاب السادس من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي اعظم على عباده المنة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ورد امله وخيب ظنه اذ جعل الصوم حصنا
لاوليائه وجنة وفتح لهم ابواب الجنة وعرفهم ان وسيلة الشيطان الى قلوبهم الشهوات المستكنة وان بقمعها تصبح
النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها قوية المنة والصلوة على محمد قائد الحق وممهد السنة وعلى اله واصحابه
ذوي الابصار الثاقبة والعقول المرجحة اما بعد فان الصوم ربع الايمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم الصوم
نصف الصبر وبمقتضى قوله الصبر نصف الايمان ثم هو متميز بخاصية النسبة الى الله تعالى من بين سائر الاركان اذ
قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم كل حسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لي وانا
اجزي به وقد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير
والحساب وناهيك في فضيلته قوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح
المسك يقول الله عز وجل انما يذر شهوته وطعامه وشرابه لاجلي فالصوم لي وانا اجزي به وقال صلى الله عليه وسلم
للجنة باب يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون وهو موعود بلقاء الله تعالى في جزاء صومه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه وقال صلى الله عليه وسلم لكل شيء
باب وباب العبادة الصوم وقال نوم الصائم عبادة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل شهر
رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر
وقال وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية هي ايام الصيام اذ تركوا فيها الاكل والشرب
وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رتبة المباهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال ان الله تعالى
يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول ايها الشاب التارك شهوته لاجلي المبذل شبابه لي انت عندي كبعض ملائكتي وقال
في الصائم يقول الله تعالى يا ملائكتي انظروا الى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من اجلي وقيل في قوله
تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قيل كان عملهم الصيام لانه قال انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب فيفرغ للصائم جزاؤه افراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بان يكون كذلك وان
الصوم انما كان له ومشرفا بالنسبة اليه وان كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة اليه والارض كلها له
لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع الطاعات بمشهد من الخلق
ومرأى والصوم لا يعلمه الا الله تعالى فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد والثاني انه قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان
لعنه الله الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم
فضيقوا مجاريه بالجوع ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها داومي قرع باب الجنة قالت بماذا قال
بالجوع وسيأتي فضل الجوع في كتاب كسر الشهوتين من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى فلما كان الصوم على الخصوص
قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة الى الله تعالى ففي قمع عدو الله نصرة لله ونصرة
الله موقوفة على النصرة له قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فالبداءة بالجهد من العبد والجزاء بالهداية
من الله تعالى ولذلك قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم و

انما النفير بكثرة الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون فلا ينكشف للعبد جلال الله وكان محجوبا عن لقائه قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السماء فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة فاذا اعظمت فضيلته الى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر اركانه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلاثة فصول **الفصل الاول** في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده اما الواجبات الظاهرة فستة الاول مراقبة اول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فان غم فباستكمال ثلاثين من شعبان ونعني بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا تثبت هلال شوال الا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وان لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه واذا راى الهلال ببلدة ولم ير باخرى وكان بينهما اقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وان كان اكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب الثاني النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلو نوى ان يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكف وهو الذي عنينا بقولنا لكل ليلة ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض الا التطوع وهو الذي عنيناه بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا او الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوي فريضة الله صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك ان يصوم غدا ان كان من رمضان لم يجزه فانها ليست نية جازمة الا ان يستند نيته الى قول شاهد عدل فاحتمال غلط العدل او كذبه لا يبطل الجزم او يستند الى استصحاب كالشك في الليلة الاخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية او يستند الى اجتهاد كالمحبوس في المطمورة فاذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فان النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان اصوم غدا ان كان من رمضان فان ذلك لا يضره لانه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بانه من رمضان ومن نوى ثم اكل لم يفسد نيته ولو نوت الحائض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها الثالث الامساك عن ايصال شيء الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالاكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وادخال الميل في الاذن والاحليل الا ان يقطر فيه ما يبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق او ذباب يسبق او ما يسبق الى جوفه في المضمضة فلا يفطر الا اذا بالغ في المضمضة فيفطر لانه مقصر وهو الذي اردنا بقولنا عمدا فاما ذكر الصوم فاردنا به الاحتراز عن الناسي فانه لا يفطر اما من اكل عامدا في طرفي النهار ثم ظهر انه اكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وان بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغي ان ياكل في طرفي النهار الا بنظر واجتهاد الرابع الامساك عن الجماع وحده تغيب الحشفة في الفرج فان جامع ناسيا لم يفطر وان جامع ليلا او احتلم واصبح جنبا لم يفطر وان طلع الفجر وهو مخالط اهله فنزع في الحال صح صومه فان صبر فسد ولزمته الكفارة الخامس الامساك عن الاستمناء وهو اخراج المني قصدا بجماع او بغير جماع فان ذلك مفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك الا ان يكون شيخا او مالكا لاربه فلا باس بالتقبيل وتركه اولى واذا كان يخاف من التقبيل ان ينزل فقبل وسبق المني افطر لتقصيره السادس الامساك عن اخراج القيء فالاستقاءة يفسد الصوم وان ذرعه القيء لم يفسد صومه وان ابتلع نخامة من حلقه وصدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به الا ان يبتلعه بعد وصوله الى فيه فانه يفطر عند ذلك واما لوازم الافطار فاربعة القضاء والكفارة والفدية والامساك بقية النهار تشبها بالصائمين اما القضاء فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر او بغير عذر فالحائض تقضي الصوم وكذا المرتد اما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان ولكن يقضي كيف شاء متفرقا ومجموعا واما الكفارة فلا تجب الا بالجماع واما الاستمناء والاكل والشرب وما عدا الجماع فلا يجب الكفارة والكفارة عتق رقبة وان اعسر فصوم شهرين متتابعين وان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا واما الامساك

بقية النهار فيجب على من عصى بالفطر او قصر فيه ولا يجب على الحائض اذا طهرت امساك بقية النهار ولا على المسافر اذا قدم مفطرا من سفر بالغ مرحلتين ويجب الامساك اذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والسفر افضل من الفطر الا اذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما في اوله ولا يوم يقدم اذا قدم صائما واما الفدية فيجب على الحامل والمرضع اذا افطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهم اذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا واما السنن فستة تاخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر او الماء قبل الصلوة وترك السواك بعد الزوال والجود في رمضان لما سبق من فضائله في الزكوة ومدارسة القرآن والاعتكاف في المسجد لا سيما في العشر الاخير فهي عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاواخر طوى الفراش وشد المئزر وداب واهله اي ادأبوا النصب في العبادة لان فيها ليلة القدر والاغلب انها في اوتارها والاشبه الاوتار بها ليلة احدى وعشرين وثلث وخمس وسبع والتتابع في هذا الاعتكاف اولى فان نذر اعتكافا متتابعا او نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعيادة مريض او شهادة او جنازة او زيارة او تجديد طهارة وان خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله ان يتوضا في البيت ولا ينبغي ان يعرج على شغل اخر كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يخرج الا لحاجة الانسان ولا يسال عن المريض الا مارا ولا ينقطع بالتقبيل ولا باس في المسجد بالتطيب وعقد النكاح والنوم والاكل وغسل اليدين في الطست وكل ذلك يحتاج اليه في التتابع ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني راسه فترجله عائشة وهي في الحجرة ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجة فاذا عاد ينبغي ان يستانف النية الا اذا كان قد نوى اولا عشرة ايام مثلا والافضل مع ذلك التجديد **الفصل الثاني في** **اسرار الصوم** وشروطه الباطنة اعلم ان للصوم ثلث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الاثام واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الاخر وبالفكر في الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك زاد الاخرة وليس من الدنيا حتى قال ارباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين برزقه الموعود وهذا رتبة الانبياء والصديقين والمقربين ولا نطول النظر في تفصيله قولا ولكن في تحقيقه عملا فانه اقبال بكنه الهمة على الله وانصراف عن غير الله وتلبس بمعنى قوله قل الله ثم ذرهم واما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الاثام وتمامه بستة امور الاول غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله قال صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله اتاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وروى جابر عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة الثاني حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزام السكوت وشغله بذكر الله وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان الغيبة تفسد الصوم رواه بشر بن الحارث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب وقد قال صلى الله عليه وسلم انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرء قاتله او شاتمه فليقل اني صائم وجاء في الخبر ان امراتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش من اخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستاذنانه في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قل لهما قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملاتاه فعجب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما احل الله

لهما وافطرنا على ما حرم الله علينا فقعدت احديهما على الاخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما اكلتا من لحومهم الثالث
كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لان كل ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذلك سوى الله تعالى بين المستمع واكل
السحت فقال سماعون للكذب اكالون للسحت وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت ثم
فالسكوت على الغيبة حرام وقال ايضا انكم اذا مثلهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم المغتاب والمستمع شريكان في الاثم
الرابع كف بقية الجوارح من اليد والرجل عن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف
عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصرا ويهدم مصرا فان الطعام الحلال انما يضر
بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره اذا عدل الى تناول السم كان سفيها والحرام
سم يهلك الدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال صلى الله عليه وسلم كم من صائم
ليس له من صومه الا الجوع والعطش فقيل هو الذي يفطر على الحرام وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر
على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الاثام الخامس ان لا يستكثر من الحلال وقت
الافطار بحيث يمتلي فما من وعاء ابغض الى الله من بطن مليء من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر
الشهوة اذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في الوان الطعام حتى استمرت العادات
بان يدخر جميع الاطعمة لرمضان فيؤكل من الاطعمة فيه ما لا يؤكل في غيره في عدة اشهر ومعلوم ان مقصود الصوم
الخوى وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى واذا دفعت المعدة ضحوة النهار الى العشاء حتى هاجت شهوتها و
قويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها
راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود الى الشرور ولن
يحصل ذلك الا بالتقليل وهو ان ياكل اكلته التي كان ياكلها كل ليلة لو لم يصم فاما اذا جمع ما كان ياكل ضحوة الى ما
كان ياكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الاداب ان لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف
القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في ليله قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده واوراده فعسى
الشيطان ان لا يحوم على قلبه فينظر الى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو
المراد بقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن
اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب حتى يخلو همته عن غير الله تعالى وذلك هو الامر كله ومبدا جميع ذلك تقليل
الطعام وسياتي له مزيد بيان في كتاب الاطعمة ان شاء الله تعالى السادس ان يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا
بين الخوف والرجاء اذ ليس يدري ايقبل صومه فهو من المقربين او يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن
كذلك في اخر كل عبادة يفرغ منها فقد روي عن الحسن بن ابي الحسن انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال ان الله عز
وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل
العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون اما والله لو كشف الغطاء لاشتغل
المحسن باحسانه والمسيء عن اساءته اي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك وعن
الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال اني اعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله اهون من الصبر على عذابه
فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء
صومه صحيح فما معناه فاعلم ان فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بادلة هي اضعف من هذه الادلة التي اوردناها في
هذه الشروط الباطنة لا سيما الغيبة وامثالها ولكن ليس الى فقهاء الظاهر من التكليفات الا ما يتيسر على عموم الغافلين
المقبلين على الدنيا الدخول تحته فاما علماء الاخرة فيعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول الى المقصود ويفهمون ان المقصود

من الصوم التخلق بخلق من اخلاق الله تعالى وهو الصمدية والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الامكان فانهم
منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة
الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات انحط الى اسفل السافلين و
التحق بغمار البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع الى اعلى عليين والتحق بافق الملائكة والملائكة مقربون من الله و
الذي يقتدي بهم ويتشبه باخلاقهم يقرب من الله كقربهم فان الشبيه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل
بالصفات واذا كان هذا سر الصوم عند ارباب الالباب واصحاب القلوب فاي جدوى لتاخير اكلة وجمع اكلتين
عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الاخر طول النهار ولو كان لمثله جدوى فاي معنى لقوله صلى الله عليه و
سلم كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش ولهذا قال ابو الدرداء يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف
يعيبون صوم الحمقى وسهرهم ولذرة من ذي يقين وتقوى افضل وارجح من امثال الجبال عبادة من المغترين
ولذلك قال العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم والمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الاثام و
ياكل ويشرب والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم ان مثل من
كف عن الاكل والجماع وافطر بمقارفة الاثام كمن مسح كل عضو من اعضائه في الوضوء ثلاث مرات فقد وافق في
ظاهر العدد الا انه ترك المهم وهو الغسل فصلوته مردودة عليه بجهله ومثل من افطر بالاكل وصام بجوارحه عن
المكاره كمن غسل اعضاءه مرة مرة فصلوته صحيحة متقبلة لاحكامه الاصل وان ترك الفضل ومثل من جمع بينهما
كمن غسل كل عضو ثلث مرات فجمع بين الاصل والفضل وهو الكمال وقد قال صلى الله عليه وسلم انما الصوم امانة
فليحفظ احدكم امانته ولما تلا قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وضع يده على سمعه وبصره
فقال السمع امانة والبصر امانة ولولا انه من امانات الصوم لما قال فليقل اني صائم اي اني اودعت لساني لاحفظه
فكيف اطلقه بجوابك فاذن قد ظهر ان لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ولقشورها درجات ولكل درجة طبقات
فاليك الخيرة الآن في ان تقنع بالقشر عن اللباب او تتحيز الى غمار ارباب الالباب الفصل الثالث في التطوع
بالصيام وترتيب الاوراد فيه اعلم ان استحباب الصوم يتاكد في الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد في
كل سنة وبعضها في كل شهر وبعضها في كل اسبوع اما في السنة بعد ايام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء و
العشر الاول من ذي الحجة وجميع الاشهر الحرم مظان الصوم وهي اوقات فاضلة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثر صوم شعبان حتى كان يظن انه من رمضان وفي الخبر افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله تعالى المحرم
لانه ابتداء السنة فبناؤه على الخير احب وارجى لدوام بركته وقال صلى الله عليه وسلم صوم يوم من شهر حرام
افضل من صوم ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان افضل من ثلاثين من شهر حرام وفي الحديث من صام
ثلثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله تعالى له عبادة سبعمائة عام وفي الخبر اذا كان النصف من شعبان
فلا صوم حتى رمضان ولهذا استحب ان يفطر قبل رمضان اياما فان وصل شعبان برمضان فجائز فعل ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة ولا يجوز ان يقصد استقبال رمضان بيومين او ثلاثة الا ان يوافق
وردا وكره بعض الصحابة ان يصام رجب كله حتى لا يضاهي بشهر رمضان فالاشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم و
رجب وشعبان والاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ثلاثة سرد وواحد فرد وافضلها ذو الحجة لان فيه
الحج والايام المعلومات والمعدودات وذو القعدة من الاشهر الحرم وهو من اشهر الحج وشوال من اشهر الحج و
ليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من اشهر الحج وفي الخبر ما من ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله من ايام عشر ذي الحجة
ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد

والعشر الاول من المحرم

ورجب

الا من عقر جواده واهريق دمه واما ما يتكرر في الشهور فاول الشهر واوسطه واخره واوسطه الايام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر واما في الاسبوع فالاثنين والخميس والجمعة فهذه الايام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات ليتضاعف اجرها ببركة هذه الاوقات واما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك اذ وردت اخبار تدل على كراهته والصحيح انه انما اكره لشيئين احدهما انه لا يفطر في العيدين وايام التشريق فهو الدهر كله والاخر ان يرغب عن السنة في الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله يحب ان تؤتى رخصه فاذا لم يكن شيء من ذلك وراى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين لهم باحسان وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو موسى الاشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين ومعناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة اخرى وهو صوم نصف الدهر بان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك اشد على النفس واقوى في قهرها وقد ورد في فضله اخبار لان العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم عرضت علي مفاتيح خزائن الارض وكنوز الدنيا فرددتها وقلت اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصيام صوم اخي داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ومن ذلك منازلته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو في الصوم وهو يقول اني اطيق افضل من ذلك فقال عليه الصلوة والسلام صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من ذلك فقال لا افضل من ذلك وقد روي انه صلى الله عليه وسلم ما صام شهرا كاملا قط الا رمضان بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على نصف صوم الدهر فلا باس بثلثه وهو ان يصوم يوما ويفطر يومين واذا صام ثلاثة من اول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الاخير فهو ثلث وواقع في الاوقات الفاضلة وان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث واذا ظهرت اوقات الفضيلة فالكمال في ان يفهم الانسان معنى الصوم وان مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله تعالى والفقيه بدقائق الباطن ينظر الى احواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم وقد يقتضي دوام الفطر وقد يقتضي مزج الافطار بالصوم فاذا فهم المعنى وتحقق حده في سلوك طريق الاخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ولذلك روي انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات وقد كره العلماء ان يوالي بين الافطار اكثر من اربعة ايام تقديرا بيوم العيد وايام التشريق وذكروا ان ذلك يقسي القلب ويولد ردي العادات ويفتح ابواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق اكثر الخلق لا سيما من ياكل في اليوم والليلة مرتين فهذا ما اردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به والله اعلم اخر كتاب الصوم والحمد لله وحده

كتاب اسرار الحج ومهماته

وهو الكتاب السابع من كتب احياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وامنا واكرمه بالنسبة الى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومجنا والصلوة والسلم على محمد نبي الرحمة وسيد الامة وعلى اله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق صلوة وتسليما كثيرا **اما بعد** فان الحج من بين اركان الاسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الامر وتمام الاسلام وكمال الدين فيه انزل الله تعالى قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه قال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا فاعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال واجدر بها ان نصرف العناية الى شرحها وتفصيل اركانها وسننها وادابها وفضائلها واسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله تعالى في ثلاثة ابواب **الباب الاول** في فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق وجمل اركانها وشرائط وجوبها **الباب الثاني** في اعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدا السفر الى الرجوع **الباب الثالث** في ادابها الدقيقة واسرارها الخفية واعمالها الباطنة فلنبدا بالباب الاول وفيه فصلان الفصل الاول في فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة وشد الرحال الى المشاهد

فضيلة الحج

قال الله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر الاية قال قتادة لما امر الله عز وجل ابرهيم عليه السلام ان يؤذن في الناس بالحج نادى يا ايها الناس ان لله بيتا فحجوه فاسمع الله نداءه كل من يريد الله ان يحج من ذريته الى يوم القيمة وقال الله تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في الموسم والاجر في الاخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وقيل في تفسير قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم اي طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال صلى الله عليه وسلم من حج البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقال ايضا ما راي الشيطان في يوم هو اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك الا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام اذ يقال ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وقد اسنده جعفر بن محمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض المكاشفين من المقربين ان ابليس ظهر له في صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوم الظهر فقال له ما الذي ابكى عينيك قال خروج الحاج اليه بلا تجارة اقول قد قصدوه اخاف ان لا يخيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي انحل جسمك قال صهيل الخيل في سبيل الله ولو كانت في سبيلي كان احب الي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان احب الي قال فما الذي قصم ظهرك قال قول العبد يا الله اسالك حسن الخاتمة اقول يا ويلتي متى يعجب هذا بعمله اخاف ان يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا او معتمرا فمات اجرى له اجر الحاج المعتمر الى يوم القيمة ومن مات في احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وقال ايضا حجة مبرورة خير من الدنيا بما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة وقال عليه الصلوة والسلم الحجاج والعمار وفد الله وزواره ان سالوه اعطاهم وان استغفروا غفر لهم وان دعوا استجيب لهم وان تشفعوا شفعوا وفي حديث مسند من طريق اهل البيت اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله تعالى لم يغفر له وروى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين وفي الخبر استكثروا من الطواف بالبيت فانه من اجل شيء تجدونه في صحفكم يوم القيمة واغبط عمل تجدونه ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفي الخبر من طاف اسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف اسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه ويقال ان الله عز وجل اذا غفر ذنبا لعبد في الموقف غفر له ولكل من اصابه في ذلك الموقف وقال بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل اهل عرفة وهو افضل يوم في الدنيا وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا اذ نزل عليه قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فقال اهل الكتاب لو انزلت هذه الاية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه اشهد لقد انزلت في يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وروي ان ابن الموفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا قال فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا ابن موفق حججت عني قلت نعم قال ولبيت عني قلت نعم قال فاني اكافيك بها يوم القيمة اخذ بيدك في الموقف فادخلك الجنة والخلائق في كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمير واعتنقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن من مات

عقيب رمضان او عقيب غزو او حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له ولمن استغفر له في شهر ذي الحجة
والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الاول وكان من سنة السلف ان يشيعوا الغزاة وان يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين اعينهم
ويسالوهم الدعاء لهم ويبادرون ذلك قبل ان يتدنسوا بالاثام ويروى عن علي بن موفق قال حججت سنة فلما كان ليلة
عرفة نمت بمنى في مسجد الخيف فرايت في المنام كان ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى احدهما صاحبه
يا عبد الله فقال الاخر لبيك يا عبد الله قال تدري كم حج بيت ربنا في هذه السنة قال لا ادري قال حج بيت ربنا ستمائة
الف فتدري كم قبل منهم قال لا قال تقبل منهم ستة انفس قال ثم ارتفعا في الهواء فغابا عني فانتبهت فزعا واغتممت غما
شديدا واهمني امري فقلت اذا قبل حج ستة انفس فاين اكون انا في ستة انفس فلما افضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام
جعلت افكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فحملني النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى احدهما صاحبه
واعاد ذلك الكلام بعينه ثم قال اتدري ماذا حكم ربنا في هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة
الف فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن الوصف وعنه ايضا انه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت
فيمن لا يتقبل حجه فقلت اللهم اني قد وهبت حجتي لمن لم يتقبل حجه قال فرايت رب العزة في المنام فقال لي يا علي تتسخى
علي وانا خلقت السخاء والاسخياء انا اجود الاجودين واكرم الاكرمين واحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت
كل من لم اقبل حجه لمن قبلته **فضيلة البيت ومكة** قال صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعد هذا البيت ان يحجه
في كل سنة ستمائة الف فان نقصوا اكملهم الله تعالى بالملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق
باستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبر ان الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيمة
له عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وكان صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا وروي انه سجد عليه
وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن وقبله عمر ثم قال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا
اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك لما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت الى ورائه فراى عليا رضي الله
عنه فقال يا ابا الحسن ههنا تسكب العبرات فقال علي يا امير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله عز وجل
لما اخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم القمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود
قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وروي عن الحسن
البصري ان صوم يوم بمكة بمائة الف وصدقة درهم بمائة الف درهم وكذا كل حسنة بمائة الف ويقال طواف سبعة
اسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر يعدل حجة وفي الخبر عمرة في رمضان كحجة معي وهذا مذكور في الصحيح و
قال صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض ثم آتي اهل البقيع فيحشرون معي ثم آتي اهل مكة فاحشر
بين الحرمين وفي الخبر ان آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا
البيت قبلك بالفي عام وجاء في الاثر ان الله تعالى ينظر في كل ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليه اهل الحرم واول من ينظر
اليه من اهل الحرم اهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه قائما غفر له وكوشف
بعض الاولياء فقال رايت الثغور كلها تسجد لعبادان ورايت عبادان ساجدة لجدة ويقال لا تغرب الشمس من يوم
الا ويطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان
سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى لها اثر وهذا اذا اتى عليها سبع سنين لم يحجها
احد ثم يرفع القران من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق ابيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القران
من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغاني واخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل
عيسى فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب تتوقع ولادتها وفي الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت

قبل ان يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى
اذا اردت ان اخرب الدنيا بدات ببيتي فخربته ثم اخرب الدنيا على اثره **فضيلة المقام بمكة وكراهيته**
كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة الاول خوف التبرم والانس بالبيت فان
ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام وهكذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحجاج اذا حجوا ويقول
يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر بمنع الناس من كثرة الطواف و
قال خشيت ان يانس الناس بهذا البيت الثاني تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى
جعل البيت مثابة للناس اي يثوبون ويعودون اليه مرة بعد اخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم لان تكون في
بلد وقلبك مشتاق الى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من ان تكون فيه وانت متبرم بالمقام وقلبك في بلد اخر
وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو اقرب الى هذا البيت ممن يطوف به ويقال ان لله تعالى عبادا تطوف
بهم الكعبة تقربا الى الله عز وجل الثالث الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك مخطور وبالحري ان يورث
مقت الله لشرف الموضع وروي عن وهيب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة في الحجر اصلي فسمعت كلاما بين الكعبة و
الاستار يقول الى الله تعالى اشكو ثم اليك يا جبريل ما القى من الطائفين حولي من تفكههم في الحديث ولغوهم
ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني الى الجبل الذي قطع منه وقال ابن مسعود ما
من بلد يؤاخذ العبد فيه بالهمة قبل العمل الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم اي انه
على مجرد الارادة ويقال ان السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس يقول الاحتكار بمكة من
الالحاد في الحرم وقيل الكذب ايضا وقال ابن عباس لان اذنب سبعين ذنبا بركية احب الي من ان اذنب ذنبا واحدا
بمكة وركية منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين الى انه لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج
الى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم اقام شهرا وما وضع جنبه على الارض وللمنع من الاقامة كره بعض العلماء اجور
دور مكة ولا تظنن ان كراهة المقام يناقض فضل البقعة لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن
القيام بحق الموضع فمعنى قولنا ان ترك المقام به افضل اي بالاضافة الى مقام مع التقصير والتبرم اما ان يكون
افضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات وكيف لا ولما عاد عليه الصلوة والسلام الى مكة استقبل الكعبة وقال
انك لخير ارض الله واحب بلاد الله الي ولولا اني اخرجت منك ما خرجت وكيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات
فيها مضاعفة فمع الوفاء بحقه هيهات **فضيلة المدينة وسائر البلاد** ما بعد مكة بقعة افضل من مدينة
الرسول عليه الصلوة والسلام فالاعمال فيها ايضا تضاعف قال صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا خير من الف
صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام فكذلك كل عمل بالمدينة بالف وبعد المدينة الارض المقدسة فان الصلوة فيها
بخمسمائة وكذا سائر الاعمال وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صلوة في مسجد المدينة بعشرة الاف
صلوة وصلوة في المسجد الاقصى بالف صلوة وصلوة في المسجد الحرام بمائة الف صلاة وقال صلى الله عليه وسلم
لا يصبر على شدتها ولاوائها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وقال من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه
لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وما بعد هذه البقاع الثلث فالمواضع فيها متساوية الا الثغور
فان المقام بها للمرابطة فيه فضل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام و
مسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد ذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد
وقبور العلماء والصلحاء وما تبين لي ان الامر كذلك بل الزيارة مامور بها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم
عن زيارة القبور فزوروها والحديث انما ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلثة

متماثلة ولا بلد الا وفيها مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد اخر واما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم
عند الله نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله ان يشد الرحال الى موضع فيه مسجد وينتقل اليه بالكلية ان شاء ثم ليت
شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال الى قبور الانبياء مثل ابرهيم وموسى ويحيى وغيرهم على نبينا وعليهم السلم
فالمنع من ذلك في غاية الاحالة واذا جوز ذلك فقبور العلماء والاولياء والصلحاء في معناها فلا يبعد ان يكون
ذلك من اغراض الرحلة كما ان زيارة العلماء في الحياة من المقاصد هذا في الرحلة اما المقام فالاولى بالمريد ان يلازم
مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم فليطلب من المواضع ما هو اقرب الى
الخمول واسلم للدين وافرغ للقلب وايسر للعبادة وهو افضل المواضع له قال صلى الله عليه وسلم البلاد بلاد الله والعباد
عباده فاي موضع رايت فيه رفقا فاقم واحمد الله تعالى وفي الخبر من رزق من شيء فليلزمه ومن جعلت معيشته
في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه وقال ابو نعيم رايت الثوري قد جعل جرابه على كتفه واخذ نعليه بيديه فقلت الى
اين يا ابا عبد الله قال الى بلد املأ فيه جرابي بدرهم وفي حكاية اخرى بلغني في قرية فيها رخص اقيم بها قال فقلت وتفعل
هذا يا ابا عبد الله قال نعم اذا سمعت في بلد برخص فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك وكان يقول هذا زمان سوء
لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان ينتقل الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن وحكي عنه انه قال والله ما
ادري اي البلاد اسكن فقيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة واراء فاسدة قيل فالشام قال يشار اليك بالاصابع
اراد الشهرة قيل فالعراق قال بلدة الجبابرة قيل فمكة قال مكة تذيب الكيس والبدن وقال له رجل عزمت على المجاورة
بمكة فاوصني قال اوصيك بثلاث لا تصلين في الصف الاول ولا تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقة وانما كره الصف
الاول لانه يشتهر فيفتقد اذا غاب فيختلط العمل بالتزين والتصنع الفصل الثاني في **شرط وجوب الحج** واركانه
وواجباته ومحظوراته اما الشرط فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه ان كان مميزا
ويحرم عنه وليه ان كان صغيرا ويفعل به ما يفعل في الحج من الطواف والسعي وغيره واما الوقت فهو شوال وذو القعدة
وتسع من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر فمن احرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن
من كان معكوفا على النسك ايام منى فلا ينبغي ان يحرم بالعمرة لانه لا يتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله باعمال منى
واما شرط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فان احرم الصبي او العبد ولكن
عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة او بمزدلفة وعاد الى عرفة قبل طلوع الفجر اجزاهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة وليس
عليهما دم الا شاة وتشترط هذه الشرائط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام الا الوقت واما شرط وقوع الحج نفلا عن الحر
البالغ فهو براءة ذمته عن حجة الاسلام فحجة الاسلام متقدمة ثم القضاء لمن افسده في حالة الوقوف ثم النذر ثم النيابة ثم
النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وان نوى خلافه واما شرط لزوم الحج فخمسة الاسلام والبلوغ والعقل والحرية
والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن اراد دخول مكة لزيارة او تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على
قول ويتحلل بافعال حج او عمرة واما الاستطاعة فنوعان احدهما المباشرة وذلك له اسباب اما في نفسه فالصحة واما
في الطريق فبان يكون خصبة امنة بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر واما في المال فبان يجد نفقة ذهابه وايابه الى وطنه
كان له اهل او لم يكن لان مفارقة الوطن شديد وان يملك نفقة من تلزمه نفقته في هذه المدة وان يملك ما يقضي به
ديونه وان يقدر على راحلة او كرائها بمحمل او زاملة ان استمسك على الزاملة واما النوع الثاني فاستطاعة المعضوب
بماله وهو ان يستاجر من يحج عنه بعد فراغ الاجير عن حجة الاسلام في نفسه ويكفي نفقة الذهاب بزاملة في هذا النوع و
الابن اذا عرض طاعته على الاب الزمن صار به مستطيعا ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا لان الخدمة بالبدن فيها شرف
للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التاخير ولكنه فيه على خطر فان تيسر له ولو في اخر عمره سقط

عنه وان مات قبل الحج لقي الله عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته يحج عنه وان لم يوص كسائر ديونه وان استطاع في
سنة فلم يخرج مع الناس فهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار
فامره شديد عند الله قال عمر لقد هممت ان اكتب في الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن
سعيد بن جبير وابرهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ما صليت عليه
وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك ولم يحج سال الرجعة الى الدنيا
وقرا قوله رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال الحج **اما الاركان** التي لا يصح الحج الا بها فخمسة الاحرام و
الطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق على قول واركان العمرة كذلك الا الوقوف والواجبات المجبورة بالدم
ستة الاحرام من الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه دم شاة والرمي فيه الدم قولا واحدا واما الصبر بعرفة الى
غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الاربعة يجبر تركها بالدم على احد القولين وفي القول
الثاني فيها دم على وجه الاستحباب واما وجوه اداء الحج فثلثة الاول الافراد وهو الافضل وذلك ان يقدم الحج وحده فاذا
فرغ خرج الى الحل فاحرم واعتمر وافضل الحل لاحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم الا ان يتطوع
الثاني القران وهو ان يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه اعمال الحج فتندرج العمرة تحت الحج كما
يندرج الوضوء تحت الغسل الا انه اذا طاف وسعى قبل الوقوف فسعيه محسوب من النسكين واما طوافه فغير محسوب لان
شرط طواف الفرض في الحج ان يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة الا ان يكون مكيا فلا شيء عليه لانه لم يترك ميقاته اذ
ميقاته مكة الثالث التمتع وهو ان يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا
يكون متمتعا الا بخمس شرائط احدها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلوة
الثاني ان يقدم العمرة على الحج الثالث ان يكون عمرته في اشهر الحج الرابع ان لا يرجع الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام
بالحج الخامس ان يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه الاوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد
فصيام ثلثة ايام في الحج قبل يوم النحر متفرقة او متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن وان لم يصم الثلثة حتى رجع الى
الوطن صام العشرة تتابعا او متفرقا وبدل دم القران والتمتع سواء والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران واما محظورات
الحج والعمرة فستة الاول لبس القميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي ان يلبس ازارا ورداء ونعلين وان لم يجد نعلين
فكعبين فان لم يجد ازارا فسراويل ولا باس بالمنطقة والاستظلال بالمحمل ولكن لا ينبغي ان يغطي راسه فان احرامه في الراس
وللمراة ان تلبس كل مخيط بعد ان لا تستر وجهها بما يماسه فان احرامها في وجهها الثاني الطيب فليجتنب كل ما
يعده العقلاء طيبا فان تطيب او لبس فعليه دم شاة الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية اعني دم شاة ولا باس
بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة او بقرة
او سبع شياه وان كان بعد التحلل الاول لزمه البدنة ولم يفسد حجه الخامس مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة
التي تنقض الوضوء مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناء ويحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه
لا ينعقد السادس قتل صيد البر اعني ما يؤكل او ما هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم
يراعى فيه التقارب في الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه

الباب الثاني في ترتيب الاعمال

الظاهرة من اول السفر الى الرجوع وهي عشر جمل الجملة الاولى في السنن من اول الخروج الى الاحرام وهي ثمانية الاولى
في المال فينبغي ان يبدا بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى وقت
الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه
يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية

على الجمل لا تضعفوا ويكثر بها فان اكترى فليظهر للمكاري كل ما يريد ان يحمله من قليل وكثير ويحصل رضاه فيه الثامنة
في الرفيق ينبغي ان يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز
قواه وان ضاق صدره صبره ويودع رفقاه ولخوانه المقيمين وليلتمس ادعيتهم وان الله تعالى جاعل له في دعائهم
خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن
اراد السفر في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وجنبك الردى وغفر ذنبك ووجهك للخير اينما توجهت
التاسعة في الخروج من الدار ينبغي اذا هم بالخروج ان يصلي ركعتين يقرا في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون
وفي الثانية الاخلاص فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله عن اخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم انت الصاحب
في السفر وانت الخليفة في الاهل والمال والولد والاصحاب احفظنا واياهم من كل افة وعاهة اللهم انا نسالك
في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم انا نسالك ان تطوي لنا الارض وتهون علينا
السفر وان ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه
وسلم اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكابة المنقلب والحور بعد الكور وسوء المنظر في الاهل والمال والولد
والاصحاب اللهم اجعلنا واياهم في جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك العاشرة اذا
حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله رب اعوذ بك ان اضل او اضل او اظلم او اظلم
او اجهل او يجهل علي اللهم اني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك
وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا الى لقائك فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت
واليك توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك
ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل
يرحل عنه الحادية عشرة في الركوب فاذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم
اني وجهت وجهي اليك وفوضت امري كله اليك وتوكلت في جميع اموري عليك انت حسبي ونعم الوكيل فاذا استوى
على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات ثم قال الحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور الثانية عشرة في النزول
والسنة ان لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون اكثر سيره في الليل قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى
بالليل ما لا تطوى بالنهار وليقلل نومه بالليل حتى يكون ذلك عونا له على السير ومهما اشرف على المنزل فليقل اللهم
رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين
ورب البحار وما جرين اسالك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وما فيه اصرف عني شر شرارهم فاذا
نزل المنزل صلى فيه ركعتين ثم قال اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا
جن عليه الليل يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر
كل اسد واسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم
السابعة في الحراسة ينبغي ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون
بالليل متحفظا عند النوم وان نام في ابتداء الليل افترش ذراعه نصبا وجعل راسه في كفه هكذا كان ينام رسول الله
صلى الله عليه وسلم في اسفاره فانه ربما يستثقل في النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما يفوته من الصلوة
افضل مما يناله من الحج والاحب بالليل ان يتناوب الرفيقان في الحراسة فاذا نام احدهما حرس الاخر فهو السنة وان

قصده عدو او سبع في ليل او نهار فليقرا اية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله
ما شاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا ياتي بالخير الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله
وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز تحصنت
بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا
بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برافة ورحمة انك
انت ارحم الراحمين الثامنة مهما علا نشزا من الارض في الطريق فيستحب ان يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف
على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب
الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعزة والجبروت **الجملة الثانية في اداب الاحرام من**
الميقات وهي خمسة الاول ان يغتسل وينوي به غسل الاحرام اعني اذا انتهى الى الميقات المشهور الذي يحرم الناس منه
ويتمم غسله بالتنظيف فيسرح راسه ويقلم اظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة الثاني ان
يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوبي الاحرام فيرتدي ويتزر بثوبين ابيضين والابيض هو احب الثياب الى الله تعالى و
يتطيب في بدنه وثيابه ولا باس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام فقد رؤي وبيص المسك على مفرق رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد الاحرام مما كان استعمله قبل الاحرام الثالث ان يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته ان
كان راكبا او يبتدي السير ان كان راجلا فعند ذلك ينوي الاحرام بالحج او بالعمرة قرانا وافرادا كما اراد ويكفي مجرد
النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة ان يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك
ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وان قال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء اليك لبيك بحجة
حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد الرابع اذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة يستحب ان يقول اللهم اني
اريد الحج فيسره لي واعني على اداء فرضه وتقبله مني اللهم اني نويت اداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين
استجابوا لك وامنوا بوعدك واتبعوا امرك واجعلني من وفدك الذين رضيت وارتضيت وقبلت اللهم فيسر لي
اداء ما نويت من الحج اللهم قد احرم لك شعري ولحمي ودمي وعصبي ومخي وعظامي وحرمت على نفسي النساء و
الطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الاخرة ومن وقت الاحرام حرمت عليه المحظورات الستة التي ذكرناها
من قبل فليجتنبها الخامس يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع
الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا به صوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر فانه لا ينادي
اصم ولا غائبا كما ورد في الحديث ولا باس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلاثة فانها مظنة المناسك اعني
المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات واما سائر المساجد فلا باس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان
صلى الله عليه وسلم اذا اعجبه شيء قال لبيك ان العيش عيش الاخرة **الجملة الثالثة في دخول مكة الى**
الطواف وهي ستة الاول ان يغتسل بذي طوى لدخول مكة والاغتسالات المستحبة المسنونة في الحج تسعة الاول للاحرام
من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلاثة اغسال لرمي الجمار الثلث
ولا غسل لرمي جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعي في الجديد الغسل لطواف الزيارة فيعود الى سبعة
الثاني ان يقول عند الدخول الى اول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وامنك فحرم لحمي ودمي وبشري على
النار وامني من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من اوليائك واهل طاعتك الثالث ان يدخل مكة من جانب
الابطح وهي من ثنية كدى بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق اليها فالتاسي به اولى واذا
خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى والاولى هي العليا الرابع اذا دخل مكة وانتهى الى راس الردم

فعنده يقع بصره على البيت فليقل لا اله الا الله والله اكبر اللهم انت السلام ومنك السلام ودارك دار
السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا
وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة اللهم افتح لي ابواب رحمتك وادخلني جنتك واعذني من الشيطان
الرجيم الخامس اذا دخل المسجد فليدخل من باب بني شيبة وليقل بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى
ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد
عبدك ورسولك وعلى ابرهيم خليلك وعلى جميع انبيائك ورسلك وليرفع يديه ويقول اللهم اني اسالك في
مقامي هذا في اول مناسكي ان تقبل توبتي وتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي
جعله مثابة للناس وامنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم اني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت
بيتك جئت اطلب رحمتك اسالك مسألة المضطر الخائف لعقوبتك الراجي رحمتك الطالب مرضاتك السادس
ان يقصد الحجر الاسود بعد ذلك ويمسه بيده اليمنى ويقبله ويقول اللهم امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته اشهد لي
بالموافاة فان لم يستطع التقبيل وقف في مقابلته ويقول ذلك ثم لا يعرج على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم
الا ان يجد الناس في المكتوبة فيصلي معهم ثم يطوف الجملة الرابعة في الطواف فاذا اراد افتتاح
الطواف اما للقدوم او لغيره فينبغي ان يراعي امورا ستة الاول ان يراعي شروط الصلوة من طهارة الحدث و
الخبث في الثوب والبدن والمطاف وستر العورة فالطواف بالبيت صلاة الا ان الله اباح فيه الكلام وليضطبع
قبل ابتداء الطواف وهو ان يجعل وسط ازاره تحت ابطه الايمن ويجمع طرفيه على منكبه الايسر فيرخي طرفا وراء
ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالادعية التي سنذكرها الثاني اذا فرغ
من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع
بدنه في ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه افضل ولكي لا يكون
طائفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود قد يتصل الشاذروان بالارض ويلتبس به والطائف
عليه لا يصح طوافه لانه طائف في البيت والشاذروان هو الذي فضل من عرض جدار البيت بعد ان ضيق
اعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبتدئ الطواف الثالث ان يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف
بسم الله والله اكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم
ويطوف فاول ما يجاوز الحجر ينتهي الى الباب بالبيت فيقول اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا
الامن امنك وهذا مقام العائذ بك من النار وعند ذكر المقام يشير بعينه الى مقام ابرهيم ويقول اللهم بيتك
عظيم ووجهك كريم وانت ارحم الراحمين فاعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمي ودمي على النار و
آمني من اهوال يوم القيمة واكفني مؤنة الدنيا والاخرة ثم يسبح الله ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي فعنده
يقول اللهم اني اعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق وسوء المنظر في
الاهل والمال والولد فاذا بلغ الميزاب قال اللهم اظلنا تحت عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك اللهم اسقني
بكاس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا اظما بعدها ابدا فاذا بلغ الركن الشامي قال اللهم اجعله حجا مبرورا و
سعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز
الاكرم فاذا بلغ الركن اليماني قال اللهم اني اعوذ بك من الكفر واعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة
المحيا والممات واعوذ بك من الخزي في الدنيا والاخرة ويقول بين الركن اليماني والحجر الاسود اللهم ربنا آتنا في
الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب القبر وعذاب النار فاذا بلغ الى الحجر قال اللهم اغفر لي برحمتك

اعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك تم شوط واحد فيطوف
كذلك سبعة اطواف اشواط ويدعو بهذه الادعية في كل شوط الرابع ان يرمل في ثلثة اشواط ويمشي
الاربعة الاخيرة على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الاسراع في المشي مع تقارب الخطى وهو دون العدو وفوق
المشي المعتاد والمقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد اولا قطعا
لطمع الكفار وبقيت تلك السنة والافضل الرمل مع الدنو من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد افضل
فليخرج الى حاشية المطاف وليرمل ثلاثا ثم ليقرب الى البيت في المزدحم وليمش اربعا وان امكنه استلام الحجر في
كل شوط فهو الاحب وان منعه الزحام اشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن اليماني يستحب من بين سائر
الاركان روي انه عليه الصلوة والسلام كان يستلم الركن اليماني ويقبله ويضع خده عليه ومن اراد تخصيص الحجر
بالتقبيل واقتصر في الركن اليماني على الاستلام اعني اللمس باليد فهو اولى اذ هو الاشهر في الرواية الخامس اذا تم
الطواف سبعا فليات الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزق بالبيت وليتعلق بالاستار
وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الايمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم يا رب البيت العتيق
اعتق رقبتي من النار واعذني من الشيطان الرجيم واعذني من كل سوء وقنعني بما رزقتني وبارك لي فيما اتيتني
اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلني من اكرم وفدك عليك
ثم ليحمد الله كثيرا في هذا الموضع وليصل على رسوله محمد وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر الله
من ذنوبه كان بعض السلف في هذا الموضع يقول لمواليه تنحوا عني حتى اقر لربي بذنوبي السادس اذا فرغ من ذلك
ينبغي ان يصلي خلف المقام ركعتين يقرا في الاولى قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف
قال الزهري مضت السنة ان يصلي لكل سبع ركعتين وان قرن بين اسابيع وصلى ركعتين جاز فعل ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكل اسبوع طواف وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم يسر لي اليسرى وجنبني العسرى و
اغفر لي في الاخرة والاولى اللهم اعصمني بالطافك حتى لا اعصيك واعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك
واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم حببني الى ملائكتك ورسلك والى عبادك
الصالحين اللهم كما هديتني للاسلام فثبتني عليه بالطافك وولايتك واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك واجرني
من مضلات الفتن ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف قال صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت اسبوعا وصلى
ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة هذه كيفية الطواف والواجب من جملته بعد شروط الصلوة ان يستكمل عدد الطواف
سبعا بجميع البيت وان يبتدي بالحجر ويجعل البيت عن يساره وان يطوف داخل المسجد خارج البيت لا على الشاذروان
ولا في الحجر وان يوالي بين الاشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وهيئات الجملة
الخامسة في السعي فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذاة الضلع بين الركن اليماني و
الحجر فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى الى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقي
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة وابتدا السعي من اصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة فينبغي
ان لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي واذا ابتدا من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه في
الصفا ينبغي ان يستقبل البيت ويقول الله اكبر الله اكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه
كلها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده
صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره المشركون
لا اله الا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات

والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون
ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون اللهم اني اسالك ايمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا
وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا واسالك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والاخرة ويصلي على محمد صلى الله عليه
وسلم ويدعو بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويبتدئ السعي وهو يقول رب اغفر وارحم و
اعف عما تعلم وانت الاعز الاكرم اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشي على
هيئته حتى ينتهي الى الميل الاخضر وهو على زاوية المسجد الحرام فاذا بقي بينه وبين محاذاة الميل ستة اذرع اخذ في السير السريع
وهو الرمل حتى ينتهي الى الميلين الاخضرين ثم يعود الى الهيئة فاذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا و
اقبل بوجهه الى الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة واحدة فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان يفعل
ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الى الصفا و
المروة واذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة
بخلاف الطواف واذا سعى فينبغي ان لا يعيد السعي بعد الوقوف ويكتفي بهذا ركنا فانه ليس من شرط السعي ان يتاخر
عن الوقوف وانما ذلك شرط في طواف الركن نعم شرط كل سعي ان يقع بعد طواف اي طواف كان الجملة السادسة في

الوقوف وما قبله الحاج ان انتهى يوم عرفة الى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف و
اذا وصل قبل ذلك بايام وطاف طواف القدوم فيمكث محرما الى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الامام بمكة
خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويامر الناس بالاستعداد للخروج الى منى يوم التروية والمبيت بها والغدو منها
الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد زوال الشمس اذ وقت الوقوف يبتدئ بعد الزوال الى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر
فينبغي ان يخرج الى منى ملبيا ويستحب له المشي من مكة في المناسك الى انقضاء حجه ان قدر عليه والمشي من مسجد
ابرهيم الى الموقف افضل واكد فاذا انتهى الى منى قال اللهم هذه منى فامنن علي بما مننت به على اوليائك و
اهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فاذا اصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذا
طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات ويقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط واقربها من رضوانك و
ابعدها من سخطك اللهم اليك غدوت واياك اعتمدت ووجهك اردت فاجعلني ممن تباهي به اليوم من
هو خير مني وافضل فاذا اتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه و
سلم قبته ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف وليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وجيزة
وقعد واخذ المؤذن في الاذان والامام في الخطبة الثانية ووصل الاقامة بالاذان وفرغ الامام مع تمام اقامة
المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر باذان واقامتين وقصر الصلوة وراح الى الموقف فليقف بعرفة ولا يقفن
في وادي عرنة واما مسجد ابرهيم فصدره في الوادي واخره من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له
الوقوف بعرفة ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت هناك والافضل ان يقف عند الصخرات بقرب
الامام مستقبلا للقبلة راكبا وليكثر من انواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله تعالى والدعاء والتوبة
ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الاحب ان يلبي تارة ويكب
على الدعاء اخرى ولا ينبغي ان ينفصل من طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وان امكنه الوقوف
يوم الثاني ساعة عند امكان الغلط في الهلال فهو الحزم وبه الامن من الفوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر
يوم النحر فقد فاته الحج فعليه ان يتحلل احرامه باعمال العمرة ثم يريق دما لاجل الفوات ثم يقضي وليكن اهم اشغاله
في هذا اليوم الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع يرجى فيه اجابة الدعوات والدعاء الماثور عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم والسلف في يوم عرفة اولى ما يدعو به فليقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا اللهم اشرح لي
صدري ويسر لي امري ويقول اللهم رب الحمد لك الحمد كما نقول وخيرا مما نقول لك صلوتي ونسكي ومحياي و
مماتي واليك مابي واليك ثوابي اللهم اني اعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الامر وعذاب القبر اللهم اني
اعوذ بك من شر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهار وشر ما تهب به الرياح وشر بوائق الدهر اللهم اني اعوذ بك من
تحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في الاخرة والاولى يا خير مقصود و
اسنى منزول عليه واكرم مسئول ما لديه اعطني العشية افضل ما اوتيت احدا من خلقك وحجاج بيتك يا ارحم الراحمين اللهم
يا رفيع الدرجات ومنزل البركات ويا فاطر الارضين والسموات ضجت اليك الاصوات بصنوف اللغات تسالك الحاجات
وحاجتي ان لا تنساني في دار البلاء اذا نسيني اهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي
ولا يخفى عليك شيء من امري انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه اسالك مسئلة المسكين
وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته و
ذل لك جسده ورغم لك انفه اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما يا خير المسئولين واكرم
المعطين الهي من مدح اليك نفسه فاني لائم نفسي الهي اخرست المعاصي لساني فما لي وسيلة من عمل ولا شفيع سوى
الامل الهي اني اعلم ان ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك اكرم الاكرمين الهي ان لم اكن اهلا ان
ابلغ رحمتك فان رحمتك اهل ان تبلغني رحمتك وسعت كل شيء وانا شيء الهي ان ذنوبي وان كانت عظاما ولكنها
صغار في جنب عفوك فاغفرها لي يا كريم الهي انت انت وانا انا انا العواد الى الذنوب وانت العواد الى المغفرة
اللهم ان كنت لا ترحم الا اهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون الهي تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك
قصدا فسبحانك ما اعظم حجتك علي واكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي وفقري اليك وغناك
عني الا غفرت لي يا خير من دعاه داع وافضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد صلى الله عليه وسلم اتوسل
اليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني من موقفي هذا مقضي الحوائج وهب لي ما سالت وحقق رجائي فيما تمنيت
الهي دعوتك بالدعاء الذي علمتنيه فلا تحرمني الرجاء الذي عرفتنيه الهي ما انت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه
خاشع لك بذلة مستكين بجرمه متضرع اليك متحمل تائبا اليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل اليك في
العفو طالبا اليك في النجاح حوائجه راج اليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فيا ملجا كل حي وولي كل مؤمن من احسن
فبرحمتك يفوز ومن اساء فبخطيئته يهلك اللهم خرجنا بفناء دارك اليك خرجنا وبابك املنا وما عندك طلبنا ولاحسانك
تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك اشفقنا وبيتك الحرام حججنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر
الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ويا من ليس فوقه خالق يخشى ويا من ليس له وزير يؤتى ولا حاجب يرشى
يا من لا يزداد على السؤال الا كرما وجودا وعلى كثرة الحوائج الا تفضلا واحسانا اللهم انك جعلت لكل ضيف قرى
ونحن اضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم ان لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج ثوابا
ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب اليك زلفى ولكل متوسل اليك عفوا وقد وفدنا
الى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشاهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا
الهنا تابعت النعم حتى اطمانت الانفس بتتابع نعمك واظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك فظاهرت المنن
حتى اعترف اولياؤك بالتقصير عن حقك واظهرت الايات حتى افصحت السماء والارضون بادلتك وقهرت بقدرتك
حتى خضع كل شيء لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا اساء عبادك حلمت وامهلت واذا احسنوا تفضلت وقبلت

واذا عصينا سترت واذا اذنبنا عفوت واذا دعونا اجبت واذا نادينا سمعت واذا اقبلنا اليك قربت و
اذا ولينا عنك دعوت الهنا انك قلت في كتابك المبين لمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وارضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد لك بالتوحيد مخبتين
ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا فيه
انقص من حظ من دخل في الاسلام الهنا انك احببت التقرب اليك بعتق ما ملكت ايماننا ونحن عبيدك وانت
اولى بالتفضل فاعتقنا وانك امرتنا ان نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وانت احق بالطول والتفضل
فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا انفسنا فانت احق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا و
ارحمنا انت مولانا ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار وليكثر من دعاء
الخضر عليه السلام وهو ان يقول يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات يا من لا تغلطه المسائل ولا
تختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه الحاح الملحين ولا يضجره مسئلة السائلين اذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك و
ليدع لاباء اه وليستغفر لنفسه ولوالديه وليلح في الدعاء وليعظم المسئلة فان الله تعالى لا يتعاظمه شيء قال
مطرف بن عبد الله وهو بعرفة اللهم لا ترد الجمع من اجلي قال بكر المزني نظرت الى اهل عرفات فظننت انهم قد غفر لهم
لولا اني كنت فيهم **الجملة السابعة في بقية اعمال الحج** بعد الوقوف من المبيت والرمي والنحر والحلق
والطواف فاذا افاض من عرفات بعد غروب الشمس فينبغي ان يكون على السكينة والوقار وليجتنب وجيف الخيل
كما يعتاده بعض الناس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن وجيف الخيل وايضاع الابل وقال اتقوا الله
وسيروا سيرا جميلا لا تطؤا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما واذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لان المزدلفة من الحرم فليدخل
بغسل وان قدر على دخوله ماشيا فهو افضل واقرب الى توقير الحرم ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية
فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم ان هذه مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة تسالك حوائج مؤتنفة فاجعلني ممن
دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا لها
باذان واقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ويبدا بنافلة المغرب
ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين وهكذا يفعل الجامع في السفر فان ترك النوافل في السفر خسران ظاهر وتكليف
ايقاعها في الاوقات اضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرائض واذا جاز ان تؤدى النوافل مع الفرض بتيمم واحد
لحكم التبعية فان يجوز اداؤها على حكم الجمع بالتبعية اولى ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض في جواز ادائه
على الراحلة لما اومانا اليه من التبعية الخاصة في الحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن خرج
منها في النصف الاول ولم يبت فعليه دم واحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم مهما انتصف
الليل ياخذ في التاهب للرحيل ويتزود الحصى منها فان فيها احجارا رخوة فلياخذ سبعين حصاة فانه قدر الحاجة
ولا باس بان يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضه وليكن الحصى خفافا بحيث يحتوي عليه اطراف البراجم ثم
ليغلس بصلوة الصبح وليأخذ في السير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو اخر المزدلفة فيقف ويدعو الى وقت
الاسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام بلغ روح محمد منا التحية
والسلام وادخلنا دار السلام يا ذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهي الى موضع يقال له وادي
محسر فيستحب ان يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وان كان راجلا اسرع في المشي ثم اذا اصبح يوم النحر خلط
التلبية بالتكبير فيلبي تارة ويكبر اخرى فينتهي الى منى ومواضع الجمرات وهي ثلاثة فيتجاوز الاولى والثانية فلا شغل له
معهما يوم النحر حتى ينتهي الى جمرة العقبة وهي على يمين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلا في سفح الجبل و

هو ظاهر مواقع الجمرات ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته ان يقف مستقبلا للقبلة و
ان استقبل الجمرة فلا باس ويرمي سبع حصيات رافعا يديه ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة اللهم
تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك فاذا رمى قطع التلبية والتكبير الا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر
الى عقيب الصبح اخر ايام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله وصيغة التكبير ان يقول الله اكبر الله اكبر
الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده لا اله الا الله والله اكبر ثم ليذبح الهدي ان كان معه والاولى ان يذبح
بنفسه وليقل بسم الله والله اكبر اللهم منك وبك ولك تقبل مني كما تقبلت من خليلك ابرهيم والتضحية بالبدن افضل ثم
بالبقر ثم بالشاة والشاة افضل من مشاركة ستة في البدنة او البقرة والضان افضل من المعز قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير الاضحية الكبش الاقرن والبيضاء افضل من الغبراء والسوداء قال ابو هريرة البيضاء افضل في
الاضحى من دم سوداوين وليأكل منه ان كان هدي التطوع ولا يضحين بالجدعاء والعضباء والعجفاء والجدع في
الانف والاذن القطع منهما والعضب في القرن وفي نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة الاذن من فوق والخرقاء من
اسفل والمقابلة المخروقة الاذن من قدام والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة التي لا تنقي اي لا مخ لها من الهزال ثم
ليحلق بعد ذلك والسنة ان يستقبل القبلة ويبتدئ بمقدم راسه فيحلق الشق الايمن الى العظمين المشرفين على القفا
ثم يحلق الباقي ويقول اللهم اثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة وارفع لي بها عندك درجة والمراة تقصر
من شعرها والاصلع يستحب له امرار الموسى على راسه ومهما حلق بعد رمي الجمرة فقد حصل التحلل الاول وحل له كل المحظورات
الا النساء والصيد ثم يفيض الى مكة ويطوف كما وصفنا وهذا الطواف طواف ركن في الحج ويسمى طواف
الزيارة واول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وافضل وقته يوم النحر ولا اخر لوقته بل له ان يؤخر الى اي وقت شاء
ولكن يبقى مقيدا بعلقة الاحرام فلا تحل له النساء الى ان يطوف فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام
بالكلية ولم يبق الا الرمي ايام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية
هذا الطواف مع الركعتين كما سبق في طواف القدوم فاذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا ان لم يكن سعى
بعد طواف القدوم وان كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغي ان يعيد السعي واسباب التحلل ثلاثة الرمي و
الحلق والطواف الذي هو ركن ومهما اتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل احد التحللين ولا حرج عليه في التقديم
والتاخير لهذه الثلاثة مع الذبح ولكن الاحسن ان يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام في هذا اليوم
ان يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الحج اربع خطب خطبة يوم السابع و
خطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر وخطبة يوم النفر الاول وكلها عقيب الزوال وكلها افراد الا خطبة يوم عرفة
فانها خطبتان بينهما جلسة ثم اذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت والرمي فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة
القر لان الناس في غد يقرون بمنى ولا ينفرون فاذا اصبح اليوم الثاني من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي و
قصد الجمرة الاولى التي تلي عرفة وهي على يمين الجادة ويرمي اليها سبع حصيات فاذا تعداها انحرف قليلا عن يمين
الجادة ووقف مستقبل القبلة فحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف
مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يتقدم الى الجمرة الوسطى ويرمي كما رمى الاولى و
يقف كما وقف للاولى ثم يتقدم الى جمرة العقبة ويرمي سبعا ولا يعرج على شغل بل يرجع الى منزله ويبيت تلك
الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الاول ويصبح فاذا صلى الظهر في اليوم الثاني من ايام التشريق رمى في هذا
اليوم احدى وعشرين حصاة كما سبق كاليوم الذي قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود الى مكة فان خرج

من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وان صبر الى الليل فلا يجوز له الخروج بل يلزمه المبيت حتى يرمي في اليوم النفر
الثاني احدى وعشرين حصاة كما سبق وفي ترك المبيت والرمي اراقة دم وليتصدق باللحم وله ان يزور البيت
في ليالي منى بشرط ان لا يبيت الا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ولا يترك حضور الفرايض
مع الامام في مسجد الخيف فان فضل ذلك عظيم فاذا افاض من منى فالاولى ان يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر
والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة رواه جماعة من الصحابة وان لم يفعل فلا شيء عليه الجملة الثامنة في
صفة العمرة وما بعدها الى طواف الوداع من اراد ان يعتمر قبل حجه او بعده كيفما اراد فيغتسل ويلبس ثياب
الاحرام كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وافضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وينوي العمرة و
يلبي ويقصد مسجد عايشة ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود الى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فاذا
دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفناه فاذا فرغ حلق راسه وقد تمت عمرته والمقيم بمكة
ينبغي ان يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر الى البيت فاذا دخله فليصل بين العمودين فهو الافضل وليدخله
حافيا موقرا قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما ارى هاتين القدمين اهلا للطواف حول
بيتي فكيف اراهما اهلا لان اطا بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشتا والى اين مشتا وليكثر من شرب ماء
زمزم وليستق بيده من غير استنابة ان امكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم
وارزقني الاخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والاخرة قال صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له اي يشفي ما
قصد به الجملة التاسعة في طواف الوداع مهما عن له الرجوع الى الوطن بعد الفراغ من اتمام الحج والعمرة فلينجز اولا
اشغاله وليشد رحاله وليجعل اخر اشغاله وداع البيت ووداعه بان يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل و
اضطباع فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم ياتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم ان البيت بيتك
والعبد عبدك وابن عبدك وابن امتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى
اعنتني على قضاء مناسكك فان كنت رضيت عني فازدد عني رضى والا فمن الان قبل ان تنائ عن بيتك داري
هذا اوان انصرافي ان اذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك وارزقني طاعتك اللهم
اصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني واحسن منقلبي وارزقني طاعتك ما ابقيتني واجمع لي خير الدنيا والاخرة
انك على كل شيء قدير اللهم لا تجعل هذا اخر عهدي ببيتك الحرام وان جعلته اخر عهدي فعوضني عنه الجنة و
الاحب ان لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه الجملة العاشرة في زيارة المدينة وادابها قال
النبي صلى الله عليه وسلم من زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي وقال من وجد سعة ولم يفد الي فقد جفاني
وقال من جاءني زائرا لا يهمه الا زيارتي كان حقا على الله ان اكون له شفيعا فمن قصد زيارة المدينة فليصل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا في طريقه فاذا وقع بصره على حيطان المدينة واشجارها قال اللهم
هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وامانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة
وليتطيب وليلبس انظف ثيابه فاذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله رب
ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله و
يصلي بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون
الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يغير المسجد وليجتهد ان
يصلي في مسجد الاول قبل ان يزاد فيه ثم ياتي قبر النبي عليه الصلوة والسلم فيقف عند وجهه وذلك بان
يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو اربعة اذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على

على راسه وليس من السنة ان يمس الجدار ولا ان يقبله بل الوقوف من بعد اقرب الى الاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول
الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا امين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة
الله السلام عليك يا احمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا ابا القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا
بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا اكرم ولد ادم السلام عليك يا سيد المرسلين
السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك يا
نبي الرحمة السلام عليك يا هادي الامة السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى اهل بيتك الذين اذهب الله عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى اصحابك الطاهرين وازواجك الطاهرات امهات المؤمنين جزاك الله عنا افضل ما جزا
نبيا عن قومه ورسولا عن امته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك الغافلون وصلى عليك في الاولين والاخرين افضل
واجل واكمل واعلى واطيب واطهر ما صلى على احد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك
من الجهالة اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وامينه وصفيه وخيرته من خلقه واشهد انك قد
بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت عدوك وهديت امتك وعبدت ربك حتى اتاك اليقين فصلى الله عليك
وعلى اهل بيتك الطيبين وسلم وكرم وشرف وعظم وان كان قد اوصي بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان السلام عليك
من فلان ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على الصديق رضي الله عنه لان راسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم وراس عمر عند منكب
ابي بكر ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضي الله عنه ويقول السلام عليكما يا وزيري رسول الله والمعاونين له على
القيام بالدين ما دام حيا والقائمين في امته بعده بامور الدين تتبعان في ذلك اثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزى
وزيري نبي على دينه ثم يرجع ويقف عند راس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد
الله وليمجده وليكثر من الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم انك قلت ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله
واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم انا قد سمعنا قولك واطعنا امرك وقصدنا نبيك مستشفعين به
اليك في ذنوبنا وما اثقل ظهورنا من اوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع
نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والانصار واغفر لاخواننا الذين سبقونا بالايمان
اللهم لا تجعله اخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا ارحم الراحمين ثم ياتي الروضة فيصلي فيها ويكثر من الدعاء ما استطاع
لقوله صلى الله عليه وسلم ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ويدعو عند المنبر ويستحب له ان
يضع يده على الرمانة التي كان صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب له ان ياتي احدا يوم الخميس ويزور
قبور الشهداء فيصلي الغداة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حتى يخرج ويعود الى المسجد لصلوة الظهر فلا يفوته فريضة
في الجماعة في المسجد ويستحب ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر عثمان وقبر الحسن
بن علي رضي الله عنهما وفيه ايضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها ويزور قبر
ابرهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك كله في البقيع ويستحب ان ياتي
مسجد قبا في كل سبت ويصلي فيه لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته حتى ياتي مسجد قبا ويصلي فيه كان
عدل عمرة ويأتي بئر اريس يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها وهي عند المسجد فيتوضا منها ويشرب من مائها ويأتي
مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا ياتي سائر المساجد والمشاهد ويقال ان جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلثون موضعا
يعرفها اهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الابار التي كان عليه الصلوة والسلم يتوضا منها ويغتسل ويشرب منها وهي
سبعة ابار طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم وان امكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم قال صلى الله
عليه وسلم لا يصبر على لاوائها وشدتها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يموت بالمدينة

فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة ثم اذا فرغ من اشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب ان ياتي القبر ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسال الله ان يرزقه العود اليه ويسال السلامة في سفره ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان زيدت المقصورة في المسجد فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى اولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط اوزاري بزيارته واصحبني في سفري ويسر رجوعي الى اهلي سالمين يا ارحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتتبع المساجد التي بين المدينة ومكة فيصلي فيها وهي عشرون موضعا

فصل في سنن الرجوع

من السفر كان صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو او حج او عمرة يكبر على كل شرف من الارض ثلث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وفي بعض الروايات وكل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فينبغي ان يستعمل هذه السنة في رجوعه واذا اشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كي لا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا ينبغي ان يطرق اهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد اولا وليصل ركعتين فهو السنة كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر في منزله فلا ينبغي ان ينسى ما انعم الله به عليه من زيارة بيته فيكفر تلك النعمة بان يعود الى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته ان يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة متاهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت

الباب الثالث في الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة

بيان دقائق الآداب

وهي عشرة الاول ان تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية عن تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله تعالى والقلب مطمئنا منصرفا الى ذكر الله وتعظيم شعائره وقد روي في خبر من طريق اهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج الناس الى الحج اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم للسمعة وفي الخبر اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي يتصور ان تتصل بالحج وكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لا سيما اذا كان متجردا بنفس الحج بان يحج لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وارباب القلوب ذلك الا ان يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا باس ان ياخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا بل بالدنيا الى الدين وعند ذلك ينبغي ان يكون قصده زيارة بيت الله ومعاونة اخيه المسلم باسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل قوله عليه الصلوة والسلم يدخل الله تعالى بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصي بها والمنفذ لها ومن حج بها عن اخيه ولست اقول لا تحل الاجرة او يحرم ذلك بعد ان اسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الاولى ان لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فان الله يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر مثل الذي يغزو في سبيل الله تعالى ويأخذ اجرا كمثل ام موسى ترضع ولدها وتاخذ اجرها فمن كان مثاله في اخذ الاجرة على الحج مثال ام موسى فلا باس باخذه فانه ياخذ ليتمكن من الحج والزيارة وليس يحج لياخذ كما كانت ام موسى تاخذ ليتيسر لها الارضاع بتلبيس حالها عليهم الثاني ان لا يعاون اعداء الله بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من امراء مكة او الاعراب المترصدين في الطريق فان تسليم المال اليهم اعانة على الظلم وتيسير لاسبابه عليهم فهو كالاعانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا باس بما قاله ان ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق افضل من اعانة الظلمة فان هذه بدعة احدثت وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل الجزية ولا معنى لقول القائل ان ذلك يؤخذ مني وانا مضطر فانه لو قعد في البيت او رجع من الطريق لم يؤخذ بل ربما يظهر اسباب الترف فيكثر مطالبته ولو كان في زي الفقراء لم يطالب فهو الذي ساق نفسه الى حالة الاضطرار الثالث التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا اسراف بل على الاقتصاد واعني بالاسراف التنعم باطايب الاطعمة والترفه بشرب انواعها على عادة المترفين واما كثرة البذل فلا سرف فيه اذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله والدرهم بسبعمائة درهم قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول افضل الحجاج اخلصهم نية وازكاهم نفقة واحسنهم يقينا وقال صلى الله عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل له يا رسول الله ما بر الحج فقال طيب الكلام واطعام الطعام الرابع ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن والرفث اسم جامع لكل لغو وخنا وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشان الجماع محظور والفسوق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رفث فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع اطعام الطعام من بر الحج والمماراة تناقض طيب الكلام فلا ينبغي ان يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيرهم من اصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الاذى بل احتمال الاذى وقيل سمي السفر سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم انه يعرف رجلا هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا فقال ما اراك تعرفه الخامس ان يحج ماشيا ان قدر عليه فذلك افضل اوصى عبد الله بن عباس بنيه عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف والاستحباب في المشي في المناسك والتردد من مكة الى الموقف والى منى آكد منه في الطريق وان اضاف الى المشي الاحرام من دويرة اهله فقد قيل ان ذلك من اتمام الحج قاله عمر وعلي وابن مسعود في معنى قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلماء الركوب افضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ولانه ابعد من ضجر النفس واقل لاذاه واقرب الى سلامته وتمام حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للاول بل ينبغي ان يفصل ويقال من سهل عليه المشي فهو افضل فان كان يضعف ويؤدي ذلك به الى سوء خلق وقصور عن عمل فالركوب له افضل كما ان الصوم افضل للمسافر والمريض ما لم يفض الى ضعف وسوء خلق وسئل بعض العلماء عن العمرة المشي فيها افضل او يكتري بحمار بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم اشد عليه فالكراء افضل من المشي وان كان المشي اشد عليه كالاغنياء فالمشي له افضل وكانه ذهب فيه الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الافضل ان يمشي ويصرف ذلك الدرهم الى الخير فهو اولى من صرفه الى المكاري عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كان لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه السادس ان لا يركب الا زاملة اما المحمل فليجتنبه الا اذا كان يخاف ان لا يستمسك على الزاملة لعذر وفيه معنيان احدهما التخفيف عن البعير فان المحمل يؤذيه والثاني اجتناب زي المترفهين والمتكبرين حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديه وشمائله وقال خذوا عني مناسككم وقيل ان هذه المحامل احدثها الحجاج وكان العلماء في وقته ينكرونها وروى سفيان الثوري عن ابيه انه قال برزت من الكوفة الى القادسية للحج ووافت الرفاق من البلدان فرايت الحاج كلهم على الزوامل والجوالقات والرواحل وما رايت في جميعهم الا محملين وكان ابن عمر اذا نظر الى ما احدث الحاج من الزي والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر الى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحجاج السابع ان يكون رث الهيئة اشعث اغبر غير مستكثر

من الزينة والاميال الى اسباب التفاخر والتكاثر فيكتب في المتكبرين والمترفهين ويخرج عن حزب الضعفاء و
المساكين وخصوص الصالحين فقد امر صلى الله عليه وسلم بالشعث والاحتفاء ونهى عن التنعم والرفاهية في حديث
فضالة بن عبيد وفي الخبر انما الحاج الشعث التفل يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتي قد جاءوني شعثا غبرا من كل فج
عميق وقال الله تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وقص الاظفار وكتب عمر بن الخطاب الى
امراء الاجناد اخلولقوا واخشوشنوا اي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الاشياء وقد قيل زين الحجيج اهل
اليمن لانهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف وينبغي ان يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيف ما كان على
العموم فقد روي انه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فنزل اصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى اكسية حمر على الاقتاب
فقال ارى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنا اليها فنزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل الثامن ان يرفق
بالدابة فلا يحملها ما لا يطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان اهل الورع لا ينامون
على الدواب الا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم
كراسي ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف
يكتري بشرط ان لا ينزل ويوفي الاجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيكون في حسناته ويوضع في
ميزانه لا في ميزان المكاري وكل من آذى بهيمة وحملها ما لا يطيق طولب به في القيامة قال ابو الدرداء لبعير له عند الموت يا
ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم اكن احملك فوق طاقتك وعلى الجملة ففي كل كبد حرى اجر فليراع حق الدابة وحق المكاري
جميعا وفي نزوله ساعة ترويح للدابة وسرور قلب المكاري قال رجل لابن المبارك احمل لي هذا الكتاب معك لتوصله
فقال حتى استاذن الجمال فاني قد اكتريت فانظر كيف تورع عن حمل كتاب لا وزن له ولكنه هو طريق الحزم في الورع فانه
اذا فتح باب القليل انجر الى الكثير يسيرا يسيرا التاسع ان يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه ويجتهد ان يكون
من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه ان كان تطوعا ولا يأكل ان كان واجبا قيل في تفسير قوله تعالى ومن يعظم شعائر الله
انه تحسينه وتسمينه وسوق الهدي من الميقات افضل ان كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس في شرائه فقد كانوا
يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة وان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله
وروى ابن عمر ان عمر اهدى بختية فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا
فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيها
تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم انما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله تعالى
فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد ام قل
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال العج والثج والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن وروت
عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل آدمي يوم النحر احب الى الله عز وجل من اهراق دم وانها لتاتي
يوم القيامة بقرونها واظلافها فان الدم يقع من الله تعالى بمكان قبل ان يقع الى الارض فطيبوا بها نفسا وفي الخبر لكم
بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فابشروا العاشر ان يكون طيب
النفس بما انفقه من نفقة وهدي وبما اصابه من خسران ومصيبة في مال او بدن ان اصابه ذلك فان ذلك من دلائل
قبول حجه فان المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة درهم وهو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله
بكل اذى احتمله وخسران اصابه ثواب فلا يضيع منه شيء عند الله ويقال ان من علامة قبول الحج ترك ما كان عليه
من المعاصي وان يتبدل باخوانه البطالين اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر والموعظة واليقظة بيان

الاعمال الباطنة ووجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر

لاسرارها ومعانيها من اول الحج الى آخره اعلم ان اول الحج الفهم اعني فهم موقع الحج من الدين ثم الشوق اليه ثم العزم
عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الحج ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم السير في البادية ثم
الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الامور تذكرة للمتذكر
وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف واشارة للفطن الى اسرارها اذا انفتح بابها وعرفت اسبابها
انكشف لكل حاج من اسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة علمه اما الفهم فاعلم انه لا وصول الى الله سبحانه
وتعالى الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه وتعالى في جميع الحركات
والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق
لطلب الانس بالله فتركوا لله اللذات الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة واثنى الله تعالى عليهم في
كتابه فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع الشهوات
وهجروا التجرد لعبادة الله وفتروا عنها بعث الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم لاحياء طريق الآخرة وتجديد
سنة المرسلين في سلوكها فسأله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال صلى الله عليه ابدلنا بها الجهاد والتكبير
على كل شرف يعني الحج وسئل صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال هم الصائمون فانعم الله سبحانه على هذه الامة بان جعل
الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما
لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده
الزوار من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة
لعزته مع الاعتراف بتنزهه عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في اذعانهم وانقيادهم
ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تانس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد
بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكوة ارفاق ووجهه مفهوم
وللعقل اليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود في
الصلوة تواضع لله سبحانه بافعال هي هيئة التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله سبحانه وتعالى فاما ترددات السعي ورمي
الجمار وامثال هذه الاعمال فلا حظ للنفس ولا انس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون في الاقدام عليها باعث
الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط وفيه عزل العقل عن تصرفه وصرف النفس و
الطبع عن محل انسه فان كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا معه على
الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا
ورقا ولم يقل ذلك في صلوة ولا غيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بان تكون اعمالهم على خلاف هوى
طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى
الى معانيه ابلغ انواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق واذا
تفطنت لهذا فهمت ان تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن اسرار التعبدات وهذا القدر كاف
في تفهيم اصل الحج اما الشوق فانما ينبعث بعد الفهم والتحقق بان البيت بيت الله وانه مثل ووضع على مثال الملوك
فقاصده قاصد الى الله وزائر له وان من قصد البيت في الدنيا جدير بان لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة
في ميعاده المضروب له وهو النظر الى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية في دار الدنيا
لا تتهيأ لنور النظر الى وجه الله ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وانها ان امدت في الدار الآخرة
بالبقاء ونزهت عن اسباب التغير والفناء استعدت للنظر والابصار ولكنها بقصد البيت والنظر اليه تستحق لقاء

الاحرام ١٠

رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق الى لقاء الله يشوقه الى اسباب اللقاء لا محالة هذا مع ان المحب مشتاق الى كل ما له
الى محبوبه اضافة والبيت مضاف الى الله تعالى فبالحرى ان يشتاق اليه لمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد
عليه من الثواب الجزيل واما **العزم** فليعلم انه بعزمه قاصدا الى مفارقة الاهل والوطن ومهاجرة الشهوات و
اللذات متوجها الى زيارة بيت الله فليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم انه عزم على امر رفيع شانه
خطير امره وان من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقق
انه لا يقبل من قصده وعمله الا الخالص وان من افحش الفواحش ان يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح
مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه واخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة وليحذر ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي
هو خير واما **قطع العلائق** فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن كل معصية فكل مظلمة علاقة وكل علاقة
مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادي عليه ويقول له الى اين تتوجه اتقصد بيت ملك الملوك وانت مضيع امره في
منزلك هذا ومستهين به ومهمل له او لا تستحيي من ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فان كنت
راغبا في قبول زيارتك فنفذ اوامره ورد المظالم وتب اليه اولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات
الى ما وراءك لتكون متوجها اليه بوجه قلبك كما انك متوجه الى بيته بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك
اولا الا النصب والشقاء واخرا الا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر ان لا يعود اليه
وليكتب وصيته لاهله واولاده فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق
لسفر الاخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر واليه المصير
فلا ينبغي ان يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر واما **الزاد** فليطلبه من موضع حلال واذا احس من
نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر ان سفر الاخرة
اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه مما يظن انه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه
كالطعام الرطب الذي يفسد في اول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له فليحذر ان يكون اعماله
التي هي زاده الى الاخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير واما **الراحلة** اذا احضرها
فليشكر الله سبحانه بقلبه على تسخيره له الدواب لتحمل عنه الاذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذي يركبه الى دار
الاخرة وهو النعش الذي يحمل عليه فان امر الحج من وجه يوازي امر السفر الى الاخرة ولينظر ايصلح سفره على هذا المركب لان يكون
زادا له لذلك السفر على ذلك المركب فما اقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل
وركوب الجنازة مقطوع به وتيسر اسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في اسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده
وراحلته ويهمل امر السفر المستيقن واما **شراء ثوب الاحرام** فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فانه سيرتدي
ويتزر بثوبي الاحرام عند القرب من بيت الله وربما لا يتم سفره اليه وانه سيلقى الله تعالى ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة وكما
لا يلقى بيت الله الا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله بعد الموت الا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من
ذلك الثوب اذ ليس فيه مخيط كما في الكفن واما **الخروج من البلد** فليعلم عنده انه فارق الاهل والوطن
متوجها الى الله في سفر لا يضاهي اسفار الدنيا فليحضر في قلبه انه ماذا يريد واين يتوجه وزيارة من يقصد وانه متوجه
الى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا وقطعوا العلائق وفارقوا
الخلائق واقبلوا على بيت الله الذي فخم امره وعظم شانه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت الى ان
يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر الى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا ادلالا باعماله في الارتحال
ومفارقة الاهل والمال ولكن ثقة بفضل الله ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج انه ان لم يصل وادركته

المنية لقي الله تعالى وافدا اليه اذ قال الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره
على الله واما **دخول البادية** الى حين وصوله الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا
بالموت الى ميقات القيامة وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير
ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعي والحيات ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر
وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في اعماله واقواله متزودا لمخاوف القبر واما **الاحرام** والتلبية من الميقات
فليعلم ان معناه اجابة الله تعالى فارج ان يكون مقبولا واخش ان يقال لك لا لبيك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف
مترددا وعن حولك وقوتك متبرئا وعلى فضل الله وكرمه متكلا فان وقت التلبية هو بداية الامر وهو محل الخطر قال
سفيان بن عيينة حج علي بن الحسين فلما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع
ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقال لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط من راحلته فلم يزل
يعتريه ذلك حتى قضى حجه وقال احمد بن ابي الحواري كنت مع ابي سليمان الداراني حين اراد الاحرام فلم يلب حتى
سرنا ميلا واخذه كالغشية ثم افاق وقال يا احمد ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلام مر ظلمة بني اسرائيل ان يقلوا
من ذكري فاني اذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك يا احمد بلغني ان من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك
حتى ترد ما في يديك فما نامن ان يقال لنا ذلك وليتذكر الملبي عند رفع الاصوات بالتلبية في الميقات اجابته لنداء
الله تعالى اذ قال واذن في الناس بالحج ياتوك نداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات
القيامة مجيبين لنداء الله ومنقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين في اول الامر بين الخوف والرجاء
تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج وقبوله اولا واما **دخول مكة** فليتذكر عنده انه قد
انتهى الى حرم آمن وليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب الله وليخش ان لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخول الحرم خائبا
مستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الاوقات غالبا فالكرم عميم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير
اللائذ غير مضيع واما وقوع البصر **على البيت** فينبغي ان يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقدر انه
مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه وارج ان يرزقك الله النظر الى وجهه الكريم كما رزقك النظر الى بيته العظيم و
اشكر الله تعالى على تبليغه اياك هذه الرتبة والحاقه اياك بزمرة الوافدين اليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في
القيامة الى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم الى ماذونين في الدخول والى مصروفين انقسام الحاج الى مقبولين
والى مردودين ولا تغفل عن تذكر امور الاخرة في شيء مما تراه فان كل احوال الحاج دليل على احوال الاخرة واما
الطواف بالبيت فاعلم انه صلوة واحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلوة
واعلم انك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين من حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن ان المقصود طواف
جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا يبتدئ الذكر الا منه ولا يختم الا به كما يبتدئ الطواف
من البيت ويختم بالبيت واعلم ان الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم
الشهادة لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي في عالم الملكوت كما ان البدن مثال ظاهر في عالم
الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب و
الملكوت لمن فتح له الباب والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السموات بازاء الكعبة وان طواف
الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب
الامكان ووعدوا بان من تشبه بقوم فهو منهم والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال ان الكعبة تزوره و
تطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله واما **الاستلام** فاعتقد عنده انك مبايع لله على طاعته

فصمم عزمك على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت وقد روي ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال الحجر يمين الله في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل اخاه واما التعلق باستار الكعبة والالتصاق بالملتزم
فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حبا وشوقا الى البيت والى رب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار في
كل جزء لا في البيت ولتكن نيتك في التعلق بالستر الالحاح في طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من
اذنب اليه المتضرع اليه في عفوه عنه المظهر له انه لا ملجا له منه الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق
ذيله الا بالعفو وبذل الامن في المستقبل واما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فانه يضاهي تردد العبد
بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي
دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول او رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة
بعد اخرى يرجو ان يرحم في الثانية ان لم يرحم في الاولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي
الميزان في عرصات القيمة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا الى
الرجحان والنقصان مترددا بين العقاب والغفران واما الوقوف بعرفة فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع
الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر اقتداء بهم وسيرا بسيرهم عرصات القيمة و
اجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين
الرد والقبول واذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال الى الله لتحشر في زمرة المرحومين وتحقق رجاءك بالاجابة
فالموقف شريف والرحمة انما تصلت من حضرة الجلال الى كافة الخلائق بواسطة القلوب العزيزة من اوتاد الارض ولا
ينفك الموقف عن طبقة من الابدال والاوتاد وطبقات من الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم
وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله ايديهم وامتدت اليه اعناقهم وشخصت نحو السماء ابصارهم مجتمعين
بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن انه يخيب املهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان من
اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان الله لا يغفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الابدال والاوتاد
المجتمعين من اقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق الى استدرار رحمة الله مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب
في وقت واحد على صعيد واحد واما رمي الجمار فاقصد به الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية وانتهاضا
لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ثم اقصد به التشبه بابرهيم صلوات الله على نبينا وعليه حيث عرض له ابليس في
ذلك الموضع على حجه شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله تعالى ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله وان خطر لك ان الشيطان
عرض له وشاهده فلذلك رماه واما انا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان وانه الذي القاه في قلبك
ليفتر عزمك في الرمي ويخيل اليك انه فعل لا فائدة فيه وانه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير
في الرمي فيه برغم انف الشيطان واعلم انك في الظاهر ترمي الحصا الى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به
ظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثالك امر الله تعظيما لمجرد الامر من غير حظ للنفس والعقل فيه واما ذبح الهدي
فاعلم انه تقرب الى الله بحكم الامتثال فاكمل الهدي واجزاءه وارج ان يعتق الله بكل جزء منه جزءا منك من النار هكذا ورد
الوعد وكلما كان الهدي اكبر واجزاؤه اوفر كان فداؤك به من النار اعم واما زيارة المدينة فاذا وقع بصرك على
حيطانها فتذكر انها البلدة التي اختارها الله تعالى لنبيه عليه الصلوة والسلم وجعل اليها هجرته وانها الدار التي فيها شرع
فرايض الله وسننه وجاهد عدوه واظهر بها دينه الى ان توفاه الله عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين
بالحق بعده ثم مثل في نفسك مواقع اقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها وانه ما من موضع قدم تطاه
الا وهو موقع قدمه العزيزة فلا تضع قدمك عليه الا على سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه

وسكينته في المشي وما استودع الله قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره حتى قرنه بذكر نفسه واحباطه عمل من هتك
حرمته ولو برفع صوته فوق صوته ثم تذكر ما من الله به على الذين ادركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه
واعظم تاسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة اصحابه رضي الله عنهم ثم اذكر انك قد فاتتك رؤيته في الدنيا وانك من رؤيته
في الاخرة على خطر وانك ربما لا تراه الا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله اياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم
يرفع الى اقوام فيقولون يا محمد يا محمد فاقول يا رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول بعدا وسحقا فان
انت تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تامن ان يحال بينك وبينه لعدولك عن محجته ولتعظم مع ذلك
رجاءك ان لا يحول بينك وبينه بعد ان رزقك الايمان واشخصك من وطنك لاجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا
بل لمحض حبك له وشوقك الى ان تنظر الى اثاره والى حائط قبره اذ سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما
اجدرك ان ينظر الله اليك بعين الرحمة فاذا بلغت المسجد فاذكر انها العرصة التي اختارها الله تعالى لنبيك عليه الصلوة والسلم
ولاول المسلمين وافضلهم عصابة وان فرايض الله عز وجل اول ما اقيمت في تلك العرصة وانها جمعت افضل خلق الله حيا وميتا
فليعظم املك في الله عز وجل ان يرحمك بدخولك اياها وادخلها خاشعا معظما وما اجدر هذا المكان بان يستدعي الخشوع
من قلب كل مؤمن كما حكي عن ابي سليمان انه قال حج اويس القرني رضي الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر
النبي صلى الله عليه وسلم فغشي عليه فلما افاق قال اخرجوني فليس يلذ لي بلد فيه محمد مدفون ولشاد بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم
واما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي ان تقف بين يديه كما وصفنا وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره
الا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة في ان لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعيد ماثلا بين يديه
فافعل فان المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود واعلم انه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك
وصلواتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في اللحد بازائك واحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روي عنه عليه الصلوة
والسلم ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع
البوادي شوقا الى لقائه واكتفاء بمشاهدة مشهده الكريم اذا فاته مشاهدة غرته الكريمة وقد قال صلى الله عليه وسلم
من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا فهذا جزاؤه في الصلوة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ثم ائت منبر الرسول
صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ومثل في قلبك طلعته البهية قائما على المنبر وقد احدق به
المهاجرون والانصار وهو يحثهم على طاعة الله بخطبته وسل الله ان لا يفرق في القيمة بينك وبينه فهذه وظيفة القلب
في اعمال الحج فاذا فرغ منها كلها فينبغي ان يلزم قلبه الهم والحزن والخوف فانه ليس يدري اقبل منه حجه واثبت في زمرة
المحبوبين ام رد حجه والحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه واعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور و
انصرافا الى الانس بالله ووجد اعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله لا يتقبل الا ممن احبه ومن احبه تولاه واظهر
عليه اثار محبته وكف عنه سطوة عدوه ابليس فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان كان الامر بخلافه فيوشك ان يكون حظه
من سفره العناء والتعب اخر كتاب الحج واسراره وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد واله الطاهرين اصحاب الخير والتبجيل

كتاب اداب تلاوة القران وهو الكتاب الثامن من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه
وسلم وكتابه المنزل عليه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى اتسع على اهل الافكار طريق الاعتبار بما فيه من
القصص والاخبار واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الاحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء
والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما في الصدور من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله هو حبل الله المتين
ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الاوفى هو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا تنقضي عجائبه ولا تتناهى غرائبه ولا

يحيط بغرائبه عند اهل الفهم تحديد ولا يخلق عند اهل التلاوة كثرة الترديد هو الذي ارشد الاولين والاخرين ولما
سمعته الجن لم يلبثوا ان ولوا الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به وكل من امن به فقد
وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدي ومن عمل به فقد فاز وقد قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون ومن اسباب حفظه في القلوب والمصاحف تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بادابه وشروطه
والمحافظة على ما فيه من الاعمال الباطنة والاداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وينكشف مقاصده في اربعة
ابواب **الباب الاول** في فضل القران واهله **الباب الثاني** في اداب التلاوة في الظاهر
الباب الثالث في الاعمال الباطنة عند التلاوة **الباب الرابع** في فهم القران وتفسيره بالرأي

الباب الاول في فضل القران واهله وذم المقصرين في تلاوته **فضيلة القران** قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا القران ثم راى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظمه الله وقال عليه الصلوة والسلم
ما من شفيع افضل منزلة عند الله من القران لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال صلى الله عليه وسلم لو كان القران في
اهاب ما مسته النار وقال صلى الله عليه وسلم افضل عبادة امتي قراءة القران وقال ايضا ان الله عز وجل قرا طه ويس
قبل ان يخلق الخلق بالفي عام فلما سمعت الملائكة القران قالت طوبى لامة تنزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا و
طوبى لالسنة تنطق بهذا وقال عليه الصلوة والسلم خيركم من تعلم القران وعلمه وقال يقول الله عز وجل من شغله
القران عن دعائي ومسئلتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين وقال ثلاثة يوم القيمة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم
فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرا القران ابتغاء وجه الله عز وجل وام به قوما وهم به راضون
وقال عليه الصلوة والسلم اهل القران اهل الله وخاصته وقال عليه الصلوة والسلم ان هذه القلوب تصدا
كما يصدا الحديد فقيل يا رسول الله فما جلاؤها فقال تلاوة القران وذكر الموت وقال صلى الله عليه وسلم لله اشد اذنا الى
قارئ القران من صاحب القينة الى قينته **الاثار** قال ابو امامة الباهلي اقرؤا القران ولا يغرنكم هذه
المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا وعى القران وقال ابن مسعود اذا اردتم العلم فاثيروا القران فان فيه
علم الاولين والاخرين وقال ايضا اقرؤا القران فانكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات اما اني
لا اقول الحرف الم ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال ايضا لا يسأل احدكم عن نفسه الا القران
فان كان يحب القران ويعجبه فهو يحب الله ورسوله وان كان يبغض القران فهو يبغض الله ورسوله وقال عمرو بن العاص
القران درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم وقال ايضا من قرا القران فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه
وقال ابو هريرة ان البيت الذي يتلى فيه كتاب الله اتسع باهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وان
البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق باهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال احمد بن حنبل
رايت الله عز وجل في المنام فقلت يا رب ما افضل ما يتقرب به المتقربون اليك قال بكلامي يا احمد قلت يا رب بفهم او بغير فهم
فقال بفهم وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي اذا سمع الناس القران من الرحمن عز وجل يوم القيمة فكانهم لم يسمعوه قط
وقال الفضيل بن عياض ينبغي لحامل القران ان لا يكون له الى احد حاجة ولا الى الخلفاء فمن دونهم وينبغي ان يكون حوائج
الخلق اليه وقال ايضا حامل القران حامل راية الاسلام لا ينبغي ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو
تعظيما لحق القران وقال سفيان الثوري اذا قرا الرجل القران قبل الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من نشر مصحفا حين
يصلي الصبح فقرا منه مائة اية رفع الله له مثل عمل جميع اهل الدنيا ويروى ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله عليه و
سلم وقال اقرا علي فقرا عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الاية فقال له اعد فاعاد
فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وقال الحسن والله

ما دون القران من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرا خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع
الشهداء ومن قراها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك
ما ههنا احد نستانس به فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثلث
يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصيام وقراءة القران **في ذم تلاوة الغافلين** قال انس بن
مالك رب تال للقران والقران يلعنه وقال ميسرة الغريب هو القران في جوف الفاجر وقال ابو سليمن الداراني الزبانية اسرع
الى حملة القران الذين يعصون الله منهم الى عبدة الاوثان حين عصوا الله بعد القران وقال بعض العلماء اذا قرا ابن ادم
القران ثم خلط ثم عاد فقرا قيل له ما لك ولكلامي وقال ابن الرماح ندمت على استظهاري القران لانه بلغني ان اصحاب القران
يسئلون عما يسئل عنه الانبياء يوم القيمة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القران ان يعرف بليله اذ الناس نائمون وبنهاره
اذ الناس مفطرون وبحزنه اذ الناس يفرحون وببكائه اذ الناس يضحكون وبصمته اذ الناس يخوضون وبخشوعه
اذ الناس يختالون وينبغي لحامل القران ان يكون مستكينا لينا ولا ينبغي له ان يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا
صخابا ولا حديدا وقد قال صلى الله عليه وسلم اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وقال اقرا القران ما نهاك
فان لم ينهك فلست تقراه وقال عليه الصلوة والسلم ما امن بالقران من استحل محارمه وقال بعض السلف ان العبد
ليفتتح سورة فتصلي عليه حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل كيف ذلك قال اذا احل
حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القران فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقرا
الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه الا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن انكم اتخذتم قراءة القران
مراحل وجعلتم الليل جملا فانتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم راوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل
وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود انزل القران عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان احدهم ليقرا القران من فاتحته
الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرا واحدنا
يؤتى الايمان قبل القران فتنزل السورة على محمد فيتعلم حلالها وحرامها وامرها وزاجرها وما ينبغي ان يقف عنده منها
ثم لقد رايت رجالا يؤتى احدهم القران قبل الايمان فيقرا ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما امره ولا زاجره و
لا ما ينبغي ان يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التورية يا عبدي اما تستحيي مني ياتيك كتاب من بعض اخوانك
وانت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقراه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك منه شيء وهذا
كتابي انزلته اليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتامل طوله وعرضه ثم انت معرض عنه
افكنت عليه اهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى
حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك شاغل عن حديثه اومات اليه ان كف وها انا ذا مقبل عليك ومحدث لك وانت
معرض بقلبك عني فجعلتني اهون عندك من بعض اخوانك **الباب الثاني في ظاهر اداب التلاوة**
وهي عشرة **الاول** في حال القاري وهو ان يكون على الوضوء واقفا على هيئة الادب والسكون اما قائما واما جالسا
مستقبل القبلة مطرقا راسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي
استاذه وافضل الاحوال ان يقراه في الصلوة قائما وان يكون في المسجد فذلك من افضل الاعمال وان قرا على غير وضوء
وكان مضطجعا في الفراش فله ايضا فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
فاثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال علي رضي الله عنه من قرا القران وهو قائم في
الصلوة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرا وهو جالس في الصلوة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرا في غير صلوة
وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرا على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو افضل لانه

اورع مقتصد قال ابو ذر الغفاري ان كثرة السجود بالنهار وان طول القيام بالليل الثاني في مقدار القراءة وللقراء
عادات مختلفة في الاستكثار والاقتصار فمنهم من يختم في اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وبعضهم الى ثلاث ومنهم من
يختم في شهر مرة واولى ما يرجع اليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم من قرا
القران في اقل من ثلاث لم يفقهه وذلك لان الزيادة عليه يمنع الترتيل وقد قالت عائشة لما سمعت رجلا يهذ القران هذا
ان هذا ما قرا القران ولا سكت وامر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمر ان يختم القران في سبع وكذلك كان جماعة من
الصحابة يختمون القران في كل جمعة كعثمن وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي بن كعب ففي الختم اربع درجات الختم في يوم
وليلة وقد كرهه جماعة والختم في شهر كل يوم جزء من ثلثين وكانه مبالغة في الاقتصار وبينهما درجتان معتدلتان
احدهما في الاسبوع مرة والثانية في الاسبوع مرتين تقربا من الثلث والاحب ان يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار
ويجعل ختمة بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر او بعدهما ويختم ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب او بعدهما
ليستقبل بختمتيه اول النهار واول الليل فان الملائكة تصلي عليه ان كانت ختمته ليلا حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسي فتشمل
بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراءة انه ان كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي ان
ينقص من ختمتين في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر او من المشتغلين بنشر العلم فلا باس ان
يقتصر في الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر في معاني القران فقد يكتفي في الشهر بمرة لحاجته الى كثرة الترديد و
التامل الثالث في وجه القسمة اما من ختم في الاسبوع مرة فيقسم القران سبعة احزاب فقد حزب الصحابة رضي الله عنهم القران
احزابا وروي ان عثمن رضي الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف
الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلثا بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعا بتنزيل الى الرحمن
ويختم ليلة الخميس وابن مسعود كان يقسمه بسبعة اقسام لا على هذا الترتيب وقيل احزاب القران سبعة فالحزب
الاول ثلث سور والحزب الثاني خمس سور والثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس
ثلث عشرة سورة والسابع المفصل من ق فهكذا حزبه الصحابة وكانوا يقرؤونه وكذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذا قبل ان يعمل الاخماس والاعشار والاجزاء فما سوى هذا فهو محدث الرابع في الكتبة يستحب تحسين
كتابة القران وتبيينه ولا باس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانها تزيين وتبيين وصد عن اللحن والخطا لمن
يقراه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكران الاخماس والعواشر والاجزاء وروي عن الشعبي وابراهيم كراهية النقط بالحمرة واخذ
الاجرة على ذلك وكانوا يقولون جردوا القران والظن بهؤلاء انهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من ان يؤدي الى احداث
زيادات وحسما للباب وشوقا الى حراسة القران عما يتطرق اليه تغيير واذا لم يؤد الى محذور واستقر الامر فيه على ما
يحصل به مزيد معرفة فلا باس به ولا يمنع منه كونه محدثا فكم من محدث حسن كما قيل في اقامة التراويح في الجماعة انها من محدثات
عمر وانها بدعة حسنة وانما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة او يكاد يفضي الى تغييرها وبعضهم كان يقول اقرا
من المصحف المنقوط ولا انقطه بنفسي وقال الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير كان القران مجردا في المصاحف واول ما احدثوا
فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا باس به فانه نور له ثم احدثوا بعده نقطا كبارا عند منتهى الاي فقالوا لا باس به يعرف به
راس الاية ثم احدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح قال ابو بكر الهذلي سالت الحسن عن تنقيط المصاحف بالحمرة فقال وما
تنقيطها قلت يعربون الكلمة بالعربية قال اما اعراب القران فلا باس به وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرايته يقرا في
مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل ان الحجاج هو الذي احدث ذلك واحضر القراء حتى عدوا كلمات القران وحروفه
وسووا اجزاءه وقسموه الى ثلاثين جزءا والى اقسام اخر الخامس الترتيل هو المستحب في هيئة القراءة لانا سنبين ان المقصود
من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك نعتت ام سلمة قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي تنعت قراءة مفسرة

حرفا حرفا وقال ابن عباس لان اقرا البقرة وال عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرا القران كله هذرمة وقال ايضا
لان اقرا اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الي من ان اقرا البقرة وال عمران تهذيرا وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في
صلوة وكان قيامهما واحدا الا ان احدهما قرا البقرة فقط وقرا الاخر القران كله فقال هما في الاجر سواء واعلم ان الترتيل مستحب
لا لمجرد التدبر فان العجمي الذي لا يفهم معنى القران يستحب له ايضا في القراءة الترتيل والتؤدة لان ذلك اقرب الى التوقير والاحترام
واشد تاثيرا في القلب من الهذرمة والاستعجال السادس البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القران
وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال عليه الصلوة والسلام ليس منا من لم يتغن بالقران وقال صالح المري قرات القران على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وقال ابن عباس اذا قراتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا
فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وانما طريق تكلف البكاء ان يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشا البكاء قال صلى الله عليه وسلم ان
القران نزل بحزن فاذا قراتموه فتحازنوا ووجه احضار الحزن ان يتامل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتامل
تقصيره في اوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على
فقد الحزن والبكاء فان ذلك اعظم المصائب السابع ان يراعي حق الايات فاذا مر باية سجود سجد وكذلك اذا سمع من غيره
سجدة سجد اذا سجد التالي ولا يسجد الا اذا كان على طهارة وفي القران اربع عشرة سجدة وفي الحج سجدتان وليس في ص سجدة واقله ان
يسجد بوضع جبهته على الارض واكمله ان يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالاية التي قراها مثل ان يقرا قوله تعالى خروا سجدا
وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين
عن امرك او على اوليائك واذا قرا قوله ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فليقل اللهم اجعلني من الباكين الخاشعين لك
وكذلك في كل سجدة ويشترط في هذه السجدة شروط الصلوة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث
والخبث ومن لم يكن على طهارة عند السماع فاذا تطهر يسجد وقد قيل في كمالها انه يكبر رافعا يديه للتحريمة ثم يكبر للانحطاط ثم يسلم وزاد
زائدون التشهد ولا اصل لهذا الا القياس على سجود الصلوة وهو بعيد فانه ورد الامر بالسجود فليتبع فيه الامر وتكبيرة الهوي
اقرب للبداية وما عدا ذلك فيه بعد ثم الماموم ينبغي ان يسجد عند سجود الامام ولا يسجد لتلاوة نفسه الثامن ان يقول في
مبتدا قراءته اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرا
قل اعوذ برب الناس وسورة الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله تعالى وبلغ رسوله الكريم اللهم انفعنا به وبارك لنا
فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم وفي اثناء القراءة اذا مر باية تسبيح سبح وكبر واذا مر باية دعاء واستغفار
دعا واستغفر وان مر بمرجو سال وان مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه او بقلبه فيقول سبحان الله تعالى ونعوذ بالله اللهم
ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدا سورة البقرة وكان لا يمر باية عذاب الا استعاذ
ولا باية رحمة الا سال ولا باية تنزيه الا سبح واذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله عليه عند ختم القران اللهم ارحمني بالقران
واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته اناء الليل والنهار واجعله
حجة لي يا رب العالمين التاسع في الجهر بالقراءة ولا شك في انه لا بد ان يجهر به الحد الذي يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه فلا تصح
صلوته واما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه اخر ويدل على استحباب الاسرار ما روي انه صلى الله عليه و
سلم فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفي لفظ اخر الجاهر بالقران كالجاهر بالصدقة
والمسر به كالمسر بالصدقة وفي الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا وكذلك قوله خير الرزق ما
يكفي وخير الذكر الخفي وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء وسمع سعيد بن المسيب
ذات ليلة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلوته وكان حسن الصوت فقال لغلامه
اذهب الى هذا المصلي فمره بان يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد

صوته وقال يا ايها المصلي ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا
عنك من الله شيئا فسكت عمر وخفف ركعته فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ امير المؤمنين ويدل على استحباب
الجهر ما روي انه صلى الله عليه وسلم سمع جماعة من اصحابه يجهرون في صلوة الليل فصوّب ذلك وقد قال صلى الله
عليه وسلم اذا قام احدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون
بصلوته ومر صلى الله عليه وسلم على ثلاثة من اصحابه فمر على ابي بكر وهو يخافت فساله عن ذلك فقال ان الذي اناجيه هو
يسمعني ومر على عمر وهو يجهر فساله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان وازجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرا آيا من هذه
السورة وآيا من هذه السورة فساله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال كلكم قد احسن واصاب فالوجه
في الجمع بين هذه الاحاديث ان الاسرار ابعد عن الرياء والتصنع فهو افضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم
يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فائدته تتعلق ايضا بغيره و
الخير المتعدي افضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القاري ويجمع همه الى الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ولانه يطرد النوم
برفع الصوت ولانه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب احيائه
ولانه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق الى الخدمة فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر افضل
وان اجتمعت هذه النيات يضاعف الاجر وبكثرة النيات يزكو عمل الابرار ويتضاعف اجورهم فان كان في العمل
الواحد عشر نيات كان فيه عشرة اجور ولهذا نقول قراءة القران في المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر وتامل المصحف و
حمله فيزيد الاجر بسببه وقد قيل الختمة من المصحف بسبع لان النظر في المصحف ايضا عبادة وقد خرق عثمان رضي الله عنه
مصحفين لكثرة قراءته منهما وكان كثير من الصحابة يقرؤن من المصحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف ودخل
بعض فقهاء مصر على الشافعي في السحر وبين يديه المصحف فقال شغلكم الفقه عن القران اني لاصلي العتمة واضع المصحف
بين يدي فما اطبقه حتى اصبح العاشر تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك
سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زينوا القران باصواتكم وقال صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء اذنه لحسن
الصوت بالقران وقال ليس منا من لم يتغن بالقران فقيل اراد به الاستغناء وقيل اراد به الترنم وترديد الالحان وهو
اقرب عند اهل اللغة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر عائشة رضي الله عنها فابطات عليه فقال ما
حبسك فقالت يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله واستمع ايضا ذات
ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال من اراد ان يقرا القران غضا كما انزل فليقراه
على قراءة ابن ام عبد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرا فقال يا رسول الله اقرا وعليك انزل فقال
اني احب ان اسمعه من غيري فكان يقرا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عيناه تفيضان واستمع صلى الله عليه وسلم الى قراءة
ابي موسى فقال لقد اوتي هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك ابا موسى فقال يا رسول الله لو اعلم انك كنت تسمع لحبرته لك
تحبيرا وراى الهيثم القاري النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له انت الهيثم الذي تزين القران بصوتك قلت نعم قال
جزاك الله خيرا وفي الخبر كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرا سورة من القران و
كان عمر يقول لابي موسى ذكرنا ربنا فيقرا عنده حتى يكاد وقت الصلوة ان يتوسط فيقال يا امير المؤمنين الصلاة الصلاة
فيقول اولسنا في صلوة اشارة الى قوله تعالى ولذكر الله اكبر وقال صلى الله عليه وسلم من استمع الى آية من كتاب الله عز
وجل كانت له نورا يوم القيمة وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم اجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه فكان
شريكا في الاجر الا ان يكون قصده الرياء والتصنع

الباب الثالث في اعمال الباطن في التلاوة

وهي عشرة فهم اصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم
التاثر ثم الترقي ثم التبري الاول فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله
الى درجة افهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته الى افهام خلقه
وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله الا
بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا كرسي ولا ثرى
ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله موسى عليه السلام لما اطاق سماع كلامه كما لم
يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام الا بامثلة على حد فهم الخلق ولهذا عبر بعض
العارفين عنه فقال ان كل حرف من كلام الله في اللوح اعظم من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد
ان يقلوه ما اطاقوه حتى ياتي اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله
طوقه ذلك واستعمله به ولقد تانق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في ايصال معاني الكلام مع علو درجته الى
فهم الانسان مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك انه دعا بعض الملوك الى شريعة الانبياء فساله
الملك عن امور فاجاب بما يحتمله فهمه فقال الملك ارايت ما ياتي به الانبياء اذا ادعت انه ليس بكلام الناس وانه
كلام الله فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم انا راينا الناس لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها
وتاخيرها واقبالها وادبارها وراوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن انوار عقولهم مع حسنه وتزيينه و
بديع نظمه فنزلوا الى درجة تمييز البهائم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم باصوات يضعونها لائقة بها من
النقر والصفير والاصوات القريبة من اصواتها التي يطيق حملها فكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله بكنهه وكمال
صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الاصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من
الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفات من ان شرف الكلام اي الاصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان
الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما ان اجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك
اصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام عالي المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل
وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يامر وينهى ولا طاقة للباطل ان يقوم بين يدي كلام الحكمة كما لا يستطيع
الظل ان يقوم بين يدي شعاع الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم
ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من ضوء الشمس ما تحيا به ابصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك
المحجوب الغائب وجهه الشاهد امره وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدي
بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحيوة الذي من شرب منه لم يمت ودواء الاسقام
الذي من سقي منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذ من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة
فينبغي ان تقتصر عليه الثاني التعظيم للمتكلم فالقاري عند البداية بتلاوة القران ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم
ويعلم ان ما يقراه ليس من كلام البشر وان في تلاوة كلام الله غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر
جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا فباطن معناه ايضا بحكم عزه وجلاله
محجوب عن باطن القلب الا اذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف
كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر
المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته
وافعاله فاذا خطر بباله العرش والكرسي والسموات والارضون وما بينهما من الجن والانس والدواب والاشجار

وعلم ان الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد وان الكل في قبضته قدرته متردد بين فضله ورحمته وبين نقمته
وسطوته ان انعم فبفضله وان عاقب فبعدله وانه الذي يقول هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي وهذه
غاية العظمة والتعالي فبالتفكر في امثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام الثالث حضور القلب وترك حديث
النفس قيل في تفسير قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يكون متجردا له عند قراءته منصرف
الهمة اليه عن غيره وقيل لبعضهم اذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء فقال او شيء احب الي من القرآن احدث به نفسي و
كان بعض السلف اذا قرأ سورة ولم يكن قلبه فيها اعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم للكلام
الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستأنس به القلب ان كان التالي اهلا له فكيف يطلب الانس
بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل ان في القرآن ميادين
وبساتين وعرائس ودبابيج ورياضا وخانات فالميمات ميادين القرآن والراآت بساتين القرآن والحاميات
مقاصيره والمسبحات عرائس القرآن والحاميمات دبابيج القرآن والمفصل رياضه والخانات ما سوى ذلك
فاذا دخل القارئ في الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الدبابيج وتنزه في
الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره الرابع التدبر وهو
وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود
من القراءة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر يمكن من التدبر بالباطن قال علي رضي الله عنه لا
خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا ان يكون خلف امام فانه لو
بقي في تدبر اية وقد اشتغل الامام باية اخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه و
كذلك اذا كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في اية قرأها امامه فهذا وسواس فقد روي عن عامر بن عبد قيس انه قال الوسواس
يعتريني في الصلاة فقيل له في امر الدنيا فقال لان تختلف في الاسنة احب الي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين
يدي ربي واني كيف انصرف فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغل عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله
الا بان يشغله بمهم ديني ولكن يمنعه به عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن فقال ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله
ذلك عندنا وروي انه صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وانما رددها لتدبره
في معانيها وعن ابي ذر قال قام بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ليلة باية يرددها ان تعذبهم الاية وقام تميم
الداري ليلة بهذه الاية ام حسب الذين اجترحوا السيئات وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الاية وامتازوا اليوم
وقال بعضهم اني لافتتح السورة فيوقفني بعض ما اشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم يقول كل اية لا افهمها
ولا يكون قلبي فيها لا اعد لها ثوابا وحكي عن ابي سليمان الداراني انه قال اني لاتلو الاية فاقيم فيها اربع ليال او خمس ليال ولولا
اني اقطع الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها وعن بعض السلف انه بقي في سورة هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ من
التدبر فيها وقال بعض العارفين لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما
فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه وكان هذا يقول اقمت نفسي مقام الاجراء فانا اعمل مياومة
ومشاهرة ومسانهة ومساناة الخامس التفهم وهو ان يستوضح من كل اية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله و
ذكر افعاله وذكر احوال الانبياء وذكر احوال المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار و
اما صفات الله فكقوله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وكقوله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر
فليتأمل معاني هذه الاسماء والصفات لينكشف له اسرارها فتحتها معان مدفونة لا ينكشف الا للموفقين واليه اشار علي
رضي الله عنه بقوله ما اسر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه عن الناس الا ان يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا

الحاآت

على طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين والاخرين فليثور القرآن فاعظم علوم القرآن تحت اسماء الله
وصفاته ولم يدرك اكثر الخلق منها الا امورا لائقة بافهامهم ولم يعثروا على اغوارها واما افعاله فكذكره خلق السموات
والارض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فيدل عظمته على عظمته فينبغي ان
يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شيء اذ كل شيء فهو منه واليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن
لا يراه في كل ما يراه فكانه ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شيء ما خلا الله باطل وان كل شيء هالك الا وجهه لا انه سيبطل في
ثاني الحال بل هو الان باطل اذا اعتبر ذاته من حيث هو الا ان يعتبر وجوده من حيث انه موجود بالله وبقدرته فيكون له
بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادي علم المكاشفة ولهذا ينبغي اذا قرأ التالي
قوله افرأيتم ما تحرثون افرأيتم الماء الذي تشربون افرأيتم النار التي تورون ان لا يقصر نظره على الماء والنار والحرث
والمني بل يتأمل في المني وهو نطفة متشابهة الاجزاء ثم ينظر في كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعرق والعصب
وكيفية تشكل اعضائها بالاشكال المختلفة من الراس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من
الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيره ثم الى ما ظهر فيه من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر و
الجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين فيتأمل هذه العجائب
ليرقى منها الى اعجب العجائب وهو الصفة التي منها صدرت هذه الاعاجيب فلا يزال ينظر الى الصنعة حتى يرى
الصانع واما احوال الانبياء فاذا سمع منها انهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله
تعالى عن الرسل والمرسل اليهم وانه لو اهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه واذا سمع نصرتهم في اخر الامر فليفهم قدرة الله و
ارادته لنصرة الحق واما احوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته و
نقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب واغتر بما امهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية
وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لان ذلك لا نهاية له وانما لكل
عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد
كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب
فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه فاما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القرآن ولو
في ادنى الدرجات دخل في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال
انفا فقال تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم والطابع هو الموانع التي سنذكرها من الفهم وقد قيل لا يكون المريد مريدا
حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد السادس التخلي عن موانع
الفهم وان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لاسباب وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب
اسرار القرآن قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى الملكوت ومعاني
القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك الا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم اربعة اولها
ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم
عن معاني كلام الله فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تأمله مقصورا على
مخارج الحروف فانى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس ثانيها ان يكون
مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة و
مشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه
فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك

وهو خلاف معتقد ابائه فيرى ان ذلك من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية ان
العلم حجاب وارادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون
للمذاهب والقوها اليهم فاما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى الطلب
وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا في
القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من ان يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لانجر الى
كشف ثان وثالث ولتواصل ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون ايضا
مانعا من الفهم والكشف لان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدا ظاهر وغور باطن وجمود الطبع
على الظاهر يمنع من الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد
ثالثها ان يكون مصرا على ذنب او متصفا بكبر او مبتلى على الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه
وهو كالخبث على المراة فيمنع جلية الحق من ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب القلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات اشد
تراكما كانت معاني الكلام اشد احتجابا وكلما خف عن القلب اثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المراة والشهوات
مثل الصداء ومعاني القران مثل الصور التي تتراءى في المراة والرياضة للقلب باماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء
للمراة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف
حرموا بركة الوحي قال الفضيل يعني حرموا فهم القران وقد شرط الله الانابة في الفهم والتذكر فقال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب
وقال وما يتذكر الا من ينيب وقال انما يتذكر اولوا الالباب والذي اثر غرور الدنيا على نعيم الاخرة فليس من ذوي الالباب فلذلك
لا ينكشف له اسرار الكتاب رابعها ان يكون قد قرا تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القران الا ما تناوله النقل
عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وان ما وراء ذلك تفسير بالراي وان من فسر القران برايه فقد تبوا مقعده من النار
فهذا ايضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالراي في الباب الرابع وان ذلك لا يناقض قول علي رضي الله عنه
الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القران وانه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه السابع التخصيص وهو
ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القران فان سمع امرا او نهيا قدر انه المنهي والمامور وان سمع وعدا او وعيدا
فكمثل وان سمع قصص الاولين والانبياء علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما
يحتاج اليه فما من قصة في القران الا وسياقها لفائدة في حق النبي وامته ولذلك قال تعالى ما نثبت به فؤادك فليقدر العبد
ان الله يثبت فؤاده بما يقصه عليه من احوال الانبياء وصبرهم على الايذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله وكيف لا
يقدر هذا والقران ما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك
امر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة وقال لقد انزلنا
اليكم كتابا فيه ذكركم وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم واتبعوا احسن ما انزل اليكم
من ربكم هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين واذا قصد بالخطاب
جميع الناس فقد قصد الاحاد فهذا القارئ الواحد مقصود فما له ولسائر الناس فليقدر انه المقصود قال الله تعالى واوحي الي هذا القران
لانذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القران فكانما كلمه الله عز وجل واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القران عمله بل يقراه
كما يقرا العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتامله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء هذا القران رسائل اتتنا من قبل ربنا
بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات وكان مالك بن دينار
يقول ما زرع القران في قلوبكم يا اهل القران ان القران ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس
احد هذا القران الا قام بزيادة او نقصان قال الله تعالى هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا

الثامن التاثر وهو ان يتاثر قلبه باثار مختلفة بحسب اختلاف الايات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه
من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على ايات
القران فلا ترى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله تعالى واني لغفار لمن تاب ثم
اتبعه ذلك باربعة شروط لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر اربع شرائط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال تعالى ان رحمة الله قريب
من المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القران من اوله الى اخره ومن فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية
والحزن ولذلك قال الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القران يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه و
قل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الاحاديث والمواعظ فلم
نجد شيئا ارق للقلوب ولا اشد استجلابا للحزن من قراءة القران وتفهمه وتدبره فتاثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة
الاية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كانه يكاد يموت وعند التوسيع ووعد المغفرة
يستبشر كانه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطاطا خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذكر
الكفار ما يستحيل على الله كذكرهم لله ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة
ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن
مسعود اقرا علي قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
رايت عينيه تذرفان بالدمع فقال لي حسبك الان وهذا لان مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان من
الخائفين من خر مغشيا عليه عند ايات الوعيد ومنهم من مات في سماع الايات فبمثل هذه الاحوال يخرج عن ان يكون حاكيا
في كلامه فاذا قال اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم واذا لم يكن خائفا كان حاكيا واذا قال عليك توكلنا
واليك انبنا ولم يكن حالة التوكل والانابة كان حاكيا واذا قرا ولنصبرن على ما اذيتمونا فليكن حالة الصبر او العزيمة
حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان
مع صريح اللعن على نفسه في قوله الا لعنة الله على الظالمين وفي قوله تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وفي
قوله وهم في غفلة معرضون وفي قوله فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وفي قوله ومن لم يتب فاولئك
هم الظالمون الى غير ذلك من الايات وكان داخلا في معنى قوله ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني التلاوة المجردة
وفي قوله تعالى وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون لان القران هو المبين لتلك الايات في
السموات والارض ومهما تجاوزها ولم يتاثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل ان من لم يكن متصفا باخلاق القران فاذا
قرا القران ناداه الله تعالى ما لك ولكلامي وانت معرض عني دع كلامي ان لم تتب الي ومثال العاصي اذا قرا القران وكرره
مثال من يكرر كتاب الملك كل يوم مرات وقد كتب اليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه
فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان ابعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن اسباط اني لاهم بقراءة
القران واذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح والاستغفار والمعرض عن العمل به اريد بقوله تعالى فنبذوه
وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤوا القران ما ائتلفت
عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤونه وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه وقال تعالى الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون وقال صلى الله عليه وسلم ان احسن الناس صوتا بالقران
الذي اذا سمعته يقرا رايت انه يخشى الله عز وجل وقال ايضا لا يسمع القران من احد اشهى ممن يخشى الله تعالى فالقران يراد
لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب والعمل به والا فالمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القراء قرات

القرآن على شيخ لي ثم رجعت لاقرأ ثانيا فانتهرني وقال جعلت القرآن على عملا اذهب فاقرأ على الله عز وجل فانظر بماذا يامرك
وماذا ينهاك وبهذا كان شغل الصحابة في الاحوال والاعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الفا من
الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة اختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة
والانعام من علمائهم ولما جاء واحد ليتعلم القرآن وانتهى الى قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره قال يكفيني هذا وانصرف فقال صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه فاما العزيز مثل تلك الحالة التي يمن الله
بها على القلب عقيب الآية فاما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو
المراد بقوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وبقوله تعالى كذلك اتتك اياتنا فنسيتها
وكذلك اليوم تنسى اي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها فان المقصر في الامر يقال انه نسي الامر وتلاوة القرآن حق تلاوته
ان يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ
والتأثر بالانزجار والايتمار فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ **التاسع** الترقي واعني به ان يترقى الى ان
يسمع كلام الله من الله تعالى لا من نفسه فدرجات القراءة ثلث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرأه على الله تعالى واقفا بين يديه
وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال **الثانية** ان يشهد بقلبه
كان ربه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم **الثالثة** ان يرى في الكلام
المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه بل يكون
مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما قبله درجات
اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن الدرجة العليا اخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه
فقال والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون وقال ايضا وقد سالوه عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر
مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة
قدرته وفي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت اقرأ القرآن فلا اجد له حلاوة
حتى تلوته كاني سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كاني
اسمعه من جبرئيل يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الآن اسمعه من المتكلم به فعندها
وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وقال عثمن وحذيفة لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وانما قالوا ذلك لانها
بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم
دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى ففروا الى الله ولقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر فمن لم يره في كل شيء فقد راى
غيره وكل ما التفت اليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص ان لا يرى في كل شيء الا الله **العاشر** التبري
واعني به ان يتبرى من حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا ايات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد
نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوق الى ان يلحقه الله بهم واذا تلا ايات المقت وذم العصاة والمقصرين
شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنه يقول اللهم اني استغفرك لظلمي وكفري فقيل
له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله ان الانسان لظلوم كفار وقيل ليوسف بن اسباط اذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال
ادعو استغفر الله من تقصيري سبعين مرة فاذا راى نفسه بصورة التقصير في القراءة كانت رؤيته سبب قربه فان من
شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى في القرب وراءه ومن شهد القرب في البعد مكر به بالامن
الذي يفضيه الى درجة اخرى في البعد اسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه واذا جاوز حد
الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته انكشف له الملكوت قال سليمن بن ابي سليمن الداراني وعد ابن ثوبان اخا له

ان يفطر عنده فابطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه اخوه من الغد فقال وعدتني ان تفطر عندي فاخلفت فقال لولا ميعادك
ما اخبرتك بالذي حبسني عنك اني لما صليت العتمة قلت اوتر قبل ان اجيئك لاني لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في
الدعاء في الوتر رفعت لي روضة خضراء فيها انواع الزهر من الجنة فما زلت انظر اليها حتى اصبحت وهذه المكاشفات لا تكون
الا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات اليها والى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب احوال المكاشف فحيث يتلو
آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار ينكشف له صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار
حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصافه
اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب
كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه
كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل

الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالراي من غير نقل

لعلك تقول عظمت الامر فيما سبق في فهم اسرار
القرآن وما ينكشف لارباب القلوب الزكية من معانيها فكيف يستحب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ
مقعده من النار وعن هذا شنع اهل العلم بظاهر التفسير على اهل التصوف من المنسوبين الى التصوف في تأويل كلمات القرآن
على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا الى انه كفر فان صح ما قاله اهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى
حفظ تفسيره وان لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم فليتبوأ مقعده من النار فاعلم ان من زعم ان لا معنى للقرآن الا
ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة الى درجته
التي هي حده ومحطه بل الاخبار والآثار تدل على ان في معاني القرآن متسعا لارباب الفهم قال علي رضي الله عنه الا ان يؤتي الله
عبدا فهما في القرآن فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا
ومطلعا ويروى ايضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع وقال
علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار وقال
ابو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون الف فهم ومائتي علم اذ لكل كلمة
علم ثم يتضاعف ذلك اربعة اضعاف اذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله
الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون الا لتدبره باطن معانيه والا فترجمته وتفسيره ظاهر لا يحتاج مثله الى تكريره وقال ابن
مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في
افعال الله تعالى وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وافعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن اشارة الى مجامعها
والمقامات في التعمق في تفصيله راجع الى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل ما اشكل على النظار واختلف فيه
الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن رموز اليه ودلالات عليه يختص اهل الفهم بدركها فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره
وتفسيره ولذلك قال عليه الصلوة والسلام اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث علي والذي بعثني
بالحق لتفترقن امتي عن اصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك
فعليكم بكتاب الله فان فيه نبأ ما كان قبلكم ونبأ ما ياتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله تعالى ومن ابتغى العلم
في غيره اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ
فيستقيم ولا ينقضي عجائبه ولا يخلقه كثرة الرد الحديث وفي حديث حذيفة لما اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف
والفرقة بعده قال فقلت يا رسول الله فما تأمرني ان ادركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال
فاعدت عليه ذلك ثلاثا فقال ثلاثا تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ففيه النجاة وقال علي رضي الله عنه من فهم القرآن فسر به جمل العلم

اشار به الى ان القران مشير الى مجامع العلوم كلها وقال ابن عباس في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
يعني الفهم في القران وقال تعالى ففهمناها سليمن وكلا اتينا حكما وعلما سمي ما اتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد سليمن بالتفطن
له باسم الفهم وجعله مقدما على العلم والحكم فهذه الامور تدل على ان في فهم معاني القران مجالا رحبا ومتسعا بالغا وان
المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه فاما قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه ونهيه عنه وقول ابي بكر
رضي الله عنه اي ارض تقلني واي سماء تظلني اذا قلت في القران برايي الى غير ذلك مما ورد في الاثار والاخبار عن تفسير القران
بالراي فلا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم او المراد
به امر اخر وباطل قطعا ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القران الا بما سمعه لوجوه احدها انه يشترط ان يكون ذلك
مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا اليه وذلك مما لا يصادف الا في بعض القران فاما ما يقوله ابن عباس
وابن مسعود من انفسهم فينبغي ان لا يقبل ويقال هو تفسير بالراي لانهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا
غيرهم من الصحابة والثاني ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في بعض الايات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها
وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا لترك الباقي فتبين على القطع ان كل
مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي في اوائل السور سبعة اقاويل مختلفة فقيل الر هي حروف من
الرحمن وقيل ان الالف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا و
الثالث انه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل
ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك والرابع انه قال لعلمه الذين يستنبطونه منهم اثبت لاهل العلم استنباطا ومعلوم
انه وراء السماع وجملة ما نقلناه من الاثار في فهم القران يناقض هذا الخيال فبطل ان يشترط السماع في التاويل بل جاز لكل
واحد ان يستنبط من القران بقدر فهمه وحد عقله واما النهي فانه ينزل على احد وجهين احدهما ان يكون له في الشيء
راي واليه ميل من طبعه وهواه فيتاول القران على وفق رايه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الراي والهوى
لكان لا يلوح له من القران ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض ايات القران على تصحيح بدعته وهو يعلم ان
ليس المراد بالاية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الاية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي
يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برايه وهواه فيكون قد فسر برايه اي رايه هو الذي حمله على ذلك التفسير ولولا رايه لما كان
يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القران ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن
يدعو الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله عليه الصلوة والسلام تسحروا فان في السحور بركة ويزعم ان المراد به التسحر
بالذكر وهو يعلم ان المراد به الاكل وكالذي يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تعالى اذهب الى فرعون انه
طغى ويشير الى قلبه ويومي الى انه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام
وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد يستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل
فينزلون القران على وفق رايهم ومذهبهم على امور يعلمون قطعا انها غير مرادة به فهذه الفنون احد وجهي المنع من التفسير
بالراي ويكون المراد بالراي الراي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والراي يتناول الصحيح والفاسد والموافق
للهوى قد يخصص باسم الراي والوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القران بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما
يتعلق بغرائب القران وما فيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيها من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير
فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من فسر بالراي فالنقل و
السماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم الا
بالسماع كثيرة ونحن نرمز الى جمل منها ليستدل بها على امثالها ويعلم انه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر اولا و

لا مطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار القران ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعي البلوغ
الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب او يدعي فهم مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير
يجري مجرى تعليم اللغة التي لا بد منها للفهم ومما لا بد فيه من السماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى
واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه اية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن
ان المراد به ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولا يدري انهم بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم او انفسهم وقوله واشربوا
في قلوبهم العجل بكفرهم اي حب العجل فحذف الحب وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي ضعف عذاب
الاحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وابدل الاحياء والموتى بذكر الحيوة والممات وكل ذلك جائز في فصيح اللغة
وقوله تعالى واسال القرية التي كنا فيها والعير اي اهل القرية والاهل محذوف مضمر وقوله ثقلت في السموات والارض معناه ثقلت على
اهل السموات والارض فان الشيء اذا خفي ثقل فابدل اللفظ به واقيم في مقام على واضمر الاهل وحذف وقوله وتجعلون
رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم وقوله ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اي على السنة رسلك فحذف الالسنة وقوله
انا انزلناه في ليلة القدر اراد القران وما سبق له ذكر وقوله حتى توارت بالحجاب اراد الشمس وما سبق لها ذكر و
قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا اي يقولون ما نعبدهم وقوله فما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون حديثا يقولون ما اصابك
فانه لم يرد هذا كان مناقضا لقوله تعالى قل كل من عند الله وسبق منه الى الفهم مذهب القدرية ومنها المنقول المنقلب
كقوله وطور سينين اي وطور سيناء وسلام على الياسين اي على الياس وقيل ادريس لان في حرف ابن مسعود سلام على
ادراسين ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان
يتبعون الا الظن وقوله تعالى قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم معناه الذين
استكبروا لمن امن من الذين استضعفوا ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من
ربك لكان لزاما واجل مسمى معناه لولا الكلمة واجل مسمى لكان لزاما ولولا لكان نصبا كاللزام وقوله يسالونك كانك
حفي عنها اي يسالونك عنها كانك حفي وقوله لهم مغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك فهذا الكلام غير
متصل وانما هو عائد الى قوله السابق قل الانفال لله والرسول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اي فصارت
انفال الغنائم لك اذ انت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله
حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابرهيم لابيه ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة او حرف اما الكلمة فكالشيء والقرين
والامة والروح ونظايرها قال الله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء اراد به النفقة مما رزق وقوله ضرب الله
مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء اي الامر بالعدل والاستقامة وقوله فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء اراد به من
الصفات الربوبية وهي العلوم التي لا يحل السوال عنها حتى يبتدي بها العارف بها في اوان الاستحقاق وقوله ام خلقوا
من غير شيء اي من غير خالق فربما يتوهم انه يدل على انه لا يخلق شيء الا من شيء واما القرين فقوله وقال قرينه هذا ما لدي
عتيد اراد به الملك الموكل به وقوله قال قرينه ربنا ما اطغيته اراد به الشيطان واما الامة فيطلق على ثمانية اوجه الامة
الجماعة كقوله تعالى وجد عليه امة من الناس يسقون واتباع الانبياء كقولك نحن من امة محمد ورجل جامع للخير
يقتدى به كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا لله والامة الدين كقوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة والامة الحين والزمان
كقوله الى امة معدودة وقوله وادكر بعد امة والامة القامة يقال فلان حسن الامة اي القامة وامة رجل منفرد
بدين لا يشركه فيه احد قال صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده والامة الام يقال هذه امة زيد
اي ام زيد واما الروح فقد ورد ايضا في القران بمعان كثيرة فلا نطول بايرادها وكذلك قد يقع الابهام في

الحروف مثل قوله تعالى فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا فالهاء الاولى كناية عن الحوافر وهي الموريات اى اثرن بالحوافر نقعا و
الثانية كناية عن الاغارة وهي المغيرات صبحا وسطن جمع المشركين فاغاروا بجمعهم وقوله وانزلنا به الماء يعنى بالسحاب
فاخرجنا به من كل الثمرات يعنى بالماء وامثال هذا في القران لا ينحصر ومنها التدريج في البيان كقوله تعالى شهر رمضان
الذي انزل فيه القران اذ لم يظهر به انه ليلا ام نهارا وبان بقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وربما يظن في الظاهر
الاختلاف بين هذه الايات فهذا وامثاله لا يغني فيه الا النقل والسماع والقران من اوله الى اخره غير خال عن هذا
الجنس لانه انزل بلغة العرب فكان مشتملا على اصناف كلامهم من ايجاز وتطويل واضمار وحذف وابدال وتقديم
وتاخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير القران ولم يستظهر
بالسماع والنقل في هذه الامور فهو داخل فيمن فسر القران برايه مثل ان يفهم من الامة المعنى الاشهر منه فيميل
طبعه ورايه اليه فاذا سمع في موضع اخر مال رايه الى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثرة معانيه
فهذا ما يمكن ان يكون منهيا دون التفهم لاسرار المعاني كما سبق فاذا حصل السماع بامثال هذه الامور علم ظاهر
التفسير وهو ترجمة الالفاظ ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير
بمثال وهو ان الله تعالى قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه
اثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم
رماه الله ولذلك قال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله هو المعذب وان كان الله
هو المعذب بتحريك ايديهم فما معنى امرهم بالقتال فحقيقة هذه يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر
التفسير وهو ان يعلم وجه ارتباط الافعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط الحادثة بقدرة الله حتى ينكشف بعد
ايضاح امور كثيرة غامضة صدق قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولعل العمر لو انفق في استكشاف اسرار
هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقطع العمر قبل استيفاء جميع لواحقه وما من كلمة من القران الا و
تحقيقها محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين في العلم باسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر
دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي الى درجة منه فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه و
لو كان البحر مدادا والاشجار اقلاما فاسرار كلام الله لا نهاية لها فينفد الابحر قبل ان تنفد كلمات الله فمن هذا الوجه
يتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه ومثاله فهم بعض ارباب القلوب
من قوله عليه الصلوة والسلم في سجوده اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك انه قيل له واسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر الى الصفات
فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فرقى الى الذات
وقال اعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيى عن الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ الى الثناء فاثنى بقوله لا احصي
ثناء عليك ثم علم ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت على نفسك فهذه خواطر تنفتح لارباب القلوب ثم لها اغوار وراء
هذا وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به واسرار ذلك كثيرة
ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول الى لبابه عن ظاهره
فهذا ما نريده بفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله اعلم اخر كتاب التلاوة والحمد لله رب العالمين

كتاب الاذكار والدعوات
وهو الكتاب التاسع من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الشامل رافته [العام رحمته] الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره
فقال فاذكروني اذكركم ورغبهم في السؤال والدعاء بامره فقال ادعوني استجب لكم واطمع المطيع والعاصي والداني

والداني في الانبساط الى حضرة جلاله برفع الحاجات والاماني بقوله تعالى فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان
والصلوة والسلم على محمد سيد انبيائه وعلى اله واصحابه خيرة اصفيائه اما بعد فليس بعد تلاوة كتاب الله تعالى
عبادة تؤدى باللسان افضل من ذكر الله ورفع الحاجات بالادعية الخالصة الى الله فلا بد من شرح فضيلة الذكر على
الجملة ثم على التفصيل في اعيان الاذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وادابه ونقل الماثور من الدعوات
الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة او الاستعاذة او غيرها ويتحرر المقصود في ذلك بذكر
ابواب خمسة **الباب الاول** في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا **الباب الثاني** في
فضيلة الدعاء وادابه وفضيلة الاستغفار والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم **الباب الثالث** في
ادعية ماثورة معزية الى اصحابها واسبابها **الباب الرابع** في ادعية منتخبة محذوفة الاسانيد من الادعية
الماثورة **الباب الخامس** في الادعية الماثورة عند حدوث الحوادث

الباب الاول في فضيلة الذكر على الجملة
والتفصيل من الايات والاخبار والاثار ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الايات قوله تعالى اذكروني اذكركم قال ثابت
البناني اني اعلم متى يذكرني ربي ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرني وقال تعالى اذكروا الله ذكرا
كثيرا وقال تعالى فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وقال فاذا قضيتم
مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا وقال تعالى فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى
جنوبكم قال ابن عباس اي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغناء والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية
وقال تعالى في ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر
من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولذكر الله اكبر قال ابن عباس له وجهان احدهما ان
ذكر الله لكم اكبر من ذكركم اياه والاخر ان ذكر الله اكبر من كل عبادة سواه الى غير ذلك من الايات **اما الاخبار** فقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم وقال عليه الصلوة والسلم ذاكر
الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين وقال ايضا ذاكر الله في الغافلين كالحي بين الاموات وقال صلى الله عليه وسلم يقول
الله تعالى انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وقال ايضا ما عمل ابن ادم من عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله
قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا ان تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به
حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وسئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل قال ان تموت ولسانك رطب بذكر الله وقال صلى الله عليه وسلم اصبح وامس ولسانك
رطب من ذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة وقال عليه الصلوة والسلم لذكر الله بالغداة والعشي افضل من حطم السيوف
في سبيل الله ومن اعطاء المال سحا وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي و
اذا ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير من ملائه واذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الي هرولت اليه
يعني بالهرولة سرعة الاجابة وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله عز وجل يوم لا ظل الا ظله من جملتهم رجل ذكر الله
خاليا ففاضت عيناه من خشية الله وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند
مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم و
يضربوا اعناقكم قالوا وما ذلك يا رسول الله قال ذكر الله دائما **واما الاثار** فقد قال الفضيل بلغنا ان الله عز
وجل قال ابن ادم اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة اكفك ما بينهما وقال بعض العلماء ان الله عز وجل يقول اي عبد
اطلعت على قلبه فرايت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال الحسن
الذكر ذكران ذكر الله بين نفسك وبين الله ما احسنه واعظم اجره وافضل من ذلك ذكر الله عند ما حرم الله ويروى

ان كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله تعالى وقال معاذ بن جبل ليس يتحسر اهل الجنة على شيء الا على ساعة لم يذكروا الله فيها **فضيلة مجالس الذكر** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده وقال ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات وقال ايضا ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله فيه ويصلوا على النبي الا كان عليهم حسرة يوم القيمة وقال داود عليه السلام الهي اذا رايتني اجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم فانها نعمة تنعم بها علي وقال صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح يكفر عن المؤمن الفي الف مجلس من مجالس السوء وقال ابو هريرة ان اهل السماء ليتراءون بيوت اهل الارض التي يذكر فيها اسم الله كما ترى النجوم وقال سفين بن عيينة اذا اجتمع قوم يذكرون الله عز وجل اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا الا ترين ما يصنعون فيقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا اخذت باعناقهم اليك وعن ابي هريرة انه دخل السوق وقال اراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا ابا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم فقال لهم ماذا رايتم قالوا راينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرؤن القران قال وذلك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم وروى الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة وابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم الى السماء الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى على اي شيء تركتم عبادي يصنعون فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول هل راوني فيقولون لا فيقول كيف لو راوني فيقولون ربنا لو راوك لكانوا اشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من اي شيء يتعوذون فيقولون من النار فيقول هل راوها فيقولون لا فيقول فكيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد هربا منها واشد نفورا فيقول واي شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول وهل راوها فيقولون لا فيقول كيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد عليها حرصا فيقول اني اشهدكم اني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جاء لحاجة فيقول لهم القوم لا يشقى بهم جليسهم **فضيلة التهليل** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسي ولم يات احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد توضا فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وقال ايضا ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور كاني انظر اليهم عند الصيحة ينفضون رؤسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال ايضا لابي هريرة يا ابا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيمة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع في ميزان لانها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك وقال لو جاء قائل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر له وقال يا ابا هريرة لقن الموتى شهادة ان لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب هدما قلت يا رسول الله هذا للموتى فكيف للاحياء فقال هي اهدم واهدم وقال من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة وقال عليه الصلوة والسلام لتدخلن الجنة كلكم الا من يابى وشرد على الله شرود البعير على اهله فقيل يا رسول الله من الذي يابى قال من لم يقل لا اله الا الله فاكثروا من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهي كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة وقال عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقيل الاحسان في الدنيا قول

لا اله الا الله وفي الاخرة الجنة وكذا قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وروى البراء بن عازب انه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان له عدل رقبة او نسمة وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه صلى الله عليه وسلم قال من قال في يوم مائتي مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه احد كان قبله ولا يدركه احد كان بعده الا من عمل بافضل من عمله وقال عمر من قال في سوق من الاسواق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير كتب له الف الف حسنة ومحي عنه الف الف سيئة وبني له بيت في الجنة ويروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله اتت الى الصحيفة فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جنبها وفي الصحيح عن ابي ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن اعتق اربعة انفس من ولد اسمعيل وفي الصحيح ايضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لي غفر له او دعا استجيب له فان توضا وصلى قبلت صلوته **فضل التسبيح والتحميد وبقية الاذكار** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح دبر كل صلوة ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وروي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تولت عني الدنيا وقل ذات يدي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين انت عن صلوة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وماذا يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى ان تصلي الصبح تاتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله الى يوم القيمة لك ثوابه وقال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد الحمد لله ملات ما بين السماء والارض فاذا قال الحمد لله الثانية ملات ما بين السماء السابعة الى الارض فاذا قال الحمد لله الثالثة قال الله سل تعط وقال رفاعة الزرقي كنا يوما نصلي وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع راسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلوته قال لقد رايت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها اولا وقال الباقيات الصالحات هي لا اله الا الله وسبحان الله والله اكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وقال صلى الله عليه وسلم ما على الارض رجل يقول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر وروى النعمن بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوي كدوي النحل يذكر بصاحبه او لا يحب احدكم ان لا يزال عند الله يذكر به وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت عليه الشمس وفي رواية وزاد ولا حول ولا قوة الا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى الله اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدات رواه سمرة بن جندب وروى ابو موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الطهور شطر الايمان والحمد لله تملا الميزان وسبحان الله والله اكبر تملان ما بين السماء والارض والصلوة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقران حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فموبقها او مشتري نفسه فمعتقها وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الكلام احب الى الله تعالى قال ما اصطفى الله للملائكة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله

والله اكبر فاذا قال العبد سبحان الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة واذا قال الله اكبر فمثل ذلك وذكر
الى اخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة وعن ابي ذر رضي
الله عنه قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم و
يتصدقون بفضول اموالهم فقال اوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ان لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة
وتكبيرة صدقة وامر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ويضع احدكم اللقمة في في اهله فهي له صدقة قالوا
يا رسول الله يأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال ارأيت لو وضعها في حرام لكان عليه وزر فيها كذلك اذا
وضعها في حلال كان له فيها اجر وقال ابو ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق اهل الاموال بالاجر يقولون
ما نقول وينفقون ولا ننفق فقال صلى الله عليه وسلم افلا ادلك على عمل اذا انت عملته ادركت من قبلك وفت
من بعدك الا من قال مثل قولك تسبح بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين وتكبر اربعا وثلاثين و
روت بسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالانامل
فانها مستنطقات يعني في القيمة بالشهادة وقال ابن عمر رأيته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح وقد قال صلى الله عليه
وسلم فيما شهد عليه ابو هريرة وابو سعيد الخدري اذ شهدا عليه انه صلى الله عليه وسلم قال اذا قال العبد لا اله الا الله
والله اكبر قال الله صدق عبدي لا اله الا انا وانا اكبر واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له قال الله صدق عبدي
لا اله الا انا لا شريك لي واذا قال لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله يقول صدق عبدي لا حول ولا قوة الا بي ومن
قالهن ثم مات لم تمسه النار وروى مصعب بن سعد عن ابيه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ايعجز احدكم ان يكتسب كل يوم الف حسنة
فقيل كيف ذلك فقال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف سيئة وقال صلى الله عليه وسلم يا عبد الله بن
قيس او يا ابا موسى الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا ادلك على عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله تعالى اسلم عبدي واستسلم وقال صلى الله عليه وسلم
من قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا كان حقا على الله ان يرضيه يوم القيمة وفي
رواية من قال ذلك رضي الله عنه وقال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت واذا قال توكلت
على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فيتفرق عنه الشياطين فيقولون ما سبيلكم
على رجل هدي وكفي ووقي فان قلت فما بال ذكر الله مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار افضل وانفع من جملة العبادات
مع كثرة المشقات فيها فاعلم ان تحقيق هذا لا يليق الا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة ان المؤثر
النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فاما الذكر والقلب لاه فقليل الجدوى وفي الاخبار ما يدل عليه ايضا و
حضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله مع الاشتغال بالدنيا ايضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله على
الدوام او في اكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل به يشرف سائر العبادات وذلك غاية ثمرة العبادات العملية
وللذكر اول وآخر فاوله يوجب الانس والحب وآخره يوجبه الانس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الانس فان المريد
في بداية الامر قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس الى ذكر الله فان وفق للمداومة انس به وانغرس في
قلبه حب المذكور ولا ينبغي ان يتعجب من هذا فان من المشاهد في العادات ان يذكر غائب غير مشاهد بين يدي شخص ويكرر
ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف اولا صار مضطرا الى كثرة الذكر
اخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر من ذكره ومن اكثر ذكر شيء وان كان تكلفا احبه فكذلك اول الذكر متكلف
الى ان يثمر الانس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه اخرا فيصير الموجب موجبا والمثمر مثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن
عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس والحب ولا يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة

والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا وكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه اولا
ويكابد اكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تكلف هي النفس ما عودت
تتعود اي ما كلفتها اولا يصير لها طبعا اخرا ثم اذا حصل الانس بذكر الله انقطع عن غير الله وما سوى الله هو الذي يفارقه
عند الموت ولا يبقى معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا ذكر الله فان كان قد انس به تمتع به وتلذذ
بانقطاع العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحيوة تصد عن ذكر الله ولا يبقى بعد الموت عائق فكانه
خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه اراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان ذلك يفنى في حقه
بالموت وكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وانما تفنى الدنيا في حقه الى ان تفنى في نفسها عند
بلوغ الكتاب اجله وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر الى اللقاء وذلك
بعد ان يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكرن بقاء ذكر الله معه بعد الموت فيقول انه اعدم فكيف يبقى
معه ذكر الله فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت والى
ما ذكرناه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنة وبقوله ارواح
الشهداء في حواصل طير خضر وبقوله لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم اني وجدت ما وعدني
ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فسمع عمر قوله فقال يا رسول الله كيف يسمعون وانى يجيبون وقد جيفوا فقال
والذي نفسي بيده ما انتم باسمع منهم بكلامي ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا والحديث في الصحيح هذا قوله في المشركين
اما المؤمنون والشهداء فقد قال ارواحهم في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش وهذه الحالة وما اشير بهذه
الالفاظ اليه لا ينافي ذكر الله وقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون
فرحين بما اتاهم الله الاية ولاجل شرف ذكر الله تعالى عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع
الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله منقطع العلائق عن غيره وان قدر عبد على ان يجعل همه مستغرقا بالله فلا
يقدر على ان يموت على تلك الحالة الا في صف القتال فانه قطع الطمع عن مهجته واهله وماله وولده بل من الدنيا كلها
فانه يريدها لحيوته وقد هون على قلبه حيوته في حب الله وطلب مرضاته فلا تجرد لله اعظم من ذلك في الشرع ولذلك عظم
امر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى فمن ذلك انه لما استشهد عبد الله الانصاري يوم احد قال صلى الله
عليه وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر قال بلى يا رسول الله بشرك الله بالخير فقال عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى احيى اباك و
اقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن علي يا عبدي ما شئت اعطيكه فقال يا رب تردني الى الدنيا حتى
اقتل فيك وفي نبيك مرة اخرى فقال تعالى سبق القضاء مني انهم اليها لا يرجعون ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة
فانه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا وغلبت ما استولى على قلبه من ذكر الله ولذلك عظم خوف اهل المعرفة
من الخاتمة فان القلب وان الزم ذكر الله فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فاذا تمثل
في اخر الحال في قلبه امر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك ان يبقى استيلاؤه عليه
بعد الموت فيحن اليه ويتمنى الرجوع الى الدنيا وذلك لقلة حظه في الاخرة اذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه
واسلم الاحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال او ان يقال شجاع او غير ذلك كما ورد به
الخبر بل حب الله واعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالاخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا اله الا الله فانه لا مقصود له سوى الله
وكل مقصود معبود وكل معبود اله فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا اله الا الله اذ لا مقصود له سواه ومن يقول ذلك

بلسانه ولم يساعده حاله فامره في مشية الله ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل قول لا اله الا الله على سائر الاذكار و ذكر ذلك مطلقا في مواضع للترغيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا اله الا الله مخلصا ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال فنسأل الله تعالى ان يجعلنا في الخاتمة من اهل لا اله الا الله حالا ومقالا ظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير ملتفتين اليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه مرامز الى معاني الذكر لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة

الباب الثاني في اداب الدعاء وفضله وفضل بعض الادعية المأثورة

فضيلة الدعاء

قال الله عز وجل واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وقال تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وروى النعمن بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعوني استجب لكم وقال الدعاء مخ العبادة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء اكرم عند الله من الدعاء وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له وقال ابوذر يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي مع الطعام من الملح وقال صلى الله عليه وسلم سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج

اداب الدعاء

وهي عشرة الاول ان يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الشهور ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وقال صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وقيل ان يعقوب على نبينا وعليه الصلوة والسلام انما قال سوف استغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقيل انه قام في وقت السحر يدعو واولاده يؤمنون خلفه فاوحى الله اليه اني قد غفرت لهم وجعلتهم انبياء الثاني ان يغتنم الاحوال الشريفة قال ابو هريرة ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله وعند نزول المطر الغيث وعند اقامة الصلوة المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها وقال مجاهد ان الصلوة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوة وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد وقال ايضا الصائم لا ترد دعوته وبالحقيقة يرجع شرف الاوقات الى شرف الحالات ايضا اذ وقت السحر وقت صفاء القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله فهذا احد اسباب شرف الاوقات سوى ما فيها من اسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود ايضا اجدر بالاجابة قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم نهيت ان اقرأ راكعا او ساجدا فاما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا فيه من الدعاء فانه قمن ان يستجاب لكم الثالث ان يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه روى جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وقال سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا وروى انس انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه في الدعاء ولا يشير باصبعيه روى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم مر على انسان يدعو باصبعيه السبابتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احد احد اي اقتصر على الواحدة وقال ابو الدرداء ارفعوا هذه الايدي قبل ان تغل بالاغلال ثم ينبغي ان يمسح بهما وجهه في اخر الدعاء قال عمر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وقال ابن عباس كان عليه الصلوة والسلام اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه فهذه هيآت اليد ولا يرفع بصره الى السماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء او لتخطفن ابصارهم الرابع خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي ان ابا موسى الاشعري قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنونا من المدينة كبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الذي تدعون ليس باصم ولا غائب ان الذي تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم وقالت عائشة في قوله تعالى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها اي بدعائك وقد اثنى الله تعالى على نبيه زكريا حيث قال اذ نادى ربه نداء خفيا وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية الخامس ان لا يتكلف السجع في الدعاء فان حال الداعي ينبغي ان يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وقد قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين قيل معناه التكلف بالاسجاع والاولى ان لا يجاوز الدعاء ولذلك ورد في الخبر او الاثر ان العلماء يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع في الدعاء بحسب احدكم ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وفي الخبر سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور وقد مر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال اعلى الله تبالغ اشهد لقد رأيت حبيبا العجمي يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيمة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية ووراءه وكان يعرف بركة دعاءه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال ان العلماء والابدال لا يزيد احدهم في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد له اخر سورة البقرة فان الله لم يخبر في موضع من ادعية عباده اكثر من ذلك واعلم ان المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فان ذلك لا يلائم الضراعة والذلة والا ففي الادعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله عليه الصلوة والسلام اسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانك تفعل ما تريد وامثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات او ليلتمس بلسان التضرع من غير سجع وتكلف والتضرع هو المحبوب عند الله السادس التضرع والخشوع والرهبة قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال تضرعا وخفية وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه السابع ان يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم اذا دعا اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسئلة فانه لا مكره له وقال اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله تعالى لا يتعاظمه شيء وقال صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل وقال سفين بن عيينة لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل اجاب شر الخلق ابليس اذ قال رب انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الثامن ان يلح في الدعاء ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود كان عليه الصلوة والسلام اذا دعا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا وينبغي ان لا يستبطئ الاجابة لقوله صلى الله عليه وسلم يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي فاذا دعوت فاسأل الله كثيرا فانك تدعو كريما وقال بعضهم اني اسأل الله تعالى منذ عشرين سنة وما اجابني وانا ارجو الاجابة سألت الله ان يوفقني لترك ما لا يعنيني وقال صلى الله عليه وسلم اذا سأل احدكم ربه مسئلة فعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطأ عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال التاسع ان يفتتح الدعاء بذكر الله فلا يبدأ بالسؤال قال سلمة بن الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا استفتحه وقال سبحان ربي الاعلى العلي الوهاب وقال ابو سليمن الداراني من اراد ان يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلوة عليه فان الله يقبل الصلوتين وهو اكرم من ان يدع ما بينهما وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألتم الله حاجة فابدؤا بالصلوة علي فان الله تعالى اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضي احديهما ويرد الاخرى رواه ابو طالب المكي العاشر وهو الادب الباطن وهو الاصل في الاجابة التوبة ورد المظالم والاقبال على الله بكنه الهمة فذلك

هو السبب الغريب بالاجابة ويروى عن كعب الاحبار انه قال اصاب الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام فخرج
موسى ببني اسرائيل يستسقى بهم فلم يسقوا ثم خرج ثلث مرات ولم يسقوا فاوحى الله الى موسى انى لا استجيب لك ولمن
معك وفيكم نمام فقال موسى يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله اليه يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما
فقال موسى لبني اسرائيل توبوا باجمعكم من النميمة فتابوا فارسل الله عليهم الغيث وقال سعيد بن جبير قحط الناس فى زمن
ملك من ملوك بنى اسرائيل فاستسقوا فقال الملك ليرسلن الله علينا السماء او لنؤذينه قيل له وكيف تقدر ان تؤذيه
وهو فى السماء فقال اقتل اولياءه واهل طاعته فيكون ذلك اذى له قال فارسل الله السماء وقال سفيان الثورى
بلغنى ان بنى اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الاطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال
ويتضرعون فاوحى الله الى انبيائهم لو مشيتم الى باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم عن الدعاء
فانى لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم منكم باكيا حتى تردوا المظالم الى اهلها ففعلوا فمطروا من يومهم وقال مالك بن دينار اصاب
الناس فى بنى اسرائيل قحط فخرجوا مرارا فاوحى الله الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الى بابدان نجسة وترفعون الى اكفا قد
سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام الان قد اشتد غضبى عليكم ولن تزدادوا منى الا بعدا وقال ابو الصديق الناجى
خرج سليمان يستسقى فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهى تقول اللهم انا خلق من خلقك ولا غنى
بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم وقال الاوزاعى خرج الناس
يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا معشر من حضر الستم تقرون بالاساءة قالوا اللهم نعم
قد سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل وقد اقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا و
اسقنا فرفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال انكم تستبطئون المطر وانا استبطئ
الحجارة ويروى ان عيسى عليه السلام خرج يستسقى فلما ضجروا قال لهم عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام من اصاب منكم
ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه الا رجل واحد فقال له عيسى اما لك من ذنب فقال والله ما اعلم من شئ غير انى كنت ذات
يوم اصلى فمرت بى امرأة فنظرت اليها بعينى هذه فلما جاوزت ادخلت اصبعى فى عينى فانتزعتها واتبعت المرأة بها
فقال له عيسى فادع الله حتى اؤمن على دعائك قال فدعا فتجللت السماء سحابا ثم صبت فسقوا وقال يحيى الغسانى اصاب
الناس قحط شديد على عهد داود النبى على نبينا وعليه الصلوة والسلام فاختاروا ثلثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم
فقال احدهم اللهم انك انزلت فى توراتك ان نعفو عمن ظلمنا اللهم انا قد ظلمنا انفسنا فاعف عنا وقال الثانى
اللهم انك انزلت فى توراتك ان نعتق ارقاءنا اللهم انا ارقاؤك فاعتقنا وقال الثالث اللهم انك انزلت فى توراتك ان لا نرد المساكين اذا وقفوا
على ابوابنا اللهم انا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلمى منعنا الغيث فخرجنا
نستسقى فاذا نحن بسعدون المجنون فى المقابر فنظر الى فقال يا عطاء هذا يوم النشور او بعثر ما فى القبور فقلت لا ولكنا
منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فقال يا عطاء بقلوب ارضية او بقلوب سماوية فقلت بل بقلوب سماوية فقال هيهات
يا عطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال الهى وسيدى لا تهلك بلادك بذنوب
عبادك ولكن بالمكنون من اسمائك وما وارت الحجب من الائك الا ما سقيتنا ماء غدقا تحيى به العباد وتروى به البلاد يا
من هو على كل شئ قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى ارعدت السماء وابرقت وجاءت بمطر كافواه القرب فولى وهو
يقول افلح الزاهدون والعابدونا اذ لمولاهم اجاعوا البطونا اسهروا الاعين العليلة فيه فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى قيل فى الناس ان فيهم جنونا وقال ابن المبارك قدمت المدينة فى عام شديد القحط فخرج الناس
يستسقون وخرجت معهم اذ اقبل غلام اسود عليه قطعتا خيش قد اتزر باحداهما والقى الاخرى على عاتقه فجلس
الى جنبى فسمعته يقول الهى اخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الاعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب
عبادك بذلك فاسالك يا حليما ذا اناة يا من لا يعرف عباده منه الا الجميل ان تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة
الساعة حتى اكتست السماء بالغمام واقبل المطر من كل مكان قال ابن المبارك فجئت الى الفضيل فقال الى اراك كئيبا فقلت
امر سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه ويروى ان عمر بن الخطاب
استسقى بالعباس فلما فرغ من دعائه قال العباس رضى الله عنه اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولم يكشف
الا بتوبة وقد توجه بى القوم اليك لمكانى من نبيك صلى الله عليه وسلم فهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة
وانت الراعى لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى و
انت تعلم السر واخفى اللهم فاغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى
ارخت السماء مثل الحبال

فضيلة الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله عليه الصلوة والسلام

قال الله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وروى انه صلى الله
عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى فى وجهه فقال انه جاءنى جبرئيل عليه السلام فقال اما ترضى يا محمد ان لا يصلى
عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا وقال صلى الله عليه وسلم
من صلى على صلت عليه الملائكة ما صلى على فليقلل العبد من ذلك او ليكثر وقال ايضا ان اولى الناس بى اكثرهم على صلوة وقال
بحسب المؤمن من البخل ان اذكر عنده فلا يصلى على وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا على من الصلوة يوم الجمعة وقال من صلى
على من امتى كتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات وقال من قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب
هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم
القيمة حلت له شفاعتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له
ما دام اسمى فى ذلك الكتاب وقال صلى الله عليه وسلم ان فى الارض ملائكة سياحين يبلغونى عن امتى السلام وقال
صلى الله عليه وسلم ليس احد يسلم على الا رد الله على روحى حتى ارد عليه وقيل له يا رسول الله كيف نصلى عليك فقال
قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه
سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى ويقول بابى انت وامى يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر
الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولى بالحنين اليك لما فارقتهم بابى انت وامى
يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بابى انت وامى يا رسول
الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اخبرك بالعفو عنك قبل ان اخبرك بالذنب فقال عفا الله عنك لم اذنت لهم بابى انت و
امى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك اخر الانبياء وذكرك فى اولهم وقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح وابرهيم الاية بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكو
نوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا بابى انت وامى يا رسول الله لئن كان
موسى بن عمران اعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فما ذلك باعجب من اصابعك حين نبع منه الماء صلى الله عليك وسلم بابى
انت وامى يا رسول الله لئن كان سليمن اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فما ذلك باعجب من البراق حين سرت
عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابى انت وامى يا رسول الله لئن كان عيسى بن
مريم اعطاه الله احياء الموتى فما ذلك باعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهى مشوية فقالت لا تاكلنى فانى مسمومة
بابى انت وامى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا
مثلها لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهرك وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر
لقومى فانهم لا يعلمون بابى انت وامى يا رسول الله لقد اتبعك فى قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا فى كثرة سنه

وطول عمره ولقد اسن بك الكثير وما امن معه الا قليل بابي انت وامي يا رسول الله لو لم نجالس الا كفوا لك ما جالستنا
ولو لم ننكح الا كفوا لك ما نكحت الينا ولو لم نواكل الا كفوا لك ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا و
واكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار واردفت خلفك ووضعت طعامك بالارض ولعقت اصابعك تواضعا
منك صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم كنت اكتب الحديث واصلي فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ولا اسلم عليه فرايت
النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي اما تتم الصلوة علي في كتابك فما كتبت بعد ذلك الا صليت وسلمت وروي
عن ابي الحسن الشاذلي ان الشافعي قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله بم جزي الشافعي عنك
حيث يقول في كتاب الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون فقال جزي عني انه لا
يوقف للحساب **فضيلة الاستغفار** قال الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم وقال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود في كتاب الله عز وجل ايتان ما اذنب عبد ذنبا فقراهما فاستغفر
الله الا غفر له والذين اذا فعلوا فاحشة وقوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما
وقال عز وجل والمستغفرين بالاسحار وقال تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وكان صلى الله عليه وسلم
يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب الرحيم وقال صلى الله عليه وسلم من اكثر الاستغفار
جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله
واتوب اليه في اليوم سبعين مرة هذا مع انه كان قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقال صلى الله عليه وسلم انه ليغان
على قلبي حتى اني لاستغفر الله كل يوم مائة مرة وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين ياوي الى فراشه استغفر الله الذي لا
اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه ثلث مرات غفر الله ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر او عدد رمل عالج او عدد ورق الاشجار
او عدد ايام الدنيا وقال في خبر اخر من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف وقال حذيفة كنت
ذرب اللسان على اهلي فقلت يا رسول الله لقد خشيت ان يدخلني لساني النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاين انت
من الاستغفار فاني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
كنت الممت بذنب فاستغفري الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار وكان صلى الله عليه وسلم يقول في
الاستغفار اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطائي
وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت
المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير وقال علي رضي الله عنه كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
حديثا نفعني الله بما شاء ان ينفعني به واذا حدثني من اصحابه استحلفته فاذا حلف صدقته قال حدثني ابو بكر رضي الله
عنه وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي
ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم تلا هو له والذين اذا فعلوا فاحشة الاية وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه و
سلم انه قال ان المؤمن اذا اذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فان زاد
زادت حتى تعلو قلبه فذلك الرين الذي ذكر الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروى ابو هريرة انه صلى الله
عليه وسلم قال ان الله ليرفع درجة العبد في الجنة فيقول يا رب انى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك وروت عائشة
رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساؤا استغفروا و
قال صلى الله عليه وسلم اذا اذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي يقول الله عز وجل اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا
ياخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان
عاد في اليوم سبعين مرة وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا لم يعمل خيرا قط فنظر الى السماء فقال ان لي ربا يا رب اغفر لي فقال

الله عز وجل قد غفرت لك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذنب ذنبا فعلم ان الله قد اطلع عليه غفر له وان لم
يستغفر وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفروني اغفر لكم ومن علم اني
ذو قدرة على ان اغفر له غفرت له ولا ابالي وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر
لي انه لا يغفر الذنوب الا انت غفرت ذنوبه ولو كانت كدبيب النمل ويروى ان افضل الاستغفار اللهم انت ربي
وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء على نفسي بذنبي
وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما اخرت انه لا يغفر الذنوب جميعا الا انت
الاثار قال خالد بن معدان قال الله تعالى ان احب عبادي الي المتحابون بحبي والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون
بالاسحار اولئك الذين اذا اردت اهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم وقال قتادة القران
يدلكم على دائكم ودوائكم اما دائكم فالذنوب واما دواءكم فالاستغفار وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه عجبت ممن
يهلك ومعه النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وكان يقول ما الهم الله عبدا الاستغفار وهو يريد ان يعذبه
وقال الفضيل قول العبد استغفر الله معناه اقلني وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما الا الحمد والاستغفار
وقال الربيع بن خثيم لا يقولن احدكم استغفر الله واتوب اليه فيكون ذنبا وكذبا ان لم يفعل وليقل اللهم اغفر لي وتب
علي وقال الفضيل استغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار
كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا على الله وهو لا يعلم وسمع اعرابي وهو متعلق
باستار الكعبة يقول اللهم ان استغفاري مع اصراري للؤم وان تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم
تتحبب الي بالنعم مع غناك عني وابغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك يا من اذا وعد وفى واذا توعد عفا ادخل
عظيم جرمي في عظيم عفوك يا ارحم الراحمين وقال ابو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا
لمحيت عنك اذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله اللهم اني استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت
فيه واستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ثم لم اوف لك به واستغفرك من كل عمل اردت به وجهك فخالطه غيرك
واستغفرك من كل نعمة انعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك واستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل
ذنب اتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملاء وخلاء وسر وعلانية يا حليم ويقال انه استغفار الخضر
الباب الثالث في ادعية ماثورة ومعزية الى اسبابها واربابها مما يستحب ان يدعو بها المريد
صباحا ومساء وبعقب كل صلوة فمنها دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس بعثني
العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى
الركعتين قبل صلوة الفجر قال اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد
بها الفتن عني وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني
بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف
كرامتك في الدنيا والاخرة اللهم اني اسالك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر
على الاعداء ومرافقة الانبياء اللهم اني انزل بك حاجتي وان ضعف رايي وقصر عملي وافتقرت الى رحمتك فاسالك
يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة
القبور اللهم ما قصر عنه رايي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير
انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسالكه يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين
ولا مضلين حربا لاعدائك سلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا

الدعاء وعلينا الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله يا ذا
الحبل الشديد والامر الرشيد اسالك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود
والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان الذي تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس
المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان
الذي احصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في
شعري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا
عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي نورا دعاء عايشة
رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعايشة عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم اني اسالك من الخير
كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم اعلم واسالك
الجنة وما قرب اليها من قول او عمل واسالك من الخير ما سالك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واستعيذك
مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واسالك ما قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته رشدا يا ارحم
الراحمين دعاء فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة ما يمنعك ان تسمعي ما اوصيك
به ان تقولي يا حي يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله دعاء الصديق
رضي الله عنه علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق رضي الله عنه ان يقول اللهم اني اسالك بمحمد نبيك
وبابرهيم خليلك وموسى كليمك ونجيك وعيسى كلمتك وروحك وبكلام موسى وانجيل عيسى وزبور داود و
قران محمد صلى الله عليه وسلم وكل وحي اوحيته او قضاء قضيته او سائل اعطيته او غني اقنيته او فقير اغنيته
او ضال هديته واسالك باسمك الذي انزلته على موسى واسالك باسمك الذي تثبت به ارزاق العباد واسالك
باسمك الذي وضعته على الارض فاستقرت واسالك باسمك الذي وضعته على الجبال فرست واسالك باسمك
الذي استقل به عرشك واسالك باسمك الذي وضعته على السموات واستقلت واسالك باسمك الطهر الطاهر
الاحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين واسالك باسمك الذي وضعته على النهار
فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك ان ترزقني القران والعلم وتخلطه بلحمي و
دمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بك يا ارحم الراحمين
دعاء بريدة الاسلمي روي انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة الا اعلمك كلمات من اراد الله به خيرا
علمهن اياه ثم لم ينسهن اياه ابدا قال قلت بلى يا رسول الله قال قل اللهم اني ضعيف فقو في رضاك ضعفي و
خذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رضاي اللهم اني ضعيف فقوني واني ذليل فاعزني واني فقير
فاغنني يا ارحم الراحمين دعاء قبيصة بن المخارق رضي الله عنه اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمني
كلمات ينفعني الله بها فقد كبر سني وعجزت عن اشياء كنت اعملها فقال عليه الصلوة والسلام اما لدنياك فاذا
صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة الا بالله فانك
اذا قلتهن امنت من كل غم وجذام وبرص وفالج فاما لاخرتك فقل اللهم اهدني من عندك وافض علي من
فضلك وانشر علي من رحمتك وانزل علي من بركاتك ثم قال عليه الصلوة والسلام اما انه اذا وافاهن عبد يوم القيمة
لم يدعهن فتح له اربعة ابواب من الجنة يدخل من ايها شاء دعاء ابي الدرداء رضي الله عنه ذات يوم قد احترقت دارك
كانت النار قد وقعت في محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلاثا وهو يقول ما كان الله ليفعل
ذلك ثم اتاه آت وقال يا ابا الدرداء ان النار حيث دنت من دارك طفئت فقال قد علمت فقيل له ما ندري

اي قوليك اعجب قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال هؤلاء الكلمات في ليل او نهار
لم يضره شيء وقد قلتهن اللهم انت ربي لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن اعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل
شيء علما اللهم اني اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم
دعاء الخليل ابرهيم صلوات الله على نبينا وعليه كان يقول اذا اصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه
علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما
عملت فيه من سوء فاغفره انك غفور رحيم ودود كريم ومن دعا بهذا الدعاء اذا اصبح فقد ادى شكر يومه
دعاء عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام كان يقول اللهم اني اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما
ارجو واصبح الامر بيد غيري فاصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير افقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسوء بي صديقي ولا تجعل
مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني دعاء الخضر على نبينا وعليه السلام يقال الخضر
والياس اذا التقيا في كل موسم لم يتفرقا الا عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة
من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله فمن قالها ثلاثا اذا اصبح امن من الغرق و
الحرق والسرق دعاء معروف الكرخي رحمه الله قال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي رحمه الله الا اعلمك عشر
كلمات خمسا للدنيا وخمسا للاخرة من دعا الله بهن وجد الله عندهن قلت اكتبها قال لا ولكن اردها عليك كما
رددها علي بكر بن خنيس حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي حسبي الله الكريم لما اهمني حسبي الله الحليم القوي
لمن بغى علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤف عند المسالة في القبر
حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا اله الا هو عليه
توكلت وهو رب العرش العظيم وروي عن ابي الدرداء انه قال من قال في كل يوم سبع مرات فان تولوا فقل حسبي
الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله ما اهمه من امر اخرته صادقا كان بها او كاذبا دعاء عتبة
الغلام رحمه الله روي عتبة في المنام بعد موته فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات يا هادي المضلين يا راحم المذنبين يا
مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا من الاحياء المرزوقين الذين
انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين امين رب العالمين دعاء آدم على نبينا وعليه الصلوة
والسلام قالت عايشة لما اراد الله ان يتوب على آدم طاف سبعا بالبيت وهو يومئذ ليس ببني بل ربوة حمراء ثم قام فصلى
ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر
لي ذنبي اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبته علي وارضني بما قسمته لي
فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولن ياتي احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت له وكشفت غمومه
وهمومه ونزعت الفقر من عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها دعاء
علي رضي الله عنه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يمجد نفسه كل يوم ويقول اني انا الله رب العالمين اني
انا الله لا اله الا انا الحي القيوم اني انا الله لا اله الا انا العلي العظيم اني انا الله لا اله الا انا لم الد ولم اولد اني انا الله لا
اله الا انا العفو الغفور اني انا الله لا اله الا انا مبدي كل شيء واليه يعود العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم
الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ الاحد المصور الكبير
المتعالي المقتدر القهار الحليم الكريم اهل الثناء والمجد اعلم السر واخفى القادر الرازق فوق الخلق والخليقة وذكر انه اني

تبل كل ع

انا الله صح

ان الله شاه ح

انا الله لا اله الا انا كما اوردناه في الاول فمن دعا بهذه الاسماء فليقل انت الله لا اله الا انت كذا وكذا فمن دعا بهما
كتب من الساجدين المخبتين القبنيجا ودون محمدا وابرهيم وموسى وعيسى والنبيين في دار الجلال وله ثواب العابدين
في السموات والارضين **دعاء ابي المعتمر** وهو سليمان التيمي وتسبيحاته روي ان يونس بن عبيد راى رجلا في
المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال له ما افضل ما رايتم من الاعمال قال رايت تسبيحات ابي المعتمر من الله تعالى بمكان
وهي هذه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق
وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وملء ارضيه ومثل ذلك واضعاف
ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه حتى يرضى واذا رضي وعدد ما ذكره به
خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي من كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات
ونسم ونفس من الابد الى الابد ابد الدنيا وابد الاخرة واكثر من ذلك لا ينقطع اوله ولا ينفد اخره **دعاء ابرهيم
بن ادهم** رحمة الله عليه روى ابرهيم بن بشار خادمه انه كان يقول هذا الدعاء في يوم الجمعة اذا اصبح واذا امسى
مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتبنا لنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد
الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد اصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبي مستغفرا و
لربوبية الله خاضعا ولسوى الله في الالهية جاحدا والى الله فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله منيبا اشهد الله واشهد ملائكته
وانبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه وما هو خالقه بانه هو الله لا اله الا هو وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وان الجنة حق وان النار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق و
وعدك حق ولقاءك حق والساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور على ذلك احيى وعلى ذلك اموت و
عليه ابعث ان شاء الله اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ
بك اللهم من شر كل ذي شر اللهم اني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق
وانه لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله بيديك
انا بك واليك استغفرك واتوب اليك امنت اللهم بما ارسلت من رسول وامنت اللهم بما انزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي
الامي وعلى اله وسلم خاتم كل امر ومفتاحه وعلى انبيائه ورسله اجمعين امين رب العالمين اللهم اوردنا حوضه واسقنا
بكاسه مشربا رويا سائغا هنيئا لا نظما بعده ابدا واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا ناكثين ولا ممقوتين ولا مغضوب علينا
ولا ضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى واصلح لي شاني كله وثبتني بالقول الثابت في الحيوة
الدنيا وفي الاخرة ولا تضلني وان كنت ظالما سبحانك يا علي يا عظيم يا بارئ يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السموات
باكنافها وسبحان من سبحت له الجبال باصدائها وسبحان من سبحت له البحار بامواجها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها و
سبحان من سبحت له النجوم في السماء بابراجها وسبحان من سبحت له الاشجار باصولها وثمارها وسبحان من سبحت له
السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحان من سبح له كل شيء من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانك
سبحانك يا حي يا حليم سبحانك لا اله الا انت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وانت حي لا تموت بيدك الخير وانت
على كل شيء قدير

الباب الرابع في ادعية ماثورة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه محذوفة
الاسانيد منتخبة من جملة ما جمعه ابو طالب المكي وابن خزيمة وابن المنذر رحمة الله عليهم يستحب للمريد اذا اصبح ان يكون
احد اوراده الدعاء كما سياتي في كتاب الاوراد فان كنت من المريدين لحرث الاخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما دعا به فقل في مفتتح دعواتك صلواتك سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ثلاث مرات

المحسنين خ
لاديت لي خ
كثيرا صح
والارنابين

وقل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك من
شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وقل اللهم اني اسالك العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم
استر عوراتي وامن روعاتي واقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ
بك ان اغتال من تحتي اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من
الغافلين اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك
من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وقل اللهم عافني في بدني
وعافني في سمعي وعافني في بصري لا اله الا انت ثلاث مرات وقل اللهم اني اسالك الرضا بعد القضاء وبرد العيش
بعد الموت ولذة النظر الى وجهك وشوقا الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة واعوذ بك ان اظلم
او اظلم او اعتدي او يعتدى علي او اكسب خطيئة او ذنبا لا تغفره اللهم اني اسالك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد
اسالك شكر نعمتك وحسن عبادتك واسالك قلبا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا واسالك
من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم اغفر لي ما قدمت
وما اخرت وما اسررت وما اعلنت فانك انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد اللهم اني
اسالك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد في اعلى جنة الخلد اللهم اني اسالك الطيبات
وفعل الخيرات وحب المساكين اسالك حبك وحب من احبك وحب كل عمل يقرب الى حبك وان تتوب علي وتغفر لي و
ترحمني واذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما كانت
الحيوة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اسالك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب
والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك واعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم
زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك
ما تدخلنا به الى جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك
فرحا واسكن في نفوسنا من عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك احب الاشياء الينا مما سواك واجعلنا
اخشى لك ممن سواك اللهم اجعل اول يومنا هذا صلاحا واوسطه فلاحا واخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة
واوسطه نعمة واخره تكرمة الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم
كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته واظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد وازواجه وذريته وبارك على محمد وعلى اله وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم وال ابرهيم في
العالمين انك حميد مجيد اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي رسول الامين واعطه المقام
المحمود يوم الدين اللهم اجعلنا من اوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين استعملنا لمرضاتك عنا
ووفقنا لمحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا نسالك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر و
فواتحه وخواتمه اللهم بقدرتك علي تب علي انك انت التواب الرحيم وبحلمك عني اعف عني انك انت الغفار وبعلمك
بي ارفق بي انك انت الرحمن وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي انك انت الملك الجبار سبحانك وبحمدك عملت سوءا
وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي انك انت ربي انه لا يغفر الذنوب الا انت اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي اللهم
ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني اسالك العفو والعافية وحسن اليقين و
المعافاة في الدنيا والاخرة يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك
افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين توفني مسلما والحقني بالصالحين اللهم انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين

وشرنبيني صح
الرضاء صح
وترك المنكرات صح
عليه وتنعني صح

واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا
فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا و
انصرنا على القوم الكافرين ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة الاية ربنا
اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان الى قوله انك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا الى اخر السورة رب اغفر لي
ولوالدي رب ارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات
رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فانك انت الاعز الاكرم وانت خير الراحمين وخير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل **انواع الاستعاذة المأثورة** عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك من ان ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة
الدنيا واعوذ بك من عذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من طمع يهدي الى طبع وطمع في غير مطمع حين لا مطمع اللهم
اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ومن الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها
بئست البطانة ومن الكسل والجبن والبخل ومن الهرم ومن ان ارد الى ارذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن
فتنة المحيا والممات اللهم انا نسالك قلوبا اواهة مخبتة منيبة في سبيلك اللهم انا نسالك عزائم مغفرتك وموجبات
رحمتك ومنجيات امرك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم اني اعوذ بك من
شر ما عملت ومن شر ما لم اعلم اللهم جنبني منكرات الاخلاق والاعمال والادواء والاهواء اللهم اني اعوذ بك من
جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء اللهم اني اعوذ بك من الكفر والدين والفقر واعوذ
بك من عذاب جهنم واعوذ بك من فتنة الدجال اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وشر لساني وقلبي وشر
منيي اللهم اني اعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فان جار البادي يتحول اللهم اني اعوذ بك من القسوة و
الغفلة والعيلة والذلة والمسكنة واعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء
واعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيئ الاسقام اللهم اني اعوذ بك من زوال نعمتك ومن
تحول عافيتك ومن فجاة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم اني اعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب
القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من المغرم والمأثم اللهم
اني اعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب واعوذ بك من شر الغم وفتنة
الصدر اللهم اني اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء

الباب الخامس

في الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث اذا اصبحت وسمعت الاذان فتستحب لك جواب المؤذن
وقد ذكرناه وذكرنا ادعية دخول الخلاء والخروج منه وادعية الوضوء في كتاب الطهارة فاذا خرجت الى
المسجد فقل اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا واجعل في
خلفي نورا ومن امامي نورا واجعل من فوقي نورا اللهم اعطني نورا وقل ايضا اللهم اني اسالك بحق السائلين
عليك وبحق ممشاي هذا اليك لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك
فاسالك ان تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت واذا خرجت من المنزل لحاجة فقل
بسم الله رب اعوذ بك ان اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله
التكلان على الله فاذا انتهيت الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وسلم اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب رحمتك وقدم رجلك اليمنى في الدخول وان رايت في المسجد من يبيع او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك
واذا رايت من ينشد ضالة في المسجد فقل لا رد الله عليك امر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا صليت ركعتي الفجر

فقل اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الدعاء الى اخره كما اوردناه عن ابن عباس
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ركعت فقل في ركوعك اللهم لك ركعت و
لك خشعت وبك امنت ولك اسلمت وعليك توكلت انت ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي
وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين وان احببت قل سبحان ربي العظيم ثلاث مرات
او سبوح قدوس رب الملائكة والروح واذا رفعت راسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا
لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد كلنا لك عبد لا مانع لما
اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد فاذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك امنت
ولك اسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله احسن الخالقين اللهم
سجد لك سوادي وخيالي وامن بك فؤادي ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر
لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وتقول سبحان ربي الاعلى ثلاث مرات فاذا فرغت من الصلوة فقل اللهم
انت السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وتدعو بسائر الادعية التي ذكرناها فاذا قمت من المجلس فاردت
دعاء يكفر لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك عملت
سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت فاذا دخلت السوق فقل لا اله الا الله وحده لا
شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير بسم الله اللهم
اني اسالك خير هذا السوق وخير ما فيها اللهم اني اعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني اعوذ بك ان اصيب
بها يمينا فاجرة او صفقة خاسرة فان كان عليك دين فقل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني
بفضلك عمن سواك فاذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد اسالك من خيره و
خير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له واذا رايت شيئا من الطيرة تكرهه فقل اللهم لا ياتي
بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت لا حول ولا قوة الا بالله واذا رايت الهلال فكبر الله ثلاثا ثم
قل اللهم اهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام ربي وربك الله وتقول هلال خير ورشد امنت
بخالقك اللهم اني اسالك خير هذا الشهر وخير القدر واعوذ بك من شر يوم الحشر فاذا هبت الريح
فقل اللهم اني اسالك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به ونعوذ بالله من شرها وشر ما فيها
وشر ما ارسلت به فاذا بلغتك وفاة احد فقل انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه
في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلف على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده
اغفر لنا وله وتقول عند التصدق ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وتقول عند الخسران عسى ربنا ان يبدلنا
خيرا منها انا الى ربنا راغبون وتقول عند ابتداء الامور ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا
رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وعند النظر الى السماء ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب
النار تبارك الذي جعل في السماء بروجا الاية فاذا سمعت صوت الرعد فقل سبحان من يسبح الرعد بحمده و
الملائكة من خيفته واذا رايت الصواعق فقل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك
سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته قال كعب فاذا مطرت السماء فقل اللهم غيثا مغيثا سقيا
سيبا هنيئا وصيبا نافعا اللهم اجعله سبب رحمة ولا تجعله سبب عذاب واذا غضبت فقل اللهم اغفر لي ذنبي
واذهب غيظ قلبي واجرني من الشيطان الرجيم واذا خفت قوما فقل اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك

من شر ورمه واذا اغزوت فقل اللهم انت عضدي ونصيري وبك اقاتل واذا اطنت اذنك فصل على محمد وقل
ذكر الله من ذكرني واذا رايت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات و
ان ابطات فقل الحمد لله على كل حال واذا سمعت اذان المغرب فقل اللهم هذا استقبال ليلك وادبار نهارك
واصوات دعاتك وحضور صلواتك اسالك ان تغفر لي واذا اصابك هم فقل اللهم اني عبدك ابن عبدك
ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك ونافذ في قضاؤك اسالك بكل اسم سميت به نفسك او انزلته
في كتابك او اعطيته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القران ربيع قلبي
ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي قال صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا حزن فقال
ذلك الا اذهب الله همه وابدله مكانه فرحا فقيل يا رسول الله افلا نتعلمها فقال بلى ينبغي لمن سمعها ان
يتعلمها واذا وجدت وجعا في جسدك او جسد غيرك فارق برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى
انسان قرحا او جرحا وضع سبابته على الارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا يشفى
بها سقيمنا باذن ربنا واذا وجدت وجعا في جسدك فضع يدك على الذي يالم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل
سبع مرات اعوذ بالله وقدرته من شر ما اجد واحاذر واذا اصابك كرب فقل لا اله الا الله العلي العظيم الحليم
لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم واذا اردت النوم فتوضا
اولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله اربعا وثلاثين وسبحه ثلاثا وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين ثم قل
اللهم اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا استطيع ان ابلغ ثناء عليك ولو حرصت
ولكن انت كما اثنيت على نفسك اللهم باسمك احيى واموت اللهم رب السموات ورب الارض ورب كل شيء ومليكه
فالق الحب والنوى ومنزل التورية والانجيل والقران اعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها
انت الاول فليس قبلك شيء وانت الاخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك
شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر اللهم انك خلقت نفسي وانت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم ان امتها فاغفر
لها وان احييتها فاحفظها اللهم اني اسالك العافية باسمك ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي اللهم قني عذابك
يوم تجمع عبادك اللهم اسلمت نفسي اليك وفوضت امري اليك والجات ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا
منجا ولا ملجا الا اليك امنت بكتابك الذي انزلت ونبيك الذي ارسلت وليكن هذا اخر دعائك فقد امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقل قبل ذلك اللهم ايقظني في احب الساعات اليك واستعملني باحب الاعمال
لديك تقربني اليك زلفا وتبعدني من سخطك بعدا اسالك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي
فاذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور اصبحنا واصبح الملك
لله والعظمة والسلطان والعزة والقدرة لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وملة ابينا ابرهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيا وبك
نموت واليك المصير اللهم انا نسالك ان تبعثنا في هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح فيه سوءا او نجره الى مسلم فانك
قلت وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا
والشمس والقمر حسبانا اسالك خير هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله
ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا و
بمحمد نبيا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير واذا امسيت قلت ذلك الا انك تقول امسينا وتقول مع ذلك
اعوذ بكلمات الله التامات واسمائه كلها من شر ما ذرا وبرا ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها ان ربي على صراط

مستقيم واذا نظرت في المراة فقل الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرم صورة وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين واذا
اشتريت غلاما او جارية او دابة فخذ بناصيته وقل اللهم اني اسالك خيره وخير ما جبل عليه واعوذ بك من شره وشر ما جبل
عليه واذا هنيت بالنكاح فقل بارك الله فيه وبارك عليك وجمع بينكما في خير واذا قضيت الدين فقل للمقضي له بارك الله في
اهلك ومالك اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما جزاء السلف الحمد والاداء فهذه ادعية لا يستغني المريد عن
حفظها وما سوى ذلك من ادعية السفر والوضوء والصلوة فقد ذكرناه في كتاب الحج فان قلت فما فائدة الدعاء و
القضاء لا مرد له فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء والدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد
السهم والماء سبب لخروج النبات من الارض وكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط
الاعتراف بقضاء الله ان لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى خذوا حذركم وانه لا يسقى الارض بعد بث البذر فيقال ان سبق القضاء
بالنبات نبت بل ربط الاسباب بالمسببات هو القضاء الاول الذي هو كلمح البصر وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الاسباب
على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الامور
عند من انفتحت بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة والغالب على الخلق انه لا تنصرف قلوبهم الى ذكر الله الا عند الماس حاجة وارهاق ملمة
فان الانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعاء والدعاء يرد القلب الى الله بالتضرع والاستكانة فيحصل
به الذكر الذي هو اشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل لانه يرد القلب بالافتقار و
التضرع الى الله ويمنع من نسيانه واما الغنى فسبب للبطر في غالب الامر فان الانسان ليطغى ان راه استغنى فهذا ما اردنا
ان نورده من جملة الاذكار والدعوات والله الموفق للخير واما بقية الدعوات في الاكل والشرب والسفر وعيادة المريض فسياتي
في مواضعها ان شاء الله تعالى

كتاب ترتيب الاوراد

وتفصيل احياء الليل وهو الكتاب العاشر من
من كتب احياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله على الائه حمدا كثيرا ونذ
كره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا ولا نفورا ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ونصلي على نبيه
الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى اله وصحبه الاكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله تعالى غدوة وعشيا وبكرة واصيلا حتى
اصبح كل واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا اما بعد فان الله تعالى جعل الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا
في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها محترزين من مصائدها ومعاطبها ويتحققون ان العمر يسير بهم سير
السفينة براكبها والناس في هذا العالم سفر واول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة او النار والعمر مسافة السفر
فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رؤس امواله وشهواته و
اغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله مع الا
نكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل عن نفس من انفاسه حتى ينقضي في غير طاعة مقربة الى الله زلفى متعرض في يوم
التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ
النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الاوقات وظائف الاوراد حرصا على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك
الجبار والسعي الى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الاخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات التي سبق
شرحها على مقادير الاوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين **الباب الاول** في فضيلة الاوراد وترتيبها في
الليل والنهار **الباب الثاني** في كيفية احياء الليل وفضيلته وما يتعلق به **الباب الاول** في فضيلة الاوراد
وترتيبها واحكامها فضيلة الاوراد وبيان ان المواظبة عليها هي الطريق الى الله تعالى اعلم ان الناظرين بنور البصيرة علموا انه لا
نجاة الا في لقاء الله وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله وعارفا بالله وان المحبة والانس لا تحصل الا من دوام الذكر

فيه وفي صفاته وافعاله وليس في الوجود سوى الله وافعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا و
شهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل والنهار في وظائف
الاذكار والافكار والنفس لما جبلت عليه من السامة والملال لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر
بل اذا ردت الى نمط واحد اظهرت الملال والاستثقال وان الله لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من
فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت ليغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها ويدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك
يقسم الاوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغي ان يستغرقا جميع الاوقات او اكثرها فان النفس بطبعها مائلة الى ملاذ
الدنيا فان صرف العبد شطرا وقاته الى تدبيرات الدنيا وشهواته المباحة مثلا والشطر الاخر الى العبادات رجح جانب الميل
الى الدنيا لموافقتها للطبع اذ يكون الوقت متساويا فانى يتقاومان والطبع لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن يتساعدان على
امور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد واما الرد الى العبادات فمتكلف ولا يسلم اخلاص القلب وحضوره الا في
بعض الاوقات فمن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته في الطاعة ومن اراد ان يترجح كفة حسناته و
يثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا واخر سيئا فامره مخطر ولكن الرجاء غير
منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله ان يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فان لم يكن
من اهله فانظر الى خطاب الله سبحانه لرسوله واقتبسه بنور الايمان فقد قال تعالى لاقرب عباده اليه وارفعهم درجة لديه ان
لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه
ليلا طويلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال تعالى ان ناشئة الليل
هي اشد وطأ واقوم قيلا وقال تعالى ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال تعالى واقم الصلوة
طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال
امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال
تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال عز من
قائل كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله
الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اي فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فهذا كله يبين لك ان الطريق الى الله مراقبة الاوقات وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام و
لذلك قال صلى الله عليه وسلم احب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله وقد قال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال
تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وقال تعالى
والقمر قدرناه منازل وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فلا تظنن ان المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان منظوم
مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم ان يستعان بها على امور الدنيا بل لتعرف الاوقات وتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الاخرة
يدلك عليه قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يخلف احدهما الاخر ليتدارك
في احدهما ما فات في الاخر وبين ان ذلك للذكر والشكر لا لغيره وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا اية الليل وجعلنا
اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وانما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة

بيان اعداد الاوراد وترتيبها

اعلم ان اوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان وما بين الزوال الى وقت العصر
وردان وما بين العصر الى الغروب ورد والليل ينقسم باوراده اربعة وردان من المغرب الى وقت نوم الناس ووردان في
النصف الاخير من الليل الى طلوع الصبح فلنذكر وظيفة كل ورد وفضيلته وما يتعلق به فالورد الاول بين طلوع الصبح الى
طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله اقسام الله تعالى به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال

فالق الاصباح وقال قل اعوذ برب الفلق واظهاره القدرة بقبض الظل فيه اذ قال ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا
وهو وقت قبض الظل ببسط نور الشمس وارشاده الناس الى التسبيح فيه بقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وبقوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقوله ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار وقوله واذكر اسم ربك بكرة و
اصيلا واما ترتيبه فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه فينبغي ان يبتدئ بذكر الله فيقول الحمد لله الذي احيانا
بعد ما اماتنا واليه النشور الى اخر الادعية والايات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات وليلبس
ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته امتثالا لامر الله واستعانة على عبادة الله من غير قصد رياء ولا رعونة
ثم يتوجه الى بيت الماء ان كان به حاجة ويدخل اولا رجله اليسرى ويدعو بالادعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند
الدخول والخروج ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضأ مراعيا لجميع السنة والادعية التي ذكرناها في الطهارة فانا انما
قدمنا احاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الصبح
اعني السنة في منزله كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعد الركعتين سواء اداهما في البيت او في المسجد
الدعاء الذي رواه ابن عباس ويقول اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى اخر الدعاء ثم يخرج من البيت
متوجها الى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج الى المسجد ولا يسعى الى الصلوة بل يمشي وعليه السكينة كما ورد به الحديث ولا يشبك
بين اصابعه فيدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء المأثور لدخول المسجد ثم يطلب من المسجد الصف الاول
ان وجد متسعا ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر ان لم يكن صلاهما في
منزله ويشتغل بالدعاء المذكور بعده وان كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا للجماعة والاحب التغليس
بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم يغلس بالصبح ولا ينبغي ان يدع الجماعة في الصلوة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة
فان لهما زيادة فضل روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في صلوة الصبح من توضأ ثم توجه الى المسجد
يصلي فيه الصلوة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب
له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع كتب له بكل ركعة الفي الف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل
ذلك وانقلب بعمرة مبرورة وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل
طلوع الفجر فلقيت ابا هريرة قد سبقني فقال لي يا ابن اخي لاي شيء خرجت من منزلك هذه الساعة فقلت لصلوة الغداة فقال ابشر
فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله او قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال الا تصليان قال علي فقلت يا رسول الله
انما انفسنا بيد الله فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعته وهو منصرف يضرب فخذه ويقول
وكان الانسان اكثر شيء جدلا ثم يشتغل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح الى ان تقام الصلوة فيقول
استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ثم يصلي الفريضة
مراعيا جميع ما ذكرناه من الاداب الباطنة والظاهرة في الصلوة والقدوة ثم يقعد في المسجد الى طلوع الشمس في ذكر الله
كما سنرتبه فقد قال صلى الله عليه وسلم لان اقعد في مجلس اذكر الله فيه من صلوة الغداة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق
اربع رقاب وروي انه صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي ركعتين
اي بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من رحمة
ربه يقول انه قال يا ابن آدم اذكرني من بعد صلوة الفجر ساعة وبعد صلوة العصر ساعة اكفك ما بينهما فاذا ظهر فضل ذلك
فليقعد ولا يتكلم الى طلوع الشمس بل ينبغي ان يكون وظيفته اربعة انواع ادعية واذكار يكررها في سبحة وقراءة قرآن و
تفكر اما الادعية فكلما يفرغ من صلوته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم انت السلام ومنك السلام واليك

يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله اهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله
ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم يبتدئ بالادعية التي ذكرناها واوردناها في الباب الثالث و
الرابع من باب الدعوات فيدعو بجميعها ان قدر عليه او يحفظ من جملتها ما يراه اوفق لحاله وارق لقلبه واخف على لسانه
واما الاذكار المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطول بايرادها واقل ما ينبغي ان يكرر كل واحد منها ثلاثا
او سبعا واكثره مائة او سبعون واوسطه عشر وليكرره بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الاكثر اكثر والاوسط
الاقتصد ان يكررها عشر مرات فهو اجدر ان يدوم عليه وخير الامور ادومها وان قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها
فقليلها مع المداومة افضل واشد تاثيرا في القلب من كثيرها ومثال القليل الدائم مثال قطرات ماء تتقاطر على الارض على
التوالي فتحدث فيها حفرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة او دفعات متفرقة متباعدة الاوقات فلا
يتبين لها اثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة الاولى قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو
حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير الثانية قوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
الثالثة قوله سبوح قدوس رب الملائكة والروح الرابعة قوله سبحان الله العظيم وبحمده الخامسة قوله استغفر الله الذي لا اله الا هو
الحي القيوم واسأله التوبة السادسة قوله اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد السابعة
قوله لا اله الا الله الملك الحق المبين الثامنة قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم التاسعة قوله
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد العاشرة قوله اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ
بك رب ان يحضرون فهذه العشر كلمات اذا كرر كل واحد عشر مرات حصل له مائة مرة فهو افضل من ان يكرر ذكرا
واحدا مائة مرة لان لكل واحدة من هذه الكلمات فضلا على حياله وللقلب بكل واحد نوع تنبه وتلذذ وللنفس في
الانتقال من كلمة الى كلمة نوع استراحة وامن من الملال **واما القراءة** فيستحب له قراءة جملة من الآيات وردت الاخبار
بفضلها وهو ان يقرأ سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله آمن الرسول وشهد الله انه لا اله الا هو وقل
اللهم مالك الملك الآيتين وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخرها وقوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا
بالحق الى آخرها وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك الآية وخمس آيات من اول الحديد وثلاثا من آخر سورة
الحشر وان قرأ المسبعات العشر التي اهداها الخضر الى ابراهيم التيمي ووصاه ان يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل
وجمع له ذلك فضيلة جملة الادعية المذكورة فقد روي عن كرز بن وبرة وكان من الابدال قال اتاني اخ لي من الشام فاهدى
لي هدية فقال يا كرز اقبل مني هذه الهدية فانها نعم الهدية فقال اعطانيها ابراهيم التيمي قلت افلم تسأل ابراهيم من اعطاه قال
بلى فقال كنت جالسا في فناء الكعبة وانا في التهليل والتسبيح والتحميد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم ار
في زماني احسن منه وجها ولا احسن منه ثيابا ولا اشد بياضا واطيب رائحة منه فقلت يا عبد الله من انت ومن اين
جئت فقال انا الخضر فقلت في اي شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك وحبا لك في الله وعندي هدية اهديها اليك
فقلت ما هي فقال هي ان تقرأ قبل طلوع الشمس وانبساطها على الارض وقبل الغروب سورة الحمد وقل اعوذ برب الناس
وقل اعوذ برب الفلق وقل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون وآية الكرسي والمعوذتين كل واحدة سبع مرات وتصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم
عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما انت له اهل ولا تفعل يا مولاي ما نحن له اهل انك غفور رحيم سبع مرات وانظر
ان لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت احب ان تخبرني من اعطاك هذه العطية فقال اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم

فقلت اخبرني بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر ابراهيم التيمي
انه رأى ذات يوم في منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى ادخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف امورا عظيمة مما
رآه في الجنة قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا كله فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر انه اكل من ثمرها وسقوه من شرابها
قال فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون صفا من الملائكة كل صف ما بين المشرق والمغرب فسلم علي واخذ بيدي
فقلت يا رسول الله ان الخضر اخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم
اهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله في الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا او عمله ولم ير مثل الذي رأيت
في المنام هل يعطى شيئا مما اعطيته فقال والذي بعثني بالحق انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة انه ليغفر له
جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله غضبه ومقته ويأمر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيئا من السيئات الى سنة والذي
بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه الا من خلقه شقيا وكان ابراهيم التيمي مكث اربعة اشهر لم يطعم
ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة فان اضاف اليها شيئا مما انتهى اليه ورده من القرآن او اقتصر عليها
فحسن فان القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وادبه في كتاب التلاوة **واما الافكار**
فليكن ذلك احد وظائفه وسيأتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه يرجع الى
فنين احدهما ان يتفكر فيما ينفعه في المعاملة بان يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظائف يومه الذي بين يديه
ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق اليه الخلل من اعماله ليصلحه ويحضر في
قلبه النيات الصالحة في اعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين والفن الثاني فيما ينفعه في علم المكاشفة وذلك بان يتفكر مرة في نعم
الله وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها او في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الله و
استغنائه ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الامور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون بعض وانما
يستقصي ذلك في كتاب التفكر ومهما تيسر الفكر فهو اشرف العبادات اذ فيه معنى الذكر لله وزيادة امرين احدهما زيادة
المعرفة والكشف والثاني زيادة المحبة اذ لا يحب القلب الا من اعتقد تعظيمه وجلاله الا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته و
عجائب افعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة والذكر ايضا يورث الانس وهو نوع من المحبة
ولكن المحبة التي سببها المعرفة اقوى واثبت واعظم ونسبة محبة العارف الى انس الذاكر من غير تمام الاستبصار نسبة عشق من
شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن اخلاقه وافعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة الى انس من كرر على سمعه
وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته له كمحبة المشاهد
وليس الخبر كالمعاينة والعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين صدقوا بما جاءت به الرسل بالايمان التقليدي
ليس معهم من محاسن صفات الله الا امور جملية اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا
ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التي هي اقوى من البصر الظاهر لا ان احدا احاط بكنه جلاله وجماله فان
ذلك غير مقدور لاحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية
ولا لحجبها وانما عدد حجبها التي استحقت ان تسمى نورا وكاد ان يظن الواصل اليها انه قد تم وصوله الى الاصل سبعون
حجابا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله سبحانه سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل ما ادركه
بصره وتلك الحجب ايضا مترتبة وتلك الانوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو في الاول
اصغرها ثم ما يليه وعليه اول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لابراهيم الخليل صلوات الله على نبينا وعليه في ترقيه فقال
لما جن عليه الليل اي اظلم عليه الامر رأى كوكبا اي وصل الى حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وما اريد به
هذه الاجسام المضيئة فان آحاد العوام لا يخفى عليهم ان الربوبية لا تليق بالاجسام بل يدركون ذلك باوائل نظرهم فما

لا يصلح العوام لا يصلح الخليل والحجب المسماة انوارا ما اريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل اريد بها ما اريد بقوله تعالى
الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح الاية ولنتجاوز هذه المعانى فانها خارجة من علم المعاملة
ولا يوصل الى حقائقها الا الكشف التابع للفكر الصافى وقل من ينفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلق الفكر فيما ينفع
فى علم المعاملة وذلك ايضا مما يغزر فائدته ويعظم نفعه فهذه الوظائف الاربع اعنى الدعاء والذكر والقراءة و
الفكر ينبغى ان يكون وظيفة المريد بعد صلوة الصبح بل فى كل ورد وبعد الفراغ من وظيفة الصلوة فليس بعد الصلوة
وظيفة سوى هذه الاربع ويقوى على ذلك بان ياخذ سلاحه ومجنه والصوم هو الجنة التى تضيق مجارى الشيطان
المعادى الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلوة سوى ركعتى الفجر وفرض الصبح الى طلوع الشمس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم يشتغلون فى هذا الوقت بالاذكار فهو الاولى الا ان يغلبه
النوم قبل الفرض ولم يندفع الا بالصلوة فلو صلى لذلك فلا باس **الورد الثانى** ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار
واعنى بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس والزوال وذلك بمضى ثلاث ساعات من النهار اذا فرض النهار اثنتى عشرة
ساعة وهو الربع وفى هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان احديهما صلوة الضحى وقد ذكرنا فى كتاب الصلوة
ان الاولى ان يصلى ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر رمح ويصلى اربعا او ستا او
ثمانيا اذا رمضت الفصال وضحيت الاقدام بحر الشمس فوقت الركعتين هو الذى اراده الله بقوله يسبحن بالعشى والاشراق
فانه وقت اشراق الشمس ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التى على وجه الارض فانها
تمنع اشراقها التام ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذى اقسم الله به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلى صوته الا ان صلوة الاوابين اذا رمضت
الفصال فلذلك نقول اذا كان يقتصر على مرة واحدة فى الصلوة فهذا الوقت افضل لصلوة الضحى وان كان اصل الفضل
يحصل بالصلوة بين طرفى وقتى الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب الى ما قبل الزوال فى ساعة
الاستواء فاسم الضحى ينطلق على الكل وكان ركعتى الاشراق تقع فى مبدا وقت الاذان فى الصلوة وانقضاء الكراهية اذ
قال صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها فاقل ارتفاعها ان ترتفع عن بخار
الارض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب **الوظيفة الثانية** فى هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التى جرت بها العادات
بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجرى مجراه من قضاء حاجة لمسلم او
غيرها وان لم يكن شىء من ذلك عاد الى الوظائف الاربعة التى قدمناها من الادعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات
المتطوع بها ان شاء فانها مكروهة بعد صلوة الصبح وليست مكروهة الان فيصير الصلوة قسما خامسا من جملة وظائف
هذا الوقت لمن اراد واما ما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلوة لا سبب لها وبعد الصبح الاحب ان يقتصر على ركعتى الفجر وتحية
المسجد ولا يشتغل بالصلوة بل بالاذكار والقراءة والدعاء والفكر **الورد الثالث** من ضحوة النهار الى الزوال ونعنى
بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل وان كان بعد كل ثلاث ساعات امر بصلوة فاذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فعند
وقبل مضيها صلوة الضحى فاذا مضت ثلاث اخرى فالعصر فاذا مضت ثلاث اخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال و
الطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب الا ان الضحى لم تفترض لانه وقت اكباب الناس على اشغالهم فخفف عنهم والوظيفة
فى هذا الوقت الاقسام الاربعة ويزيد امران احدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش وحضور السوق فان كان تاجرا
فينبغى ان يتجر بصدق وامانة وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله فى جميع اشغاله ويقتصر
من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على ان يكتسب فى كل يوم لرقته فان لم يقدر ان يكتسب فى كل يوم لقوته فاذا حصل
كفاية يومه فليرجع الى بيت ربه وليتزود لاخرته فان الحاجة الى زاد الاخرة اشد والتمتع به ادوم فالاشتغال

بكسبه اهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لا يوجد المؤمن الا فى ثلاثة مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او
حاجة لا بد منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل اكثر الناس يقدرون فيما عنه غنية انه لا بد لهم منه وذلك لان
الشيطان يعدهم الفقر ويامرهم بالفحشاء فيصغون اليه ويجمعون ما لا ياكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة
منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه الامر الثانى **القيلولة** وهى سنة ليستعين بها على صيام النهار فان كان لا يقوم
بالليل ولو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط اهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم احب له اذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى
الاذكار والوظائف المذكورة اذ فى النوم الصمت والسلامة وقد قال بعضهم ياتى على الناس زمان الصمت والنوم
فيه افضل اعمالهم وكم من عابد احسن احواله النوم وذلك اذا كان يرائى بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل
الفاسق قال سفيان الثورى كان يعجبهم اذا تفرغوا ان يناموا طلب السلامة فاذن نومه على قصد طلب السلامة
ونية قيام الليل قربة ولكن ينبغى ان ينتبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلوة بالوضوء وحضور المسجد قبل
دخول وقت الصلوة فان ذلك من فضائل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلوة والذكر فهو
افضل اعمال النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض
العبيد عن بابه جدير بان يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل احياء الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم
وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا واحد معنيى قوله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة
اى يخلف احدهما الاخر فى الفضل والثانى انه يخلفه فيتدارك فيه ما فات فى الاخر **الورد الرابع** ما بين الزوال الى الفراغ
من صلوة الظهر وراتبته وهو اقصر اوراد النهار وافضلها واذا كان قد توضا قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس
وابتدا المؤذن الاذان فليصبر الى الفراغ من جواب اذانه ثم ليقم الى احياء ما بين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذى
اراده الله تعالى بقوله وحين تظهرون وليصل فى هذا الوقت اربع ركعات بتسليمة واحدة وهذه الصلوة وحدها من
بين سائر صلوات النهار هكذا قال بعض العلماء ومذهب الشافعى رحمه الله انه يصلى مثنى مثنى كسائر النوافل وهو الذى
صح به الاخبار وليطول هذه الركعات اذ تفتح فيها ابواب السماء كما اوردنا الخبر فيه فى باب صلوة التطوع وليقرا فيها
سورة البقرة او سورتين من المئين او اربعا من المثانى فهذه ساعة يستجاب فيها الدعاء واحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يرفع له فيها عمل ثم يصلى الظهر بجماعة بعد اربع ركعات طويلة كما سبق او قصيرة لا ينبغى ان يدعهما ثم ليصل بعد الظهر
ركعتين ثم اربعا ذكره ابن مسعود ان يتبع الفريضة بتطوعها من غير فاصل ويستحب ان يقرا فى هذه النافلة اية الكرسى واخر
البقرة والايات التى اوردناها فى الورد الاول ليكون ذلك جامعا بين الدعاء والذكر والقراءة والصلوة والتحميد و
التسبيح مع شرف الوقت **الورد الخامس** ما بعد ذلك الى العصر ويستحب فيه العكوف فى المسجد مشغولا بالذكر والصلوة او
فنون الخير ويكون فى انتظار الصلوة معتكفا فمن فضائل الاعمال انتظار الصلوة بعد الصلوة وكان ذلك سنة السلف كان الداخل
يدخل المساجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوى النحل من التلاوة وان كان بيته اسلم لدينه واجمع لهمه فالبيت افضل
فى حقه فاحياء هذا الورد وهو ايضا وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث فى الفضل وفى هذا الوقت يكره النوم لمن
نام قبل الزوال اذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلماء ثلاث يمقت الله تعالى عليها الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع
والنوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد فى النوم ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة فالاعتدال فى نومه ثمانى ساعات فى
الليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن ادم
ان عاش ستين سنة ان ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمانى ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث
ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما ان الطعام غذاء البدن وكما ان العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال
هذا والنقصان منه ربما يفضى الى اضطراب البدن الا من يتعود السهر تدريجا فقد تمرن نفسه عليه من غير اضطراب

على قيام الليل كما ان السحور سنة ليستعين بها ص

هذا الورد هو من اطول الاوراد وامتعها للعباد وهو احد الاصال التي ذكرها الله تعالى اذ قال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال واذا سجد لله للجمادات فكيف يجوز ان يغفل العبد العاقل عن انواع العبادات **الورد السادس** اذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذي اقسم الله تعالى به اذ قال والعصر هذا احد معنيي الاية وهو المراد بالاصال في احد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله وعشيا وفي قوله بالعشي والاشراق ليس في هذا الورد صلوة الا اربع ركعات بين الاذانين كما سبق في الظهر ثم يصلي الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة في الورد الاول الى ان ترتفع الشمس الى رؤس الحيطان وتصفر والافضل فيه اذ منع من الصلوة تلاوة القران بتدبر وتفهم اذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعاء والتفكر فيندرج في هذا القسم اكثر مقاصد الاقسام الثلاثة **الورد السابع** اذا اصفرت الشمس بان تقرب من الارض بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الارض وترى صفرة في ضوءها فيدخل هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وهو الطرف الثاني المراد بقوله تعالى واطراف النهار قال الحسن كانوا اشد تعظيما للعشي منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا واخره للاخرة فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وساير ما ذكرناه في الورد الاول مثل ان يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واساله التوبة وسبحان الله العظيم فتحرن من قوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار والاستغفار على الاسماء التي في القران احب كقوله استغفر انه كان توابا ربنا اغفر وارحم وانت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ويستحب ان يقرا قبل غروب الشمس والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين وليغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم ان هذا اقبال ليلك وادبار نهارك الدعاء كما سبق ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلوة المغرب وبالغروب ينتهي اوراد النهار فينبغي ان يلاحظ العبد احواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فهل ساوى يومه امسه فيكون مغبونا او كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال صلى الله عليه وسلم لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا فان راى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله على توفيقه وتسديده اياه بطريقه وان تكن الاخرى فالليل خلفة النهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيئات فليشكر الله على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه ان نهار العمر له اخر تغرب فيه شمس الحيوة فلا يكون لها بعده طلوع عند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا اياما معدودة تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء احادها

بيان اوراد الليل وهي خمسة الاول اذا غربت الشمس صلى المغرب فاشتغل باحياء ما بين العشائين فآخر هذا الورد غيبوبة الشفق اعني الحمرة التي بغيبتها يدخل وقت العتمة وقد اقسم الله تعالى به فقال فلا اقسم بالشفق والصلوة فيه هي ناشئة الليل لانه اول نشو ساعاته وهو اني من الاناء المذكورة في قوله تعالى ومن اناء الليل فسبح وهي صلوة الاوابين وهي المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وروي ذلك عن الحسن واسنده ابن ابي زياد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم الصلوة بين العشائين ثم قال عليكم بالصلوة بين العشائين فانها تذهب بملاغاة النهار وتهذب اخره والملاغاة جمع ملغاة من اللغو وسئل انس عمن ينام بين العشائين فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وسياتي فضل احياء ما بين العشائين في الباب الثاني وترتيب هذا الورد ان يصلي بعد المغرب ركعتين اولا يقرا فيهما قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلي اربعا يطيلها ثم يصلي الى غيبوبة الشفق ما تيسر له وان كان المسجد قريبا من المنزل فلا باس ان يصليها في بيته ان لم يكن عزمها الاعتكاف في المسجد وان عزم على الاعتكاف ولانتظار

الاخرة فهو افضل اذا كان آمنا من التصنع والرياء **الورد الثاني** يدخل بدخول وقت العشاء الاخرة الى حد نومة الناس وهو اول استحكام الظلام وقد اقسم الله تعالى به اذ قال والليل وما وسق اي وما جمع من ظلمته وقال الى غسق الليل فهناك يغسق الليل ويستوسق ظلمته وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة امور الاول ان يصلي سوى فرض العشاء عشر ركعات اربعا قبل الفرض احياء لما بين الاذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم اربعا ويقرا فيها من القران الايات المخصوصة كاخر البقرة واية الكرسي واول الحديد وغيرها الثاني ان يصلي ثلاث عشرة ركعة اخرهن الوتر فانه اكثر ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى به والاكياس ياخذون اوقاتهم من اول الليل والاقوياء من اخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فاخر الليل افضل ثم ليقرا في هذه الصلوة قدر ثلثمائة اية من السور المخصوصة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس والسجدة ولقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السورة او بعضها قبل النوم فقد روي في ثلاثة احاديث ما كان يقراه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة اشهرها السجدة وتبارك الملك وفي رواية الزمر وبني اسرائيل وفي اخرى انه كان يقرا المسبحات في كل ليلة ويقول فيها اية وكان العلماء يجعلونها ستا ويزيدون سبح اسم ربك الاعلى اذ في الخبر انه عليه الصلوة والسلام كان يحب سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون والاخلاص فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات الثالث الوتر قبل النوم ان لم تكن عادته القيام قال ابو هريرة اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا انام الا على الوتر وان كان معتادا الصلوة الليل فالتاخير افضل قال صلى الله عليه وسلم صلوة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقالت عايشة اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الليل واوسطه واخره وانتهى وتره الى السحر وقال علي رضي الله عنه الوتر على ثلاثة انحاء ان شئت اوترت اول الليل ثم صليت ركعتين يعني انه يصير وترا بما مضى وان شئت اوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت اليها اخرى ثم اوترت من اخر الليل وان شئت اخرت الوتر ليكون اخر صلوتك هذا ما روي عنه والطريق الاول والثالث لا باس به واما نقض الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي ان ينقض وروي مطلقا انه عليه الصلوة والسلام قال لا وتران في ليلة ولمن يتردد في استيقاظه بلطف استحسنه بعض العلماء وهو ان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزحف الى فراشه ويصليهما ويقرا فيهما اذا زلزلت والهيكم التكاثر لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا ايها الكافرون لما فيها من التنزيه وافراد العبادة لله فقيل ان استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان له ان يوتر في اخر صلوته وكانه صار ما مضى شفعا بهما وحسن استيناف الوتر فاستحسن هذا ابو طالب المكي وقال فيه ثلاثة اعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر من اخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما يخطر انهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك وان لم يستيقظ وبطل وتره الاول فكونه شافعا ان استيقظ غير شافع ان نام فيه نظر الا ان يصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم ايتاره قبلهما واعادته الوتر فيفهم منه ان الركعتين شفع بصورتهما وتر بمعناهما فيحسب وترا ان لم يستيقظ وشفعا ان استيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر ان يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت وروي انه عليه الصلوة والسلام ما مات حتى كان اكثر صلوته جالسا الا المكتوبة وقد قال للقاعد نصف اجر القائم وللنائم نصف اجر القاعد وهذا يدل على صحة النافلة نائما **الورد الثالث** النوم ولا باس بان يعد ذلك في الاوراد فانه اذا روعيت ادابه احتسب عبادة فقد نقل انه اذا نام العبد على طهارة ذاكرا لله يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله دعا له الملك واستغفر له وفي الخبر اذا نام على طهارة رفع روحه الى العرش هذا في العوام فكيف في العلماء وارباب القلوب الصافية فانهم يكاشفون بالاسرار في النوم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نوم

العالم عبادة ونفسه تسبيح وقال معاذ لابي موسى كيف تصنع في قيام الليل فقال اقوم الليل اجمع لا انام فيه شيئا و
اتفوق القران فيه تفوقا قال معاذ لكني انام ثم اقوم واحتسب في نومتي ما احتسب في قومتي فذكرا ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ افقه منك **واداب النوم عشرة** الاول الطهارة والسواك قال صلى الله عليه
وسلم اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت روحه
عن البلوغ فتلك المنامات اضغاث احلام لا تصدق وهذا اريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن
هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيب **الثاني** ان يعد عند راسه سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التيقظ
وكلما تنبه استاك كذلك كان يفعل بعض السلف وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستاك في كل ليلة مرارا
عند كل نومة وعند التنبه منها وان لم يتيسر له الطهارة فيستحب له مسح الاعضاء بالماء فان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة
وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر في آلاء الله وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال صلى الله عليه وسلم من اتى
فراشه وهو ينوي ان يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى
الثالث ان لا يبيت من له وصية الا ووصيته مكتوبة عنده فانه لا يامن القبض في النوم فان من مات من غير وصية
لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ الى يوم القيمة يتزاور الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير
وصية وذلك مستحب خوفا من موت الفجاة وموت الفجاة تخفيف الا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مشغول الظهر بالمظالم **الرابع**
ان ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم احد ولا يعزم على معصية ان استيقظ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اوى الى فراشه لا ينوي ظلم احد ولا يحقد على احد غفر له ما اجترم **الخامس** ان لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة
بل يترك ذلك او يقتصد فيه كان بعض السلف يكره التمهيد ويرى ذلك تكلفا للنوم وكان اهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين
التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا واليها نرد وكانوا يرون ذلك ارق لقلوبهم واجدر بتواضع نفوسهم فمن لم تسمح بذلك
نفسه فليقتصد **السادس** ان لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه الا اذا قصد به الاستعانة على القيام في اخر
الليل فقد كان نومهم غلبة واكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بانهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وان غلبه النوم
عن الصلاة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول كان ابن عباس يكره النوم قاعدا وفي الخبر لا تكابدوا الليل
وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلي بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل احدكم
من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد وقال تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وقال خير هذا الدين ايسره و
قيل له ان فلانا يصلي فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال لكني اصلي وانام واصوم وافطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال
لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن شاده يغلبه فلا تبغض الى نفسك عبادة الله **السابع** ان ينام مستقبل القبلة
والاستقبال على ضربين احدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله ان يكون وجهه وقدماه اخمصاه
الى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو لمن ينام على جنب بان يكون وجهه اليها مع قبالة بدنه اذا نام على الشق الايمن **الثامن**
الدعاء عند النوم فيقول باسمك ربي وضعت جنبي وباسمك ارفعه الى اخر الدعوات الماثورة التي اوردناها في الدعوات
ويستحب ان يقرا الايات المخصوصة مثل اية الكرسي واخر البقرة وغيرها ويقرا قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو الى قوله لقوم يعقلون
يقال ان من قراها عند المنام حفظ عليه القران فلم ينسه ويقرا من سورة الاعراف هذه الاية ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض واخر بني اسرائيل قل ادعوا الله الايتين وانه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه ويستغفر له ويقرا المعوذتين و
ينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روي من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليقرا عشرا من اول الكهف و
عشرا من اخرها وهذه الاي للاستيقاظ لقيام الليل وكان علي رضي الله عنه يقول ما ارى رجلا مستكملا عقله ينام قبل ان يقرا الايتين
من اخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات مائة مرة **التاسع**

ان يتذكر عند النوم ان النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت
في منامها فسماها توفيا وكما ان المستيقظ ينكشف له مشاهدات لا تناسب احواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما
لم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحيوة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والاخرة وقال لقمان لابنه يا
بني ان كنت تشك في الموت فلا تنم وان كنت تشك في البعث فلا تنتبه وكما انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث
بعد موتك وقال كعب الاحبار اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة فانها وفاة وقالت عائشة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر ما يقول عند المنام حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى انه ميت في ليلته
تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكه الدعاء الى اخره كما ذكرناه في الدعوات فحق
على العبد ان يفتش عن قلبه عند نومه انه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله وحب لقائه او حب الدنيا وليتحقق
انه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع من احب ومع ما احب **العاشر** الدعاء عند
التنبه فيقول عند تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله الواحد القهار
رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار وليجتهد ان يكون اخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله واول
ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله فهو علامة الحب ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين الا ما هو الغالب عليه فليجرب
قلبه به فانها علامة تكشف عن باطن القلب وانما استحب هذه الاذكار ليستجر القلب الى ذكر الله فاذا استيقظ
ليقوم قال الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى اخر ما اوردناه من ادعية التيقظ **الرابع الورد** يدخل
بمضي النصف الاول الى ان يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع
وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه اقسم الله تعالى فقال والليل اذا سجى
اي اذا سكن وسكونه هدوه في هذا الوقت فلا يبقى عين الا نائمة سوى الحي القيوم الذي لا تاخذه سنة ولا نوم وقيل
اذا سجى اذا امتد وطال وقيل اذا اظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الليل اسمع فقال جوف الليل وقال داود
على نبينا وعليه الصلوة والسلام الهي اني احب ان اتعبد لك فاي وقت افضل فاوحى الله اليه يا داود لا تقم اول الليل ولا
اخره فانه من قام اوله نام اخره ومن قام اخره لم يقم اوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي واخلو بك وارفع
الي حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الليل افضل فقال نصف الليل الغابر يعني الباقي وفي اخر الليل
وردت الاخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار الى سماء الدنيا وغير ذلك من الاخبار
وترتيب هذا الورد انه بعد الفراغ من الادعية التي هي للاستيقاظ يتوضا وضوءا كما سبق بسننه وادابه وادعيته ثم
يتوجه الى مصلاه ويقوم مستقبلا للقبلة ويقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم ليسبح
عشرا وليحمد عشرا وليهلل عشرا وليقل الله اكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه
الكلمات فانها ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض و
لك الحمد انت بهاء السموات والارض ولك الحمد انت زين السموات والارض ولك الحمد انت قيام السموات والارض
ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم
حق اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما
اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم ات نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت
وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاعمال لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها الا انت
اسالك مسالة البائس الفقير المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما
يا خير المسئولين واكرم المعطين وقالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلوته فقال [illegible]

وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني
لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلوة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم
يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر ويستحب ان يفصل بين الصلوتين بتسليمة عبادة تسبيحة
ليستريح ويزيد نشاطه للصلوة وقد صح في صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل انه صلى اولا ركعتين خفيفتين
ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج الى ثلث عشرة ركعة وسئلت
عائشة رضي الله عنها اكان يجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ام يسر فقالت ربما جهر وربما
اسر وقال عليه الصلوة والسلام صلوة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقال صلى الله عليه وسلم
اوتر صلوة النهار فاوتروا صلوة الليل واكثر ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل
ثلث عشرة ركعة ويقرا في هذه الركعات من ورده من القران او من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم
هذا الورد الى قريب من السدس الاخير من الليل الورد الخامس السدس الاخير من اخر الليل وهو وقت السحر
قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف
ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار وقد امر بهذا الورد سلمان اخاه ابا الدرداء ليلة زاره وفي حديث طويل
في اخره فلما كان الليل ذهب ابو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام فلما كان عند
الصبح قال له سلمان قم الان فقام فصليا فقال ان لنفسك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه وذلك ان امراة
ابي الدرداء اخبرت سلمان انه لا ينام الليل قال فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال صدق
سلمان وهذا هو الورد الخامس ويستحب السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة في هذين الوردين
الصلوة فاذا طلع الفجر انقضى اوراد الليل ودخل اوراد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله فسبحه
وادبار النجوم ثم يقرا شهد الله انه لا اله الا هو الى اخرها ثم يقول انا اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته
واولوا العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة واسأله حفظها حتى يتوفاني عليها
اللهم احطط بها عني وزرا واجعل لي بها عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى القاك بها غير مبدل
تبديلا فهذا ترتيب الاوراد للعباد وقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين اربعة امور صوم وصدقة
وان قلت وعيادة مريض وشهود جنازة وفي الخبر من جمع بين هذه الاربعة في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة
فان اتفق بعضها وعجز عن الاخر كان له اجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون ان ينقضي اليوم ولم يتصدقوا ولو
بتمرة او بصلة او كسرة خبز لقوله صلى الله عليه وسلم الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله صلى الله
عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة ودفعت عائشة الى سائل عنبة واحدة فاخذها فنظر من كان عندها بعضهم
الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر كثير وكانوا يكرهون رد السائل اذ كان من اخلاق رسول الله صلى الله عليه و
سلم ذلك ما سأله احد شيئا فقال لا لكنه ان لم يقدر عليه سكت وفي الخبر يصبح ابن ادم وعلى كل سلامى من جسده
صدقة يعني المفصل وفي جسد الانسان ثلثمائة وستون مفصلا فامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة
وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال
وركعتا الضحى تاتي على ذلك كله **بيان اختلاف الاوراد** باختلاف الاحوال اعلم ان المريد لحرث الاخرة السالك لطريقها
لا يخلو عن ستة احوال فانه اما عابد واما عالم واما متعلم واما وال واما محترف واما موحد مستغرق بالواحد الصمد
عن غيره الاول **العابد** وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له اصلا غيرها ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب اوراده
هذا ما ذكرناه نعم لا يبعد ان تختلف وظائفه بان يستغرق اكثر الوقت اما في الصلوة او في القراءة او في التسبيح فقد

كان في الصحابة من كان ورده في اليوم اثني عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون الفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة
ركعة الى ستمائة والى الف ركعة واقل ما نقل في اورادهم من الصلوة مائة ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم
اكثر ورده القران وكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة وروي مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضي اليوم والليلة في التفكر في
اية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة وكان يطوف في كل يوم سبعين اسبوعا وفي كل ليلة
سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القران في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل
اسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة فانظر في عباداتهم فان قلت فما الاولى ان يصرف اليه اكثر الاوقات
من هذه الاوراد فاعلم ان قراءة القران في الصلوة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما يعسر المواظبة عليه فالافضل
يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله وايناسه به فلينظر
المريد الى قلبه فما يراه اشد تاثيرا فيه فليواظب عليه فاذا احس بملالة منه فلينتقل الى غيره ولذلك نرى الاصوب لاكثر
الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات كما سبق والانتقال من نوع منها الى نوع لان الملال هو الغالب على
الطبع واحوال الشخص الواحد ايضا في ذلك تختلف ولكن اذا فهم فقه الاوراد وسرها فليتبع المعنى فان سمع
تسبيحة مثلا واحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها ما دام يجد لها وقعا فقد روي عن ابراهيم بن ادهم عن بعض
الابدال انه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير احدا فقال من انت اسمع صوتك ولا ارى شخصك
فقال انا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر اسبح الله بهذا التسبيح منذ خلقت قلت فما اسمك قال مهلهيائيل قلت فما
ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له والتسبيح قوله سبحان الله
العلي الديان سبحان الله شديد الاركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شأن عن
شأن سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح في كل مكان فهذا وامثاله اذا سمعه المريد ووجد في قلبه وقعا
فليلازمه واينما وجد القلب عنده وقعا فليواظب عليه الثاني **العالم** الذي ينتفع الناس بعلمه في فتوى او
تدريس او تصنيف فترتيبه للاوراد يخالف ترتيب اوراد العابد فانه يحتاج الى مدة للمطالعة وان امكنه استغراق
الاوقات فهو افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعليم والتعلم
في كتاب العلم وكيف لا وفي العلم المواظبة على ذكر الله وتأمل ما قال الله وقال رسول الله وفيه منفعة الخلق
وهدايتهم الى طريق الاخرة ورب مسئلة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه
ضائعا وانما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الاخرة ويزهدهم في الدنيا او العلم الذي
يعينهم على طريق الاخرة اذا تعلموه على قصد الاستعانة على السلوك دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في المال والجاه
وقبول الخلق والاولى بالعالم ان يقسم اوقاته ايضا فان استغراق الاوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي
ان يخصص ما بعد الصبح الى طلوع الشمس بالاذكار والاوراد كما ذكرناه في الورد الاول وبعد الطلوع الى الضحوة
في الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لاجل الاخرة وان لم يكن فيصرفه الى الفكر ويتفكر فيما يشكل
عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات
ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركه الا في وقت اكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة
ان طال النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير او حديث او علم نافع ومن
الاصفرار الى الغروب يشتغل بالاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان و
ورده الثاني في عمل القلب بالفكر الى الضحوة وورده الثالث الى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتبة
وورده الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروح فيه العين واليد فان المطالعة والكتبة ربما اضرت بالعين وعند

الاستغفار يعود الى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع واما بالليل فاحسن
قسمة فيه قسمة الشافعي رضي الله عنه اذ كان يقسم الليل ثلاثة اجزاء ثلث للمطالعة وترتيب العلم وهو الاول وثلث
للصلوة وهو الوسط وثلث للنوم وهو الاخير وهذا يتيسر في ليالي الشتاء واما الصيف فربما لا يحتمل ذلك الا اذا اكثر
النوم بالنهار فهذا ما نستحبه من ترتيب اوراد العالم الثالث **المتعلم** والاشتغال بالتعلم افضل من الاشتغال
بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الاوراد لكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة و
بالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف وترتيب اوراده كما ذكرناه وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم في
كتاب العلم يدل على ان ذلك افضل بل ان لم يكن متعلما على معنى انه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام
فحضوره مجالس الذكر والعلم والوعظ افضل من اشتغاله بالاوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر
الاوقات ففي حديث ابي ذر ان حضور مجلس ذكر افضل من صلوة الف ركعة وشهود الف جنازة وعيادة الف مريض
وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل يا رسول الله وما رياض الجنة فقال حلق الذكر وقال
كعب الاحبار لو ان ثواب المجالس بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي امارة امارته وكل ذي سوق سوقه وقال عمر
بن الخطاب رضي الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع
على ذنوبه انصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الارض تربة
اكرم من مجالس العلماء وقال رجل للحسن اشكو اليك قساوة قلبي فقال ادنه من مجالس الذكر وقال ورأى عمار
الراهب مسكينة الطفاوية في المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال مرحبا يا مسكينة فقالت هيهات هيهات
ذهبت المسكنة فقال لها ما تسال عن ابيح لها الجنة بحذافيرها قال وبم ذلك قالت بمجالس اهل الذكر وعلى الجملة فما يحل عن
القلب من عقدة من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة اشرف وانفع من ركعات كثيرة مع اشتمال
القلب على حب الدنيا الرابع **المحترف** الذي يحتاج الى الكسب لعياله فليس له ان يضيع العيال ويستغرق الاوقات في العبادات
بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي ان لا ينسى الله في صناعته فيواظب على التسبيحات
والاذكار وقراءة القران فان ذلك يمكن ان يجمع الى العمل وانما لا يتيسر مع العمل الصلوة الا ان يكون ناظورا فانه
لا يعجز عن اقامة اوراد الصلوة مع ذلك ثم مهما فرغ عن كفايته ينبغي ان يعود الى ترتيب الاوراد وان داوم على الكسب
وتصدق مما فضل عن حاجته فهو افضل من سائر الاوراد التي ذكرناها لان العبادة المتعدية فائدتها انفع
من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه تقربه الى الله ثم يحصل به فائدة الغير وينجذب اليه بركة
دعوات المسلمين فيضاعف به الاجر الخامس **الوالي** مثل الامام والقاضي والمتولي للنظر في امور المسلمين فقيامه
بحاجات المسلمين واغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة فحقه ان يشتغل بحقوق
الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضي الله عنه يفعله اذ قال ما لي وللنوم
لو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسي وقد فهمت بما ذكرناه انه يقدم على العبادات
البدنية امران احدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة تفضل
سائر العبادات يتعدى فائدته وانتشارها فكانا مقدمين عليه السادس **الموحد المستغرق** بالواحد
الصمد الذي اصبح وهمومه هم واحد فلا يحب الا الله ولا يخاف الا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء الا
يرى الله فيه فمن ارتفعت رتبته الى هذه الدرجة لم يفتقر الى تنويع الاوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات
واحدا وهو حضور القلب مع الله في كل حال فلا يخطر بقلبهم امر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لابصارهم لائح الا
كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد فلا محرك لهم ولا مسكن الا الله فهؤلاء جميع احوالهم يصلح ان يكون سببا لازديادهم

فلا يتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا الى الله كما قال تعالى لعلكم تذكرون ففروا الى الله وتحقق فيهم
قوله تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته واليه الاشارة بقوله اني
ذاهب الى ربي سيهدين وهذه منتهى درجات الصديقين لا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها
دهرا طويلا فلا ينبغي ان يغتر المريد بما يسمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف عباداته فذلك
علامته ان لا يختلج في قلبه وسواس ولا يخطر بقلبه معصية ولا تزعجه هواجم الاهوال ولا يستفزه عظائم الاشغال
وانى يرزق هذه الرتبة كل احد فيتعين على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق
الى الله تعالى قال تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فكلهم مهتدون وبعضهم اهدى من بعض وفي
الخبر الايمان ثلاث وثلثمائة طريقة من لقي الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة وقال بعض العلماء الايمان
ثلثمائة وثلاثة عشر خلقا بعدد الانبياء فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك للطريق الى الله فاذن الناس وان اختلفت
طرقهم في العبادة فكلهم على الصواب اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب فانما يتفاوتون في
درجات القرب لا في اصله واقربهم الى الله اعرفهم به واعرفهم به لا بد وان يكون اعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره واصل
في الاوراد في حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد منه تغيير صفات الباطن واحاد الاعمال يقل آثارها
بل لا يحس باثارها وانما يترتب الاثر على المجموع فاذا لم يعقب العمل الواحد اثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب
انمحى اثر الاول وكان كالفقيه لا يصير فقيه النفس الا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا او اسبوعا ثم
عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه ولو وزع هذا القدر على الليالي المتواصلة لاثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احب الاعمال الى الله ادومها وان قل وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان
عمله ديمة وكان اذا عمل عملا اثبته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله و
كان هذا هو السبب في صلوته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما
بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كيلا يقتدى به روت ذلك عائشة وام سلمة فان قلت فهل لغيره ان يقتدي به
في ذلك مع ان الوقت وقت كراهية فاعلم ان المعاني الثلثة التي ذكرناها في الكراهة من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس
او السجود وقت قرن الشيطان او الاستراحة عن العبادة حذرا من الملال لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه غيره في ذلك و
يشهد لذلك فعله في المنزل حتى لا يقتدى به

الباب الثاني في الاسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب احياؤها وفي فضيلة احياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل

فضيلة احياء ما بين العشائين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روته عائشة رضي الله عنها ان افضل الصلوات عند الله المغرب
لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلوة الليل وختم بها صلوة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى
الله له قصرين في الجنة قال الراوي لا ادري من ذهب او فضة ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله له ذنب
عشرين سنة او قال اربعين سنة وروت ام سلمة وابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ست
ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة او كانه صلى ليلة القدر وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلوة او قران كان حقا
على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا
لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة فقال
عمر اذن يكثر قصورنا يا رسول الله فقال الله اكبر وافضل او قال اطيب وعن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى المغرب في جماعة ينبغي ان يصلي بعدها ركعتين ولا يتكلم بشيء فيما بين
ذلك من امر الدنيا ويقرا في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من اول البقرة وآيتين من وسطها

والحكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض الى اخر الاية وقل هو الله احد خمس عشرة ثم
يركع ويسجد فاذا قام في الركعة الثانية قرا فاتحة الكتاب واية الكرسي وايتين بعدها الى قوله اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون وثلاث ايات من اخر البقرة من قوله لله ما في السموات وما في الارض الى اخرها وقل هو الله احد
خمس عشرة ووصف من ثوابه في الحديث ما يخرج عن الحصر وقال كرز بن وبرة وهو من الابدال قلت للخضر علمني شيئا
اعمله في ليلي فقال اذا صليت المغرب فقم الى وقت صلوة العشاء مصليا من غير ان تكلم احدا واقبل على صلوتك التي
انت فيها وسلم في كل ركعتين واقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد ثلاثا فاذا فرغت من صلوتك
انصرف الى منزلك ولا تكلم وصل ركعتين واقرا فاتحة الكتاب وقل هو الله احد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد
تسليمك واستغفر الله سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم سبع مرات ثم ارفع راسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا اله
الاولين والاخرين يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك وادع
بهذا الدعاء ثانيا ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وادم الصلوة عليه
حتى يذهب بك النوم فقلت احب ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا
الدعاء واوحي اليه به وكنت عنده وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه اياه ويقال ان هذا الدعاء وهذه الصلوة
من داوم عليه بحسن يقين وصدق نية راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه قبل ان يخرج من الدنيا و
قد فعل ذلك بعض الناس فراى انه ادخل الجنة وراى فيها الانبياء وراى رسول الله وكلمه وعلمه وعلى الجملة ما ورد
في فضل ما بين العشائين كثير حتى قيل لعبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله يامر بصلوة
غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلوة الاوابين وقال
الاسود ما اتيت ابن مسعود في هذا الوقت الا ورايته يصلي فسالته فقال انها ساعة الغفلة وكان انس يواظب عليها ويقول
هي ناشئة الليل ويقول فيه نزل تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني اصوم
النهار واتعشى بين المغرب والعشاء احب اليك او افطر بالنهار واحيي ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت ان لم يتيسر قال
افطر وصل ما بينهما **فضيلة قيام الليل** اما من الايات فقوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل و
نصفه وثلثه وقوله ان ناشئة الليل هي اشد وطا وقوله تعالى تتجافى جنوبهم وقوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا
وقائما وقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله واستعينوا بالصبر والصلوة قيل هي قيام الليل يستعان
بالصبر عليه على مجاهدة النفس **ومن الاخبار** قوله صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية احدكم اذا هو
نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فان استيقظ وذكر الله عز وجل انحلت عقدة فان
توضا انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان وقال صلى الله
عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الاخر خير له من الدنيا وما فيها ولولا ان اشق على امتي لفرضتهما
عليهم وفي خبر انه ذكر عنده رجل نام كل الليل حتى اصبح فقال ذاك بال الشيطان في اذنه وفي الخبر ان
للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا اسعط العبد ساء خلقه واذا العقه ذرب لسانه بالشر واذا ذره نام
الليل كله حتى يصبح وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه فقيل له قد غفر
الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ويظهر من معناه ان ذلك كناية عن زيادة الرتبة
فان الشكر سبب المزيد قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة ان تكون رحمة الله عليك حيا و
ميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وانت تريد ربك يا ابا هريرة صل في زوايا بيتك تكن نور بيتك في السماء كنور
الكواكب والنجوم عند اهل الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم وان قيام

الليل قربة الى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال صلى الله عليه وسلم ما من
امرء يكون له صلوة بالليل يغلبه عليها نوم الا كتب له اجر صلوته وكان نومه صدقة عليه وقال صلى الله عليه وسلم
لابي ذر لو اردت سفرا اعددت له عدة فكيف سفر طريق القيامة الا انبئك يا ابا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال
بلى بابي انت وامي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم
الامور وتصدق بصدقة على مسكين او كلمة حق تقولها او كلمة شر تسكت عنها وروي انه كان على عهد النبي صلى الله
عليه وسلم رجل اذا اخذ الناس مضاجعهم وهدات العيون قام يصلي ويقرا القران ويقول يا رب النار اجرني منها
فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان ذلك فاذنوني فاتاه فاستمع فلما اصبح قال يا فلان هلا
سالت الله الجنة قال يا رسول الله اني لست هناك ولا يبلغ عملي ذاك فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبرئيل عليه السلام و
قال اخبر فلانا ان الله قد اجاره من النار وادخله الجنة ويروى ان جبرئيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه
نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل
قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود لصلوته ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول نعم فيقعد
فيستغفر الله حتى يطلع الفجر وقال علي بن الحسين شبع يحيى بن زكريا عليه السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى
اصبح فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى اوجدت دارا خيرا لك من داري ام وجدت جوارا خيرا من جواري فوعزتي يا يحيى لو اطلعت
الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولذهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت
الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد المسوح وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالليل فاذا اصبح
سرق فقال سينهاه ما يعمل وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم ايقظ امراته فصلت فان
ابت نضح في وجهها الماء ورحم الله امراة قامت من الليل فصلت ثم ايقظت زوجها فصلى وان ابى نضحت في وجهه الماء
وقال عليه الصلوة والسلام من استيقظ من الليل وايقظ امراته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات
وقال عليه الصلوة والسلام افضل الصلوة بعد المكتوبة قيام الليل **الاثار** يروى ان عمر كان يمر بالاية في ورده
بالليل فيسقط حتى يعاد منها اياما كثيرة كما يعاد المريض وكان ابن مسعود اذا هدات العيون قام فيسمع له
دوي كدوي النحل حتى يصبح ويقال ان سفيان الثوري شبع ليلة فقال ان الحمار اذا زيد في علفه زيد في عمله فقام
تلك الليلة حتى اصبح وكان طاوس اذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما يتقلى الحبة في المقلى ثم يثب ويصلي الى
الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين وقال الحسن ما نعلم عملا اشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال
فقيل له ما بال المتهجدين من احسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين
من سفر فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف ان لا ينام بعدها على فراش ابدا وكان عبد العزيز بن ابي رواد اذا
جن عليه الليل ياتي فراشه فيمر يده عليه ويقول انك للين والله في الجنة الين منك ولا يزال يصلي الليل كله وقال
الفضيل اني لاستقبل الليل من اوله فيهولني طوله فافتتح القران فاصبح وما قضيت نهمتي وقال الحسن ان الرجل ليذنب
الذنب فيحرم قيام الليل وقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم وقد كثرت خطيئتك
وكان صلة بن اشيم يصلي الليل كله فاذا كان في السحر قال الهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن اجرني برحمتك من النار وقال
رجل لبعض الحكماء اني لاضعف عن قيام الليل فقال له يا اخي لا تعص الله بالنهار ولا تقم بالليل وكان للحسن بن
صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا اهل الدار الصلوة الصلوة فقالوا
اصبحنا اطلع الفجر فقالت وما تصلون الا المكتوبة فقالوا لا فرجعت الى الحسن فقالت يا مولاي بعتني من قوم
لا يصلون بالليل ردني فردها وقال الربيع بت في منزل الشافعي رحمه الله ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل

وقال عليه الصلوة والسلام ان في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله تعالى فيها خيرا من امر الدنيا والاخرة الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة

الا اليسير وقال ابو الجويرية لقد صحبت ابا حنيفة ستة اشهر فما فيها ليلة وضع جنبه وكان ابو حنيفة يحيي نصف
الليل فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيي الليل كله فقال اني استحيي ان اوصف بما لا افعل وكان بعد ذلك يحيي الليل كله ويروى انه ما
كان له فراش بالليل ويقال ان مالك بن دينار قام يردد هذه الاية ليلة حتى اصبح ام حسب الذين اجترحوا السيئات
ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم
قام الى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار الهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن
النار فاي الرجلين مالك واي الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة
عن وردي ونمت فاذا انا في المنام بجارية كاحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي اتحسن ان تقرأ فقلت نعم فدفعت
الي الرقعة فاذا فيها شعر الهتك اللذائذ والاماني عن البيض الاوانس في الجنان تعيش مخلدا لا موت فيها وتلهو في الجنان
مع الحسان تنبه من منامك ان خيرا من النوم التهجد بالقران وقيل حج مسروق فما بات الا ساجدا ويروى عن ازهر بن مغيث
وكان من القوامين انه قال رايت امرأة في المنام لا تشبه نساء اهل الدنيا فقلت لها من انت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك
فقالت اخطبني الى سيدي وامهرني فقلت وما مهرك فقالت طول التهجد وقال يوسف بن مهران بلغني ان تحت العرش
ملكا في صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصيصيته من زبرجد اخضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وزقا وقال
ليقم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلثا الليل ضرب وقال
ليقم المصلون فاذا طلع الصبح ضرب وقال ليقم الغافلون وعليهم اوزارهم ويقال ان وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه
على الارض ثلاثين سنة وكان يقول لان ارى في بيتي شيطانا احب الي من ان ارى وسادة لانها تدعو الى النوم وكان له
مسورة من ادم اذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع الى القيام وقال بعضهم رايت رب العزة في
المنام فسمعته يقول وعزتي وجلالي لاكرمن مثوى سليمان التيمي فانه صلى لي الغداة بوضوء العشاء الاخرة اربعين سنة
ويقال كان مذهبه ان النوم اذا خامر القلب بطل الوضوء وروي عن الله تعالى انه قال ان عبدي الذي هو عبدي حقا الذي
لا ينتظر بقيامه صياح الديك

بيان الاسباب التي بها ييسر قيام الليل

اعلم ان قيام الليل عسر على الخلق الا على من وفق للقيام
بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا فاما الظاهر فاربعة امور الاول ان لا يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل
عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا
كثيرا فتخسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الاصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام الثاني ان لا يتعب نفسه
بالنهار في الاعمال التي تعيا بها الجوارح وتضعف بها الاعصاب فان ذلك ايضا مجلبة للنوم الثالث ان لا يترك
القيلولة بالنهار فانها سنة للاستعانة على قيام الليل الرابع ان يجتنب الاوزار بالنهار فان ذلك مما يقسي القلب ويحول
بينه وبين اسباب الرحمة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اني ابيت معافى واحب قيام الليل واعد طهوري فما لي لا اقوم
فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول اظن ان ليل هؤلاء ليل سوء فانهم ما
يقيلون وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وما ذاك الذنب قال رايت رجلا يبكي فقلت في
نفسي هذا مراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت اتاك نعي بعض اهلك فقال اشد فقلت
وجع يؤلمك قال اشد قلت فما ذاك قال بابي مغلق وستري مسبل ولم اقرأ حزبي البارحة وما ذاك الا بذنب احدثته
وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير ولذلك قال ابو سليمان الداراني
لا يفوت احدا صلاة جماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة البعد وقال بعض العلماء اذا صمت
يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى اي شيء تفطر فان العبد ليأكل اكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حالته الاولى
فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل واخصها بالتاثير تناول الحرام وتؤثر اللقمة الحلال في تنقية

القلب وتحريكه الى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك اهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك
قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل اكلة او يفعل فعلة
فيحرم بها قيام سنة وكما ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذا الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات وقال
بعض السجانين بقيت سجانا نيفا وثلاثين سنة اسأل كل ماخوذ بالليل انه هل صلى العشاء في جماعة وكانوا
يقولون لا وهذا تنبيه على ان بركة الجماعة تنهى عن تعاطي الفحشاء والمنكر واما الميسرات الباطنة فاربعة الاول
سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا والمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام
وان قام فلا يتفكر في صلاته الا في مهماته ولا يجول الا في وساوسه وفي مثل ذلك يقال وانت اذا استيقظت
ايضا فنائم الثاني خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر في اهوال الاخرة ودركات جهنم طار نومه و
عظم حذره كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكي ان غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم
الليل كله فقالت له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال ان صهيبا اذا ذكر النار لا ياتيه النوم وقيل لغلام
وهو يقوم كل الليل فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فما اقدر ان انام وقال ذو النون
المصري في ذلك شعر منع القران بوعده ووعيده مقل العيون بليلها ان تهجعا فهموا عن الملك الجليل كلامه فرقابهم ذلت
له تخضعا وانشدوا يا طويل الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الحسرات ان في القبر ان نزلت اليه لرقادا يطول
بعد الممات ومهادا ممهدا لك فيه بذنوب عملت او حسنات امنت البيات من ملك الموت وكم نال امنا بيات
الثالث ان يعرف فضل قيام الليل بسماع هذه الايات والاخبار والاثار حتى يستحكم رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه
الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكي ان بعض الصالحين رجع من غزوته وكانت امراته تنتظر قدومه
تلك الليلة فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى اصبح فقالت زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت الى الصبح فقال والله اني
كنت اتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول الليل شوقا اليها الرابع وهو اشرف البواعث
الحب لله وقوة الايمان بانه في قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه
وان تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فاذا احب الله احب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة
بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي ان يستبعد هذه اللذة اذ يشهد لها العقل والنقل فاما العقل فليعتبر حال المحب لشخص
بسبب جماله او الملك بسبب انعامه وامواله انه كيف يتلذذ بالخلوة به ومناجاته حتى لا ياتيه النوم طول الليل فان قلت ان الجميل
يتلذذ بالنظر اليه وان الله لا يرى فاعلم انه لو كان الجميل المحبوب من وراء ستر او كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته
المجردة دون النظر ودون الطمع في امر اخر سواه وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه وان
كان ذلك ايضا معلوما عنده فان قلت انه ينتظر جوابه فيلتذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله فاعلم انه ان كان يعلم
انه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت له ايضا لذة في عرض احواله ورفع سريرته اليه كيف والموقن يسمع من الله كل ما
يرد على خاطره في اثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ به في رجاء
انعامه والرجاء في حق الله اصدق وما عند الله ابقى وانفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات
واما النقل فيشهد له احوال قوام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال
الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف انت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته بعد وقال اخر انا
والليل فرسا رهان مرة يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة انا فيها بين حالتين
افرح بظلمته اذا جاء واغتم بفجره اذا طلع ما تم فرحي به قط وقال علي بن بكار منذ اربعين سنة ما احزنني شيء سوى
طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي واذا طلعت حزنت لدخول الناس

علي وقال ابو سليمن اهل الليل في ليلهم الذ من اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء في الدنيا وقال ايضا
لو عوض الله اهل الليل من ثواب اعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك اكثر من اعمالهم وقال بعض العلماء ليس في
الدنيا وقت يشبه اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة
ليس من الدنيا انما هي من الجنة اظهرها الله للاولياء لا يجدها سواهم وقال ابن المنكدر ما بقي من لذات الدنيا الا ثلث
قيام الليل ولقاء الاخوان والصلوة في جماعة وقال بعض العارفين ان الله ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين فيملاها
انوارا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافي الى قلوب الغافلين وقال بعض العلماء من القدما
ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبونني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم و
يذكرونني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال
يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى
اوكارها فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني
بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشكون من حبي
اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات السبع والارضون
وما بينهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه ايعلم احد ما اريد ان اعطيه
وقال مالك بن دينار اذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار قال وكانوا يرون ما يجدون في قلوبهم من الرقة
والحلاوة والانوار من قرب الرب من القلب وهذا له سر وتحقيق سياتي الاشارة اليه في كتاب المحبة وفي الاخبار
عن الله تعالى سبحانه اي عبدي انا الله الذي اقتربت لقلبك بالغيب رايت نوري وشكا بعض المريدين الى استاذه طول
سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال استاذه يا بني ان لله نفحات بالليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة
وتخطى القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال يا استاذ تركتني لا انام بالليل ولا بالنهار واعلم ان هذه النفحات
بالليل ارجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل وفي الخبر الصحيح عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله خيرا الا اعطاه اياه وفي رواية لمسلم يسال الله خيرا من امر
الدنيا والاخرة الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة ومطلوب القائم تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كليلة القدر في
رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعات النفحات المذكورة **بيان طرق القسمة لاجزاء الليل** اعلم ان احياء الليل
من حيث المقدار له سبع مراتب **المرتبة الاولى** احياء كل الليل وهذا شان الاقوياء الذين تجردوا لعبادة الله وتلذذوا
بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحيوة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام الى النهار في وقت اشتغال الناس
وقد كان ذلك طريق جماعة السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء حكى ابو طالب المكي ان ذلك حكي على سبيل الاشتهار
عن اربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه اربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان
وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان
وابو سليمن الداراني وعلي بن بكار الشاميان وعبد الله بن الخواص وابو عاصم العباديان وحبيب ابو
محمد وابو جابر السلماني الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد بن الرقاشي وحبيب بن ابي ثابت و
يحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهم منه رجع وقراه مرة اخرى
وايضا من اهل المدينة ابو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم **المرتبة الثانية** ان يقوم نصف
الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف واحسن طريق فيه ان ينام ثلث الليل الاول والسدس الاخير
منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه وبالجملة نوم اخر الليل محبوب لانه يذهب النعاس بالغداة

وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام اكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه
وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوتر من اخر الليل فان كانت له حاجة
الى اهله دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى ياتيه بلال فيؤذنه للصلوة وقالت ايضا ما الفيته السحر الا نائما
حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم ابو هريرة وكان نوم هذا الوقت سببا للمكاشفة و
المشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لارباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الاول من اوراد النهار وقيام
ثلث الليل من النصف الاخير ونوم السدس الاخير قيام داود عليه السلم **المرتبة الرابعة** ان يقوم سدس الليل او خمسه
وافضله ان يكون في النصف الاخير وقبل السدس الاخير منه **الخامسة** ان لا يراعي التقدير فان ذلك انما يتيسر
لنبي يوحى اليه او لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويوقظه وربما اضطرب ذلك في ليالي الغيم ولكنه يقوم
من اول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له من الليل نومتان وقومتان
وهو من مكابدة الليل واشد الاعمال وافضلها وقد كان هذا من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي
طريقة ابن عمر واولي الحزم من الصحابة وجماعة من التابعين وكان بعض السلف يقول هي اول نومة فان انتبهت ثم
عدت الى النوم فلا انام الله عيني فاما **قيام رسول الله** صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على مقدار واحد
بل ربما كان يقوم نصف الليل او ثلثه او ثلثيه او سدسه يختلف ذلك في الليالي ودل عليه قوله تعالى في الموضعين
من سورة المزمل بقوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فادنى من ثلثي الليل كان نصفه و
نصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الربع والثلث وان نصب كان نصف
الليل وثلثه وقد قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك و
هذا يكون السدس فما دونه وروى عن واحد انه قال راعيت صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلا فنام
بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم انسل
من فراشه سواكا فاستاك وتوضا وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام ثم اضطجع ثم قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال
مثل ما قال اول مرة وفعل مثل ما فعل اول مرة **السادسة** وهي الاقل ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين او يتعذر
عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله و
قد جاء في الاثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما يراه ايسر عليه وحيث يتعذر
عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل احياء ما بين العشائين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح
وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ويقوم في الليل وهذه هي الرتبة السابعة ومهما كان النظر الى المقدار فرتب هذه
المراتب بحسب طول الوقت وقصره واما في الرتبة الخامسة والسابعة فلم ينظر فيهما الى القدر فليس يجري امرهما في التقدم و
التاخر على الترتيب المذكور اذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة **بيان الليالي والايام**
الفاضلة اعلم ان الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتاكد فيها استحباب الاحياء في السنة خمسة عشر ليلة لا ينبغي ان يغفل
المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الاوقات لم ينجح
فستة من هذه الليالي في شهر رمضان وخمسة هي اوتار العشر الاخير اذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان
فهي ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير هي ليلة القدر واما التسع الاخر
فاول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء واول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وفيها
صلوة ماثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى فيها اثني عشرة
ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن يتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله

ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة ويدعو لنفسه ما شاء
من امر اخرته ودنياه ويصبح صائما فان الله يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو في معصية واما ليلة النصف من
شعبان فيصلي فيها مائة ركعة في كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركون ذلك كما اوردناه في صلوة
التطوع وليلة عرفة وليلتا العيدين قال صلى الله عليه وسلم من احيى ليلتي العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب

الايام الفاضلة فهي تسعة عشر يستحب مواصلة الاوراد يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب
له شرف عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا
وهو اليوم الذي هبط فيه جبرئيل على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان ويوم النصف
من شعبان ويوم الجمعة ويوما العيدين والايام المعلومات وهي عشر من ذي الحجة والايام المعدودات وهي
ايام التشريق فقد روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلمت يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم
شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض العلماء من اخذ مهناه في الايام الخمسة في الدنيا لم ينل مهناه في الاخرة
واراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء ومن فواضل الايام في الاسبوع الخميس والاثنين يرفع فيهما الاعمال
الى الله تعالى وقد ذكرنا فضائل الاشهر والايام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة الى اعادته والله اعلم
بالصواب واليه المرجع والمآب اخر كتاب الاوراد والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه
على سيدنا محمد واله اجمعين و
اصحابه المنتجبين

ربع العادات كتاب آداب الاكل

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي احسن تدبير الكائنات فخلق الارض والسموات وانزل الماء الفرات من المعصرات فاخرج به الحب والنبات وقدر الارزاق والاقوات وحفظ بالماكولات قوى الحيوانات واعان على الطاعات والاعمال الصالحات باكل الطيبات والصلوة والسلام على محمد ذي المعجزات الباهرات وعلى اله واصحابه صلوة تتوالى على ممر الاوقات وتتضاعف بتعاقب الساعات وبعد فان مقصد ذوي الالباب لقاء الله سبحانه في دار الثواب ولا طريق للوصول الى اللقاء الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها بقدر الحاجات على تكرر الاوقات فمن هذا قال بعض السلف ان الاكل من الدين وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو اصدق القائلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن يقدم على الاكل ليستعين به على العلم والعمل ويتقوى به على التقوى فلا ينبغي ان يترك نفسه مهملا سدى يسترسل في الاكل استرسال البهائم في المرعى فانما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه ينبغي ان يظهر انوار الدين عليه وانما انوار الدين ادابه وسننه التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقي بلجامها حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام في اقدامها واحجامها فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للاجر وان كان فيها اوفى حظ للنفس قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليوجر حتى في اللقمة يرفعها الى فيه والى في امراته وانما ذلك اذا رفعها بالدين وللدين مراعيا فيه ادابه ووظائفه وها نحن نرشد الى وظائف الدين في الاكل فرائضها وسننها وادابها ومروآتها وهيآتها في اربعة ابواب وفصل في اخرها **الباب الاول** فيما لا بد للاكل منه وان انفرد بالاكل **الباب الثاني** فيما يزيد من الاداب بسبب الاجتماع على الاكل **الباب الثالث** فيما يخص تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين **الباب الرابع** فيما يخص الدعوة والضيافة

الباب الاول فيما لا بد للمنفرد منه وهو ثلاثة اقسام قسم قبل الاكل وقسم مع الاكل وقسم بعد الفراغ منه القسم الاول في الاداب التي تتقدم على الاكل وهي سبعة الاول ان يكون الطعام بعد كونه حلالا في نفسه طيبا في جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع ولا بحكم هوى ومداهنة في دين على ما سياتي معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام وقد امر الله تعالى باكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الاكل بالباطل الاية فالاصل في الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض واصول الدين الثاني غسل اليد قال صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده ولان اليد لا تخلو عن لوث في تعاطي الاعمال فغسلها اقرب الى النظافة والنزاهة ولان الاكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بان يقدم عليه ما يجري منه مجرى الطهارة من الصلوة الثالث ان يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الارض فهو اقرب الى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتي بطعام وضعه على الارض فهو اقرب الى التواضع فان لم يكن فعلى السفرة فانه يذكر السفر ويتذكر من السفر سفر الاخرة وحاجته الى زاد التقوى وقال انس ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة قيل فعلى ما كنتم تاكلون قال على السفرة وقيل اربع احدثت بعد رسول

الله

صلى الله عليه وسلم الموائد والمناخل والاشنان والشبع واعلم انا وان قلنا الاكل على السفرة اولى فلسنا نقول الاكل على المائدة منهي عنه نهي كراهة او تحريم اذ لم يثبت فيه نهي وما يقال انه ابدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما ابدع منهيا عنه بل المنهي بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع امرا من الشرع مع بقاء علته بل الابداع قد يجب في بعض الاحوال اذا تغيرت الاسباب وليس في المائدة الا رفع الطعام عن الارض لتيسير الاكل وامثال ذلك مما لا كراهة فيه والاربع التي ذكر انها مبدعة ليست متساوية بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب للنظافة والاشنان اتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لا يعتاد عندهم او لا يتيسر او كانوا مشغولين بامور هي اهم من المبالغات في النظافة فقد كانوا لا يغسلون اليد ايضا وكانت مناديلهم اخمص اقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا واما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التنعم المفرط واما الشبع فهو اشد هذه الاربع فانه يدعو الى تهيج الشهوات وتحريك الادواء في البدن فليدرك التفرقة بين هذه المبدعات الرابع ان يحسن الجلسة على السفرة في اول جلوسه ويستديمها كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جثى للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول لا اكل متكئا انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد والشرب متكئا مكروه للمعدة ايضا ويكره الاكل نائما ومتكئا الا ما يتنقل به من الحبوب وروي عن علي رضي الله عنه انه اكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطحا على بطنه والعرب قد تفعله الخامس ان ينوي باكله ان يتقوى على طاعة الله ليكون مطيعا بالاكل ولا يقصد التلذذ والتنعم بالاكل وقال ابرهيم بن شيبان منذ ثمانين سنة ما اكلت شيئا بشهوتي ويعزم مع ذلك على تقليل الاكل فانه اذا اكل لاجل قوة العبادة لم يصدق نيته الا باكل ما دون الشبع فان الشبع يمنع من العبادة ولا يقوي عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وايثار القناعة على الاتساع قال صلى الله عليه وسلم ما ملا ادمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس ومن ضرورة هذه النية ان لا يمد اليد الى الطعام الا وهو جائع فيكون الجوع احد ما لا بد من تقديمه على الاكل ثم ينبغي ان يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وسياتي فائدة قلة الاكل وكيفية التدريج في التقليل في كتاب كسر شره الطعام من ربع المهلكات السادس ان يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التنعم وطلب الزيادة وانتظار الادم بل من كرامة الخبز ان لا ينتظر به الادم وقد ورد الامر باكرام الخبز فكل ما يديم الرمق ويقوي على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي ان يستحقر بل لا ينتظر بالخبز الصلوة وان حضر وقتها اذا كان في الوقت متسع قال صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشاء والعشاء فابدؤا بالعشاء وكان ابن عمر ربما سمع قراءة الامام ولا يقوم من عشائه ومهما كانت النفس لا تتوق الى الطعام ولم يكن في تاخير الطعام ضرر فالاولى تقديم الصلوة فاما اذا حضر الطعام واقيمت الصلوة وكان في التاخير ما يبرد الطعام او يشوش امره فتقديمه احب عند اتساع الوقت تاقت النفس او لم تتق لعموم الخبر ولان القلب لا يخلو عن الالتفات الى الطعام الموضوع وان لم يكن الجوع غالبا السابع ان يجتهد في تكثير الايدي على الطعام ولو من اهله وولده قال صلى الله عليه وسلم اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وقال انس كان عليه الصلوة والسلام لا ياكل وحده **القسم الثاني في اداب حالة الاكل** وهو ان يبدا باسم الله تعالى في اوله وبالحمد في اخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو احسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله ويقول مع اللقمة الاولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهر به ليذكر غيره وياكل باليمين ويبدا بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يبتلعها فلا يمد اليد الى الاخرى فان ذلك عجلة في الاكل وان لا يذم ماكولا كان اذا اعجبه صلى الله عليه وسلم اكله والا تركه وان ياكل مما يليه الا الفاكهة فان له ان يجيل يده فيها قال صلى الله عليه وسلم كل مما يليك ثم كان يدور على الفاكهة فقيل له في ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا وان لا يا

كل

من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغيف الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا يقطعه
بالسكين ولا يقطع اللحم ايضا فقد نهى عنه وقال انهسوه نهسا ولا يوضع على الخبز قصعة ولا غيرها الا ما يؤكل به قال
صلى الله عليه وسلم اكرموا الخبز فان الله انزله من بركات السماء ولا يمسح يده بالخبز وقال عليه الصلوة والسلام اذا وقعت
لقمة احدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لا يدري
في اي طعامه البركة ولا ينفخ في الطعام الحار فهو منهي عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله ويأكل من التمر وترا سبعا او احدى
عشرة او احدى وعشرين او ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمعه في كفه بل يضعه من فيه على ظهر كفه ثم
يلقيها وكذا كل ما له عجم وثفل وان لا يترك ما استرذله من الطعام ويطرحه في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على
غيره فيأكله وان لا يكثر الشرب في اثناء الطعام الا اذا غص بلقمة او صدق عطشه فقد قيل ان ذلك مستحب في الطب وانه
دباغ المعدة **واما الشرب** فادبه ان يأخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصا لا عبا وقال صلى الله عليه وسلم
مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا فان الكباد من العب ولا يشرب قائما ولا مضطجعا فانه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب
قائما وقيل انه صلى الله عليه وسلم شرب قائما ولعله كان بعذر ويراعي اسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في
الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ في الكوز بل ينحيه عن فيه بالحمد ويرده بالتسمية وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب
الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا واذا ادير الكوز او غيره على قوم فيدار يمنة شرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر عن شماله واعرابي عن يمينه وعمر ناحية فقال عمر اعط ابا بكر فناول الاعرابي وقال الايمن
فالايمن ويشرب في ثلاثة انفاس يحمد الله في اواخرها ويسمي الله في اوائلها ويقول في آخر النفس الاول الحمد لله وفي الثاني
الحمد لله رب العالمين وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين ادبا في حالة الاكل والشرب دل عليه الآثار
والاخبار **القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام** وهو ان يمسك قبل الشبع ويلعق اصابعه ثم يمسحها بالمنديل ثم يغسلها و
يلتقط فتات الخبز والطعام قال صلى الله عليه وسلم من اكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده ويتخلل
ولا يبتلع ما يخرج من بين اسنانه بالخلال الا ما يجتمع من اصول اسنانه بلسانه اما المخرج بالخلال فيرميه ويتمضمض بعد
الخلال فقيل اثر عن اهل البيت وان يلعق القصعة ويشرب ماءها كان له كعتق رقبة وان التقاط الفتات مهور الحور العين وان
يشكر الله تعالى بقلبه على ما اطعمه ويرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ومهما اكل
حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم اطعمنا طيبا فاستعملنا صالحا وان اكل شبهة فليقل
الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك ويقرأ بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف قريش ولا يقوم
من المائدة حتى ترفع اولا فان اكل طعام الغير فليدع له وليقل اللهم بارك له فيما رزقته ويسر له ان يفعل منه خيرا و
قنعه بما اعطيته واجعلنا واياه من الشاكرين وان افطر عند قوم فليقل افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار
وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما اكل من شبهة ليطفئ بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها
بقوله صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من الحرام فالنار اولى به وليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويلهو ويقول اذا اكل لبنا
اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه واذا اكل غيره قال اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه فذلك الدعاء مما خص
به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن لعموم نفعه ويستحب عقيب الطعام ان يقول الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا
وآوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شيء ولا يكفي منه شيء اطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من
يتم وهديت من ضلالة واغنيت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه كما انت اهله ومستحقه
اللهم اطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا واجعله عونا لنا على طاعتك ونعوذ بك من ان نستعين به على معصيتك واما
غسل اليدين بالاشنان فكيفيته ان يجعل الاشنان على كفه اليسرى ويغسل الاصابع الثلث من اليد اليمنى اولا و

[هامش: الطب خ] [هامش: الاعرابي] [هامش: يقال من لعق القصعة]

ويضرب اصابعه على الاشنان اليابس ويمسح به شفتيه ثم يتبع غسل الفم باصبعه ويدلك ظاهر اسنانه وباطنها والحنك
واللسان والثالث ثم يغسل اصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك ببقية الاشنان اليابس اصابعه ظهرا وبطنا و
يستغني بذلك عن اعادة الاشنان الى الفم واعادة غسله **الباب الثاني** فيما يزيد بسبب الاجتماع
والمشاركة في الاكل وهو ستة الاول ان لا يبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن او زيادة فضل الا ان يكون
هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغي ان لا يطول عليهم الانتظار اذا اشرأبوا للاكل واجتمعوا له الثاني ان لا يسكتوا على
الطعام فان ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين في الاطعمة وغيرها
الثالث ان يرفق برفيقه في القصعة فلا يقصد ان يأكل الزيادة على ما يأكله فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا لرضى رفيقه
مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي ان يقصد الايثار ولا يأكل تمرتين في دفعة الا اذا فعلوا ذلك او استأذنهم فان
قلل رفيقه نشطه ورغبه في الاكل وقال له كل ولا يزيد في قوله كل على ثلاث مرات فان ذلك الحاح وافراط كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خوطب في شيء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث وكان عليه الصلوة والسلام يكرر
الكلام ثلاثا فليس من الادب الزيادة عليه فاما الحلف عليه بالاكل فممنوع قال الحسن بن علي رضي الله عنهما الطعام
اهون من ان يحلف عليه الرابع ان لا يحوج رفيقه الى ان يقول له كل قال بعض الادباء احسن الآكلين اكلا من لا يحوج صاحبه
الى تفقده في الاكل وحمل عن اخيه مؤنة القول فلا ينبغي ان يدع شيئا مما يشتهيه لاجل نظر الغير اليه فان ذلك تصنع بل
يجري على المعتاد ولا ينقص من عادته في الوحدة ولكن ليعود نفسه حسن الادب في الوحدة حتى لا يحتاج الى التصنع
عند الاجتماع نعم لو قلل من اكله ايثارا لاخوانه ونظرا اليهم عند الحاجة الى ذلك فهو حسن وان زاد في الاكل على نية المساعدة
وتحريك نشاط القوم في الاكل فلا بأس به بل هو حسن وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه ويقول من اكل اكثر
اعطيته بكل نواة درهما وكان يعد النوى ويعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لكسر الحياء وزيادة النشاط
في الانبساط وقال جعفر بن محمد احب اخواني الي اكثرهم اكلا واعظمهم لقمة واثقلهم علي من يحوجني الى تعاهده في الاكل
وكل هذا اشارة الى الجري على المعتاد وترك التصنع وقال جعفر ايضا يتبين محبة الرجل لاخيه بجودة اكله في منزله الخامس
ان غسل اليد في الطست لا بأس به وله ان يتنخم فيه ان اكل وحده وان كان معه غيره فلا ينبغي ان يفعل ذلك واذا قدم
الطست اليه غيره اكراما فليقبله اجتمع انس بن مالك وثابت البناني على طعام فقدم انس الطست اليه فامتنع
ثابت فقال انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته فلا تردها فانما يكرم الله عز وجل وروي ان هرون الرشيد دعا
ابا معوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا ابا معوية تدري من صب على يدك فقال لا قال
صبه امير المؤمنين فقال يا امير المؤمنين انما اكرمت العلم واجللته فاجلك الله واكرمك كما اجللت العلم و
اهله ولا بأس ان يجتمعوا على غسل الايدي في الطست في حالة واحدة فهو اقرب الى التواضع وابعد عن طول
الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغي ان يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست قال صلى الله عليه وسلم اجمعوا وضوءكم
جمع الله شملكم قيل ان المراد به هذا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار لا يرفع طست من بين يدي القوم الا مملوءة ولا
تشبهوا بالعجم وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم والخادم الذي يصب
الماء على اليد كره بعضهم ان يكون قائما واحب ان يكون جالسا لانه اقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروي
انه صب على يد واحد خادم جالسا فقام المصبوب على يده فقيل له لم قمت فقال احدنا لا بد وان يكون قائما و
هذا اولى لانه ايسر للصب والغسل واقرب الى تواضع الذي يصب اذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة به ليس فيه
تكبر فان العادة جارية بذلك ففي الطست سبعة اداب ان لا يبزق فيه وان يقدم به المتبوع وان يقبل الاكرام
بالتقديم وان يدار يمنة وان يجتمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه وان يكون الخادم قائما وان يمج الماء من فيه وان يرسله

من يدبره حتى لا يرش على الفراش وعلى أصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه على يد ضيفه هكذا فعل مالك
بالشافعي في أول نزوله عليه وقال لا يرعك ما رأيت مني فخدمة الضيف فرض السادس أن لا ينظر إلى أصحابه ولا
يراقب أكلهم فيستحيون بل يغض بصره ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا يحتشمون الأكل بعده بل يمد
اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا إلى أن يستوفوا فإن كان قليل الأكل توقف بالابتداء وقلل الأكل وإذا توسعوا
في الطعام أكل معهم آخرا وقد فعل ذلك كثير من الصحابة وإن امتنع بسبب فليعتذر إليهم دفعا للخجلة عنهم السابع أن لا
يفعل ما يستقذره غيره فلا ينفض يده في القصعة ولا يقدم إليها رأسه عند وضع اللقمة في فيه وإذا أخرج شيئا من
فيه صرف وجهه عن الطعام وأخذه بيساره ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة فقد يكرهه غيره واللقمة التي
قطعها بسنه لا يغمس بقيتها في المرقة والخل ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات

الباب الثالث في

آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين وفضيلة تقديم الطعام له فضل كثير قال جعفر بن محمد رضي الله
عنهما إذا قعدتم مع الإخوان على المائدة فأطيلوا الجلوس فإنها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم وقال الحسن
كل نفقة ينفقها الرجل يحاسب عليها إلا نفقة الرجل على إخوانه في الطعام فإن الله يستحيي أن يسأله عن ذلك
هذا مع ما ورد من الأخبار في الإطعام قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مائدته
موضوعة بين يديه حتى ترفع وروي عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على أكل
جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من
أكل فضل ذلك الطعام فأنا أحب أن أستكثر مما أقدم إليكم لنأكل فضل ذلك وفي الخبر لا يحاسب العبد على ما يأكله
مع إخوانه وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك ويقل إذا أكل وحده وفي الخبر ثلاث لا يحاسب عليها العبد أكلة
السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان وقال علي رضي الله عنه لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحب إلي من أن أعتق
رقبة وكان ابن عمر يقول من كرم الرجل طيب زاده في سفره وبذله لأصحابه وكان الصحابة يقولون الاجتماع على
الطعام من مكارم الأخلاق وكانوا يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرقون إلا عن ذواق وقيل اجتماع الإخوان على
الكفاية مع الأنس والألفة ليس هو من الدنيا وفي الخبر يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جعت فلم تطعمني
فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول جاع أخوك المسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت أطعمتني وقال عليه الصلاة
والسلام إذا جاءكم الزائر فأكرموه وقال عليه الصلاة والسلام إن في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من
باطنها هي لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال خيركم من أطعم الطعام وقال من أطعم أخاه
حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار بسبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام وأما **آدابه**
فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام أما الدخول فليس من السنة أن يقصد قوما متربصا لوقت
طعامهم فيدخل وقت الأكل فإن ذلك من المفاجأة وقد نهي عنه قال الله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن
لكم إلى طعام غير ناظرين إناه يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر من مشى إلى طعام لم يدع إليه
مشى فاسقا وأكل حراما ولكن حق الداخل إذا لم يتربص واتفق أن صادفهم على الطعام أن لا يأكل ما لم يؤذن
له وإذا قيل له كل نظر فإن علم أنهم يقولونه عن محبة لمساعدته فليساعد وإن كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغي
أن يأكل بل ينبغي أن يتعلل أما إذا كان جائعا فقصد بعض إخوانه ليطعمه ولم يتربص لوقت أكله فلا بأس به فقد قصد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل
طعام يأكلونه وكانوا جياعا والدخول على مثل هذه الحالة إعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الإطعام وهي
عادة السلف كان عون بن عبد الله المسعودي له ثلاثمائة وستون صديقا يدور عليهم في السنة ولآخر ثلاثون

يدور عليهم في الشهر والآخر سبعة وكانوا إخوانهم معلومهم وبدلا عن كسبهم وكان قيام أولئك بهم على قصد
التبرك عبادة لهم فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه إذا أكل من طعامه فله أن
يأكل بغير إذنه إذ المراد من الإذن الرضا لا سيما في الأطعمة وأمرها على السعة فرب رجل يصرح بالإذن ويحلف
وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب وقد قال تعالى أو صديقكم ودخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة محلها
وذلك لعلمه بسرورها بذلك ولذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء بعلمه بالإذن فإن لم يعلم فلا بد من الاستئذان
أولا ثم الدخول وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن وكان الحسن يدخل
ويرى ذلك فيسر ويقول هكذا كنا وروي عن الحسن أنه كان قائما يأكل من متاع بقال يأخذ من هذه الجونة تينة ومن
هذه قسبة فقال له هشام ما بدا لك يا أبا سعيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه فقال يا لكع اتل علي آية الأكل فتلا
إلى قوله أو صديقكم فقال فمن الصديق فقال من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب وجاء قوم إلى منزل سفيان
الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوري فجعل يقول ذكرتموني أخلاق السلف هكذا
كانوا وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه إليهم فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل
فنظر إلى قدر قد طبخها وإلى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله فقدمه إلى أصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام
فقيل له قد أخذه فلان فقال قد أحسن فلما لقيه قال يا أخي إن عادوا فعد فهذه آداب الدخول أما **آداب التقديم**
فترك التكلف أولا وتقديم ما حضر وإن لم يحضره شيء ولم يملك شيئا فلا يستقرض لأجل ذلك فيشوش على نفسه وإن حضره
ما هو محتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغي أن يقدم دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال لولا أني
أخذته بدين لأطعمتكم وقال بعض السلف في تفسير التكلف أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه
في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن
الرجوع إليه وقال بعضهم لا أبالي بمن أتاني من إخواني فإني لا أتكلف له إنما أقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته
وقال بعضهم كنا ندخل على أخ لي فيتكلف فقلت له إنك لا تأكل وحدك هذا ولا أنا فما لنا إذا اجتمعنا أكلنا
فإما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع المجيء فقطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف
بعياله ويؤذي قلوبهم روي أن رجلا دعا عليا رضي الله عنه فقال أجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخر
ما في البيت ولا تجحف بالعيال وكان بعضهم يقدم من كل ما في بيته شيئا فلا يترك نوعا إلا ويحضر شيئا منه وقال بعضهم
دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم إلينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم وقال بعضهم إذا قصدت
للزيارة فقدم ما حضر وإذا استزرت فلا تبق ولا تذر وقال سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف
ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا وفي حديث يونس النبي عليه السلام أنه زاره إخوانه فقدم إليهم كسرا وجز لهم بقلا كان قد
زرعه ثم قال كلوا لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم وعن أنس بن مالك وغيره من الصحابة أنهم كانوا يقدمون ما حضر
من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندري أيهما أعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم إليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه
الثاني وهو للزائر أن لا يقترح ولا يتحكم بشيء بعينه فربما يشق على المزور إحضاره فإن خيره أخوه
بين طعامين فليتخير أيسرهما عليه كذلك السنة وفي الخبر أنه ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا اختار
أيسرهما وروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملحا جريشا
فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر كان أطيب فخرج سلمان ورهن مطهرته وأخذ سعترا فلما أكل قال صاحبي الحمد
لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة هذا إذا لم يتعذر ذلك على الخيرة أو

كراهة له فان علم انه يسر باقتراحه عليه ويتيسر ذلك عليه فلا يكره له الاقتراح فعل الشافعي ذلك مع الزعفراني
اذ كان نازلا عليه ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويسلمها الى الجارية فاخذ
الشافعي الرقعة في بعض الايام والحق بها لونا اخر بخطه فلما راى الزعفراني ذلك اللون انكر وقال ما امرت
بهذا فعرضت عليه خط الشافعي ملحقا بالرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك واعتق الجارية سرورا
باقتراح الشافعي عليه قال ابو بكر الكتاني دخلت على السري فجاء بفتيت واخذ يجعل نصفه في القدح فقلت له
ايش هذا تعمل انا اشربه كله في مرة فضحك وقال هذا افضل لك من حجة وقال بعضهم الاكل على ثلاثة اقسام
مع الفقراء بالايثار ومع الاخوان بالانبساط ومع ابناء الدنيا بالادب **الادب الثالث** ان يشهي المزور
اخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح فذلك حسن وفيه اجر وفضل جزيل
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صادف من اخيه شهوة غفر له ومن سر اخاه المؤمن فقد سر الله عز وجل
وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر من لذذ اخاه بما يشتهي كتب الله له الف الف حسنة ورفع له الف الف
درجة واطعمه الله من ثلث جنان جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد **الادب الرابع** ان لا يقول له
هل اقدم لك طعاما بل ينبغي ان يقدم ان كان قال الثوري اذا زارك اخوك فلا تقل له اتاكل او اقدم اليك ولكن
قدم فان اكل والا فارفع وان كان لا يريد ان يطعمهم طعاما فلا ينبغي ان يظهره لهم او يصفه لهم قال الثوري
اذا اردت ان لا تطعم عيالك مما تاكل فلا تحدثهم به ولا يرونه معك قال بعض الصوفية اذا دخل عليكم الفقراء
فقدموا اليهم طعاما واذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسئلة واذا دخل القراء فدلوهم على المحراب

الباب الرابع في اداب الضيافة

ومظان الاداب فيها ستة الدعوة اولا ثم الاجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم
الاكل ثم الانصراف ولنقدم على شرحها فضيلة الضيافة قال صلى الله عليه وسلم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه
من ابغض الضيف فقد ابغض الله ومن ابغض الله ابغضه الله وقال صلى الله عليه وسلم لا خير فيمن لا يضيف ومر رسول
الله صلى الله عليه وسلم برجل له ابل وبقر كثيرة فلم يضفه ومر بامراة لها شويهات فذبحت له فقال عليه الصلوة والسلام
انظروا اليهما فانما هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء ان يمنحه خلقا حسنا فعل وقال ابو رافع مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه نزل به ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فاسلفني شيئا من الدقيق الى رجب فقال
اليهودي لا الا برهن فاخبرته فقال والله اني لامين في السماء امين في الارض ولو اسلفني لاديته فاذهب بدرعي
وارهنها عنده وكان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه اذا اراد ان ياكل خرج ميلا او ميلين يلتمس من يتغدى
معه وكان يكنى ابا الضيفان ولصدق نيته دامت ضيافته في مشهده الى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة الا وياكل
عنده جماعة من بين ثلاثة الى عشرة الى مائة وقال قوام الموضع انه لم يخل الى الان ليلة عن ضيف وسئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان قال اطعام الطعام وبذل السلام وقال صلى الله عليه وسلم في الكفارات و
الدرجات اطعام الطعام والصلوة بالليل والناس نيام وسئل عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام وطيب
الكلام وقال انس كل بيت لا يدخله ضيف لا يدخله الملائكة والاخبار الواردة في فضل الضيافة والاطعام لا
تحصى فلنذكر ادابها اما **الدعوة** فينبغي للداعي ان يقصد بدعوته الاتقياء دون الفساق قال صلى الله
عليه وسلم اكل طعامكم الابرار في دعائه لمن دعا له وقال لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي و
يقصد الفقراء دون الاغنياء على الخصوص قال صلى الله عليه وسلم شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء
دون الفقراء وينبغي ان لا يهمل اقاربه في ضيافته فان اهمالهم ايحاش وقطع رحم وكذلك يراعي الترتيب في
اصدقائه ومعارفه فان في تخصيص البعض ايحاش الباقين وينبغي ان لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل

استمالة قلوب الاخوان والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اطعام الطعام وادخال السرور على
قلوب المؤمنين وينبغي ان لا يدعو من يعلم انه يشق عليه الاجابة واذا حضر تاذى بالحاضرين بسبب من الاسباب و
ينبغي ان لا يدعو الا من يحب اجابته وقال سفيان الثوري من دعا احدا الى الطعام وهو يكره الاجابة فعليه خطيئة فان اجاب
المدعو فعليه خطيئتان لانه حمله على الاكل مع كراهته ولو علم ذلك لما اكله واطعام التقي اعانة له على الطاعة واطعام الفاسق
تقوية له على الفسق قال رجل خياط لابن المبارك انا اخيط ثياب السلاطين فهل تخاف ان اكون من اعوان الظلمة قال لا انما
اعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة اما انت فمن الظلمة انفسهم واما الاجابة فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها
في بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت ولو اهدي الي ذراع لقبلت وللاجابة خمسة اداب الاول
ان لا يميز الغني بالاجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهي عنه ولاجل ذلك امتنع بعضهم عن اصل الاجابة وقال انتظار المرقة
ذل وقال اخر اذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي ومن المتكبرين من يجيب الاغنياء دون الفقراء وهو
خلاف السنة كان عليه الصلوة والسلام يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ومر الحسن بن علي عليهما السلام بقوم من
المساكين الذين يسالون الناس على قارعة الطريق وقد نشروا كسرا على الارض في الرمل وهم ياكلون وهو على بغلته فسلم عليهم فقالوا
له هلم الى الغداء يا ابن رسول الله فقال نعم ان الله لا يحب المتكبرين فنزل وقعد معهم على الارض واكل ثم سلم عليهم وركب
وقال قد اجبتكم فاجيبوني قالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم اليهم فاخر الطعام وجلس ياكل معهم واما قول
القائل ان من وضعت يدي في قصعته ذلت له رقبتي فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فانه ذل اذا
كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها منة وكان يرى ذلك يدا له عند المدعو ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يحضر لعلمه بان الداعي قد تقلد منة ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والاخرة وهذا يختلف باختلاف
الحال فمن ظن به انه يستثقل الاطعام وانما يفعل ذلك مباهاة او تكلفا فليس من السنة اجابته بل الاولى التعلل و
لذلك قال بعض الصوفية لا تجب الا دعوة من يرى انك اكلت رزقك وانه سلم اليك وديعة كانت لك عنده و
يرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه وقال سري السقطي آه على لقمة ليس لله فيها تبعة ولا لمخلوق فيها
منة واذا علم المدعو انه لا منة فلا ينبغي ان يرد قال ابو تراب النخشبي عرض علي طعام فامتنعت فابتليت بالجوع اربعة عشر
يوما فعلمت انه عقوبته وقيل لمعروف الكرخي كل من دعاك تمر اليه فقال انا ضيف انزل حيث انزلوني الثاني انه لا
ينبغي ان يمتنع عن الاجابة لبعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا
ينبغي ان يمتنع لاجلها يقال في التوراة او بعض الكتب سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة اميال اجب دعوة
سر اربعة اميال زر اخا في الله وانما قدم اجابة الدعوة والزيارة لان فيه قضاء حق الحي فهو اولى من الميت وقال صلى الله
عليه وسلم لو دعيت الى كراع الغميم لاجبت وهو موضع على اميال من المدينة افطر رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما بلغه وقصر عنده في سفره الثالث ان لا يمتنع لكونه صائما بل يحضر فان كان يسر اخاه افطاره فليفطر وليحتسب
في افطاره بنية ادخال السرور على قلب اخيه ما يحتسب في الصوم وافضل وذلك في صوم التطوع وان لم يتحقق سرور
قلبه فليصدقه بالظاهر وليفطر وان تحقق انه متكلف فليتعلل وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع
بعذر الصوم تكلف لك اخوك وتقول اني صائم وقد قال ابن عباس من افضل الحسنات اكرام الجلساء بالافطار فالافطار عبادة
بهذه النية وحسن خلق فثوابه فوق ثواب الصوم ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب فقد
قيل الكحل والدهن احد القراءين الرابع ان يمتنع من الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة او الموضع او البساط
المفروش غير حلال او كان يقام في الموضع منكر من فرش ديباج او اناء فضة او تصوير حيوان على سقف او حائط
او سماع شيء من المزامير والملاهي او التشاغل بنوع من اللهو والهزل واللعب وكل ذلك مما يمنع الاجابة واستحبابها و

يوجب تحريمها او كراهتها وكذا اذا كان الداعي ظالما او مبتدعا او فاسقا او شريرا او متكلفا طالبا للمباهات والفخر
الخامس ان لا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملا في ابواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملا
للآخرة وذلك بان ينوي الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لو دعيت الى كراع لاجبت وينوي
الحذر من معصية الله لقوله صلى الله عليه وسلم من لم يجب الداعي فقد عصى الله ورسوله وينوي اكرام اخيه المؤمن
اتباعا لقوله صلى الله عليه وسلم من اكرم اخاه المؤمن فانما يكرم الله وينوي ادخال السرور على قلبه امتثالا لقوله من سر
مؤمنا فقد سر الله عز وجل وينوي مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين في الله اذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
التزاور والتباذل لله وقد حصل البذل من احد الجانبين فيحصل الزيارة من جانبه ايضا وينوي صيانة نفسه عن ان
يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بان يحمل على تكبر وسوء خلق او استحقار اخ مسلم او ما يجري مجراه فهذه
ستة نيات تلحق اجابته بالقربات آحادها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول انا احب ان يكون لي في كل عمل
نية حتى في الطعام والشراب وفي مثل هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن
كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر
اليه والنية انما تؤثر في المباحات والطاعات اما المنهيات فلا فانه لو نوى ان يسر اخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر او حرام
آخر لم ينفع النية ولم يجز ان يقال الاعمال بالنيات بل لو قصد بالغزو الذي هو طاعة المباهات وطلب المال انصرف عن
جهة الطاعة وكذا المباح المردد بين وجوه الخيرات بالنيات فتؤثر النية في هذين القسمين لا في القسم الثالث واما الحضور
فادبه ان يدخل الدار ولا يتصدر فياخذ احسن الاماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام
الاستعداد ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة بل ان اشار اليه صاحب الدار بموضع لم يخالفه البتة فانه يكون قد رتب في
نفسه موضع كل واحد فمخالفته تشوش عليه وان اشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما فليتواضع قال صلى الله
عليه وسلم ان من التواضع لله الرضى بالدون من المجلس ولا ينبغي ان يجلس في مقابلة باب حجرة النساء وسترهم ولا يكثر
النظر الى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل على الشره ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه اذا جلس واذا دخل
ضيف للمبيت فليعرفه صاحب الدار عند دخوله القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعي و
غسل مالك يده قبل الطعام وقبل القوم وقال الغسل قبل الطعام لرب البيت اولى لانه يدعو الناس الى كرمه
فحكمه ان يتقدم بالغسل وفي آخر الطعام يتاخر لينتظر ان يدخل من ياكل معه واذا دخل فراى منكرا غيره ان قدر والا انكر
بلسانه وانصرف والمنكر فرش الديباج واستعمال اواني الذهب والفضة والتصوير على الحيطان وسماع الملاهي
والمزامير وحضور النسوة المتكشفات الوجوه وغير ذلك من المحرمات قال احمد بن حنبل اذا راى مكحلة راسها
مفضض ينبغي ان يخرج فان ذلك تكلف بلا فائدة لا يدفع حرا ولا بردا ولا يستر شيئا وكذا قال يخرج اذا راى
حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر الكعبة وقال اذا اكترى بيتا فيه صورة او دخل الحمام وراى صورة فينبغي
ان يحكها فان لم يقدر خرج وكل ما ذكره صحيح وانما النظر في الكلة وتزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينتهي الى
التحريم اذ الحرير يحرم على الرجال قال عليه الصلوة والسلام هذان حرامان على ذكور امتي وما على الحائط ليس منسوبا الى
الرجال ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة بل الاولى اباحته بموجب قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لا سيما
في وقت الزينة اذا لم يتخذه عادة للتفاخر وان تخيل ان الرجال ينتفعون بالنظر اليه فلا يحرم على الرجل الانتفاع
بالنظر الى الديباج مهما لبسه الجواري والنساء فالحيطان في معنى النساء اذ ليس موصوفا بالذكورة واما احضار
الطعام فله آداب خمسة الاول تعجيل الطعام فذلك من اكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومهما حضر الاكثرون وغاب واحد او اثنان وتاخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين

في التعجيل اولى من حق اولئك في التاخير الا ان يكون المتاخر فقيرا او ينكسر قلبه بذلك فلا باس بالتاخير
واحد المعنيين في قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين انهم اكرموا بتعجيل الطعام اليهم دل
عليه قوله تعالى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ وقوله تعالى فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين والروغان الذهاب بسرعة
وقيل في خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وانما سمي عجلا لانه عجله ولم يلبث قال حاتم الاصم العجلة من الشيطان الا في
خمس فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعام الضيف وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة
من الذنب ويستحب التعجيل في الوليمة وقيل الوليمة في اول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء الثاني
ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكهة اولا ان كانت فذلك اوفق في الطب فانها اسرع استحالة فينبغي ان تقع في اسفل
المعدة وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ثم قال ولحم طير مما يشتهون ثم افضل
ما تقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد فقد قال عليه الصلوة والسلام فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على
سائر الطعام فان جمع اليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات ودل على حصول الاكرام باللحم قوله تعالى في ضيف
ابرهيم اذ احضر العجل الحنيذ اي المحنوذ وهو الذي اجيد نضجه وهو احد معنى الاكرام اعني تقديم اللحم وقال تعالى
في وصف الطيبات وانزلنا عليكم المن والسلوى المن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادام و
لا يقوم غيره مقامه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سيد الادام اللحم ثم قال بعد ذكر المن والسلوى كلوا من
طيبات ما رزقناكم فاللحم والحلاوة من الطيبات قال ابو سليمن الداراني اكل الطيبات يورث الرضا عن الله عز وجل
ويتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل قال المامون شرب الماء بثلج يخلص
الشكر لله وقال بعض الادباء اذا دعوت اخوانك واطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماء باردا فقد اكملت
الضيافة وانفق بعضهم دراهم في ضيافة فقال بعض الحكماء لم نكن نحتاج الى هذا اذا كان خبزك جيدا وماءك
باردا وخلك حامضا فهو كفاية وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان والتمكن على المائدة خير من
زيادة لونين ويقال ان الملائكة يحضرون المائدة اذا كان عليها بقل فذلك ايضا مستحب ولما فيه من التزيين بالخضرة
وفي الخبر ان المائدة التي نزلت على بني اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند راسها
خل وعند ذنبها ملح وسبعة ارغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا اذا اجتمع فهو حسن للموافقة الثالث
ان يقدم من الالوان الطفها حتى يستوفي منها من يريد ولا يكثر الاكل بعده وعادة المترفين تقديم الغليظ ليستانف
حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الاكل وكان من سنن
المتقدمين ان يقدموا جملة الالوان دفعة واحدة ويصففون القصاع على المائدة لياكل كل واحد مما يشتهي وان لم
يكن عنده الا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا اطيب منه ويحكى عن بعض ارباب المروات انه كان يكتب نسخة ما
يحضره من الالوان ويعرضه على الضيفان وقال بعض الشيوخ قدم الي بعض المشايخ لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق
انما يقدم هذا آخرا فقال وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فخجلت منه وقال آخر كنا جماعة في ضيافة فقدم الينا
الوان من الرؤوس المشوية طبيخا وقديدا فكنا ناكل ننتظر بعدها لونا او حملا فجاء بالطست ولم يقدم غيرها فنظر
بعضنا الى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا ان الله تعالى يقدر ان يخلق رؤوسا بلا ابدان قال وبتنا
تلك الليلة جياعا نطلب فتيتا للسحور فلهذا يستحب ان يحضر الجميع او يخبر بما عنده الرابع ان لا يبادر الى رفع
الالوان قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الايدي عنها فلعل فيهم من يكون بقية ذلك اللون اشهى عنده مما
يستحضره او بقي فيه حاجة الى الاكل فينغص عليه بالمبادرة وهو من التمكن على المائدة التي يقال انه خير من اللونين
ويحتمل ان يكون المراد به قطع الاستعجال ويحتمل ان يراد به سعة المكان حكي عن السنوري وكان ظريفا مزاحا

فحضر عند واحد من ابناء الدنيا على مائدة وقدم اليهم حمل وكان في صاحب المائدة بخل فلما راى القوم قد مزقوا
الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال يا غلام ادفع الى الصبيان فرفع الحمل الى داخل الدار فقام الستوري يعدو خلف
الحمل فقيل له الى اين فقال لاكل مع الصبيان واستحيى الرجل وامر برد الحمل ومن هذا القران لا يرفع صاحب المائدة
يده قبل القوم لانهم يستحيون بل ينبغي ان يكون اخرهم اكلا وكان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الالوان ويتركهم يستوفون
فاذا قاربوا الفراغ جثى على ركبتيه ومد يده الى الطعام واكل وقال بسم الله ساعدوني بارك الله عليكم وكان السلف
يستحسنون ذلك منه ولكناس ان يقدم من الطعام قدر الكفاية وان التقليل عن الكفاية نقص في المروة والزيادة عليه
تصنع ورياء مراياة لاسيما اذا كان لا تسمح نفسه بان ياكلوا الكل الا اذا قدم الكثير وهو طيب النفس لو اخذوا الجميع
او نوى ان يتبرك بفضلة طعامهم اذ في الحديث انه لا يحاسب عليه لحضر ابرهيم بن ادهم طعاما كثيرا على مائدته فقال له
سفيان يا ابا اسحق اما تخاف ان يكون هذا سرفا فقال ابرهيم ليس في الطعام سرف فان لم يكن هذه النية فالتكثير تكلف
قال ابن مسعود نهينا ان نجيب دعوة من يباهي بطعامه وكره جماعة من الصحابة اكل طعام المباهات وهذا من ذلك كان
لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا ياكلون تمام
الشبع وينبغي ان يعزل اولا نصيب اهل البيت حتى لا يكون اعينهم طامحة الى رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فيضيق صدرهم
وينطلق في الضيفان الشتم ويكون قد اطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك جناية في حقهم وما بقي من الاطعمة
فليس للضيفان اخذه وهو تسميه الزلة الا اذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض او علم ذلك بقرينة حاله
وانه يفرح بذلك فان كان يظن كراهيته فلا ينبغي ان يوخذ وان علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء
فلا ينبغي ان ياخذ الواحد الا ما يخصه او يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء فاما **الانصراف** فله اداب ثلاثة
الاول ان يخرج مع الضيف الى باب الدار فهو سنة وذلك من اكرام الضيف وقد امر باكرامه وقال عليه الصلوة والسلم
من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه وقال عليه الصلوة والسلم من سنة الضيف ان يشيع الى باب
الدار وقال ابو قتادة قدم وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال له الصحابة نحن
نكفيك يا رسول الله فقال انهم كانوا لاصحابي مكرمين وانا احب ان اكافيهم وتمام الاكرام طلاقة الوجه وطيب
الحديث عند الدخول والخروج وعند المائدة قيل للاوزاعي ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وقال يزيد بن ابي زياد
ما دخلت على عبد الرحمن بن ابي ليلى الا حدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما حسنا **الثاني** ان ينصرف الضيف طيب النفس
وان جرى في حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة
الصائم القائم ودعى بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا فخرج اليه صاحب
المنزل قال وقد خرج القوم قال هل بقي بقية قال لا قال فكسرة ان بقيت قال لم يبق قال فالقدر اسحها قال قد غسلتها
فانصرف يحمد الله تعالى فقيل له في ذلك فقال قد احسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فهذا هو معنى التواضع وحسن
الخلق وحكي ان الاستاذ ابا القسم الجنيد دعاه صبي الى دعوة ابيه اربع مرات فرده الاب في المرات الاربع وهو
يرجع في كل مرة تطييبا لقلب الصبي في الحضور ولقلب الاب في الانصراف فهذه نفوس قد ذللت بالتواضع لله فاطمأنت
بالتوحيد وصار صاحبها يشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما بينه وبين ربه فلا ينكسر بما يجري من العباد من
اذلال كما لا يستبشر بما يجري منهم من اكرام بل يرى الكل من الواحد القهار ولذلك قال بعضهم اني لاجيب الدعوة
الا لاني اتذكر بها طعام اهل الجنة اي هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤنته وحسابه **الثالث** ان لا يخرج الا برضى
صاحب المنزل واذنه ويراعي قلبه في قدر الاقامة واذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة ايام فربما يتبرم به ويحتاج الى
اخراجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الضيافة ثلاثة فما زاد فصدقة نعم لو الح رب المنزل عليه عن خلوص قلب فله المقام

اذ ذاك ويستحب ان يكون عنده فراش للضيف النازل قال صلى الله عليه وسلم فراش للرجل وفراش للمراة وفراش
للضيف والرابع للشيطان **فصل يجمع ادابا** ومناهي طبية وشرعية متفرقة **الاول** حكي عن ابرهيم
النخعي انه قال الاكل في السوق دناءة واسند هذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناده غريب وقد نقل على
ضده عن ابن عمر انه قال كنا ناكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام وروى
بعض المشايخ الصوفية المعروفين ياكل في السوق فقيل له في ذلك فقال ويحك اجوع في السوق واكل في البيت فقيل
تدخل المسجد فقال استحيي منه ان ادخل بيته للاكل ووجه الجمع ان الاكل في السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو
حسن وخرق مروة من بعضهم فهو مكروه ويختلف ذلك بعادات البلاد واحوال الاشخاص فمن لم يليق ذلك بسائر اعماله
حمل ذلك على قلة المروة وفرط الشره ويقدح ذلك في الشهادة ومن يليق ذلك بجميع احواله واعماله في ترك التكلف كان
ذلك منه تواضعا **الثاني** قال علي رضي الله عنه من ابتدا غذاءه بالملح اذهب الله تعالى عنه سبعين نوعا من البلاء ومن
اكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن اكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئا
يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والسارجات تعظم البطن وترخي الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء و
سمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولم تستشف النفساء بشيء افضل من الرطب والسمك يذيب الجسد وقراءة القران
والسواك يذهب البلغم ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين
الثالث قال الحجاج لبعض الاطباء صف لي صفة اخذ بها ولا اعدوها قال لا تنكح من النساء الا فتاة ولا تاكل من اللحم
اللحم الا فتيا ولا تاكل المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشربن دواء الا من علة ولا تاكل من الفاكهة الا نضيجها ولا تاكلن الا
اجدت مضغه وكل ما احببت من الطعام ولا تشرب عليه فاذا شربت فلا تاكل عليه شيئا ولا تحبس الغائط والبول واذا
اكلت بالنهار فنم واذا اكلت بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة وفي معناه قول العرب تغد تمدد وتعش
تمش يعني تغدد كما قال الله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتمطط ويقال ان حبس البول يفسد من الجسد كما يفسد الماء
من النهر ما حوله اذا سد مجراه **الرابع** في الخبر قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة والعرب تقول ترك الغداء
يذهب بشحم الكادة يعني الالية قال بعض الحكماء لابنه يا بني لا تخرج من منزلك حتى تاخذ حلمك اي تتغدى اذ به يبقى الحلم
ويزول الطيش وهو ايضا اقل لشهوته ما يرى في السوق قال حكيم لسمين ارى عليك قطيفة من نسج اضراسك فما هي قال
اكل لباب البر وصغار المعز وادهن بخام بنفسج والبس الكتان **الخامس** الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض
هكذا قيل وقال بعضهم من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوافي وهذا حسن في حال الصحة
وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا ياكل تمرا واحدى عينيه رمدة فقال تاكل التمر وانت رمد فقال
يا رسول الله انما امضغ بشق الاخر يعني الجانب السليم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم **السادس** يستحب ان
يحمل الطعام الى اهل الميت ولما جاء نعي جعفر بن ابي طالب قال عليه الصلوة والسلم ان ال جعفر شغلوا بميتهم عن
صنيع طعامهم فاحملوا اليهم ما ياكلون فذلك سنة واذا قدم ذلك الى الجميع حل الاكل منه الا ما هيئ للنوائح و
المعينات عليه بالبكاء والجزع ولا ينبغي ان يؤكل معهم **السابع** لا ينبغي ان يحضر الطعام ظالم فان اكره فليقلل
الاكل ولا يقصد الطعام الاطيب رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها عليه
اجبر السلطان هذا المزكي على الاكل فقال اما ان اكل واخلي التزكية او ازكي ولا اكل فلم يجدوا بدا من تزكيته
فتركوه وحكي ان ذا النون حبس فلم ياكل اياما في السجن فكانت له اخت في الله فبعثت اليه من مغزلها طعاما على
يد السجان فامتنع ولم ياكل فعاتبته المراة بعد ذلك فقال كان حلالا ولكن جاء في على طبق ظالم واشار به الى يد
السجان وهذا غاية الورع **الثامن** حكي عن فتح الموصلي انه دخل على بشر الحافي زائرا فاخرج بشر درهما ودفعه

الى الحمد الجلا خادمه وقال اشتر به طعاما جيدا وادما طيبا قال فاشتريت خبزا نظيفا وقلت كم نقل النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه سوى اللبن واشتريت اللبن واشتريت تمرا جيدا فقدمت اليه
فاكل ونحن ناكل الباقي فقال الجنيد تدرون لم قلت اشتر طعاما طيبا لان الطعام الطيب يستخلص تدرون لم لم يقل لي
كل لانه ليس للضيف ان يقول لصاحب الدار كل تدرون لم حمل ما بقي لانه اذا صح التوكل لم يضره الحمل وحكى ابو
علي الروذباري عن رجل انه اتخذ ضيافة فاوقد فيها الف سراج فقال له رجل قد اسرفت فقال له ادخل فكل ما
اوقدته لغير الله فاطفه فدخل الرجل فلم يقدر على اطفاء واحد منها فانقطع واشترى ابو علي الروذباري احمالا
من السكر وامر الحلاويين حتى بنوا جدارا من السكر عليه شرف ومحاريب على اعمدة منقوشة كلها من سكر
ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها **التاسع** قال الشافعي الاكل على اربعة انحاء الاكل باصبع من المقت
وباصبعين من الكبر وبثلاث اصابع من السنة وباربع وخمس من الشره واربع يقوي البدن اكل اللحم وشم الطيب
وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربع توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء
على الريق وكثرة اكل الحموضة واربع يقوي البصر الجلوس حيال القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف
الملبس واربع يوهن البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المراة والقعود في استدبار
القبلة واربع يزيد في الجماع اكل العصافير واكل الاطريفل الاكبر واكل الفستق واكل الجرجير والنوم على اربعة انحاء
على القفا وهو نوم الانبياء عليهم السلام يتفكرون في خلق السموات والارض ونوم على اليمين وهو نوم العلماء و
العباد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليهضم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين واربع يزيد في
العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلماء واربع من العبادة ان لا تخطو
خطوة الا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة قراءة القران وقال ايضا عجبت لمن يدخل الحمام
على الريق ويؤخر الاكل بعد ان يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الاكل كيف لا يموت وقال لم ار شيئا
انفع في الوباء من البنفسج يدهن ويشرب وفي الحديث ادهنوا بالبنفسج فانه بارد في الصيف حار في الشتاء

كتاب اداب النكاح

وهو الكتاب الثاني من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الاوهام في عجائب صنعه مجرى ولا يرجع العقول اذا تفكرت فكر عن اوائل بدايتها
الا والهة متحيرة ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى فهي تتوالى عليهم اختيارا وقهرا ومن بدائع الطافه ان خلق
من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها الى الحراثة جبرا واستبقى بها نسلهم اقهارا
وقسرا ثم عظم امر الانساب وجعل لها قدرا فحرم بسببها السفاح وبالغ في تقبيحه ردعا وزجرا وجعل اقتحامه
جريمة فاحشة وامرا امرا وندب الى النكاح وحث عليه استحبابا وامرا فسبحان من كتب الموت على العباد فاذلهم
به هدما وكسرا ثم بث بذور النطف في اراضي الارحام فانشا منها خلقا وجعله لكسر الموت جبرا تنبيها على ان
بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضرا وخيرا وشرا وعسرا ويسرا وطيا ونشرا والصلوة على محمد المبعوث بالانذار
والبشرى وعلى اله واصحابه صلوة لا يستطيع الحساب لها عدا ولا حصرا **اما بعد** فان النكاح معين على الدين و
مهين للشياطين وحصن دون عدو الله حصين وسبب للتكثير الذي به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين فما
احراه بان تتحرى اسبابه وتحفظ سننه واداب وتشرح مقاصده واربابه وتفصل فصوله وابوابه والقدر المهم من
احكامه ينكشف في ثلاثة ابواب **الباب الاول** في الترغيب فيه وعنه **الباب الثاني** في الاداب المرعية
في العقد والعاقدين **الباب الثالث** في اداب المعيشة بعد العقد الى الفراق والمتعاقدين **الباب الاول**

في الترغيب في النكاح والترغيب عنه اعلم ان العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم انه افضل
من التخلي لعبادة الله واعترف اخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله مهما لم تتق النفس الى النكاح توقانا
يشوش الحال ويدعو الى الوقاع وقال اخرون الافضل تركه في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل اذ لم تكن
الاكساب محظورة واخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه الا بان نقدم اولا ما ورد من الاخبار والاثار في
الترغيب فيه والترغيب عنه ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق من سلم من غوائله
ومن لم يسلم منها **الترغيب** في النكاح اما من الايات فقد قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم وهذا امر وقال تعالى فلا تعضلوهن
ان ينكحن ازواجهن وهذا منع من العضل ونهي عنه وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم ولقد ارسلنا رسلا من
قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فذكر ذلك في معرض الامتنان واظهار الفضل ومدح اولياءه بسؤال ذلك
في الدعاء فقال والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين الاية ويقال ان الله تعالى لم يذكر
في كتابه من الانبياء الا المتاهلين فقالوا ان يحيى عليه السلام قد تزوج ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لنيل الفضل و
اقامة السنة وقيل لغض البصر واما عيسى عليه السلام فانه سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له **اما الاخبار** فقوله
صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي فمن احب فطرتي فليستن بسنتي وقال ايضا تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم
يوم القيمة حتى بالسقط وقال ايضا من رغب عن سنتي فليس مني وان من سنتي النكاح فمن احبني فليستن بسنتي
وقال صلى الله عليه وسلم من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا وهذا ذم لعلة الامتناع لا لاصل الترك وقال
صلى الله عليه وسلم من كان ذا طول فليتزوج وقال من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن
للفرج ومن لا فليصم فان الصوم له وجاء وهذا يدل على ان سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج و
الوجاء هو عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع بالصوم وقال
صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم من ترضون دينه وامانته فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير وهذا
ايضا تعليل للترغيب لخوف الفساد وقال صلى الله عليه وسلم من نكح لله وانكح لله استحق ولاية الله وقال صلى الله عليه
وسلم من تزوج فقد احرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني وهذا ايضا اشارة الى ان فضيلته لاجل التحرز من المخالفة
تحصنا من الفساد وكان المفسد لدين المرء في الاغلب فرجه وبطنه وقد كفي بالتزويج احدهما وقال صلى الله عليه و
سلم كل عمل ابن ادم ينقطع الا ثلاث فذكر فيه ولد صالح يدعو له الحديث ولا يوصل الى هذا الا بالنكاح واما
الاثار فقال عمر رضي الله عنه لا يمنع من النكاح الا عجز او فجور فبين ان الدين غير مانع منه وحصر المانع في
امرين مذمومين وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج ويحتمل انه جعله من النسك وتتمة له
ولكن الظاهر انه اراد به انه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة الا بالتزويج ولا يتم النسك الا بفراغ القلب ولذلك كان يجمع
غلمانه لما ادركوا عكرمة وكريبا وغيرهما ويقول ان اردتم النكاح انكحتكم فان العبد اذا زنى نزع الايمان من قلبه وكان
ابن مسعود يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لكي لا القى الله عزبا وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل
في الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا وهذا منهما يدل على انهما رايا النكاح
فضلا لا من حيث التحرز من غائلة الشهوة وكان عمر يكثر النكاح ويقول ما اتزوج الا لاجل الولد وكان بعض
الصحابة قد انقطع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمه ويبيت عنده لحاجة ان طرقته فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا تتزوج فقال يا رسول الله اني فقير لا شيء لي وانقطع عن خدمتك فسكت ثم عاد ثانيا فاعاد الجواب
ثم تفكر الصحابي وقال والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم بما يصلحني في دنياي واخرتي وما يقربني الى الله عز و
جل مني لئن قال لي الثالثة لافعلن فقال له الثالثة الا تتزوج قال فقلت يا رسول الله زوجني قال اذهب الى بني فلان

فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم ان تزوجوني فانكم قال فقلت يا رسول الله لا شيء لي فقال
لاصحابه اجمعوا لاخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهبوا به الى القوم فانكحوه فقال اولم وجمع له من الاصحاب
شاة للوليمة وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل انه توسم فيه الحاجة الى النكاح وحكي ان بعض
العباد في الامم السالفة فاق اهل زمانه في العبادة فذكر للنبي زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل
هو لولا انه تارك لشيء من السنة فاغتم العابد لما سمع ذلك فسال النبي فقال انت تارك للتزويج فقال لست احرمه
ولكني فقير وانا عيال على الناس قال فانا ازوجك ابنتي فزوجه النبي ابنته وقال بشر بن الحارث فضل علي احمد بن
حنبل بثلاث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وانا اطلبه لنفسي فقط ولاتساعه في النكاح وضيقي عنه ولانه
نصب اماما للعامة ويقال ان احمد تزوج في اليوم الثاني من وفاة ام ولده عبد الله وقال اكره ان ابيت عزبا واما
بشر فانه لما قيل له ان الناس يتكلمون فيك بتركك النكاح ويقولون هو تارك للسنة فقال قل لهم هو مشغول
بالفرض عن السنة وعوتب مرة اخرى فقال ما يمنعني من التزويج الا قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف فذكر
ذلك لاحمد فقال واين مثل بشر انه قعد على مثل حد السنان ومع ذلك فقد روي انه رئي في المنام فقيل له ما فعل الله
بك فقال رفعت منازلي في الجنة واشرف بي على مقامات الانبياء ولم ابلغ منازل المتاهلين وفي رواية قال لي
ما كنت احب ان تلقاني عزبا قال فقلنا له ما فعل ابو نصر التمار فقال رفع فوقي بسبعين درجة قلنا بماذا
فقد كنا نراك فوقه قال بصبره على بنياته والعيال وقال سفيان بن عيينة كثرة النساء ليس من الدنيا لان عليا
رضي الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع نسوة وسبع عشرة سرية فالنكاح
سنة ماضية وخلق من خلق الانبياء وقال رجل لابرهيم بن ادهم طوبى لك قد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال
لروعة منك بسبب العيال افضل من جميع ما انا فيه فقال فما الذي يمنعك من النكاح قال ما لي حاجة في امراة
وما اريد ان اغر امراة بنفسي وقد قيل فضل المتاهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متاهل
افضل من سبعين ركعة من عزب واما ما جاء في الترغيب عن النكاح فقد قال عليه الصلوة والسلام خير الناس بعد
المائتين الخفيف الحاذ الذي لا اهل له ولا ولد وقد قال صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان يكون هلاك
الرجل على يد زوجته وابويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه
فيهلك وقد قيل قلة العيال احد اليسارين وكثرته احد الفقرين وسئل ابو سليمن الداراني عن النكاح فقال الصبر
عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار وقال الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب
ما لا يجد المتاهل وقال مرة ما رايت احدا من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الاولى وقال ايضا ثلث من طلبهن فقد
ركن الى الدنيا من طلب معاشا او تزوج امراة او كتب الحديث وقال الحسن اذا اراد الله بعبد خيرا لم يشغله باهل
ولا مال وقال ابن ابي الحواري تناظر جماعة في هذا الحديث فاستقر رايهم على انه ليس معناه الا يكونا له بل معناه ان يكونا
له ولا يشغلانه وهو اشارة الى قول ابي سليمن الداراني ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤم و
بالجملة لم ينقل عن احد الترغيب عن النكاح مطلقا الا مقرونا بالشرط واما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا
ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بحصر آفات النكاح وفوائده آفات النكاح وفوائده وفيه فوائد خمسة
الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن الفائدة الاولى الولد وهو
الاصل وله وضع النكاح والمقصود ابقاء النسل وان لا يخلو العالم عن جنس الانس وانما الشهوة خلقت باعثة مستحثة
كالموكل بالفحل في اخراج البذر وبالانثى في التمكين من الحرث تلطفا بهما في السياقة الى اقتناص الولد بسبب الوقاع
كالتلطف بالطير في بث الحب الذي يشتهيه ليساق الى الشبكة وكانت القدرة الازلية غير قاصرة عن

اختراع الاشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الاسباب مع الاستغناء
عنها اظهارا للقدرة واتماما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به المشية وحقت به الكلمة وجرى به القلم وفي
التوصل الى الولد قربة من اربعة اوجه هي الاصل في الترغيب فيه عند الامن من غوائل الشهوة حتى لم يحب احدهم
ان يلقى الله عزبا الاول موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لبقاء جنس الانسان والثاني طلب محبة رسول
الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من به مباهاته والثالث طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده والرابع طلب
الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله اما الوجه الاول فهو ادق الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير وهو
احقها واقواها عند ذوي البصائر عند ذوي البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمته وبيانه ان السيد
اذا سلم الى عبده البذر والات الحرث وهيا له ارضا مهياة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من
يتقاضاه عليها فان تكاسل وعطل الة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة
كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده والله سبحانه وتعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والانثى وخلق النطفة
في الفقار وهيا لها في الانثيين عروقا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضي
الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى فهذه الافعال والالات تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد
خالقها وتنادي ارباب الالباب بتعريف ما اعدت له هذا ان لم يصرح به الخالق على لسان رسوله صلى
الله عليه وسلم بالمراد حيث قال تناكحوا تكثروا فكيف وقد صرح بالامر وباح بالسر فكل ممتنع عن النكاح
معرض عن الحراثة مضيع للبذر معطل لما خلق من الالات المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من
شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهي ليس برقم حروف واصوات يقراه كل من له بصيرة ربانية
نافذة في ادراك دقائق الحكمة الازلية ولذلك عظم الشرع الامر في القتل للاولاد وفي الواد لانه منع لتمام
الوجود واليه اشار من قال العزل احد الوادين فالناكح ساع في اتمام ما احب الله تمامه والمعرض معطل و
مضيع لما كره الله ضياعه ولاجل محبة الله لبقاء النفوس امر بالاطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض
فقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فان قلت قولك ان بقاء النفس والنسل محبوب يوهم ان فناءها مكروه
عند الله وهو فرق بين الموت والحيوة بالاضافة الى ارادة الله ومعلوم ان الكل بمشية الله وان الله لغني عن
العالمين فمن اين يتميز عنده موتهم عن حيوتهم وبقاؤهم عن فنائهم فاعلم ان هذه كلمة حق اريد بها باطل فان كل
ما ذكرناه لا ينافي اضافة الكائنات كلها الى ارادة الله خيرها وشرها نفعها وضرها ولكن المحبة والكراهة تتضادان
وكلاهما لا يضادان الارادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب والمعاصي مكروهة وهي مع الكراهة مرادة
والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية اما الكفر والشر فلا نقول انه محبوب ومرضي بل هو
مراد وقد قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر فكيف يكون الفناء بالاضافة الى محبة الله وكراهته كالبقاء وهو
تعالى يقول ما ترددت في شيء كترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته ولا بد له منه فقوله
لا بد له منه اشارة الى سبق الارادة والتقدير المذكور في قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وفي قوله هو الذي خلق الموت
والحيوة ولا مناقضة بين قوله قدرنا بينكم الموت وبين قوله وانا اكره مساءته ولكن ايضاح الحق في هذا يستدعي تحقيق
معنى الارادة والمحبة والكراهة وبيان حقائقها فان السابق الى الافهام منها امور تناسب ارادة الخلق ومحبتهم و
كراهتهم وهيهات فبين صفات الله وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته وذواتهم وكما ان ذوات الخلق جوهر و
عرض وذات الله مقدس عنه ولا يناسب ما ليس جوهرا وعرضا الجوهر والعرض فكذا صفات الله لا تناسب صفات
الخلق وهذه الحقائق داخلة في علم المكاشفة ووراءها سر القدر الذي منع من افشائه فلنقبض عن ذكره و

لنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الاقدام على النكاح والاحجام عنه فان احدهما مضيع نسلا ادام الله وجوده من آدم عقبا بعد عقب الى ان انتهى اليه فالممتنع عن النكاح قد ختم الوجود المستدام من وجود آدم على نفسه فمات ابتر لا عقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ في الطاعون زوجوني لا القى الله عزبا فان قلت فما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه فاقول الولد يحصل بالوقاع ويحصل الوقاع بباعث الشهوة وذلك امر لا يدخل في الاختيار انما المتعلق باختيار العبد احضار المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن عقد فقد ادى ما عليه وفعل ما اليه والباقي خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعنين ايضا فان نهضات الشهوة خفية لا يطلع عليها حتى ان الممسوح الذي لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب ايضا في حقه على الوجه الذي يستحب للاصلع امرار الموسى على رأسه اقتداء بغيره وتشبها بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطباع في الحج الآن وقد كان المراد منه اولا اظهار الجلد للكفار فصار الاقتداء والتشبه بالذين اظهروا الجلد سنة في حق من بعدهم ويضعف هذا الاستحباب بالاضافة الى الاستحباب في حق القادر على الحرث وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع الى قضاء الوطر فان ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذي ينبه على شدة انكارهم لترك النكاح مع فتور الشهوة الوجه الثاني السعي في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه بتكثير ما به مباهاته اذ قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويدل على مراعاة امر الولد جملة بالوجوه كلها ما روي عن عمر انه كان ينكح كثيرا ويقول انما انكح للولد وما روي من الاخبار في مذمة المرأة العقيم اذ قال عليه الصلوة والسلام لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد وقال خير نسائكم الولود الودود وقال سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وهذا يدل على ان طلب الولد ادخل في اقتضاء فضل النكاح من دفع غائلة الشهوة لان الحسناء اصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة الوجه الثالث ان يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له كما ورد في الخبر ان جميع عمل ابن آدم ينقطع الا ثلثة وفي الخبر ان الادعية تعرض على الموتى على اطباق من نور وقول القائل ان الولد ربما لم يكن صالحا لا يؤثر فانه مؤمن والصلاح هو الغالب على الاولاد ذوي الدين لا سيما اذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المؤمن لابويه مفيد برا كان او فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فانه من كسبه وغير مؤاخذ بسيئاته فانه لا تزر وازرة وزر اخرى ولذلك قال تعالى الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء اي ما نقصناهم من اعمالهم وجعلنا اولادهم مزيدا في احسانهم الوجه الرابع ان يموت الولد قبله فيكون له شفيعا فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الطفل يجر بابويه الى الجنة وفي بعض الاخبار ياخذ بثوبه كما انا الآن آخذ بثوبك وقال ايضا ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محتنطا اي ممتليا غيظا وغضبا ويقول لا ادخل الجنة الا وابواي معي فيقال ادخلوا ابويه معه الجنة وفي خبر آخر ان الاطفال يجتمعون في موقف القيمة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء الى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون اين آباؤنا وامهاتنا فيقول الخزنة ان آباءكم وامهاتكم ليسوا امثالكم انه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون فيتضاغون ويضجون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو اعلم بهم ما هذه الضجة فيقولون يا ربنا اطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة الا مع آبائنا فيقول الله تعالى تخللوا الجمع فخذوا بايدي آبائهم فادخلوهم الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من مات له اثنان من الولد فقد احتظر بحظار من النار وقال صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث ادخله الله الجنة بفضل رحمته واياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان وحكي ان بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج

فيأبى برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فسئل عن ذلك فقال لعل الله يرزقني ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال رأيت في المنام كان القيامة قد قامت وكاني في جملة الخلائق في الموقف وبي من العطش ما كاد ان يقطع عنقي وكذا الخلائق في شدة العطش والكرب فنحن كذلك اذ اولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبايديهم اباريق من فضة واكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون اكثر الناس فمددت يدي الى احدهم وقلت اسقني فقد اجهدني العطش فقال ليس لك فينا ولد انما نسقي آباءنا فقلت ومن انتم فقالوا نحن من مات من اطفال المسلمين واحد المعاني المذكورة في قوله تعالى فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم تقديم الاطفال الى الآخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الاربعة ان اكثر فضل النكاح لاجل كونه سببا للولد **الفائدة الثانية** التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج واليه الاشارة بقوله من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر واليه الاشارة بقوله عليه الصلوة والسلم عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء واكثر ما نقلناه من الآثار والاخبار اشارة الى هذا المعنى دون الاول لان الشهوة موكلة متقاضية بتحصيل الولد النكاح كاف لشغله ودافع لجملته وصارف لشدة سطوته وليس من يجيب مولاه رغبة في تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز ان يقال المقصود اللذة والولد لازم منها كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من الاكل وليس مقصودا في ذاته بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمري في الشهوة حكمة اخرى سوى الارهاق الى الايلاد وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لو دامت فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان اذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع فلو رغب العنين في لذة الجماع والصبي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب فاحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة فيكون باعثا على عبادة الله فانظر الى الحكمة ثم الى الرحمة ثم الى التعبية الالهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حيوتان حيوة ظاهرة وحيوة باطنة فالحيوة الظاهرة حيوة المرء ببقاء نسله فانه نوع من دوام الوجود والحيوة الباطنة هي الحيوة الاخروية فان هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام فتستحث على العبادة الموصلة اليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر المواظبة على ما يوصله الى نعيم الجنان وما من ذرة من ذرات بدن الانسان ظاهرا وباطنا بل من ذرات ملكوت السموات والارضين الا وتحتها من لطائف الحكم وعجائبها ما تحار العقول فيه ولكن انما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها واغوائها فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لكل من لا يؤتى من عجز وعنة وهم غالب الخلق فان الشهوة ان غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت الى اقتحام الفواحش واليه الاشارة بقوله عليه الصلوة والسلم الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير وان كان ملجما بلجام التقوى فغايته ان يكف الجوارح عن اجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج فاما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بامور الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس اليه في اكثر الاوقات وقد يعرض له ذلك في اثناء الصلوة حتى يجري على خاطره من امور الوقاع ما لو صرح به بين يدي اخس الخلق لاستحيى منه والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق وراس الامر للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه والمواظبة على الصوم لا تقطع مادة الوسوسة في حق اكثر الخلق الا ان يضاف اليه ضعف في البدن وفساد في المزاج ولذلك قال ابن عباس لا يتم نسك الناسك الا بالنكاح وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها قال قتادة في معنى قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو الغلمة وعن عكرمة ومجاهد انهما قالا في قوله وخلق الانسان ضعيفا انه

لا يصبر على النساء وقال فياض بن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ثلث دينه و
في نوادر التفسير عن ابن عباس ومن شر غاسق اذا وقب قال قيام الذكر وهذه بلية غالبة اذا هاجت لا يقاومها
عقل ولا دين وهي مع انها صالحة لان تكون باعثة على الحياتين كما سبق فهي اقوى آلة الشيطان على بني آدم
واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله ما رايت ناقصات عقل ودين اغلب لذوي الالباب منكن وانما
ذلك لهيجان الشهوة وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي و
شر منيي وقال اسالك ان تطهر قلبي وتحفظ فرجي فما يستعيذ منه صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل
فيه لغيره وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يخلو من اثنين وثلاث وانكر عليه بعض الصوفية فقال هل
يعرف احد منكم انه جلس بين يدي الله جلسة او وقف بين يديه موقفا في معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة
فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت ولكني ما
خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي الا انفذته لاستريح منه وارجع الى شغلي ومنذ اربعين سنة ما خطر
على قلبي معصية وانكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوي الدين ما الذي ينكر منهم قال ياكلون كثيرا
قال وانت ايضا لو جعت كما يجوعون لاكلت كما ياكلون قال ينكحون كثيرا قال وانت ايضا لو حفظت عينيك وفرجك
كما يحفظون لنكحت كما ينكحون وكان الجنيد يقول احتاج الى الجماع كما احتاج الى القوت فالزوجة على التحقيق قوت
وسبب لطهارة القلب ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امراة فتاقت اليها نفسه ان
يجامع اهله لان ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم راى امراة فدخل على
زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المراة اذا اقبلت اقبلت في صورة شيطان فاذا راى احدكم امراة فاعجبته
فليات اهله فان معها مثل الذي معها وقال صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا على المغيبات اي التي غاب عنها زوجها فان الشيطان
يجري من احدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومني ولكن الله اعانني عليه فاسلم قال سفين بن عيينة فاسلم انا منه هذا
معناه فان الشيطان لا يسلم ولذلك يحكى عن ابن عمر وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم انه كان يفطر من الصوم على
الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلي المغرب ثم يغتسل وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله واخراج عدة الشيطان
منه وروي انه جامع ثلاثا من جواريه في شهر رمضان قبل العشاء الاخرة وقال ابن عباس خير هذه الامة اكثرها
نساء ولما كانت الشهوة اغلب على مزاج العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح اشد ولاجل فراغ القلب ابيح
نكاح الامة عند خوف العنت مع ان فيه ارقاق الولد وهو نوع اهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن ارقاق
الولد اهون من اهلاك الدين وليس فيه الا تنغيص الحياة على الولد مدة وفي اقتحام الفاحشة تفويت الحياة الاخروية
التي تستحقر الاعمار الطويلة بالاضافة الى يوم من ايامها وروي انه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس
رضي الله عنهما وبقي شاب لم يبرح فقال له ابن عباس هل من حاجة قال نعم اردت ان اسال مسالة فاستحييت من الناس
وانا الان اهابك واجلك فقال ابن عباس ان العالم بمنزلة الوالد فما كنت افضيت به الى ابيك فافض به الي فقال اني شاب لا زوجة
لي وربما خشيت العنت على نفسي فربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال اف
وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا فهذا تنبيه على ان العزب المغتلم مردد بين ثلاثة شرور ادناها نكاح
الامة وفيه ارقاق الولد واشد منه الاستمناء باليد وافحشه الزنا ولم يطلق ابن عباس الاباحة في شيء منه لانهما محذوران
يفزع اليهما حذرا من الوقوع في محذور اشد منه كما يفزع الى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح
اهون الشرين في معنى الاباحة المطلقة ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتآكلة من الخيرات وان كان يؤذن
فيه عند اشراف النفس على الهلاك فاذن في النكاح فضل على هذا الوجه لكن هذا لا يعم الكل بل الاكثر فرب شخص فترت

شهوته بكبر سن او مرض او غيره فينعدم هذا الباعث في حقه ويبقى ما سبق من امر الولد فان ذلك عام
الا للممسوح وهو نادر ومن الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصنه المراة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة
على الواحدة الى الاربع فان يسر الله له مودة ورحمة واطمان قلبه بهن والا فيستحب الاستبدال فقد نكح علي رضي الله
عنه بعد وفاة فاطمة بسبع ليال ويقال ان الحسن بن علي كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتي امراة وكان ربما
عقد على اربع في عقد واحد وربما طلق اربعا في وقت واحد واستبدل بهن وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للحسن اشبهت خلقي وخلقي وقال الحسن مني وحسين من علي فقيل ان كثرة نكاحه احد ما اشبه به خلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امراة وكان في الصحابة من له الثلاث والاربع ومن كان له
اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوما فينبغي ان يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فلينظر اليه في الكثرة
والقلة **الفائدة الثالثة** ترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة اراحة للقلب وتقوية له على العبادة
فان النفس ملول وهي عن الحق نفور لانه على خلاف طبعها فلو كلفت المداومة بالاكراه على ما يخالفها جمحت وثابت
واذا روحت باللذات في بعض الاوقات قويت ونشطت وينبغي ان يكون لنفوس المتقين استراحات الى المباحات
ولذلك قال تعالى ليسكن اليها وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت وفي الخبر على العاقل
ان يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فان في هذه
الساعة عونا على تلك الساعات ومثله بلفظ اخر لا يكون العاقل طامعا الا في ثلاث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او
لذة في غير محرم وقال صلى الله عليه وسلم لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى سنتي فقد اهتدى
والشرة الجد والمكابدة بحدة وقوة وذلك في ابتداء الارادة والفترة الوقوف للاستراحة وكان ابو الدرداء يقول اني
لاستجم نفسي بشيء من اللهو لاتقوى بذلك فيما بعد على الحق وفي بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
شكوت الى جبريل ضعفي عن الوقاع فدلني على الهريسة فهذا ان صح لا محمل له الا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله
بدفع الشهوة لانه استثارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الاكثر من هذا الانس وقال صلى الله عليه وسلم حبب
الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة فهذه ايضا فائدة لا ينكرها من جرب اتعاب
نفسه في الافكار والاذكار وصنوف الاعمال وهي خارجة عن الفائدتين السابقتين حتى انها لتطرد في
حق الممسوح ومن لا شهوة له الا ان هذه الفائدة تجعل النكاح فضيلة بالاضافة الى هذه النية وقل من يقصد
بالنكاح ذلك فاما قصد الولد وقصد دفع الشهوة فمما يكثر ثم رب شخص يستانس بالنظر الى الماء الجاري والخضرة
وامثالهما ولا يحتاج الى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الاحوال والاشخاص فليتنبه له
الفائدة الرابعة تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الاواني وتهيئة
اسباب المعيشة فان الانسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش في منزله وحده اذ لو تكفل بجميع اشغال
المنزل لضاع اكثر اوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمراة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذا الطريق و
اختلال هذه الاسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش ولذلك قال ابو سليمن الداراني الزوجة
الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للاخرة وانما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا وقال محمد بن كعب
القرظي في معنى قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال المراة الصالحة وقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ احدكم لسانا
ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر وفي بعض
التفاسير فلنحيينه حياة طيبة قال الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما اعطي عبد بعد الايمان
بالله خيرا من امراة صالحة وان منهن غنما لا يحذى منه ومنهن غلا لا يفدى منه وقوله لا يحذى اي لا يعتاض عنه بعطاء

وقال صلى الله عليه وسلم فضلت على آدم بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وازواجي اعوان على الطاعة
وكان شيطانه كافرا وكان شيطاني مسلما لا يامر الا بخير فعد معاونتها على الطاعة فضيلة فهذه ايضا من الفوائد
التي يقصدها الصالحون الا انها تخص بعض الاشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا يدعو الى امراتين بل الجمع ربما
ينغص المعيشة وتضطرب به امور المنزل ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها وما يحصل من القوة
بسبب تداخل العشائر فان ذلك مما يحتاج اليه في دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد
من يدفع عنه الشرور وسلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فان الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل الفائدة
الخامسة مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى
منهن والسعي في اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لاجلهن والقيام بتربية الاولاد
فكل هذه اعمال عظيمة الفضل فانها رعاية وولاية والاهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وانما يحترز منها من يحترز
خيفة من القصور عن القيام بحقها والا فقد قال صلى الله عليه وسلم يوم من وال عادل افضل من عبادة سبعين
سنة ثم قال الا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وليس من اشتغل باصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل باصلاح نفسه
فقط ولا من صبر على الاذى كمن رفه نفسه واراحها فمقاساة الاهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله ولذلك قال
بشر فضل علي احمد بن حنبل بثلاث احدها انه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال صلى الله عليه وسلم ما انفق الرجل
على اهله فهو صدقة وان الرجل ليوجر في اللقمة يرفعها الى في امراته وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل قد اعطاني الله
نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وغيرها فقال له اين انت من عمل الابدال قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال
وقال ابن المبارك وهو مع اخوانه في الغزو تعلمون عملا افضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال انا اعلم رجل متعفف
ذو عيلة قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله افضل مما نحن فيه وقال
صلى الله عليه وسلم من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين وفي
حديث آخر ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي الحديث اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه
الله بهم ليكفرها وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الغم بالعيال وفيه اثر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وقال صلى الله عليه وسلم
من كان له ثلاث بنات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه اوجب الله له الجنة البتة الا ان يعمل عملا لا يغفر
له قال ابن عباس اذا حدث بهذا قال هو والله من غرائب الحديث وغرره روي ان بعض المتعبدين كان يحسن القيام
على زوجته الى ان ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة اروح لقلبي واجمع لهمي قال فرايت في المنام بعد جمعة
من وفاتها كان ابواب السماء فتحت وكان رجالا ينزلون ويسيرون في الهواء يتبع بعضهم بعضا وكلما نزل واحد نظر
الي فقال لمن وراءه هذا هو المشئوم فيقول الاخر نعم ويقول الثالث كذلك فيقول الرابع نعم فخفت ان
اسالهم هيبة من ذلك الى ان مر بي اخرهم وكان غلاما فقلت له يا هذا من المشئوم الذي تومون اليه فقال
انت فقلت ولم ذاك قال كنا نرفع عملك في اعمال المجاهدين في سبيل الله فمنذ جمعة امرنا ان نضع عملك مع الخالفين
فلا ندري ما احدثت فقال لاخوانه زوجوني زوجوني فلم يكن يفارقه زوجتان او ثلاث وفي اخبار الانبياء
ان قوما دخلوا على يونس فاضافهم فكان يدخل ويخرج الى منزله فتوذيه امراته وتستطيل عليه وهو ساكت
فعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني سالت الله وقلت ما انت معاقبي به في الاخرة فقال ان عقوبتك
بنت فلان تزوج بها فتزوجت بها وانا صابر على ما ترون منها وفي الصبر على ذلك رياضة للنفس
وكسر الغضب وتحسين الخلق فان المنفرد بنفسه او المشارك لمن حسن خلقه لا يترشح منه خبائث النفس

الباطنة ولا ينكشف بواطن عيوبه فحق على سالك طريق الاخرة ان يجرب نفسه بالتعرض لامثال هذه المحركات و
اعتياد الصبر عليها ليعتدل اخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على العيال مع انه
رياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسها فهذه ايضا من الفوائد ولكنه لا ينتفع بها الا احد رجلين
اما رجل قصده المجاهدة والرياضة وتهذيب الاخلاق لكونه في بداية الطريق فلا يبعد ان يرى هذا طريقا في المجاهدة
وترتاض به واما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب وانما عمله عمل الجوارح بصلوة او حج او غيره فعمله
لاهله واولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم افضل من العبادات اللازمة لبدنه التي لا يتعدى خيرها الى غيره
فاما الرجل المهذب الاخلاق اما بكفاية في اصل الخلقة او بمجاهدة سابقة اذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في
العلوم والمكاشفات فلا ينبغي ان يتزوج لهذا الغرض فان الرياضة هو مكفي فيها واما العبادة بالعمل في الكسب لهم فالعلم
افضل من ذلك لانه ايضا عمل وفائدته اعم واشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال فهذه فوائد النكاح في الدين التي
بها يحكم له بالفضيلة والسلم **اما آفات النكاح** فثلث الاولى وهي اقواها العجز عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر
لكل احد لا سيما في هذه الاوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببا للتوسع في الطلب والاطعام من الحرام و
فيه هلاكه وهلاك اهله والمتعزب في امن من ذلك واما المتزوج ففي الاكثر يدخل في مداخل السوء ويتبع هوى زوجته
ويبيع اخرته بدنياه وفي الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسال عن رعاية عياله و
القيام بهم من اين اكتسبه وفيما انفقه حتى تستغرق تلك المطالبات كل اعماله فلا تبقى له حسنة فتنادي الملائكة هذا
الذي اكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم باعماله ويقال ان اول ما يتعلق بالرجل في القيامة اهله وولده فيوقفونه
بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه
وقال بعض السلف اذا اراد الله بعبد شرا سلط عليه في الدنيا انيابا تنهشه يعني العيال وقال صلى الله عليه وسلم لا يلقى
الله سبحانه وتعالى احد بذنب اعظم من جهالة اهله فهذه افة عامة قل من يتخلص منها الا من له مال موروث او مكتسب من
حلال يفي به وباهله وكان له من القناعة ما يمنعه عن الزيادة فان ذلك يتخلص من هذه الافة او من هو محترف ومقتدر على
كسب حلال من المباحات باحتطاب او اصطياد او كان في صناعة لا تتعلق بالسلاطين ويقدر ان يعامل بها اهل
الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم وقد سئل عن التزويج فقال هو افضل في زماننا لمن
ادركه شبق غالب مثل الحمار يرى الاتان فلا ينتهي عنها بالضرب ولا يملك نفسه فتركه اولى الافة الثانية
القصور عن القيام بحقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن وهذه دون الاولى في العموم فان القدرة
على هذا ايسر من القدرة على الاولى وتحسين الخلق مع النساء والقيام بحظوظهن اهون من طلب الحلال وفي
هذا ايضا خطر لانه راع ومسئول عن رعيته قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول وروي ان الهارب
من عياله بمنزلة العبد الهارب الابق لا تقبل له صلوة ولا صيام حتى يرجع اليهم ومن يقصر عن القيام بحقهن و
ان كان حاضرا فهو هارب وقد قال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا امرنا ان نقيهم النار كما نقي انفسنا والانسان
قد يعجز عن القيام بحق نفسه واذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف الى نفسه نفس اخرى والنفس امارة بالسوء
واذا كثرت كثر الامر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم عن التزويج وقال انا مبتلى بنفسي فكيف اضيف اليها نفسا اخرى
شعر لم يسع الفارة جحرها علقت الغربال في دبرها وكذلك اعتذر ابراهيم بن ادهم وقال لا اغر امراة بنفسي
ولا حاجة لي فيهن اي من القيام بحقهن وتحصينهن وامتاعهن وانا عاجز عنه وكذلك اعتذر بشر وقال
يمنعني من النكاح قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن وكان يقول لو كنت اعول دجاجة لخفت ان اصير جلادا على
الجسر ورئي سفيان بن عيينة على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك فقال وهل رايت ذا عيال افلح وكان سفيان

يقول باجتناب العزبة والمفتاح ومسكن يخرق الرياح لا صحب فيه ولا اصباح فهذه آفة عامة ايضا وان كانت دون عموم الاولى لا يسلم منها الا حكيم عاقل حسن الخلق بصير بعادات النساء صبور على لسانهن وقاف عن اتباع شهواتهن حريص على الوفاء بحقهن يتغافل عن زللهن ويداري بعقله اخلاقهن والاغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه فالوحدة اولى به

الآفة الثالثة وهي دون الاولى والثانية ان يكون الاهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا له الى طلب الدنيا وتدبير حسن المعيشة للاولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما شغل عن الله تعالى من اهل ومال وولد فهو مشوم على صاحبه ولست اعني بهذا ان يدعو الى محظور فان ذلك مما اندرج تحت الآفة الاولى والثانية بل ان يدعوه الى التنعم بالمباح بل الى الاغراق في ملاعبة النساء ومؤانستهن والامعان في التمتع بهن ويثور من النكاح انواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب فينقضي الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للتفكر في الآخرة والاستعداد لها ولذلك قال ابراهيم بن ادهم من تعود افخاذ النساء لم يجئ منه شيء وقال ابو سليمان من تزوج فقد ركن الى الدنيا اي يدعوه ذلك الى الركون الى الدنيا فهذه مجامع الآفات والفوائد فالحكم على شخص واحد بان الافضل له النكاح او العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الامور بل تتخذ الفوائد والآفات معتبرا ومحكا ويعرض المريد عليه نفسه فان انتفت في حقه الآفات واجتمعت الفوائد بان كان له مال حلال وخلق حسن وجد في الدين تام لا يشغله النكاح عن الله تعالى وهو مع ذلك شاب يحتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج الى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة فلا يماري في ان النكاح افضل له مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد وان انتفت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة اولى به وان تقابل الامران وهو الغالب فينبغي ان يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة في الزيادة من دينه وحظ تلك الآفة في النقصان منه فاذا غلب على الظن رجحان احدهما حكم به واظهر الفوائد الولد وتسكين الشهوة واظهر الآفات الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله تعالى فالعزوبة له اولى فلا خير فيما يشغل عن الله ولا خير في كسب الحرام ولا يفي بنقصان هذين الامرين امر الولد لان النكاح للولد سعي في طلب الحياة للولد موهوم وهذا نقصان في الدين ناجز فحفظه لحياة نفسه وصونها عن الهلاك اهم من السعي في الولد وذلك ربح والدين رأس مال وفي فساد الدين بطلان الحياة الاخروية وذهاب رأس المال فلا يقاوم هذه الفائدة احدى هاتين الآفتين واما اذا انضاف الى امر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس الى النكاح نظر فان لم يقو لجام التقوى في رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له اولى لانه متردد بين ان يقتحم الزنا او يأكل الحرام والكسب بالحرام اهون الشرين وان كان يثق بنفسه انه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك النكاح له اولى لان النظر حرام والكسب من غير وجهه حرام والكسب يقع دائما وفيه عصيانه وعصيان اهله والنظر يقع احيانا وهو يخصه وينصرم على قرب والنظر زنا العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو اقرب الى العفو من اكل الحرام الا ان يخاف افضاء النظر الى معصية الفرج فيرجع ذلك الى خوف العنت واذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو ان يقوى على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع الافكار الشاغلة للقلب فاولى به ترك النكاح لان عمل القلب الى العفو اقرب وانما يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع كسب الحرام واكله واطعامه اهله فهكذا ينبغي ان توزن هذه الآفات بالفوائد ويحكم بحسبها ومن احاط بهذا لم يشكل عليه شيء مما نقل عن السلف من ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه اخرى اذ ذلك بحسب الاحوال صحيح فان قلت فمن أمن الآفات فما الافضل له التخلي لعبادة الله ام النكاح فاقول يجمع بينهما لان النكاح ليس مانعا من التخلي لعبادة الله من حيث انه عقد ولكن من حيث الحاجة الى الكسب فان قدر على الكسب الحلال فالنكاح ايضا افضل لان الليل وسائر اوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرق الاوقات بالكسب حتى لا يبقى سوى اوقات المكتوبة والنوم والاكل وقضاء الحاجة فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة الا بالصلاة النافلة او بالحج او ما يجري مجراه من الاعمال البدنية فالنكاح له افضل لان في كسب الحلال والقيام بالاهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على اخلاق النساء انواعا من العبادات وان كانت عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك النكاح له افضل فان قلت فان كان الافضل النكاح فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وان كان الافضل التخلي لعبادة الله فلم استكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج فاعلم ان الافضل الجمع بينهما في حق من قدر ومن قويت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله تعالى شاغل ورسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان مع تسع من النسوة متخليا لعبادة الله تعالى وكان قضاء الوطر في النكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن التدبير حتى يشتغلون في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مستغرقة بهممهم غير غافلة عن مهماتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلو درجته لا يمنعه امر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته ومتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد ان تغير السواقي ما لا يغير البحر الخضم فلا ينبغي ان يقاس عليه غيره واما عيسى عليه السلام فانه اخذ بالحزم لا بالقوة واحتاط لنفسه ولعل حالته كانت حالة تؤثر فيها الاشتغال بالاهل او يتعذر معها طلب الحلال او لا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة فآثر التخلي للعبادة وهم اعلم باسرار احوالهم واحكام اعصارهم في طيب المكاسب واخلاق النساء وما على الناكح من غوائل النكاح وما له فيه ومهما كانت الاحوال منقسمة حتى يكون النكاح في بعضها افضل وتركه في بعضها افضل فحقنا ان ننزل افعال الانبياء عليهم السلام على الافضل في كل حال

الباب الثاني فيما يراعى حالة العقد

في احوال المرأة وشروط العقد اما العقد فاركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل اربعة الاول اذن الولي فان لم يكن فالسلطان الثاني رضى المرأة ان كانت ثيبا بالغة او كانت بكرا بالغة ولكن يزوجها غير الاب والجد الثالث حضور شاهدين ظاهري العدالة فان كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة الرابع ايجاب وقبول متصل به بلفظ الانكاح او التزويج او معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج او الولي او وكيلهما واما آدابه فتقديم الخطبة مع الولي لا في حالة عدة المرأة بل بعد انقضائها ان كانت معتدة ولا في حالة سبق غيره بالخطبة اذ نهي عن الخطبة على الخطبة ومن آدابه الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالايجاب والقبول فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة ويقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكن الصداق معلوما خفيفا والتحميد قبل الخطبة ايضا مستحب ومن آدابه ان يلقي امر الزوج الى سمع المرأة وان كانت بكرا فذلك اولى بالالفة ولذلك يستحب النظر اليها قبل النكاح فانه احرى ان يؤدم بينهما ومن الآداب احضار جمع من اهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ومن آدابه ان ينوي بالنكاح اقامة السنة وغض البصر وطلب الولد وسائر الفوائد التي ذكرناها ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من اعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى قال عمر بن عبد العزيز اذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان ولا يستحيل ان يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا معا ومن آدابه ان يعقده في المسجد وفي شهر شوال قالت عائشة رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبنى بي في شوال واما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان احدهما الحل والثاني لطيب العيش وحصول المقاصد النوع الاول ما يعتبر فيها الحل وهو ان تكون خلية عن موانع النكاح والموانع تسعة عشر الاول ان تكون منكوحة للغير الثاني ان تكون معتدة عن الغير سواء كانت عدة وفاة او طلاق او وطء شبهة او كانت في استبراء وطء عن ملك يمين الثالث ان تكون مرتدة عن الدين بجريان كلمة على لسانها هي من كلمات الكفر الرابع ان تكون مجوسية الخامس ان تكون وثنية او زنديقة

لانتسابها الى نبي وكتاب ومنهن المعتقدات المذهب الاباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقدة فاسد الحكم
يكفر معتقده السادس ان تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل او بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومع ذلك فليست من نسب بني اسرائيل فاذا اعدمت كلتا الصفتين لم يحل نكاحها وان عدم النسب فقط ففيه
خلاف السابع ان تكون رقيقة والناكح حر قادر على طول حرة او غير خائف من العنت الثامن ان تكون كلها او
بعضها مملوكا للناكح ملك يمين التاسع ان تكون قريبة للزوج بان تكون من اصوله او فصوله او من اول فصل من كل
اصل بعده اصل واعني باصوله الامهات والجدات وبفصوله الاولاد والاحفاد وبفصول اول اصوله الاخوة
والاولاد وباول فصل من كل اصل بعده اصل العمات والخالات دون اولادهن العاشر ان تكون محرمة بالرضاع
ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الاصول والفصول كما سبق ولكن المحرم خمس رضعات وما دون ذلك لا
يحرم الحادي عشر المحرمة بالمصاهرة وهو ان يكون الناكح قد نكح ابنتها او حفدتها من قبل او وطئهن بالشبهة في عقد
او وطئ امها او احدى جداتها بعقد او شبهة عقد فمجرد العقد على المراة يحرم امهاتها ولا يحرم فروعها الا بالوطئ او
تكون قد نكحها ابوه او ابنه من قبل الثاني عشر ان تكون المنكوحة خامسة اي تكون تحت الناكح اربع سواها اما في نفس
النكاح او في عدة الرجعة فان كانت في عدة بينونة لم يمنع الخامسة الثالث عشر ان يكون تحت الناكح اختها او عمتها
او خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان احدهما ذكرا والاخرى انثى لم يجز بينهما النكاح
فلا يجوز ان يجمع بينهما الرابع عشر ان يكون هذا الناكح قد طلقها من قبل ثلاثا فلا تحل له ما لم يطأها زوج اخر
في نكاح صحيح الخامس عشر ان يكون الناكح قد لاعن عنها فانها تحرم عليه ابدا بعد اللعان السادس عشر ان تكون محرمة
بحج او عمرة او كان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح الا بعد تمام التحلل السابع عشر ان تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها
الا بعد البلوغ الثامن عشر ان تكون يتيمة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ التاسع عشر ان تكون من ازواج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ممن توفي عنها او دخل بها فطلقها فانهن امهات المؤمنين وذلك لا يوجد في زماننا فهذه
هي الموانع المحرمة واما الخصال المطيبة للعيش التي لا بد من مراعاتها في المراة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده
فهي ثمانية الدين والخلق والحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وان لا تكون قرابة قريبة الاولى ان تكون
صالحة ذات دين فهذا هو الاصل وبه ينبغي ان يقع الاعتناء فانها ان كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها
ازرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وتشوش بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه فان سلك سبيل
الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة وان سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه منسوبا الى قلة الحمية والانفة
واذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها اشد اذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالذي جاء
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي امراة لا ترد يد لامس قال طلقها فقال اني احبها قال امسكها
وانما امره بامساكها خوفا عليه بانه ان طلقها اتبعها وفسد هو ايضا معها فرأى في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق
قلبه اولى وان كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله او بوجه اخر لم يزل العيش مشوشا معه فان سكت ولم ينكر كان
شريكا في المعصية مخالفا لقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا وان انكر وخاصم تنغص عيشه ولهذا بالغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال تنكح المراة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين وفي حديث اخر من نكح المراة
لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها وقال لا تنكح المراة لجمالها فلعل جمالها يرديها
ولا لمالها فلعل مالها يطغيها وانكح المراة لدينها وانما بالغ في الحث على الدين لان مثل هذه المراة تكون عونا على الدين
فاما اذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له الثانية حسن الخلق وذلك اصل مهم في طلب الفراغ والاستعانة
على الدين فانها اذا كانت سليطة بذيئة اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم كان ضررها اكثر من النفع والصبر على

لسان المراة مما يتحرز منه الاولياء قال بعض العرب لا تنكحوا من النساء ستا لا انانة ولا منانة ولا حنانة ولا حداقة ولا براقة ولا
شداقة اما الانانة فهي التي تكثر الانين والتشكي وتعصب راسها كل ساعة فنكاح الممراضة او المتمارضة لا خير فيه
والمنانة التي تمن على زوجها فتقول فعلت لاجلك كذا وكذا والحنانة التي تحن الى زوج اخر او الى ولدها من زوج اخر
وهذا ايضا مما يجب اجتنابه والحداقة التي ترمي الى كل شيء بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه والبراقة تحتمل معنيين
احدهما ان تكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق يحصل بالتصنع والثاني ان تغضب
على الطعام فلا تاكل الا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء وهذه لغة يمانية يقولون برقت المراة وبرق الصبي
الطعام اذا غضب عنده والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الثرثارين
المتشدقين ويحكى ان السائح الازدي لقي الياس عليه السلام في سياحته فامره بالتزوج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح اربعا
المختلعة والمبارية والعاهرة والناشزة فالمختلعة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب والمبارية المباهية لغيرها المفاخرة
باسباب الدنيا والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن وهي التي قال الله تعالى ولا متخذات اخدان والناشزة
التي تعلو على زوجها في الفعال والمقال من النشز وهو العالي من الارض وكان علي رضي الله عنه يقول شر خصال الرجال
خيار خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المراة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة
استنكفت ان تكلم كل احد بكلام لين مريب واذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع
التهمة خيفة من زوجها فهذه الحكايات ترشد الى مجامع الاخلاق المطلوبة في النكاح الثالثة حسن الوجه فذلك ايضا مطلوب
اذ به يحصل التحصن والطبع لا يكتفي بالدميمة غالبا كيف والغالب ان حسن الخلق والخلق لا يفترقان وما نقلناه من الحث
على الدين وان المراة لا تنكح لجمالها ليس زجرا عن رعاية الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في غالب الامر
يرغب في النكاح ويهون امر الدين ويدل على الالتفات الى معنى الجمال ان الالفة والمودة تحصل به غالبا وقد ندب
الشرع الى مراعاة اسباب الالفة ولذلك استحب النظر فقال اذا اوقع الله في قلب احدكم من امراة فلينظر اليها فانه احرى
ان يؤدم بينهما اي يؤلف بينهما من وقوع الادمة على الادمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة و
انما ذكر ذلك للمبالغة في الايتلاف وقال صلى الله عليه وسلم ان في اعين الانصار شيئا فاذا اراد احدكم ان
يتزوج منهن فلينظر اليهن قيل كان في اعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الورعين لا ينكحون كرائمهم الا بعد النظر
احترازا من الغرور وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فاخره هم وغم ومعلوم ان النظر لا يعرف الخلق والدين
والمال وانما يعرف الجمال والقبح روي ان رجلا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه
فاستعدى عليه اهل المراة الى عمر وقالوا حسبناه شابا فاوجعه عمر ضربا وقال غررت القوم وروي ان بلالا
وصهيبا اتيا اهل بيت من العرب فخطبا اليهم فقيل لهما من انتما فقال بلال انا بلال وهذا اخي صهيب كنا ضالين
فهدانا الله وكنا مملوكين فاعتقنا الله وكنا عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان رددتمونا
فسبحان الله فقالوا بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله
فقال اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق والغرور يقع في الجمال والخلق جميعا فيستحب ازالة الغرور في الجمال
بالنظر وفي الخلق بالوصف والاستيصاف وينبغي ان يقدم ذلك على النكاح ولا يستوصف في اخلاقها وجمالها
الا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل اليها فيفرط في الثناء ولا يحسدها فيقصر فالطباع مائلة في
مبادي النكاح ووصف المنكوحات الى الافراط والتفريط وقل من يصدق فيه ويقتصد بل الخداع والاغراء
اغلب فالاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوق الى غير زوجته فاما من اراد من الزوجة مجرد السنة او الولد
او تدبير المنزل فلو رغب عن الجمال فهو الى الزهد اقرب لانه على الجملة باب من الدنيا وان كان قد يعين على الدين

في حق بعض الاشخاص قال ابو سليمن الداراني الزهد في كل شيء حتى المراة يتزوج الرجل العجوز ايثارا للزهد في
الدنيا وقد كان مالك بن دينار يقول يترك احدكم ان يتزوج يتيمة فيوجر فيها ان اطعمها وكساها خفيفة
المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني ابناء الدنيا فتشتهي عليه الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا
واختار احمد بن حنبل عوراء على اختها وكانت اختها جميلة فسال من اعقلهما فقيل العوراء فقال زوجني اياها
فهذا دأب من لم يقصد التمتع فاما من لا يامن على دينه ما لم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حصن للدين و
قد قيل اذا كانت المراة حسناء خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة
الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فان الله تعالى وصف نساء الجنة بهذه الاوصاف في قوله خيرات حسان اراد بالخيرات
حسن الخلق وفي قوله تعالى قاصرات الطرف وفي قوله عربا اترابا فالعروب هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبه
يتم اللذة والحور البيض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر والعيناء كبيرة العين وقال
صلى الله عليه وسلم خير نسائكم التي اذا نظر اليها زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله
وانما يسر بالنظر اذا كانت محبة للزوج الرابعة ان تكون خفيفة المهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء احسنهن
وجوها وارخصهن مهورا وقد نهي عن المغالاة في المهر تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم
واثاث البيت وكان رحا يد وجرة ووسادة من ادم حشوها ليف واولم على بعض نسائه بمدين من شعير وعلى اخرى
بمدي تمر ومدي سويق وكان عمر ينهى عن المغالاة ويقول ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته
باكثر من اربعمائة درهم ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تزوج بعض
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم وزوج سعيد بن المسيب ابنته من ابي هريرة
على درهمين ثم حملها اليه ليلا فادخلها من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة ايام فسلم عليها ولو تزوج على عشرة
دراهم للخروج من خلاف العلماء فلا باس وفي الخبر من بركة المراة سرعة تزويجها وسرعة رحمها اي الولادة ويسر مهرها
وقال ايضا اير كهن اقلهن مهرا وكما يكره المغالاة في المهر من جهة المراة فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل فلا ينبغي
ان ينكح طمعا في المال قال الثوري اذا تزوج وقال اي شيء للمراة فاعلم انه لص واذا اهدى شيئا فلا ينبغي ان يهدي
ليضطرهم الى المقابلة باكثر منه وكذلك اذا اهدوا اليه فنية طلب الزيادة نية فاسدة فاما التهادي فمستحب
وهو سبب المودة قال عليه الصلوة والسلم تهادوا تحابوا واما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي
تعطي لتطلب اكثر وتحت قوله وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربوا فان الربا هو الزيادة وهذا طلب
زيادة على الجملة وان لم يكن في الاموال الربوية وكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد
مقاصد النكاح الخامسة ان تكون المراة ولودا فان عرفت بالعقم فليمتنع من تزوجها قال صلى الله عليه وسلم
عليكم بالولود الودود وان لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فيراعي صحتها وشبابها فانها تكون ولودا في الغالب
مع هذين الوصفين السادسة ان تكون بكرا قال صلى الله عليه وسلم لجابر وقد نكح ثيبا هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك
وفي البكارة ثلاث فوائد احداها ان تحب الزوج وتالفه فيؤثر في معنى الود وقد قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالودود
والطباع مجبولة على الانس باول مالوف واما التي اختبرت الرجال ومارست الاحوال فربما لا ترتضي بعض الاوصاف
التي تخالف ما الفته فتقلي الزوج الثانية ان ذلك اكمل في مودته لها فان الطبع ينفر عن التي مسها
غير الزوج نفرة ما وذلك يثقل على الطبع مهما يذكر وبعض الطباع في هذا اشد نفورا الثالثة انها لا تحن الى الزوج الاول
واكمل الحب ما يقع مع الحبيب الاول غالبا السابعة ان تكون نسيبة واعني به ان تكون من اهل بيت الدين والصلاح فانها
ستربي بناتها وبنيها واذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التاديب والتربية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن

فقيل وما خضراء الدمن فقال المراة الحسناء في المنبت السوء وقال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم فان
العرق نزاع الثامنة ان لا تكون من القرابة القريبة فان ذلك يقلل الشهوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنكحوا
القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا اي نحيفا وذلك لتاثيره في تضعيف الشهوة فان الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس
بالنظر واللمس وانما يقوى الاحساس بالامر الغريب الجديد فاما المعهود الذي دام النظر اليه مدة فانه يضعف
الحس عن تمام ادراكه والتاثر به فلا تنبعث به الشهوة فهذه هي الخصال المرغبة في النساء ويجب على الولي ايضا ان يراعي
خصال الزوج ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه او خلقه او ضعف دينه او قصر عن القيام بحقها او كان لا يكافئها في نسبها
قال صلى الله عليه وسلم النكاح رق فلينظر احدكم اين يضع كريمته والاحتياط في حقها اهم لانها رقيقة بالنكاح لا مخلص
لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته من ظالم او فاسق او مبتدع او شارب خمر فقد جنى على دينه و
تعرض لسخط الله بما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فممن ازوجها قال
ممن يتقي الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها وقال صلى الله عليه وسلم من زوج كريمته من فاسق فقد قطع
رحمها

الباب الثالث في اداب المعاشرة

وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة

اما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والادب في اثني عشر امرا في الوليمة والمعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة و
النفقة والتعليم والقسم والتاديب بالنشوز وفي الوقاع والولادة والمفارقة بالطلاق الادب الاول الوليمة وهي مستحبة قال انس
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف اثر صفرة فقال ما هذا فقال تزوجت امراة على وزن نواة من
ذهب فقال بارك الله لك اولم ولو بشاة واولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بسويق وتمر وقال عليه الصلوة والسلم
طعام اول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع سمع الله به ولم يرفعه الا زياد بن عبد الله وهو غريب و
تستحب التهنئة فيقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير روى ابو هريرة انه عليه الصلوة والسلم
امر بذلك ويستحب اظهار النكاح قال عليه الصلوة والسلم فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت وقال عليه الصلوة والسلم
اعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف وعن الربيع بنت معوذ قالت جاء رسول الله صلى الله عليه و
سلم فدخل علي غداة بني بي فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفهن ويندبن من قتل من ابائي الى ان قالت احداهن وفينا نبي
يعلم ما في غد فقال لها اسكتي عن هذه وقولي الذي كنت تقولين قبلها الادب الثاني حسن الخلق معهن واحتمال
الاذى منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف وقال في تعظيم حقهن واخذن منكم ميثاقا
غليظا وقال تعالى والصاحب بالجنب قيل هي المراة واخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا كان يتكلم بهن حتى تلجلج
لسانه وخفي كلامه فجعل يقول الصلوة الصلوة وما ملكت ايمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان
عندكم يعني اسراء في ايديكم اخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال صلى الله عليه وسلم من صبر على سوء خلق
امراته اعطاه الله من الاجر مثل ما اعطى ايوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله مثل ثواب آسية امراة فرعون
واعلم انه ليس حسن الخلق معها كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد كانت ازواجه يراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل وراجعت امراة عمر رضي الله عنه في الكلام فقال
اتراجعينني يا لكعاء فقالت ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت
ان راجعته ثم جاء الى حفصة فقال لا تغتري بابنة ابن ابي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من
المراجعة وروي انه دفعت احداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها امها فقال عليه الصلوة دعيها فانهن يصنعن اكثر
من ذلك وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى ادخل النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه حكما بينهما واستشهده فقال
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين او اتكلم فقالت بل تكلم انت ولا تقل الا حقا فلطمها ابو بكر حتى دمي فوها وقال يا عدية

نفسها او غير الحق واستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك وقالت له مرة في كلام غضبت عنده انت الذي تزعم انك نبي الله فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها اني لاعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه
قال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابرهيم قالت صدقت انما اهجر اسمك ويقال اول حب وقع
في الاسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم عايشة وكان يقول لها كنت لك كابي زرع لام زرع غير اني لا اطلقك وكان
يقول لنسائه لا تؤذوني في عايشة فانه والله ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امراة غيرها وقال انس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارحم الناس بالنساء والصبيان الادب الثالث ان يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة
والمزاح فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن في
الاعمال والاخلاق حتى روي انه كان يسابق عايشة في العدو فسبقته يوما وسبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم في
بعض الايام فقال عليه الصلوة والسلام هذه بتلك وفي الخبر انه كان من افكه الناس مع نسائه وقالت عايشة سمعت اصوات
اناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحبين ان تري لعبهم قالت
قلت نعم فارسل اليهم فجاؤا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا
يلعبون وانا انظر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك واقول اسكت مرتين او ثلاثا ثم قال يا عايشة حسبك
قلت نعم فاشار اليهم فانصرفوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله
وقال صلى الله عليه وسلم خياركم خيركم لنسائه وانا خيركم لنسائي وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل ان
يكون في اهله مثل الصبي فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا وقال لقمن ينبغي للعاقل ان يكون في اهله كالصبي فاذا كان
في القوم وجد رجلا ومنه في تفسير الخبر المروي ان الله تعالى يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على اهله المتكبر في نفسه
وهو احد ما قيل في معنى قوله عتل قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على اهله وقال صلى الله عليه وسلم لجابر
هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك ووصفت اعرابية زوجها وقد مات فقالت لقد كان والله ضحوكا اذا ولج سكوتا
اذا خرج آكلا ما وجد غير سائل عما فقد الادب الرابع ان لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع
هواها الى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعي الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض
مهما راى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة بل مهما راى ما يخالف الشرع والمروة تنمر وامتعض قال
الحسن والله ما اصبح رجل يطيع امراته فيما تهوى الا كبه الله في النار وقال عمر خالفوا النساء فان في خلافهن البركة و
قد قيل شاوروهن وخالفوهن وقال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك لانه اذا اطاعها في هواها
فهو عبدها وقد تعس فان الله تعالى ملكه المراة فملكها نفسه فقد عكس الامر وقلب القضية واطاع الشيطان لما قال و
لآمرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل ان يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله الرجال قوامين وسمى الزوج سيدا فقال
والفيا سيدها لدى الباب فاذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس المراة على مثال نفسك ان ارسلت عنانها
قليلا جمحت بك طويلا وان ارخيت عذارها فترا جذبتك ذراعا وان كبحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة
ملكتها قال الشافعي ثلاثة ان اكرمتهم اهانوك وان اهنتهم اكرموك المراة والخادم والنبطي اراد به ان محضت الاكرام
ولم تمزج غلظك بلينك وفظاظتك برفقك وكان نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الازواج كانت المراة
تقول لابنتها اختبري زوجك قبل الاقدام والجراءة عليه انزعي زج رمحه فان سكت فقطعي اللحم على ترسه فان
سكت فكسري العظام بسيفه فان صبر فاجعلي الاكاف على ظهره وامتطيه فانما هو حمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات و
الارض وكل ما جاوز حده انعكس على ضده فينبغي ان يسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة ويتبع الحق في جميع

ذلك ليسلم من شرهن فان كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك
منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة وقال صلى الله عليه وسلم مثل المراة الصالحة كمثل الغراب الاعصم بين مائة غراب
والاعصم الابيض البطن وفي وصية لقمن لابنه يا بني اتق المراة السوء فانها تشيبك قبل الشيب واتق شرار النساء فانهن
لا يدعون الى خير وكن من خيارهن على حذر وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا من الفواقر الثلث وعد منهن المراة السوء
فانها المشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر ان دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها خانتك وقد قال صلى الله عليه وسلم
في خيرات النساء انكن صواحبات يوسف اي حبسكن ابا بكر عن التقدم في الصلوة ميل منكن عن الحق الى الهوى و
قال تعالى حين افشين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وقال ذلك في خيرات ازواجه وقال
صلى الله عليه وسلم لا يفلح قوم تملكهم امراة وزبر عمر امراته يوما وقد راجعته وقال ما انت الا لعبة في جانب البيت ان كانت
لنا اليك حاجة والا جلست كما انت فاذن فيهن شر وفيهن ضعف فالسياسة والخشونة علاج الشر والمطايبة والرحمة
علاج الضعف والطبيب الحاذق هو الذي يقدر العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل اولا الى اخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها
بما يصلحها كما تقتضيه حالها الخامس الاعتدال في الغيرة وهو ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ
في اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتبع عورات النساء وفي لفظ آخر ان
تتعنت النساء ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا اهلكم ليلا فخالفه
رجلان فراى كل واحد في منزله ما يكره وفي الخبر المشهور المراة كالضلع ان اردت ان تقيمه كسرته فدعه تستمتع به على عوج
وهذا في تهذيب اخلاقها وقال صلى الله عليه وسلم ان من الغيرة غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على اهله من غير ريبة لان ذلك من
سوء الظن الذي نهينا عنه فان بعض الظن اثم وقال علي رضي الله عنه لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك
واما الغيرة في محلها فلا بد منها وهي محمودة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله ان ياتي المؤمن ما
حرم عليه وقال عليه الصلوة والسلام اتعجبون من غيرة سعد والله انا لاغير منه والله اغير مني ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدح
من الله ومن اجل ذلك وعد الجنة وقال صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي في الجنة قصرا وبفنائه جارية فقلت لمن هذا القصر
فقيل لعمر فاردت ان انظر اليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر رضي الله عنه وقال اعليك اغار يا رسول
الله وكان الحسن يقول اتدعون نساءكم يزاحمن العلوج في الاسواق قبح الله من لا يغار وقال صلى الله عليه وسلم ان من الغيرة
ما يحب الله ومنها ما يبغض الله ومن الخيلاء ما يحب الله ومنه ما يبغض الله فاما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في الريبة و
الغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة
والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطل وقال صلى الله عليه وسلم اني لغيور وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب و
الطريق المغني عن الغيرة ان لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج الى الاسواق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة
اي شيء خير للمراة قالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه وقال ذرية بعضها من بعض واستحسن قولها وكان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدون الثقب والكوى في الحيطان لئلا تطلع النسوان الى الرجال وراى معاذ امراته
تطلع في الكوة فضربها وقال عمر اعروا النساء يلزمن الحجال وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الرثة وقال
ايضا عودوا نساءكم لا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن للنساء في حضور المسجد والصواب الان المنع الا العجائز
وقد استصوب ذلك في زمان الصحابة رضي الله عنهم حتى قالت عايشة لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما احدث النساء
بعده لمنعهن من الخروج ولما قال ابن عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله
بعض ولده بلى والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه وقال تسمعني اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فتقول

الى تمنعهن وانما استجرا على المخالفة لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اذن لهن في الاعياد خاصة ان يخرجن ولكن لا يخرجن الا برضا ازواجهن والخروج الان انما يباح للمراة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود اسلم وينبغي ان لا تخرج الا لمهم لان الخروج للنظارات والامور التي ليست بمهم تقدح في المروة وربما يفضي الى الفساد واذا خرجت ينبغي ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل في حقها عورة كوجه المراة في حقه بل هو كوجه الصبي الامرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم يكن فتنة فلا اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن منتقبات ولو كان وجه الرجل عورة في حق النساء لامروا بالتنقب او منعن من الخروج الا لضرورة **السادس** الاعتدال في النفقة فلا ينبغي ان يقتر عليهن في الانفاق ولا ينبغي ان يسرف بل يقتصد قال الله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقد قال صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله وقال صلى الله عليه وسلم دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك اعظمها اجرا الدينار الذي انفقته على اهلك وقيل كان لعلي رضي الله عنه اربع نسوة وكان يشتري لكل واحدة في كل اربعة ايام لحما بدرهم وقال الحسن كانوا في الرجال مخاصيب وفي الاناث مياسير وقال ابن سيرين يستحب للرجل ان يعمل لاهله في كل جمعة فالوذجة وكان الحلاوة وان لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة وينبغي ان يامرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك فهذا اقل درجات الخير وللمراة ان تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح اذن من الزوج ولا ينبغي ان يستاثر عن اهله بماكول طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدر ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فان ابى الا ذلك فلياكل في خفية بحيث لا يعرف اهله ولا ينبغي ان يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه واذا اكل فيقعد العيال كلهم على مائدته فقال سفيان بلغنا ان الله وملائكته يصلون على اهل بيت ياكلون في جماعة واهم ما يجب عليه مراعاته في الانفاق ان يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لاجلها لان ذلك جناية عليها لا مراعاة لها وقد اوردنا الاخبار الواردة في ذلك عند ذكر افات النكاح **السابع** ان يتعلم المتزوج من علم الحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته احكام الصلوة وما تقضي منها في الحيض وما لا تقضي فانه امر ان يقيها النار بقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا فعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة ان استمعت اليها ويخوفها بالله ان تساهلت في امر الدين ويعلمها من احكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج اليه وعلم الاستحاضة يطول فاما الذي لا بد من ارشاد النساء اليه في امر الحيض بيان الصلوات التي تقضيها فانها مهما انقطع دمها قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء وهذا اقل ما يراعيه النساء فان كان الرجل قائما بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وان قصر علم الرجل ولكن ناب عنها في السؤال واخبرها بجواب المفتي فليس لها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصي الرجل بمنعها ومهما تعلمت ما هو من الفرائض عليها فليس لها ان تخرج الى مجالس الذكر ولا الى تعلم فضل الا برضاه ومهما اهملت المراة حكما من احكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الرجل خرج الرجل معها وشاركها في الاثم **الثامن** اذا كان له نسوة فينبغي ان يعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن فان خرج الى سفر واراد باستصحاب واحدة اقرع بينهن كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ظلم امراة بليلتها قضى لها فان القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج الى معرفة احكام القسم وذلك يطول ذكره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له امراتان فمال الى احديهما دون الاخرى وفي لفظ ولم يعدل بينهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وانما عليه العدل في العطاء والمبيت واما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم اي ان تعدلوا في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت في الوقاع وقد كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي ويقول اللهم هذا جهدي فيما املك ولا طاقة لي فيما تملك ولا املك يعني الحب وقد كانت عائشة احب نسائه اليه وسائر نسائه يعرفن ذلك وكان يطاف به محمولا في مرضه كل يوم وفي كل ليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول اين انا غدا ففطنت امراة منهن فقالت انما يسال عن يوم عائشة فقلن يا رسول الله قد اذنا لك ان تكون في بيت عائشة فانه يشق عليك ان تحمل في كل ليلة فقال وقد رضيتن بذلك فقلن نعم قال فحولوني الى بيت عائشة ومهما وهبت واحدة منهن ليلتها لصاحبتها ورضي الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فقصد ان يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة وسالته ان يقرها على الزوجية حتى تحشر في زمرة نسائه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين ولسائر ازواجه ليلة ولكنه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان اذا تاقت نفسه الى احدى نسائه في غير نوبتها فجامعها طاف في يومه او ليلته على سائر نسائه فمن ذلك ما روي عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه في ليلة واحدة وعن انس انه عليه الصلوة والسلام طاف على تسع نسوة في ضحوة نهاره **التاسع في النشوز** ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم امرهما فان كان من جانبهما جميعا او من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على اصلاحهما فلا بد من حكمين احدهما من اهله والاخر من اهلها لينظرا بينهما ويصلحا امرهما ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فقد بعث عمر حكما الى زوجين فعاد ولم يصلح امرهما فعلاه بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فعاد الرجل واحسن النية وتلطف في الامر فاصلح بينهما اما اذا كان النشوز من المراة خاصة فالرجال قوامون على النساء فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة قهرا وكذلك اذا كانت تاركة للصلوة فله حملها على الصلوة قهرا ولكن ينبغي ان يتدرج في تاديبها وهو ان يقدم اولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينجع ولاها ظهره في المضجع او انفرد عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت من ليلة الى ثلاث ليال فان لم ينجع ضربها ضربا غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما ولا يدمي لها جسما ولا يضرب وجهها فذلك نهي عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حق المراة على الرجل فقال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الا ضربا غير مبرح ولا يهجرها الا في البيت وله ان يغضب عليها ويهجرها في امر من امور الدين الى عشر والى شهر فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ارسل بهدية الى زينب فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد اقمأتك اذ ردت عليك هديتك اي اذلتك واستصغرتك فقال صلى الله عليه وسلم انتن اهون على الله ان تقمئنني ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد اليهن **العاشر في اداب الجماع** وينبغي ان يبدأ باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله احد ويكبر ويهلل ويقول بسم الله العلي العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت ان تخرج ذلك من صلبي وقال صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اتى اهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان واذا قربت من الانزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا الاية وكان بعض اهل الحديث يكبر حتى يسمع اهل الدار رفع صوته ثم ينحرف عن القبلة فلا يستقبل القبلة بالوقاع اكراما للقبلة وليغط نفسه واهله بثوب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغطي راسه ويغض صوته ويقول للمراة عليك بالسكينة وفي الخبر اذا جامع احدكم اهله فلا يتجردان تجرد العيرين اي الحمارين ويقدم التلطف بالكلام والتقبيل قال صلى الله عليه وسلم لا يقع احدكم على امراته كما يقع البهيمة وليكن بينهما رسول فقيل وما الرسول فقال القبلة والكلام وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث من العجز في الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعلم اسمه ونسبه والثاني ان يكرمه احد فيرد عليه كرامته والثالث ان يقارب الرجل جاريته فيصيبها قبل ان يحادثها ويؤانسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل ان تقضي حاجتها منه ويكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر الليلة الاولى والاخرة والنصف يقال ان الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي ويقال ان الشياطين يجامعون فيها وروي كراهة ذلك عن علي ومعوية وابي هريرة ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة تحقيقا لاحد التاويلين من قوله عليه الصلوة والسلام رحم الله من غسل واغتسل ثم اذا قضى وطره فليتمهل على اهله حتى تقضي هي وطرها ايضا فان انزالها ربما يتاخر فيهيج شهوتها ثم القعود عنها

ايذاءها والاختلاف في طبع الانزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقا الى الانزال والتوافق في وقت الانزال الذ
عندها ليشتغل الرجل بنفسه عنها فانها ربما تستحيي وينبغي ان يأتيها في كل اربع ليال مرة فهو عدل اذ عدد النساء اربع
فقد جاز التاخير الى هذا الحد نعم ينبغي ان يزيد وينقص بحسب حاجتها في التحصين فان تحصينها واجب عليه وان
كان لا يثبت المطالبة بالوطي فذلك لعسر المطالبة والوفاء بها ولا ينبغي ان يأتيها في الحيض ولا بعد انقطاعه وقبل
الغسل فهو محرم بنص الكتاب وقيل ان ذلك يورث الجذام في الولد وله ان يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير
المأتى اذ حرم غشيان الحائض لاجل الاذى والاذى في غير المأتى دائم فهو اشد تحريما من اتيان الحائض وقول الله تعالى
فأتوا حرثكم انى شئتم اي وقت شئتم وله ان يستمني بيدها وان يستمتع بما تحت الازار منها سوى الوقاع وينبغي ان
يتزر المرأة بازار من حقوها الى فوق الركبة في حالة الحيض فهذا من الادب وله ان يواكل الحائض ويخالطها
في المضاجعة وغيرها وليس عليه اجتنابها وان اراد ان يجامع ثانيا بعد اخرى فليغسل فرجه اولا وان احتلم فلا
يجامع حتى يغتسل او يغسل فرجه او يبول ويكره الجماع في اول الليل حتى لا ينام على غير طهارة فان اراد النوم او الاكل فليتوضأ
اولا وضوءه للصلوة فهو سنة قال ابن عمر قلت للنبي صلى الله عليه وسلم اينام احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضأ
ولكن فيه رخصة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام جنبا لم يمس ماء ومهما
عاد الى فراشه فليمسح وجه فراشه ولينفضه فانه لا يدري ما حدث عليه بعده ولا ينبغي ان يحلق او يقلم او يستحد
ولا يخرج دما او يبين من نفسه جزءا وهو جنب اذ يرد اليه سائر اجزائه في الاخرة فيعود جنبا ويقال ان كل
شعرة تطالبه بجنابتها **ومن الاداب** ان لا يعزل بل يسرح الماء الى محل الحرث وهو الرحم فما من نسمة قدر الله تعالى
كونها الا وهي كائنة هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان عزل فقد اختلف العلماء في اباحته وكراهته على اربع
مذاهب فمن مبيح مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكان هذا القائل يحرم الايذاء
دون العزل ومن قائل يباح في المملوكة دون الحرة والصحيح عندنا ان ذلك مباح واما الكراهة فانها تطلق لنهي التحريم و
لنهي التنزيه ولترك الفضيلة فهو مكروه بالمعنى الثالث اي فيه ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد في المسجد ان يقعد
فارغا لا يشتغل بذكر او صلوة ويكره للحاضر بمكة مقيما بها ان لا يحج كل سنة والمراد بهذه الكراهية ترك الاولى والفضيلة
فقط وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة في الولد ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرجل ليجامع اهله
فيكتب له من جماعه اجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله فقتل وانما قال ذلك لانه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له اجر
التسبب اليه مع ان الله خالقه ومحييه ومقويه على الجهاد والذي اليه من التسبب فقد فعله وهو الوقاع وذلك
عند الامناء في الرحم وانما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه لان اثبات النهي انما يمكن بنص او قياس على منصوص
ولا نص ولا اصل يقاس عليه بل ههنا اصل يقاس عليه وهو ترك النكاح اصلا او ترك الجماع بعد النكاح او ترك الانزال
بعد الايلاج وكل ذلك ترك الافضل وليس ارتكاب النهي ولا فرق اذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم ولها اسباب
اربعة النكاح ثم الوقاع ثم الصبر الى الانزال ثم الوقوف لينصب المني في الرحم وبعض هذه الاسباب اقرب من بعض
فالامتناع عن الرابع كالامتناع من الثالث وكذا الثالث كالثاني والاول وليس هذا كالاجهاض والوأد لان ذلك جناية
على موجود حاصل وله ايضا مراتب واول مراتب الوجود ان تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحيوة وافساد
ذلك جناية فان صارت مضغة وعلقة كانت الجناية افحش فان نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا
ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال حيا وانما قلنا مبدا سبب الوجود من حيث الوقوع في الرحم لا من حيث الخروج
من الاحليل لان الولد لا يخلق من مني الرجل وحده بل من الزوجين جميعا اما من مائه ومائها او من مائه ودم الحيض وقال
بعض اهل التشريح ان المضغة تخلق بتقدير الله تعالى من دم الحيض وان الدم منها كاللبن من الرائب وان النطفة من الرجل

شرط في خثورة دم الحيض وانعقاده كالانفحة للبن اذ بها ينعقد وكيف ما كان فماء المرأة ركن في الانعقاد
فيجري الماءان مجرى الايجاب والقبول في الوجود الحكمي في العقود فمن اوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانيا على
العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الايجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا وكما ان النطفة في
الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الاحليل ما لم يمتزج بماء المرأة او دمها فهذا هو القياس الجلي فان قلت
فان لم يكن العزل مكروها من حيث انه دفع لوجود الولد فلا يبعد ان يكره لاجل النية الباعثة عليه اذ لا يبعث عليه الا نية
فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفي فاقول النيات الباعثة على العزل خمس الاولى في السراري وهو حفظ الملك عن الهلاك
باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الاعتاق ودفع اسبابه ليس بمنهي عنه الثانية استبقاء جمال المرأة و
سمنها لدوام التمتع واستبقاء حيوتها خوفا من خطر الطلق وهذا ايضا ليس منهيا عنه الثالثة الخوف من كثرة الحرج
بسبب كثرة الاولاد والاحتراز من الحاجة الى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء وهذا ايضا غير منهي عنه فان
قلة الحرج معين على الدين نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله حيث قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
فلا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك للافضل ولكن النظر في العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل
لا نقول انه منهي عنه الرابعة الخوف من الاولاد الاناث لما يعتقد في تزويجهن من المعرة كما كانت عادة العرب في قتلهم الاناث
فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها اصل النكاح او اصل الوقاع اثم بها لا بترك النكاح والوطي فكذا في العزل والفساد في
اعتقاد المعرة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافا من ان يعلوها رجل
وكانت تتشبه بالرجال فلا ترجع الكراهة الى عين ترك النكاح الخامسة ان تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها بالنظافة
والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن في استعمال المياه حتى كن يقضين صلوات ايام
الحيض ولا يدخلن الخلاء الا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة واستأذنت واحدة منهن على عائشة لما قدمت البصرة فلم
تأذن لها فيكون القصد هو الفاسد دون منع الولادة فان قلت فقد قال عليه الصلوة والسلام من ترك النكاح مخافة
العيال فليس منا قلنا فالعزل كترك النكاح وقوله ليس منا اي ليس موافقا لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الافضل فان
قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الواد الخفي وقرأ واذا الموؤدة سئلت وهذا في الصحيح ايضا
قلنا وفي الصحيح اخبار صحيحة في الاباحة وقوله الواد الخفي كقوله الشرك الخفي وذلك يوجب كراهة لا تحريما فان قلت فقد قال
ابن عباس العزل هو الواد الاصغر فان الممنوع وجوده به هي الموؤدة الصغرى قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على
قطعه وهو قياس ضعيف ولذلك انكره عليه علي رضي الله عنه لما سمع وقال لا تكون موؤدة الا بعد سبع اي بعد
سبعة اطوار وتلا الاية الواردة في اطوار الخلقة وهو قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله
ثم انشأناه خلقا آخر اي نفخنا فيه الروح ثم تلا قوله واذا الموؤدة سئلت واذا نظرت الى ما قدمناه في طريق القياس و
الاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضي الله عنهما في الغوص على المعاني ودرك العلوم كيف وفي المتفق عليه
في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه انه قال كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقران ينزل وفي لفظ آخر
كنا نعزل فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا وفيه ايضا عن جابر انه قال اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان
لي جارية وهي خادمتنا وساقيتنا في النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال عليه الصلوة والسلام اعزل عنها ان شئت فانه
سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ما شاء الله ثم اتاه فقال ان الجارية قد حملت فقال قد اخبرتك انه سيأتيها ما قدر
لها وهذا كله في الصحيحين **الحادي عشر** في **آداب الولادة** وهي خمسة الاول ان لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالانثى فانه لا
يدري ان الخير في ايهما فكم من صاحب ابن يتمنى ان لا يكون له او يكون بنتا بل السلامة منهن اكثر والثواب فيهن اجزل قال
صلى الله عليه وسلم من كانت له ابنة فادبها واحسن ادبها وغذاها فاحسن غذاءها واسبغ عليها من النعمة التي اسبغ الله عليه

كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة قال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له ابنتان او اختان
فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت انا وهو في الجنة كهاتين وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يدرك
ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه الا ادخلتاه الجنة وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج الى سوق من اسواق
المسلمين فاشترى شيئا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه وعن انس انه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمل طرفة من السوق الى عياله فكانما حمل اليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ
بالاناث قبل الذكور فانه من فرح انثى فكانما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار وروى
ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له ثلاث بنات او ثلاث اخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن
وسرائهن ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهن فقال رجل او ابنتان يا رسول الله قال وابنتان فقال رجل او واحدة فقال
او واحدة **الادب الثاني** ان يؤذن في اذن المولود روى رافع عن ابيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذن في اذن الحسن والحسين حين ولدته فاطمة رضي الله عنها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ولد له
مولود فاذن في اذنه اليمنى واقام في اذنه اليسرى رفعت عنه ام الصبيان ويستحب ان يلقن الصبي اول انطلاق
لسانه لا اله الا الله ليكون ذلك اول حديثه والختان في يوم السابع ورد فيه خبر **الادب الثالث** ان يسميه باسم حسن فذلك
حق الولد وقال صلى الله عليه وسلم اذا سميتم فعبدوا وقال عليه الصلوة والسلم احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن
وقال عليه الصلوة والسلم سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي قال العلماء كان ذلك في عصره اذ كان ينادي يا ابا القاسم واما
الآن فلا باس نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته وقال عليه الصلوة والسلام لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي وقيل ان هذا ايضا كان
في حيوته وسمى رجل ابا عيسى فقال عليه الصلوة والسلم ان عيسى لا اب له فكره ذلك والسقط ينبغي ان يسمى قال عبد
الرحمن بن يزيد بن معوية بلغني ان السقط يصرخ يوم القيمة وراء ابيه فيقول انت ضيعتني وتركتني لا اسم
لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف ولا يدرى انه غلام او جارية فقال عبد الرحمن من الاسماء ما يجمعهما كحمزة وعمارة
وطلحة وعتبة وقال صلى الله عليه وسلم انكم تدعون يوم القيمة باسمائكم واسماء ابائكم فاحسنوا اسماءكم ومن كان له اسم
يكره يستحب تبديله بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعبد الله وقال صلى الله عليه وسلم لزينب وكان اسمها
برة تزكي نفسها فسماها زينب وقد ورد النهي في تسمية افلح ويسار ونافع وبركة لانه يقال اثم هو فيقال لا **الادب الرابع**
العقيقة عن الذكر شاتين وعن الانثى بشاة ولا باس بالشاة ان تكون ذكرا او انثى روت عائشة رضي الله عنها ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم امر في الغلام بشاتين مكافأتين وفي الجارية بشاة وروي انه عليه الصلوة والسلام عق
عن الحسن بشاة وهذا رخصة في الاقتصار على واحدة وقال صلى الله عليه وسلم مع الغلام عقيقة فاهريقوا عنه دما
واميطوا عنه الاذى ومن السنة ان يتصدق بوزن شعره ذهبا او فضة فقد ورد فيه خبر روي انه عليه الصلوة و
السلم امر فاطمة رضوان الله عليها يوم سابع الحسن رضي الله عنه ان تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة وقالت
عائشة لا يكسر للعقيقة عظم **الادب الخامس** ان يحنكه بتمرة او حلاوة روي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما
انها قالت ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ثم اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم
تفل في فيه فكان اول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبارك عليه وكان اول
مولود ولد في الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا لانهم قيل لهم ان اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم **الثاني عشر في الطلاق**
وليعلم انه مباح ولكنه ابغض المباحات الى الله وانما يكون مباحا اذا لم يكن فيه ايذاء بالباطل ومهما طلقها فقد اذاها ولا
يباح ايذاء الغير الا بجناية من جانبه او بضرورة من جانب المؤذي قال الله تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا
اي لا تطلبوا حيلة الفراق وان كرهها ابوه فليطلقها قال ابن عمر رضي الله عنه كان تحتي امرأة احبها وكان ابي يكرهها و

امرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امرأتك فهذا يدل على ان حق الوالد مقدم و
لكن والد يكرهها لا لغرض فاسد مثل عمر رضي الله عنه ومهما آذت زوجها وبذت على اهله فهي جانية وكذلك مهما كانت
سيئة الخلق او فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة مهما بذت على زوجها
وآذته فهو فاحشة وهذا اريد به في العدة ولكنه تنبيه على المقصود وان كان الاذى من الزوج فلها ان تفتدي ببذل مال و
يكره للرجل ان يأخذ منها اكثر مما اعطى فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع قال تعالى فلا جناح
عليهما فيما افتدت به فرد ما اخذته او دونه لائق بالفداء فان سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آثمة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ايما امرأة سألت زوجها الطلاق بغير ما بأس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ آخر فالجنة عليها حرام وقال
عليه الصلوة والسلم المختلعات هن المنافقات ثم ليراع الزوج في الطلاق اربعة امور الاول ان يطلقها في طهر لم يجامعها
فيه فان الطلاق في الحيض والطهر الذي جامع فيه بدعي حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة عليها فان فعل ذلك
فليراجعها طلق ابن عمر رضي الله عنهما في الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض
ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء امسكها فتلك العدة التي امر الله تعالى ان تطلق لها النساء وانما امره بالصبر بعد الرجعة
بطهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط الثاني ان يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لان الطلقة
الواحدة بعد العدة تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة ان ندم في العدة وتجديد النكاح ان اراد بعد العدة واذا طلق
ثلاثا ربما ندم فيحتاج الى ان يتزوجها محلل والى الصبر مدة وعقد المحلل منهي عنه ويكون هو الساعي فيه ثم يكون قلبه معلقا
بزوجة الغير وتطليقه اياها اعني زوجة المحلل بعد ان زوج منه ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع
وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محذور ولست اقول الجمع حرام ولكنه مكروه بهذه المعاني واعني بالكراهية تركه النظر
لنفسه الثالث ان يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطييب قلبها بهدية على سبيل الامتاع والجبر
لما فجعها به من اذى الطلاق قال تعالى ومتعوهن وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر في اصل النكاح كان الحسن بن علي رضي
الله عنهما مطلاقا منكاحا ووجه ذات يوم بعض اصحابه بطلاق امرأتين من نسائه وقال لهما اعتدا وامره ان يدفع الى كل
واحدة عشرة الاف درهم ففعل فلما رجع اليه قال ماذا فعلتا فقال اما احداهما فنكست رأسها وتنكست واما الاخرى فبكت
وانتحبت وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فاطرق الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امرأة بعد ما فارقتها لراجعتها
ودخل الحسن عليه الصلوة والسلم ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير
وبه ضربت المثل عائشة قالت لو لم اسر مسيري ذلك لكان احب الي من ان يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث فدخل عليه في بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه في مجلسه وقال الا ارسلت الي فكنت اجيئك فقال
الحاجة لنا فقال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فاطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه فقال والله ما على وجه الارض احد يمشي
عليها اعز علي منك ولكنك تعلم ان ابنتي بضعة مني يسوءني ما ساءها ويسرني ما سرها وانت مطلاق فاخاف ان تطلقها
وان فعلت خشيت ان يتغير قلبي في محبتك واكره ان يتغير قلبي عليك لانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
شرطت ان لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج فقال بعض اهل بيته سمعته وهو يمشي يقول ما اراد عبد الرحمن الا
ان يجعل ابنته طوقا في عنقي وكان علي رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه وكان يعتذر منه على المنبر ويقول في خطبته
ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا امير المؤمنين لننكحنه ما شاء فان احب امسك وان احب
ترك فسر ذلك عليا رضي الله عنه فقال لو كنت بوابا على باب الجنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام وهذا تنبيه على ان من
طعن في حبيبه من ولد واهل بنوع حياء فلا ينبغي ان يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة بل الادب المخالفة ما امكن فان ذلك
اسر لقلبه واوفق لباطن رأيه والقصد من هذا بيان ان الطلاق مباح وقد وعد الله تعالى الغنى في الفراق والنكاح جميعا

فقال اغنيهم الله من فضله وقال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته الرابع انه لا تفشي سرها لا في الطلاق ولا عند النكاح
فقد ورد في افشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم ويروى عن بعض الصالحين انه اراد طلاق امراة فقيل له ما الذي
يريبك منها فقال العاقل لا يهتك ستر امراته فلما طلقها قيل له لم طلقتها فقال ما لي ولامراة غيري فهذا بيان ما على الزوج
القسم الثاني النظر في حقوق الزوج عليها والقول الشافي فيه ان النكاح نوع رق وهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج
مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها اخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم ايما امراة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل قد خرج الى سفره وعهد الى امراته ان لا تنزل من العلو الى
السفل وكان ابوها في السفل فمرض فارسلت المراة الى رسول الله تستاذن في النزول الى ابيها فقال صلى الله عليه وسلم اطيعي
زوجك فمات فاستامرت فقال اطيعي زوجك فدفن ابوها فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخبرها ان الله تعالى
قد غفر لابيها بطاعتها لزوجها وقال صلى الله عليه وسلم اذا صلت المراة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت
زوجها دخلت جنة ربها فاضاف طاعة الزوج الى مباني الاسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال
حاملات والدات مرضعات رحيمات باولادهن لولا ما ياتين الى ازواجهن دخل مصلياتهن الجنة وقال صلى الله عليه و
سلم اطلعت في النار فاذا اكثر اهلها النساء فقلن لم يا رسول الله فقال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر و
في خبر اخر اطلعت في الجنة فاذا اقل اهلها النساء فقلت اين النساء فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران يعني الحلي
والمصبغات الثياب وقالت عايشة اتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله اني فتاة اخطب واني اكره التزوج
فما حق الزوج على المراة قال لو كان من فرقه الى قدمه صديد فلحسته ما ادت شكره قالت فلا اتزوج اذن قال بلى
تزوجي فانه خير وقال ابن عباس اتت امراة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت اني امراة ايم واريد ان اتزوج
فما حق الزوج فقال ان من حق الزوج على الزوجة اذا ارادها على نفسها وهي على ظهر بعير ان لا تمنعه ومن حقه ان لا تعطي
شيئا من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والاجر له ومن حقه ان لا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت لعنتها
الملائكة جاعت وعطشت ولم يتقبل منها ومن حقه ان لا تخرج من بيتها الا باذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع
الى بيتها او تتوب وقال صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها
وقال صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون المراة من وجه ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلوتها في صحن دارها افضل من
صلوتها في المسجد وصلوتها في بيتها افضل من صلوتها في دارها وصلوتها في مخدعها افضل من صلوتها في بيتها والمخدع
بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم المراة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وقال ايضا
للمراة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فاذا ماتت ستر القبر عشر عورات فحقوق الزوج على
الزوجة كثيرة واهمها امران احدهما الصيانة والستر والاخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا
كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل اذا خرج من منزله يقول له امراته او ابنته اياك وكسب
الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه فقالوا لزوجته لم ترضين
بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق يذهب الاكال ويبقى
الرزاق وخطبت رابعة بنت اسمعيل احمد بن ابي الحواري فكره ذلك لما فيه من العبادة وقال لها والله ما لي همة في النساء لشغلي
بحالي فقالت اني لاشغل بحالي منك وما لي شهوة ولكني ورثت مالا جزيلا من زوجي فاردت ان انفقه على اخوانك
واعرف بك الصالحين فيكون ذلك طريقا الى الله تعالى فقال حتى استاذن استاذي فرجع الى ابي سليمن الداراني قال و
كان ينهاني عن التزوج ويقول ما تزوج احد من اصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية الله هذا كلام
الصديقين قال فتزوجها وكان في منزلنا كر من جص يفني من غسل ايدي المستعجلين الخروج بعد الاكل فضلا من غسل

بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة وكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى
ازواجك وكانت هذه تشبه في اهل الشام برابعة العدوية في البصرة ومن الواجبات عليها ان لا تفرط في ماله
بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لها ان تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب الذي يخاف فساده فان
اطعمت عن رضاه كان لها مثل اجره وان اطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر ومن حقها على الوالدين تعليمها
حسن المعيشة واداب العشرة مع الزوج كما روي ان اسماء بن خارجة قال لابنته عند التزويج انك خرجت من العش الذي
درجت فصرت الى فراش لا تعرفينه وقرين لم تالفيه فكوني له ارضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني
له امة يكن لك عبدا لا تلحفي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك ان دنا فاقربي منه وان ناى فابعدي عنه
واحفظي انفه وسمعه وعينه لا يشم منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا وقال رجل لزوجته خذي العفو مني تستديمي
مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب ولا تنقريني نقرك الدف مرة فانك لا تدرين كيف المغيب واني رايت الحب في
القلب والاذى اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب والقول الجامع في اداب المراة من غير تطويل ان تكون قاعدة في قعر
بيتها لازمة لمغزلها لا يكثر صعودها واطلاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم الا في حال يوجب الدخول
تحفظ بعلها في غيبته وحضرته وتطلب مسرته في جميع امورها ولا تخونه في نفسها وماله ولا تخرج من بيتها وان
خرجت باذنه مختفية في هيئة رثة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والاسواق محترزة من ان يسمع غريب صوتها
او يعرفها بشخصها لا تتعرف الى صديق بعلها على الباب وان لم يكن البعل حاضرا لم تستفهمه ولم تعاوده في الكلام غيرة على
نفسها وبعلها وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله ومقدمة حقه على حق نفسها وسائر اقاربها متنظفة في نفسها
مستعدة في الاحوال ليتمتع بها ان شاء مشفقة على اولادها حافظة للستر عليهم قصيرة اللسان عن سب الاولاد
ومراجعة الزوج فقد قال صلى الله عليه وسلم انا وامراة سفعاء الخدين كهاتين امراة امت من زوجها وحبست نفسها
على بناتها حتى بانوا او ماتوا وقال صلى الله عليه وسلم حرم الله على كل ادمي دخول الجنة قبلي غير اني انظر عن يميني فاذا امراة
تبادرني الى باب الجنة فاقول ما لهذه تبادرني فيقال لي يا محمد هذه امراة كانت حسناء جميلة كان عندها يتامى
لها فصبرت عليهن حتى بلغ امرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك ومن ادابها ان لا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدري
زوجها بقبحه فقد روي ان الاصمعي قال دخلت البادية فاذا انا بامراة من احسن الناس وجها تحت رجل من اقبح الناس وجها فقلت
يا هذه اترضين لنفسك ان تكوني تحت مثله فقالت يا هذا اسكت فقد اسات في قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني
ثوابه ولعلي انا اسات فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي افلا ارضى بما رضي الله لي فاسكتتني وقال الاصمعي رايت في
البادية امراة عليها قميص احمر وهي مختضبة وبيدها سبحة فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت ولله مني جانب لا اضيعه
وللهو مني والبطالة جانب ومن اداب المراة ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع الى اللعب
والانبساط واسباب اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي ان تؤذي زوجها بحال روي عن معاذ بن جبل انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تؤذي امراة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو
عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لا تحد عليه اكثر من اربعة
اشهر وعشر وتجتنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت ابي سلمة دخلت على ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
حين توفي ابو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت
والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر
ان تحد على ميت اكثر من ثلثة ايام الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ويلزمها لزوم مسكن النكاح الى اخر العدة وليس لها الانتقال
الى اهلها ولا الخروج الا لضرورة ومن ادابها ان تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها روي عن اسماء بنت ابي بكر الصديق

رضي الله عنها انها قالت تزوجني الزبير وما له في الارض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه وكنت اعلف
فرسه واكفيه مؤنته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقي الماء واخرز غربه واعجن وكنت انقل النوى على
راسي من ثلثي فرسخ حتى ارسل الي ابو بكر بجارية فكفتني سياسة الفرس فكانما اعتقتني ولقيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما ومعه اصحابه والنوى على راسي فقال صلى الله عليه وسلم اخ اخ لينيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت ان اسير
مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان اغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد استحييت
ان اسير مع الرجال فجئت الزبير فحكيت ما جرى فقال والله لحملك النوى على راسك اشد علي من ركوبك معه

كتاب آداب الكسب والمعايش

وهو الكتاب الثالث من كتب ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد موحد انمحق في توحيده ما
سوى الواحد الحق وتلاشى ونمجده تمجيد من يصرح بان كل شيء ما سوى الله باطل ولا يتحاشى وان كل من في السموات
والارض لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولا فراشا ونشكره اذ رفع السماء لعباده سقفا مبنيا ومهد الارض بساطا
لهم وفراشا وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا لينتشروا في ابتغاء فضله وينتعشوا به
عن ضراعة الحاجات انتعاشا ونصلي على رسوله الذي يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشا
وعلى آله واصحابه الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمرا وانكماشا اما بعد فان رب الارباب ومسبب الاسباب
جعل الآخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار التمحل والاضطراب والتشمر والاكتساب وليس التشمر في الدنيا مقصورا
على المعاد دون المعاش بل المعاش ذريعة الى المعاد ومعين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة اليها والناس ثلاثة
رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والاقرب الى
الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلازم في طلب
المعيشة منهج السداد ولن ينتهض طلب الدنيا وسيلة الى الآخرة وذريعة ما لم يتأدب في طلبها باداب الشريعة وها نحن نورد
آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها في خمسة ابواب ان شاء الله تعالى الباب
الاول في فضل الكسب والحث عليه الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم و
الاجارة والقراض والشركة وغيرها الباب الثالث في العدل والاحسان واجتناب الظلم في
المعاملة الباب الرابع في الاحسان في المعاملة الباب الخامس في شفقة التاجر
على دينه فيما يخصه ويعم آخرته

الباب الاول في فضل الكسب والحث عليه

اما من الكتاب فقوله تعالى
وجعلنا النهار معاشا فذكره في معرض الامتنان وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون فجعلها
نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم وقال تعالى وآخرون يضربون في الارض
يبتغون من فضل الله واما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب
المعيشة وقال التاجر الصدوق يحشر يوم القيمة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال صلى الله عليه
وسلم من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر
وكان صلى الله عليه وسلم جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظر الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا
لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن
المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم
فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب
العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة وفي الخبر ان الله تعالى يحب المؤمن المحترف

وقال عليه الصلوة والسلام احل ما اكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور وفي خبر آخر احل ما اكل العبد كسب يد الصانع اذا
نصح وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالتجارة فان فيها تسعة اعشار الرزق وروي ان عيسى عليه السلم راى رجلا فقال
ما تصنع فقال اتعبد قال من يعولك قال اخي قال اخوك اعبد منك وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم
شيئا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار الا امرتكم به ولا اعلم شيئا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار الا نهيتكم عنه وان الروح
الامين نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وان ابطا عنها فاتقوا الله واجملوا في الطلب امر بالاجمال في
الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في آخره ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على ان تطلبوه بمعصية الله تعالى فان الله عز
وجل لا ينال ما عنده بمعصيته وقال صلى الله عليه وسلم الاسواق موائد الله عز وجل فمن اتاها اصاب منها وقال صلى
الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من ان ياتي رجلا اعطاه الله من فضله فيساله اعطاه او منعه
وقال من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر واما الآثار فقد قال لقمن الحكيم لابنه يا بني
استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب
مروته واعظم من هذه الثلث استخفاف الناس به وقال عمر رضي الله عنه لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني
فقد علم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وكان زيد بن مسلمة يغرس في ارضه فقال له عمر اصبت استغن عن الناس
يكن اصون لدينك واكرم لك عليهم كما قال صاحبكم احيحة فلن ازال على الزوراء اعمرها ان الكريم على الاخوان ذو المال
وقال ابن مسعود اني لاكره ان ارى الرجل فارغا لا في امر دنياه ولا في امر آخرته وسئل ابرهيم عن التاجر الصدوق احب
اليك او المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق احب الي لانه في جهاد ياتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ
والعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري في هذا وقال عمر رضي الله عنه ما من موضع ياتيني الموت فيه احب الي من موطن
اتسوق فيه لاهلي ابيع واشتري وقال الهيثم ربما بلغني عن الرجل يقع في فاذكر استغنائي عنه فيهون ذلك علي وقال
ايوب كسب فيه شيء احب الي من سؤال الناس وجاءت ريح عاصف في البحر فقال اهل السفينة لابرهيم بن ادهم ما ترى هذه
الشدة فقال ليس هذه شدة انما الشدة الحاجة الى الناس وقال ايوب قال لي ابو قلابة الزم السوق فان الغنى من العافية يعني
الغنى عن الناس وقيل لاحمد ما تقول فيمن جلس في بيته او مسجده وقال لا اعمل شيئا حتى ياتيني رزقي فقال احمد هذا رجل
جهل العلم اما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي وقوله صلى الله عليه وسلم حين ذكر الطير تغدو
خماصا وتروح بطانا فذكر انها تغدو في طلب الرزق وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر
ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم وقال ابو قلابة لرجل لان اراك تطلب معاشك احب الي من ان اراك في زاوية المسجد وروي
ان الاوزاعي لقي ابرهيم بن ادهم وعلى عنقه حزمة حطب فقال يا ابا اسحق الى متى هذا اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا
يا ابا عمرو فانه بلغني انه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة وقال ابو سليمن ليس العبادة عندنا ان تصف
قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدا برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد وقال معاذ بن جبل ينادي مناد يوم القيمة اين بغضاء الله في
ارضه فيقوم سؤال المساجد فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الاغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه من ذلك
الا الكسب والتجارة فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي ان اجمع المال وكن من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح
بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وقيل لسلمان الفارسي اوصنا فقال من استطاع منكم ان يموت
حاجا او غازيا او عامرا لمسجد ربه فليفعل ولا يموتن تاجرا ولا خائنا فالجواب ان وجه الجمع بين هذه الاخبار تفصيل
فنقول لسنا نقول التجارة افضل مطلقا من كل شيء ولكن التجارة اما ان يطلب بها الكفاية او الثروة والزيادة على الكفاية فان
طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لا ليصرف الى الخيرات والصدقات فهي مذمومة لانه اقبال على الدنيا
التي حبها راس كل خطيئة فان كان مع ذلك خائنا فهو ظلم وفسق وهذا ما اراده سلمان بقوله لا تمت تاجرا ولا خائنا واراد

بالتاجر طالب الزيادة واما اذا كان طلبها الكفاية لنفسه واولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال فالتجارة تعففا عن السؤال افضل وان كان لا يحتاج الى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب افضل لانه انما يعطى لانه سائل بلسان حاله ومنادٍ بين الناس بفقره فالتعفف والتستر اولى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب افضل لاربعة عابد بالعبادات البدنية اورجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الاحوال والمكاشفات او عالم مشتغل بتربية العلم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتى والمفسر والمحدث وامثالهم او رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل امورهم كالسلطان والقاضى والشاهد فهؤلاء اذا كانوا يكفون من الاموال المرصدة للمصالح او الاوقاف المسبلة على العلماء والفقراء فاقبالهم على ما هم فيه افضل من الاشتغال بالكسب ولهذا اوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح اليه وكن من التاجرين لانه كان جامعا لهذه المعانى الاربعة الى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا اشار الصحابة على ابى بكر رضى الله عنه بترك التجارة لما ولى الخلافة اذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان ياخذ كفايته عند ترك الكسب من مال المصالح ورأى ذلك اولى ثم لما توفى اوصى بردّه الى بيت المال ولكن رآه فى الابتداء اولى ولهؤلاء الاربعة حالتان اخريان احديهما ان تكون كفايتهم عند ترك الكسب من ايدى الناس وما يتصدق عليهم من زكوة او صدقة من غير حاجة الى سؤال فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه اولى اذ فيه اعانة الناس على الخيرات وقبول منهم لما هو حق عليهم وافضل لهم الحالة الثانية الحاجة الى السؤال وهذا فى محل النظر والتشديدات التى رويناها فى السؤال وذمه يدل ظاهرا على ان التعفف عن السؤال اولى واطلاق القول فيه من غير ملاحظة الاحوال والاشخاص عسير بل هو موكول الى اجتهاد العبد ونظره لنفسه بان يقابل ما يلقى فى السؤال من المذلة وهتك المروة والحاجة الى التثقيل والالحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل ويهون عليه باذلى تعريض فى السؤال لتحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يتقابل المطلوب والمحذور فينبغى ان يستفتى المريد فيه قلبه وان افتاه المفتون فان الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الاحوال فقد كان فى السلف من له ثلثمائة وستون صديقا ينزل على كل واحد فى ليلة ومن له ثلاثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بان المتكلفين بهم يتقلدون منة من قبولهم لمبراتهم فكان قبولهم لمبراتهم خيرا مضافا لهم الى عباداتهم فينبغى ان يدقق النظر فى هذه الامور فان اجر الآخذ كاجر المعطى مهما كان الآخذ يستعين به على الدين والمعطى يعطيه عن طيب قلب ومن اطلع على هذه المعانى امكنه ان يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الافضل له بالاضافة الى حاله ووقته فهذه فضيلة الكسب وليكن العقد الذى به الاكتساب جامعا لاربعة امور الصحة والعدل والاحسان والشفقة على الدين ونحن نعقد فى كل واحد بابا ونبتدئ بذكر اسباب الصحة فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى

الباب الثانى فى علم الكسب بطريق البيع

والربا والسلم والاجارة والقراض والشركة وبيان شروط الشرع فى صحة هذه التصرفات التى هى مدار المكاسب فى الشرع اعلم ان تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مكتسب لان طلب العلم فريضة على كل مسلم وانما هو طلب العلم المحتاج اليه والمكتسب يحتاج الى علم الكسب ومهما حصّل علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها وما شذ عنه من الفروع المشكلة فيقع على سبب اشكالها فيتوقف فيها الى ان يسأل فانه اذا لم يعلم اسباب الفساد بعلم جملى فلا يدرى متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا اقدم العلم ولكنى اصبر الى ان يقع لى الواقعة فعندها اتعلم واستفتى فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود فانه يستمر فى التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح عن المحظور وموضع الاشكال عن موضع الوضوح ولذلك روى عن عمر رضى الله عنه انه كان يطوف فى السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع فى سوقنا الا من يفقه والا اكل الربا شاء ام ابى وعلم العقود كثير وهذه العقود الستة لا تنفك المكاسب عنها وهى البيع والربا والسلم والاجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها

العقد الاول البيع وقد احله الله تعالى وله ثلاثة اركان العاقد والمعقود عليه واللفظ الركن الاول العاقد ينبغى للتاجر ان لا يعامل بالبيع اربعة الصبى والمجنون والعبد والاعمى لان الصبى غير مكلف وكذا المجنون وبيعهما باطل فلا يصح بيع الصبى وان اذن فيه الولى عند الشافعى وما اخذه منهما مضمون عليه لهما وما سلمه فى المعاملة اليهما فضاع فى ايديهما فهو المضيع له واما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه الا باذن سيده فعلى البقال والخباز والقصاب وغيرهم ان لا يعاملوا العبيد ما لم ياذن لهم السادة فى معاملتهم وذلك بان يسمعه صريحا او ينتشر فى البلد انه ماذون له فى الشراء لسيده وفى البيع له فيعول على الاستفاضة او على قول عدل يخبره بذلك فان عامله بغير اذن السيد فعقده باطل وما اخذه منه مضمون عليه لسيده وما سلمه اليه فضاع فى يد العبد لا يتعلق برقبته ولا يضمنه سيده بل ليس له الا المطالبة به اذا عتق واما الاعمى فانه يبيع ويشترى ما لا يرى فلا يصح فليامره بان يوكل وكيلا بصيرا ليشترى له او يبيع فيصح توكيله ويصح بيع وكيله فان عامله بنفسه فالمعاملة فاسدة وما اخذه منه مضمون عليه بقيمته وما سلمه اليه ايضا مضمون له بقيمته واما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يباع منه المصحف ولا العبد المسلم ولا يباع منه السلاح ان كان من اهل الحرب فان فعل فهى معاملات مردودة وهو عاص بها ربه واما الجندية من الاتراك والتركمانية والعرب والاكراد والسراق والخونة واكلة الربا والظلمة وكل من اكثر ماله حرام فلا ينبغى ان يتملك مما فى ايديهم شيئا لاجل ان الحرام الا اذا عرف شيئا بعينه انه حلال وسياتى تفصيل ذلك فى كتاب الحلال والحرام

الركن الثانى المعقود عليه وهو المال المقصود نقله من احد العاقدين الى الآخر ثمنا كان او مثمنا فيعتبر فيه ستة شروط الاول ان لا يكون نجسا فى عينه فلا يصح بيع كلب ولا خنزير ولا بيع زبل ولا عذرة ولا بيع العاج ولا الاوانى المتخذة منه فان العظم ينجس بالموت ولا يطهر الفيل بالذبح ولا يطهر عظمه بالتنقية ولا يجوز بيع الخمر ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التى لا تؤكل وان كان يصلح للاستصباح او طلاء السفن ولا بأس ببيع الدهن الطاهر الذى نجس بوقوع نجاسة او موت فارة فيه فانه يجوز الانتفاع به فى غير الاكل وهو فى عينه ليس بنجس وكذلك لا ارى باسا ببيع بزر القز فانه اصل حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو اصل حيوان اولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فارة المسك ويقضى بطهارتها اذا انفصلت من الظبية فى حال الحيوة الثانى ان يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات ولا الفارة ولا الحية ولا التفات الى انتفاع المشعوذ بالحية وكذلك انتفاع ارباب الحلق فى اخراجها من السلة وعرضها على الناس كالكلب والخنزير وما تولد منهما او من احدهما ويجوز بيع الهرة والنحل وبيع الفهد والاسد وما يصلح للصيد او ينتفع بجلده ويجوز بيع الفيل لاجل الحمل ويجوز بيع الببغاء والطاوس والطيور المليحة الصور وان كانت لا تؤكل فان التفرج باصواتها والنظر اليها غرض مقصود مباح واما الكلب فهو الذى لا يجوز ان يقتنى اعجابا بصورته لنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهى فانه لا منفعة فيها شرعا وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحيوانات التى تباع فى الاعياد للعب الصبيان فان كسرها واجب شرعا وصور الاشجار يتسامح بها واما الثياب والاطباق التى عليها صور الحيوان فيصح بيعها وكذلك الستور وقد قال صلى الله عليه وسلم لعائشة اتخذى منه نمارق فلا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة واذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه الثالث ان يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد او ماذونا من جهة المالك فلا يجوز ان يشترى من غير المالك انتظارا للاذن من المالك بل لو رضى بعد ذلك وجب استيناف العقد فلا ينبغى ان يشترى من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الولد مال الوالد اعتمادا على انه لو عرف لرضى به فانه اذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع وامثال ذلك مما يكثر فى الاسواق فواجب على العبد المتدين ان يحترز منه الرابع ان يكون المعقود عليه مقدورا على تسليمه شرعا وحسا فما لا يقدر على تسليمه حسا لا يصح بيعه كالآبق والسمك فى الماء والجنين فى البطن وعسيب الفحل وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن فى الضرع لا يجوز فانه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع والمعجوز عن تسليمه شرعا كالمرهون والموقوف والمستولدة فلا يصح بيعه ايضا وكذا بيع الام دون الولد

اذا كان الولد صغيرا وكذا الولد دون الام لان تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع الخامس
ان يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف اما العلم بالعين فبان يشير اليه بعينه فلو قال بعتك شاة من هذا
القطيع اي شاة اردت او ثوبا من هذه الثياب التي بين يديك او ذراعا من هذا الكرباس وخذه من اي جانب
شئت او عشرة اذرع من هذه الارض من اي طرف شئت فالبيع باطل وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون في الدين
الا ان يبيع شايعا مثل ان يبيع نصف الشي او عشره فان ذلك جائز واما العلم بالمقدار فانما يحصل بالكيل او الوزن او
النظر اليه فلو قال بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لا يعلمان ذلك فهو باطل فلو قال بعتك بزنة هذه
السنجة فهو باطل اذا لم تكن السنجة معلومة ولو قال بعتك هذه الصبرة من الحنطة او بعتك بهذه الصبرة من الدراهم
او بهذه القطعة من الذهب وهو يراها صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا في معرفة المقدار واما العلم بالوصف فيحصل
بالرؤية في الاعيان فلا يصح بيع الغائب الا اذا سبقت رؤيته منذ مدة لا يغلب التغير فيها والوصف لا يقوم مقام
العيان هذا احد المذهبين فلا يجوز بيع الثوب في المنسوج اعتمادا على الرقوم ولا بيع الحنطة في سنبلها ويجوز بيع الارز
في قشرته التي يدخر فيها وكذا بيع اللوز والجوز في القشرة السفلى ولا يجوز في القشرتين ويجوز بيع الباقلا الرطب في
قشرته للحاجة ويسامح ببيع الفقاع لجريان عادة الاولين به ولكن نجعله اباحة بعوض فلو اشتراه ليبيعه فالقياس بطلانه
لانه ليس مستتر الخلقة ولا يبعد ان يسامح به اذ في اخراجه افساده كالرمان وما مستتر خلقته السادس ان يكون المبيع مقبوضا
ان كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع ما لم يقبض
ويستوي فيه العقار والمنقول وكل ما اشتراه او باعه قبل القبض فبيعه باطل وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية
وقبض ما اشتراه بشرط الكيل لا يتم الا بان يكال فاما بيع الميراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصلا فيه بمعاوضة
فهو جائز قبل القبض الركن الثالث لفظ العقد ولا بد من جريان ايجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود مفهم اما
صريحا او كناية فلو قال اعطيتك هذا بهذا بدل قوله بعتك فقال قبلت جاز مهما قصدا به البيع فانه قد يحتمل الاعارة اذا
كان في ثوبين او دابتين والنية تدفع الاحتمال والصريح اقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك والحل ايضا فيما تقتضيه
ولا ينبغي ان يقرن بالبيع شرطا على خلاف مقتضى العقد فلو شرط ان يزيد شيئا آخر او ان يحمل المبيع الى داره او
اشترى الحطب بشرط النقل الى بيته فكل ذلك فاسد الا اذا افرد استئجاره على النقل باجرة معلومة مفردة عن الشراء
للمنقول ومهما لم يجر بينهما الا المعاطاة بالفعل دون التلفظ باللسان لم ينعقد البيع عند الشافعي اصلا وانعقد عند ابي
حنيفة ان كانت في المحقرات ثم ضبط المحقرات عسير فان رد الامر الى العادات فقد جاوز الناس المحقرات في المعاطاة
اذ يتقدم الدلال الى البزاز ياخذ ثوب ديباج قيمته عشرة دنانير مثلا ويحمله الى المشتري ويعود اليه بانه ارتضاه فيقول له
خذ عشرة فياخذ من صاحبه العشرة ويسلمه الى البزاز فياخذه ويتصرف فيه ومشتري الثوب يقطعه ولم يجر بينهما
ايجاب ولا قبول اصلا وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت البياع فيعرض متاع قيمته مائة دينار مثلا فيمن يزيد
فيقول هذا على بتسعين ويقول الآخر على بخمسة وتسعين ويقول الآخر بمائة فيقال له زن فيزن ويسلم وياخذ
المتاع من غير ايجاب وقبول فقد استمرت به العادات وهذه من المعضلات التي ليست تقبل العلاج اذ الاحتمالات
ثلاثة اما فتح باب المعاطاة مطلقا في الحقير والنفيس وهو محال اذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه وقد احل الله
تعالى البيع والبيع اسم للايجاب والقبول ولم يجر ولم ينطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسليم وتسلم فبماذا نحكم بانتقال
الملك في الجانبين لا سيما في الجواري والعبيد والعقارات والدواب النفيسة ومما يكثر التنازع فيه اذ للمسلم ان
يرجع ويقول ندمت وما بعته اذ لم يصدر مني الا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع الاحتمال الثاني ان يسد الباب كما قاله
الشافعي وفيه اشكال من وجهين احدهما انه يشبه ان يكون ذلك في المحقرات معتادا في زمان الصحابة ولو كانوا يتكلفون

الايجاب والقبول مع البقال والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ولنقل ذلك نقلا منتشرا ولكان يشتهر الاعراض
بالكلية عن تلك العادة فان الاعصار في مثل هذا تتقارب والثاني ان الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشتري
الانسان شيئا من الاطعمة وغيرها الا ويعلم ان البائع قد تملكه بالمعاطاة فاي فائدة في تلفظه بالعقد اذا كان الامر
كذلك الاحتمال الثالث ان يفصل بين المحقرات وغيرها كما قاله ابو حنيفة وعند ذلك يعسر الضبط في المحقرات
ويشكل نقل وجه الملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن سريج الى تخريج قول الشافعي على وفقه وهو اقرب الاحتمالات
الى الاعتدال فلا باس لو ملنا اليه لمسيس الحاجات ولعموم ذلك بين الخلق ولما يغلب على الظن بان ذلك كان
معتادا في الاعصار الاول فاما الجواب عن الاشكالين فهو ان نقول اما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها
فليس علينا تكلفه بالتقدير فان ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحان اذ لا يخفى ان شراء البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من
المعدود في المحقرات التي لا يعتاد فيها الا المعاطاة وطالب الايجاب والقبول فيها يعد مستقصيا ويستبرد تكلفه لذلك و
يستثقل وينسب الى انه يقيم الوزن لامر حقير ولا وزن له فهذا طرف الحقارة والطرف الثاني الدواب والعبيد والعقارات
والثياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الايجاب والقبول فيه وبينهما اوساط متشابهة يشك فيها هي محل الشبهة
فحق ذي الدين ان يميل فيها الى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك ينقسم الى اطراف واضحة واوساط
مشكلة واما الثاني وهو طلب سبب لنقل الملك فهو ان نجعل الفعل باليد اخذا وتسليما سببا اذ اللفظ لم يكن سببا
لعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم اليه مسيس الحاجة وعادة الاولين
واطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير ايجاب وقبول مع التصرف فيها واي فرق بين ان يكون فيه عوض او لا يكون اذ
الملك لا بد من نقله ايضا في الهبة الا ان العادة السالفة لم تفرق في الهدايا بين الحقير والنفيس بل كان طلب الايجاب و
القبول يستقبح فيه كيف كان وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات هذا ما نراه اعدل الاحتمالات وحق الورع المتدين
ان لا يدع الايجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف ولا ينبغي ان يمتنع بان البائع قد تملكه بغير ايجاب وقبول فان كان
حاضرا عند شرائه او اقر البائع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فان كان الشيء محتقرا وهو اليه محتاج فليتلفظ فانه يستفيد
به قطع الخصومة في المستقبل معه اذ الرجوع من اللفظ الصريح ممكن ومن الفعل غير ممكن فان قلت ان امكن هذا فيما يشتريه فكيف
يفعل اذا حضر في ضيافة او على مائدة وهو يعلم ان اصحابها يقنعون بالمعاطاة في البيع والشراء او سمع منهم ذلك او
رآه هل يجب عليه الامتناع من الشراء اذا كان ذلك الشيء الذي اشتراه مقدارا نفيسا ولم يكن من المحقرات واما الاكل
فلا يجب عليه الامتناع منه بل اقول ان ترددنا في جعل الفعل دلالة على نقل الملك فلا ينبغي ان لا نجعله دلالة على
الاباحة فان امر الاباحة اوسع وامر نقل الملك اضيق وكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البائع اذن في
الاكل يعلم ذلك بقرينة الحال كاذن الحمامي في دخول الحمام والاذن في الاطعام لمن يريده المشتري فينزل
منزلة ما لو قال ابحت لك ان تاكل هذا الطعام او تطعم من اردت فانه يحل له ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم اغرم
لي عوضه حل الاكل ويلزمه الضمان بعد الاكل هذا قياس الفقه عندي ولكنه بعد المعاطاة اكل ملكه ومتلف له
فعليه الضمان وذلك في ذمته والثمن الذي سلمه ان كان مثل قيمته فقد ظفر المستحق بمثل حقه فله ان يتملكه مهما عجز
عن مطالبة من عليه فان كان قادرا على مطالبته فانما لا يتملك ما ظفر به من ملكه لانه ربما لا يرضى بتلك العين
ان يصرفها الى دينه فعليه المراجعة واما ههنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد ان يجعل الفعل
دلالة على الرضا بان يستوفي دينه مما سلم اليه فياخذه بحقه لكن على الاحوال كلها جانب البائع اغمض لان ما اخذه
فقد يريد الملك فيه ليتصرف ولا يمكنه التملك الا اذا تلف عين طعامه في يد المشتري ثم ربما يفتقر الى استيناف قصد
التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استفاده من الفعل دون القول واما جانب المشتري للطعام وهو لا يريد الا الاكل

فيمن فان ذلك يباح بالاباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من مساقه هذا ان الضيف يضمن ما
اتلفه وانما يسقط الضمان عنه اذا تملك البائع ما اخذه من المشتري فيكون كالقاضي دينه والمتحمل عنه فهذا
ما نراه في قاعدة المعاطاة على غموضها والعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون رددناها ولا يمكن بناء الفتوى
الا على هذه الظنون واما الورع فانه ينبغي ان يستفتي قلبه ويتقي مواضع الشبهة **العقد الثاني عقد الربا**
وقد حرمه الله تعالى وشدد الامر فيه ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين وعلى المتعاملين
على الاطعمة اذ لا ربا الا في نقد او في طعام وعلى الصيرفي ان يحترز من النسيئة والفضل اما النسيئة فبان لا
يبيع شيئا من جوهر النقدين بشيء من جوهر النقدين الا يدا بيد وهو ان يجري التقابض في المجلس وهذا احتراز
من النسيئة وتسليم الصيارفة الذهب الى دار الضرب وشراء الدنانير المضروبة حرام من حيث النساء ومن حيث ان الغالب
انه يجري فيه تفاضل اذ لا يرد المضروب بمثل وزنه واما الفضل فيحترز منه في ثلاثة امور في بيع المكسر بالصحيح فلا
تجوز المعاملة فيهما الا مع المماثلة وفي بيع الجيد بالردي فلا ينبغي ان يشتري رديا بجيد دونه في الوزن او يبيع رديا
بجيد فوقه في الوزن اعني اذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فان اختلف الجنسان فلا حجر في الفضل والثالث
في المركبات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة ان كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة
عليها اصلا الا اذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد فانا نرخص في المعاملة عليه اذا لم يقابل بالنقد وكذا الدراهم
المغشوشة بالنحاس ان لم يكن رائجة في البلد لم تصح المعاملة عليها لان المقصود منها النقرة وهي مجهولة وان كانت نقدا
رائجا في البلد رخصنا في المعاملة لاجل الحاجة وخروج النقرة عن ان يقصد استخراجها ولكن لا يقابلها بالنقرة اصلا
وكذلك كل حلي مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي ان يشترى بمتاع اخر ان كان
قدر الذهب منه معلوما الا اذا كان مموها بالذهب تمويها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار
فيجوز بيعها بمثلها من النقرة وبما اريد من غير النقرة ولذلك لا يجوز للصيرفي ان يشتري قلادة فيها خرز وذهب
بذهب ولا ان يبيعه بل بالفضة ان لم يكن فيها فضة ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب مقصود
عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة وغيرها واما المتعاملون على الاطعمة فعليهم التقابض في المجلس اختلف
جنس الطعام المبيع والمشترى او لم يختلف فان اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة والمعتاد في هذا
معاملة القصاب بان يسلم اليه الغنم ويشتري بها اللحم نقدا او نسيئة وهو حرام ومعاملة الخباز بان يسلم اليه
الحنطة ويشتري بها الخبز نسيئة او نقدا فهي حرام ومعاملة العصار اذ يسلم اليه الجوز والسمسم والزيتون او
غير ذلك ليأخذ منه الادهان فهو حرام وكذا اللبان يعطي اللبن ليؤخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر اجزاء
اللبن فهو ايضا حرام فلا يباع الطعام بغير جنسه الا نقدا ومتماثلا وكل ما يتخذ من الشيء المطعوم فلا يجوز ان يباع
متماثلا ولا متفاضلا فلا تباع الحنطة بدقيق ولا سويق ولا خبز ولا العنب والتمر بدبس ولا خل ولا عصير ولا
اللبن بسمن ولا زبد ولا مخيض ولا جبن والمماثلة لا تفيد اذا لم يكن الطعام في حال كمال الادخار فلا يباع الرطب
بالرطب ولا العنب بالعنب متماثلا ولا متفاضلا فهذه جملة مقنعة في تعريف البيع والتنبيه على ما يشعر التاجر بمثار
الفساد حتى يستفتي فيها اذا تشكك والتبس عليه واذا لم يعرف هذا ولم يتفطن لمواضع السؤال اقتحم الربا والحرام وهو
لا يدري **العقد الثالث السلم** وليراع التاجر فيه عشرة شروط الاول ان يكون راس المال معلوما على مثله حتى
لو تعذر تسليم المسلم فيه امكن الرجوع الى قيمة راس المال فان اسلم كفا من الدراهم جزافا في كر حنطة لم يصح في احد
القولين والثاني ان يسلم راس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم الثالث ان يكون المسلم فيه مما
يمكن تعريف اوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والابريسم والالبان واللحوم ومتاع العطارين

واشباهها ولا يكون في المعجونات والمركبات وما تختلف اجزاؤه كالقسي المصنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال
المختلفة اجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الخبز وما يتطرق اليه من اختلاف قدر الملح والماء
بكثرة الطبخ وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه الرابع ان يستقصي وصف هذه الامور القابلة للوصف حتى لا يبقى
وصف تتفاوت به القيمة تفاوتا لا يتغابن بمثله الا ذكره فان ذلك هو القائم مقام الرؤية في البيع الخامس ان يجعل
الاجل معلوما ان كان مؤجلا فلا يؤجل الى الحصاد ولا الى ادراك الثمار بل الى الاشهر والايام فان الادراك قد
يتقدم ويتاخر السادس ان يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالبا فلا ينبغي ان يسلم في
العنب الى اجل لا يدرك فيه وكذا سائر الفواكه فان كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب افة فله ان
يمهله ان شاء او يفسخ فيرجع الى راس المال ان شاء السابع ان يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به كيلا يثير ذلك
نزاعا الثامن ان لا يعلقه بعين فيقول من حنطة هذا الزرع او ثمرة هذا البستان فان ذلك يبطل كونه دينا نعم لو اضاف
الى ثمرة بلد او قرية كبيرة لم يضر ذلك التاسع ان لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز مثلها او جارية
حسناء معها ولدها او غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا العاشر ان لا يسلم في طعام مهما كان راس المال طعاما سواء كان
من جنسه او لم يكن ولا يسلم في نقد اذا كان راس المال نقدا وقد ذكرنا هذا في الربا **العقد الرابع في الاجارة** وله
ركنان الاجرة والمنفعة فاما العاقد واللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والاجرة كالثمن فينبغي ان يكون معلومة
وموصوفة بكل ما شرطناه في المبيع ان كان عينا وان كان دينا فينبغي ان يكون معلوم الصفة والقدر وليحترز فيه عن امور جرت
العادة بها وهو كراء الدار بعمارتها فذلك باطل اذ قدر العمارة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على المكتري ان يصرفها
الى العمارة لم يجز لان عمله في الصرف الى العمارة مجهول ومنها استيجار السلاخ على ان يأخذ الجلد بعد السلخ واستيجار
حمال الجيفة بجلدها واستيجار الطحان بالنخالة او ببعض الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانفصاله
على عمل الاجير فلا يجوز ان يجعل اجرة ومنها ان يقدر في اجارة الدور والحوانيت مبلغ الاجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم
يقدر اشهر الاجارة كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الاجارة الركن الثاني المنفعة المقصودة بالاجارة وهي العمل وحده
ان كان عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستيجار عليه وجملة فروع الباب تندرج
تحت هذه الرابطة ولكنا لا نطول بشرحها فقد طولنا القول فيها في الفقهيات وانما نشير الى ما يعم به البلوى فليراع في
العمل المستاجر عليه امور خمسة الاول ان يكون فيه كلفة وتعب فلو استاجر طعاما ليزين به الدكان او اشجارا ليجفف عليها
الثياب او دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فان هذه المنافع تجري مجرى حبة سمسم وحبة بر من الاعيان وذلك لا يجوز بيعه
ولهذا لو استاجر بياعا على ان يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز وما ياخذه البياعون عوضا عن جاههم وحشمتهم وقبول
قولهم في ترويج السلعة فهو حرام اذ ليس يصدر منهم الا كلمة لا تعب فيها ولا قيمة لها وانما يحل لهم اذا تعبوا اما بكثرة التردد
واما بكثرة الكلام في تاليف امر المعاملة ثم لا يستحقون الا اجرة المثل فاما ما تواطأ عليه الباعة فهو ظلم وليس ماخوذا
بالحق الثاني ان لا يتضمن الاجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز اجارة الكرم لارتفاعه ولا اجارة المواشي
للبنها ولا اجارة البساتين لثمارها ويجوز استيجار المرضعة ويكون اللبن تابعا لان افراده غير ممكن وكذا يتسامح
بحبر الوراق وخيط الخياط لانهما لا يقصدان على حيالهما الثالث ان يكون العمل مقدورا على تسليمه حسا وشرعا فلا
يصح استيجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استيجار الاخرس على التعليم وغيره وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه
كالاستيجار على قلع سن سليمة او قطع عضو لا يرخص الشرع في قطعه او استيجار الحائض على كنس المسجد او المعلم على
تعليم السحر والفحش او استيجار زوجة الغير على الارضاع دون اذن زوجها او استيجار المصور على صور الحيوانات او استيجار
الصائغ على صنعة الاواني من الذهب والفضة فكل ذلك باطل الرابع ان لا يكون العمل واجبا على الاجير او لا يكون بحيث تجري

النيابة فيه عن المستاجر ولا يجوز اخذ الاجرة على الجهاد وعلى سائر العبادات التي لا نيابة فيها اذ لا يقع ذلك عن المستاجر
ويجوز على الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز وفي اخذ الاجرة على امامة صلوة التراويح وعلى الاذان
وعلى التصدي للتدريس واقراء القران خلاف واما الاستيجار على تعليم مسئلة بعينها او تعليم سورة بعينها لشخص
معين فصحيح الخامس ان يكون العمل والمنفعة معلوما فالخياط يعرف عمله بالثوب والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها
وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة وكل ما يثير خصومة في العادة فلا يجوز اهماله وتفصيل ذلك يطول
وانما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الاحكام ويتفطن به لمواقع الاشكال فيسال فان الاستقصاء شان
المفتي لا شان العوام **العقد الخامس القراض** وليراع فيه ثلاثة اركان الركن الاول راس المال وشرطه ان يكون نقدا
معلوما مسلما الى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض فان التجارة تضيق فيهما ولا يجوز على صرة من الدراهم
لان قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط المالك اليد لنفسه لم يجز لانه تضييق طريق التجارة الركن الثاني الربح وليكن معلوما
بالجزئية بان يشرط له الثلث او النصف او ما شاء فلو قال على ان لك من الربح مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بجزء
شايع الثالث العمل الذي على العامل وشرطه ان يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتاقيت فلو شرط ان يشتري بالمال
ماشية لياخذ نسلها فيتقاسمان النسل او حنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح لم يجز لان القراض ماذون فيه في التجارة
وهو البيع والشرا وما يقع من ضرورتهما فقط فهذه اعني الخبز ورعاية المواشي ولو ضيق عليه وشرط ان لا يشتري
الا من فلان او لا يتجر الا في الخز الاحمر او شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ثم مهما انعقد فالعامل وكيل فيتصرف
بالغبطة تصرف الوكلاء ومهما اراد المالك الفسخ فله ذلك فاذا فسخ في حالة والمال كله نقد لم يخف وجه القسمة و
ان كان عرضا ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تكليفه ان يرده الى النقد لان العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئا
وان قال العامل ابيعه وابى المالك فالمتبوع راي المالك الا اذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على راس المال
ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار راس المال بجنس راس المال لا بنقد اخر حتى يتميز الفاضل ربحا فيشتركان
فيه وليس عليه بيع الفاضل على راس المال ومهما كان راس السنة فعليهم تعرف قيمة المال لاجل الزكوة فاذا كان قد
ظهر من الربح شيء فالاقيس ان زكوة نصيب العامل على العامل فانه يملك الربح من الظهور وليس للعامل ان يسافر
بمال القراض دون اذن المالك وان فعل صحت تصرفاته ولكنه يضمن الاعيان والاثمان جميعا لان عدوانه بالنقل
تعدى الى ثمن المنقول وان سافر بالاذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض كما ان نفقة الوزن والكيل
والحمل الذي لا يعتاد التاجر على مثله راس المال فاما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له ان يبذل عليه
اجرة وعلى العامل نفقته وسكناه في البلد وليس عليه اجرة الحانوت ومهما تجرد في السفر لمال القراض فنفقته في السفر
على مال القراض واذا رجع فعليه ان يرد بقايا الات السفر المطهرة والسفرة وغيرهما **العقد السادس الشركة**
وهي اربعة انواع ثلاثة منها باطلة الاول شركة المفاوضة وهو ان يقولا تفاوضنا لنشترك في كل ما لنا وعلينا
ومالاهما متمايزان الثانية شركة الابدان وهو ان يتشارطا الاشتراك في اجرة العمل الثالثة شركة الوجوه وهو ان
يكون لاحدهما جاه وشوكة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيذ ومن جهة غيره العمل وانما الصحيح العقد الرابع
المسمى شركة العنان وهو ان يختلط مالاهما بحيث يتعذر التمييز الا بقسمة وياذن كل واحد منهما لصاحبه
في التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز ان يغير ذلك بالشرط ثم بالعزل يمتنع التصرف
على المعزول وبالقسمة ينفصل الملك عن الملك والصحيح انه يجوز عقد الشركة على العروض المشتركة ولا يشترط النقد
بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب والا اقتحم الحرام من حيث لا يدري واما معاملة
القصاب والخباز والبقال فلا يستغني عنها المكتسب وغير المكتسب والخلل فيها من ثلاثة وجوه منها اهمال شروط البيع

واما لا نسلم ان الاقتصار على المعاطاة اذ العادات جارية بكتبة الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ثم المحاسبة
في كل مدة ثم التقويم بحسب ما يقع عليه التراضي وذلك مما نرى القضاء باباحته ويحمل التسليم على اباحة
التناول مع انتظار العوض فيحل اكله ولكن يجب الضمان باكله ويلزم قيمته يوم الاتلاف فيجتمع في الذمة القيم
فاذا وقع التراضي على مقدار فينبغي ان يلتمس منه الابراء المطلق حتى لا يبقى عهدة ان يتطرق اليه تفاوت في
التقويم فهذا ما يجب التنبه له فان تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج في كل يوم وفي كل ساعة تكليف شطط
وكذا تكليف الايجاب والقبول وتقدير ثمن كل قدر يسير من ذلك فيه عسر واذا كثر كل نوع سهل تقويمه **الباب
الثالث في بيان العدل والاحسان واجتناب الظلم في المعاملة** اعلم ان المعاملة قد تجري على وجه
يحكم المفتي بصحتها وانعقادها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله اذ ليس كل نهي مقتضيا فساد العقد
وهذا الظلم نعني به ما يستضر به الغير وهو منقسم الى ما يعم ضرره والى ما يخص المعامل القسم الاول فيما يعم ضرره وهو
انواع النوع الاول الاحتكار فبايع الطعام يدخر الطعام وينتظر به غلاء الاسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق به لم يكن صدقته كفارة الاحتكار وروى
ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم من احتكر الطعام اربعين يوما قسا قلبه وعنه انه عليه الصلوة والسلم احرق
طعام محتكر بالنار وروي في فضل ترك الاحتكار من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكانما تصدق به وفي لفظ
اخر فكانما اعتق رقبة وقيل في قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم ان الاحتكار من الظلم وداخل
تحته وعن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله بع هذا الطعام يوم تدخل
البصرة ولا تؤخره الى غد فوافق سعة في السعر فقال له التجار ان اخرته جمعة ربحت فيه اضعافه فاخره جمعة فربح فيه
امثاله وكتب الى صاحبه بذلك فكتب صاحب الطعام يا هذا انا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وانك
قد خالفت وما نحب ان نربح اضعافه بذهاب شيء من الدين وقد جنيت علينا جناية فاذا اتاك كتابي هذا فخذ المال
كله فتصدق على فقراء البصرة وليتني انجو من الاحتكار كفافا لا علي ولا لي واعلم ان النهي مطلق ويتعلق النظر به
في الوقت والجنس اما الجنس فيطرد النهي في اجناس الاقوات فاما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالادوية
والعقاقير كالزعفران وامثاله فلا يتعدى النهي اليه وان كان مطعوما واما ما يعين على القوت كاللحم والفواكه وما
يسد مسدا يغني عن القوت في بعض الاحوال وان كان لا يمكن المداومة عليه فهذا في محل النظر فمن العلماء من طرد
التحريم في السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجري مجراه واما الوقت فيحتمل ايضا طرد النهي في جميع الاوقات
وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف في البصرة سعة في السعر ويحتمل ان يخصص بوقت قلة
الاطعمة وحاجة الناس اليه حتى يكون في تاخير بيعه ضرر فاما اذا اتسعت الاطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها
ولم يرغبوا فيها الا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام بذلك ولم ينتظر قحطا فليس في هذا اضرار واذا كان الزمان زمان
قحط كان في ادخار العسل والسمن والشيرج وامثالها اضرار فينبغي ان يقضى بتحريمه ويعول في نفي التحريم واثباته
على الضرار فانه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام واذا لم يكن ضرار فلا يخلو احتكار الاقوات عن كراهية لانه ينتظر
مبادي الضرار وهو ارتفاع الاسعار وانتظار مبادي الضرار محذور كانتظار عين الضرار فبقدر درجات الاضرار
تتفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الاقوات مما لا يستحب لانه طلب ربح والاقوات اصول خلقت
قواما والربح من المزايا فينبغي ان يطلب الربح فيما خلق من جملة المزايا التي لا ضرورة للخلق اليها ولذلك اوصى بعض
التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس
والصنعتان ان يكون جزارا فانها صنعة تقسي القلب او صواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة **النوع الثاني**

ترويج الزائف من الدراهم في اثناء النقد فهو ظلم اذ يستضر به المعامل ان لم يعرف وان عرف فسيروجه على غيره و
كذا الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الايدي ويعم الضرر به ويتسع الفساد ويكون وزر الكل ووباله راجعا اليه
فانه الذي فتح ذلك الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها
ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيء وقال بعضهم انفاق درهم زائف اشد من سرقة مائة درهم لان السرقة
معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزائف بدعة اظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون
عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة ومائتي سنة الى ان يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد ونقص من اموال
الناس بسببه فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة
يعذب بها في قبره ويسال عنها الى اخر انقراضها قال الله تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم اي نكتب ايضا ما اخروه من اثار اعمالهم
كما نكتب ما قدموه وفي مثله قوله تعالى ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر وانما اخر اثار اعماله من سنة سيئة عمل بها غيره وليعلم ان
في الزيف خمسة امور الاول انه اذا رد عليه شيء منه فينبغي ان يطرحه في بئر بحيث لا تمتد اليه اليد واياه ان يروجه في
بيع اخر وان افسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز الثاني انه يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصي لنفسه ولكن كيلا يسلم
الى مسلم زائفا وهو لا يدري فيكون اثما بتقصيره في تعلم ذلك العلم فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله ولمثل هذا
كان السلف يتعلمون علامات النقد نظرا لدينهم لا لدنياهم الثالث انه ان سلم وعرف المعامل انه زائف لم يخرج عن
الاثم لانه ليس ياخذه الا ليروجه على غيره ولا يخبره ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في اخذه اصلا فانما يتخلص
من اثم الضرر الذي يخص معاملة فقط الرابع انه ان اخذ الزائف ليعمل بقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله سهل
البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء فهو داخل في بركة هذا الدعاء ان عزم على طرحه في بئر وان كان عازما
على انه يروجه في معاملة فهذا شر روجه الشيطان عليه في معرض خير فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء الخامس
ان الزائف يعني به ما لا نقرة فيه اصلا بل هو مموه او ما لا ذهب فيه اعني في الدنانير اما ما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس
وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه وقد راينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار
النقرة او لم يعلم وان لم يكن هو نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فان كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد
فعليه ان يخبر به معامله وان لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس فاما من يستحل ذلك
فتسليمه اليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذ الخمر وذلك محظور واعانة على الشر ومشاركة فيه
وسلوك طريق الحق بامثال هذا في التجارة اشد من المواظبة على نوافل العبادات والتخلي لها ولذلك قال بعضهم التاجر الصدوق
افضل من المتعبد وقد كان السلف يحتاطون في مثل هذا حتى روي عن بعض الغزاة في سبيل الله انه قال حملت
على فرسي لاقتل علجا فقصر بي فرسي فرجعت ثم دنا مني العلج فحملت ثانية فقصر فرسي ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي و
كنت لا اعتاد ذلك منه فرجعت حزينا فجلست منكس الراس منكسر القلب لما فاتني من العلج وما ظهر لي من خلق
فرسي فوضعت راسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم فرايت في النوم كان الفرس يخاطبني ويقول لي بالله عليك
اردت ان تاخذ على العلج ثلاث مرات وانت بالامس اشتريت لي علفا ودفعت في ثمنه درهما زائفا لا يكون هذا ابدا
قال فانتبهت فزعا فذهبت الى العلاف وابدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يعم ضرره وليقس عليه امثاله القسم الثاني ما
يخص ضرره المعامل وكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم وانما العدل ان لا يضر باخيه المسلم والضابط الكلي فيه ان لا يحب له الا ما
يحب لنفسه وكل ما لو عومل به شق عليه وثقل على قلبه فينبغي ان لا يعامل به غيره بل ينبغي ان يستوي عنده درهمه ودرهم غيره
قال بعضهم من باع لاخيه شيئا بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه الا بخمسة دوانيق فانه قد ترك النصح المامور به في المعاملة
ولم يحب لاخيه ما يحب لنفسه هذه جملته فاما تفصيله ففي اربعة امور ان لا يثني على السلعة بما ليس فيها وان لا يكتم من عيوبها

وخفايا صفاتها شيئا اصلا وان لا يكتم في وزنها ومقدارها شيئا اصلا وان لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع
اما الاول فهو ترك الثناء فان وصفه للسلعة ان كان بما ليس فيها فهو كذب فان قبل فهو تلبيس وظلم مع كونه كذبا
وان لم يقبل فهو كذب واسقاط مروة اذ الكذب الذي يروج قد لا يقدح في ظاهر المروة وان اثنى على السلعة بما فيها فهو
هذيان وتكلم بكلام لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه انه لم تكلم بها قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد الا ان يثني على السلعة بما فيها ولا يعرفه المشتري ما لم يذكره كما يصفه من خفي اخلاق العبيد والجواري والدواب فلا
باس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة واطناب وليكن قصده منه ان يعرفه اخوه المسلم فيرغب فيه وتنقضي بسببه حاجته ولا
ينبغي ان يحلف عليه البتة فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر التي تذر الديار بلاقع وان كان صادقا فقد
جعل الله تعالى عرضة لايمانه وقد اساء فيه اذ الدنيا اخس من ان يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة وفي الخبر
ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد وفي الخبر اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة
للكسب وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيمة عائل متكبر ومنان بعطيته و
منفق سلعته بيمينه فاذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروها من حيث انه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التغليظ في
امر اليمين وقد روي عن يونس بن عبيد وكان خزازا انه طلب منه خز للشرى فاخرج غلامه سفط الخز ونشره ونظر اليه وقال
اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده الى موضعه ولم يبعه وخاف ان يكون ذلك تعريضا بالثناء على السلعة فمثل هؤلاء
الذين تجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجارتهم بل علموا ان ربح الاخرة اولى بالطلب من ربح الدنيا الثاني ان يظهر
جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولا يكتم منها شيئا فذلك واجب فان اخفاه كان ظالما غاشا والغش حرام وكان تاركا
للنصح في المعاملة والنصح واجب ومهما اظهر احسن وجهي الثوب واخفى الثاني كان غاشا وكذلك اذا عرض الثياب في المواضع المظلمة
وكذلك اذا عرض احسن فردي الخف والنعل وامثاله ويدل على تحريم الغش ما روي انه عليه الصلوة والسلام مر برجل يبيع الطعام
فاعجبه فادخل يده فراى بللا فقال ما هذا قال اصابته السماء فقال فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا و
يدل على وجوب النصح باظهار العيوب ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الاسلام ذهب لينصرف
فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم وكان جرير اذا قام الى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال ان شئت فخذ و
ان شئت فاترك فقيل له انك اذا فعلت هذا لم ينفذ لك بيع فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وكان
واثلة بن الاسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم وغفل واثلة فذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به
قال يا هذا اشتريتها للحم او للظهر فقال بل للظهر فقال ان بخفها نقبا قد رايته وانها لا تتابع السير فعاد وردها
فنقصها البائع مائة درهم وقال لواثلة رحمك الله افسدت علي بيعي فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم
وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحد يبيع بيعا الا يبين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا تبيينه فقد فهموا من
النصح ان لا يرضى لاخيه الا ما يرضاه لنفسه ولم يعتقدوا ان ذلك من الفضائل وزيادة المقامات بل اعتقدوا انه
من شروط الاسلام الداخلة تحت بيعتهم وهذا امر يشق على اكثر الخلق فلذلك يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن الناس لان
القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لا يقوم بها الا الصديقون ولن يتيسر ذلك على العبد الا بان يعتقد
امرين احدهما ان تلبيسه العيوب وترويجه السلعة لا يزيد في رزقه بل يمحقه ويذهب ببركته وما يجمعه من مفرقات
التلبيسات يهلكه دفعة واحدة فقد حكي ان واحدا كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيعه فجاء سيل فغرق البقرة
فقال بعض اولاده ان تلك المياه المتفرقة التي صببناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة واخذت البقرة كيف وقال صلى الله عليه
وسلم البيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما واذا كذبا وكتما نزعت بركة بيعهما وفي الحديث يد الله على الشريكين
ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما فاذن لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة ومن لا يعرف الزيادة و

النقصان بالميزان لم يصدق بهذا الحديث ومن عرف ان الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان
في الدين والدنيا والآلاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى يكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتمنى الافلاس
منها ويراه اصلح له في بعض احواله فيعرف معنى قولنا ان الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه والمعنى
الثاني لا بد من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر عليه ان يعلم ان ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا وان فوائد اموال
الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها واوزارها فكيف يستجيز العاقل ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو
خير والخير كله في سلامة الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال لا اله الا الله ترفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا
صفقة دنياهم على آخرتهم وفي لفظ ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله
كذبتم ولستم بها صادقين وفي حديث آخر من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال ان تحجزه
عما حرم الله وقال ايضا ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ومن علم ان هذه الامور قادحة في ايمانه وان ايمانه راس ماله
في تجارة الآخرة لم يضيع راس ماله المعد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينتفع به اياما معدودة وعن بعض التابعين انه قال لو
دخلت الجامع وهو غاص باهله فقيل لي من خير هؤلاء لقلت من انصحهم لهم فاذا قالوا هذا قلت هو خيرهم ولو قيل لي من شرهم
قلت من اغشهم لهم فاذا قيل هذا قلت هو شرهم والغش حرام في البيوع والصنائع جميعا فلا ينبغي ان يتهاون الصانع
بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه بل ينبغي ان يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيها عيب فبذلك
يتخلص وسال رجل حذاء ابن سالم فقال كيف لي ان اسلم في بيع النعال فقال اجعل الوجهين سواء ولا تفضل اليمنى
على الاخرى وجود الحشو وليكن شيئا واحدا تاما وقارب بين الخرز ولا تطبق احدى النعلين بالاخرى ومن هذا
الفن ما سئل احمد من الرفو بحيث لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيعه ان يخفيه وانما يحل للرفا اذا علم انه يظهره او انه لا يريده للبيع
فان قلت فلا تتم المعاملة مهما وجب على الانسان ان يذكر عيوب المبيع فاقول ليس كذلك اذ شرط التاجر ان
لا يشتري للبيع الا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو امسكه ثم يقنع في بيعه بربح يسير فيبارك الله فيه ولا يحتاج الى التلبيس
وانما تعذر هذا لانهم لا يقنعون بالربح اليسير وليس يسلم الكثير الا بتلبيس فمن تعود هذا لم يشتر المعيب فان وقع في يده
معيب نادرا فليذكره وليقنع بقيمته باع ابن سيرين شاة فقال للمشتري ابرا اليك من عيب فيها انها تقلب العلف برجلها
وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري انها تنخمت عندنا مرة دما فهكذا كانت سيرة اهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك
المعاملة او ليوطن نفسه على عذاب الآخرة الثالث ان لا يكتم في المقدار وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه
وفي الكيل فينبغي ان يكيل كما يكتال قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او
وزنوهم يخسرون ولا يخلص من هذا الا بان يرجح اذا اعطى وينقص اذا اخذ اذ العدل الحقيقي قلما يتصور فليستظهر بظهور
الزيادة والنقصان فان من استقصى حقه بكماله يوشك ان يتعداه وكان بعضهم يقول لا اشتري الويل من الله بحبة
وكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا اعطى زاد حبة وكان يقول ويل لمن باع بحبة جنة عرضها السموات والارض
وما اخسر من باع طوبى بويل وانما بالغوا في الاحتراز منه لانها مظالم لا يمكن التوبة منها اذ لا يعرف اصحاب الحبات
حتى يجمعهم ويؤدي حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قال للوزان لما كان يزن ثمنه زن
وارجح ونظر فضيل الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد ان يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسببه فقال
يا بني فعلك هذا افضل من حجتين وقال بعض السلف عجبت للتاجر والبائع كيف ينجو يزن ويحلف بالنهار وينام
بالليل وقال على نبينا وعليه الصلوة والسلم لابنه كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك يدخل الخطيئة بين المتبايعين
وصلى بعض الصالحين على مخنث فقيل له انه كان فاسقا فسكت فاعيد عليه فقال كانك قلت لي صاحب ميزانين يعطي
باحدهما وياخذ بالآخر واشار الى ان فسقه مظلمة بينه وبين الله وهذا من مظالم العباد والمسامحة والعفو فيه ابعد

والتشديد في امر الميزان عظيم والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة وفي قراءة ابن مسعود لا تطغوا في الميزان واقيموا
الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان فان النقصان والرجحان يميله وبالجملة كل من ينتصف من غيره لنفسه ولو في كلمة
ولا ينصف بمثل ما ينتصف فهو داخل تحت قوله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون فان تحريم ذلك
في المكيل ليس لكونه مكيلا بل لكونه امرا مقصودا ترك العدل والنصفة فيه فهو جار في جميع الاعمال فصاحب الميزان في
خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين في افعاله واقواله وخطراته فالويل له ان عدل عن العدل ومال عن الاستقامة
ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلا ينفك عبد ليس
معصوما عن الميل عن الاستقامة الا ان درجات الميل تتفاوت تفاوتا عظيما فلذلك تتفاوت مدة مقامهم في النار
الى اوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم الا بقدر تحلة القسم ويبقى بعضهم الفا والوف سنين فنسال الله تعالى ان يقربنا
من الاستقامة والعدل فان الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل غير مطموع فيه فانه ادق من الشعر واحد
من السيف ولولا الاستقامة على الصراط المستقيم لا يخف العبد يوم القيمة على الصراط وكل من خلط بالطعام ترابا
ثم كاله فهو من المطففين في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم عظما لم تجر العادة بمثله فهو من المطففين في الوزن وقس
على هذا سائر التقديرات حتى في الذرع الذي يتعاطاه البزاز فانه اذا اشترى ارسل الثوب في وقت الذرع ولم يمده
مدا واذا باع مده في الذرع ليظهر تفاوت في القدر فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل الرابع ان يصدق
في سعر الوقت ولا يخفي منه شيئا فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن تلقي الركبان ونهى عن النجش اما تلقي الركبان فهو ان
يستقبل الرفقة ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تتلقوا الركبان ومن تلقاها فصاحب السلعة
بالخيار بعد ان يقدم السوق وهذا الشراء منعقد ولكنه ان ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار وان كان صادقا ففي الخيار خلاف
لتعارض عموم الخبر مع زوال التلبيس ونهى ايضا ان يبيع حاضر لباد وهو ان يقدم البدوي البلد ومعه قوت يريد ان يتبادر
الى بيعه فيقول له الحضري اتركه عندي حتى اغالي في ثمنه وانتظر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي سائر السلع
خلاف والاظهر تحريمه لعموم النهي ولانه تاخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولي المضيق واما
النجش فهو ان يتقدم الى البيع بين يدي المشتري الراغب ويطلب السلعة بزيادة وهو لا يريدها انما يريد تحريك
رغبة المشتري فيها فهذا ان لم يجر مواطاة ففي ثبوت الخيار خلاف والاولى اثبات الخيار لانه تغرير بفعل يضاهي
التغرير في المصراة وتلقي الركبان فهذه المناهي تدل على انه لا يجوز ان يلبس على البائع والمشتري سعر الوقت ويكتم منه
امرا لو علمه لما اقدم على العقد ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب وقد حكي عن رجل من التابعين
انه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز اليه السكر فكتب اليه غلامه ان قصب السكر قد اصابته في هذه السنة آفة
فاشتر السكر قال فاشترى سكرا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين الفا فانصرف الى منزله وافكر ليلته فقال ربحت
ثلاثين الفا وخسرت نصح رجل مسلم من المسلمين فلما اصبح غدا الى بايع السكر فدفع اليه ثلاثين الفا وقال بارك الله لك
فيها فقال ومن اين صارت لي فقال اني كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمك الله قد
اعلمتني الآن وقد طيبتها لك قال فرجع بها الى منزله فتفكر وبات ساهرا وقال ما نصحته فلعله استحيى مني فتركها
لي فبكر اليه من الغد فقال عافاك الله خذ مالك اليك فهو اطيب لقلبي فاخذ منه ثلاثين الفا فهذه الاخبار في المناهي
والحكايات تدل على انه ليس له ان يغتنم غفلة صاحب المتاع ويخفي من البائع غلاء السعر او من المشتري تراجع
الاسعار فان فعل كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مرابحة بان يقول بعت بما قام علي او بما اشتريته
فعليه ان يصدق ثم يجب ان يخبر بما حدث بعد العقد من عيب او نقصان ولو اشترى الى اجل وجب ذكره ولو اشترى
مسامحة من صديقه او ولده يجب ذكره لان المعامل يعول على عادته في الاستقصاء فانه لا يترك النظر لنفسه فاذا

سبب من الاسباب فيجب اجتنابه اذ لا اعتماد فيه على امانة

الباب الرابع في الاحسان في المعاملة

وقد امر الله تعالى بالعدل والاحسان جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة مجرى سلامة راس المال والاحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا براس ماله فكذا في معاملات الاخرة فلا ينبغي للمتدين ان يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع ابواب الاحسان وقد قال تعالى واحسن كما احسن الله اليك وقال تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين ونعني بالاحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتنال رتبة الاحسان بواحد من ستة امور الاول في المغابنة فينبغي ان لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به في العادات فاما اصل المغابنة فماذون فيه لان البيع للربح ولا يمكن ذلك الا بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب فان بذل المشتري زيادة على الربح المعتاد اما لشدة رغبته او لشدة حاجته في الحال فينبغي ان يمتنع عن قبوله فذلك من الاحسان ومهما لم يكن تلبيس لم يكن اخذ الزيادة ظلما وقد ذهب بعض العلماء الى ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان ان يحط ذلك الغبن ويروى انه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الاثمان ضرب قيمتها ماتان فمر الى الصلوة وخلف ابن اخيه في الدكان وجاء اعرابي وطلب حلة باربعمائة فعرض عليه حلة من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها منه فمشى بها وهي على يديه فاستقبله يونس فعرف حلته فقال للاعرابي بكم اشتريت فقال باربعمائة فقال لا تسوى اكثر من مائتين فارجع حتى تردها فقال هذه تسوى في بلدنا خمسمائة وانا ارتضيها فقال له يونس انصرف فان النصح في الدين خير من الدنيا وما فيها ثم رده الى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن اخيه وقاتله وقال اما استحييت اما اتقيت الله تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما اخذها الا وهو راض بها قال فهلا رضيت له بما رضيت لنفسك وهذا ان كان فيه اخفاء السعر او تلبيس فهو من باب الظلم وقد سبق وفي الحديث غبن المسترسل حرام وكان الزبير بن عدي يقول ادركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم احد يحسن يشتري لحما بدرهم فغبن مثل هؤلاء المسترسلين حرام وان كان من غير تلبيس فهو من الاحسان وقل ما يتم هذا الا بنوع تلبيس واخفاء السعر الوقت وانما الاحسان المحض ما نقل عن سري السقطي انه اشترى كر لوز بستين دينارا وكتب في روزنامجه ثلثة دنانير ربحه وكانه راى ان يربح على العشرة نصف دينار فصار اللوز بتسعين فاتاه الدلال وطلب اللوز فقال خذه فقال بكم فقال بثلثة وستين فقال الدلال وكان من الصالحين فقد صار اللوز بتسعين فقال له الدلال فقال السري قد عقدت عقدا لا احله لست ابيعه الا بثلثة وستين فقال انا عقدت بيني وبين الله ان لا اغش مسلما لست اخذ منك الا بتسعين قال فلا الدلال اشترى منه ولا سري باعه فهذا محض الاحسان من الجانبين فانه كان مع العلم بحقيقة الحال وروى محمد بن المنكدر انه كان له شقاق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع غلامه في غيبته شقة من الخمسيات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الاعرابي المشتري طول النهار حتى وجده فقال له ان الغلام قد غلط فباعك ما يسوى خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت فقال وان رضيت فانا لا نرضى لك الا ما نرضاه لانفسنا فاختر احدى ثلاث خصال اما ان تاخذ شقة من العشريات بدراهمك واما ان نرد عليك خمسة واما ان ترد شقتنا وتاخذ دراهمك فقال اعطني خمسة فرد عليه خمسة وانصرف الاعرابي يسال ويقول من هذا الشيخ فقيل محمد بن المنكدر فقال لا اله الا الله هذا الذي نستسقي في البوادي اذا قحطنا به فهذا احسان في ان لا يربح على العشرة الا نصفا او درهما على ما جرت به العادة في مثل ذلك المتاع في ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها ربحا كثيرا وبه تظهر البركة كان علي رضي الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار خذوا الحق تسلموا

ولا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره وقيل لعبد الرحمن بن عوف ما سبب يسارك قال ثلاث ما رددت ربحا قط ولا طلب مني حيوان فاخرت بيعه ولا بعت بنسيئة ويقال انه باع الف ناقة فما ربح الا عقلها باع كل عقال بدرهم فربح فيها الف درهم وربح من نفقته عليها الف درهم الثاني في احتمال الغبن والمشتري ان اشترى طعاما من ضعيف او شيئا من فقير فلا باس ان يحتمل الغبن ويتساهل ويكون محسنا به وداخلا في قوله رحم الله سهل البيع سهل الشراء فاما اذا اشترى من غني تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس محمودا بل هو تضييع مال من غير اجر ولا حمد فقد ورد من طريق اهل البيت المغبون لا محمود ولا ماجور وكان اياس بن معاوية قاضي بصرة من عقلاء التابعين كان يقول لست بخب والخب لا يغبنني ولا يغبن ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن ابي يعني معاوية بن قرة والكمال في ان لا يغبن ولا يغبن كما وصف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال كان اكرم من ان يخدع واعقل من ان يخدع وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما وغيرهم من خيار السلف يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي فقال ان الواهب يعطي فضله وان المغبون يغبن عقله وقال بعضهم انما اغبن عقلي وبصري فلا امكن الغابن منه واذا وهبت فاعطي لله ولا استكثر له شيئا الثالث في استيفاء الثمن وسائر الديون والاحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالامهال والتاخير ومرة بالمساهلة في جودة النقد وكل ذلك مندوب اليه ومحثوث عليه قال رحم الله سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء فليغتنم دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليه الصلوة والسلام اسمح يسمح لك وقال عليه الصلوة والسلام من انظر معسرا او ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي لفظ اخر اظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وذكر صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم توجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا اني امرت ابني فقلت له اذا داينت الناس فاقول لفتياني سامحوا الموسر وانظروا المعسر وفي لفظ اخر وتجاوزوا عن المعسر فقال الله نحن احق بذلك منك فتجاوز عنه وغفر له قال صلى الله عليه وسلم من اقرض دينارا الى اجل فله بكل يوم صدقة الى اجله فاذا حل الاجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة وقد كان من السلف من لا يحب ان يقضي غريمه الدين لاجل هذا الخبر حتى يكون كالمتصدق بجميعه كل يوم فقال صلى الله عليه وسلم رايت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر فقيل في معناه ان الصدقة قد تقع في يد المحتاج وغير المحتاج ولا يتحمل ذلت الاقتراض الا المحتاج ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل يلازم رجلا بدين فاوما الى صاحب الدين بيده ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فاعطه وكل من باع شيئا وترك ثمنه في الحال ولم يرهق الى طلبه فهو في معنى القرض وروي ان الحسن البصري باع بغلة له باربعمائة درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اسمح يا ابا سعيد فقال اسقطت عنك مائة فقال له فاحسن يا ابا سعيد فقال قد وهبت لك مائة اخرى فقبض من حقه مائتين فقيل له يا ابا سعيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الاحسان والا فلا وفي الخبر خذ حقك في عفاف واف او غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا الرابع في توفية الدين ومن الاحسان فيه حسن القضاء وذلك بان يمشي الى صاحب الحق ولا يكلفه ان يمشي اليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم خيركم احسنكم قضاء ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر اليه ولو قبل وقته وليسلم اجود مما شرط عليه واحسن فان عجز فلينو قضاءه مهما قدر قال صلى الله عليه وسلم من ادان دينا وهو ينوي قضاءه وكل الله به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلمه مستحق الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه صاحب دين عند حلول الاجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم به اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ومهما دار الكلام بين المستقرض

والمقرض فالاحسان ان يكون الميل الاكثر من المتوسط الى من عليه الدين فان المقرض يقرض عن الغنى والمستقرض يستقرض عن الحاجة وكذا ينبغي ان يكون الاعانة للمشتري اكثر فان البائع راغب عن السلعة يبغي ترويجها و المشتري محتاج اليها هذا هو الاحسان الا ان يتعدى من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته في منعه من تعديه واعانة صاحبه اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما فقال منعك اياه من الظلم نصرة له الخامس ان يقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا متندم مستضر بالبيع ولا ينبغي ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضرار اخيه قال صلى الله عليه وسلم من اقال نادما صفقته اقاله الله عثرته يوم القيمة او كما قال السادس ان يقصد في معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على ان لا يطالبهم ان لم تظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحي السلف من له دفتران للحساب احدهما ترجمته مجهولة فيه اسماء من لا يعرف من الضعفاء والفقراء و ذلك ان الفقير كان يرى الطعام والفاكهة فيشتهيه فيقول احتاج الى خمسة ارطال من هذا مثلا وليس معي ثمنه فكان يقول خذه واقض ثمنه عند الميسرة ولم يكن يعد هذا من الخيار بل اعد من الخيار من لم يكن يثبت اسمه في الدفتر ولا يجعله دينا لكن يقول خذ ما تريد فان تيسر لك فاقض والا فانت في حل منه وسعة فهذه طرق تجارات السلف وقد اندرست والقائم بذلك محي لهذه السنة وبالجملة التجارة محك الرجال وبها يمتحن دين الرجل وورعه ولذلك قيل لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق كعب الساق منه رفعه وانظر الى درهمه فانظر غيره او ورعه ولذلك قيل اذا اثنى على الرجل جيرانه في الحضر واصحابه في السفر ومعاملوه في الاسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد شاهد عند عمر رضي الله عنه فقال ائتني بمن يعرفك فاتاه برجل فاثنى عليه خيرا فقال له عمر انت جاره الادنى الذي تعرف مدخله ومخرجه فقال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال فعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل فقال لا فقال اظنك رايته قائما في المسجد يهمهم بالقرآن يخفض راسه طورا ويرفعه اخرى فقال نعم فقال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فائتني بمن يعرفك

الباب الخامس في شفقة التاجر

على دينه فيما يخصه ويعم آخرته لا ينبغي للتاجر ان تشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضايعا وصفقته خاسرة وما يفوته من الربح في الآخرة لا يفي به ما يناله في الدنيا فيكون ممن اشترى الحيوة الدنيا بالآخرة بل العاقل ينبغي ان يشفق على نفسه وشفقته على نفسه بحفظ راس ماله وراس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف اولى الاشياء بالعاقل احوجه اليه في العاجل واحوج شيء اليه في العاجل احمده عاقبة في الآجل وقال معاذ بن جبل في وصيته انه لا بد لك من نصيبك من الدنيا وانت الى نصيبك من الآخرة احوج فابدا بنصيبك من الآخرة فخذه فانك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنظمه وقال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس في الدنيا نصيبك من الآخرة فانها مزرعة الآخرة و فيها تكتسب الحسنات فانما يتم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة امور الاول حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة فلينو بها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما يكتسبه على الدين وكفاية قياما بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينو النصح للمسلمين وان يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه ولينو اتباع طريق العدل والاحسان في معاملته كما ذكرناه ولينو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في السوق فاذا اضمر هذه العقائد والنيات كان عاملا في طريق الآخرة فان استفاد مالا فهو مزيد وان خسر في الدنيا ربح في الآخرة الثاني ان يقصد القيام في صنعته او تجارته بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك الخلق فانتظام امر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ولو اقبلوا كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي و هلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة اي اختلاف هممهم في الصناعات والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها الى طلب التنعم والتزين في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة

ليكون في قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما في الدين وليجتنب صناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجص وجميع ما يصنع لتزخرف به الدنيا فكل ذلك قد كرهه ذووا الدين فاما عمل الملاهي والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الابريسم وصياغة الصائغ مراكب الذهب وخواتيم الذهب للرجال وكل ذلك من المعاصي والاجرة المأخوذ عليه حرام ولذلك اوجبنا الزكوة فيها وان كنا لا نوجب الزكوة في الحلي لانها اذا قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مهياة للنساء لا يلحقها بالحلي المباح ما لم يقصد ذلك فيكتسب حكمها من القصد وقد ذكرنا ان بيع الطعام وبيع الاكفان مكروه لانه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بغلاء الاسعار ويكره ان يكون جزارا لما فيه من قساوة القلب وان يكون حجاما او كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة اجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها ولان العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر ولا ينظر في مقدار الاجرة الى عمله بل الى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي ان ينظر الى قدر التعب وكرهوا شرى الحيوان لان المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذي بصدده لا محالة وحلوله وقيل بع الحيوان واشتر الموتان وكرهوا الصرف لان الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير ولانه طلب لدقائق الصفات فيما لا يقصد اعيانها وانما يقصد رواجها وقلما يتم للصيرفي ربح الا باعتماد جهالة معامله بدقائق النقد فقلما يسلم الصيرفي وان احتاط وكره للصيرفي وغيره كسر الدرهم الصحيح والدينار الا عند شك في جودته او عند ضرورة قال احمد بن حنبل ورد نهي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه في الصياغة من الصحاح وانا اكره الكسر وقال يشتري بالدنانير الدراهم ثم يشتري ذهبا ويصوغه واستحبوا تجارة البز لم يكن فيها ايمان وقد روي خير تجارتكم البز وخير صنائعكم الخرز وفي حديث آخر لو اتجر اهل الجنة لاتجروا في البز ولو اتجر اهل النار لاتجروا في الصرف وقد كانت غالب اعمال الاخيار من السلف عشر صنائع الخرز والتجارة والحمل والخياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة قال عبد الوهاب الوراق قال لي احمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة فقال كسب طيب ولو كنت صانعا بيدي لصنعت صنعتك ثم قال لي لا تكتب الا مواضعه واستبق الحواشي و ظهور الاجزاء واربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الرأي الحاكة والقطانون والمغازليون و والمعلمون ولعل ذلك لان اكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل كما ان مخالطة العقلاء تزيد في العقل وعن مجاهد ان مريم مرت في طلبها عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم بحاكة وطلبت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وامتهم فقراء وحقرهم في اعين الناس فاستجيب دعاؤها و كره السلف اخذ الاجرة على كل ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الاموات ودفنهم وكذا الاذان وصلوة التراويح وان حكم بصحة الاستيجار على ذلك وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فان هذه اعمال حقها ان يتجر بها للآخرة فاخذ الاجرة عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة فلا يستحب ذلك الثالث ان لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة واسواق الآخرة المساجد قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وقال الله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فينبغي ان يجعل اول النهار الى وقت دخول السوق لآخرته فيلازم المسجد ويواظب على الاوراد وكان عمر رضي الله عنه يقول للتجار اجعلوا اول نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحو السلف يجعلون اول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤوس بكرة الا الصبيان واهل الذمة لانهم كانوا في المساجد بعد وفي الخبر ان الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد وفي اول النهار وفي آخره ذكر وخير كفر الله تعالى ما بينهما من سيء الاعمال وفي الخبر تلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلوة العصر فيقول الله

كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم يصلون وجئناهم يصلون فيقول الله سبحانه اني اشهدكم قد غفرت لهم ثم مهما سمع
الاذان في وسط النهار الاولى للظهر والعصر فينبغي ان لا يعرج على شغل وينزعج عن مكانه ويدع كل ما كان فيه
فما يفوته من فضيلة التكبيرة مع الامام في اول الوقت لا توازيها الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض
العلماء وقد كان السلف يبتدرون عند الاذان ويخلون الاسواق للصبيان واهل الذمة وكانوا يستأجرون
بالقراريط لحفظ الحوانيت وكان ذلك معيشة لهم وقد جاء في تفسير قوله تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
انهم كانوا حدادين وخرازين وكان احدهم اذا رفع المطرقة او غرز الاشفى فسمع الاذان لم يخرج الاشفى من المغرز
ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام الى الصلاة الرابع ان لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله في السوق ويشتغل
بالتسبيح والتهليل فذكر الله في السوق بين الغافلين افضل قال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل
عن الفارين وكالحي بين الاموات وفي لفظ اخر كالشجرة الخضراء بين الهشيم وقال صلى الله عليه وسلم من دخل السوق
فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير
كتب الله له الف الف حسنة وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين
لنيل فضيلة هذا الذكر وقال الحسن ذاكر الله في السوق يجيء يوم القيامة له ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس
ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعدد اهلها وكان عمر رضي الله عنه اذا دخل السوق يقول اللهم اني اعوذ بك
من الكفر والفسوق ومن شر ما احاطت به السوق اللهم اني اعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة وقال ابو جعفر الفرغاني كنا يوما عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون في
المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق فقال الجنيد
كم ممن هو في السوق حكمه ان يدخل المسجد ويأخذ باذن بعض من فيه فيخرجه ويجلس مكانه اني لاعرف رجلا يدخل السوق
ورده كل يوم ثلثمائة ركعة وثلاثون الف تسبيحة قال فسبق الى وهمي انه يعني نفسه فهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب
الكفاية لا للتنعم في الدنيا فان من طلب الدنيا للاستعانة بها على الاخرة كيف يدع ربح الاخرة والسوق والمسجد والبيت
له حكم واحد وانما النجاة بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت فوظيفة التقوى لا ينقطع عن المتجردين
للدين كيف ما تقلبت بهم الاحوال وبها تكون حياتهم وعيشهم اذ فيها يرون تجارتهم وربحهم وقد قيل من احب الاخرة
عاش ومن احب الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لا شيء الخامس ان لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة
وذلك بان يكون اول داخل واخر خارج وبان يركب البحر في التجارة فهما مكروهان يقال من ركب البحر فقد استقصى في
طلب الرزق وفي الخبر لا يركب البحر الا لحج او عمرة او غزو وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول لا تكن اول داخل في السوق
ولا اخر خارج منها فان بها باض الشيطان وفرخ وروي عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان ابليس
يقول لولده زلنبور سر بكتائبك فأت اصحاب الاسواق فأت اصحاب الاسواق زين لهم الكذب والحلف والخديعة
والمكر والخيانة وكن مع اول داخل واخر خارج منها وفي الخبر شر البقاع الاسواق وشر اهلها اولهم دخولا و
اخرها خروجا وتمام هذا الاحتراز ان يراقب وقت كفايته فاذا حصل كفايته وقته انصرف واشتغل بتجارة
الاخرة وهكذا كان صالحو السلف فقد كان منهم من اذا ربح دانقا انصرف قناعة به وكان حماد بن سلمة يبيع الخز في
سفط بين يديه وكان اذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف وقال ابراهيم بن بشار قلت لابراهيم بن ادهم رحمه الله امر اليوم اعمل في الطين فقال يا ابن بشار انك طالب ومطلوب
يطلبك من لا تفوته وتطلب من لا يفوتك اما رأيت حريصا محروما وضعيفا مرزوقا فقلت ان لي دانقا عند
البقال فقال عز علي بك تملك دانقا وتطلب العمل وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم
من لا يعمل الا يوما في الاسبوع الا يوما او يومين وكانوا يكتفون بذلك السادس ان لا يقتصر على اجتناب الحرام
بل يتقي مواقع الشبهة ومظان الريب ولا ينظر الى الفتاوى بل يستفتي قلبه فان وجد فيه حزازة اجتنبه واذا حمل

اليه سلعة رابه امرها سأل عنها حتى يعرف والا اكل الشبهة وقد حمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن فقال
من اين لكم هذا فقيل من هذه الشاة فقال ومن اين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال انا
معاشر الانبياء امرنا ان لا نأكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا وقال ان الله تعالى امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال
يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فسأل صلى الله عليه وسلم عن اصل الشيء واصل اصله ولم يزد لان ما وراء
ذلك يتعذر وسنبين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال فانه عليه الصلاة والسلام كان لا يسأل
عن كل ما يحمل اليه وانما الواجب ان ينظر التاجر الى من يعامله فكل منسوب الى ظلم او خيانة او سرقة او ربا فلا يعامله وكذا
الاجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل اصحابهم واعوانهم لانه يكون معينا بذلك على الظلم وحكي عن رجل انه
تولى عمارة سور لثغر من الثغور فقال وقع في نفسي من ذلك شيء وان كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الاسلام
لكن كان الامير الذي تولى من جهته من الظلمة فسألت سفيان فقال لا تكن عونا لهم على قليل ولا كثير فقلت هذا سور في
سبيل الله للمسلمين فقال نعم ولكن اقل ما يدخل عليك ان تحب بقاءهم ليوفوك اجرك فتكون ممن احب بقاء من يعصي
الله وقد جاء في الحديث ان الله يغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر اخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام
وقد دخل سفيان الثوري على المهدي وبيده درج ابيض فقال يا سفيان اعطني الدواة حتى اكتب فقال اخبرني
باي شيء تكتب فان كان حقا اعطيتك وطلب بعض الامراء من بعض العلماء المحبوسين عنده ان يناوله طينا ليختم
به الكتاب فقال ناولني الكتاب اولا حتى انظر ما فيه فهكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة ومعاملتهم اشد انواع
الاعانة فينبغي ان يجتنبها ذوو الدين مهما وجدوا الى ذلك سبيلا وبالجملة فينبغي ان ينقسم الناس عنده الى من
يعامل ومن لا يعامل وليكن من يعامله اقل ممن لا يعامله في هذا الزمان قال بعضهم اتى على الناس زمان كان الرجل
يدخل السوق ويقول من ترون لي ان اعامل من الناس فيقال عامل من شئت ثم اتى زمان اخر كان يقال عامل من
شئت الا فلانا وفلانا ثم اتى زمان اخر فكان يقال لا تعامل احدا الا فلانا وفلانا واخشى ان يأتي زمان يذهب هذا ايضا وكأنه قد كان الذي حاذر ان يكون انا لله وانا اليه
راجعون السابع ينبغي ان يراقب جميع مجاري معاملته مع كل واحد من معامليه وانه مراقب ومحاسب فليعد الجواب
ليوم الحساب والعقاب في كل فعلة وقولة انه لم اقدم عليها ولاجل ماذا فانه يقال انه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل
باعه شيئا وقفة ويحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله قال بعضهم رأيت بعض التجار في النوم فقلت ماذا
فعل الله بك فقال نشر علي خمسين الف صحيفة فقلت هذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس بعدد من كنت
عاملته في الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بينك وبينه من اول المعاملة الى اخرها فهذا ما على المكتسب في عمله
من العدل والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين وان اضاف اليه الاحسان كان
من المقربين فان راعى مع ذلك الوظائف التي ذكرناها في اول الباب الخامس كان من الصديقين والله اعلم

كتاب الحلال والحرام

وهو الكتاب الرابع من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق الانسان من طين لازب
وصلصال ثم ركب صورته في احسن تقويم واتم اعتدال ثم غذاه في اول نشوه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سائغا
كالماء الزلال ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دواعي الضعف والانحلال ثم قيد شهوته المعادية له عن السطوة و
الصيال وقهرها بما افترضه عليه من طلب القوت الحلال وهزم بكسرها جند الشيطان المتشمر للاضلال ولقد كان
يجري من ابن آدم مجرى الدم السيال فيضيق عليه عزة الحلال المجرى والمجال اذ كان لا يجد رقا الى اعماق العروق الا الشهوات المائلة
الى الغلبة والاسترسال فبقي لما زمت بزمام الحلال خائبا خاسرا ما له من ناصر ولا وال والصلاة والسلام على
محمد الهادي من الضلال وعلى آله خير آل اما بعد فقد قال صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة على كل مسلم

رواه ابن مسعود وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض اعضلها على العقول فهما واثقلها على الجوارح
فعلا ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سببا لاندراس عمله اذ ظن الجهال ان الحلال
مفقود وان السبيل دون الوصول اليه مسدود وانه لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات والحشيش النابت في الموات
وما عداه فقد اخبثته الايدي العادية وافسدته المعاملات الفاسدة واذ تعذرت القناعة بالحشيش من
النبات لم يبق وجه سوى الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين اصلا ولم يدركوا من الاموال فرقا
وفصلا وهيهات هيهات فالحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات ولا تزال هذه الثلثة مفترقات
كيف ما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها وجب كشف الغطاء
عن فسادها بالارشاد الى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه من التحقيق والبيان لا يخرجه
التضييق عن حيز الامكان ونحن نوضح ذلك في سبعة ابواب **الباب الاول** في فضيلة طلب
الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام **الباب الثاني** في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها
عن الحلال والحرام **الباب الثالث** في البحث والسؤال والهجوم والاهمال **الباب الرابع** في
كيفية خروج التائب عن المظالم المالية **الباب الخامس** في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم
الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم **الباب السابع** في مسائل
متفرقة يكثر مسيس الحاجة اليها

الباب الاول في الحلال والحرام

وفي فضيلة الحلال ومذمة الحرام
وبيان اصناف الحلال ودرجاته واصناف الحرام ودرجات الورع فيه **فضيلة الحلال ومذمة الحرام** قال الله تعالى
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا امر بالاكل من الطيبات قبل العمل وقيل ان المراد به الحلال وقال تعالى ولا تأكلوا اموالكم
بينكم بالباطل ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الاية وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي
من الربا ان كنتم مؤمنين ثم قال فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم ثم قال ومن
عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون جعل اكل الربا في اول الامر مؤذنا بمحاربة الله وفي اخره متعرضا للنار والايات الواردة في
الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم ولما قال
صلى الله عليه وسلم فريضة على كل مسلم قال بعض العلماء اراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين
واحدا وقال صلى الله عليه وسلم من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف
كان في درجة الشهداء وقال صلى الله عليه وسلم من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة
من قلبه على لسانه وفي رواية زهده الله في الدنيا وروى ان سعدا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسأل الله
تعالى ان يجعله مجاب الدعوة فقال له اطب طعمتك تستجب دعوتك ولما ذكر صلى الله عليه وسلم الحريص على الدنيا
قال رب اشعث اغبر مشرد في الاسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب يا رب فانى
يستجاب لذلك وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من
اكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل فالصرف النافلة والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا
بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلوته ما دام عليه منه شيء وقال صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من الحرام فالنار اولى
به وقال صلى الله عليه وسلم من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله من اين ادخله النار وقال صلى الله عليه وسلم العبادة
عشرة اجزاء فتسعة منها في طلب الحلال وروى هذا مرفوعا وموقوفا على بعض الصحابة ايضا وقال صلى الله عليه وسلم
من امسى وانيا من طلب الحلال بات مغفورا له واصبح والله عنه راض وقال صلى الله عليه وسلم من اصاب مالا من
ماثم فوصل به رحما او تصدق به او انفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه في النار وقال صلى الله عليه وسلم
خير دينكم الورع وقال صلى الله عليه وسلم من لقي الله ورعا اعطاه الله ثواب الاسلام كله ويروى ان الله تعالى قال في
بعض كتبه واما الورعون فاني استحيي ان احاسبهم وقال صلى الله عليه وسلم درهم من ربا اشد عند الله من
ثلاثين زنية في الاسلام وفي حديث ابي هريرة المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت
العروق بالصحة واذا سقمت صدرت بالسقم ومثل الطعمة في الدين مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت الاساس و
قوي استقام البناء وارتفع واذا ضعف الاساس واعوج انهار البنيان ووقع قال الله تعالى افمن اسس بنيانه على
تقوى من الله الاية وفي الحديث من اكتسب مالا من حرام فان تصدق به لم يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار وقد
ذكرنا جملة من ذلك من الاخبار في كتاب اداب الكسب تكشف عن فضيلة الحلال واما الاثار فقد روي ان الصديق
رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سال عبده فقال تكهنت لقوم فاعطوني فادخل اصبعه في فيه وجعل يقيء
حتى ظننت ان نفسه ستخرج ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وفي بعض الاخبار انه اخبر
بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال او ما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا وكذلك شرب عمر من ابل الصدقة
غلطا فادخل اصبعه وتقيا وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون عن افضل العبادة الورع وقال عبد الله بن
عمر لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار لم يقبل ذلك منكم الا بورع حاجز وقال ابرهيم بن
ادهم ما ادرك من ادرك الا من كان يعقل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله صديقا فانظر
عند من تفطر يا مسكين وقيل لابرهيم بن ادهم لا تشرب من ماء زمزم قال لو كان لي دلو شربت وقال سفيان الثوري
من انفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره الا الماء والذنب لا يكفره الا الحلال وقال يحيى بن
معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله ومفتاحها الدعاء واسنانه لقم الحلال وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يقبل الله
صلوة امرئ وفي جوفه حرام وقال سهل التستري لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه اربع خصال اداء الفرائض
بالسنة واكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الموت وقال من احب ان يكاشف
بايات الصديقين فلا يأكل الا حلالا ولا يعمل الا في سنة او ضرورة ويقال من اكل الشبهة اربعين يوما اظلم قلبه وهو
تاويل قوله تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال ابن المبارك رد درهم من شبهة احب الي من ان اتصدق بمائة
الف ومائة الف حتى بلغ ستمائة الف وقال بعض السلف ان العبد يأكل اكلة فينقلب قلبه فينغل كما ينغل الاديم
فلا يعود الى حاله ابدا وقال سهل من اكل الحرام عصت جوارحه شاء ام ابى علم او لم يعلم ومن كانت طعمته حلالا اطاعته
جوارحه ووفقت للخيرات وقال بعض السلف ان اول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر له بها ما سلف من ذنوبه ومن اقام
نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما تساقط ورق الاشجار وروي في اثار السلف ان الواعظ
كان اذا جلس للناس قال العلماء تفقدوا منه ثلاثا فان كان معتقد البدعة فلا تجالسوه فانه عن لسان الشيطان
ينطق وان كان سيئ المطعم فعن الهوى ينطق وان لم يكن مكين العقل فانه يفسد بكلامه اكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفي
الاخبار المشهورة عن علي رضي الله عنه وغيره ان الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب وزاد اخرون وشبهاتها عتاب
وروي ان بعض الصالحين دفع طعاما الى بعض الابدال فلم يأكل فسأله عنه فقال نحن لا نأكل الا الحلال فلذلك تستقيم
قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف بالملكوت ونشاهد الاخرة ولو انا اكلنا مما تأكلون ثلاثة ايام لما رجعنا الى شيء من علم
اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا فقال له الرجل فاني اصوم الدهر واختم القران في كل شهر ثلاثين ختمة فقال
له البدل هذه الشربة من اللبن رأيتني شربتها احب الي من ثلاثين ختمة في ثلثمائة ركعة من اعمالك وكانت شربة لبن من ظبية
وحشية وقد كان بين احمد بن حنبل ويحيى بن معين رحمهما الله صحبة طويلة فهجره احمد اذ سمعه يقول اني لا اسأل احدا شيئا
لو اعطاني الشيطان شيئا لاكلته حتى اعتذر يحيى وقال كنت امزح فقال اتمزح بالدين اما علمت ان الاكل من الدين قدمه الله

العمل الصالح فقال كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وفي الخبر انه مكتوب في التوراة من لم يبال من اين مطعمه لم يبال الله
من اي ابواب النار ادخله وعن علي رضي الله عنه انه لم ياكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاما الا مختوما حذرا من الشبهة
واجتمع فضيل بن عياض وابن عيينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من احب
الطعام الي الا اني لا اكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زبيدة وغيرها فقال له ابن المبارك ان نظرت في مثل هذا
ضاق عليك الخبز قال وما سببه قال ان اصول الضياع قد اختلطت بالصوافي فغشي على وهيب فقال سفيان قتلت
الرجل فقال ابن المبارك ما اردت الا ان اهون عليه فلما افاق قال لله علي ان لا اكل خبزا ابدا حتى القاه وكان يشرب
اللبن فاتته امه بلبن فسالها فقالت هو من شاة بني فلان فسال عن ثمنها وانه من اين لهم فذكرت فلما ادناه من فيه قال بقي انها
من اين كانت ترعى فسكتت فلم يشرب لانها كانت ترعى من موضع فيه حق للمسلمين فقالت امه اشرب فان الله يغفر لك
فقال ما احب ان يغفر لي وقد شربته فانال مغفرته بمعصيته وكان بشر الحافي من الورعين فقيل له من اين تاكل فقال من حيث
تاكلون ولكن ليس من ياكل وهو يبكي كمن ياكل وهو يضحك وقال يد اقصر من يد ولقمة اصغر من لقمة وهكذا كانوا يحترزون
عن الشبهات **اصناف الحلال ومداخله** اعلم ان تفصيل الحلال والحرام انما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغني
المريد عن تطويله بان يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها وكان لا ياكل من غيرها فاما من ياكل ويتوسع في الاكل
من وجوه متفرقة فيفتقر الى علم الحلال والحرام كله كما فصلناه في كتب الفقه ونحن الان نشير الى مجامعه في
سياق تقسيم وهو ان المال انما يحرم لمعنى في عينه او لخلل في جهة اكتسابه القسم الاول الحرام لصفة في عينه
كالخمر والخنزير وغيرهما وتفصيله ان الاعيان الماكولة على وجه الارض لا تعدو ثلاثة اقسام فانها اما ان تكون
من المعادن كالملح والطين وغيرهما او من النبات او من الحيوان فاما المعادن وهي اجزاء الارض وجميع ما يخرج منها
فلا يحرم اكله الا من حيث يضر بالاكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم والخبز لو كان مضرا لحرم اكله والطين الذي يعتاد اكله لا يحرم
الا من حيث الضرر وفائدة قولنا انها لا تحرم مع انها لا توكل انه لو وقع شيء منها في مرقة او طعام مائع لم يصر به محرما واما
النبات فلا يحرم منه شيء الا ما يزيل العقل او يزيل الحياة او الصحة فمزيل العقل البنج والخمر وسائر المسكرات ومزيل
الحياة السموم ومزيل الصحة الادوية في غير وقتها وكان مجموع هذا يرجع الى الضرر الا الخمر والمسكرات فان الذي
لا يسكر منها ايضا حرام مع قلته لعينه ولصفته وهي الشدة المطربة واما السم فاذا خرج عن كونه مضرا لقلته او لعجنه
بغيره فلا يحرم واما الحيوانات فينقسم الى ما يوكل والى ما لا يوكل وتفصيله في كتاب الاطعمة والنظر يطول في
تفصيله لاسيما في الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر وما يحل اكله فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا وروعي فيه
شروط الذابح والالة والمذبح وذلك مذكور في كتاب الصيد والذبائح وما لم يذبح ذبحا شرعيا او مات فهو حرام
ولا يحل الا ميتتان السمك والجراد وفي معناهما ما يستحيل من الاطعمة كدود التفاح والجبن فان الاحتراز منه
غير ممكن واما اذا انفردت واكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة ولا سبب
في تحريمها الا الاستقذار ولو لم يكن لكان لا يكره وان وجد شخص لا يستقذره لم يلتفت الى خصوص طبعه فانه التحق
بالخبائث لعموم الاستقذار فيكره اكله كما لو جمع المخاط وشربه كره ذلك وليست الكراهية لنجاستها فان الصحيح انها لا تنجس بالموت
اذ امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يمقل الذباب في الطعام اذا وقع فيه وربما يكون حارا ويكون ذلك سبب موته ولو تهرى
نملة او ذبابة في قدر لم يجب اراقتها اذ المستقذر تحريمه اذا بقي له جرم ولم ينجس حتى يحرم بالنجاسة وهذا يدل على ان تحريمه للاستقذار
ولذلك نقول لو وقع جزء من ادمي ميت في قدر ولو وزن دانق حرم الكل لا لنجاسته فان الصحيح ان الادمي لا ينجس بالموت ولكن لان اكله
محرم احتراما لا استقذارا واما الحيوانات الماكولة اذا ذبحت بشرط الشرع فلا تحل جميع اجزائها بل يحرم منها الدم و
الفرث وكل ما يقضي بنجاسته منها بل تناول النجاسة مطلقا محرم ولكن ليس في الاعيان شيء محرم نجس الا من الحيوانات واما

من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج فان نجاسة المسكر تغليظ للزجر عنه لكونه في مظنة التشوق
ومهما وقعت قطرة من النجاسة المائعة او جزء من نجاسة جامدة في مرقة او طعام او دهن حرم اكل جميعه ولا يحرم الانتفاع
به لغير الاكل فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذه مجامع ما يحرم لصفة في
ذاته القسم الثاني ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه وفيه يتسع النظر فنقول اخذ المال اما ان يكون باختيار المالك
او بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما ان لا يكون من مالك كنيل المعادن واما ان يكون من مالك والذي يوخذ من مالك
فاما ان يوخذ قهرا او يوخذ تراضيا والماخوذ قهرا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم او لاستحقاق الاخذ كزكوات
الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يوخذ بعوض كالهبة والوصية فيحصل من هذا السياق
ستة اقسام الاول ما يوخذ من غير مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار و
الاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون الماخوذ مختصا بذي حرمة من الادميين فاذا انفك عن الاختصاص ملكه
اخذه وتفصيل ذلك في كتاب احياء الموات الثاني الماخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر اموال الكفار المحاربين
وذلك حلال للمسلمين اذا اخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوها من كافر له حرمة وامان وعهد وتفصيل
هذه الشروط في كتاب السير والجهاد كتاب الفيء والغنيمة وكتاب الجزية الثالث ما يوخذ قهرا باستحقاق عند امتناع
من عليه فيوخذ دون رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه واقتصر على القدر
المستحق واستوفاه من يملك الاستيفاء من قاض او سلطان او مستحق وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف و
كتاب النفقات اذ فيها النظر في صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فاذا استوفيت شرائطها كان
الماخوذ حلالا الرابع ما يوخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظين اعني
الايجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة وبيان ذلك في كتاب البيع والسلم والاجارة والحوالة
والضمان والقراض والشركة والمساقاة والشفعة والصلح والخلع والكتابة والصداق وسائر المعاوضات الخامس ما يوخذ
بالرضا من غير عوض وهو حلال اذا روعي شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد الى ضرر بوارث
او غيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات السادس ما يحصل بغير اختيار كالميراث وهو حلال
اذا كان المورث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل
القسمة بين الورثة واخراج الزكاة والحج والكفارة ان كان واجبا وذلك مذكور في كتاب الوصايا والفرائض فهذه
مجامع مداخل الحلال وانما اشرنا الى جملتها ليعلم المريد انه ان كانت طعمته متفرقة لا من جهة معينة فلا يستغني عن علم هذه الامور
فكل ما ياكله من جهة من هذه الجهات ينبغي ان يستفتي فيه اهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فانه كما يقال للعالم لم خالفت
علمك يقال للجاهل لم لازمت جهلك ولم تتعلم بعد ان قيل لك العلم فريضة على كل مسلم **درجات الحلال والحرام**
اعلم ان الحرام كله خبيث ولكن بعضه اخبث من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه اطيب واصفى من بعض وكما ان الطبيب
يحكم على كل حلو بالحرارة لكن يقول بعضه حار في الدرجة الاولى كالسكر وبعضها في الثانية كالفانيذ وبعضها في الثالثة
كالدبس وبعضها في الرابعة كالعسل فكذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الاولى وبعضه في الثانية او الثالثة والرابعة
وكذلك تتفاوت درجات صفائه وطيبه ولنقتد باهل الطب في الاصطلاح على اربع درجات تقريبا وان كان التحقيق
لا يوجب هذا الحصر اذ يتطرق الى كل درجة من الدرجات ايضا تفاوت لا ينحصر فكم من سكر اشد حرارة من سكر وكذا
غيره فكذلك نقول الورع عن الحرام على اربع درجات الاولى ورع العدول وهو الذي يجب الفسق باقتحامه ويسقط
العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء الثانية ورع الصالحين
وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتي يرخص في التناول بناء على الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجملة

فليسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية الثالثة ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن
يخاف منه اداؤه الى محرم وهو ترك ما لا باس به مخافة مما به باس وهذا ورع المتقين قال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد
درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به باس الرابعة ما لا باس به اصلا ولا يخاف منه ان يؤدي الى ما به باس
ولكنه يتناول لغير الله وعلى غير نية التقوي به على عبادة الله او تتطرق الى اسبابه المسهلة له كراهة او معصية و
الامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال جملة الى ان نفصلها بالامثلة والشواهد واما الحرام الذي
ذكرناه في الدرجة الاولى وهو الذي يشترط التورع عنه في العدالة اطراح سمة الفسق فهو ايضا على درجات في الخبث
فالماخوذ بعقد فاسد كالمعاطاة مثلا فيما لا تجوز فيه المعاطاة حرام ولكن ليس في درجة المغصوب على سبيل القهر
بل المغصوب اغلظ اذ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب وايذاء الغير وليس في المعاطاة ايذاء وانما فيه ترك طريق
التعبد فقط ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة اهون من تركه بالربا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده وتاكيده
في بعض المناهي على ما سياتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الصغيرة والكبيرة بل الماخوذ ظلما من فقير او صالح او من
يتيم اخبث واغلظ من الماخوذ من قوي او غني او فاسق لان درجات الايذاء تختلف باختلاف درجات المؤذى
فهذه دقائق في تفاصيل الخبائث لا ينبغي ان يذهل عنها فلولا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت دركات النار
واذا عرفت مثارات التغليظ فلا حاجة الى حصره في درجات ثلث او اربع فان ذلك جار مجرى التحكم والتشهي وهو طلب
حصر فيما لا حاصر له ويدلك على اختلاف درجات الحرام في الخبث ما سياتي في تعارض المحذورات وترجيح بعضها
على بعض حتى اذا اضطر الى اكل ميتة او اكل طعام الغير او اكل صيد الحرم فانا نقدم بعض هذه على بعض

امثلة الدرجات الاربع في الورع وشواهدها

اما الدرجة الاولى وهي ورع العدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريمه مما يدخل
من المداخل الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام بفقد شرط من الشروط فهو الحرام المطلق الذي ينسب مقتحمه الى
الفسق والمعصية وهو الذي نريده بالحرام المطلق ولا يحتاج الى امثلة وشواهد واما الدرجة الثانية وامثلتها
كل شبهة لا يجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سياتي في باب الشبهات اذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فيلحق بالحرام
ومنها ما يكره اجتنابها والورع عنه ورع الموسوسين كمن يمتنع عن الاصطياد خوفا من ان يكون الصيد قد افلت من
انسان اخذه وملكه وهذا وسواس ومنها ما يستحب اجتنابه ولا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
دع ما يريبك الى ما لا يريبك ونحمله على نهي التنزيه وكذلك قوله كل ما اصميت ودع ما انميت والانماء ان تجرح الصيد
فيغيب عنك ثم تدركه ميتا اذ يحتمل انه مات بسقطة او بسبب اخر والذي نختاره كما سياتي ان هذا ليس بحرام ولكن تركه
من ورع الصالحين وقوله دع امر تنزيه اذ ورد في بعض الروايات كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثر غير سهمك ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم في الكلب المعلم وان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه على سبيل التنزيه لاجل
الخوف اذ قال لابي ثعلبة الخشني كل منه فقال وان اكل فقال وان اكل وذلك لان حال ابي ثعلبة وهو فقير مكتسب
لا يحتمل هذا الورع وحال عدي كان يحتمله ويحكى عن ابن سيرين انه ترك لشريك له اربعة الاف درهم لانه حاك في
قلبه شيء مع اتفاق العلماء على انه لا باس به وامثلة هذه الدرجة هذه نذكرها عند تفصيل درجات الشبهة فكل
ما هو شبهة ولا يجب اجتنابه فهو مثال لهذه الدرجة اما الدرجة الثالثة فهي ورع المتقين فيشهد لها قوله صلى الله عليه و
سلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة ما فيه باس وقال عمر كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة ان نقع
في الحرام وقال ابو الدرداء ان تمام التقوى ان يتقي العبد في مثقال ذرة حتى يترك ما يرى انه حلال خشية ان يكون
حراما فيكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على انسان فحملها اليه فاخذ تسعة وتسعين وتورع عن
استيفاء الكل خيفة الزيادة وكان بعضهم يتحرى فكل ما يستوفيه ياخذه بنقصان حبة وما يعطيه يوفيه بزيادة حبة ليكون

ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح الناس به فان ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من
فتح بابه ان ينجر الى غيره وتالف النفس الاسترسال فيترك الورع فمن ذلك عن علي بن معبد انه قال كنت ساكنا في بيت بكرا
فكتبت كتابا واردت ان اخذ من تراب الحائط لاتربه واجففه ثم قلت الحائط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب
حائط فاخذت من التراب حاجتي فلما نمت فاذا شخص واقف يقول يا علي سيعلم غدا الذي يقول وما قدر تراب من حائط
ولعل معنى ذلك انه يرى كيف يحط منزلته فان للتقوى منزلة تفوت بفوات ورع المتقين وليس المراد انه يستحق عقوبة على
فعله ومن ذلك ما روي ان عمر رضي الله عنه وصله من البحرين فقال وددت لو ان امراة وزنت حتى اقسمه بين المسلمين
فقالت امراته عاتكة انا اجيد الوزن فقال لا احببت ان تضعيه في الكفة ثم تقولين فيها اثر الغبار فتمسحين بها عنقك
فاصيب بذلك فضلا على المسلمين وكان يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز مسك المسلمين فاخذ بانفه حتى لا تصيبه
الرائحة وقال وهل ينتفع الا بريحه لما استبعد ذلك منه واخذ الحسن رضي الله عنه تمرة من الصدقة وكان صغيرا فقال
صلى الله عليه وسلم كخ كخ القها ومن ذلك ما روي عن بعضهم انه كان عند محتضر فمات ليلا فقال اطفئوا السراج فقد حدث
للورثة حق في الدهن وروى سليمان التيمي عن نعيمة العطارة قالت كان عمر يدفع الى امراته طيبا من طيب المسلمين قالت
فتبيعه امراته فباعتني طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسر باسنانها فتعلق باصبعها شيء منه فقالت به هكذا باصبعها
ثم مسحت به خمارها فدخل عمر رضي الله عنه فقال ما هذه الريح فاخبرته فقال طيب المسلمين تاخذينه فانتزع الخمار من
راسها واخذ جرة من ماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ثم يصب الماء ثم يدلكه في التراب ويشمه حتى
لم يبق له ريح قالت ثم اتيتها مرة اخرى فلما وزنت علق باصبعها منه شيء فادخلت اصبعها في فيها ثم مسحت بها التراب
فهذا من عمر رضي الله عنه ورع التقوى لخوف اداء ذلك الى غيره والا فغسل الخمار ما كان يعيد الطيب الى المسلمين و
لكن اتلفه عليها زجرا وردعا وابقاء من ان يتعدى الامر ومن ذلك ما سئل عن احمد بن حنبل رضي الله عنه عن رجل
يكون في المسجد فيحمل مجمرة لبعض السلاطين ويبخر المسجد بالعود فقال ينبغي ان يخرج من المسجد فانه لا ينتفع من العود الا بالرائحة
وهذا قد يقارب الحرام فان القدر الذي يعبق بثوبه من رائحة الطيب قد يقصد وقد يبخل به فلا يدري انه يتسامح به
ام لا وسئل احمد عمن سقطت منه ورقة فيها احاديث فهل لمن وجدها ان يكتب منها ثم يردها فقال لا بل يستاذن ثم
يكتب وهذا ايضا قد يشك في ان صاحبه يرضى به ام لا فما هو في محل الشك فالاصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الاولى
ومن ذلك التورع من الزينة لانه يخاف منها ان يدعو الى غيرها وان كانت الزينة مباحة في نفسها وقد سئل احمد
بن حنبل عن النعال السبتية فقال اما انا فلا استعملها ولكن ان كان للطين فارجو واما من اراد الزينة فلا ومن ذلك
ان عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة ان تشير عليه بشفاعة في باطل فيطيعها ويطلب
رضاها وهذا من ترك ما لا باس به مخافة من ان يفضي اليه واكثر المباحات داعية الى المحظورات حتى استكثار الاكل
واستعمال الطيب للمتعزب فانه يحرك الشهوة ويدعو الى الفكر والفكر الى النظر والنظر الى غيره وكذلك النظر الى دور
الاغنياء وتجملهم مباح في نفسه ولكن يهيج الحرص ويدعو الى طلب مثله ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله وهكذا
المباحات كلها اذا لم تؤخذ بقدر الحاجة في وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة اولا ثم بالحذر ثانيا فقلما تخلو
عاقبته عن خطر وكذا كل ما اخذ بالشهوة فقل ما يخلو عن خطر فكره احمد بن حنبل تجصيص الحيطان فقال اما تجصيص الارض
فيمنع التراب واما تجصيص الحائط فزينة لا فائدة فيه حتى انكر تجصيص المسجد وتزيينه واستدل بما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه سئل عن تكحيل المسجد فقال لا عرش كعرش موسى وانما هو شيء كالكحل يطلى به فلم يرخص رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه وكره السلف الثوب الرقيق وقالوا من رق ثوبه رق دينه وكل ذلك خوفا من ان يتداعى الشهوات
في المباحات الى غيرها فان المحظور والمباح تشتهيهما شهوة واحدة واذا تعودت الشهوة المسامحة استرسلت فاقتضى خوف

التقوى والورع من هذا كله فكل حلال انفك عن مثل هذه المخافة فهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يخاف
اداءه الى معصية البتة اما الدرجة الرابعة وهو ورع الصديقين فالحلال الطلق عندهم كل ما لا يتقدم في
اسبابه معصية ولا يستعان به على معصية ولا يقصد منه في الحال والمآل قضاء وطر بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوي
على عبادته واستبقاء الحيوة لاجله وهؤلاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حراما امتثالا لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهذه مرتبة
الموحدين المتجردين عن حظوظ انفسهم المتفردين لله بالقصد ولا شك في ان من يتورع عما يوصل اليه بمعصية او يستعان
عليه بمعصية فيتورع عما اقترن بسبب اكتسابه معصية او كراهية فمن ذلك ما روي عن يحيى بن يحيى انه شرب الدواء فقالت
له امرأته لو مشيت في الدار قليلا حتى يعمل الدواء فقال هذه مشية لا اعرفها وانا احاسب نفسي منذ ثلاثين سنة وكانه لم يحضر
نية في هذه المشية تتعلق بالدين فلم يجوز الاقدام عليها وعن سري انه قال انتهيت الى الحشيش في جبل وماء يخرج منه فتناولت
من ذلك الحشيش وشربت من الماء قلت في نفسي ان كنت قد اكلت حلالا طيبا فهو هذا اليوم فهتف بي هاتف
ان القوة التي اوصلتك الى هذا الموضع من اين هي فرجعت وندمت ومن هذا ما روي عن ذي النون المصري انه كان جائعا
محبوسا فبعثت له امرأة صالحة طعاما على يد السجان فلم يأكل منه ثم اعتذر وقال جاءني على طبق ظالم يعني ان القوة التي
اوصلت الطعام اليّ لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى في الورع ومن ذلك ان بشرا رضي الله عنه كان لا يشرب الماء
الانهار التي حفرتها الامراء فان النهر سبب لجريان الماء ووصوله اليه وان كان الماء مباحا في نفسه فيكون كالمنتفع بالنهر
المحفور باعمال الاجراء وقد اعطوا الاجرة من الحرام ولذلك امتنع بعضهم من العنب الحلال من كرم حلال وقال لصاحبه
افسدته اذ سقيته من ماء يجري في النهر الذي حفرته الظلمة وهذا ابعد من الظلم من شرب نفس الماء لانه لا احتراز من
استمداد العنب من ذلك الماء وكان بعضهم اذا مر في طريق لم يشرب من المصانع التي عملها الظلمة مع ان الماء مباح و
لكنه بقي محفوظا بالمصنع عمل عمال الحرام فكان انتفاعه به وامتناع ذي النون على يد السجان اعظم من هذا كله لان يد السجان
لا توصف بانها حرام بخلاف الطبق المغصوب اذ حمل اليه ولكن وصل اليه بقوة الكسب بالغذاء الحرام ولذلك تقيأ
الصديق ثدي اللبن خيفة من ان يحدث الحرام فيه قوة مع انه شربه على جهل وكان لا يجب اخراجه ولكن تخلية البطن عن
الخبيث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب حلال اكتسبه خياط يخيط في المسجد فان احمد رضي الله عنه
كره جلوس الخياط في المسجد وسئل عن المغازلي يجلس في قبة في المقابر في وقت يخاف من المطر فقال المقابر انما هي من امر
الاخرة واطفأ بعضهم سراجا اسرجه غلامه من قوم يكره مالهم وامتنع من تسجير التنور للخبز وقد بقي فيه جمر من حطب
مكروه وامتنع من ان يحكم شسع نعله في مشعل سلطان فهذه دقائق الورع عند سالكي طريق الاخرة والتحقيق فيه
ان الورع له اول وهو الامتناع عما حرمه الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو
الامتناع من كل ما ليس لله مما اخذ بشهوة او توصل اليه بمكروه او اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات في الاحتياط
فكلما كان العبد اشد تشديدا على نفسه كان اخف ظهرا يوم القيمة واسرع جوازا على الصراط وابعد ان يترجح كفة
سيئاته على كفة حسناته وتتفاوت المنازل في الاخرة بحسب هذه الدرجات في الورع كما تتفاوت دركات النار في
حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الخبث واذا علمت حقيقة الامر فاليك الخيرة فان شئت فاستكثر من الاحتياط
وان شئت فترخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك تترخص

الباب الثاني في الشبهات ومثاراتها

وتمييزها عن الحلال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس
فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك ان يقع فيه فهذا
الحديث نص في اثبات الاقسام الثلاثة والمشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من
بيانها وكشف الغطاء فان ما لا يعرفه الكثير فقد يعرفه القليل فنقول الحلال المطلق هو الذي خلا عن اسبابه ما يتطرق التحريم

او كراهية ومثاله الماء الذي يأخذه الانسان من المطر قبل ان يقع على ملك احد ويكون هو واقفا عند جمعه
من الهواء في ملك نفسه او في ارض مباحة والحرام المحض ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة في الخمر والنجاسة في
البول او حصل بسبب منهي عنه قطعا كالمحصل بالظلم والربا ونظائره فهذان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما
تحقق امره ولكن احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فان صيد البر والبحر حلال ومن اخذ ظبية
فيحتمل ان تكون قد ملكها صياد ثم افلتت منه وكذلك السمك يتصور ان يكون قد تزلق من الصياد بعد وقوعه في
يده وخريطته فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق الى ماء المطر المختطف من الهواء ولكن في معنى ماء المطر والاحتراز منه و
فالمنتهي هذا الفن ورع الموسوسين حتى يلتحق به امثاله وذلك لان هذا وهم مجرد لا دلالة عليه نعم لو دل عليه دليل فان
كان قاطعا كما لو وجد حلقة في اذن السمكة وكان محتملا كما لو وجد على الظبية جراحة يحتمل ان يكون كيا لا يقدر عليه
الا بعد الضبط ويحتمل ان يكون جرحا فهذا موضع الورع واذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال المعدوم دلالته
كالاحتمال المعدوم في نفسه ومن هذا الجنس من يستعير دارا فيغيب عنه المعير فيخرج ويقول لعله مات وصار الحق للوارث
فهذا وسواس اذ لم يدل على موته سبب قاطع او مشكك اذ الشبهة المحذورة ما تنشأ من الشك والشك عبارة عن
اعتقادين متقابلين نشآ عن سببين فما لا سبب له لا يثبت عقده في النفس حتى يساوي العقد المقابل له فيصير شكا ولهذا نقول
من شك انه صلى ثلاثا ام اربعا اخذ بالثلاثة اذ الاصل عدم الزيادة ولو سئل الانسان ان صلوة الظهر التي اداها
بعشر سنين كانت اربعا او ثلاثا لم يتحقق قطعا انها اربع واذا لم يقطع جوز ان يكون ثلاثا وهذا التجويز لا يكون شكا
اذ لم يحضره سبب اوجب اعتقاد كونه ثلاثا فليفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه بالوهم والتجويز بغير سبب فهذا
يلتحق بالحلال المطلق ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وامكن طريان المحلل ولكن لم يدل عليه السبب كمن في يده طعام
لمورثه الذي لا وارث له سواه فغاب عنه فقال يحتمل انه مات وقد انتقل الملك الي فاقدامه عليه اقدام على حرام محض
لانه احتمال لا مستند له فلا ينبغي ان يعد هذا النمط من اقسام الشبهات وانما الشبهة نعني بها ما اشتبه علينا امره بان تعارض لنا
فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقاد **ومثارات الشبهة** خمسة **المثار الاول** الشك في
السبب المحلل والمحرم وذلك لا يخلو اما ان يكون متعادلا او غلب احد الاحتمالين فان تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف
قبله فيستصحب ولا يترك بالشك وان غلب احد الاحتمالين عليه بان صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ولا يتبين هذا
الا بامثال وشواهد فلنقسمه الى اقسام اربعة القسم الاول ان يكون الحل معلوما من قبل ثم يقع الشك في المحلل فهذه شبهة
يجب اجتنابها ويحرم الاقدام عليها مثاله ان يرمي الى الصيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتا ولا يدري انه مات بالغرق
او بالجرح فهذا حرام لان الاصل التحريم الا اذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق المعين فلا يترك اليقين بالشك
كما في الاحداث والنجاسات وركعات الصلوات وغيرها وعلى هذا يتنزل قوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم لا تأكله
فلعله قتله غير كلبك ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتي بشيء اشتبه عليه انه صدقة او هدية سأل عنه حتى
يعلم ايهما هو وروي انه ارق ليلة فقال له بعض نسائه ارقت يا رسول الله قال اجل وجدت تمرة فخشيت ان تكون من
الصدقة وفي رواية فاكلتها فخشيت ومن ذلك ما روي انه قال كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابنا
الجوع فنزلنا منزلا كثير الضباب فبينما القدور تغلي بها اذ قال صلى الله عليه وسلم امة مسخت من بني اسرائيل فاخاف ان تكون
هذه فاكفأنا القدور ثم اعلمه الله تعالى بعد ذلك انه لم يمسخ الله خلقا فجعل له نسلا القسم الثاني ان يعرف الحل ويشك في المحرم فالاصل
الحل وله الحكم كما اذا نكح رجلان امرأتين وطار طائر فقال احدهما ان كان هذا غرابا فامرأتي طالق وقال الاخر ان لم يكن
غرابا فامرأتي طالق والتبس امر الطائر فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما ولا يلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما و
تطليقهما حتى يحلا لسائر الازواج وقد امر مكحول بالاجتناب في هذه المسئلة وافتى الشعبي بالاجتناب في رجلين كانا قد

تنازعا وقال احدهما للاخر انت حسود فقال الاخر احدنا زوجته طالق ثلاثا فقال الاخر نعم واشكل الامر
وهذا ان اراد به اجتناب الورع فصحيح وان اراد التحريم المحقق فلا وجه له اذ ثبت في المياه والنجاسات والاحداث و
الصلوات ان اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا في معناه فان قلت فاي مناسبة بين هذا وبين ذلك فاعلم انه لا
يحتاج الى المناسبة فانه يلزم من غير ذلك في بعض الصور فانه مهما تيقن الطهارة في الماء ثم شك في نجاسته جاز له ان
يتوضا فكيف لا يجوز له ان يشربه واذا جاز الشرب فقد سلم ان اليقين لا يترك بالشك الا ان ههنا دقيقة وهو ان
وزان الماء ان شك في انه طلق زوجته ام لا فيقال الاصل انه ما طلق ووزان مسئلة الطائر ان يتحقق نجاسة احد الانائين
وتشتبه عينه فلا يجوز ان يستعمل احدهما بغير اجتهاد لانه قابل يقين النجاسة بيقين الطهارة فبطل الاستصحاب وكذلك
ههنا قد وقع الطلاق على احد الزوجين قطعا والتبست المطلقة بغير المطلقة فنقول اصحاب الشافعي في الانائين على
ثلاثة اوجه فقال قوم يستصحب بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب
ولا يغني الاجتهاد وقال المقتصدون نجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه ان يكون له زوجتان فيقول ان كان غرابا فزينب
طالق وان لم يكن فعمرة طالق فلا جرم لا يجوز له غشيانهما بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد اذ لا علامة تحرمهما عليه
لانه لو وطئهما كان مقتحما للحرام قطعا وان وطئ احدهما وقال اقتصر على هذا كان متحكما بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا
افترق حكم شخص واحد وحكم شخصين لان التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين اذ كل واحد يشك في
التحريم في حق نفسه فان قيل فلو كان الاناءان لشخصين فينبغي ان يستغني عن الاجتهاد ويتوضا كل واحد باناءه
لانه تيقن طهارته وقد شك الآن فيه فنقول هذا محتمل في الفقه والارجح في الظن المنع وان تعدد الشخص
ههنا كاتحاده لان صحة الوضوء لا تستدعي ملكا بل وضوء الانسان بماء غيره في رفع الحدث كوضوئه بمائه ولا يتبين
لاختلاف الملك واتحاده اثر بخلاف الوطء لزوجة الغير فانه لا يحل لان للمعاملات مدخلا في النجاسات والاجتهاد
فيه ممكن بخلاف الطلاق ثم يجب تقوية الاستصحاب بعلامة ليدفع بها قوة يقين النجاسة المقابلة ليقين الطهارة و
ابواب الاستصحابات والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه وقد استقصيناه في الكتب الفقهية ولسنا نقصد الآن
الا التنبيه على قواعدها **القسم الثالث** ان يكون الاصل التحريم ولكن طرأ ما اوجب تحليله بظن غالب فهو مشكوك فيه
والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند غلبة الظن الى سبب معتبر شرعا فالذي نختاره فيه انه يحل وان اجتنابه من الورع مثاله
ان يرمي الى صيد فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه اثر سوى سهمه ولكن يحتمل انه مات بسقطة او بسبب آخر فان ظهر عليه
اثر صدمة او جراحة اخرى التحق بالقسم الاول وقد اختلف قول الشافعي رحمه الله في هذا القسم والمختار انه حلال لان
الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والاصل انه لم يطرأ غيره عليه فطريانه مشكوك فيه فلا يرفع اليقين بالشك فان قيل
فقد قال ابن عباس كل ما اصميت ودع ما انميت وروت عائشة ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم بارنب فقال هذه رميتي
عرفت فيها سهمي فقال اصميت ام انميت فقال بل انميت قال ان الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره الا الذي خلقه لعله
اعان على قتله شيء وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي في كلبه المعلم وان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك
على نفسه والغالب ان الكلب المعلم لا يسيء خلقه ولا يمسك الا على صاحبه ومع ذلك نهى عنه وهذا التحقيق هو ان الحل
انما يتحقق اذا تحقق تمام السبب وتمام السبب بان يفضي الى الموت سليما من طريان غيره عليه وقد شك فيه وهو شك
في تمام السبب حتى اشتبه ان موته على الحل او على الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعته ثم شك فيما
يطرأ عليه فالجواب ان نهي ابن عباس رضي الله عنهما ونهي رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والتنزيه
بدليل ما روي في بعض الروايات انه قال كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثرا غير سهمك وهذا تنبيه على المعنى الذي
ذكرناه وهو انه ان وجد اثرا آخر فقد تعارض السبب فيعارض الظن واذا لم يجد سوى جرحه حصل غلبة الظن فيحكم به

على الاستصحاب كما نحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس المظنون والعمومات المظنونة وغيرها واما قول القائل انه
لم يتحقق موته على الحل في ساعة ويكون شكا في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق اذ الجرح سبب الموت وطريان
الغير مشكوك فيه ويدل على صحة هذا الاجماع على ان من جرح وغاب فوجد ميتا فيجب القصاص على جارحه بل ان لم يغب
يحتمل ان يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يموت الانسان فجاءة فينبغي ان لا يجب القصاص الا بحز الرقبة والجرح المذفف
لان العلل القاتلة في الباطن لا يؤمن ولاجلها يموت الصحيح فجاءة ولا قائل بذلك مع ان القصاص مبناه على الشبهة وكذلك
جنين المذكى حلال ولعله مات قبل ذبح الاصل لا بسبب ذبحه او لم ينفخ فيه الروح وغرة الجنين تجب ولعل الروح لم ينفخ
فيه او كان قد مات قبل الجناية بسبب آخر ولكن يبنى على الاسباب الظاهرة فان الاحتمال الآخر اذا لم يستند الى دلالة تدل
عليه التحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه فكذلك هذا واما قوله صلى الله عليه وسلم اخاف ان يكون انما امسك على نفسه فللشافعي
في هذه الصورة قولان والذي نختاره الحكم بالتحريم لان السبب قد تعارض اذ الكلب المعلم كالآلة والوكيل يمسك على صاحبه
فيحل ولو استرسل المعلم بنفسه فاخذ لم يحل لانه يتصور منه ان يصطاد لنفسه ومهما انبعث باشارته ثم اكل دل ابتداؤه وانتهاؤه
على انه نازل منزلة الآلة وانه يسعى في وكالة ونيابة ودل الاكل آخرا على انه امسك لنفسه لا لصاحبه فقد تعارض السبب الدال
فتعارض الاحتمال والاصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك وهو كما لو وكل رجلا بان يشتري له جارية ومات قبل
ان تبين انه اشتراها لنفسه او لموكله لم يحل للموكل وطؤها لان للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعا ولا دليل يرجح و
الاصل التحريم وهذا يلتحق بالقسم الاول لا بالقسم الثالث **الرابع** ان يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان
محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا فيرفع الاستصحاب ونقضي بالتحريم اذ بان لنا ان الاستصحاب ضعيف ولا يبقى
له حكم مع غالب الظن ومثاله ان يؤدي اجتهاده الى نجاسة احد الانائين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب
تحريم الشرب منه كما اوجب منع الوضوء به وكذا اذا قيل ان قتل زيد عمرا او قتل زيد صيدا منفردا بقتله فامرأتي طالق
فجرحه وغاب فوجد ميتا حرمت زوجته لان الظاهر انه منفرد به كما سبق وقد نص الشافعي ان من وجد في الغدران ماء
متغيرا احتمل ان يكون بطول المكث او بالنجاسة فيستعمله ولو رأى ظبية بالت فيه ثم وجده متغيرا واحتمل ان يكون بالبول
وبطول المكث لم يجز استعماله اذ صار البول المشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ما ذكرناه وهذا في
غلبة ظن استند الى علامة متعلقة بعين الشيء فاما غلبة الظن لا من جهة علامة تتعلق بعين الشيء فقد اختلف قول
الشافعي في ان اصل الحل هل يزال به اذ اختلف قوله في التوضي في اواني المشركين ومدمني الخمر والصلاة في المقابر المنبوشة
والصلاة مع طين الشوارع اعني المقدار الزائد على ما يتعذر الاحتراز عنه وعبر الاصحاب عنه بانه اذا تعارض الاصل و
الغالب فايهما يعتبر وهذا جار في حل الشرب من اواني مدمني الخمر والمشركين لان النجس لا يحل شربه فاذن مأخذ النجاسة والحل
واحد والتردد في احدهما يوجب التردد في الآخر والذي نختاره ان الاصل هو المعتبر وان العلامة اذا لم تتعلق
بعين المتناول لم توجب رفع الاصل وسيأتي بيان ذلك وبرهانه في المثار الثاني للشبهة وهي شبهة الخلط فقد اتضح
من هذا حكم حلال شك في طريان المحرم عليه او ظن وحكم حرام شك في طريان محلل عليه او ظن وبان فرق بين ظن
يستند الى علامة في عين الشيء وبين ما لا يستند اليه وكل ما حكمنا في هذه الاقسام الاربعة بحله فهو حلال في الدرجة
الاولى والاحتياط تركه فالمقدم عليه لا يكون من زمرة المتقين والصالحين بل من زمرة العدول الذين لا يقضي
في فتوى الشرع بفسقه وعصيانه واستحقاقه العقوبة الا ما الحقناه برتبة الوسواس فان الاحتراز منه ليس من الورع
اصلا المثار الثاني للشبهة شك منشأه الاختلاط وذلك بان يختلط الحرام بالحلال ويشتبه الامر فلا يتميز والخلط لا
يخلو اما ان يقع بعدد لا يحصر من الجانبين او من احدهما او بعدد محصور فان اختلط بمحصور فلا يخلو اما ان يكون
اختلاطا امتزاج بحيث لا يتميز بالاشارة كاختلاط المائعات او يكون اختلاط استبهام مع التميز للاعيان كاختلاط

الاحد والدود والافراس والذي يختلط بالاستبهام فلا يخلوا اما ان يكون مما تقصد عينه كالعروض او لا يقصد
كالنقود ويخرج من هذا القسم سبعة اقسام القسم الاول ان يستبهم العين بعدد محصور كما لو اختلطت الميتة بذكية
او بعشر ذكيات او يختلط رضيعة بعشر نسوة او يتزوج احدى الاختين ثم يلتبس فهذه شبهة يجب اجتنابها
بالاجماع لانه لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا واذا اختلط بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد و تقابل
فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق في هذا بين ان يثبت حل فيطرا الاختلاط بمحرم كما لو وقع الطلاق على احدى زوجتيه في
مسئلة الطائر او يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلط رضيعة باجنبية فاراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل في طريان
التحريم كطلاق احدى الزوجين لما سبق من الاستصحاب وقد نبهنا على وجه الجواب وهو ان يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف
الاستصحاب وجانب الحظر اغلب في نظر الشرع فلذلك يرجح وهذا اذا اختلط حلال محصور بحرام محصور فلا يخفى
ان وجوب الاجتناب اولى القسم الثاني حرام محصور اختلط بحلال غير محصور كما لو اختلطت رضيعة او عشر رضايع بنسوة
بلد فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح اهل البلد بل له ان ينكح من شاء منهن وهذا لا يجوز ان يعلل بكثرة الحرام اذ يلزم عليه
ان يجوز النكاح اذا اختلطت واحدة حرام بتسعة حلال ولا قابل به بل العلة الغلبة والحاجة جميعا اذ كل من ضاع
له رضيع او قريب او محرم بمصاهرة او سبب من الاسباب لا يمكن ان يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم ان مال
الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك الشرى والاكل فان ذلك حرج وما في الدين من حرج ويعلم هذا بانه لما سرق
في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن وغل واحد في الغنيمة عباءة لم يمتنع احد من شرى المجن والعباءة في الدنيا
وكذلك كل ما سرق وكذلك كان يعرف في الناس من يربي في الدراهم والدنانير وما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم و
لا الناس الدراهم بالكلية وبالجملة انما تنفك الدنيا عن الحرام اذا عصم الخلق كلهم عن المعاصي وهو محال واذا لم يشترط
هذا في الدنيا لم يشترط في بلد الا اذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع الموسوسين اذ لم ينقل ذلك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من الصحابة ولا يتصور الوفاء في ملة من الملل ولا في عصر من الاعصار
فان قلت فكل عدد محصور في علم الله تعالى فما حد المحصور ولو اراد الانسان ان يحصر اهل بلد لقدر عليه ايضا ان تمكن منه
فاعلم ان تحديد امثال هذه الامور غير ممكن وانما يضبط بالتقريب فنقول كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لعسر على
الناظر عدهم بمجرد النظر كالالف والالفين فهو غير محصور وما سهل كالعشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين
اوساط متشابهة تلحق باحد الطرفين بالظن وما وقع الشك فيه استفتي فيه القلب فان الاثم حواز القلوب وفي مثل
هذا المقام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك وافتوك وكذلك الاقسام الاربعة
التي ذكرناها في المثار الاول يقع فيها اطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات واوساط متشابهة فالمفتي يفتي بالظن و
على المستفتي ان يستفتي قلبه فان حاك في صدره شيء فهو الاثم بينه وبين الله تعالى فلا ينجيه في الاخرة فتوى المفتي فانه
يفتي بالظاهر والله يتولى السرائر القسم الثالث ان يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الاموال في زماننا هذا فالذي
الاحكام من الصور فلا تظن ان نسبة غير المحصور الى غير المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فليحكم هنا والذي نختاره خلاف ذلك
وهو انه لا يحرم بهذا الاختلاط ان يتناول شيئا بعينه احتمل انه حرام وانه حلال الا ان يقترن بتلك العين علامة تدل على انه
من الحرام فان لم يكن في العين علامة فتركه ورع واخذه حلال لا يفسق به اكله ومن العلامات ان ياخذه من يد سلطان ظالم الى غير
ذلك من العلامات التي سياتي ذكرها ويدل عليه الاثر والقياس اما الاثر فما علم في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء
الراشدين بعده اذ كانت اثمان الخمور ودراهم الربا من ايدي اهل الذمة مختلطة بالاموال وكذا غلول الغنيمة ومن الوقت الذي
نهى صلى الله عليه وسلم عن الربا وقال اول ربا اضعه ربا العباس ما ترك الناس الربا بجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمر وسائر المعاصي
حتى روي ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه لعن الله فلانا هو اول من باع الخمر اذ لم يكن قد

فهموا ان تحريم الخمر تحريم لثمنها وقال صلى الله عليه وسلم ان فلانا يجر في النار عباءة قد غلها وقتل رجل ففتش
متاعه فوجد فيه خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين قد غلها وكذلك ادرك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الائمة الظلمة ولم يمتنع احد منهم عن الشرى في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهبها اصحاب يزيد ثلاثة ايام وكان
يمتنع من تلك الاموال مشار اليه في الورع والاكثرون لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الاموال المنهوبة في ايام
الظلمة ومن اوجب ما لم يوجبه السلف الصالحون وزعم انه تفطن من الشرع لما لم يتفطنوا له فهو موسوس
مختل العقل ولو جاز ان يزاد عليهم في مثل هذا لجاز مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم
ان الجدة كالام في التحريم وابن الابن كالابن وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور في القران والربا جار فيما عدا الاشياء الستة
وذلك محال فانهم اولى بفهم الشرع من غيرهم واما القياس فهو انه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات
وخرب العالم اذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه في شروط الشرع في العقود ويؤدي ذلك لا محالة
الى الاختلاط فان قيل فقد نقلتم انه امتنع من الضب وقال اخشى ان يكون مما مسخه الله وهو في اختلاط غير المحصور
قلنا يحمل ذلك على الورع والتنزه اذ نقول الضب شكل غريب ربما يدل على انه من المسخ فهي دلالة في عين المتناول
فان قيل فهذا معلوم من زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة و
غيرها ولكن كانت هي الاقل بالاضافة الى الحلال فماذا تقول في زماننا وقد صار الحرام اكثر ما في ايدي الناس لفساد المعاملات
واهمال شروطها وكثرة الربا وكثرة السلاطين الظلمة فمن اخذ مالا لم يشهد علامة معينة في عينه للتحريم فهو حرام ام لا
فاقول ليس ذلك حراما بل الورع تركه وهذا الورع اهم من الورع اذا كان قليلا ولكن الجواب عن هذا ان قول القائل اكثر
الاموال حرام في زماننا غلط ومنشاه الغفلة عن الفرق بين الكثير والاكثر فاكثر الناس بل اكثر الفقهاء يظنون ان ما ليس
بنادر فهو الاكثر ويتوهمون انهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الاقسام ثلاثة قليل وهو النادر و
كثير واكثر ومثاله ان الخنثى فيما بين الخلق نادر واذا اضيف اليه المريض كثير وكذا السفر حتى يقال المرض والسفر من
الاعذار العامة والاستحاضة من الاعذار النادرة ومعلوم ان المرض ليس بنادر وليس بالاكثر ايضا بل هو كثير و
الفقيه اذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام اراد به انه ليس بنادر فان لم يرد هذا فهو غلط فالصحيح
والمقيم هو الاكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر فاذا فهم هذا فنقول قول القائل الحرام اكثر باطل لان
مستند هذا القائل اما ان يكون كثرة الظلمة والاجناد او كثرة الربا والمعاملات الفاسدة او كثرة الايدي التي تكررت
من اول الاسلام الى زماننا هذا الى اصول الاموال الموجودة اليه اما المستند الاول فباطل فان الظالم كثير وليس هو بالاكثر
فانهم الجند اذ لا يظلم الا ذو غلبة وشوكة وهم اذا اضيفوا الى كل العالم لم يبلغوا عشر عشيرهم وكل سلطان يجتمع عليه من
الجنود مائة الف مثلا فيملك اقليما يجمع الف الف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددهم على جميع عسكره
ولو كان عدد السلاطين اكثر من عدد الرعايا لهلك الكل اذ كان يجب على كل واحد من الرعية ان يقوم بعشرة منهم مثلا
مع تنعمهم في المعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم يجمع من الف وزيادة وكذا القول في السراق فان البلد الكبير
يشتمل منهم على عدد قليل واما المستند الثاني وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي ايضا كثيرة وليس ذلك بالاكثر
اذ اكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء اكثر والذي يعامل بالربا وغيره فلو عددت معاملاته وحده
لكان عدد الصحيح يزيد منها على الفاسد الا ان يطلب الانسان بوهمه في البلد مخصوصا بالمجانة والخبث وقلة الديانة
حتى يتصور ان يقال معاملته الفاسدة اكثر وشاذ ذلك المخصوص نادر وان كان كثيرا فليس بالاكثر لو كان كل معاملاته
فاسدة كيف ولا يخلو هو ايضا عن معاملة صحيحة تساوي الفاسدة او تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تامله وانما غلب
هذا على النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستبعادها اياه واستعظامها له فان كان نادرا حتى يظن ان الزنا وشرب

الخمر وقد شاع كما شاع الحرام فيتخيل انهم الاكثرون وهو خطأ فانهم الاقلون وان كان فيهم كثرة واما المستند الثالث وهو
اخيلها ان يقال الاموال انما تحصل من المعادن والنبات والحيوان والنبات والحيوان حاصل بالتوالد فاذا نظرنا الى شاة
مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون عدد اصولها الى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولا يخلو هذا
ان يتطرق الى واحد من تلك الاصول غصب او معاملة فاسدة فكيف يقدر ان تسلم اصولها عن تصرف باطل الى زماننا
هذا وكذا الحبوب والفواكه تحتاج الى خمسمائة اصل او الف اصل مثلا الى اول الشرع ولا يكون هذا حلالا ما لم
يكن اصله واصل اصله وكذا الى اول زمان النبوة حلالا واما المعادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهي اقل الاموال
واكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ولا يخرج الا من دار الضرب وهي في ايدي الظلمة بل المعادن في ايدي الظلمة يمنعون
الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالاعمال الشاقة ثم ياخذونها منهم غصبا فاذا نظر الى هذا علم ان بقاء دينار واحد
بحيث لا يتطرق اليه عقد فاسد وظلم وقت النيل او وقت الضرب في دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف والربا
بعيد نادر او محال فلا يبقى اذن حلال الا الصيد والحشيش في الصحارى الموات والحطب المباح ثم من يحصله لا يقدر
على اكله فيفتقر الى ان يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل الا بالاستنبات والتوالد فيكون قد بذل حلالا
في مقابلة حرام فهذا هو اشد الطرق تخيلا والجواب ان هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج
عن النمط الذي نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض الاصل والغالب اذ الاصل في هذه الاموال
قبولها للتصرفات وجواز التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجه عن الصلاح له فيضاهي هذا محل القولين للشافعي
في حكم النجاسات والصحيح عندنا انه يجوز الصلاة في الشوارع اذا لم ير بها نجاسة وان طين الشوارع طاهر وان الوضوء من
اواني المشركين جائز وان الصلاة في المقابر المنبوشة جائزة فنثبت هذا اولا ثم نقيس عليه ما نحن فيه ويدل على ذلك
توضؤ عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية مع ان مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا فكيف تسلم
اوانيهم من ايديهم بل نقول نعلم قطعا انهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تامل احوال
الدباغين والقصارين والصباغين علم ان الغالب عليهم النجاسة وان الطهارة في تلك الثياب محال او نادر بل نقول
نعلم انهم كانوا ياكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونه مع انه يداس بالبقر والدواب وهي تبول عليه وتروث وقل ما يخلص
من ذلك وكانوا يركبون الدواب وهي تعرق وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة
تخرج من بطن امها وعليها رطوبات نجسة قد يزيلها الامطار وقد لا يزيلها وما كانوا يحترزون عن ذلك وكانوا يمشون
حفاة في الطرق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون عليه ويتنزهون منه ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع
كثرة الكلاب وكثرة ابوالها وكثرة الدواب وارواثها ولا ينبغي ان يظن ان الاعصار والامصار تختلف في
مثل هذا حتى يظن ان الشوارع كانت تغسل في عصرهم او كانت تحرس عن الدواب هيهات فذلك معلوم استحالته
بالعادة قطعا فدل على انهم لم يحترزوا الا من نجاسة مشاهدة او علامة على النجاسة دالة على العين فاما
الظن الغالب الذي يستثار من رد الوهم الى مجاري الاحوال فلم يعتبروه وهذا عند الشافعي وهو يرى ان الماء القليل
ينجس من غير تغير اذ لم يزل الصحابة رضي الله عنهم يدخلون الحمامات ويتوضؤن من الحياض وفيها المياه القليلة
والايدي المختلفة تغمس فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض ومهما ثبت جواز التوضي من جرة نصرانية ثبت جواز
الشرب منها والتحق حكم الحل بحكم النجاسة فان قيل لا يجوز قياس الحل على النجاسة اذ كانوا يتوسعون في امور الطهارات
ويتحرزون في شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليه فنقول ان اريد به انهم صلوا مع النجاسة والصلاة معها
معصية وهي عماد الدين فبئس الظن بل يجب ان يعتقد فيهم انهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وانما تسامحوا
حيث لم يجب وكان من محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها الاصل والغالب فبان ان الغالب الذي لا يستند الى علامة

تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح واما تورعهم في الحلال وانه كان بطريق التقوى وهو ترك ما لا باس به مخافة ما به باس
لان امر الاموال مخوف والنفس تميل اليها ان لم تضبط عنها وامر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال
المحض خيفة ان يشغل قلبه وقد حكي عن واحد انه احترز من الوضوء من ماء البحر وهو الطهور المحض فالافتراق في
ذلك لا يقدح في الغرض الذي جمعناه على انا نجري في هذا المستند على الجواب الذي قدمناه في المستندين السابقين
ولا نسلم ما ذكروه من ان الاكثر الحرام لان المال وان كثرت اصوله فليس بواجب ان يكون في اصوله حرام بل الاموال الموجودة
اليوم مما تطرق الظلم الى اصوله بعضها دون بعض وكما ان الذي يغصب اليوم هو الاقل بالاضافة الى ما لا يغصب
ولا يسرق فهكذا كل مال في كل عصر وفي كل اصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول بالفساد في كل زمان بالاضافة
الى غيره اقل ولسنا ندري ان هذا الفرع بعينه من اي القسمين فلا نسلم ان الغالب تحريمه وانه كما يزيد المغصوب بالتوالد
فيزيد غير المغصوب فيكون فرع الاكثر لا محالة اكثر في كل عصر وزمان بل الغالب ان الحبوب المغصوبة للاكل لا للبذر
وكذا الحيوانات المغصوبة اكثرها يؤكل ولا تقتنى للتوالد فكيف يقال ان فرع الحرام اكثر ولم يزل اصول الحلال اكثر
من اصول الحرام وليتفهم المسترشد من هذا طريق معرفة الاكثر فانه مزلة قدم واكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام هذا
في المتوالدات من الحبوب والحيوانات واما المعادن فانها مخلاة يأخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد يأخذ
السلاطين بعضها منهم او يأخذون الاقل لا محالة لا الاكثر ومن حاز من السلاطين معدنا فظلمه بمنع الناس عنه واما
ما يأخذه الآخذ منه فيأخذه من السلطان باجرة والصحيح انه يجوز الاستنابة في اثبات اليد على المباحات والاستيجار عليها
فالمستأجر على الاستقاء اذا حاز الماء دخل في ملك المستقي له واستحق الاجرة فكذا النيل فاذا فرعنا على هذا لم يحرم
عين الذهب الا ان يتقدر ظلمه بنقصان اجرة العمل وذلك قليل بالاضافة الى ما دفع اليه ثم لا يوجب تحريم عين الذهب
بل يكون ظالما ببقاء الاجرة في ذمته واما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من اعيان ذهب السلطان الذي غصبه و
ظلم به الناس بل التجار يحملون اليهم الذهب المسبوك او النقد الردي ويستأجرونهم على السبك والضرب وياخذون مثل
وزن ما سلموه الا شيئا يتركونه اجرة لهم على العمل وذلك جائز وان فرض دنانير مضروبة من ذهب السلطان فهي بالاضافة
الى مال التجارة اقل لا محالة نعم السلطان يظلم اجراء دار الضرب بان ياخذ منهم ضريبة لانه خصصهم بها من بين سائر
الناس حتى يتوفر عليهم مال الحشمة للسلطان فما ياخذه ياخذه عوضا عن حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالاضافة الى ما
يخرج من دار الضرب فلا يسلم لاهل دار الضرب وللسلطان مما يخرج منها من المائة الا واحد وهو عشر العشر فكيف يكون
هو الاكثر فهذه اغاليط سبقت الى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن رق دينهم حتى يقبحوا الورع ويسدوا بابه ويستقبحوا
تمييز من يميز بين مال ومال وذلك عين البدعة والضلال فان قيل فلو قدر غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور
فماذا تقولون فيه اذا لم يكن في العين المتناول علامة خاصة فنقول الذي نراه ان تركه ورع وان اخذه ليس بحرام لان الاصل
الحل ولا يرفع الا بعلامة معينة كما في طين الشوارع ونظائره بل ازيد عليه واقول لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا انه لم يبق
في الدنيا حلال لكنت اقول نستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف ونقول ما جاوز حده انعكس الى ضده
فمهما حرم الكل حل الكل وبرهانه اذا وقعت هذه الواقعة فالاحتمالات خمسة احدها ان يقال يدع الناس الاكل حتى
يموتوا من عند آخرهم الثاني ان يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمق يزجون عليها اياما الى الموت الثالث ان يقال
يتناولون قدر الحاجة كيف شاؤا سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة الرابع ان يتبعوا شروط
الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار على الحاجة الخامس ان يقتصروا مع شروط الشرع على قدر الحاجة اما الاول فلا
يخفى بطلانه واما الثاني فباطل قطعا لانه اذا اقتصر الناس على سد الرمق وزجوا اوقاتهم مع الضعف فشا فيهم الموتان و
بطلت الاعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية وفي خراب الدنيا خراب الدين لانها مزرعة الآخرة واحكام الخلافة والقضاء

والسياسات بل اكثر احكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم بها مصالح الاخرة الدين واما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير الزيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالغصب والسرقة والتراضي وكيف ما اتفق فهو رفع لحد الشرع بين المفسدين وبين انواع الفساد فيمتد الايدي بالغصب والسرقة وانواع الظلم ولا يمكن زجرهم عنه اذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عنا فانه حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدر الحاجة فقط فان كان هو محتاجا فانا ايضا محتاجون وان كان في حقي زائدا على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجة يومه واذا لم يراع حاجة اليوم او السنة فما الذي يراعى فكيف يضبط وهذا يؤدي الى بطلان سياسة الشرع واغراء اهل الفساد بالفساد فلا يبقى الا الاحتمال الرابع وهو ان يقال كل ذي يد على ما في يده هو اولى به ولا يجوز ان يؤخذ منه سرقة ولا غصبا بل يؤخذ برضاه والتراضي هو طريق الشرع واذا لم يجز الا بالتراضي فللتراضي ايضا منهاج في الشرع تتعلق به المصالح فلم يعتبر اصل التراضي وتعطل تفصيله واما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من اصحاب الايدي فهو الذي نراه لائقا بمن يريد سلوك طريق الاخرة ولكن لا وجه لايجابه على الكافة وادخاله في فتوى العامة لان ايدي الظلمة تمتد الى الزيادة على قدر الحاجة في ايدي الناس وكذا ايدي السراق وكل من غلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول لا حق له الا في قدر الحاجة وانا محتاج فلا يبقى الا ان يجب على السلطان ان يخرج كل زيادة على الحاجة من ايدي الملاك ويستوعب بها اهل الحاجة ويدر على الكل الاموال يوما فيوما او سنة فسنة وفيه تكليف شطط وتضييع اموال اما التكليف الشطط فهو ان السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك اصلا واما التضييع فهو ان ما فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي ان يلقى في البحر او يترك حتى يتعفن فان الذي خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفههم فكيف على قدر حاجاتهم ثم يؤدي ذلك الى سقوط الحج والزكوة والكفارة المالية وكل عبادة نيطت بالغنى عن الناس اذا اصبح الناس لا يملكون الا قدر حاجاتهم وهو في غاية القبح بل اقول لو ورد نبي في هذا الزمان نصر بالحق لوجب عليه ان يستانف الامر ويمهد تفصيل اسباب الاملاك بالتراضي وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الاموال حلالا من غير فرق واعني بقولي يجب عليه اذا كان النبي ممن بعث لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم اذ لا يتم الصلاح برد الكافة الى قدر الضرورة والحاجة اليه فان لم يبعث للصلاح لم يجب هذا ونحن نجوز ان يقدر الله سببا يهلك به الخلق عن اخرهم فيفوت دنياهم ويضلون في دينهم فانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويميت من يشاء ويحيي من يشاء ولكنا نفرض الامر على المألوف من سنة الله تعالى في بعثة الانبياء لصلاح الدين والدنيا وما لي اقدر هذا وقد كان ما اقدره فلقد بعث نبينا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وكان شرع عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام قد مضى عليه قريب من ستمائة سنة والناس منقسمون الى مكذبين له من اليهود وعبدة الاوثان والى مصدقين له قد شاع الفسق فيهم كما شاع في زماننا الان والكفار مخاطبون بفروع الشريعة وكانت الاموال في ايدي الظالمين المكذبين له والمصدقين اما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام واما المصدقون فتساهلوا مع اصل التصديق كما تتساهل الان المسلمون مع ان العهد بالنبوة اقرب فكانت الاموال كلها او اكثرها او كثير منها حراما وعفا صلى الله عليه وسلم عما سلف ولم يتعرض له وخصص اصحاب الايدي بالاموال ومهد الشرع وما ثبت تحريمه في شرع لا ينقلب حلالا لبعثة رسول ولا ينقلب حلالا بان يسلم الذي في يده الحرام فانا لا ناخذ في الجزية من اهل الذمة ما نعرف بعينه من ثمن خمر او مال ربا وقد كانت اموالهم في ذلك الزمان كاموالنا الان وامر العرب اشد لعموم النهب والغارة فيهم فبان ان الاحتمال الرابع متعين في الفتوى والاحتمال الخامس طريق الورع بل تمام الورع الاقتصار في المباح على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا بالكلية وذلك طريق الاخرة ونحن الان نتكلم في

الفقه المنوط بصلاح الخلق وفتوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين لا يقدر على سلوكه الا الاحاد ولو اشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فان ذلك طلب ملك كبير في الاخرة ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف والصناعات الدنية بطل النظام ثم يبطل ببطلانه الملك ايضا فالمحترفون انما سخروا لينتظم الملك للملوك وكذلك المقبلون على الدنيا سخروا ليسلم طريق الاخرة لذوي الدين وهو ملك الاخرة ولولاه لما سلم لذوي الدين ايضا دينهم فشرط سلامة الدين لهم ان يعرض الاكثرون عن طريقهم ويشتغلون بامور الدنيا وتلك قسمة سبقت بها المشية الازلية واليه الاشارة بقوله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فان قيل لا حاجة الى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال فان ذلك غير واقع وهو معلوم ولا شك في ان البعض حرام وذلك البعض هو الاقل او الاكثر فيه نظر وما ذكرتموه من انه الاقل بالاضافة الى الكل جلي ولكن لا بد من دليل محصل على تجويزه وليس من المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات كانها مصالح مرسلة فلا بد لها من شاهد معين يقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فان بعض العلماء لا يقبل المصالح المرسلة فاقول ان سلم ان الحرام هو الاقل فيكفينا برهانا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة مع وجود الربوا والسرقة والغلول والنهب فان قدر زمان يكون الاكثر هو الحرام فيحل التناول ايضا وبرهانه ثلاثة امور الاول التقسيم الذي حصرناه وابطلنا منه اربعة اقسام واثبتنا القسم الخامس فان ذلك اذا اجري فيما اذا كان الكل حراما احرى فيما اذا كان الحرام هو الاكثر او الاقل وقول القائل هو مصلحة مرسلة هوس فان ذلك انما يتخيل في امور مظنونة وهذا مقطوع به فانا لا نشك ان مصلحة الدين والدنيا مراد للشرع وهو معلوم بالضرورة وليس بمظنون ولا شك في ان رد كافة الناس الى قدر الضرورة او الحاجة او الى الحشيش والصيد مخرب للدنيا اولا وللدين بواسطة الدنيا ثانيا فما لا يشك فيه لا يحتاج الى اصل يشهد له وانما يستشهد على الخيالات المظنونة المتعلقة باحاد الاشخاص البرهان الثاني ان يطلب قياس محرر مردود الى اصل يتفق الفقهاء الانسون بالاقيسة الجزوية عليه وان كانت الجزئيات مستحقرة عند المحققين بالاضافة الى مثل ما ذكرناه من الامر الكلي الذي هو ضرورة النبي لو بعث في زمان عم التحريم حتى لو حكم بغير ذلك لخرب العالم والقياس المحرر الجزوي هو انه قد تعارض اصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة من الامور التي ليست محصورة فيحكم بالاصل لا بالغالب قياسا على طين الشوارع وجرة النصرانية واواني المشركين وذلك قد اثبتناه من قبل بفعل الصحابة وقولنا انقطعت العلامات المعينة احتراز عن الاواني التي يتطرق الاجتهاد اليها وقولنا ليست محصورة احتراز عن التباس الميتة والذكية والاجنبية فان قيل كون الماء طهورا متعين وهو الاصل ومن يسلم ان الاصل في الاموال الحل بل الاصل فيها التحريم فنقول الاموال التي لا تحرم لصفة في عينها حرمة الخمر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول المعاملات بالتراضي كما خلق الماء مستعدا للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منها فلا فرق بين الامرين فانها تخرج عن قبول المعاملات بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه فلا فرق والجواب الثاني ان اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب واقوى منه بدليل ان الشرع الحقه به اذ من ادعى على رجل دينا فالقول قوله اذ الاصل براءة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعى عليه ملكا في يده فالقول ايضا قوله اقامة لليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد انسان فالاصل انه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة البرهان الثالث هو ان ما دل على جنس لا ينحصر ولا يدل على عين لم يعتبر وان كان قطعا فبان لا يعتبر اذا دل بطريق الظن اولى وبيانه ان ما علم انه ملك زيد فحقه يمنع من التصرف فيه بغير اذنه ولو علم ان له مالكا في العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصد لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة ولو دل على ان له مالكا محصورا في عشرة اشخاص مثلا او عشرين امتنع التصرف فالذي يشك في ان له مالكا سوى صاحب اليد ام لا لا يزيد على الذي يتيقن قطعا ان له مالكا ولكن لا يعرف

عنده فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه في الاقسام الخمسة فيكون هذا الاصل شاهدا له وكيف لا وكل ما
ضائع فقد مالكه يصرفه السلطان الى المصالح الفقراء وغيرهم فكيف نعتد تصرفه في ملك الغير ليس ذلك الا
لحكمنا بان المصلحة تقتضي ان ينتقل الملك اليه ويحل له وقضينا بموجب المصلحة فان نقل ذلك يختص بالتصرف
فيه السلطان فنقول والسلطان لم يجز له التصرف في ملك غيره بغير اذنه لا سبب له الا المصلحة وهو انه لو ترك
لضاع فهو مردد بين تضييعه وصرفه الى مهم والصرف الى مهم اصلح من التضييع فرجح عليه والمصلحة فيما نحن فيه ان لا
نحكم بتحريمه ان نحكم بدلالة اليد ونترك على ارباب الايدي اذ انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار على الحاجة يؤدي
الى الضرر الذي ذكرناه وهو ان جهات المصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى من المصلحة ان يبني بذلك المال قنطرة
وتارة يصرفه الى جند الاسلام وتارة الى الفقراء ويدور مع المصلحة كيف ما دارت فكذلك الفتوى في مثل هذا تدور
على المصلحة وقد خرج من هذا ان الخلق غير ماخوذين في اعيان الاموال بظنون لا تستند الى خصوص دلالة في تلك
الاعيان كما لم يواخذ السلطان والفقراء الاخذون منه لعلمهم ان المال له مالك على الجملة لم يتعلق العلم بعين مالك مشار اليه
ولا فرق بين عين المالك وبين عين الاملاك في هذا المعنى فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق الا النظر في امتزاج المائعات
والدراهم والعروض في يد المالك الواحد وسياتي بيانه في باب تفصيل الخروج من المظالم المثار الثالث للشبهة ان يتصل
بالسبب المحلل معصية اما في قرائنه واما في لواحقه واما في سوابقه او في عوضه وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد العقد
وابطال السبب المحلل مثال المعصية في القرائن البيع في وقت النداء يوم الجمعة والذبح بالسكين المغصوب والاحتطاب
بالقدوم المغصوب والبيع على بيع الغير والسوم على السوم وكل نهي ورد في العقود ولم يدل على فساد العقد فان الامتناع
من جميع ذلك ورع وان لم يكن المستفاد بهذه الاسباب محكوما بتحريمه وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح لان الشبهة
في غالب الامر تطلق لارادة الاشتباه والجهل ولا اشتباه ههنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة ايضا
معلوم ولكن قد يشتق الشبهة من المشابهة وتناول الحاصل من هذه الامور مكروه والكراهية تشبه التحريم وان اريد
بالشبهة هذا فتسميته هذا شبهة له وجه والا فينبغي ان يسمى هذه كراهة لا شبهة واذا عرف المعنى فلا مشاحة في الاسامي
فعادة الفقهاء التسامح في الاطلاقات ثم اعلم ان هذه الكراهة لها ثلاث درجات الاولى منها يقرب من الحرام والورع
منه مهم والاخيرة تنتهي الى نوع من المبالغة تكاد تلتحق بورع الموسوسين وبينهما اوساط نازعة الى الطرفين فالكراهة في صيد
كلب مغصوب اشد منها في الذبيحة بسكين مغصوب والمقتنص بسهم مغصوب اذ الكلب له اختيار وقد اختلف في ان
الحاصل به لمالك الكلب او للصياد ويليه البذر المزروع في ارض مغصوبة فان الزرع لمالك البذر ولكن فيه شبهة ولو
اثبتنا حق الحبس لمالك الارض في الزرع لكان كالثمن الحرام ولكن الاقيس ان لا يثبت حق حبس كما لو طحن بطاحونة
مغصوبة واصطاد بشبكة مغصوبة اذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منفعتها بالصيد ويليه الاحتطاب بالقدوم
المغصوب ثم ذبح ملك نفسه بالسكين المغصوب اذ لم يذهب احد الى تحريم الذبيحة ويليه البيع في وقت النداء فانه
ضعيف التعلق بمقصود العقد وان ذهب قوم الى فساد العقد اذ ليس فيه الا انه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه
ولو افسد البيع بمثله لافسد بيع كل من عليه زكوة درهم او صلوة فائتة وجوبها على الفور او في ذمته مظلمة دانق فان
الاشتغال بالبيع مانع له بالقيام عن الواجبات فليس للجمعة الا الوجوب بعد النداء وينجر ذلك الى ان لا يصح نكاح اولاد
الظلمة وكل من في ذمته درهم لانه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه الا انه من حيث ورد في يوم الجمعة نهي على
الخصوص ربما يسبق الى الافهام خصوص فيه فيكون الكراهة اشد ولا باس بالحذر منه ولكن قد يجر الى الوسواس
حتى يتحرج عن نكاح بنات ارباب المظالم وسائر معاملاتهم وقد حكي عن بعضهم انه اشترى شيئا فسمع انه اشتراه
يوم الجمعة فرده خيفة ان يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهذا غاية المبالغة في الورع لانه رده بالشك ومثل

هذا الوهم في تقدير المناهي او المفسدات لا ينقطع عن يوم السبت وسائر الايام والورع حسن والمبالغ فيه احسن
ولكن الى حد معلوم فقد قال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون فليحذر من امثال هذه المبالغة فانها وان
كانت لا تضر صاحبها ربما اوهم عند الغير ان مثل ذلك مهم ثم يعجز عما هو ايسر منه فيترك اصل الورع وهو مستند
اكثر الناس في زماننا هذا اذ ضيق عليهم الطريق فايسوا عن القيام به واطرحوه وكما ان الموسوسين في الطهارة
قد يعجز عن الطهارة فيتركها فكذا بعض الموسوسين في الحلال سبق الى اوهامهم ان مال الدنيا كله حرام فتوسعوا
وتركوا التمييز وهو عين الضلال واما مثال اللواحق فهو كل تصرف يفضي في سياقه الى معصية واعلاه بيع العنب من الخمار و
بيع الغلام من المعروف بالفجور بالغلمان وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن الماخوذ
منه والاقيس ان ذلك صحيح والماخوذ حلال والرجل عاص بعقده كما يعصي بالذبح بالسكين المغصوب والذبيحة حلال
فانه يعصي عصيان الاعانة على المعصية ولا يتعلق ذلك بعين العقد فالماخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه
من الورع المهم وليس بحرام ويليه في الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خمارا وبيع السيف ممن يغزو ويظلم ايضا لان
الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خيفة من ان يشتريه ظالم فهذا ورع فوق الاول والكراهة
فيه اخف ويليه ما هو مبالغة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة انه لا يجوز معاملة الفلاحين بالات الحرث لانهم
يستعينون به على الحراثة ولا يبيعون من الطعام لذلك وينتهي هذا الى حد التنطع المنهي عنه وكل متوجه الى شيء على قصد خير
لا بد وان يسرف ان لم يزمه العلم المحقق وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين ليستضر الناس بعده بها وهو يظن انه مشغول
بالخير ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم والمتنطعون هم الذين يخشى عليهم ان يكونوا
ممن قيل فيهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبالجملة لا ينبغي ان يشتغل الانسان
بدقائق الورع الا بحضرة عالم متقن فانه اذا جاوز ما رسم له وتصرف بذهنه من غير سماع كان ما يفسده اكثر مما يصلحه
وقد روي عن سعد بن ابي وقاص انه احرق كرمة خوفا من ان يباع العنب ممن يتخذه خمرا وهذا لا اعرف له وجها ان لم
يعرف هو سببا خاصا يوجب الاحراق اذ ما احرق نخيله وكرمه من كان ارفع قدرا من الصحابة ولو جاز هذا
لجاز قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب الى غير ذلك من الاتلافات واما المقدمات
فلتطرق المعصية اليها ايضا ثلاث درجات الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها ما بقي اثره في المتناول كالاكل
من شاة اعلفت بعلف مغصوب او رعيت في مرعى حرام فان ذلك معصية وقد كان سببا لبقائها وربما يكون الباقي من
لحمها ودمها واجزائها من ذلك العلف وهذا الورع مهم وان لم يكن واجبا ونقل ذلك عن جماعة من السلف كان لابي
عبد الله الطوسي التروغندي شاة يحملها على رقبته كل يوم الى الصحراء ويرعاها وهو يصلي وكان ياكل من لبنها فغفل
عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل اخذها فان قيل فقد روي عن
عبد الله بن عمر وعبيد الله رضي الله عنهما انهما اشتريا ابلا فبعثاها الى الحمى فرعتها ابلهما حتى سمنت فقال
عمر رعيتها في الحمى فشاطرهما وهذا يدل على انه راى اللحم الحاصل من العلف لصاحب العلف فليوجب هذا تحريما قلنا
ليس كذلك فان العلف يفسد بالاكل واللحم خلق جديد وليس عين العلف فلا شركة لصاحب العلف شرعا ولكن عمر
غرمهما قيمة الكلاء وراى ذلك مثل شطر الابل واخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن ابي وقاص ماله لما قدم
من الكوفة وكذلك شاطر ابا هريرة اذ راى ان كل ذلك لا يستحقه العامل وراى شطر ذلك كافيا على حق عمله وقدره
بالشطر اجتهادا والرتبة الوسطى ما نقل عن بشر من امتناعه عن ماء يساق من نهر الظلمة لان النهر يوصل اليه وقد عصى الله
بحفره وامتناع اخر عن عنب كرم يسقى بماء جار في نهر حفر ظلما وهو ارفع منه وابلغ في الورع وامتناع اخر من الشرب
من مصانع السلاطين في الطرق واعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال اوصل اليه على يد سجان وقال انه

جاء في على طوق ظالم ودرجات هذه الرتب لا تنحصر الرتبة الثالثة وهي قريب من الوسواس والمبالغات تمتنع من
حلال وصل على يد رجل عصى الله تعالى بالزنا او القذف وليس هذا كما لو عصى باكل الحرام فان الموصل قوته الحاصلة
من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوة تستعان بها على الحمل بل الامتناع من اخذ حلال وصل على يد كافر وسواس
بخلاف اكل الحرام اذ الكفر لا يتعلق بحمل الطعام وينجر هذا الى ان لا يوخذ من يد من عصى الله ولو بغيبة او كذبة و
هو غاية التنطع والاسراف فليضبط ما عرف من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب الموصل كالنهر وقوة اليد
المستفادة بالغذاء الحرام ولو امتنع عن الشرب من كوز لان الفخار الذي عمل الكوز كان قد عصى الله يوما بضرب
انسان او شتمه لكان هذا وسواسا ولو امتنع من لحم شاة ساقها آكل حرام فهذا ابعد من السجان لان الطعام تسوقه
قوة السجان والشاة تمشي بنفسها والسائق يمنعها من العدول عن الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف
تدرجنا في بيان ما يتداعى اليه هذه الامور واعلم ان كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فان فتوى الفقيه يختص
بالدرجة الاولى التي يمكن تكليف كافة الخلق بها ولو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم دون ما عداه من ورع المتقين و
الصالحين والفتوى في هذا ما قاله صلى الله عليه وسلم لوابصة اذ قال استفت قلبك وان افتوك وافتوك وعرف ذلك اذ
قال الاثم حواز القلوب وكل ما حاك في صدر المريد من هذه الاسباب فلو اقدم عليه مع حزازة القلب استضر به و
اظلم قلبه بقدر الحزازة التي يجدها بل لو اقدم على حرام في علم الله وهو يظن انه حلال لم يؤثر ذلك في قساوة قلبه ولو اقدم على ما
هو حلال في فتوى علماء الظاهر ولكن يجد حزازة في قلبه فذلك يضره وانما الذي ذكرناه في النهي عن المبالغة اردنا به ان القلب
الصافي المعتدل هو الذي لا يجد حزازة في مثل تلك الامور فان مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فاقدم مع
ما يجده في قلبه فذلك يضره لانه ماخوذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه وكذلك يشدد على الموسوسين في
الطهارة ونية الصلاة فانه اذا غلب على قلبه ان الماء لم يصل الى جميع اجزاء عضو الطهارة بثلاث مرات لغلبة الوسوسة
عليه فيجب ان يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما في حقه وان كان مخطئا في نفسه واولئك قوم شددوا فشدد الله عليهم و
لذلك شدد على اصحاب موسى لما استقصوا السؤال عن البقرة ولو اخذوا اولا بعموم لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم
لاجزاهم فلا تغفل عن هذه الدقائق التي رددناها نفيا واثباتا فان من لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه
يوشك ان يزل في درك مقاصده واما المعصية في العوض فلها ايضا درجات العليا التي تشتد الكراهية فيها ان يشتري
شيئا في الذمة ويقضي ثمنه من غصب او مال حرام فينظر فان سلم البائع اليه الطعام قبل قبض الثمن بطيبة قلب فاكله
قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالاجماع اعني قبل قضاء الثمن ولا هو ايضا من الورع المؤكد فان قضى
الثمن بعد الاكل من الحرام فكانه لم يقض الثمن ولو لم يقض الثمن اصلا كان متقلدا للمظلمة بترك ذمته مرتهنة بالدين و
لا ينقلب ذلك حراما فان قضى الثمن من الحرام وابراه البائع مع العلم بانه حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه الا مظلمة
تصرفه في الدراهم الحرام بصرفها الى البائع وان ابراه على ظن ان الثمن حلال فلا تحصل البراءة لانه يبرئه عما اخذه
ابراء استيفاء ولا يصلح ذلك للايفاء فهذا حكم المشتري والاكل منه وحكم الذمة وان لم يسلم اليه بطيبة قلبه ولكن اخذه
فاكله حرام سواء اكله قبل توفية الثمن من الحرام او بعده لان الذي يرى الفتوى به ثبوت حق الحبس للبائع حتى يتعين ملكه
باقباض النقد كما تعين ملك المشتري وانما يبطل حق حبسه اما بالابراء او الاستيفاء ولم يجر شيء منهما ولكنه اكل ملك
نفسه وهو عاص به عصيان الراهن للطعام اذا اكله بغير اذن المرتهن وبينه وبين اكل طعام الغير فرق ولكن اصل
التحريم شامل هذا كله اذا قبض قبل توفية الثمن اما بطيبة قلب البائع او من غير طيبة قلبه فاما اذا وفى الثمن الحرام اولا ثم قبض
وان كان البائع عالما بان الثمن حرام ومع هذا اقبض المبيع بطل حقه من الحبس وبقي له الثمن في ذمته اذ ما اخذه ليس
بثمن ولا يصير اكل المبيع حراما بسبب بقاء الثمن فاما اذا لم يعلم انه حرام وكان بحيث لو علم لما رضي به ولا اقبض المبيع فحق

حبسه لا يبطل بهذا التلبيس فاكله حرام تحريم اكل المرهون الى ان يبرئه او يوفي من حلال او يرضى هو بالحرام و
يبرئ فيصح ابراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الاولى من الحل والحرمة فاما
الامتناع عنه فمن الورع المهم لان المعصية اذا تمكنت من السبب الموصل الى الشيء تشتد الكراهية فيه كما سبق واقوى
الاسباب الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضي البائع بتسليمه اليه فرضاه به لا يخرجه عن كونه مكروها كراهية شديدة
ولكن العدالة لا تنخرم به ويزول به درجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان ثوبا او ارضا في الذمة وقبضه
برضى البائع قبل توفية الثمن وسلمه الى فقيه او غيره صلة او خلعة وهو شاك في انه سيقضي ثمنه من الحلال او الحرام فهذا
اخف اذ وقع الشك في تطرق الثمن الى المعصية وتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقلته في مال ذلك السلطان
وما يغلب على الظن فيه وبعضه اشد من بعض والرجوع فيه الى ما ينقدح في القلب الرتبة الوسطى ان لا يكون العوض غصبا
وحراما ولكن يهيج المعصية كما لو سلم عوضا عن الثمن عنبا والآخذ شارب خمر او سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب
تحريما في مبيع اشتراه في الذمة ولكن يقتضي فيه كراهية دون الكراهة التي في الغصب وتتفاوت درجات هذه الرتبة
ايضا بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن وندورها ومهما كان العوض حراما فبذله حرام وان احتمل تحريمه ولكن جاز
بظن فبذله مكروه وعليه ينزل عندي النهي عن كسب الحجام وكراهته اذ نهى صلى الله عليه وسلم عنه مرات ثم امر بان يعلف
الناضح وما يسبق الى الوهم من ان سببه مباشرة النجاسة والقذر فهو فاسد لانه يجب طرده في الدباغ والكناس ولا قائل به وان قيل
به فلا يمكن طرده في القصاب اذ كيف يكون كسبه مكروها وهو بدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه ومخامرة القصاب
للنجاسة اكثر من الحجام والفصاد فان الحجام ياخذ الدم بالمحجمة ويمسح بالقطنة ولكن السبب ان الحجامة والفصد اخراج
هي تخريب لبنية الحيوان واخراج لدمه وبه قوام حياته والاصل فيه التحريم وانما يحل بضرورة وتعلم الحاجة والضرورة
بحدس واجتهاد وربما يظن نافعا ويكون ضارا فيكون حراما عند الله ولكن يحكم بحله بالظن والحدس ولذلك لا
يجوز للفصاد فصد عبد ولا صبي ولا معتوه الا باذن وليه وقول طبيب ولولا انه يحتمل التحريم حلال في الظاهر
لما اعطى صلى الله عليه وسلم اجرة الحجام ولولا انه يحتمل التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين اعطائه ونهيه الا باستنباط
هذا المعنى وهذا كان ينبغي ان نذكره في القرائن المقترنة بالسبب فانه اقرب اليها الرتبة السفلى وهي درجة الوسواس و
ذلك في ان يحلف انسان على ان لا يلبس غزل امه فباع غزلها واشترى به ثوبا فهذا لا كراهة فيه والورع عنه وسوسة
وروي عن المغيرة انه قال في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد بان النبي صلى الله عليه وسلم لعن اليهود اذ حرمت عليهم الخمور
فباعوها وهذا غلط لان بيع الخمر باطل اذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع وثمن البيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل
مثال هذا ان يملك الرجل جارية هي اخته من الرضاع فباعها بجارية اجنبية فليس لاحد ان يتورع عنه ويشبه ذلك ببيع الخمر
فهذا غاية الرتبة في هذا الطرف وقد عرفت جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها وان كان تفاوت هذه الدرجات لا
ينحصر في ثلاث واربع ولا في عدد ولكن المقصود من التعديد التقريب والتفهيم فان قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم
من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم تقبل صلاته ما دام عليه ثم ادخل ابن عمر رضي الله عنهما اصبعيه في اذنيه وقال
صمتا ان لم اكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها لا في الذمة واذا
اشترى في الذمة فقد حكمنا بالتحريم في اكثر الصور فليحمل عليها ثم كم من ملك توعد عليه بمنع القبول لمعصية تطرق الى سببه
وان لم يدل ذلك على فساد كالمشتري في وقت النداء وغيره المثار الرابع الاختلاف في الادلة فان ذلك كالاختلاف
في السبب لان السبب سبب لحكم الحل والحرمة والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في معرفة الغير فلا
فائدة لثبوته في نفسه وان جرى سببه في علم الله وهو اما ان يكون لتعارض ادلة الشرع او لتعارض العلامات الدالة او
لتعارض التشابه القسم الاول ان تتعارض ادلة الشرع مثل تعارض عمومين من القرآن او السنة او تعارض قياسين او

تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه الى الاستصحاب والاصل المعلوم قبله ان لم يكن ترجيح فان ظهر ترجيح في جانب الحظر وجب الاخذ به وان ظهر في جانب الحل جاز الاخذ به ولكن الورع تركه فان اتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق المفتي والمقلد وان كان المقلد يجوز له ان ياخذ بما افتى له مقلده الذي يظن انه افضل العلماء في بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف افضل اطباء البلد بالتسامع والقرائن وان كان لا يحسن الطب وليس للمستفتي ان ينتقد من المذاهب اوسعها عليه بل عليه ان يبحث حتى يغلب على ظنه الافضل ثم يتبعه فلا يخالفه اصلا نعم ان افتى له امامه بشيء ولامامه فيه مخالف فالفرار من الخلاف الى الاجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد اذا تعارضت عنده الادلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان المفتون يفتون بحل اشياء لا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها ولنقسم هذا ايضا على ثلاث مراتب المرتبة الاولى ما يتأكد الاستحباب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب الاخر عليه فمن المهمات التورع من فريسة الكلب المعلم اذا اكل وان افتى المفتي بانه حلال لان الترجيح فيه غامض وقد اخترنا ان ذلك حرام فهو اقيس قولي الشافعي ومهما وجد للشافعي قول جديد موافق لمذهب ابي حنيفة او غيره من الائمة كان الورع مهما وان افتى المفتي بالقول الاخر ومن ذلك الورع عن متروك التسمية وان لم يختلف فيه قول الشافعي لان الاية ظاهرة في ايجابها والاخبار متواترة فيها فانه صلى الله عليه وسلم قال لكل من سأله عن الصيد اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله فكل ونقل ذلك على التكرار وقد شهر الذبح بالتسمية وكل ذلك يقوي دليل الاشتراط ولكن لما صح قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن يذبح على اسم الله سمى او لم يسم واحتمل ان يكون هذا عاما موجبا لصرف الاية وسائر الاخبار عن ظواهرها واحتمل ان يخصص هذا بالناسي ويترك الظواهر ولا تأول وكان حمله على الناسي ممكنا تمهيدا لعذره في ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه وتأويل الاية ممكنا امكانا اقرب رجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال المقابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقع في الدرجة الاولى الثانية وهي مناخمة لدرجة الوسواس ان يتورع الانسان عن اكل الجنين الذي يصادف في بطن الحيوان المذبوح وعن الضب وقد صح في الصحاح من الاخبار حديث الجنين ان ذكاته ذكاة امه صحة لا يتطرق احتمال الى متنه ولا ضعف الى سنده وكذلك صح انه اكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نقل ذلك في الصحيحين فالظن بابي حنيفة انه لم تبلغه هذه الاحاديث ولو بلغته لقال بها ان انصف وان لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو خالف وعلم الشيء بخبر الواحد المرتبة الثالثة ان لا يشتهر في المسئلة خلاف اصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فانا اتورع فان النقلة وان كانوا عدولا فالغلط جائز عليهم والكذب لغرض خفي جائز عليهم فان العدل ايضا قد يكذب والوهم جائز عليهم فانه قد يسبق الى سمعهم خلاف ما يقوله القائل وكذا الى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعونه من عدل تسكن نفوسهم اليه فاما اذا تطرق تهمة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الراوي فللتوقف وجه ظاهر وان كان عدلا وخلاف من خالف في اخبار الاحاد غير معتد به وهو كخلاف النظام في اصل الاجماع وقوله انه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع ان يمتنع الانسان من ان ياخذ ميراث الجد ابي الاب ويقول ليس في كتاب الله ذكر الا البنين والحاق ابن الابن بالابن من اجماع الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز وقد خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى الى ان يترك ما علم بعمومات القران اذ من المتكلمين من ذهب الى ان العمومات لا صيغة لها وانما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس فاذن لا طرف من اطراف الشبهات الا وفيه غلو واسراف فليفهم ذلك ومهما اشكل امر من هذه الامور فليستفت فيه القلب وليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وليترك حزاز القلب وحكاك الصدر وذلك يختلف بالاشخاص والوقائع ولكن ينبغي ان يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم الا بالحق فلا ينطوي على

حزازة في مظان الوسواس ولا يخلو عن الحزازة في مظان الكراهة وما اعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد صلى الله عليه وسلم كل احد الى فتوى القلب وانما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرفه من حاله القسم الثاني ان يتعارض

العلامات الدالة على الحل والحرمة فانه قد ينهب نوع من المتاع في وقت ويندر وقوع مثله من غير النهب فيرى مثلا في يد رجل من اهل الصلاح فيدل الصلاح على انه حلال ويدل نوع المتاع وندوره من غير المنهوب على انه حرام فيتعارض الامر وكذلك يخبر عدل بانه حرام واخر بانه حلال او تتعارض شهادة فاسقين او قول صبي وبالغ فان ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب وان لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسياتي تفصيله في باب التعرف والبحث والسؤال القسم الثالث تعارض الاشباه في الصفات التي بها تناط الاحكام مثاله ان يوصي بمال للفقهاء فيعلم ان الفاضل في الفقه داخل فيه وان الذي ابتدأ التعلم منذ يوم او شهر لا يدخل وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها فالمفتي يفتي بحسب الظن والورع الاجتناب وهذا اغمض مثارات الشبهة فان فيها صورا يتحير المفتي فيها تحيرا لازما لا حيلة له فيه اذ يكون المتصف بالصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لا يظهر له ميل الى احدهما وكذلك الصدقات المصروفة الى المحتاجين فان من لا شيء له معلوم انه محتاج ومن له مال كثير معلوم انه غني ويتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار واثاث وثياب وكتب فان قدر الحاجة منه لا يمنع من الصرف اليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وانما تدرك بالتقريب ويتصدى منه النظر في مقدار سعة الدار وابنيتها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها وكذلك في نوع اثاث البيت اذا كان من الصفر لا من الخزف وكذلك في عددها وكذلك في قيمتها وكذلك فيما يحتاج اليه كل يوم وما يحتاج اليه كل سنة كالات الشتاء وما لا يحتاج اليه الا في سنين وشيء من ذلك لا حد له والوجه في مثل هذا ما قاله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وكل ذلك في محل الريب فان توقف المفتي فلا وجه الا التوقف وان افتى المفتي بظن وتخمين فالورع التوقف وهو اهم مواضع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الاقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال اذ فيه طرفان يعلم ان احدهما قاصر وان الاخر زائد وبينهما امور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو الله وليس للبشر وقوف على حدودها فما دون الرطل المكي في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة ارطال زائد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وهذا جار في كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ اذ العرب وسائر اهل اللغات لم يقدروا مسميات اللغات بحدود محدودة ينقطع اطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فانه لا يحتمل ما دونها وما فوقها من الاعداد وسائر الفاظ الحساب والتقديرات فليست الالفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ويتطرق الشك الى اوساط في مقتضياتها تدور بين اطراف متقابلة ويعظم الحاجة الى هذا الفن في الوصايا والاوقاف فالوقف على الصوفية مثلا مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض وكذلك سائر الالفاظ وسنذكر ما يقتضيه لفظ الصوفية على الخصوص ليعلم به طريق التصرف في الالفاظ والا فلا مطمع في استيعابها فهذه شبهات تثور من علامات متعارضة تجاذب الى طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها اذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تغلب على الظن او باستصحاب بموجب قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وبموجب سائر الادلة التي سبق ذكرها فهذه مثارات الشبهات وبعضها اشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الامر اغلظ مثل ان ياخذ طعاما مختلفا فيه عوضا عن عنب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله الحرام وليس هو اكثر ماله ولكنه صار مشتبها به فقد يؤدي ترادف الشبهات الى ان يشتد الامر في اقتحامه فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما اتضح من هذا الشرح اخذ به وما التبس فليجتنب فان الاثم حزاز القلوب وحيث قضينا باستفتاء القلب اردنا به حيث اباح المفتي

اما حيث حرمه فيجب الامتناع ثم لا يعول على كل قلب فرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن الى كل شيء فلا اعتبار بهذين القلبين وانما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الاحوال فهو المحك الذي يمتحن به خفايا الامور وما اعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته وفي الزبور ان الله عز وجل اوحى الى داود على نبينا وعليه الصلوة والسلم قل لبني اسرائيل اني لا انظر الى صلوتكم وصيامكم ولكن انظر الى من شك في شيء فتركه لاجلي فذلك الذي انظر اليه بنصري واباهي به ملائكتي

الباب الثالث في البحث والسؤال

والهجوم والاهمال ومظانهما اعلم ان كل من قدم اليك طعاما او هدية او اردت ان تشتري منه او تتهب فليس لك ان تفتش عنه وتسال وتقول هذا مما لا اتحقق حله فلا اخذه بل افتش عنه وليس لك ايضا ان تترك البحث فتاخذ من كل احد وتاخذ كل مال تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله والقول الشافي فيه هو ان مظنة السؤال مواقع الريبة ومنشا الريبة ومثارها اما امر يتعلق بالمال او يتعلق بصاحب المال المثار الاول احوال المالك وله بالاضافة الى معرفتك ثلاثة احوال ان يكون مجهولا او مشكوكا فيه او معلوما بنوع ظن يستند الى دلالة الحالة الاولى ان يكون مجهولا والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزي الاجناد ولا ما يدل على صلاحه كثياب اهل التصوف والتجارة والعلم وغيره من العلامات فاذا دخلت قرية لا تعرفها فرايت رجلا لا تعرف من حاله شيئا ولا عليه علامة تنسبه الى اهل صلاح او اهل فساد فهو مجهول واذا دخلت بلدة غريبا ودخلت سوقا ووجدت رجلا خبازا او قصابا او غيره ولا علامة تدل على كونه مريبا او خائنا ولا ما يدل على نفيه فهذا مجهول لا ندري حاله ولا نقول انه مشكوك فيه لان الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان واكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدرى وبين ما يشك فيه وقد عرفت بما سبق ان الورع ترك ما لا يدرى قال يوسف بن اسباط منذ ثلاثين سنة ما حاك في قلبي شيء الا تركته وتكلم جماعة في اشد الاعمال فقالوا هو الورع فقال لهم حسان بن ابي سنان ما شيء عندي اسهل من الورع اذا حاك في صدري شيء تركته فهذا شرط الورع وانما نذكر الان حكم الظاهر فنقول حكم هذه الحالة ان المجهول ان قدم اليك طعاما او حمل اليك هدية او اردت ان تشتري من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دلالتان كافيتان في الهجوم على اخذه وليس لك ان تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم المعين وان بعض الظن اثم وهذا المسلم يستحق باسلامه عليك ان لا تسيء الظن به فان اسات الظن به في عينه لانك رايت فسادا من غيره فقد جنيت عليه واثمت به في الحال نقدا من غير شك ولو اخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه انا نعلم ان الصحابة في غزواتهم واسفارهم كانوا ينزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يحترزون من الاسواق وكان الحرام ايضا موجودا في زمانهم وما نقل عنهم سؤال الا عن ريبة اذ كان صلى الله عليه وسلم لا يسال عن كل ما يحمل اليه بل سال في اول قدومه الى المدينة عما يحمل اليه اصدقة او هدية لان قرينة الحال وهو دخول المهاجرين المدينة وهم فقراء تغلب على الظن ان ما يحمل اليهم بطريق الصدقة ثم اسلام المعطي ويده لا يدل على انه ليس بصدقة وهو لا اذ العادة ما جرت بالتصدق بالضيافة ولذلك دعته ام سليم ودعاه الخياط فيما رواه انس بن مالك وقدم اليه طعاما فيه قرع ودعاه الرجل الفارسي فقال صلى الله عليه وسلم انا وعائشة فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم فلا ثم اجابه بعده فذهب وعائشة يتساوقان فقرب اليهما اهالة ولم ينقل السؤال في شيء من ذلك وسال ابو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه لما رابه من امره شيء وسال عمر رضي الله عنه الذي سقاه من ابل الصدقة اذ رابه اذ اعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يالفه كل ليلة وهذه اسباب الريبة فكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا باجابته من غير تفتيش بل لو راى في داره تجملا ومالا كثيرا فليس له ان يقول الحلال عزيز وهذا كثير فمن اين يجتمع هذا من الحلال

بل هذا الشخص بعينه اذا احتمل ان يكون ورث مالا او اكتسبه فهو بعينه يستحق احسان الظن به وازيد على هذا واقول ليس له ان يسال بل ان كان يتورع فلا يدخل جوفه الا ما يدري من اين هو فهو حسن فليتلطف في الترك وان كان لا بد له من اكله فلياكل بغير سؤال اذ السؤال ايذاء وهتك ستر وايحاش وهو حرام بلا شك وان قلت لعله لا يتاذى فاقول لعله يتاذى فانت تسال لتحتمل فان قنعت بلعل فلعل ماله حلال وليس الاثم المحذور في ايذاء مسلم باقل من الاثم في اكل شبهة او حرام والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له ان يسال من غيره من حيث يدري هو به لان الايذاء في ذلك اكثر وان سال من حيث لا يدري هو ففيه اساءة ظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تشبث بالغيبة وان لم يكن صريحا وكل ذلك منهي عنه في اية واحدة قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكم من زاهد جاهل يوحش القلوب في التفتيش ويتكلم بالكلام الخشن المؤذي وانما يحسن الشيطان عنده ذلك طلبا للشهرة باكل الحلال ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم ان يتاذى اشد من خوفه على بطنه ان يدخله ما لا يدري وهو غير مؤاخذ بما لا يدري اذ لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم ان طريق الورع الترك دون التجسس واذا لم يكن بد من الاكل فالورع الاكل واحسان الظن هذا هو المالوف من الصحابة رضي الله عنهم ومن زاد عليهم في الورع فهو ضال مبتدع وليس بمتبع فلن يبلغ احد مد احدهم ولا نصيفه ولو انفق ما في الارض جميعا كيف وقد اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بريرة فقيل انه صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية ولم يسال عن المتصدق عليها وكان المتصدق مجهولا عنده ولم يمتنع الحالة الثانية ان يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة اورثت ريبة فلنذكر صورته ثم حكمه اما الصورة فهو ان يدل على تحريم ما في يده دلالة اما من خلقته او من زيه وثيابه او من فعله وقوله اما الخلقة فبان يكون على خلقة الاتراك واهل البوادي والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وان يكون طويل الشارب وان يكون الشعر مفرقا على راسه على داب اهل الفساد واما الثياب فالقباء والقلنسوة وزي اهل الفساد والظلم من الاجناد وغيرهم واما الفعل والقول فهو ان يشاهد منه الاقدام على ما لا يحل فان ذلك يدل على انه قد يتساهل ايضا في المال وياخذ ما لا يحل فهذه مواضع الريبة فاذا اراد ان يشتري من مثل هذا شيئا او ياخذ منه هدية او يجيبه في ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه الا هذه العلامات فيحتمل ان يقال اليد تدل على الملك وهذه الدلالات ضعيفة فالاقدام جائز والترك من الورع ويحتمل ان يقال ان اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه الدلالة فاورثت ذلك ريبة فالهجوم غير جائز وهو الذي نختاره ونفتي به لقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك فظاهره امر ان كان يحتمل الاستحباب ولقوله صلى الله عليه وسلم الاثم حواز القلوب وهذا له وقع في القلب لا ينكر ولان النبي صلى الله عليه وسلم سال اصدقة او هدية وسال ابو بكر غلامه وسال عمر وكل ذلك كان في موضع الريبة وحمله على الورع وان كان ممكنا ولا يحمل عليه الا بقياس والقياس ليس يشهد لتحليل هذا فان دلالة اليد والاسلام عارضتها هذه الدلالات فاورثت ريبة فاذا تقابلا فالاستحلال لا مستند له وانما لا يترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند الى علامة كما انا وجدنا الماء متغيرا فاحتمل ان يكون بطول المكث وان راينا ظبية بالت فيه ثم احتمل التغير به وبغيره تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فان طول الشوارب ولبس القباء وهيئة الاجناد تدل على الظلم بالمال اما القول والفعل المخالف للشرع ان تعلق بظلم المال فهو ايضا دليل ظاهر كما لو سمعه يامر بالغصب والظلم او يعقد عقد الربا فاما اذا راه وقد شتم غيره في غضبه او اتبع نظره امراة مرت به فهذه دلالة ضعيفة فكم من انسان يتحرج في طلب المال ولا يكتسب الا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن ان يضبط هذا بحد فليستفت العبد في مثل هذا قلبه وازيد فاقول انه ان راه من مجهول فله حكم وان راه ممن عرفه بالورع في الطهارة والصلوة وقراءة القران فله حكم اخر اذ تعارضت الدلالتان بالاضافة الى المال فتساقطتا وعاد الرجل كالمجهول اذ

فجملة ما في يده حرام فذلك ايضا يحتمل ان يكون اقدامه بعد التفتيش واستبانة ان عين ما ياكله من وجه مباح فالا
في هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء المتاخرين مختلفة حتى قال بعضهم لو اعطاني السلطان شيئا لاخذته
وطرد الاباحة فيما اذا كان الاكثر ايضا حراما مهما لم يعرف عين الماخوذ واحتمل ان يكون حلالا واستدل باخذ بعض
السلف جوائز السلاطين فانه اذا كان الحرام هو الاقل واحتمل ان لا يكون موجودا في الحال كان في مسئلة اشتباه
الميتة بالمذكية فهذا مما لا ادري ما اقول فيه وهي من المتشابهات التي يتحير المفتي فيها لانها مترددة بين المشابهة
المحصور وغير المحصور والرضيعة اذا اشتبهت بنسوة قرية فيها عشرة وجب الاجتناب وان كان ببلدة فيها عشرة الاف
لم يجب وبينهما اعداد لو سئلت عنها لكنت لا ادري ما اقول فيها ولقد توقف العلماء في مسائل هي اوضح من هذا اذ
سئل احمد بن حنبل عن رجل رمى صيدا فوقع في ملك غيره ايكون الصيد للرامي او لمالك الارض فقال لا ادري
فروجع فيه مرات فقال لا ادري وكثيرا من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم فلنقطع طمع المفتي عن درك
الحكم في جميع الصور وقد سال ابن المبارك صاحبه في البصرة عن معاملة قوم يعاملون السلاطين فقال ان لم
يعاملوا سوى السلطان فلا تعاملهم وان عاملوا السلطان وغيره فعاملهم وهذا يدل على المسامحة في الاقل ويحتمل
المسامحة في الاكثر ايضا وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة انهم كانوا يهجرون بالكلية معاملة قصاب وخباز وتاجر
لتعاطيه عقدا واحدا فاسدا او لمعاملته السلطان مرة وتقدير ذلك فيه بعد والمسئلة مشكلة في نفسها فان قيل فقد روي
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه رخص فيه وقال خذ ما يعطيك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما ياخذ من الحلال
اكثر من الحرام وسئل ابن مسعود في ذلك فقال السائل ان لي جارا لا اعلمه الا خبيثا يدعونا ونحتاج فنتسلفه فقال
اذا دعاك فاجبه واذا احتجت فاستسلفه فان لك المهنا وعليه الاثم وافتى سلمان بمثل ذلك وقد علل علي بالكثرة وعلل
ابن مسعود بطريق الاشارة بان عليه الاثم لانه يعرفه ولك المهنا اي انت لا تعرفه وروي انه قال رجل لابن مسعود ان لي
جارا ياكل الربا فيدعونا الى الطعام فناتيه فقال نعم وروي ذلك عن ابن مسعود بروايات كثيرة مختلفة واخذ الشافعي و
مالك الجوائز من الخلفاء والسلاطين مع العلم بانه قد خالط مالهم الحرام قلنا ما روي عن علي رضي الله عنه فقد اشتهر من ورعه
ما يدل على خلاف ذلك فانه كان يمتنع من مال بيت المال حتى كان يبيع سيفه ولا يكون له الا قميص واحد في وقت الغسل
لا يجد غيره ولست انكر ان رخصته صريح في الجواز وفعله محتمل للورع ولكنه ان صح ذلك فمال السلطان له حكم اخر فانه بحكم
كثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر وسياتي بيان ذلك وانما كلامنا في احاد الخلق وكذلك فعل الشافعي ومالك تعلق بمال السلطان
وسياتي حكمه وانما كلامنا في احاد الخلق واموالهم قريبة من الحصر واما قول ابن مسعود فقيل انما نقله خوات التيمي وهو ضعيف
الحفظ والمشهور منه ما يدل على توقي الشبهات اذ قال لا يقولن احدكم اخاف وارجو فان الحلال بين والحرام بين وبين
ذلك مشتبهات فدع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال اجتنبوا الحكاكات فيها الاثم فان قيل فلم قلتم اذا كان الاكثر حراما لم
يجز الاخذ مع ان الماخوذ ليس فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص واليد علامة على الملك حتى ان من سرق مال مثل هذا الرجل
قطعت يده والكثرة توجب ظنا مرسلا لا يتعلق بالعين فليكن كغالب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في
الاختلاط بغير محصور اذا كان الاكثر هو الحرام ولا يجوز ان يستدل على هذا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك
الى ما لا يريبك لانه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو انه يسبب لعلامة في عين الملك بدليل الاختلاط القليل بغير
المحصور فان ذلك يوجب ريبة ومع ذلك قطعتم بانه لا يحرم والجواب ان اليد دلالة ضعيفة كالاستصحاب
وانما يؤثر اذا سلم عن معارض قوي فاذا تحققنا الاختلاط وتحققنا ان الحرام المخالط موجود في الحال والمال غير خال
عنه وتحققنا ان الاكثر هو الحرام وذلك في حق شخص معين يقرب ماله من الحصر ظهر وجوب الاعراض عن مقتضى اليد
ان لم يحمل قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك لا يبقى له محمل اذ لا يمكن ان يحمل على اختلاط قليل حلال بغير محصور

ليست احدى الدلالتين تناسب المال على الخصوص فكم من متحرج في المال لا يتحرج في غيره وكم من محسن للصلوة والاذان
والقراءة وياكل من حيث يجد فالحكم في مثل هذه المواقع ما يميل اليه القلب فان هذا امر بينه وبين الله تعالى فلا يبعد ان يناط
بسبب خفي لا يطلع عليه الا هو رب الارباب وهو حكم حزازة القلب ثم لينتبه لدقيقة اخرى وهو ان هذه الدلالة
ينبغي ان يكون بحيث تدل على ان اكثر ماله الحرام بان يكون جنديا او عامل سلطان او نائحة او مغنية فان دل على ان في
ماله حراما قليلا لم يكن السؤال واجبا بل كان السؤال من الورع الحالة الثالثة ان يكون الحال معلوما بنوع خبرة وممارسة
بحيث يوجب ذلك ظنا في حل المال وتحريمه مثل ان يعرف صلاح الرجل وديانته وعدالته في الظاهر وجوز ان يكون الباطن
بخلافه فههنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما في المجهول بل اولى والاقدام ههنا ابعد من الشبهة من الاقدام على طعام المجهول
فان ذلك بعيد عن الورع وان لم يكن حراما واما اكل طعام اهل الصلاح فدأب الانبياء والاولياء قال صلى الله عليه وسلم
لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي فاما اذا علم بالخبرة انه جندي او مغني او مرابي واستغنى عن الاستدلال
عليه بالهيئة والشكل والثياب فههنا السؤال واجب لا محالة كما في موضع الريبة بل اولى **المثار الثاني ما يستند
الشك فيه الى سبب** في المال لا في حال المالك وذلك بان يختلط الحرام بالحلال كما اذا طرح في سوق احمال من طعام غصب
واشتراها اهل السوق فليس يجب على من يشتري في تلك البلدة والسوق ان يسال عما يشتريه الا ان يظهر انه اكثر ما في ايديهم
حرام فعند ذلك يجب السؤال فان لم يكن هو الاكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم بلد والدليل على
انه لا يجب السؤال والتفتيش اذا لم يكن الاغلب الحرام ان الصحابة لم يمتنعوا عن الشراء في الاسواق وفيها دراهم الربا وغلول
الغنيمة وغيرها وكانوا لا يسالون في كل عقد وانما السؤال ينقل عن احدهم نادرا في بعض الاحوال وهي محال الريبة في حق
ذلك الشخص المعين وكذلك كانوا ياخذون الغنائم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين وربما اخذوا اموالهم واحتمل ان يكون
في تلك المغانم شيء مما اخذوه من المسلمين وذلك لا يحل اخذه مجانا بالاتفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعي وعند ابي حنيفة هو
اولى به بالثمن ولم ينقل قط التفتيش عن هذا وكتب عمر رضي الله عنه الى اذربيجان انكم في بلاد تذبح فيها الميتة كثيرا فانظروا
ذكيه من ميته اذن في السؤال وامر به ولم يامر بالسؤال عن الدراهم التي هي اثمانها لان اكثر دراهمهم لم يكن اثمان الجلود وان
كانت ايضا هي تباع واكثر الجلود كان كذلك وكذلك قال ابن مسعود انكم في بلاد اكثر قصابيها المجوس فانظروا الذكي من
الميت فخص بالاكثر الامر بالسؤال ولا يتضح امر هذا الباب الا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها مسئلة
شخص معين خالط ماله الحرام مثل ان يباع على دكان طعام مغصوب او مال منهوب ومثل ان يكون القاضي او الرئيس
او العامل او الفقيه الذي له ادرار على سلطان ظالم له ايضا مال موروث ودهقنة او تجارة او رجل تاجر يعامل بمعاملات
صحيحة ويربي ايضا فان كان الاكثر من ماله حراما لا يجوز الاكل في ضيافته ولا قبول هديته وصدقته الا بعد التفتيش
فان ظهر ان الماخوذ من وجه حلال فذاك والا ترك وان كان الحرام اقل والماخوذ مشتبه فهذا في محل النظر لانه على رتبة
بين الرتبتين اذ قضينا بانه لو اشتبه ذكية بعشر ميتات مثلا وجب اجتناب الكل وهذا يشبهه من وجه من حيث ان مال الرجل
الواحد كالمحصور لا سيما اذا لم يكن كثير المال مثل السلطان ويخالفه من وجه اذ الميتة يعلم وجودها في الحال يقينا والحرام
الذي خالط ماله يحتمل ان يكون قد خرج من يده وليس موجودا في الحال فان كان المال قليلا وعلم قطعا ان الحرام موجود
في الحال فهو مسئلة اختلاط الميتة واحد وان كثر المال واحتمل ان يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا اخف من تلك
واشبه من وجه الاختلاط بغير محصور كما في الاسواق والبلاد ولكنه اغلظ من وجه لاختصاصه بشخص واحد ولا
شك فان الهجوم عليه بعيد من الورع جدا ولكن النظر في كونه فسقا مناقضا للعدالة وهذا من حيث المعنى غامض
لتجاذب الاشتباه ومن حيث النقل غامض لان ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع في مثل هذا وكذا عن السلف يمكن حمله
على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم وما ينقل من الاقدام على الاكل كاكل ابي هريرة طعام معوية مثلا ان قدر
بعض الامراء

اذ كان ذلك موجودا في زمنه وكان لا يبعد وعلى موضع حمل هذا كان هذا في معناه وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره
بغير قياس فان تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحابات ولكثرة تاثير في تحقيق الظن وكذا للحصر و
قلة جميعا حتى قال ابو حنيفة لا يجتهد في الاواني الا اذا كان الطاهر هو الاكثر فاشترط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد
بالعلامة وقوة الكثرة ومن قال ياخذ اي انية اراد بلا اجتهاد بناء على مجرد الاستصحاب فيجوز الشرب ايضا فيلزمه
التجويز ههنا بمجرد علامة اليد ولا يجري ذلك في بول اشتبه بماء اذ لا استصحاب في النجاسة فيه ولا يطرد ايضا في
ميتة اشتبهت بذكية اذ لا استصحاب في الميتة اذ اليد لا تدل على انه غير ميتة ويدل في الطعام المباح على انه ملكه
فههنا اربع متعلقات استصحاب وقلة في المخلوط او كثرة وانحصار او اتساع في المخلوط به وعلامة خاصة في عين
الشيء يتعلق بها الاجتهاد فمن يغفل عن مجموع الاربعة ربما يغلط فيشبه بعض المسائل بما لا يشبهه فحصل مما ذكرنا
ان المخلوط في ملك شخص واحد اما ان يكون الحرام اكثر او اقل وكل واحد اما ان يعلم بيقين او بظن عن علامة او
توهم والسؤال يجب في موضعين وهو ان يكون الحرام اكثر يقينا او ظنا كما لو راى تركيا مجهولا يحتمل ان يكون كل
ماله من غنيمة وان كان الاقل معلوما باليقين فهو محل التوقف ويكاد يشير سير اكثر السلف وضرورة الاحوال
الى الميل الى الرخصة واما الاقسام الثلثة الباقية فالسؤال فيها غير واجب اصلا **مسئلة** اذا حضر طعام انسان
علم انه دخل في يده حرام من ادرار كان قد اخذه او وجه اخر ولا يدري انه بقي الى الان ام لا فله الاكل ولا يلزمه التفتيش
وانما التفتيش من الورع ولو علم انه قد بقي شيء منه ولم يدر انه الاكثر ام الاقل فله ان ياخذ بانه الاقل وقد سبق ان
امر الاقل مشكل وهذا يقرب منه **مسئلة** اذا كان في يد المتولي لسبيل الخيرات من الاوقاف او الوصايا مالان
يستحق هو احدهما ولا يستحق الثاني لانه غير موصوف بتلك الصفة فهل له ان ياخذ ما يسلمه اليه صاحب الوقف ينظر فان
كان تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولي وكان المتولي ظاهر العدالة فله ان ياخذ بغير بحث لان الظن بالمتولي انه لا
يصرف اليه ما يصرفه الا من المال الذي يستحقه وان كان الصفة خفية او كان المتولي ممن عرف من حاله انه يخلط و
لا يبالي كيف يفعل فعليه السؤال اذ ليس ههنا يد ولا استصحاب يعول عليه وهو وزان سؤال رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الصدقة والهدية عند تردده فيها لان اليد لا تقتضي الهدية عن الصدقة ولا الاستصحاب فلا ينجي منه
الا السؤال فان السؤال حيث اسقطناه في المجهول اسقطناه بعلامة اليد والاسلام حتى لو لم يعلم انه مسلم واراد
ان ياكل من يده لحما من ذبيحته واحتمل ان يكون مجوسيا لم يجز له ما لم يعرف انه مسلم اذ اليد لا تدل على الميتة ولا الصورة
تدل على الاسلام الا اذا كان اكثر اهل البلدة مسلمين فيجوز ان يظن بالذي ليس عليه علامة الكفر انه مسلم وان كان
الخطا ممكنا فيه فلا ينبغي ان يلتبس المواضع التي يشهد فيها اليد والحال بالتي لا تشهد **مسئلة** له ان يشتري في البلد شيئا
دارا وان علم انها تشتمل على دور مغصوبة لان ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع وان كان
في سكة عشرة دور مثلا احدها مغصوبة او وقف لم يجز الشراء ما لم يتبين ويجب البحث عنها ومن دخل بلدة
وفيها رباطات تختص بوقفها ارباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة تلك المذاهب فليس له ان يسكن
ايها شاء وياكل من وقفها بغير بحث الا ان ذلك من باب الاختلاط في المحصور فلا بد من التمييز ولا يجوز الهجوم
مع الابهام لان الرباطات والمدارس في البلد لا بد وان يكون محصورة **مسئلة** حيث جعلنا السؤال من الورع
فليس له ان يسال صاحب الطعام والمال اذا لم يامن غضبه ولا يامن قط غضبه وانما اوجبنا السؤال اذا تحقق ان
اكثر ماله الحرام عند ذلك لا يبالي بغضبه مثله اذ يجب ايذاء الظالم باكثر من ذلك والغالب ان مثل هذا لا
يغضب من السؤال نعم ان كان ياخذ من يد وكيله او غلامه او تلميذه او بعض اهله ممن هو تحت رعايته فله ان يسال
مهما استراب لانهم لا يغضبون من سؤاله ولان عليه ان يسال ليعلمهم طريق الحلال ولذلك سال ابو بكر رضي الله عنه غلامه

وسال عمر رضي الله عنه من سقاه من ابل الصدقة وسال ابا هريرة ايضا لما ان قدم عليه بمال كثير فقال ويحك اكل
هذا طيب من حيث انه تعجب من كثرته وكان هو من رعيته لا سيما وقد نفق في حينه السؤال ولذلك قال
علي رضي الله عنه ليس شيء احب الى الله من عدل السلطان الامام ورفقه ولا شيء ابغض اليه من جوره وخرقه
مسئلة قال الحارث المحاسبي رحمه الله لو كان لصديق او اخ وهو يأمن غضبه فلا ينبغي ان يسال لاجل
الورع لانه ربما ان يبدو له ما كان مستورا عنه فيكون قد حمله على هتك الستر ثم يؤدي الى البغضاء وما ذكره
حسن لان السؤال اذا كان من الورع لا من الوجوب فالورع في مثل هذه الامور احترازا عن هتك الستر واثارة
البغضاء اهم ونزيد على هذا فنقول وان رابه منه شيء ايضا لم يساله ويظن به انه يطعم من الطيب ويجتنب الخبيث
فان كان لا يطمئن قلبه اليه فيحترز متلطفا ولا يهتك ستره بالسؤال قال لاني لم ار احدا من العلماء فعله فهذا لما انه
مع ما شهر به من الزهد يدل على مسامحته فيما اذا خالط المال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقق لان
لفظ الريبة يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا توجب التعين فليراع هذه الدقائق في السؤال **مسئلة** ربما
يقول القائل اي فائدة في السؤال ممن بعض ماله حرام ومن يستحل المال ربما يكذب فان وثق بامانته فليثق بديانته في
الحلال فنقول مهما علم اختلاط الحرام بمال انسان وكان له غرض في حضورك ضيافة او قبولك هدية ولا يحصل الثقة
بقوله فلا فائدة في السؤال عنه فينبغي ان يسال من غيره وكذا ان كان بائعا وهو يرغب في البيع لطلب الربح فلا يحصل
الثقة بقوله انه حلال ولا فائدة في السؤال منه وانما يسال من غيره وانما يسال من صاحب اليد اذا لم يكن متهما كما يسال
المتولي عن المال الذي يسلمه انه من اي جهة وكما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية والصدقة فان ذلك لا يؤذي
ولا يتهم القائل فيه وكذلك اذا اتهمه بانه ليس يدري طريق الكسب الحلال فلا يتهم في قوله اذا اخبر عن طريق كسبه و
كذلك يسال عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه فههنا يفيد السؤال فاذا كان صاحب المال متهما فليسال من غيره
فاذا اخبره عدل واحد قبله وان اخبره فاسق يعلم من قرينة حاله انه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله لان هذا
امر بينه وبين الله تعالى والمطلوب ثقة النفس وقد تحصل الثقة بقول فاسق ما لا تحصل بقول عدل في بعض الاحوال
وليس كل من فسق يكذب ولا كل من ترى العدالة في ظاهره يصدق وانما نيطت الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة
الحكم فان البواطن لا يطلع عليها وقد قبل ابو حنيفة شهادة الفاسق وكم من شخص تعرفه وتعرف انه قد يقتحم المعاصي
ثم انه اذا اخبرك بشيء وثقت به وكذلك اذا اخبره صبي مميز عرفه بالتثبت فقد تحصل الثقة بقوله فيحصل
الاعتماد فاما اذا اخبر مجهول لا يدرى من حاله شيء اصلا فهذا ممن جوزنا الاكل من يده لان يده دلالة ظاهرة
على ملكه وربما نقول اسلامه دلالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه نظر ولا يخلو قوله عن اثر ما في النفس حتى لو اجتمع
منهم جماعة افاد ذلك ظنا قويا الا ان اثر الواحد في غاية الضعف فلينظر الى حد تاثيره في القلب فان المفتي هو
القلب في مثل هذا الموضع وللقلب التفاتات الى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فليتامل فيه ويدل
على وجوب الالتفات اليه ما روي عن عقبة بن الحارث انه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني تزوجت امراة
فجاءتنا امة سوداء فزعمت انها قد ارضعتنا فقال دعها فقال انها سوداء تصغر من شانها فقال صلى الله عليه وسلم
كيف وقد زعمت انها قد ارضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك وفي لفظ اخر وقد قيل ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم
تظهر امارة غرض له فيه كان له وقع في القلب لا محالة فلذلك يتاكد الامر بالاحتراز فان اطمان اليه القلب كان
الاحتراز حتما واجبا **مسئلة** حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا قول فاسقين ويجوز
ان يترجح احد الجانبين بالكثرة او بالاختصاص بالخبرة والمعرفة وذلك مما يتشعب تصويره **مسئلة** لو
نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع متاعا في يد انسان فاراد ان يشتريه واحتمل ان لا يكون من المغصوب فان

كان ذلك الشخص ممن عرف بالصلاح جاز الشراء وكان تركه من الورع وان كان الرجل مبهما ولا يعرف منه فان كان
يكثر في تلك البلد نوع ذلك المتاع من غير المغصوب فله ان يشتري وان كان لا يوجد ذلك المتاع في تلك البقعة الا نادرا
وانما كثر بسبب الغصب فليس يدل على الحل الا اليد وقد عارضتها علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه فالامتناع
عن شرائه من الورع المهم ولكن الوجوب فيه نظر فان العلامات متعارضة ولسنا نقدر على ان نحكم فيه بحكم الا ان نرد
الى قلب المستفتي لينظر ما الاقوى في نفسه فان كان الاقوى انه مغصوب لزمه تركه والا حل له شراؤه واكثر هذه
الوقائع يلتبس الامر فيها فهي من المشتبهات التي لا يعرفها كثير من الناس فمن توقاها فقد استبرأ لدينه وعرضه
ومن اقتحمها فقد حام حول الحمى وخاطر بنفسه **مسئلة** لو قال قائل قد سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
لبن قدم اليه فذكر انه من شاة فسال عن الشاة من اين هي فذكر فترك السؤال افيجب السؤال عن اصل المال ام لا
وان اوجب فعن اصل واحد او اثنين او ثلاثة وما الضبط فيه فاقول لا ضبط فيه ولا تقدير بل ينظر الى الريبة المقتضية
للسؤال اما وجوبا او ورعا ولا غاية للسؤال الا حيث تنقطع الريبة المقتضية له وذلك يختلف باختلاف الاحوال فان
كانت التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فان قال اشتريت انقطع بسؤال واحد وان قال
من شاتي وقع الشك في الشاة فاذا قال اشتريت انقطع وان كان الريبة من الظلم وذلك فيما بين العرب وتتوالى في
البهيم المغصوب فلا ينقطع بقوله انه من شاتي ولا بقوله ان الشاة ولدتها شاتي فان اسنده الى الوراثة من ابيه وحال
ابيه مجهول انقطع السؤال وان كان يعلم ان جميع مال ابيه حرام فكثرة التوالد وطول الزمان وتطرق الارث اليه لا يغير
حكمه فلينظر الى هذه المعاني **مسئلة** سال عن جماعة من سكان خانقاه الصوفية وفي يد خادمهم الذي يقدم الطعام
اليهم وقف على ذلك المسكن ووقف اخر على جهة اخرى غير هؤلاء وهو يخلط وينفق الكل على هؤلاء فاكل طعامه حلال
او حرام او شبهة فقلت هذا يلتفت الى سبعة اصول الاصل الاول ان الطعام الذي يقدمه اليهم في الغالب يشتريه
بالمعاطاة والذي اخترناه صحة المعاطاة سيما في الاطعمة والمحقرات وليس في هذا الا شبهة الخلاف الاصل الثاني
ان ينظر ان الخادم يشتريه بعين المال الحرام او في الذمة فان اشتراه بعين مال الحرام فهو حرام وان لم يعرف
فالغالب انه يشتري في الذمة ويجوز الاخذ بالغالب فلا ينشا من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراؤه بعين مال
حرام الاصل الثالث انه من اين يشتريه فان اشترى ممن اكثر ماله الحرام لم يجز وان كان اقل ماله ففيه نظر قد سبق واذا
لم يعرف جاز الاخذ بانه يشتريه بعين الحلال ممن ماله حلال او ممن لا يدري المشتري حاله بعينه كالمجهول وقد سبق
جواز الشراء من المجهول لان ذلك هو الغالب فلا ينشا من هذا تحريم بل شبهة احتمال الاصل الرابع انه يشتريه لنفسه
او للقوم فان المتولي والخادم كالنائب وله ان يشتري لهم ولنفسه ولكن يكون ذلك بالنية او صريح اللفظ واذا
كان يجري بالمعاطاة فلا يجري اللفظ والغالب انه لا ينوي عند المعاطاة والقصاب والخباز ومن يعامله يعول عليه
ويقصد البيع منه لا ممن لا يحضرون فيقع عن جهته ويدخل في ملكه وهذا الاصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن
يثبت انهم ياكلون من ملك الخادم الاصل الخامس ان الخادم يقدم اليهم ولا يمكن ان يجعل ضيافة وهدية بغير عوض
فانه لا يرضى بذلك وانما يقدم اعتمادا على عوضه من الوقف فهو معاوضة ولكن ليس ببيع ولا اقراض لانه لو انتهض
لمطالبتهم بالثمن لاستبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه فاشبه اصل ينزل عليه هذه الحالة الهبة بشرط الثواب
اعني هدية لا لفظ فيها من شخص تقتضي قرينة حاله انه يطمع في ثواب وذلك صحيح والثواب لازم وههنا طمع الخادم
في ان ياخذ ثوابا مما في يده الا انهم من الوقف ليقضي به دينه من القصاب والخباز والبقال وغيرهم فهذا ليس فيه شبهة
اذ لا يشترط اللفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وان كان مع انتظار الثواب ولا مبالاة بقول من لا يصحح هدية في
انتظار ثواب الاصل السادس ان الثواب الذي يلزم فيه خلاف فقيل انه اقل متمول وقيل قدر القيمة وقيل ما يرضى به

الواهب حتى له ان لا يرضى باضعاف القيمة والصحيح انه يتبع رضاه فاذا لم يرض يرد عليه وههنا الخادم قد رضي
بما ياخذ من حق السكان على الوقف فان كان لهم من الحق بقدر ما اكلوه فقد تم الامر وان كان ناقصا ورضي به
الخادم صح ايضا وان علم ان الخادم لا يرضى لولا ان في يده الوقف الاخر الذي ياخذه بقوة هؤلاء السكان فكانه
رضي في الثواب بمقدار بعضه حلال وبعضه حرام والحرام لم يدخل في يد السكان فهذا كالخلل المتطرق الى الثمن وقد
ذكرنا حكمه من قبل فانه متى يقتضي التحريم ومتى يقتضي الشبهة وهذا لا يقتضي تحريما على ما فصلناه فلا ينقلب الهدية
حراما بتمكن المهدي بسبب الهدية الى حرام **الاصل السابع** انه يقضي دين القصاب والخباز والبقال
من ارتفاع الوقفين فان وفى ما اخذ من حقهم بقيمة ما اطعمهم فقد صح الامر وان قصر عنه ورضي القصاب و
الخباز باي ثمن كان حراما او حلالا فهذا خلل تطرق الى ثمن الطعام ايضا فيلتفت على ما قدمناه من التطرق الى الثمن ثم
قضاء الثمن من حرام هذا اذا علم انه قضاه من حرام فان احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة ابعد فقد خرج من هذا ان
اكل هذا ليس بحرام ولكن اكل شبهة وهو بعيد من الورع لان هذه الاصول اذا كثرت تطرق الى الكل واحد احتمال صار
الحرام بكثرتها اقوى في النفس كما ان الخبر اذا طال اسناده صار احتمال الكذب والغلط فيه اقوى مما اذا قرب اسناده
فهذا حكم هذه الواقعة من الفتاوى وانما اوردناه ليعرف كيفية تخريج الوقائع الملتبسة وانها كيف ترد الى الاصول
فان ذلك مما يعجز عنه اكثر المفتين

الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

اعلم ان من تاب وفي يده مال مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام واخراجه ووظيفة اخرى في مصرف المخرج فلينظر فيهما
النظر الاول في كيفية التمييز والاخراج اعلم ان كل من تاب وفي يده ما هو حرام معلوم العين من غصب او وديعة
او غيره فامره سهل فعليه تمييز الحرام وان كان ملتبسا مختلطا فلا يخلو اما ان كان في مال هو من ذوات الامثال كالحبوب
والنقود والادهان واما ان يكون في اعيان متمايزة كالعبيد والثياب والدور فان كان في المتماثلات او كان شائعا
في المال كله كمن اكتسب بتجارة يعلم انه كذب في بعضها في المرابحة وصدق في بعضها او من غصب دهنا وخلطه بدهن
نفسه او فعل ذلك في الحبوب او الدراهم والدنانير فلا يخلو اما ان يكون معلوم القدر او مجهولا فان كان معلوم
القدر مثل ان يعلم ان قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف فان اشكل فله طريقان احدهما الاخذ باليقين
والاخر الاخذ بغالب الظن وكلاهما قد قال به العلماء في اشتباه اعداد ركعات الصلوة ونحن لا نجوز في الصلوة الا
الاخذ باليقين لان الاصل اشتغال الذمة فيستصحب ولا يغير الا بعلامة قوية وليس في اعداد الركعات علامات
يوثق بها اما ههنا فلا يمكن ان يقال الاصل ان جميع ما في يده حرام بل هو مشكوك فيه فيجوز له الاخذ بغالب الظن اجتهادا و
لكن الورع في الاخذ باليقين فان اراد الورع فطريق التحري والاجتهاد ان لا يستبقي الا القدر الذي يتيقن انه
حلال وان اراد الاخذ بالظن فطريقه مثلا ان يكون في يده مال التجارة فسد بعضه فيتيقن ان النصف حلال وان
الثلث مثلا حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن وهكذا طريق التحري في كل مال وهو ان يقطع القدر المتيقن
من الجانبين في الحل والحرمة والقدر المتردد فيه ان غلب على ظنه التحريم اخرجه وان غلب الحل جاز له الامساك والورع
اخراجه وهذا الورع اوكد لانه صار مشكوكا فيه وكان امساكه اعتمادا على انه في يده فيكون الحل اغلب عليه وقد صار
ضعيفا بعد تيقن اختلاط الحرام ويحتمل ان يقال الاصل التحريم فلا ياخذ الا ما يغلب على ظنه انه حلال وليس جانب الحل
اولى من الاخر وليس ثمة تيقن له في الحلال ترجيح وهو من المشكلات فان قيل هب انه اخذ باليقين لكن الذي يخرجه ليس
يدري انه عين الحرام فلعل الحرام ما بقي في يده فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا لجاز ان يقال اذا اختلطت ميتة
بتسع مذكيات فهي العشر فله ان يطرح واحدة اي واحدة كانت وياخذ الباقي ويستحل ويمكن ان يقال لعل الميتة فيما استبقاه
بل لو طرح التسعة واستبقى واحدة لم يحل لاحتمال انها هي حرام فنقول هذه الموازنة كانت تصح لولا ان المال

يحل باخراج البدل لتطرق المعاوضة اليه واما الميتة فلا يتطرق المعاوضة اليها فلنكشف الغطاء عن
هذه الاشكال بالفرض في درهم معين اشتبه بدرهم اخر فمن له درهمان احدهما حرام وقد اشتبه
عينه فقد سئل احمد بن حنبل عن هذا فقال يدع الكل حتى يتبين وكان قد رهن انية فلما قضى الدين
حمل المرتهن اليه انيتين وقال لا ادري ايتهما انيتك فتركهما فقال المرتهن هذا هو الذي لك وانما كنت
اجربك فقضى دينه ولم ياخذ الرهن وهذا ورع ولكنا نقول انه غير واجب فلنفرض في درهم له
مالك معين حاضر اذا رد احد الدرهمين عليه ورضي به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الاخر لانه
لا يخلو اما ان يكون المردود في علم الله هو الماخوذ فقد حصل المقصود وان كان غير ذلك فقد حصل
لكل واحد درهم في يد صاحبه فالاحتياط ان يتبايعا باللفظ فان لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد
المعاطاة وكان المغصوب منه قد فات له درهم في يد الغاصب وعسر الوصول الى عينه واستحق ضمانه
فما اخذه وقع عن الضمان وهذا في جانبه واضح فان المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ و
الاشكال في جانب الاخر انه لم يدخل في ملكه فنقول لانه ايضا ان كان قد سلم درهم نفسه فقد فات له
ايضا درهم وهو في يد الاخر وليس يمكن الوصول اليه فهو كالفائت فيقع هذا بدلا عنه في علم الله تعالى ان
كان الامر كذلك ويقع هذا التناول في علم الله تعالى كما يقع التقاص فلو اتلف رجلان كل واحد درهما على
صاحبه بل في عين مسئلتنا لو وقع كل واحد مما في يده في البحر او لو تعذر لحرق كان قد تلف ولم يكن عليه عهدة
للاخر بطريق التقاص فكذا اذا لم يتلف فان القول بهذا اولى من المصير الى ان من ياخذ درهما حراما ويطرحه
في الف الف درهم لرجل اخر يصير كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا المذهب يؤدي اليه وانظر ما
في هذا من البعد وليس فيما ذكرنا الا ترك اللفظ والمعاطاة بيع ومن لم يجعله بيعا فحيث يتطرق اليه احتمال
اذ الفعل يضعف دلالته حيث يمكن التلفظ وههنا هذا التسليم والتسلم للمبادلة قطعا والبيع غير ممكن لان
المبيع غير مشار اليه ولا معلوم في عينه وقد يكون مما لا يقبل البيع كما لو خلط رطل دقيق بالف رطل دقيق
لغيره وكذا الدبس والرطب وكلما لا يباع البعض منه بالبعض فان قيل فانتم جوزتم تسليم قدر حقه
في مثل هذه الصور وجعلتموه بيعا قلنا لا نجعله بيعا بل نقول هو بدل عما فات في يده فيملكه كما يملك
المتلف عليه من الرطب اذا اخذ مثله وهذا اذا ساعد صاحب المال وان لم يساعده واصر وقال لا اخذ درهما
اصلا الا عين ملكي فان اتهمتم فاتركه ولا اعطل عليك مالك فاقول على القاضي ان ينوب عنه في القبض
حتى يطيب للرجل ماله فان هذا محض التعنت والتضييق والشرع لا يرد به فان عجز عن القاضي ولم يجده فيحكم
رجلا متدينا ليقبض عنه فان عجز فيتولى هو بنفسه ويفرده على نية الصرف اليه درهما ويتعين ذلك له ويطيب له
الباقي وهذا في خلط المائعات اظهر والزم فان قيل فينبغي ان يحل له الاخذ وينتقل الحق الى ذمته واي حاجة الى
الاخراج اولا ثم التصرف في الباقي قلنا قال القائلون يحل له ان ياخذ ما دام يبقى قدر الحرام ولا يجوز ان ياخذ
الكل فان اخذ لم يحل ذلك وقال اخرون ليس له ان ياخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الابدال وقال
اخرون يجوز للاخذ في التصرف ان ياخذ منه واما هو فلا يعطى فان اعطى عصى هو دون الاخذ واخذ ما
جوز اخذ الكل وذلك لان المالك لو ظهر فله ان يطلب حقه من هذه الجملة اذ يقول لعل المصروف الي يتبع عين حقي
فهذا المال يترجح بهذا الاحتمال على غيره وما هو اقرب الى الحق مقدم كما نقدم المثل على القيمة والعين على المثل فكذلك
ما احتمل فيه رجوع العين يقدم على ما لا يحتمل ولو جاز ان نقول ذلك لكان لصاحب الدرهم الاخر ان ياخذ الدرهمين
ويتصرف فيهما ويقول على قضاء حقك من موضع آخر اذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك احدنا ان يقدر ذاهبا
فانا

باولى من الاخر الا ان ينظر الى الاقل فيقدر انه فات او ينظر الى الذي خلط فيجعل بفعله متلفا لحق غيره وكلاهما
بعيدان جدا وهذا واضح في ذوات الامثال فانها تقع عوضا في الاتلافات من غير عقد اما اذا اشتبهت دار بدور او
عبد بعبيد فلا سبيل الا المصالحة والتراضي فان ابى الا ان ياخذ الا عين حقه ولم يقدر عليه واراد ان يعوق عليه
جميع ملكه فان كانت متماثلة القيم فالطريق ان يبيع القاضي جميع الدور ويوزع الثمن عليها بعدد النسبة وان كانت
متفاوتة اخذ من طالب البيع قيمة انفس الدور وصرف الى الممتنع منه مقدار قيمة الاقل وتوقف في قدر التفاوت
الى البيان والاصلاح والاصطلاح لانه مشكل وان لم يجد القاضي فللذي بيده الخلاص وهو في يده الكل ان يتولى ذلك
بنفسه هذه هي المصلحة وما عداها من الاحتمالات ضعيفة لا نختارها وفيما سبق تنبيه على العلة وهذا في الخلط
ظاهر وفي النقود دونه وفي العروض اغمض اذ لا يقع البعض بدلا عن البعض فلذلك احتيج الى البيع ولنرسم مسائل بها يتم
بيان هذا الاصل **مسئلة** اذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيعة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة
فهي لجميع الورثة ولو رد من الضيعة نصفها وهو قدر حقه ساهمه الورثة فان النصف الذي لا يتميز حتى يقال
هو المردود والباقي هو المغصوب ولا يصير مميزا بنية السلطان وقصده حصر الغصب في نصيب الاخرين
مسئلة اذا وقع في يده مال اخذه سلطان ظالم ثم تاب والمال عقار وقد حصل منه ارتفاع فينبغي ان
يحسب اجرة مثله لطول تلك المدة وكذلك كل مغصوب له منفعة او حصل منه زيادة فلا يصح توبته ما لم
يخرج اجرة المغصوب وكل زيادة حصلت منه وتقدير اجرة العبيد والثياب والاواني وامثال ذلك مما لا
يعتاد اجارتها مما يعسر ولا يدرك ذلك الا باجتهاد وتخمين وهكذا كل التقويمات تقع بالاجتهاد وطريق
الورع الاخذ بالاقصى وما ربحه على المال المغصوب في عقود عقدها على الذمة وقضى الثمن منه فهو ملك له ولكن
فيه شبهة اذا كان ثمنه حراما كما سبق حكمه وان كان باعيان تلك الاموال فالعقود كانت فاسدة وقد قيل ينفذ
باجازة المغصوب منه للمصلحة فيكون المغصوب منه اولى به والقياس ان تلك العقود تنفسخ
ويسترد الثمن ويرد الاعواض وان عجز عنه لكثرته فهي اموال حرام حصلت في يده فالمغصوب منه قدر
راس ماله والفضل حرام يجب اخراجه ليتصدق به فلا يحل للغاصب ولا للمغصوب منه بل
حكمه حكم كل حرام يقع في يده **مسئلة** من ورث مالا ولم يدر ان مورثه من اين اكتسبه
امن حرام ام من حلال ولم يكن ثم علامة فهو حلال باتفاق العلماء وان علم ان فيه حراما وشك في
قدره اخرج مقدار الحرام بالتحري وان لم يعلم ذلك ولكن علم ان مورثه كان يتولى اعمالا للسلاطين
واحتمل انه لم يكن ياخذ في عمله شيئا او كان قد اخذ ولم يبق في يده شيء منه لطول المدة فهذه
شبهة يحسن التورع منها ولا يجب وان علم ان بعض ماله كان من الظلم فيلزمه اخراج ذلك القدر
بالاجتهاد وقال بعض العلماء لا يلزمه والاثم على المورث واستدل بما روي ان رجلا ممن ولي عمل
السلطان ومات فقال الصحابي الان طاب ماله اي للوارث وهذا ضعيف لانه لم يذكر اسم الصحابي و
لعله صدر من متساهل فقد كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكره لحرمة الصحبة وكيف يكون
موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المختلط ومن اين يؤخذ هذا نعم اذا لم يتيقن يجوز ان يقال هو
غير مأخوذ بما لا يدري فيطيب لوارث لا يدري ان فيه حراما يقينا **النظر الثاني في المصرف**
فاذا اخرج الحرام فله ثلاثة احوال اما ان يكون له مالك معين فيجب الصرف اليه او الى وارثه وان كان
غائبا فينتظر حضوره او الايصال اليه وان كانت له زيادة ومنفعة فلتجمع فوائده الى وقت حضوره
واما ان يكون لمالك غير معين وقع الياس عن الوقوف على عينه ولا يدري انه مات عن وارث ام لا ودعا

لا يمكن الرد لكثرة الملاك كغلول الغنيمة فانها بعد تفرق الغزاة كيف يقدر على جمعهم وان قدر فكيف يفرق دينارا واحدا مثلا على الف والفين فهذا ينبغي ان يتصدق به و اما ان يكون من اموال الفيء والاموال المرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك الى القناطر والمساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وامثال هذه الامور التي يشترك في الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين ليكون عاما للمسلمين وحكم القسم الاول لا شبهة فيه اما التصدق وبناء القناطر فينبغي ان يتولى ذلك القاضي فليسلم اليه المال ان وجد قاضيا متدينا وان كان القاضي مستحلا فهو بالتسليم اليه ضامن لو ابتدأ به فيما لا يضمنه فكيف يسقط عنه ضمان قد استقر عليه بل يحكم من اهل البلد عالما متدينا فان التحكيم اولى من الانفراد فان عجز عن ذلك فليتول ذلك بنفسه فان المقصود الصرف واما عين الصارف فانما يطلب لمصارف دقيقة في المصالح فلا يترك اصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو اولى عند القدرة عليه فان قيل ما دليل جواز التصدق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لا يملك وقد ذهب جماعة الى ان ذلك غير جائز لانه حرام وحكي عن الفضيل انه وقع في يده درهمان فلما علم انهما من غير وجهه رماهما بين الحجارة وقال لا اتصدق الا بالطيب ولا ارضى لغيري ما لا ارضاه لنفسي فنقول نعم ذلك له وجه واحتمال وانما اخترنا خلافه للاثر والخبر والقياس اما الخبر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت اليه فكلمته بانها حرام اذ قال اطعموها الاسارى ولما نزل قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون كذبه المشركون وقالوا للصديق الا ترى الى ما يقول صاحبكم يزعم ان الروم ستغلب فخاطرهم ابو بكر رضي الله عنه باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حقق الله صدقه جاء ابو بكر بما قمرهم به فقال عليه الصلوة والسلم هذا سحت فتصدق به وفرح المومنون بنصر الله تعالى وكان قد نزل تحريم القمار بعد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له في المخاطرة مع الكفار واما الاثر فما روي ان ابن مسعود رضي الله عنه اشترى جارية ولم يظفر بمالكها لينقده الثمن فطلبه كثيرا فلم يجده فتصدق بالثمن فقال اللهم هذا عنه ان رضي والا فالاجر لي وسئل الحسن عن توبة الغال بعد تفرق الجيش فقال يتصدق وروي ان رجلا سولت له نفسه فغل مائة دينار من الغنيمة ثم اتى اميره ليردها عليه فابى ان يقبضها وقال تفرق الناس فاتى معوية فابى ان يقبضها فاتى بعض النساك فقال ادفع خمسه الى معوية وتصدق بما بقي فبلغ معوية قوله فتلهف اذ لم يخطر له ذلك وقد ذهب احمد بن حنبل رحمه الله الى ذلك والحارث المحاسبي وجماعة من الورعين الى ذلك واما القياس فهو ان هذا المال مردد بين ان يضيع وبين ان يصرف الى خير اذ قد وقع الياس عن مالكه وبالضرورة يعلم ان صرفه الى خير اولى من القائه في البحر فانا ان رميناه في البحر فقد فوتناه على انفسنا وعلى المالك ولم يحصل منه فائدة واذا رميناه في يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سد حاجته وحصول الاجر للمالك بغير اختياره في التصدق لا ينبغي ان ينكر فان في الخبر الصحيح ان للزارع والغارس اجرا في كل ما يصيبه الناس والطيور من ثماره واما قول القائل لا يتصدق الا بالطيب فذلك اذا طلبنا الاجر لانفسنا ونحن الان نطلب الخلاص عن المظلمة لا الاجر وقد ترددنا بين التضييع وبين التصدق وقول القائل لا نرضى لغيرنا ما لا نرضاه لانفسنا فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه وللفقير

حلال اذ احله دليل الشرع واذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل واذا حل فقد رضينا له الحلال و نقول ان له ان يتصدق على نفسه وعياله اذا كان فقيرا اما عياله واهله فلا يخفى لان الفقر لا ينتفي عنهم بكونهم من عياله واهله بل هم اولى من ان يتصدق عليهم واما هو فله ان يأخذ منه قدر حاجته لانه ايضا فقير ولو تصدق به على فقير لجاز فكذا اذا كان هو الفقير ولنرسم في بيان هذا الاصل مسائل

مسئلة اذا وقع في يده مال من يد سلطان قال قوم يرده الى السلطان فهو اعلم بما تولاه فيقلده ما تقلده وهو خير من ان يتصدق به واختار الحرث المحاسبي ذلك وقال كيف يتصدق به ولعل له مالكا معينا ولو جاز ذلك لجاز ان يسرق من السلطان ويتصدق به وقال قوم يتصدق به اذا علم ان السلطان لا يرده الى المالك لان ذلك اعانة للظالم وتكثير لاسباب ظلمه فالرد اليه تضييع لحق المالك والمختار انه اذا علم من عادة السلطان انه لا يرده الى مالكه فيتصدق به عن المالك فهو خير للمالك ان كان له مالك معين من ان يرده على السلطان لانه ربما لا يكون له مالك معين ويكون حق المسلمين فرده على السلطان تضييع وان كان له مالك معين فالرد على السلطان تضييع واعانة للسلطان الظالم وتفويت لبركة دعاء الفقير للمالك وهذا ظاهر اذا وقع في يده ميراث ولم يتعد هو بالاخذ من السلطان فانه شبيه باللقطة التي ايس من معرفة صاحبها اذ له ان يتصرف فيها بالتصدق عن المالك وله ان يتملكه ثم وان كان غنيا من حيث انه اكتسبه بجهة مباحة وهو الالتقاط وههنا لم يحصل المال بجهة مباحة فيؤثر في منعه من التملك ولا يؤثر في المنع من التصدق

مسئلة الذي حصل في يده مال لا مالك له وجوزنا ان يأخذ قدر حاجته لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب اسرار الزكوة فقد قال قوم يأخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وان قدر على شراء ضيعة او تجارة يكتسب بها لعياله فعل وهذا ما اختاره المحاسبي ولكنه قال الاولى ان يتصدق بالكل ان وجد من نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله في الحلال فان لم يقدر فله ان يشتري ضيعة او يتخذ راس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا معينا تصدق بمثل ما انفقه من قبل ويكون ذلك قرضا عنده ثم يأكل الخبز ويترك اللحم ان قوي عليه والا اكل اللحم من غير تنعم وتوسع وما ذكره لا مزيد عليه و لكن جعل ما انفقه قرضا عنده فيه نظر ولا شك في ان الورع ان يجعله قرضا فاذا وجد حلالا تصدق بمثله ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يتصدق به عليه فلا يبعد ان لا يجب عليه ايضا اذا اخذه بفقره لا سيما اذا وقع في يده من ميراث ولم يكن متعديا بالغصب وكسبه حتى يغلظ الامر عليه فيه

مسئلة اذا كان في يده حلال وحرام او شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته واذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لان الحجة عليه اوكد في نفسه منه في عبده وعياله واولاده الصغار والكبار اولاده يحرسهم من الحرام ان كان لا يفضي بهم ذلك الى ما هو اشد منه فان افضى فيطعمهم بقدر الحاجة و بالجملة كل ما يحذر في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهو انه يتناول مع العلم والعيال ربما يعذرون في نفسه اذ لم يعلم او لم يتول الامر بنفسه فليبدأ في الحلال بنفسه ثم بمن يعول فاذا تردد في حق نفسه بين ما يخص ماكوله وكسوته وبين غيره من المؤن كاجرة الحجام والصباغ والقصار والحمال والطلاء بالنورة والدهن وعمارة المنزل وتعهد الدابة وتسجير التنور وثمن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فان ما يتعلق ببدنه ولا غناء به عنه فهو اولى بان يكون طيبا واذا دار بين القوت واللباس فيحتمل ان يقال ليخص القوت بالحلال لانه الممتزج بلحمه ودمه وكل لحم نبت من الحرام فالنار

اولى به واما الكسوة فغايتها ستر عورته ودفع الحر والبرد والابصار عن بشرته وهذا هو
الاظهر عندي وقال الحرث المحاسبي يقدم اللباس لانه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى
عليه لما روي انه قال لا يقبل صلوة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم فيها درهم حرام وهذا
محتمل لكن امثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام فمراعاة اللحم والعظم
ان ينبت من الحلال اولى ولذلك تقيأ الصديق ما شربه مع الجهل حتى لا ينبت لحم ويبقى فان
قيل فاذا كان الكل منصرفا الى اغراضه فاي فرق بين نفسه وغيره وبين جهة وجهة وبما يدرك
هذا الفرق قلنا عرف ذلك بما روي ان رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما
فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنع عن كسب الحجام فروجع مرات فمنع فقيل له ان لنا ايتاما فقال
اعلفوه الناضح فهذا يدل على الفرق بين ما ياكله هو ودابته واذا انفتح سبيل الفرق فقس عليه
التفصيل الذي ذكرناه **مسئلة** الحرام الذي في يده لو تصدق به على الفقراء فله ان يوسع
عليهم واذا انفق على نفسه فليضيق ما قدر وما انفق على عياله فليقتصد وليكن وسطا بين التوسع والتضييق
ليكون الامر على ثلاث مراتب وان انفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وان كان غنيا فلا
يطعمه الا اذا كان في برية او قدم ليلا ولم يجد شيئا فانه في ذلك الوقت فقير وان كان الفقير الذي حضر
ضيفا تقيا لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع فلا
ينبغي ان يكرم اخاه بما يكره ولا ينبغي ان يعول على انه لا يدري فلا يضره لان الحرام اذا حصل في المعدة
اثر في قساوة القلب وان لم يعرفه صاحبه ولذلك تقيأ ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وكانا قد شربا على جهل
وهذا وان افتينا بانه حلال للفقير احللناه بحكم الحاجة فهو كالخمر والخنزير اذا احللناه بالضرورة فلا
يلتحق بالطيبات **مسئلة** اذا كان الحرام او الشبهة في يد ابويه فليمتنع عن مواكلتهما فان كانا يسخطان
فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى وان كان شبهة وكان
امتناعه للورع فهذا قد عارضه ان الورع طلب رضاهما بل هو واجب فليتلطف في الامتناع فان لم
يقدر فليوافق وليقلل الاكل بان يصغر اللقمة ويطيل المضغ ولا يتوسع فان ذلك عدوان والاخ والاخت
قريب من ذلك لان حقهما ايضا مؤكد وكذلك اذا البسته امه ثوبا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل
وليلبس بين يديها وليتزع في غيبتها وليجتهد ان لا يصلي فيه الا عند حضورها فيصلي فيه صلوة المضطر
وعند تعارض اسباب الورع ينبغي ان يتفقد هذه الدقائق وقد حكي عن بشر انه سلمت اليه رطبة وقالت
بحقي عليك الا اكلتها وكان يكرهه فاكل ثم صعد غرفة فصعدت امه فراته يتقيأ وانما فعل ذلك لانه
اراد ان يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة وقيل لاحمد سئل بشر هل للوالدين طاعة في الشبهة
فقال لا فقال احمد هذا شديد فقيل له سئل محمد بن مقاتل العباداني عنها فقال بر والديك
فماذا تقول فقال احب ان يعفيني فقد سمعت ما قالا ثم قال ما احسن ان تداريهم **مسئلة**
من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية لانه مفلس ولا تجب الزكوة اذ معنى
الزكوة وجوب اخراج العشر مثلا وهذا يجب عليه اخراج الكل اما ردا على المالك ان عرفه او صرفا
الى الفقراء ان لم يعرف المالك واما اذا كان مال شبهة يحتمل انه حلال فاذا لم يخرجه من يده لزمه
الحج لان كونه حلالا ممكن ولا يسقط الحج الا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال الله تعالى ولله على الناس
حج البيت واذا وجب عليه التصدق بما يزيد على حاجته حيث تغلب تحريمه فالزكوة اولى بالوجوب

وان لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص بتعيين وقال قوم يلزمه الصوم دون الاطعام
اذ ليس له يسار معلوم وقال المحاسبي يكفيه الاطعام والذي نختاره ان كل شبهة حكمنا بوجوب
اجتنابها والزمناه اخراجها من يده لكون احتمال الحرام اغلب على ما ذكرناه فعليه الجمع بين الصوم
والاطعام اما الصوم فلانه مفلس حكما واما الاطعام فلانه قد وجب عليه التصدق بالجميع و
يحتمل ان يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة **مسئلة** من في يده مال حرام امسكه للحاجة
فاراد ان يتطوع بالحج فان كان ماشيا فلا باس لانه سيأكل هذا المال في غير عبادة فاكله في عبادة اولى
وان كان لا يقدر على ان يمشي ويحتاج الى زيادة للمركوب فلا يجوز لمثل هذه الحاجة في الطريق كما لا
يجوز شري المركوب في البلد وان كان يتوقع القدرة على مال حلال لو اقام بحيث يستعين به ويستغني عن
بقية الحرام فالاقامة في انتظاره اولى من الحج ماشيا بالمال الحرام **مسئلة** من خرج لحج واجب
بمال فيه شبهة فليجتهد ان يكون قوته من الطيب فان لم يقدر فمن وقت الاحرام الى التحلل فان لم يقدر
فليجتهد يوم عرفة ان لا يكون قيامه بين يدي الله تعالى ودعاؤه في وقت مطعمه حرام وملبسه
حرام فليجتهد ان لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره حرام فانا وان جوزنا هذا للحاجة فهو نوع
ضرورة وما الحقناه بالطيبات فان لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر اليه من
تناول ما ليس بطيب فعساه ينظر اليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته **مسئلة**
سئل احمد رضي الله عنه فقال له قائل مات ابي وترك مالا وكان يعامل من يكره معاملته فقال
تدع من ماله بقدر ما ربح فقال له دين وعليه دين فقال تقضي وتقتضي فقال افترى ذلك
فقال اقتدعه محتبسا بدينه وما ذكره صحيح وهو يدل على انه راى التحري باخراج مقدار الحرام اذ
قال يخرج قدر الربح وانه راى ان اعيان امواله ملك له بكل اعتبار بذله في المعاوضات الفاسدة بطريق
التقاص والتقابل مهما كثر التصرف وعسر الرد وعول في قضاء دينه على انه يتعين فلا يترك بسبب
الشبهة

الباب الخامس في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم

اعلم ان من اخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة امور في مدخل ذلك المال في يد السلطان من اين
هو وفي صفته التي بها يستحق الاخذ وفي المقدار الذي ياخذه هل يستحقه اذا اضيف الى حاله وحال شركائه
في الاستحقاق النظر الاول في جهات دخل السلطان وكل ما يحل للسلطان سوى الاحياء وما يشترك
فيه الرعية قسمان ما ياخذ من الكفار وهو الغنيمة الماخوذة بالقهر والفيء وهو الذي حصل
من مالهم في يده من غير قتال والجزية واموال المصالحة وهو الذي يؤخذ بالشروط و
المعاقدة والقسم الثاني الماخوذ من المسلمين ولا يحل منه الا قسمان المواريث وسائر
الاموال الضايعة التي لا يتعين لها مالك والاوقاف التي لا متولي لها اما الصدقات فليس توجد
في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وانواع الرشوة
كلها حرام واذا كتب لفقيه ادرارا او صلة او خلعة على جهة فلا يخلو من الاحوال الثمانية فانه اما
ان يكتب له على الجزية او على المواريث او على الاوقاف التي لا متولي لها او على ملك احياه السلطان او
على ملك اشتراه او على عامل خراج المسلمين او على بياع من جملة التجار او على الخزانة فالاول هو الجزية
واربعة اخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة فما يكتب على الخمس من تلك الجهات او على الاخماس الاربع
لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في القدر فهو حلال بشرط ان لا تكون الجزية المضروبة على وجه

شرعي اذ ليس فيها زيادة على دينار او على اربعة دنانير فانه ايضا في محل الاجتهاد وللسلطان ان يفعل ما
هو في محل الاجتهاد بشرط ان يكون الذي يوخذ منه مكتسبا من وجه لا يعلم تحريمه فلا يكون عامل
سلطان ظالم ولا بياع خمر ولا يكون صبيا ولا امراة اذ لا جزية عليهما فهذه امور شرعية في
كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من يصرف اليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع
ذلك الثاني المواريث والاموال الضايعة فهي للمصالح والنظر في ان الذي خلفه هل كان ماله كله
حراما او اكثره او اقله وقد سبق حكمه فان لم يكن حراما بقي النظر في صفة من يصرف اليه بان يكون
في الصرف اليه مصلحة ثم في المقدار المصروف الثالث الاوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في
الميراث مع زيادة امر وهو شرط الواقف حتى لا يكون الماخوذ الا موافقا له في جميع شرايطه الرابع
ما احياه السلطان وهذا لا يعتبر فيه شرط اذ له ان يعطي من ملكه ما شاء لمن شاء اي قدر شاء و
انما النظر في ان الغالب انه احياه باكراه الاجراء او باداء اجرتهم من حرام فان الاحياء يحصل بحفر
القنى والانهار وبناء الجدرات وتسوية الارض ولا يتولاه السلطان بنفسه فان كانوا مكرهين
على الفعل لم يملكه السلطان وهو حرام وان كانوا مستاجرين ثم قضيت اجورهم من الحرام فهذا
يورث شبهة وقد نبهنا عليه في تعلق الكراهة بالاعواض الخامس ما اشتراه السلطان في الذمة
من ارض او ثياب خلعة او فرس او غيره فهو ملكه وله ان يتصرف فيه ولكنه سيقضي ثمنه من حرام
وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة اخرى وقد سبق تفصيله السادس ان يكتب على عامل خراج
المسلمين او من يجمع اموال الشبهة والمصادرة وهو الحرام المحض الذي لا شبهة فيه وهو اكثر الادرارات
في هذا الزمان الا ما على اراضي العراق فانها وقف عند الشافعي على مصالح المسلمين السابع ما يكتب
على بياع يعامل السلطان فان كان لا يعامل غيرهم فماله كمال خزانة السلطان وان كان معاملته
مع غير السلاطين اكثر فما يعطيه قرض على السلطان وسياخذ بدله من الحرام فالخلل يتطرق الى
العوض وقد سبق حكم الثمن الحرام الثامن ما يكتب على الخزانة او عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام
فان لم يعرف للسلطان دخل الا من الحرام فهو سحت محض فان عرف يقينا ان الخزانة تشتمل على مال
حلال وحرام واحتمل ان يكون ما يسلم اليه بعينه من الحلال احتمالا قريبا له وقع في النفس واحتمل ان
يكون من الحرام وهو الاغلب لان اغلب اموال السلاطين حرام في هذه الاعصار فالحلال في ايديهم
معدوم او عزيز فقد اختلف الناس في هذا فقال قوم كل ما لا يتيقن انه حرام فله ان ياخذه وقال
اخرون لا يحل ان يوخذ ما لم يتحقق انه حلال فلا يحل شبهة اصلا وكلاهما اسراف والاعتدال
ما قدمناه ذكره وهو الحكم بان الاغلب اذا كان حراما حرم وان كان الاغلب حلالا وفيه يقين حرام
فهو موضع توقفنا فيه كما سبق ولقد احتج من جوز اخذ مال السلاطين اذا كان فيه حلال وحرام
ما لم يتحقق ان عين الماخوذ حرام بما روي عن جماعة من الصحابة انهم ادركوا ايام الائمة الظلمة و
اخذوا الاموال منهم ابو هريرة وابو سعيد الخدري وزيد بن ثابت وابو ايوب وجرير بن عبد الله
وجابر وانس والمسور بن مخرمة فاخذ ابو سعيد وابو هريرة من مروان ويزيد وعبد الملك و
اخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج واخذ كثير من التابعين منهم كالشعبي وابرهيم والحسن
وابن ابي ليلى واخذ الشافعي من هرون الرشيد الف دينار في دفعة واخذ مالك من الخلفاء
اموالا جمة وقال علي رضي الله عنه خذ ما اعطاك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما

ياخذ من الحلال اكثر وانما ترك من ترك العطاء منهم تورعا مخافة على دينه ان يحمل على ما لا
يحل الا ترى قول ابي ذر للاحنف بن قيس خذ العطاء ما كان نحلة فاذا كان اثمان دينكم فدعوه
وقال ابو هريرة اذا اعطينا قبلنا واذا منعنا لم نسال وعن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة انه
كان اذا اعطاه معوية سكت وان منعه وقع فيه وعن الشعبي عن ابن مسروق لا يزال العطاء
باهل العطاء حتى يدخلهم النار اي يحملهم ذلك على الحرام لا انه في نفسه حرام وروى نافع عن ابن عمر
ان المختار كان يبعث اليه المال فيقبله ثم يقول لا اسال احدا ولا ارد ما رزقني الله واهديت اليه ناقة
فقبلها وكان يقال لها ناقة المختار ولكن هذا يعارضه ما روي ان ابن عمر لم يرد هدية لاحد الا هدية
المختار والاسناد في ردها اثبت عن نافع انه بعث ابن معمر الى ابن عمر ستين الفا فقسمها على الناس
ثم جاءه سائل فاستقرض من بعض ما اعطاه واعطى السائل ولما قدم الحسن على معوية فقال
الا اخبرك بجايزة لم اجزها احدا من العرب قبلك ولا اجيزها احدا بعدك من العرب فاعطاه
اربعمائة الف فاخذ وعن حبيب بن ابي ثابت قال لقد رايت جايزة المختار لابن عمر وابن عباس
فيقبلانها فقيل ما هو قال مال وكسوة وعن الزبير بن عدي قال قال سلمان اذا كان لك صديق
عامل او تاجر يقارف الربو فدعاك الى طعام او نحوه او اعطاك شيا فاقبل فان المهنا لك وعليه الوزر
واذا ثبت هذا في المربي فالظالم في معناه وعن جعفر عن ابيه رضي الله عنهم وعن اهل بيتهم كانا يقبلان
جوايز معوية وقال حكيم بن جبير مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاشرا من اسفل الفرات فارسل
الى العشارين اطعمونا مما عندكم فارسلوا بطعام فاكل واكلنا معه وقال العلاء بن زهير الازدي اتى
ابرهيم النخعي ابي وهو عامل على حلوان فاجازه فقبل وقال ابرهيم لا باس بجايزة العمال ان للعمال
مؤنة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما اعطاك فهو من طيب ماله فقد اخذ هولاء
كلهم جوايز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من اطاعهم في معصية الله وزعمت هذه الفرقة ان ما نقل من
امتناع جماعة لا يدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وابي ذر وغيرهم من الزهاد فانهم
امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذي يخاف افضاءه الى محذور ورعا وتقوى فاقدام
هولاء يدل على الجواز وامتناع اولئك لا يدل على التحريم وما نقل عن سعيد بن المسيب انه ترك عطاءه
في بيت المال حتى اجتمع نيفا وثلاثين الفا وما نقل عن الحسن من قوله لا اتوضا من ماء صيرفي و
ان ضاق وقت الصلوة لاني لا ادري اصل ماله كل ذلك ورع لا ينكر واتباعهم عليه احسن من اتباعهم
على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع ايضا فهذه شبهة من يجوز اخذ مال السلاطين الظلمة
والجواب ان ما ينقل من اخذ هولاء محصور قليل بالاضافة الى ما نقل من ردهم وانكارهم فان كان يتطرق
الى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق الى اخذ من اخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة في الدرجة بتفاوتهم في
الورع فان للورع في حق السلاطين اربع درجات الدرجة الاولى ان لا ياخذ من مالهم اصلا شيا كما فعله
الورعون منهم وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون حتى ان ابا بكر رضي الله عنه حسب جميع ما كان اخذه
من بيت المال فبلغ ستة الاف درهم فغرمها لبيت المال وحتى ان عمر رضي الله عنه كان يقسم مال بيت المال
فدخلت ابنة له واخذت درهما من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة من احد منكبيه ودخلت
الصبية الى اهل بيتها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فادخل عمر رضي الله عنه اصبعه فاخرجه من فيها و
طرحه على الخراج فقال ايها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر الا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم وكسح ابو موسى الاشعري

رضي الله عنه بيت المال فوجد درهما فمر ابن لعمر فاعطاه اياه فرآه عمر رضي الله عنه في يد الغلام
فقال اعطانيه ابو موسى فقال يا ابا موسى ما كان في اهل المدينة بيت اهون عليك من
آل عمر اردت ان لا يبقى من امة محمد صلى الله عليه وسلم احد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى
بيت المال فهذا مع ان المال كان حلالا ولكن خاف ان لا يستحق هو ذلك القدر وكان يستبرئ
لدينه ويقتصر على الاقل امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ولقوله
ومن تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه ولما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشديد
في امر اموال السلاطين حتى قال صلى الله عليه وسلم حين بعث عبادة بن الصامت الى الصدقة
اتق الله يا ابا الوليد لا تجيء يوم القيمة ببعير تحمله على رقبتك له رغاء او بقرة لها خوار او شاة لها
ثؤاج قال يا رسول الله اهكذا يكون قال نعم والذي نفسي بيده الا من رحم الله قال فوالذي
بعثك بالحق لا اعمل على شيء ابدا وقال صلى الله عليه وسلم اني لا اخاف عليكم ان تشركوا بعدي
انما اخاف عليكم ان تنافسوا وانما خاف التنافس في المال ولذلك قال عمر في حديث طويل
يذكر فيه بيت المال اني لم اجد نفسي فيه الا كوالي مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان
افتقرت اكلت بالمعروف وروي ان ابنا لطاوس افتعل كتابا عن لسانه الى عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه فاعطاه ثلثمائة دينار فباع طاوس ضيعة له فبعث به الى عمر هذا مع ان السلطان مثل عمر بن
عبد العزيز فهذه هي الدرجة العليا في الورع الدرجة الثانية هي ان ياخذ مال السلطان ولكن انما
ياخذ اذا علم ان ما ياخذه من جهة حلال فاشتمال يد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى هذا تنزل
جميع ما نقل من الآثار او اكثرها او ما اختص منها باكابر الصحابة والتابعين منهم مثل ابن عمر فانه
كان من المبالغين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من اشدهم انكارا عليهم
واشدهم ذما لاموالهم وذلك انهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه وقد اشفق على نفسه من
ولايته وكونه ماخوذا عند الله بها فقالوا له انا لنرجو لك حفرت الآبار وسقيت الحاج و
صنعت وابن عمر ساكت فقال ماذا تقول يا ابن عمر فقال اقول ذلك اذا طاب المكسب و
زكت النفقة وسترد فترى وفي حديث آخر انه قال ان الخبيث لا يكفر الخبيث وانك لو وليت
البصرة ولا احسبك الا وقد اصبت منها شرا فقال له ابن عامر الا تدعو لي فقال ابن عمر سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبل الله صلوة بغير طهور ولا صدقة من غلول وقد
وليت البصرة فهذا قوله فيما صرف الى الخيرات وعن ابن عمر انه قال في ايام الحجاج ما شبعت من
الطعام منذ انتهبت الدار الى يومي هذا وروي عن علي رضي الله عنه انه كان له سويق في اناء مختوم
يشرب منه فقيل اتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه فقال اما اني لا اختمه بخلا به ولكن اكره ان
يجعل فيه ما ليس منه واكره ان يدخل بطني غير طيب فهذا هو المالوف منهم وكان ابن عمر لا يعجبه شيء
الا خرج منه فطلب منه نافع بثلاثين الفا فقال اني اخاف ان تفتنني دراهم ابن عامر وكان هو
الطالب اذهب فانت حر وقال ابو سعيد الخدري ما منا احد الا وقد مالت به الدنيا الا ابن عمر
فبهذا يتضح انه لا يظن به وبمن كان في منصبه انه ياخذ ما لا يدري انه حلال الدرجة الثالثة ان
ياخذ ليتصدق به على الفقراء ويفرقه على المستحقين فان ما لا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه فاذا
كان السلطان ان لم يؤخذ منه لم يفرقه واستعان به على الظلم فقد نقول الاخذ منه وتفرقته اولى من
تركه في يديه وهذا قد راه بعض العلماء وسيأتي وجهه وعلى هذا ينزل ما اخذه الترمذي وهذا قال
ابن المبارك ان الذين ياخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون بهم لان ابن عمر
فرق ما اخذ حتى استقرض في مجلسه بعد تفرقته ستين الفا وعائشة فعلت مثل ذلك وجابر بن
زيد قبل فتصدق به وقال رأيت ان آخذه منهم واتصدق احب الي من ان ادعها في ايديهم وهكذا فعل
الشافعي رحمه الله بما قبله من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لا يمسك لنفسه ما بعد الدرجة الرابعة
لا يتحقق انه حلال ولا يفرق بل يستبقي ذلك ياخذ من سلطان اكثر ماله حلال وهكذا كان
الخلفاء في زمان الصحابة والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن اكثر مالهم حراما ويدل
تعليل علي رضي الله عنه حيث قال فان ما ياخذه من الحلال اكثر وهذا انما قد جوزه جماعة من
العلماء تعويلا على الاكثر ونحن توقفنا في حق آحاد الناس ومال السلطان اشبه بالخروج عن الحصر فلا
يبعد ان يؤدي اجتهاد مجتهد الى جواز اخذ ما لم يعلم انه حرام اعتمادا على الاغلب وانما منعنا اذا كان الاكثر
حراما فاذا فهمت هذه الدرجات تحققت ان ادرارات الظلمة في زماننا لا تجري مجراه وانه يفارقه من
وجهين احدهما ان اموال السلاطين في عصرنا حرام كلها او اكثرها وكيف لا والحلال الصدقات والفيء
والغنيمة ولا وجود لها وليس يدخل منها شيء في ايدي السلاطين ولم يبق الا الجزية وانها تؤخذ بانواع
من الظلم لا يحل اخذها به فانهم يجاوزون حدود الشرع في الماخوذ والماخوذ منه والوفاء له بالشرط
ثم اذا نسبت ذلك الى ما ينصب اليهم من الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات والرشا وصنوف
الظلم لم يبلغ عشر معشار عشيره الوجه الثاني ان الظلمة في العصر الاول لقرب عهدهم بزمان
الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوقين الى استمالة قلوب الصحابة والتابعين
وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم وكانوا يبعثون اليهم من غير سؤال واذلال بل كانوا
يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به وكانوا ياخذون منهم ويفرقون ولا يطيعون السلاطين في
اغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون
اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم فما كان يحذر ان يصيبوا من دينهم بقدر ما اصابوا من دنياهم
فلم يكن باخذهم باس فاما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية الا لمن طمعوا في استخدامهم و
التكثر بهم والاستعانة بهم على اغراضهم والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء
والتزكية والاطراء في حضورهم ومغيبهم فلو لم يذل الآخذ نفسه اولا بالتردد في الخدمة ثانيا و
بالدعاء والثناء ثالثا وبالمساعدة له على اغراضه عند الاستعانة رابعا وبتكثير جمعه في مجلسه و
موكبه خامسا وباظهار الحب والموالاة والمناصرة له على اعدائه سادسا وبالستر على ظلمه ومقابحه
ومساوي اعماله سابعا لم ينعم عليه بدرهم واحد ولو كان في فضل الشافعي مثلا فاذن لا يجوز
ان يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم انه حلال لافضائه الى هذه المعاني فكيف ما يعلم انه حرام او يشك فيه
فمن استجرأ على اموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين ففي اخذ الاموال منهم
حاجة الى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم والثناء عليهم وكل ذلك معصية على
ما سنبين في الباب الذي يلي هذا فاذن قد تبين بما تقدم مداخل اموالهم وما يحل منها وما لا يحل
منها فلو تصور ان ياخذ الانسان منها ما يحل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته يساق اليه ذلك لا
يحتاج فيه الى تفقد عامل وخدمته ولا الى الثناء عليهم وتزكيتهم ولا الى مساعدتهم فلا يحرم الاخذ

ولكن نكره لمعان سننبه عليها في الباب الذي يلي هذا ان شاء الله تعالى **النظر الثاني من هذا الباب في قدر المأخوذ وصفة الاخذ** ولنفرض المال من اموال المصالح كاربعة اخماس الفيء والمواريث فان ما عداه مما قد تعين مستحقه ان كان من وقف او صدقة او خمس فيء او خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان مما احياه او اشتراه فله ان يعطي ما شاء لمن شاء وانما النظر في الاموال الضايعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه الا الى من فيه مصلحة عامة او محتاج اليه عاجز عن الكسب فاما الغني الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه هذا هو الصحيح وان كان العلماء قد اختلفوا فيه وفي كلام عمر ما يدل على ان لكل مسلم حقا في بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع الاسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت هذا فكل من يتولى امرا يقوم به تتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم اعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وطلبة هذه العلوم ايضا يدخلون فيه فانهم ان لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب ويدخل فيه العمال وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا باعمالهم وهم الاجناد المرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن اهل العداوة واهل البغي وعن اعداء الاسلام ويدخل فيهم الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج اليه في ترتيب ديوان الخراج اعني العمال على الاموال الحلال لا على الحرام فان هذا المال للمصالح والمصلحة اما ان تتعلق بالدين او بالدنيا وبالعلماء حراسة الدين وبالاجناد حراسة الدنيا والدين والملك توامان فلا يستغني احدهما عن الاخر والطبيب وان كان لا يرتبط بعلمه امر ديني ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه فيجوز ان يكون له ولمن يجري مجراه في العلوم المحتاج اليها في مصلحة الابدان او مصلحة البلاد ادرار من هذه الاموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين اعني من يعالج منهم بغير اجرة وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع الغنى فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والانصار ولم يعرفوا بالحاجة وليس يتقدر ايضا بمقدار بل هو الى اجتهاد الامام وله ان يوسع ويغني وله ان يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد اخذ الحسن من معوية في دفعة اربعمائة الف درهم وقد كان عمر يعطي لجماعة اثني عشر الف درهم نقرة في السنة واثبت عائشة في هذه الجريدة ولجماعة عشرة الاف ولجماعة ستة الاف وهكذا فهذا مال هؤلاء فيوزع حتى لا يبقى منه شيء وان خص كل واحد ما لا كثيرا فلا باس به وكذلك للسلطان ان يخص من هذا المال ذوي الخصايص بالخلع والجوائز فقد كان يفعل ذلك في السلف ولكن ينبغي ان يلتفت فيه الى المصلحة ومهما خص عالم او شجاع بصلة كان فيه بعث للناس وتحريض على الاشتغال والتشبه به فهذا فائدة الخلع والصلات وضروب التخصيصات فكل ذلك منوط باجتهاد السلطان وانما النظر في السلاطين الظلمة في شيئين احدهما ان السلطان الظالم عليه ان يكف عن ولايته وهو اما معزول او واجب العزل فكيف يجوز ان ياخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان والثاني انه ليس يعمم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للاحاد ان ياخذوا افيجوز لهم الاخذ بقدر حصتهم ام لا يجوز اصلا ام يجوز ان ياخذ كل ما اعطى اما الاول فالذي نراه انه لا يمنع اخذ الحق لان السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكان في الاستبدال به فتنة ثائرة لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما يجب طاعة الامراء وقد ورد في الامر بطاعة الامراء والمنع من سل اليد عن مساعدتهم اوامر وزواجر فالذي

نراه ان الخلافة منعقدة للمتكفل بها من بني عباس رضي الله عنهم وان الولاية نافذة للسلاطين في اقطار البلاد المبايعين للخليفة وقد ذكرنا في كتاب المستظهري ما يشير الى وجه المصلحة فيه والقول الوجيز انا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوفا الى مزايا المصالح ولو قضينا ببطلان الولايات الان لبطلت المصالح راسا فكيف يفوت راس المال في طلب الربح بل الولاية الان لا يتبع الا الشوكة فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في اصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم واما القضاة في اقطار الارض ولاتنا فذ الحكم وتحقيق هذا قد ذكرناه في احكام الامامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلسنا نطول الان به واما الاشكال الاخر وهو ان السلطان اذا لم يعمم بالعطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد ان ياخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على اربع مراتب فغلا بعضهم وقال كل ما ياخذه فالمسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدري ان حصته منه دانق او حبة فليترك الكل وقال قوم له ان ياخذ قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه بحاجته على المسلمين وقال قوم له ان ياخذ قوت سنة فان اخذ الكفاية لكل يوم عسير وهو ذو حق في هذا المال فكيف يتركه وقال قوم انه ياخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لان المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الورثة لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم يتفق قسمته حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمنع بظلم المالك بقية الاصناف بمنع حقهم هذا اذا لم يصرف اليه كل المال بل صرف اليه من المال ما لو صرف اليه بطريق الايثار والتفضيل مع تعميم الاخرين لجاز ان ياخذه والتفضيل جائز في العطاء سوى ابو بكر رضي الله عنه فراجعه عمر رضي الله عنه فقال انما فضلهم عند الله وانما الدنيا بلاغ وفضل عمر رضي الله عنه في زمانه فاعطى عائشة رضي الله عنها اثني عشر الفا وزينب عشرة الاف وجويرية ستة الاف وكذا صفية واقطع عمر لعلي رضي الله عنهما خاصة واقطع عثمان ايضا من السواد خمس جنات وآثر عثمان عليا رضي الله عنهما فقبل منه ولم ينكر وكل ذلك جائز فانه في محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التي اقول فيها ان كل مجتهد مصيب وهي كل مسئلة لا نص على عينها ولا على مسئلة تقرب منها فيكون في معناها بقياس جلي كهذه المسئلة ومسئلة حد الشرب فانهم جلدوا اربعين وثمانين والكل سنة وحق وان كل واحد من ابي بكر وعمر رضي الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة اذ المفضول ما رد في زمان عمر شيئا الى الفاضل مما كان قد اخذه في زمان ابي بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا ان كل واحد من الرايين حقا فليؤخذ هذا الجنس دستورا للاختلاف الذي يصوب فيه كل مجتهد فاما كل مسئلة شذ عن مجتهد فيها نص او قياس جلي لغفلة او سوء راي وكان في القوة بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا نقول فيها ان كل واحد مصيب بل المصيب من اصاب النص او في معنى النص وقد تحصل من مجموع هذا ان من وجد من اهل الخصوص الموصوفين بصفة يتعلق بها مصالح الدين او الدنيا واخذ من السلطان خلعة او ادرارا على التركات او الجزية لم يصر فاسقا بمجرد اخذه وانما يفسق بخدمته لهم ومعاونته اياهم ودخوله عليهم وثنائه واطرائه لهم الى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالبا الا بها كما سنبينه **الباب السادس فيما يحل في مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم** اعلم ان لك مع الامراء والعمال الظلمة ثلاثة احوال الحالة الاولى وهي شرها والثانية وهي دونها ان تدخلوا

ان تدخل عليهم

عليك والثالثة وهي الاسلم ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك اما الحالة الاولى وهو الدخول عليهم فهو
مذموم جدا في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الاخبار والاثار فننقلها لتعرف
ذم الشرع له ثم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما يقتضيه الفتوى في ظاهر العلم فاما الاخبار
فلما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراء الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد
يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم وذلك لان من اعتزلهم سلم من اثمهم ولكن لا يسلم من عذاب يعمهم ان نزل
بهم لتركه المنابذة والمنازعة وقال صلى الله عليه وسلم سيكون بعدي امراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم
بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم
قال ابغض القراء الى الله عز وجل الذين يزورون الامراء وفي الخبر خير الامراء الذين ياتون العلماء
وشر العلماء الذين ياتون الامراء وفي الخبر العلماء امناء الرسول على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان
فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسول فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس رضي الله عنه واما الاثار
قال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب
ويقول ما ليس فيه وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلطان فانك لا تصيب من دنياهم شيئا
الا اصابوا من دينك افضل منه وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك
وقال الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله تعالى من عالم يزور عاملا وقال سمنون ما اسمج بالعالم ان يؤتى الى
مجلسه ويسال عنه فيقال انه عند الامير وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم
حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك مع ما
اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم وقال عبادة بن الصامت حب القاري الناسك للامراء نفاق و
حبه للاغنياء رياء وقال ابو ذر من كثر سواد قوم فهو منهم اي من كثر سواد الظلمة وقال ابن مسعود
ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له لم قال لانه يرضيه بسخط الله واستعمل
عمر بن عبد العزيز رجلا فقيل كان عاملا للحجاج فعزله فقال الرجل انما عملت له على شيء يسير فقال له عمر
حسبك بصحبته يوما او بعض يوم شؤما وشرا وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذي سلطان قربا
الا ازداد من الله بعدا وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت ويقول ان في هذا لغنى عن هؤلاء السلاطين
وقال وهيب هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم اضر على الامة من المقامرين وقال محمد بن مسلمة الذباب
على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء ولما خالط الزهري السلطان كتب اخ له في الدين اليه عافانا
الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا و
قد اثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس كذلك اخذ الله الميثاق
على العلماء قال الله تعالى لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك
انست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك ظلما وباطلا حين ادناك
اتخذوك قطبا تدور عليك رحا ظلمهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم
يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك
وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله تعالى فخلف من
بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات الاية وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا
يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض

ولا في السماء فهذه الاخبار والاثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وانواع الفساد ولكنا
نفصل ذلك تفصيلا فقهيا نميز فيه المحظور عن المكروه والمباح فنقول الداخل على السلطان معرض
لان يعصي الله تعالى اما بفعله واما بسكوته واما بقوله واما باعتقاده ولا ينفك عن احد هذه الامور
اما الفعل فالدخول عليهم في غالب الاحوال يكون الى دور مغصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير اذن
المالك حرام ولا يغرنك قول القائل ان ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة او فتات خبز فان ذلك صحيح في غير
المغصوب اما المغصوب فلا لانه ان قيل ان كل جلسة خفيفة لا تنقص الملك فهي في محل التسامح وكذلك
الاجتياز فيجري هذا في كل واحد فيجري في المجموع والغصب انما يتم بفعل الجميع وانما يتسامح به اذا انفرد اذ
لو علم المالك به ربما لم يكرهه فاما اذا كان ذلك طريقا الى الاستغراق بالاشتراك فحكم التحريم ينسحب على
الكل فلا يجوز ان يؤخذ ملك الرجل طريقا اعتمادا على ان كل واحد انما يخطو خطوة لا تنقص الملك لان المجموع
مفوت للملك وهو كضرب خفيفة في التعليم تباح ولكن بشرط الانفراد فلو اجتمع جماعة بضربات
توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع ان كل واحد من الضربات لو انفردت لكان لا يوجب قصاصا
فان فرض الظالم في موضع غير مغصوب كالموات مثلا فان كان تحت خيمة او مظلة من ماله فهو حرام والدخول
اليه غير جائز لانه انتفاع بالحرام واستظلال به فان فرض كل ذلك حلالا فلا يعصي بالدخول من حيث انه
دخول ولا بقوله السلام عليك ولكن ان سجد او ركع او مثل قائما في خدمته كان مكرما للظالم بسبب الولاية
التي هي آلة الظلم والتواضع للظالم معصية بل من تواضع لغني ليس بظالم لاجل غناه لا لمعنى اخر يقتضي التواضع
ذهب ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم فلا يباح الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فهو
معصية الا عند خوف او لامام عادل او لعالم او لمن يستحق ذلك بامر ديني قبل ابو عبيدة بن الجراح يد عمر
رضي الله عنهما لما ان لقيه بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام
والاعراض عنهم استحقارا لهم من محاسن القربات فاما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر لان ذلك واجب
فلا ينبغي ان يسقط بالظلم فان ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو من الجلوس على بساطهم
واذا كان اغلب اموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل فاما السكوت فهو انه
سيرى في مجلسهم من الفرش الحرير واواني الذهب الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام
وكل من راى سيئة وسكت عليها فهو شريك فيها بل يسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وايذاء و
السكوت على ذلك حرام بل يراهم لابسين الثياب واكلين الطعام وجميع ما في ايديهم حرام والسكوت
على ذلك غير جائز فيجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه ان لم يقدر بفعله فان قلت
انه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه مستغن عن ان يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح
الا بعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا اقول
من علم فسادا في موضع وعلم انه لا يقدر على ازالته فلا يجوز له ان يحضر ليجري ذلك بين يديه وهو يشاهده و
يسكت بل ينبغي ان يحترز عن مشاهدته واما القول فهو ان يدعو للظالم او يثني عليه او يصدقه فيما يقول
من باطل بصريح قوله او بتحريك راسه او باستبشار في وجهه او يظهر له الحب والموالاة والاشتياق
الى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه فانه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه هذه الاقسام
اما دعاؤه فلا يحل له الا ان يقول اصلحك الله او وفقك للخيرات او طول الله عمرك في طاعته وما يجري
هذا المجرى فاما الدعاء بالحراسة وطول البقاء واسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فغير

جائز قال صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه فان جاوز
الدعاء الى الثناء فسيذكر ما ليس فيه فيكون به كاذبا ومنافقا ومكرما لظالم وهذه ثلاث معاص
وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر اخر من اكرم فاسقا فقد اعان
على هدم الاسلام فان جاوز ذلك الى التصديق له فيما يقول والتزكية على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق
وبالاعانة فان التزكية والثناء اعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيه كما ان التكذيب والمذمة و
التقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه والاعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة ولقد سئل سفيان
عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت فان ذلك اعانة له وقال
غيره يسقى الى ان يثوب اليه نفسه ثم يعرض عنه فان جاوز ذلك الى اظهار الحب والشوق الى لقائه وطول
بقائه فان كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقاء ظالم وحقه
ان يبغضه في الله ويمقته فالبغض في الله واجب ومحب المعصية والراضي بها عاص ومن احب ظالما
فان احبه لظلمه فهو عاص لمحبته وان احبه لسبب اخر فهو عاص من حيث انه لم يبغضه وكان الواجب عليه
ان يبغضه وان اجتمع في شخص خير وشر وجب ان يحب لاجل ذلك الخير ويبغض لاجل ذلك الشر وسيأتي
في كتاب الاخوة والمتحابين في الله وجه الجمع بين الحب والبغض فان سلم من ذلك كله وهيهات فلا
يسلم من فساد يتطرق الى قلبه فانه ينظر الى توسعه في النعمة ويزدري نعم الله عليه ويكون مقتحما نهي
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على اهل الدنيا فانها مسخطة
للرزق هذا مع ما فيه من اقتداء غيره به في الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله اياهم ان كان ممن
يتجمل به وكل ذلك اما مكروهات واما محظورات دعي سعيد بن المسيب رضي الله عنه الى البيعة للوليد و
سليمن ابني عبد الملك بن مروان فقال لا ابايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فان النبي صلى الله عليه وسلم
نهى عن بيعتين فقيل ادخل من هذا الباب واخرج من الباب الاخر فقال لا والله لا يقتدي بي احد من الناس
فجلد مائة والبس المسوح فلا يجوز الدخول الا بعذرين احدهما ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام
وعلم انه لو امتنع اوذي او فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب امر السياسة فيجب عليه الاجابة طاعة
لهم ومراعاة لمصلحة الخلق حتى لا يضطرب الولاية والثاني ان يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم سواه
او عن نفسه اما بطريق الحسبة او بطريق التظلم فذلك رخصة بشرط ان لا يكذب ولا يثني ولا يدع
نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول عليهم **الحالة الثانية** ان يدخل عليه السلطان الظالم
زائرا له فجواب السلام لا بد منه واما القيام والاكرام فلا يحرم مقابلة له على اكرامه فانه باكرام
العلم والدين مستحق للاحماد كما انه بالظلم مستحق للابعاد فالاكرام بالاكرام والجواب بالسلام ولكن الاولى
ان لا يقوم ان كان معه في خلوة ليظهر له بعز الدين وحقارة الظلم ويظهر له غضبه للدين واعراضه عمن
اعرض عن الله فاعرض الله تعالى عنه وان كان الداخل عليه في جمع فمراعاة حشمة ارباب الولايات فيما بين
الرعايا مهم فلا باس بالقيام على هذه النية وان علم ان ذلك لا يورث فسادا في الرعية ولا ينالهم اذى
من غضبه فترك القيام اولى ثم يجب عليه بعد ان وقع اللقاء ان ينصحه فان كان يقارف ما لا يعرف تحريمه
وهو يتوقع ان يتركه اذا عرف فليعرفه فذلك واجب واما ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من الشرب والظلم فلا
فائدة فيه بل عليه ان يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن ان التخويف يؤثر فيه وعليه ان يرشده الى طرق المصلحة
ان كان يعرف طريقا على وفق الشرع بحيث يحصل بها غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول الى

غرضه بالظلم فاذن يجب عليه التعريف في محل جهله والتخويف فيما هو مستجرئ عليه والارشاد الى ما هو غافل
عنه مما يغنيه عن الظلم فهذه ثلاثة امور تلزمه اذا توقع للكلام فيه اثرا وهو ايضا لازم على كل من اتفق له
دخول على السلطان بعذر او بغير عذر وروي عن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس في البيت
الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرا فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضا فيها فبينا انا عنده اذ
دق داق الباب واذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له ما لي اذا رايتك
امتلات منك رعبا فقال حماد لانه عليه الصلوة والسلام قال ان العالم اذا اراد بعلمه وجه الله هابه
كل شيء فاذا اراد ان يكنز به الكنوز هاب من كل شيء ثم عرض عليه اربعين الف درهم قال وتاخذها و
تستعين بها قال ارددها على من ظلمته بها قال والله ما اعطيتك الا ما ورثته قال لا حاجة لي فيها
قال فتاخذها فتقسمها قال فلعلي ان عدلت في قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل
في قسمتها فيأثم فازوها عني **الحالة الثالثة** ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب اذ
لا سلامة الا فيه فعليه ان يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثني عليهم ولا يستخبر عن احوالهم و
لا يتقرب الى المتصلين بهم ولا يتاسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك اذا خطر بباله امرهم وان
غفل عنهم فهو الاحسن واذا خطر بباله امرهم وتنعمهم اذهبه بذكر الله تعالى فيما قال حاتم فليذكر ما
قال حاتم الاصم انما بيني وبين الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته واني واياهم من غد على وجل
وانما هو اليوم فما عسى ان يكون في اليوم وما قال ابو الدرداء رضي الله عنه اذ قال اهل الاموال
ياكلون وناكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول اموال ينظرون اليها وننظر معهم اليها و
عليهم حسابها ونحن منه براء وكل من احاط علمه بظلم ظالم او معصية عاص فينبغي ان يحط ذلك من درجته
في قلبه فهذا واجب عليه لان من صدر منه ما يكره نقص من رتبته في القلب لا محالة والمعصية ينبغي ان
يكره فانه اما ان يغفل عنها او يرضى بها او يكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة فليكن
جناية كل واحد في حق الله كجناية على حقك فان قلت الكراهة لا يدخل تحت الاختيار فكيف يجب قلنا
ليس كذلك فان المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له فان من لا يكره معصية
الله من لا يحب الله وانما لا يحب الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة ومحبة الله واجبة واذا احب كره ما
كرهه واحب ما احبه وسياتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا ان شاء الله تعالى فان قيل فقد
كان علماء السلف يدخلون على السلاطين فاقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد حكي ان هشام بن عبد
الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ائتوني برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين قد تفانوا
قال من التابعين فاتي بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بامرة المؤمنين
ولكن قال السلام عليك ولم يكنه ولكن جلس بازائه بغير اذنه وقال كيف انت يا هشام فغضب هشام
غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له انت في حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن ذلك فقال يا طاوس
ما الذي حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فازداد غضبا وغيظا فقال خلعت نعليك
بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم بامرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بازائي بغير اذني و
قلت كيف انت يا هشام قال اما خلع نعلي بحاشية بساطك فاني اخلعها بين يدي رب العزة ولا
يعاقبني ولا يغضب علي واما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت امير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول لا يحل
لرجل ان يقبل يدي احد الا امراته من شهوة او ولده برحمة واما قولك لم تسلم بامرة المؤمنين فليس كل الناس

راضين بما ردتك فكرهت ان اكذب واما قولك لم تكنني فان الله سمى اولياءه وقال يا داود ويا
يحيى ويا عيسى وكنى اعداءه فقال تبت يدا ابي لهب واما قولك جلست بازائي فاني سمعت امير المومنين
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يقول ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال يلدغ كل آمر
لا يعدل في رعيته ثم قام وهرب واختفى وعن سفيان الثوري قال ادخلت على ابي جعفر بمنى فقال
ارفع الينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملأت الارض ظلما وجورا قال فطأطأ راسه ثم رفعه وقال
ارفع الينا حاجتك قلت انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناءهم يموتون
جوعا فاتق الله واوصل حقوقهم قال فطأطأ راسه ثم رفع وقال ارفع الينا حاجتك فقلت حج عمر بن
الخطاب فقال للخازن كم انفقت قال بضعة عشر درهما وهنا ارى امورا لا يطيقها الجبال فهكذا
كانوا يدخلون على السلاطين اذا اكرهوا وكانوا يغرزون بارواحهم بالانتقام لله من ظلمهم ودخل
ابن ابي شميلة على عبد الملك بن مروان فقال له تكلم فقال ان الناس لا ينجون يوم القيامة من غصصها و
مرارتها ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك وقال لاجعلن هذه الكلمة
مثالا نصب عيني ما عشت ولما استعمل عثمان بن عفان رضي الله عنه اتاه اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابطا عنه ابو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال ابو ذر سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الرجل اذا ولي ولاية تباعد الله عنه ودخل مالك بن دينار على امير البصرة فقال
ايها الامير قرات في بعض الكتب من احمق من السلطان ومن اجهل ممن عصاني ومن اعز ممن اعتز بي ايها الراعي
السوء دفعت اليك غنما سمانا صحاحا واكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع فقال له والي
البصرة اتدري ما الذي يجرئك علينا ويجنبنا عنك قال لا قال قلة الطمع الينا وترك الامساك لما في ايدينا
وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمن بن عبد الملك فسمع سليمان صوتا لرعد فجزع ووضع صدره
على مقدم الرحل فقال عمر بن عبد العزيز هذا صوت رحمة فكيف اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمن
الى الناس فقال ما اكثر الناس فقال خصماء لك يا امير المومنين فقال ابتلاك الله بهم وحكي ان سليمن بن عبد
الملك لما قدم بالمدينة وهو يريد مكة فارسل الى ابي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمن يا ابا حازم ما لنا
نكره الموت قال لانكم خربتم اخرتكم وعمرتم الدنيا فكرهتم ان تنقلوا من العمران الى الخراب قال يا ابا حازم
كيف القدوم على الله تعالى قال يا امير المومنين اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء فكالآبق
يقدم به على مولاه فبكى سليمن وقال ليت شعري ما لي عند الله فقال ابو حازم اعرض نفسك على كتاب الله
عز وجل حيث قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمن فاين رحمة الله قال رحمة الله قريب
من المحسنين ثم قال سليمن يا ابا حازم اي عباد الله اكرم قال اهل المروة والتقى قال اي الاعمال
افضل قال اداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فاي الدعاء اسمع قال قول الحق عند من يخاف
ويرجوه قال اي المومنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس اليها قال فاي المومنين
اخسر قال رجل خطا في هوى اخيه وهو ظالم فباع اخرته بدنيا غيره قال سليمن ما تقول
فيما نحن فيه قال او تعفيني قال لا ولكن نصيحة تلقيها الي قال يا امير المومنين ان اباءك قهروا
الناس بالسيف واخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم حتى
قتلوا قتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بئس
ما قلت قال ابو حازم ان الله تبارك وتعالى قد اخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه

قال فكيف لنا ان نصلح الفساد قال ان تاخذ من حله فتضعه في حقه فقال سليمن ومن يقدر عليه فقال من يطلب
الجنة ويخاف من النار فقال سليمن ادع لي قال ابو حازم اللهم ان كان سليمن وليك فيسره لخير الدنيا والاخرة
وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى فقال سليمن اوصني فقال اوصيك واوجز عظم ربك
ونزهه ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث امرك قال عمر بن عبد العزيز لابي حازم عظني فقال اضطجع ثم اجعل
الموت عند راسك ثم انظر ما تحب ان يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن وما تكره ان يكون فيك تلك الساعة
فدعه الآن فلعل تلك الساعة قريبة ودخل اعرابي على سليمن بن عبد الملك فقال تكلم يا اعرابي فقال يا امير المومنين
اني مكلمك بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته قال يا اعرابي انا نجود بسعة الاحتمال على من
لا يرجو نصحه ولا نامن غشه قال الاعرابي يا امير المومنين انه قد يكنفك رجال اساءوا الاختيار لانفسهم وابتاعوا
دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله عز وجل ولم يخافوا الله فيك حرب للآخرة سلم للدنيا فلا
تامنهم على ما ائتمنك الله عز وجل عليه فانهم لم يالوا في الامانة تضييعا وفي الامة خسفا وعسفا وانت
مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد اخرتك فان اعظم الناس
غبنا من باع اخرته بدنيا غيره فقال سليمن اما انك يا اعرابي قد سللت لسانك وهو اقطع سيفيك
قال اجل يا امير المومنين ولكن لك لا عليك وحكي ان ابا بكرة دخل على معوية فقال اتق الله يا معوية و
اعلم انك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تاتي لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الاخرة الا قربا وعلى اثرك
طالب لا تفوته وقد نصب لك علم لا تجوزه فما اسرع ما يبلغ العلم وما اوشك ما يلحق بك وانا وما نحن فيه
زايل وفي الذي نحن صايرون اليه باق ان خيرا فخير وان شرا فشر فهكذا كان دخول اهل العلم على السلاطين
اعني علماء الاخرة فاما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا الى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون
بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق اغراضهم وان تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصدهم
الاصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم وفي هذا غروران يغتر بهما الحمقى احدهما ان يظهر
ان قصدي في الدخول عليهم اصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على انفسهم ذلك وانما الباعث
لهم شهوة خفية للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق في طلب الاصلاح انه لو تولى ذلك
الوعظ غيره ممن هو من اقرانه من العلماء ووقع موقع القبول وظهر به اثر الصلاح فينبغي ان يفرح
به ويشكر الله على كفايته هذا المهم كمن وجب عليه ان يعالج مريضا ضائعا فقام بمعالجته غيره فانه
يعظم به فرحه فان كان يصادف في قلبه ترجيحا لكلامه على كلام غيره فهو مغرور والثاني ان يزعم اني اقصد
الشفاعة لمسلم في دفع ظلامة وهذا ايضا مظنة الغرور ومعياره ما تقدم ذكره فاذا ظهر طريق الدخول
فلنرسم في الاحوال العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة اموالهم مسايل مسئلة اذا بعث
اليك السلطان ما لا لتفرقه على الفقراء فان كان له مالك متعين لا يحل اخذه وان لم يكن كان حكمه انه يجب
التصدق به على المساكين كما سبق فلك ان تاخذه وتتولى التفرقة ولا تعصي باخذه ولكن من العلماء من امتنع عنه
فعند هذا تستدعي نظرا في الاولى فنقول الاولى ان تاخذه ان امنت ثلث غوائل الغائلة الاولى ان يظن
السلطان بسبب اخذك ان ماله طيب ولولاه لكنت لا تمد اليه ولا تدخله في ضمانك فان كان كذلك
فلا تاخذه فان ذلك محذور ولا يفي الخير في مباشرتك التفرقة بما يحصل له من الجراة على كسب الحرام الغائلة
الثانية ان ينظر اليك غيرك من العلماء والجهال فيقتدون بك في الاخذ ويستدلون بك على جوازه ثم لا
يفرقون فهذا اعظم من الاول فان جماعة يستدلون باخذ الشافعي على جواز الاخذ ويغفلون عن تفرقته

ولحذر على نية التعرض والمقتدى والمشتبه به ينبغي ان يحترز من هذا غاية الاحتراز فانه يكون فعله سبب
ضلال الخلق كثير وقد حكى وهب بن منبه ان رجلا اتي به الى ملك بمشهد من الناس ليكره على اكل لحم الخنزير
فلم ياكل فقدم اليه لحم غنم واكره بالسيف فلم ياكل وقال الناس قد اعتقدوا اني طولبت باكل لحم الخنزير فاذا
خرجت سالما وقد اكلت فلا يعلمون ماذا اكلت ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف اخي
الحجاج وكان عاملا وكان في غداة باردة وكان لغلامه طيلسان فقال لهم ذلك الطيلسان والقه
على ابي عبد الرحمن يعني طاوس وكان قد قعد على الكرسي فالقى عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى القى الطيلسان
عنه وغضب محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنيا عن ان تغضبه لو اخذت الطيلسان او
تصدقت به قال نعم لولا ان يقول الناس من بعدي اخذه طاوس ثم لا يصنع به ما اصنع به اذن
لفعلت الغايلة الثالثة ان يتحرك قلبك الى حبه لتخصيصه اياك وايثاره لك بما انفذه اليك فان
كان كذلك فلا تقبل فان ذلك هو السم القاتل والداء الدفين اعني ما يحبب الظلمة اليك فان من
احببته لابد وان تحرص عليه وتداهن فيه قالت عايشة رضي الله عنها جبلت القلوب على حب من احسن
اليها وقال عليه الصلوة والسلام لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي بين ان القلب لا يكاد يمتنع من ذلك
وروي ان بعض الامراء ارسل الى مالك بن دينار بعشرة الاف فاخرجها كلها فاتاه محمد بن واسع وقال
ما صنعت بما اعطاك هذا المخلوق فقال سل اصحابي فقالوا اخرجه كله فقال انشدك الله اقلبك اشد
حبا له الان ام قبل ان ارسل اليك فقال لا بل الان فقال انما كنت اخاف هذا وقد صدق فانه اذا احب
احب بقاه وكره عزله ونكبته وموته واحب اتساع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب لاسباب الظلم
وهو مذموم قال سلمان وابن مسعود من رضي بامر وان غاب عنه كان كمن شهده وقال تعالى ولا تركنوا
الى الذين ظلموا قيل لا ترضوا باعمالهم فان كنت بالقوة بحيث لا تزداد حبا بذلك فلا باس بالاخذ و
قد حكي عن عابد البصرة انه كان ياخذ اموالا ويفرقها فقيل له الا تخاف ان تحبهم فقال لو اخذ رجل
بيدي فادخلني الجنة ثم عصى ربه ما احبه قلبي لان الذي سخره للاخذ بيدي هو الذي ابغضه لاجله
شكرا له على تسخيره اياه وتبين ان اخذ المال الان منهم وان كان ذلك المال بعينه من وجه حلال محذور
ومذموم لانه لا ينفك عن هذه الغوايل مسئلة ان قال قايل اذا جاز اخذ ماله وتفرقته فهل يجوز
ان يسرق ماله او يخفى وديعته وينكر ويفرق على الناس فنقول ذلك غير جايز لانه ربما يكون له مالك
معين وهو على عزم ان يرده عليه وليس هذا كما يحمل اليك فان العاقل لا يظن به ان يتصدق بما يعلم مالكه
فيدل تسليمه على انه لا يعرف مالكه فان كان ممن يشكل عليه مثله فلا يجوز ان يقبل منه المال ما لم يعرف ذلك ثم
كيف يسرق ويحتمل ان يكون ملكه قد حصل له بشراء في ذمته فان اليد دلالة على الملك فهذا لا سبيل اليه بل لو
وجدت لقطة وظهر ان صاحبها جندي واحتمل ان يكون له بشراء في الذمة او غيره وجب الرد عليه فاذن
لا يجوز سرقة مالهم لا منهم ولا ممن اودع منهم عنده ولا يجوز انكار ودايعهم ويجب الحد على سارق مالهم الا
اذا ادعى السارق انه ليس ملكا لهم فعند ذلك يسقط الحد بالدعوى مسئلة المعاملة معهم حرام لان
اكثر مالهم حرام فما يؤخذ عوضا فهو حرام فان ادى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما يسلم اليهم فان
علم انهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم انهم يلبسونه فذلك حرام كبيع العنب من الخمار وانما الخلاف
في الصحة وان امكن ذلك وامكن ان يلبسها نساءه فهو شبهة مكروهة هذا فيما يعصى في عينه من الاموال و في
معناه بيع الفرس منهم لا سيما وقت ركوبهم الى قتال المسلمين او جباية اموالهم فان ذلك اعانة قريبة وهي محظورة

فاما بيع الدراهم والدنانير منهم وما يجري مجراه مما لا يعصى في عينه بل يتوصل به فهو مكروه لما فيه من اعانتهم
على الظلم لانهم يستعينون على ظلمهم بالاموال والدواب وساير الاسباب وهذه الكراهية جارية
في الاهداء اليهم وفي العمل بهم من غير اجرة حتى في تعليمهم وتعليم اولادهم الكتابة والترسل والحساب
واما تعليم القران فلا يكره الا من حيث الاجرة فان ذلك حرام الا من وجه يعلم حله ولو انتصب وكيلا
لهم يشتري لهم في السوق من غير جعل واجرة فهو مكروه من حيث الاعانة وان اشترى لهم ما يعلم انهم يقصدون
به المعصية كالغلام والديباج للبس والفرس للركوب الى الظلم والقتل وذلك حرام فمهما ظهر قصد
المعصية بالمتاع حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلالته عليه حصلت الكراهة مسئلة
الاسواق التي بنوها بالمال الحرام يحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فان سكنها باجرة واكتسب بطريق شرعي
لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناه وللناس ان يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا اخر فالاولى الشراء منه
فان ذلك اعانة لسكانهم وتكثير لكرى حوانيتهم وكذلك معاملة السوق التي لا خراج لهم عليها احب من معاملة
سوق لهم عليها الخراج وقد بالغ قوم حتى لم يجوزوا معاملة الفلاحين واصحاب الاراضي التي عليها الخراج لانهم
ربما يصرفون ما ياخذون الى الخراج فيحصل به الاعانة وهذا غلو في الدين وحرج على المسلمين فان الخراج
قد عم الاراضي التي عليها خراج ولا غنى بالناس عن ارتفاع الارض فلا معنى للمنع منه ولو جاز هذا لحرم
على المالك زراعة الارض حتى لا يطلب خراجها وذلك مما يطول ويتداعى الى حسم باب المعايش مسئلة
معاملة قضاتهم وعمالهم وخدامهم حرام كمعاملتهم بل اشد اما القضاة فلانهم ياخذون من اموالهم الحرام
الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزيهم فانهم على زي العلماء ويختلطون بهم وياخذون من اموالهم
الحرام والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بذوي الجاه فهم سبب انقياد الخلق اليهم واما الخدم والحشم
فاكثر اموالهم من الغصب الصريح ولا يقع في ايديهم مال مصلحة وجزية وميراث ووجه حلال حتى يضعف الشبهة
باختلاط الحلال بمالهم قال طاوس لا اشهد عندهم وان تحققت لاني اخاف تعديهم على من شهدت عليه و
بالجملة انما فسدت الرعية بفساد الملوك وفسد الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء
لقل فساد الملوك خوفا من انكارهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تزال هذه الامة تحت يد الله و
كنفه ما لم يمال قراؤها امراءها وانما ذكر القراء لانهم كانوا هم العلماء وانما كان علمهم بالقران ومعانيه
المفهومة بالسنة وما وراء ذلك من العلوم محدثة بعدهم وقد قال سفيان لا تخالط السلطان ولا من
يخالطهم وقال صاحب القلم والدواة وصاحب القرطاس وصاحب الليقة بعضهم شركاء بعض وقد صدق
فان النبي صلى الله عليه وسلم لعن في الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر وقال ابن مسعود اكل الربا وموكله
وشاهده وكاتبه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن سيرين لا تحمل للسلطان كتابا حتى
تعلم ما فيه وامتنع سفيان من مناولة الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال حتى اعلم ما يكتبه فكل من
حوله من خدمهم ظلمة مثلهم يجب بغضهم في الله جميعا وروي عن عثمان بن زايدة انه ساله واحد من الجنود
وقال اين الطريق فسكت واظهر انه به صمما وخاف ان يتوجه يكون متوجها الى الظلم فيكون هو بارشاده
الى الطريق معينا وهذه المبالغة لم ينقل من السلف مع الفساق من التجار والحاكة والحجامين واهل الحمامات
والصاغة والصباغين وارباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم بل مع الكفار من اهل الذمة وانما
هذا في الظلمة خاصة الاكلين لاموال اليتامى والمساكين المواظبين على ايذاء المسلمين الذين تعاونوا على طمس
رسوم الشريعة وشعايرها وهذا لان المعصية منقسمة الى لازمة ومتعدية والفسق لازم لا يتعدى

وكذا الكفر وهو جناية على حق الله وحسابه على الله واما معصية الولاة بالظلم وهو متعد فانما يغلظ امرهم
لذلك وبتعدد عموم الظلم وعموم التعدي يزدادون من الله مقتا فيجب ان يزداد منهم اجتنابا ومن معاملتهم
احترازا فقد قال صلى الله عليه وسلم يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار وقال ومن اشراط الساعة
رجال معهم سياط كاذناب البقر فهذا حكمهم ومن عرف بذلك فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته طول
الشوارب وساير الهيات المشهورة فمن راى على تلك الهيئة يجب اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لانه
الذي جنى على نفسه اذ تزيا بزيهم ومساواة الذي يدل على مساواة القلب فلا يتجانن الا مجنون ولا
يتشبه بالفساق الا فاسق نعم الفاسق قد يلبس فيتشبه باهل الصلاح فاما الصالح فليس له ان يتشبه
باهل الفساد لان ذلك تكثير لسوادهم وانما نزل قوله تعالى ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم في قوم من
المسلمين كانوا يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة وقد روي ان الله تعالى اوحى الى يوشع بن نون اني
مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم فقال يا رب ما بال الاخيار فقال انهم
لم يغضبوا لغضبي وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم وبهذا يتبين ان بغض الظلمة والغضب لله عليهم واجب
وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لعن علماء بني اسرائيل اذ خالطوا الظالمين في معاشهم

مسئلة المواضع التي بناها الظلمة كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغي ان يحتاط فيها وينظر
اما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز ما امكن وان وجد عنه معدلا
تاكد الورع وانما جوزنا العبور لانه اذا لم يعرف لتلك الاعيان مالكا كان حكمها ان ترصد للخير
وهذا خير فاما اذا عرف ان الآجر والحجر قد نقل من دار معلومة او مقبرة او مسجد معين
فهذا لا يحل العبور عليه اصلا الا لضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير ثم يجب عليه الاستحلال
من المالك الذي يعرفه واما المسجد فان بني في ارض مغصوبة او بخشب مغصوب من مسجد آخر او
مالك معين فلا يجوز دخوله اصلا ولا للجمعة بل لو وقف الامام فيه فليصل هو خلف الامام وليقف
خارج المسجد فان الصلوة في الارض المغصوبة تسقط الفرض وتنعقد في حق الاقتداء وان عصا
صاحبها بالوقوف في الغصب وان كان من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول الى مسجد آخر ان وجد
فان لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لانه يحتمل ان يكون من ملك الذي بناه ولو على بعد وان
لا يكون له مالك معين فهو لمصالح المسلمين ومهما كان في المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن يصلي
فيه مع اتساع المسجد اعني في الورع قيل لاحمد بن حنبل رحمة الله عليه ما حجتك في ترك الخروج الى الصلوة
ونحن بالعسكر فقال حجتي الحسن وابرهيم التيمي خافا ان يفتنهم الحجاج وانا اخاف ان افتتن ايضا و
اما الخلوق والتجصيص فلا يمنع من الدخول فانه غير منتفع بهما انما هي زينة والاولى ان لا ينظر اليه
واما البواري التي فرشها فان كان له مالك معين فيحرم الجلوس عليها والا فبعد ان رصد لمصلحة
عامة يجوز افتراشه ولكن الورع العدول عنه فانه محل شبهة واما السقاية فحكمها ما ذكرناه فليس
من الورع الوضوء والشرب منها والدخول فيها الا اذا كان يخشى فوات الصلوة فيتوضأ وكذا مصانع
طريق مكة واما الرباطات والمدارس فان كانت رقبة الارض مغصوبة او الآجر منقولا من موضع
معين يمكن الرد الى مستحقه فلا رخصة للدخول فيه وان التبس المالك فقد ارصد لجهة من الخير فالورع
اجتنابه ولكن لا يلزم الفسق بدخوله وهذه الابنية ان صدرت من خدم السلاطين فالامر فيه اشد
اذ ليس لهم صرف الاموال الضايعة الى المصالح ولان الحرام اغلب على اموالهم اذ ليس لهم اخذ مال المصالح

وانما يجوز ذلك للولاة وارباب الامر **مسئلة** الارض المغصوبة اذا جعلت شارعا لم يجز ان يتخطى فيها
البتة وان لم يكن له مالك معين جاز والورع العدول ان امكن فان كان الشارع مباحا وفوقه
ساباط جاز العبور تحته ويجوز الجلوس تحت الساباط على وجه لا يحتاج فيه الى السقف كما يقف في
الشارع لشغل فان انتفع بالسقف في دفع حر الشمس واذى المطر او غيره فهو حرام لان السقف
لا يراد الا لذلك وهكذا الحكم من يدخل مسجدا او ارضا مباحة سقف ذلك وحوط بغصب فانه بمجرد
التخطي لا يكون منتفعا بالحيطان والسقف الا اذا كان فائدة في الحيطان والسقف حرا او بردا او تسترا عن
بصر او غيره فذلك حرام لانه انتفاع بالحرام اذ لم يحرم الجلوس على الغصب لما فيه من المماسة بل للانتفاع والارض
تراد للاستقرار والسقف للاستظلال فلا فرق بينهما

الباب السابع في مسائل متفرقة

يكثر مسيس الحاجة اليها وقد سئل عنها في الفتاوى **مسئلة** سئل عن خادم الصوفية يخرج الى السوق و
يجمع طعاما او نقدا ويشتري به طعاما فمن الذي يحل ان ياكل منه وهل يختص بالصوفية ام لا فقلت اما
الصوفية فلا شبهة في حقهم اذا اكلوه واما غيرهم فيحل لهم اذا اكلوه برضا الخادم ولكن لا يخلو عن شبهة اما الحل
فلان ما يعطى خادم الصوفية انما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو للمعطى لا للصوفية فهو كالرجل المعيل يعطى بسبب
عياله لانه متكفل بهم فما ياخذه يقع ملكا له لا للعيال وله ان يطعم غير العيال اذ يبعد ان يقال لم يخرج عن
ملك المعطي ولا يتسلط الخادم على الشراء به والتصرف فيه لان ذلك مصير الى ان المعاطاة لا يكفي وهو
ضعيف ثم لا صاير اليه في الصدقات والهدايا ويبعد ان يقال زال الملك الى الصوفية الحاضرين في الذين هم
وقت سؤاله في الخانقاه اذ لا خلاف ان له ان يطعم منه من يقدم بعدهم ولو ماتوا كلهم او واحد منهم لا يجب صرف
نصيبه الى وارثه ولا يمكن ان يقال انه وقع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق لان ازالة الملك لجهة لا توجب
تسليط الآحاد على التصرف فان الداخلين فيه لا ينحصرون بل يدخل فيه من تولد الى يوم القيمة فانما
يتصرف فيه الولاة والخادم لا يجوز ان ينتصب نائبا عن الجهة فلا وجه الا ان يقال هو ملكه وانما يطعم
الصوفية بوفاء شرط التصوف في المروة فان منعهم عنه علم منعوه ان يظهر نفسه في معرض التكفل بهم
حتى ينقطع رفقه كما ينقطع عن مهمات **مسئلة** سئل عن مال اوصي به للصوفية فمن الذي يجوز ان يصرف
اليه فقلت التصوف امر باطن لا يطلع عليه فلا يمكن ربط الحكم بحقيقته بل بامور ظاهرة يعول عليها
اهل العرف في اطلاق اسم الصوفي والضابط الكلي ان كل من هو بصفة اذا نزل بخانقاه الصوفية لم يكن
نزوله فيها واختلاطه بهم منكرا عندهم فهو داخل في غمارهم والتفصيل ان يلاحظ فيه خمس صفات
الصلاح والفقر وزي الصوفية وان لا يكون مشتغلا بحرفة وان يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة في الخانقاهات
ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم وبعضها ينجبر بالبعض فالفسق يمنع هذا الاستحقاق
لان الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من اهل الصلاح بصفة مخصوصة فالذي يظهر فسقه وان كان على زيهم
لا يستحق ما اوصي للصوفية ولسنا نعتبر فيه الصغاير واما الحرفة والاشتغال بالكسب فيمنع هذا الاستحقاق
فالدهقان والعامل والتاجر والصانع في حانوت او دار والاجير الذي يخدم باجرة كل هؤلاء لا يستحقون
ولا ينجبر هذا بالزي والمخالطة واما الوراقة والخياطة وما يقرب منهما مما يليق بالصوفية تعاطيها فاذا تعاطاها
لا في حانوت ولا على جهة اكتساب وحرفة فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجبر بمساكنته اياهم مع بقية
الصفات واما القدرة على الحرفة من غير مباشرة لا تمنع واما الوعظ والتدريس فلا ينافي اسم التصوف
اذا وجدت بقية الخصال من الزي والمساكنة والفقر اذ لا يتناقض ان يقال صوفي مقرئ وصوفي واعظ و

صوفي عالم ومدرس ويتناقض ان يقال صوفي دهقان وصوفي تاجر وصوفي عامل واما الفقر
فان زال بغنى مفرط ينسب الرجل به الى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه اخذ وصية الصوفية
وان كان له مال ولا يفي دخله بخرجه لم يبطل حقه وكذا ان كان له مال قاصر عن وجوب
الزكوة وان لم يكن له خرج وهذه امور لا دليل لها الا العادات واما المخالطة معهم ومساكنتهم فله
اثر ولكن من لا يخالطهم وهو في داره او في مسجده على زيهم ومتخلق باخلاقهم فهو
شريك في سهمهم وكان ترك المخالطة يجبره ملازمة الزي فان لم يكن على زيهم ووجد
بقية الصفات فلا يستحق الا اذا كان مساكنا لهم في الرباط فينسحب عليه حكمهم بالتبعية فالمخالطة
والزي ينوب كل واحد منهما عن الآخر والفقيه الذي ليس على زيهم هذا حكمه فان كان خارجا
لم يعد صوفيا وان كان ساكنا معهم ووجدت بقية الصفات لم يبعد ان ينسحب بالتبعية عليه حكمهم و
اما لبس المرقع من يد شيخ من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعدمه لا يضر مع وجود
الشرائط المذكورة واما المتاهل المتردد بين الرباط والمسكن لا يخرج عن جملتهم مسئلة
ما وقف على رباط الصوفية وسكانه فالامر فيه اوسع مما اوصى به للصوفية لان معنى الوقف الصرف
الى مصالحهم فلغير الصوفي ان ياكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة او مرتين فان امر الاطعمة مبناه
على التسامح حتى جاز الانفراد به في الغنائم المشتركة وللقوال ان ياكل معهم في دعوتهم من ذلك الوقف
وكان ذلك من مصالح معايشهم وما اوصى به للصوفية لا يجوز ان يصرف الى القوال الصوفية بخلاف
الوقف وكذلك من احضروه من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض في استمالة قلبه يحل
لهم الاكل برضاهم فان الواقف لا يقف الا معتقدا فيه ما جرت به عادات الصوفية فينزل على العرف
ولكن ليس هذا على الدوام ويأكل وان رضوا به اذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم واما
الفقيه اذا كان على زيهم واخلاقهم فله النزول عليهم وكونه فقيها لا ينافي كونه صوفيا والجهل ليس بشرط
في التصوف عند من يعرف التصوف ولا يلتفت الى خرافات بعض الحمقى بان العلم حجاب فان الجهل
هو الحجاب وقد ذكرنا تاويل هذه الكلمة في كتاب العلم وان الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود
وذكرنا المذموم والمحمود وشرحهما واما الفقيه اذا لم يكن على زيهم واخلاقهم فلهم منعه من النزول عليهم
وان رضوا بنزوله فيحل له الاكل معهم بطريق التبعية وكان عدم الزي تجبره المساكنة ولكن برضى
اهل الزي وهذه امور تشهد لها العادات وفيها امور متقابلة لا يخفى اطرافها في النفي والاثبات
وتتشابه اوساطها فمن احترز في موضع الاشتباه فقد استبرأ لدينه كما نبهنا عليه في باب الشبهات مسئلة
سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع ان كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض وقد حرم
احدهما دون الاخرى قلت باذل المال لا يبذله قط الا لغرض ولكن الغرض اما آجل كالثواب واما
عاجل والعاجل اما مال واما فعل واعانة على مقصود معين واما تقرب الى قلب المهدى اليه بطلب محبته
اما للمحبة في عينها واما للتوصل بالمحبة الى غرض وراءها فالاقسام الحاصلة من هذه خمسة الاول ما غرضه
الثواب في الآخرة وذلك اما ان يكون المصروف اليه محتاجا او عالما او منتسبا بنسب ديني او صالحا في نفسه متدينا
فما علم الآخذ انه يعطى لحاجته لا يحل له اخذه ان لم يكن محتاجا وما علم انه يعطى لشرف نسبه فلا يحل له ان كان كاذبا
في دعوى النسب وما يعطى لعلمه فلا يحل ان ياخذه الا ان يكون في العلم كما يعتقده المعطي فان كان خيل اليه
كمالا في العلم حتى يبعثه بذلك على التقرب ولم يكن كاملا لم يحل له وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له ان ياخذه

ان كان فاسقا في الباطن فسقا لو علمه المعطي لما اعطاه وقل ما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه
لبقيت القلوب مائلة اليه وانما ستر الله الجميل هو الذي يحبب الخلق الى الخلق والمتورعون وكلوا
في الشرى من لا يعرف انه وكيلهم حتى لا يسامحوا في البيع خيفة من ان يكون ذلك اكلا بالدين فان ذلك
مخطر والتقوى خفي لا كالعلم والنسب والفقر فينبغي ان يجتنب الاخذ بالدين ما امكن القسم
الثاني ما يقصد به في العاجل غرض معين كالفقير يهدي الى الغني طمعا في خلعته فهذه هبة بشرط
ثواب ولا يخفى حكمها وانما يحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود شروط العقود الثالث ان
يكون المراد اعانة بفعل معين كالمحتاج الى السلطان يهدي الى وكيل السلطان وخاصيته ومن له
مكانة عنده فهذه هبة بشرط ثواب تعرف بقرينة الحال فينظر في ذلك العمل الذي هو الثواب فان كان
حراما كالسعي الى تنجيز ادرار حرام او ظلم انسان او غيره حرم الاخذ وان كان واجبا كدفع ظلم معين على كل من
يقدر عليه او شهادة متعينة فيحرم ما ياخذه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها وان كان مباحا لا واجبا و
لا حراما وكان فيه تعب بحيث لو عرف جاز الاستيجار عليه فما ياخذه حلال مهما وفى بالغرض وهو جار
مجرى الجعالة كقوله اوصل هذه القصة الى يد السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج الى تعب وعمل
متقوم او قال اقترح على فلان ان يعينني في غرض كذا او ينعم علي بكذا او افتقر في تنجيز غرضه الى كلام
طويل فذلك جعل كما ياخذه الوكيل بالخصومة بين يدي القاضي فليس بحرام اذا كان لا يسعى في حرام
وان كان مقصوده يحصل بكلمة لا تعب فيها ولكن تلك الكلمة من ذي الجاه او تلك الفعلة من ذي الجاه
تفيد كقوله للبواب لا تغلق دونه باب السلطان او كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط فهذا حرام
لانه عوض عن الجاه ولم يثبت في الشرع جواز ذلك بل ثبت ما يدل على النهي عنه كما سياتي في هدايا الملوك واذا
كان لا يجوز اخذ العوض عن اسقاط الشفعة والرد بالعيب ودخول الاغصان في هواء الملك وجملة
من الاغراض مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه ويقرب من هذا اخذ الطبيب العوض على كلمة
واحدة ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته كواحد ينفرد بالعلم بنبت يقلع البواسير او غيره فلا يذكره الا بعوض
فان عمله في التلفظ به غير متقوم كحبة من سمسم فلا يجوز اخذ العوض عليه ولا على علمه اذ ليس ينتقل علمه
الى غيره وانما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالما به ودون هذا الحاذق في الصناعة كالصيقل
مثلا الذي يزيل اعوجاج السيف والمرآة بدقة واحدة لحسن معرفته بموضع الاعوجاج ولحذقه باصابته فقد يزيد بدقة واحدة مال كثير في قيمة السيف والمرآة فهذا
لا ارى باسا باخذ الاجرة عليه لان مثل هذه الصناعات يتعب الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويخفف
عن نفسه كثرة العمل الرابع ما يقصد به المحبة وجلبها من قلب المهدى اليه لا لغرض معين ولكن طلبا
للاستيناس وتاكيد الصحبة وتوددا الى القلوب فذلك مقصود العقلاء ومندوب اليه في
الشرع قال صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا وعلى الجملة فلا يقصد الانسان في الغالب ايضا محبة غيره
لعين المحبة بل لفائدة في محبته ولكن اذا لم يتعين تلك الفائدة ولم يتمثل في نفسه غرض معين يبعثه في
الحال او المآل سمي ذلك هدية وحل اخذها الخامس ان يطلب التقرب الى قلبه وتحصيل محبته لا لمحبته
ولا للانس به من حيث انه انس فقط بل ليتوصل بجاهه الى اغراض له ينحصر جنسها وان لم يتخصص عينها
ولولا جاهه وحشمته لكان لا يهدي اليه فان كان جاهه لاجل علم او نسب فالامر فيه اخف واخذه مكروه
فان فيه مشابهة الرشوة ولكنها هدية في ظاهرها وان كان جاهه بولاية تولاها من قضاء او عمل او
ولاية صدقة او جباية مال او غيره من الاعمال السلطانية حتى ولاية الاوقاف مثلا وكان لولا تلك الولاية

لكان لا يهدى إليه فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية إذ القصد بها في الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن لأمر ينحصر جنسه إذ ما يمكن التوصل إليه بالولايات لا يخفى وآية أنه لا يبتغي المحبة أنه لو ولي في الحال غيره لسلم المال إلى غيره فهذا مما اتفقوا على أن الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حراماً والمعنى فيه متعارض فإنه دائر بين الهدية المحضة وبين الرشوة المبذولة في مقابلة جاه محض في غرض معين فإذا تعارضت المشابه القياسية وعضدت الأخبار والآثار أحدهما تعين الميل إليه وقد دلت الأخبار على تشديد الأمر فيه قال صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البريء ليتعظ به العامة وسئل ابن مسعود عن السحت فقال يقضي الرجل الحاجة فيهدى إليه الهدية ولعله أراد قضاء الحاجة بكلمة لا تعب فيها أو تبرع بها لا على قصد أجرة فلا يجوز أن يأخذ بعده شيئاً في معرض العوض وشفع مسروق شفاعة فأهدى إليه جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا أتكلم فيما بقي وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت وأخذ عمر رضي الله عنه ربح مال القراض الذي أخذه ولداه من بيت المال وقال إنما أعطيتما لمكانكما مني وعلم أنه أعطي لأجل جاه الولاية وأهدت امرأة أبي عبيدة بن الجراح إلى خاتون ملكة الروم خلوقاً فكافأتها بجوهر فأخذه عمر فباعه وأعطاها ثمن خلوقها ورد باقيه في بيت مال المسلمين وقال جابر وأبو هريرة هدايا الملوك غلول ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة أي كان يتقرب إليه لنبوته لا لولايته ونحن إنما نعطى للولاية وأعظم من ذلك كله ما روى أبو حميد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم … أمسك بعض ما معه وقال هذا ما لكم وهذا ما لي هدية فقال عليه الصلاة والسلام ألا جلست في بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً ثم قال ما لي أستعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذه هدية لي ألا جلس في بيت أمه ليهدى إليه والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا أتى الله بحمله فلا يأتين أحدكم يوم القيامة ببعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه ثم قال اللهم هل بلغت وإذا ثبتت هذه التشديدات فالقاضي والوالي ينبغي أن يقدر نفسه في بيت أمه وأبيه فما كان يعطى بعد العزل وهو في بيت أمه يجوز له أن يأخذه في ولايته وما يعلم أنه يعطى لولايته فحرام أخذه وما أشكل عليه في أصدقائه أنهم كانوا يعطونه لو كان معزولاً فهو شبهة فليجتنبه

كتاب آداب الصحبة والأخوة وهو الكتاب الخامس من إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولاً وامتناناً وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخواناً ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا أصدقاء وأخداناً وفي الآخرة رفقاء وخلاناً والصلاة والسلام على محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولاً وفعلاً وعدلاً وإحساناً أما بعد فإن التحاب في الله تعالى والأخوة في دينه من أفضل القربات وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تعالى وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله تعالى زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى ونحن نبين مقاصدها هذا الكتاب في ثلاثة أبواب إن شاء الله تعالى الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة في الله وفي شروطها الباب الثاني في حقوق الصحبة وآدابها ولوازمها الباب الثالث في حق المسلم والجوار والرحم وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الأسباب

الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة في الله وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها

فضيلة الأخوة والألفة اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ومهما كان المثمر محموداً كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه صلى الله عليه وسلم إذ قال وإنك لعلى خلق عظيم وقال النبي صلى الله عليه وسلم أكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق وقال أسامة بن شريك قلنا يا رسول الله ما خير ما أعطي الإنسان فقال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وقال صلى الله عليه وسلم أثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال أبو هريرة وما حسن الخلق يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك ولا يخفى أن ثمرة حسن الخلق الألفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة كيف وقد ورد في الثناء على نفس الألفة سيما إذا كانت الرابطة هي الدين والتقوى وحب الله من الآيات والأخبار ما فيه كفاية ومقنع قال الله سبحانه وتعالى مظهراً عظيم منته على الخلق بنعمة الألفة لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم وقال فأصبحتم بنعمته إخواناً أي بالألفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا إلى قوله لعلكم تهتدون وقال صلى الله عليه وسلم إن أقربكم مني مجلساً أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وقال صلى الله عليه وسلم في الثناء على الأخوة في الدين من أراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وقال صلى الله عليه وسلم مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيراً وقال صلى الله عليه وسلم في الترغيب في الأخوة في الله من آخى أخاً في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ إني لأحبك في الله فقال له أبشر ثم أبشر فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول تنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل له من هؤلاء يا رسول الله فقال هم المتحابون في الله ورواه أبو هريرة فقال إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله وقال صلى الله عليه وسلم ما تحاب اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه ويقال إن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلى مقاماً من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وإنه يلتحق به كما يلتحق الذرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله تعالى لم تكن دون أخوة الولادة وقد قال الله تعالى ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء وقال صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله … ما زار رجل رجلاً في الله شوقاً إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه

طبت وطابت لك الجنة وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا زار اخا له في الله فارصد الله له ملكا فقال
اين تريد فقال اريد ان ازور اخي فلانا فقال لحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال
لنعمة له عندك قال لا قال فبم قال احبه في الله قال فان الله تعالى ارسلني اليك يخبرك بانه يحبك لحبك
اياه وقد اوجب لك الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله
فبهذا يجب ان يكون للرجل اعداء يبغضهم في الله كما يكون له اصدقاء واخوان يحبهم في الله ويروى ان الله عز وجل
اوحى الى نبي من الانبياء اما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة واما انقطاعك الي فقد تعززت بي
لكن هل عاديت في عدوا او هل واليت في وليا وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر علي منة فترزقه
مني محبة ويروى ان الله عز وجل اوحى الى عيسى عليه السلام لو انك عبدتني بعبادة اهل السموات والارض وحب
في الله ليس وبغض في الله ليس ما اغنى ذلك عنك شيئا وقال عيسى عليه السلام تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصي
وتقربوا الى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجالس قال جالسوا من يذكركم
الله رؤيته ومن يزيد في علمكم كلامه ومن يرغبكم في الاخرة عمله وروي في الاخبار السالفة ان الله تعالى
اوحى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخدانا وكل خدن وصاحب لا يؤازرك
على مسرتي فهو لك عدو واوحى الله تعالى الى داود فقال يا داود ما لي اراك منتبذا وحدانا قال الهي قليت
الخلق من اجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك اخدانا وكل خدن لا يوافقك على مسرتي
فلا تصحبه فانه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وفي اخبار داود عليه السلام انه قال يا رب كيف لي ان
يحبني الناس كلهم واسلم فيما بيني وبينك قال خالق الناس باخلاقهم واحسن فيما بيني وبينك وفي بعضها
خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا وخالق اهل الاخرة باخلاق الاخرة وقال صلى الله عليه وسلم ان
احبكم الى الله الذين يالفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان
وقال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما الفت بين الثلج و
النار كذلك الف بين قلوب عبادك الصالحين وقال ايضا ما احدث عبد اخا في الله الا احدث الله له درجة
في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم المتحابون في الله تعالى على عمود من ياقوتة حمراء في راس العمود سبعون
الف غرفة يشرفون على اهل الجنة يضيء حسنهم لاهل الجنة كما يضيء الشمس لاهل الدنيا فيقول اهل الجنة انطلقوا
بنا ننظر الى المتحابين في الله فيضيء حسنهم لاهل الجنة كما يضيء الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم
المتحابون في الله

الاثار

قال علي رضي الله عنه عليكم بالاخوان فانهم عدة في الدنيا والاخرة الا تسمع الى قول
اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال عبد الله بن عمر والله لو صمت النهار لا افطره وقمت
الليل لا انامه وانفقت مالي علقا علقا في سبيل الله اموت يوم اموت وليس في قلبي حب لاهل طاعة الله و
بغض لاهل معصية الله ما نفعني ذلك شيئا وقال ابن السماك عند موته اللهم انك تعلم اني اذا كنت اعصيك
كنت احب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي اليك وقال الحسن على ضده يا ابن ادم لا يغرنك قول من يقول
المرء مع من احب فانك لن تلحق الابرار الا باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم وهذه
اشارة الى ان مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الاعمال او كلها لا ينفع وقال الفضيل في بعض
كلامه هاه تريد ان تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين و
الشهداء والصالحين باي عمل عملته باي شهوة تركتها باي غيظ كظمته باي رحم قاطع وصلتها
باي زلة لاخيك غفرتها باي قريب باعدته باي بعيد قاربته في الله ويروى ان الله عز وجل اوحى الى موسى

عليه السلام هل عملت لي عملا قط فقال الهي صليت لك وصمت وتصدقت فقال ان الصلوة لك برهان
والصوم جنة والصدقة ظل والذكر نور فاي عمل عملت لي قال موسى عليه السلام الهي دلني على عمل
هو لك قال يا موسى هل واليت لي وليا قط وهل عاديت لي عدوا قط فعلم موسى ان افضل الاعمال الحب
في الله والبغض في الله وقال ابن مسعود لو ان رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة
لبعثه الله تعالى يوم القيمة مع من يحبه وقال الحسن رضي الله عنه مصارمة الفاسق قربان الى الله تعالى
وقال رجل لمحمد بن واسع اني لاحبك في الله فقال احبك الذي احببتني له ثم حول وجهه وقال
اللهم اني اعوذ بك ان احب فيك وانت مبغض ودخل رجل على داود الطائي فقال له ما حاجتك
فقال زيارتك فقال اما انت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بي انا اذا قيل لي
من انت فتزار أمن الزهاد انت لا والله امن العباد انت لا والله امن الصالحين انت لا والله ثم اقبل
يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا فلما شخت صرت مرائيا والله لمرائي اشر من الفاسق و
قال عمر رضي الله عنه اذا اصاب احدكم ودا من اخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك وقال مجاهد
المتحابون في الله تعالى اذا التقوا فكشر بعضهم الى بعض تحاتت عنهم الخطايا

بيان معنى الاخوة في الله وتمييزها عن الاخوة في الدنيا

اعلم ان الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما نذكره
وهو ان الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار وبسبب الاجتماع في المكتب او في المدرسة
او في السوق او على باب السلاطين او في الاسفار والى ما ينشا باختيار وقصد وهو الذي نريد بيانه
اذ الاخوة في الدين واقعة في هذا القسم لا محالة اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية ولا ترغيب
الا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الامور لا يقصد الانسان بها غيره
الا اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا يقصد مخالطته والذي يحب فاما ان يحب لذاته لا
ليتوصل به الى محبوب ومقصود وراءه واما ان يحب للتوصل به الى مقصود وذلك المقصود اما
ان يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا بالاخرة واما ان يكون متعلقا بالله تعالى
فهذه اربعة اقسام اما القسم الاول وهو حبك الانسان لذاته فذلك ممكن وهو ان يكون في ذاته محبوبا
عندك على معنى انك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة اخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيذ في
حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة والملائمة
والموافقة بين الطباع ثم ذلك المستحسن اما ان يكون هي الصورة الظاهرة اعني حسن الخلقة واما ان يكون
هي الصورة الباطنة اعني كمال العقل وحسن الخلق ويتبع حسن الاخلاق حسن الافعال لا محالة و
يتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن فمستلذ ومحبوب بل في ائتلاف القلوب المناسبة
الباطنة توجب الالفة والموافقة فان شبه الشيء ينجذب اليه بالطبع والاشباه الباطنة خفية ولها
اسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها وعنه عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف
نتيجة التناسب الذي عبر عنه بالتعارف وفي بعض الالفاظ يلتقي فتشام في الهواء وكنى بعض العلماء
عن هذا بان قال ان الله تعالى خلق الارواح ففلق بعضها فلقا واطافها حول العرش فاي روحين
من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان ارواح المؤمنين
ليلتقيان على مسيرة يوم وما راى احدهما صاحبه قط وروي ان امراة بمكة كانت تضحك النساء وكانت

بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عايشة فاضحكتها فقالت اين نزلت فذكرت
فقالت صدق رسول الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود
مجندة الحديث والحق في هذا ان المشاهدة والتجربة تشهد للايتلاف عند التناسب و
التناسب في الطباع والاخلاق باطنا وظاهرا امر معلوم فاما الاسباب التي اوجبت تلك
المناسبة فليس في قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هذيان المنجم ان يقول اذا كان طالعه على التسديس
طالع غيره او تثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة فيقتضي التناسب والتواد وان كان على مقابلته
مقابلته او تربيعه اقتضى التباغض والعداوة وهذا لو صدق بكونه كذلك في مجاري سنة الله
تعالى في خلق السموات والارض لكان الاشكال اكثر من الاشكال في اصل التناسب فلا معنى
للخوض فيما لم يكشف سره للبشر فما اوتينا من العلم الا قليلا ويكفينا بذلك في التصديق التجربة والمشاهدة
وقد ورد في الخبر قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان مؤمنا دخل الى مسجد فيه مائة منافق
ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولو ان منافقا دخل الى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء
حتى يجلس اليه وهذا يدل على ان شبه الشيء منجذب اليه بالطبع وان كان هو لا يشعر به وكان مالك بن
دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة الا وفي احدهما وصف من الاخر فان اشكال الناس كاجناس الطير
ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران الا وبينهما مناسبة قال فراى يوما غرابا مع حمامة فتعجب من
ذلك وقال اتفقا وليسا على شكل واحد ثم طارا فاذا هما اعرجان فقال من هاهنا اتفقا ولذلك قال
بعض الحكماء كل انسان يانس الى شكله كما ان كل طير يطير مع جنسه واذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا
في الحال فلا بد ان يتفرقا وهذا معنى خفي تفطن له الشعراء حتى قال قائلهم وقائل كيف تفرقتما فقلت قولا
فيه انصاف لم يك من شكلي ففارقته والناس اشكال والاف فقد ظهر من هذا ان الانسان قد
يحب لذاته لا لفائدة تنال منه في حال او مال بل لمجرد المجانسة والمناسبة في الطباع الباطنة والاخلاق
الخفية ويدخل في هذا الباب الحب للجمال اذا لم يكن المقصود قضاء شهوة فان الصورة الجميلة مستلذة
في عينها وان قدر فقد اصل الشهوة حتى يستلذ بالنظر الى الفواكه والانوار والازهار والتفاح
المشرب بالحمرة والى الماء والخضرة من غير غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو
حب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله الا انه اذا اتصل به غرض مذموم
صار مذموما كحب الصور الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها وان لم يتصل به غرض مذموم
فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم اذ الحب اما محمود واما مذموم واما مباح لا يحمد ولا يذم القسم
الثالث ان يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة الى محبوب غيره والوسيلة الى المحبوب محبوب
وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب في الحقيقة ولكن الطريق الى المحبوب محبوب ولذلك احب الناس الذهب و
الفضة ولا غرض فيهما اذ لا يطعم ولا يلبس ولكنهما وسيلة الى المحبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب
والفضة من حيث انه وسيلة الى المقصود اذ يتوصل به الى نيل جاه او مال او علم كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه
بماله او جاهه ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم امره في قلبه فالمتوسل اليه ان كان مقصور الفائدة
على الدنيا لم يكن في جملة الحب في الله وان لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا كحب التلميذ لاستاذه فهو ايضا
خارج عن الحب لله فانه انما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم فاذا كان لا يقصد العلم للتقرب الى الله
بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فمحبوبه الجاه والقبول والعلم وسيلة اليه والاستاذ وسيلة

الى العلم فليس شيء من ذلك حبا لله اذ يتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى اصلا ثم ينقسم هذا
الى اموال اليتامى وظلم الرعاة بولاية القضاء او غيره كان الحب مذموما وان كان يقصد به
التوصل الى مباح فهو مباح وانما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوسل اليه فانها
تابعة له غير قائمة بنفسها القسم الثالث ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس
راجعا الى حظوظه في الاخرة فهذا ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لانه
يتوصل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الاخرة فهذا من
جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم و
يترقى به الى درجة التعظيم في ملكوت السماء اذ قال عيسى صلوات الله عليه من علم وعمل وعلم فذلك
يدعى عظيما في ملكوت السماء فهو محب في الله ولا يتم التعليم الا بمتعلم فهو اذا آلة في تحصيل هذا الكمال
فان احبه لانه آلة اذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذي هو سبب ترقيه الى رتبة العظمة في ملكوت السماء
فهو محب في الله بل الذي يتصدق باموال الله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الاطعمة اللذيذة الغريبة تقربا
الى الله واحب طباخا لحسن صنعته في الطبخ فهو في جملة المحبين في الله عز وجل وكذا لو احب من يتولى له ايصال
الصدقة الى المستحقين فقد احبه في الله بل نزيد على هذا ونقول اذا احب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه
وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم او العمل ومقصوده من استخدامه في هذه الاعمال الفراغ
للعبادة فهو محب في الله بل نزيد عليه ونقول اذا احب من ينفق عليه ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه
وجميع اغراضه التي يقصدها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب الى الله فهو محب في
الله فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من اولي الثروة وكان المواسي والمواسى جميعا من المتحابين
في الله بل نزيد على ذلك ونقول من نكح امراة صالحة ليتحصن بها عن وساوس الشيطان ويصون بها دينه او
ليولد له ولد صالح يدعو له واحب زوجته لانها آلة الى هذه المقاصد الدينية فهو محب في الله ولذلك ورد
في الاخبار وفور الاجر والثواب على الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في في امراته بل نقول كل
من استهتر بحب الله وحب رضاه وحب لقائه في الدار الاخرة فاذا احب غيره كان محبا في الله لانه لا يتصور
ان يحب شيئا الا لمناسبة لما هو محبوب عنده وهو رضى الله بل ازيد على هذا واقول اذا اجتمع في قلبه
محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد المعنيان جميعا حتى صلح لان يتوسل به الى الله والى الدنيا
فاذا احبه لصلاحيته للامرين فهو من المحبين في الله كمن يحب استاذه الذي يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا
بالمواساة في المال فاحبه من حيث ان في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الاخرة وهو وسيلة اليهما
فهو محب في الله وليس من شرط حب الله ان لا يحب في العاجل حظا البتة اذ الدعاء الذي امر به الانبياء جمع
بين الدنيا والاخرة فمن ذلك قولهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقال عيسى صلوات الله
عليه في دعائه اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا
اكبر همي وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني اسالك رحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والا
وقال اللهم عافني من بلاء الدنيا والاخرة وعلى الجملة فاذا لم يكن حب السعادة في الاخرة مناقضا
لحب الله فالدنيا والاخرة عبارة عن حالتين احداهما اقرب من الاخرى فكيف يتصور ان يحب الانسان
حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم وانما يحبها غدا لان الغد سيصير حالا راهنة فالحالة الراهنة لا بد ان
تكون مطلوبة ايضا الا ان الحظوظ العاجلة منقسمة الى ما يضاد حظوظ الاخرة ويمنع منها وهو الذي

احترز عنها الانبياء والاولياء وامروا بالاحتراز عنها والى ما لا يضاد وهو الذي لم يمنعوا منه كالنكاح
الصحيح واكل الحلال وغير ذلك مما يضاد حظوظ الاخرة فحق العاقل ان يكرهه ولا يحبه اعني
انه يكرهه بعقله لا بطبعه كما يكره التناول من طعام لذيذ لملك من الملوك يعلم انه لو اقدم عليه
لقطعت يده او حزت رقبته لا بمعنى ان الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه ولا يستلذه
لو اكله فان ذلك محال ولكن على معنى انه يزجره عقله عن الاقدام عليه ويحصل فيه كراهة الضرر
المتعلق به والمقصود حظ عاجل والاخر اجل فيكون في زمرة المتحابين في الله ولكن بشرطها
وهو ان يكون بحيث لو منعه العلم مثلا او تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذي ينقص
بسبب فقده هو لله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله تعالى وليس بمستنكر ان يشتد
حبك الانسان لجملة اغراض ترتبط لك به فان امتنع بعضها نقص حبك وان زاد زاد الحب فليس
حبك للذهب كحبك للفضة اذا تساوى مقدارهما لان الذهب يوصل الى اغراض هي اكثر مما توصل
اليه الفضة فاذا يزيد الحب بزيادة الغرض فلا يستحيل اجتماع الاغراض الدنيوية والاخروية فهو
داخل في جملة الحب لله وحده ان كل حب لولا الايمان بالله واليوم الاخر لم يتصور وجوده فهو
حب في الله وكذلك كل زيادة في الحب في الله فذلك وان دق فهو عزيز قال الجريري تعامل الناس
في القرن الاول بالدين حتى رق الدين فتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء ثم
تعاملوا في الثالث بالمروة حتى ذهبت المروة ولم يبق الا الرهبة والرغبة **القسم الرابع** ان يحب
لله وفي الله لا لينال منه علما او عملا او يتوسل به الى امر وراء ذاته وهو اعلى الدرجات وهو ادقها واغمضها
وهذا القسم ايضا ممكن فان من اثار غلبة الحب ان يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه
ولو من بعد فمن احب انسانا حبا شديدا احب محب ذلك الانسان واحب محبوبه واحب من يخدمه واحب
من يثني عليه واحب من يثني عليه محبوبه حتى قال بقية بن الوليد ان المؤمن اذا احب المؤمن احب كلبه وهو
كما قال ويشهد له التجربة في احوال العشاق وتدل عليه اشعار الشعراء ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه
تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال مجنون بني عامر امر على جدار ديار ليلى اقبل ذا الجدار
وذا الجدار وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا فاذا المشاهدة والتجربة تدل على ان الحب
يتعدى من ذات المحبوب الى ما يحيط به ويتعلق باسبابه وتناسبه ولو من بعد ولكن ذلك من خاصية فرط
المحبة فاصل المحبة لا يكفي فيه ويكون اتساع الحب في تعديه من المحبوب الى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق باسبابه
بحسب افراط المحبة وقوتها فكذلك حب الله سبحانه وتعالى اذا قوي وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى
الى حد الاستهتار فيتعدى الى كل موجود سواه فان كل موجود سواه اثر من اثار قدرته ومن احب انسانا احب خطه وصنعته
وجميع افعاله ولذلك كان صلى الله عليه وسلم اذا حمل باكورة اليه مسح بها عينيه واكرمها وقال انه قريب
العهد بربنا وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء في مواعيده وما يتوقع في الاخرة من نعيمه
وتارة لما سلف من اياديه وصنوف نعمته وتارة لذاته لا لامر اخر وهو ادق ضروب المحبة واعلاها
وسياتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة من ربع المنجيات وكيفما اتفقت محبة الله فاذا قويت تعدت
الى كل متعلق به ضربا من التعلق حتى يتعدى الى ما هو مؤلم في نفسه مكروه ولكن فرط الحب يضعف
الاحساس بالالم والفرح بفعل المحبوب وقصده اياه بالايلام يغمر ادراك الالم وذلك كالفرح
بضربة من المحبوب او قرصة فيها نوع معاتبة فان قوة المحبة تثير فرحا يغمر الالم فيه وقد انتهت محبة الله

بقوم الى ان قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة فان الكل من الله ولا نفرح الا بما فيه رضاه حتى قال
بعضهم لا اريد ان انال مغفرة الله بمعصية الله وقال سمنون وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت
فاختبرني وسياتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة ان شاء الله والمقصود ان حب الله اذا قوي اثمر حب
كل من يقوم بحق عبادة الله في علم او عمل واثمر حب كل ما فيه صفة هي مرضية عند الله من خلق حسن او تادب
بادب الشرع فما من مؤمن محب للاخرة ومحب لله الا اذا اخبر عن حال رجلين احدهما عالم عابد والاخر جاهل
فاسق الا وجد في نفسه ميلا الى العالم العابد ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف ايمانه وقوته
وبحسب ضعف حبه لله وقوته وهذا الميل حاصل وان كانا غائبين عنه بحيث يعلم انه لا
يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الاخرة فذلك الميل هو حب في الله تعالى ولله عز وجل
من غير حظ فانه انما يحبه لان الله يحبه ولانه مرضي عند الله تعالى ولانه يحب الله تعالى ولانه
مشغول بعبادة الله تعالى الا انه اذا ضعف لم يظهر اثره فلا يظهر به ثواب واجر فاذا قوي حمل
على الموالاة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان فيتفاوت الناس بحسب تفاوتهم
في حب الله ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب في الحال والمال لما تصور حب
الموتى من العلماء والعباد ومن الصحابة والتابعين صلوات الله عليهم اجمعين وحب جميعهم
مكنون في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك بغضبه عند طعن اعدائهم في واحد منهم وبفرحه
عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب الله لانهم خواص عباد الله ومن احب ملكا او شخصا
جميلا احب خواصه وخدمه واحب من احبه الا انه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس وقد يغلب
بحيث لا يبقى للنفس حظ الا فيما هو حظ المحبوب وعنه عبر قول من قال اريد وصاله ويريد هجري
فاترك ما اريد لما يريد وقول من قال وما لجرح اذا ارضاكم الم وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض
الحظوظ دون بعض كمن تسمح نفسه بان يشاطر محبوبه بنصف ماله او ثلثه او في عشره فمقادير الاموال
موازين المحبة اذ لا يعرف درجة المحبوب الا بمحبوب يترك في مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه
لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيئا مثل ابي بكر الصديق رضي الله عنه فانه لم يترك لنفسه
مالا ولا اهلا فسلم ابنته التي هي قرة عينه وبذل جميع ماله قال ابن عمر بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس و
عنده ابو بكر الصديق وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح فان الله
السلام وقل له يقول لك رب العزة اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط قال فالتفت النبي صلى الله عليه
وسلم الى ابي بكر وقال يا ابا بكر هذا جبرئيل يقرئك من الله السلام ويقول اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط
قال فبكى ابو بكر فقال اعلى ربي اسخط انا عن ربي راض انا عن ربي راض فتحصل من هذا ان كل من احب عالما
او عابدا او احب شخصا راغبا في علم او عبادة او في خير فانما احبه في الله ولله وله فيه من الاجر والثواب
بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله ايضا ولكن نزيده بيانا
البغض في الله اعلم ان من يحب في الله لا بد ان يبغض في الله فانك ان احببت انسانا لانه مطيع لله و
محبوب عند الله فان عصاه فلا بد ان تبغضه لانه عاص لله وممقوت عند الله ومن احب لسبب
فبالضرورة يبغض لضده وهذان متلازمان لا ينفصل احدهما عن الاخر وهو مطرد في الحب والبغض
في العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض دفين في القلب وانما يترشح عند الغلبة ويترشح
بظهور افعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة وفي المخالفة والموافقة فاذا ظهر في الفعل سمي

اونزل جبرئيل عليه السلام فاقرأ من الله السلام وقال يا رسول الله ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها بخلال

مُوالاة ومُعاداة ولذلك قال تعالى هل واليت فيّ وليا وهل عاديت فيّ عدوا كما نقلناه وهذا واضح في حق من لم يظهر لك الا طاعته اذ تقدر على ان تحبه او لم يظهر فسقه وفجوره واخلاقه السيئة فتقدر على ان تبغضه وانما المشكل اذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك تقول كيف اجمع بين البغض والمحبة فانهما متناقضان وكذلك تتناقض ثمرتهما من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة فاقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال تحب بعضها وتكره بعضها فانك تحبه من وجه وتبغضه من وجه فمن له زوجة حسناء فاجرة او ولد ذكي خدوم فاسق فانه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين اذ لو فرض ثلاثة اولاد احدهم ذكي بار والاخر بليد عاق والاخر بليد بار او ذكي عاق فانه يصادف نفسه معهم على ثلاثة احوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم فكذلك ينبغي ان يكون حالك بالاضافة الى من غلب عليه الفجور ومن غلب عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بان تعطي كل صفة حظها من الحب والبغض والاعراض والاقبال والصحبة والقطيعة وساير الافعال الصادرة منه فان قلت وكل مسلم فاسلامه طاعة منه فكيف ابغضه مع الاسلام فاقول تحبه لاسلامه وتبغضه لمعصيته ويكون معه على حالة لو قيستها بحال كافر فاجر ادركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب للاسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله والطاعة له كالجناية على حقك والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك في اخر فيكون معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال وبين الاقبال والاعراض وبين التودد اليه والتوحش منه فلا تبالغ في اكرامه مبالغتك في اكرام من يوافقك على جميع اغراضك ولا تبالغ في اهانته مبالغتك من خالفك في جميع اغراضك ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله الى طرف الاهانة عند غلبة الجناية وتارة الى طرف المجاملة والاكرام عند الموافقة فهكذا ينبغي ان يكون فيمن يطيع الله ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه اخرى فان قلت فبماذا يمكن اظهار البغض فاقول اما في القول فبكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة وبالاستخفاف والتغليظ في القول اخرى واما في الفعل فبقطع السعي في اعانته مرة وبالسعي في اساءته وافساد مآربه اخرى وبعض هذا اشد من بعض وهو بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة عنه اما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم انه متندم عليها ولا يصر عليها فالاولى فيه الاغماض والستر واما ما اصر عليها من صغيرة او كبيرة فان كان ممن تاكدت بينك وبينه مودة وصحبة فله حكم سياتي وفيه خلاف بين العلماء واما اذا لم تتاكد اخوة او صحبة فلا بد من اظهار اثر البغض اما في الاعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات اليه واما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه وهذا اشد من الاعراض وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها وكذلك في الفعل ايضا رتبتان احدهما قطع المعونة والرفق والنصرة عنه وهو اقل الدرجات والاخرى السعي في افساد اغراضه عليه كفعل الاعداء المبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية اما ما لا يؤثر فيه فلا مثاله رجل عصى الله بشرب الخمر وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطا بها بالمال والجمال والجاه الا ان ذلك لا يؤثر في منعه من شرب الخمر ولا في بعث وتحريض عليه فاذا قدرت على اعانته فيما تم له مقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعي في تشويشه اما الاعانة فلو تركتها اظهارا للغضب عليه في فسقه فلا باس وليس يجب تركها اذ ربما يكون لك نية في ان تتلطف باعانته واظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك ويقبل نصيحتك فهذا حسن وان لم يظهر لك ذلك ولكن رايت ان تعينه على غرضه

قضاء لحق اسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الاحسن ان كانت معصيته بالجناية على حقك او حق من يتعلق بك وفيه نزل قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم اذ تكلم مسطح بن اثاثة في واقعة الافك فحلف ابو بكر رضي الله عنه ان يقطع عنه رفقه وقد كان يواسيه بالمال فنزلت هذه الاية مع عظم معصية مسطح واية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم واطالة اللسان في مثل عايشة رضي الله عنها الا ان الصديق رضي الله عنه كان كالمجني عليه بنفسه بتلك الواقعة والعفو عمن ظلم والاحسان الى من اساء من اخلاق الصديقين وانما يحسن الاحسان الى من ظلمك فاما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الاحسان اليه لان في الاحسان الى الظالم اساءة الى المظلوم وحق المظلوم اولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالاعراض عن الظالم احب الى الله من تقوية قلب الظالم فاما اذا كنت انت المظلوم فالاحسن في حقك العفو والصفح وطرق السلف قد اختلفت في اظهار البغض مع اهل المعاصي وكلهم اتفقوا على اظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله تعالى بمعصية متعدية منه الى غيره فاما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم من شدد الانكار واختار المهاجرة كان احمد بن حنبل رحمه الله يهجر الاكابر في ادنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين في قوله اني لا اسأل احدا شيئا ولو حمل السلطان الي شيئا لاخذته وهجر الحرث المحاسبي في تصنيفه في الرد على المعتزلة وقال انك تورد اولا شبهتهم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم وهجر ابا ثور في تاويله قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته وهذا امر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فان كان الغالب على القلب النظر الى اضطرار الخلق وعجزهم وانهم مسخرون لما قدروا له اورث هذا تساهلا في المعاداة والبغض وله وجه ولكن قد يلتبس به المداهنة فاكثر البواعث على الاغضاء على المعاصي المداهنة ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها وقد يلبس الشيطان ذلك على الغبي الاحمق بانه ينظر بعين الرحمة ومحك ذلك ان ينظر اليه بعين الرحمة ان جنى على خاص حقه ويقول انه قد سخر له والقدر لا ينفع منه الحذر وكيف لا يفعله وقد كتب عليه فمثل هذا قد تصح له نية في الاغماض عن الجناية على حق الله تعالى وان كان يغتاظ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله تعالى فهو مداهن مغرور بمكيدة من مكايد الشيطان فليتنبه له فان قلت فاقل الدرجات في اظهار البغض الهجر والاعراض وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حتى يعصي العبد بتركه فاقول لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والايجاب فانا نعلم ان الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم الى من يغلظ القول عليه ويظهر البغض له والى من يعرض عنه ولا يتعرض له والى من ينظر اليه بعين الرحمة ولا يؤثر المقاطعة والتباعد فهذه دقايق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الاخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته ومقتضى الاحوال في هذه الامور اما مكروهة او مندوبة فتكون في رتبة الفضايل ولا تنتهي الى التحريم والايجاب فان الداخل تحت التكليف اصل المعرفة لله تعالى واصل الحب وذلك قد لا يتعدى من المحبوب الى غيره وانما المتعدي افراط الحب واستيلاؤه وذلك لا يدخل في الفتوى تحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق اصلا بيان مراتب الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم فان قلت اظهار البغض والعداوة بالفعل ان لم يكن واجبا فلا شك انه مندوب اليه والعصاة والفساق على

مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا ام لا فاعلم ان المخالف
لامر الله سبحانه لا يخلو اما ان يكون مخالفا في عقده او في عمله والمخالف في العقد اما مبتدع او كافر
والمبتدع اما داع الى بدعته او ساكت اما بعجزه او باختياره فاقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة الاول
الكفر والكافر ان كان محاربا فهو يستحق القتل والارقاق وليس بعد هذين من الاهانة واما الذمي فانه
لا يجوز ايذاؤه الا بالاعراض عنه والتحقير له بالاضطرار الى اضيق الطرق وبترك المفاتحة بالسلام فاذا
قال السلام عليك قلت وعليك والاولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته فاما الانبساط معه والاسترسال
اليه كما يسترسل الى الاصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهي ما يقوى منها الى حد التحريم قال الله
تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية وقال تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الآية وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن والمشرك لا تتراءى ناراهما الثاني
المبتدع الذي يدعو الى بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فامره اشد من الذمي لانه لا يقر بجزية ولا
يسامح بعقد ذمة وان كان ممن لا يكفر به فامره بينه وبين الله اخف من امر الكافر لا محالة ولكن الامر
في الانكار عليه اشد منه على الكافر لان شر الكافر غير متعد فان المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون
الى قوله اذ لا يدعي لنفسه الاسلام واعتقاد الحق اما المبتدع الذي يدعو الى البدعة ويزعم ان ما يدعو
اليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد فالاستحباب في اظهار بغضه ومعاداته والانقطاع
عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه اشد وان سلم في خلوة فلا بأس برد جوابه
وان علم ان الاعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح في نفسه بدعته ويؤثر في زجره فترك الجواب
اولى لان جواب السلام وان كان واجبا فيسقط بادنى غرض حتى يسقط بكون الانسان في الحمام او
في قضاء حاجته وغرض الزجر اهم من هذه الاغراض وان كان في ملأ فترك الجواب اولى تنفيرا
للناس عنه وتقبيحا للبدعة في اعينهم وكذلك الاولى كف الاحسان اليه والاعانة له لا سيما فيما يظهر
للخلق قال عليه الصلاة والسلام من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه امنا وايمانا ومن اهان صاحب بدعة
آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن الان له واكرمه او لقيه ببشر فقد استخف بما انزل على محمد الثالث
المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فامره اهون فالاولى ان لا يفاتح بالتغليظ
والاهانة بل يتلطف به في النصح فان قلوب العوام سريعة التقلب وان لم ينفع النصح وكان في الاعراض
عنه تقبيح لبدعته في عينه تأكد الاستحباب في الاعراض وان علم ان ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه و
رسوخ عقده في قلبه فالاعراض اولى لان البدعة اذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها
واما العاصي بفعله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو اما ان يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة
الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشي بالنميمة وامثالها او كان مما لا يقتصر عليه ويؤذي
غيره وذلك ينقسم الى ما يدعو غيره الى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء و
يهيئ اسباب الشرب والفساد لاهل الفساد او لا يدعو غيره الى فعله كالذي يشرب او يزني وهذا
الذي لا يدعو غيره اما ان يكون عصيانه بكبيرة او صغيرة واما ان يكون مصرا عليه او غير
مصر عليه فهذه التقسيمات يحصل منها ثلاثة اقسام ولكل قسم منها رتبة وبعضها اشد من بعض
فلا نسلك بالكل مسلكا واحدا القسم الاول وهو اشدها ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب
وشهادة الزور والغيبة والنميمة فهؤلاء الاولى الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن

معاملتهم لان المعصية شديدة فيما يرجع الى الخلق ثم هؤلاء ينقسمون الى من يظلم في الدماء والى من
يظلم في الاموال والى من يظلم في الاعراض وبعضها اشد من بعض والاستحباب في اهانتهم والاعراض
عنهم مؤكد جدا ومهما كان يتوقع من الاهانة زجرهم او لغيرهم كان الامر فيه آكد واشد الثاني صاحب
الماخور وهو الذي يهيئ اسباب الفساد ويسهل طريقه على الخلق فهذا لا يؤذي الخلق في
دنياهم ولكنه يختلس بفعله دينهم فان كان على وفق رضاهم فهو قريب من الاول ولكنه اخف
منه فان المعصية بين العبد وبين الله تعالى الى العفو اقرب ولكنه من حيث انه متعد على الجملة الى غيره
فهو شديد وهذا ايضا يقتضي الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام اذا ظن ان فيه
نوعا من الزجر له او لغيره الثالث الذي يفسق في نفسه بشرب خمر او ترك واجب او مقارفة محظور
يخصه فالامر فيه اخف ولكنه في وقت مباشرته ان صودف يجب منعه بما يمتنع منه ولو بالضرب
والاستخفاف فان النهي عن المنكر واجب فاذا فرغ منه وعلم ان ذلك من عادته وهو مصر عليه فان
تحقق ان نصحه يمنعه عن العود وجب النصح وان لم يتحقق ولكنه كان يرجوه فالافضل النصح والزجر
بالتلطف او بالتغليظ ان كان هو الانفع فاما الاعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث
انه مصر وان النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة والصحيح ان ذلك يختلف باختلاف
نية الرجل فعند هذا يقال الاعمال بالنيات اذ في الرفق والنظر بعين الرحمة الى الخلق نوع من
التواضع وفي العنف والاعراض نوع من الزجر فالمستفتي فيه القلب فما يراه اميل الى هواه ومقتضى
طبعه فالاولى ضده اذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ باظهار العلو والادلال
بالصلاح وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به الى غرض او لخوف من تأثير وحشته
ونفرته في جاه او مال بظن قريب او بعيد وكل ذلك مردد على اشارات الشياطين وبعيد عن اعمال
اهل الآخرة فكل راغب في اعمال الدين مجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه
الاحوال والقلب هو المفتي فيه وقد يصيب الحق في اجتهاده وقد يخطئ وقد يقدم على اتباع هواه
وهو عالم به وقد تقدم وهو بحكم الغرور ظان انه عامل لله وسالك طريق الآخرة وسيأتي بيان
هذه الدقائق في كتاب الغرور من ربع المهلكات ويدل على تخفيف الامر في الفسق القاصر الذي
هو بين العبد وبين الله ما روي ان شارب خمر ضرب مرات بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يشرب فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن
عونا للشيطان على اخيك او لفظ هذا معناه وكان هذا اشارة الى ان الرفق اولى من التغليظ والعنف

بيان الصفات المشروطة فيمن يختار صحبته

اعلم انه لا يصلح للصحبة كل انسان قال النبي صلى
الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل فلا بد ان يتميز بصفات وخصال يرغب بسببها في
صحبته ويشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة اذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول الى
المقصود فبالاضافة الى المقصود تظهر الشروط ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية اما الدنيوية
فكالانتفاع بالمال او الجاه او مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من غرضنا واما
الدينية فتجتمع فيها ايضا اغراض مختلفة اذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه
تحصنا به عن ايذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع
الاوقات في طلب القوت ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عدة في المصائب وقوة في الاحوال ومنها

البترك بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة وقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة اخيك وروي في غريب التفسير في قوله تعالى ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله قال يشفعهم في اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ويقال اذا غفر للعبد شفع في اخوانه ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد فهذه فوائد تستدعي عن كل فائدة شروطا لا تحصل الا بها ولا يخفى تفصيلها اما على الجملة فينبغي ان يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال ان يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا اما العقل فهو راس المال وهو الاصل فلا خير في صحبة الاحمق والى الوحشة يرجع عاقبتها وان طالت قال علي رضي الله عنه لا تصحب اخا الجهل واياك واياه فكم من جاهل اردى حليما حين واخاه يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه وللشيء من الشيء مقاييس واشباه وللقلب على القلب دليل حين يلقاه كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لا يدري ولذلك قال الشاعر اني لامن من عدو عاقل واخاف خلا يعتريه جنون فالعقل فن واحد وطريقه ادرى فارصد والجنون فنون ولذلك قيل مقاطعة الاحمق قربان الى الله تعالى وقال الثوري النظر الى وجه الاحمق خطيئة مكتوبة ونعني بالعاقل الذي يفهم الامور على ما هي عليه اما بنفسه واما اذا فهم وعلم واما حسن الخلق فلا بد منه اذ رب عاقل يدرك الاشياء على ما هي عليه ولكن اذا كان يغلبه غضب او شهوة او بخل وجبن اطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقه فلا خير في صحبته واما الفاسق المصر على الفسق فلا فائدة في صحبته لان من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا يؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الاغراض وقد قال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وقال تعالى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها وقال تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا وقال واتبع سبيل من اناب الي وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق واما المبتدع ففي صحبته خطر سراية البدعة وتعدي شؤمها اليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر صحبته وقال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب التدين في الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال عليك باخوان الصدق تعش في اكنافهم فانهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع امر اخيك على احسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى واما حسن الخلق فقد جمعه علقمة العطاردي في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة قال يا بني ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب اذا من خدمته صانك وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤونة مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان راى منك حسنة عدها وان راى منك سيئة سدها اصحب من اذا سالته اعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك وان حاولتما امرا امرك وان تنازعتما اثرك فكانه جمع بهذا جميع حقوق الصحبة وشرط ان يكون قائما بجميعها قال ابن اكثم قال المامون فاين هذا فقيل له اتدري لم اوصاه بذلك قال لا قال لانه اراد ان لا يصحب احدا وقال بعض الادباء لا تصحب من الناس الا من يكتم سرك ويستر عيبك ويكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئتك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك وقال علي رضي الله عنه رجزا ان اخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك ومن اذا ريب زمان صدعك شتت فيك شمله ليجمعك

وقال بعض العلماء لا تصحب الا احد رجلين رجل تتعلم منه شيئا من امر دينك فينفعك او رجل تعلمه من امر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه وقال بعضهم الناس اربعة فواحد حلو كله فلا تشبع منه واخر مر كله فلا تاكل منه واخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل ان ياخذ منك واخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق لا تصحب خمسة الكذاب فانك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد عنك القريب والاحمق فانك لست منه على شيء يريد ان ينفعك فيضرك والبخيل فانه يقطع بك احوج ما تكون اليه والجبان فانه يسلمك ويفر عند الشدة والفاسق فانه يبيعك باكلة او اقل منها فقيل وما اقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها وقال الجنيد لان يصحبني فاسق حسن الخلق احب الي من ان يصحبني قارئ سيء الخلق وقال ابن ابي الحواري قال لي استاذي ابو سليمان لا تصحب الا احد رجلين رجل ترتفق به في دنياك او رجل تزيد معه وتنتفع في اخرتك والاشتغال بغير هذين حمق كبير وقال سهل بن عبد الله اجتنب صحبة ثلاثة من اصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين واعلم ان هذه الكلمات اكثرها غير محيط بجميع اغراض الصحبة والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالاضافة اليها فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد الدنيا مشروطا في صحبة الاخرة والاخوة كما قال بشر الاخوان ثلاثة اخ لاخرتك واخ لدنياك واخ لتانس به وقل ما تجتمع هذه المقاصد في واحد بل تتفرق على الجميع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة وقد قال المامون الاخوان ثلاثة احدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والاخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا انس فيه ولا نفع وقيل مثل جملة الناس مثل الشجر والنبات فمنه ما له ظل وليس له ثمرة وهو مثل الذي ينتفع في الدنيا دون الاخرة فان نفع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنه ما له ثمرة وليس له ظل وهو مثل الذي يصلح للاخرة دون الدنيا ومنه ما له ثمرة وظل جميعا ومنه ما ليس له واحد منهما كام غيلان تمزق الثياب لا طعم فيه ولا شراب ومثاله من الحيوان الفارة والعقرب كما قال تعالى يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير وقال الشاعر الناس شتى اذا ما انت ذقتهم لا يستوون كما لا يستوي الشجر هذا له ثمر حلو مذاقته وذاك ليس له طعم ولا ثمر فاذن من لم يجد رفيقا يواخيه ويستفيد به احد هذه الامور المقاصد فالوحدة اولى به وقال ابو ذر الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة واما الديانة وعدم الفسق فقد قال تعالى واتبع سبيل من اناب الي ولان مشاهدة الفسق والفساق تهون امر المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنها قال سعيد بن المسيب لا تنظروا الى الظلمة الا بالانكار من قلوبكم لئلا تحبط اعمالكم الصالحة بل هؤلاء لا سلامة في مخالطتهم وانما السلامة في الانقطاع عنهم قال الله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي سلامة والالف بدل من الهاء ومعناه انا سلمنا من اثمكم وانتم سلمتم من شرنا فهذا ما اردنا ان نذكره من معاني الاخوة وشروطها وفوائدها فلنندفع في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها واما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه فمجالسة الحريص تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا وتستحب صحبة الراغبين قال علي رضي الله عنه احيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه وقال احمد بن حنبل ما اوقعني في بلية الا صحبة من لا احتشمه وقال لقمن لابنه يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان القلوب تحيى

ويكون علانيته مثل سريرته الله

بالحكمة كما تحيي الارض الميتة بوابل المطر

الباب الثاني في حقوق الاخوة والصحبة

اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضي النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب اداب النكاح فكذا لعقد الاخوة فلاخيك عليك حق في المال وفي النفس وفي اللسان وفي القلب بالعفو وبالدعاء وبالاخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثمان جمل الاول في المال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين مثل اليدين تغسل احديهما الاخرى وانما شبههما باليدين لا باليد والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد فكذلك الاخوان انما تتم اخوتهما اذا توافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في الحال والمآل وارتفاع الاختصاص والاستئثار والمواساة بالمال مع الاخوة على ثلاث مراتب ادناها ان تنزله منزلة عبدك وخادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فاذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة على حاجتك اعطيته ابتداء ولم تحوجه الى السؤال فان احوجته الى السؤال فهو غاية التقصير في حق الاخوة الثانية ان تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته اياك في مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته على المال قال الحسن كان احدهم يشق ازاره بينه وبين اخيه الثالثة وهي العليا ان تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ومن ثمار هذه الرتبة الايثار بالنفس ايضا كما روي انه سعي بجماعة من الصوفية الى بعض الخلفاء فامر بضرب رقابهم وفيهم ابو الحسن النوري فبادر الى السياف ليكون هو اول مقتول فقيل له في ذلك فقال احببت ان اوثر اخواني بالحيوة في هذه اللحظة وكانت ذلك سبب نجاتهم في حكاية طويلة فان لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع اخيك فاعلم ان عقد الاخوة لم ينعقد بعد في الباطن وانما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين فقد قال ميمون بن مهران من رضي من الاخوان بترك الافضال فليواخ اهل القبور واما الدرجة الدنيا فليست ايضا مرضية عند ذوي الدين روي ان عتبة الغلام جاء الى منزل رجل كان قد اخاه فقال احتاج من مالك الى اربعة الاف فقال خذ الفين فاعرض عنه وقال اثرت الدنيا على الله اما استحييت ان تدعي الاخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من الاخوة ينبغي ان لا تعامله في الدنيا قال ابو حازم اذا كان لك اخ في الله فلا تعامله في امور دنياك وانما اراد به من كان في هذه الرتبة واما الرتبة العليا فهي التي وصف الله المؤمنين بها في قوله تعالى وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون اي كانوا خلطاء في الاموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان فيهم لا يصحب من قال نعلي فانها اضافة الى نفسه وجاء فتح الموصلي الى منزل اخ له وكان غائبا فامر اهله فاخرجت صندوقه ففتحه فاخرج حاجته فاخبرت الجارية مولاها فقال ان صدقت فانت حرة لوجه الله سرورا بما فعل وجاء رجل الى ابي هريرة وقال اني اريد ان اواخيك في الله فقال اتدري ما حق الاخاء قال عرفني قال ان لا تكون احق بدينارك ودرهمك مني فقال لم ابلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل هل يدخل احدكم يده في كم اخيه او كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير اذنه قال لا قال فلستم باخوان ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا يا ابا سعيد اصليت قال نعم قالوا فان اهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن يأخذ دينه من اهل السوق بلغني ان احدهم يمنع اخاه الدرهم قاله كالمتعجب منه وجاء رجل الى ابرهيم بن ادهم وهو يريد بيت المقدس فقال اني اريد ان اوافقك فقال له ابرهيم على ان اكون املك لشيئك منك قال لا قال اعجبني صدقك وكان ابرهيم بن ادهم اذا رافقه رجل لم يخالفه

وكان لا يصحب الا من يوافقه وصحبه رجل شراك فاهدى رجل الى ابرهيم في بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه واخذ حزمة من شراكه فجعلها في القصعة وردها الى صاحب الهدية فلما جاء رفيقه قال اين الشراك قال ذلك الثريد الذي اكلته ايش كان قال كنت تعطيه شراكين او ثلاثة فقال اسمح يسمح لك واعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير اذنه رجلا راه راجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك وقال ابن عمر رضي الله عنهما اهدي لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال اخي فلان احوج مني اليه فبعث به اليه فبعثه ذلك الانسان الى اخر فلم يزل يبعث به واحد الى اخر حتى رجع الى الاول بعد ان تداوله سبعة وروي ان مسروقا ادان دينا ثقيلا وكان على اخيه خيثمة دين قال فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم ولما اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع اثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما فاثره بما اثره به وكانه قبله ثم اثره به وذلك مساواة والبداية ايثار والايثار افضل من المساواة وقال ابو سليمن الداراني لو ان الدنيا كلها لي فجعلتها في فم اخ من اخواني لاستقللتها له وقال اني لالقم اللقمة اخا من اخواني فاجد طعمها في حلقي ولما كان الانفاق على الاخوان افضل من الصدقات على الفقراء قال علي رضي الله عنه لعشرون درهما اعطيها اخي في الله احب الي من ان اتصدق بمائة درهم على المساكين وقال ايضا لان اصنع صاعا من طعام واجمع عليه اخواني في الله احب الي من ان اعتق رقبة واقتداء الكل في الايثار برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دخل غيضة مع بعض اصحابه فاجتنى منها سواكين احدهما معوج والاخر مستقيم فدفع المستقيم الى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت احق بالمستقيم مني فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته هل اقام فيها حق الله او اضاعه فاشار بهذا الى ان الايثار هو القيام بحق الله في الصحبة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر يغتسل عندها فامسك حذيفة بن اليمان بالثوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وستره حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل عندها فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة وقال بابي انت وامي يا رسول الله لا تفعل فابى صلى الله عليه وسلم الا ان يستره بالثوب حتى اغتسل وقال صلى الله عليه وسلم ما اصطحب اثنان قط الا كان احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه وروي ان مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فاخرج محمد بن الواسع سلة فيها طعام من تحت سرير البيت فجعل ياكل فقال له مالك كف يدك حتى يجيء صاحب البيت فلم يلتفت محمد الى قوله واقبل على الاكل وكان مالك ابسط منه واحسن خلقا فدخل الحسن وقال يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا عن بعض حتى ظهرت انت واصحابك واشار بهذا الى ان الانبساط في بيوت الاخوان من الصفاء في الاخوة كيف وقد قال تعالى او صديقكم وقال او ما ملكتم مفاتحه اذ كان الاخ يدفع مفاتيح بيته الى اخيه ويفوض اليه التصرف كما يريد وكان يتحرج عن الاكل بحكم التقوى حتى انزل الله تعالى هذه الاية واذن لهم في الانبساط في طعام الاخوان والاصدقاء

الحق الثاني في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة وهذه ايضا لها درجات كما للمواساة بالمال فادناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار واظهار الفرح وقبول المنة قال بعضهم اذا استقضيت اخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله ان يكون قد نسي فان لم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الاية والموتى يبعثهم الله وقضى ابن شبرمة لبعض اخوانه حاجة كبيرة فجاءه بهدية

فقال ما هذا فقال لما اهديت الي فقال لخذ مالك كما قال الله اذا سألك اخ حاجة فلم تجهد نفسك
في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه اربع تكبيرات وعده من الموتى وقال جعفر بن محمد اني لاتسارع
الى قضاء حاجة اعدائي مخافة ان اردهم فيستغنوا عني هذا في الاعداء فكيف في الاصدقاء
وكان في السلف من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجاتهم و
يتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله فكانوا لا يفقدون من ابيهم الا عينه بل كانوا يرون منه ما لم يروه
من ابيهم في حياته وكان الواحد منهم يتردد الى باب دار اخيه ويسال ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح
هل لكم حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه اخوه وبهذا يظهر الشفقة والاخوة اذا لم تثمر الشفقة
على اخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها قال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لم يضرك
عداوته وقال صلى الله عليه وسلم الا وان لله اواني في ارضه وهي القلوب فاحب الاواني الى الله اصفاها
واصلبها وارقها اصفاها من الذنوب واصلبها في الدين وارقها على الاخوان وبالجملة فينبغي ان تكون
حاجة اخيك مثل حاجتك وان تكون متفقدا لاوقات الحاجة غير غافل عن احواله كما لا تغفل عن
احوال نفسك وتغنيه عن السؤال واظهار الحاجة الى الاستعانة بل تقوم بحاجته كانك لا تدري انك
قمت بها ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك بل تتقلد منة بقبول سعيك في حقه وقيامك بامره ولا ينبغي
ان تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد في البداية بالاكرام في الزيادة والايثار والتقديم على الاقارب و
الولد كان الحسن يقول اخواننا احب الينا من اهلينا واولادنا لان اهلينا يذكروننا بالدنيا واخواننا
يذكروننا بالآخرة وقال الحسن من شيع اخاه في الله بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيمة يشيعونه
الى الجنة وفي الاثر ما زار رجل اخا في الله شوقا الى لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة
وقال عطاء تفقدوا اخوانكم بعد ثلاث فان كانوا مرضى فعودوهم او مشاغيل فاعينوهم او كانوا
نسوا فذكروهم وروي ان ابن عمر كان يلتفت يمينا وشمالا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال
احببت رجلا فانا اطلبه ولا اراه فقال اذا احببت احدا فسله عن اسمه واسم ابيه وعن منزله فان كان
مريضا عدته وان كان مشغولا اعنته وفي رواية عن اسم جده وعشيرته وقال الشعبي في الرجل يجالس الرجل
فيقول اعرف وجهه ولا اعرف اسمه تلك معرفة النوكى وقيل لابن عباس من احب الناس اليك قال
جليسي وقال ما اختلف رجل الى مجلسي ثلاثا من غير حاجة الي فعلمت ما مكافاته من الدنيا وقال سعيد بن
العاص لجليسي علي ثلاث اذا دنا رحبت به واذا حدث اقبلت عليه واذا جلس اوسعت له وقد قال تعالى
رحماء بينهم تنبيها اشارة الى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة ان لا ينفرد بطعام
لذيذ او بحضور في مسرة دونه بل يتنغص لفراقه ويستوحش بانفراده عن اخيه الحق الثالث على
اللسان بالسكوت مرة وبالنطق اخرى اما السكوت فهو ان يسكت عن ذكر عيوبه في حضرته وغيبته بل
يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به فلا يماريه ولا يناقشه وان يسكت عن التجسس والسؤال
عن احواله واذا راه في طريق او في حاجة ولم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره ومورده فلا يساله عنه فربما
يثقل عليه ذكره او يحتاج الى ان يكذب فيه وان يسكت عن اسراره التي بثها اليه فلا يبثها الى غيره البتة ولا
الى اخص اصدقائه ولا يكشف شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة فان ذلك من لؤم الطبع وخبث
الباطن وان يسكت عن القدح في احبابه واهله وولده وان يسكت عن حكاية قدح غيره فيه فان
الذي سبك من بلغك قال انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجه احدا بشيء يكرهه
فالتاذي اولا يحصل من المبلغ ثم من القائل نعم لا ينبغي ان يخفي ما يسمع من الثناء عليه فان السرور به

يحصل المبلغ للمدح كما يحصل من القائل واخفاء ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة و
تفصيلا الا اذا وجب عليه النطق في امر بمعروف او نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فان ذلك
لا يبالي بكراهته فان ذلك احسان اليه في التحقيق وان كان يظن انه اساءة في الظاهر فاما ذكر مساويه
وعيوبه ومساوي اهله فهو من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم ويزجرك عنه امران احدهما ان تطالع
احوال نفسك فان وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهون على نفسك ما تراه من اخيك وقدر انه
عاجز فيما انت مبتلى به فلا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة فاي الرجال المهذب وكل ما لا تصادفه
من نفسك في حق الله تعالى فلا تنتظر من اخيك في حق نفسك فليس حقك عليه باكثر من حق الله عليك
والامر الثاني ان تعلم انك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولم تجد من تصاحبه اصلا
فما من الناس احد الا وله محاسن ومساو فاذا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية المنتهى فالمؤمن
الكريم ابدا يحضر في نفسه محاسن اخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام واما المنافق اللئيم
فانه ابدا يلاحظ المساوي والعيوب قال ابن المبارك المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات وقال
الفضيل الفتوة الصفح عن زلات الاخوان ولذلك قال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جار
السوء الذي اذا راى خيرا ستره واذا راى شرا اظهره وما من شخص الا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه
ويمكن تقبيحه ايضا روي ان رجلا اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد
ذمه فقال عليه الصلاة والسلام انت بالامس تثني عليه واليوم تذمه فقال والله لقد صدقت عليه بالامس
وما كذبت عليه اليوم انه ارضاني بالامس فقلت احسن ما علمت فيه واغضبني اليوم فقلت اقبح ما
علمت فيه فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وكانه كره ذلك فشبهه بالسحر ولذلك قال في
خبر آخر البذاء والبيان شعبتان من النفاق وفي حديث آخر ان الله يكره لكم البيان كل البيان ولذلك
قال الشافعي رضي الله عنه ما احد من المسلمين يطيع الله فلا يعصيه ولا احد يعصي الله فلا يطيعه فمن
كانت طاعته اغلب من معاصيه فهو عدل واذا جعل مثل هذا عدلا في حق الله تعالى فبان تراه عدلا
في حق نفسك ومقتضى اخوتك اولى وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت
بقلبك وذلك بترك اساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه ايضا وحده ان لا تحمل
فعله على وجه فاسد ما امكن ان تحمله على وجه حسن فاما ما انكشف بيقين ومشاهدة فلا يمكنك
ان لا تعلمه وعليك ان تحمل ما تشاهده على سهو ونسيان ان امكن وهذا الظن ينقسم الى ما يسمى تفرسا و
هو الذي يستند الى علامة فان ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه والى ما منشؤه
سوء اعتقادك فيه حتى يصدر منه فعل له وجهان فيحملك سوء الاعتقاد على ان تنزله على الوجه الاردى
من غير علامة تخصصه به وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام في كل مؤمن اذ قال صلى الله عليه
وسلم ان الله قد حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء وقال اياكم والظن
فان الظن اكذب الحديث وسوء الظن يدعو الى التجسس وقال صلى الله عليه وسلم لا تجسسوا
ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا والتجسس في تطلع الاخبار والتحسس
بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة اهل الدين ويكفيك تنبيها على كمال
الرتبة في ستر القبيح واظهار الجميل ان الله تعالى وصف به في الدعاء فقيل يا من اظهر الجميل وستر على
القبيح والمرضي عند الله من تخلق باخلاقه وانه ستار للعيوب وغفار للذنوب ومتجاوز عن العبيد

فكيف لا يتجاوز انت عمن هو مثلك او فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك وقد قال عيسى عليه
السلم كيف تصنعون اذا رايتم اخاكم نائما وقد كشفت الريح عنه ثوبه قالوا نستره ونغطيه فقال
بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال احدكم يسمع في اخيه بالكلمة فيزيد عليها
ويشيعها باعظم منها واعلم انه لا يتم ايمان المرء ما لم يحب لاخيه ما يحب لنفسه واقل درجات
الاخوة ان يعامل اخاه بما يحب ان يعامله به ولا شك في انه ينتظر منه ستر العورة والسكوت عن
المساوي والعيوب ولو ظهر له منه نقيض ما ينتظره اشتد عليه ما يغيظه وغضب فما ابعده
اذا كان ينتظر منه ما لا يضمره له ولا يعزم عليه لاجله وويل له في نص كتاب الله حيث قال ويل للمطففين
الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون وكل من يلتمس من الانصاف
اكثر مما يسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الاية ومنشا التقصير في ستر العورة او السعي في
كشفها الداء الدفين في الباطن وهو الحقد والحسد فان الحسود الحقود يمتلي باطنه بالخبث ولكنه
يحبسه في باطنه ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد له مجالا واذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء وترشح
الباطن بخبثه الدفين ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع اولى قال بعض الحكماء ظاهر
العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقود الا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فايمانه
ضعيف وامره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله عز وجل وقد روى عبد الرحمن بن جبير عن ابيه انه قال كنت
باليمن فكان لي جار يهودي يخبرني من التورية فقدم علي اليهودي من سفر فقلت ان الله قد بعث فينا نبيا
فدعانا الى الاسلام فاسلمنا وقد نزل علينا كتاب مصدق للتورية فقال اليهودي صدقت و
لكنكم لا تستطيعون ان تقوموا بما جاءكم به انا نجد نعته ونعت امته انه لا يحل لامرئ ان يخرج من عتبة
بابه وفي قلبه سخيمة على اخيه المسلم ومن ذلك ان يسكت عن افشاء سره الذي استودعه وله ان ينكره
وان كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل ان يخفي عيوب نفسه واسراره
وان احتاج الى الكذب فله ان يفعل ذلك في حق اخيه فان اخاه نازل منزلته وهما كشيء واحد لا
يختلفان الا بالبدن هذه حقيقة الاخوة ولذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائيا وخارجا عن
اعمال السر الى اعمال العلانية فان معرفة اخيه لعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق وقد قال صلى الله عليه
وسلم من ستر عورة اخيه ستره الله في الدنيا والاخرة وفي خبر اخر كانما احيى موءودة وقال صلى الله
عليه وسلم اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو امانة وقال المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس مجلس يسفك
فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله وقال انما يتجالس المتجالسان
بالامانة لا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره وقيل لبعض الادباء كيف حفظك للسر قال انا قبره
وقد قيل صدور الاحرار قبور الاسرار وقيل ان قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه اي لا يستطيع الاحمق
اخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري فمن هذا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم
وقد قيل لاخر كيف تحفظ السر فقال اجحد المخبر واحلف للمستخبر وقال اخر استره واستر اني استره وعبر
عنه ابن المعتز فقال ومستودعي سرا تبوات كتمه فاودعته صدري فصار له قبرا وقال اخر واراد
الزيادة عليه وما السر في صدري كثاو بقبره لاني ارى المقبور ينتظر النشرا ولكنني انساه حتى كانني
بما كان منه لم احط ساعة خبرا ولو جاز كتم السر بيني وبينه عن السر والاحشاء لم يعلم السر وافشى
بعضهم سرا له الى اخيه ثم قال له حفظت فقال بل نسيت وكان ابو سعيد الثوري يقول اذا اردت ان تواخي

رجلا فاغضبه ثم دس عليه من يساله عنك وعن اسرارك فان قال خيرا وكتم سرك فاصحبه وقيل
لابي يزيد من تصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله وقال ذو النون لا
خير في صحبة من لا يحبك الا معصوما ومن افشى السر عند الغضب فهو اللئيم لان اخفاءه
عند الرضا يقتضيه الطباع السليمة كلها وقد قال بعض الحكماء لا تصحب من يتغير عليك عند اربع
عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي ان يكون صدق الاخوة ثابتا على اختلاف هذه
الاحوال ولذلك قيل وترى الكريم اذا تصرم وصله يخفي القبيح ويظهر الاحسانا وترى اللئيم اذا
تقضى وصله يخفي الجميل ويظهر البهتانا وقال العباس لابنه عبد الله رضي الله عنهما اني ارى هذا
الرجل يعني عمر يقدمك على الاشياخ فاحفظ عني خمسا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا و
لا يجربن عليك كذبا ولا تعصين له امرا ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس
من الف ومن ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم به اخوك قال ابن عباس لا تمار سفيها
فيؤذيك ولا حليما فيقليك وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة
ومن تركه وهو محق بنى له بيت في اعلى الجنة هذا مع ان تركه مبطلا واجب وقد
جعل ثواب النفل اعظم لان السكوت على الحق اشد على النفس من السكوت
على الباطل وانما الاجر على قدر النصب واشد الاسباب لاثارة الحقد
بين الاخوان المماراة والمناقشة فانها عين التدابر والتقاطع فان التقاطع
يقع اولا بالاراء ثم بالاقوال ثم بالابدان وقد قال صلى الله عليه
وسلم لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا
عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله
بحسب المرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم واشد الاحتقار المماراة
فان من رد على غيره كلامه فقد نسبه الى الجهل والحمق او الى
الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استحقار و
ايغار للصدر وايحاش وفي حديث ابي امامة الباهلي رضي الله
عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى
فغضب فقال ذروا المراء لقلة خيره ذروا المراء فان نفعه
قليل وانه يهيج العداوة بين الاخوان وقال بعض السلف
من لاحى الاخوان وماراهم قلت مروته وذهبت كرامته و
قال عبد الله بن الحسن اياك ومماراة الرجال فانك لن تعدم
مكر حليم او مفاجاة لئيم وقال بعض السلف اعجز الناس من قصر في
طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة المماراة
توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة وقد قال الحسن

وقد راى عمر رضي الله تقدمه على الاكابر

لا تشتر عداوة رجل بمودة الف رجل وبالجملة فلا باعث على
المماراة الا اظهار التميز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود
عليه باظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والايذاء
والشتم بالحمق والجهل ولا معنى للمعاداة الا هذا فكيف
يبقى معه الاخوة والمصافاة وقد روى ابن عباس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انكم لا تسعون الناس باموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه
وحسن الخلق والمماراة مضادة لحسن الخلق وقد انتهى السلف في الحذر
الحذر من الجدال والسؤال ايضا قالوا اذا قلت لاخيك قم فقال الى اين
فلا تصحبه بل قالوا ينبغي ان يقوم ولا يسال قال ابو سليمن
الداراني كان لي اخ بالعراق وكنت اجيئه في النوائب
فاقول له اعطني من مالك شيئا وكان يلقي الي كيسه فآخذ
منه ما اريد فجئته ذات يوم فقلت احتاج الى شيء فقال
كم تريد فخرجت حلاوة اخائه من قلبي وقال
آخر اذا طلبت من اخيك مالا فقال ماذا تصنع به
فقد ترك حق الاخاء ثم اعلم صح

صح الناسخ

ثم اعلم ان قوام الاخوة بالموافقة في الكلام والفعل وبالشفقة قال ابو عثمن الحيري موافقة
الاخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال الحق الرابع على اللسان بالنطق فان الاخوة كما يقتضي
السكوت على المكاره فيقتضي النطق ايضا بالمحاب بل هو اخص بالاخوة لان من قنع بالسكوت
صحب اهل القبور وانما يراد الاخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن اذاهم والسكوت معناه
كف الاذى فعليه ان يتودد اليه بلسانه ويتفقده في احواله التي يحب ان يتفقده فيها كالسؤال
عن عارض ان عرض له واظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة احواله التي
يكرهها ينبغي ان يظهر بلسانه وافعاله كراهتها وجملة احواله التي يسر بها ينبغي ان يظهر بلسانه
مشاركته له في السرور بها فمعنى الاخوة المساهمة في السراء والضراء وقد قال صلى الله عليه و
سلم اذا احب احدكم اخاه فليخبره وانما امر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة حب فان عرف
انك تحبه احبك بالطبع لا محالة واذا عرفت انه يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد
من الجانبين ويتضاعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علم
فيه الطريق فقال تهادوا تحابوا ومن ذلك ان يدعوه باحب اسمائه اليه في غيبته وحضوره قال
عمر رضي الله عنه ثلاث يصفين لك ود اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته اولا وتوسع له في المجلس وتدعوه
باحب اسمائه اليه ومن ذلك ان يثني عليه بما يعرف من محاسن احواله عند من يؤثر الثناء عنده فان
ذلك من اعظم الاسباب في جلب المحبة وكذلك الثناء على اولاده واهله وصنعته وفعله حتى على
عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب و
افراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين لا بد منه واكد من ذلك ان يبلغه ثناء من اثنى عليه مع اظهار
الفرح به فان اخفاء ذلك محض الحسد ومن ذلك ان يشكره على صنيعه في حقه بل على نيته و
ان لم يتم قال علي رضي الله عنه من لم يحمد اخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة واعظم من ذلك
تاثيرا في جلب المحبة الذب عنه في غيبته مهما قصد بسوء او تعرض لعرضه بكلام صريح او تعريض فحق
الاخوة التشمر في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه فالسكوت عن ذلك
موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الاخوة وانما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
باليدين تغسل احدهما الاخرى لينصر احدهما الاخر وينوب عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم الاخ
المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه وهذا من الاسلام والخذلان فان اهماله لتمزيق عرضه كاهماله لتمزيق لحمه وتخسس باخ
يراك والكلاب يفترسك ويمزق لحمك وهو ساكن لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك وتمزيق الاعراض
اشد على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبهه الله تعالى باكل لحم الميتة فقال ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه
ميتا والملك الذي يمثل في المنام ما يطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالامثلة المحسوسة يمثل الغيبة
باكل لحم الميتة حتى ان من يرى انه ياكل لحم ميتة فانه يغتاب الناس لان ذلك الملك في تمثيله يراعي المشاركة والمناسبة
بين الشيء وبين مثاله في المعنى الذي يجري من المثال مجرى الروح لا في ظاهر الصورة فاذا حماية الاخوة
بدفع ذم الاعداء وتعنت المتعنتين واجب في عقد الاخوة وقد قال مجاهد لا تذكر اخاك في غيبته
الا كما تحب ان يذكرك في غيبتك فاذا لك فيه معياران احدهما ان تقدر ان الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان
اخوك حاضرا ما الذي كنت تحب ان يقوله فيك اخوك فينبغي ان تعامل المتعرض لعرضه به والثاني ان
تقدر انه حاضر من وراء جدار يستمع عليك ويظن انك لا تعرف حضوره فما كان يتحرك في قلبك من النصرة

لم يسمع منه ومرأى فينبغي أن يكون في مغيبه كذلك قال بعضهم ما ذكر أخ لي بغيب إلا تصورته جالسا
فقلت فيه ما يحب أن يسمعه لو حضر وقال آخر ما ذكر أخ لي إلا تصورت نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما
أحب أن يقال في وهذا من صدق الإسلام وهو أن لا يرى لأخيه إلا ما يراه لنفسه وقد نظر أبو الدرداء
إلى ثورين يحرثان فوقف أحدهما فوافقه الآخر وبالموافقة يتم الإخلاص ومن لم يكن مخلصا في إخائه فهو
منافق والإخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة و
الاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك مماذقة في المودة وهو دخل في الدين ووليجة في طريق المؤمنين و
من لا يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة أولى به من المؤاخاة والمصاحبة فإن حق الصحبة ثقيل
لا يطيقه إلا محقق لا جرم أجره جزيل لا يناله إلا موفق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أحسن مجاورة من
جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا فانظر كيف جعل الإيمان جزاء الصحبة والإسلام
جزاء الجوار فالفرق بين فضل الإيمان وفضل الإسلام على حد الفرق بين المشقة في القيام بحق الجوار و
القيام بحق الصحبة فإن الصحبة تقتضي حقوقا كثيرة في أحوال متقاربة مترادفة بل على الدوام والجوار لا يقتضي
إلا حقوقا قريبة في أوقات متباعدة لا تدوم ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل
من حاجته إلى المال فإن كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فإن
علمته وأرشدته فلم يعمل بمقتضى العلم فعليك نصحه وذلك بأن تذكر آفات ذلك العمل وفوائد تركه وتخوفه بما
يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح في عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغي أن
يكون ذلك في سر لا يطلع عليه أحد فما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة إذ
قال صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة المؤمن أي يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المرء من أخيه معرفة
عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة قال الشافعي
من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه وقيل لمسعر أتحب من يخبرك
بعيوبك فقال إن نصحني فيما بيني وبينه فنعم وإن قرعني في الملأ فلا وقد صدق فإن النصح على الملأ
افتضاح والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه وفي ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد يدفع
كتاب عمله مختوما ليقرأه وأما أهل المقت فينادون على رءوس الشهادة وتستنطق جوارحهم بفضائحهم
فيزدادون بذلك خزيا وافتضاحا ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الأكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة
بالإسرار والإعلان كما أن الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الإغضاء فأنت مدار
إن أغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من إصلاح أخيك بالإغضاء فأنت مدار وإن أغضيت لحظ
نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن وقال ذو النون لا تصحب مع الله إلا بالموافقة
ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة فإن قلت فإذا كان في
النصح ذكر العيوب وفيه إيحاش القلب فكيف يكون ذلك من حق الأخوة فاعلم أن الإيحاش إنما يحصل بذكر
عيب يعلمه أخوك من نفسه فأما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استمالة القلوب أعني قلوب العقلاء
وأما الحمقى فلا يلتفت إليهم فإن من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته أو صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي
نفسك عنها كان كمن ينبهك على حية أو عقرب تحت ذيلك وقد همت بإهلاكك فإن كنت تكره ذلك
فما أشد حمقك والصفات الذميمة عقارب وحيات وهي في الآخرة مهلكات فإنها تلدغ القلوب و
الأرواح وألمها أشد مما يلدغ الظواهر والأجساد وهي مخلوقة من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ولذلك

وفي لفظ اهدى الي عيوبي

كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من إخوانه ويقول رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه و
لذلك قال لسلمان وقد قدم عليه ما الذي بلغك عني مما تكره فاستعفى فألح عليه فقال بلغني
أن لك حلتين تلبس إحداهما بالنهار والأخرى بالليل وبلغني أنك جمعت بين إدامين على مائدة
واحدة فقال عمر رضي الله عنه أما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب حذيفة
المرعشي إلى يوسف بن أسباط بلغني أنك بعت دينك بحبتين وقفت على صاحب لبن فقلت بكم
هذا فقال بسدس فقلت له لا بثمن فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن رأسك قناع الغافلين
وانتبه من رقدة الموتى واعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا لم آمن أن يكون بآيات
الله من المستهزئين وقد وصف الله تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين إذ قال ولكن لا تحبون
الناصحين وهذا في عيب هو غافل عنه وأما ما علمت أنه يعلمه من نفسه فإنما هو مقهور عليه
من طبعه فلا ينبغي أن يكشف فيه ستره إن كان يخفيه وإن كان يظهره فلا بد من التلطف
في النصح مرة بالتعريض وأخرى بالتصريح إلى حد لا يؤدي إلى الإيحاش فإن علمت أن النصح غير
مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الإصرار عليه فالسكوت عنه أولى وهذا كله فيما يتعلق
بمصالح أخيك في دينه أو دنياه أما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو
والصفح والتعامي عنه فالتعرض لذلك ليس من النصح في شيء نعم إن كان بحيث يؤدي استمراره
عليه إلى القطع فالعتاب في السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والمكاتبة خير من
المشافهة والاحتمال خير من الكل إذ ينبغي أن يكون قصدك من أخيك إصلاح نفسك ثم لعانتك إياه
وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به والاسترفاق منه قال أبو بكر الكتاني صحبني رجل
فكان على قلبي ثقيلا فوهبت له يوما شيئا على أن يزول ما في قلبي فلم يزل فأخذت بيده يوما إلى
البيت وقلت له ضع رجلك على خدي فأبى فقلت لا بد فقعل فزال ذلك عن قلبي وقال أبو علي
الرباطي صحبت عبد الله الرازي وكان يدخل البادية فقال على أن تكون أنت الأمير أو أنا فقلت
بل أنت فقال وعليك الطاعة فقلت نعم فأخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره فإذا
قلت له أعطني قال ألست قلت أنت الأمير فعليك الطاعة فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسي إلى الصباح
وعليه كساء وأنا جالس يمنع عني المطر فكنت أقول مع نفسي ليتني مت ولم أقل أنت الأمير الخامس
العفو عن الزلات والهفوات وهفوة الصديق لا تخلو إما أن تكون في دينه بارتكاب معصية أو في
حقك بتقصيره في الأخوة أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فعليك التلطف
في نصحه بما يقوم أوده ويجمع شمله ويعيد إلى الصلاح والورع حاله فإن لم يقدر وبقي مصرا فقد
اختلفت طرق الصحابة والتابعين في إدامة حق مودته أو مقاطعته فذهب أبو ذر رضي الله عنه إلى الانقطاع
وقال إذا انقلب أخوك عما كان عليه فأبغضه من حيث أحببته ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض
في الله وأما أبو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا إلى خلافه فقال أبو الدرداء إذا تغير أخوك
وحال عما كان فلا تدعه لأجل ذلك فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى وقال إبراهيم النخعي لا تقطع
أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فإنه يركبه اليوم ويتركه غدا وقال أيضا لا تحدثوا الناس بزلة
العالم فإن العالم يزل الزلة ثم يتركها وفي الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وفي حديث
عمر رضي الله عنه وقد سئل عن أخ له كان آخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه فقال ما فعل

والاصرار عليها

اخي فقال ذلك اخو الشيطان قال عمر قال انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر قال اذا اردت الخروج و
فاذني فكتب عند خروجه اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول الاية ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرا الكتاب بكى و
قال صدق الله ونصح لي عمر فتاب ورجع وحكي ان اخوين ابتلي احدهما بهوى فاظهر عليه اخاه و
قال اني قد اعتللت فان شئت ان لا تعقد على صحبتي لله فافعل فقال ما كنت لاحل عقد اخوتك لاجل
خطيئتك ابدا ثم اعتقد اخوه بينه وبين الله تعالى ان لا ياكل ولا يشرب حتى يعافي الله اخاه من هواه
فطوى اربعين يوما في كلها يساله عن هواه وكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو ينحل من
الجوع والغم حتى زال الهوى عن قلب اخيه بعد الاربعين فاخبره بذلك فاكل وشرب بعد ان كاد
يتلف هزالا وضرا وكذلك حكي عن اخوين من السلف انقلب احدهما عن الاستقامة فقيل
لاخيه الا تقطعه وتهجره فقال احوج ما كان الي في هذا الوقت لما وقع في عثرته ان اخذ بيده
واتلطف له في المعاتبة وادعو له بالعود الى ما كان عليه وروي في الاسرائيليات ان اخوين عابدين
في جبل نزل احدهما ليشتري من المصر لحما بدرهم فراى بغية عند اللحام فرمقها فعشقها فواقعها
ثم اقام عندها ثلاثا واستحيى ان يرجع الى اخيه من خيانته قال فافتقده اخوه واهتم بشانه
فنزل الى المدينة فلم يزل يسال عنه حتى دل عليه فدخل اليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله
ويلتزمه وانكر الاخر انه يعرفه لفرط الاستحياء منه فقال قم يا اخي فقد علمت شانك وقصتك
وما كنت احب الي ساعة ولا اعز من ساعتك هذه فلما راى ان ذلك لم يسقطه عن عينه قام وانصرف معه
فهذه طريقة قوم وهي الطف وافقه من طريقة ابي ذر وطريقة ابي ذر احسن واسلم فان
قلت ولم قلت هذا الطف وافقه ومقارف هذه المعصية لا تجوز مواخاته ابتداء فيجب مقاطعته
انتهاء لان الحكم اذا ثبت بعلة فالقياس ان يزول بزوالها وعلة عقد الاخوة التعاون في الدين و
لا يستمر ذلك مع مقارفة المعصية فاقول اما كونه الطف فلما فيه من الرفق والاستمالة والتعطف المفضي
الى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة اصر واستمر
واما كونه افقه فمن حيث ان الاخوة عقد ينزل منزلة القرابة فاذا انعقدت تاكد الحق ووجب الوفاء
بموجب العقد ومن الوفاء به ان لا يهمل ايام حاجته وفقره وفقر الدين اشد من فقر المال وقد اصابته جائحة و
المت به افة افتقر بسببها في دينه فينبغي ان يراقب ويراعى ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان على
الخلاص من تلك الواقعة التي المت به فالاخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من اشد النوائب
والفاجر اذا صحب تقيا وهو ينظر الى خوفه ومداومته فسيرجع على قرب ويستحيي من الاصرار بل الكسلان
يصحب الحريص في العمل فيحرص حياء منه قال جعفر بن سليمان مهما فترت من العمل نظرت الى محمد بن
واسع واقباله على الطاعة فيرجع نشاطي الى العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه اسبوعا وهذا
التحقيق وهو ان الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لا يجوز ان يهجر بالمعصية ولذلك قال الله تعالى لنبيه
في عشيرته فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون ولم يقل اني بريء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب
والى هذا اشار ابو الدرداء لما قيل له الا تبغض اخاك وقد فعل كذا فقال انما ابغض عمله والا فهو
اخي واخوة الدين اكد من اخوة القرابة ولذلك قيل لحكيم ايما احب اليك اخوك او صديقك فقال
انما احب اخي اذا كان صديقا وكان الحسن يقول كم من اخ لم تلده امك ولذلك قيل القرابة تحتاج الى

مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة وقال جعفر الصادق مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة
ومودة سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله فاذن الوفاء بعقد الاخوة اذا سبق انعقادها
واجب وهذا جواب عن ابتداء المواخاة مع الفاسق فانه لم يتقدم له حق فان تقدمت له قرابة فلا
جرم ولا ينبغي ان يقاطع بل يجامل والدليل عليه ان ترك المواخاة والصحبة ابتداء ليس بمذموم ولا
مكروه بل قال قائلون الانفراد اولى فاما قطع الاخوة في دوامها فمنهي عنه ومذموم في نفسه ونسبته
الى تركها ابتداء كنسبة الطلاق الى ترك النكاح والطلاق ابغض الى الله من ترك النكاح قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال بعض السلف في
زلات الاخوان ود الشيطان ان يلقي على اخيكم مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه فماذا اتقيتم من محبة
عدوكم وهذا لان التفريق بين الاحباب من محاب الشيطان كما ان مقارفة العصيان من محابه فاذا
حصل للشيطان احد غرضيه فلا ينبغي ان يضاف اليه الثاني والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم في الذي
شتم الرجل الذي اتى فاحشة اذ قال مه وزبره وقال لا تكونوا اعوانا للشيطان على اخيكم فبهذا
يتبين الفرق بين الدوام والابتداء لان مخالطة الفساق محذورة ومفارقة الاخوان والاحباب ايضا
محذورة وليس من سلم عن معارضة غيره كالذي لم يسلم وفي الابتداء قد سلم فراينا ان المهاجرة والتباعد
هو الاولى وفي الدوام تعارضا فكان الوفاء بحق الاخوة اولى هذا كله في زلته في دينه اما زلته في حقه بما
يوجب ايحاشه فلا خلاف في ان الاولى العفو والاحتمال بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد
عذر فيه قريب او بعيد فهو واجب بحق الاخوة فقد قيل ينبغي ان تستنبط لزلة اخيك سبعين عذرا فان
لم يقبله قلبك فقل لقلبك ما اقساك يعتذر اليك اخوك سبعين عذرا فلا تقبله فانت المعيب لا اخوك
فان ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي ان لا تغضب ان قدرت ولكن ذلك لا يمكن قال الشافعي رضي الله عنه
من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا واسترض
قلبك بنفسك نيابة عن اخيك واحترز ان تكون شيطانا ان لم تقبل قال الاحنف حق الصديق ان تحتمل
منه ثلاثا ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة وقال اخر ما شتمت احدا قط لانه ان شتمني كريم فانا احق من
غفرها له او لئيم فلا اجعل عرضي له غرضا ثم تمثل وقال واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم
تكرما وقد قيل خذ من خليلك ما صفا ودع الذي فيه الكدر فالعمر اقصر من معاتبة الخليل على الغير ومهما
اعتذر اليك اخوك صادقا كان او كاذبا فاقبل عذره قال عليه الصلوة والسلام من اعتذر اليه اخوه فلم يقبل عذره
فعليه مثل اثم صاحب مكس وقد قال صلى الله عليه وسلم المومن سريع الغضب سريع الرضى فلم يصفه بانه لا يغضب
وكذلك قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ وهذا لان العادة لا تنتهي الى ان يجرح
الانسان فلا يتالم بل تنتهي الى ان يصبر عليه ويحتمل وكما ان التالم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتالم باسباب
الغضب طبع القلب فلا يمكن قلعه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فانه يقتضي
التشفي والانتقام والمكافاة وترك العمل بمقتضاه ممكن قال الشاعر ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي
الرجال المهذب وقال ابو سليمان لاحمد بن ابي الحواري اذا واخيت اخا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك
لا تامن ان ترى في جوابك ما هو شر من الاول قال فجربته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مضض الاخ خير من
معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة وينبغي ان لا يبالغ في البغض عند الوقيعة قال
الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة وقال عليه الصلوة والسلام احبب حبيبك

هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما
ما وقال عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وهو ان تحب تلف صاحبك مع هلاكك
الحق السادس الدعاء للاخ في حيوته وبعد مماته بكل ما تحبه لنفسك ولاهلك وكل متعلق بك
فينبغي ان تدعو لاهل اخيك ولمتعلقه فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه فان
دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب
قال الملك ولك مثل ذلك وفي لفظ اخر يقول الله تعالى بك ابدا عبدي وفي الحديث يستجاب للرجل في اخيه
ما لا يستجاب له في نفسه وفي الحديث دعوة الاخ لاخيه في الغيب لا ترد وكان ابو الدرداء يقول
اني لادعو لسبعين من اخواني في سجودي اسميهم باسمائهم وكان محمد بن يوسف الاصفهاني يقول واين
مثل الاخ الصالح اهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهتم بما
قدمت يدعو لك في ظلمة الليل وانت تحت اطباق الثرى وكان الاخ الصالح يقتدي بالملائكة اذ جاء
في الخبر اذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم يفرحون له بما قدم ويسألون عنه ويشفعون
عليه ويقال من بلغه موت اخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كانه شهد جنازته وصلى عليه وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد او والد
او اخ او قريب وانه ليدخل على قبور الاموات من دعاء الاحياء من الانوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعاء
للاموات بمنزلة الهدايا للاحياء فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية
لك من عند اخيك فلان من عند قريبك فلان قال فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية الحق السابع الوفاء
والاخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب وادامته الى الموت معه وبعد الموت مع اولاده واصدقائه فان
الحب انما يراد للاخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
في السبعة الذين يظلهم الله تعالى اجتمعا على ذلك وتفرقا وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره
في حال الحيوة ولذلك روي انه صلى الله عليه وسلم اكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال انها كانت تأتينا
في ايام خديجة وان كرم العهد من الدين فمن الوفاء مراعاة جميع اصدقائه واقاربه والمتعلقين به ومراعاتهم
اوقع في قلب الصديق من مراعاة الاخ في نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به اكثر اذ لا يدل على قوة الشفقة
والحب الا تعديهما من المحبوب الى كل ما يتعلق به حتى الكلب الذي على باب داره ينبغي ان يميز في القلب
عن سائر الكلاب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فانه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد
متواخيين في الله ومتحابين فيه فانه يجهد نفسه لافساد ما بينهما قال الله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي
هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم وقال مخبرا عن يوسف من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي و
يقال ما تواخى اثنان في الله فيفرق بينهما الا بذنب يرتكبه احدهما وكان بشر يقول اذا قصر العبد في طاعة
الله سلبه الله من يؤنسه وذلك لان الاخوان مسلاة للهموم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك
الذ الاشياء مجالسة الاخوان والانقلاب الى الكفاية والمودة الدائمة هي التي تكون في الله فاما ما يكون لغرض
يزول بزوال ذلك الغرض ومن ثمرات المودة في الله ان لا يكون مع حسد في دين ولا دنيا وكيف يحسده وكل ما لاخيه
فاليه يرجع فائدته وبه وصف الله تعالى المحبين في الله فقال ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون
على انفسهم ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفاء ان لا يتغير حاله في التواضع مع اخيه وان ارتفع شأنه و
اتسعت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الاخوان بما يتجدد من الاحوال لؤم قال الشاعر ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا

من كان يألفهم في المنزل الخشن واوصى بعض السلف لابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس الا من اذا افتقرت
اليه قرب منك وان استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يترفع عليك وقال بعض الحكماء اذا
ولي اخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير وقد حكى الربيع ان الشافعي رضي الله عنه اخى
رجلا ببغداد ثم ان اخاه ولي السيبين فتغير له عما كان فكتب الشافعي اليه هذه الابيات اذهب
فودك من فؤادي طالق ابدا وليس طلاق ذات البين فان ارعويت فانها تطليقة ويدوم ودك لي على
ثنتين وان امتنعت شفعتها بمثالها فيكون تطليقتين في حيضين فاذا الثلاث اتتك مني بتة
لم تغن عنك ولاية السيبين واعلم انه ليس من الوفاء موافقة الاخ فيما يخالف الحق في امر يتعلق بالدين
بل من الوفاء المخالفة فقد كان الشافعي رضي الله عنه اخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول
ما يقيمني بمصر غيره فاعتل محمد فعاده الشافعي وقال مرض الحبيب فعدته فمرضت من حذري
عليه واتى الحبيب يعودني فبرئت من نظري اليه فظن الناس لصدق مودتهما انه يفوض امر
حلقته اليه بعد وفاته فقيل للشافعي في علته التي مات فيها الى من نجلس بعدك يا ابا عبد الله فاستشرف له
محمد بن الحكم وهو عند رأسه ليومئ اليه فقال الشافعي سبحان الله أيشك في هذا ابو يعقوب البويطي
فانكسر لها محمد ومال اصحابه الى البويطي مع ان محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطي
افضل واقرب الى الزهد والورع فنصح الشافعي رحمه الله لله وللمسلمين وترك المداهنة ولم يؤثر
رضى الخلق على رضى الله تعالى فلما توفي انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع الى مذهب ابيه ودرس
كتب مالك وهو من كبار اصحاب مالك رضي الله عنه وآثر البويطي الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس
في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الام الذي ينسب الان الى الربيع بن سليمان ويعرف به وانما
صنفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه الى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف واظهره والمقصود
ان الوفاء بالمحبة من تمامها النصح لله قال الاحنف الاخاء جوهرة رقيقة ان لم تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها
بالكظم حتى تعتذر الى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من اخيك التقصير ومن
آثار الصدق والاخلاص وتمام الوفاء ان يكون شديد الجزع من المفارقة نفور الطبع عن اسبابها
كما قيل وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الاحباب هينة الخطب وانشد ابن عيينة هذا البيت
وقال لقد عهدت اقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل الي ان حسرتهم ذهبت من قلبي ومن الوفاء ان
لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لا سيما من يظهر اولا انه محب لصديقه كيلا يتهم ثم يلقي الكلام عرضا
وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقائق الحيل في التضريب ومن لا يحترز منه لم تدم مودته
اصلا قال واحد لحكيم قد جئتك خاطبا لمودتك فقال ان جعلت مهرها ثلاثا فعلت لا تسمع علي بلاغة ولا
تخالفني في امر ولا توطئني عشوة ومن الوفاء ان لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي رضي الله عنه اذا
اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك
بان لا يكلف اخاه ما يشق عليه بل يروح سره عن مهماته وحاجاته ويرفهه عن ان يحمله شيئا من اعبائه ولا يستمد
منه من جاه ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تعالى تبركا بدعائه
واستئناسا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا الى الله بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته قال بعضهم من اقتضى من اخوانه
ما لا يقتضونه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد اتعبهم ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم وقال
بعض الحكماء من جعل نفسه فوق قدره تعب واتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف بطي

بساط التكليف حتى لا يستحيي منه فيما لا يستحيي من نفسه قال الجنيد ما تواخى اثنان في الله فاستوحش
احدهما من صاحبه او احتشم الا لعلة في احدهما وقال علي رضي الله عنه شر الاصدقاء من تكلف
لك ومن احوجك الى مداراة والجأك الى اعتذار وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكليف يزور
احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقالت عائشة رضي الله عنها المؤمن اخو المؤمن لا يغتنمه
ولا يحتشمه وقال الجنيد صحبت اربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلاثون رجلا حارث
المحاسبي وطبقته وحسن المسوحي وطبقته وسري السقطي وطبقته وابن الكريني وطبقته
فما تواخى اثنان في الله فاحتشم احدهما من صاحبه او استوحش الا لعلة في احدهما وقيل لبعضهم من
نصحب قال من يرفع عنك ثقل التكليف ويسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وكان جعفر بن محمد يقول
اثقل اخواني علي من يتكلف لي وانحفظ منه واخفهم على قلبي من اكون معه كما اكون وحدي وقال بعض
الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده باثم يكون ذلك لك وعليك وانت
عنده سواء وانما قال هذا لان به يتخلص عن التكلف والتحفظ والا فالطبع يحمله على ان يتحفظ منه اذا علم
ان ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الآخرة بالعلم ومع العارفين
كيف شئت وقال آخر لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر اليك اذا اسأت ويحمل عنك
مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وقائل هذا قد ضيق طريق الاخوة على الناس وليس الامر كذلك بل
ينبغي ان يواخي كل متدين عاقل ويعزم على ان يقوم بهذه الشروط ولا يكلف هذه الشروط حتى يكثر به
اخوانه اذ به يكون مواخيا في الله والا كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الاخوان
في هذا الزمان اين اخ لي في الله فاعرض الجنيد حتى اعاده ثلاثا فلما اكثر قال له ان اردت اخا يكفيك مؤنتك
ويتحمل اذاك فهذا لعمري قليل وان اردت اخا في الله تحمل انت مؤنته وتصبر على اذاه فعندي جماعة اعرفهم
لك فسكت الرجل واعلم ان الناس ثلاثة رجل تنتفع بصحبته ورجل تقدر على ان تنفعه ولا تتضرر به
ولكن لا تنتفع به ورجل لا تقدر ايضا على ان تنفعه وتتضرر به وهو الاحمق او السيء الخلق فهذا الثالث ينبغي ان
تتجنبه فاما الثاني فلا تجتنبه لانك تنتفع في الآخرة بدعائه وشفاعته وبثوابك على القيام به وقد
اوحى الله تعالى الى موسى ان اطعتني فما اكثر اخوانك اي ان واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم وقد
قال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف لاني كنت معهم على نفسي ومن هذا شيمته
كثر اخوانه ومن التخفيف وترك التكليف ان لا تعترض في نوافل العبادات كان طائفة من الصوفية
يصطحبون على شرط المساواة بين اربعة معان ان اكل احدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر
كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى الليل كله لم يقل له نم وتستوي حالاته عنده
بلا مزيد ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت حرك الطبع الى الرياء والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت
كلفته دامت الفته ومن خفت مؤنته دامت مودته وقال بعض الصحابة ان الله تعالى لعن
المتكلفين وقال صلى الله عليه وسلم انا والاتقياء من امتي براء من التكلف وقال بعضهم
اذا عمل الرجل في بيت اخيه اربع خصال فقد تم انسه به اذا اكل عنده ودخل الخلاء ونام وصلى
فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال بقيت خامسة وهي ان يحضر بيت اخيه مع اهله ويجامعها
لان البيت يتخذ للاستخفاء في هذه الامور الخمس والا فالمساجد اروح لقلوب المتعبدين فاذا
فعل هذه الخمس فقد تم الاخاء وارتفعت الحشمة وتاكد الانبساط وقول العرب في تسليمهم

يشير الى ذلك اذ يقول احدهم لصاحبه مرحبا واهلا وسهلا اي لك عندنا مرحب وهو السعة في
القلب والمكان ولك عندنا اهل تانس بهم بلا وحشة منا ولك عندنا سهولة في ذلك كله
اي لا يشتد علينا ولا يتم التخفيف وترك التكليف الا بان يرى نفسه دون اخوانه ويحسن الظن
بهم ويسيء الظن بنفسه فاذا رآهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم وقال ابو معاوية الاسود
اخواني كلهم خير مني قيل وكيف قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلني على نفسه فهو خير مني وقد قال
صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له وهو النظر بعين
المساواة والكمال في رؤية الفضل للاخ ولذلك قال سفيان اذا قيل لك يا شر الناس فغضبت فانت شر
الناس اي ينبغي ان تكون معتقدا ذلك في نفسك ابدا وسياتي وجه ذلك في كتاب العجب والكبر
وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للاخوان تذلل لمن ان تذللت له يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزال على الاصدقاء يرى الفضل له وقال الآخر كم صديق عرفته بصديق صار
احظى من الصديق العتيق ورفيق رأيته في طريق صار عندي هو الصديق الحقيق ومهما رأى الفضل لـ
نفسه فقد احتقر اخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم قال صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من الشر
ان يحقر اخاه المسلم ومن تتمة الانبساط وترك التكلف ان يشاور اخوانه في كل ما يقصده ويقبل
اشارتهم عليه فقد قال الله تعالى وشاورهم في الامر ولا ينبغي ان يخفي عنهم شيئا من اسراره كما روي عن
يعقوب ابن اخي معروف قال جاء اسود بن سالم الى عمي معروف وكان مواخيا له فقال ان بشر
بن الحارث يحب مواخاتك وهو يستحيي ان يشافهك بذلك وقد ارسلني اليك يسالك ان تعقد
له فيما بينك وبينه اخوة يحتسبها ويعتد بها الا انه يشترط فيها شروطا لا يحب ان تشتهر بذلك
ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة فانه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف اما انا لو
احببت احدا لم احب مفارقته ليلا ونهارا ولزرته في كل وقت ولآثرته على نفسي في كل حال ثم
ذكر من فضل الاخوة والحب في الله احاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليا رضي الله عنه فشاركه في العلم وقاسمه البدن وانكحه افضل بناته واحبهن اليه وخصه بذلك لمواخاته
واني اشهدك اني قد عقدت له اخوة بيني وبينه وعقدت اخاءه في الله لرسالتك ولمسألته على
ان لا يزورني ان كره ذلك ولكني ازوره متى احببت وآمره ان يلقاني في مواضع نلتقي فيها و
آمره ان لا يخفي علي شيئا من شانه وان يطلعني على جميع احواله فاخبر سالم بشرا بذلك فرضي
وسر به فهذا جامع حقوق الصحبة وقد اجملناه مرة وفصلناه اخرى ولا يتم ذلك الا بان تكون
على نفسك للاخوان ولا تكون لنفسك عليهم وان تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم
جميع جوارحك اما البصر فبان تنظر اليهم نظر مودة يعرفونها منك وتنظر الى محاسنهم وتتعامى
عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت اقبالهم عليك وكلامهم معك وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يعطي كل من جلس اليه نصيبا من وجهه وما استصغاه احد الا ظن انه
اكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسئلته وتوجهه للجالس اليه وكان
مجلسه مجلس حياء وتواضع وامانة وكان عليه الصلاة والسلام اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه اصحابه
وتعجبا مما يحدثونه به وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له عليه الصلاة و
السلام واما السمع فبان تسمع كلامهم متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا للاستبشار به ولا
تقطع حديثهم عليهم بمرادة ومنازعة ومداخلة واعتراض فان ارهقك عارض اعتذرت اليهم

وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهون واما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فانا لقول فيه بطول و
من ذلك ان لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم الا بما يفهمون واما اليدان فان لا يقبضهما عن معونتهم
في كل ما يتعاطى باليد واما الرجلان فبان يمشي وراءهم مشي الاتباع لا مشي المتبوعين ولا يتقدم
الا بقدر ما يقدمونه ولا يقرب منهم الا بقدر ما يقربونه ويقوم لهم اذا اقبلوا ولا يقعد الا بقعودهم
ويقعد حيث يقعدون ومهما تم الاتحاد خف جملة من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء
فانها من حقوق الصحبة وفي ضمنها نوع من الاجنبية والتكلف فاذا تم الاتحاد انطوى بساط التكليف
بالكلية فلا يسلك به الا مسلك نفسه لان هذه الاداب الظاهرة عنوان اداب الباطنة وصفاء الباطن
ومهما صفت القلوب استغني عن تكلف اظهار ما فيها ومن كان نظره الى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة
يستقيم ومن نظر الى الخالق لزم الاستقامة ظاهرا او باطنا وزين باطنه بالحب لله ولخلقه وزين ظاهره
بالعبادة لله والخدمة لعباده فانها اعلى انواع الخدمة اذ لا وصول اليها الا بحسن الخلق ويدرك العبد
بحسن خلقه درجة الصائم القائم وزيادة **خاتمة** لهذا الباب نذكر فيها جملة من اداب العشرة
والمجالسة مع اصناف الخلق ملتقطة من الاثار وكلام الحكماء ان اردت حسن العشرة فالق عدوك
وصديقك بوجه من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقر في غير كبر وتواضع في عطفيك ولا تكثر الالتفات
ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك اصابعك واللعب بلحيتك و
خاتمك وتخليل اسنانك وادخال انفك اصبعك واللعب بلحيتك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد
الذباب عن وجهك وكثرة التمطي والتثاوب في وجوه الناس وفي الصلوة وغيرها وليكن مجلسك هاديا
وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك بغير اظهار تعجب مفرط ولا تسال اعادته و
اسكت عن المضاحك والحكايات ولا تخبر عن اعجابك بولدك ولا خادمك ولا بشعرك وتصنيفك و
سائر ما يخصك ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين ولا تتبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف في
الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع احدا على الظلم ولا تعلم اهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار
مالك فانهم ان راوه قليلا هنت عندهم وان كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم واخفهم من غير عنف ولن
لهم من غير ضعف ولا تهازل امتك ولا عبدك فيسقط وقارك واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من
جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا تكثر الالتفات الى ماوراءك و
لا تجث على ركبتيك واذا هدا غضبك فتكلم وان قربك سلطان فكن منه على حذر اللسان وان استرسل
اليك فلا تامن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي فكلمه بما يشتهيه ولا يحملك لطفه بك ان تدخل
بينه وبين اهله وولده وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده فان سقطة الداخل بين الملك واهله
سقطة لا تنعش وزلة لا تقال واياك وصديق العافية فانه اعدى الاعداء ولا تجعل مالك اكرم
من عرضك واذا دخلت مجلسا فالادب البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث
يكون اقرب الى التواضع وان تحيي بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فان جلست
فادبه غض البصر ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف وعون الضعيف وارشاد الضال ورد السلام
واعطاء السائل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتياد لموضع البصاق فلا تبصق في جهة القبلة
ولا عن يمينك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك فان فعلت فادبه ترك الغيبة و
مجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والاعراب بالخطاب والمذاكرة باخلاق
الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وان ظهرت لك المودة ولا تتجشأ بحضرته ولا تتخلل بعد الاكل عنده
وعلى الملك ان يحتمل كل شيء الا افشاء السر والقدح في الملك والتعرض للحرم ولا تجالس العامة فان فعلت
فادبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء الفاظهم
وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم واياك ان تمازح لبيبا او غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه
يجترئ عليك لان المزاح يخرق الهيبة ويذهب بماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود و
يشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته المتقون وهو يميت القلب و
يباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة ويورث الذلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر
العيوب وتتبين الذنوب وقد قيل لا يكون المزاح الا من سخف او بطر ومن بلي في مجلس بمزاح او
لغط فليذكر الله عند قيامه قال النبي صلى الله عليه وسلم من جلس في مجلس فيه لغط فقال قبل ان
يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك غفر له
ما كان في مجلسه ذلك

الباب الثالث في حقوق المسلم والرحم والجوار والملك و

كيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الاسباب اعلم ان الانسان اما ان يكون وحده او مع غيره فاذا
تعذر عيش الانسان وحده الا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن بد من تعلم اداب المخالطة وكل مخالط ففي
مخالطته ادب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة والرابطة اما القرابة وهي اخصها او الاخوة
الاسلام وهي اعمها واما الجوار واما صحبة السفر او المكتب والدرس واما الصداقة والاخوة ولكل
واحدة من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم اكد وللمحرم حق ولكن حق الوالدين
اكد وكذلك حق الجار يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ويظهر التفاوت عند النسبة حتى ان البلدي
في بلاد الغربة يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوار في البلد وكذلك حق المسلم يتاكد
يتاكد بالمعرفة وللمعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع بل
اكد منه والمعرفة بعد وقوعها تتاكد بالاختلاط وكذلك الصحبة تتفاوت فانها اذا قويت صارت
اخوة فاذا ازدادت صارت محبة فان ازدادت صارت خلة والخليل اقرب من الحبيب والمحبة ما
تتمكن من حبة القلب والخلة ما تتخلل سر القلب فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا وتفاوت درجات
الصداقات لا يخفى بحكم الدرجات التجربة والمشاهدة واما كون الخلة فوق الاخوة فمعناه ان لفظ
الخلة عبارة عن حالة هي اتم من الاخوة وتعرفه من قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله اذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع اجزاء قلبه ظاهرا وباطنا و
يستوعبه ولم يكن يستوعب قلبه صلى الله عليه وسلم سوى حب الله عز وجل وقد منعته الخلة عن الاشتراك
فيه مع انه اتخذ عليا رضي الله عنه اخا فقال علي مني بمنزلة هرون من موسى الا النبوة فعدل بعلي عن
النبوة كما عدل بابي بكر عن الخلة فشارك ابو بكر عليا رضي الله عنهما في الاخوة وزاد عليه بمقاربة
الخلة واهليته لها لو كان للشركة في الخلة مجال فانه نبه على ذلك بقوله لاتخذت ابا بكر خليلا وكان
صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليله وقد روي انه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا فقال ان الله
قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا فانا حبيب الله وانا خليل الله تعالى فاذن ليس قبل المعرفة درجة
ولا بعد الخلة درجة وما سواهما من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق الصحبة والاخوة ويدخل فيه ما وراءهما
من المحبة والخلة وانما يتفاوت الرتب في تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت رتب المحبة والاخوة
حتى ينتهي اقصاها الى ان يوجب الايثار بالنفس والمال كما اثر ابو بكر رضي الله عنه نبينا صلى الله

عليه وسلم وكما اثره طلحة ببدنه اذ جعل نفسه وقاية لشخص العزيز صلوات الله عليه فنحن الان نريد
ان نذكر حق اخوة الاسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك اعني ملك
اليمين فان ملك النكاح فقد ذكرنا حقوقه في كتاب اداب النكاح حقوق المسلم هو ان يسلم
عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات
ويبر قسمه اذا اقسم عليه وينصح له اذا استنصحه ويحفظه بظهر الغيب اذا غاب ويحب له ما يحب لنفسه
ويكره له ما يكره لنفسه ورد جميع ذلك في اخبار واثار وقد روى انس رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال اربع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم و
ان تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم وقال ابن عباس في معنى قوله رحماء بينهم قال يدعو صالحهم لطالحهم
وطالحهم لصالحهم اذا نظر الطالح الى الصالح من امة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيما قسمت له
من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له ومنها
ان يحب للكافر ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمن بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثل المومنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى و
روى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومنها
ان لا يوذي احدا من المسلمين بفعل ولا قول قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من
لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يامر فيه بالفضائل فان لم تقدر فدع الناس من
الشر فانها صدقة تصدق بها عن نفسك وقال ايضا افضل المسلمين من سلم المسلمون من
لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم اتدرون من المسلم فقالوا الله ورسوله اعلم فقال المسلم
من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المومن قال من امنه المومنون على اموالهم وانفسهم
قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه وقال رجل يا رسول الله ما الاسلام فقال
ان يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك وقال مجاهد يسلط على اهل النار الجرب فيحكون
حتى يبدو عظم احدهم من جلده فينادي يا فلان هل يوذيك هذا فيقول نعم فقال هذا بما كنت توذي
المومنين وقال صلى الله عليه وسلم رايت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن الطريق كانت
توذي الناس وقال ابو برزة يا رسول الله علمني شيئا يوذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب له حسنة
اوجب له بها الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يشير الى اخيه بنظرة توذيه وقال لا يحل
لمسلم ان يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يكره اذى المومن وقال الربيع بن خيثم الناس
رجلان مومن فلا توذه وجاهل فلا تجاهله ومنها ان يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر فان الله لا يحب
كل مختال فخور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اوحى الي ان تواضعوا حتى
لا يفخر احد على احد ثم ان تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وعن ابن ابي اوفى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يانف
ولا يستكبر ان يمشي مع الارملة والمساكين فيقضي حاجته ومنها ان لا يسمع بلاغات الناس بعضهم
على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات وقال الخليل بن
احمد من نم اليك نم عليك ومن اخبرك بخبر غيرك اخبر غيرك بخبرك ومنها ان لا يزيد في الهجرة لمن
يعرفه على ثلاثة ايام مهما غضب عليه قال ابو ايوب الانصاري قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر

اخاه فوق ثلاثة ايام يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدا بالسلام
وقال صلى الله عليه وسلم من اقال مسلما عثرته اقاله الله عثرته يوم القيمة وقال عكرمة قال الله تعالى
ليوسف عليه السلم بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك في الذاكرين قالت عايشة ما انتقم رسول
الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط الا ان يصاب حرمة الله فينتقم لله وقال ابن عباس ما عفا
رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا وما من احد تواضع لله الا رفعه الله ومنها ان يحسن الى
كل من قدر منهم ما استطاع لا يميز بين الاهل وغير الاهل وروى علي بن الحسين عن ابيه عن جده قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى اهله فان لم تصب اهله فانت اهله وباسناده قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم راس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف الى
كل بر وفاجر قال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احد بيده فينزع يده حتى يكون
الرجل هو يرسله ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن احد يكلمه الا اقبل عليه بوجهه ثم لم
يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه ومنها ان لا يدخل على احد منهم الا باذنه بل يستاذن ثلاثا فان لم يوذن
له انصرف قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستيذان ثلاث فالاولى يستنصتون
والثانية يستصلحون والثالثة ياذنون او يردون ومنها ان يخالق الجميع بخلق حسن ويعامله بحسب
طريقته فانه ان اراد لقاء الجاهل بالعلم واللاهي بالفقه والعيي بالبيان اذى وتاذى ومنها ان يوقر
المشايخ ويرحم الصبيان قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم
صغيرنا وقال عليه الصلوة والسلام من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم ومن تمام توقير المشايخ ان لا
تتكلم بين ايديهم الا بالاذن قال جابر قدم وفد جهينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم
فقال صلى الله عليه وسلم فاين الكبير وفي الخبر ما وقر شاب شيخا لسنه الا قيض الله له في سنه من يوقره وهذه
بشارة بدوام الحيوة فليتنبه له فلا يوفق لتوقير الشيوخ الا من قضي له بطول العمر وقال عليه الصلوة والسلم
لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا ويفيض اللئام فيضا ويغيض الكرام غيضا ويجترئ
الصغير على الكبير واللئيم على الكريم وان يتلطف بالصبيان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم من
السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يامر بهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويامر اصحابه
ان يحملوا بعضهم فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه
وحملك وراءه ويقول بعضهم امر اصحابه ان يحملوك وراءهم وكان عليه الصلوة والسلم يوتى بالصبي الصغير
ليدعو له بالبركة والتسمية فياخذه فيضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول لا تزرموا الصبي
فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور اهله فيه لئلا يروا انه تاذى ببوله فاذا
انصرفوا غسل ثوبه بعد ذلك ومنها ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على من حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم قال على اللين
الهين السهل القريب وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب السهل
الطلق وقال بعضهم يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال ان من موجبات المغفرة بذل
السلام وحسن الكلام وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما البر شيء هين وجه طليق ولسان
لين وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال صلى الله
عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقال اعرابي لمن

في اصلاح ذات البين

هي يا رسول الله فقال لمن اطاب الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال معاذ بن جبل قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد واداء الامانة وترك
الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح وقال انس رضي الله عنه عرضت
للنبي صلى الله عليه وسلم امراة وقالت لي معك حاجة وكان معه ناس من الصحابة فقال اجلسي في اي نواحي السكك
شئت اجلس اليك ففعلت فجلس حتى قضى حاجتها وقال وهب بن منبه ان رجلا من بني اسرائيل صام سبعين
سنة يفطر في كل سبعة ايام فسال الله تعالى ان يريه كيف يغوي الشياطين الناس فلما طال عليه ذلك ولم
يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الامر الذي طلبته فارسل الله اليه ملكا
فقال ان الله ارسلني اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به اعجب الي مما مضى من عبادتك وقد فتح الله
بصرك فانظر فاذا جنود ابليس قد احاطت بالارض واذا ليس احد من الناس الا وحوله الشياطين كالذباب فقال
اي رب من ينجو من هذا قال الورع اللين ومنها ان لا يعد مسلما بوعد الا ويفي به قال صلى الله عليه وسلم العدة
عطية وقال العدة دين وقال ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وذكر ذلك ومنها ان ينصف
الناس من نفسه ولا ياتي اليهم الا بما يحب ان يؤتى اليه قال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه
ثلاث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان
يزحزح عن النار فليأته منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليات الى الناس ما يحب ان يؤتى
اليه وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا الدرداء احسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك
تكن مسلما وقال الحسن اوحى الله تعالى الى ادم صلى الله عليه وسلم باربع وفيهن جماع الامر لك ولولدك واحدة
لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الخلق فاما التي لي تعبدني لا تشرك بي شيئا و
واما التي لك فعملك اجزيك به افقر ما تكون اليه واما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة واما
التي بينك وبين الناس فتصحبهم بالذي تحب ان يصحبوك وسال موسى عليه السلام ربه تعالى فقال اي رب اي عبادك
اعدل قال من انصف من نفسه ومنها ان يزيد في توقير من يدل هيئته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم
روي ان عائشة رضي الله عنها كانت في سفر فنزلت منزلا فوضعت طعامها فجاء سائل فقالت عائشة ناولوا
هذا المسكين قرصا ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه الى الطعام فقيل لها تعطين المسكين وتدعين الغني فقالت
ان الله قد انزل الناس منازل لا بد لنا ان ننزلهم تلك المنازل هذا المسكين يرضى بقرص وقبيح بنا ان
نعطي هذا الغني على هذه الهيئة قرصا وروي انه عليه الصلوة والسلام دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه
حتى دحس وامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه
فالقاه اليه فقال له اجلس على هذا فاخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي ثم لفه ورمى به الى
النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتني فنظر النبي صلى الله عليه وسلم
يمينا وشمالا ثم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وكذلك كل من له عليه حق قديم فليكرمه روي ان ظئر رسول
الله صلى الله عليه وسلم التي ارضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال مرحبا يا امي ثم اجلسها على الرداء
فقال اما حقي وحق بني هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها
بعد الناس واخدمها ووهب لها سهمانه بحنين فبيع ذلك من عثمان بن عفان بمائة الف درهم وربما اتاه النبي
صلى الله عليه وسلم من ياتيه وهو جالس على وسادة فلا يكون فيها سعة يجلس معه فينزعها ويضعها تحت الذي
يجلس اليه فان ابى عزم عليه حتى يفعل ومنها ان يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد اليه سبيلا قال صلى الله

عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات
البين وفساد ذات البين هي الحالقة وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة اصلاح ذات البين و
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه انس بن مالك قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ ضحك
حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله بابي انت وامي ما الذي اضحكك قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة
فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من هذا فقال الله عز وجل رد على اخيك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتي
شيء فقال الله للطالب كيف تصنع باخيك لم يبق من حسناته شيء فقال يا رب فليحمل عني من اوزاري ثم فاضت
عين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه الى ان يحمل عنهم
من اوزارهم قال فيقول الله تعالى للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يا رب ارى مدائن من فضة
وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا او لاي صديق او لاي شهيد هذا فيقول الله عز وجل هذا
لمن اعطى الثمن فيقول يا رب ومن يملك ذلك قال فيقول انت تملكه قال بماذا يا رب قال بعفوك عن اخيك
قال عفوت عنه فيقول الله عز وجل خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله واصلحوا
ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيمة وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس
بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا وهذا يدل على وجوب الاصلاح لان ترك الكذب واجب
ولا يسقط الواجب الا بواجب او كد منه وقال صلى الله عليه وسلم كل الكذب مكتوب الا ان يكذب
الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكذب بين اثنين فيصلح بينهما او يكذب لامراته ليرضيها و
منها ان يستر عورات المسلمين كلهم قال صلى الله عليه وسلم من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا
والاخرة وقال لا يستر عبد عبدا الا ستره الله يوم القيمة وقال ابو سعيد الخدري قال صلى الله
عليه وسلم لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لماعز لما
اخبره لو سترته بثوبك لكان خيرا لك فاذن على المسلم ان يستر عورة نفسه فحق اسلامه واجب
عليه كحق اسلام غيره قال ابو بكر رضي الله عنه لو اخذت سارقا لاحببت ان يستره الله وروي
ان عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة فراى رجلا وامراة على فاحشة فاقام عليهما الحد
ما كنتم فاعلين قالوا انما انت امام فقال علي رضي الله عنه ليس ذلك لك اذن تقام عليك الحد
ان الله لم يامن على هذا الامر اقل من اربعة شهداء ثم تركهم ما شاء الله ان يتركهم ثم سالهم فقال
القوم مثل مقالتهم الاولى فقال علي مثل مقالته وهذا يشير الى ان عمر رضي الله عنه كان مترددا
في ان الوالي هل له ان يقضي بعلمه في حدود الله فلذلك راجعهم في معرض التقدير لا في معرض الاخبار
خيفة من ان لا يكون له ذلك فيكون قاذفا باخباره ومال راي علي الى انه ليس له ذلك وهذا من
اعظم الادلة على طلب الشرع بستر الفواحش فان افحشها الزنا وقد نيط باربعة من العدول يشاهدون
ذلك منه في ذلك منها كالمرود في المكحلة وهذا قط لا يتفق وان علمه القاضي تحقيقا لم يكن له ان
يكشف عنه فانظر الى الحكمة في حسم باب الفاحشة بايجاب الرجم الذي هو اعظم العقوبات ثم انظر
الى كشف ستر الله كيف اسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فنرجو ان لا نحرم
هذا الكرم يوم تبلى السرائر ففي الحديث ان الله تعالى اذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو اكرم من ان
يكشفها مرة اخرى وعن عبد الرحمن بن عوف قال حرست مع عمر رضي الله عنه ليلة بالمدينة فبينا
نحن نمشي اذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه فلما دنونا اذا باب مغلق على قوم لهم اصوات ولغط فاخذ

عمر يدي وقال اتدري بيت من هذا قلت لا قال بيت ربيعة بن امية بن خلف وهم الان شرب فما
ترى قلت ارى انا قد اتينا ما نهانا الله عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر وتركهم وهذا يدل على
وجوب الستر وترك التتبع وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعوية انك ان اتبعت عورات الناس افسدتهم
او كدت تفسدهم وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا
المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه
ولو في جوف بيته وقال ابو بكر رضي الله عنه لو رايت احدا على حد من حدود الله عز وجل ما اخذته ولا دعوت
له احدا حتى يكون معي غيري وقال بعضهم كنت قاعدا مع عبد الله بن مسعود اذ جاءه رجل بابن اخ له فقال هذا
نشوان فقال عبد الله بن مسعود استنكهوه فوجدوه نشوانا فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط
فكسر ثمرته ثم قال للجلاد اجلد وارفع يدك واعط كل عضو حقه فجلده وعليه قباء او مرطق فلما فرغ قال للذي جاء
به ما انت منه قال عمه فقال عبد الله ما ادبت فاحسنت الادب ولا سترت الخزية انه ينبغي للامام اذا انتهى
اليه حد ان يقيمه وان الله عفو يحب العفو ثم قرا وليعفوا وليصفحوا ثم قال اني لاذكر اول رجل قطعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتي بسارق فقطعه فكانما اسف وجهه فقالوا يا رسول الله كانك كرهت قطعه
قال وما يمنعني لا تكونوا عونا للشيطان على اخيكم انه ينبغي للسلطان اذا انتهى اليه حد ان يقيمه ان الله عفو
يحب العفو وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم وفي رواية فكانما سفي في
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد الشيء لتغيره وروي ان عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة من
الليل فسمع صوت رجل في بيت يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امراة وعنده خمر فقال يا عدو الله اظننت
ان الله يسترك وانت على معصية فقال وانت يا امير المؤمنين فلا تعجل ان اكن عصيت الله واحدة فقد
عصيت الله في ثلاث قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت من
ظهورها وقد تسورت علي وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وقد دخلت بيتي بغير اذن
ولا سلام فقال هل عندك من خير ان عفوت عنك قال نعم والله يا امير المؤمنين لئن عفوت عني لا
اعود لمثلها ابدا فعفا عنه وخرج وتركه وقال رجل لعبد الله بن عمر يا ابا عبد الرحمن كيف سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيمة قال سمعته يقول ان الله ليدني منه المؤمن فيضع عليه كنفه
ويستره من الناس ويقول اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا فيقول يا رب نعم حتى اذا قرره بذنوبه ور
اى في نفسه انه قد هلك قال له يا عبدي اني لم استرها عليك في الدنيا الا وانا اريد ان اغفرها لك اليوم
فيعطى كتاب حسناته واما الكافرون والمنافقون فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة
الله على الظالمين الكاذبين وقال صلى الله عليه وسلم كل امتي معافى الا المجاهرون والمجاهرة ان يعمل
الرجل السوء ثم يخبر به وقال صلى الله عليه وسلم من استمع سر قوم وهم له كارهون صب في اذنه الآنك
يوم القيمة ومنها ان يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولالسنتهم عن الغيبة فانهم
ان عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال صلى الله عليه وسلم كيف ترون من يسب ابويه فقالوا وهل يسب احد ابويه فقال
نعم يسب ابوي غيره فيسبون ابويه وقد روى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم احدى نسائه
فمر به رجل فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله
من كنت اظن فيه فاني لم اكن اظن فيك فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وزاد في رواية اني خشيت

ان يقذف في قلبكما شيئا وكانا رجلين فقال على رسلكما انها صفية الحديث وكانت قد زارته
في العشر الاواخر من رمضان وقال عمر رضي الله عنه من اقام نفسه مقام التهم فلا يلومن
من اساء به الظن ومر برجل يكلم امراة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال يا امير المؤمنين انها
امراتي فقال فهلا حيث لا يراك الناس ومنها ان يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من له
عنده منزلة ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اوتى
واسال وتطلب الي الحاجة وانتم عندي فاشفعوا لتوجروا ويقضي الله على يدي نبيه صلى الله عليه
وسلم ما احب اشفعوا الي توجروا اني اريد الامر فاؤخره كي تشفعوا الي فتوجروا وقال صلى الله عليه وسلم ما من
صدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة تحقن بها الدم وتجر بها المنفعة الى
اخر وتدفع بها المكروه الى اخر وعن عكرمة عن ابن عباس ان زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كاني
انظر اليه خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس الا تعجب من
شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغض بريرة مغيثا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو راجعتيه فانه ابو ولدك
قالت يا رسول الله اتامرني فافعل فقال لا انما انا شفيع ومنها ان يبدا كل مسلم بالسلام قبل
الكلام ويصافحه عند السلام وقال بعضهم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدا بالكلام
قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدا بالسلام وقال بعضهم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم اسلم ولم
استاذن فقال صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم وادخل وروى جابر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على اهلها فان الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل بيته وقال انس خدمت
النبي صلى الله عليه وسلم ثماني حجج فقال لي يا انس اسبغ الوضوء تزد في عمرك وسلم على من لقيته من امتي تكثر
حسناتك واذا دخلت منزلك فسلم على اهل بيتك يكثر خير بيتك وقال الله تعالى واذا حييتم بتحية
فحيوا باحسن منها او ردوها وقال عليه الصلوة والسلام والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا
تؤمنون حتى تحابوا افلا ادلكم على عمل اذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله قال افشوا السلام بينكم و
قال عليه الصلوة والسلام اذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة وقال عليه الصلوة
والسلام يعجب من المسلم على المسلم فلا يسلم عليه وقال عليه الصلوة والسلام يسلم الراكب على الماشي واذا سلم من القوم
احد اجزا عنهم وقال قتادة كانت تحية من قبلكم السجود فاعطى الله عز وجل هذه الامة السلام وهي تحية اهل الجنة
وكان ابو مسلم الخولاني يمر على قوم فلا يسلم ويقول ما يمنعني الا اني اخشى ان لا يردوا فتلعنهم الملائكة
والمصافحة ايضا سنة مع السلام وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال
عليه الصلوة والسلام عشر حسنات فجاء اخر وقال سلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون فجاء اخر وقال
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون وكان انس رضي الله عنه يمر على الصبيان فيسلم ويروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك وروى عبد الحميد بن بهرام انه عليه الصلوة والسلام مر في المسجد يوما
وعصبة من النساء قعود فالوى بيده بالتسليم واشار عبد الحميد بيده الى الحكاية وقال عليه الصلوة والسلام لا
تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام واذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقه وقالت عائشة رضي الله
عنها ان رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال عليه الصلوة
والسلام عليكم قالت عائشة فقلت بل عليكم السام واللعنة فقال عليه الصلوة والسلام يا عائشة ان الله يحب الرفق
في كل شيء قالت عائشة فقلت الم تسمع ما قالوا قال فقد قلت عليكم وقال عليه الصلوة والسلام يسلم الراكب على الما[illegible]

والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير وقال عليه الصلوة والسلم لا تشبهوا
باليهود والنصارى وان تسليم اليهود الاشارة بالاصابع وتسليم النصارى الاشارة
بالكف قال ابو عيسى اسناده ضعيف وقال عليه الصلوة والسلم اذا انتهى احدكم الى المجلس
فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست الاولى احق من الاخرة وقال النبي
قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة تسعة
وسبعون لاحسنهما بشرا وقال عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا التقى
المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح
عشرة وقال الحسن المصافحة تزيد في الود وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام تحياتكم
بينكم المصافحة وقال صلى الله عليه وسلم قبلة المسلم اخاه المصافحة ولا باس من تقبيل يد المعظم
في الدين تبركا وتوقيرا روي عن ابن عمر رضي الله عنه قال قبلنا يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبتي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت يده ولقي ابو عبيدة
عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فصافحه وقبل يده وتنحيا يبكيان وعن البراء بن عازب انه سلم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضا فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوءه ورد عليه ومد يده اليه
وصافحه فقال يا رسول الله ما كنت ارى هذا الا من اخلاق الاعاجم فقال عليه الصلوة والسلم ان
المسلمين اذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مر الرجل بالقوم
فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه رد عليه ملا خير
منهم واطيب وقال وافضل والانحناء عند السلام منهي عنه قال انس قلنا يا رسول الله اينحني بعضنا
لبعض قال لا قلنا فيقبل بعضنا بعضا قال لا نعم والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من
السفر قال ابو ذر ما لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الا صافحني فطلبني يوما فلم اكن في البيت
فلما اخبرت جئت وهو على سريره فالتزمني وكان اجود واجود والاخذ بالركاب في توقير العلماء ورد
به الاثر فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت واخذ عمر بغرز زيد حتى نهضه وقال هكذا فافعلوا
بزيد واصحاب زيد والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام قال انس ما كان شخص احب
الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك وروي
انه عليه الصلوة والسلم قال مرة اذا رايتموني فلا تقوموا كما تصنع الاعاجم وقال عليه الصلوة والسلم من سره
ان يتمثل له الرجال قياما بين يديه فليتبوأ مقعده من النار وقال عليه الصلوة والسلم لا يقيم الرجل الرجل
من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وكانوا يحترزون عن ذلك للنهي وقال صلى الله عليه وسلم اذا
اخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل اخاه فاوسع له فليأته فانما هي كرامة اكرمه بها اخاه فان لم يوسع له
فلينظر الى اوسع مكان يجده فليجلس فيه وروي انه سلم رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم
يجب فيكره السلام على من يقضي حاجته ويكره ان يقول ابتداء عليك السلام قال رجل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال عليه الصلوة والسلم ان عليك السلم تحية الميت قاله ثلاثا ثم قال اذا لقي احدكم اخاه فليقل
السلم عليكم ورحمة الله ويستحب للداخل اذا سلم ولم يجد مجلسا ان لا ينصرف بل يقعد وراء الصف كان
صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد اذ اقبل ثلثة نفر فاقبل اثنان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما
احدهما فوجد فرجة فجلس فيها واما الثاني فجلس خلفهم واما الاخر فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الا اخبركم عن النفر الثلثة اما احدهم فاوى الى الله فاواه الله واما الثاني فاستحيى فاستحيى
الله منه واما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين
يلتقيان يتصافحان الا غفر لهما قبل ان يفترقا وسلمت ام هاني على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال من هذه فقيل ام هاني فقال عليه الصلوة والسلم مرحبا بام هاني ومنها
ان يصون عرض اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر عليه ويرد عنه ويناضل دونه
روى ابو الدرداء ان رجلا نال من رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عنه
رجل فقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان
يرد عنه نار جهنم يوم القيمة وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ذكر عنده اخوه
المسلم فنصره نصره الله تعالى بها في الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حمى عرض
اخيه المسلم في الدنيا بعث الله تعالى ملكا يحميه يوم القيامة من النار وقال جابر وابو طلحة سمعنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل
حرمته الا نصره الله عز وجل في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ خذل مسلما في موضع ينتهك
فيه حرمته الا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته ومنها تشميت العاطس قال صلى الله عليه وسلم في
العاطس يقول الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشمته يرحمكم الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم
الله ويصلح بالكم وعن ابن مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول اذا عطس
احدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فاذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فاذا قالوا ذلك
فليقل يغفر الله لي ولكم وشمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشمت اخر فسأله عن ذلك
فقال انه حمد الله وانت سكت وقال صلى الله عليه وسلم يشمت المسلم اذا عطس ثلاثا فان زاد فهو زكام
وروي انه عليه الصلوة والسلام شمت عاطسا فعطس اخرى فقال انك مزكوم وقال ابو هريرة كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه او يده وروي خمر وجهه وقال ابو موسى
الاشعري كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يقول يرحمكم الله
فكان يقول يهديكم الله وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه ان رجلا عطس خلف النبي صلى الله
عليه وسلم في الصلوة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا وبعد ما يرضى والحمد
لله على كل حال فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال من صاحب الكلمات فقال انا يا رسول الله ما
اردت بهن الا خيرا فقال لقد رايت اثني عشر ملكا كلهم يبتدرونها ايهم يكتبها وقال صلى الله عليه
وسلم من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته وقال صلى الله عليه وسلم العطاس من الله
والتثاوب من الشيطان فاذا تثاوب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال اه اه فان الشيطان
يضحك من جوفه وقال ابرهيم النخعي اذا عطس على قضاء الحاجة فلا باس بان يذكر الله وقال الحسن
يحمد الله في نفسه وقال كعب قال موسى يا رب اقريب انت فاناجيك ام بعيد فاناديك فقال
انا جليس من ذكرني فقال فانا نكون على حال نجلك ان نذكرك عليها كالجنابة والغائط فقال
اذكرني على كل حال ومنها انه اذا بلي بذي شر فينبغي ان يجامله ويتقيه قال بعضهم خالص المؤمن
مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق في الظاهر وقال ابو الدرداء انا لنكشر في
وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع من يخاف شره قال الله تعالى ادفع بالتي هي

من رد عن عرض اخيه كان له
حجابا من النار وقال
صح

وهو يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة ادركه الله
بها في الدنيا والاخرة ومن ذكر
عنده اخوه المسلم
صح

وروي ان اعرابيا قال يا رسول الله
ائذن لي فاقبل راسك ويدك
فاذن له
ففعل
صح

لا قال فيصافحه قال صح

الحسن وقال ابن عباس في معنى قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قال بالرغبة والرهبة
والحياء والمداراة وقالت عايشة رضي الله عنها استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عليه الصلوة والسلام ايذنوا له بئس رجل العشيرة فلما دخل الان له القول حتى ظننت ان له عنده
منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلته ثم النت له القول فقال يا عايشة ان شر الناس منزلة
عند الله يوم القيمة من تركه الناس اتقاء فحشه وفي الخبر ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وفي الاثر
خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم بالقلوب وقال محمد بن الحنفية ليس بحليم من لا يعاشر بالمعروف من
لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له فرجا ومنها ان يجتنب مخالطة الاغنياء ويختلط بالمساكين
ويحسن الى الايتام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في
زمرة المساكين وكان سليمن عليه السلم في ملكه اذا دخل المسجد فراى مسكينا فجلس اليه وقال مسكين جالس
مسكينا وقيل ما كان من كلمة تقال لعيسى بن مريم عليه السلم احب اليه من ان تقال له يا مسكين وقال
كعب الاحبار ما في القران من يا ايها الذين امنوا فهو في التورية يا ايها المساكين وقال عبادة بن
الصامت ان للنار سبعة ابواب ثلاثة للاغنياء وثلاثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين وقال
الفضيل بلغني ان نبيا من الانبياء قال يا رب كيف لي ان اعلم رضاك عني قال انظر كيف رضى المساكين
عنك وقال عليه الصلوة والسلم اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى يا رسول الله قال الاغنياء وقال موسى
الهي اين ابغيك قال عند المنكسرة قلوبهم وقال صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمة فانك لا تدري
الى ما يصير بعد الموت فان من وراءه طالبا حثيثا واما اليتيم فقد قال صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما من ابوين
مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة وقال عليه الصلوة والسلم انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة واشار
بالسبابة والوسطى وقال صلى الله عليه وسلم خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين
بيت فيه يتيم يساء اليه ومنها النصيحة لكل مسلم والجهد في ادخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم
المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه و
قال صلى الله عليه وسلم من قضى حاجة لاخيه فكانما خدم الله عمره وقال صلى الله عليه وسلم من اقر عين
مؤمن اقر الله عينه يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من مشى في حاجة لاخيه ساعة من ليل او نهار
قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين وقال عليه الصلوة والسلم من فرج عن مغموم او
اعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة وقال صلى الله عليه وسلم ان من احب
الاعمال الى الله تعالى ادخال السرور على قلب المؤمن وان يفرج عنه غما او يقضي عنه دينا او يطعمه
من جوع وقال صلى الله عليه وسلم من حمى مؤمنا من منافق يعنته بعث الله اليه ملكا يحمي لحمه يوم القيمة
من نار جهنم وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله
وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الايمان بالله والنفع لعباد الله وقال عليه الصلوة والسلام من لم يهتم
للمسلمين فليس منهم وقال معروف الكرخي من قال اللهم اصلح امة محمد اللهم فرج عن امة محمد اللهم ارحم امة
احمد اللهم فرج عن امة احمد كل يوم ثلاث مرات كتبه الله من الابدال وبكى علي بن الفضيل يوما فقيل له ما يبكيك
فقال ابكي على من ظلمني اذا وقف غدا بين يدي الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم يكن له حجة ومنها ان يعود مرضاهم
والمعرفة والاسلام كاف في اثبات هذا الحق ونيل فضله وادب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال واظهار
الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وادبه عند الاستيذان ان لا يقابل الباب ويدق

برفق ولا يقول انا اذا قيل من ولا يقول يا غلام ولكن يحمد ويسبح وقال صلى الله عليه وسلم تمام عيادة
المريض ان يضع احدكم يده على جبهته او على يده ويسأله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة وقال
صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا قعد في مخارف الجنة حتى اذا قام وكل به سبعون الف ملك
يصلون عليه حتى الليل وقال صلى الله عليه وسلم اذا عاد المريض خاض في الرحمة فاذا قعد عنده
قرت فيه وقال صلى الله عليه وسلم اذا عاد المسلم اخاه او زاره قال الله تعالى طبت وطابت ممشاك
وتبوءت منزلا في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى اليه ملكين
فقال انظرا ما يقول لعواده فان هو اذا جاءوه حمد الله واثنى عليه رفعا ذلك وهو اعلم فيقول
لعبدي علي ان توفيته ان ادخله الجنة وان شفيته ان ابدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه
وان اكفر عنه سيئاته قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال عثمن رضي الله عنه
مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم اعيذك بالله الاحد الصمد
الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد من شر ما تجد قالها مرارا ودخل صلى الله عليه وسلم على
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو مريض فقال له قل اللهم اني اسالك تعجيل عافيتك او صبرا على بليتك
او خروجا من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطى احدهن ويستحب للعليل ايضا ان يقول اعوذ بعزة الله
وقدرته من شر ما اجد وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان اشتكى احدكم بطنه فليسال امراته شيئا
من صداقها فيشتري به عسلا فيشربه بماء السماء فيجتمع له الهني والمري والشفاء المبارك وقال
عليه الصلوة والسلم يا ابا هريرة الا اخبرك بامر هو حق من تكلم به في اول مضجعه من مرضه نجاه الله
من النار قلت بلى يا رسول الله قال يقول لا اله الا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت سبحان الله رب
العباد والبلاد والحمد لله كثيرا طيبا مباركا على كل حال الله اكبر كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم
ان انت امرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في ارواح من سبقت لهم منك الحسنى و
باعدني من النار كما باعدت اولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى وروي انه عليه الصلوة والسلم
قال عيادة المريض فواق ناقة وقال طاوس افضل العيادة اخفها وقال ابن عباس عيادة المريض مرة
فما ازددت فنافلة وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلاث وقال عليه الصلوة والسلم اغبوا
في العيادة واربعوا وجملة اداب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفزع الى الدعاء و
التوكل بعد الدواء على خالق الدواء ومنها ان يشيع جنائزهم قال صلى الله عليه وسلم من شيع جنازة
فله قيراط من الاجر فان وقف حتى يدفن فله قيراطان وفي الخبر القيراط مثل احد ولما روى ابو هريرة
هذا الحديث وسمعه ابن عمر قال لقد فرطنا الى الان في قراريط كثيرة والقصد من التشييع
قضاء حق المسلمين والاعتبار كان مكحول الدمشقي اذا راى جنازة قال اغدوا فانا رائحون
موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والاخر لا عقل له وخرج مالك بن دينار
خلف جنازة اخيه وهو يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما صرت ولا والله لا اعلمه
ما دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن القوم كلهم ونظر
ابرهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون انفسكم لكان اولى انه نجا من اهوال ثلثة
وجه ملك الموت قد راى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن وقال صلى الله عليه
وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله وماله

يتبع عمله ومنها ان يزور قبورهم والمقصود من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال
صلى الله عليه وسلم ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه وقال عمر رضي الله عنه خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم واتى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى وبكينا فقال وما يبكيكم
قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر امنة بنت وهب استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي فاستاذنته
في ان استغفر لها فابى علي فادركني ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمان رضي الله عنه اذا وقف على
قبر بكى حتى يبل لحيته ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر اول منازل الاخرة
فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج منه فما بعده اشد وقال مجاهد اول ما يكلم ابن ادم حفرته
فيقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فما ذا اعددت لي
وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في
ذلك فقال اجلس الى قوم يذكرونني معادي وان قمت عنهم لم يغتابوني وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر
لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال صلى الله عليه وسلم ما من ليلة الا ينادي مناد يا اهل القبور
من تغبطون فيقولون نغبط اهل المساجد لانهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلي ويذكرون
الله ولا نذكر وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده
حفرة من حفر النيران وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا وكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه
فاضطجع ومكث ساعة ثم قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا ثم يقول يا ربيع قد رجعت فاعمل الان قبل ان لا
ترجع وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى وقال يا
ميمون هذه قبور ابائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم اما تراهم صرعى قد حلت بهم
المثلات واصاب الهوام من ابدانهم ثم بكى وقال لا اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن من
عذاب الله وادب المعزي خفض الجناح واظهار الحزن وقلة الحديث وترك التبسم وادب تشييع
الجنازة لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكر في الموت والاستعداد له وان يمشي
امام الجنازة بقربها فالاسراع بالجنازة سنة فهذه جمل تنبه على اداب المعاشرة مع عموم الخلق والجملة
الجامعة في ذلك ان لا يستصغر منهم احدا حيا كان او ميتا فتهلك فانك لا تدري لعله خير منك فانه و
ان كان فاسقا فلعله يختم له بالصلاح ويختم لك بمثل حاله الان ولا تنظر اليهم بعين التعظيم لهم في حال
دنياهم فان الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم اهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط
من عين الله عز وجل ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في اعينهم ثم تحرم دنياهم وان لم تحرم كنت قد
استبدلت الذي هو ادنى بالذي هو خير ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الامر عليك في المعاداة ويذهب
دينك ودنياك فيهم ويذهب دينهم فيك الا اذا رايت منكرا في الدين فتعادي افعالهم القبيحة وتنظر اليهم بعين
الرحمة لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها فما لك تحقد عليهم ولا تسكن اليهم في مودتهم لك
وثنائهم عليك في وجهك وحسن بشرهم فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد الا في المائة واحدا وربما لم تجده
ولا تشك اليهم احوالك فيكلك الله اليهم ولا تطمع ان يكونوا لك في الغيب والسر كما في العلانية فذلك طمع كاذب
وانى تظفر بذلك ولا تطمع فيما في ايديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض ولا تعل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم
فان الله يلجئك اليهم عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء واذا سالت اخا منهم حاجة فقضاها فهو اخ مستفاد
وان لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوا يطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول

فلا يسمع منك ويعاديك وليكن وعظك عرضا وارسالا من غير تنصيص على شخص ومهما رايت منهم كرامة وخيرا
فاشكر الله الذي سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك اليهم واذا بلغك منهم غيبة او رايت منهم شرا او اصابك منهم
ما يسوءك فكل امرهم الى الله واستعذ بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمكافاة فيزيد الضرر ويضيع العمر
بذلك ولا تقل لهم لم يعرفوا موضعي واعتقد انك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موضعا في قلوبهم فالله
المحبب والمبغض الى القلوب وكن فيهم سميعا لحقهم اصم عن باطلهم نطوقا بحقهم سكوتا عن باطلهم واحذر صحبة
اكثر الناس فانهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون على النقير و
القطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطا والنسيان ولا
يعفون يغرون الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا
فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون في حنقهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب
يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون
عليك العثرات في صحبتهم ليجبهوك بها في غضبهم ووحشتهم ولا تعول على مودة من لم تخبره حق الخبرة بان
تصحبه مدة دارا او موضعا واحدا فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره او تسافر معه او تعامله في
الدينار والدرهم او تقع في شدة فتحتاج اليه فان رضيته في هذه الاحوال فاتخذه ابا لك ان كان كبيرا و
ابنا ان كان صغيرا او اخا ان كان مثلا فهذه جملة اداب العشرة مع اصناف الخلق اما حقوق الجوار
فاعلم ان الجوار يقتضي حقا وراء ما يقتضيه اخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة
اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم من الجيران له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار
الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي له حقان
فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك
حقا بمجرد الجوار وقال النبي صلى الله عليه وسلم احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال صلى الله عليه وسلم
ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم
الاخر فليكرم جاره وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يامن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه و
سلم اول خصمين يوم القيمة جاران وقال صلى الله عليه وسلم اذا انت رميت كلب جارك فقد اذيته و
يروى ان رجلا جاء الى ابن مسعود فقال له ان لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق علي فقال له اذهب فان هو
عصى الله فيك فاطع الله فيه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم
الليل وتؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم هي في النار وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو
جاره فقال له عليه الصلوة والسلام اصبر ثم قال له في الثالثة او الرابعة اطرح متاعك في الطريق قال
فجعل الناس يمرون به فيقولون ما لك فيقال اذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه الرجل فقال
رد متاعك فوالله لا اعود وروى الزهري ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فامر النبي
صلى الله عليه وسلم ان ينادي على باب المسجد الا ان اربعين دارا جار قال الزهري اربعون هكذا و
اربعون هكذا واربعون هكذا واومى الى اربع جهات وقال صلى الله عليه وسلم اليمن و
الشوم في المراة والمسكن والفرس فيمن المراة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشومها غلاء
مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار اهله وشومه ضيقه وسوء جوار
اهله ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشومه صعوبته واعلم انه ليس حق الجوار كف الاذى فقط بل

احتمال الاذى فان الحمار ايضا قد كف اذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الاذى بل لا بد من
الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيمة ويقول يا رب
سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني وبلغ ابن المقفع ان جارا له يبيع داره في دين ركبه وكان
يجلس في ظل داره فقال ما قمت اذا بحرمة ظل داره ان باعها معدما فدفع اليه ثمن الدار وقال لا تبعها
وشكا بعضهم كثرة الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال اخشى ان يسمع الفار صوت الهر فيهرب
الى دور الجيران فاكون قد احببت لهم ما لا احبه لنفسي وجملة حق الجوار ان يبدا بالسلام ولا يطيل
معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء و
يهنيه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح الى عوراته ولا
يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في مصب الماء في ميزابه ولا في مطرح التراب في فنائه ولا يضيق
طرقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته اذا
نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمته ولا يديم النظر الى خادمته ويتلطف لولده في كلمته
ويرشده الى ما يجهله من امر دينه ودنياه هذا الى جملة الحقوق التي ذكرناها للمسلمين عامة وقد قال صلى الله عليه
وسلم اتدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض
عدته وان مات اتبعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطل عليه بالبناء
فتحجب عنه الريح الا باذنه وان اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها
ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق
الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عنه صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد كنت
عند عبد الله بن عمرو وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت فابدا بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا
فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه سيورثه
وقال هشام كان الحسن لا يرى باسا ان يطعم الجار اليهودي والنصراني من اضحيته وقال ابو ذر اوصاني
خليلي صلى الله عليه وسلم وقال اذا طبخت قدرا فاكثر ماءها ثم انظر بعض اهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها
وقالت عايشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ان لي جارين احدهما مقبل ببابه والاخر ناء ببابه عني وربما كان
الذي عندي لا يسعهما فايهما اعظم حقا فقال المقبل عليك ببابه وراى ابو بكر الصديق رضي الله عنه ولده
عبد الرحمن وهو يناظ جارا فقال لا تناظ جارك فان هذا يبقى والناس يذهبون وقال الحسن بن عيسى النيسابوري
سالت عبد الله بن المبارك قلت الرجل المجاور ياتيني فيشكو غلامي انه اتى اليه امرا والغلام ينكر فاكره
ان اضربه فلعله بريء واكره ان ادعه فيجد علي جاري فكيف اصنع قال ان غلامك لعله ان يحدث حدثا يستوجب
فيه الادب فاحفظه عليه فاذا شكاه جارك فادبه على ذلك الحدث فتكون قد ارضيت جارك وادبته
على ذلك الحدث وهذا تلطف في الجمع بين الحقين وقالت عايشة رضي الله عنها خلال المكارم عشرة
تكون في الرجل ولا تكون في ابيه وتكون في العبد ولا تكون في السيد يقسمها الله لمن احب صدق الحديث
وصدق الناس واعطاء السائل والمكافاة بالصنايع وصلة الرحم وحفظ الامانة والتذمم للصاحب
وقرى الضيف وراسهن الحياء وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء المسلمات لا تحقرن
جارة لجارتها ولو فرسن شاة وقال صلى الله عليه وسلم ان من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح
والمركب الهنيء وقال عبد الله قال رجل يا رسول الله كيف لي ان اعلم اذا احسنت او اسات قال اذا سمعت جيرانك

يقولون لقد احسنت فقد احسنت واذا سمعتهم يقولون قد اسات فقد اسات وقال جابر قال النبي صلى
الله عليه وسلم من كان له جار في حائط او شريك فلا يبيعه حتى يعرضه عليه وقال ابو هريرة قضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء ام ابى وقال ابن عباس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعن احدكم جاره ان يضع خشبة في حائطه وكان ابو هريرة يقول
ما لي اراكم عنها معرضين والله لارمينها بين اكتافكم وقد ذهب بعض العلماء الى وجوب ذلك وقال
صلى الله عليه وسلم من اراد الله به خيرا عسله قيل ما معناه قال يحببه الى جيرانه **حقوق الاقارب والرحم**
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن
وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينسا له في اثره ويوسع له في رزقه
فليتق الله وليصل رحمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل فقال اتقاهم لله واوصلهم
للرحم وامرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وقال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وان
ادبرت وامرني ان اقول الحق وان كان مرا وقال عليه الصلوة والسلام ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل
المكافي ولكن الواصل الذي اذا انقطعت رحمه وصلها وقال صلى الله عليه وسلم اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم
حتى ان اهل البيت ليكونون فجارا فتنمى اموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم وقال زيد بن اسلم لما خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة عرض له رجل فقال ان كنت تريد النساء البيض والنوق الادم
فعليك ببني مدلج فقال صلى الله عليه وسلم ان الله منعني من بني مدلج بصلتهم الرحم وقالت اسماء بنت
ابي بكر رضي الله عنها قدمت علي امي فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي مشركة افاصلها قال
نعم وفي رواية افاعطيها فقال نعم صليها وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة على المساكين وعلى ذي
الرحم ثنتان ولما اراد ابو طلحة ان يتصدق بحائط له كان يعجبه عملا بقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون قال يا رسول الله هي في سبيل الله والفقراء والمساكين فقال وجب اجرك فاقسمه في
اقاربك وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وهو معنى قوله افضل الفضايل
ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك وروي ان عمر رضي الله عنه كتب الى
عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك لان التجاور يوجب التزاحم على الحقوق
وربما يورث ذلك الوحشة وقطيعة الرحم **حقوق الوالدين والولد** لا يخفى انه اذا تاكد حق
القرابة والرحم فاخص الارحام وامسها الولادة فيتضاعف تاكد الحق فيها وقد قال صلى الله عليه
وسلم لن يجزي ولد عن والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقد قال صلى الله عليه وسلم
بر الوالدين افضل من الصلوة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقال صلى الله عليه وسلم
من اصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن امسى مثل ذلك وان كان واحدا
فواحدا ومن اصبح مسخطا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى النار ومن امسى مثل ذلك وان كان
واحدا فواحدا وان ظلما وان ظلما وان ظلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة
عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال عليه الصلوة والسلم بر امك واباك واختك واخاك
ثم ادناك فادناك ويروى ان الله عز وجل قال لموسى عليه السلام يا موسى انه من بر والديه وعقني كتبته برا ومن
برني وعق والديه كتبته عاقا وقيل لما دخل يعقوب على يوسف على نبينا وعليهما الصلوة والسلم
لم يقم له فاوحى الله اليه اتتعاظم ان تقوم لابيك وعزتي لا اخرجت من صلبك نبيا وقال صلى الله عليه و

ما على احد اذا اراد ان يتصدق بصدقة ان يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون
لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما شيء وقال مالك بن
ربيعة بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله
هل بقي علي شيء من بر والدي ابرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلوة عليهما والاستغفار لهما
وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدة
على الولد ضعفين وقال صلى الله عليه وسلم دعاء الوالدة اسرع اجابة قيل يا رسول الله و
لم ذلك قال هي ارحم من الاب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال يا رسول الله من ابر فقال بر والديك
فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وقال صلى الله
عليه وسلم رحم الله والدا اعان ولده على بره اي لم يحمله على العقوق بسوء عمله وقال صلى الله عليه وسلم
ساووا بين اولادكم في العطية وقد قيل ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك او شريكك
وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا
بلغ ست سنين ادب فاذا بلغ سبع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلث عشرة سنة ضرب على الصلوة فاذا
بلغ ست عشرة سنة زوجه ابوه ثم اخذ بيده وقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك واعوذ بالله من فتنتك
في الدنيا وعذابك في الاخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حق الولد على الوالد ان يحسن ادبه ويحسن اسمه
وقال عليه الصلوة والسلام كل غلام رهين او رهينة بعقيقته تذبح يوم السابع ويحلق راسه وقال قتادة
اذا ذبحت العقيقة اخذت صوفة منها واستقبلت بها اوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه
الخيط ثم يغسل راسه ويحلق بعده وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك فشكا اليه بعض ولده فقال
هل دعوت عليه قال نعم قال انت افسدته ويستحب الرفق بالولد راى الاقرع بن حابس النبي صلى الله
عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال ان من
لا يرحم لا يرحم وقالت عائشة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اغسلي وجه اسامة فجعلت اغسله
وانا انفة فضرب يدي ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن بنا اذ لم يكن جارية وتعثر
الحسن رضي الله عنه والنبي صلى الله عليه وسلم على منبره فنزل فحمله وقرا قوله تعالى انما اموالكم و
اولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس اذ جاءه الحسين فركب
عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتى ظنوا انه قد حدث امر فقال ان ابني كان قد ارتحلني
فكرهت ان اعجله حتى يقضي حاجته وقال عليه الصلوة والسلام ريح الولد من ريح الجنة وقال يزيد بن
معوية ارسل ابي الى الاحنف بن قيس فلما وصل اليه قال يا ابا بحر ما تقول في الولد فقال يا امير المؤمنين
ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فاعطهم
وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك و
يكرهوا قربك فقال له معوية لله انت يا احنف لقد دخلت علي واني لمملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج
الاحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث اليه بمائتي الف درهم ومائتي ثوب فارسل يزيد الى الاحنف بمائة الف درهم و
مائة ثوب فقاسمه على الشطر فهذه هي الاخبار الدالة على تاكد الحق للوالدين وكيفية القيام بحقهما تعرف
مما ذكرناه في حق الاخوة فان هذه الرابطة اكد من الاخوة بل يزيد ههنا امران احدهما ان اكثر العلماء على ان
طاعة الابوين واجبة في الشبهات وان لم تجب في الحرام المحض حتى اذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام

علي صح

عليك صح

فعليك ان تاكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم وكذلك ليس لك ان تسافر في مباح او نافلة
الا باذنهما والمبادرة الى الحج الذي هو فرض الاسلام نفل لانه على التاخير والخروج لطلب العلم نفل الا اذا
كان خروجك لطلب علم الفرض من الصلوة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء
في بلد ليس فيه من يعلمه شرع الاسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين قال ابو سعيد هاجر رجل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن واراد الجهاد فقال عليه الصلوة والسلام هل باليمن ابواك قال نعم قال
هل اذنا لك قال لا فقال عليه الصلوة والسلم فارجع الى ابويك فاستاذنهما فان فعلا فجاهد والا فبرهما
ما استطعت فان ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد وجاء اخر اليه عليه الصلوة والسلم ليستشيره في الغزو
فقال الك والدة قال نعم قال فالزمها فان الجنة تحت قدميها وجاء اخر وطلب البيعة على الهجرة فقال ما جئت حتى
ابكيت والديك فقال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما وقال صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم
كحق الوالد على ولده وقال عليه الصلوة والسلم اذا استصعبت على احدكم دابته او ساء خلق زوجته او احد من اهل
بيته فليؤذن في اذنه **حقوق المملوك** اعلم ان ملك النكاح قد سبق حقوقه في اداب النكاح فاما ملك اليمين
فهو ايضا يقتضي حقوقا في المعاشرة لا بد من مراعاتها فقد كان في اخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اتقوا الله
فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما احببتم فامسكوا
وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وقال صلى الله عليه وسلم للمملوك
طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا
خائن ولا سيئ الملكة وقال عبد الله بن عمر جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو
عن الخادم فصمت عنه صلى الله عليه وسلم ثم قال اعف عنه سبعين مرة وكان عمر رضي الله عنه يذهب الى العوالي كل
يوم سبت واذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه ويروى عن ابي هريرة انه راى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه
فقال يا عبد الله احمله فانما هو اخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه
وقالت جارية لابي الدرداء اني سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيئا فقال لم فعلت ذلك فقالت اردت الراحة
منك قال اذهبي فانت حرة لوجه الله وقال الزهري متى قلت للمملوك اخزاك الله فهو حر وقيل للاحنف بن قيس
ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ اتته خادمة له بسفود عليه
شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية
الا العتق انت حرة لا باس عليك وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ما اشبهك بمولاك مولاك
عصى مولاه وانت تعصي مولاك واغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر وكان عند ميمون
بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة فعثرت واراقتها على راس سيدها
ميمون فقال يا جارية احرقتني قالت يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله تعالى قال وما قال الله
قالت قال والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت زد
فان الله يقول والله يحب المحسنين قال فانت حرة لوجه الله وقال ابن المنكدر ان رجلا من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول اسالك بوجه الله فسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق اليه فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
امسك يده فقال عليه الصلوة والسلام سالك بوجه الله فلم تعف فلما رايتني امسكت يدك
قال فانه حر لوجه الله يا رسول الله فقال لو لم تفعل لسفعت وجهك النار وقال عليه الصلوة و

كل يوم صح

عن صح

السلام العبد اذا انصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين ولما اعتق ابو رافع بكى وقال
كان لي اجران فذهب احدهما وقال صلى الله عليه وسلم عرض علي اول ثلاثة يدخلون الجنة
واول ثلاثة يدخلون النار فاما اول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك احسن عبادة ربه
ونصح لسيده وعفيف متعفف ذو عيال واول ثلاثة يدخلون النار امير مسلط وذو ثروة
لا يعطي حق الله وفقير فخور وعن ابي مسعود الانصاري قال بينا اضرب غلاما لي سمعت صوتا
من خلفي اعلم ابا مسعود مرتين فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقيت السوط فقال
والله لله اقدر عليك منك عليه وقال صلى الله عليه وسلم اذا ابتاع احدكم الخادم فليكن اول شيء
يطعمه الحلو فانه اطيب لنفسه رواه معاذ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
اتى احدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه وان لم يفعل فلينا وله وفي رواية اذا كفى احدكم
مملوكه صنعة طعامه فكفاه حره وعلاجه ومؤنته وقربه اليه فليجلسه فليأكل معه او ليأخذ اكلة
فليروغها واشار بيده فليضعها في يده وليقل كل هذه ودخل على سلمان رجل وهو يعجن فقال
يا ابا عبد الله ما هذا فقال بعثنا الخادم في شغل فكرهنا ان نجمع عليه عملين وقال صلى الله عليه وسلم
من كانت عنده جارية فصانها واحسن اليها ثم اعتقها وتزوجها فذلك له اجران وقال صلى الله عليه
وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فجملة حق المملوك ان يشركه في طعمه وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته
ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء وان يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته او
بجنايته في معاصيه وجنايته على حق الله وتقصيره في طاعته مع ان قدرة الله عليه فوق قدرته و
روى فضالة بن عبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة
او عصى امامه فمات عاصيا فلا يسأل عنه وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت
بعده فلا يسأل عنها وثلاثة لا يسأل عنهم رجل نازع الله رداءه ورداؤه الكبرياء وازاره العز
ورجل في شك من الله والقنوط من رحمته ۝

كتاب آداب العزلة وهو الكتاب السادس من احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي اعظم النعمة على خيرة خلقه
وصفوته بان صرف هممهم الى مؤانسته واجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروح
اسرارهم بمناجاته وملاطفته وحقر في قلوبهم النظر الى متاع الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزلته كل من
طويت الحجب عن مجاري فكرته فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته واستوحش بها عن الانس بالانس
وان كان من اخص خاصته والصلوة والسلم على محمد سيد انبياء الله وخيرته وعلى آله واصحابه سادة الحق
وائمته اما **اما بعد** فان للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل احدهما على الاخرى مع
ان كل واحدة منهما لا ينفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو اليها وميل اكثر العباد والزهاد الى اختيار
العزلة وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة والمؤاخاة والمؤالفة
يكاد يناقض ما مال اليه الاكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة فكشف الغطاء عن الحق في ذلك
مهم ويحصل برسم بابين **الباب الاول** في نقل المذاهب والحجج فيها **الباب الثاني** في
كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل **الباب الاول** في نقل المذاهب وذكر حجج الفريقين

في ذلك اما المذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب
الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري وابرهيم بن ادهم وداود الطائي
والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي وبشر الحافي و
قال اكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والاخوان للتآلف والتحبب الى
المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى ومال الى هذا سعيد بن المسيب
والشعبي وابن ابي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة و
ابن المبارك والشافعي واحمد بن حنبل وجماعة والمأثور عن العلماء من الكلمات ينقسم الى كلمات مطلقة
تدل على الميل الى احد الرأيين والى كلمات مقرونة بما يشير الى علة الميل فلننقل الان مطلقات تلك
الكلمات لتتبين المذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نورده عند التعرض للغوائل والفوائد
فنقول قد روي عن عمر انه قال خذوا بحظكم من العزلة ... وقال ابن ... كفى بالله محبا وبالقرآن مونسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس
جانبا وقال ابو الربيع الزاهد لداود الطائي عظني قال صم الدنيا واجعل فطرك الاخرة و
فر من الناس فرارك من الاسد وقال الحسن رضي الله عنه كلمات احفظهن من التوراة قنع ابن
آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروته تصبر قليلا
فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر
في عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار ما اصبرك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال
كنت وانا شاب اصبر على اشد من هذا كنت اجالس الناس ولا اكلمهم وقال سفيان الثوري
هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث
معنا سبعا لا نسمع له كلاما فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله واياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا
ولا تكلمنا فانشأ يقول قليل الهم لا ولد يموت ولا ولد يحاذر ان يفوت قضى وطر الصبي وافاد علما
فغايته التفرد والسكوت وقال ابرهيم النخعي لغيره تفقه ثم اعتزل وكذا قال الربيع بن خثيم و
قيل كان مالك بن انس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطي الاخوان حقوقهم فترك ذلك واحدا واحدا
حتى تركها كلها وكان يقول لا يتهيأ للمرء ان يخبر بكل عذر له وقيل لعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا
فقال ذهب الفراغ فلا فراغ الا عند الله عز وجل وقال الفضيل اني لاجد للرجل عندي يدا اذا لقيني
ان لا يسلم علي واذا مرضت ان لا يعودني وقال ابو سليمان الداراني بينما الربيع بن خثيم جالس على باب
داره اذ جاءه حجر فصك جبهته فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع فقام ودخل
داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى اخرجت جنازته وكان سعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد
لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ولا لغيرها حتى ماتا بالعقيق وقال يوسف بن
اسباط سمعت سفيان الثوري يقول والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة وقال بشر بن عبد الله اقل
من معرفة الناس فانك لا تدري ما يكون يوم القيمة فان يكن فضيحة كان من يعرفك قليلا ودخل بعض
الامراء على حاتم الاصم فقال له الك حاجة فقال نعم قال ما هي قال ان لا تراني ولا اراك وقال رجل لسهل
اريد ان اصحبك فقال اذا مات احدنا فمن يصحب الاخر فليصحبه الان وقيل للفضيل ان عليا ابنك يقول
لوددت اني في مكان ارى الناس ولا يروني فبكى الفضيل وقال يا ويح علي افلا اتمها فقال لا اراهم ولا
يروني وقال الفضيل ايضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه وقال ابن عباس افضل المجالس مجلس في

قد رهيك لا ترى ولا ترى فهذه اقاويل المائلين الى العزلة **حجج المائلين الى المخالطة** ووجه ضعفها احتج هولاء بقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وبقوله تعالى الف بين قلوبهم فامتن على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف لان المراد به تفرق الاراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله واصول الشريعة والمراد بالالفة نزع الغوائل من الصدور وهي الاسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات والعزلة لا تنافي ذلك واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وهذا ايضا ضعيف فانه اشارة الى مذمة سوء الخلق الذي يمنع بسببه المؤالفة ولا يدخل تحت حسن الخلق الذي ان خالط الف والف ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه وطلبا للسلامة من غيره واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية وبقوله صلى الله عليه وسلم من شق عصا المسلمين والمسلمون في اسلام دامج فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وهذا ضعيف لان المراد به الجماعة التي اتفقت اراءهم على امام بعقد البيعة فالخروج عليهم بغي وذلك مخالفة بالراي وخروج عليهم وذلك محظور لاضطرار الخلق الى امام مطاع يجمع رايهم ولا يكون ذلك الا بالبيعة من الاكثر فالمخالفة فيه تشويش مثير للفتنة فليس في هذا تعرض للعزلة واحتجوا بنهيه صلى الله عليه وسلم عن الهجر فوق ثلاث اذ قال من هجر اخاه فوق ثلاث فمات دخل النار وقال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة وقال من هجر اخاه سنة فهو كسافك دمه قالوا والعزلة هجرة بالكلية وهذا ضعيف لان المراد به الغضب على الناس واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك المخالطة اصلا من غير غضب مع ان الهجرة فوق ثلاث جائز في موضعين احدهما ان يرى فيه استصلاحا للمهجور في الزيادة والثاني ان يرى لنفسه سلامة فيه والنهي وان كان عاما فهو محمول على ما وراء الموضعين المخصوصين بدليل ما روي عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم هجر ذا الحجة والمحرم وبعض صفر وروى عمر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا وصعد الى غرفة له وهي خزانته فلبث تسعا وعشرين وروت عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاثة ايام الا ان يكون ممن لا يؤمن بوائقه فهذا صريح في التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رضي الله عنه حيث قال هجران الاحمق قربة الى الله فان ذلك يدوم الى الموت اذ الحماقة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا شيء قد تقدم فيه قوم سعد بن ابي وقاص كان مهاجرا لعمار بن ياسر حتى مات وعثمن بن عفان كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف وعايشة كانت مهاجرة لحفصة وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى مات وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة احتجوا بما روي ان رجلا اتى الجبل ليتعبد فيه فجيء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل انت ولا احد منكم لصبر احدكم في بعض مواطن الاسلام خير من عبادة احدكم اربعين عاما والظاهر ان هذا انما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الاسلام بدليل ما روي عن ابي هريرة انه قال غزونا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولن افعل ذلك حتى اذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلوة والسلم لا تفعل فان مقام احدكم في سبيل الله خير من صلوته في اهله ستين عاما الا تحبون ان يغفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فانه من قاتل في سبيل الله فواق ناقة ادخله الله الجنة احتج معاذ بن جبل انه عليه الصلوة والسلم قال ان الشيطان ذئب

الانسان كذئب الغنم ياخذ القاصية والناحية والشاذة اياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد وهذا انما اراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسياتي ان ذلك منهي عنه **حجج المائلين الى تفضيل العزلة** احتجوا بقوله تعالى حكاية عن ابرهيم واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي الاية ثم قال فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا اشارة الى ان ذلك ببركة العزلة وهذا ضعيف لان مخالطة الكفار لا فايدة فيها الا دعوتهم الى الدين وعند الياس عن اجابتهم فلا وجه الا هجرتهم وانما الكلام في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة اذ روي انه عليه الصلوة والسلام قيل له الوضوء من جر مخمر احب اليك او من هذه المطاهر التي يتطهر منها الناس فقال لا بل من هذه المطاهر التماسا لبركة ايدي المسلمين وروي انه لما طاف بالبيت عدل الى زمزم ليشرب منها فاذا التمر المنقع في الحياض الادم قد مغثه الناس بايديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه فقال اسقوني فقال العباس ان هذا النبيذ شراب قد مغث وخيض بالايدي افلا اتيك بشراب انظف من هذا في جر مخمر في البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس التمس بركة ايدي المسلمين فشرب منه فاذن كيف يستدل باعتزال الكفار والاصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا ايضا بقول موسى وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون وانه فزع الى العزلة عند الياس منهم وقال في اصحاب الكهف واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته امرهم بالعزلة وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه وسلم قريشا لما اذوه وجفوه ودخل الشعب وامر اصحابه باعتزالهم والهجرة الى ارض الحبشة ثم تلاحقوا به في المدينة بعد ان اعلى الله كلمته وهذا ايضا اعتزال الكفار عند الياس منهم فانه صلى الله عليه وسلم لم يعتزل المسلمين ولا من توقع اسلامه من الكفار واهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون وانما اعتزلوا الكفار وانما النظر في العزلة من المؤمنين واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر الجهني لما قال يا رسول الله ما النجاة قال ليسعك بيتك وامسك عليك دينك وابك على خطيئتك وروي انه قيل صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل فقال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي النقي الخفي وفي الاحتجاج بهذه الاحاديث نظر فاما قوله لعبد الله بن عامر لا يمكن تنزيله الا على انه صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من حاله وان لزوم البيت كان اليق به واسلم من المخالطة فانه لم يامر جميع الصحابة في البيت وان لا يخرج الى الجهاد وذلك لا يدل على ان ترك الجهاد اولى افضل ومن مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالط ولا يصبر على اذاهم وعلى هذا ينزل قوله عليه الصلوة والسلم رجل يعبد ربه ويدع الناس من شره فهذه اشارة الى شرير بطبعه يتأذى الناس بمخالطته وقوله ان الله يحب التقي الخفي اشارة الى الخمول وتوقي الشهرة وذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راهب معتزل يعرفه كافة الناس وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا تعرض لامر لا يتعلق بالعزلة واحتجوا بما روي انه عليه الصلوة والسلام قال لاصحابه الا انبئكم بخير الناس قالوا بلى فاشار بيده نحو المغرب فقال رجل اخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر ان يغير او يغار عليه الا انبئكم بخير الناس بعده واشار بيده نحو الحجاز وقال رجل في غنيمة يقيم الصلوة ويؤتي الزكوة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس فاذا ظهر ان هذه الا دلة

لاشفاء فيهما من الجانبين فلابد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقايسة
بعضها بالبعض ليتبين الحق فيها ان شاء الله تعالى

الباب الثاني في فوائد العزلة وغوائلها

وكشف الحق في فضلها اعلم ان اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة
وقد ذكرنا ان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوائده
فكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر اولا فوائد العزلة وهي تنقسم الى فوائد دينية ودنيوية والدينية
الى تمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة بالمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم والى تخلص من
ارتكاب المناهي التي يتعرض الانسان لها بالمخالطة كالرياء والسكوت عن الامر بالمعروف ومسارقة
الطبع من الاخلاق الرديئة والاعمال الخبيثة من الجلساء السوء واما الدنيوية فتنقسم الى التمكن من التحصيل
بالخلوة كتمكن المحترف في خلوته والى التخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر الى زهرة
الدنيا واقبال الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروته بالمخالطة والتأذي
بسوء خلق الجليس في مرائه او سوء ظنه او نميمته او محاسدته او التأذي بثقله وتشوه خلقته فالى
هذا يرجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد الفائدة الاولى الفراغ للعبادة والذكر والاستيناس
بمناجاة الله سبحانه عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف اسرار الله في امر الدنيا والآخرة وملكوت
والارض فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة اليه ولهذا قال بعض الحكماء لا
يتمكن احد من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله عز وجل والمتمسكون بكتاب الله هم الذين استراحوا من الدنيا
بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله ولا شك في ان هؤلاء
يمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة اولى بهم ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء امره يتبتل في جبل
حراء وينعزل اليه حتى قوي فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبه عن الله وكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله
تعالى حتى كان الناس يظنون ان ابا بكر رضي الله عنه خليله فاخبر عن استغراق همه بالله فقال لو كنت متخذا
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله ولن يتسع للجمع بين مخالطة الخلق ظاهرا والاقبال
على الله سرا الا قوة النبوة فلا ينبغي ان يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك ولا يبعد ان تنتهي
درجة بعض الاولياء اليه فقد نقل عن الجنيد انه قال انا اكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون اني
اكلمهم وهذا انما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ففي المشتهرين
بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول وما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي دهاه
ملمة تشوش عليه امرا من امور دنياه وقد يستغرق الهم بحيث يخالط ولا يحس بهم ولا يسمع اصواتهم لشدة
استغراقه وامر الآخرة اعظم عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الاولى بالاكثرين الاستعانة
بالعزلة ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذي ارادوا بالخلوة واختيار العزلة فقال ليستدعوا بذلك دوام
الفكرة وتثبت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة وقيل لبعض الرهبان ما اصبرك
على الوحدة فقال ما انا وحدي انا جليس الله تعالى اذا شئت ان يناجيني قرأت كتابه واذا شئت ان اناجيه
صليت وقيل لبعض الحكماء الى اي شيء افضى بهم الزهد والخلوة فقال الى الانس بالله وقال سفيان بن
عيينة لقيت ابراهيم بن ادهم في بلاد الشام فقلت له يا ابراهيم تركت خراسان فقال ما تهنأت بالعيش الا
ههنا افر بديني من شاهق الى شاهق فمن رآني يقول موسوس او حمال او ملاح وقيل لغزوان الرقاشي هبك لا تضحك
فما يمنعك من مجالسة اخوانك قال اني اصبت راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي وقيل للحسن يا ابا سعيد
ههنا رجل لم نره قط جالسا الا وحده خلف سارية فقال الحسن اذا رأيتموه فاخبروني به فنظروا اليه
ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي اخبرناك به واشاروا اليه فمضى اليه الحسن وقال له يا عبد الله
اراك قد حببت اليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس فقال امر شغلني عن الناس قال فما يمنعك
ان تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس اليه فقال امر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال له
الحسن وما ذاك الشغل يرحمك الله قال اني اصبح وامسي بين نعمة وذنب فرأيت ان اشغل نفسي بشكر
الله على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن انت يا عبد الله افقه عندي من الحسن فالزم ما
انت عليه وقيل بينما اويس القرني جالس اذ اتاه هرم بن حيان فقال له اويس ما جاء بك قال جئت لآنس
بك فقال له ما كنت ارى احدا يعرف ربه فيأنس بغيره وقال الفضيل اذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت اخلو
بربي واذا رأيت الصبح ادركني استرجعت كراهية لقاء الناس وان يجيء من يشغلني عن ربي وقال عبد الله بن
زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في
الآخرة وقال ذو النون المصري سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يأنس
بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره وقال ابن المبارك ما احسن حال
من انقطع الى الله عز وجل ويروى عن بعض الصالحين قال بينما انا اسير في بعض بلاد الشام اذا انا بعابد
خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر الي تنحى الى اصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل علي بالنظر اليك
فقال يا هذا اني اقمت في هذا الجبل دهرا طويلا اعالج قلبي في الصبر عن الدنيا واهلها فطال في ذلك تعبي
وفني فيه عمري فسألت الله عز وجل ان لا يجعل حظي من ايامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الاضطراب والف
الوحدة والانفراد فلما نظرت اليك خفت ان اقع في الامر الاول فاليك عني فاني اعوذ من شرك برب العارفين وحبيب
القانتين ثم صاح واغماه من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني ثم نفض يديه وقال اليك عني يا دنيا لغيري
فتزيني واهلك فغري ثم قال سبحان من اذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع اليه
ما الهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان فاذن في الخلوة انس بذكر الله واستكثار من معرفة الله وفي ذلك
قيل واني لاستغشي وما بي نعسة لعل خيالا منك يلقى خياليا واخرج من بين الجلوس لعلني احدث عنك النفس
بالسر خاليا ولذلك قال بعض الحكماء انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر
حينئذ ملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه فاذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على
الفكرة ويستخرج العلم والحكمة وقد قيل الاستيناس بالناس من علامات الافلاس فاذا هذه فائدة جزيلة
ولكن في حق بعض الخواص ومن تيسر له بدوام الذكر الانس بالله او بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد
له افضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فان غاية العبادات وثمرة المعاملات ان يموت الانسان محبا لله عارفا
بالله ولا محبة الا بالانس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة الا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة

الفائدة الثانية التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في
الخلوة وهي اربعة الغيبة والرياء والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من
الاخلاق الرديئة والاعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا اما الغيبة فاذا عرفت آفات اللسان من
ربع المهلكات وجوهها عرفت ان التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها الا الصديقون فان
عادة الناس كافة التمضمض باعراض الناس والتفكه بها والتنقل بحلاوتها وهي طعمتهم ولذتهم واليها
يستروحون من وحشتهم في الخلوة فان خالطتهم ووافقتهم اثمت وتعرضت لسخط الله وان سكت كنت شريكا

والمستمع احد المغتابين وان انكرت ابغضوك وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة
الى الغيبة فربما زادوا على الغيبة وانتهوا الى الاستخفاف والشتم واما الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فهو من اصول الدين وهو واجب كما سياتي بيانه في اخر هذا الربع ان شاء الله ومن خالط الناس فلا يخلو
عن مشاهدة المنكرات فان سكت عصى الله به وان انكر تعرض لانواع من الضرر اذ ربما يجره طلب الخلاص
منها الى معاص هي اكبر مما نهى عنه ابتداء وفي العزلة خلاص من هذا فان الامر في اهماله شديد و
القيام به شاق وقد قام ابو بكر خطيبا وقال يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية يا ايها الذين امنوا
عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانكم تضعونها في غير موضعها واني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا راى الناس المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان الله يسال العبد حتى يقول له ما منعك اذ رايت المنكر في الدنيا ان تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته قال يا رب
رجوتك وخفت الناس وهذا اذا خاف من ضرب او امر لا يطاق ومعرفة حد ذلك مشكل و
فيه خطر وفي العزلة خلاص وفي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اثارة للخصومات وتحريك
لغوائل الصدور كما قيل وكم سقت في اثاركم من نصيحة وقد يستفيد البغضة المتنصح ومن جرب
الامر بالمعروف ندم عليه غالبا فانه كجدار مائل يريد الانسان ان يقيمه فيوشك ان يسقط عليه فاذا سقط
عليه يقول ليتني تركته مائلا نعم لو وجد اعوانا امسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة استقام وانت اليوم
لا تجد الاعوان فدعهم وانج براسك واما الرياء فهو الداء العضال الذي يعسر على الاوتاد والابدال
الاحتراز عنه وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راءاهم ومن راءاهم وقع فيما وقعوا وهلك
كما هلكوا واقل ما يلزم فيه النفاق فانك ان خالطت متعادين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه
صرت بغيضا اليهما جميعا وان جاملتهما كنت من شرار الناس وقال صلى الله عليه وسلم تجدون من شر
الناس ذا الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه واقل ما يجب في مخالطة الناس اظهار
الشوق والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك من كذب اما في الاصل واما في الزيادة واظهار الشفقة بالسؤال
عن الاحوال فقولك كيف انت وكيف اهلك وانت في الباطن فارغ القلب من همومه نفاق محض قال ابن مسعود
ان الرجل فيكم ليخرج من بيته فيلقى الرجل له اليه حاجة فيقول كيت وكيت فيمدحه عسى ان لا يحظى من حاجته بشيء
فيرجع وقد اسخط الله عليه ما معه من دينه بشيء قال السري لو دخل علي اخ لي فسويت لحيتي بيدي لدخوله
خشيت ان اكتب في جريدة المنافقين وكان الفضيل رحمه الله جالسا وحده في المسجد الحرام فجاء اليه اخ
فقال له ما جاء بك قال المؤانسة يا ابا علي فقال هي والله بالمواحشة اشبه هل تريد الا ان تتزين لي واتزين
لك واكذب لك وتكذب لي اما ان تقوم عني واما ان اقوم عنك وقال بعض العلماء ما احب الله عبدا الا
احب ان لا يشعر به ودخل طاوس على الخليفة هشام فقال كيف انت يا هشام فغضب عليه فقال لم لا
تخاطبني بامير المؤمنين فقال لان جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فخشيت ان اكون كاذبا فمن امكنه ان
يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس والا فليرض باثبات اسمه في جريدة المنافقين فقد كان السلف
يتلاقون ويحترزون في قولهم كيف اصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه وكان سؤالهم عن احوال الدين لا عن
احوال الدنيا قال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف انت في نفسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه فقال له
يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة وقيل اذا قيل لعيسى عليه السلام كيف اصبحت قال اصبحت
لا املك نفع ما ارجو ولا استطيع دفع ما احاذر واصبحت مرتهنا بعملي والخير كله في يد غيري فلا فقير افقر

مني وكان الربيع بن خثيم اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفي ارزاقنا وننتظر اجالنا
وكان ابو الدرداء اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحت بخير ان نجوت من النار وكان سفيان الثوري اذا
قيل له كيف اصبحت يقول اصبحت اشكر ذا الى ذا واذم ذا الى ذا وافر من ذا الى هذا وقيل لاويس القرني كيف اصبحت فقال
كيف يصبح رجل اذا امسى لا يدري انه يصبح واذا اصبح لا يدري انه يمسي وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت قال
اصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد وقيل لبعض الحكماء كيف اصبحت فقال اصبحت لا ارضى حياتي لمماتي ولا نفسي
لربي وقيل للحكيم كيف اصبحت قال اصبحت اكل رزق ربي واطيع عدوه ابليس وقيل لمحمد بن واسع
كيف اصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم الى الاخرة مرحلة وقيل لحامد اللفاف كيف اصبحت قال
اصبحت اشتهي عافية يوم الى الليل فقيل له الست في عافية في كل الايام فقال العافية يوم لا اعصي الله
فيه وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا
موحشا بلا مؤنس وينطلق الى ملك عدل بلا حجة وقيل لحسان بن سنان ما حالك قال ما حال
من يموت ثم يبعث ثم يحاسب وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك قال وما حال من عليه خمسمائة درهم
دينا وهو معيل فدخل ابن سيرين منزله فاخرج له الف درهم فدفعها اليه وقال خمسمائة اقض بها دينك
وخمسمائة عد بها على عيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا اسال احدا عن حاله ابدا وانما
فعل ذلك لانه خشي ان يكون سؤاله من غير اهتمام بامره فيكون مرائيا منافقا فقد كان سؤالهم
عن امور الدين واحوال القلب في معاملة الله وان سالوا عن امور الدنيا فعن اهتمام وعزم
على القيام بما يظهر لهم من الحاجة وقال بعضهم اني لاعرف اقواما كانوا لا يتلاقون ولو حكم احدهم على
صاحبه بجميع ما يملك لم يمنعه واري الان اقواما يتلاقون ويتساءلون حتى عن الدجاجة في البيت ولو
انبسط احدهم لحبة من مال صاحبه لمنعه فهل هذا الا مجرد الرياء والنفاق واية ذلك انك ترى هذا
يقول كيف انت ويقول الاخر كيف انت والسائل لا ينتظر الجواب والمسؤول
يشتغل بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بان ذلك عن رياء وتكلف ولعل القلوب لا تخلو
عن ضغائن واحقاد والالسنة تنطق بالسؤال قال الحسن انما كانوا يقولون السلام عليكم
اذا سلمت والله القلوب فاما الان فكيف اصبحت عافاك الله كيف انت اصلحك الله فان اخذنا بقولهم
كانت بدعة لا كرامة فان شاءوا غضبوا علينا وان شاءوا لا وانما قال ذلك لان البداية بقولك
كيف اصبحت بدعة وقال رجل لابي بكر بن عياش كيف اصبحت فما اجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقالوا انما حدث
في زمان الطاعون الذي كان يدعى بطاعون عمواس بالشام من الموتان الذريع كان الرجل يلقى اخاه غدوة
فيقول كيف اصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف امسيت والمقصود ان الالتقاء في الغالب
في العادات ليس يخلو عن انواع من التصنع والرياء والنفاق وكل ذلك مذموم بعضه محظور وبعضه مكروه
وفي العزلة الخلاص من ذلك فان من لقي الخلق ولم يخالقهم باخلاقهم مقتوه واستثقلوه واغتابوه وتشمروا
لايذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منه واما مسارقة الطبع لما يشاهده من اخلاق
الناس واعمالهم فهو داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الانسان فاسقا
مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته لادرك بينهما تفرقة في النفرة عن الفساد و
استثقاله اذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع ويسقط وقعه واستعظامه عنه وانما
الوازع عنه شدة وقعه في القلب فاذا صار مستصغرا بطول المشاهدة اوشك ان تنحل القوة الوازعة

ويذعن الطبع الجميل اليه او لما دونه وبمطاولة مشاهدة الكبائر من غيره استصغر
الصغائر من نفسه ولذلك يزدري الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فيؤثر مجالسته للفقراء
في استعظام ما اتيح له من النعم فكذلك النظر الى المطيعين والعصاة هذا تاثيره في الطبع فمن
يقصر نظره على ملاحظة احوال الصحابة والتابعين في العبادة والتنزه عن الدنيا
فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقار وما دام يرى
نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما للاقتداء ومن
نظر الى الاحوال الغالبة على هذا الزمان واعراضهم عن الله واقبالهم على الدنيا واعتيادهم للمعاصي
استعظم امر نفسه بادنى رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك ويكفي في تغير الطبع
مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم
عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة فانما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله تعالى وليس ينزل عند الذكر
عين ذلك ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستنكاف
مما هو ملابس له من القصور والتقصير ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ الرغبة ذكر احوال الصالحين
فهذا معنى نزول الرحمة والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن كالمفهوم من نطقه وهو انه عند ذكر
الفاسقين تنزل اللعنة لان كثرة ذكرهم يهون على الطبع امر المعاصي واللعنة هو البعد ومبدأ
البعد من الله المعاصي والاعراض عن الله بالاقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا
على وجه المشروع ومبدأ المعاصي سقوط ثقلها وتفاحشها من القلب ومبدأ سقوط ذلك وقوع
الانس بكثرة السماع واذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم
بل قد صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال مثل الجليس السوء كمثل الكير ان لم يحرقك
بشرره علق بك من ريحه فكما ان الريح يعبق بالثوب ولا يشعر بها فكذلك يسهل الفساد على
القلب وهو لا يشعر به وقال مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك ان لا يهب لك منه تجد ريحه
ولهذا اقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لعلتين احدهما انها غيبة والثانية وهي
اعظمهما ان حكايتها تهون على المستمعين امر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استعظامهم للاقدام
عليها فيكون ذلك سببا لتهوين تلك المعصية فانه مهما وقع فيها واستنكر ذلك دفع الاستنكار
فقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون الى مثله حتى العلماء والعباد ولو اعتقد ان
مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر لشق عليه الاقدام فكم من شخص يتكالب على
الدنيا ويحرص على جمعها ويتهالك على حب الرياسة وتزيينها ويهون على نفسه قبحها بان الصحابة رضي
الله عنهم لم ينزهوا عن حب الرياسة وربما يستشهد بقتال علي ومعاوية رضي الله عنهما ويخمن في نفسه
ان ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة ولو انهما من المعاصي والطبع اللئيم يميل الى اتباع
الهفوات والاعراض عن الحسنات بل الى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة
ليتعلل به وهذه من دقائق مكايد الشيطان ولذلك وصف الله تعالى المراغمين للشيطان فيما
بقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضرب صلى الله عليه وسلم لذلك مثلا وقال
مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يحمل الا شر ما يستمع كمثل رجل اتى راعيا فقال له يا راعي اجزر لي
شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب فاخذ باذن كلب الغنم وكل من ينقل من

هفوات الائمة فهو من امثاله ايضا ومما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان اكثر
الناس اذا راوا مسلما افطر في نهار رمضان استبعدوه استبعادا يكاد يفضي اعتقادهم الى كفره وقد
يشاهدون من يخرج الصلوات عن اوقاتها فلا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تاخير الصوم مع ان صلوة واحدة
تقتضي تركها الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له الا ان الصلوة
تتكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب وكذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير او خاتما
من ذهب او شرب من اناء فضة استبعدته النفوس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم الا
بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد منه ذلك والغيبة اشد من الزنا فكيف لا تكون اشد من لبس الحرير ولكن
كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين اسقط عن القلوب وقعها وهون على النفوس امرها فتفطن لهذه
الدقائق وفر من الناس فرارك من الاسد فانك لا تشاهد منهم الا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن
الاخرة ويهون عليك المعصية ويضعف رغبتك في الطاعة فان وجدت جليسا يذكرك بالله صورته و
سيرته فالزمه ولا تفارقه واغتنمه ولا تستحقره فانها غنيمة العاقل وضالة المؤمن وتحقق ان الجليس الصالح
خير من الوحدة وان الوحدة خير من الجليس السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولاحظت طبعك والتفت الى
حال من اردت مخالطته لم يخف عليك ان الاولى التباعد عنه بالعزلة او التقرب اليه بالخلطة واياك ان تحكم
مطلقا على العزلة والخلطة بان احدهما اولى اذ كل مفصل فاطلاق القول فيه بلا او نعم خلف محض ولا حق
في المفصل الا التفصيل **الفائدة الثالثة** الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس
عن الخوض فيها والتعرض لاخطارها وقلما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات فالمعتزل
عنهم في سلامة من ذلك قال عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن و
وصفها وقال اذا رايت الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه
فقلت فما تامرني فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر
الخاصة ودع عنك امر العامة وروى ابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان يكون
خير مال المسلم غنم يتبع بها شعاب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن وروي عن عبد الله بن
مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال ليأتين على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من
قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذي يروغ قيل ومتى ذلك يا رسول
الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله فاذا كان ذلك كان هلاك الرجل على يدي ابويه فان لم يكن
له ابوان فعلى يدي زوجته وولده وان لم يكن فعلى يدي قرابته قالوا فكيف ذاك يا رسول الله قال
يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة وهذا الحديث وان كان
في العزوبة فالعزلة مفهومة منها اذ لا يستغني المتاهل عن المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة الا
بمعصية الله ولست اقول هذا اوان ذلك الزمان فلقد كان هذا باعصار قبل هذا العصر ولاجله
قال سفيان الثوري والله لقد حلت العزلة وقال ابن مسعود ذكر رسول الله الفتنة وايام الهرج
قلت وما الهرج قال حين لا يامن الرجل جليسه قلت فبم تامرني ان ادركت ذلك الزمان قال كف نفسك
ويدك وادخل دارك قال قلت ارايت يا رسول الله ان دخل علي داري قال فادخل بيتك قلت ان دخل علي
بيتي قال فادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربي الله حتى تموت وقال سعد لما دعي الى الخروج
ايام معاوية فقال لا الا ان تعطوني سيفا له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فاقتله وبالمؤمن

فاكفّ عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء فبينا هم كذلك يسيرون اذ هاجت
ريح عجاجة فضلوا الطريق والتبس عليهم فقال بعضهم الشمال فاخذوا فيها وقال بعضهم تاهوا و
اناخ بعضهم اخرون وتوقفوا حتى ذهبت الريح وتبين الطريق فسعد جماعة فارقوا الفتن
ولم يخالطوا الا بعد زوال الفتن وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه لما بلغه ان الحسين رضي الله عنه
توجه الى العراق فلحقه على مسيرة ثلاثة ايام فقال له اين تريد فقال العراق واذا معه طوامير وكتب
فقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا تنظر الى كتبهم ولا تاتهم فابى فقال اني محدثك حديثا ان جبرئيل
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا والاخرة فاختار الاخرة على الدنيا وانك بضعة من
رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يليها احد منكم ابدا وما صرفها عنكم الا للذي هو
خير لكم فابى ان يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله من قتيل وكان في الصحابة
عشرة الاف فما خف ايام الفتنة اكثر من اربعين رجلا وجلس طاوس في بيته فقيل له لزمت العقر
وتركت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رايت مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والناس
في محاجكم عالية وفيما هنالك عما انتم فيه عافية فاذن الحذر من الخصومات ومثارات الفتن احدى
فوائد العزلة الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس فانهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء
الظن والتهمة ومرة بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة او الكذب
فربما يرون منك من الاعمال والاقوال ما لا يبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها
لوقت يظهر فيه فرصة للشر واذا اعتزلتهم استغنيت عن التحفظ عن جميع ذلك ولذلك قال بعض الحكماء
لغيره أعلمك بيتا خيرا من عشرة الاف درهم فقال له ما هو فقال اخفض الصوت ان نطقت بليل والتفت
بالنهار قبل المقال ليس للقول رجعة حين يبدو بقبيح او بجمال ولا شك ان من اختلط بالناس وشاركهم
في اعمالهم لم ينفك من حاسد وعدو يسيء الظن به ويتوهم انه يستعد لمعاداته ولنصب المكيدة عليه
ولتدسيس غائلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على امر يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم
وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم الا الحرص عليها قال المتنبي اذا ساء فعل المرء ساءت
ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم وعادى محبيه بقول عداته واصبح في شك من الليل مظلم وقد قيل
معاشرة الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار وانواع الشر الذي يلقاه الانسان من معارفه ومن
يختلط به كثيرة لسنا نطول بتفصيلها وفيما ذكرناه اشارة الى مجامعها وفي العزلة خلاص عن جميعها والى
هذا اشار الاكثر ممن اختار العزلة فقال ابو الدرداء اخبر تقله وقال الشاعر من حمد الناس ولم يبلهم ثم بلاهم
ذم من يحمد وصار بالوحدة مستانسا يوحشه الاقرب والابعد وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة
من القرين السوء وقيل لعبد الله بن الزبير الا تاتي المدينة فقال ما بقي فيها الا حاسد لنعمة او فرح بنقمة
وقال ابن السماك كتب صاحب لنا اما بعد فان الناس كانوا دواء يتداوى بهم فصاروا داء لا دواء لهم
ففر منهم فرارك من الاسد وكان بعض الاعراب يلازم شجرة ويقول هو نديم فيه ثلاث خصال ان يسمع مني لم ينم
علي وان تفلت في وجهه احتمل وان عربدت عليه لم يغضب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في الندماء
وكان بعضهم قد لزم المقابر والدفاتر فقيل له في ذلك فقال لم ار اسلم من الوحدة ولا اوعظ من قبر ولا
جليسا امتع من دفتر وقال الحسن اردنا الحج فسمع ثابت البناني وكان ايضا من اولياء الله فقال بلغني
انك تريد الحج فاحببنا ان نصطحب فقال له الحسن دعنا ونحن نتعاشر بستر الله عز وجل اني اخاف

ان نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما يتماقت عليه وهذه اشارة الى فائدة اخرى في العزلة
وهو بقاء الستر على الدين والمروءة والاخلاق والفقر وسائر العورات وقد مدح الله
سبحانه المتسترين فقال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال الشاعر ولا عار ان
زالت عن الحر نعمة ولكن عارا ان يزول التجمل ولا يخلو الانسان في دينه ودنياه واخلاقه و
افعاله عن عورات الاولى في الدين والدنيا سترها ولا تبقى السلامة مع انكشافها وقال ابو الدرداء
كان الناس ورقا لا شوك فيه والناس اليوم شوك لا ورق فيه واذا كان هذا حكم زمانه وهو
في اخر القرن الاول فلا ينبغي ان يشك في ان الاخير شر وقال سفيان بن عيينة قال لي سفيان
الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد موته اقلل من معرفة الناس فان التخلص منهم شديد
ولا احسب رايت ما اكره الا ممن عرفت وقال بعضهم جئت الى مالك بن دينار وهو قاعد وحده و
اذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت اطرده فقال دعه يا هذا هذا لا يضر ولا يؤذي وهو خير
من الجليس السوء وقيل لبعضهم ما حملك على ان تعتزل الناس قال خشيت ان اسلب ديني ولا اشعر و
هذه اشارة الى مسارقة الطبع من اخلاق القرين السوء وقال ابو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس
فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا ادبروه ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مؤمن الا خربوه وقال بعضهم
اقلل المعارف فانه اسلم لدينك وقلبك واخف لسقوط الحقوق عنك لانه كلما كثرت المعارف كثرت
الحقوق وعسر القيام بالجميع وقال بعضهم انكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف الفائدة
الخامسة ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس فاما انقطاع طمع الناس ففيه كل
الجدوى فان رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء باصلاح نفسه اولى ومن اهون الحقوق وايسرها
حضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور الولائم والاملاكات وفيه تضييع الاوقات والتعرض
للافات ثم قد يعوق عن بعضها العوائق ويستقبل فيها المعاذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون قمت
في حق فلان وقصرت في حقي ويصير ذلك سبب عداوة فقد قيل من لم يعد مريضا في وقت العيادة اشتهى
موته خيفة من تخجيله اذا صح على تقصيره ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص
استوحشوا وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد له طول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله في
دين او دنيا قال عمرو بن العاص كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء وقال ابن الرومي عدوك من صديقك
مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب وقال
الشافعي رضي الله عنه اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام واما انقطاع طمعك عنهم فهو ايضا
فائدة جزيلة فان من نظر الى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يرى الا
الخيبة في اكثر الاطماع فيتاذى بذلك ومهما اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال
تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وقال صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو دونكم ولا
تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وقال عون بن عبد الله كنت اجالس الاغنياء
فلم ازل مغموما كنت ارى ثوبا احسن من ثوبي ودابة افره من دابتي فجالست الفقراء فاسترحت وحكي ان
المزني رحمه الله خرج من باب جامع الفسطاط وقد اقبل ابن عبد الحكم في موكبه فبهره ما راى من حاله و
حسن هيئته فتلا قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ثم قال بلى اصبر وارضى وكان
فقيرا مقلا فالذي هو في بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتنة فان من شاهد زينة الدنيا فاما ان يقوى دينه

دينه ويقينه فيصير محتاجا الى ان يتجرع مرارة الصبر وهو امر من الصبر او ينبعث رغبته فيحتال في
طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا اما في الدنيا فبالطمع الذي يخيب في اكثر الاوقات فليس كل من يطلب
الدنيا تتيسر له واما في الاخرة فبايثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب اليه ولذلك قال ابن
الاعرابي اذا كان باب الذل من جانب الغنى سموت الى العليا من جانب الفقر اشار الى ان الطمع في الحال
توجب ذلا الفائدة السادسة الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة حمقهم واخلاقهم
فان رؤية الثقيل هو العمى الاصغر وقيل للاعمش مم عمشت قال من النظر الى الثقلاء ويحكى انه دخل عليه ابو حنيفة
فقال له في الخبر من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ما هو خير منهما فما الذي عوضك فقال في معرض المطايبة
عوضني عنهما انه كفاني رؤية الثقلاء وانت منهم وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت الى ثقيل مرة
فغشي علي وقال جالينوس لكل شيء حمى وحمى الروح النظر الى الثقلاء وقال الشافعي رضي الله عنه
ما جالست ثقيلا الا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كانه اثقل علي من الجانب الاخر وهذه الفوائد
ما سوى الاوليين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها تتعلق ايضا بالدين فان الانسان
مهما تأذى برؤية ثقيل لم يلبث ان يغتابه وان يستنكر ما هو صنع الله واذا تأذى من غيره بغيبة
او سوء ظن او محاسدة او نميمة او غير ذلك لم يصبر عن مكافاته وكل ذلك يجر الى فساد الدين
وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم

آفات العزلة

اعلم ان من المقاصد الدنيوية
والدينية ما يستفاد بالغير ولا يحصل الا بالمخالطة فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت
بالعزلة وفواته من آفات العزلة فانظر الى فوائد المخالطة والدواعي اليها ما هي وهي التعليم والتعلم
والنفع والانتفاع والتأديب والتأدب والاستئناس والايناس ونيل الثواب وانالته في القيام
بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الاحوال والاعتبار بها فلنفصل
ذلك فانها من فوائد المخالطة وهي سبعة الفائدة الاولى التعليم والتعلم وقد ذكرنا فضلهما
في كتاب العلم وهما اعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك الا بالمخالطة الا ان العلوم كثيرة
وعن بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا فالمحتاج الى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وان
تعلم الفرض وكان لا يتأتى منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل وان كان يقدر
على التبرز في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعي تفقه
ثم اعتزل ومن اعتزل قبل العلم فهو في الاكثر مضيع اوقاته بنوم او فكر في هوس وغايته ان يستغرق
الاوقات باوراد يستوعبها فلا ينفك في اعماله بالبدن والقلب عن انواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل
عمله من حيث لا يدري ولا ينفك في اعتقاده في الله وصفاته عن اوهام يتوهمها ويأنس بها وعن
خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في اكثر احواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم
هو اصل الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال اعني من لا يحسن العبادة في الخلوة ولا يعرف جميع ما
يلزمه فيها فمثال النفس مثال مريض يفتقر الى طبيب متلطف ليعالجه فالمريض الجاهل اذا خلا بنفسه
عن الطبيب قبل ان يتعلم الطب تضاعف لا محالة مرضه فلا يليق العزلة الا بالعالم واما التعليم
ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المعلم والمتعلم ومهما كان القصد اقامة الجاه والاستكثار بالاصحاب
والاتباع فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في هذا الزمان
ان يعتزل ان اراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لا طالب الا لكلام مزخرف

يستميل به العوام في معرض الوعظ او الجدل المعقد يتوصل به الى افحام الاقران ويتقرب به الى السلطان
ويستعمل في معرض المنافسة والمباهاة واقرب علم مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا الا للتوصل الى
التقدم على الامثال وتولي الولايات واجتلاب الاموال وهؤلاء كلهم يقتضي الدين والحزم الاعتزال
عنهم فان صودف طالب لله ومتقرب بالعلم الى الله فاكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه وهذا لا
يصادف في بلد كبير اكثر من واحد او اثنين ان صودف ولا ينبغي ان يغتر الانسان بقول سفيان تعلمنا
العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الى الله وانظر الى اواخر
اعمار الاكثرين منهم واعتبرهم انهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبون عليها او راغبون عنها وزاهدون
فيها وليس الخبر كالمعاينة واعلم ان العلم الذي اشار اليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الانبياء
والصحابة فان فيها التخويف والتحذير وهي سبب لاثارة الخوف من الله فان لم يؤثر في الحال اثر في
المآل فاما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات المذهب منه والخلاف
لا يرد فيه الراغب للدنيا الى الله بل لا يزال متماديا في حرصه الى اخر عمره ولعل ما اودعناه هذه الكتاب ان تعلمه
المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز ان يرخص فيه اذ يرجى ان ينزجر في اخر عمره فانه مشحون بالتخويف بالله وبالترغيب
في الاخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف في الاحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا
خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي ان يخادع الانسان نفسه فان المقصر العالم بتقصيره اسعد حالا من الجاهل
المغرور او المتجاهل المغبون فكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك ان يكون غرضه القبول والجاه وحظه
تلذذ النفس في الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر عليهم فآفة العلم الخيلاء كما قال صلى الله
عليه وسلم ولذلك حكي عن بشر انه دفن سبعة عشر قمطرا من كتب الاحاديث التي سمعها وكان لا يحدث
ويقول اني اشتهي ان احدث فاذلك لا احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت ولذلك قال حدثنا
باب من الدنيا واذا قال الرجل حدثنا فانما يقول اوسعوا لي وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري
نعم الرجل انت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيماذا رغبت قالت في الحديث ولذلك قال ابو سليمان الداراني
من تزوج او كتب الحديث او اشتغل بالسفر فقد ركن الى الدنيا وهذه آفات قد نبهنا عليها في
كتاب العلم والحزم الاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من الاصحاب ما امكن بل الذي يطلب الدنيا
بتدريسه وتعليمه فالصواب له ان كان عاقلا في هذا الزمان ان يتركه فلقد صدق ابو سليمان الخطابي
حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال اخوان العلانية اعداء
السر اذا لقوك تملقوك واذا غبت عنهم سلقوك من اتاك كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا
اهل نفاق ونميمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وان يتخذوك
سلما الى اوطارهم وحمارا في حاجاتهم ان قصرت في غرض من اغراضهم كانوا اشد اعدائك ثم يعدون
ترددهم اليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك ان تبذل عرضك وجاهك
ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها
وتكون لهم تابعا خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعتزال العامة مروءة تامة فهذا معنى
كلامه وان خالف بعض الفاظه وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين في رق دائم وتحت
حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد اليهم فكأنه يهدي تحفة اليهم فيرى حقه واجبا عليه وربما لا يختلف
اليه ما لم يتكفل برزق له على الادرار ثم المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله فلا يزال

يتردد الى ابواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب
له على بعض وجوه السحت مالحرام لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستذله
الى ان يسلم اليه الى ما يعده نعمة مستانفة من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على اصحابه ان
سوى بينهم مقته المبرزون ونسبوه الى الحمق وقلة التمييز والقصور عن درك مصارفات الفضل والتفاضل
في مقادير الحقوق بالعدل وان فاوت بينهم سلقه السفهاء بالسنة حداد وثاروا عليه ثوران
الاساود والاساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مظالم ما ياخذه ويفرقه في العقبى والعجب
انه مع هذا البلاء كله يمني نفسه بالاباطيل ويدليه بحبل الغرور وتقول له لا تفتر عن صنيعك
فانما انت بما تفعله مريد وجه الله وتذيع شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشر علم دين الله
وقائم بكفاية طلاب العلم من عباد الله واموال السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة للمصالح واي مصلحة
اكبر من تكثير اهل العلم فبهم يظهر الدين ويتقوى اهله ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بادنى تامل
ان فساد الزمان لا سبب له الا كثرة امثال اولئك الفقهاء الذين ياكلون ما يجدون ولا
يميزون بين الحلال والحرام فيلحظهم اعين الجهال ويستجرءون على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم
واقتفاء لاثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية الا بفساد الملوك وما فسد الملوك الا بفساد العلماء
فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الدفين الذي ليس له دواء الفائدة الثالثة النفع
والانتفاع اما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة وذلك لا يتاتى الا بالمخالطة والمحتاج اليه مضطر
الى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة ان طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه في كتاب الكسب فان
كان معه مال لو اكتفى به قانعا لاقنعه فالعزلة افضل له اذا انسدت طرق المكاسب في الاكثر الا من
المعاصي الا ان يكون غرضه الصدقة بكسبه فاذا اكتسب من وجهه وتصدق فهو افضل من العزلة للاشتغال
بالنافلة وليس بافضل من العزلة للاشتغال بالتحقيق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولا من الاقبال
بكنه الهمة على الله والتجرد به لذكر الله اعني من حصل له انس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لا عن
اوهام وخيالات فاسدة واما النفع فهو ان ينفع الناس اما بماله او ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل
الحسبة ففي النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا ينال الا بالمخالطة ومن قدر عليه مع القيام
بحدود الشرع فهو افضل له من العزلة وان كان لا يشتغل في عزلته الا بنوافل الصلوات والاعمال البدنية
وان كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر او فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة الفائدة الرابعة
التاديب والتادب ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل اذاهم كسرا للنفس وقهرا
للشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهو افضل من العزلة في حق من لم تتهذب بعد اخلاقه
ولم يذعن لحدود الشرع شهواته ولهذا انتدب خدام الصوفية في الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم
واهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهمتهم الى
الله كان هذا هو المبدأ في الاعصار الخالية والان قد خالطته الاغراض الفاسدة ومال ذلك عن
القانون كما مال سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكبر بالاستتباع والتذرع الى
جمع المال والاستظهار بكثرة الاتباع فان كانت النية هذا فالعزلة خير منه ولو الى القبر وان كانت
النية رياضة النفس فهو خير من العزلة في حق المحتاج الى الرياضة وذلك مما يحتاج اليه في بداية الارادة
فبعد حصول الارتياض ينبغي ان يفهم ان الدابة لا تطلب من رياضتها بل المراد منها ان تتخذ مركبا يقطع به

المراحل ويطوى على ظهره الطريق والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الاخرة
وفيها شهوات ان لم تكسرها جمحت به في الطريق فمن اشتغل طول عمره بالرياضة كان كمن
اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منها الا الخلاص من عضها ورفسها
ورمحها وهي لعمري فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من الميتة والدابة تراد لفائدة تحصل
من حيوتها فكذلك الخلاص عن الم الشهوات في الحال يحصل بالنوم والموت فلا ينبغي ان تقنع
بها كالراكب الذي قيل له يا راهب فقال ما انا براهب انما انا كلب حبست نفسي حتى لا اعقر الناس
وهذا حسن بالاضافة الى من يعقر ولكن لا ينبغي ان يقتصر عليه فان من قتل نفسه ايضا لم يعقر الناس
بل ينبغي ان يتشوق الى الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى الى الطريق وقدر على السلوك
استبان له ان العزلة اعون عليه من المخالطة فالافضل لمثل هذا الشخص المخالطة اولا والعزلة اخرا
اما التاديب فانما نعني به ان يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم
الا بمخالطتهم وحاله حال المعلم وحكمه حكمه ويتطرق اليه من دقائق الافات والرياء ما يتطرق الى
نشر العلم الا ان مخايل طلب الدنيا من المريدين الطالبين للارتياض ابعد منها من طلبة العلم ولذلك
يرى فيهم قلة وفي طلبة العلم كثرة فينبغي ان يقيس نفسه ما تيسر له من الخلوة بما تيسر له من المخالطة
وتهذيب القوم وليقابل احدهما بالاخر وليؤثر الافضل وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد و
يختلف بالاحوال والاشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي او اثبات الفائدة الرابعة
الاستيناس والايناس وهو غرض من يحضر الولائم والدعوات ومواضع المعاشرة والانس و
هذا يرجع الى حظ النفس في الحال وقد يكون ذلك على وجه حرام بموانسة من لا يجوز موانسته او على
وجه مباح وقد يستحب ذلك لامر الدين وذلك فيمن يستانس بمشاهدة احواله واقواله في الدين
كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب اذا كان الغرض
منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة فان القلوب اذا اكرهت عميت ومهما كان في
الوحدة وحشة وفي المجالسة انس يروح القلب فهي اولى اذ الرفق في العبادة من حزم العبادة و
لذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا وهذا امر لا يستغنى عنه فان النفس لا تالف الحق
على الدوام ما لم تروح وفي تكليفها الملازمة تنفير لها من شاهد هذا الدين يغلبه فان الدين متين والا
فيه برفق داب المستبصرين ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما لولا مخافة الوسواس لم اجالس
الناس وقال مرة لدخلت بلادا لا انيس بها وهل يفسد الناس الا الناس فلا يستغني المعتزل اذن
عن رفيق يستانس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة فليجتهد في طلب من لا يفسد في ساعته
تلك عليه سائر ساعاته فقد قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وليحرص
ان يكون حديثه عند اللقاء في امور الدين وحكاية احوال القلب وشكواه وقصوره عن
الثبات على الحق والاهتداء الى الرشد ففي ذلك متنفس ومتروح للنفس وفيه مجال رحب لكل
مشغول باصلاح نفسه فانه لا ينقطع شكواه ولو عمر اعمارا طويلة والراضي عن نفسه مغرور وقطعا
فهذا النوع من الاستيناس في بعض اوقات النهار ربما يكون افضل من العزلة في حق بعض الاشخاص
فليتفقد فيه احوال القلب واحوال الجليس اولا ثم يجالس الفائدة الخامسة في نيل الثواب وانالته
اما النيل فبحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين اما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعة

في سائر الصلوات ايضا لا رخصة في تركها الا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة و
يزيد عليه وذلك لا يتفق الا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث انه ادخال
سرور على قلب مسلم واما الثالثة فهو ان يفتح الباب ليعوده الناس ويعزوه في المصائب ويهنؤه
على النعم فانهم ينالون بذلك ثوابا وكذلك اذا كان من العلماء واذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان
هو بالتمكين سببا فيه فينبغي ان يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد
يترجح العزلة وقد يترجح المخالطة فقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوات
وعيادة المرضى وحضور الجنائز بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة او زيارة القبور
وبعضهم فارق الامصار وانحاز الى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل الفائدة السادسة
من المخالطة التواضع فانه افضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار
العزلة فقد روي في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى
ظن انه نال عند الله منزلة فاوحى الله الى نبيه قل لفلان انك ملأت الارض نفاقا واني لا اقبل من
نفاقك شيئا قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الارض وقال الآن قد بلغت محبة ربي فاوحى الله الى
نبيه قل له انك لم تبلغ رضاي قال فدخل الاسواق وخالط العامة وجالسهم وواكلهم واكل الطعام
بينهم ومشى في الاسواق معهم فاوحى الله اليه الآن قد بلغت رضاي فكم من معتزل في بيته وباعثه التكبر
ومانعه عن المحافل ان لا يوقر ولا يقدم او يرى الترفع من مخالطتهم ارفع لمحله وابقى لطراوة ذكره بين
الناس وقد يعتزل خيفة من ان يظهر مقابحه لو خالط الناس فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال
بالعبادة فيتخذ من البيت سترا على مقابحه ابقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير
استغراق وقت في الخلوة بذكر او فكر وعلامة هؤلاء انهم يحبون ان يزاروا ولا يحبون ان
يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين اليهم واجتماعهم على باب احدهم وطرقهم وتقبيلهم
يده على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض اليه المخالطة وزيارة الناس لبغض اليه
زيارتهم له كما حكيناه عن الفضيل حيث قال وهل جئتني الا لأتزين لك وتتزين لي وعن حاتم الاصم
اذ قال للامير الذي زاره حاجتي ان لا اراك ولا تراني فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله فاعتزاله
عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس لان قلبه متجرد للالتفات الى نظرهم بعين الوقار و
الاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه احدها ان التواضع والمخالطة لا ينقص من منصب
من هو كبير بعلمه او دينه اذ كان علي رضي الله عنه يحمل التمر والملح في ثوبه ويده ويقول لا ينقص الكامل
من كماله ما جر من نفع الى عياله وكان ابو هريرة وحذيفة وابي وابن مسعود يحملون حزم الحطب
وجراب الدقيق وغيره على ظهورهم وكان ابو هريرة يقول وهو والي المدينة والحطب على رأسه طرقوا للامير
وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشتري الشيء فيحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه اعطني
فيقول صاحب المتاع احق بحمله وكان الحسين بن علي رضي الله عنهما يمر بالسؤال وبين ايديهم كسر فيقولون
هلم الى الغداء يا ابن رسول الله وكان يجلس على الطريق ويأكل معهم ويقول ان الله لا يحب المستكبرين
الوجه الثاني ان الذي شغل نفسه بطلب رضى الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لانه لو عرف
حق المعرفة علم ان الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا وان ضرره ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار سواه وان
من طلب رضى الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس بل رضى الناس غاية لا تدرك

فرضى الله اولى بالطلب ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه ليونس بن عبد الاعلى والله ما اقول
لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس سبيل فانظر الى ما يصلحك فافعله ولذلك قيل
من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور ونظر سهل الى واحد من اصحابه فقال اعمل كذا
وكذا فقال يا استاذ لا اقدر عليه لاجل الناس فالتفت الى اصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة من
هذا الامر حتى يكون باحد وصفين عبد تسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا الا خالقه وان
احدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي باي حال يرونه قال
الشافعي ليس من احد الا له محب ومبغض فان كان هكذا فكن مع اهل طاعة الله وقيل للحسن يا
ابا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات كلامك وتعنتك في السؤال فتبسم وقال للسائل
هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسي بالسلامة
من الناس لاني قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم وقال موسى عليه السلام احبس عني
السنة الناس فقال هذا شيء لم اصطفه لنفسي فكيف افعله بك واوحى الله تعالى الى عزير ان لم
تطب نفسا بان اجعلك علكا في افواه الماضغين لم اكتبك عندي من المتواضعين فاذن من حبس
نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس فيه فهو في عناء ظاهر حاضر في الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر
لو كانوا يعلمون فاذن لا يستحب العزلة الا لمستغرق الاوقات بربه ذكرا او فكرا او عبادة وعلما بحيث لو
خالط الناس لضاعت اوقاته او كثرت آفاته وتشوشت عليه عباداته فهذه من غوائل الخفية في اختيار
العزلة فينبغي ان يتقى فانها مهلكات في صور منجيات الفائدة السابعة التجارب فانها تستفاد
من مخالطة الخلق ومجاري احوالهم والعقل الغريزي ليس كافيا في تفهم مصالح الدين والدنيا وانما
يفيدها التجربة والممارسة ولا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب فالصبي اذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي
ان يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج اليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل بقية التجارب
بسماع الاحوال فلا يحتاج الى المخالطة ومن اهم التجارب ان يجرب نفسه واخلاقه وصفات باطنه وذلك
لا يقدر عليه في الخلوة فان كل مجرب في الخلاء يسر وكل غضوب او حقود او حسود اذا خلي ونفسه لم يترشح
منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في انفسها او يجب اماطتها وقهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثل
القلب المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتلئ بالقيح والمدة وقد لا يحس صاحبه بالمه ما لم يتحرك او
او يمسه غيره فان لم يكن له يد تمسه او عين تبصر صورته ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة و
لم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد فقده ولكن لو حركه محرك او اصابه مشرط حجام لانفجر منه القيح وفار فوران
الشيء المختنق المحتقن اذا حبس عن الاسترسال فكذلك القلب المشحون بالبخل والحقد والغضب وسائر
الاخلاق الذميمة انما تنفجر منه خبائثه اذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكية
القلوب يجربون انفسهم فمن كان يستشعر في نفسه كبرا كان يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس او حزمة
حطب على رأسه ويتردد في الاسواق ليجرب به نفسه فان غوائل النفس ومكايد الشيطان خفية قلما يتفطن
لها ولذلك حكي عن واحد انه قال اعدت صلوة ثلاثين سنة مع اني كنت اصليها في الصف الاول ولكن تخلفت
يوما بعذر فما وجدت موضعا في الصف الاول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من
نظر الناس الي وقد سبقت في الصف الاول فعلمت ان جميع صلوتي كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة
نظر الناس الي ورؤيتهم اياي في زمرة السابقين الى الخير فالمخالطة لها فائدة ظاهرة في استخراج الخبائث

ولظهارها ولذلك قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانه نوع من المخالطة دائمة وستاتى غوائل هذه
المعانى ودقايقها فى ربع المهلكات فان بالجهل يحبط العمل الكثير وبالعلم يزكو العمل القليل ولولا
ذلك لما فضل العلم على العمل اذ يستحيل ان يكون العلم بالصلوة ولا يراد الا للصلوة افضل من الصلوة فانا نعلم ان
ما يراد لغيره فذلك الغير اشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل
من اصحابى فمعنى تفضيل العلم يرجع الى ثلاثة اوجه احدها ما ذكرناه والثانى عموم نفعه اذ يتعدى
فائدته والعمل لا يتعدى والثالث ان يراد به العلم بالله وصفاته وافعاله فذلك افضل من كل عمل بل مقصود
الاعمال صرف القلوب عن الخلق الى الخالق لينبعث بعد الانصراف اليه لمعرفته ومحبته فالعمل وعلم العمل
يراد لهذا العلم وهذا العلم غاية المريدين والعمل كالشرط له واليه الاشارة بقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه فالكلم الطيب هو هذا العلم والعمل كالحمال الرافع له الى مقصده فيكون المرفوع افضل من الرافع
وهذا كلام معترض لا يليق بهذا الكلام فلنرجع الى المقصود فنقول اذا عرفت فوايد العزلة وغوائلها تحققت
ان الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا واثباتا خطأ بل ينبغى ان ينظر الى الشخص وحاله والى الخليط وحاله و
الى الباعث على مخالطته والى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة فيه ويقاس الفائت بالحاصل
فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل وكلام الشافعى رضى الله عنه هو فصل الخطاب اذ قال يا يونس الانقباض
عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط فكذلك يجب
الاعتدال فى المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالاحوال وبملاحظة الفوائد والافات يتبين الافضل هذا
هو الحق الصريح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها فلا يجوز
ان يحكم بها على غيره المخالف له فى الحال والفرق بين العالم والصوفى فى ظاهر العلم يرجع الى هذا وهو ان الصوفى
لا يتكلم الا عن حاله فلا جرم ان يختلف اجوبتهم فى المسائل والعالم هو الذى يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر
الى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك مما لا يختلف فان الحق واحد ابدا والقاصر عن الحق كثير لا ينحصر و
لذلك سئل الصوفية عن الفقر فما من واحد الا واجاب بجواب اخر وكل ذلك حق بالاضافة الى حاله وليس بحق
فى نفسه اذ الحق لا يكون الا واحدا ولذلك قال ابو عبد الله الجلاء وقد سئل عن الفقر فقال اضرب بكمك
الحائط وقل ربى الله فهو الفقر وقال الجنيد الفقير هو الذى لا يسال ولا يعارض وان عورض سكت وقال
سهل بن عبد الله الفقير الذى لا يسال ولا يدخر وقال اخر هو ان لا يكون لك فاذا كان لك لا يكون لك من
حيث لم يكن لك وقال ابرهيم الخواص هو ترك الشكوى واظهار اثر البلوى والمقصود انه لو سئل
منهم مائة سمع منهم مائة جواب مختلفة قلما يتفق منها اثنان وذلك كله حق من وجه فانه خبر كل واحد عن حاله
وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت لاحدهما الصحبة قدما فى التصوف ويثنى عليه بل كل واحد
يدعى انه الواصل الى الحق والواقف عليه لان اكثر ترددهم على مقتضى الاحوال التى تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون
الا بانفسهم ولا يلتفتون الى غيرهم ونور العلم اذا اشرق احاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف
ومثال نظر هولاء ما رايت من نظر قوم فى ادلة الزوال بالنظر فى الظل فقال بعضهم هو فى الصيف قدمان
وحكى عن اخر انه نصف قدم وهو يرد عليه وانه فى الشتاء سبعة اقدام وحكى عن اخر انه خمسة اقدام واخر
يرد عليه فهذا يشبه اجوبة الصوفية واختلافهم فان كل واحد من هولاء اخبر عن الظل الذى رآه ببلد نفسه
وصدق فى قوله واخطا فى تخطئة صاحبه اذ ظن ان العالم كله بلده وهو مثل بلده كما ان الصوفى لا يحكم على
العالم الا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذى يعرف طول الظل وقصره وعلة اختلافه بالبلاد فيخبر

باحكام مختلفة فى بلاد مختلفة ويقول فى بعضها لا يبقى ظل وفى بعضها يطول وفى بعضها يقصر فهذا
ما اردنا ان نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة فان قلت فمن آثر العزلة ورآها افضل له واسلم فما ادابه
فى العزلة فنقول انما يطول النظر فى اداب المخالطة وقد ذكرناها فى كتاب الصحبة واما اداب العزلة
فلا يطول فينبغى للمعتزل ان ينوى بعزلته كف شره عن الناس اولا ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثانيا
ثم الخلاص من افة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعا فهذه
اداب نيته ثم ليكن فى خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتنى ثمرة العزلة وليمنع الناس
عن ان يكثروا غشيانه وزيارته فيتشوش اكثر وقته وليكف عن السؤال عن اخبارهم وعن الاصغاء الى
اراجيف البلد وما الناس مشغولون به فان كل ذلك ينغرس فى القلب حتى ينبعث فى اثناء الصلوة
او الذكر من حيث لا يحتسب فوقوع الاخبار فى السمع كوقوع البذر فى الارض فلا بد ان ينبت ويتفرع
عروقها واغصانها ويتداعى بعضها الى البعض واحد مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر
الله والاخبار ينابيع الوساوس واصولها وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع الى
الناس واحتاج الى مخالطتهم وليكن صبورا على ما يلقاه من اذى الجيران وليسد سمعه عن الاصغاء
الى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة او قدح فيه بترك الخلطة فان كل ذلك يؤثر فى القلب ولو مدة
يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد ان يكون واقفا عن سيره فى طريق الاخرة فان السير اما بالمواظبة على
ورد وذكر مع حضور قلب واما بالفكر فى صفات الله وجلاله وافعاله وملكوت سمواته واما بالتأمل
فى دقائق الاعمال ومفسدات القلوب وطرق التخلص منها وكل ذلك يستدعى الفراغ والاصغاء الى
جميع ذلك مما يشوش القلب فى الحال وقد يتجدد ذكره فى دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له اهل صالحة او
جليس صالح لتستريح نفسه اليه فى اليوم ساعة عن كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات
ولا يتم له الصبر فى العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر
الامل بان لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسى ويمسى على انه لا يصبح فيسهل عليه
صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخى الاجل وليكن كثير الذكر للموت و
وحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق ان من لم يحصل فى قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يانس
به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وان من انس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت انسه اذ لا
يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وانسه فرحا بفضل الله تعالى عليه ورحمته كما قال
تعالى فى الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين
بما اتيهم الله من فضله وكل متجرد لله فى جهاد نفسه فهو شهيد مهما ادركه الموت فالمجاهد من جاهد
نفسه وهواه كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد الاكبر جهاد النفس كما قال
للصحابة رضى الله عنهم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر والله اعلم بالصواب

كتاب اداب السفر وهو الكتاب السابع من احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى فتح بصائر اوليائه بالحكم
والعبر واستخلص هممهم لمشاهدة عجائب صنعه فى الحضر والسفر فاصبحوا راضين بمجارى القدر منزهين
قلوبهم عن التلفت الى متنزهات البصر الا على سبيل الاعتبار بما يسنح فى مسارح النظر ومجارى
الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر والصلوة والسلام على محمد سيد

البشر وعلى آله وأصحابه المقتفين لآثاره في الأخلاق والسير **أما بعد** فإن السفر وسيلة
إلى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول إلى المرغوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر
والوطن إلى الصحارى والفلوات وسفر بسير القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السماوات و
أشرف السفرين السفر الباطن فإن الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقيب الولادة الجامد
على ما تلقفه بالتقليد من الآباء والأجداد لازم درجة القصور وقانع برتبة النقص و
مستبدل بمتسع فضاء عرض السماوات والأرض ظلمة السجن وضيق الحبس **شعر**
ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام إلا أن هذا السفر مقتحمه مخطر خطير
لم يستغن فيه عن دليل وخفير فاقتضى غموض السبيل وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن
الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندراس مسالكه فانقطع فيه الرفاق وخلا عن الطائفين
متنزهات الأنفس والملكوت والآفاق وإليه دعا الله سبحانه بقوله سنريهم آياتنا في الآفاق
وبقوله وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وعلى القعود عن هذا السفر وقع
الإنكار بقوله تعالى وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون وبقوله تعالى وكأين
من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون فمن يسر له هذا السفر لم يزل في
سفره متنزها في جنة عرضها السماوات والأرض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن فهو
السفر الذي لا تضيق فيه المناهل والموارد ولا يضر فيه التزاحم والتوارد بل تزيد بكثرة المسافرين
غنائمه وتتضاعف ثمراته وفوائده وغنائمه دائمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة
إلا إذا بدا للمسافر فترة في سفره ووقفة في حركته فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم
ومن لم يؤهل للجولان في هذا الميدان والتطواف في متنزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه
في مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنما بها تجارة للدنيا أو ذخيرة للآخرة فإن كان مطلبه العلم والدين
أو الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكي سبيل الآخرة وكان له في سفره شروط وآداب
إن أهملها كان من عمال الدنيا وأتباع الشيطان وإن واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال
الآخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين إن شاء الله تعالى

الباب الأول

في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان الفصل الأول
في فوائد السفر وفضله ونيته اعلم أن السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله آفات كما ذكرنا
في كتاب آداب الصحبة والعزلة والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب فإن المسافر
إما أن يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه وإما أن يكون له مقصد ومطلب
والمهروب عنه إما أمر له نكاية في الأمور الدنيوية كالطاعون والوباء إذا ظهر ببلد أو خوف سببه
فتنة أو خصومة أو غلاء سعر وهو إما عام كما ذكرناه أو خاص كمن يقصد بأذية في بلدة فيهرب
منها وإما أمر له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلده بجاه ومال واتساع أسباب يصده عن التجرد لله
فيؤثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه أو كمن يدعى إلى بدعة قهرا أو إلى ولاية عمل لا يحل
مباشرته فيطلب الفرار منه وأما المطلوب فهو إما دنيوي كالمال والجاه أو ديني والديني
إما علم أو عمل والعلم إما علم من العلوم الدينية وإما علم بأخلاقه وصفاته على سبيل التجربة وإما علم
بآيات الأرض وعجائبها كسفر ذي القرنين وطوافه في نواحي الأرض والعمل إما عبادة أو زيارة

والعبادة هي الحج والجهاد والزيارة أيضا من القربات وقد تقصد بها العلماء والأولياء وهم إما موتى
فتزار قبورهم وإما أحياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر إلى أحوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم
فهذه هي أقسام السفر ويخرج من هذه القسمة أقسام الأول السفر **في طلب العلم** وهو إما واجب
وإما نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا أو نفلا وذلك العلم إما علم بأمور دينه أو بأخلاقه في نفسه أو
بآيات الله في أرضه وقد قال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله عز وجل
حتى يرجع وفي خبر آخر من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وكان سعيد بن المسيب
يسافر الأيام في طلب الحديث الواحد وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدله على
هدى ما كان سفره ضائعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا
في حديث بلغه عن عبد الله بن أنيس الأنصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعه
وقل مذكور في العلم محصل له من زمان الصحابة إلى زماننا إلا وحصل العلم بالسفر وسافر لأجله وأما علمه
بنفسه وأخلاقه فذلك أيضا مهم فإن طريق الآخرة لا يمكن سلوكه إلا بتحسين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع
على أسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وإنما السفر هو الذي يسفر عن الأخلاق وبه يخرج
الله الخبء في السماوات والأرض وإنما سمي السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق ولذلك قال عمر رضي الله
عنه للذي كان يعرف عنده بعض الشهود هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق فقال
لا فقال ما أراك تعرفه وكان بشر يقول يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فإن الماء إذا كثر مقامه في موضع تغير
وبالجملة فالنفس في الوطن مع مواتاة الأسباب لا يظهر خبائث أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها
من المألوفات المعهودة فإذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة
انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوائد المخالطة
والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق وأما آيات الله في أرضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر ففيها
قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري والبحار وأنواع الحيوان والنبات وما من شيء إلا وهو شاهد لله
تعالى بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه إلا من ألقى السمع وهو شهيد وأما الجاحدون والغافلون
والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فإنهم لا يبصرون ولا يسمعون لأنهم عن السمع لمعزولون وعن آيات
ربهم لمحجوبون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وما أريد بالسمع الظاهر فإن الذين
أريد به ما كانوا معزولين عنه وإنما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات ويشارك
الحيوان فيه الإنسان فأما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال وهو نطق وراء نطق المقال يشبه
قول القائل حكاية لكلام الوتد والحائط قال الجدار للوتد لم تشقني فقال سل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر
الذي ورائي وما من ذرة في السماوات والأرض إلا ولها أنواع شهادات لله سبحانه بالوحدانية هي توحيدها
وأنواع شهادات لصانعها بالتقديس هي تسبيحها ولكن لا يفقهون تسبيحها لأنهم لم يسافروا من مضيق سمع
الظاهر إلى فضاء سمع الباطن ومن ركاكة لسان المقال إلى فصاحة لسان الحال ولو قدر على مثل هذا السير لما كان
سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم مختصا
بسماع كلام الله الذي يجب تقديسه عن مشابهة الحروف والأصوات ومن يسافر ليستقرئ هذه الشهادات
من الأسطر المكتوبة بالخطوط الإلهية على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع و
يفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من آحاد الذرات فما له وللتردد في الفلوات وله غنية في ملكوت

السموات فالشمس والقمر والنجوم مسخرات وهي الى ابصار ذوي البصائر مسافرات في الشهر والسنة مرات
بل هي دائبة في الحركة على توالي الاوقات فمن الغرائب ان يداب في الطواف باحاد المساجد من امرها الكعبة
ان يطوف به ومن الغرائب ان يطوف في اكناف الارض من يطوف به اقطار السماء ثم ما دام المسافر
مفتقرا الى ان يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في المنزل الاول من منازل السائرين
الى الله والمسافرين الى حضرته وكانه معتكف على باب الوطن لم تنهض به السير الى متسع الفضاء ولا
سبب لطول المقام في هذا المنزل الا الجبن والقصور ولذلك قال بعض ارباب القلوب ان الناس
ليقولون افتحوا اعينكم حتى تبصروا وانا اقول غمضوا اعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين حق
الا ان الاول خبر عن المنزل الاول القريب من الوطن والثاني خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن
التي لا يطاها الا مخاطر بنفسه والمجاوز اليها ربما يتيه فيها سنين وربما ياخذ التوفيق بيده فيرشده
الى سواء السبيل والهالكون في التيه هم الاكثرون من ركاب هذه الطرق ولكن السائحين السالكين
بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم وهم الذين سبقت لهم منا الحسنى واعتبر هذا الملك بملك
الدنيا فانه يقل بالاضافة الى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم المطلوب قل المساعد ثم الذي يهلك
اكثر من الذي يملك ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول التعب واذا كانت
النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام وما اودع الله العز والملك في الدين والدنيا الا في متن الخطر
وقد يسمى الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر كما قيل ترى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة النفس اللئيم
فهذا حكم السفر الظاهر اذا اريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الارض فلنرجع الى الغرض الذي كنا
نقصده ولنبين القسم الثاني وهو ان يسافر لاجل العبادة اما لجهاد او حج وقد ذكرنا فضل ذلك
وادابه واعماله الظاهرة والباطنة في كتاب اسرار الحج ويدخل في جملته زيارة قبور الانبياء وقبور
الصحابة والتابعين وسائر العلماء والاولياء وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد
وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة
مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى لان ذلك في المساجد فانها متماثلة بعد هذه
المساجد والا فلا فرق بين زيارة قبور الانبياء وبين الاولياء والعلماء في اصل الفضل وان كان يتفاوت
تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله وبالجملة زيارة الاحياء اولى من زيارة الاموات و
الفائدة من زيارة الاحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر اليهم فان النظر الى وجوه العلماء والصلحاء عبادة
وفيه ايضا تحريك للرغبة في الاقتداء بهم والتخلق باخلاقهم وادابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوائد العلمية المستفادة
من انفاسهم وافعالهم كيف ومجرد زيارة الاخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصحبة وفي التوراة
سر اربعة اميال زر اخا في الله واما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة وسوى الثغور للرباط
بها فالحديث ظاهر في انه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع الا الى المساجد الثلاثة وقد ذكرنا فضائل
الحرمين في كتاب الحج وبيت المقدس ايضا له فضل كبير خرج ابن عمر رضي الله عنه من المدينة قاصدا بيت
المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من الغد الى المدينة وقد سال سليمان على نبينا وعليه الصلوة
والسلام ربه عز وجل ان من قصد هذا المسجد لا يعنيه الا الصلوة فيه ان لا تصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه حتى
يخرج منه وان تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته امه فاعطاه الله ذلك القسم الثالث ان يكون السفر للهرب
من مشوش للدين وذلك ايضا حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين ومما يجب الهرب منه الولاية

والجاه وكثرة العلائق والاسباب فان ذلك يشوش فراغ القلب والدين لا يتم الا بالقلب الفارغ من غير الله فان
لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور ان يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهماتها والحاجات الضرورية
ولكن يتصور تخفيفها وتثقيلها وقد نجا المخفون وهلك المثقلون والحمد لله الذي لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق
عن جميع الاوزار والاعباء بل قبل المخف بفضله وشمله بسعة رحمته والمخف هو الذي ليست الدنيا اكبر همه و
ذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علائقه فلا يتم مقصوده الا بالغربة والخمول وقطع العلائق
التي لا بد عنها حتى يروض نفسه مدة ثم ربما يمده الله بمعونته فينعم عليه بما يقوي به نفسه ويطمئن به قلبه فيستوي
عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الاسباب والعلائق وعدمها فلا يصده شيء منها عما هو
بصدده من ذكر الله وذلك مما يعز وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع
للخلق والخالق وانما يسعد بهذه القوة الانبياء والاولياء والوصول اليها بالكسب شديد وان كان
للاجتهاد والكسب فيه مدخل ايضا ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه تفاوت القوة الظاهرة في الاعضاء
فرب رجل قوي ذي مرة سوي شديد الاعصاب محكم البنية يستقل بحمل ما وزنه الف رطل مثلا فلو
اراد الضعيف المريض ان ينال رتبته بممارسة الحمل والتدريج فيه قليلا قليلا لم يقدر عليه ولكن الممارسة
والجهد تزيد في قوته زيادة ما وان كان ذلك لا يبلغه درجته فلا ينبغي ان يترك الجهد عند الياس عن
الرتبة العليا فان ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف مفارقة الوطن خيفة من الفتن
قال سفيان الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل فكيف على المشهورين هذا زمان رجل ينتقل من
بلد الى بلد كلما عرف في موضع تحول الى غيره وقال ابو نعيم رايت سفيان الثوري وقد علق قلته بيده ووضع
جرابه على ظهره فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال قد بلغني عن قرية فيها رخص اريد ان اقيم بها فقيل وتفعل هذا
قال نعم اذا بلغك ان قرية فيها رخص فاقم بها فانه اسلم لدينك واقل لهمك وهذا هرب من غلاء السعر وكان
سري السقطي يقول للصوفية اذا خرج الشتاء فقد خرج اذار واورقت الاشجار وطاب الانتشار فانتشروا وكان
ابرهيم الخواص لا يقيم في بلد اكثر من اربعين يوما وكان من المتوكلين ويرى الاقامة اعتمادا على الاسباب
قادحا في التوكل القسم الرابع السفر هربا مما يقدح في البدن كالطاعون او في المال كغلاء السعر او ما يجري
مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب الفرار في بعض المواضع وربما يستحب في بعض المواضع بحسب وجوب ما يترتب
عليه من الفوائد واستحبابه ولكن يستثنى منه الطاعون فلا ينبغي ان يفر منه لورود النهي فيه قال اسامة بن
زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الوجع او السقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم ثم بقي بعد في الارض
فيذهب المرة ويأتي الاخرى فمن سمع به في ارض فلا يقدمن عليه ومن وقع بارض وهو بها فلا يخرجنه الفرار
منه وقالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فناء امتي بالطعن والطاعون فقلت هذا
الطعن قد عرفناه فما الطاعون قال غدة كغدة البعير تاخذهم في مراقهم المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه
المحتسب كالمرابط في سبيل الله والفار منه كالفار من الزحف وعن مكحول عن ام ايمن قالت اوصى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعض اهله لا تشرك بالله شيئا وان عذبت او خوفت اطع والديك وان امراك
ان تخرج من كل شيء هو لك فاخرج منه لا تترك الصلوة عمدا فقد برئت منه ذمة الله اياك والخمر فانها
مفتاح كل شر اياك والمعصية فانها تسخط الله لا تفر من الزحف وان اصاب الناس موتان وانت فيهم فاثبت
فيهم انفق من طولك على اهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم اخفهم الله فهذه الاحاديث تدل على ان الفرار من
الطاعون منهي عنه وكذا القدوم عليه وسياتي شرح ذلك في كتاب التوكل فهذه اقسام الاسفار وقد خرج منه

ان السفر ينقسم الى مذموم والى محمود والى مباح والمذموم ينقسم الى حرام كاباق العبد وسفر العاق والى
مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم الى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم
والى مندوب اليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم ومن هذه الاسباب يتبين النية في السفر فان معنى النية
الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لاجابة الداعية ولتكن نية الاخرة في جميع اسفاره وذلك ظاهر في
الواجب والمندوب ومحال في المكروه والمحظور فاما المباح فمهما كان قصده بطلب المال مثلا التعفف
عن السؤال ورعاية ستر المروة على الاهل والعيال والتصدق بما فضل من مبلغ الحاجات صار هذا المباح
بهذه النية من اعمال الاخرة ولو خرج الى الحج وباعثه الرياء والسمعة خرج عن كونه من اعمال الاخرة فقوله
صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات عام في الواجبات والمباحات دون المحظورات فان النية لا تؤثر في
اخراجها عن كونها محظورة وقد قال بعض السلف ان الله قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون الى مقاصدهم
فيعطى كل واحد على نحو نيته فمن كانت نيته الدنيا اعطى منها ونقص من اخرته اضعافه وفرق عليه همه و
كثر بالحرص والرغبة شغله ومن كانت نيته الاخرة اعطى من البصيرة والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة
بقدر نيته وجمع له همه ودعت له الملائكة واستغفرت واما النظر في ان السفر هو الافضل او الاقامة
فيضاهي النظر في ان الافضل هو العزلة او المخالطة وقد ذكرنا منهاجه في كتاب العزلة فليفهم هذا منه فان
السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب في حق الاكثرين والافضل هو
الاعون على الدين ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله وتحصيل الانس بذكر الله والانس يحصل
بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين
على التعلم في الابتداء والاقامة هي المعينة على العمل بالعلم في الانتهاء فاما السياحة في الارض على
الدوام فمن المشوشات للقلب الا في حق الاقوياء فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله فلا يزال
المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله وتارة بمفارقة ما الفه واعتاده في اقامته
وان لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف الى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب
الفقر وتارة يقوى باستحكام اسباب الطمع ثم الشغل بالحط والترحال مشوش لجميع الاحوال فلا
ينبغي ان يسافر المريد الا في طلب علم او مشاهدة شيخ يقتدى به في سيرته ويستفاد الرغبة في الخير
من مشاهدته فان اشتغل بنفسه واستبصر وانفتح له طريق الفكر او العمل فالسكون اولى به الا ان اكثر متصوفة
هذه الاعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف الافكار ودقائق الاعمال ولم يحصل لهم انس بالله تعالى
وتذكره في الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين قد الفوا البطالة واستثقلوا العمل
واستوعروا طريق الكسب واستلانوا جانب السؤال والكدية واستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد
واستسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم واديانهم من حيث لم يكن قصدهم
من الخدمة الا الرياء والسمعة وانتشار الصيت واقتناص الاموال بطريق السؤال تعللا بكثرة الاتباع فلم
يكن لهم في الخانقاهات حكم نافذ ولا تاديب للمسافرين نافع ولا حجر عليهم قاهر فلبسوا المرقعات
واتخذوا من الخانقاهات متنزهات وربما تلقفوا الفاظا مزخرفة من اهل الطامات فينظرون الى
انفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقتهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعبارتهم وفي اداب ظاهرة من سيرتهم
فيظنون بانفسهم خيرا ويحسبون ان كل سوداء تمرة ويتوهمون ان المشاركة في الظواهر توجب
المساهمة في الحقائق وهيهات فما اغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم فهؤلاء بغضاء الله فان

الله يبغض الشاب الفارغ ولم يحملهم على السياحة الا الشباب والفراغ الا من سافر لحج او عمرة في
غير رياء ولا سمعة او سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الان
والامور الدينية كلها قد فسدت وضعفت الا التصوف فانه قد انمحق بالكلية وبطل لان
العلوم لم تندرس بعد والعالم وان كان عالم سوء فانما فساده في سيرته لا في علمه فيبقى عالما
غير عامل بعلمه والعمل غير العلم واما التصوف فانه عبارة عن تجرد القلب لله واستحقار ما سوى
الله وحاصله يرجع الى عمل القلب والجوارح ومهما فسد العمل فات الاصل وفي اسفار هؤلاء
نظر للفقهاء من حيث انه اتعاب نفس بلا فائدة وقد يقال ان ذلك ممنوع ولكن الصواب
عندنا ان نحكم بالاباحة فان حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة
وهذه الحظوظ وان كانت خسيسة فنفوس المتحركين بهذه الحظوظ ايضا خسيسة ولا باس باتعاب
حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود اليه فهو المتاذي وهو المتلذذ والفتوى تقتضي تسليط
العوام في المباحات التي لا نفع فيها ولا ضرر فالسائحون من غير مهم في الدين والدنيا بل لمحض التفرج
في البلاد كالبهائم المترددة في الصحارى فلا باس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على
الخلق حالهم وانما عصيانهم في التلبيس والسؤال على اسم التصوف والاكل من الاوقاف التي وقفت
على الصوفية لان الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات اخرى وراء الصلاح ومن اقل
احوال هؤلاء اكلهم اموال السلاطين واكل الحرام من الكبائر فلا تبقى معه العدالة والصلاح ولو تصور
صوفي فاسق لتصور صوفي كافر وفقيه يهودي وكما ان الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي
عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذي يحصل به العدالة فكذلك من نظر الى ظواهرهم
ولم يعرف بواطنهم واعطاهم من ماله على سبيل التقرب الى الله حرم عليهم الاخذ وكان ما اكلوه سحتا وعني
به اذا كان المعطي بحيث لو عرف بواطن احوالهم ما اعطاهم فاخذ المال باظهار التصوف من غير
اتصاف بحقيقته كاخذه باظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ومن زعم انه
علوي وهو كاذب واعطاه مسلم مالا لحب اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى و
لو علم انه كاذب لم يعطه شيئا فاخذه عليه حرام وكذلك الصوفي ولهذا احترز المحتاطون عن الاكل بالدين
فان المبالغ في الاحتياط لدينه لا ينفك في باطنه عن عورات لو انكشفت للراغب في مواساته لفترت رغبته
عن المواساة فلا جرم كانوا لا يشترون شيئا بانفسهم مخافة ان يسامحوا لاجلهم فيكونوا اكلين بالدين وكانوا يوكلون
ويشترطون على الوكيل ان لا يظهر انه لمن يشتري نعم انما يحل اخذ ما يعطى لاجل الدين اذا كان الاخذ بحيث لو علم
المعطي من باطنه ما يعلمه الله لم يقتض ذلك فتورا في رايه فيه والعاقل المنصف يعلم من نفسه ان ذلك
ممتنع او عزيز والمغرور الجاهل بنفسه حري بان يكون جاهلا بامر دينه فان اقرب الاشياء الى قلبه قلبه
فاذا التبس عليه امر قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة ان لا ياكل
الا من كسبه ليامن من هذه الغائلة او لا ياكل الا من مال من يعلم قطعا انه لو انكشف له عورات باطنه لم يمنعه
عن مواساته فان اضطر طالب الحلال ومريد طريق الاخرة الى اخذ مال غيره فليصرح له وليقل انك ان
كنت تعطيني لما تعتقد في من الدين فلست مستحقا لذلك ولو كشف الله ستري لم ترني بعين التوقير بل اعتقدت
اني شر الخلق او من شرارهم فان اعطاه مع ذلك فلياخذ فانه ربما يرضى منه هذه الخصلة وهو اعترافه على نفسه
بركاكة الدين وعدم استحلاله لما ياخذه ولكن ههنا مكيدة للنفس ومخادعة فليتفطن لها وهو انه قد يقول

ذلك مظهرا انه متشبه بالصالحين في ذمهم لنفوسهم واستحقارهم لها ونظرهم اليها بعين المقت والازدراء
فيكون صورة الكلام صورة القدح والازدراء وباطنه وروحه هو المدح والاطراء فكم من ذام لنفسه
وهو لها مادح بعين ذلك فذم النفس في الخلوة مع النفس هو المحمود فاما الذم في الملاء فهو عين الرياء الا
اذا اورده ايرادا يحصل للمستمع يقينا بانه مقترف للذنوب ومعترف بها وذلك مما يمكن تفهيمه بقراين
الاحوال والصادق بينه وبين الله يعلم ان مخادعته لله او مخادعته لنفسه محال فلا يتعذر الاحتراز
عن امثال ذلك فهذا هو القول في اقسام السفر ونية المسافر وفضله

الفصل الثاني في اداب المسافر

من اول نهوضه الى اخر رجوعه وهي احد عشر ادبا الاول ان يبدا برد المظالم وقضاء الديون واعداد
النفقة لمن يلزمه نفقته ورد الودايع ان كانت عنده ولا ياخذ لزاده الا الطيب الحلال وليأخذ قدرا
يوسع به على رفقائه قال ابن عمر رضي الله عنه من كرم الرجل طيب زاده في سفره ولا بد في السفر من طيب
الكلام واطعام الطعام ومن اظهار مكارم الاخلاق فان السفر يخرج خبايا الباطن ومن صلح لصحبة
السفر صلح لصحبة الحضر وقد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر ولذلك قيل اذا اثنى على الرجل معاملوه
في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه والسفر من اسباب الضجر ومن احسن خلقه في الضجر
فهو الحسن الخلق والا فعند مساعدة الامور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق وقد قيل ثلاثة لا
يلامون على الضجر الصائم والمريض والمسافر وتمام خلق المسافر الاحسان الى المكاري ومعاونة
الرفقة بكل ممكن وبالرفق بكل منقطع بان لا يجاوزه الا باعانة بمركوب او زاد وتوقف لاجله وتمام ذلك
مع الرفقاء بمزاح ومطايبة في بعض الاوقات من غير فحش ومعصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر و
مشاقه الثاني ان يختار رفيقا فلا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين
فيذكره اذا نسي ويعينه ويساعده اذا ذكر فان المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل الا بخليله وقد
نهى صلى الله عليه وسلم عن ان يسافر الرجل وحده وقال الثلاثة نفر واذا كنتم ثلاثة في سفر فامروا احدكم
وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هو امير امره رسول الله صلى الله عليه وسلم وليؤمروا احسنهم اخلاقا وارفقهم بالاصحاب
واسرعهم الى الايثار وطلب الموافقة وانما يحتاج الى الامير لان الاراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح
السفر ولا نظام الا في الوحدة ولا فساد الا من الكثرة وانما انتظم امر العالم لان مدبر الكل واحد ولو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا ومهما كان المدبر واحدا انتظم التدبير واذا كثر المدبر فسدت الامور في السفر والحضر الا ان مواطن
الاقامة لا تخلو عن امير عام كامير البلد وامير خاص كرب الدار واما السفر فلا يتعين له امير الا بالتامير فلهذا وجب
التامير ليجمع شتات الاراء ثم على الامير ان لا ينظر الا لمصلحة القوم وان يجعل نفسه وقاية لهم كما نقل عن عبد الله المروزي
انه صحبه ابو علي الرباطي فقال على ان تكون انت الامير ام انا فقال بل انت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه
ولابي علي على ظهره فامطرت السماء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على راس رفيقه وفي
يده كساء يمنع عنه المطر فكلما قال له عبد الله لا تفعل يقول الم تقل ان الامارة مسلمة لك فلا تتحكم
علي ولا ترجع عن قولك حتى قال ابو علي وددت اني مت ولم اقل له انت الامير فهكذا ينبغي ان
يكون الامير وقد قال صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب اربعة وتخصيص الاربعة من بين سائر
الاعداد لا بد ان يكون له فائدة والذي ينقدح فيه ان المسافر لا يخلو عن رحل يحتاج الى حفظه
وعن حاجة يحتاج الى التردد فيها ولو كانوا ثلاثة لكان المتردد في الحاجة واحدا فيتردد في السفر بلا
رفيق فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد انس الرفيق ولو تردد في الحاجة اثنان لكان الحافظ للرحل واحدا

للرحل وحده فلا يخلو عن خطر وعن ضيق الصدر فاذن ما دون الاربعة لا يفي بالمقصود وما
فوق الاربعة يزيد فلا يجمعهم رابطة واحدة فلا ينعقد بينهم الترافق لان الخامس زيادة بعد الحاجة
ومن يستغني عنه لا يصرف الهمة اليه فلا يتم المرافقة معه نعم في كثرة الرفاق فائدة للامن من المخاوف
ولكن الاربعة خير للرفاقة الخاصة لا للرفاقة العامة وكم من رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا
يخالط الى اخر الطريق للاستغناء عنه الثالث ان يودع رفقاء الحضر والاهل والاصدقاء وليدع عند الوداع
بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم صحبت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة الى المدينة فلما اردت
ان افارقه شيعني وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال لقمان ان الله عز وجل اذا استودع شيئا
حفظه واني استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وروى زيد بن ارقم عن رسول الله صلى الله عليه و
سلم انه قال اذا اراد احدكم سفرا فليودع اخوانه فان الله تبارك وتعالى جاعل له في دعائهم البركة وعن عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى وغفر
ذنبك ووجهك للخير حيث توجهت فهذا دعاء المقيم للمودع وقال موسى بن وردان اتيت ابا هريرة اودعه لسفر
اردته فقال الا اعلمك يا ابن اخي شيئا علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع فقلت بلى قال قل استودع
الله الذي لا تضيع ودائعه وعن انس بن مالك ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني اريد سفرا فاوصني
فقال له في حفظ الله وفي كنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت او اينما كنت شك
فيه الراوي وينبغي اذا استودع الله ما يخلفه ان يستودع الجميع ولا يخصص فقد روي ان عمر رضي الله عنه كان
يعطي الناس عطاياهم اذ جاء رجل معه ابن له فقال له عمر ما رايت احدا اشبه باحد من هذا بك فقال الرجل احدثك
عنه يا امير المؤمنين باني اردت ان اخرج الى سفر وامه حامل به فقالت تخرج وتدعني على هذه الحال فقلت
استودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت فاذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا نار على قبرها فقلت للقوم
ما هذه النار فقالوا من قبر فلانة نراها كل ليلة فقلت والله انها كانت صوامة قوامة فاخذت المعول حتى انتهينا
الى القبر فحفرنا فاذا سراج واذا هذا الغلام يدب فقيل لي ان هذه وديعتك ولو كنت استودعت امه لوجدتها
فقال عمر رضي الله عنه لهو اشبه بك من الغراب بالغراب الرابع ان يصلي قبل السفر صلاة الاستخارة كما وصفناه في كتاب
الصلاة ووقت الخروج يصلي لاجل السفر فقد روى انس بن مالك ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني
نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فالى اي الثلاثة ادفعها الى ابني ام اخي ام ابي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما استخلف
عبد في اهله من خليفة احب الى الله من اربع ركعات يصليهن في بيته اذا شد عليه ثياب سفره يقرا فيهن بفاتحة
الكتاب وقل هو الله احد ثم يقول اللهم اني اتقرب بهن اليك فاخلفني بهن في اهلي ومالي فهي خليفته في اهله
وماله وحرز حول داره حتى يرجع الى اهله الخامس اذا حصل على باب الدار فليقل بسم الله توكلت على الله لا حول
ولا قوة الا بالله رب اعوذ بك ان اضل او اذل او اظلم او اجهل او يجهل علي فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت
وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به
وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما
توجهت وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه فاذا ركب الدابة فليقل بسم الله وبالله والله اكبر توكلت
على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما
كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون فاذا استوت الدابة تحته فليقل الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا
لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور السادس ان يرحل من المنازل

بكرة وروى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس وقال اللهم بارك لامتي في بكورها ويستحب ان
يبتدئ بالخروج يوم الخميس فقد روى كعب بن مالك عن ابيه قال قل ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج
الى سفر الا يوم الخميس وروى انس انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لامتي في بكورها يوم السبت وكان
عليه الصلوة والسلام اذا بعث سرية بعثها اول النهار وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك
لامتي في بكورها يوم خميسها وقال عبد الله بن عباس اذا كان لك الى رجل حاجة فاطلبها اليه نهارا ولا
تطلبها ليلا واطلبها بكرة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم بارك لامتي في بكورها ولا
ينبغي ان يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب اليها فكان اوله من
اسباب وجوبها والتشييع للوداع مستحب وهو سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اشيع مجاهدا
في سبيل الله فاكنفه على رحله غدوة او روحة احب الي من الدنيا وما فيها السابع ان لا ينزل حتى يحمى النهار
فهو السنة ويكون اكثر سيره في الليل قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا
تطوى بالنهار ومهما اشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع
وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسالك خير هذا
المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم فاذا نزل المنزل فليصل
فيه ركعتين ثم ليقل اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا
جن عليه الليل يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ
بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن ساكني البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل و
النهار وهو السميع العليم ومهما علا نشزا من الارض في وقت السير ينبغي ان يقول اللهم لك الشرف على كل
شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس
رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت الثامن ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج
القافلة لانه ربما يغتال وينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام في ابتداء
الليل في السفر افترش ذراعه وان نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل راسه في كفه والغرض من ذلك
ان لا يستثقل في النوم فيطلع الشمس وهو نائم لا يدري فيكون ما يفوته من الصلوة افضل مما يطلبه في سفره
والمستحب بالليل ان يتناوب الرفقاء في الحراسة فاذا نام واحد حرس آخر فهو السنة ومهما قصده عدو او سبع
في ليل او نهار فليقرا آية الكرسي وشهد الله انه لا اله الا هو وسورة الاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله
ما شاء الله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا ياتي بالخيرات الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي
الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز
تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام
اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك واماءك برافة
ورحمة انك انت ارحم الراحمين التاسع ان يرفق بالدابة ان كان راكبا فلا يحملها ما لا تطيق ولا يضرب في وجهها
فانه منهي عنه ولا ينام عليها فانه يثقل بالنوم وتتاذى به الدابة كان اهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة وقال
صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك فهو
سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكتري بشرط ان لا ينزل ويوفي الاجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك
محسنا الى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لا في ميزان المكاري ومن آذى البهيمة بضرب او حمل ما لا يطيق طولب به يوم

لا قوة الا بالله صح

القيامة اذ في كل كبد حرى اجر وقال ابو الدرداء لبعير له عند الموت ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم اكن احملك
فوق طاقتك وفي النزول ساعة صدقتان احدهما ترويح الدابة والاخرى ادخال السرور على قلب
المكاري وفيه فائدة اخرى وهي رياضة البدن وتحريك الرجلين والحذر من خدر الاعضاء بطول
الركوب وينبغي ان يقرر مع المكاري ما يحمله شيئا شيئا ويعرضه عليه ويستاجر الدابة بعقد صحيح لئلا يثور
بينهما نزاع يؤذي القلب ويحمل على الزيادة في الكلام فما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فليحترز عن كثرة الكلام
واللجاج مع المكاري ولا ينبغي ان يحمل فوق المشروط شيئا وان خف فان القليل يجر الى الكثير ومن حام حول الحمى
يوشك ان يقع فيه قال رجل لابن المبارك وهو على دابة احمل لي هذه الرقعة الى فلان فقال حتى استاذن المكاري
فاني لم اشارطه على هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت الى قول الفقهاء ان هذا مما يتسامح به ولكن سلك طريق الورع
العاشر ينبغي ان يستصحب ستة اشياء قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر حمل معه
خمسة اشياء المرآة والمكحلة والمدرى والسواك والمشط وفي رواية اخرى عنها ستة اشياء المرآة والقارورة و
المقراض والسواك والمكحلة والمشط وقالت ام سعد الانصارية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفارقه
في السفر المرآة والمكحلة وقال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالاثمد عند مضجعكم فانه مما يزيد
في البصر وينبت الشعر وروي انه صلى الله عليه وسلم كان يكتحل ثلاثا ثلاثا وفي رواية اخرى انه اكتحل لليمنى ثلاثا ولليسرى
ثنتين وقد زاد الصوفية الركوة والحبل وقال بعض الصوفية اذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان
دينه وانما زادوا هذا لما راوه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل
لتجفيف الثوب المغسول ولنزح الماء وكان الاولون يكتفون بالتيمم ويغنون انفسهم عن نقل الماء ولا يبالون
من الغدران ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا نجاستها حتى توضا عمر رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية
وكانوا يكتفون بالارض والجبال عن الحبل فيفرشون الثياب المغسولة عليها فهذه بدعة الا انها بدعة
حسنة وانما البدعة المذمومة ما يصادم السنن الثابتة اما ما يعين على الاحتياط في الدين فمستحسن
وقد ذكرنا احكام المبالغة في الطهارات في كتاب الطهارة وان المتجرد لامر الدين لا ينبغي ان يؤثر
طريق الرخصة بل يحتاط في الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل افضل منه وقيل كان الخواص من المتوكلين
لا يفارقه اربعة اشياء في السفر والحضر الركوة والحبل والابرة بخيوطها والمقراض وكان يقول
هذه ليست من الدنيا الحادي عشر **في آداب الرجوع من السفر** كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
قفل من غزو او حج او غيره يكبر على كل شرف ثلاث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر
عبده وهزم الاحزاب وحده واذا اشرف على مدينته فليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم
ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره ولا ينبغي ان يطرقهم ليلا فقد
ورد النهي عنه وكان صلى الله عليه وسلم اذا قدم دخل المسجد اولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت واذا
دخل قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا وينبغي ان يحمل لاهل بيته ولاقاربه تحفة من مطعوم او
غيره على قدر امكانه فقد قيل هو سنة وقد روي انه ان لم يجد شيئا فليضع في مخلاته حجرا وكان هذا مبالغة
في الاستحثاث على هذه المكرمة لان الاعين تمتد الى القادم من السفر والقلوب تفرح به فيتاكد الاستحباب
لتاكيد فرحهم واظهار الالتفات في السفر الى ذكرهم بما يستصحب في الطريق لهم فهذه جملة من الآداب
الظاهرة فاما الآداب الباطنة ففي الفصل الاول بيان جملة منها وجملته ان لا يسافر الا اذا كان زيادة

دينه في السفر ومهما وجد قلبه متغيرا الى نقصان فليقف ولينصرف ولا ينبغي ان يجاوز همته منزلة
بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوي في دخول كل بلدة ان يرى شيوخها ويجتهد ان يستفيد من
كل واحد ادبا او كلمة لينتفع بها لا ليحكي ذلك ويظهر انه لقي المشايخ ولا يقيم ببلدة اكثر من
اسبوع او عشرة ايام الا ان يامره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة الاقامة الا الفقراء
الصادقين وان كان قصده زيارة اخ فلا يزيد على ثلاثة ايام فهو حد الضيافة الا اذا شق على الاخ
مفارقته واذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده اكثر من يوم وليلة ولا يشتغل بالعشرة فان ذلك يقطع
بركة سفره وكما يدخل البلد لا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله فان كان في بيته فلا يدق
عليه بابه ولا يستاذن الى ان يخرج فاذا خرج تقدم بادب ولا يتكلم بين يديه الا ان يساله فان ساله اجاب
بقدر السؤال ولا يساله عن مسئلة ما لم يستاذن اولا واذا كان في السفر فلا يكثر ذكر اطعمة البلدان واسخياها
ولا اصدقاءه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقد
في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته الا بقدر الضرورة ومع من يقدر على ازالتها ويلازم في الطريق
الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره واذا كلمه انسان فليترك الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم ليرجع فان
تبرمت نفسه بالسفر او بالاقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس واذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا
ينبغي ان يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان في الحضر فليعلم ان سفره
معلول وليرجع اذ لو كان بحق لظهر اثره قال رجل لابي عثمان المغربي خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة
ذلة وليس للمؤمن ان يذل نفسه واشار به الى من ليس له في السفر زيادة دين والا فعز الدين لا ينال الا بذل
الغربة فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز في هذه الغربة ولا يذل فان من اتبع هواه
في سفره ذل لا محالة اما عاجلا واما آجلا

الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات

اعلم ان المسافر يحتاج في اول سفره الى ان يتزود لدنياه ولآخرته اما زاد
الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج اليه من النفقة فان خرج متوكلا من غير زاد فلا باس به اذا كان
سفره في قافلة او بين قرى متواصلة وان ركب البادية وحده او مع قوم لا طعام معهم ولا شراب فان
كان ممن يصبر على الجوع اسبوعا او عشرا مثلا او يقدر على ان يجتزئ بالحشيش فله ذلك وان لم يكن له قوة الصبر
على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية فانه القى نفسه بيده الى
التهلكة ولهذا سر ياتي في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الاسباب بالكلية ولو
كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو ونزح الماء من البئر ولوجب ان يصبر حتى يسخر الله ملكا او
شخصا آخر حتى يصب الماء في فيه فان كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول الى
المشروب فحمل عين المشروب والمطعوم حيث لا ينتظر له وجود اولى بان لا يقدح فيه وسياتي حقيقة التوكل
في موضعه فانه ملتبس الا على المحققين من علماء الدين واما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج اليه في طهارته
وصومه وصلوته وعباداته فلا بد ان يتزود منه اذ السفر تارة يخفف عليه امورا كان مستقلا بها
في الحضر كالعلم بالقبلة واوقات الصلوة فانه في البلد مكفي بغيره من محاريب المساجد واذان المؤذنين
وفي السفر قد يحتاج الى ان يتعرف بنفسه فاذن ما يفتقر الى تعلمه ينقسم الى قسمين القسم الاول
العلم برخص السفر والسفر يفيد في الطهارة رخصتين اداءه على الراحلة واداءه ماشيا ومسح الخفين
والتيمم وفي صلوة الفرض رخصتين القصر والجمع وفي النفل رخصتين اداءه على الراحلة واداءه ماشيا و

في الصوم رخصة واحدة وهو الفطر فهذه سبع رخص الرخصة الاولى المسح على الخفين قال صفوان
بن عسال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنا مسافرين او سفرى ان لا ننزع خفافنا ثلاثة ايام و
لياليهن فمن لبس الخف على طهارة مبيحة للصلوة ثم احدث فله ان يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة ايام
ولياليهن ان كان مسافرا او يوما وليلة ان كان مقيما ولكن بخمسة شروط الاول ان يكون اللبس بعد كمال
الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وادخلها الخف ثم غسل اليسرى وادخلها الخف لم يجز له المسح عند الشافعي
رضي الله عنه حتى ينزع خفه ويعيد لبسه الثاني ان يكون الخف قويا يمكن المشي عليه ويجوز المسح على الخف
وان لم يكن منعلا اذ العادة جارية بالتردد عليه في المنازل لان فيه قوة على الجملة بخلاف جورب الصوفية
فانه لا يجوز المسح عليه وكذا الجرموق الضعيف الثالث ان لا يكون في موضع فرض الغسل خرق فان تخرق بحيث
انكشف محل الفرض لم يجز المسح وللشافعي قول قديم انه يجوز ما دام يستمسك على الرجل وهو مذهب مالك و
لا باس به لمسيس الحاجة اليه وتعذر الخرز في السفر كل وقت والمداس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان نثا
لا يبدو بشرة القدم من خلاله وكذا المشقوق الذي يرد على محل الشق بشرج لان الحاجة تمس الى جميع ذلك
فلا نعتبر الا ان يكون ساترا الى فوق الكعبين كيف ما كان فاما اذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقي باللفافة
لم يجز المسح الرابع ان لا ينزع الخف بعد المسح عليه فان نزع فالاولى استئناف الوضوء وان اقتصر على غسل القدمين
جاز الخامس ان يمسح على الموضع المحاذي لمحل فرض الغسل لا على الساق واقله ما يسمى مسحا على ظهر القدم من
الخف واذا مسح بثلاث اصابع خرج من شبهة الخلاف والاكمل ان يمسح على اعلاه واسفله دفعة واحدة من غير
تكرار كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه ان يبل اليدين ويضع رؤس اصابع يده اليسرى على
عقبه من اسفل القدم ويمرها الى راس القدم ومهما مسح مقيما ثم سافر او مسافرا ثم اقام غلب حكم الاقامة
فليقتصر على يوم وليلة وعدد الايام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف فلو لبس الخف في
الحضر ولم يمسح في الحضر ثم خرج واحدث في السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة ايام ولياليهن من وقت
الزوال الى الزوال من اليوم الرابع فاذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له ان يصلي الا بعد غسل الرجلين
فيغسل رجليه ويعيد لبس الخف ويراعي وقت الحدث ويستانف الحساب من وقت الحدث ولو احدث بعد
لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله ان يمسح ثلاثة ايام لان العادة قد تقتضي اللبس قبل الخروج ثم لا
يمكن الاحتراز من الحدث فاما اذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين ويستحب لكل من يريد
لبس خف في حضر او سفر ان ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من حية او عقرب او شوكة فقد روي
عن ابي امامة انه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخفيه فلبس احدهما فجاء غراب فاحتمل الآخر فرمى
به فخرجت منه حية فقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما

الرخصة الثانية **التيمم** والتراب بدل عن الماء عند العذر وانما يتعذر الماء بان يكون بعيدا عن المنزل بعدا
لو مشى اليه لم يلحقه غوث القافلة ان صاح واستغاث وهو البعد الذي لا يعتاده اهل المنزل في ترددهم لقضاء
الحاجة التردد اليه وكذا ان نزل على الماء عدو او سبع فيجوز التيمم وان كان الماء قريبا وكذا ان احتاج اليه
لعطشه او لعطش واحد من رفقائه فلا يجوز له الوضوء ويلزمه بذله اما بثمن او بغير ثمن ولو كان يحتاج اليه لطبخ مرقة
او لحم او لبل فتيت كعك لم يجز له التيمم بل عليه ان يجتزي بالفتيت اليابس ويترك تناول المرقة ومهما وهب
منه الماء وجب قبوله وان وهب ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة وان بيع بثمن المثل لزمه الشراء وان بيع بغبن لم
يلزمه فاذا لم يكن معه ماء واراد ان يتيمم فاول ما يلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول اليه بالطلب وذلك بالتردد

حوالي المنزل وتفتيش الرحل وطلب البقايا من الاواني والمطاهر فان نسي الماء في رحله او نسي بئرا بالقرب
منه لزمه اعادة الصلوة لتقصيره في الطلب وان علم انه سيجد الماء في آخر الوقت فالاولى ان يصلي بالتيمم
في اول الوقت فان العمر لا يوثق به واول الوقت رضوان الله تيمم ابن عمر رضي الله عنه فقيل له اتتيمم وجدران المدينة
تنظر اليك فقال او ابقى الى ان ادخلها ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلوة لم تبطل صلوته ولم يلزمه
الوضوء واذا وجد قبل الشروع في الصلوة لزمه الوضوء ومهما طلب فلم يجد فليقصد صعيدا طيبا
عليه تراب يثور منه غبار وليضرب كفيه عليه بعد ضم اصابعه ضربة فيمسح بهما وجهه ويضرب ضربة
اخرى بعد نزع الخاتم وتفريج الاصابع ويمسح بهما يديه الى مرفقيه فان لم يستوعب بضربة واحدة
جميع ساعديه ضرب ضربة اخرى وكيفية التلطف فيه ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيده ثم اذا
صلى به فريضة واحدة فله ان يتنفل بذلك التيمم ما شاء وان اراد الجمع بين فريضتين فعليه ان يعيد التيمم
للصلوة الثانية ولا ينبغي ان يتيمم لصلوة قبل دخول وقتها فان فعل وجب عليه اعادة التيمم ولينو عند مسح الوجه
استباحة الصلوة فلو وجد من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما تاما الرخصة

القصر

الثالثة في الصلوة المفروضة وله ان يقتصر في كل واحد من الظهر والعصر والمغرب والعشاء على ركعتين
ولكن بشروط ثلاثة الاول ان يؤديها في اوقاتها فلو صارت قضاء فالاظهر لزوم الاتمام والثاني
ان ينوي القصر فلو نوى الاتمام او شك في انه نوى القصر لزمه الاتمام الثالث ان لا يقتدي بمقيم ولا
بمسافر متم فان فعل فله الاتمام بل ان شك في ان امامه مقيم او مسافر لزمه الاتمام وان تيقن بعده
انه مسافر ولان شعار المسافر لا يخفي فليكن متحققا عند النية وان شك في ان امامه هل نوى القصر
ام لا بعد ان عرف انه مسافر لم يضره ذلك لان النيات لا يطلع عليها وهذا كله اذا كان في سفر
طويل مباح وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيه اشكال فلا بد من معرفته والسفر هو الانتقال من
موضع الاقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا
يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط ان يجاوز خراب البلد وبساتينها التي
قد يخرج اهل البلد اليها للتنزه واما القرية فالمسافر منها ينبغي ان يجاوز البساتين المحوطة دون التي ليست بمحوطة و
ولو رجع المسافر الى البلد لاخذ شيء نسيه لم يترخص ان كان ذلك وطنه ما لم يجاوز العمران وان لم يكن ذلك هو الوطن
فله الترخص اذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج واما نهاية السفر فباحد امور ثلاثة الاول الوصول
الى العمران من البلد الذي عزم على الاقامة به الثاني العزم على الاقامة ثلاثة ايام فصاعدا في بلد او صحراء
الثالث صورة الاقامة وان لم يعزم كما اذا اقام على موضع واحد ثلاثة ايام سوى يوم الدخول لم يكن له
الترخص بعده وان لم يعزم على الاقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم نجازه ولكنه يتعوق عليه ويتأخر
فله ان يترخص وان طالت المدة على اقيس القولين لانه منزعج بقلبه ومسافر عن الوطن بصورته ولا
مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع انزعاج القلب ولا فرق بين ان يكون هذا الشغل قتالا او غيره
ولا بين ان يطول المدة او تقصر ولا بين ان يتأخر الخروج لمطر او لعلم ببقائه ثلاثة ايام ولقد ترخص رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقصر في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد وظاهر الظن انه لو تمادى
القتال لتمادى ترخصه اذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر يوما والظاهر ان قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه
غازيا مقاتلا هذا معنى السفر واما معنى الطويل فهو ان يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلاثة
اميال وكل ميل اربعة آلاف خطوة ومعنى المباح ان لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما ولا هاربا من مالكه ولا يكون

المرأة هاربة من زوجها ولا ان يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها في
قطع الطريق او قتل انسان او طلب ادرار حرام من سلطان او سعي بالفساد بين المؤمنين المسلمين
وبالجملة فلا يسافر الانسان الا في غرض والغرض هو المحرك فان كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا
ذلك الغرض لا ينبعث لسفره فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص واما الفسق في السفر بشرب الخمر
وغيره فلا يمنع الرخصة بل كل سفر نهى عنه الشرع فلا يعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثان احدهما
مباح والآخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث المحظور لكان المباح مستقلا بتحريكه ولكان
لا محالة يسافر لاجله فله الترخص والمتصوفة والطوافون في البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج
بمشاهدة البقاع المختلفة ففي ترخصهم خلاف والمختار لهم الترخيص الرخصة الرابعة الجمع بين
الظهر والعصر في وقتيهما فذلك ايضا جائز في كل سفر طويل مباح وفي جوازه في السفر القصير قولان

وبين المغرب والعشاء في وقتيهما م

ثم اذا قدم العصر الى الظهر فلينو الجمع قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم وعند الفراغ يقيم
للعصر ويجدد التيمم اولا ان كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما باكثر من تيمم واقامة فان قدم العصر لم يجز
وان نوى الجمع عند التحرم بصلوة العصر جاز عند المزني وله وجه في القياس اذ لا مستند لايجاب تقديم
النية بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع وانما الرخصة في العصر فيكفي النية فيها واما الظهر فجار على
القانون ثم اذا فرغ من الصلوتين فينبغي ان يجمع بين سنن الصلوتين اما العصر فلا سنة بعدها و
لكن السنة التي بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر اما راكبا او مقيما لانه لو صلى راتبة الظهر قبل
العصر انقطعت الموالاة وهي واجبة على وجه وان اراد ان يقيم الاربع المسنونة قبل الظهر والاربع
المسنونة قبل العصر فليجمع بينهما قبل الفريضتين فيصلي سنة الظهر اولا ثم سنة العصر ثم فريضة
الظهر ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر الركعتان اللتان بعد الفريضة ولا ينبغي ان يهمل النوافل
في السفر فما يفوته من ثوابها اكثر مما يناله من الربح لا سيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له اداءها على
الراحلة كيلا يتعوق عن الرفقة بسببها وان اخر الظهر الى العصر فيجري على هذا الترتيب ولا يبالي
بوقوع راتبة الظهر بعد العصر في الوقت المكروه لان ما له سبب لا يكره في هذا الوقت وكذلك يفعل
في المغرب والعشاء والوتر اذا قدم او اخر فبعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع الرواتب ويختم الجميع
بالوتر وان خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على ادائه مع العصر جمعا فهو نية الجمع لانه
انما يخلو عن هذه النية اما بنية الترك او بنية التأخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه
حرام وان لم يتذكر الظهر حتى خرج وقته اما لنوم او لشغل فله ان يؤدي الظهر مع العصر ولا يكون

ان اداء م

عاصيا لان السفر كما يشغل عن فعل الصلوة فقد يشغل عن ذكرها ويحتمل ان يقال ان الظهر انما يقع اداء اذا
عزم على فعلها قبل خروج وقتها لكن الاظهر ان وقت الظهر والعصر صار مشتركا بين الصلوتين ولذلك
يجب على الحائض قضاء الظهر اذا طهرت قبل الغروب ولذلك ينقدح ان لا يشترط الموالاة ولا الترتيب
بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر اما اذا قدم العصر على الظهر لم يجز لان ما بعد الفراغ من الظهر هو
الذي جعل وقتا للعصر اذ يبعد ان يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر او على تأخيره وعند
المطر يجوز الجمع كما عند السفر وترك الجمعة ايضا من رخص السفر وهي متعلقة بفرائض الصلوات
ولو نوى الاقامة بعد ان صلى العصر فادرك وقت العصر فعليه اداء العصر وما مضى انما كان مجزئا بشرط
ان يبقى العذر الى خروج وقت العصر الرخصة الخامسة **في التنفل راكبا** كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم يصلي على راحلته أينما توجهت به دابته وأوتر صلى الله عليه وسلم على الراحلة وليس على المتنفل
الراكب في الركوع والسجود إلا الإيماء وينبغي أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء إلى
الحد يتعرض للخطر بسبب الدابة فإن كان في مرقد فليتم الركوع والسجود فإنه قادر عليه وأما
استقبال القبلة فلا يجب لا في ابتداء الصلوة ولا في دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة
فليكن في جميع صلوته إما مستقبلا للقبلة أو متوجها في صوب الطريق فيكون له جهة يثبت فيها
فلو حرف دابته عن الطريق قصدا أبطل صلوته إلا إذا حرفها إلى القبلة ولو حرفها ناسيا و
قصر الزمان لم يبطل وإن طال ففيه خلاف وإن جمحت به الدابة فانحرفت فلا يبطل صلوته لأن
ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو إذ الجماح غير منسوب إليه بخلاف ما لو حرف ناسيا فإنه
يسجد بالإيماء الرخصة السادسة التنفل للماشي جائز في السفر ويومي بالركوع ولا يقعد للتشهد
لأن ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الراكب لكن ينبغي أن يتحرم بالصلوة مستقبلا لأن الانحراف
في لحظة لا عسر فيه بخلاف الدابة فإن في تحريفها وإن كان العنان بيده نوع عسر وربما يكثر الصلوة
فيطول عليه ولا ينبغي أن يمشي في نجاسة رطبة عمدا فإن فعل بطلت صلوته بخلاف ما لو وطئت الدابة نجاسة
وليس عليه أن يشوش المشي على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا يخلو عنها الطريق غالبا وكل هارب
من عدو أو سيل أو سبع فله أن يصلي الفريضة راكبا أو ماشيا كما ذكرناه في التنفل الرخصة السابعة
الفطر وهو في الصوم فللمسافر أن يفطر إلا إذا أصبح مقيما ثم سافر فعليه إتمام ذلك اليوم وإن
أصبح مسافرا صائما ثم أقام فعليه الإتمام وإن أقام مفطرا فليس عليه الإمساك بقية النهار وإن أصبح
مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بل له أن يفطر إذا أراد والصوم أفضل من الفطر والقصر أفضل من الإتمام
للخروج عن شبهة الخلاف ولأنه ليس في عهدة القضاء وربما يتعذر عليه ذلك بعائق يتفق فيبقى في ذمته
إلا إذا كان الصوم يضر به فالإفطار أفضل فهذه ثمان رخص يتعلق ثلاث منها بالسفر الطويل و
هو القصر والفطر والمسح ثلاثة أيام ويتعلق اثنان بالسفر طويلا كان أو قصيرا وهو سقوط
الجمعة وسقوط قضاء الصلوة عند أدائها بالتيمم وأما صلوة النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف
والأصح جوازه في القصير والجمع بين الصلوتين فيه خلاف والأظهر اختصاصه بالطويل وأما صلوة
الفرض ماشيا وراكبا للخوف فلا يتعلق بالسفر وكذا أكل الميتة وكذا أداء الصلوة في الحال
بالتيمم عند فقد الماء بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت أسبابها فإن قلت فالعلم بهذه
الرخص هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر أم يستحب له ذلك فاعلم أنه إذا كان عازما على ترك
المسح والقصر والجمع والفطر وترك التنفل ماشيا وراكبا لم يلزمه علم شروط الترخص في ذلك
لأن الترخص ليس بواجب وأما علم رخصة التيمم فيلزمه لأن فقد الماء ليس إليه إلا أن يسافر على
شط نهر يوثق ببقاء مائه أو يكون معه في الطريق عالم يقدر على استفتائه عند الحاجة فله
أن يؤخر إلى وقت الحاجة أما إذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه عالم فيلزمه التعلم لا محالة فإن
قلت التيمم يحتاج إليه لصلوة لم يدخل عليه بعد وقتها فكيف يجب علم الطهارة لصلوة بعد لم تجب وربما
لا تجب فأقول من بينه وبين الكعبة مسافة لا يقطع إلا في سنة فيلزمه قبل أشهر الحج ابتداء
السفر ويلزمه تعلم المناسك لا محالة إذا كان يظن أنه لا يجد في الطريق من يتعلم منه لأن الأصل الحياة
واستمرارها وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب وكل ما توقع وجوبه توقعا ظاهرا غالبا على الظن

وله شروط لا يتوصل إليه إلا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم الشرط لا محالة كعلم المناسك
قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا يحل إذا للمسافر أن ينشئ السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم وإن
كان عازما على سائر الرخص فعليه أن يتعلم أيضا القدر الذي ذكرناه من علم التيمم وسائر الرخص
فإنه إذا لم يعلم القدر الجائز من رخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه فإن قلت إنه لم يتعلم كيفية التنفل راكبا و
ماشيا ماذا يضره وغايته إذا صلى أن يكون صلوته فاسدة وهي غير واجبة فيكون تعلمها ولحيا فأقول
من الواجب أن لا يصلي النفل على نعت الفساد فالنفل مع الحدث والنجاسة وإلى غير القبلة ومن غير شروط
الصلوة وأركانها حرام فعليه أن يتعلم ما يحترز به عن النافلة الفاسدة حذرا عن الوقوع في المحظور
فهذا بيان علم ما خفف على المسافر في سفره القسم الثاني ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر وهو علم القبلة
والأوقات وذلك أيضا واجب في الحضر ولكن من يكفيه من محراب متفق عليه يغنيه عن طلب القبلة ومؤذن
يراعي الوقت فيغنيه عن طلب علم الوقت والمسافر قد تشتبه عليه الوقت ويلتبس عليه القبلة فلا بد له من العلم بأدلة
القبلة والمواقيت أما أدلة القبلة فهي على ثلاثة أقسام أرضية كالاستدلال بالجبال والقرى والأنهار
أو هوائية كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصباها ودبورها أو سماوية وهي النجوم فأما الأرضية
والهوائية فيختلف بالبلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم أنه على يمين المستقبل أو شماله أو ورائه أو قدامه
فليتعلم ذلك وليفهمه وكذلك الرياح قد يدل في بعض البلاد فليفهم ذلك ولسنا نقدر على استقصاء
ذلك إذ لكل بلد وإقليم حكم آخر وأما السماوية فأدلتها تنقسم إلى نهارية وإلى ليلية أما النهارية فالشمس
فلا بد أن يراعي قبل الخروج من البلد أن الشمس عند الزوال أين تقع منه أهي بين الحاجبين أو هي على العين
اليمنى أو اليسرى أو تميل إلى الجبين ميلا أكثر من ذلك فإن الشمس لا تعدو في البلاد الشمالية هذه
المواقع فإذا حفظ ذلك فمهما عرف الزوال بدليله الذي سنذكره عرف القبلة به وكذلك يراعي موقع
الشمس منه وقت العصر فإنه في هذين الوقتين يحتاج إلى القبلة بالضرورة وهذا أيضا لما كان يختلف
بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه وأما القبلة وقت المغرب فإنها يدرك بموضع الغروب وهو بأن يحفظ
أن الشمس تغرب عن يمين المستقبل أو هي مائلة إلى وجهه أو قفاه وبالشفق أيضا يعرف القبلة للعشاء
الآخرة وبمشرق الشمس يعرف القبلة لصلوة الصبح فكأن الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس و
لكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف فإن المشارق والمغارب كثيرة وإن كانت محصورة في جهتين فلا بد
من تعلم ذلك أيضا ولكن قد يصلي المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكنه أن يستدل على القبلة
به فعليه أن يراعي موقع القطب وهو الكوكب الذي يقال له الجدي فإنه كوكب كالثابت لا يظهر حركته عن موضعه
وذلك إما أن يكون على قفاء المستقبل أو على منكبه الأيمن من ظهره أو منكبه الأيسر في البلاد
الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما والاها فيقع في مقابلة المستقبل فليعلم ذلك و
ما عرفه في بلده فليعول عليه في الطريق كله إلا إذا طال السفر فإن المسافة إذا بعدت اختلف موقع الشمس
وموقع القطب وموقع المشارق والمغارب إلا أنه ينتهي في أثناء سفره إلى بلاد فينبغي أن يسأل أهل
البصيرة أو يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك فمهما تعلم هذه الأدلة
فله أن يعول عليها فإن بان له أنه أخطأ من جهة القبلة إلى جهة أخرى من الجهات الأربع فينبغي أن يقضي وإن
انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء وقد أورد الفقهاء خلافا في
أن المطلوب جهة الكعبة أو عينها وأشكل معناه على قوم إذ قالوا إن قلنا المطلوب العين فمتى يتصور هذا

بخلاف الفطر فانه في عهدة القضاء صح

فكيف يكون واجب

اتمام صح

مع بعد الديار وان قلنا المطلوب الجهة فالواقف في المسجد ان استقبل جهة الكعبة وهو خارج
ببدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف في انه لا يصح صلوته وقد طولوا في تاويل معنى الخلاف في
الجهة والعين ولا بد اولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة ومعنى مقابلة العين ان تقف موقفا لو
اخرج خط مستقيم من بين عينيه الى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان
وهذه صورته والخط الخارج من موقف المصلي قدر انه خارج من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين فاما
مقابلة الجهة فيجوز فيها ان يتصل طرف الخط الخارج من بين العينين الى الكعبة من غير ان يتساوى الزاويتان عن
جنبتي الخط بل لا يتساوى الزاويتان الا اذا انتهى الخط الى نقطة معينة هي واحدة فلو مد هذا الخط على الاستقامة
الى ساير النقط من يمينها وشمالها كانت احدى الزاويتين اضيق فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن
مقابلة الجهة كالخط الذي ذكرنا كنا عليه مقابلة الجهة فانه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف
مستقبلا لجهة الكعبة لا لعينها وحد تلك الجهة ما يقع بين خطين يتوهمهما خارجين من العينين فهو داخل
في الجهة وسعة ما بين الخطين تتزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة وهذه صورته فاما اذا فهم معنى الجهة
والعين فاقول الذي يصح عندنا في الفتوى ان المطلوب العين ان كانت الكعبة مما يمكن رؤيتها وان كان يحتاج
الى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيكفي استقبال الجهة فاما طلب العين عند المشاهدة فمجمع عليه واما الاكتفاء
بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب والسنة وفعل الصحابة والقياس اما الكتاب فقوله تعالى وحيثما كنتم
فولوا وجوهكم شطره واما السنة فما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاهل المدينة ما بين المشرق و
المغرب قبلة والمغرب يقع على يمين اهل المدينة والمشرق على يسارهم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع
ما يقع بينهما قبلة ومساحة الكعبة لا تفي بما بين المشرق والمغرب وانما تفي جهتها وروي هذا اللفظ ايضا عن عمر وعن
ابن عمر رضي الله عنهما واما فعل الصحابة فما روي ان اهل مسجد قبا كانوا في صلوة الصبح بالمدينة مستقبلين
لبيت المقدس مستدبرين الكعبة لان المدينة بينهما فقيل لهم قد حولت القبلة الى الكعبة فاستداروا في اثناء الصلوة
من غير طلب دلالة ولم ينكر عليهم وسمي مسجدهم ذا القبلتين ومقابلة العين من المدينة الى مكة لا تعرف الا بادلة
هندسية يطول النظر فيها فكيف ادركوه على البديهة في اثناء الصلوة وفي ظلمة الليل ويدل ايضا من فعلهم انهم بنوا
المساجد حوالي مكة وفي ساير بلاد الاسلام ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية المحراب ومقابلة العين لا
تدرك الا بدقيق نظر الهندسة واما القياس فهو ان الحاجة تمس الى الاستقبال وبناء المساجد في جميع اقطار
الارض ولا يمكن مقابلة العين الا بعلوم هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما يزجر عن التعمق في علمها فكيف
ينبني امر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة واما دليل صحة الصورة التي صورناها وهي حصر جهات العالم
في اربع فقوله عليه الصلوة والسلام في ادب قضاء الحاجة لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا او غربوا
وقال هذا بالمدينة والمشرق على يسار المستقبل بها والمغرب على يمينه فنهى عن جهتين ورخص في جهتين ومجموع
ذلك اربع جهات ولم يخطر ببال احد ان جهات العالم يمكن ان يفرض ستا او سبعا او عشرا وكيفما كان فما حكم
الباقي بل الجهات تثبت في الاعتقادات بناء على خلقة الانسان وليس له الا اربع جهات قدام وخلف
ويمين وشمال فكانت الجهات بالاضافة الى الانسان في ظاهر النظر اربعا والشرع لا ينبني الا على مثل هذه الاعتقادات
فظهر ان المطلوب الجهة وذلك يسهل امر الاجتهاد فيها وتعلم ادلة القبلة فاما مقابلة العين فانما يعرف بمعرفة
مقدار عرض مكة عن خط الاستواء ومقدار درجات طوله وهو بعده عن اول العمارة في المشرق ثم يعرف ذلك
ايضا في موقف المصلي ثم يقابل احدهما بالاخر ويحتاج فيه الى الات واسباب طويلة والشرع غير مبني عليها قطعا

فاذن القدر الذي لا بد من تعلمه من ادلة القبلة موقع المشرق والمغرب والزوال وموقع الشمس وقت
العصر فبهذا يسقط الوجوب فان قلت فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك هل يعصي فاقول
ان كان طريقه على قرى متصلة فيها محاريب او كان معه في الطريق بصير بادلة القبلة موثوق بعدالته
وبصيرته يقدر على تقليده فلا يعصي وان لم يكن معه شيء من ذلك عصى لانه سيتعرض لوجوب
الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان تعلم هذه الادلة واشتبه
عليه الامر بغيم مظلم او ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقلده فعليه ان يصلي في الوقت على حسب
حاله ثم عليه القضاء سواء اصاب او اخطأ والاعمى ليس له الا التقليد فليقلد من يوثق بدينه و
بصيرته ان كان مقلده مجتهدا في القبلة وان كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل يخبره
بذلك في حضر او سفر وليس للاعمى ولا للجاهل ان يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف ادلة القبلة
حيث يحتاج كما ليس للعامي ان يقيم ببلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع بل يلزمه الهجرة
الى حيث يجد من يعلمه دينه وكذا ان لم يكن في البلد الا فقيه فاسق فعليه الهجرة اذ لا يجوز له
اعتماد على فتوى الفاسق بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى كما في الرواية وان كان معروفا
بالفقه مستور العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لان المسافر
في البلاد لا يقدر ان يبحث عن عدالة المفتين فان رآه لابسا للحرير او ما يغلب عليه الابريسم او
راكبا لفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه فامتنع عليه قبول قوله فليطلب غيره وكذلك
اذا رآه ياكل على مائدة سلطان اغلب ماله حرام او ياخذ منه ادرارا او صلة من غير ان يعلم
ان الذي ياخذه من وجه حلال فكل ذلك فسق يقدح في العدالة ويمنع من قبول الفتوى
والرواية والشهادة واما معرفة اوقات الصلوات الخمس فلا بد ووقت الظهر يدخل بالزوال
وكل شخص يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب فليقم المسافر في موضع او لينصب
عودا مستقيما وليعلم على راس الظل ثم لينظر بعد ساعة فان رآه في النقصان فلم يدخل بعد
وقت الصلوة فطريقه ان ينظر في البلد وقت اذان المؤذن المعتمد ظل قامته فاذا كانت مثلا ثلثة
اقدام بقدمه فمهما صار كذلك في السفر واخذ في الزيادة صلى فاذا زاد عليه ستة اقدام ونصف
دخل وقت العصر اذ ظل كل شخص بقدمه ستة اقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد كل يوم ان
كان سفره من اول الصيف وان كان من اول الشتاء فينقص كل يوم والحسن ما يعرف به
ظل الزوال الميزان فليستصحبه المسافر وليتعلم اختلاف الظل به في كل وقت وان عرف موقع الشمس
من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفر في موضع ظهرت القبلة فيه بدليل اخر يمكنه ان يعرف
الوقت بالشمس بان تصير بين عينيه مثلا ان كان كذلك في البلد واما وقت المغرب فيدخل بالغروب
ولكن قد يحجب الجبال المغرب عنه فينبغي ان ينظر الجانب المشرق فمهما ظهر سواد في الافق مرتفع من الارض
قدر رمح فقد دخل وقت المغرب واما العشاء فيعرف بغيبوبة الشفق وهو الحمرة فان كانت محجوبة عنه بجبال
فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرتها فان ذلك يكون بعد غيبوبة الحمرة واما الصبح فيبدو في الاول
مستطيلا كذنب السرحان فلا حكم له الى ان ينقضي زمان ثم يظهر بياض معترض لا يعسر ادراكه بالعين
لظهوره فهو اول الوقت قال صلى الله عليه وسلم ليس الصبح هكذا وجمع كفيه وانما الصبح هكذا ووضع
احدى سبابتيه على الاخرى وفتحهما واشار به الى انه معترض وقد يستدل عليه بالمنازل وهو تقريب لا

[ثم لا يزال ينقص الى وقت الزوال ثم يأخذ في الزيادة في جهة المشرق ولا يزال يزيد الى الغروب]

تحقيق فيه بل الاعتماد على مشاهدة انتشار البياض عرضا لان قوما ظنوا ان الصبح يطلع قبل الشمس
باربع منازل وهذا خطا فان ذلك هو الصبح الكاذب والذي ذكره المحققون انه يتقدم على الشمس بمنزلتين
وهذا تقريب لا اعتماد عليه فان بعض المنازل يطلع معترضا بنحرف فيقصر زمان طلوعها وبعضها منتصبة
فيطلع ويطول زمان طلوعها ويختلف ذلك في البلاد اختلافا يطول ذكره نعم يصلح المنازل لان تعلم بها قرب
وقت الصبح وبعده فاما حقيقة اول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلتين اصلا وعلى الجملة فاذا بقيتا ربع
منازل الى طلوع قرص الشمس بقدر منزلة يتيقن انه الصبح الكاذب واذا بقي قريب من منزلتين يتحقق طلوع
الصبح الصادق ويبقى بين الصبحين قدر ثلثي منزلة بالتقريب يشك انه من وقت الصادق او الكاذب و
هو مبدا ظهور البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه فمن وقت الشك ينبغي ان يترك الصائم السحور ويقدم
القائم الوتر عليه ولا يصلي صلوة الصبح حتى ينقضي مدة الشك فاذا تحقق صلى ولو اراد مريد ان يقدر
على التحقيق وقتا معينا يترتب فيه متسحرا ويقوم عقيبه ويصلي للصبح متصلا به فليس معرفة ذلك في قوة
البشر اصلا بل لا بد من مهلة للتوقف والشك ولا اعتماد الا على العيان ولا اعتماد في العيان الا على ان
يصير الضوء منتشرا في العرض حتى يبدو مبادي الصفرة وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل
الوقت ويدل عليه ما روى ابو عيسى الترمذي في جامعه باسناده عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الاحمر وهذا صريح
في رعاية الحمرة قال ابو عيسى وفي الباب عن عدي بن حاتم وابي ذر وسمرة وهو حديث حسن غريب والعمل على
هذا عند اهل العلم وقال ابن عباس كلوا واشربوا ما دام الضوء ساطعا قال صاحب الغريبين اي مستطيلا
فاذا لا ينبغي ان يعول الا على ظهور الصفرة وكانها مبادي الحمرة وانما يحتاج المسافر الى معرفة الاوقات
لانه قد يبادر بالصلوة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول او قبل النوم حتى يستريح فان وطن نفسه على تاخير
الصلوة الى ان يتيقن فيسمح بفوات فضيلة اول الوقت ويتجشم كلفة النزول وكلفة تاخير النوم الى اليقين
استغنى عن تعلم علم الاوقات فان المشكل اوائل الاوقات لا اوساطها والله اعلم بالصواب

كتاب اداب السماع والوجد وهو الكتاب الثامن من احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي احرق قلوب اوليائه
بنار محبته واسترق هممهم وارواحهم بالشوق الى لقائه ومشاهدته ووقف ابصارهم وبصائرهم على ملاحظة
جمال حضرته حتى اصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى واصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة
حيرى فلم يروا في الكونين شيئا سواه ولم يذكروا في الدارين الا اياه ان سنحت لابصارهم صورة عبرت
الى المصور بصائرهم وان قرعت اسماعهم نغمة سبقت الى المحبوب سرائرهم فان ورد عليهم صوت مزعج
او مقلق او مطرب او محزن او مبهج او مشوق لم يكن انزعاجهم الا اليه ولا طربهم الا به ولا قلقهم الا عليه ولا حزنهم الا
فيه ولا شوقهم الا الى ما لديه ولا انبعاثهم الا له ولا ترددهم الا حواليه فمنه سماعهم واليه استماعهم فقد اقفل عن
غيره ابصارهم واسماعهم اولئك الذين اصطفاهم الله لولايته واستخلصهم من بين اصفيائه وخاصته والصلوة و
السلم على محمد المبعوث برسالته وعلى اله واصحابه ائمة الحق وقادته وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان القلوب و
السرائر خزائن الاسرار ومعادن الجواهر وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر واخفيت كما اخفي
الماء تحت التراب والمدر ولا سبيل الى استثارة خفاياها الا بقداح السماع فلا منفذ الى القلوب الا من

دهليز السماع فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها ومساويها فلا يظهر من القلب
عند التحريك الا ما يحويه كما لا يترشح الاناء الا بما فيه فالسماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق فلا يصل
روح السماع اليه الا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه واذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للاسماع حتى
ابدت بوادرها مكامنها وكشفت بها عن مساويها واظهرت محاسنها وجب شرح القول في السماع
والوجد وبيان ما فيهما من الفوائد والافات وما يستحب فيهما من الاداب والهيات وما يتطرق اليهما من
خلاف العلماء في انهما من المحظورات او المباحات ونحن نوضح ذلك في بابين ان شاء الله تعالى وحده
الباب الاول في بيان اباحة السماع الباب الثاني في ادابه واثاره في القلب بالوجد

الباب الاول في ذكر اختلاف العلماء في اباحة السماع وكشف الحق فيه

بيان اقاويل العلماء
والمتصوفة في تحليله وتحريمه اعلم ان السماع هو الاول ويثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويثمر الوجد
تحريك الاطراف اما بحركة غير موزونة فيسمى الاضطراب واما موزونة فيسمى التصفيق والرقص فنبدا
بحكم السماع وهو الاول وننقل فيه الاقاويل المعربة عن المذاهب فيه ثم نذكر الدليل على اباحته ثم نردفه
بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه فاما نقل المذاهب فقد حكى القاضي ابو الطيب الطبري عن الشافعي
ومالك وابي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا استدل بها على انهم راوا تحريمه وقد قال
الشافعي في كتاب ادب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه
ترد شهادته وقال الحكي عن القاضي ابي الطيب استماعه من المراة التي ليست بمحرم له لا يجوز بحال عند اصحاب
الشافعي سواء كانت مكشوفة او من وراء حجاب وسواء كانت حرة او مملوكة وقد قال الشافعي صاحب
الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال الحكي عن الشافعي انه قال يكره الطقطقة
بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القران وقال الشافعي ويكره من جهة الخبر اللعب
بالنرد اكثر مما يكره من اللعب بشيء من الملاهي ولا احب اللعب بالشطرنج واكره كل ما لعب به الناس
لان اللعب ليس من صنعة اهل الدين والمروة واما مالك فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى
جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب ساير اهل المدينة الا ابرهيم بن سعد وحده و
اما ابو حنيفة فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك ساير اهل الكوفة سفيان
الثوري وحماد وابرهيم والشعبي وغيرهم فهذا كله نقله القاضي ابو الطيب الطبري رحمه الله و
نقل ابو طالب المكي رحمه الله اباحة السماع من جماعة وقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر و
ابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف صحابي وتابعي
باحسان قال ولم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في افضل الايام في السنة وهي
الايام المعدودات التي امر الله تعالى عباده فيها بذكره وهي ايام التشريق ولم يزل اهل المدينة
مواظبين مع اهل مكة على السماع الى زماننا هذا فادركنا ابا مروان القاضي وله جوار يسمعن
التلحين قد اعدهن للصوفية قال وكان لعطاء جاريتان تلحنان وكان اخوانه يستمعون
اليهما قال وقد قيل لابي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون
يسمعون فقال كيف انكر السماع وقد اجازه وسمعه من هو خير مني وقد كان عبد الله بن جعفر الطيار
يسمع وانما انكر اللهو واللعب في السماع وروي عن يحيى بن معاذ انه قال فقدنا ثلاثة اشياء فما
نراها ولا اراها تزداد الا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخاء مع الوفاء

ورايت في بعض الكتب هذا بعينه محكيا عن الحارث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده
وتصاونه وجده في الدين وتشمره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة الا ان يكون فيها سماع و
حكى غير واحد انه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا ابو القاسم ابن بنت منيع وابو بكر بن ابي داود وابن مجاهد في
نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن ابي داود في ان يسمع فقال ابن ابي داود
حدثني ابي عن احمد بن حنبل انه كره السماع وكان ابي يكرهه وانا على مذهب ابي فقال ابو القاسم بن بنت
منيع اما جدي احمد بن منيع فحدثني عن صالح بن احمد انه كان ابوه يسمع قول ابن الخبازة فقال ابن مجاهد
لابن ابي داود دعني انت من ابيك وقال لابن بنت منيع دعني انت من جدك اي شيء تقول يا ابا بكر فيمن انشد بيت
شعر اهو حرام فقال ابن ابي داود لا قال فان كان حسن الصوت حرم عليه انشاده قال لا قال فان انشده وطوله وقصر
منه الممدود ومد المقصور يحرم قال لا فقال انا لم اقو لشيطان واحد فكيف اقوى لشيطانين قال وكان ابو الحسن
العسقلاني الاسود من الاولياء من يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكريه وكذلك
جماعة منهم صنفوا في الرد على منكريه وحكى عن بعض الشيوخ انه قال رايت ابا العباس الخضر عليه السلام
فقلت ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه اصحابنا فقال هو الصفاء الزلال الذي لا يثبت عليه الا
اقدام العلماء وحكى عن ممشاد الدينوري انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله
هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال ما انكر منه شيئا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقران ويختمون بعده
بالقران وحكى عن طاهر بن بلال الهمداني الوراق وكان من اهل العلم انه قال كنت معتكفا في جامع
جدة على البحر فرايت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولا ويستمعون فانكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من
بيوت الله يقولون الشعر قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية والى
جنبه ابو بكر الصديق واذا ابو بكر يقول شيئا من القول والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع اليه ويضع يده
على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي ان انكر على اولئك الذين كانوا يستمعون وهذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وابو بكر يقول فالتفت الي النبي صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق او
قال هذا حق من حق انا اشك فيه وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلثة مواضع عند الاكل
لانهم لا ياكلون الا عن فاقة وعند المذاكرة لانهم يتحاورون في مقامات الصديقين وعند السماع لانهم
يسمعون بوجد ويشهدون حقا وعن ابن جريج انه كان يرخص في السماع فقيل له يوتى به يوم القيمة في
جملة حسناتك او سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لانه شبيه باللغو قال الله تعالى لا يؤاخذكم
الله باللغو في ايمانكم هذا ما نقل من الاقاويل ومن طلب الحق من التقليد فمهما استقصى تعارضت
عنده الاقاويل فيبقى متحيرا او مائلا الى بعض الاقوال بالتشهي وكل ذلك قصور بل ينبغي ان يطلب
الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة كما سنذكره

بيان الدليل على اباحة السماع

اعلم ان قول القائل السماع حرام معناه ان الله يعاقب عليه وهذا امر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع
ومعرفة الشرعيات محصورة في النص او القياس على المنصوص واعني بالنص ما اظهره رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقوله او فعله وبالقياس المعنى المفهوم من الفاظه وافعاله فان لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه
قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقي فعلا لا حرج فيه كسائر المباحات ولا يدل على تحريم السماع نص
ولا قياس ويتضح ذلك في جوابنا عن ادلة المائلين الى التحريم ومهما تم الجواب عن ادلتهم نذكر مسلكا كافيا
في اثبات هذا الغرض ولكنا نستفتح ونقول قد دل القياس والنص جميعا على اباحة السماع اما
القياس فهو ان الغناء اجتمع فيه معان ينبغي ان يبحث عن افرادها ثم عن مجموعها فان فيه سماع صوت طيب
موزون مفهوم المعنى محرك للقلب فالوصف الاعم انه صوت طيب ثم الطيب ينقسم الى الموزون وغيره
والموزون ينقسم الى المفهوم كالاشعار والى غير المفهوم كاصوات الجمادات وسائر الحيوانات اما سماع
الصوت الطيب من حيث انه طيب فلا ينبغي ان يحرم بل هو حلال بالنص والقياس اما القياس فهو انه يرجع الى
تلذذ حاسة السمع بادراك ما هو مخصوص به وللانسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة ادراك وفي مدركات
تلك الحاسة ما يستلذ فلذة البصر في المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن وبالجملة سائر الالوان
الجميلة وهي في مقابلة ما يكره من الالوان الكدرة القبيحة وللشم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الانتان
المستكرهة وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة والمزازة
المستبشعة وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة وهي في مقابلة الخشونة والضراسة وللعقل لذة العلم
والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الاصوات المدركة بالسمع تنقسم الى مستلذة كصوت
العنادل والمزامير ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها فما اظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها
واما النص فيدل على اباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده اذ قال يزيد في الخلق ما يشاء فقيل هو
حسن الصوت وفي الحديث ما بعث الله نبيا الا حسن الصوت وقال صلى الله عليه وسلم لله اشد اذنا للرجل
الحسن الصوت بالقران من صاحب القينة الى قينته وفي الحديث في معرض المدح لداود على نبينا وعليه الصلوة والسلام
انه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحش والطير لسماع صوته
وكان يحمل من مجلسه اربعمائة جنازة وما يقرب من ذلك في الاوقات وقال صلى الله عليه وسلم في مدح ابي موسى
الاشعري لقد اعطي مزمارا من مزامير ال داود وقول الله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير يدل بمفهومه
على مدح الصوت الحسن ولو جاز ان يقال انما ابيح ذلك بشرط ان يكون في القران للزمه ان يحرم صوت العندليب
لانه ليس يقرا القران واذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني
الصحيحة وان من الشعر لحكمة فهذا النظر في الصوت من حيث انه طيب حسن الدرجة الثانية النظر في
الصوت الطيب الموزون فان الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من
صوت موزون غير مستطاب والاصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة فانها اما ان تخرج من جماد
كصوت المزامير والاوتار وضرب القضيب والطبل وغيره واما ان تخرج من حنجرة حيوان وذلك
الحيوان اما انسان او غيره كصوت العنادل والقماري وذوات السجع من الطيور فهي مع طيبها
موزونة متناسبة المقاطع والمطالع فلذلك يستلذ سماعها والاصل في الاصوات حناجر الحيوانات
وانما وضعت المزامير على صور الحناجر وهو تشبه للصنعة بالخلقة وما من شيء توصل اهل الصناعات
بصناعتهم الى تصويره الا وله مثال في الخلقة التي استاثر الله تعالى باختراعها فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا
الاقتداء وشرح ذلك يطول فسماع هذه الاصوات يستحيل ان يحرم لكونها طيبة او موزونة فلا
ذاهب الى تحريم سماع صوت العندليب وسائر الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا فرق بين جماد
وحيوان فينبغي ان يقاس على صوت العندليب الاصوات الخارجة من سائر الاجسام باختيار الادمي
كالذي يخرج من حلقه او من القضيب والطبل والدف وغيره ولا يستثنى عن هذه الا الملاهي و
المزامير والاوتار اذ ورد الشرع بالمنع منها لا للذتها اذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الانسان
ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى الامر في الابتداء الى

كسر الدنان تحرم معها ما هو شعار اهل الشرب وهي الاوتار والمزامير فقط وكان تحريمه من قبيل
الاتباع كما حرمت الخلوة لانها مقدمة الجماع وحرم النظر الى الفخذ لاتصاله بالسوأتين وحرم
قليل الخمر وان كان لا يسكر لانه يدعو الى المسكر وما من حرام الا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة
ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له وحصارا مانعا حوله كما قال صلى الله عليه وسلم
ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فهي محرمة تبعا لتحريم الخمر لثلاث علل احدها انها تدعو الى
شرب الخمر فان اللذة الحاصلة بها انما تتم بالخمر ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر الثانية انها في قرب
العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الانس بالشرب فهي سبب الذكر والذكر سبب انبعاث الشوق و
انبعاث الشوق اذا قوي فهو سبب الاقدام وبهذه العلة نهي عن الانتباذ في المزفت والحنتم و
النقير وهي الاواني التي كانت مخصوصة بها بهيأتها فان مشاهدة صورها تذكر بها وهذه العلة
تفارق الاولى اذ ليس فيها اعتبار لذة في الذكر اذ لا لذة في رؤية القنينة واواني الشراب لكن من
حيث التذكر لها فان كان السماع يذكر الشرب تذكيرا يشوق الى الخمر عند من الف ذلك مع الشرب فهو
منهي عن السماع بخصوص هذه العلة الثالثة الاجتماع عليها لما ان صار من عادة اهل
الفسق فيمتنع من التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صارت
شعارا لاهل البدعة تحرزا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهي طبل مستطيل
دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل
الحجيج والغزو وبهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا واحضروا الات الشراب واقداحه
وصبوا فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فياخذون من الساقي ويشربون و
يحيي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك وان كان المشروب مباحا في نفسه لان
ذلك تشبه باهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر على الراس قزعا في بلاد صار القباء
من لباس اهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد اهل الصلاح ذلك فيهم فبهذه المعاني حرم
المزمار العراقي والاوتار كلها كالعود والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها
كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل الة يستخرج منها صوت
مستطاب موزون سوى ما يعتاده اهل الشرب لان كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا
يشوق اليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقي على اصل الاباحة قياسا على اصوات
الطيور وغيرها بل اقول سماع الاوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام ايضا فبهذا
تبين ان العلة في تحريمه ليست مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الا ما في تحليله
فساد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق الاية فهذه الاصوات
لا تحرم من حيث انها اصوات موزونة وانما تحرم بعارض اخر كما سياتي في العوارض المحرمة الدرجة
الثالثة الموزون المفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج الا من حنجرة الانسان فيقطع باباحة ذلك لانه ما زاد
الا كونه مفهوما والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام فاذا لم يحرم الاحاد فمن
اين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه امر محظور حرم نثره ونظمه وحرم التصويت به سواء
كان بالحان او لم يكن والحق فيه ما قال الشافعي اذ قال الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح ومهما جاز انشاد
الشعر بغير صوت والحان جاز مع الالحان فان افراد المباحات اذا اجتمعت كان مباحا ومهما انضم مباح

الى مباح لم يحرم الا اذا تضمن المجموع محذورا لا يتضمنه الاحاد ولا محذور ههنا وكيف ينكر انشاد الشعر
وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليه الصلوة والسلام ان من الشعر لحكمة و
انشدت عايشة رضي الله عنها ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب
وروى في الصحيحين عن عايشة رضي الله عنها انها قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعك
ابو بكر وبلال وكان بها وباء فقلت يا ابت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك وكان ابو بكر اذا اخذته الحمى
يقول كل امرئ مصبح في اهله والموت ادنى من شراك نعله وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته
ويقول الا ليت شعري هل ابيتن ليلة بواد وحولي اذخر وجليل وهل اردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي
شامة وطفيل قالت عايشة فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اللهم حبب الينا المدينة
كحبنا مكة وقد كان صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول هذا الحمال لا حمال
خيبر هذا ابر ربنا واطهر وقال مرة اخرى اللهم ان العيش عيش الاخرة فارحم الانصار والمهاجرة
وهذا في الصحيحين وكان صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم او ينافح ويقول صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد حسان بروح القدس ما نافح او فاخر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انشده النابغة شعره قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضض
الله فاك وقالت عايشة رضي الله عنها كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الاشعار
وهو يتبسم وعن عمرو بن الشريد عن ابيه قال انشدت النبي صلى الله عليه مائة قافية من قول امية بن ابي الصلت
كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال ان كاد في شعره ليسلم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدى له في
السفر وان انجشة كان يحدو بالنساء والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا انجشة رويدك سوقك بالقوارير ولم تزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول
الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة وما هو الا اشعار تؤدى باصوات طيبة والحان موزونة و
لم ينقل عن احد من الصحابة انكاره بل ربما كانوا يلتمسون ذلك لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا
يجوز ان يحرم من حيث انه كلام مفهوم مستلذ مؤدى باصوات طيبة والحان موزونة الدرجة الرابعة
النظر فيه من حيث انه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه فاقول لله تعالى سر في مناسبة النغمات
الموزونة للارواح حتى انها لتؤثر فيها تاثيرا عجيبا فمن الاصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما
ينوم ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الاعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والراس و
لا ينبغي ان يظن ان ذلك لفهم معاني الشعر بل هو جار في الاوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وازهاره
والعود واوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتاثيره مشاهد في
الصبي في مهده فانه يسكته الصوت الطيب عن بكائه وينصرف نفسه عما يبكيه الى الاصغاء اليه والجمل
مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثرا يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه
المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراها اذا طالت عليها البوادي واعتراها
الاعياء تحت الاحمال والمحامل اذا سمعت منادي الحداء تمد اعناقها وتصغي الى الحادي ناصبة اذانها و
تسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها احمالها ومحاملها وربما تتلف نفسها من شدة السير وثقل الحمل وهي لا
تشعر به لنشاطها فقد حكى ابو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقي قال كنت في البادية فوافيت قبيلة
من قبائل العرب فاضافني رجل منهم وادخلني خباءه فرايت في الخباء عبدا اسود مقيدا بقيد ورايت جمالا

قد ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو ناحل ذابل كانه ينزع روحه فقال الى الغلام انت
ضيفه ولك حق فتشفع في حقي الى مولاي فانه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك فعساه يحل القيد
عني قال فلما احضروا الطعام امتنعت وقلت لا اكل ما لم اشفع في هذا العبد فقال ان هذا العبد
قد افقرني واهلك جميع مالي فقلت ما ذا فعل فقال ان له صوتا طيبا واني كنت اعيش من ظهور
هذه الجمال فحملها احمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة ايام في ليلة من طيب
نغمته فلما حطت احمالها ماتت كلها الا هذا الجمل الواحد ولكن انت ضيفي فلكرامتك قد وهبته
لك قال فاحببت ان اسمع صوته فلما اصبحنا امره ان يحدو على جمل يستقي من بير هناك فلما رفع
صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت انا على وجهي فما اظن اني قط سمعت صوتا اطيب منه فاذا
تاثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مايل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زايد
في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على ساير البهائم فان جميعها تتاثر بالنغمات الموزونة و
لذلك كانت الطيور تقف على راس داود على نبينا وعليه السلم لاستماع صوته ومهما كان النظر في
السماع باعتبار تاثيره في القلوب لم يجز ان يحكم فيه مطلقا باباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالاحوال والاشخاص و
اختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب قال ابو سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه لكن يحرك ما
هو فيه فالترنم في الكلمات المسجعة الموزونة معتاد في مواضع لاغراض مخصوصة يرتبط بها اثار في القلب
وهي سبعة مواضع الاول غناء الحجيج فانهم يدورون اولا في البلاد بالطبل والشاهين والغناء وذلك مباح لانها
اشعار نظمت في وصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وساير المشاعر ووصف البادية وتاثير ذلك
تهييج الشوق الى حج بيت الله واشتعال نيرانه ان كان ثم شوق حاصل واستثارة الشوق واجتلابه ان لم
يكن حاصلا واذا كان الحج قربة والشوق اليه محمودا كان التشويق اليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز للواعظ ان
ينظم كلامه في الوعظ ويزينه بالسجع وتشوق الناس الى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه جاز
لغيره ذلك على نظم الشعر فان الوزن اذا انضاف الى السجع صار الكلام اوقع في القلب فاذا اضيف اليه
صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه فاذا اضيف اليه الطبل والشاهين وحركات الايقاع زاد التاثير
وكل ذلك جايز ما لم يدخل فيه المزامير والاوتار التي هي شعار الاشرار نعم ان قصد به تشويق من
لا يجوز له الخروج الى الحج كالذي لم يسقط الفرض عن نفسه ولم ياذن له ابواه في الخروج فهذا يحرم
عليه الخروج فيحرم تشويقه الى الخروج بالسماع وبكل كلام يشوق فان التشويق الى الحرام حرام وكذا اذا
كانت الطريق غير امنة وكان الهلاك غالبا لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق الثاني ما يعتاده
الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك ايضا مباح كما للحاج ولكن ينبغي ان تخالف اشعارهم وطرق الحانهم
اشعار الحج وطرق الحانهم لان استثارة داعية الغزو بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب على الكفار وتحسين
الشجاعة واستحقار النفس والمال بالاضافة اليه والاشعار المشجعة ومثاله قول المتنبي شعر

فان لا تمت تحت السيوف مكرما ... تمت وتقاسي الذل غير مكرم

وقوله يرى الجبناء ان الجبن حزم ... وتلك خديعة الطبع اللئيم

وامثال ذلك وطرق الاوزان المشجعة تخالف الطرق المشوقة فهذا ايضا مباح في وقت يباح
فيه الغزو ومندوب اليه في وقت يستحب فيه الغزو ولكن في حق من يجوز له الخروج الثالث الرجزيات التي
يستعملها الشجعان في وقت اللقاء والغرض منها التشجيع للنفس وللانصار وتحريك النشاط فيهم للقتال
وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة وذلك اذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان اوقع في النفس وذلك

مباح في كل قتال مباح ومندوب في كل قتال مندوب ومحظور في قتال المسلمين واهل الذمة وكل قتال
محظور لان تحريك الدواعي الى المحظور محظور وذلك منقول عن شجعان الصحابة كعلي وخالد وغيرهما رضي
الله عنهم ولذلك نقول ينبغي ان يمنع من الضرب بالشاهين في معسكر الغزاة فان صوته مرقق محزن
يحلل عقدة الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوق الى الاهل والوطن ويورث الفتور في القتال و
كذا ساير الاصوات والالحان المرققة المحزنة تباين الالحان المحركة المشجعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير
القلوب وتفتير الاراء عن القتال المندوب فهو عاص ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو به
مطيع الرابع اصوات النياحة ونغماتها وتاثيرها في تهييج الحزن والبكاء وملازمة الكآبة والحزن قسمان
محمود ومذموم اما المذموم فكالحزن على ما فات قال الله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم
والحزن على الاموات من هذا القبيل فانه تسخط لقضاء الله وتاسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن لما كان
مذموما كان تحريكه بالنياحة مذموما وقد ورد النهي الصريح في النياحة واما الحزن المحمود فهو حزن الانسان
على تقصيره في امر دينه وبكاؤه على خطاياه والبكاء والتباكي والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكى
آدم وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لانه يبعث على التشمر للتدارك ولذلك كانت نياحة داود صلى الله
على نبينا وعليه محمودة اذ كانت ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب فقد كان يحزن
ويبكي ويبكي حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بالفاظه والحانه وذلك محمود
لان المفضي الى المحمود محمود ولهذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت ان ينشد على المنبر بالحانه الاشعار
المحزنة المرققة للقلب ولا ان يبكي ويتباكى ليتوصل به الى ابكاء غيره واثارة حزنه الخامس السماع في اوقات
السرور تاكيدا للسرور وتهييجا له وهو مباح ان كان ذلك السرور مباحا كالغناء في ايام العيد وفي العرس و
في وقت قدوم الغائب ووقت الوليمة والعقيقة وذلك عند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه
للقران فكل ذلك معتاد لاجل اظهار السرور ووجه جوازه ان من الالحان ما يثير الفرح والسرور والطرب
فكل ما جاز السرور به جاز اثارة السرور به ويدل على هذا من النقل انشادهم بالدف والالحان عند قدوم
رسول الله صلى الله عليه وسلم شعر

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع

فهذا اظهار للسرور لقدومه وهو سرور محمود فاظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات ايضا
محمود فقد نقل عن جماعة من الصحابة انهم حجلوا في سرور اصابهم كما سياتي في احكام الرقص وهو
جايز في قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفي كل سبب مباح من اسباب السرور ويدل على هذا ما روي في
الصحيحين عن عايشة انها قالت رايت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني بردايه وانا انظر الى الحبشة يلعبون
في المسجد حتى اكون انا الذي اسام فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو اشارة الى
طول مدة وقوفها وروى البخاري ومسلم في حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عايشة ان ابا بكر رضي الله عنه
دخل عليها وعندها جاريتان في ايام منى تدففان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه
فانتهرهما ابو بكر فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه فقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد وقالت عايشة
رايت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني وانا انظر الى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر فقال عليه
الصلوة والسلام امنا يا بني ارفدة يعني من الامن وفي حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفيه
تغنيان وتضربان وفي حديث ابي الطاهر عن ابن وهب والله لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم
على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسترني بردايه لكي انظر الى لعبهم

ثم تقوم من اجلي حتى اكون انا الذي انصرف وروي عن عايشة رضي الله عنها قالت كنت العب بالبنات
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان تاتيني صواحب لي وكن يتقنعن من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يسربهن فيلعبن معي وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لها ما هذا قالت بناتي قال فما هذا الذي ارى في وسطهن قالت فرس قال وما هذا الذي عليه قالت
جناحان فقال الفرس له جناحان قالت او ما سمعت انه كان لسليمن بن داود خيل لها اجنحة قالت
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ
اللعب من الخزف والرقاع من غير تكميل صورته بدليل ما روي في بعض الروايات ان الفرس كان له جناحان
من رقع وقالت عايشة رضي الله عنها دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان
بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل ابو بكر فانتهرني وقال مزمار الشيطان عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا
وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فاما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما قال لي
تشتهين تنظرين فقلت نعم فاقامني وراءه وخدي على خده ويقول دونكم يا بني ارفدة حتى اذا مللت
قال حسبك قلت نعم قال فاذهبي وفي صحيح مسلم فوضعت راسي على منكبيه فجعلت انظر الى لعبهم حتى كنت انا
الذي انصرفت فهذه الاحاديث كلها في الصحيحين وهو نص صريح في ان الغناء واللعب ليس بحرام وفيها
دلالة على انواع من الرخص الاول اللعب ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب والثاني فعل ذلك في المسجد
والثالث قوله صلى الله عليه وسلم دونكم يا بني ارفدة وهو امر باللعب والتماس له فكيف يقدر كونه حراما والرابع
منعه لابي بكر وعمر عن الانكار والتغيير وتعليله بانه يوم عيد اي هو وقت السرور وهذا من اسباب السرور
الخامس وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عايشة وفيه دليل على ان حسن الخلق في تطييب
قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب احسن من خشونة الزهد والتقشف في الامتناع
والمنع السادس قوله صلى الله عليه وسلم ابتداء لعايشة اتشتهين ان تنظري فلم يكن ذلك
عن اضطرار الى مساعدة الاهل خوفا من غضبها او وحشتها فان الالتماس اذا سبق فربما
كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور فاما ابتداء السؤال فلا
حاجة فيه السابع الرخصة في الغناء والضرب بالدف من الجاريتين مع انه شبه ذلك بمزمار الشيطان وفيه
بيان ان المزمور المحرم غير ذلك والثامن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرع سمعه صوت الجاريتين
وهو مضطجع ولو كان يضرب بالاوتار في موضع لما جوز الجلوس ثم لقرع صوت الاوتار سمعه
فيدل هذا على ان صوت النساء غير محرم تحريم صوت المزامير بل انما يحرم عند خوف الفتنة فهذه
المقاييس والنصوص تدل على اباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب
والنظر الى رقص الحبشة والزنوج في اوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد وانه وقت سرور
وفي معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر وساير اسباب الفرح و
هو كل ما يجوز به الفرح شرعا ويجوز الفرح بزيارة الاخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على
طعام او كلام فهو ايضا مظنة السماع السادس سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية
للنفس فان كان في مشاهدة المعشوق فالغرض تاكيد اللذة وان كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق
والشوق وان كان الما ففيه نوع لذة اذا انضاف اليه رجاء الوصال فان الرجاء لذيذ واليأس مولم و

قوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشيء المرجو ففي هذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق و
تحصيل لذة الرجاء المقدر في الوصال مع الاطناب في وصف حسن المحبوب وهذا حلال ان كان المشتاق
اليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته او سريته فيصغي الى غنائها ليتضاعف لذته في لقائها فيحظى بالمشاهدة
البصر وبالسماع الاذن ويفهم لطايف معاني الوصال والفراق القلب فيترادف اسباب اللذة فهذا
نوع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحيوة الدنيا كلها الا لعب ولهو وهذا منه وكذلك
اذا غضبت منه جارية او غابت وحيل بينه وبينها بسبب من الاسباب فله ان يحرك بالسماع شوقه و
ان يستثير به لذة رجاء الوصال فان باعها او طلقها حرم عليه ذلك بعده اذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز
تحقيقه بالوصل واللقاء واما من يتمثل في نفسه صورة صبي او امراة لا يحل له النظر اليها وكان ينزل ما يسمع على ما تمثل
في نفسه فهذا حرام لانه محرك للفكر في الافعال المحظورة ومهيج للداعية الى ما لا يباح الوصول واكثر العشاق و
السفهاء من الشبان لا ينفكون عن اضمار شيء من ذلك فذلك ممنوع في حقهم لما فيهم من الداء الدفين لا لامر يرجع الى
نفس السماع ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد الى دماغ الانسان يزيله الجماع ويحركه السماع السابع
سماع من احب الله سبحانه وتعالى وعشقه واشتاق الى لقائه فلا ينظر الى شيء الا راه فيه ولا يقرع سمعه قارع الا
سمعه منه او فيه فالسماع في حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومور زناد قلبه ومستخرج منه احوالا من المكاشفات
والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها ويسمى تلك الاحوال بلسان
الصوفية وجدا ماخوذ من الوجود والمصادفة اي صادف من نفسه احوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ثم يكون تلك
الاحوال اسبابا لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه عن الكدورات كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها
من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات
لا من جملة المعاصي والمباحات وحصول هذه الاحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناسبة النغمات الموزونة
للارواح وتسخير الارواح لها وتاثرها بها شوقا وفرحا وحزنا وانبساطا وانقباضا ومعرفة السبب في تاثر الارواح
بالاصوات من دقايق علوم المكاشفات والبليد الجامد القاسي القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ
المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج وتعجب العنين من لذة المباشرة وتعجب
الصبي من لذة الرياسة واتساع اسباب الجاه وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته و
عجائب صنعه ولكل ذلك سبب واحد وهو ان اللذة نوع ادراك والادراك يستدعي مدركا ويستدعي قوة مدركة
فمن لم يكمل قوة ادراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق وكيف يدرك لذة الالحان
من فقد السمع او لذة المعقولات من فقد العقل وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت الى السمع
يدرك بحاسة باطنة في القلب من فقدها عدم لا محالة لذتها ولعلك تقول كيف يتصور العشق في حق الله تعالى
حتى يكون السماع محركا له فاعلم ان من عرف الله احبه لا محالة ومن تاكدت معرفته تاكدت محبته بقدر تاكد معرفته والمحبة
اذا تاكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق الا محبة مؤكدة مفرطة ولذلك قالت العرب ان محمدا عشق ربه لما راوه
يتخلى للعبادة في جبل حراء واعلم ان كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الجمال
ان كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون ادرك بحاسة البصر وان كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن
الصفات والاخلاق وارادة الخيرات لكافة الخلق وافاضتها عليهم على الدوام الى غير ذلك من الصفات الباطنة
ادرك بحاسة القلب ولفظ الجمال قد يستعار لها ايضا فيقال ان فلانا جميل وحسن ولا يراد صورته وانما يعني
به انه جميل الاخلاق محمود الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحسانا لها كما يحب

بحبّ الصورة الظاهرة وقد يتأكد هذه المحبة فتسمى عشقا فكم من الغلاة في حب ارباب المذاهب كالشافعي ومالك وابي حنيفة حتى يبذلون ارواحهم واموالهم في نصرتهم ومولاتهم ويزيدون على كل عاشق في الغلو والمبالغة ومن العجب ان يعقل عشق شخص لم يشاهد قط صورته اجميل هو ام قبيح وهو الان ميت ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته الرضية والخيرات الحاصلة من علمه لاهل الدين وغير ذلك من الخصال ثم لا يعقل عشق من لا يرى الخير الا منه بل لا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم الا وهو حسنة من حسنات واثر من اثار كرمه وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال في العالم ادرك بالعقول والابصار والاسماع وسائر الحواس من مبتداه الى منقرضه ومن ذروة الثريا الى منتهى الثرى فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من انوار حضرته فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه وكيف لا يتأكد عند العارفين باوصافه حبه حتى يجاوز حدا يكون اطلاق اسم العشق عليه ظلما في حقه لقصوره عن الانباء عن فرط محبته فسبحان من احتجب عن الظهور لشدة ظهوره واستتر عن الابصار باشراق نوره ولولا احتجابه بسبعين حجابا من نور لاحرقت سبحات وجهه ابصار الملاحظين لجمال حضرته ولولا ان ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتنافرت الاعضاء ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لاصبحت تحت مبادي انوار تجليه دكا دكا فانى يطيق كنه نور الشمس ابصار الخفافيش وسيأتي تحقيق هذه الاشارة في كتاب المحبة ويتضح ان محبة غير الله قصور وجهل بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله اذ ليس في الوجود تحقيقا الا الله وافعاله ومن عرف الافعال من حيث انها افعاله فلم يجاوز معرفة الفاعل الى غيره فمن عرف الشافعي رضي الله عنه وعلمه وتصنيفه من حيث انه تصنيفه لا من حيث انه بياض وجلد وحبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية فلم يجاوز معرفة الشافعي الى غيره ولا جاوزت محبته الى غيره وكل موجود سوى الله فهو تصنيف الله وفعله وبديع افعاله فمن عرفها من حيث هي صنع الله فراى من الصنع صفات الصانع كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله غير مجاوزة الى سواه ومن حد العشق انه لا يقبل الشركة وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة اذ كل محبوب سواه فيتصور له نظير اما في الوجود واما في الامكان فاما هذا الجمال فلا يتصور له ثان لا في الوجود ولا في الامكان وكان اسم العشق على حب غيره مجازا محضا لا حقيقة ثم الناقص القريب في نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لفظ العشق الا طلب الوصال الذي هو عبارة عن ظواهر الاجسام وقضاء شهوة الوقاع فمثل هذا الحمار ينبغي ان لا يستعمل معه لفظ العشق والشوق والوصال والانس بل يجنب هذه الالفاظ والمعاني كما تجنب البهيمة النرجس والريحان ويخصص بالقت والحشيش واوراق القضبان فان الالفاظ انما يجوز اطلاقها في حق الله تعالى اذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله تعالى عنه والايهام يختلف باختلاف الافهام فليتنبه لهذه الدقيقة في امثال هذه الالفاظ بل لا يبعد ان ينشأ من مجرد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب ينقطع بسببه نياط القلب فقد روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر غلاما كان في بني اسرائيل على جبل فقال لامه من خلق السماء قالت الله عز وجل فقال من خلق الارض قالت الله عز وجل قال من خلق الجبال قالت الله عز وجل قال فمن خلق الغيم قالت الله عز وجل قال اني لاسمع لله شانا ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع وهذا كانه سمع ما دل على جلال الله تعالى وتمام قدرته فطرب له ووجد فرمى بنفسه في الوجد وما انزلت الكتب الا ليطربوا بذكر الله تعالى قال بعضهم رأيت مكتوبا في الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا اي شوقناكم بذكر الله فلم تشتاقوا فهذا ما اردنا ان نذكره من اقسام السماع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على القطع اباحته في بعض المواضع والندب اليه في بعض المواضع فان قلت وهل له حالة يحرم فيها فاقول انه يحرم بخمسة عوارض عارض في المسمع وعارض في آلة السماع وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس المستمع او في مواظبته لان اركان السماع هو المسمع والمستمع وآلة السماع العارض الاول ان يكون المسمع امراة لا يحل النظر اليها وتخشى الفتنة في سماعها وفي معناها الصبي الذي تخشى فتنته وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لاجل الغناء بل لو كانت المراة بحيث يفتتن بصوتها في المحاورة من غير الحان فلا يجوز محادثتها ومحاورتها ولا سماع صوتها في القران ايضا وكذا الصبي الذي تخاف فتنته فان قلت فهل تقول ان ذلك حرام بكل حال حسما للباب او لا يحرم الا حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف الفتنة فاقول هذه مسئلة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها اصلان احدهما ان الخلوة بالاجنبية والنظر اليها حرام سواء خيفت الفتنة او لم تخف لانها مظنة الفتنة على الجملة فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات الى الصور والثاني ان النظر الى الصبيان مباح الا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الحسم بل يتبع فيه الحال وصوت المراة دائر بين هذين الاصلين فان قسناه على النظر اليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ولكن بينهما فرق اذ الشهوة تدعو الى النظر في اول هيجانها ولا تدعو الى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع بل هو اشد وصوت المراة في غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء في زمان الصحابة يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال والمشاورة وغير ذلك ولكن للغناء مزيد اثر في تحريك الشهوة فقياس هذا على النظر الى الصبيان اولى لانهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الاصوات فينبغي ان يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه هذا هو الاقيس عندي ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين في بيت عائشة اذ نعلم انه صلى الله عليه وسلم كان يسمع صوتهما ولم يحترز عنه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترز فاذن يختلف هذا باحوال المراة واحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يبعد ان يختلف الامر في مثل هذا بالاحوال فانا نقول للشيخ ان يقبل زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك لان القبلة تدعو الى الوقاع في الصوم وهو محظور والسماع يدعو الى النظر والمقاربة وهو حرام ويختلف ذلك ايضا بالاشخاص العارض الثاني في الآلة بان تكون من شعار اهل الشرب او المخنثين وهي المزامير والاوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة انواع وما عدا ذلك يبقى على اصل الاباحة كالدف وان كان فيه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات العارض الثالث في نظم الصوت وهو الشعر فان كان فيه شيء من الخنا والفحش والهجو او ما هو كذب على الله او على رسوله او على الصحابة كما رتبه الروافض في هجاء الصحابة وغيره فسماع ذلك حرام بالحان وغير الحان والمستمع شريك القائل وكذلك ما فيه وصف امراة بعينها فانه لا يجوز وصف المراة بين يدي الرجال واما هجاء الكفار واهل البدعة فذلك جائز فقد كان حسان بن ثابت ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجي الكفار وامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فاما النسيب وهو التشبيب بوصف الخدود والاصداغ وحسن القد والقامة وسائر اوصاف النساء فهذا فيه نظر والصحيح انه لا يحرم نظمه وانشاده بصوت وغير صوت وعلى المستمع ان لا ينزله على امراة معينة وان نزله نزله على من يحل له من زوجته وجاريته فان نزله على اجنبية فهو العاصي بالتنزيل واجالة الفكر فيه ومن هذا وصفه فينبغي ان يجتنب السماع راسا فان من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه سواء كان اللفظ مناسبا له او لم يكن اذ ما من لفظ الا ويمكن تنزيله على معان بطريق الاستعارة فالذي يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصدغ مثلا ظلمة الكفر وبنضارة الخد نور الايمان وبذكر الوصال لقاء الله وبذكر الفراق الحجاب عن الله في زمرة المردودين وبذكر الرقيب المشوش لروح الوصال

الوصال علايق الدنيا وافاتها المشوشة لدوام الانس بالله ولا يحتاج في تنزيله ذلك عليه الى استنباط وفكر
وتمهل بل تسبق المعاني الغالبة على القلب الى فهمه مع اللفظ كما روي عن بعض الشيوخ انه مر في السوق فسمع واحدا
يقول الخيار عشرة بحبة فغلبه الوجد فقال اذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الاشرار واجتاز بعضهم فسمع قائلا يقول
يا سعتر بري فغلبه الوجد فقيل له على ماذا كان وجدك فقال سمعته كانه يقول اسع ترى بري حتى ان العجمي قد يغلب
عليه الوجد على الابيات المنظومة بلغة العرب فان بعض حروفها يوازن الحروف العجمية فيفهم منها معاني اخر انشد
بعضهم وما زارني في الليل الا خياله فتواجد عليه عجمي فسئل عنه فقال انه يقول مازارم وهو كما يقول فان لفظ
زار في العجمية يدل على المشرف على الهلاك فتوهم انه يقول كلنا مشرفون على الهلاك واستشعر عنده خطر هلاك
الآخرة والمحترق في حب الله وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيله ان يوافق مراد الشاعر ولغته
فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فجدير بان يتشوش عليه عقله ويضطرب عليه اعضاؤه
فاذا ليس في تغيير اعيان الالفاظ كثير فائدة بل الذي غلب عليه عشق مخلوق ينبغي ان يحترز عن السماع باي لفظ كان و
الذي عليه حب الله فلا يضره الالفاظ ولا يمنعه عن فهم المعاني اللطيفة المتعلقة بمجاري همته الشريفة العارض
الرابع في المستمع وهو ان يكون الشهوة غالبة عليه وكان في غرة الشباب وكان هذه الصفة اغلب من غيرها عليه
فالسماع عليه حرام سواء غلب على قلبه حب شخص معين او لم يغلب فانه كيف ما كان فلا يسمع وصف الصدغ و
الخد والوصال والفراق الا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه فيشتعل نار
الشهوة فيه ويحتد بواعثه وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل للعقل المانع منه الذي هو حزب الله تعالى
والقتال في القلب دائم بين جنود الشيطان وهي الشهوات وبين حزب الله وهو نور العقل الا في قلب قد فتحه احد
الجندين واستولى عليه بالكلية وغالب النفوس قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها فيحتاج الى ان يستانف
اسباب القتال لازعاجه فكيف يجوز تكثير اسلحته وتحديد سيوفه واسنته والسماع مشحذ لاسلحة جند الشيطان
في حق مثل هذا الشخص فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فانه يستضر به العارض الخامس ان يكون الشخص من عوام
الخلق ولم يغلب عليه حب الله فيكون السماع له محبوبا ولا غلبت عليه الشهوة فيكون في حقه محذورا ولكنه ابيح في حقه
كساير انواع اللذات المباحة الا انه اذا اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه اكثر اوقاته فهذا هو السفيه الذي يرد شهادته
فان المواظبة على اللهو جناية وكما ان الصغيرة بالاصرار والمداومة تصير كبيرة فبعض المباحات بالمداومة يصير
صغيرة وهو كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر الى لعبهم على الدوام فانه ممنوع وان لم يكن
اصله ممنوعا اذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج فانه مباح ولكن
المواظبة عليه مكروه كراهة شديدة ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فانما يباح ذلك لما فيه من ترويح
القلب اذ راحة القلب معالجة له في بعض الاوقات لتنبعث دواعيه فتشتغل في ساير الاوقات بالجد في الدنيا
كالكسب والتجارة او في الدين كالصلوة والقراءة واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان
الخال على الخد ولو استوعبت الخيلان الخد لشوهه فما اقبح ذلك فيعود الحسن قبحا بسبب الكثرة فما كل حسن يحسن
كثيره ولا كل مباح يباح كثيره بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام فهذا المباح كساير المباحات فان قلت
فقد ادى مساق هذا الكلام الى انه مباح في بعض الاحوال دون بعض فلم اطلقت القول اولا بالاباحة اذ اطلاق
القول في المفصل بلا او نعم خلف وخطا فاعلم ان هذا غلط لان الاطلاق انما يمتنع لتفصيل ينشأ من عين
ما فيه النظر فاما ما ينشأ من الاحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الاطلاق الا ترى انا اذا
سئلنا عن العسل اهو حلال ام لا قلنا انه حلال مع انه حرام على المحرور الذي يستضر به واذا سئلنا عن الخمر

قلنا انه حرام مع انه يحل لمن غص بلقمة ان يشرب بها مهما لم يجد غيرها ولكن هو من حيث انه خمر حرام وانما
ابيح بعارض الحاجة والعسل من حيث انه عسل حلال وانما حرم بعارض الضرر وما يكون بعارض
فلا يلتفت اليه فان البيع حلال ويحرم بعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة وبجملة من العوارض
فالسماع من جملة المباحات من حيث انه سماع صوت موزون طيب مفهم وانما تحريمه بعارض خارج
عن حقيقة ذاته واذا انكشف الغطاء عن دليل فلا نبالي بمن يخالف بعد ظهور الدليل واما الشافعي
رضي الله عنه فليس تحريم الغناء من مذهبه وقد نص الشافعي فقال في الرجل يتخذه صناعة لا تجوز شهادته
وذلك لانه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل ومن اتخذه صنعة كان منسوبا الى السفاهة وسقوط المروة وان
لم يكن محرما بين التحريم وان كان لا ينسب نفسه الى الغناء ولا يؤتى لذلك ولا ياتي لاجله وانما يعرف بانه
قد يطرب في الحال فيترنم فيها لم يسقط هذا مروته ولم يبطل شهادته واستدل بحديث الجاريتين اللتين
كانتا تغنيان في بيت عائشة رضي الله عنها وقال يونس بن عبد الاعلى سالت الشافعي عن اباحة اهل المدينة
للسماع فقال الشافعي لا اعلم احدا من علماء الحجاز كره السماع الا ما كان منه في الاوصاف فاما الحداء وذكر
الاطلال والمرابع وتحسين الصوت بالحان الاشعار فمباح وحيث قال انه لهو مكروه يشبه الباطل فقوله لهو
صحيح ولكن اللهو من حيث انه لهو ليس بحرام فلعب الحبشة ورقصهم لهو وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر
اليه ولا يكرهه بل اللهو واللغو لا يؤاخذ الله به ان عني به انه فعل ما لا فائدة فيه فان الانسان لو وظف على نفسه
ان يضع يده على راسه في اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم قال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو
في ايمانكم فاذا كان ذكر اسم الله على الشيء والمخالفة فيه مع انه لا فائدة فيه لا يؤاخذ به فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص
اما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاده تحريمه بل لو قال هو باطل صريحا لما دل على تحريمه وانما يدل على خلوه
عن الفائدة فالباطل ما لا فائدة فيه فقول الرجل لزوجته مثلا بعت نفسي منك وقولها اشتريت عقد باطل
مهما كان القصد اللعب والمطايبة وليس بحرام الا اذا قصد التمليك المحقق الذي منع الشرع منه واما قوله مكروه
فينزل على بعض المواضع التي ذكرناها او ينزل على التنزيه فانه نص على اباحة لعب الشطرنج وذكر اني اكره كل لعب وتعليله
يدل عليه فانه قال ليس ذلك من عادة ذوي الدين والمروة فهذا يدل على التنزيه ورده الشهادة بالمواظبة عليه
لا يدل على تحريمه ايضا بل قد ترد الشهادة بالاكل في السوق وما يخرم المروة بل الحياكة مباحة وليست من صنائع ذوي
المروة وقد ترد شهادة المحترف بالحرف الخسيسة فتعليله يدل على انه اراد بالكراهة التنزيه وهذا هو الظن
ايضا بغيره من كبار الائمة وان ارادوا التحريم فما ذكرناه حجة عليهم بيان حجة القائلين بتحريم السماع والجواب
عنها احتجوا بقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي ان لهو الحديث
هو الغناء وروت عائشة ان الله تعالى حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها اما القينة فالمراد بها الجارية التي
تغني للرجال في مجلس الشرب وقد ذكرنا ان غناء الاجنبية للفساق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام وهم لا يقصدون بالفتنة
الا ما هو محظور فاما غناء الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير مالكها عند عدم الفتنة بدليل
ما روي في الصحيح من غناء الجاريتين في بيت عائشة واما شراء لهو الحديث بالدين استبدالا به ليضل به عن سبيل الله فهو
حرام مذموم وليس النزاع فيه وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله وهو المراد به في الاية ولو
قرا القران ليضل به عن سبيل الله كان حراما حكي عن بعض المنافقين انه كان يؤم الناس ولا يقرا الا سورة عبس لما فيها من
العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر بقتله فالاضلال بالشعر والغناء اولى بالتحريم واحتجوا بقوله تعالى افمن
هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون قال ابن عباس هو الغناء بلغة حمير يعني السمد فنقول فينبغي

ان يحرم الضحك وعدم البكاء ايضا لان الاية تشتمل عليه فان قيل ان ذلك مخصوص بالضحك
على المسلمين لاسلامهم فهذا ايضا مخصوص باشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين
كما قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون واراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر
في نفسه واحتجوا بما روي عن جابر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال كان ابليس اول من
ناح واول من تغنى فقد جمع بين النياحة والغناء قلنا لا جرم وكما استثني عنه نياحة داود عليه
السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم فكذلك استثني الغناء الذي يراد به تحريك السرور والحزن والشوق
حيث يباح تحريكه بل كما استثني غناء الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وغناؤهم عند قدومه عليه الصلوة والسلام بقولهم طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
واحتجوا بما روى ابو امامة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما رفع احد صوته بغناء الا بعث الله تعالى
اليه شيطانين على منكبيه يضربان باعقابهما على صدره حتى يمسك قلنا هو منزل على بعض انواع
الغناء الذي قدمناه وهو الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق
المخلوق فاما ما يحرك الشوق الى الله او السرور بالعيد او حدوث ولد او قدوم غائب فهذا
كله يضاد مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين والحبشة والاخبار التي نقلناها من الصحاح
فالتجويز في موضع واحد نص في اباحته والمنع في الف موضع محتمل للتاويل ومحتمل للتنزيه و
اما الفعل فلا تاويل له اذ ما حرم فعله انما يحل بعارض الاكراه فقط وما ابيح فعله يحرم
بعوارض كثيرة حتى النيات والقصود واحتجوا بما روى عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل الا تاديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته امراته قلنا فقوله
باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة وقد نسلم ذلك على ان التلهي بالنظر الى الحبشة
خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام بل يلحق بالمحصور غير المحصور قياسا كقوله صلى الله عليه وسلم
لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان الخبر فانه يلحق به رابع
وخامس وكذلك ملاعبته امراته لا فائدة له الا التلذذ وفي هذا تلذذ على ان التفرج في البساتين
وسماع اصوات الطيور وانواع المداعبات مما يلهو به الرجل لا يحرم شيء منها وان جاز وصفه بانه باطل
واحتجوا بقول عثمن رضي الله ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم قلنا فليكن التمني ومس الذكر باليمين حراما ان كان دليل تحريم الغنى فمن اين ثبت ان
عثمان رضي الله عنه كان لا يترك الا الحرام واحتجوا بقول ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب وزاد
بعضهم كما ينبت الماء البقل ورفعه بعضهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح قالوا ومر على
ابن عمر قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال الا لا اسمع الله لكم الا لا اسمع الله لكم وعن نافع انه قال
كنت مع ابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع اصبعيه في اذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا
نافع اتسمع ذلك حتى قلت لا فاخرج اصبعيه وقال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع
وقال الفضيل بن عياض الغناء رقية الزنا وقال بعضهم الغناء رائد من رواد الفجور وقال يزيد بن الوليد اياكم
والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم لا بد فاعلين
فجنبوا النساء فان الغناء داعية الزنا فنقول قول ابن مسعود ينبت النفاق اراد به في حق المغني فانه
في حقه ينبت النفاق اذ غرضه كله ان يعرض نفسه على غيره ويروج صوته عليه ولا يزال ينافق ويتردد الى

الناس ليرغبوا في غنائه وذلك ايضا لا يوجب تحريما فان لبس الثياب الجميلة وركوب الخيول المحلاة
وسائر انواع التفاخر والزينة بالحرث والانعام والزرع ينبت الرياء والنفاق في القلب ولا
يطلق القول بتحريم ذلك كله فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط بل المباحات التي هي
مواقع نظر الخلق اكثر تاثيرا ولذلك نزل عمر رضي الله عنه عن فرس هملج تحته وقطع ذنبه لانه استشعر
في نفسه الخيلاء لحسن مشيته فهذا النفاق من المباحات واما قول ابن عمر الا لا اسمع الله لكم لا
يدل على التحريم من حيث انه غناء بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث وظهر له من مخايلهم ان سماعهم لم
يكن لوجد وشوق الى زيارة بيت الله بل لمجرد اللهو فانكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالاضافة الى حالهم
وحال الاحرام وحكايات الاحوال يكثر فيها وجوه الاحتمال واما وضعه اصبعيه في اذنيه فيعارضه

> يامر نافعا بذلك ولا انكر عليه سماعه وانما فعل هو ذلك لانه راى ان ينزه سمعه في الحال وقلبه عن صوت ربما [illegible]

انه لم يحرك اللهو ويمنعه عن فكر كان فيه او ذكر هو اولى منه وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع انه لم يمنع ابن عمر لا يدل على التحريم ايضا بل يدل على ان الاولى تركه ونحن نرى ان الاولى
تركه في اكثر الاحوال بل اكثر مباحات الدنيا الاولى تركها اذا علم ان ذلك يؤثر في القلب فقد
خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب ابي جهم اذ كانت عليه اعلام شغلت قلبه افترى ان ذلك يدل على تحريم الاعلام
على الثوب فلعله صلى الله عليه وسلم كان في حالة كان صوت زمارة الراعي يشغله عن تلك الحالة كما
شغله العلم عن الصلوة بل الحاجة الى استثارة الاحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور
بالاضافة الى من هو دائم الشهود للحق وان كان كمالا بالاضافة الى غيره ولذلك قال الحصري
ما ذا اعمل بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة الى ان السماع من الله تعالى دائم فالانبياء عليهم
السلام على الدوام في لذة السمع والشهود فلا يحتاجون الى التحريك بالحيلة واما قول الفضيل هو
رقية الزنا وكذلك ما صداه من الاقاويل القريبة منه فهو منزل على سماع العشاق والمغتلمين من
الشبان ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الغناء
فغايته ما نذكره ان يقاس على الاوتار وقد سبق الفرق او يقال هو لعب ولهو وهو كذلك لكن
الدنيا كلها لهو ولعب قال عمر رضي الله عنه لزوجته انما انت لعبة في زاوية البيت وجميع الملاعبة
مع النساء لهو الا الحراثة التي هي سبب لوجود الولد وكذلك المزاح الذي لا فحش فيه حلال نقل
ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة كما سيأتي تفصيله في كتاب افات
اللسان واي لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج في لعبهم وقد ثبت بالنص اباحته على اني اقول اللهو
مروح للقلب ومخفف عنه اعباء الفكر والقلوب اذا اكرهت عميت وترويحها اعانة لها على الجد
فالمواظب على التفقه مثلا ينبغي ان يتعطل يوم الجمعة لان عطلة يوم تبعث النشاط في سائر الايام و
المواظب على الصلوات في سائر الاوقات ينبغي ان يتعطل في بعض الاوقات ولاجله كرهت الصلوة في
بعض الاوقات فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجد ولا يصبر على الجد المحض الا نفوس الانبياء
فاللهو دواء القلب عن داء الاعياء والملال فينبغي ان يكون مباحا ولكن لا ينبغي ان يستكثر منه
كما لا يستكثر من الدواء فاذا اللهو على هذه النية يصير قربة هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه
صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له الا اللذة والاستراحة المحضة فينبغي ان يستحب له ذلك ليتوصل به
الى المقصود الذي ذكرناه نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال بل الكامل هو الذي لا يحتاج
ان يروح نفسه بغير الحق ولكن حسنات الابرار سيئات المقربين ومن احاط بعلم علاج القلوب و
وجوه التلطف بها لسياقتها الى الحق علم قطعا ان ترويحها بامثال هذه الامور دواء نافع لا غنى عنه

الباب الثاني في آثار السماع وآدابه

اعلم ان درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى
يقع للمستمع ثم يثمر الفهم الوجد ويثمر الوجد الحركة بالجوارح فلينظر في هذه المقامات الثلاثة المقام
الاول في الفهم ويختلف باختلاف احوال المستمع وللمستمع اربعة احوال احدها ان يكون سماعه
بمجرد الطبع اي لا حظ له في السماع الا استلذاذ الالحان والنغمات وهذا مباح وهو اخس اذ
الابل شريكة له فيه وكذا سائر البهائم بل لا يستدعي هذا الذوق الا الحيوة فلكل حيوان نوع تلذذ
بالاصوات الطيبة الحالة الثانية ان يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق اما معينا وغير معين
وهو سماع الشبان وارباب الشهوة ويكون تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم ومقتضى احوالهم
وهذه الحالة اخس من ان نتكلم فيها الا ببيان خستها والنهي عنها الثالثة ان ينزل ما يسمعه على احوال
نفسه في معاملته لله تعالى وتقلب احواله في التمكن مرة والتعذر اخرى وهذا سماع المريدين
لا سيما المبتدئين فان للمريد لا محالة مرادا هو مقصده ومقصده معرفة الله تعالى ولقاؤه و
الوصول اليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء وله في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات
هو مثابر عليها وحالات تستقبله في معاملاته فاذا سمع ذكر عتاب او طمع او يأس او وحشة
او استيناس او وفاء بالعهد او نقض للعهد او خوف فراق او فرح وصال او ذكر ملاحظة
الحبيب ومدافعة الرقيب وهمول العبرات او ترادف الحسرات او طول الفراق او عدة الوصال
او غير ذلك مما يشتمل على وصفه الاشعار فلا بد ان يوافق بعضها حال المريد في طلبه فيجري ذلك
مجرى القدح الذي يوري زناد قلبه فيشتعل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه و
يهجم بسببه عليه احوال مخالفة لعادته ويكون له مجال رحب في تنزيل الالفاظ على احواله وليس على
المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل ذي فهم من اقتباس المعنى منه حظ
ولنضرب لهذه التنزيلات والفهم امثلة كيلا يظن الجاهل ان المستمع لابيات فيها ذكر الصنم و
الخد والصدغ انما يفهم منها ظواهرها ولا حاجة بنا الى ذكر كيفية فهم المعاني من الابيات ففي
حكايات اهل السماع ما يكشف عن ذلك فقد حكي ان بعضهم سمع قائلا يقول قال الرسول
غدا نزور فقلت تدري ما تقول فاستفزه القول واللحن وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل
مكان الهاء نونا فيقول قال الرسول غدا نزور حتى غشي عليه من شدة الفرح واللذة والسرور
فلما افاق سئل عن وجده مم كان فقال ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة
يزورون ربهم في كل جمعة مرة وحكى الرقي عن ابن الدراج انه قال كنت انا وابن الفوطي مارين على
الدجلة بين البصرة والابلة فاذا بقصر حسن له منظرة وعليه رجل بين يديه جارية تغني وتقول
كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل واذا شاب تحت المنظرة بيده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال يا
جارية بالله وبحياة مولاك الا اعدت علي هذا البيت فاعادت وكان الشاب يقول وهذا والله
تلوني مع الحق في حالي فشهق شهقة ومات قال فقلنا قد استقبلنا فرض فوقفنا فقال صاحب
القصر للجارية انت حرة لوجه الله قال ثم خرج اهل البصرة وصلوا عليه فلما فرغوا من دفنه قال
صاحب القصر اشهدكم ان كل شيء لي في سبيل الله وكل جواري احرار وهذا القصر للسبيل ثم
رمى بثيابه واتزر بازار وارتدى باخر ومر على وجهه والناس ينظرون اليه حتى غاب عن اعينهم
وهم يبكون فلم يسمع له خبر بعده والمقصود ان هذا الشخص مستغرق الوقت بحاله مع الله و

معرفة عجزه عن الثبوت على حسن الادب في المعاملة وتأسفه على تقلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما
سمع ما يوافق حاله سمعه من الله كانه يخاطبه ويقول له كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل ومن كان هذا سماعه
من الله وعلى الله وفيه فينبغي ان يكون قد احكم قانون العلم في معرفة الله ومعرفة صفاته والا خطر له في السماع
في حق الله ما يستحيل عليه ويكفر به ففي سماع المريد المبتدي خطر الا اذا كان لم ينزل ما يسمع الا على حاله من حيث
لا يتعلق بوصف الله ومثال الخطا فيه هذا البيت بعينه لو سمعه في نفسه وهو يخاطب به ربه فيضيف التلون
الى الله فيكفر وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق وقد يكون عن جهل سابق اليه نوع من
التحقيق وهو انه يرى تقلب احوال قلبه بل تقلب سائر احوال العالم من الله وهو حق فانه تارة يبسط قلبه و
تارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يقسيه وتارة يثبته على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان
عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله ومن يصدر منه افعال مختلفة في اوقات متقاربة فقد يقال له
في العادة انه ذو بدوات وانه متلون ولعل الشاعر لم يرد الا نسبة محبوبه الى التلون في قبوله ورده وتقريبه
وابعاده وهذا هو المعنى وسماع مثل ذلك في حق الله تعالى كفر محض بل ينبغي ان يعلم انه سبحانه وتعالى
يلون ولا يتلون ويغير ولا يتغير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدي ايماني ويحصل
للعارف البصير بيقين كشفي حقيقي وذلك من اعاجيب اوصاف الربوبية وهو المغير من غير تغير ولا
يتصور ذلك الا في حق الله بل كل مغير سواه فلا يغير ما لم يتغير ومن ارباب الوجد من يغلب عليه
حال مثل السكر المدهش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ويستنكر اقتياده للقلوب وقسمته
للاحوال الشريفة على تفاوت فانه المستصفي لقلوب الصديقين والمبعد لقلوب الجاحدين
والمغرورين فلا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة ولا
امد الانبياء بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة ولكنه قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين وقال ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون فان خطر ببالك انه لم اختلفت السابقة وهم في ربقة العبودية
مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لا تجاوز حد الادب فانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
ولعمري التأدب باللسان والظاهر مما يقدر عليه الاكثرون فاما التأدب بالسر عن اضمار الاستبعاد
لهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والابعاد والاشقاء والاسعاد مع بقاء السعادة و
الشقاوة ابد الاباد فلا يقوى عليه الا العلماء الراسخون في العلم ولهذا قال الخضر عليه السلام
لما سئل عن السماع في المنام انه الصفاء الزلال الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلماء لانه محرك لاسرار
القلوب ومكامنها ومشوش لها تشويش السكر المدهش الذي يحل عقدة الادب عن السر
الا من عصمه الله بنور هدايته ولطف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من هذا السماع راسا
براس ففي هذا السماع خطر يزيد على خطر السماع على مخلوق بالشهوة فان غاية ذلك معصية وغاية
الخطأ ها هنا كفر واعلم ان الفهم يختلف باحوال المستمع فيغلب الوجد على مستمعين لبيت واحد واحدهما
مصيب في الفهم والاخر مخطئ او كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين ولكن بالاضافة
الى اختلاف احوالهما لا يتناقض كما حكي عن عتبة الغلام انه سمع رجلا يقول سبحان جبار السماء ان
المحب لفي عناء فقال صدقت وسمعه رجل اخر فقال كذبت فقال بعض ذوي البصائر اصابا جميعا وهو
الحق فالتصديق كلام محب غير ممكن من المراد بل مصدود متعب بالصد والهجر والتكذيب كلام

ممكن

متأنس بالحب مستلذ لما يناسبه كتيب وطاحة غير متأثر به او كلام محب غير مقصود وعن مراده
في الحال ولا مستشعر بخطر الصد في المآل وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه فباختلاف
هذه الاحوال يختلف الفهم وحكي عن ابي القاسم بن مروان وقد كان صحب ابا سعيد الخراز وترك حضور
السماع سنين كثيرة فحضر في دعوة فقال المغني واقف في الماء عطشان ولكن ليس يسقى فقام
القوم وتواجدوا فلما سكنوا سألهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت فاشاروا الى التعطش الى الاحوال
الشريفة والحرمان عنها مع اسباب حضورها فلم يقنعه ذلك فقيل له ما ذا عندك فيه فقال ان
يكون في وسط الاحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة وهذا اشارة الى اثبات حقيقة وراء
الاحوال والكرامات الاحوال سوابقها والكرامات تسنح في مباديها والحقيقة بعد لم تقع الوصول اليها ولا
فرق بين الذي فهمه وبين ما ذكروه الا في تفاوت رتبة المتعطش اليه فان المحروم عن الاحوال الشريفة اولا يتعطش
اليها فان مكن منها تعطش الى ما وراءها فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين
وكان الشبلي كثيرا ما يتواجد على هذا البيت وداد كم هجر وحبكم قلى ووصلكم صرم وسلمكم حرب وهذا
البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل واظهرها ان يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا
باسرها بل في كل شيء سوى الله فان الدنيا مكارة خداعة قتالة لاربابها معادية لهم في الباطن ومظهرة
صورة الود فما امتلأت منها حبرة الا امتلأت عبرة كما ورد في الخبر وكما قال الثعالبي في وصف الدنيا
تنح عن الدنيا فلا تخطبنها ولا تخطبن قتالة من تناكح فليس يفي مرجوها بمخوفها ومكروهها اما تأملت راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا وعندي لها وصف لعمري صالح سلاف قصاراها ذعاف ومركب شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يونق الناس حسنه ولكن له اسرار سوء قبائح والمعنى الثاني ان ينزله على نفسه في حق الله تعالى فانه اذا تفكر
فمعرفته جهل اذ ما قدروا الله حق قدره وطاعته رياء اذ لا يتقي الله حق تقاته وحبه معلول اذ لا يدع شهوة من
شهواته في حبه ومن اراد الله به خيرا بصره بعيوب نفسه فيرى مصداق هذا البيت في نفسه وان علت الرتبة
بالاضافة الى الغافلين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال
اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وانما كان استغفاره عن احوال هي درجات بعد بالاضافة الى ما بعدها
وان كانت قربا بالاضافة الى ما قبلها فلا قرب الا ويبقى وراءه قرب لا نهاية له اذ سبيل السلوك الى الله غير متناه
والوصول الى اقصى درجات القرب محال والمعنى الثالث ان ينظر في مبادي احواله فيرتضيها وينظر في عواقبها
فيزدريها لاطلاعه على خفايا الغرور فيها فيرى ذلك من الله فيستمع البيت في حق الله شكاية من القضاء والقدر
وهذا كفر كما سبق بيانه وما من بيت الا ويمكن تنزيله على معان وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه
الحالة الرابعة سماع من جاوز الاحوال والمقامات فعزب عن فهم ما سوى الله حتى عزب عن نفسه واحوالها
ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص في عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة اللاتي قطعن ايديهن
في جمال يوسف حتى بهتن وسقط احساسهن وعن مثل هذه الحالة يعبر الصوفية بانه فني عن نفسه ومهما فني
عن نفسه فهو عن غيره افنى وكانه فني عن كل شيء الا عن الواحد المشهود وفني ايضا عن الشهود فان القلب ايضا
ان التفت الى الشهود والى نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن المشهود فالمستهتر بالمرئي لا التفات له في حالة استغراقه
الى رؤيته ولا الى عينه التي بها رؤيته ولا الى قلبه الذي به لذته فالسكران لا خبر له من سكره والملتذ لا خبر له من
التذاذه وانما خبره من الملتذ به فقط ومثاله العلم بالشيء فانه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء فمهما ورد عليه العلم
بالعلم بالشيء كان معرضا عن الشيء ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق المخلوقين وتطرأ ايضا في حق الخالق ولكنها في

الغالب يكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم فان دام لم تطقه القوة البشرية فربما
يضطرب تحت اعبائه اضطرابا يهلك فيه نفسه كما روي عن ابي الحسن النوري انه حضر مجلسا فسمع هذا
البيت ما زلت انزل من ودادك منزلا يتحير الالباب عند نزوله فقام وتواجد وهام على وجهه فوقع في
اجمة قصب قد قطع وبقي اصوله مثل السيوف وكان يعدو فيها ويعيد البيت الى الغداة والدم يخرج
من رجليه حتى ورمت قدماه وساقاه وعاش بعده اياما ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين
في الفهم والوجد وهي اعلى الدرجات لان السماع على الاحوال وهي ممتزجة بصفات البشرية نوع
قصور وانما الكمال ان يفنى بالكلية عن نفسه واحواله اعني انه ينساها فلا يبقى له التفات اليها
كما لم يكن للنسوة التفات الى الايدي والسكين فيسمع لله وبالله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة
الحقائق وعبر ساحل الاحوال والاعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص بل خمد
بالكلية بشريته وفني التفاته الى الصفات البشرية راسا ولست اعني بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه و
لست اعني بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له الى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذي
هو من امر الله عرفها من عرفها وجهلها من جهلها وللذلك السر وجود وصورة ذلك الوجود ما يحضر
فيه فاذا حضر فيه غيره فكانه لا وجود الا للحاضر ومثاله المرآة المجلوة اذ ليس لها لون في نفسها صورة
بل صورتها قبول الصور ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الالوان ويعرب عن هذه الحقيقة في سر
القلب بالاضافة الى ما يحضر فيه قول الشاعر رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الامر فكانما خمر
ولا قدح وكانما قدح ولا خمر وهذه مقاصة من مقاصات علوم المكاشفة منها نشأ خيال من ادعى الحلول
والاتحاد وقال انا الحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت او تدرعها
بها او حلولها فيها على ما اختلفت فيه عباراتهم وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم على المرآة بصورة الحمرة
اذا ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها واذا كان هذا غير لائق بعلم المعاملة فلنرجع الى الغرض فقد ذكرنا
تفاوت الدرجات في فهم المسموعات المقام الثاني بعد الفهم والتنزيل الوجد وللناس كلام طويل في حقيقة
الوجد اعني للصوفية وللحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للارواح فلننقل من اقوالهم الفاظا ثم لنكشف
عن الحقيقة اما الصوفية فقد قال ذو النون المصري في السماع انه وارد حق جاء يزعج القلوب الى الحق
فمن اصغى اليه بحق تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق فكانه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب الى الحق
وهو الذي يجده عند ورود وارد السماع اذ سمى السماع وارد حق وقال ابو الحسين الدراج مخبرا عما
وجده في السماع الوجد عبارة عما يوجد في السماع قال جال بي السماع في ميادين البهاء فاوجدني وجود
الحق عند العطاء فسقاني بكأس الصفاء فادركت به منازل الرضى واخرجني الى رياض النزهة
والفضاء وقال الشبلي السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الاشارة حل له استماع العبرة والا فقد
استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم السماع غذاء الارواح لاهل المعرفة لانه وصف يدق عن سائر
الاعمال ويدرك برقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند اهله وقال عمرو بن عثمان المكي لا
يقع على كيفية الوجد عبارة لانه سر الله عند المؤمنين الموقنين وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق
وقال ابو سعيد بن الاعرابي الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب و
محادثة السر وايناس المفقود وهو فناؤك انت من حيث انت وقال ايضا الوجد اول درجات الخصوص
وهو ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوه وسطع في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب وقال

الالباب صح

فلم يبق فيه منه شيء اصلا صح

بل لونها لون الحاضر في نفسها ومثالها وكذلك الزجاجة فانها على لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها وليس لها في نفسها صح

ايضا الذي يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والاسباب لان النفس محجوبة باسبابها فاذا انقطعت الاسباب وخلص الذكر وصحا القلب ورق وصفا ونجع الموعظة فيه وحل من المناجات في محل قريب وخوطب وسمع الخطاب باذن واعية وقلب شاهد وسر ظاهر فشاهد منه ما كان منه خاليا فذلك هو الوجد لانه وجد ما كان معدوما عنده وقال ايضا الوجد ما يكون عند ذكر مزعج او خوف مقلق او توبيخ على زلة او محادثة بلطيفة او اشارة الى فائدة او شوق الى غائب او اسف على فائت او ندم على ماض او استجلاب الى حال او دعاء الى واجب او مناجاة بسر وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج ما لك بما عليك مما سبق لك السعي فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر اذ كان هو المبتدئ بالنعم والمتولي واليه يرجع الامر كله فهذا ظاهر علم الوجود واقوال الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثيرة واما الحكماء فقد قال بعضهم في القلب فضيلة شريفة تعذر على قوة النطق اخراجها باللفظ فاخرجتها النفس بالالحان فلما ظهرت سرت وطربت اليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر وقال بعضهم نتائج السماع استنهاض العاجز من الرأي واستجلاب العازب من الافكار وحدة الكال من الافهام والآراء حتى يثوب ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويمرح في كل رأي ونية فيصيب ولا يخطئ ويأتي ولا يبطئ وقال آخر كما ان الفكر يطرق العلم الى المعلوم فالسماع يطرق القلب الى العالم الروحاني وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الاطراف بالطبع على وزن الالحان والايقاعات فقال ذلك عشق عقلي والعاشق العقلي لا يحتاج ان يناغي معشوقه بالمنطق الجرمي بل يناغيه ويناجيه بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والاشارة وهذه نواطق اجمع الا انها روحانية واما العاشق البهيمي فانه يستعمل النطق الجرمي ليعبر به عن ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الداثر وقال آخر من حزن فليستمع الالحان فان النفس اذا دخلها الحزن خمد نورها واذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفائه ونقائه من الغش والدنس والاقاويل المتفرقة في السماع والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار من ايرادها فلنشتغل بتفهيم المعنى الذي الوجد عبارة عنه فنقول انه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو من قسمين فانها اما ان ترجع الى مكاشفات ومشاهدات من قبيل العلوم والتنبيهات واما ان ترجع الى تغيرات واحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والاسف والندم والبسط والقبض وهذه الاحوال يهيجها السماع ويقويها فان ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر او تسكينه او تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته او يطرق ويسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وان ظهر على الظاهر سمي وجدا اما ضعيفا واما قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه فقد لا يظهر الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك والى المعنى الاول اشار ابو سعيد بن الاعرابي حيث قال في الوجد انه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد ان يكون السماع سبب الكشف لما لم يكن مكشوفا قبله فان الكشف يحصل باسباب منها التنبيه والسماع منبه ومنها تغير الاحوال ومشاهدتها وادراكها فان ادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل الورود ومنها صفاء القلب والسماع مؤثرة في تصفية القلب والصفاء سبب الكشف ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان يقصر عنه قبل ذلك قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى

صفلوص

عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة اسرار الملكوت كما ان عمل البعير حمل الاثقال فبواسطة هذه الاسباب يكون سببا للكشف بل القلب اذا صفا ربما يمثل له الحق في صورة مشاهدة او في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذا كان في اليقظة وبالرؤيا اذا كان في المنام وذلك جزء من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم الباطن وذلك كما روي عن محمد بن مسروق البغدادي انه قال خرجت ليلة في ايام جاهليتي وانا نشوان وكنت اغني هذا البيت بطور سيناء كرم ما مررت به الا تعجبت ممن يشرب الماء فسمعت قائلا يقول وفي جهنم ماء ما تجرعه خلق فابقى له في الجوف امعاء وكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة فانظر كيف اثر الغناء في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم في لفظ موزون منظوم وقرع ذلك سمعه الظاهر وروي عن مسلم العباداني قال قدم علينا مرة صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الاسواري فنزلوا على الساحل قال فهيأت لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم اليه فجاؤوا فلما وضعت الطعام بين ايديهم اذا قائل يقول رافعا صوته وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غيها غير نافع قال فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعنا الطعام وما ذاقوا منه والله لقمة وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب يشاهد ايضا بالبصر صورة الخضر عليه السلم اما على حقيقة صورتها او مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة وقد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل مرتين في صورته واخبر عنه بانه كان قد سد الافق وهو المراد بقوله تعالى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى الى آخر هذه الآيات وفي مثل هذه الاحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب وقد يعبر عن ذلك الاطلاع بالتفرس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقد حكي ان واحدا من المجوس كان يدور على المسلمين ويقول ما معنى قول النبي عليه الصلوة والسلم اتقوا فراسة المؤمن وكان يذكر له تفسيره ولا يقنعه حتى انتهى الى بعض المشايخ من الصوفية فسأله فقال معناه ان تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه واسلم وقال الآن عرفت انك مؤمن وان ايمانك حق وكما حكي عن ابراهيم الخواص قال كنت ببغداد في جماعة من الفقراء في الجامع فاقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه فقلت لاصحابنا يقع لي انه يهودي فكلهم كرهوا ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع اليهم وقال ايش قال الشيخ في فاحتشموا فالح عليهم فقالوا قال انك يهودي قال فجاءني فاكب على يدي واسلم وقال نجد في كتبنا ان الصديق لا يخطئ فراسته فقلت امتحن المسلمين فتاملتهم فقلت ان كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة لانهم يقولون حديثه سبحانه فلبست عليكم فلما اطلع علي الشيخ وتفرس في علمت انه صديق قال وكان الشاب من كبار الصوفية والى مثل هذه الكشف الاشارة بقوله عليه الصلوة والسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء وانما تحوم الشياطين على القلوب اذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة فانها مرعى الشيطان ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفى لم يطف الشياطين حول قلبه واليه الاشارة بقوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين وبقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء وعلى هذا يدل ما روي ان ذا النون المصري رحمه الله دخل بغداد فاجتمع اليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستاذنوه في ان يقول شيئا فاذن له فانشا يقول صغير هواك عذبني فكيف به اذا احتنكا وانت جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركا اما ترثي لمكتئب اذا ضحك الخلي بكى فقام ذو النون وسقط على وجهه ثم قام رجل آخر فقال ذو النون الذي يراك حين تقوم فجلس ذلك الرجل وقال كان ذلك اطلاعا من ذي النون على قلبه انه متكلف متواجد فعرفه ان الذي يراه حين يقوم هو الخصم في قيامه لغير الله ولو كان الرجل صادقا لما جلس فاذن قد رجع حاصل الوجد

بجيم ميم ى

عم

فانه يتمثل لارباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للانبياء عليهم السلام

ترثى لمتيم

الى مكاشفات والى حالات فاعلم ان كل واحد منهما ينقسم الى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه و
الى ما لا يمكن العبارة عنه اصلا ولعلك تقول تستبعد حالة او علما لا يعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عن
حقيقته فلا تستبعد ذلك فانك تجد في احوالك القريبة لها شواهد اما العلم فكم من فقيه يعرض
عليه مسئلتان متشابهتان في الصورة ويدرك الفقيه بذوقه ان بينهما فرقا في الحكم واذا كلف ذكر
وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وان كان من افصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه
التعبير عنه وادراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالذوق ولا شك في ان لوقوعه في قلبه سببا وله عند
الله حقيقة ولا يمكنه الاخبار عنه لا لقصور في لسانه بل لدقة المعنى في نفسه عن ان ينالها العبارة
وهذا مما يتفطن له المواظبون على النظر في المشكلات واما الحال فكم من انسان يدرك في قلبه في الوقت الذي
يصبح قبضا او بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر الانسان في شيء فيؤثر في نفسه اثرا فينسى ذلك السبب
ويبقى الاثر في نفسه وهو يحس به وقد تكون الحالة التي يحسها سرورا ثبت في نفسه بتفكره في سبب موجب
للسرور او حزنا فينسى المتفكر فيه ويحس بالاثر عقيبه وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها
لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود بل ذوق الشعر الموزون والفرق
بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض وهي حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها
اعني التفرقة بين الموزون والمزحف ولا يمكن التعبير عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا ذوق له وفي النفس
احوال غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من الحزن والسرور والخوف انما يحصل من السماع عن غناء مفهوم
فاما الاوتار وسائر النغمات التي ليست مفهومة تؤثر في النفس تاثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن عجائب
تلك الاثار وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق اليه فهو عجيب والذي اضطرب قلبه
لسماع الاوتار والشاهين وما اشبهه ليس يدري الى ماذا يشتاق ويجد في نفسه حالة كانها تتقاضى امرا
ليس يدري ما هو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب ادمي ولا حب الله وهذا له سر وهو ان
كل شوق فله ركنان احدهما صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق اليه والثاني معرفة المشتاق اليه ومعرفة صورة الوصول اليه فان وجدت الصفة التي بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق اليه وصورة الوصول اليه كان الامر ظاهرا وان لم يوجد العلم
بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت تلك الصفة واشتعلت نارها اورث ذلك دهشة وحيرة لا
محالة ولو نشأ ادمي وحده حيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة
لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولا يدري انه يشتاق الى الوقاع لانه ليس يدري صورة الوقاع ولا يعرف صورة
النساء فكذلك في نفس الادمي مناسبة مع العالم الاعلى واللذات التي وعد بها في سدرة المنتهى والفراديس
العلى الا انه لم يتخيل من هذه الامور الا الصفات والاسماء كالذي سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد
صورة امراة ولا رجل ولا صورة نفسه في المرات ليعرف بالمقايسة فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المفرط
والاشتغال بالدنيا قد انساه نفسه وانساه ربه وانساه مستقره الذي اليه حنينه واشتياقه بالطبع
فيتقاضاه قلبه امرا ليس يدري ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب ويكون كالمختنق الذي لا يعرف طريق
الخلاص فهذا وامثاله من الاحوال التي لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن للمتصف بها ان يعبر عنها فقد ظهر انقسام
الوجد الى ما يمكن اظهاره والى ما لا يمكن واعلم ايضا ان الوجد ينقسم الى هاجم والى متكلف يسمى التواجد وهذا التواجد
المتكلف فمنه مذموم وهو الذي يقصد به الرياء واظهار الاحوال الشريفة مع الافلاس منها ومنه ما هو محمود وهو التوصل الى استدعاء الاحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة فان
للكسب مدخلا في جلب الاحوال ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكاء في قراءة القران
ان يتباكى ويتحازن فان هذه الاحوال قد تتكلف مباديها ثم تتحقق اواخرها وكيف لا يكون التكلف سببا في

ان تصير المتكلف بالاخرة طبعا وكل من يتعلم القران اولا يحفظه تكلفا ويقرؤه تكلفا مع تمام
التامل واحضار الذهن ثم يصير ذلك ديدنا للسان مطردا حتى يجري به لسانه في الصلوة وغيرها
وهو غافل فيقرا تمام السورة وتثوب نفسه اليه بعد انتهائه الى اخرها ويعلم انه قراها في حال الغفلة
وكذلك الكاتب يكتب في الابتداء بجهد شديد ثم تمرن عليه يده فيصير الكتب له طبعا فيكتب اوراقا
وهو مستغرق القلب بفكر اخر فجميع ما يحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل الى اكتسابه
الا بالتكلف والتصنع اولا ثم يصير بالعادة طبعا عند فقدها بل ينبغي ان يتكلف اجتلابها بالسماع
وغيره فلقد شوهد في العادات من اشتهى ان يعشق شخصا ولم يكن يعشقه فلم يزل يردد ذكره
على نفسه ويديم النظر اليه ويقرر على نفسه الاوصاف المحبوبة والاخلاق المحمودة فيه حتى عشقه ورسخ
ذلك في قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره واشتهى بعد ذلك الخلاص منه ولم يتخلص وكذلك حب الله
الله تعالى والشوق الى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الاحوال الشريفة اذا فقدها الانسان
فينبغي ان يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة احوالهم وتحسين صفاتهم في النفس
وبالجلوس معهم في السماع وبالدعاء والتضرع الى الله تعالى في ان يرزقه تلك الحالة بان ييسر له اسبابها
ومن اسبابها السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحبين والمشتاقين والخاشعين فمن جالس
شخصا سرت اليه صفاته من حيث لا يدري ويدل على امكان تحصيل الحب وغيره من الاحوال بالاسباب
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب من يقربني الى حبك
فقد فزع الى الدعاء في طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد الى مكاشفات واحوال وانقسامه الى ما يمكن الافصاح
عنه والى ما لا يمكن وانقسامه الى المتكلف والمطبوع فان قلت فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع
القران وهو كلام الله تعالى ويظهر عند الغناء وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقا من لطف الله تعالى
ولم يكن باطلا من غرور الشيطان لكان القران به اولى من الغناء فنقول الوجد الحق هو ما ينشأ من
فرط حب الله تعالى وصدق ارادته والشوق الى لقائه وذلك يهيج بسماع القران ايضا وانما الذي لا يهيج
بالقران حب الخلق والعشق للمخلوق ويدل على ذلك قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله تعالى
مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وكل ما يوجد عقيب
السماع بسبب السماع في النفس فهو وجد فالطمانينة والاقشعرار والخشية ولين القلب كل ذلك
وجد وقد قال الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال تعالى لو انزلنا هذا القران
على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله فالوجل والخشوع وجد من قبيل الاحوال وان لم يكن
من قبيل المكاشفات ولكن قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
زينوا القران باصواتكم وقال لابي موسى لقد اوتي مزمارا من مزامير ال داود واما الحكايات
الدالة على ان ارباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القران فكثيرة فقوله صلى الله عليه و
سلم شيبتني هود واخواتها خبر عن الوجد فان الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد وروي ان
ابن مسعود قرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النساء فلما انتهى الى قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك وكانت عيناه تذرفان بالدمع وفي رواية انه عليه الصلوة
والسلام قرئ عنده ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما فصعق وفي رواية انه
صلى الله عليه وسلم قرا ان تعذبهم فانهم عبادك فبكى وكان عليه الصلوة والسلام اذا مر باية رحمة دعا

واستبشر والاستبشار وجد وقد اثنى الله تعالى على اهل الوجد بالقرآن فقال واذا سمعوا
ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل واما ما نقل من الصحابة والتابعين فكثير فمنهم
من صعق ومنهم من غشي عليه ومنهم من مات في غشيته سمع عمر رجلا يقرأ قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع
ما له من دافع فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا في بيته شهرا وروي ان زرارة بن
اوفى وكان من التابعين يؤم الناس بالرقة فقرأ اية فصعق ومات في محرابه وكان ابو جهير من التابعين قرأ
عليه صالح المري فشهق ومات وسمع الشافعي رضي الله عنه قارئا يقرأ هذا يوم لا ينطقون فغشي
عليه وسمع علي بن الفضيل قارئا يقرأ يوم يقوم الناس لرب العالمين فسقط مغشيا عليه فقال
الفضيل شكر الله لك ما قد علمه منك وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية فقد كان الشبلي
في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف امام له فقرأ الامام ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا
اليك فزعق الشبلي زعقة ظن الناس انه طارت روحه واحمر وجهه وارتعد وكان يقول بمثل
هذا يخاطب الاحباب يردد ذلك مرارا وقال الجنيد دخلت على سري السقطي فرأيت بين يديه
رجلا قد غشي عليه فقال لي هذا رجل قد سمع اية من القرآن فغشي عليه فقلت اقرؤا عليه تلك
الاية فقرئت فافاق فقال من اين هذا لك فقلت رأيت يعقوب كان عماه من اجل مخلوق
فبمخلوق ابصر ولو كان عماه من اجل الحق ما ابصر بمخلوق فاستحسن ذلك ويشير الى ما قاله الجنيد
قول الشاعر وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها وقال بعض الصوفية كنت اقرأ ليلة هذه
الاية كل نفس ذائقة الموت فجعلت ارددها فاذا هاتف يهتف بي كم تردد هذه الاية فقد قتلت
اربعة من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى السماء منذ خلقوا وقال ابو علي المغازلي للشبلي ربما يطرق سمعي
اية من كتاب الله فتجذبني الى الاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالي والى الناس فلا ابقى على ذلك فقال
ما طرق سمعك من القرآن فاجتذبك به اليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك واذا ردك الى
نفسك فهو شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك الا التبري من الحول والقوة في التوجه اليه وسمع رجل من
اهل الصوفية قارئا يقرأ يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك فاستعادها من القارئ وقال
وكم اقول لها ارجعي وليست ترجع وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ
وانذرهم يوم الازفة الاية فاضطرب ثم صاح ارحم من انذرته ولم تقبل اليك بعد الانذار بطاعتك
ثم غشي عليه وكان ابراهيم بن ادهم اذا سمع احدا يقرأ اذا السماء انشقت اضطربت اوصاله حتى كان
يرتعد وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يغتسل في الفرات فمر به رجل على الشط يقرأ وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلم يزل
الرجل يضطرب حتى غرق ومات وذكر ان سلمان الفارسي ابصر شابا يقرأ فاتى على اية فاقشعر جلده فاحبه سلمان
وفقده فسأل عنه فقيل انه مريض فاتاه يعوده فاذا هو في الموت فقال يا عبد الله ارأيت تلك القشعريرة التي
كانت منك فانها اتتني في احسن صورة فاخبرتني ان الله تعالى قد غفر لي بها كل ذنب وبالجملة لا يخلو صاحب القلب عن وجد
عند سماع القرآن فان كان القرآن لا يؤثر فيه اصلا فمثله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي
فهم لا يعقلون بل صاحب القلب يؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها قال جعفر الخلدي دخل رجل من اهل خراسان على الجنيد
وعنده جماعة فقال للجنيد متى يستوي عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ اذا دخل المارستان وقيد
بقيدين فقال الجنيد ليس هذا من شأنك ثم اقبل على الرجل فقال اذا تحقق انه مخلوق فشهق الرجل شهقة ومات

قلت فان كان سماع القرآن مفيدا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون المقرئين فكان ينبغي ان
يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا حلق المغنيين وكان ينبغي ان يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قارئ
لا قوال فان كلام الله افضل من الغناء فاعلم ان الغناء اشد تهييجا للوجد من القرآن من سبعة اوجه الوجه الاول ان جميع
ايات القرآن لا يناسب حال المستمع ولا يصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له فمن استولى عليه حزن او شوق او ندم
فمن اين يناسب حاله قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وقوله تعالى والذين يرمون المحصنات
وكذلك جميع الايات التي فيها بيان احكام الميراث والحدود وغيرها وانما المحرك لما في القلب ما يناسبه والابيات
انما نظمها الشعراء اعرابا بها عن احوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منه الى تكلف نعم من يستولي عليه حالة غالبة قاهرة لم
يبق فيه متسع لغيرها ومعه تيقظ وذكاء ثاقب يتفطن به للمعاني البعيدة من الالفاظ فقد يحضره وجد على كل مسموع
كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم حالة الموت المحوج الى الوصية وان كل انسان لا بد ان يخلف ماله
وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك احد المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعا فيغلب عليه الخوف والجزع او يسمع ذكر الله
في قوله تعالى يوصيكم الله فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده او يخطر له رحمة الله على عباده وشفقته بان تولى قسم
مواريثهم بنفسه نظرا لهم في حياتهم وموتهم فيقول اذا نظر لاولادنا بعد موتنا فلا نشك في انه ينظر لنا فيهيج منه حال الرجاء و
يورثه ذلك استبشارا وسرورا او يخطر له من قوله للذكر مثل حظ الانثيين تفضيل الرجال بكونه رجلا على الانثى وان
الفضل في الآخرة لرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وان من الهاه غير الله عن الله فهو من الاناث لا من الرجال
تحقيقا فيخشى ان يحجب او يؤخر في نعيم الاخرة كما اخر في اموال الدنيا فامثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان
احدهما حالة غالبة مستغرقة قاهرة والاخرى تفطن بليغ وتيقظ كامل للتنبه بالامور القريبة على المعاني البعيدة و
ذلك مما يعز فلاجل ذلك يفزع الى الغناء الذي هو الفاظ مناسبة للاحوال حتى يتسارع هيجانها وروي انه كان
ابو الحسين النوري مع جماعة في دعوة فجرى بينهم مسئلة في العلم وابو الحسين ساكت ثم رفع راسه وانشدهم
رب ورقاء هتوف بالضحى ذات شجو صدحت في فنن فبكائي ربما ارقها وبكاها ربما ارقني ولقد اشكو فما افهمها
ولقد تشكو فلا تفهمني غير اني بالجوى اعرفها وهي ايضا بالجوى تعرفني قال فما بقي في القوم احد الا قام وتواجد
ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وان كان العلم جدا وحقا الوجه الثاني ان القرآن محفوظ للاكثرين
ومتكرر على الاسماع والقلوب وكلما سمع اولا عظم اثره وفي الكرة الثانية يضعف اثره وفي الثالثة يسقط اثره
ولو كلف صاحب الوجد الغالب ان يحضر وجده على بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة من الزمان في يوم او اسبوع
لم يمكنه ذلك ولو ابدل ببيت اخر تجدد له اثر وان كان معربا عن عين ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالاضافة
الى الاول يحرك النفس وان كان المعنى واحدا وليس يقدر القارئ على ان يقرأ قرآنا غريبا في كل وقت ودعوة
لان القرآن محصور لا يمكن الزيادة عليه وكله محفوظ ومتكرر والى ما ذكرناه اشار الصديق رضي الله عنه حيث
راى الاعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويبكون فقال كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا ولا تظنن ان قلب الصديق
كان اقسى من قلب الاجلاف من العرب وانه كان اخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرر على قلبه
اقتضى المرون عليه وقلة التأثر لما حصل له من الانس بكثرة استماعه اذ محال في العادة ان يسمع سامع اية لم
يسمعها قبل فيبكي ثم يدوم بكاؤه عليها عشرين سنة يرددها ويبكي ولا يفارق الاول الاخر الا في كونه غريبا
جديدا فلكل جديد لذة ولكل طارئ صدمة ومع كل مألوف انس يناقض الصدمة ولهذا هم عمر رضي الله عنه ان
يمنع الناس من كثرة الطواف وقال قد خشيت ان يتهاون الناس بهذا البيت اي يأنسوا به ومن قدم حاجا فرأى البيت
اولا بكى وزعق وربما غشي عليه اذا وقع عليه بصره وقد يقيم بمكة شهرا ولا يحس من ذلك في نفسه باثر فاذن

المغني يقدر على الابيات الغريبة ولا يقدر على ذلك في الايات الوجه الثاني ان وزن الكلام بذوق
الشعر يؤثر في النفس فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وانما
يوجد الوزن في الشعر دون الايات ولو زحف المغني البيت الذي ينشده او لحن فيه او مال عن حد تلك
الحالة والطريقة في اللحن اضطرب قلب المستمع وبطل وجده وسماعه ونفر طبعه لعدم المناسبة
واذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوش فالوزن اذا مؤثر فلذلك طاب الشعر الوجه الرابع ان الشعر
الموزون يختلف تاثيره في النفس بالالحان التي تسمى الطرق والدستانات وانما اختلاف تلك
الطرق بمد المقصور وقصر الممدود والوقف في اثناء الكلام والقطع والوصل في بعضها وهذا
التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القرآن الا التلاوة كما انزل فقصره ومده والوقف و
القطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام او مكروه واذا رتل القرآن كما انزل سقط عنه الاثر
الذي سببه وزن الالحان وهو سبب مستقل بالتاثير وان لم يكن مفهوما كما في الاوتار والمزمار و
سائر الاصوات التي لا تفهم الوجه الخامس ان الالحان الموزونة تعضد وتؤكد بايقاعات واصوات
اخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره لان الوجد الضعيف لا يستثار الا
بسبب قوي وانما يقوى بمجموع هذه الاسباب ولكل واحد منها حظ في التاثير وواجب ان يصان القرآن
عن مثل هذه القرائن لان صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب والقرآن جد كله عند كافة
الخلق فلا يجوز ان يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة وصورته صورة اللهو عند الخاصة وان
كانوا لا ينظرون اليها من حيث انها لهو بل ينبغي ان يوقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل في مجلس
ساكن ولا في حال الجنابة ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن في كل حال فيعدل
الى الغناء الذي لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليلة
العرس وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الدف في العرس وقال اظهروا النكاح ولو بضرب
الغربال او بلفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشعر دون القرآن ولذلك لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يغنين فسمع احداهن تقول وفينا نبي يعلم ما في غد على وجه
الغناء فقال صلى الله عليه وسلم دعي هذا وقولي ما كنت تقولين وهذه شهادة بالنبوة فزجرها
عنها وردها الى الغناء الذي هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فاذن يتعذر بسببه تقوية
الاسباب التي بها يصير السماع محركا للقلب فواجب في الاحترام العدول الى الغناء عن القرآن كما وجب
على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوة الى الغناء الوجه السادس ان المغني قد يغني ببيت لا يوافق
حال المستمع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعي غيره فليس كل كلام موافقا لكل حال فلو اجتمعوا في الدعوات
على القارئ فربما يقرأ آية لا توافق حالهم اذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الاحوال فآيات
الرحمة شفاء الخائف وآيات العذاب شفاء المغرور الآمن وتفصيل ذلك مما يطول فاذن لا يؤمن ان لا يوافق
المقروء الحال وتكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلا الى دفعه فالاحتراز
عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب اذ لا يجد الخلاص عنه الا بتنزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله
تعالى الا على ما اراده الله واما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة او خطر التاويل الخطا
لموافقة الحال فيجب توقير كلام الله وصيانته عن ذلك هذا ما ينقدح لي في علل انصراف الشيوخ الى سماع
الغناء عن سماع القرآن في حالة الجمع والاوقات وههنا وجه سابع ذكره ابو نصر السراج الطوسي في

الاعتذار عن ذلك فقال القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا يطيقه البشرية لانه غير
مخلوق فلا يطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت
ودهشت وتحيرت والالحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق و
الشعر نسبته نسبة الحظوظ واذا علقت الالحان والاصوات بما في الابيات من الاشارات واللطائف
شاكل بعضها بعضا وكان اقرب الى الحظوظ واخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق فما دامت
البشرية باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والاصوات الطيبة فانبساطنا لمشاهدة
بقاء هذه الحظوظ الى القصائد اولى من انبساطنا الى كلام الله الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدأ و
اليه يعود هذا حاصل الكلام المقصود من كلامه واعتذاره وقد حكي عن ابي الحسين الدراج انه قال
قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام عليه فلما دخلت الري كنت اسأل عنه وكل من
سألته قال ايش تعمل بذلك الزنديق فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف ثم قلت في نفسي قد
جئت هذا الطريق كله فلا اقل من ان اراه فلم ازل اسأل عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في
المحراب وبين يديه رجل بيده مصحف وهو يقرأ واذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية فسلمت فاقبل علي فقال
من اين فقلت من بغداد فقال وما الذي جاء بك فقلت قصدتك للسلام عليك فقال لو ان في بعض هذه
البلدان قال لك انسان اقم عندنا حتى نشتري لك دارا وجارية كان يقعدك ذلك عن المجيء فقلت ما امتحنني
الله بشيء من ذلك ولو امتحنني ما كنت ادري كيف اكون ثم قال لي تحسن ان تقول شيئا فقلت نعم فابتدأت
اقول رأيتك تبني دائبا في قطيعتي فلو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني كأني بكم والليت افضل قولكم الا ليتنا
كنا اذا الليت لا تغني فاطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه
ثم قال يا بني تلوم اهل الري يقولون يوسف زنديق ومن صلاة الغداة هو ذا اقرأ في المصحف لم تقطر من عيني قطرة و
قد قامت علي القيامة بهذين البيتين فاذن القلوب وان كانت محترقة في حب الله تعالى فان البيت الغريب
يهيج منها ما لا يهيج تلاوة القرآن وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر
البشر على نظم الشعر واما القرآن فنظمه خارج عن اساليب الكلام ومنهاجه وهو لذلك معجز لا يدخل في قوة
البشر لعدم مشاكلته لطبعه وروي ان اسرافيل استاذ ذي النون المصري دخل عليه رجل فرآه وهو ينكت في الارض
باصبعه ويترنم فقال هل تحسن تترنم بشيء فقال لا فقال فانت بلا قلب اشارة الى ان من له قلب وعرف طباعه علم انه
يحركه الابيات والنغمات تحريكا لا يصادف في غيره فيتكلف طريق التحريك اما بصوت نفسه او بغيره فقد ذكرنا حكم
المقام الاول في فهم المسموع وتنزيله وحكم الثاني في الوجد الذي يصادف في القلب فلنذكر الآن اثر الوجد اعني ما
يترشح منه الى الظاهر من صعقة وبكاء وحركة وتمزيق ثوب وغيره فنقول المقام الثالث من السماع نذكر فيه آداب
السماع ظاهرا او باطنا وما يحمد من آثار الوجد ويذم **اما الآداب** فهي خمس جمل الاولى مراعاة الزمان و
المكان والاخوان ومعناه ان الاشتغال به في وقت حضور طعام او خصام او صلاة او صارف من الصوارف
مع اضطراب القلب لا فائدة فيه فهذا مراعاة الزمان فيراعي حالة فراغ القلب والمكان قد يكون شارعا مطروقا او
موضعا كريه الصورة او فيه سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك واما الاخوان فسببه انه اذا حضر غير الجنس من منكر
السماع متزهد الظاهر مفلس عن لطائف القلوب كان مستثقلا في المجلس واشتغل القلب به وكذا اذا حضر متكبر
من اهل الدنيا يحتاج الى مراقبته ومراعاته او متكلف متواجد من اهل التصوف يرائي بالوجد والرقص وتمزيق
الثوب فكل ذلك مشوشات فترك السماع عند فقد هذه الشروط اولى ففي هذه الشروط نظر للمستمع الثاني

هو نظر الحاضرين وان الشيخ اذا كان بحضرته مريدون يضرهم السماع فلا ينبغي ان يسمع في حضورهم فان
سمع فليشغلهم بشغل اخر والمريد الذي يستضر بالسماع احد ثلاثة اقلهم درجة هو الذي لم يدرك من
الطريق الا الاعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه فانه ليس
من اهل اللهو فيلهو ولا من اهل الذوق فيتنعم بذوق السماع فليشتغل بذكر او خدمة والا فهو تضييع
لزمانه الثاني هو الذي له ذوق السماع ولكن فيه بقية من الحظوظ والالتفات الى الشهوات والصفات
البشرية ولم ينكسر بعد انكسارا يؤمن غوائله فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه
ويصده عن الاستكمال الثالث ان يكون قد انكسرت شهوته وامنت غائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه
حب الله تعالى ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعرف اسماء الله وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل فاذا فتح له باب
السماع نزل المسموع في حق الله على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر اعظم من
نفع السماع قال سهل كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه
بعد ملوث بحب الدنيا وشهوة المحمدة والثناء ولا لمن يسمع لاجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك
عادة له ويشغله ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه فالسماع مزلة قدم يجب حفظ الضعفاء
عنه قال الجنيد رايت ابليس في النوم فقلت هل تظفر باصحابنا من شيء قال نعم في وقتين وقت السماع ووقت النظر
فاني ادخل عليهم فقال بعض الشيوخ لو رايته انا لقلت ما احمقك من سمع منه اذا سمع ونظر اليه اذا نظر كيف
تظفر به قال الجنيد صدقت الادب الثالث ان يكون مصغيا الى ما يقوله القائل حاضر القلب قليل
الالتفات الى الجوانب متحرزا عن النظر الى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من احوال الوجد مشتغلا بنفسه ومراعاة
قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من رحمته في سره على اصحابه قلوبهم بل يكون ساكن الظاهر هادي الاطراف متحرزا
عن التنحنح والتثاوب يجلس مطرقا راسه كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه متماسكا عن التصفيق والرقص وساير
الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراياة ساكتا عن النطق في اثناء القول بكل ما عنه بد فان غلبه الوجد و
حركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير ملوم ومهما رجع اليه الاختيار فليعد الى هدوه وسكونه ولا ينبغي
ان يستديمه حياء من ان يقال انقطع وجده على القرب ولا ان يتواجد خوفا من ان يقال هو قاسي
القلب عديم الصفاء والرقة حكي ان شابا كان يصحب الجنيد وكان اذا سمع شيئا من الذكر يزعق فقال له
الجنيد يوما ان فعلت ذلك مرة اخرى لم تصحبني وكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل
شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق فحكي انه اختنق يوما لشدة ضبطه نفسه فشهق شهقة فانشق وتلفت
نفسه وروي ان موسى عليه السلم قص في بني اسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه او قميصه فاوحى الله تعالى الى
موسى قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثيابك وقال ابو القاسم النصراباذي لابي عمرو بن عبيد انا اقول اذا
اجتمع القوم ومعهم قوال يقول خير من ان يغتابوا فقال ابو عمرو الرياء في السماع وهو ان ترى من
نفسك حالا ليست فيك شر من ان تغتاب ثلاثين سنة او نحو ذلك فان قلت الافضل هو الذي
لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره او الذي يظهر عليه فاعلم ان عدم الظهور تارة يكون لضعف
الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لكمال القوة على
ضبط الجوارح وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الاحوال كلها فلا يتبين
من السماع مزيد تاثير وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد في غالب الاحوال لا يدوم وجده
فمن هو في وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود فهذا لا يغيره طوارق الاحوال

ولا يبعد ان يكون الاشارة بقول الصديق رضي الله عنه كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا واشتدت فصارت
تطيق ملازمة الوجد في كل الاحوال فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القراءة جديدا في
حقنا طاريا علينا حتى نتاثر به فاذن قوة الوجد تحرك وقوة العقل والتماسك تضبط الظواهر وقد تغلب
احديهما الاخرى اما لشدة قوتها واما لضعف ما يقابلها ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظنن
ان الذي يضرب بنفسه على الارض اتم وجدا من الساكن باضطرابه بل رب ساكن اتم وجدا من المضطرب
فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال وترى الجبال تحسبها جامدة
وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء اشارة الى ان القلب مضطرب جائل في الملكوت والجوارح
متادبة في الظاهر ساكنة وقال ابو الحسين محمد بن احمد وكان بالبصرة صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة
فما رايته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر او القرآن فلما كان في اخر عمره قرا رجل بين يديه فاليوم لا يؤخذ منكم
فدية الاية فرايته قد ارتعد وكان يسقط فلما عاد الى حاله سالته عن ذلك فقال نعم يا حبيبي قد ضعفنا وكذا
سمع مرة قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فساله ابن سالم وكان من اصحابه فقال قد ضعفت فقيل له
فان كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال ان لا يرد عليه وارد الا وهو يبتلعه بقوة حاله فلا تغيره الواردات
وان كانت قوية وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الاحوال بملازمة الشهود كما حكي عن
سهل انه قال حالي قبل الصلوة وبعدها واحد لانه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله في كل حال فكذلك
يكون قبل السماع وبعده اذ يكون وجده دائما وعطشه متصلا وشربه مستمرا بحيث لا يؤثر السماع في زيادته
كما ان ممشاد الدينوري اشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا فقال ارجعوا الى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في
اذني ما شغل همي ولا شفى بعض ما بي وقال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم اتم من
فضل الوجد فان قلت فمثل هذا لم يحضر السماع فاعلم ان من هولاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر الا نادرا
لمساعدة اخ من الاخوان وادخالا للسرور على قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون انه ليس
الكمال بالوجد الظاهر فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وان لم يقدروا على الاقتداء به في صيرورته
طبعا لهم وان اتفق حضورهم مع غير ابناء جنسهم فيكونون معهم بابدانهم نائين عنهم بقلوبهم وبواطنهم كما
يجلسون في غير سماع مع غير جنسهم باسباب عارضة تقتضي الجلوس وبعض من نقل عنه ترك السماع ونقل انه
كرهه كان سبب تركه استغناءه عن السماع لما ذكرناه وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في
السماع ولا كان هو من اهل اللهو فتركه لئلا يكون مشغولا بما لا يعنيه وبعضهم تركه لفقد الاخوان قيل
لبعضهم لم لا تسمع فقال ممن ومع من الادب الرابع انه لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر
على ضبط نفسه ولكن ان رقص وتباكى فهو مباح اذا لم يقصد به المراياة لان التباكي استجلاب للحزن والرقص
سبب في تحريك السرور والنشاط وكل سرور مباح فيجوز تحريكه ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة الى الحبشة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون هذا لفظ عائشة في بعض الروايات وقد روي عن بعض من الصحابة
انهم حجلوا لما ورد عليهم سرور اوجب ذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن ابي طالب واخوه جعفر و
زيد بن حارثة رضي الله عنهم فتشاحوا في تربيتها فقال صلى الله عليه وسلم لعلي انت مني وانا منك فحجل علي و
قال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل وراء حجل علي وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل وراء حجل جعفر ثم قال عليه
الصلوة والسلم هي لجعفر لان خالتها تحته والخالة والدة وفي بعض الروايات انه قال لعائشة اتحبين ان تنظري الى
زفن الحبشة والزفن والحجل هو الرقص وذلك يكون لفرح او شوق فحكمه حكم مهيجه ان كان فرحه محمودا والرقص

يزيده ويؤكده فهو محمود وان كان مباحا فهو مباح وان كان مذموما فهو مذموم نعم لا يليق ذلك بمناصب
الاكابر واهل القدوة لانه في الاكثر يكون عن لهو ولعب وما له صورة اللعب في اعين الناس فينبغي ان
يجتنبه المقتدى به لئلا يصغر في اعين الخلق فيترك الاقتداء به واما تمزيق الثوب فلا رخصة فيه الا
عند خروج الامر عن الاختيار ولا يبعد ان يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد
عليه او يدري ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه ويكون صورته صورة المكره اذ يكون
له في الحركة والتمزيق متنفس فيضطر اليه اضطرار المريض الى الانين ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع انه فعل
اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان على تركه فالتنفس فعل يحصل بالارادة ولو
كلف الانسان نفسه ان يمسك النفس ساعة اضطر من باطنه الى ان يختار التنفس فكذلك الزعقة
وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فقد ذكر عند السري حديث الوجد الحاد الغالب
فقال نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري فروجع فيه واستبعد ان ينتهي الى هذا الحد فاصر عليه ولم
يرجع ومعناه انه ينتهي في بعض الاحوال الى هذا الحد في بعض الاشخاص فان قلت فما تقول في تمزيق بعض
الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فانهم يمزقونها قطعا صغارا ويفرقونها على
القوم ويسمونها الخرقة فاعلم ان ذلك مباح اذ خرق قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فان
الكرباس يمزق حتى يخاط منه القميص ولا يكون ذلك تضييعا لانه تمزيق لغرض وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن الا
بالقطع الصغار وذلك مقصود والتفرقة على الجمع ليعم ذلك الخير مقصود ولكل مالك ان يقطع
كرباسه بمائة قطعة ويعطيها لمائة مسكين ولكن ينبغي ان يكون القطع بحيث يمكن الانتفاع بها في الرقاع وانما منعنا
في السماع التمزيق المفسد للثوب الذي يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعا به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار

الادب الخامس موافقة القوم في القيام اذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف او قام
باختيار من غير اظهار وجد وقامت له الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من اداب الصحبة وكذلك ان جرت عادة طائفة
بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد اذا سقطت عمامته او خلع الثياب اذا سقط ثوبه بالتخريق فالموافقة
في هذه الامور من حسن الصحبة والعشرة اذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم ولا بد من مخالقة الناس
باخلاقهم كما ورد في الخبر لا سيما اذا كانت اخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلوب بالمساعدة
وقول القائل ان ذلك بدعة لم يكن في الصحابة فليس كل ما يحكم باباحته منقولا عن الصحابة وانما المحذور بدعة
تراغم سنة مأمورا بها ولم ينقل النهي عن شيء من هذا والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب بل كان
الصحابة لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاحوال كما رواه انس ولكن اذا لم يثبت فيه نهي عام
فلا نرى به باسا في البلاد التي جرت العادة فيها باكرام الداخل بالقيام فان المقصود منه الاحترام والاكرام و
تطييب القلوب به فكذلك سائر انواع المساعدة الا فيما ورد فيه نهي لا يقبل التاويل ومن الاداب ان لا يقوم للرقص
مع القوم ان كان يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم احوالهم اذ الرقص من غير اظهار التواجد مباح والمتواجد هو الذي
يلوح للجمع منه اثر التكلف ومن يقوم عن صدق لا يستثقله الطباع فقلوب الحاضرين اذا كانوا من ارباب القلوب محك
للصدق والتكلف سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال صحته قبول قلوب الحاضرين له اذا كانوا اشكالا غير اضداد
فان قلت فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق الى الاوهام انه باطل ولهو ومخالف للدين فلا يراه ذو جد في
الدين الا وينكره فاعلم ان الجد لا يزيد على جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد راى الحبشة يزفنون في
المسجد وما انكره لما ان كان في وقت لائق به وهو العيد ومن شخص لائق به وهم الحبشة نعم نفرة الطباع عنه لانه

يرى غالبا مقرونا باللعب واللهو واللهو واللعب مباح ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن اشبههم
وهو مكروه لذوي المناصب لانه لا يليق بهم وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذي المنصب فلا يجوز ان يوصف
بالتحريم فمن سأل فقيرا شيئا فاعطاه رغيفا كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سأل ملكا فاعطاه رغيفا
او رغيفين كان ذلك منكرا عند الناس كافة ومكتوبا في تواريخ الاخبار من جملة مساويه يعير به اعقابه و
اشياعه ومع هذا فلا يجوز ان يقال ما فعله حرام لانه من حيث انه اعطى خبزا للفقير حسن ومن حيث انه بالاضافة
الى منصبه كالمنع بالاضافة الى الفقير مستقبح فكذلك الرقص وما يجري مجراه من المباحات ومباحات العوام
سيئات الابرار وحسنات الابرار سيئات المقربين ولكن هذا من حيث الالتفات الى المناصب فاما اذا نظر
اليه في نفسه وجب الحكم بانه في نفسه لا تحريم فيه والله اعلم فقد خرج من جملة التفصيل السابق ان
السماع قد يكون حراما محضا وقد يكون مباحا وقد يكون مستحسنا وقد يكون مكروها اما الحرام فهو لاكثر
الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع منهم الا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات
المذمومة واما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ولكنه يتخذه عادة في اكثر الاوقات على سبيل
اللهو واما المباح فهو لمن لا حظ له الا التلذذ بالصوت الحسن واما المندوب فهو لمن غلب عليه حب الله
تعالى ولم يحرك السماع منه الا الصفات المحمودة والله تعالى اعلم بالصواب هذا اخر كتاب السماع والوجد

كتاب الامر بالمعروف وهو الكتاب التاسع من احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب
الا بحمده ولا تستماح النعم الا بواسطة كرمه ورفده والصلاة والسلام على سيد الانبياء محمد رسوله و
عبده وعلى اله الطيبين واصحابه الطاهرين من بعده **اما بعد** فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو
القطب الاعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين اجمعين ولو طوي بساطه واهمل علمه وعمله لتعطلت
النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت
البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك الا يوم التناد وقد كان الذي خفنا ان يكون فانا لله وانا اليه
راجعون اذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه واستولت على القلوب
مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم وعز على بساط الارض مؤمن
صادق لا تاخذه في الله لومة لائم فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة اما متكفلا بعملها او متقلدا
لتنفيذها مجددا لهذه السنة الداثرة ناهضا باعبائها ومتشمرا في احيائها كان مستاثرا من بين الخلق باحياء سنة افضى الزمان الى اماتتها ومستبدا
بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها وها نحن نشرح علمه في اربعة ابواب

الباب الاول في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته ٥ **الباب الثاني** في اركانه وشروطه
الباب الثالث في مجاريه وبيان المنكرات المالوفة ٥ **الباب الرابع** الباب الخامس في امر الامراء والسلاطين بالمعروف

الباب الاول في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته والمذمة في اهماله

ويدل على ذلك بعد اجماع الامة واشارات العقول السليمة اليه الايات والاخبار والاثار اما الايات
فقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون
ففي الاية بيان الايجاب فان قوله تعالى ولتكن امر وظاهر الامر الايجاب وفيها بيان ان الفلاح منوط به اذ حصر

وقالوا اولئك هم المفلحون وفيها بيان انه فرض كفاية لا فرض عين فانه اذا قام به امة سقط الفرض عن الآخرين اذ لم يقل كونوا كلكم امرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم امة يدعون فاذن مهما قام به جماعة او واحد سقط الحرج عن الاخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين وان تقاعد الخلق اجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون يومنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين فلم يشهد بالصلاح بمجرد الايمان بالله واليوم الاخر حتى اضاف اليه الامر بالمعروف وقال تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة فقد نعت المومنين بانهم يامرون بالمعروف فالذي هجر الامر بالمعروف خارج عن هؤلاء المومنين المنعوتين في هذه الاية وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد اذ علق استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذا يدل على فضيلة الامر بالمعروف اذ بين انهم كانوا به خير امة وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فبين انهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب ايضا وقال تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقرن ذلك بالصلوة والزكوة في نعت الصالحين والمومنين وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وهذا امر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الامكان وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون فبين انهم اثموا بترك النهي وقال تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد الاية فبين انه اهلك جميعهم الا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وقال تعالى لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه اجرا عظيما وقال تعالى وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الاية والاصلاح نهي عن البغي واعادة الى الطاعة فان لم يفعل فقد امر الله تعالى بقتاله فقال فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله وذلك هو النهي عن المنكر واما الاخبار فمنها ما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال في خطبة خطبها ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية وتاولونها على خلاف تاويلها يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله تعالى بعذاب من عنده وروي عن ابي ثعلبة الخشني انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال يا ابا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك ودع العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي انتم عليه اجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال لا بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا ولا يجدون عليه اعوانا وسئل ابن مسعود عن تفسير هذه الاية فقال ان هذا ليس زمانها انها اليوم مقبولة ولكن قد اوشك ان ياتي زمانها تامرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا او تقولون فلا يقبل منكم فح عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب

معناه يسقط مهابتهم عن اعين الاشرار فلا يهابونهم وقال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله تعالى يقول لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم وقال صلى الله عليه وسلم ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وما جميع اعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجي وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليسال العبد ما منعك اذا رايت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله تعالى العبد حجته قال يا رب وثقت بك وفرقت من الناس وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بد انما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فاذا ابيتم الا ذلك فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال صلى الله عليه وسلم كلام ابن ادم كله عليه لا له الا امرا بمعروف او نهيا عن منكر او ذكر الله وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكرونه وروى ابو امامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف انتم اذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم قالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف انتم اذا لم تامروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه قال كيف انتم اذا رايتم المعروف منكرا ورايتم المنكر معروفا قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف بكم اذا امرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون يقول الله تعالى بي حلفت لاتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيرانا وعن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم اجله ولن يحرمه رزقا هو له وهذا الحديث يدل على انه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة ولا حضور المواضع التي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فانه قال اللعنة تنزل على من حضر ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بانه عاجز ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الاسواق والاعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي لزوم الهجر للخلق ولهذا قال عمر بن عبد العزيز ما ساح السواح وخلوا دورهم واولادهم الا بمثل ما نزل بنا حين راوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس ورأوا انه لا يقبل ممن تكلم وراوا الفتن ولم يامنوا ان تعتريهم وان ينزل العذاب باولئك القوم فلا يسلمون منه فراوا ان مجاورة السباع واكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم ثم قرا ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين وقال ففر قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه في النبوة لقلنا ما هم بافضل من هؤلاء فيما بلغنا ان الملائكة لتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع تمر باحدهم فيناديها فتجيبه ويسالها اين امرت فتخبره وليس بنبي وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حضر معصية فكرهها فكانما غاب عنها ومن غاب عنها واحبها فكانه حضرها ومعنى الحديث ان يحضر لحاجة او يتفق جريان ذلك بين يديه فاما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الاول وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا الا وله حواري فيمكث النبي بين اظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله وبامره حتى اذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وامره وسنة نبيهم فاذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فاذا رايتم ذلك فحق على كل

على كل مؤمن جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ليس وراء ذلك اسلام وقال ابن
مسعود كان اهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم اربعة نفر ينكرون ما يعملون فقام احدهم فقال انكم تعملون
كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون عن اعمالهم فسبهم فسبوه
وقاتلهم فغلبوه فاعتزل وقال اللهم اني نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني وقاتلتهم فغلبوني
ثم ذهب ثم قام آخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم اني نهيتهم فلم يطيعوني
وسببتهم فسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد
نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم ذهب قال ابن مسعود كان الرابع
ادناهم منزلة وقليل فيكم مثله وقال ابن مسعود قيل يا رسول الله اتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم
قيل بم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله عز وجل واوحى الله تعالى الى ملك من الملائكة ان اقلب
مدينة كذا وكذا على اهلها فقال يا رب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين فقال اقلبها عليه وعليهم
فان وجهه لم يتمعر في ساعة قط وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل قرية
فيها ثمانية عشر الفا عملهم عمل الانبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يامرون بالمعروف و
لا ينهون عن المنكر وعن عروة عن ابيه قال قال موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام يا رب اي عبادك احب اليك
قال الذي يتسرع الى هواي كما يتسرع النسر الى هواه والذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالناس والذي
يغضب اذا اتيت محارمي كما يغضب النمر لنفسه فان النمر اذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس او كثروا وهذا
يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف وقال ابو ذر الغفاري قال ابو بكر الصديق رضي الله عنهما يا
رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا بكر ان لله مجاهدين في
الارض افضل من الشهداء مرزوقون يمشون على الارض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت
ام سلمة لرسول الله فقال ابو بكر يا رسول الله ومن هم قال هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر و
المحبون في الله والمبغضون في الله قال والذي نفسي بيده ان العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف
الشهداء للغرفة منها ثلاثمائة الف باب منها الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب نور وان الرجل ليزوج منهم
بثلاثمائة حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن ذكرت له كل مقام امر فيه بمعروف ونهى فيه عن
منكر وقال ابو عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الشهداء اكرم عند الله عز وجل قال رجل قام الى وال جائر فامره
بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجري عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش وقال الحسن
البصري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل شهداء امتي رجل قام الى امام جائر فامره بالمعروف ونهاه عن
المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر وقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم قوم لا يامرون بالقسط بئس القوم قوم لا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر

واما الآثار فقد قال ابو الدرداء لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما
لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتنتصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا
يغفر لكم وسئل حذيفة عن ميت الاحياء فقال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وقال مالك بن دينار
كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى منزله الرجال والنساء يعظهم ويذكرهم بايام الله عز وجل فراى بعض بنيه يوما
وقد غمز بعض النساء فقال مهلا يا بني مهلا وسقط من سريره وانقطع نخاعه واسقطت امراته وقتل بنوه في
الجيش فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان اخبر فلانا الحبر اني لا اخرج من صلبك صديقا ابدا اما كان

من غضبك لي الا ان قلت مهلا يا بني مهلا وقال حذيفة ياتي على الناس زمان لان يكون فيهم جيفة حمار احب اليهم من
مؤمن يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر واوحى الله تعالى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا
من خيارهم وستين الفا من شرارهم فقال ما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم و
شاربوهم وقال بلال بن سعد ان المعصية اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا اعلنت فلم تغير اضرت بالعامة
وقال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك من قومك قال حسنة قال كعب ان التوراة لتقول غير ذلك قال وما تقول
قال تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت التوراة وكذب ابو مسلم
وكان عبد الله بن عمر ياتي العمال ثم قعد عنهم فقيل له لو اتيتهم فلعلهم يجدون في انفسهم فقال ارهب ان تكلمت ان
يروا ان الذي بي غير الذي بي وان سكت رهبت ان آثم وهذا يدل على ان من عجز عن الامر بالمعروف فعليه
ان يبعد عن ذلك الموضع ويستتر عنه حتى لا يجري بمشهد منه وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اول
ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فاذا لم يعرف القلب المعروف
ولم ينكر المنكر نكس فجعل اعلاه اسفله وقال سهل بن عبد الله ايما عبد عمل في شيء من دينه بما امر به ونهي عنه
وتعلق به عند فساد الامور وعند تشوش الزمان فهو ممن قد قام لله في زمانه بالامر بالمعروف و
النهي عن المنكر ومعناه انه اذا لم يقدر الا على نفسه فقام بها وانكر احوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية في
حقه وقيل للفضيل بن عياض الا تامر وتنهى فقال ان قوما امروا ونهوا فكفروا وذلك انهم لم يصبروا على ما
اصيبوا وقيل للثوري الا تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال اذا انبثق البحر فمن يقدر ان يسكره فقد
ظهر بهذه الادلة ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وان فرضه لا يسقط مع القدرة الا بقيام
قائم به فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه

الباب الثاني في اركان الامر بالمعروف وشروطه

اعلم ان الاركان في الحسبة التي هي عبارة عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اربعة المحتسب والمحتسب عليه و
المحتسب فيه ونفس الاحتساب فهذه اربعة اركان ولكل واحد منها شروط **الركن الاول المحتسب**
وله شروط وهو ان يكون مكلفا مسلما قادرا فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والعاجز ويدخل فيه آحاد الرعايا و
ان لم يكونوا ماذونين ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمراة فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه اطراح ما
اطرحناه اما الشرط الاول وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه امر وما ذكرناه اردنا
به انه شرط الوجوب فاما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعي الا العقل حتى ان الصبي المراهق للبلوغ المميز
وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر الملاهي واذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لاحد
منعه من حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من اهلها كالصلاة والامامة فيها وسائر القربات وليس
حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك اثبتناه للعبد وآحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وابطال
المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان
للصبي ان يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع عن الفسق كالمنع عن الكفر واما الشرط الثاني وهو الايمان فلا يخفى
وجه اشتراطه لان هذه نصرة للدين فكيف يكون من اهلها من هو جاحد لاصل الدين وعدو له الشرط الثالث
وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق ان يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يامر
بما لا يفعله مثل قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون
ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وبما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال مررت ليلة اسري بي بقوم كانت تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نامر بالخير و

ثم قام الرابع وقال اللهم اني لو نهيتهم عصوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم ذهب

لاخيارهم

انهم

لانابته وتأمر بالبر وتنابته وبما روي ان الله تعالى اوحى الى عيسى بن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ
الناس والا فاستحي مني وربما استدلوا من طريق القياس بان هداية الغير فرع الاهتداء وكذلك
تقويم الغير فرع الاستقامة والاصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس بصالح في نفسه فكيف
يصلح غيره ومتى يستقيم الظل والعود اعوج وكل ما ذكروه خيالات وانما الحق ان للفاسق ان
يحتسب وبرهانه هو ان نقول هل يشترط في الاحتساب ان يكون متعاطيه معصوما عن المعاصي
كلها فان شرط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب الاحتساب اذ لا عصمة للصحابة فضلا عمن دونهم و
الانبياء قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقران دل على نسبة ادم الى المعصية وكذا جماعة من الانبياء
ولهذا قال سعيد بن جبير ان لم يامر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شيء لم يامر احد بشيء فاعجب
ما كان ذلك من سعيد بن جبير وان زعموا ان ذلك لا يشترط عن الصغاير حتى يجوز للابس الحرير ان يمنع
من الزنا وشرب الخمر فنقول وهل لشارب الخمر ان يغزو الكفار ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر فان قالوا لا خرقوا
الاجماع اذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الايتام ولم يمنعوا من الغزو
في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده وان قالوا نعم فنقول شارب الخمر هل له المنع من القتل ام لا
فان قالوا لا قلنا ما الفرق بينه وبين لابس الحرير اذ جاز له المنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة الى الشرب كالشرب
بالنسبة الى لبس الحرير فلا فرق وان قالوا نعم وفصلوا الامر فيه بان كل متقدم على شيء لا يمنع عن مثله ولا عن
ما دونه وانما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يبعد ان يمنع الشارب من الزنا والقتل فلا يبعد ان يمنع الزاني من
الشرب بل لا يبعد ان يشرب ويمنع غلمانه وخدمه من الشرب ويقول يجب علي الانتهاء والنهي فمن اين يلزم من العصيان
في احدهما ان اعصي الله بالثاني فان كان النهي واجبا علي فمن اين وجب سقوطه باقدامي اذ يستحيل ان يقال يجب
النهي عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب واذا شرب يسقط عنه النهي فان قيل فيلزم على هذا ان يقول القائل الواجب
علي الوضوء والصلاة فانا اتوضأ وان لم اصل واتسحر وان لم اصم لان المستحب لي السحور والصوم جميعا ولكن
يقال ترتب احدهما على الاخر فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويم نفسه فليبدأ بنفسه ثم بمن يعول والجواب
ان التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير فالقول بترتيب
احدهما على الاخر تحكم واما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم من توضأ ولم يصل كان مؤديا لامر الوضوء وكان عقابه
اقل ممن ترك الوضوء والصلاة جميعا فليكن من ترك النهي والانتهاء اكثر عقابا ممن نهى ولم ينته كيف والوضوء شرط
لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة واما الحسبة فليس شرطا في الانتهاء والايتمار فلا مشابهة بينهما
فان قيل فيلزم على هذا ان يقال اذا زنا الرجل بامراة وهي مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها
فاخذ الرجل يحتسب في اثناء الزنا ويقول انت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير المحرم وها انا غير محرم فاستري
وجهك فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستبشعه كل طبع سليم فالجواب ان الحق قد يكون شنيعا
وان الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الاوهام والخيالات فانا نقول قوله لها في
تلك الحالة لا تكشفي وجهك واجب او مباح او حرام فان قلتم انه واجب فهو الغرض لان الكشف معصية والنهي عن المعصية
حق وان قلتم مباح فما معنى قولكم ليس للفاسق حسبة وان قلتم انه حرام فنقول كان هذا واجبا فمن اين حرم باقدامه
على الزنا ومن الغريب ان يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام اخر واما نفرة الطباع عنه واستنكارها له فهو
لسببين احدهما انه ترك الاهم واشتغل بما هو مهم وكما ان الطباع تنفر عن ترك المهم الى ما لا يعني فتنفر ايضا عن
ترك الاهم والاشتغال بالمهم كما تنفر عمن يتحرج عن تناول الطعام المغصوب وهو مواظب على الزنا وكما تنفر عن

متصاونا عن الغيبة ويشهد بالزور لان الشهادة بالزور اشد وافحش من الغيبة التي هي اخبار عن كائن يصدق فيه
المخبر ومعنى الاستبعاد في النفوس لا يدل على ان ترك الغيبة ليس بواجب وانه لو اغتاب واكل لقمة من حرام
لم تزد بذلك عقوبته فكذلك ضرره في الاخرة من معصيتين اكثر من ضرره من معصية عنه فالاشتغال بالاقل عن
الاكثر مستنكر بالطبع من حيث انه ترك الاكثر لا من حيث انه اتى بالاقل فمن غصب فرسا ولجاما فاشتغل بطلب اللجام
وترك الفرس نفرت عنه الطباع ويرى مسيئا وما صدر منه من طلب اللجام هو غير منكر ولكن المنكر تركه لطلب الفرس
بطلب اللجام فاشتد الانكار عليه لتركه الاهم بما دونه فكذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل
على ان حسبته من حيث انها حسبة مستنكرة الثاني ان الحسبة تارة بالنهي والوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا
يتعظ ولا نحن نقول من علم ان قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ اذ لا فائدة
في وعظه فالفسق يؤثر في اسقاط فائدة كلامه ثم اذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام فاما اذا
كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر ان يكون بالفعل والحجة جميعا واذا كان فاسقا فان قهر بالفعل
فقد قهر بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال فانت لم تقدم عليه فينفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة
وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقا كما ان من يذب الظالم عن احاد المسلمين ويهمل اباه وهو مظلوم معه فتنفر
الطبع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا فخرج من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف
فسقه لانه لا يتعظ واذا لم يكن ذلك عليه وعلم انه يفضي الى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فنقول ليس له ذلك
ايضا فرجع الكلام الى ان احد نوعي الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطا فيه واما
الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حجر على الفاسق في اراقة الخمور وكسر الملاهي وغيرها اذا قدر عليه و
هذا غاية الانصاف والكشف في المسألة واما الايات التي استدلوا بها فهو انكار عليهم من حيث تركهم
المعروف لا من حيث امرهم ولكن امرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم اشد لانه لا عذر له مع قوة علمه وقوله
تعالى لم تقولون ما لا تفعلون المراد به الوعد الكاذب وقوله تعالى وتنسون انفسكم انكار من حيث انهم
نسوا انفسهم لا من حيث انهم امروا غيرهم ولكن ذكر امر الغير استدلالا به على علمهم وتاكيدا للحجة عليهم وقوله
يا ابن مريم عظ نفسك الحديث هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا ان وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من
يعرف فسقه ثم قوله فاستحي مني لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه فاستحي مني فلا تترك الاهم وتشتغل
بالمهم كما يقال احفظ اباك ثم جارك والا فاستحي فان قيل فليجز للكافر الذمي ان يحتسب على المسلم اذا راه يزني
لان منعه من ذلك حق في نفسه فمحال ان يكون حراما بل ينبغي ان يكون مباحا او واجبا قلنا الكافر ان منع
المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث انه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا واما مجرد
قوله لا تزن فليس بمحرم عليه من حيث انه نهي عن الزنا ولكن من حيث انه اظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه
اذلال للمتحكم عليه والفاسق يستحق الاذلال ولكن لا من الكافر الذي هو اولى بالذل منه فهذا وجه منعنا اياه
من الحسبة والا فلسنا نقول ان الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث انه نهي بل نقول اذا لم يقل لا تزن
يعاقب عليه ان راينا خطاب الكفار بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات وليس يليق بغرضنا
الان الشرط الرابع كونه ماذونا من جهة الامام والوالي فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للاحاد من
الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الايات والاخبار التي رويناها تدل على ان كل من راى منكرا
فسكت عليه عصى اذ يجب نهيه اينما راه وكيفما راه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له والعجب ان
الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف ما لم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم وهؤلاء

نهى صح

ان يمنع صح

فاذن لان يقول له هو مباح صح

اخس رتبة من ان يكلموا الحكام ان يقال لهم اذا جاءوا الى القضاة طالبين لحقوقهم في دمائهم واموالهم
ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج حقوقكم من يد من ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف
وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج فان قيل بالامر بالمعروف اثبات
سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغي ان لا يثبت لآحاد
الرعية الا بتفويض من الوالي وصاحب الامر فنقول اما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل
لا يستحق ان ينال عز التحكم على المسلم واما آحاد الناس فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة
والاحتكام لا يحوج الى تفويض كعز التعليم والتعريف اذ لا خلاف في ان تعريف التحريم والايجاب لمن هو جاهل و
مقدم على المنكر لجهله لا يحتاج الى اذن الوالي وفيه عز الارشاد وعلى المعرف ذل التجهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين
وكذلك النهي وشرح القول في هذا ان الحسبة لها خمس مراتب كما سيأتي بيانها الاولى التعريف والثانية الوعظ
بالكلام اللطيف والثالثة السب والتعنيف ولسنا نعني بالسب الفحش بل ان يقول له يا جاهل يا احمق الا
تخاف من الله تعالى وما يجري هذا المجرى الرابعة المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهي واراقة الخمر واختطاف
الثوب الحرير من راسه واستلاب الثوب المغصوب منه ورده على صاحبه الخامسة التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة
الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه كالمواظب على الغيبة والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار
السكوت بالضرب وهذا قد يحوج الى استعانة وجمع اعوان من الجانبين ويجر ذلك الى القتال وسائر المراتب لا
يخفى وجه استغنائها عن اذن الامام الا المرتبة الخامسة فان فيها نظرا سيأتي اما التعريف والوعظ فكيف يحتاج
الى اذن الامام واما التجهيل والتحميق والنسبة الى الفسق وقلة الخوف من الله تعالى وما يجري مجراه فهو كلام صدق و
الصدق مستحق بل افضل الدرجات كلمة حق عند امام جائر كما ورد في الحديث فاذا جاز الحكم على الامام على مراغمته فكيف
يحتاج الى اذنه وكذلك كسر الملاهي ومنع شرب الخمور فانه تعاطي ما يعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يفتقر الى الامام
فاما جمع الاعوان وشهر الاسلحة فذلك قد يجر الى فتنة عامة ففيه نظر سيأتي واستمرار عادات السلف على الحسبة
على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من امر بمعروف فان كان الوالي راضيا به فذلك
وان كان ساخطا فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه في الانكار عليه ويدل على ذلك عادة السلف
في الانكار على الائمة رضي الله عنهم كما روي ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلوة في العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد
الصلوة فقال له مروان ترك ذلك يا ابا فلان فقال ابو سعيد اما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم من رأى منكم منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فلقد
كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج الى اذنهم وروي ان المهدي لما قدم مكة لبث
ما شاء الله فلما اخذ في الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال له انظر
ما تصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد حتى اذا صار عنده حلت بينه وبينه من جعل لك هذا
فنظر في وجهه وكان يعرفه لانه من مواليهم فقال اعبد الله بن مرزوق قال نعم فاخذ فجيء به الى بغداد فكره ان
يعاقبه عقوبة يشنع عليه بها في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا اليه فرسا عضوضا
سيء الخلق ليعقره الفرس ثم قال صيروه الى بيت واخذ المهدي المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث
الى البستان ياكل البقل فاوذن به المهدي فقال له من اخرجك قال الذي حبسني فضج المهدي وصاح وقال
ما تخاف ان اقتلك فرفع عبد الله اليه راسه يضحك وهو يقول لو كنت تملك حياة او موتا فما زال
محبوسا حتى مات المهدي ثم خلوا عنه فرجع الى مكة قال وكان قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله منهم ان ينحر

مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحر مائة بدنة وروي عن حيان بن عبد الله قال تنزه هرون الرشيد بالدوين
ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمن بن ابي جعفر فقال هرون قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها
فجاءت فغنت فلم يحمد غناها فقال لها ما شانك قالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئنا بعودها قال فجاء بالعود
فوافق شيخا يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ راسه فراى العود فاخذه فضرب به الارض فاخذه
الخادم وذهب به الى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فانه طلبة امير المؤمنين فقال له صاحب الربع ليس ببغداد
اعبد من هذا فكيف يكون طلبة امير المؤمنين فقال له اسمع ما اقول لك ثم دخل على هرون فقال اني مررت على شيخ يلتقط
فقلت له الطريق فرفع راسه فراى العود فاخذه فضرب به الارض فاستشاط هرون وغضب واحمرت عيناه فقال
له سليمان بن ابي جعفر فقال له سليمن بن ابي جعفر ما هذا الغضب يا امير المؤمنين ابعث الى صاحب الربع يضرب
عنقه ويرمي به في دجلة قال لا ولكن نبعث اليه ونناظره اولا فجاء الرسول فقال اجب امير المؤمنين قال نعم قال
اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقيل لهرون قد جاء الشيخ فقال للندماء اي شيء ترون نرفع ما
قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ او نقوم الى مجلس آخر ليس فيه فقالوا نقوم الى مجلس آخر اصلح فقاموا الى المجلس الذي ليس فيه
منكر ثم امر بالشيخ فادخل وفي كمه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم اخرج هذا وادخل على امير المؤمنين فقال من هذا
عشائي الليلة قال نحن نعشيك قال لا حاجة لي في عشائك فقال له هرون اي شيء تريد منه فقال في كمي نوى قلت له
اطرحه وادخل على امير المؤمنين فقال دعه لا يطرحه قال فدخل فسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على
ما صنعت قال واي شيء صنعت وجعل هرون يستحيي ان يقول كسرت عودي فلما اكثر عليه قال سمعت اباءك واجدادك
يقرءون هذه الاية على المنبر ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر و
رايت منكرا فغيرته فقال فغيره فوالله ما قال الا هذا فلما خرج اعطى رجلا بدرة فقال اتبع الشيخ فان رايته يقول
قلت لامير المؤمنين وقال لي فلا تعطه شيئا وان رايته لا يكلم احدا فاعطه البدرة فلما خرج من القصر اذا هو
بنواة في الارض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم احدا فقال له يقول لك امير المؤمنين خذ هذه البدرة فقال
قل لامير المؤمنين يردها من حيث اخذها ويروى انه اقبل بعد فراغه من كلامه على النواة يعالج قلعها من الارض
وهو يقول ارى الدنيا لمن هي في يديه هموما كلما كثرت لديه تهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
اذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما كنت محتاجا اليه وروي عن سفيان قال حج المهدي في سنة ست وستين ومائة
فرايته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون يمينا وشمالا بالسياط فوقفت فقلت يا حسن الوجه حدثنا ايمن بن نابل
عن قدامة بن عبد الله الكلابي قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد
ولا جلد ولا اليك اليك وها انت يخبط الناس بين يديك يمينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفيان الثوري فقال يا
سفيان لو كان المنصور ما احتملك على هذا فقلت لو اخبرك المنصور بما لقي لقصرت عما انت فيه قال فقيل له انه
قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا امير المؤمنين فقال اطلبوه فطلب سفيان فاختفى وقد روي عن المامون
انه بلغه ان رجلا محتسبا يمشي في الناس يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مامورا من عنده بذلك
فامر بان يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له انه بلغني انك رايت نفسك اهلا للامر بالمعروف من غير ان نامرك وكان
المامون جالسا على كرسي ينظر في كتاب او قصة فاغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لا يشعر فقال له
المحتسب ارفع قدمك عن اسماء الله ثم قل ما شئت فلم يفهم المامون مراده فقال لقد اذنت فنظر المامون تحت قدمه
فراى الكتاب فاخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال لم تامر بالمعروف وقد جعل الله ذلك الينا اهل البيت ونحن
الذين قال الله عز وجل فيهم الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف فقال

صدقت يا امير المومنين انت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكين غير انا من اعوانك و
اولياءك فيه لا ننكر ذلك الا من جهل كتاب الله وسنة نبيه قال الله تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اولياء
بعض يامرون بالمعروف الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه
بعضا وقد مكنت في الارض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فان انقدت لهما شكرت لمن اعانك بحرمتهما
وان استكبرت عنهما ولم تنقد لما لزمك فيهما فان الذي اليه امرك وبيده عزك وذلك قد شرط انه لا يضيع اجر من
احسن عملا فقل الان ما شئت فاعجب المامون بكلامه وسر به وقال مثلك يجوز ان يامر بالمعروف فامض
على ما كنت عليه بامرنا وعن راينا فاستمر الرجل على ذلك ففي سياق هذه الحكايات بيان الدليل على الاستغنا
عن الاذن فان قلت افتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على السيد والزوجة على الزوج والتلميذ على الاستاذ
والرعايا على الوالي مطلقا كما تثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج على الزوجة والسلطان على الرعية
او بينهما فرق فاعلم ان الذي نراه انه يثبت اصل الولاية ولكن بينهما فرق في التفاصيل ولنفرض ذلك في الولد
مع الوالد فنقول قد رتبنا للحسبة خمس مراتب وللولد الحسبة بالرتبتين الاولين وهو التعريف ثم الوعظ
والنصح باللطف وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة الضرب وهما الرتبتان الاخيرتان
وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدي الى اذى الوالد وسخطه هذا فيه نظر وهو بان يكسر عوده مثلا ويريق خمره
ويحل الخيوط من ثيابه المنسوجة بالحرير ويرد الى الملاك ما يجده في بيته من المال الحرام الذي غصبه او سرقه او
اخذه عن ادرار ورزق من ضريبة المسلمين اذا كان صاحبه معينا ويبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة في
خشب بيته ويكسر اواني الذهب والفضة فان فعله في هذه الامور لا يتعلق بذات الاب بخلاف الضرب والسب
ولكن الوالد يتاذى به ويسخط بسببه الا ان فعل الولد حق وسخط الاب منشاه حبه للباطل وللحرام والاظهر في
القياس انه يثبت للولد ذلك بل يلزمه ان يفعل ذلك ولا يبعد ان ينظر فيه الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط
فان كان المنكر فاحشا وسخطه عليه قريبا كاراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وان كان المنكر قريبا و
السخط شديدا كما كانت له آنية من بلور او زجاج على صورة حيوان وفي كسرها خسران مال كثير فهذا
مما يشتد غضبه وليس تجري هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر فان قيل ومن اين قلتم
ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والارهاق الى ترك الباطل والامر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد
عاما من غير تخصيص واما النهي عن التعنيف والايذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات
فنقول قد ورد في الاب على الخصوص ما يوجب الاستثناء عن العموم اذ لا خلاف في ان الجلاد ليس له ان يقتل
اباه حدا ولا ان يباشر اقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل ابيه الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له
ان يؤذيه في مقابلته فقد ورد في ذلك اخبار وثبت بعضها بالاجماع فاذا لم يجز له ايذاؤه بعقوبة هي حق
على جناية سابقة فلا يجوز له ايذاؤه بعقوبة هي منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل اولى وهذا الترتيب ايضا
ينبغي ان يجري في العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الوالد في لزوم الحق وان كان ملك اليمين اكد
من ملك النكاح ولكن في الخبر لو جاز السجود لمخلوق لامرت المراة بالسجود لبعلها وهذا يدل على تاكد الحق ايضا
واما الرعية مع السلطان فالامر فيه اشد من الولد فليس لها معه الا التعريف والنصح فاما الرتبة الثالثة
ففيها نظر من حيث ان الهجوم على اخذ الاموال من خزانته وردها الى الملاك وتحليل الخيوط من ثيابه الحرير و
كسر آنية الخمور في بيته يكاد يفضي الى خرق هيبته واسقاط حشمته وذلك محذور ورد النهي عنه كما ورد عن السكوت
عن المنكر فقد تعارض فيه ايضا محذوران والامر فيه موكول الى اجتهاد منشاه النظر في تفاحش المنكر ومقدار

ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه واما التلميذ والاستاذ فالامر
اخف لان المحترم هو الاستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله
ان يعامله بموجب علمه الذي تعلم منه وروي انه سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب الولد على والده
فقال يعظه ما لم يغضب فان غضب سكت عنه الشرط الخامس كونه قادرا ولا يخفى ان العاجز ليس
عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من احب الله يكره معاصيه وينكرها قال ابن مسعود جاهدوا الكفار
بايديكم فان لم تستطيعوا الا ان تكفهروا في وجوههم فافعلوا واعلم انه لا يقف سقوط الوجوب
على العجز الحسي بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك في معنى العجز وكذلك اذا لم يخف
مكروها ولكن علم ان انكاره لا ينفع فليلتفت الى معنيين احدهما عدم افادة الانكار امتناعا
والاخر خوف مكروه ويحصل من اعتبار المعنيين اربعة احوال احدها ان يجتمع المعنيان بان
يعلم انه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم فلا تجب عليه الحسبة بل ربما تحرم في بعض المواضع نعم يلزمه
ان لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة او واجب ولا
يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد او يحمل على مساعدة السلاطين في
الظلم والمنكرات فيلزمه الهجرة ان قدر عليه فان الاكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الهرب من
الاكراه الحالة الثانية ان ينتفي المعنيان جميعا بان يعلم ان المنكر يترك بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه
فيجب عليه الانكار وهذه هي القدرة المطلقة الحالة الثالثة ان يعلم انه لا يفيد انكاره لكنه لا يخاف مكروها فلا
تجب الحسبة لعدم فائدتها ولكن تستحب لاظهار شعائر الاسلام وتذكير الناس بامر الدين الحالة الرابعة عكس هذه
وهو ان يعلم انه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على ان يرمي زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها
في الحال ويريق الخمر او يضرب العود الذي في يده ضربة مختطفة فيكسره في الحال ويتعطل عليه هذا
المنكر ولكن يعلم انه يرجع اليه فيضرب راسه فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب ويدل عليه الخبر الذي
اوردناه في فضل كلمة حق عند امام جائر ولا شك في ان ذلك مظنة الخوف ويدل عليه ما روي عن ابي سليمان
الداراني انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان انكر عليه وعلمت اني اقتل ولم يمنعني القتل ولكن كان
في ملا من الناس فخشيت ان يعتريني التزين للخلق فاقتل من غير اخلاص في الفعل فان قيل فما معنى قوله تعالى
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قلنا لا خلاف في ان المسلم الواحد له ان يهجم على صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل
وهذا ربما يظن انه مخالف لموجب الاية وليس كذلك فقد قال ابن عباس ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في
طاعة الله عز وجل اي من لم يفعل ذلك فقد اهلك نفسه وقال البراء بن عازب التهلكة هو ان يذنب
الذنب ثم يقول لا يتاب علي وقال ابو عبيدة هو ان يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك واذا جاز ان يقاتل
الكفار حتى يقتل جاز ايضا ذلك في الحسبة ولكن لو علم انه لا نكاية لهجومه على الكفار كالاعمى يطرح نفسه
على الصف او العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم اية التهلكة وانما جاز له الاقدام اذا علم انه يقتل الى ان
يقتل او علم انه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراته واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة
في سبيل الله فتنكسر بذلك شوكتهم فكذلك يجوز للمحتسب بل يستحب له ان يعرض نفسه للضرب والقتل اذا
كان لحسبته تاثير في رفع المنكر او في كسر جاه الفاسق او في تقوية قلوب اهل الدين فاما ان راى فاسقا
متغلبا وحده وعنده سيف وبيده قدح وعلم انه لو انكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا ارى
للحسبة فيه وجها وهو عين الاهلاك فان المطلوب ان يؤثر في الدين اثرا ويفديه بنفسه فاما تعريض النفس للهلاك

من غير اثر فلا وجه له في الدين بل ينبغي ان يكون هذا حراما وانما يستحب له الانكار اذا قدر على ابطال المنكر او
ظهر لفعله فائدة وذلك بشرط ان يقتصر المكروه عليه فان علم انه يضرب معه غيره من اصحابه او اقاربه او
رفقائه فلا يجوز له الحسبة بل يحرم لانه عجز عن دفع المنكر الا بان يفضي ذلك الى منكر اخر وليس ذلك من القدرة
في شئ بل لو علم انه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا لمنكر اخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل
له الانكار على الاظهر لان المقصود عدم مناكير الشرع مطلقا لا من زيد او عمرو وذلك بان يكون مثلا مع الانسان
شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم انه لو اراقه لشرب صاحبه الخمر او شرب اولاده الخمور لاعوازهم
الشراب الحلال فلا معنى لاراقة ذلك ويحتمل ان يقال انه يريق ذلك فيكون هو مبطلا للمنكر واما شربه الخمر فهو
الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر وقد ذهب الى هذا ذاهبون وليس ببعيد فان هذه مسائل
فقهية لا يمكن فيها الحكم الا بظن ولا يبعد ان نفرق بين درجات المنكر المغير والمنكر الذي تفضي اليه الحسبة و
التغيير فانه اذا كان يذبح شاة غيره لياكلها وعلم انه لو منعه من ذلك لقتل انسانا واكله فلا معنى لهذه الحسبة نعم لو
كان منعه عن ذبح انسان وقطع طرفه يحمله على اخذ ماله فذلك له وجه فهذه دقائق واقعة في محل الاجتهاد
وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذه الدقائق نقول العامي ينبغي ان لا يحتسب الا في الجليات المعلومة
كشرب الخمر والزنا وترك الصلوة فاما ما يعلم كونه معصية بالاضافة الى ما يطيف به من الافعال ويفتقر فيه الى
اجتهاد فالعامي ان خاض فيه كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وبهذا يتاكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة الا بتعيين
الوالي اذ ربما ينتدب لها من ليس اهلا لها لقصور معرفته او لقصور ديانته فيؤدي الى وجوه من الخلل وسياتي
كشف الغطاء عن ذلك ان شاء الله تعالى فان قيل وحيث اطلقتم القول بانه يصيبه مكروه او انه لا يفيد حسبته
فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه قلنا الظن الغالب (المقترن) في هذه الابواب في معنى العلم وانما يظهر الفرق عند تعارض الظن
والعلم اذ يرجح العلم اليقيني على الظن ويفرق بين العلم والظن في موضع اخر وهو انه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث
علم قطعا انه لا يفيد فان كان غالب ظنه انه لا يفيد ولكن يحتمل ان يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروها فقد
اختلفوا في وجوبه والاظهر وجوبه اذ لا ضرر فيه وجدواه متوقع وعمومات الامر بالمعروف تقتضي الوجوب
بكل حال ونحن انما نستثني عنه بطريق التخصيص ما اذا علم انه لا فائدة فيه اما بالاجماع او بقياس ظاهر و
هو ان الامر ليس يراد لعينه بل للمامور فاذا علم الياس عنه فلا فائدة فيه فاما اذا لم يكن ياس فينبغي ان لا يسقط
الوجوب فان قيل فالمكروه الذي يتوقع اصابته ان لم يكن متيقنا ولا معلوما بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه
او كان غالب ظنه انه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل ان يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى
لا يجب الا عند اليقين بانه لا يصيبه مكروه ام يجب في كل حال الا اذا غلب على ظنه انه يصاب بمكروه قلنا ان
غلب على الظن انه يصاب لم يجب وان غلب انه لا يصاب وجب ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب فان ذلك
ممكن في كل حسبة وان شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل ان يقال الاصل الوجوب بحكم العمومات
وانما يسقط بمكروه والمكروه هو الذي يظن او يعلم حتى يكون متوقعا وهذا هو الاظهر ويحتمل ان يقال
انه انما يجب عليه اذا علم انه لا ضرر عليه والاول اصح نظرا الى قضية العمومات الموجبة للامر بالمعروف فان قيل
فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراة فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبا حتى كانه يشاهده
ويرتاع منه والمتهور الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الامل حتى انه لا يصدق به
الا بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج فان الجبن مرض وهو (ضعف)
في القلب سببه قصور في القوة وتفريط والتهور افراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما

قلنا التعويل

نقصان وانما الكمال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة
عن نقصان في العقل وتارة عن خلل في المزاج بتفريط او افراط فان من اعتدل مزاجه في صفة الجبن و
الجراة فقد لا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جراته جهله وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب
جبنه جهله وقد يكون عالما بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشرور ودوافعه ولكن يعمل الشر البعيد في
تخذيله وتحليل قوته في الاقدام بسبب ضعف قلبه ما يعمله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات
الى الطرفين وعلى الجبان ان يتكلف ازالة الجبن بازالة علته وعلته جهل او ضعف ويزول الجهل بالتجربة
ويزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا اذ المبتدي في المناظرة والوعظ مثلا
قد يجبن عنه طبعه لضعفه فاذا مارس واعتاد فارقه الضعف فان صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم
استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض
الواجبات ولذلك قد نقول على راي لا يجب ركوب البحر لاجل حجة الاسلام على من يغلب عليه الجبن في ركوب البحر و (يجب)
على من لا يعظم خوفه منه فكذلك الامر في وجوب الحسبة فان قيل فالمكروه المتوقع ما حده فان الانسان قد
يكره كلمة وقد يكره ضربه وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالغيبة وما من شخص يؤمر بالمعروف الا
ويتوقع منه نوع اذى وقد يكون منه ان يكره السعاية به الى سلطان او ان يقدح فيه في مجلس يتضرر بقدحه فما
حد المكروه بالذي يسقط الوجوب قلنا هذه ايضا فيه نظر غامض وصورة منتشرة ومجاريه كثيرة ولكنا
نجتهد في ضم نشره وضبط اقسامه فنقول المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع الى اربعة امور
اما في النفس فالعلم واما في البدن فالصحة والسلامة واما في المال فالثروة واما في قلوب الناس فقيام الجاه
فاذن المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك القلوب كما ان معنى الثروة ملك الدراهم لان
قلوب الناس وسيلة الى الاغراض كما ان ملك الدراهم وسيلة وسياتي تحقيق معنى الجاه وسبب ميل
الطبع اليه في ربع المهلكات وكل واحد من هذه الاربعة يطلبها الانسان لنفسه ولاقاربه والمختصين به ويكره
في هذه الاربعة امران احدهما زوال ما هو حاصل موجود والاخر امتناع ما هو منتظر مفقود اعني اندفاع
ما يتوقع وجوده فلا ضرر الا في فوات حاصل وزواله او تعوق منتظر فان المنتظر عبارة عن الممكن حصوله و
الممكن حصوله كانه حاصل وفوات امكانه كانه فوات حصوله فرجع المكروه الى قسمين احدهما خوف امتناع المنتظر
وهذا لا ينبغي ان يكون مرخصا في ترك الامر بالمعروف اصلا ولنذكر مثاله في المطالب الاربعة اما العلم فمثاله ترك
الحسبة على من يختص باستاذه خوفا من ان يقبح عنده حاله فيمتنع من تعليمه واما الصحة فترك الانكار على الطبيب
الذي يدخل عليه مثلا وهو لابس حرير خوفا من ان يتاخر عنه فيمتنع بسببه صحته المنتظرة واما المال فترك الحسبة
على السلطان واصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من ان يقبح حاله عند السلطان الذي يتوقع منه ولايته و
هذا كله لا يسقط وجوب الحسبة فان هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز وانما
الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى عن هذا شئ الا ما يتحقق اليه الحاجة ويكون في فواته محذور يزيد على محذور
السكوت على المنكر كما اذا كان محتاجا الى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم ان في
تاخره شدة الضنى وطول المرض وقد يفضي الى الموت واعني بالعلم الظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال الماء و
العدول الى التيمم فاذا انتهى الى هذا الحد لم يبعد ان يرخص في ترك الحسبة واما في العلم فمثل ان يكون جاهلا
بمهمات دينه ولم يجد الا معلما واحدا وعلم ان المحتسب عليه قادر على ان يسد عليه طريق الوصول اليه لكون العالم
مطيعا له او مستمعا لقوله فاذا الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور ولا يبعد ان

خيفة من ان يقطع ادراره في المستقبل
او يترك مواساته واما الجاه فترك
الحسبة على من يتوقع منه نصرة
وجاها في المستقبل خيفة
من ان لا يحصل له
الجاه او
صح

يترجح احدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة الى العلم لتعلقه بمهمات الدين ولما في المال فهو ان
يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه لقطع
رزقه وافتقر في تحصيله الى طلب ادرار حرام او مات جوعا فهذا ايضا اذا اشتد الامر فيه لم يبعد ان يرخص
في السكوت واما الجاه فهو ان يؤذيه شرير ولا يجد سبيلا الى دفع شره الا بواسطة وسيلة له فيمتنع
عليه حصول الجاه ويدوم بسببه اذى الشرير فهذه كلها اذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها ولكن الامر فيها
منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه ويزن احد المحذورين بالآخر ويرجح بنظر الدين لا بموجب
الهوى والطبع فان رجح بموجب الدين سمي سكوته مداراة وان رجح بموجب الهوى سمي سكوته مداهنة وهو
امر باطن لا يطلع عليه الا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير فحق كل متدين فيه ان يراقب قلبه ويعلم ان الله تعالى
يطلع على باعثه وصارفه انه الدين او الهوى وستجد كل نفس ما عملت من خير محضرا عند الله ولو في فلتة خاطر
او لفتة ناظر من غير ظلم ولا جور فما الله بظلام للعبيد واما القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو مكروه معتبر في
جواز السكوت في الامور الاربعة الا العلم فان فواته غير مخوف الا بتقصير منه والا فلا يقدر احد على سلب العلم من
غيره وان قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال وهذا احد اسباب شرف العلم فانه يدوم في الدنيا
ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له ابد الآباد واما الصحة والسلامة ففواتهما بالضرب فكل من علم انه يضرب
ضربا مؤلما يتأذى به في الحسبة لم تلزمه الحسبة وان كان يستحب له ذلك كما سبق فاذا فهم هذا في الايلام بالضرب
فهو في الجرح والقطع والقتل اظهر واما الثروة فهو بان يعلم انه تنهب داره ويخرب بيته ويسلب ثيابه فهذا
ايضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب اذ لا بأس بان يفدي دينه بدنياه ولكل واحد من هذه الضروب
الثلاثة حد في القلة ولا يكترث به كالحبة في المال واللطمة الخفيفة المؤلمة في الضرب وحد في الكثرة يتعين اعتباره
ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين ان يجتهد فيه ويرجح جانب الدين ما امكن واما الجاه ففواته
بان يضرب ضربا غير مؤلم او يسب على ملأ من الناس او يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد او يسود وجهه
ويطاف به وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قادح في الجاه ومؤلم للقلب فهذا له درجات فالصواب
ان يقسم الى ما يعبر عنه بسقوط المروءة كالطواف به في البلد حاسرا حافيا فهذا يرخص في السكوت لان المروءة
مأمور بحفظها في الشرع وهذا مؤلم للقلب الما يزيد على الم ضربات معدودة وعلى فوات دريهمات قليلة
فهذه درجة الثانية ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة فان الخروج في ثياب فاخرة تجمل وكذا ركوب الخيول
فلو علم انه لو احتسب كلف المشي في السوق في ثياب لا يعتاد هو مثلها او كلف المشي راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة
المزايا وليس المواظبة على حفظها محمودا وحفظ المروءة محمود فلا ينبغي ان يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر
وفي معنى هذا ما لو خاف ان يتعرض له باللسان اما في حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة الى الرياء واما في غيبته
بانواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب اذ ليس فيه الا زوال فضلات الجاه التي ليس اليها كثير حاجة ولو تركت
الحسبة بلوم لائم او باغتياب فاسق او شتمه وتعنيفه او سقوط المنزلة عن قلبه وقلب امثاله لم يكن للحسبة
وجوب اصلا اذ لا تنفك الحسبة عن ذلك الا اذا كان المنكر هو الغيبة وعلم انه لو انكر لم يسكت المغتاب ولكن
اضافه اليه وادخله معه في الغيبة فتحرم هذه الحسبة لانها سبب زيادة المعصية وان علم انه يترك تلك الغيبة و
يقتصر على غيبته فلا تجب عليه لان غيبته ايضا معصية في حق المغتاب ولكن يستحب له ذلك ليفدي عرض المذكور بعرض
نفسه على سبيل الايثار وقد دلت العمومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يقابله الا ما هو
عظيم في الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد ظهر في الشرع خطرها فاما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثناء

الخلق فكل ذلك لا خطر له فاما امتناعه لخوف شيء من هذه المكاره في حق اولاده واقاربه
فهو في حقه دونه لان تأذيه بامر نفسه اشد من تأذيه بامر غيره ومن وجه الدين هو فوقه
لان له ان يسامح في حقوق نفسه وليس له المسامحة في حق غيره فاذن ينبغي ان يمتنع فانه ان
كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة
لانه دفع منكر يفضي الى منكر وان كان يفوت لا بطريق المعصية فهو ايذاء المسلم ايضا و
ليس له ذلك الا برضاهم فان كان يؤدي ذلك الى اذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له
اقارب اغنياء فانه لا يخاف على ماله ان احتسب على السلطان ولكنه يقصد اقاربه انتقاما
منه بواسطته فاذا كان يتعدى الاذى من حسبته الى اقاربه وجيرانه فليتركها فان ايذاء
المسلمين محذور كما ان السكوت على المنكر محذور نعم ان كان لا ينالهم اذى في مال ونفس و
لكن ينالهم الاذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الامر بدرجات المنكرات في تفاحشها
ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض فان قيل فلو قصد الانسان قطع
طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه الا بقتال ربما يؤدي الى قتله فهل يقاتل عليه فان قلتم يقاتل
فهو محال لانه اهلاك نفس خوفا من اهلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف ايضا قلنا نمنعه عنه ونقاتله اذ ليس
غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكرات والمعاصي وقتله في الحسبة ليس
بمعصية وقطع طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصائل على مال المسلم بما يأتي على قتله فانه جائز
لا على معنى انا نفدي درهما من مال مسلم بروح مسلم فان ذلك محال ولكن قصده لاخذ مال
المسلمين معصية وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية وانما المقصود دفع المعاصي فان قيل
فلو علمنا انه لو خلي بنفسه قطع طرف نفسه فينبغي ان نقتله في الحال حسما لباب المعصية قلنا ذلك
لا يعلم يقينا ولا يجوز سفك دم بتوهم معصية ولكنا اذا رأيناه في حال مباشرة القطع دفعناه
فان قاتلنا ولم يبال بما يأتي على روحه فاذن المعصية لها ثلاثة احوال احدها ان تكون متصرمة
فالعقوبة على ما تصرم منها حد او تعزير وهو الى الولاة لا الى الآحاد الثانية ان تكون المعصية
راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وامساكه العود والخمر فابطال هذه المعصية واجب بكل ما
امكن ما لم يؤد الى معصية افحش منها او مثلها وذلك يثبت للآحاد والرعية الثالثة ان يكون
المنكر متوقعا كالذي يستعد بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر
فهذا مشكوك فيه اذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للآحاد سلطنة على العازم على الشرب الا
بطريق الوعظ والنصح فاما بطريق التعنيف والضرب فلا يجوز لا للآحاد ولا للسلطان
الا اذا كانت تلك المعصية معلومة منه بالعادة المستمرة وقد اقدم على السبب المؤدي اليه ولم يبق
لحصول المعصية الا ما ليس له فيه الا الانتظار وذلك كوقوف الاحداث على ابواب حمامات النساء للنظر
اليهن عند الدخول والخروج فانهم وان لم يضيقوا الطريق لسعته فتجوز الحسبة عليهم باقامتهم من الموضع
ومنعهم من الوقوف بالتعنيف والضرب وكان تحقيق هذا اذا بحث عنه يرجع الى ان هذا الوقوف في
نفسه معصية وان كان مقصد العاصي وراءه كما ان الخلوة في نفسها معصية لانها مظنة وقوع المعصية
وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعني بالمظنة ما يتعرض الانسان به لوقوع المعصية غالبا
بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها فاذا هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظرة

شره الاين ويكتب من سلطان ولا يقدر
على التوصل اليه الا بواسطته
بلبس الحرير او شرب الخمر
والله اعلم

وعادته الركوب

وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف
ايضا صح

قاتله

الركن الثاني للحسبة ما فيه الحسبة وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه
منكرا بغير اجتهاد فهذه اربعة شروط فلنبحث عنها الاول كونه منكرا ونعني به كونه محذور الوقوع في
الشرع وعدلنا من لفظ المعصية الى هذا لان المنكر اعم من المعصية اذ من راى صبيا او مجنونا يشرب
الخمر فعليه ان يريق خمره ويمنعه وكذا ان راى مجنونا يزني بمجنونة او بهيمة فعليه ان يمنعه منه وليس
ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر في خلوة وجب المنع منه و
هذا لا يسمى معصية في حق المجنون اذ معصية لا عاصي بها محال فلفظ المنكر ادل عليه واعم من لفظ
المعصية وقد ادرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة
في الحمام والخلوة بالاجنبية واتباع النظر للنسوة الاجنبيات كل ذلك من الصغائر ويجب النهي عنها
وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سياتي في كتاب التوبة الشرط الثاني ان يكون موجودا في
الحال وهو احتراز عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فان ذلك ليس الى الآحاد بعد انقراض المنكر واحتراز
عما سيوجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله انه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه الا بالوعظ فان انكر عزمه
عليه لم يجز وعظه ايضا فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق
وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء
وما يجري مجراه الشرط الثالث ان يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسس فكل من ستر معصية في داره واغلق
بابه لا يجوز ان يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة وقد اوردناها
في كتاب آداب الصحبة وكذلك ما روي ان عمر تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال يا امير
المومنين ان كنت قد عصيت الله من وجه فقد عصيته من ثلاثة اوجه فقال وما هي قال قال الله تعالى ولا
تجسسوا وقد تجسست وقال واتوا البيوت من ابوابها وقد تسورت من السطح وقال لا تدخلوا بيوتا غير
بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها وما سلمت فتركه عمر رضي الله وشرط عليه التوبة وكذلك شاور
عمر الصحابة رضي الله عنهم وهو على المنبر وسالهم عن الامام اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد
واشار علي بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد وقد اوردنا هذه الاخبار في بيان حق المسلم من
كتاب آداب الصحبة فان قلت فما حد الظهور والاستتار فاعلم ان من اغلق باب داره وتستر بحيطانه
فلا يجوز الدخول عليه بغير اذنه ليعرف المعصية الا ان يظهر في الدار ظهورا يعرفه من خارج الدار كاصوات المزامير
والاوتار اذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وكذلك اذا
ارتفعت اصوات السكارى بالكلمات المالوفة بينهم بحيث يسمعها اهل الشوارع فهذا اظهار موجب للحسبة فاذا
انما يدرك مع تخلل الحيطان صوت او رائحة فاذا فاحت رائحة الخمر فان احتمل ان يكون ذلك من الخمور المحترمة
فلا يجوز قصدها بالاراقة وان علم بقرينة الحال انها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة
وقد تستر قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي فاذا راى فاسق وتحت ذيله شيء لم يجز
ان يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة فان فسقه لا يدل على ان الذي معه خمر اذ الفاسق محتاج الى الخل وغيره
ولا يجوز ان يستدل باخفائه وانه لو كان خلا لما اخفاه لان الاغراض في الاخفاء مما يكثر وان كانت الرائحة فائحة
فهذا محل النظر والظاهر ان له الاحتساب لان هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في امثال هذه الامور و
كذلك العود ربما يعرف بشكله اذا كان الثوب الساتر له رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما
ظهرت دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد امرنا بان نستر ما ستره الله وننكر على من ابدى صفحته و
الابداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة

اللمس ولا يمكن ان يخصص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم وهذه الحواس ايضا تفيد العلم فاذا انما يجوز
ان يكسر ما تحت الثوب اذا علم انه خمر وليس له ان يقول ارني لاعلم ما فيه فان هذا تجسس ومعنى التجسس
طلب الامارات المعرفة فالامارة المعرفة ان حصلت واورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فاما طلب امارة المعرفة فلا رخصة
فيه اصلا الشرط الرابع ان يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة
فيه فليس للحنفي ان ينكر على الشافعي اكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعي ان ينكر على الحنفي
شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الارحام وجلوسه في دار اخذها بشفعة الجوار
الى غير ذلك من مجاري الاجتهاد نعم لو راى الشافعي شافعيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطأ زوجته فهذا
في محل النظر والاظهر ان له الحسبة والانكار اذ لم يذهب احد من المحصلين الى ان المجتهد يجوز له ان يعمل
بموجب اجتهاد غيره ولا ان الذي ادى اجتهاده في التقليد الى شخص رآه افضل العلماء ان له ان ياخذ
بمذهب غيره فينتقد من المذاهب اطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذا مخالفته
للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا انه يلزم من هذا امر اغمض منه وهو انه يجوز
للحنفي ان يعترض على الشافعي اذا نكح بغير ولي بان يقول الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فانت مبطل بالاقدام
عليه مع اعتقادك ان الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وان لم
يكن صوابا عند الله وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي اذا شاركه في اكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول
اما ان تعتقد ان الشافعي اولى بالاتباع ثم تقدم عليه او لا تقدم عليه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا الى امر في
المحسوسات وهو ان يجامع الاصم مثلا امراة على قصد الزنا وعلم المحتسب ان هذه امراته زوجه اياها ابوه في صغره
ولكنه ليس يدري ويعجز عن تعريفه ذلك لصممه او لكونه غير عالم بلغته فهو في الاقدام مع اعتقاده انها اجنبية عاص
ومعاقب عليه في الدار الآخرة فينبغي ان يمنعه منه مع انها زوجته وهو بعيد من حيث انها حلال في علم الله قريب
من حيث انه حرام عليه بحكم غلطه وجهله ولا شك في انه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلا من مشيئة
او غضب او غيره وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فاذا
رآه يجامعها فعليه المنع اعني باللسان فان ذلك زنى الا ان الزاني غير عالم به والمحتسب عالم بانها طلقت منه ثلاثا و
كونهما غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ولا يتقاصر ذلك عن زنا المجنون وقد بينا
انه يمنع منه فاذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وان لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل فيلزم من عكس هذا ان
يقال ما ليس بمنكر عند الله وانما هو منكر عند الفاعل لجهله لا يمنع منه وهذا هو الاظهر والعلم عند الله فيحصل من هذا ان الحنفي
لا يعترض على الشافعي في النكاح بلا ولي وان الشافعي يعترض على الشافعي فيه لكون المعترض عليه منكرا
باتفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسائل فقهية دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة وانما افتينا
فيه بحسب ما يترجح عندنا في الحال ولسنا نقطع بخطا المخالف فيها ان راى رايا انه لا يجري الاحتساب
الا في معلوم على القطع وقد ذهب اليه ذاهبون وقالوا لا حسبة الا في مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه
حراما ولكن الاشبه عندنا ان الاجتهاد يؤثر في حق المجتهد اذ يبعد غاية البعد ان يجتهد في القبلة
ويعترف بظهور القبلة عنده في جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع عنه لاجل ظن غيره ان
ربما يظن غيره ان الاستدبار هو الصواب وراي من يرى انه يجوز لكل مقلد ان يختار من المذاهب
ما اراد غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب اليه اصلا فهذا مذهب لا يثبت وان ثبت فلا يعتد به
فان قلت فاذا كان لا يعترض على الحنفي في النكاح بلا ولي لانه يرى انه حق فينبغي ان لا يعترض على المعتزلي

في قوله ان الله لا يرى ولا في قوله ان الخير من الله والشر ليس من الله وقوله كلام الله مخلوق ولا على الحشوي
في قوله ان الله تعالى جسم وله صورة وانه مستقر على العرش بل لا ينبغي ان يعترض على الفلسفي في قوله
الاجساد لا تبعث وانما تبعث النفوس لان هؤلاء ايضا ادى اجتهادهم الى ما قالوه وهم يظنون ان ذلك
هو الحق فان قلت بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح ايضا ظاهر
فكما يثبت بظواهر النصوص ان الله يرى والمعتزلي ينكره بالتاويل فكذلك يثبت بظواهر النصوص مسائل
خالف فيها الحنفي كمسئلة النكاح بلا ولي ومسئلة شفعة الجار ونظائرها واعلم ان المسائل تنقسم الى ما
يتصور ان يقال فيها كل مجتهد مصيب وهي احكام الافعال في الحل والحرمة وذلك هو الذي لا يعترض على المجتهد
فيه اذ لا يعلم خطاؤه قطعا بل ظنا والى ما لا يتصور ان يكون المصيب فيه الا واحدا كمسئلة الرؤية والقدر
وقدم الكلام ونفي الصورة والجسمية والاستقرار عن الله تعالى فهذا مما يعلم خطأ المخطي فيه قطعا فلا
يبقى لخطائه الذي هو جهل محض وجه فاذا البدع كلها ينبغي ان تحسم ابوابها وينكر على المبتدعين بدعهم
وان اعتقدوا انها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وان كانوا يعتقدون ان ذلك حق
لان خطاءهم معلوم على القطع بخلاف الخطاء في مظان الاجتهاد فان قلت فمهما اعترضت على القدري
في قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدري ايضا في قولك الشر من الله وكذلك في قولك ان الله يرى
وفي سائر المسائل اذ المبتدع محق عند نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع وكل يدعي انه محق وينكر كونه
مبتدعا فكيف يتم الاحتساب فاعلم انا لاجل هذا التعارض نقول ينظر الى البلدة التي فيها اظهرت تلك
البدعة فان كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير اذن السلطان وان انقسم اهل
البلد الى اهل البدعة واهل السنة كان في الاعتراض تحريك فتنة بالمقابلة فليس للاحاد الحسبة في المذاهب الا
بنصب السلطان فاذا راى السلطان الراي الحق ونصره واذن لواحد ان يزجر المبتدعة عن اظهار البدعة كان له
ذلك وليس لغيره فان ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة الاحاد فيتقابل الامر فيه وعلى
الجملة فالحسبة في البدع اهم من الحسبة في كل المنكرات ولكن ينبغي ان يراعى فيها هذا التفصيل الذي ذكرناه
كيلا يتقابل الامر فيه ولا ينجر الى تحريك الفتنة بل لو اذن السلطان مطلقا في منع كل من يصرح بان القرآن مخلوق او
ان الله لا يرى وانه مستقر على العرش مماس له او غير ذلك من البدع تسلط الاحاد على المنع منه ولم يتقابل الامر فيه
وانما يتقابل عند عدم اذن السلطان فقط الركن الثالث **المحتسب عليه** وشرطه ان يكون بصفة يصير
الفعل الممنوع منه في حقه منكرا واقل ما يكفي في ذلك ان يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ بينا ان الصبي
لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا اذ بينا ان المجنون لو كان يزني
بمجنونة او ياتي بهيمة وجب منعه منه نعم من الافعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلوة والصوم
وغيره ولكنا لسنا نلتفت الى اختلاف التفاصيل فان ذلك ايضا مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض و
الصحيح وغرضنا الاشارة الى الصفة التي بها يتهيأ لتوجه اصل الانكار عليه لا ما بها يتهيأ للتفاصيل فان قلت
فاكتف بكونه حيوانا ولا يشترط كونه انسانا فان البهيمة لو كانت تفسد زرعا لانسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون
من الزنا واتيان البهيمة فاعلم ان تسمية ذلك حسبة لا وجه له اذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع
عن مقارفة المنكر ومنع المجنون عن الزنا واتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب الخمر والانسان اذا اتلف زرع
غيره منع منه لحقين احدهما حق الله تعالى فان فعله معصية والثاني حق المتلف عليه فهما علتان تنفصل احديهما عن الاخرى
فلو قطع طرف غيره باذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجني عليه باذنه فثبتت الحسبة والمنع باحدى العلتين وفي البهيمة

اذا اتلفت فقد عدمت المعصية ولكن يثبت المنع باحدى العلتين ولكن فيه دقيقة وهو انا لسنا نقصد باخراج البهيمة
منع البهيمة بل حفظ مال المسلم اذ البهيمة لو اكلت ميتة او شربت من اناء فيه خمر او ماء مشوب بخمر لم نمنعها منه بل يجوز
اطعام كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم اذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب علينا حفظ
ذلك المال بل لو وقعت جرة لانسان من علو وتحتها قارورة لغيره فيدفع الجرة لحفظ القارورة لا لمنع الجرة من السقوط
وانا لا نمنع الجرة وحراستها من ان تصير كاسرة القارورة ونمنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا
الصبي لا صيانة للبهيمة المأتية او الخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيها له من حيث انه انسان محترم فهذه
دقائق لطيفة لا يتفطن لها الا المحققون فلا ينبغي ان يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر اذ قد يتردد
في منعهما من لبس الحرير وفي غير ذلك وسنتعرض لما نشير اليه في الباب الثالث فان قلت فكل من راى بهائم قد
استرسلت في زرع انسان فهل يجب عليه اخراجها وكل من راى مالا لمسلم اشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه و
قلتم ان ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي الى ان يصير الانسان مسخرا لغيره طول عمره وان قلتم لا يجب فلم يجب
الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير فنقول هذا بحث دقيق غامض و
القول الوجيز فيه ان نقول مهما قدر على حفظه عن الضياع من غير ان يناله تعب في بدنه او خسران في ماله او
نقص في جاهه وجب عليه ذلك فذلك القدر واجب في حقوق المسلم بل هو اقل درجات الحقوق والادلة
الموجبة لحقوق المسلم كثيرة وهذا اقل درجاتها وهو اولى بالايجاب من رد السلام فان الاذى في هذا اكثر
من الاذى في ترك رد السلام بل لا خلاف في ان مال الانسان اذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة
لو تكلم بها لرجع الحق اليه وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لا ضرر
على الدافع فيه فاما ان كان عليه تعب او ضرر في مال او جاه لم يلزمه ذلك لان حقه مرعي في منفعة بدنه وفي ماله
وجاهه كحق غيره فلا يلزمه ان يفدي غيره بنفسه نعم الايثار مستحب وتجشم المصاعب لاجل المسلمين قربة فاما
ايجاب ذلك فلا فاذا ان كان يتعب باخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه السعي في ذلك ولكن اذا كان لا يتعب
بتنبيه صاحب الزرع من نومه او باعلامه يلزمه ذلك فاهمال التعريف والتنبيه كاهمال التعريف للقاضي بالشهادة
وذلك لا رخصة فيه ولا يمكن ان يراعى فيه الاقل والاكثر حتى يقال ان كان لا يضيع من منفعته في مدة اشتغاله
باخراج البهائم الا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيترجح جانبه لان الدرهم الذي هو يستحق حفظه
كما يستحق صاحب الالف فلا سبيل الى المصير الى ذلك واما اذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغصب وقتل عبد مملوك للغير
فهذا يجب المنع منه وان كان فيه تعب ما لان المقصود حق الشرع والغرض دفع المعصية وعلى الانسان ان يتعب نفسه في
دفع المعاصي كما عليه ان يتعب نفسه في ترك المعاصي والمعاصي كلها في تركها تعب وانما الطاعة كلها ترجع الى مخالفة النفس
وهو غاية التعب ثم لا يلزمه احتمال كل الضرر بل التفصيل فيه ما ذكرناه من درجات المحذورات التي يخافها المحتسب وقد
اختلف الفقهاء في مسئلتين تقرب من غرضنا احداهما ان الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة والملتقط مانع
من الضياع وساع في الحفظ والحق فيه عندنا ان يفصل ويقال ان كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها
من يعرفها او يتركها كما لو كان في مسجد او رباط يتعين من يدخله وكلهم امناء فلا يلزمه الالتقاط وان كان في مضيعة
نظر فان كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج الى علف واصطبل فلا يلزمه ذلك لانه انما يجب الالتقاط
لحق المالك وحقه بسبب كونه انسانا محترما والملتقط ايضا انسان وله حق فان لا يتعب لاجل غيره كما لا يتعب غيره لاجله
وان كان ذهبا او ثوبا او شيئا لا ضرر عليه فيه الا مجرد تعب التعريف فهذا ينبغي ان يكون في محل الوجهين فقائل يقول التعريف و
القيام بشرطه سنة تعب فلا سبيل الى الزامه ذلك الا ان يتبرع فيلتزم طلبا للثواب وقائل يقول ان هذا القدر من التعب

مستصغر بالاضافة الى مراعاة حقوق المسلمين وينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فانه لا يلزمه
السفر الى بلدة اخرى الا ان يتبرع به واذا كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور وكان هذا التعب بهذه الخطوات
لا يعد تعبا في غرض اقامة الشهادة واداء الامانة وان كان في الطرف الاخر من البلد واحوج الى الحضور في الهاجرة
وعند شدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر فاذن الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف
في القلة لا يشك في انه لا يبالي به وطرف في الكثرة لا يشك في انه لا يلزم احتماله ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون
ابدا في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات المزمنة التي ليس في مقدور البشر ازالتها اذ لا علة تفرق بين
اجزائها المتقابلة ولكن المتقي ينظر فيه لنفسه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه فهذا نهاية الكشف عن هذا الاصل الركن
الرابع نفس الاحتساب وله درجات واداب اما الدرجات فاولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح
ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم ايقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار
فيه بالاعوان وجمع الجنود اما الدرجة الاولى وهي التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه وهو
التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي ان يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الاوتار ولا ان يستنشق ليدرك
رائحة الخمر ولا ان يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار ولا ان يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره نعم لو اخبره
عدلان ابتداء من غير استخبار بان فلانا يشرب الخمر في داره او بان في داره خمرا اعده للشرب فله اذ ذاك ان يدخل
داره ولا يلزمه الاستيذان ويكون تخطى ملكه بالدخول للتوصل الى دفع المنكر ككسر راسه بالضرب للمنع مهما
احتاج اليه وان اخبره عدلان او عدل واحد وبالجملة كل من تقبل روايته دون شهادته ففي جواز الهجوم على
داره بقولهم نظر واحتمال والاولى ان يمتنع لان له حقا في ان لا يتخطى الى داره بغير اذنه ولا يسقط حق
المسلم عما ثبت عليه حقه الا بشاهدين فهذا اولى ما يجعل مردا فيه وقد قيل انه كان نقش خاتم لقمان الستر لما عاينت
احسن من اذاعة ما ظننت الدرجة الثانية التعريف فان المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله واذا عرف انه
منكر تركه كالسوادي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم ان ذلك لجهله بان هذه ليست بصلوة ولو رضي
بان لا يكون مصليا لترك اصل الصلوة فيجب تعريفه باللطف من غير عنف وذلك لان في ضمن التعريف نسبة الى
الجهل والحمق والتجهيل ايذاء وقلما يرضى الانسان بان ينسب الى الجهل بالامور لا سيما بالشرع ولذلك ترى
الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب اذا نبه على الخطا والجهل وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من
ان تنكشف عورة جهله والطباع احرص على ستر العورة من الجهل منها على ستر العورة الحقيقية لان الجهل قبح في صورة
النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوأتين يرجع الى صورة البدن والنفس اشرف من البدن
ثم هو غير ملوم عليه لانه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره ازالته وتحسينه والجهل قبيح يمكن ازالته
وتبديله بحسن العلم فلذلك يعظم تالم الانسان بظهور جهله ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور
جمال علمه لغيره واذا كان التعريف كشفا للعورة مؤذيا للقلب فلا بد ان يعالج دفع اذاه بلطف الرفق فيقول له
ان الانسان لا يولد عالما ولقد كنا ايضا جاهلين بامور الصلوة فعلمنا العلماء ولعل قريتك خالية عن اهل العلم
او عالمها مقصر في شرح الصلوة وايضاحها انما شرط الصلوة الطمانينة في الركوع والسجود فهكذا يتلطف به ليحصل
التعريف من غير ايذاء فان ايذاء المسلم حرام محذور وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم او بالبول ومن اجتنب
محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الايذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول
على التحقيق واما اذا وقفت على الخطا في غير امر الدين فلا ينبغي ان ترده عليه فانه يستفيد منك علما ويصير لك
عدوا الا اذا علمت انه يغتنم العلم وذلك عزيز جدا الدرجة الثالثة النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله وذلك

فيمن يقدم على الامر وهو عالم بكونه منكرا او فيمن اصر عليه بعد ان عرف كونه منكرا كالذي يواظب على الشرب
او على الظلم او على اغتياب المسلمين او ما يجري مجراه فينبغي ان يوعظ ويخوف بالله تعالى ويورد عليه
الاخبار الواردة بالوعيد في ذلك ويحكى له سيرة السلف وعادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من
غير عنف وغضب بل ينظر اليه نظر المترحم عليه ويرى اقدامه على المعصية مصيبة على نفسه اذ المسلمون كنفس
واحدة وههنا افة عظيمة ينبغي ان يتوقاها فانها مهلكة وهو ان العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم
وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الاذلال واظهار التميز بشرف العلم واذلال صاحبه بالنسبة
الى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا المنكر اقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه ومثال هذا
المحتسب مثال من يخلص غيره من النار باحراق نفسه وهو غاية الجهل وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة
وغرور للشيطان يتدلى بحبله كل انسان الا من عرفه الله تعالى عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته
فان في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين احدهما من جهة دالة العلم والاخر من جهة
دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع الى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية الى
الشرك الخفي وله محك ومعيار ينبغي ان يمتحن به المحتسب نفسه وهو ان يكون امتناع ذلك الانسان
عن المنكر بنفسه او باحتساب غيره احب اليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة شاقة عليه
ثقيلة على نفسه وهو يود ان يكفى بغيره فليحتسب فان باعثه هو الدين وان كان اتعاظ ذلك
العاصي بوعظه وانزجاره بزجره احب اليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو الا متبع هوى نفسه و
متوسل الى اظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتق الله وليحتسب اولا على نفسه وعند هذا يقال له ما
قيل لعيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ غيرك والا فاستحي
مني وقيل لداود الطائي ارايت رجلا دخل على هؤلاء الامراء فامرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر
قال اخاف عليه السوط قيل انه يقوى عليه قال اخاف عليه السيف قال انه يقوى قال اخاف عليه الداء
الدفين العجب الدرجة الرابعة **السب والتعنيف** بالقول الغليظ الخشن وذلك يعدل اليه عند
العجز عن المنع باللطف وظهور مبادي الاصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول
ابرهيم صلى الله عليه وسلم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون ولسنا نعني بالسب الفحش
بما فيه نسبة الى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل ان يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فا
يا احمق يا جاهل الا تخاف الله وكقوله يا سوادي يا غبي وما يجري هذا المجرى فان كل فاسق فهو
احمق وجاهل ولولا حمقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو الاحمق والكيس من شهد له
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت و
الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ولهذه الرتبة ادبان احدهما ان لا يقدم عليه الا عند
الضرورة والعجز عن اللطف والثاني ان لا ينطق الا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل
بما لا يحتاج اليه بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم ان خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليس يزجره فلا ينبغي
ان يطلقه بل يقتصر على اظهار الغضب والاستحقار له والازدراء بمحله لاجل المعصية وان علم انه لو
تكلم ضرب ولو اظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الانكار بالقلب بل يلزمه ان يقطب وجهه
ويظهر الانكار به الدرجة الخامسة التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي واراقة الخمر وخلع الحرير من راسه
وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير واخراجه عن الدار المغصوبة بالجر

برجله واخرجه من المسجد اذا كان جنبا جالسا وهو جنب وما يجري مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي صح
دون بعض فاما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر
على نفس العاصي وجوارحه الباطنة وفي هذه الدرجة ادبان احدهما ان لا يباشر بيده التغيير ما لم
يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك فاذا امكنه ان يكلفه المشي في الخروج عن الارض المغصوبة والمسجد
فلا ينبغي ان يدفعه او يجره واذا قدر على ان يكلفه اراقة الخمر وكسر الملاهي وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي
ان يباشر ذلك بنفسه فان الوقوف على حد الكسر نوع عسر فاذا لم يتعاط ذلك بنفسه كفى الاجتهاد
فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله الثاني ان يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج اليه وهو ان لا
ياخذ بلحيته في الاخراج ولا برجله اذا قدر على جره بيده فان زيادة الاذى فيه مستغنى عنه وان لا يمزق
الثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق الملاهي والصليب الذي اظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها
للفساد بالكسر وحد الكسر ان تصير الى حال تحتاج في استيناف اصلاحه الى تعب يساوي تعب الاستيناف
من الخشب ابتداء وفي اراقة الخمور يتوقى كسر الاواني ان وجد اليه سبيلا فان لم يقدر عليها الا بان
يرمي ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر اذ صار حائلا بينه وبين الوصول
الى الخمر ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالضرب والجرح ليتوصل الى اراقة الخمر فاذا لا يزيد حرمة
ملكه في الظروف على حرمة نفسه فلو كان الخمر في قوارير ضيقة الرؤس ولو اشتغل باراقتها طال
الزمان وادركه الفساق ومنعوه فله كسرها فهذا عذر وان كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن
كان يضيع فيه زمانه وتتعطل عليه اشغاله فله كسرها فليس عليه ان يضيع منفعة بدنه وغرضه من
اشغاله لاجل ظروف الخمر وحيث كانت الاراقة متيسرة بلا كسر فاذا كسر لزمه الضمان فان قلت فهلا
جاز الكسر لاجل الزجر وهلا جاز الجر بالرجل في الاخراج عن الارض المغصوبة ليكون ابلغ في الزجر فاعلم
ان الزجر انما يكون عن المستقبل والعقوبة على الماضي والدفع عن الحاضر الراهن وليس الى احاد الرعية الا
الدفع وهو اعدام المنكر فما زاد على قدر المنكر فهو اما عقوبة على جريمة سابقة او زجر لاحق وذلك الى
الولاة لا الى الرعية نعم الوالي له ان يفعل ذلك اذا راى المصلحة فيه واقول له ان يامر بكسر الظروف التي
فيها الخمر زجرا وقد فعل ذلك في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم تاكيدا للزجر ولم يثبت نسخه ولكن كانت
الحاجة الى الزجر والفطام شديدة فاذا راى الوالي باجتهاده مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك واذا كان
هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لاحاد الرعية فان قلت فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي باتلاف
اموالهم وتخريب دورهم التي فيها يشربون ويعصون واحراق اموالهم التي بها يتوصلون الى المعاصي فاعلم ان ذلك
لو ورد الشرع به لم يكن خارجا عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها وكسر ظروف الخمر قد ثبت
عند شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها
فانما جوزنا ذلك للامام بحكم الاتباع ومنعنا احاد الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه بل نقول لو اريقت
الخمور اولا فلا يجوز كسر الاواني بعدها وانما جاز كسرها تبعا للخمر فاذا خلت عنها فهو اتلاف مال الا ان تكون
ضارية بالخمر لا تصلح الا لها وكان الفعل المنقول عن العصر الاول كان مقرونا بمعنيين احدهما شدة الحاجة
الى الزجر والاخر تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لا سبيل الى حذفهما ومعنى ثالث و
هو صدوره عن راي صاحب الامر لعلمه بشدة الحاجة الى الزجر وهو ايضا مؤثر فلا سبيل الى الغائه فهذه تصرفات
دقيقة فقهية يحتاج المحتسب لا محالة الى معرفتها الدرجة السادسة التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا او لاكسرن راسك او

لاضربن رقبتك او لارمين بك وما اشبهه وهذا ينبغي ان يقدم على تحقيق الضرب اذا امكن تقديمه والادب في
هذه الرتبة ان لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لانهبن دارك او لاضربن ولدك او لاسبين زوجتك و
ما يجري مجراه بل ان قال ذلك عن عزم فهو حرام وان قاله عن غير عزم فهو كذب نعم اذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف
فله العزم عليه الى حد معلوم يقتضيه الحال وله ان يزيد في الوعيد على ما هو عزمه الباطن اذا علم ان ذلك مما يقمعه
ويردعه وليس ذلك من الكذب المحذور بل المبالغة في ذلك معتاد وهو في معنى مبالغة الرجل في اصلاحه بين
شخصين وتاليفه بين الضرتين وذلك مما قد رخص فيه للحاجة وهذا في معناه فان القصد به اصلاح ذلك
الشخص والى هذا المعنى اشار بعض الناس انه لا يقبح من الله ان يتوعد بما لا يفعل لان الخلف في الوعيد كرم وانما
يقبح ان يعد بما لا يفعل وهذا غير مرضي لان الكلام القديم لا يتطرق اليه الخلف وعدا كان او وعيدا وانما يتصور
هذا في حق العباد وهو كذلك اذ الخلف في الوعيد ليس بحرام الدرجة السابعة **مباشرة الضرب** باليد والرجل
وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك جائز للاحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع فاذا
اندفع المنكر فينبغي ان يكف والقاضي قد يرهق من ثبت عليه الحق الى الاداء بالحبس فان اصر المحبوس وعلم القاضي
قدرته على اداء الحق وكونه معاندا فله ان يلزمه الاداء بالضرب على التدريج كما يحتاج اليه وكذلك المحتسب يراعي
التدريج فان احتاج الى شهر سلاح وكان يقدر به على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله ان يتعاطى ذلك
كما لو قبض فاسق مثلا على امراة او كان يضرب بمزمار معه وبينه وبين المحتسب نهر او جدار مانع فليأخذ قوسه و
يقول له خل عنها او لارمينك فان لم يخل عنها فله ان يرميه وينبغي ان لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما اشبهه
ويراعي فيه التدريج وكذلك يسل السيف ويقول اترك هذا المنكر او لاضربنك وكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب
بكل ممكن ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله تعالى وما يتعلق بالادميين وقالت المعتزلة ما لا يتعلق بالا
فلا حسبة فيه الا بالكلام او بالضرب ولكن للامام لا للاحاد الدرجة الثامنة ان لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه
الى اعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق ايضا باعوانه ويؤدي الى ان يتقابل الصفان ويتقاتلا
فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه الى اذن الامام فقال قائلون لا يستقل احاد الرعية بذلك لانه يؤدي
الى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد وقال اخرون لا يحتاج الى الاذن وهو الاقيس لانه اذا جاز
للاحاد الامر بالمعروف واوائل درجاته تجر الى ثوان ثانية وقد ينتهي لا محالة الى التضارب والتضارب
يدعو الى التعاون فلا ينبغي ان يبالي بلوازم الامر بالمعروف ومنتهاه تجنيد الجنود في رضا الله تعالى ودفع
معاصيه ونحن نجوز للاحاد من الغزاة ان يجتمعوا ويقاتلوا من ارادوا من فرق الكفار قمعا لاهل الكفر
فكذلك قمع اهل الفسق جائز لان الكافر لا باس بقتله والمسلم ان قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه
لا باس بقتله والمحتسب المحق ان قتل مظلوما فهو شهيد وعلى الجملة فانتهاء الامر الى هذا من النوادر في الحسبة فلا يغير به
قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله ان يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه وباعوانه فالمسئلة اذا
محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الاحتساب فلنذكر ادابها

بيان آداب المحتسب

قد ذكرنا تفاصيل الا
داب في احاد الدرجات فلنذكر الان جملها ومصادرها فنقول جميع اداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب
العلم والورع وحسن الخلق اما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه و
الورع ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف في الحسبة وزائد على الحد الماذون فيه شرعا و
لكن يحمله عليه غرض من الاغراض وليكن كلامه ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزأ به اذا احتسب ويورث ذلك
جراءة واما حسن الخلق فليتمكن به من اللطف والرفق وهو اصل الباب واساسه والعلم والورع لا يكفي فيه فان الغضب اذا

حائل صح
دميين
داب

هاج لم يكف بمجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبول له بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن
الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما اصابه في دين الله والا فاذا اصيب عرضه او نفسه
بشتم او ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم فهذه الصفات
الثلاث بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع المنكرات وان فقدت لم يندفع المنكر وربما كانت
الحسبة ايضا منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم لا يامر
بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يامر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يامر به حليم فيما ينهى عنه
فقيه فيما يامر به فقيه فيما ينهى عنه وهذا يدل على انه لا يشترط ان يكون فقيها مطلقا بل فيما يامر به المعروف
فكن من اخذ الناس به والا هلكت وقد قيل لا تلم المرء على فعله وانت منسوب الى مثله من ذم شيئا و
اتى مثله فانما يزري على عقله ولسنا نعني بهذا ان الامر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق
لكن يسقط اثره عن القلوب بظهوره للناس وقد روى انس قال قلنا يا رسول الله الا نامر
بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف
وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله واوصى بعض السلف بنيه فقال ان اراد
احدكم ان يامر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب لم يجد
مس الاذى فاذا من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالامر بالمعروف
فقال حاكيا عن لقمان عليه السلام يا بني اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ومن
الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة فقد روي
عن بعض المشايخ انه كان له سنور فراى على القصاب منكرا فدخل الدار اولا واخرج السنور ثم جاء واحتسب
على القصاب فقال له القصاب لا اعطيك بعد هذا شيئا لسنورك فقال ما احتسبت عليك الا بعد اخراج
السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فانه من لم يقطع الطمع من الخلق لا يقدر على الحسبة ومن طمع في ان يكون
قلوب الناس عليه طيبة والسنتهم بالثناء عليه منطلقة لم تتيسر له الحسبة قال كعب لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك
بين قومك قال حسنة قال ان التوراة تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه
قال ابو مسلم صدقت التوراة وكذب ابو مسلم ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المامون رحمه الله اذ وعظه واعظ
وعنف له في القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر مني وامره بالرفق فقال تعالى فقولا
له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالانبياء عليهم السلام فقد روى ابو امامة
ان غلاما شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اتاذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال صلى الله عليه
وسلم قربوه ادن فدنا حتى جلس بين يديه فقال عليه الصلوة والسلام اتحبه لامك فقال لا جعلني الله فداك قال
كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم اتحبه لابنتك قال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم اتحبه لاختك
وزاد ابن عوف انه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل ذلك لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك
الناس لا يحبونه وقالا جميعا في حديثهما اعني ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على
صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء ابغض اليه منه يعني من الزنا وقيل للفضيل بن عياض
ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل ما اخذ منهم الا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان
يا ابا علي فان لم نكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين وقال حماد بن سلمة ان صلة بن اشيم مر عليه رجل قد اسبل ازاره
فهم اصحابه ان ياخذوه بشدة فقال دعوني انا اكفيكم فقال يا ابن اخي ان لي اليك حاجة فقال وما حاجتك يا عم

(هامش: وينهى عن المنكر وكذا الحلم وقال الحسن البصري اذا كنت ممن يامر بالمعروف)

(هامش: وكان ياخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئا من الغدد لسنوره)

قال احب ان ترفع من ازارك فقال نعم وكرامة فرفع ازاره فقال لاصحابه لو اخذتموه بشدة
لقال لا ولا كرامة وشتمكم وقال محمد بن زكريا الغلابي شهدت عبيد الله بن محمد بن عائشة
ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله واذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد
قبض على امراة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربونه فنظر اليه ابن
عائشة فعرفه فقال للناس تنحوا عن ابن اخي ثم قال الي يا ابن اخي فاستحيى الغلام فجاء اليه فضمه
الى نفسه ثم قال امض معي فمضى معه حتى صار الى منزله فادخله الدار وقال لبعض غلمانه بيته
عندك فاذا افاق من سكره فاعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تاتيني به فلما افاق
ذكر له ما جرى فاستحيى منه وبكى وهم بالانصراف فقال الغلام قد امر ان تاتيه فادخله
عليه فقال له اما استحييت لنفسك اما استحييت لشرفك اما ترى من ولدك فاتق الله وانزع
عما انت فيه فبكى الغلام منكسا راسه ثم رفع راسه وقال عاهدت الله تعالى عهدا يسالني عنه يوم
القيامة اني لا اعود لشرب النبيذ ولا لشيء مما كنت فيه وانا تائب فقال ادن مني فقبل راسه و
قال احسنت يا بني وكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب الحديث وكان ذلك ببركة رفقه
ثم قال ان الناس يامرون بالمعروف ويكون معروفهم منكرا فعليكم بالرفق في جميع اموركم
تنالون به ما تطلبون وعن الفتح بن شخرف قال تعلق رجل بامراة وتعرض لها وبيده سكين لا
يدنو منه احد الا عقره وكان الرجل شديد البدن فبينا الناس كذلك والمراة تصيح في يده اذ مر
بشر بن الحارث فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل على الارض ومضى بشر فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقا
كثيرا ومضت المراة لحالها فسالوه ما ذلك فقال ما ادري ولكن حاكني شيخ وقال لي ان الله عز وجل ناظر اليك
والى ما تعمل فضعفت لقوله قدمي وهبته هيبة شديدة ولا ادري من ذلك الرجل فقالوا له ذلك بشر بن
الحارث فقال واسوأتاه كيف ينظر الي بعد اليوم وحم الرجل من يومه ومات يوم السابع فهكذا كانت عادة
اهل الدين في الحسبة وقد نقلنا فيها اخبارا وآثارا في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصحبة
فلا نطول بالاعادة فهذا تمام النظر في درجات الاحتساب وآدابه

الباب الثالث في المنكرات المألوفة في العادات

فنشير الى جمل منها ليستدل بها على امثالها اذ لا مطمع في حصرها واستقصائها
فمن ذلك

منكرات المساجد

اعلم ان المنكرات تنقسم الى مكروهة والى محظورة فاذا قلنا هذا منكر مكروه
فاعلم ان المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام الا اذا لم يعلم الفاعل انه مكروه فيجب ذكره له لان الكراهة
محظورا او قلنا منكر مطلقا فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا فمما يشاهد كثيرا في المساجد اساءة
الصلوة بترك الطمانينة في ركوعها وسجودها وهو منكر مبطل للصلوة بنص الحديث فيجب النهي عنه الا عند الحنفي الذي
يعتقد ان ذلك لا يمنع صحة الصلوة اذ لا ينفع النهي معه ومن راى مسيئا في صلوته فسكت عليه فهو شريكه
هكذا ورد به الاثر وفي الخبر ما يدل عليه اذ ورد في الغيبة ان المستمع شريك القائل وكذلك كل ما يقدح في
صحة الصلوة من نجاسة على ثوبه لا يراها او انحراف عن القبلة بسبب ظلام او عمى فكل ذلك تجب الحسبة فيه و
منها قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح فان كان المعتكف في المسجد يضيع اكثر اوقاته
في امثال ذلك ويشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به فان هذا افضل له من ذكره وتطوعه لان هذا
فرض وهي قربة تتعدى فائدتها فهي افضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها وان كان ذلك يمنعه عن الوراقة مثلا
او عن الكسب الذي هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال به ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا

(هامش: حكم في الشرع يجب تبليغه الى من لا يعرفه واذا قلنا منكر)

وان كان يحتاج الى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذى يكثر اللحن فى القران
ان كان قادرا على التعلم فليمتنع عن القراءة قبل التعلم فانه عاص به وان كان لا يطاوعه اللسان فان كان اكثر
ما يقرؤه لحنا فليتركه وليجتهد فى تعلم الفاتحة وتصحيحها وان كان الاكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا باس به ان
يقرا ولكن ينبغى ان يخفض به صوته حتى لا يسمع به غيره ولمنعه سرا منه ايضا وجه ولكن اذا كان ذلك منتهى قدرته و
كان له انس بالقراءة وحرص عليها فلست ارى به باسا والله اعلم ومنها **تراسل المؤذنين** وتطويلهم بكلمات الاذان وانحرافهم
عن صوب القبلة بجميع الصدر فى الحيعلتين او انفراد كل واحد باذان ولكن من غير توقف الى انقطاع اذان
الاخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الاذان لتداخل الاصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها
وان صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها وكذلك اذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن
قبل الصبح حتى لا يعول على اذانه فى صلوة وترك سحور وكان معه مؤذن اخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح
ومن المكروهات ايضا تكثير الاذان مرة بعد اخرى بعد طلوع الصبح فى مسجد واحد فى اوقات متعاقبة متقاربة
اما من واحد او من جماعة فانه لا فائدة فيه اذا لم يبق فى المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى
ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف ومنها ان يكون الخطيب لابسا لثوب اسود
يغلب عليه الابريسم او ممسكا لسيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب فاما مجرد الثوب الاسود فليس
بمكروه ولكنه ليس بمحبوب اذ احب الثياب الى الله البيض ومن قال انه مكروه وبدعة اراد به انه لم يكن معهودا
فى العصر الاول ولكن اذا لم يكن فيه نهى فلا ينبغى ان يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للاحب ومنها كلام
القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة فان القاص ان كان يكذب فى اخباره فهو فاسق والانكار عليه
واجب وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه الا على قصد اظهار الرد عليه اما للكافة ان قدر
عليه او لبعض الحاضرين حواليه فان لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة قال الله تعالى لنبيه فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى
حديث غيره ومهما كان كلامه مائلا الى الارجاء وتجرئة الناس على المعاصى وكان الناس يزدادون بكلامه جراة
وبعفو الله وبرحمته وثوقا يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه منه لان فساد ذلك عظيم بل لو
رجح خوفهم على رجائهم فذلك اولى واليق بطباع الخلق فانهم الى الخوف احوج وانما العدل تعديل الخوف والرجاء
كما قال عمر رضى الله عنه لو نادى مناد يوم القيمة ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت ان اكون ذلك
الرجل ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنساء فى ثيابه وهيئته كثير الاشعار والاشارات والحركات وقد حضر
مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه فان الفساد فيه اكثر من الصلاح ويتبين ذلك بقرائن احواله بل لا ينبغى ان
يسلم الوعظ الا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زى الصالحين والا فلا يزداد الناس به الا تماديا
فى الضلال ويجب ان يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فان ذلك ايضا مظنة الفساد والعادات
تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلوة ولمجالس الذكر اذا خيفت الفتنة بهن فقد
منعتهن عائشة رضى الله عنها فقيل لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعهن من الجماعات فقالت لو علم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احدث النساء بعده لمنعهن فاما اجتياز المراة بالمسجد متسترة فلا يمنع
الا ان الاولى ان لا يتخذ المسجد مجازا اصلا وقراءة القران بين يدى الوعاظ مع التمديد والالحان على
وجه تغير نظم القران ويجاوز حد التنزيل منكر مكروه شديد الكراهة انكره جماعة من السلف ومنها
الحلق يوم الجمعة لبيع الادوية والاطعمة والتعويذات وكقيام السؤال وقراءتهم للاشعار وما يجرى مجراه
فهذه منها ما يكون حراما لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من طرقية الاطباء وكاهل الشعوذة والتلبيسات

وكذا ارباب التعويذات فى الاغلب يتوصلون الى بيعها بالتلبيس على الصبيان والسوادية فهذا
حرام فى المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه بل كل كذب وتلبيس واخفاء عيب على
المشترى فهو حرام ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الادوية والكتب والاطعمة فهذا
فى المسجد ايضا لا يحرم الا بعارض وهو ان يضيق المكان على المصلين ويشوش عليهم صلوتهم فان لم يكن
شئ من ذلك فليس بحرام والاولى تركه ولكن شرط اباحته ان يجرى فى اوقات نادرة وايام معدودة فان
اتخذ المسجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن المباحات ما يباح بشرط القلة فان كثر صار صغيرة
كما ان من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الاصرار فان كان القليل من هذا يفتح باب الخيفة ان يجر الى
الكثير فليمتنع منه وليكن هذا المنع الى الوالى والى القيم بمصالح المسجد من جهة الوالى لانه يدرك ذلك بالاجتهاد
وليس للاحاد المنع مما هو مباح فى نفسه لخوفه ان ذلك يكثر ومنها دخول المجانين والصبيان والسكارى فى
المسجد ولا باس بدخول الصبى اذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب فى المسجد ولا السكوت على لعبه الا ان يتخذ المسجد
ملعبا ويصير ذلك عادة له فحينئذ يجب المنع منه فهذا مما يحل قليله دون كثيره ودليل حل قليله ما روى فى الصحيح
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف لاجل عائشة حتى نظرت الى الحبشة يلعبون ويزفنون بالدرق والحراب
يوم العيد فى المسجد ولا شك فى ان الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكرا
حتى نظر اليه بل امرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبصرهم عائشة رضى الله عنها تطييبا لقلبها اذ قال دونكم
يا بنى ارفدة كما نقلنا فى كتاب السماع واما المجانين فلا باس بدخولهم المسجد الا ان يخشى تلويثهم او شتمهم و
نطقهم بما هو فحش وتعاطيهم لما هو منكر فى صورته ككشف العورة وغيره واما المجنون الهادى الساكت الذى
قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب اخراجه عن المسجد والسكران فى معنى المجنون فان خيف منه القذف اعنى
القئ او الايذاء باللسان وجب اخراجه وكذا اذا كان مضطرب العقل فانه يخاف ذلك منه وان كان قد شرب
ولم يسكر والرائحة منه فائحة فهو منكر مكروه شديد الكراهة وكيف لا وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اكل الثوم والبصل عن حضور المساجد ولكن يحمل ذلك على الكراهة والامر فى الخمر اشد فان قال قائل ينبغى ان يضرب
السكران ويخرج عن المسجد زجرا قلنا لا بل ينبغى ان يلزم القعود فى المسجد ويدعى اليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان
فى الحال عاقلا فاما ضربه للزجر فليس ذلك الى الاحاد بل هو الى الولاة وذلك عند اقراره او شهادة شاهدين فاما
لمجرد الرائحة فلا نعم اذا كان يمشى بين الناس متمايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه فى المسجد وغير المسجد
منعا له عن اظهار اثر السكر فان اظهار الفاحشة فاحشة والمعاصى يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها
وستر اثارها فان كان مستترا مخفيا لاثره فلا يتجسس عليه والرائحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس
فى موضع الخمر وبوصول الخمر الى الفم دون الابتلاع فلا ينبغى ان يعول عليه **منكرات الاسواق**
من المنكرات المعتادة فى الاسواق الكذب فى المرابحة واخفاء العيب فمن قال اشتريت هذه السلعة مثلا
بعشرة واربح فيها وكان كاذبا فهو فاسق وعلى من عرف ذلك ان يخبر المشترى بكذبه فان سكت مراعاة لقلب
البائع كان شريكا له فى الخيانة وعصى بسكوته وكذا اذا علم به عيبا فيلزمه ان ينبه المشترى عليه والا كان راضيا
بضياع مال اخيه المسلم وهو حرام وكذلك التفاوت فى الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه
او رفعه الى الوالى حتى يغيره ومنها ترك الايجاب والقبول والاكتفاء بالمعاطاة ولكن ذلك فى محل الاجتهاد فلا ينكر
الا على من اعتقد وجوبه وكذا فى الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فانها مفسدة للعقود
وكذا فى الربويات كلها وهى غالبة وكذلك سائر التصرفات ومنها بيع الملاهى وبيع اشكال الحيوانات المصورة فى

ينبغى ان يمنع من الاذان قبل الصبح فان ذلك يشوش الصوم والصلاة على الناس الا اذا عرف انه يؤذن قبل الصبح

لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل لو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا

في ايام العيد لاجل الصبيان فذلك يجب كسره والمنع من بيعه كالملاهي وكذلك بيع الاواني المتخذة من الذهب
والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلانس الذهب والحرير اعني التي لا تصلح الا للرجال ويعلم بعادة البلد انه لا
يلبسه الا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة التي
يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها واستعمالها ويزعم انها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب
وكذلك تلبيس انخراق الثوب بالرفو وما يؤدي الى الالتباس وكذلك جميع انواع العقود المؤدية
الى التلبيسات وذلك يطول احصاؤها فليقس بما ذكرناه ما لم نذكره **منكرات الشوارع** فمن
المنكر المعتاد في الشوارع وضع الاساطين وبناء الدكات متصلا بالابنية المملوكة وغرس الاشجار واخراج
الرواشن والاجنحة ووضع الخشب واحمال الاطعمة وغيرها على الطرقات فذلك منكر ان كان يؤدي
الى تضييق الطريق واستضرار المارة وان لم يؤد الى ضرر اصلا لسعة الطريق فلا منع منه نعم يجوز وضع
الحطب واحمال الاطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل الى البيوت فان ذلك يشترك في الحاجة اليه الكافة
ولا يمكن المنع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث تضيق الطريق وينجس المجتازين منكر يجب
المنع منه الا بقدر الحاجة للنزول والركوب وهذا لان الشوارع مشتركة المنفعة وليس لاحد ان يختص
بها الا بقدر الحاجة والمرعي هو الحاجة التي يراد الشوارع لاجلها في العادة دون سائر الحاجات
ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث تمزق ثياب الناس فذلك منكر ان امكن شدها وضمها بحيث
لا يمزق الثياب او امكن العدول بها الى موضع واسع والا فلا منع اذ حاجة اهل البلد تمس الى ذلك
نعم لا يترك ملقاة على الشوارع الا بقدر مدة نقلها وكذلك تحميل الدواب من الاحمال ما لا تطيقه
منكر يجب منع الملاك منه وكذلك ذبح القصاب على باب دكانه وتلويث الطريق بالدم منكر يجب المنع منه
بل حقه ان يتخذ في دكانه مذبحا فان في ذلك تضييقا للطريق واضرارا بالناس بسبب ترشيش
النجاسة وبسبب الاضرار استقذار الطباع ذلك وكذلك طرح الكناسة على جواد الطرق و
تبديد قشور البطيخ او رش الماء بحيث يخشى منه التزلق والسقوط فكل ذلك من المنكرات وكذلك ارسال
الماء من الميازيب المخرجة من الحائط الى الطرق الضيقة فان ذلك ينجس الثياب ويضيق الطريق
ولا يمنع منه في الطرق الواسعة اذ العدول عنه ممكن فاما ترك مياه المطر والاوحال والثلوج في
الطرق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين الا الثلج الذي يختص بطرحه على
الطريق واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه كسح الطريق وان كان من
المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للآحاد فيها الا الوعظ فقط
وكذلك اذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذي الناس فيجب منعه منه وان كان لا يؤذي الا بتنجيس الطريق وكان
يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وان كان يضيق الطريق ببسط ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من ان ينام
على الطريق او يقعد قعودا يضيق الطريق فكلبه اولى بالمنع **منكرات الحمام** فمن ذلك الصور التي تكون
على باب الحمام وداخل الحمام فذلك منكر يجب ازالته على كل من دخل الحمام ورأى الصور ان قدر عليها فان كان
الموضع مرتفعا لا يصل اليه يده فلا يجوز له الدخول الا بضرورة فليعدل الى حمام آخر فان مشاهدة المنكر غير
جائز ويكفيه ان يشوه وجهها بحيث يبطل به صورتها ولا منع من تصوير الاشجار وسائر النقوش سوى تصوير
الحيوانات ومنها كشف العورات والنظر اليها ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ بل من
جملتها ادخال اليد تحت الازار فان مس عورة الغير حرام كالنظر اليها ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك

على الخصوص

لتغميز الاعجاز والافخاذ فهذا مكروه وان كان مع حائل ولكن لا يكون محظورا اذا لم يخش من حركة الشهوة و
كذلك كشف العورة للحجام من الفواحش فان المرأة لا يجوز لها ان تكشف بدنها للذميات في الحمام فكيف يجوز
كشف العورة للرجال ومنها غمس اليد والاواني النجسة في المياه القليلة وغسل الازار والطاس النجس في الحوض و
ماؤه قليل فانه منجس للماء الا على مذهب مالك فلا يجوز الانكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية
وان اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك الا بطريق الالتماس واللطف وهو ان يقول
له انا نحتاج الى ان تغسل يدك اولا ثم تغمسها في الاناء واما انت فمستغن عن ايذائي وتفويت الطهارة علي وهذا وما يجري
مجراه فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر ومنها ان يكون في مداخل بيوت الحمامات ومجاري مياهها حجارة
ملس مزلقة يزلق بها الغافلون فهذا منكر ويجب قلعه وازالته وينكر على الحمامي اهماله فانه يفضي الى السقطة وقد
تؤدي السقطة الى انكسار عضو وانخلاعه وكذلك ترك الصابون والسدر المزلق على ارض الحمام منكر ومن فعل ذلك
وخرج وتركه فتزلق به انسان وانكسر عضو من اعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر بحيث يتعذر الاحتراز عنه
فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي اذ حق الحمامي تنظيف الحمام والوجه ايجاب الضمان على تاركه في اليوم الاول
وعلى الحمامي في اليوم الثاني اذ عادة تنظيف الحمام كل يوم معتادة والرجوع في مواقيت اعادة التنظيف الى العادات
فليعتبر بها وفي الحمام امور اخر مكروهة وقد ذكرناها في كتاب الطهارة فلا نطول باعادتها **منكرات**
الضيافة فمن ذلك فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور في مجمرة فضة او ذهب وكذلك الشرب منها و
استعمال ماء الورد منها او مما رأسه منها **ومنها** سماع الاوتار او سماع القينات اجتماع النساء
على السطوح للنظر الى الرجال مهما كان في الرجال شبان يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن عجز عن
تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة في الجلوس في مشاهدة المنكرات واما الصور على النمارق والزرابي المفروشة
فليس منكرا وكذلك على الاطباق والقصاع لا الاواني المتخذة على شكل الصور فانه قد يكون بعض رؤوس المجامر
على شكل طائر فذلك حرام ويجب كسر مقدار الصورة منه وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف وقد حكي ان احمد بن حنبل
خرج من الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراما او كان الموضع مغصوبا او كانت الثياب المفروشة حراما فهو من اشد المنكرات
فان كان فيها من يتعاطى شرب الخمر فلا يجوز الحضور اذ لا يجوز حضور مجالس الشرب وان كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة
الفاسق في حالة مباشرته للفسق وانما النظر في مجالسته بعد ذلك وانه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في
باب البغض والحب في الله وكذلك ان كان فيهم من يلبس الحرير او خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من
غير ضرورة وان كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح ان ذلك منكر ويجب نزعه عنه ان كان مميزا
لعموم قوله عليه الصلوة والسلام هذان حرامان على ذكور امتي وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر لا لكونه مكلفا ولكن
لكونه يأنس به فاذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه اذا اعتاده فيكون ذلك بذر
الفساد يبذر في صدره فينبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ اما الصبي الذي لا يميز فيضعف
معنى التحريم في حقه ولا يخلو عن احتمال والعلم فيه عند الله تعالى والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز نعم يحل التزين بالذهب
والفضة والحرير للنساء من غير اسراف ولا ارى رخصة في تثقيب اذن الصبية لاجل تعليق حلق الذهب فيها فان
ذلك جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز الا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان والتزين بالحلق غير
مهم بل في التقريط بتعليقه على الاذن وفي المخانق والاسورة كفاية عنه فهذا وان كان معتادا فهو حرام والمنع منه
واجب والاستئجار عليه غير صحيح والمأخوذ عليه حرام الا ان يثبت من جهة النقل فيه رخصة ومنها ان يكون في
الضيافة مبتدع متكلم في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فان كان لا يقدر عليه لم يجز فان كان

اسبال الستور وعليها الصور

والزلالي ص

نوع من الاذى ص ولم يبلغنا الى الآن فيه نص

المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع اظهار الكراهة عليه والاعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وان
كان فيها مضحك بالحكايات وانواع النوادر والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار وان
كان ذلك بمزاح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح اعني ما يقل منه فاما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح و
كل كذب لا يخفى انه كذب ولا يقصد منه التلبيس فليس من جملة المنكرات كقول الانسان مثلا قد
طلبتك اليوم مائة مرة واعدت عليك القول الف مرة وما يجري هذا المجرى مما يعلم انه ليس يقصد به
التحقيق فذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد الشهادة به وسيأتي حد المزاح المباح والكذب المباح في كتاب آفات
اللسان من ربع المهلكات ومنها **الاسراف في الطعام** والبناء فانه منكر وفي المال منكران احدهما الاضاعة
والآخر الاسراف فالاضاعة تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كاحراق الثوب وتمزيقه وهدم البناء من
غير غرض والقاء المال في البحر وفي معناه صرف المال الى النائحة والمطرب وفي انواع الفساد لانها فوائد
محرمة شرعا فصارت كالمعدومة واما الاسراف فقد يطلق لارادة صرف المال الى النائحة والمطرب و
المنكرات وقد يطلق على الصرف الى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالاضافة الى
الاحوال فنقول من لم يملك الا مائة دينار مثلا وله عيال واولاد ولا معيشة لهم ولا كسب فانفق الجميع
في وليمة فهو مسرف يجب منعه من ذلك قال الله تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا نزل هذا
في رجل كان بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء وقال تعالى ولا
تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكذلك قال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا فمن
يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي ان يحجر عليه الا اذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل
صادقة فله ان ينفق جميع ماله في ابواب البر ومن له عيال او كان عاجزا عن التوكل فليس له ان يتصدق بجميع ماله
وكذلك لو صرف جميع ماله الى تزويق حيطانه بالنقوش وتزيين بنيانه فهو اسراف محرم وفعل ذلك ممن له
مال كثير ليس بحرام لان التزيين من الاغراض الصحيحة ولم تزل المساجد تزين وتنقش ابوابها وسقوفها مع
ان نقش الباب والسقف لا فائدة فيه الا مجرد الزينة وكذلك الدور في التجمل بالثياب والاطعمة فذلك
مباح في جنسه ويصير اسرافا باعتبار حال الرجل وثروته وامثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس
بهذه المنكرات المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية و
خانات الاسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه او محظور واستقصاء جميع المنكرات يستدعي
استيعاب تفاصيل الشرع اصلا وفرعا فلنقتصر على هذا القدر ومنها **المنكرات العامة** اعلم ان كل قاعد
في بيته اين ما كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم
على المعروف فاكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلوة في البلاد فكيف في القرى والبوادي ومنهم
الاعراب والاكراد والتركمانية وساير اصناف الخلق وواجب ان يكون في كل مسجد ومحلة فقيه من البلد يعلم
الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ان يخرج الى من
يجاور بلده من اهل السواد ومن العرب والاكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرايض شرعهم ويستصحب مع نفسه
زادا ياكله ولا ياكل من اطعمتهم فان اكثرها يكون شبهة فان قام بهذا الامر واحد سقط الحرج عن الآخرين
والا عم الحرج الكافة اجمعين اما العالم فلتقصيره في الخروج واما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم وكل
عامي عرف شروط الصلوة فعليه ان يعرف غيره والا فهو شريك في الاثم ومعلوم ان الانسان لا يولد عالما
بالشرع وانما يجب التبليغ على اهل العلم وكل من تعلم مسئلة واحدة فهو من اهل العلم بها ولعمري الاثم على الفقهاء

اشد لان قدرتهم فيه اظهر وهو بصناعتهم اليق لان المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا
امرا لا بد منه في صلاح الخلق وشان الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
العلماء هم ورثة الانبياء وليس للانسان ان يقعد في بيته ولا يخرج الى المسجد لانه يرى الناس لا يحسنون
الصلوة بل اذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي وكل من تيقن ان في السوق منكرا يجري على
الدوام او في وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز ان يسقط ذلك عن نفسه بالقعود في
البيت بل يلزمه الخروج فان كان لا يقدر على تغيير البعض وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على البعض
لزمه الخروج لان خروجه اذا كان لاجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر على تغييره وانما
يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح فحق على كل مسلم ان يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة
على الفرايض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك اهله واقاربه ثم يتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ثم الى
اهل محلته ثم الى السواد المكتنف لبلده ثم الى اهل السواد من الاكراد والعرب وغيرهم وهكذا الى
اقصى العالم فان قام به الادنى سقط عن الابعد والا حرج به كل قادر عليه قريبا كان او بعيدا و لا
يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الارض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على ان يسعى اليه بنفسه
او بغيره فيعلمه فرضه وهذا شغل شاغل لمن يهمه امر دينه يشغله عن تجزية الاوقات في التفريعات
النادرة والتعمق في دقائق العلوم التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا الا فرض عين او
فرض كفاية هو اهم منه **الباب الرابع في امر الامراء والسلاطين بالمعروف** ونهيهم عن المنكر قد ذكرنا
درجات الامر بالمعروف وان اوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين في القول ورابعه المنع بالقهر في
الحمل على الحق بالضرب والعقوبة والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الاوليان وهما التعريف والوعظ
واما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد
منه من المحذور اكثر واما التخشين في القول كقولك يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجري مجراه فذلك ان كان
فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز وان كان لا يخاف الا على نفسه فهو جايز بل مندوب اليه فلقد كان من عادة
السلف التعرض للاخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لانواع العذاب لعلمهم بان
ذلك شهادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فامره
ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جاير و
النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب فقال قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم تركه قوله الحق ما له من صديق و
لما علم المتصلبون في الدين ان افضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وان صاحب ذلك ان قتل فهو شهيد كما
وردت به الاخبار قدموا موطنين انفسهم على الهلاك ومحتملين لانواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله ومحتسبين
لما يبذلونه من مهجتهم عند الله وطريق وعظ السلاطين وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف رضي
الله عنهم وقد اوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام ونقتصر الان على حكايات
نعرف وجه الوعظ وكيفية الانكار عليهم فمنها ما روي من انكار ابي بكر رضي الله عنه على اكابر قريش حين قصدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء وذلك ما روي عن عروة قال قلت لعبد الله بن عمرو ما اكثر ما رايت قريشا نالت من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفه احلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب
آلهتنا ولقد صبرنا منه على امر عظيم او كما قالوا فبينما هم في ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشي حتى

استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم مضى بهم فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه
بمثلها حتى وقف ثم قال اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح قال فاطرق القوم
حتى ما منهم رجل الا كانما على راسه طاير واقع حتى ان اشدهم فيه وطاة قبل ذلك ليرفؤه باحسن ما يجد
من القول حتى انه ليقول انصرف يا ابا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم
عنه حتى اذا اناكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم في ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا
اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون انت الذي تقول كذا لما كان يبلغهم من عيب الهتهم ودينهم قال
فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم انا الذي اقول ذلك قال فلقد رايت منهم رجلا اخذ بمجامع
رداءه قال وقام ابو بكر الصديق دونه يقول وهو يبكي ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله
قال ثم انصرفوا عنه فان ذلك لاشد ما رايت قريشا بلغت منه قط وفي رواية اخرى عن عبد الله بن عمرو
قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وروي ان معوية رضي الله عنه حبس
العطاء فقام اليه ابو مسلم الخولاني فقال له يا معوية انه ليس من كدك ولا كد ابيك ولا كد امك قال فغضب معوية
ونزل على المنبر وقال لهم مكانكم ثم خرج عليهم فقال ان ابا مسلم كلمني بكلام فاغضبني واني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما يطفئ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليغتسل
واني دخلت فاغتسلت وصدق ابو مسلم انه ليس من كدي ولا كد ابي فهلموا الى عطائكم وروي عن ضبة بن محصن
العنزي قال كان علينا ابو موسى الاشعري اميرا بالبصرة فكان اذا خطبنا حمد الله واثنى عليه وصلى على
النبي صلى الله عليه وسلم انشا يدعو لعمر فقال فغاظني ذلك منه فقمت اليه فقلت له اين انت عن صاحبه تفضله
عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب الى عمر يشكوني يقول ان ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي فكتب اليه عمر
ان اشخصه الي قال فاشخصني اليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج الي فقال من انت قلت انا ضبة بن محصن العنزي
قال فقال لي فلا مرحبا ولا اهلا قلت اما المرحب فمن الله واما الاهل فلا اهل ولا مال فبما اذا استحللت يا عمر
اشخاصي من مصري بلا ذنب اذنبته ولا شيء اتيته قال فما الذي شجر بينك وبين عاملي قلت الان اخبرك انه كان اذا
خطبنا حمد الله واثنى عليه انشا يدعو لك فغاظني ذلك منه فقلت له اين انت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك
جمعا ثم كتب اليك يشكوني قال فاندفع عمر باكيا وهو يقول انت والله اوفق منه وارشد فهل انت غافر لي
ذنبي يغفر الله لك قال قلت غفر الله لك يا امير المومنين قال ثم اندفع باكيا وهو يقول والله لليلة من
ابي بكر ويوم خير من عمر وال عمر فهل احدثك بليلته ويومه قلت نعم قال اما الليلة فان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما اراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه ابو بكر يمشي مرة امامه ومرة يمشي
خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا يا ابا بكر ما اعرف هذا من افعالك
فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن
يسارك لا امن عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على اطراف اصابعه حتى حفيت فلما راى
ابو بكر انها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار فانزله فقال والذي بعثك بالحق

لا تدخله حتى ادخله فان كان فيه شيء نزل بي قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيئا فحمله فادخله وكان في الغار
خرق فيه حيات وافاع فالقمه ابو بكر قدمه مخافة ان تخرج منهن شيء الى رسول الله صلى الله عليه و
سلم فتوذيه وجعلت دموع ابي بكر تنحدر على خديه من الم ما يجده ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يا ابا بكر لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته للطمانينة لابي بكر فهذه ليلته
واما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نصلي ولا نزكي
فاتيته لا الوه نصحا فقلت يا خليفة رسول الله تالف الناس وارفق بهم فقال لي اجبار في
الجاهلية خوار في الاسلام فبماذا اتالفهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي فوالله
لو منعوني عقالا لما ادوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه كما اقاتلهم على الصلوة
قال فقاتلناها عليه وكان والله رشيد الامر فهذا يومه ثم كتب الى ابي موسى يلومه وعن الاصمعي
دخل عطاء بن ابي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الاشراف من كل
بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته فلما ابصر به قام اليه واجلسه معه على السرير وقعد بين
يديه وقال له يا ابا محمد ما حاجتك قال يا امير المومنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده
بالعمارة واتق الله في اولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله في اهل
الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد امور المسلمين فانك وحدك المسئول عنهم واتق الله فيمن
على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق دونهم بابك فقال له افعل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك
فقال يا ابا محمد انما سالتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك فقال ما لي الى مخلوق حاجة ثم خرج
فقال عبد الملك هذا وابيك الشرف هذا وابيك الشرف وروي ان الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف
على الباب فاذا مر بك رجل فادخله علي ليحدثني فخرج الحاجب فوقف على الباب مدة فمر به عطاء بن ابي
رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ ادخل الى امير المومنين فانه امرك بذلك فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر
بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك يا وليد فغضب الوليد على حاجبه فقال له ويلك
امرتك ان تدخل الي رجلا لم يرض ان يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي فقال له حاجبه ما مر بي غيره قال
لعطاء اجلس ثم اقبل عليه يحدثه وكان فيما حدثه عطاء ان قال بلغنا ان في جهنم واديا يقال له هبهب اعده
الله لكل امام جائر في حكمه فصعق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه الى جوف
المجلس مغشيا عليه فقال عمر لعطاء قتلت امير المومنين فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة
شديدة وقال له يا عمر ان الامر جد فجد ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز انه قال مكثت سنة
اجد الم غمزته في ذراعي وكان ابن ابي شميلة يوصف بالعقل والادب فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد
الملك تكلم قال بم اتكلم وقد علمت ان كل كلام تكلم به المتكلم عليه وبال الا ما كان لله قال فبكى عبد الملك ثم قال يرحمك
الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون فقال الرجل يا امير المومنين ان الناس في القيمة لا ينجون من غصص
مرارتها ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك ثم قال لا جرم لاجعلن هذه الكلمات مثالا
ما عشت حيا وروي عن ابن عايشة ان الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن
اخر من دخل فقال الحجاج مرحبا بابي سعيد الي الي ثم دعا بكرسي فوضع الى جنب سريره فقعد عليه فجعل
الحجاج يذاكرنا ويسالنا اذ ذكر علي بن ابي طالب رضي الله عنه فنال منه ونلنا منه مقاربة له وفرقا من شره
والحسن ساكت عاض على ابهامه فقال يا ابا سعيد ما لي اراك ساكتا قال ما عسيت ان اقول قال

كالسـ صح

فاخذ بمنكبه صح

فنعت اليه صح

يعدني وسامري ... ان رجلا صح

لا نصب عينيه صح

اخبرني ثراتك في ابي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا
لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان
الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم فعلي ممن هدى الله من اهل الايمان فاقول ابن عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته واحب الناس اليه وصاحب سوابق كرامات سبقت له
من الله لن تستطيع انت ولا احد من الناس ان يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها واقول انه كانت
لعلي هنات فالله حسبه والله ما قال فيه احد قولا اعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام
عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا قال عامر الشعبي فاخذت بيد الحسن فقلت يا ابا سعيد
اغضبت الامير واوغرت صدره قال اليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم اهل الكوفة
اتيت شيطانا من شياطين الانس تكلمه بهواه وتقاربه في رايه ويحك يا عامر هلا اتقيت ان
سئلت فصدقت وان سكت فسلمت قال عامر يا ابا سعيد قد قلتها وانا اعلم ما فيها قال الحسن فذلك
اعظم في الحجة عليك واشد في التبعة قال وبعث الحجاج الى الحسن فلما دخل عليه قال انت الذي تقول
قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على ذلك قال ما اخذ الله على العلماء
من المواثيق ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال يا حسن امسك لسانك واياك ان يبلغني عنك ما
اكره فافرق بين راسك وجسدك وحكي ان حطيطا الزيات جيء به الى الحجاج فلما دخل قال انت حطيط
قال نعم سل عما بدا لك فاني عاهدت الله تعالى عند المقام على ثلاث خصال ان سئلت لاصدقن و
ان ابتليت لاصبرن ولئن عوفيت لاشكرن قال فما تقول فيّ قال انك من اعداء الله في الارض
تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فما تقول في امير المومنين عبد الملك بن مروان قال انه اعظم جرما
منك وانما انت خطيئة من خطاياه فقال الحجاج ضعوا عليه العذاب قال فانتهى به الى ان شققوا له القصب
ثم جعلوه على لحمه ثم شدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول
شيئا فقيل للحجاج انه في اخر رمق فقال اخرجوه فارموا به في السوق قال جعفر فاتيته انا وصاحب
له فقلنا له حطيط الك حاجة قال شربة ماء فاتوه بشربة ثم مات وكان ابن ثماني عشرة سنة رحمه الله وروي
ان عمر بن هبيرة دعا بفقهاء اهل البصرة واهل الكوفة واهل المدينة واهل الشام وقراءها فجعل
يسالهم فكلم عامر الشعبي وجعل لا يساله عن شيء الا وجد عنده فيه علما ثم اقبل على الحسن البصري
فساله ثم قال هما هذان هذا رجل اهل الكوفة وهذا رجل اهل البصرة يعني الحسن وامر الحاجب
فاخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فاقبل على الشعبي وقال يا ابا عمرو اني امين امير المومنين على العراق
وعامله عليها ورجل مامور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فانا احب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع
النصيحة لهم وقد بلغني عن العصابة من اهل الديار الامر اجد عليهم فيه فاقبض طائفة من عطائهم
فاضعه في بيت المال ومن نيتي ان ارده عليهم فيبلغ امير المومنين اني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب
الي ان لا ترده فلا استطيع رد امره ولا انفاذ كتابه وانما انا رجل مامور على الطاعة فهل علي
في هذا تبعة وفي اشباهه من الامور والنية فيها على ما ذكرت فقال الشعبي اصلح الله الامير
انما السلطان والد يخطي ويصيب قال فسر بقولي واعجب به فرايت البشر في وجهه وقال فلله الحمد
ثم اقبل على الحسن فقال ما تقول يا ابا سعيد قال قد سمعت قول الامير يقول انه امين امير المومنين على
العراق وعامله عليه ورجل مامور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني النصيحة لهم والتعهد لما

يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك ان تحوطهم بالنصيحة واني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرعي رعية فلم يحطها
بالنصيحة حرم الله عليه الجنة وتقول اني انما قبضته من عطائهم ارادة صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا
الى طاعتهم فيبلغ امير المومنين اني قبضتها على ذلك النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا استطيع رد امره و
لا استطيع انفاذ كتابه وحق الله الزم من حق امير المومنين والله احق ان تطيع ولا طاعة في معصية
الله فاعرض كتاب امير المومنين على كتاب الله عز وجل فان وجدته موافقا لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة

(في الهامش: فخذ به وان وجدته مخالفا لكتاب الله تعالى)

اتق الله فانه يوشك ان ياتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك
الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك من خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك يا ابن
هبيرة وان الله يمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله وان الله فوق كل امر وانه لا طاعة في معصية الله
واني احذرك باس الله الذي لا يرده عن القوم المجرمين فقال ابن هبيرة اربع على ظلعك ايها الشيخ و
اعرض عن ذكر امير المومنين فان امير المومنين صاحب العلم وصاحب الحلم وصاحب الفضل وانما ولاه الله
ولاية امر هذه الامة لعلمه به وما يعلم من فضله ونيته فقال الحسن يا ابن هبيرة انك ان تلقى من ينصح لك
في دينك ويحملك على امر اخرتك خير من ان تلقى رجلا يغرك ويمنيك يا ابن هبيرة الحساب من وراء لك
سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه قال الشعبي
فقلت يا ابا سعيد لقد اغضبت الامير واوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال اليك عني يا عامر
قال فخرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له منزلة واستخف بنا وجفينا وكان اهلا لما ادي اليه وكنا
اهلا ان يفعل ذلك بنا فما رايت مثل الحسن فيمن رايت من العلماء الا مثل الفرس العربي بين المقاريف و
ما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال الله عز وجل وقلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبي واني اعاهد الله ان لا اشهد
سلطانا بعد هذا المجلس ولا احابيه ودخل محمد بن واسع على بلال بن ابي بردة فقال له ما تقول في القدر قال
جيرانك اهل القبور فتفكر فيهم فان فيهم شغلا عن القدر وعن الشافعي حدثني عمي محمد بن علي قال اني لحاضر
مجلس امير المومنين ابي جعفر وفيه ابن ابي ذيب قال وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال واتى الغفاريون فشكوا
الى ابي جعفر شيئا من امر الحسن بن زيد فقال الحسن يا امير المومنين سل عنهم ابن ابي ذيب قال فساله فقال
ما تقول فيهم يا ابن ابي ذيب فقال اشهد انهم اهل تحطم في اعراض الناس كثير والاذى لهم فقال ابو جعفر قد
سمعتم فقال الغفاريون يا امير المومنين سله عن الحسن بن زيد فقال يا ابن ابي ذيب ما تقول في الحسن بن
زيد فقال اشهد عليه انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن ابي ذيب وهو
الشيخ الصالح فقال يا امير المومنين سله عن نفسك فقال ما تقول فيّ قال تعافيني يا امير المومنين قال
اسالك بالله الا اخبرتني قال تسالني بالله كانك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال اشهد انك اخذت
هذا المال من غير حقه فجعلته في غير اهله واشهد ان الظلم ببابك فاش قال فجاء ابو جعفر من موضعه حتى
وضع يده في قفا ابن ابي ذيب فقبض عليه ثم قال له اما والله لولا اني جالس ههنا لاخذت فارس والروم و
الديلم والترك بهذا المكان منك قال فقال ابن ابي ذيب يا امير المومنين قد ولي ابو بكر وعمر فاخذا الحق
وقسما بالسوية واخذا باقفاء فارس والروم واصغرا انافهم قال فخلى ابو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال
والله اني لولا اني اعلم انك لصادق لقتلتك فقال ابن ابي ذيب والله يا امير المومنين اني لانصح لك من ابنك المهدي
قال فبلغنا ان ابن ابي ذيب لما خرج من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا ابا الحرث لقد سرني

مما خاطبته به هذا الجبار ولكن سبقني قولك لرابيك المهدي فقال يغفر الله لك ابا عبد الله كلنا مهدي
كلنا كان في المهد وعن الاوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث الي ابو جعفر المنصور امير المومنين وانا
بالساحل فاتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال لي ما الذي بطا بك
عنا يا اوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا امير المومنين قال اريد الاخذ والاقتباس منكم قال
قلت فانظر يا امير المومنين ان لا تجهل شيئا مما اقول لك قال وكيف اجهله وانا اسالك عنه وفيه
وجهت اليك واقدمتك له قال قلت له ان تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بي الربيع واهوى بيده الى السيف
فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانبسطت في الكلام فقلت يا امير
المومنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما عبد جاءته
موعظة من الله في دينه فانها نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه
ليزداد بها اثما ويزداد الله عليه بها سخطا يا امير المومنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة يا امير المومنين من كره
الحق كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذي لين قلوب امتكم لكم حين ولاكم امورهم لقرابتكم من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رؤوفا رحيما مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند
الناس فحقيق ان تقوم له بالحق وان تكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم ساترا لا تغلق عليك
دونهم الابواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما اصابهم من سوء يا امير المومنين
قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين اصبحت تملكهم احمرهم واسودهم مسلمهم و
كافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعث منهم فئام وراء فئام ليس منهم احد الا وهو
يشكو بلية ادخلتها عليه او ظلامة سقتها اليه يا امير المومنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت
بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فاتاه جبريل عليه
السلام فقال له يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب امتك وملات قلوبهم رعبا فكيف
بمن شقق ابشارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم واجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه يا امير
المومنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى
القصاص من نفسه في خدش خدشه اعرابيا لم يتعمده فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله لم يبعثك
جبارا ولا متكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الاعرابي فقال اقتص مني فقال الاعرابي قد احللتك
بابي انت وامي وما كنت لافعل ذلك ابدا ولو كنت على نفسي فدعا له بخير يا امير المومنين رض نفسك
لنفسك وخذ لها الامان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والارض التي يقول فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقيد قوس احدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها يا امير المومنين ان الملك لو بقي
لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك يا امير المومنين تدري ما جاء في تاويل هذه
الاية عن جدك ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال الصغيرة التبسم
والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الايدي وحصدته الالسن يا امير المومنين بلغني ان عمر بن
الخطاب قال لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت ان اسال عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو
على بساطك يا امير المومنين تدري ما جاء في تاويل هذه الاية عن جدك يا داود انا جعلناك خليفة
في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله قال يا داود اذا قعد الخصمان

بين يديك وكان لك في احدهما هوى فلا تتمنين في نفسك ان يكون الحق له فيفلج على صاحبه
فامحوك عن نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة يا داود انما جعلت رسلي الى عبادي رعاء
كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلا يا امير المومنين
حدثني يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الانصاري ان عمر استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فراه
بعد ايام مقيما فقال له ما منعك من الخروج الى عملك اما علمت ان لك مثل اجر المجاهد في سبيل الله
قال لا قال وكيف ذلك قال لانه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من وال
يلي شيئا من امور الناس الا اتي به يوم القيمة مغلولة يده الى عنقه فيوقف على جسر من النار ينتفض به
ذلك الجسر انتفاضة يزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا نجا باحسانه
وان كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فيهوي به في النار سبعين خريفا فقال له ممن سمعت هذا قال
من ابي ذر وسلمان فارسل اليهما فسالهما فقالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
عمر رضي الله عنه واعمراه من يتولاها بما فيها فقال ابو ذر من سلت الله انفه والصق خده بالارض قال
فاخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى ابكاني ثم قلت يا امير المومنين قد سال جدك
العباس النبي صلى الله عليه وسلم امارة على مكة والطائف واليمن فقال له صلى الله عليه وسلم يا عباس
يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها نصيحة منه لعمه وشفقة عليه واخبره انه لا يغني عنه
من الله اذ اوحى الله اليه وانذر عشيرتك الاقربين فقال يا عباس ويا صفية عمي النبي صلى الله عليه وسلم
ويا فاطمة بنت محمد اني لست اغني عنكم من الله شيئا لي عملي ولكم عملكم قال عمر رضي الله عنه لا يقيم امر الناس
الا حصيف العقل اريب العقدة لا يطلع منه على عورة ولا يحنق منه على جرة ولا ياخذه في الله لومة لائم و
قال الامراء اربعة فامير قوي ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه
بالرحمة وامير فيه ضعف ظلف عماله وارتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شر الرعاء الحطمة فهو هالك وحده وامير ارتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا وقد بلغني يا امير المومنين
ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتيتك حين امر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر
ليوم القيامة فقال له يا جبريل صف لي النار فقال ان الله عز وجل امر بها فاوقد عليها الف عام حتى احمرت
ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها والذي بعثك بالحق لو ان ثوبا
من ثياب اهل النار اظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا من شرابها صب في مياه الارض جميعا لقتل من ذاقه
ولو ان ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الارض لذابت وما استقلت ولو ان رجلا ادخل
النار ثم اخرج منها لمات اهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم و
بكى جبريل عليه السلام لبكائه فقال اتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون
عبدا شكورا ولم بكيت يا جبريل وانت الروح الامين امين الله على وحيه قال اني اخاف ان ابتلى بما ابتلي به هاروت
وماروت فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فاكون قد امنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا
يا جبريل ويا محمد ان الله قد امنكما ان تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الانبياء كما فضل جبريل على سائر
ملائكة السماء وقد بلغني يا امير المومنين ان عمر بن الخطاب قال اللهم ان كنت تعلم اني ابالي اذا قعد الخصمان
بين يدي على من مال الحق من قريب وبعيد فلا تمهلني طرفة عين يا امير المومنين ان اشد الشدة القيام لله بحقه
وان اكرم الكرم عند الله التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله واعزه ومن طلبه بمعصية الله اذله الله

Margin notes:

- فعذب
- عن جنبيه
- انك بليت بامر لو عرض على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنه واشفقن منه يا امير المؤمنين
- ظلف نفسه وارتع عماله الضعف فهو على شفا هلاك الا ان يرحمه الله
- اني اخاف

ووضعتُ فهذه نصيحتي والسلام عليك ثم نهضت فقال الى اين فقلت الى الولد والوطن باذن امير المؤمنين ان شاء الله
قال فقد اذنت لك وشكرت لك النصيحة وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه استعين وعليه
اتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك اياي بمثلها فانك المقبول القول غير المتهم في النصيحة
قلت افعل ان شاء الله قال محمد بن مصعب فامر له بمال ليستعين به على خروجه فلم يقبله فقال انا في غنى عنه
ما كنت لابيع نصيحتي بعرض من الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يجد في ذلك وعن ابن المهاجر قال قدم امير
المؤمنين المنصور فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به فاذا طلع الفجر
رجع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلوة فيصلي بالناس فخرج ذات ليلة حين اسحر
فبينا هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم اني اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض و
ما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فاسرع المنصور في مشيه حتى ملا مسامعه من قوله ثم خرج
فجلس ناحية من المسجد فارسل اليه فدعاه فاتاه الرسول فقال له اجب امير المؤمنين فصلى ركعتين و
استلم الركن واقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد
في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع وغيره فوالله لقد حشوت مسامعي ما امرضني
واقلقني فقال يا امير المؤمنين ان امنتني على نفسي انباتك بالامور من اصولها والا اقتصرت على نفسي
ففيها لي شغل شاغل فقال له انت آمن على نفسك فقال الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح
ما ظهر من البغي والفساد في الارض انت قال وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء على يدي والحلو والحامض
في قبضتي قال وهل دخل احدا من الطمع ما دخلك يا امير المؤمنين ان الله عز وجل استرعاك امور المسلمين و
اموالهم فاغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وابوابا من
الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها منهم وبعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها واتخذت
وزراء واعوانا ظلمة ان نسيت لم يذكروك وان احسنت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح وامرت بان
لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تامر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع و
لا العاري ولا الضعيف ولا الفقير ولا احد الا وله في هذا المال حق فلما راك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك
وآثرتهم على رعيتك وامرت ان لا يحجبوا عنك تجبي الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه
وقد سخرنا فائتمروا على ان لا يصل اليك من علم اخبار الناس الا ما ارادوا ولا يخرج لك عامل فيخالف لهم امرا الا
اقصوه حتى يسقط منزلته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم اعظمهم الناس وهابوهم وكان اول من
صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذو القدرة والثروة من رعيتك
لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا فصار هؤلاء شركاءك في سلطانك
وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول فان اراد رفع قصته اليك عند ظهورك وجدتك قد
نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سالوا صاحب
المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كانت للمتظلم به حرمة واجابة لم يمكنه ما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف
اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا جهد واخرج وظهرت صرخ بين
يديك فيضرب بين يديك ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر فلا تنكر ولا تغير فما
بقاء الاسلام واهله على هذا وقد كانت بنو امية وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الا رفعت ظلامته
اليهم فينصف وكان الرجل ياتي من اقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا اهل الاسلام

فيبتدرونه ما لك ما لك فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فينتصف له ولقد كنت يا امير المؤمنين اسافر
الى ارض الصين وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه ما لك تبكي
لا بكت عيناك قال اما اني لست ابكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن المظلوم بالباب يصرخ فلا اسمع صوته
ثم قال اما ان كان ذهب سمعي فلم يذهب بصري نادوا في الناس الا يلبس ثوبا احمر الا مظلوم وكان
يركب في طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا امير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رافته
على المشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وانت مؤمن بالله وابن عم النبي صلى الله عليه وسلم لا تغلبك
رافتك بالمسلمين على شح نفسك فانك لا تجمع الاموال الا لواحد من ثلاثة ان قلت اجمعها لولدي فقد
اراك الله عبرا في الطفل الصغير يسقط من بطن امه وما له على الارض مال وما من مال الا ودونه يد
شحيحة تحويه فما يزال الله تعالى يلطف لذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ولست الذي تعطي
بل الله يعطي من يشاء وان قلت اجمع المال لاشيد سلطاني فقد اراك الله عبرا فيمن كان قبلك ما اغنى
عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما اعدوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرك وولد
ابيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حتى اراد الله بكم ما اراد وان قلت اجمع المال لطلب
غاية هي اجسم من الغاية التي انت فيها فوالله ما فوق ما انت فيه الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح يا امير
المؤمنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك باشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع بالملك الذي
خولك الله وما انت فيه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه
بالخلود في العذاب الاليم وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك واضمرته جوارحك فما تقول اذا
انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغني عنك عنده شيء مما كنت
فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا فبكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال
يا ليتني لم اخلق ولم اك شيئا ثم قال كيف احتيالي فيما خولت ولم ار من الناس الا خائنا قال يا امير
المؤمنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هربوا
منك مخافة ان تحملهم على ما ظهر من طريقك من قبل عمالك ولكن افتح الباب وسهل الحجاب و
انتصر للمظلوم من الظالم وامنع الظالم وخذ الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وانا ضامن
عمن هرب منك ان ياتيك فيعاونك على صلاح امرك ورعيتك فقال المنصور اللهم وفقني ان اعمل
بما قال هذا الرجل وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلوة فخرج وصلى بهم ثم قال للحرس عليك
بالرجل ان لم تاتني به لاضربن عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا ان لم يوجد فخرج الحرس يطلب
الرجل فبينا هو يطوف فاذا بالرجل يصلي في بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال يا ذا الرجل
اما تتقي الله قال بلى فقال اما تعرفه قال بلى قال فانطلق معي فقد آلى ان يقتلني ان لم آت بك قال
ليس الى ذلك سبيل قال يقتلني قال ولا يقتلك قال فكيف قال تحسن تقرأ قال لا فاخرج من مزود كان معه
رقا فيه مكتوب شيئا قال خذه فاجعله في جيبك فان فيه دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج قال لا يرزقه الا الشهداء قلت
رحمك الله قد احسنت الي فان رايت ان تخبرني ما هذا الدعاء وما فضله قال من دعا به مساء وصباحا
هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه واعطي امله واعين
على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت الا شهيدا تقول اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء و
علوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية

عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك و
صار امر الدنيا والاخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم امسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي
وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي اطمعني ان اسالك ما لا استوجبه مما قصرت عليه فيه
ادعوك امنا واسالك مستانسا وانك المحسن الي واني المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي واتبغض
اليك ولكن الثقة بك حملتني على الجراة عليك فعد بفضلك واحسانك علي انك انت التواب الرحيم قال
فاخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم غير امير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع راسه فنظر الي وتبسم ثم
قال ويلك تحسن السحر فقلت لا والله يا امير المؤمنين ولكني حدثت فحكيت عليه ثم قصصت عليه امري مع الشيخ
فقال هات الرق الذي اعطاك ثم جعل يبكي ويقول قد نجوت وامر بنسخه واعطاني عشرة الاف درهم قال
اتعرفه قلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام وعن ابي عمران الخولاني قال لما ولي هرون الرشيد الخلافة زاره
العلماء فهنؤه بما صار اليه وفتح بيوت الاموال فاقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس
العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخيا لسفيان الثوري قديما فهجره سفيان ولم
يزره فاشتاق هرون الى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبا بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك
على هرون فكتب اليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد الى اخيه سفيان
اما بعد يا اخي فقد علمت ان الله تعالى آخى بين المؤمنين وجعل في ذلك وله فاعلم اني واخيتك مواخاة لم
اصرم منها حبلك ولم اقطع منها ودك واني منطو لك على افضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي
قلدنيها الله لاتيتك ولو حبوا لما اجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا ابا عبد الله انه ما بقي من اخواني واخوانك
احد الا وقد زارني وهناني بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الاموال واعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت بها
نفسي وقرت بها عيني واني استبطاتك فلم تاتني وقد كتبت اليك كتابا شوقا مني اليك شديدا وقد علمت يا ابا
عبد الله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك كتابي فالعجل العجل قال فلما كتب الكتاب التفت الى
من عنده فاذا كلهم يعرفون سفيان وخشونته فقال علي برجل من الباب فادخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني
فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور ثم سل عن سفيان الثوري
فاذا رايته فالق كتابي هذا اليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يكون فاحص عليه دقيق امره وجليله لتخبرني فاخذ
عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسال عن القبيلة فارشد اليها ثم سال عن سفيان الثوري فقيل له
هو في المسجد قال عباد فاقبلت الى المسجد فلما راني قام قائما ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم و
اعوذ بك اللهم من طارق يطرق الا بخير قال عباد فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما راني نزلت بباب المسجد قام
يصلي ولم يكن وقت الصلوة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤسهم كانهم
لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من العقوبة فسلمت فما رفع احد الي راسه وردوا السلام علي برؤس
الاصابع فبقيت واقفا ما منهم احد يعرض علي الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت
ان المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما راى الكتاب ارتعد وتباعد منه كانه حية عرضت له في محرابه فركع و
سجد وسلم وادخل يده في كمه ولفها بعباءته واخذه فقلبه بيده ثم رماه الى من كان خلفه وقال ياخذه بعضكم يقراه
واني استغفر الله ان امس شيئا مسه ظالم بيده قال عباد فمد بعضهم يده اليه بحلة كانه خائف من فم حية ينهشه
ثم فضه وقراه واقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوه واكتبوا الى الظالم في ظهره فقيل يا ابا عبد الله
انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به و

ان كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب فقال اكتبوا
بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الميت سفيان بن سعيد بن منذر الثوري الى العبد المغرور بالامال هرون
الذي سلبه الله حلاوة الايمان اما بعد فاني قد كتبت اليك اعلمك اني قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت
موضعك وانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين فانفقته
في غير حقه وانفذته بغير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وانت ناء عني حتى كتبت الي تشهدني على نفسك اما اني قد
شهدت عليك انا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله عز
وجل يا هرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في
ارض الله والمجاهدون في سبيل الله ام ابناء السبيل ام رضي حملة القرآن واهل العلم والارامل والا
ام هل رضي بذلك خلق من رعيتك فشد يا هرون مئزرك واعد للمسئلة جوابا وللبلاء جلبابا و
اعلم بانك سوف تقف بين يدي الحكم العدل فقد رزئت في نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ
القرآن ومجالسة الاخيار ورضيت لنفسك ان تكون ظالما وللظالمين اماما يا هرون قعدت
على السرير ولبست الحرير واسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم
اقعدت اجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمر ويضربون
من شربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق افلا كانت هذه الاحكام
عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك يا هرون غدا اذا نادى المنادي من قبل الله عز و
جل احشروا الذين ظلموا وازواجهم اين الظلمة واعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله عز وجل ويداك
مغلولتان الى عنقك لا يفكهما الا عدلك وانصافك والظالمون حولك وانت لهم سابق وامام الى
النار كاني بك يا هرون وقد اخذت بضيق الخناق ووردت المساق وانت ترى حسناتك في ميزان
غيرك وسيئات غيرك في ميزانك على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتي واتعظ
بموعظتي التي وعظتك بها واعلم اني قد نصحت لك وما ابقيت لك في النصح غاية فاتق الله يا هرون
في رعيتك واعلم ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل باهلها
واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه واخرته واني احسبك يا هرون ممن
خسر دنياه واخرته فاياك واياك ان تكتب الي كتابا بعد هذا فلا اجيبك عنه والسلام قال عباد فالقى
الي الكتاب منشورا غير مطوي ولا مختوم فاخذته واقبلت الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبي
فناديت يا اهل الكوفة فاجابوني فقلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله الى الله فاقبلوا الي
بالدنانير والدراهم فقلت لا حاجة لي في هذا المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية فاتيت
بذلك ونزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت البسه مع امير المؤمنين واقبلت اقود البرذون وعليه السلاح
الذي كنت احمله حتى اتيت باب امير المؤمنين هرون حافيا راجلا فهزا بي من كان على باب الخليفة ثم استؤذن
لي فلما دخلت مجلسه وبصر بي هرون على تلك الحال قام وقعد ثم قام قائما وجعل يلطم راسه ووجهه
ويدعو بالويل والحرب ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل ما لي وللدنيا والملك يزول عني سريعا ثم القيت الكتاب
اليه منشورا كما دفع الي فاقبل هرون يقراه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرا ويشهق فقال بعض جلسائه
يا امير المؤمنين لقد اجترا عليك سفيان فلو وجهت اليه فاثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره
فقال هرون اتركوا يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقي من اهلكتموه ان سفيانا امة وا

بيام

ن

واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في امته واحسن الخلافة عليهم

فاذكروا سفيان وشانه ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هرون يقراه عند كل صلوة حتى توفي رحمه الله
فرحم عبداً نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غداً من عمله فانه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولي
التوفيق وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد فوافى الكوفة فاقام بها اياماً ثم ضرب بالرحيل
فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به اذا
اقبلت هوادج هرون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هرون نادى باعلى صوته يا امير المؤمنين يا
امير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده عن وجهه فقال لبيك يا بهلول لبيك يا بهلول فقال يا امير
المؤمنين حدثنا ايمن بن نابل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا
من عرفة على ناقة صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك في سفرك هذا خير لك من تكبرك
وتجبرك قال فبكى هرون حتى سقطت دموعه على الارض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا
امير المؤمنين رجل اتاه الله مالاً وجمالاً فانفق من ماله وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله عز و
جل من الابرار قال احسنت يا بهلول ودفع له جائزة فقال اردد الجائزة على من اخذتها منه فلا حاجة لي فيها
قال يا بهلول فان يكن عليك دين قضيناه قال يا امير المؤمنين هؤلاء اهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت
آراؤهم ان قضاء الدين بالدين لا يجوز قال يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك او يقيمك قال فرفع بهلول راسه
الى السماء ثم قال يا امير المؤمنين انا وانت من عيال الله فمحال ان يذكرك وينساني قال فاسبل هرون السجاف
ومضى وعن ابي العباس الهاشمي من ولد صالح بن المامون قال دخلت على الحرث المحاسبي رحمه الله فقلت له يا
ابا عبد الله حاسبت نفسك فقال قد كان هذا مرة قلت له فاليوم قال اكاتم حالي اني لاقرا آية من كتاب الله تعالى
فاضن بها ان يسمعها نفسي ولولا ان يغلبني فيها فرح ما اعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعداً في محرابي فاذا
انا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم علي ثم قعد بين يدي فقلت له من انت قال انا واحد من السائحين
اقصد المتعبدين في محاريبهم ولا ارى لك اجتهاداً فاي شيء عملك قال قلت له كتمان المصائب واستجلاب
الفوائد قال فصاح وقال ما علمت ان احداً بين جنبي المشرق والمغرب هذه صفته قال حارث فاردت ان ازيد
عليه فقلت له اما علمت ان اهل القلوب يخفون احوالهم ويكتمون اسرارهم ويسالون الله عز وجل كتمان ذلك
عليهم فمن اين تعرفهم قال فصاح صيحة غشي عليه فمكث عندي يومين لا يعقل ثم افاق وقد احدث في ثيابه
فعلمت ان ذلك في عقله فاخرجت له ثوباً جديداً وقلت له هذا كفني قد آثرتك به فاغتسل واعد صلوتك فقال
هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له اين تريد فقال لي قم فلم يزل يمشي حتى دخل
على المامون امير المؤمنين فسلم عليه وقال يا ظالم وانا ظالم ان لم اقل لك يا ظالم استغفر الله من تقصيري فيك
اما تتقي الله عز وجل فيما قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم اقبل يريد الخروج وانا جالس بالباب فاقبل عليه المامون
قال من انت قال انا رجل من السائحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم اجد لنفسي فيه حظاً فتعلقت بموعظتك
لعلي الحقهم فامر بضرب عنقه فاخرج وانا قاعد على الباب ملفوفاً في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي هذا
فلياخذه قال الحارث فاختبات عنه فاخذه اقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا اعلمهم بحاله فاقمت في مسجد
في المقابر محزوناً على الفتى فغلبتني عيناي فاذا هو بين وصائف لم ار احسن منهن وهو يقول يا حارث
انت والله الكاتمين الذين يخفون احوالهم ويطيعون ربهم قلت وما فعلوا قال الساعة يلقونك فنظرت
الى جماعة ركبان فقلت من انتم قال الواحد هذا الكلام له فلم يكن في قلبه مما وصفت شيء فخرج للامر والنهي وان
الله عز وجل انزله معنا وغضب لعبده وعن احمد بن ابراهيم المقرئ قال كان ابو الحسين النوري رجلاً قليل

خرج صح

اد صح

الفضول لا يسال عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج اليه وكان اذا راى منكراً غيره ولو كان فيه تلفه
فنزل ذات يوم الى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلوة اذ راى زورقاً فيه ثلاثون دناً
مكتوب عليها بالقار لطف فقراه وانكره لانه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئاً يعبر عنه بلطف فقال
للملاح ايش في هذه الدنان فقال وايش عليك امض لشغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا القول
ازداد تعطشاً الى معرفته فقال له احب ان تخبرني ايش في هذه الدنان فقال الملاح ايش انت والله صوفي
فضولي هذا خمر للمعتضد يريد ان يتم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر قال نعم فقال احب ان تعطيني ذلك
المردي فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه اعطه المردي حتى انظر ما يصنع فلما صار المردي في يده صعد
الى الزورق فلم يزل يكسرها دناً دناً حتى اتى على آخرها الا دناً واحداً والملاح يستغيث الى ان ركب صاحب
الجسر وهو يومئذ مونس المفلح فقبض على النوري واشخصه الى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه
قبل كلامه ولم يشك الناس انه سيقتله قال ابو الحسين فادخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد وبيده
عمود يقلبه فلما راني قال من انت قلت محتسب قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة ولاني
الحسبة يا امير المؤمنين قال فاطرق الى الارض ساعة ثم رفع راسه الي وقال ما الذي حملك على ما صنعت
قال شفقة مني عليك اذ بسطت يدي على صرف مكروه عنك فقصرت عنه قال فاطرق مفكراً في كلامي ثم
رفع راسه وقال كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان فقلت في تخلصه علة اخبر بها امير المؤمنين
ان اذن قال هات خبرني فقلت يا امير المؤمنين اني اقدمت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه وتعالى بذلك
وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فاقدمت عليها بهذه الحال الى ان
صرت الى هذا الدن فخرجت نفسي كبراً على اني قد اقدمت على مثلك فمنعت ولو اقدمت عليه بالحال الاول وكانت
ملء الدنيا دناناً لكسرتها ولم ابال فقال المعتضد اذهب فقد اطلقنا يدك غير ما احببت ان تغيره من
المنكر قال ابو الحسين فقلت يا امير المؤمنين تامر بالخروج سالماً فامر له بذلك وخرج الى البصرة وكان اكثر ايامه
بها خوفاً من ان يسال حاجة يسالها المعتضد فاقام بالبصرة الى ان توفي المعتضد ثم رجع الى بغداد فهذه
كانت سيرة العلماء وعادتهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم
اتكلوا على فضل الله ان يحرسهم ورضوا بحكم الله ان يرزقهم الشهادة فلما اخلصوا لله النية اثر كلامهم في القلوب
القاسية فلينها وازال قساوتها واما الآن فقد قيدت الاطماع السن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد
اقوالهم احوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد
الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على
الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والاكابر والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله

بنفس التغير لاني كنت اعين الله تعالى وانا الآن اعين شرطيا فقال المعتضد ما حاجتك قلت يا امير المؤمنين

كتاب اخلاق النبوة وآداب المعيشة وهو الكتاب العاشر من احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق كل شيء فاحسن خلقه وترتيبه وادب نبيه صلى الله عليه وسلم فاحسن تاديبه وزكى
اوصافه واخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه ووفق للاقتداء به من اراد تهذيبه وحرم عن التخلق باخلاقه
من اراد تخييبه وصلى الله على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيراً **اما بعد** فان آداب
الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والاعمال نتيجة الاخلاق والآداب رشح المعارف
وسرائر القلوب هي مغارس الافعال ومنابعها وانوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتحليها و

تبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة
الانوار الالهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت على ان اختم ربع العادات
من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب
ثم رأيت كل كتاب من ربع العبادات وربع العادات قد اتى على جملة من الآداب فاستثقلت تكريرها
واعادتها فان طلب الاعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات فرأيت ان اقتصر في هذا
الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاقه المأثورة عنه بالاسناد فاسردها
مجموعة فصلا فصلا محذوفة الاسناد ليجتمع فيه مع جمع الآداب تجديد الايمان وتأكيده بمشاهدة
اخلاقه الكريمة التي تشهد آحادها على القطع بانه اكرم خلق الله تعالى واعلاهم رتبة واجلهم
قدرا فكيف مجموعها ثم اضيف الى ذكر اخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الاخبار
ليكون ذلك معربا عن مكارم الاخلاق والشيم ومنتزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صمام الصمم و
الله تعالى ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الاخلاق والاحوال وسائر معالم الدين فانه دليل
المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين ولنذكر فيه اولا بيان تأديب الله تعالى اياه بالقرآن ثم بيان
جوامع من محاسن اخلاقه ثم بيان جملة من آدابه واخلاقه ثم بيان كلامه وضحكه ثم بيان اخلاقه
وآدابه في الطعام ثم بيان آدابه واخلاقه في اللباس ثم بيان عفوه مع القدرة ثم بيان اغضائه
عما كان يكره ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وبأسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته و
خلقته ثم بيان جوامع معجزاته وآياته صلى الله عليه وسلم **بيان تأديب الله صفيه** وحبيبه محمدا
صلى الله عليه وسلم بالقرآن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال
من الله تعالى ان يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الاخلاق فاستجاب الله دعاءه وفاء بقوله تع
ادعوني استجب لكم فانزل عليه القرآن وادبه فكان خلقه القرآن قال سعيد بن هشام دخلت على عائشة
رضي الله عنها فسألتها عن اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اما تقرأ القرآن قلت بلى
قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وانما ادبه القرآن بمثل قوله خذ العفو وأمر
بالعرف واعرض عن الجاهلين وقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى و
ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وبقوله تعالى واصبر على ما اصابك ان
ذلك من عزم الامور وقوله فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وبقوله وليعفوا وليصفحوا
الا تحبون ان يغفر الله لكم وبقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم
وبقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وبقوله اجتنبوا كثيرا من الظن
ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ولما كسرت رباعيته يوم احد فجعل الدم يسيل
على وجهه وهو يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله
تعالى ليس لك من الامر شيء تأديبا له على ذلك وامثال هذا التأديب في القرآن لا تحصر وهو المقصود
الاول بالتأديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فانه ادب بالقرآن وادب الخلق به و
لذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم رغب الخلق في محاسن الاخلاق بما
اوردناه في كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق فلا نعيده ثم لما اكمل الله تعالى خلقه اثنى عليه فقال
وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما اعظم شأنه واتم امتنانه انظر الى عميم فضله كيف اعطى ثم اثنى فهو الذي

وبقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور

زينه بالخلق الكريم ثم اضاف اليه ذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم ثم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين للخلق ان الله يحب مكارم الاخلاق ويبغض سفسافها قال علي رضي الله عنه
يا عجبا لرجل مسلم يجيئه اخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا
يخشى عقابا لقد كان ينبغي له ان يسارع في مكارم الاخلاق فانها مما تدل على سبيل النجاة فقال
له رجل اسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وما هو خير منه لما اتى بسبايا طي
وقعت جارية في السبي فقالت يا محمد ان رأيت ان تخلي عني ولا تشمت بي احياء العرب فاني
بنت سيد قومي وان ابي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي
السلام ولم يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم طي فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه
صفة المؤمنين حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق
فقام ابو بردة بن نيار فقال يا رسول الله الله يحب مكارم الاخلاق فقال والذي نفسي بيده
لا يدخل الجنة الا حسن الاخلاق وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الافعال ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين
الجانب وبذل المعروف واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض برا كان او فاجرا و
تشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان او كافرا وتوقير ذي الشيبة المسلم واجابة
الطعام والدعاء عليه والعفو والاصلاح والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام و
كظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب ما حرمه الاسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف
كلها وكل ذي وتر وكل ذخل والكذب والغيبة والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة و
النميمة وسوء ذات البين وقطيعة الارحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال و
الاستطالة والبذخ والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان و
الظلم قال انس فلم يدع نصيحة جميلة الا وقد دعانا اليها وامرنا بها ولم يدع غشا او قال عيبا و
لا شينا الا حذرناه ونهانا عنه ويكفي من ذلك كله هذه الآية ان الله يأمر بالعدل و
الاحسان وايتاء ذي القربى الآية وقال معاذ اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا معاذ اوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد واداء الامانة
وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل
ولزوم الايمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وانهاك ان
تسب حكيما او تكذب صادقا او تطيع آثما او تعصي اماما عادلا او تفسد ارضا واوصيك باتقاء
الله عند كل حجر وشجر ومدر وان تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية فهكذا ادب
عباد الله ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب **بيان جملة من محاسن اخلاقه** التي جمعها
بعض العلماء والتقطها من الاخبار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احلم الناس واشجع
الناس واعدل الناس واعف الناس لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها او عصمة نكاحها او تكون
ذات محرم منه وكان اسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه
الليل لم يأو الى منزله حتى يتبرأ منه الى من يحتاج اليه لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه فقط من ايسر
ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله لا يسأل شيئا الا اعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر

وان الله يحب مكارم الاخلاق

منه حتى ربما الحاج قبل انقضاء العام انه باته شيء وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة
اهله ويقطع اللحم معهن اشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه احد يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل
الهدية ولو انها جرعة لبن او فخذ ارنب ويكافي عليها وياكلها ولا ياكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الا
والمسكين يغضب لربه عز وجل ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى اصحابه
عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة الى انسان واحد يزيد في عدد من
معه فابى وقال لا استنصر بمشرك ووجد من فضلاء اصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف
عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به وكان يعصب
الحجر على بطنه من الجوع ومرة ياكل ما حضر لا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال ان وجد تمرا دون
خبز اكله وان وجد شوا اكله وان وجد خبز بر او شعير اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله
ان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا او رطبا اكله لا ياكل متكئا ولا على خوان منديله
باطن قدمه لم يشبع من خبز بر ثلاثة ايام متوالية حتى لقي الله تعالى ايثارا على نفسه لا فقرا ولا
بخلا يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويمشي بين اعدائه وحده بلا حارس اشد الناس
تواضعا واسكنهم في غير كبر وابلغهم من غير تطويل واحسنهم بشرا لا يهوله شيء من امور الدنيا و
يلبس ما وجد فمرة شملة ومرة بردة حبرة يمانيا ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس وخاتمه
فضة يلبسه في خنصره الايمن والايسر يردف خلفه عبده او غيره يركب ما امكنه مرة فرسا
ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا
قلنسوة يعود المرضى في اقصى المدينة يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة ويجالس الفقراء ويواكل
المساكين ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم ويتالف اهل الشرف بالبر لهم يصل ذوي رحمه من غير ان
يؤثرهم على افضل منهم لا يجفو على احد يقبل معذرة المعتذر اليه يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من غير
قهقهة يرى اللعب المباح فلا ينكره ويسابق اهله وترفع الاصوات عليه فيصبر كان له لقاح وغنم يتقوت
هو واهله من البانها وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم في ماكل ولا ملبس لا يمضي له وقت في غير عمل لله
تعالى او فيما لا بد له منه من صلاح نفسه يخرج الى بساتين اصحابه لا يحقر مسكينا لفقره وزمانته لا يهاب
ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاء واحدا وقد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة
وهو امي لا يكتب ولا يقرا نشا في بلاد الجهل والصحاري في فقره وفي رعاية الغنم يتيما لا اب له ولا
ام فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة واخبار الاولين والآخرين وما فيه النجاة
والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول وفقنا الله لطاعته
في امره والتاسي به في فعله **بيان جملة اخرى من آدابه واخلاقه** مما رواه ابو البختري قال ما شتم
رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من المؤمنين بشتيمة الا كفارة ورحمة ولا لعن امراة قط ولا خادما
بلعنه وقيل له وهو في القتال لو لعنتهم يا رسول الله فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث لعانا وكان اذا
سئل ان يدعو على مسلم او كافر عام او خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له وما خير بين امرين قط الا
اختار ايسرهما الا ان يكون فيه اثم او قطيعة رحم فيكون ابعد الناس من ذلك وما ياتيه احد حر او
عبد او امة الا قام معه في حاجته وقال انس والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه لم فعلته ولا
لامني احد من اهله الا قال له دعوه انما كان هذا بكتاب وقدر قالوا وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

مضجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرش له اضطجع على الارض وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل ان
يبعثه في السطر الاول فقال محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا
يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح مولده بمكة وهجرته بطابا وملكه بالشام يأتزر على وسطه
هو ومن معه دعاة القرآن والعلم يتوضأ على اطرافه وكذلك نعته في الانجيل وكان من خلقه ان يبدأ
من لقيه بالسلام ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف وما اخذ احد بيده فيرسل يده
حتى يرسلها الآخذ وكان اذا لقي احدا من اصحابه بدأه بالمصافحة ثم اخذ بيده فشابكه ثم شد
قبضه وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله تعالى وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلوته
واقبل عليه فقال الك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلوته وكان اكثر جلوسه ان ينصب ساقيه
جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجالس اصحابه لانه حيثما انتهى به المجلس
جلس وما رؤي قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بها على احد الا ان يكون المكان واسعا لا ضيق فيه
وكان اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليس بينه وبينه قرابة ولا
رضاع يجلسه عليه وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تكون تحته فان ابى ان يقبلها عزم عليه حتى
يفعل وما استصفاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس اليه نصيبه من وجهه
حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مجلسه وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع
وامانة قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولقد
كان يدعو اصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم ويكني من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به وكان يكني ايضا
النساء اللاتي لهن الاولاد واللاتي لم يلدن يبتدي لهن الكنى ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم وكان
ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى وكان ارأف الناس بالناس وخير الناس للناس وانفع الناس للناس
ولم يكن ترفع في مجلسه الاصوات وكان اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت
استغفرك واتوب اليك ثم يقول علمنيهن جبرئيل **بيان كلامه وضحكه** صلى الله عليه وسلم كان
عليه الصلوة والسلم افصح الناس منطقا واحلاهم كلاما ويقول انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون فيها
بلغة محمد صلى الله عليه وسلم وكان نزر الكلام سمح المقالة اذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات النظم
قالت عائشة رضي الله عنها كان لا يسرد الكلام سردكم هذا كان كلامه نزرا وانتم تنثرون نثرا وقالوا
وكان اوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبرئيل عليه السلم وكان مع الايجاز يجمع كل ما اراد وكان يتكلم
بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كان كلامه يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه وكان جهير الصوت
احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب
الا الحق ويعرض عمن تكلم بغير جميل ويكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وكان اذا سكت تكلم جلساؤه ولا
يتنازع عنده في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة ويقول لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فانه انزل على وجوه
وكان اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم ولربما ضحك
حتى تبدو نواجذه وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له قالوا ولقد جاءه اعرابي يوما
وهو عليه الصلوة والسلم متغير ينكره اصحابه فاراد ان يسأله فقالوا لا تفعل يا اعرابي انا ننكر لونه فقال دعوني
فوالذي بعثه بالحق نبيا لا ادعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا ان المسيح يعني الدجال ياتي على
الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا افترى لي بابي انت وامي ان اكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى

اهلك هؤلاء ام ضرب في ثريده حتى اذا تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لئن بعثك الله عليهم ليغنين بك المومنين قالوا وكان
من اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يذكر الساعة او يخطب خطبة عظة وكان
اذا سر ورضي فهو احسن الناس رضى وان وعظ وعظ بجد وان غضب فلم يغضب الا لله لم يقم
لغضبه شيء وكذلك كان في اموره كلها وكان اذا نزل به الامر فوض الامر وتبرأ من الحول والقوة واستنزل
الهدى فيقول اللهم ارني الحق حقا فاتبعه وارني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه واعذني من ان
يشتبه علي فاتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي
في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي الى صراط مستقيم **بيان اخلاقه
وادابه في الطعام** كان صلى الله عليه وسلم ياكل ما وجد وكان احب الطعام اليه ما كان على ضفف و
الضفف ما كثرت عليه الايدي وكان اذا وضعت المائدة قال بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اجعلها
نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة وكان كثيرا اذا جلس ياكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس
المصلي الا ان الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد و
اجلس كما يجلس العبد وكان لا ياكل الحار فيقول انه غير ذي بركة وان الله تعالى لم يطعمنا نارا فابردوه
وكان ياكل مما يليه وياكل باصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يكن ياكل باصبعين ويقول ان
ذلك اكلة الشياطين وجاءه عثمان بن عفان بفالوذج فاكل منه وقال ما هذا يا ابا عبد الله قال
بابي انت وامي نجعل السمن والعسل في البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم ناخذ مخ الحنطة اذا
طحنت فنلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه حتى ينضج فياتي كما ترى فقال صلى الله عليه وسلم ان
هذا الطعام طيب وكان ياكل خبز الشعير غير منخول وكان ياكل القثاء بالرطب وبالملح وكان احب
الفواكه الرطبة اليه البطيخ والعنب وكان ياكل البطيخ بالخبز وبالسكر وربما اكله بالعنب و
يستعين باليدين جميعا واكل يوما رطبا كان في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فاشار
اليها بالنوى فجعلت تاكل من كفه اليسرى وهو ياكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة وكان ربما اكل
العنب خرطا يرى زؤانه على لحيته كحدر اللؤلؤ وهو الماء الذي يتقطر منه وكان اكثر طعامه التمر والماء
وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الاطيبين وكان احب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو
سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سالت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل وكان ياكل الثريد باللحم
والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة اخي يونس قالت عائشة كان يقول يا عائشة اذا طبختم قدرا
فاكثروا فيها من الدباء فانه يشد قلب الحزين وكان ياكل لحم الطير الذي يصاد وكان لا يتبعه ولا
يصيده ويحب ان يصاد له ويؤتى به فياكله وكان اذا اكل اللحم لم يطاطئ راسه اليه ويرفعه الى فيه رفعا
ثم ينتهشه انتهاشا وكان ياكل الخبز والسمن وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء
ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة ودعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر و
كان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة وكان يكره الكليتين
لمكانهما من البول وكان لا ياكل من الشاة سبعا الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدد و
الحيا والدم ويكره ذلك وكان لا ياكل الثوم ولا البصل ولا الكراث وما ذم طعاما قط لكن
ان اعجبه اكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما

وكان يلعق الصحفة ويقول آخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق اصابعه من الطعام حتى تحمر ولا يمسح
يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه واحدة واحدة ويقول انه لا يدري في اي الطعام البركة واذا فرغ
قال اللهم لك الحمد اطعمت واشبعت وسقيت وارويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه
وكان اذا اكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب في
ثلاث انفاس له فيها ثلاث تسميات وفي اواخرها ثلاث تحميدات وكان يمص مصا ولا يعب عبا وربما كان
يشرب بنفس واحد حتى يفرغ وكان لا يتنفس في الاناء بل ينحرف عنه وكان يدفع فضل سؤره الى من
عن يمينه وان كان من على يساره اجل رتبة قال للذي على يمينه السنة ان تعطي فان احببت آثرتهم واتي
باناء فيه عسل ولبن فابى ان يشربه وقال شربتان في شربة وادامان في اناء واحد ثم قال
صلى الله عليه وسلم لا احرمه ولكني اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا واحب التواضع فان من
تواضع لله رفعه وكان في بيته اشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ان اطعموه
اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب وكان ربما قام فاخذ ما ياكل او يشرب بنفسه **بيان
آدابه واخلاقه في اللباس** كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من ازار او رداء او
قميص او جبة او غير ذلك وكان يعجبه الثياب الخضر وكان اكثر لباسه البيض البياض
ويقول البسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير المحشو وكان له قباء
سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه وكان ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار
فوق ذلك الى نصف الساق وكان قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار في الصلاة وغيرها و
كانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها وربما لبس الكساء وحده ما
عليه غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما انا عبد ألبس كما يلبس العبد وكان له ثوبان للجمعة خاصة
سوى ثيابه في غير الجمعة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين كتفيه وربما ام به الناس
على الجنائز وربما صلى في بيته في الازار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار
الذي جامع فيه يومئذ وربما كان يصلي بالليل في الازار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي
البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك ولقد كان له كساء اسود فوهبه فقالت له ام سلمة بابي انت وامي ما
فعل ذلك الكساء الاسود قال كسوته فقالت ما رايت شيئا قط كان احسن من بياضك على سواده
وقال انس وربما رايته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها وكان يتختم وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط
يستذكر به الشيء وكان يختم به على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت
العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من راسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي اليها وربما لم تكن العمامة فيشد
العصابة على راسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من علي رضي الله عنه فربما طلع علي فيها فيقول
صلى الله عليه وسلم اتاكم علي في السحاب وكان اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذي كساني ما
اواري به عورتي واتجمل به في الناس واذا نزع ثوبه خرج من مياسره وكان اذا لبس جديدا اعطى خلق ثيابه مسكينا
ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا و
ميتا وكان له فراش من ادم حشوه ليف طوله ذراعان او نحوه وعرضه ذراع وشبر او نحوه وكانت له عباءة يفرش له
حيثما ينتقل تثنى طاقين تحته وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان
اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له المخذم وآخر يقال له الرسوب

وآخر يقال له القضيب وكانت قبيعة سيفه صلى الله عليه وسلم محلّى بالفضة وكان يلبس المنطقة من ادم فيها ثلاث
حلق من فضة وكان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور وكان اسم ناقته العضباء وهي التي يقال لها العضباء واسم بغلته
الدلدل واسم حماره يعفور واسم شاته غيثه تشرب لبنها عيشه وكان له مطهرة من فخار يتوضأ فيها ويشرب منها فيرسل
الناس اولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدفعون عنه فاذا وجدوا
في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم واجسادهم يبتغون بذلك البركة **بيان عفوه مع القدرة** كان صلى الله
عليه وسلم احلم الناس وارغبهم في العفو مع القدرة حتى اتى بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين اصحابه فقام
رجل من اهل البادية فقال يا محمد لئن امرك الله ان تعدل فما اراك تعدل فقال ويحك من يعدل عليك بعدي فلما ولى قال
ردوه علي رويدا وروى جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يقبض على الناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال فقال رجل
يا نبي الله اعدل فقال صلى الله عليه وسلم ويحك من يعدل اذا لم اعدل فقد خبت وخسرت اذا لم اعدل فقام
عمر فقال الا اضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي وكان عليهم في حرب
فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك مني
قال الله فسقط السيف من يده فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني
قال كن خير آخذ قال اتشهد ان لا اله الا الله فقال الاعرابي لا اقاتلك ولا اكون معك ولا اكون مع قوم يقاتلونك
فخلى سبيله فجاء الى قومه فقال جئتكم من خير الناس وروى انس ان يهودية اتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة
ليأكل منها فجيء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك
على ذلك قالوا افلا نقتلها قال لا وسحره رجل من اليهود فاخبره جبرئيل بذلك حتى استخرجه وحل عقده فوجد
لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودي ولا اظهره عليه قط وقال علي رضي الله عنه بعثني رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي
الكتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لتنزعن الثياب فاخرجته من عقاصها واتينا بها النبي صلى الله عليه وسلم فاذا به
من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين فقال يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل علي فاني كنت
امرأ ملصقا في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهليهم فاحببت اذ فاتني ذلك منهم
من النسب ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم افعل ذلك كفرا ولا رضى بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا عن
ديني فقال صلى الله عليه وسلم صدقكم فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم انه شهد
بدرا وما يدريك ان الله عز وجل قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وقسم صلى الله عليه وسلم
قسم صلى الله عليه قسمة فقال رجل من الانصار هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فاحمر وجهه وقال رحم الله اخي موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا يبلغني احد
منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر **بيان اغضائه عما يكره** كان صلى الله عليه
وسلم رقيق البشرة لطيفا الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه وكان اذا اشتد وجده اكثر من مس لحيته و
كان لا يشافه احدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا
ان يدع هذه يعني الصفرة وبال اعرابي في المسجد بحضرته فهم به الاصحاب فقال لا تزرموه اي لا تقطعوا عليه
البول ثم قال ان هذه المساجد لا يصلح لشيء من القذر والبول والخلاء وفي رواية قربوا ولا تنفروا وجاء اعرابي يوما
يطلب منه شيئا فاعطاه صلى الله عليه وسلم ثم قال احسنت اليك فقال الاعرابي لا ولا اجملت قال فغضب المسلمون
وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل الى الاعرابي وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك فقال
الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل هذا الرجل الاعرابي كمثل رجل كانت

له ناقة شردت على صاحبها فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي
فاني ارفق بها واعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها هونا هونا حتى
جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل
النار **بيان سخاوته وجوده** صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم اجود الناس واسخاهم وكان
في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا وكان علي رضي الله عنه اذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال اجود الناس
كفا واجرأ الناس صدرا واصدق الناس لهجة واوفاهم ذمة والينهم عريكة واكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه
ومن خالطه فاحبه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم وما سئل شيئا على الاسلام
قط الا اعطاه وان رجلا اتاه فسأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه وقال اسلموا فان محمدا صلى
الله عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وما سئل شيئا قط فقال لا وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعها
على حصير فقام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن
ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره صلى الله عليه
وسلم فقال رجل انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه ولما
قفل من حنين جاءت الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه و
سلم وقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا
بيان شجاعته كان صلى الله عليه وسلم احد الناس واشجعهم قال علي رضي الله عنه لقد رأيتني يوم بدر و
نحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا وقال
ايضا كنا اذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه
وقيل كان عليه الصلوة والسلام قليل الحديث قليل الكلام فاذا امر الناس بالقتال تشمر وكان من اشد
الناس بأسا وكان الشجاع الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن الحصين ما لقي
رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب قالوا وكان قويا البطش ولما غشيه
المشركون نزل فجعل يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فما رؤي يومئذ كان اشد منه
بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس تواضعا في
علو منصبه قال ابن عمر رأيته يرمي الجمرة على ناقة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وكان يركب
الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف وكان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة
المملوك ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع اهله في حاجتهم وكان اصحابه لا يقومون
له لما عرفوا من كراهته لذلك وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم واتي صلى الله عليه برجل فارعد من هيبته فقال
هون عليك انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد وكان يجلس بين اصحابه مختلطا بهم كانه احدهم
فيأتي الغريب ولا يدري ايهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا اليه ان يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكانا
من طين يجلس عليه وقالت له عائشة رضي الله عنها كل جعلني الله فداك متكئا فانه اهون عليك قال و
اصغى برأسه حتى كاد ان يصيب جبهته الارض ثم قال بل آكل كما يأكل العبيد واجلس كما يجلس العبيد وكان
لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله عز وجل وكان لا يدعوه احد من اصحابه وغيرهم الا
قال لبيك وكان اذا جلس مع الناس ان تكلموا في معنى الآخرة اخذ معهم وان تحدثوا في طعام وشراب
تحدث معهم وان تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه

سلام

فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى اتينا روضة خاخ

احيانا ينبع ويذكرون شيئا من الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا عن حرام

بيان صورته وخلقته صلى الله عليه وسلم كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قامته انه لم
يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد بل كان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ومع ذلك فلم يكن
يماشيه احد من الناس ينسب الى الطول الا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان
الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسبا الى الطول ونسب هو صلى الله عليه وسلم الى الربعة ويقول جعل الخير
كله في الربعة **واما لونه** فقد كان ازهر اللون ولم يكن بالآدم ولا الشديد البياض والازهر هو الابيض
الذي لا يشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الالوان ونعته عمه ابو طالب فقال وابيض يستسقى الغمام
بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل ونعته بعضهم بانه مشرب بحمرة فقالوا انما كان المشرب منه وكان عرقه
صلى الله عليه وسلم في وجهه كاللؤلؤ اطيب من المسك الاذفر واما **شعره** فقد كان رجل الشعر
حسنا ليس بالسبط ولا الجعد القطط كان اذا امتشط بالمشط كانه حبك الرمل وقيل كان شعره يضرب
منكبيه واكثر الرواية انه كان الى شحمة اذنيه وربما جعله غدائر اربعا يخرج كل اذن من بين غديرتين و
ربما جعل شعره على اذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ وكان شيبه في الراس واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد
على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها وانورهم لم يصفه واصف الا شبهه بالقمر ليلة البدر وكان
يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه ابو بكر رضي الله عنه حين
يقول * امين مصطفى للخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام * وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة
ازج الحاجبين وكان ابلج ما بين الحاجبين كان ما بينهما الفضة المخلصة وكان عيناه نجلاوين ادعجهما وكان
في عينيه تمزج من حمرة وكان اهدب الاشفار حتى كاد يلتبس من كثرتها وكان اقنى العرنين اي مستوى
الانف وكان مفلج الاسنان اي مفرقها وكان اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق اذا تلألأ وكان من
احسن عباد الله شفتين والطفهم ختم فم وكان سهل الخدين صلبهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم كث
اللحية وكان يعفي لحيته ويأخذ شاربه وكان من احسن الناس عنقا لا ينسب الى الطول ولا الى القصر ما
ظهر من عنقه للشمس والرياح فكانه ابريق فضة مشرب ذهبا يتلألأ في بياض الفضة وفي حمرة الذهب
وكان صلى الله عليه وسلم عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضا كالمرايا في استوائه وكالقمر في بياضه
موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب لم يكن في صدره شعر غيره وكانت له عكن
ثلث يغطي الازار منها واحدا ويظهر اثنان وكان عظيم المنكبين اشعرهما ضخم الكراديس اي رؤس
العظام من المنكبين والمرفقين والوركين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلي
منكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كانها من عرف فرس وكان
عبل العضدين طويل الزندين رحب الراحتين سائل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة كفه الين من
الخز كان كفه كف عطار طيبا مسها او لم يمسها بطيب يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس
الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على راسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذ والساق وكان معتدل
الخلق في السمن بدن في اخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السن واما
مشيه صلى الله عليه وسلم فكان يمشي كانما ينقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو تكفيا ويمشي الهوينا
بغير تبختر والهوينا تقارب الخطى وكان صلى الله عليه وسلم يقول انا اشبه الناس بآدم وكان ابي ابراهيم اشبه
الناس بي خلقا وخلقا وكان يقول ان لي عند ربي عشرة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي

الكفر وانا العاقب الذي ليس بعده احد وانا الحاشر يحشر العباد على قدمي وانا رسول الرحمة ورسول
التوبة ورسول الملاحم والمقفي قفيت الناس جميعا وانا قثم قال ابو البختري القثم الكامل الجامع

بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه اعلم ان من شاهد احواله صلى الله عليه وسلم واصغى
الى سماع اخباره المشتملة على اخلاقه وافعاله واحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لاصناف
الخلق وهدايته الى ضبطهم وتالفه اصناف الخلق وقوده اياهم الى طاعته مع ما يحكى من عجائب اجوبته في مضايق
الاسولة وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن اشاراته في تفصيل ظاهر الشرع التي يعجز الفقهاء
والعقلاء عن ادراك اوائل دقائقها في طول اعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في ان ذلك لم يكن مكتسبا
بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك الا بالاستمداد من تاييد سماوي وقوة الهية وان ذلك
كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمائله واحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى ان العربي القح كان يراه
فيقول ما هذا وجه كذاب وكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله فكيف من شاهد اخلاقه ومارس احواله
في جميع مصادره وموارده وانما اوردنا بعض اخلاقه ليعرف محاسن الاخلاق وليتنبه لصدقه صلى الله عليه وسلم
وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله اذ اتاه الله جميع ذلك وهو رجل امي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب
ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل بين اظهر الجهال من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا فمن اين حصل له
من محاسن الاخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفة
بالله وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة ولولا صريح الوحي فمن اين للبشر الاستقلال بذلك فلو
لم يكن له الا هذه الامور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل فلنذكر
من جملتها ما استفاضت به الاخبار واشتملت عليه الكتب الصحاح اشارة الى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل
فقد خرق الله العادة على يده غير مرة اذ شق له القمر بمكة لما سالته قريش آية واطعم النفر الكثير في منزل جابر و
منزل ابي طلحة ويوم الخندق ومرة اطعم ثمانين من اربعة امداد شعير وعناق وهو من اولاد المعز فوق العتود و
مرة اكثر من ثمانين رجلا من اقراص شعير حملها انس في يده ومرة اهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في
يدها فاكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم ونبع الماء من اصابعه عليه فشرب اهل العسكر كلهم وهم
عطاش وتوضؤا من قدح صغير ضاق ان يبسط عليه يده واهراق عليه وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها
ومرة اخرى في بئر الحديبية فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك اهل الجيش وهم الوف حتى رووا وشرب من بئر
الحديبية الف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء وامر عليه الصلوة والسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ان يزود اربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير وهو موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقي بحسبه ورمى
الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القران وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وابطل الله تعالى
الكهانة بمبعثه صلى الله عليه وسلم فعدمت وكانت ظاهرة موجودة وحن الجذع الذي كان يخطب عليه لما عمل له
المنبر حتى سمع منه جميع اصحابه مثل صوت الابل فضمه اليه فسكن ودعا الى تمني الموت واخبرهم بانهم لا يتمنونه
فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه وهذه الآية مذكورة في سورة يقرؤها في جميع جوامع اهل الاسلام من
شرق الارض الى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للآية التي فيها واخبر عليه السلام بالغيوب وانذر بان عثمان رضي الله عنه تصيبه
بلوى بعدها الجنة وبان عمارا تقتله الفئة الباغية وان الحسن يصلح الله تعالى به بين فئتين من المسلمين واخبر
عليه السلام عن رجل قاتل في سبيل الله انه من اهل النار فظهر ذلك بان قتل الرجل نفسه وهذه كلها اشياء لا يعرف
البشر بشيء من وجوه تقدمة المعرفة لا بنجوم ولا بكتب ولا بخط ولا بزجر لكن باعلام الله تعالى له ووحيه اليه واتبعه

سراقة بن جعشم فساخت قدما فرسه في الارض واتبعه دخان حتى استغاثه ودعا له وانطلق الفرس وانذره بانه سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى فكان ذلك واخبر بمقتل الاسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن ولخبر بمن قتله وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤسهم فلم يروه وشكا اليه البعير بحضرة اصحابه وتذلل له وقال لنفر من اصحابه مجتمعين احدكم في النار ضرسه مثل احد فماتوا كلهم على استقامة و ارتد منهم واحد فقتل مرتدا وقال لاخرين آخركم موتا في النار فسقط اخرهم في النار فاحترق فيها فمات ودعا شجرتين فاتتاه واجتمعتا ثم امرهما فافترقتا ودعا عليه النصارى الى المباهلة فامتنعوا واخبرهم ان فعلوا هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا واتاه عامر بن الطفيل بن مالك واربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله عليه فحيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بغدة وهلك اربد بصاعقة احرقته واخبر عليه بانه يقتل ابي بن خلف الجمحي فخدشه يوم احد خدشا لطيفا وكان منيته واطعم عليه السم فمات الذي اكل معه وعاش النبي صلى الله عليه وسلم اربع سنين وكلمه الذراع المسموم واخبر عليه يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع وانذر عليه بان طوايف من امته يغزون في البحر فكان كذلك وزويت له الارض فاري مشارقها ومغاربها واخبر ان ملك امته سيبلغ ما زوي له منها وكان كذلك كما اخبر فبلغ ملكهم من اول المشرق من بلاد الترك الى اخر المغرب من بحر الاندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في الشمال كما اخبر عليه سواء بسواء واخبر عليه ابنته فاطمة رضي الله عنها بانها اول اهله لحاقا به وكان كذلك واخبر نساءه بان اطولهن يدا اسرعهن لحاقا به ومسح ضرع شاة حائل لا لبن فيها فدرت وكان ذلك سببا لاسلام ابن مسعود وفعل ذلك مرة اخرى في خيمة ام معبد الخزاعية وندرت عين بعض اصحابه فسقطت فردها عليه بيده وكانت اصح عينيه واحسنهما وتفل في عين علي رضي الله عنه وهو ارمد يوم خيبر فصح في وقته وبعثه بالراية وكانوا يسمعون تسبيح الطعام من بين يديه صلى الله عليه وسلم واصيب رجل بعض اصحابه فمسحها بيده فبرئت من حينها وقل زاد جيش معه عليه فدعا بجميع ما بقي واجتمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم امرهم فاخذوا فلم يبق وعاء في العسكر الا ملئ من ذلك وحكى حاكم بن العاص مشيته مستهزئا فقال صلى الله عليه وسلم كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات وخطب عليه امرأة فقال ابوها ان بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال عليه الصلوة والسلم فليكن كذلك فبرصت وهي ام شبيب بن البرصاء الشاعر الى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم وانما اقتصرنا على المستفيض ومن يسترب في انخراق العادة على يديه ويزعم ان احاد هذه الوقايع لم ينقل تواترا بل المتواتر هو القران فقط لكن يسترب في شجاعة علي وسخاوة حاتم ومعلوم ان احاد وقايعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقايع تورث علما ضروريا ثم لا يتمارى في تواتر القران وهو المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبي معجزة باقية سواه صلى الله عليه وسلم اذ تحدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغاء الخلق و فصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ مملوة بالالاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان ينادي بين اظهرهم ان يأتوا بمثله او بعشر سور مثله او بسورة من مثله ان شكوا وقال لهم لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا انفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي وما استطاعوا ان يعارضوا ولا ان يقدحوا في جزالته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في اقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد

انذر بلوغ امته ما زوى له

وكانت زينب بنت الحارث … [illegible]

عوا

قرن وعصرا بعد عصر وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة فلم يقدر احد على معارضته فاعظم بغباوة من ينظر في احواله ثم في اقواله ثم في افعاله ثم في اخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه الى الان ثم في انتشاره في اقطار العالم ثم في اذعان ملوك الارض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمادى بعد ذلك في صدقه وما اعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه في كل ما ورد وصدر فنسال الله تعالى ان يوفقنا للاقتداء به في الاخلاق والافعال والاحوال بمنه وجوده وكرمه انه سميع مجيب

تم المجلد الثاني

من احياء علوم الدين

على يد العبد الضعيف المحتاج

الى غفور رب الصمد عماد الدين بن

محمود بن محمد اصلح الله حاله ونور بحقايق

معرفته باله وحصل في الدارين

آماله في اواخر ربيع الثاني

سنة ثلاث عشر و

تسعمائة هجرية

والحمد لله

والمنة

ربع المهلكات من احياء علوم الدين

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادي اشراق انواره الاحداق والنواظر المطلع على سرائر القلوب بمكنونات الضمائر المستغني في تدبير ملكه عن المشاور والموازر مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب والصلوة والسلام على محمد سيد المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى آله الطيبين الطاهرين اما بعد فشرف الانسان وفضيلته التي بها فاق جملة من اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله تعالى التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله تعالى وهو العامل لله تعالى وهو الساعي الى الله تعالى وهو المتقرب اليه وهو المكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة فالقلب هو المقبول عند الله تعالى اذا سلم من غير الله تعالى وهو المحجوب عن الله تعالى اذا صار مستغرقا بغير الله تعالى وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو الذي يسعد بالقرب من الله تعالى فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وانما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وانما الساري الى الاعضاء من الفواحش آثاره وباظلامه واستنارته يظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء يترشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم فان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه كيف يهوي مرة الى اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيهم نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ قد فرغنا في الشطر الاول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد وان نقدم عليه كتابين كتابا في شرح صفات القلب واخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب اخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه اكثر الاوهام وبالله التوفيق

بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامي

اعلم ان هذه اربعة اسامي تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بمعرفة هذه الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها واكثر الاغاليط منشأها الجهل بمعنى هذه الاسامي باشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح من معاني هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا

اللفظ الاول لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته فلا يتعلق بها الاغراض الدينية وانما يتعلق بها غرض الاطباء وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن اذا اطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهي المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمطالب والمعاتب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته وان تعلقه به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للآلة بالآلة او تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب الا علوم المعاملة والثاني ان تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح ولم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا في هذا الكتاب لفظ القلب اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى ذكر حقيقتها

اللفظ الثاني الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان انوار الحيوة والحس والبصر والسمع والشم منها على اعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به فالحيوة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا اطلقوا اسم الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب وليس من غرضنا شرحه اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون الابدان واما غرض اطباء الدين المعالجين للقلوب حتى تنساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذا الروح اصلا والمعنى الثاني هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معنيي القلب وهو الذي اراده الله تعالى بقوله ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني يعجز اكثر العقول والافهام عن درك كنه حقيقته

اللفظ الثالث النفس وهو ايضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سيأتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على اهل التصوف فانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك والمعنى الثاني هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها

الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر

الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك و النفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فانها مبعدة عن الله تعالى وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيرها في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى اخبارا عن يوسف على نبينا وعليه الصلوة والسلام وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذن النفس بالمعنى الاول مذموم غاية الذم وبالمعنى الثاني محمود لانه نفس الانسان اي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وبساير المعلومات اللفظ الرابع **العقل** وهو ايضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان احدهما انه قد يطلق ويراد به العلم بحقايق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني انه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود وهو اصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به محل الادراك اي المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله تعالى العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد وان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه قال له اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر الحديث فاذن قد انكشف لك ان معاني هذه الاسامي موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم وهذه اربعة معان تطلق عليها الالفاظ الاربعة و معنى خامس وهو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليه فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس وهذا خاطر القلب وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسامي فلاجل كشف الغطاء عنه قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القران والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بساير البدن ومستعملة له لكنه يتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكانه محلها و مملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا تظن به انه يرى انه عرش الله تعالى وكرسيه فان ذلك محال بل اراد انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك ايضا لا يليق بغرضنا فلنتجاوزه عنه

بيان جنود القلب

قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه وتعالى في القلوب والارواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن الان نشير الى بعض جنود القلب وهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصاير وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان وهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين فاليد والرجل والعين والاذن واللسان وساير الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع له خلافا وعليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة

تحركت واذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا ساير الاعضاء وتسخر الاعضاء والحواس للقلب يشبه تسخر الملائكة فانهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان في شيء وهو ان الملائكة عالمة بطاعتها وامتثالها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخر ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وانما افتقر هذا القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله سبحانه وتعالى وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وانما زاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه العمل الصالح وليس يمكن ان يصل العبد الى الله ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى والدنيا مزرعة الاخرة وهي منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلين فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم والبدن مركبه الذي به يصل الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وبان يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه من اسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت الاعضاء التي هي الات الشهوة وافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي به يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بامور خارجة عن البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء اذا لم يعرف الغذاء لم ينفعه شهوة الغذاء والفه فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس و ظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا يحويه مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير منه في كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب يحصرها ثلثة اصناف صنف باعث ومستحث الى جلب الموافق النافع كالشهوة واما الى دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في ساير الاعضاء لا سيما العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والشم والذوق والسمع وغيرها وهي مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب و الدم والعظم التي اعدت الات لهذه الجنود فان قوة البطش انما تبطش بالاصابع وقوة البصر انما تبصر وتدرك الشيء بالعين وكذا ساير القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الان فيما ايد به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء يغمض عينه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى بعض ثم يتذكر ما نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله تعالى قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه كما يخلو اليد والرجل عنه فقد

القوى ايضا جنود مجندة باطنة واما كونها ايضا باطنة فهذه هي اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه الضعفاء يطول ومقصود مثل هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم

بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة

اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكانه ويستعبدانه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان يكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب هذا الى فهمك بثلاثة امثلة

المثال الاول ان نقول مثل نفس الانسان في بدنه واعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل وال في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كعبد سوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب شرطته والعبد الجالب للميرة كذاب مكار مخادع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في كل تدبير يدبره حتى لا يخلو عن منازعته ومعارضته في آرائه ساعة فكما ان الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته بوزيره معرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث بل مستدلا باشارته في ان الصواب في نقيض رأيه وادب صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومأمورا مدبرا لا اميرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل بسببه فكذلك النفس متى استعانت بالعقل وادبت الحمية الغضبية وسلطتها على الشهوة واستعانت باحداهما على الاخرى تارة بان تقلل مرتبة الغضبية وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواه وحسنت اخلاقه ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وسيأتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس ان شاء الله تعالى

المثال الثاني ان البدن كالمدينة والعقل اعني المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه فهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وانتقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر

المثال الثالث مثل العقل مثل الفارس المتصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى كان هو في نفسه اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا من ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه

بيان خاصية قلب الانسان

اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله سبحانه وتعالى به على سائر الحيوانات سوى الآدمي اذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة ايضا حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك ادراكها الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله سبحانه وهو راجع الى علم وارادة اما العلم فهو العلم بالامور الدنيوية والاخروية والحقائق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان الفرس الواحد لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض الافراس فحكمه على جميع الافراس زائد على ما ادركه الحس واذا فهمت هذا في هذا العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات اظهر واما الارادة فهو انه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى جهة المصلحة والى تعاطي اسبابها والارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدهما ويطلبهما ويبذل المال فيهما والشهوة تميل الى لذائذ الاطعمة في المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها فليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله تعالى العقل المعرف بعواقب الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فاذن اختص قلب الانسان بعلم وارادة ينفك عنها سائر الحيوانات بل ينفك عنها الصبي في اول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه عند البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حق الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان احداهما ان يشتمل قلبه على جملة العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فيكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذي لم يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد الثانية ان تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله كحال الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى تتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها اذ تحصل لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل المبادأة والمكاشفة ولبعضها بتعلم واكتساب ثم قد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والاولياء والانبياء ودرجات الرقي فيه غير محصورة اذ معلومات الله تعالى لا نهاية لها واقصى الرتب رتبة الانبياء الذين ينكشف لهم كل الحقائق او اكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في اسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السائرين الى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فاما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة

وبالنبي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقته الا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فلا يعرف العاقل ما انفتح على اولياء الله تعالى وانبيائه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله تعالى غير مضنون بها على احد ولكن انما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سياتي والى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له وبقوله حكاية عن الرب تعالى لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا وبقوله من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا كل ذلك اشارة الى ان انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاواني فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله تعالى لا يدخلها المعرفة بجلال الله تعالى واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة واشرف انواع العلم هو العلم بالله وبصفاته وافعاله فيه كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل العلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لاجلها خلق وكما ان الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار فكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في امور ويفارقهما في امور وهي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من الله تعالى والانسان على رتبة بين البهائم والملائكة فان الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط وانما خاصيته معرفة حقائق الاشياء فمن استعمل جميع اعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بان يلحق بهم وجدير بان يسمى ملكا وربانيا كما قال الله تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهائم فيصير اما غمرا كالثور واما شرها كالخنزير واما ضرعا كالكلب او حقودا كالجمل او متكبرا كالنمر او ذا روغان كالثعلب او يجمع ذلك كله كالشيطان المريد وما من عضو من الاعضاء ولا حس من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كما سياتي طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك ان يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضاء خدمه فيستقر هو اعني المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ تجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان مجرى ترجمانه ويجري الاعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجري الحواس الخمسة مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد باخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها الى القوة الخيالية

التي هي كصاحب البريد الى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس منه ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله تعالى واذا عطل هذه الجملة واستعملها لكن في مراعاة اعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة او في عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولا شقيا كافرا بنعمة الله تعالى مضيعا لجنود الله تعالى ناصرا لاعداء الله مخذلا لحزب الله فيستحق المقت والابعاد في المنقلب والمآل نعوذ بالله تعالى منه والى المثال الذي ضربناه اشار كعب الاحبار قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريدان والقلب ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال علي كرم الله وجهه في تمثيل القلوب ان لله تعالى في ارضه آنية وهي القلوب فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره فقال اصلبها في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال ابي بن كعب معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله او كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق وقال زيد بن اسلم في لوح محفوظ هو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر كمثل العرش والكرسي فهذه امثلة القلب

بيان مجامع اوصاف القلب وامثلته

اعلم ان الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال الله تعالى قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان فيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار اللون والصورة بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته

فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط
المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير و
يرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همهم الفرج والبطن
ومنافسة الاعداء والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه
وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما تمثل للمكاشفين اما في النوم او في اليقظة لرأى نفسه
ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا اخرى ومنتظرا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير لطلب
شيء من شهوته انبعث على الفور في خدمته واحضار شهوته او رآها ماثلا بين يدي كلب عقور
عابدا له مطيعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا للفكر في حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك سا
في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد
الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده و
لينظر بعين البصيرة فلا يرى ان انصف نفسه الا ساعيا طول النهار في عبادة هؤلاء وهذا
غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق
للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاث فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة
هؤلاء الثلث صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ومميتا له اما طاعة خنزير
الشهوة فيصدر منه صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث و
الحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها واما طاعة الغضب فينتشر منه الى القلب صفة التهور
والنذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير
الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيره واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منه صفة
المكر والحيلة والخداع والدهاء والجربزة والتلبيس والتضريب والغش والخب وامثالها ولو عكس الامر و
قهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة والاحاطة
بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليها والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق
التقدم على الخلق بكمال العلم وجلالة الاستغناء عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط
خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال الى صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع
والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب
وردها الى الحد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات
والنبل والشهامة والوقار وغيرها فالقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار
على التوالي واصلة الى القلب **اما الآثار المحمودة** التي ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب اشراقا
ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل
هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له من قلبه واعظا من
قلبه وبقوله من كان له من قلبه واعظ كان له من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه
الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب **واما الآثار المذمومة** فانها مثل دخان مظلم يتصاعد
الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن

الله تعالى وهو الطبع والرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال تعالى
ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع والطبع
بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال واتقوا الله واسمعوا وقال واتقوا الله ويعلمكم الله
ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين
ويستهين بامر الآخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها واذا قرع سمعه امر الآخرة و
ما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة و
التدارك اولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد
القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران اذا اذنب العبد ذنبا نكت في قلبه
نكتة سوداء فان هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم قلب المؤمن اجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله تعالى بمخالفة
الشهوات مصقلات للقلب ومعصيته مسودات له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة
ومحا اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة يتنفس فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب اسود منكوس
فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل
الايمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه مثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي
المدتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به وقد قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وانه لا يتمكن منه الا الذين
اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى

التي يتنفس فيها ثم يمسح فانها لا تخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم القلوب اربعة قلب اجرد

بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة

اعلم ان محل العلم هو القلب اعني اللطيفة الالهية المدبرة
لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى حقائق المعلومات كالمرآة
بالاضافة الى صور المتلونات فكما ان للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل
فيها فكذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها وكما ان المرآة
غير وصور الاشياء غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة امور فكذلك ههنا ثلاثة امور القلب
وحقائق الاشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي يحل فيه
مثال حقائق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة
وكما ان القبض يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين اليد والسيف بحصول السيف
في اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا
ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما ان السيف كان موجودا واليد موجودة ولم يكن
اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم
يحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابق لصورتها فتمثيله بالمرآة اولى لان عين الانسان
لا يحصل في المرآة وانما يحصل مثال مطابق له فكذا حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علما و
كما ان المرآة لا تنكشف فيها الصور لخمسة امور احدها نقصان جوهرها صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور

نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد

ويشكل ويصقل والثاني لخبثه وصداه وكدورته وان كان تام الشكل والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المراة الرابع لحجاب مرسل بين المراة والصورة والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه ان يحاذي به شطر الصورة و جهتها فكذلك القلب مراة مستعدة لان يتجلى فيها حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة اولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لا يتجلى له المعلومات لنقصانه والثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي تراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته وتراكمه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا اي حصل فيه كدورة لا يزول اثره ابدا اذ غايته ان يتبعه بحسنة يمحوها فلو جاء بالحسنة ولم يتقدم السيئة ازداد لا محالة اشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا وهذا خسران ونقصان لا حيلة له فليس المراة التي تدنس ثم تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق والاقبال على طاعة الله عز وجل والاعراض عن مقتضى الشهوات وهو الذي يجلي القلب ويصفيه ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله عز وجل علم ما لم يعلم الثالث ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه ليس تتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس يحاذي بمراته شطر المطلوب بل ربما يستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية او بتهيئة اسباب المعيشة ولا يصرف فكره الى التامل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقائق اعمال الافات وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها او مصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان تقييد الهم بالاعمال وتفصيل الطاعات مما نعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك في صرف الهم الى شهوات الدنيا ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع من الكشف الحقيقي الرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد للفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبى على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فانه يحول ذلك بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من ان ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا ايضا حجاب عظيم حجب اكثر الخلق من المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق الخامس الجهل بالجهة التي منها يقع العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فينكشف حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم فلا يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى ثم كما ان من اراد ان يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبقرة وانسان بل من اصل مخصوص هو الفرس الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله

اصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله ان يريد الانسان مثلا ان يرى قفاه في المراة فانه ان رفع المراة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفاء فلا يظهر فيها القفاء وان رفعها وراء القفاء بازائه كان قد عدل بالمراة عن عينه فلا يرى المراة ولا صورة القفاء فيحتاج الى مراة اخرى ينصبها وراء القفاء وهذه في مقابلته بحيث يبصرها ويراعي مناسبة بين وضع المراتين حتى ينطبع صورة القفاء في المراة المحاذية للقفاء ثم يدرك العين صورة القفاء فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات اعجب مما ذكرنا في المراة ويعز على بسيط الارض من يهتدي الى كيفية الحيلة في تلك الازورارات فهذه هي الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الامور والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه امر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان اشارة الى ان له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال صار مطيقا لحمل الامانة ومطيقا لها في الاصل ولكن يثبطها عن النهوض باعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السماء اشارة الى بعض هذه الاسباب التي هي الحجاب بين القلب والملكوت واليه الاشارة بما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل يا رسول الله اين الله في الارض قال في قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر قال الله عز وجل لم يسعني ارضي وسمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع وفي الخبر انه قيل من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضي الله عنه راى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرضها السموات والارض اما جملتها فاكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة واما عالم الملكوت وهو الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية له نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه لكنه في نفسه وبالاضافة الى علم الله عز وجل لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية جلت عزته محيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شيء سوى الله عز وجل وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله عز وجل وصفاته وافعاله وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه وقد افلح من زكاه ومراد تزكيته حصول انوار الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الايمان له ثلاث مراتب المرتبة الاولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد

ثم ينطبع صورة من المرآة في المرآة الاخرى التي في مقابلة العين م

المحض والثاني ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال والثالث ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين ونبين لك هذه المراتب بمثال وهو ان تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات الاولى ان يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته في القول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وامهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وصدقه وما جاء به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لحسن ظنهم بآبائهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة في الآخرة واهله من اوائل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطأ ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانه القي اليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه لكن القي اليهم كلمة الحق المرتبة الثانية ان تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة عند من سمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بان هذا صوت ذلك الشخص فهذا ايمان ممزوج بدليل والخطأ ايضا يمكن ان يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا المرتبة الثالثة ان تدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده فهذه هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة تستحيل معها امكان الخطأ نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف اما الدرجات فمثاله ان يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار وفي وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والآخر يدركه في بيت او من بعد او في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يستيقن معه انه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للامور الالهية واما مقادير العلوم فهو بان يرى زيدا او عمرا او بكرا او غير ذلك وآخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذه حال القلب بالاضافة الى العلوم

بيان حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية وشرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم الى دنيوية واخروية اما العقلية فنعني بها ما تقضي به غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية لا يدري من اين تحصل وكيف حصلت كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبي مفطورا عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من اين حصل له اعني انه لا يدري فيه سببا قريبا والا فليس يخفى ان الله عز وجل هو الذي خلقه وهداه والى مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال علي رضي الله عنه العقل عقلان فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله صلى

الله عليه وسلم ما خلق الله عز وجل خلقا اكرم من العقل والثاني هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى الله عز وجل بابواب البر فتقرب انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل علي رضي الله عنه يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين والقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة تفقد بالعمى وتوجد في البصير وان كان قد غمض عينيه او جن عليه الليل والعلم الحاصل منه في القلب جار مجرى ادراك البصر ورؤيته لاعيان الاشياء وتاخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبي الى اوان التمييز او البلوغ يضاهي تاخر الرؤية عن البصر الى اوان طلوع الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذي به سطر الله العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله عز وجل جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال الله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما ان وصفه تعالى لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه تعالى من قصب ولا خشب كما انه ليس تعالى من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الا انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المدركة وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الآخر ولموازنة بصيرة الباطن لبصر الظاهر سماه الله عز وجل باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما رأى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وما اراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم حتى يذكر في معرض الامتنان ولذلك سمي ضد ادراكه عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال عز وجل ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلي **اما العلوم الدينية** فهي الماخوذة بطريق التقليد من الانبياء عليهم السلام وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة اسباب صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدي اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السماع ولا بالسماع عن العقل فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور فاياك ان تكون من احد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يتضرر بالغذاء مهما فاته الدواء فكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهي وظائف العبادات والاعمال التي ركبها الانبياء عليهم الصلوة والسلام لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما تناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين فيتحير فيه

ويتسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وانما ذلك لان عجزه في نفسه خيل اليه نقصانا في
الدين وهيهات وانما مثاله الاعمى الذي دخل دارا فتعثر فيها باواني الدار فقال مابال هذه الاواني
تركت على الطريق لم لا ترد الى موضعها فقيل له تلك الاواني في مواضعها وانما انت لست تهتدي الى الطريق
لعماك فالعجب منك انك لا تحيل عثرتك على عماك وانما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية
الى العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم و
سائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله عز وجل وصفاته وافعاله
كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعني ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن
الآخر على الاكثر ولذلك ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة امثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق
والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احديهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس في امور الدنيا وفي علم
الطب والهندسة والحساب والفلسفة جهالا في امور الآخرة والاكياس في دقائق علوم الآخرة جهالا في
الاكثر بعلوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني و
لذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله اي البله في امر الدنيا وقال الحسن ادركنا قوما لو رأيتموهم لقلتم
مجانين ولو رأوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا من امور الدين جحده اهل الكياسة في سائر العلوم فلا يغرنك
جحودهم عن قبوله اذ من المحال ان يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب وكذلك يجري امر الدنيا والآخرة
ولذلك قال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الآية وقال تعالى يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال عز وجل فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا
ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه الله عز وجل لتدبير
عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية التي تتسع لجميع الامور ولا تضيق عنها و
اما قلوب سائر الخلق فانها اذا استقلت بامر الدنيا انصرفت عن الآخر وقصرت عن الاستكمال فيه

بيان الفرق بين الالهام والتعلم

والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار اعلم ان العلوم التي ليست ضرورية
وانما تحصل في القلب في بعض الاحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كانه القي فيه من حيث لا يدري و
تارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل
بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف
حصل ومن اين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي
في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا وتختص به الانبياء عليهم الصلوة والسلام والاول
يختص به الاولياء والاصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة القول
فيه ان القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الاشياء كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها
فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله عز وجل به الى
يوم القيمة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها و
الحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد واخرى يزول بهبوب الريح فكذلك قد تهب رياح الالطاف فتكشف
الحجب عن اعين القلب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون تارة ذلك عند المنام فيعلم
به ما سيكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فيه ينكشف الغطاء وفي اليقظة ايضا قد يرتفع
الحجاب بلطف خفي من الله عز وجل فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف

واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا
في محله ولا في سببه ولكن يفارق من جهة زوال الحجاب وان ذلك ليس باختيار العبد و
لم يفارق الوحي الالهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلم انما يحصل في
قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من
وراء حجاب او يرسل رسولا فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية دون
التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل و
الادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها و
الاقبال بكنه الهمة على الله عز وجل ومهما حصل ذلك كان الله عز وجل هو المتولي لقلب عبده والمتكفل
بتنويره بانوار العلم واذا تولى الله عز وجل امر القلب فاضت عليه الرحمة واشرق النور في القلب
وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه
حقائق الامور الالهية فليس على العبد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة
الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله عز وجل من الرحمة فالانبياء والاو
لياء عليهم الصلوة والسلام انكشف لهم الامور وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة للكتب بل
بالزهد في الدنيا والتبري عن علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى
فمن كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ قلبه عنها
وبقطع الهمة عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي
فيه وجود ذلك وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ
القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة القرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث وغيره بل يجتهد
ان لا يخطر بباله شيء سوى ذكر الله فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع
حضور القلب حتى ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كان الكلمة جارية على اللسان ثم يصير عليه الى ان يمحى اثره عن
اللسان فيصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة
الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كانه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهي الى هذا الحد و
اختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله عز وجل بل هو بما
فعله قد تعرض لنفحات الرحمة فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من رحمته كما فتحها على الانبياء والاولياء
بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته ولم تجاذبه شهواته
ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا فيلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف
لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت فقد يطول ثباته
وقد لا يطول وقد يتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل اولياء الله فيه لا
تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك و
تصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط فاما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود
هذا الطريق وامكانه وافضاءه الى المقصد على الندور فانه اكثر احوال الانبياء والاولياء و
لكن استوعروا هذا الطريق واستبطأوا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلائق
الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل في حال فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وفي اثناء هذه
المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها
بحقائق العلوم تتشبث بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة الى ان يزول وينقضي
العمر دون النجاح بها فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة و
لو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال بطريق
التعلم اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ولكن صار فقيها بالوحي والالهام من غير تكرار وتعليق فانا ايضا ربما انتهى
بالرياضة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن ترك طريق الكسب رجاء العثور
على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لا بد من تحصيل ما حصله العلماء
اولا وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بالمجاهدة
بعد ذلك

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس اعلم ان عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان
القلب ايضا خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس
ونحن نقرب ذلك الى افهام الضعفاء بمثالين احدهما انا لو فرضنا حوضا محفورا في الارض احتمل ان يساق
الماء اليه من فوقه بانهار تفتح اليه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر الماء
الصافي فينفجر الماء من اسفل الحوض ويكون ذلك الماء اصفى وادوم وقد يكون اغزر واكثر فكذلك القلب
مثل الحوض والعلم مثل الماء والحواس الخمس مثل الانهار ويمكن ان يساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس
والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن ان تسد عنه هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد
الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى ينفجر ينبوع العلم من داخله فان قلت وكيف يتفجر
العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا من عجائب اسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة والقدر
الذي يمكن ذكره ان حقائق الاشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين وكما ان
المهندس يسطر صورة ابنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات
والارض كتب نسخة العالم من اوله الى آخره في اللوح المحفوظ ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم
الذي خرج الى الوجود بصورته تتأدى منه صورة اخرى الى الحواس والخيال فان من ينظر الى السماء والارض ثم
يغض بصره يرى صورة السماء والارض في خياله حتى كأنه ينظر اليها ولو انعدمت السماء والارض وبقي هو لوجد
صورة السماء والارض في نفسه حتى كأنه يشاهدها وينظر اليها ثم يتأدى من خياله اثر الى القلب فيحصل فيه
حقائق الاشياء التي دخلت في الحس والخيال فالحاصل في القلب موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من
خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكان للعالم اربع درجات في الوجود
وجود في اللوح وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده
الخيالي اعني وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجود صورته في القلب
وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية بعضها اشد روحانية من بعض وهذا
لطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموات والارض
على اتساع اكنافها ثم يسري من وجوده في الحس وجود في الخيال ثم منه وجود في القلب فانك ابدا لا تدرك الا ما
هو واصل اليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه

العجائب في القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب اكثر الخلق
جاهلة بانفسها وبعجائبها فلنرجع الى المقصود فنقول القلب يتصور ان يحصل فيه حقيقة العالم و
صورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان يحصل فيها صورة الشمس
تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب
بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الاشياء فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل
الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات
كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما ان الماء اذا اجتمع من الانهار في الحوض منع ذلك
عن التفجر من الارض وكما ان من نظر الى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى الشمس فاذن
للقلب بابان باب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسك بعالم الشهادة والملك وعالم الشهادة والملك ايضا
يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى
عليك واما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينيا
بالتامل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل او كان في الماضي
من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله عز وجل قال النبي صلى الله عليه و
سلم سبق المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله عز وجل وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا
القيامة خفافا ثم قال جل وعلا في وصفهم اقبل عليهم بوجهي اترى من واجهته بوجهي يعلم احد اي شيء
اريد ان اعطيه ثم قال تعالى اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم
ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذن الفرق بين علوم الانبياء والاولياء وبين
علوم العلماء والحكماء هذا وهو ان علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت
وعلم الحكماء يأتي من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب
لا يمكن ان تستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العلمين المثال الثاني يعرفك
الفرق بين العملين اعني عمل العلماء وعمل الاولياء فان العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى
القلب واولياء الصوفية يعملون في جلاء القلب وتطهيره وتصفيته وتصقيله فقط وقد حكي ان
اهل الصين واهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر رأي الملك
على ان يسلم اليهم صفة لينقش اهل الصين منها جانبا واهل الروم منها جانبا ويرخى بينهم حجاب يمنع اطلاع
كل فريق على الآخر ففعل ذلك وجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل اهل الصين من غير
صبغ واقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل الروم ادعى اهل الصين انهم ايضا قد فرغوا فتعجب الملك
من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل لهم وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم منا
ارفعوا الحجاب فرفعوه فاذا جانبهم قد تلألأت فيه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة اشراق وبريق
اذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفاء فكذلك عناية الاو[لياء]
بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين و
عناية العلماء والحكماء باكتساب نفس العلوم وتحصيل نقشها في القلب وكيف ما كان الامر فقلب المؤمن لا
يموت وعلمه عند الموت لا ينمحي وصفاؤه لا يتكدر واليه اشار الحسن بقوله التراب لا يأكل محل الايمان و
يكون وسيلة المقربة الى الله عز وجل اما ما حصله من نفس العلم واما ما حصله من الصفاء والاستعداد

لمتبول نقش العلم ولا سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة ولبعض السعادات اشرف من بعض كما انه
لا غنى الا بالمال فصاحب الدرهم غني وصاحب الخزائن المترعة غني وتتفاوت درجات السعداء
بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما يتفاوت درجات الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته والمعارف
انوار ولا يسعى المؤمنون الى لقاء الله عز وجل الا بانوارهم قال الله عز وجل يسعى نورهم بين ايديهم و
بايمانهم وقد ورد في الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم يعطى اصغر حتى يكون آخرهم رجلا
يعطى نوره على ابهام قدميه فيضيء مرة ويطفى مرة فاذا اضاء قدم قدمه ومشى واذا طفي قام ومرورهم
على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرفة العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم
كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي اعطي نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجر
منه يدا ويعلق اخرى ويخر منه رجل ويعلق اخرى ويصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص
الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس في الايمان ولو وزن ايمان ابي بكر رضي الله عنه بايمان العالمين سوى
النبيين والمرسلين لرجح وهذا يضاهي قول القائل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان
آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وايمان الصديقين نوره كنور النجوم
والقمر وايمان الانبياء عليهم الصلوة والسلام نوره كنور الشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق
مع اتساع اقطارها ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك يتفاوت انشراح الصدر
بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبر انه يقال يوم القيمة اخرجوا
من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت
درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا يمنع دخول النار وفي مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال
فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه اولا وان من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليس شيء خيرا من الف مثله الا الانسان او المؤمن اشارة الى تفضيل القلب العارف
المؤمن وانه خير من قلب الف من عوام الناس وقد قال تبارك وتعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين تفضيلا
للمؤمن على المسلم والمراد به المؤمن العارف دون المقلد وقال عز وجل يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات فاراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين اوتوا العلم ويدل ذلك على ان
اسم المؤمن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن كشف وبصيرة وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله سبحانه
وتعالى والذين اوتوا العلم درجات فقال يرفع العالم فوق المؤمنين بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين
السماء والارض وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي رواية
كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب فبهذه الشواهد يتضح تفاوت درجات اهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم و
معارفهم ولهذا كان يوم القيمة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عز وجل عظيم الغبن والخسران والمحروم
يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم الى الغني الذي
يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما اعظم الغبن على من يخس
حظه من ذلك والآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان شواهد الشرع على صحة طريق اهل التصوف

في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد اعلم ان من انكشف له ولو الشيء اليسير بطريق الالهام والوقوع
في القلب من حيث لا يدري فقد صار عالما عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك في نفسه قط فينبغي ان يؤمن به فان
درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات اما الشواهد فقوله عز وجل
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر على القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق
الكشف والالهام وقال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل
حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما علم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال الله تعالى ومن
يتق الله يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم
ويفطنه من غير تجربة وقال سبحانه وتعالى يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق
به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك كان يكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه
سؤال النور فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعطني نورا وزدني نورا واجعل في قلبي نورا وفي سمعي
نورا حتى قال صلى الله عليه وسلم في شعري وفي بشري وفي لحمي ودمي وعظامي وسئل صلى الله عليه و
سلم عن قوله عز وجل افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح فقال صلى الله
عليه وسلم هو التوسعة ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال ابن عباس رضي الله
عنهما اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وقال علي رضي الله عنه ما عندنا شيء اسره النبي صلى الله عليه وسلم
الينا الا ان يؤتي الله عز وجل عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء
انه الفهم في كتاب الله عز وجل وقال تعالى ففهمناها سليمان خص ما انكشف له باسم الفهم وكان ابو الدرداء رضي
الله عنه يقول المؤمن ينظر من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على السنتهم وقال
بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله واليه
يشير قوله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون وروى الحسن عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع وسئل بعض العلماء
عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من اسرار الله عز وجل يقذفه في قلوب احبائه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا
وقال صلى الله عليه وسلم ان من امتي محدثين ومعلمين ومكلمين وان عمر منهم وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي
انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بان التقوى مفتاح
الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم قال الله تعالى وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم
يتقون خصصها بهم وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان ابو يزيد وغيره يقول
ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظه صار جاهلا وانما العالم الذي يأخذ علمه من ربه اي وقت
شاء بلا تحفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني واليه الاشارة بقوله عز وجل وعلمناه من لدنا علما مع ان
كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل العلم اللدني الذي ينفتح في سر
القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والاخبار والآثار
لخرج عن الحصر فظهر ذلك واما مشاهدة ذلك بالتجارب فهذا ايضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة
والتابعين ومن بعدهم قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها انما هما اختاك وكانت زوجته حاملا فولدت
بنتا فكان قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال عمر رضي الله عنه في اثناء خطبته يا سارية الجبل الجبل اذ انكشف
له ان العدو قد اشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن انس بن
مالك قال دخلت على عثمان رضي الله عنه وكنت لقيت امرأة في الطريق فنظرت اليها شزرا وتأملت

العلم اللدني

مجامعتها فلما دخلت عليه قال لي يدخل علي احدكم وآثار الزنا ظاهرة في عينيه اما علمت ان زنا العين النظر
لتتوبن او لاعزرنك فقلت له اوحي بعد النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن تبصرة وبرهان
وفراسة صادقة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال دخلت المسجد الحرام فرايت فقيرا
عليه خرقتان فقلت في سري هذا واشباهه كل على الناس فناداني وقال واعلموا ان الله يعلم ما
في انفسكم فاحذروه فاستغفرت الله عز وجل في سري فناداني فقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
ثم غاب مني فلم اره وقال زكريا بن داوية دخل ابو العباس بن مسروق على ابي الفضل الهاشمي وهو عليل
وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب قال فلما قمت قلت في نفسي من اين ياكل هذا الرجل قال فصاح بي يا
ابا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله عز وجل الطافا خفية وعن احمد النقيب قال دخلت على
الشبلي فقال مفتونا يا احمد فقلت ما الخبر فقال لي كنت جالسا فجرى بخاطري انك بخيل فقلت ما انا
بخيل وعاودني خاطري وقال بلى انك بخيل فقلت ما فتح اليوم على شيء الا دفعته الى اول فقير يلقاني
قال فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب مونس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك
قال فاخذتها وقمت فخرجت فاذا انا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق راسه فتقدمت اليه وناولته
الصرة فقال اعطها المزين فقلت انها دنانير فقال اوليس قلنا لك انك بخيل قال فناولتها المزين فقال
المزين عقدنا لما جلس الفقير بين ايدينا ان لا ناخذ عليه اجرا قال فرميتها في دجلة وقلت ما اعزك
احد الا اذله الله عز وجل وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على ابي الخير التيناني فاعتقدت في نفسي
ان اسلم عليه ولا اكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده فاذا به قد لحقني وقد حمل طبقا عليه طعام
فقال يا فتى كل هذا فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان ابو الخير مشهورا بالكرامات وقال ابراهيم
الرقي قصدته مسلما فصلى صلوة المغرب ولم يقرا الفاتحة مستويا فقلت في نفسي ضاعت سفرتي
فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني سبع فعدت اليه وقلت ان الاسد قصدني فخرج وصاح على الاسد
وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى وتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظواهر واشتغلنا
بتقويم القلب فخافنا الاسد وما حكي من تفرس المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج
عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام والسؤال منه وسماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات
خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل
القاطع الذي لا يقدر على جحده احد امران احدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك
في النوم فلا يستحيل ايضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات
وكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب
وامور في المستقبل كما اشتمل عليه القران واذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم جاز لغيره اذ النبي عبارة عن شخص
كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان يكون في الوجود شخص كوشف بالحقائق
ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن آمن بالانبياء عليهم الصلوة والسلام
وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان للقلب بابين باب الى الخارج وهو باب الحواس وباب الى
الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع والوحي فاذا اقر بهما جميعا لم يمكنه
ان يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المالوفة بل يجوز ان يكون المجاهدة اليه سبيلا فهذا ما ينبه
على حقيقة ما ذكرناه من عجائب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت واما السبب في الانكشاف

الامور في المنام بالامثال المحوجة الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة بصور مختلفة للانبياء والاولياء
فذلك ايضا من اسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف
للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف وقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسالني ان املي
عليه شيئا من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد فقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد
لك بعمل تتقرب به الى الله عز وجل فقلت الستما تكتبان الفرائض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك و
هذا اشارة الى ان الكرام الكاتبين لا يطلعون على اسرار القلب انما يطلعون على الاعمال الظاهرة
وقال بعض العارفين سالت بعض الابدال عن مسئلة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله
فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم اطرق الى صدره فقال ما
تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته فسالته عن التفاته فقال لم يكن في المسئلة عندي
علم عتيد فسالت صاحب الشمال فقال لا ادري وسالت صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادري
فنظرت الى قلبي فحدثني بما اجبتك واذا هو اعلم منهما وكان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان في
امتي محدثين وان عمر منهم وفي الاثر ان الله عز وجل يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت الغالب عليه التمسك
بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال ابو سليمان الداراني رحمه الله القلب
بمنزلة القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من ابواب
القلب الى جهة الملكوت والملا الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات
الدنيا ولذلك كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين
فانه يتجلى لهم امور صادقة وقال بعض العلماء يد الله على افواه الحكماء لا ينطقون الا بما هياه الله تعالى
لهم من الحق وقال اخر لو شئت لقلت ان الله عز وجل يطلع الخاشعين على بعض سرائره

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها اعلم ان القلب كما ذكرناه في مثال قبة
لها ابواب تنصب اليه الاحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب
او مثل مرآة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فيتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها
او هو مثال حوض تنصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة عليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة
في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق
المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة
مثلا بسبب كثرة الاكل وبقوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات
الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال
والمقصود ان القلب في التغير والتاثر دائما من هذه الاسباب واخص الآثار الحاصلة في القلب هي
الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به ادراكاته علوما اما على سبيل
التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هي
المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدأ
الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والنية والنية تحرك الاعضاء والخواطر

مضروبة خ

المحركة للرغبة ينقسم الى ما يدعو الى الشر اعني ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع
في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما و
الخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة ثم كل حادث
لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله
في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود
بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة فكذلك لانوار القلب وظلماته سببان
مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف
الذي به يتهيأ القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء
وخذلانا فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله عز وجل شأنه افاضة
الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف وقد خلقه الله عز وجل وسخره لذلك والشيطان
في مقابلته عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم
بالخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان
واليه الاشارة بقوله عز وجل ومن كل شيء خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله
عز وجل فانه لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها والقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو
ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله عز وجل وهم من
العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله عز وجل امضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب
القلب بين هذين المتسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
والله سبحانه وتعالى يتعالى عن ان يكون له اصبع مركبة من عظم ولحم ودم منقسمة بالانامل ولكن روح
الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعك لشخصها بل لفعلها في التقليب
والترديد وكما انك تتعاطى الافعال باصابعك فالله عز وجل انما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان
وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل
الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشيطان قبولا متساويا ليس يترجح احدهما على الآخر وانما
يترجح احد الجانبين على الآخر باتباع الهوى والاكباب على الشهوات او الاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان
مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان
الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة
صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى
غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال صلى الله
عليه وسلم وانا الا ان الله عز وجل اعانني عليه فاسلم فلا يامر الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان
لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله عز وجل على شهوته حتى صار لا ينبسط الا حيث ينبغي و
الى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يامر الا بالخير ومهما غلب على
القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الشهوات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب

الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم فالتطارد بين جندي الملائكة
والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيتمكن ويستوطن ويكون اجتياز
الثاني اختلاسا واكثر القلوب قد فتحها جند الشيطان وملكها فامتلأت بالوساوس الداعية
الى ايثار العاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع الهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا
بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح
اثر الملائكة قال جرير بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في صدري من
الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا و
تركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله فلذلك تسلط عليه الشيطان
وقد قال الله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه اشارة الى ان الهوى الهه ومعبوده فهو عبد
الهوى لا عبد الله وقال عثمان بن العاص يا رسول الله ان الشيطان حال بيني وبين صلاتي و
قراءتي فقال صلى الله عليه وسلم ذاك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ
بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله تعالى عني وفي الخبر ان للوضوء
شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله عز وجل منه ولا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب الا
ذكر شيء سوى ما يوسوس به لانه اذا احضر في القلب ذكر شيء انعدم ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء
سوى الله وسوى ما يتعلق به فيجوز ايضا ان يكون مجالا للشيطان فذكر الله تعالى هو الذي يؤمن
جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر
الله عز وجل بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الذين الغالب
عليهم ذكر الله عز وجل وانما الشيطان يطوف بقلوبهم في اوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال
الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال
مجاهد في معنى قوله من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فان ذكر الله تعالى
خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله عز وجل ووسوسة الشيطان
كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله عز وجل استحوذ عليهم الشيطان
فانساهم ذكر الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان
ذكر الله تعالى خنس وان نسي الله تعالى التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل
اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بابي وجه لا يفلح وكما ان الشهوات ممتزجة
بلحم الآدمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان
الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله
سبحانه وتعالى اخبارا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمانهم وعن شمائلهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له
بطريق الاسلام فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه واسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال

تهاجر وتذر ارضك وسماءك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد وهو جهد النفس
والمال فتقاتل فتقتل وتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله عز وجل ان يدخله الجنة وقد ذكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهو هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وينكح نساؤه و
يقسم ماله وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة
فكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه آدمي
وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وله شيطان
فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق
والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان وانه جسم لطيف ام ليس بجسم وان كان جسما
فكيف يدخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الان غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن
هذا كمثال من دخل في ثيابه حية وهو محتاج الى دفع ضررها وبثها فاشتغل بالبحث عن طولها وعرضها ولونها
وذلك عين الجهل فمصادفة الخواطر الباعثة على الشرور قد علمت وذلك عن سبب لا محالة وعلم ان الداعي
الى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه و
تعالى عداوته في مواضع كثيرة من كتابه المجيد ليؤمن به ويحترز منه فقال تعالى ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال جل وعلا الم اعهد اليكم يا بني ادم ان
لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال
عن اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي ان يسال عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى
والشهوات وذلك كاف للعاملين واما معرفة صفات ذاته وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين
المتغلغلين في علوم المكاشفات ولا يحتاج في المعاملة الى معرفته نعم ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم
قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما
يتردد فيه فلا يدري انه من لمة الملك او لمة الشيطان فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير
والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح
فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من
الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله
عز وجل عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة
العلم ودعوة خلق الله تعالى الى الصراط المستقيم فلا يزال يستجره بلطائف الحيل الى ان يتزين لهم ويتصنع
اللفظ وباظهار الخير ويقول له ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق ولا يزال يقرر
ذلك وهو في اثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين
الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول
فيهلك بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله عز وجل ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي ان ابليس
تمثل لعيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام فقال له قل لا اله الا الله فقال عليه الصلوة والسلام كلمة حق ولا اقولها بقولك
لان تحت الخير ايضا تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبه يهلك العلماء والعباد والزهاد و

الفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض في
المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكائد الشيطان في كتاب الغرور في اخر هذا الربع و
لعلنا ان امهل الزمان صنفنا كتابا فيه على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الان تلبيسه
في البلاد والعباد وفي المذاهب والاعمال حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا للتلبيسات
الشيطان ومكائده فحق على العبد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه من لمة الملك او لمة الشيطان
وان يمعن النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى وغزارة
العلم كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور
العلم فاذا هم مبصرون اي ينكشف لهم الاشكال فاما من لم يروض نفسه بالتقوى فيميل طبعه
الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى ويكثر فيه غلطه ويتعجل به هلاكه وهو لا يشعر وفيهم
قال الله عز وجل وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي
سيئات واغمض انواع العلوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكائد الشيطان وذلك فرض
عين على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوساوس وتسلط عليهم الشيطان و
تنسيهم عداوته وطريق الاحتراز منه ولا ينجي من كثرة الوسواس الا سد ابواب الخواطر وابوابها من خارج
الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن
المال والاهل والولد تقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة من التخيلات الجارية في
القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله عز وجل ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر
الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا اخر لها الا الموت اذ لا يتخلص احد عن الشيطان ما دام حيا نعم
قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغنى قط عن الجهاد والمدافعة ما دام
الدم يجري في بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشياطين مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب
والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم
يدفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا
راحة فلا خلاص للمؤمن عنه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في السفر وقال ابن مسعود رضي الله عنه شيطان
المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج رحمه الله قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الان
مثل العصفور فقلت ولم ذاك قال تذيبني بكتاب الله عز وجل واهل التقوى لا يتعذر عليهم سد
ابواب الشياطين وحفظها بالحراسة يعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي
الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما اشرنا اليه في غرور
العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب
واحد وقد التبس ذلك الواحد بهذه الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي بقي في بادية
كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة
والعين البصيرة ههنا هو القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب
الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيما يهدي الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة
قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله

ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال صلى الله عليه وسلم هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه
ثم تلا صلى الله عليه وسلم وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لتلك الخطوط فبين صلى الله
عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين
لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا للطريق الواضح الذي لا يخفى الا ان يضطر الادمي الى
سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها
والقى في قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب فاتي بها الراهب فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها
فكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها فلم يزل به حتى وقع عليها فحملت
منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح فاقتلها فان اتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان
اهلها فوسوس اليهم والقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسالوه فقال ماتت
فاخذوه ليقتلوه بها فاتاه الشيطان فقال انا الذي اخذتها وانا الذي القيت في قلوب اهلها
فاطعني تنج اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فهو الذي قال الله عز وجل كمثل الشيطان اذ قال
للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك فانظر الآن الى حيله واضطراره الراهب الى هذه الكبائر
وكل ذلك لطاعته في قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسن فيحسن ذلك
في قلبه بخفي هوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض الى
البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه و
سلم من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه

بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب

اعلم ان القلب مثاله مثال حصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر على
حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة ابوابه من لا
يعرف ابوابه وحماية القلب عن وسواس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى
الواجب الا به فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخل الشيطان
واجبا ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى
الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان فمن ابوابه العظيمة **الحسد والحرص** ومهما كان
العبد حريصا على شيء اعماه حرصه واصمه اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم و
نور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحرص والحسد لم يبصر فوجد الشيطان
فرصة فحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روي ان نوحا على نبينا
وعليه الصلوة والسلم لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما امر فراى في السفينة شيخا
لم يعرفه فقال له نوح ما ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فتكون قلوبهم معي وابدانهم معك
فقال له نوح على نبينا وعليه الصلوة والسلام اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس خمس
اهلك بهن الناس ساحدثك منهن بثلث ولا احدثك باثنين فاوحي الى نوح انه لا حاجة بك الى الثلث
فليحدثك الاثنتين فقال له نوح على نبينا وعليه الصلوة والسلم ما الاثنتان قال هما لا يكذباني هما اللتان لا تخلفاني
بهما اهلك الناس الحسد والحرص فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما والحرص فانه ابيح لآدم الجنة
كلها فاصبت حاجتي منه بالحرص ومن ابوابه العظيمة **الغضب والشهوة** فان الغضب
غول العقل واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب به الشيطان كما يلعب

الصبي بالكرة فقد روي ان ابليس لقي موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام فقال يا موسى انت
الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وانا من خلق الله عز وجل اذنبت وانا اريد ان اتوب
فاشفع لي الى ربي ان يتوب علي قال موسى نعم فدعا موسى ربه فقيل يا موسى قد قضيت حاجتك
مره ان يسجد لقبر آدم فلقي موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام ابليس وقال قد امرت ان تسجد
لقبر آدم ليتاب عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد له حيا اسجد له ميتا ثم قال ابليس ان لك علي حقا
بما شفعت لي الى ربك فاذكرني عند ثلاث لا اهلكك فيهن وهي اذكرني حين تغضب فان روحي في
قلبك وعيني في عينك واجري منك مجرى الدم واذكرني عند لقي الزحف فاني اتي ابن آدم حين يلقى
الزحف فاذكره ولده وزوجته واهله حتى يولي واياك ان تجالس امراة ليست بذات محرم لك فاني
رسولها اليك ورسولك اليها فقد اشار في هذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف
حرص على الدنيا وامتناعه من سجوده لآدم ميتا هو الحسد وهو من اعظم مداخله وقال لبعض الانبياء على
نبينا وعليهم الصلوة والسلم لابليس باي شيء تغلب ابن آدم قال اخذه عند الغضب وعند الهوى وظهر ابليس
لراهب فقال له اي اخلاق بني آدم اعون لك قال الحدة ان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما
يقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم اذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا
غضب طرت حتى اكون في راسه ومن ابوابه العظيمة **حب التزين** في الثياب والاثاث و
الدار فان الشيطان اذا راى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار
وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها
طول عمره واذا اوقعه في ذلك فقد استغنى عن معاودته فان بعض ذلك يجره الى البعض فلا يزال
يؤديه من شيء الى شيء الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ومن ذلك
يخشى سوء الخاتمة والكفر نعوذ بالله ومن ابوابه العظيمة الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان
الشبع يقوي الشهوات والشهوات اسلحة الشيطان وروي ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا على نبينا وعليهما
الصلوة والسلام فراى عليه معاليق من كل شيء فقال له يحيى يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات
التي اصيب بها بني آدم قال فهل لي فيها شيء قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلوة وعن الذكر قال
هل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املا بطني من طعام ابدا فقال ابليس ولله علي ان لا انصح مسلما
ابدا ومن ابوابه العظيمة الطمع **في الناس** فانه اذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحسن التصنع
والتزين لمن طمع فيه كانه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل
للوصول الى ذلك واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وقد روى صفوان بن سليم ان ابليس عليه اللعنة تمثل لعبد الله بن حنظلة وقال له يا ابن حنظلة
احفظ عني شيئا اعلمك قال لا حاجة لي به قال انظر فان كان خيرا اقبلت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة
لا تسال احدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت ومن ابوابه العظيمة **العجلة** وترك
التثبت في الامور قال صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتاني من الله عز وجل قال الله تعالى خلق
الانسان من عجل وقال تعالى وكان الانسان عجولا وقال تبارك وتعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى
اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغي ان تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج الى تامل وتمهل
والعجلة تمنع من ذلك فعند الاستعجال يروج الشيطان شره من حيث لا يدري وروي انه لما ولد عيسى

بانواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه

على نبينا وعليه الصلوة والسلام اتت الشياطين ابليس فقالوا اصبحت الاصنام قد نكست رؤسها
قال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقي الارض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد
ولد واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا
وضعت الا وانا بحضرتها الا هذا فايسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني
آدم من قبل العجلة والخفة ومن ابوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر اصناف الاموال من العروض
والدواب والعقار وكل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان
فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار فلا يكفيه ما وجده بل
يحتاج الى تسعمائة اخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا والآن وجد مائة وظن انه صار غنيا
وقد صار محتاجا الى تسعمائة ليشتري دارا ويعمرها ويشتري جارية ويشتري اثاث البيت
ويشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا نهاية له
فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم ولا آخر له سواه قال ثابت البناني لما بعث النبي صلى الله
عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاؤه وقالوا
ما ندري قال ابليس انا آتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال قد بعث محمد صلى الله عليه و
سلم قال فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون
ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلوتهم فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا بهم
عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهنالك تصيبون حاجتكم منهم وروي ان عيسى على نبينا وعليه الصلوة و
السلم توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه من تحت راسه ورماه به وقال
هذا لك مع الدنيا وبالحقيقة من يملك حجرا يتوسده عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون
عدة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلوة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده
فلا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده ولو لم يكن له ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا يتحرك رغبته
الى النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فانى ينشط
لعبادة الله تعالى ومن ابوابه البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق
ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم الذي هو الموعود للكانزين كما نطق به القرآن المجيد قال خيثمة
بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما غلبني عليه ابن آدم فلن يغلبني على ثلاث ان آمره باخذ المال من غير
حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان رحمه الله ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر
فاذا قبل ذلك منه اخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ومن آفات البخل الحرص
على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هي معشش الشياطين روي عن ابي امامة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ان ابليس لما نزل الى الارض قال يا رب انزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل
لي بيتا قال الحمام قال فاجعل لي مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال ما لا يذكر
اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال المزامير قال اجعل لي قرآنا قال
الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصائد قال النساء
ومن ابوابه التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار
وذلك مما يهلك الفساق والعباد جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصانهم صفة مجبولة في

طبع الانسان من الصفات السبعية فاذا خيل الشيطان اليه ان ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته
على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشيطان
ترى الواحد منهم يتعصب لابي بكر رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط
لانواع الفساد ولو رآه ابو بكر رضي الله عنه لكان اول عدو له اذ موالي ابي بكر رضي الله عنه من اخذ سبيله
وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته رضي الله عنه ان يضع حصاة في فيه ليكف لسانه عن الكلام
فيما لا يعنيه فاين لهذا الفضولي ان يدعي ولاءه وحبه ويرى فضوليا آخر يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من
زهد علي وسيرته رضي الله عنه انه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ
فترى الفاسق لابسا الثياب الحرير ومتجملا باموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي رضي الله عنه ويدعيه وهو اول
خصمائه يوم القيمة وليت شعري من اخذ ولدا عزيزا لانسان هو قرة عينه وحيوة قلبه فاخذ يضربه ويمزقه و
ينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب ابيه وولاءه كيف يكون حاله عنده ومعلوم ان الدين
والشرع كان احب الى ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من الاهل والولد بل من انفسهم
والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون الى ابليس عدو الله عز و
جل وعدو اوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيمة عند الصحابة وعند اولياء الله رضي الله عنهم لا بل لو كشف الغطاء
وعرف هؤلاء ما يحبه الصحابة رضي الله عنهم في امة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا
من ان يجروا على اللسان ذكرهم مع قبيح اعمالهم ثم الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لابي بكر رضي
الله عنه فالنار لا تحوم حوله ويخيل الى الآخر انه اذا مات محبا لعلي رضي الله عنه لم يكن عليه خوف
وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة رضي الله عنها وهي بضعة منه اعملي فاني لا
اغني عنك من الله شيئا وهذا مثال اوردناه من جملة الاهواء وهكذا حكم المتعصبين للشافعي
وابي حنيفة واحمد ومالك وغيرهم من الائمة فكل من ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك
الامام هو خصمه اذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان
لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مسلكي ومذهبي الذي سلكته
وذهبت فيه الى الله عز وجل خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على
الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم
ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس على ذلك و
نسوا امهات دينهم فقد هلكوا واهلكوا فالله عز وجل بفضله وسعة رحمته يتوب علينا وعليهم قال
الحسن بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار
فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله عز وجل منها وهي الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون
ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون عنها ومن عظيم حيل الشيطان ان
يشغل الانسان نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال ابن مسعود رضي الله
عنه قعد قوم يذكرون الله عز وجل فاتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم فيفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة
اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون
الله واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا من مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم ومن ابوابه
حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله عز وجل وصفاته و
في امور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم بذلك في اصل الدين ويخيل اليهم في الله عز وجل خيالا يتعالى

ثم ادعيت مذهبي كاذبا فهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد اهلك الله به اكثر اهل العالم و قد سلمت المدارس لاقوام قل من الله صح

الله

عز وجل عنه فيصير به كافرا او مبتدعا وهو به فرح مسرور متبجح بما وقع في صدره فظن ان ذلك هو
المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله واشد الناس حماقة اقواهم اعتقادا
في عقل نفسه واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لنفسه وظنه واحرصهم على السؤال من العلماء قالت
عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ياتي احدكم فيقول من خلقك فيقول
الله فيقول فمن خلق الله فاذا وجد احدكم ذلك فليقل امنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه
فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يامر في علاج هذا الوسواس بالبحث فان هذا وسواس يجده عوام
الناس دون العلماء وانما حق العوام ان يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم او بمعاشهم ويتركوا العلم
الى العلماء فالعامي لو زنا او سرق كان خيرا له من ان يتكلم في العلم فانه من تكلم بغير اتقان العلم في الله
عز وجل وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد
الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا تحصر وانما اوردناه المثال **ومن ابوابه سوء الظن
بالمسلم** ولذلك قال الله عز وجل اجتنبوا كثيرا من الظن ومن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان
على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او يتوانى في اكرامه او ينظر اليه بعين
الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال
صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم حتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احترز من ذلك وروى
علي بن الحسين رضي الله عنهما ان صفية بنت حيي اخبرته ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا قالت
فاتيته فحدثته عنده فلما امسيت انصرفت فقام صلى الله عليه وسلم يمشي معي فمر به رجلان من الانصار
فسلما ثم مضيا فدعاهما صلى الله عليه وسلم فقال انها صفية بنت حيي فقالا يا رسول الله فظن بك
الا خيرا فقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يدخل عليكما
فانظر كيف اشفق النبي صلى الله عليه وسلم على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم
الورع المعروف بالدين في احواله فيقول مثلي لا يظن به الا خير اعجابا منه بنفسه فان اورع الناس
واتقاهم واعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم
وبعين السخط بعضهم **شعر**
وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا
فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رايت
انسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما يرى
غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة
الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردت استقصاء جميعها لم اقدر عليه وفي هذا القدر
ما ينبه على غيره فليس في الادمي صفة مذمومة الا وهي سلاح للشيطان ومدخل من مداخله فان قلت
فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله عز وجل وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله فاعلم
ان علاج ذلك سد هذه المداخل وتطهير القلب عن هذه الصفات المذمومة وذلك يطول ذكره
وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات ويحتاج كل صفة الى كتاب مفرد
على ما سياتي شرحه ان شاء الله نعم اذا قلعت من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب
اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا يتمكن
من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث
نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم

طائف من الشيطان تذكروا اخصص ذلك بالمتقي ومثال الشيطان مثال كلب جائع يقرب منك
فان لم يكن بين يديك لحم او خبز فانه ينزجر بان تقول له اخسا فمجرد الصوت يدفعه وان كان
بين يديك شيء من ذلك وهو جائع فانه يهجم عليه ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت
الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي
القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب واما قلوب المتقين الخالية من الهوى
والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد
الى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله وسائر الايات والاخبار الواردة
في الذكر وقال ابو هريرة رضي الله عنه التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين
دهين كاس واذا شيطان المؤمن مهزول اشعث عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن
ما لك قال انا مع رجل اذا اكل سمى الله فاظل جائعا واذا شرب سمى الله فاظل عطشان واذا ادهن
سمى الله فاظل اشعث واذا لبس سمى الله فاظل عريانا فقال شيطان الكافر لكني مع رجل لا يفعل
شيئا مما ذكرت فانا اشاركه في طعامه وشرابه ولباسه وكان محمد بن واسع رحمه الله يقول
كل يوم بعد صلوة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث
لا نراهم اللهم فايسه منا كما ايسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه
كما باعدت بينه وبين جنتك انك على كل شيء قدير فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد فقال له يا ابن
واسع هل تعرفني قال ومن انت قال انا ابليس قال وما تريد قال اريد ان لا تعلم احدا من هذه
الاستعاذة قال والله لا امنعها ممن ارادها فاصنع الان ما شئت وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى
رحمه الله قال كان شيطان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي
فيقرا ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبريل فقال قل اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر
من شر ما ذرا في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن
طوارق الليل الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال صلى الله عليه وسلم ذلك فطفئت شعلته وخر على
وجهه وقال الحسن نبئت ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا
اويت الى فراشك فاقرا اية الكرسي وقال صلى الله عليه وسلم لقد اتاني شيطان فنازعني ثم نازعني
فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة اخي سليمان
لاصبح طريحا وقال صلى الله عليه وسلم ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غير فجه وهذا لان هذه
القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان عنك
بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان محالا وكنت كمن طمع في ان يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة
مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع في ان ينفعه الدواء كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة فالذكر دواء و
التقوى احتماء يخلي القلب من الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما يندفع
العلة بنزول الدواء في معدة خالية عن الاطعمة قال الله عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال
تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فقد تولاه
وان ذكر الله عز وجل بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم
ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتامل

ان منتهى ذكرك وعبادتك صلوتك فراقب قلبك اذا كنت في صلوتك كيف يتجاذبه الشيطان الى
الاسواق وحساب المتعاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا
تذكر ما نسيته من فضول الدنيا الا في صلوتك ولا يزدحم الشياطين على قلبك الا اذا صليت والصلوة
محك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساويها فالصلوة لا تقبل من القلوب المحشوة بشهوات الدنيا فلا جرم
لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فان
شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما فر
من عمر رضي الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله عز وجل ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه
في السر اي انت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته
بطغيانه وكما ان الله عز وجل قال ادعوني استجب لكم وانت تدعو ولا يستجاب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب
الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء وقيل لابرهيم بن ادهم ما لنا ندعو ولا يستجاب لنا وقد قال تعالى
ادعوني استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها قال ثمان خصال عرفتم حق الله سبحانه وتعالى فلم
تقوموا بحقه وقرأتم القران فلم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت
فلم تستعدوا له وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فواطأتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار وارهقتم ابدانكم
فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم
ربكم فكيف يستجيب لكم فان قلت فالداعي الى المعاصي المختلفة شيطان واحد او شياطين مختلفون فاعلم انه لا
حاجة بك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل ولا تسأل عن المبقلة و
لكن الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه
ويدعو اليه فاما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات
يدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس
خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من امره فذكر ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور
فاما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما
الاعور فهو صاحب الزنا يأمر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل الى اهله
يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظالمين وشيطان الصلوة
يسمى خنزب وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد ورد في ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين فيهم كثرة
فكذلك في الملائكة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل يتفرد به و
قد قال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه
من ذلك البصر عليه سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا
لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يديه فاغر فاه وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين
وقال ايوب بن يزيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشؤن معهم وقال جابر بن عبد الله ان
آدم على نبينا وعليه الصلوة والسلم لما اهبط قال يا رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة ان لا
تعينني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال رب زدني قال اجزي بالسيئة سيئة و
بالحسنة عشرا الى ما اريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد روح وقال ابليس يا رب
هذا العبد الذي كرمته علي ان لا تعينني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك مثله قال يا رب زدني

نخس صح

يولد له

قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذون من بيوتهم صدورا قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك
الى قوله تعالى الا غرورا وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله عز و
جل الجن ثلاثة اصناف صنف كالحيات والعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء
وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله عز وجل الانس ثلاثة اصناف صنف كالبهائم قال الله
عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها وصنف اجسادهم اجساد بني ادم وارواحهم
ارواح الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم لا ظل الا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا ان ابليس تمثل
ليحيى بن زكريا على نبينا وعليهما الصلوة والسلم فقال له انصحك فقال لا اريد ذلك ولكن اخبرني عن بني
ادم قال هم عندنا ثلاثة اصناف اما صنف منهم فهو اشد الاصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونتمكن منه ثم
يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء ادركنا منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن نيأس منه
ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء واما الصنف الاخر فهم في ايدينا بمنزلة الكرة في ايدي
الصبيان نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا انفسهم واما الصنف الاخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على
شيء فان قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا رأى صورته فهل هي صورته الحقيقية
او مثال يتمثل به فان كان صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في
مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان لهما صورتان
هي حقيقة صورتهما ولا يدرك حقيقة صورتهما الا بانوار النبوة فما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبرئيل
في صورته الا مرتين وذلك انه صلى الله عليه وسلم سأله ان يريه نفسه على صورته فواعده ذلك بحراء
فطلع عليه جبرئيل فسد الافق من المشرق الى المغرب ورآه صلى الله عليه وسلم مرة اخرى على صورته ليلة المعراج
عند سدرة المنتهى وانما كان يراه في صورة الادمي غالبا وكان يراه صلى الله عليه وسلم في صورة دحية
الكلبي وكان رجلا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف لاهل المكاشفة من الصالحين ارباب القلوب
بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه فيقوم ذلك مقام حقيقة
صورته كما ينكشف في المنام لاكثر الصالحين وانما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى الى رتبة لا يمنعه
اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في النوم فيرى في اليقظة ما يراه غيره في النوم
كما روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ان رجلا سأل ربه عز وجل ان يريه موضع الشيطان
من قلب ابن ادم فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في
صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه واذنه له خرطوم طويل دقيق قد ادخله من منكبه
الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله عز وجل خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة
وقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا
وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لا بد وان يظهر فيه حقيقة من الوجه الذي
يقابل الملكوت وعند ذلك يظهر اثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لان احدهما متصل
بالاخر وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحي ووجه الى عالم
الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة
لان عالم الشهادة كله متخيلات الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس
فيجوز ان لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخص جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان
عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلب فلا

بالمشاهدة صح

لا يكون الا محاكية للصفة وموافقة لها لان الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا جرم لا يرى المعنى
القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك
الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على انسان خبيث ويدل
الشاة على انسان سليم الجانب وهكذا جميع ابواب التعبير وهذه اسرار عجيبة وهي من عجائب علوم
القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود ان تصدق بان الشيطان ينكشف لارباب
القلوب وكذا الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما في النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثيل
بصورة محاكية للمعنى هي مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف
دون من حواليه كالنائم

بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب

وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه و
لا يؤاخذ به اعلم ان هذا امر غامض وقد وردت فيه اخبار وايات متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا على سماسرة العلماء فقد
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها وقال ابو هريرة
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا
تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها
عشرا وقد اخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة
وفي لفظ اخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له الى سبعمائة ضعف
ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت وفي لفظ اخر واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا
اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فاما ما يدل على المؤاخذة فقوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يحاسبكم به الله وقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان
عنه مسؤلا فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقوله تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن
يكتمها فانه اثم قلبه وقوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم و
الحق في هذه المسئلة عندنا لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب من مبدا ظهورها
الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امراة وانها وراء
ظهره في الطريق لو التفت اليها لراها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع
وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا
ينبغي ان يفعل اي ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه
قد يمنعه حياء او خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتامل وهو على كل حال حكم
من جهة العقل ونسمي هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل والرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم
النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدا ضعيف ولكن اذا اصغى
القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تاكدت هذه الهمة وصارت ارادة مجزومة فاذا انجزمت
الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل بها ولا يلتفت وربما يعوقه عائق
فيتعذر عليه العمل فههنا اربعة احوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد
ثم الهم فنقول اما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان
ايضا تحت الاختيار وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس
عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل واما العزم والهم فلا يسمى حديث نفس بل
حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه حيث قال يا رسول الله نفسي تحدثني ان اطلق

خولة قال صلى الله عليه وسلم مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال
صلى الله عليه وسلم مهلا ان خصاء امتي دؤب الصيام قال نفسي تحدثني ان اترهب قال
صلى الله عليه وسلم مهلا ان رهبانية امتي الجهاد والحج قال رضي الله عنه نفسي تحدثني ان اترك
اللحم قال صلى الله عليه وسلم مهلا اني احبه ولو اصبته لاكلته ولو سالت الله عز وجل لاطعمني فهذه
الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ
لم يكن معه هم وعزم بالفعل واما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا متردد بين
ان يكون اختيارا او اضطرارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به
واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه ان لم يفعل نظر فان تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت
له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله عز وجل
والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع وهو العمل لله عز وجل اشد من
جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له حسنة لانه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل
وان تعوق الفعل بمانع او تركه لعذر لا خوفا من الله عز وجل كتبت له سيئة فان همه فعل من القلب اختياري و
الدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال تعالى ارقبوه فان عملها فاكتبوها بمثلها وان تركها
فاكتبوها له حسنة انما تركها من جراي وحيث قال لم يعملها اراد به تركها لله عز وجل فاما اذا عزم على فاحشة و
تعذرت عليه بسبب او غفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن
نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزني بامراة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد
هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما
فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال صلى الله عليه وسلم لانه اراد قتل صاحبه
وهذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل مظلوما فكيف يظن ان الله عز وجل لا يؤاخذ بالنية والهم
وكل ما دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به الا ان يكفره بحسنة واما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل
ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله عز وجل ان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة رضوان الله عليهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه و
سلم لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله عز وجل الفرج بقوله
تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به
فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن ان كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق
بين هذه الاقسام الثلاثة فلا بد وان يغلط وكيف لا يؤاخذ باعمال القلوب والكبر والعجب والرياء و
النفاق والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلوب بل السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا
اي مما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير محرم لم يؤاخذ بها فان اتبعها بنظرة ثانية
كان مؤاخذا بها لانه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب اولى بمؤاخذته لانه الاصل قال
صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم وقال صلى الله عليه وسلم البر ما اطمان اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا حكم

الاثم حزاز القلوب وقال م

قلب المفتي بالحجاب شيء وكان مخطئا صار مثابا على فعله بل من ظن انه متطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر كان له ثواب بفعله وان تركه ثم تذكر كان معاقبا ومن وجد على فراشه امراة فظن انها زوجته لم يعص بوطئها وان كانت اجنبية وان ظن انها اجنبية ثم وطئها عصى وان كانت زوجته كل ذلك نظرا الى القلب دون الجوارح

بيان ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر ام لا

اعلم ان العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسئلة على خمس فرق فقالت فرقة ان الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى لانه صلى الله عليه وسلم قال اذا ذكر الله خنس و الخنوس هو السكوت فكانه يسكت وقالت فرقة لا ينعدم اصلا ولكن يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر صار محجوبا عن التاثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يتكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا اثرها ايضا ولكن تسقط غلبتها للقلب فكانه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر بها في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن انها متساوقة وهو كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانها اذا ادرت بسرعة رايت النقط دوائر لسرعة تواصلها بالحركة فاستدل هؤلاء بان الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت طائفة ان الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى في حالة واحدة بعينيه شيئين فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله اربع اعين عينان في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوساوس وانما نظر كل واحد الى صنف واحد من الوساوس واخبر عنه والوسواس اصناف الاول ان يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان لا تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر الم عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله عز وجل وعظيم ثوابه وعقابه وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله و وعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع ان يقول ليس النار اشد من الصبر على المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب بعمله فيقول اي عبد يعرف الله عز وجل كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك من الله عز وجل فيتذكر العبد ان معرفته وقدرته وقلبه واعضاءه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله عز وجل فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لم يمكنه ان يقول ليس هذا من الله عز وجل لان المعرفة والايمان يدفعه فهذا النوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين بنور الايمان والمعرفة الصنف الثاني ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في التحريك ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فيكون الوسوسة موجودة و لكنها مدفوعة غير غالبة الصنف الثالث ان يكون وسوسته بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتفكر في غير امر الصلوة مثلا فاذا اقبل على الذكر فيتصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر و الوسوسة ويتصور ان يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كانهما في موضعين من القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا انه متصور لما ذكره صلى الله

عليه وسلم الا انه لا يتصور ذلك الا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا نرى المستوعب القلب بعدو تاذى به قد يتفكر مقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غيره وكذا المستغرق في الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز واحد بين يديه كان كانه لا يراه واذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على جاه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله عز و جل وباليوم الاخر فاذا تاملت جملة هذه الاقسام واصناف الوساوس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص عن الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيد جدا ومحال في الوجود ولو تخلص احد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي انه صلى الله عليه وسلم نظر الى علم ثوبه في الصلوة فلما سلم رمى ذلك الثوب وقال شغلني عن الصلوة وكان في يده صلى الله عليه وسلم خاتم من ذهب فنظر اليه على المنبر فرماه وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وطراز الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رماه ولا ينقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها الا بالرمي و المفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا فلا يخليه الشيطان في صلوته عن الذكر والفكر في ديناره انه كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به احد وكيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس فمن انشب مخالبه في الدنيا وطمع ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن ان الذباب لا يقع عليه وهو محال فالدنيا باب عظيم لوساوس الشيطان وليس له باب واحد بل ابواب وقال حكيم من الحكماء الشيطان ياتي ابن ادم من قبل المعاصي فان امتنع اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان ابى شككه في وضوءه وصلوته حتى يخرجه عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلوبهم اليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده يشتد الحاجة فانها اخر درجة ويعلم انه لو جاوزه افلت منه الى الجنة

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات

اعلم ان القلب كما ذكرنا يكتنفه الصفات التي ذكرناها وينصب اليه الاثار والاحوال من الابواب التي وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء يتاثر به اصابه من جانب اخر ما يضاده فيتغير وصفه فان نزل الشيطان به فدعاه الى الهوى نزل الملك به وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان اخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه ملك اخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله عز وجل و نقلب افئدتهم وابصارهم ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عظيم صنع الله في عجائب القلوب وتقلبها كان يحلف به ويقول لا ومقلب القلوب وكان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا وتخاف يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي لفظ اخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة امثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال صلى الله عليه وسلم مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال صلى الله عليه وسلم صح

سلم مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجيب صنع الله في تقلبها

وما الله

انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علم يقينا

من حيث لا يهتدي اليه ولا يعرفه الا المراقبون لقلوبهم والمراعون لاحوالهم مع الله تعالى واما القلوب
في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما فثلاثة قلب عمر بالتقوى وزكى بالرياضة وطهر عن
خبائث الاخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما
خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بد
من فعله ويستحثه عليه ويدعوه الى العمل به فينظر الملك الى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه
مستنيرا بضياء العقل معمورا بانواع المعرفة فيكون صالحا لان يستقر به يكون مستقرا له و
مهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا يرى ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الى الخير وكذلك على الدوام
ولا يتناهى امداده بالترغيب في الخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله عز وجل فاما من
اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة
الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء فلا
يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكائد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي
زخرف القول غرورا ولا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا
بالمنجيات التي سنذكرها من الصبر والشكر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضى والشوق
والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل الله عز وجل بوجهه وهو القلب المطمئن
المراد بقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب والمراد بقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة القلب الثاني
القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالاخلاق الذميمة المفتوح فيه ابواب الشياطين
المسدود عنه ابواب الملائكة ومبدأ الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب
الى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس به
واستمر على استنباط الحيل في موافقة الهوى ومساعدته فتستولي النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر
بالهوى وينبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع
مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والاماني ويوحي بذلك زخرفا من القول
غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين بخوف الآخرة اذ يتصاعد عن
الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ انواره فيصير العقل كالعين الذي ملأ الدخان اجفانها
فلا يقدر على ان ينظر وهكذا يفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكانا للتوقف والاستبصار
ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان
وتحركت الجوارح على وفق الهوى وظهرت المعصية الى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله عز وجل
وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب
ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وبقوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم
فهم لا يؤمنون وبقوله تعالى سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ورب قلب هذا حاله بالاضافة
الى جميع الشهوات ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الاشياء
ولكن اذا راى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه او كالذي لا يملك نفسه
فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه عند

الغضب مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار
بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروة والتقوى وكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى
القلب حتى يظلم وتنطفئ منه انوار البصيرة فينطفئ نور الحياء والمروة والايمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان
القلب الثالث قلب تبدو فيه خاطر الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث
النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع
في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب
فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل ويقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد
ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه افتترك
ملاذ الدنيا لهم يتمتعون منها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك اهل الزمان
اتريد ان تزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم
الفلاني ليس يحترز عن مثل ذلك ولو كان شرا لامتنع عنه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل
الملك حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة افتقنع بلذة يسيرة وتترك
لذة الجنة ونعيمها ابد الآباد ام تستثقل الم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل الم النار اتغتر بغفلة الناس
عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع ان عذاب النار لا يخفف عنك بمعصية غيرك
ارايت لو كنت في صيف ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد اكنت تساعد الناس
ام تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند
ذلك يميل القلب النفس الى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب
على القلب من هو اولى به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرنا
غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشياطين معرضا عن حزب الله تعالى واوليائه ومساعدا
لحزب الشيطان واعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وان كان
الاغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة و
تهوينه امر الآجلة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما قد سبق من القضاء على
جوارحه وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين تجاذب هذين الحزبين وهو الغالب اعني
التقلب والانقلاب من حزب الى حزب اما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة او حزب الشياطين
فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة
خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهي اذا ظهرت كانت علامات تعرف ارباب القلوب
سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له الطاعة واسبابها ومن خلق للنار يسرت له اسباب المعصية
وسلط عليه اقران السوء والقي في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحكم يغر الحمقى كقوله ان الله رحيم
فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله عز وجل فلا تخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا
يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن الله
عز وجل بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك

بقضاء الله تعالى وقدره فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل
صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي
ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب
لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلا فاستعملهم
بالمعاصي وعرف الخلق علامة أهل النار وأهل الجنة فقال تبارك وتعالى إن الأبرار لفي نعيم
وإن الفجار لفي جحيم ثم قال تعالى فيما روي عن جل جلاله نبينا صلى الله عليه وسلم هؤلاء إلى الجنة
ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي فتعالى الله الملك الحق لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
فلنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فإن استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وإنما
ذكرنا ما يحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم المعاملة وأسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا
يجتزي بالقشور عن اللباب بل يتشوق إلى دقائق الأسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع إن
شاء الله تعالى آخر كتاب عجائب القلب والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد
المرسلين وعلى آله وأصحابه الطيبين أجمعين

كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق

وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره وزين صورة
الإنسان بحسن تقويمه وتقديره وسهل على خواص عباده وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله و
مقاديره وفوض تحسين الأخلاق إلى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره
وسهل على خواص عباده تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل عسيره والصلاة و
السلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح أنوار النبوة من
أساريره ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الإسلام
عن ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره أما بعد
فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة
مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة و
المخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة من جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في
سلك الشيطان اللعين وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة كما أن الأخلاق
الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب
وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد وأين منه المرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد
ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت حياة
فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفيها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع
من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكمت و

ترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد إلى تأنق في معرفة عللها وأسبابها ثم إلى التشمير في علاجها و
إصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد أفلح من زكاها وإهمالها هو المراد بقوله تعالى وقد خاب
من دساها ونحن نشير في هذا الكتاب إلى جمل من أمراض القلب وكيفية القول في معالجتها على الجملة
من غير تفصيل لعلاج خصوص الأمراض فإن ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا
الآن النظر الكلي في تهذيب الأخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن
مثالا له ليقرب من الأفهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن
الخلق ثم بيان قبول الأخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان
تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ورياضة النفس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلوب ثم
بيان الطريق الذي به يعرف الإنسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على أن طريق المعالجة للقلوب
بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول
النشوء ثم بيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة فهي أحد عشر فصلا يجمع مقاصد الكتاب إن شاء الله
تعالى

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم و
قالت عائشة رضي الله عنها كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن قال تعالى خذ العفو وأمر
بالعرف وأعرض عن الجاهلين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تصل من قطعك وتعطي من
حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وقال صلى الله عليه وسلم
أثقل ما يوزن في الميزان خلق حسن وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يا
رسول الله ما الدين فقال صلى الله عليه وسلم حسن الخلق ثم أتاه من قبل يمينه فقال ما الدين قال صلى الله
عليه وسلم حسن الخلق ثم جاء من قبل شماله فقال ما الدين قال صلى الله عليه وسلم حسن الخلق ثم أتاه من
ورائه فقال ما الدين فالتفت إليه صلى الله عليه وسلم فقال أما تفقه هو أن لا تغضب وقيل يا رسول
الله ما الشؤم قال صلى الله عليه وسلم سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال
اتق الله عز وجل حيث كنت قال زدني قال صلى الله عليه وسلم أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال
صلى الله عليه وسلم خالق الناس بخلق حسن وسئل صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل فقال حسن الخلق
وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال
صلى الله عليه وسلم لا خير فيها هي من أهل النار وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله عز وجل الإيمان قال
اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه
بالبخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا
يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما وقال صلى الله عليه وسلم حسن
الخلق خلق الله الأعظم وقيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل إيمانا قال صلى الله عليه وسلم أحسنهم
خلقا وقال صلى الله عليه وسلم إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق

وقال صلى الله عليه وسلم ايضا سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ قد احسن الله خلقك فاحسن خلقك
وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن
ابي مسعود البدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي
وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء يقول اللهم اني اسالك
الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم
المرء دينه ومروته عقله وحسبه خلقه وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسألون
النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما اعطي العبد قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ان
احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم يكن فيه او واحدة منهن فلا تعتدن بشيء من عمله تقوى
تحجزه عن معاصي الله او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به في الناس وكان من دعائه صلى الله عليه
وسلم اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف
سيئها الا انت وقال انس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال ان حسن الخلق
ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال صلى الله عليه وسلم اليمن حسن الخلق وقال صلى الله
عليه وسلم لابي ذر رضي الله عنه يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن انس قال
قالت ام حبيبة يا رسول الله ارايت المراة منا يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون
الجنة لايهما تكون قال صلى الله عليه وسلم لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا ام حبيبة ذهب
حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم
وفي رواية درجة الظمآن في الهواجر بحسن خلقه وكرم ضريبته وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا
عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه و
بينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه وادخله على الله عز وجل وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الاخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وروي ان
عمر رضي الله عنه استاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية
اصواتهن فلما استاذن عمر تبادرن الحجاب ودخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر رضي الله
عنه مم تضحك بابي انت وامي يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم عجبت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك
تبادرن الحجاب فقال عمر رضي الله عنه فانت كنت احق ان يهبن يا رسول الله ثم اقبل عليهن عمر فقال اي عدوات
انفسهن اتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن نعم انت افظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم
واغلظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط
سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال صلى الله عليه وسلم سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح
وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك جهنم **الاثار** قال ابن لقمان الحكيم لابيه يا
ابتاه اي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كان اثنين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلاثا قال
الدين والمال والحياء قال فاذا كانت اربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فاذا كانت
خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فاذا كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت
فيه الخمس الخصال فهو نقي تقي لله ولي ومن الشيطان بريء وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه و
قال انس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه
اسفل دركة في جهنم وهو عابد وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب
بن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن
الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيء الخلق وصحب ابن المبارك رجلا سيء الخلق في سفره فكان يحتمل منه
ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال بكيت رحمة عليه فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال
الجنيد اربع يرفع العبد الى اعالي الدرجات وان قل علمه وعمله الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق و
هو كمال الايمان وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وقال
عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة
لا ينفع معها كثرة الحسنات وسئل ابن عباس ما الكرم فقال ما بين الله في كتابه ان اكرمكم عند الله اتقاكم
قيل له ما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس واساس الايمان حسن الخلق و
قال ابن عطاء ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى صلى الله عليه وسلم
واقرب الخلق الى الله تعالى السالكون اثاره بحسن الخلق **بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق**
اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة الخلق الحسن وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته ثم لم
يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وكان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر
حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل
الندى وكف الاذى وقال الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله عز وجل وقال شاه
الكرماني رحمه الله هو كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم هو ان يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا
وقال الواسطي مرة هو ارضاء الخلق في السراء والضراء وقال ابو عثمن هو الرضى عن الله عز وجل وسئل سهل
عن الخلق فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة بالظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقال
مرة ان لا يتهم مولاك في الرزق وتثق به وتسكن الى الوفاء بما ضمن وتطيعه مولاك ولا تعصيه في جميع الامور فيما
بينك وبينه وبينك وبين الخلق وقال علي رضي الله عنه حسن الخلق ثلاث اجتناب المحارم وطلب الحلال و
التوسيع على العيال وقال الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وقال
الخراز ان لا يكون لك همة غير الله تعالى فهذا وامثاله كثير فنقول الخلق والخلق عبارتان يستعملان
معا يقال فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة الظاهرة وبالخلق
الصورة الباطنة وذلك ان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة
ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة فالنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك
بالبصر ولذلك عظم الله تعالى امره بالاضافة الى نفسه فقال عز وجل اني خالق بشرا من طين فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فنبه على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله عز وجل والمراد بالروح

والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منها افعالا قبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور لحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان يصدر منها الافعال بسهولة من غير روية لان من يتكلف بذل المال والسكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة النفس بها يميل الى احد الجانبين ويتيسر عليها احد الامرين اما الحسن او القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث او لرياء وليس هو عبارة عن القوة لان نسبة القوة الى الامساك والاعطاء بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميع بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهي الهيئة التي بها تستعد النفس لان تصدر منها الامساك والبذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها ليتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة وتناسبت حصل حسن الخلق وهي قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال واذا انصلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله عز وجل ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها في ان يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في ان يكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة الدين والعقل واما قوة العدل فهو في ضبط قوة الغضب والشهوة والعلم تحت اشارة العقل والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون بعض و حسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمي ذلك تهورا وان مالت الى الضعف والنقصان سمي ذلك جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمي ذلك شرها وان مالت الى النقصان سمي خمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفا زيادة و

نقصان بل له ضد واحد واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة دهاء وخبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذا امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها تدرك الصواب من الخطأ في جميع الافعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تادب قوة الشهوة بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يصدر حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الراي واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها يصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون واعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل وقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا يكون له روية صحيحة في طريق الوصول الى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل اختياره وايثاره فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وامثالها وهي اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب واما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط والتفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربع وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن جملة هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين البلاد والعباد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي ان يبعد كما ان الملك الاول قريب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدى ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال صلى الله عليه وسلم وقد اشار القران الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله الاية فالايمان بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله تعالى الصحابة رضوان الله عليهم فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان

والناس فيها متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله عز وجل بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم

السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط والتفريط فيصدر منه

اركانه وثمراته وفروعه **بيان قبول الاخلاق** للتغيير بطريق الرياضة اعلم ان بعض من غلبت
البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم تسمح
نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق لا يتصور تغييرها وان
الطباع لا تتغير واستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق صورة الظاهر
والخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالطويل لا يمكنه ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر ان يجعل
نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى والثاني انهم
قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى
المزاج والطبع فانه قط لا ينقلع عن الادمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع
التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير
لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف
ينكر هذا في حق الادمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من الاكل الى
التادب والامساك والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف
للغطاء عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للادمي واختياره في اصله وتفصيله
كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر اجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو
حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة قبول الكمال
بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت
خلقة يمكن ان تصير نخلا اذا انضاف اليها التربية ولا تصير تفاحا اصلا ولا بالتربية فاذا صارت
النواة متاثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما
وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا اسلاسهما وقودهما بالرياضة و
المجاهدة قدرنا عليه وامرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات
مختلفة فبعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة الغريزة
في اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان
ولكن اصعبها امرا واعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبي في مبدا
الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين وربما تخلق له الغضب وبعد ذلك تخلق له قوة التمييز
السبب الثاني ان الخلق قد يتاكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا و
مرضيا والناس فيه على اربع مراتب الاولى هو الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح
بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم يتم ايضا شهوته باتباع اللذات فهذا
سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى تعليم مرشد والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة
فيحسن خلقه في اقرب زمان الثاني ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له
سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهوته واعراضا عن صواب رايه لاستيلاء الشهوة عليه لكن علم تقصيره
في عمله فامره اصعب من الاول اذ تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه من كثرة التعود

والجبل م

الفساد والاخر ان يغرس في نفسه صفة التعود للصلاح ولكنه بالجملة قابل للرياضة ان انتهض
لها بجد وتشمير وحزم الثالث ان يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة و
انها حق وجميل وتربى على ذلك فهذا يكاد يمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور و
ذلك لتضاعف اسباب الضلال الرابع ان يكون مع نشوه على الراي الفاسد و
تربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن ان ذلك
يرفع من قدره وهذا هو اصعب المراتب وفي مثله قيل من التعذيب تهذيب الذيب والاول من
هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال
وفاسق وشرير واما الخيال الاخر وهو ان الادمي ما دام حيا فلا ينقلع عنه الغضب والشهوة
وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة
قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في
الجبلة ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان
عن نفسه ما يهلكه عن نفسه وهلك ومهما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى الشهوة
حتى يحمله ذلك الى امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال
الذي هو وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو
عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال
تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل
الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء عليهم السلم
لم ينفكوا عن ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان
يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه
عن الحق وقال تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الشهوة والغضب الى
الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط له والغالب
عليه ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما يستولي الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على
دفعهما عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى حد الاعتدال فدل على ان ذلك ممكن و
التجربة والمشاهدة تدل عليه دلالة لا شك فيها والذي يدل على ان المطلوب هو الوسط في الاخلاق
دون الطرفين ان السخاء خلق مطلوب شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد اثنى الله عز
وجل عليه والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال تعالى
كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى في الغضب اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة
القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والجود
ايضا من عوارض الدنيا وشرط القلب ان يكون سليما بينهما اي لا يكون ملتفتا الى المال فلا يكون
حريصا الى امساكه ولا حريصا على انفاقه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق

ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان م

ال

ل

كما أن الحريص على الامساك مصروف القلب الى المال وكان كمال القلب ان يصفو عن الوصفين جميعا واذا لم يمكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه لعدم الوصفين وابعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفي قصد الامور ذميم وهذا هو المطلوب وهو ممكن نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد ان يقبح عنده الغضب راسا ويذم امساك المال راسا ولا يرخص له في شيء منه لانه لو رخص له في ادنى شيء منه اتخذ ذلك عذرا في استيفاء بخله وغضبه وظن انه القدر المرخص فيه واذا قصد قلع الاصل وبالغ فيه لم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له ان يقصد قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود ولا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن ان غضبه بحق وان امساكه بحق

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق

على الجملة قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها مطيعة للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير معلم ومؤدبا بغير مؤدب كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وكذا سائر الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولا يبعد ان يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل فيه ذلك بالتعود ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الاخلاق بالمجاهدة والرياضة واعني بها حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا لنفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير بنفسه جوادا وكذا من اراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك خلقا له وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذي يستلذ بالتواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع العادات السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركها لا بالاضافة الى فعلها عن طوع ولذلك قال تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون كذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السعادة قال طول العمر في طاعة الله عز وجل ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها في القلب وانما يتأكد تاثيرها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان ينقلع عن النفس حب الدنيا ويترسخ فيها حب الله عز وجل فلا يكون شيء احب اليه من الله عز وجل وذلك بان يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به ومستلذا ولا ينبغي ان يستبعد مصير الصلوة قرة عين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في النفس عجائب اعجب من ذلك فانا نرى الملوك والمنعمين في احزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من اللذة والفرح بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير القمار مع ان القمار ربما سلبه ماله وخرب داره وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه له وصرف نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول نهاره في حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بالمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جو السماء بل ترى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى تقديمه الى الصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه حتى يقطع الواحد اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطاه غيره فيصر على الانكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء وترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الملوك والعلماء وكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك في المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ بالباطل وتميل الى القبائح فكيف لا تستلذ بالحق لو ردت اليه مدة والزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل الى اكل الطين وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميلها الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فهو مقتضى طبع القلب فانه امر رباني وميله الى مقتضيات الشهوات غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله تعالى ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض حل به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببا حياتها فكل قلب مال الى حب شيء سوى حب الله عز وجل فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب ذلك الشيء لكونه معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذا قد عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعني النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه اثر الى القلب والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير ذلك صفة راسخة في نفسه فيصدر

ومن العادة فلا يستعمل جميع آلاته الا على الوجه الذي يوصل اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها الا على الوجه الذي يوصل الى الله صح

يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما

منه بالآخرة الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا
ولكن الاول بتكلف الا انه ارتفع منه اثر الى النفس ثم انخفض من النفس اثره الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن
طبعا وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى
ينعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيف النفس حليما متواضعا فيلزمه ان
يتعاطى افعال هؤلاء تكلفا حتى يصير له ذلك طبعا فلا علاج له الا ذلك وكما ان طالب فقه النفس لا ييأس من هذه الرتبة
بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة
يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة في يوم واحد تدعو الى مثلها
ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل راسا فيفوتها فضيلة الفقه وكذلك صغائر المعاصي
يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس اثره
في تفقيه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا فشيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة
الواحدة لا يحس باثرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعات
فان الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد تاثير فما من طاعة الا ولها اثر وان
خفي فلها لا محالة ثواب لان الثواب بازاء الاثر وكذا المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم و
ليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوما الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه وكذا من يستهين بصغائر
المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي الى ان يختطفه الموت بغتة او تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه و
يتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير فيصير القلب مقيدا بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه
من مخالبها وهو المعني بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا و
من خلفهم سدا ولذلك قال علي رضي الله عنه الايمان يبدو في القلب نكتة بيضاء فكلما ازداد الايمان
ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق يبدو في القلب نكتة سوداء
فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا قد عرفت ان الاخلاق
الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة ارباب الافعال
الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسترق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت
في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا
بالطبع واتفق له الاقران السوء فتعلم منهم وتيسرت له اسباب الشر حتى تعوده فهو في غاية البعد من الله عز
وجل وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون

بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق

قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس
والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ
البدن مثالا فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والاخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والاخلاق
الجميلة اليها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها اليه وكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال
وانما يعتري العلة المغيرة لعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيحا على الفطرة

وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه اي بالاعتياد والتعليم يكتسب الرذائل وكما ان البدن في الابتداء
لا يخلق كاملا وانما يكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك
النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم
وكما ان البدن ان كان صحيحا فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشانه جلب
الصحة اليه فكذلك النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي ان تسعى لحفظها و
جلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي ان
تسعى لجلب ذلك اليها وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها ان
كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها
بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف
عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان
المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل اولى فان مرض البدن
يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله عذاب يدوم بعد الموت ابد الآباد وكما ان كل مبرد لا يكفي
لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه و
بالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فانه ان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك
النقائض التي تعالج بها الاخلاق لا بد لها من معيار وكما ان معيار الدواء ماخوذ من عيار العلة حتى ان
الطبيب لا يعالج ما لم يعلم ان العلة من حرارة او برودة وان كانت من حرارة فيعرف درجتها اهي
ضعيفة او قوية فاذا عرف ذلك التفت الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة المريض وسنه
وسائر احواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين
ينبغي ان لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وطريق مخصوص ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان
الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة
اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة
ويبني على ذلك رياضته فان كان المريد مبتدئا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهارة والصلاة وظواهر
العبادات وان كان مشغولا بمال حرام او مقارفا لمعصية فيامره اولا بتركها فاذا تزين بالعبادات
ظاهره وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض
قلبه فان راى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه منه وصرفه الى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت
اليه وان راى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيامره بان يخرج الى السوق للكدية والسؤال فان عزة
الرياسة لا تنكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعزه
فان الكبر من الامراض المهلكة وكذا الرعونة وان راى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب وراى قلبه
مائلا الى ذلك فرحا به ملتفتا اليه فيستخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة و
ملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها
ويطلبون المرقعات الرفيعة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار و

فرق بين ان يعبد الانسان نفسها او يعبد صنما فمهما عبد غير الله تعالى فهو محجوب عن الله عز وجل
ومن راعى في ثوبه شيئا غير كونه حلالا او طاهرا مراعاة يلتفت اليها قلبه فهو مشغول بنفسه و
من لطائف الرياضة اذا كانت النفس لا تسخو بترك الرعونة اصلا او بترك صفة اخرى ولم
تسمح بضدها دفعة فينبغي ان ينقل من الخلق المذموم الى خلق مذموم اخر اخف منه كالذي يغسل الدم
بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم ولذلك يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة و
الصولجان وما يشبهه ثم ينقل من اللعب الى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك الى الترغيب في
الرياسة ثم ينقل عن ذلك الى الترغيب في الاخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل
الى جاه اخف منه وكذا سائر الصفات وكذلك اذا راى شره الطعام غالبا عليه الزمه الصوم وتقليل
الطعام اولا ثم كلفه ان يهيئ الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره ولا ياكل هو منها حتى يقوي بذلك
نفسه فيتعود الصبر وينكسر شهوته وكذلك اذا رآه شابا متشوقا الى النكاح وهو عاجز
عن النكاح فيامره بالصوم وربما لا يسكن ذلك شهوته فلا علاج في مبادي الارادة
فيامره بان يفطر ليلة بالماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والادم
راسا حتى تذل نفسه وينكسر شهوته فلا علاج في مبادي الارادة انفع من الجوع وان راى الغضب
غالبا عليه الزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه
ويمرنها حتى يمرن نفسه على الاحتمال فقد كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب
فكان يستاجر من يشتمه على ملاء من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث
كان يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب واراد ان يحصل لنفسه
خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة
بالقيام طول الليل على نصبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء ارادته كان يكسل نفسه عن القيام و
الزم نفسه القيام على راسه طول الليل لتسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان
باع جميع المال ورماه في البحر اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود ورياء البذل فهذه الامثلة
يعرفك طريق معالجة القلوب فليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان ذلك سياتي في بقية الكتب
وانما الغرض الان التنبيه على ان الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه و
قد جمع الله عز وجل جميع ذلك في كلمة واحدة فقال تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى والاصل
المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت اسبابها ويكون ذلك من الله عز وجل
ابتلاء واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه نقض العزم الفت ذلك وفسدت واذا
اتفق منه نقض عزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس من كتاب المحاسبة
والمراقبة واذا لم يخوف نفسه بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وتفسد به الرياضة
بالكلية

بيان علامات مرض القلب وعلامات عوده الى الصحة

اعلم انه كما ان كل
عضو من اعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى
لا يصدر منه اصلا او يصدر مع نوع من الاضطراب فمرض اليد ان يتعذر عليها البطش ومرض
العين ان يتعذر عليها الابصار فكذلك مرض القلب هو ان يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لاجله
وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل وعبادته والتلذذ بذكره وايثار ذلك على كل شهوة سواه و
الاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للادمي ما يتميز به عن البهائم فلم
يتميز عنها بالقوة على الاكل او الوقاع او الابصار وغير ذلك بل بمعرفة الاشياء على ما هي عليه و
اصل الاشياء وموجدها ومخترعها الذي جعلها اشياء هو الله عز وجل فلو عرف كل شيء ولم يعرف
الله عز وجل لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله عز وجل احبه وعلامة المحبة ان لا يوثر
عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى قوله تعالى فتربصوا حتى
ياتي الله بامره فمن عنده شيء احب اليه من الله عز وجل فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين احب
اليها من الخبز والماء او سقطت شهوتها للخبز والماء فهي مريضة فهذه علامة المرض وبهذا يعرف
ان القلوب كلها مريضة الا ما شاء الله عز وجل الا ان من الامراض ما لا يعرفه صاحبه ومرض القلب
مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة
الشهوات وهو نزع الروح وان وجد في نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء
وقد استولى عليهم المرض فالطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض
مزمنا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال
ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراياة فهذه علامة اصل المرض واما علامة عوده الى الصحة بعد
المعالجة فهو ان ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل وهو المهلك المبعد عن الله عز وجل فانما
علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيصير التبذير ايضا داء ويكون
كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة وهو ايضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة
وكذا المطلوب الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان
اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فان كان اسهل عليك والذ من الذي يضاده
فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه الذ عليك وايسر عليك من
بذله للمستحق فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل للمستحق
الذ عندك واخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك
ولا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الافعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة
قلبك عن المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه الا امساكه لحاجة
محتاج او بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد جاء
الله تعالى سليما عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له
علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى يرتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة اليها
ولا متشوقة الى اسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة
في زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا

ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقل ما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه فلذلك لم ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا اي الذين كان قربهم الى الصراط المستقيم اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله تعالى في كل يوم سبعة عشر مرة في قوله عز وجل اهدنا الصراط المستقيم اذ وجبت الفاتحة في كل ركعة وراى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني هود فلم قلت ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لقوله سبحانه وتعالى فاستقم كما امرت فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقة الاستقامة فكل من اراد النجاة فلا نجاة الا بالعمل الصالح ولا يصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها

بيان الطريق الذي به يتعرف الانسان عيوب نفسه

اعلم ان الله عز وجل اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الناس جاهلون بعيوب انفسهم يرى احدهم القذى في عين اخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربع طرق الاول ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه شيخه واستاذه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده الثاني ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما كره من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكابر من ائمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرا اهدى الي عيوبي وكان رضي الله عنه يسال سلمان عن عيوبه لما قدم عليه وقال ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فالح عليه فقال سمعت انك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال رضي الله عنه وهل بلغك غير هذا قال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسال حذيفة رضي الله عنهما ويقول له انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه كانت تهمته لنفسه الا ان وكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في اصدقائك عن حسود او صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي رحمه الله قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال له ماذا افعل باقوام يخفون عني عيوبي فقد كان شهوة ذوي الدين ان يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر الى امثالنا وابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا واشتغلنا بازالة العقرب وقتلها وانما نكايتها على البدن ولا يدوم المها الا يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الرديئة على صميم القلب ويخشى ان يدوم بعد الموت ابد الآباد او الآلاف من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله ونقول له وانت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك ضعف الايمان فنسال الله عز وجل ان يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوب انفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله الطريق الثالث ان يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة اعدائه فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدائه وان مساويه لابد وان تنتشر على السنتهم الطريق الرابع ان يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فيطالب نفسه به وينسب نفسه اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلم من ادبك فقال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فجانبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله تعالى نصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده

بيان شواهد النقل من ارباب البصائر وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب بترك الشهوات وان مادة امراضها هي اتباع الشهوات

اعلم ان ما ذكرناه ان تاملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما ان للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هي الطريق الى الله تعالى ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من اعوان الشهوات واسرارها فهو من الذين اوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر من القرآن والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصى قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وقال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع عنها محبة الشهوات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب مجاهدته ويروى ان الله عز وجل اوحى الى داود يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلم طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال النبي صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقالوا وما الجهاد الاكبر قال جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه في الله وقال صلى الله عليه وسلم كف اذاك عن نفسك ولا

تابع هواها في معصية الله عز وجل اذن تخاصمك يوم القيمة فليعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله تعالى ويستر وقال سفيان الثوري رحمه الله ما عالجت شيئا اشد من نفسي مرة لي ومرة علي وكان ابو العباس الموصلي رحمه الله يقول يا نفس لا في الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الاخرة مع العباد تجتهدين كاني بك بين الجنة والنار تحبسين الا يا نفس الا تستحيين وقال الحسن ما الدابة الجموح باحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام وقلة الكلام واحتمال الاذى من جميع الانام فمن قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الافات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس شيء على العبد اشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والاثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف الله في قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع من الظلم والانتقام فامن من بوائقها من سائر الايام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل افاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورانية خفيفة فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها ومنعت قلبه الفوائد وقال جعفر بن حميد اجمعت العلماء والحكماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهب ما زيد على الخبز فهو شهوة وقال وهيب بن الورد رحمه الله من احب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل ويروى ان امراة العزيز قالت ليوسف على نبينا وعليه الصلوة والسلام بعدما ملك خزائن الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة صير الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صير العبيد ملوكا فقال يوسف قال الله عز وجل انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال الجنيد رحمه الله ارقت ليلة فقمت الى وردي فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود فخرجت فاذا برجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما احس بي قال يا ابا القاسم الي الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى سالت محرك القلوب ان يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال متى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها فاقبل على نفسه وقال اسمعي وقد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت الا ان تسمعيه من الجنيد قال فانصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشي رحمه الله السلام على الماء البارد في الدنيا لعلي لا احرمه في الاخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال فمتى اصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار رحمه الله يطوف في السوق فاذا راى الشيء يشتهيه قال للنفس اصبري فوالله لا امنعك الا من كرامتك علي فاذن قد اتفق العلماء والحكماء على ان لا طريق الى السعادة الاخرة الا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات

فالايمان بهذا واجب واما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف مما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا يتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشيء منه انس به والفه واذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له في الاخرة بحال ولا خلاص عن ذلك الافات الا بان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله تعالى وحبه والتفكر فيه ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الفكر والذكر فقط ومن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه اربعة رجل استغرق ذكر الله عز وجل قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة طويلة والثاني من استغرقت الدنيا قلبه فلم يبق لله عز وجل ذكر في قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان وهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين لكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله عز وجل على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله عز وجل في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا اغلب عليه وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون سببا للبعد من الله تعالى وهذا خيال ضعيف فان حب الدنيا راس كل خطيئة والمباح الخارج عن قدر الحاجة هو من الدنيا ايضا وسياتي ذلك في كتاب ذم الدنيا وقد قال ابرهيم الخواص رحمه الله كنت في جبل اللكام فرايت رمانا واشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرايت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابرهيم قلت كيف عرفتني قال من عرف الله عز وجل لا يخفى عليه شيء فقلت ارى لك حالا مع الله تعالى فلو سالته ان يحميك من لدغ الزنابير فقال سل انت ان يحميك شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان المه في الاخرة ولدغ الزنابير يجد المه في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري منذ اربعين سنة تطالبني نفسي ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها فاذن لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق الله عز وجل ما لم يمنع النفس من التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن اراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه ان يلزمه السكوت الا عن المهمات حتى يموت فيه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت البصر رمي العين الى كل شيء جميل لم يتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذا سائر الشهوات لان الذي يشتهي به الحلال هو الذي يشتهي به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فان لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوة فهذه احدى افات المباحات ووراءها آفة اعظم من هذه وهي ان النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن اليها وتطمئن بها اشرا وبطرا حتى تصير ممتلئة بها كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح في الدنيا سم قاتل يسري في

من جميع الانام

لب

واری لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك شهوة الرمان

العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت واهوال القيمة وهذا هو موت القلب قال تعالى
وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع وقال تعالى اعلموا انما
الحيوة الدنيا لعب ولهو الى قوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور فاولو الحزم من ارباب القلوب جربوا
قلوبهم في حالة الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها قاسية بطرة بعيدة من التاثر بذكر الله عز وجل واليوم الاخر
في حالة الخوف والحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة في الحزن الدائم والتباعد
من اسباب البطر والفرح ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان
حلالها حساب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيمة فقد عذب فخلصوا انفسهم من
عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك الدائم في الدنيا والاخرة بالخلاص عن اسر الشهوات ورقها والانس
بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي اذا قصد تاديبه ونقله عن توحشه و
توحشه الى الانقياد والتادب فانه يحبس اولا في بيت ويخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران
في جو الهواء وينسى ما قد كان الفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يانس بصاحبه ويالفه الفا
اذا دعاه اجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تالف ربها ولا تانس بذكره الا اذا فطمت
عن عاداتها بالخلوة والعزلة اولا ليحفظ السمع والبصر عن المالوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء
ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله عز وجل عوضا عن الانس بالدنيا وساير الشهوات وذلك
يثقل على المريد في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه
ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم اليه بدلا
عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن راسا يوما بعد يوم وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا
ثم يصير له طبعا فلو رد بعد ذلك الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويالف
الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب ولكن تحمل عليه قهرا وتمنع
عن السرح الذي الفته بالسلاسل والقيود اولا ثم تانس به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه
من غير قيد وكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطيور والدواب وتاديبها بان تمنع عن البطر و
الاشر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايله بالموت فيقال له احبب ما احببت فانك مفارقه
فاذا علم انه من احب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لا محالة بفراقه شغل قلبه بحب من لا يفارقه وهو
ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر اياما قلائل فان العمر قليل
بالاضافة الى مدة حيوة الاخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة
وغير ذلك شهرا ليتنعم به سنة بل دهرا وكل العمر بالاضافة الى الابد اقل من شهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد
من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وطريق المجاهدة والرياضة لكل انسان تختلف
بحسب اختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل ما به فرحه من اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال او بالجاه
او بالقبول في الوعظ او بالعز في القضاء والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس والافادة
فينبغي ان يترك اولا ما به فرحه فانه ان منع عن شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الاخرة لم ينقص

بالمنع فكره ذلك وتالم به فهو ممن فرح بالحيوة الدنيا واطمان اليها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك
اسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله تعالى والفكر فيه
وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا
يزول الا بقطع السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد اخر الا الموت

بيان علامات حسن الخلق

اعلم ان كل انسان فهو جاهل بعيب نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي
ربما ظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق
فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله سبحانه صفات المؤمنين والمنافقين وهي بجملتها
ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فنورد جملة من ذلك ليعلم به حسن الخلق قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الى قوله
تعالى اولئك هم الوارثون وقال تعالى التائبون العابدون الاية وقال تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا
الى اخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الايات فوجود جميع هذه الصفات علامة
حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض
فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات
كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال صلى الله عليه وسلم المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال صلى الله
عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وقال
صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات المؤمنين هي حسن
الخلق فقال اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم اخلاقا وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا
فادنوا منه فانه يلقي الحكمة وقال صلى الله عليه وسلم من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال
صلى الله عليه وسلم لا يحل لمؤمن ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان
يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم انما يتجالس المتجالسان بامانة الله عز وجل فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه
ما يكره وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال ان يكون كثير الحياء قليل الاذى كثير الصلاح صدوق
اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا شكورا حليما رفيقا عفيفا
شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا بشاشا
يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته في الصلوة والصيام والعبادة والمنافق
همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول
بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل احد الا من الله والمنافق راج كل احد الا الله والمؤمن امن من كل احد الا من
الله والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله و
المؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والملا والمؤمن
يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يامر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يامر و
ينهى للرياسة فيفسد واولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفا ومن شكا من سوء خلق غيره
دل ذلك على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال الاذى فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال انس حتى نظرت
الى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد هب لي من مال
الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم امر باعطائه ولما اكثرت قريش ايذاءه
وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فلذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وحكي عن ابن
ادهم انه خرج الى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال له انت عبد فقال نعم فقال له اين العمران
فاشار الى المقبرة فقال الرجل انما اردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب راسه بالسوط
فشجه شجة موضحة ورده الى البلد فاستقبله اصحابه فقالوا ما هذا فاخبرهم الجندي فقالوا هذا
ابرهيم بن ادهم فنزل الجندي عن دابته فقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل له لم قلت انا عبد فقال
انه لم يسالني انت عبد من قال انت عبد قلت نعم لاني عبد الله فلما ضرب راسي سالت الله تعالى له الجنة فقيل
له انه ظلمك فكيف سالت الله له الجنة فقال علمت اني اوجر على هذا فلم احب ان يكون نصيبي منه الخير ونصيبه
مني الشر ودعي ابو عثمان الحيري الى دعوة وكان الداعي يريد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع
ابو عثمن فلما ذهب غير بعيد جاءه ثانيا فقال له ارجع على ما يوجب الوقت فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته
الاولى فرجع ابو عثمن ثم جاء الثالثة حتى عامله بذلك مرات وابو عثمن لم يتغير فقال انما اردت ان اختبرك
فما احسن خلقك فقال ابو عثمن الذي رايت مني خلق الكلب اذا دعي اجاب واذا زجر انزجر وروي ان ابا عثمان
اجتاز بسكة فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفض ذلك عن ثيابه ولم يقل شيئا فقيل له الا
زجرتهم فقال ان من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له ان يغضب وروي ان علي بن موسى الرضا رضي الله عنه كان
يميل لونه الى السواد اذ كانت امه سوداء وكان بنيسابور على باب داره حمام وكان اذا دخل الحمام فرغ له الحمام فدخل
ذات يوم واطبق الحمامي باب الحمام ومضى في بعض حوائجه فتقدم انسان رستاقي الى باب الحمام ودخل ونزع ثيابه
ودخل الحمام فرأى علي بن موسى الرضا فظن انه بعض خدم الحمام فقال له قم فاحمل الي الماء فقام علي وامتثل جميع ما كان
يامره به فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج علي بن موسى
سال عن الحمامي فقيل له انه خاف مما جرى فهرب فقال لا ينبغي له ان يهرب انما الذنب لمن وضع ماءه عند امة سوداء
وروي ان عبد الله الخياط كان يقعد على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة وكان اذا خاط له شيئا
المجوسي حمل اليه دراهم زيوفا وكان عبد الله ياخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فقضي من القضاء ان
عبد الله قام من الحانوت لبعض حوائجه فتقدم المجوسي الى تلميذه واسترجع ما خاطه ودفع اليه درهما زيفا فلما
نظر اليه التلميذ رده عليه فلما عاد عبد الله اخبره بذلك فقال بئس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ
مدة وانا اصبر عليه وآخذ الدرهم والقيه في البير كيلا يغر به مسلما وقال يوسف بن اسباط علامة حسن
الخلق عشرة اشياء قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات
والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون
عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن فوقه ودونه وسئل سهل عن حسن
الخلق فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه
وقيل للاحنف ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم المنقري قيل وما بلغ من خلقه قال بينما
هو جالس في داره اذ جاءته خادمة له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات
فدهشت الجارية فقال لا روع عليك انت حرة لوجه الله وقيل كان اويس القرني اذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة وهو

يقول ان كان ولا بد فارموني بالصغار كيلا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلوة وشتم رجل الاحنف
بن قيس وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال ان بقي في قلبك شيء فقله كيلا يسمعك بعض
سفهاء الحي فيجيبوك وروي ان عليا كرم الله وجهه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه
فقام اليه فرآه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت
عقوبتك فتكاسلت فقال امض فانت حر لوجه الله تعالى وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال
يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة وقيل ليحيى بن زياد الحارثي وكان له غلام سوء لم تمسك
هذا الغلام قال لاتعلم عليه الحلم فهذه النفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت اخلاقها ونقيت عن
الغل والغش بواطنها فاثمرت الرضا بكل ما قدره الله وهذا منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله و
لا يرضى به فهو غاية سوء الخلق فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه
هذه العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل بالرياضة والمجاهدة
الى ان يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون

بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ووجه تاديبهم وتحسين اخلاقهم

اعلم ان الصبي امانة عند والديه
وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال
به اليه فان عود الخير وعلمه نشا عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل مؤدب له ومعلم
وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه وقد قال الله
تعالى يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه من نار الدنيا فبان يصونه
من نار الآخرة اولى وصيانته بان يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء
ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ويهلك هلاك
الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امراة صالحة متدينة تاكل
الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه واذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث
فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما بدا فيه مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول
ذلك ظهور اوائل الحياء فانه اذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه
حتى يرى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحيي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله اليه وبشارة
تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحيي لا ينبغي ان
يهمل بل يستعان على تاديبه بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يؤدب فيه
مثل ان لا ياخذ الطعام الا بيمينه وان يقول بسم الله عند اخذه وان ياكل مما يليه وان لا يبادر الى الطعام قبل غيره ولا
يحدق الى الطعام ولا الى من ياكل ولا يسرع في الاكل وان يمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يوالي بين اللقم ولا يلطخ
ثوبه ويده ويعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده
كثرة الاكل بان يشبه من يكثر الاكل بالبهائم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح بين يديه الصبي
المتادب القليل الاكل وان يحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان
وان يحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شأن النساء والمخنثين و
ان الرجال يستنكفون منه ويكرر عليه ذلك ومهما راى على صبي ثوبا من ابريسم او ملون فينبغي ان يستنكره ويذمه

ذلك ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفه ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه
فيه فان الصبي اذا اهمل في ابتداء نشوه خرج في غالب الامر رديء الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا
فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن ذلك بحسن التاديب ثم يشتغل في المكتب فيتعلم القران واحاديث
الاخبار وحكايات الابرار واحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ عن الاشعار التي فيها ذكر العشق
واهله ويحفظ عن مخالطة الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب
الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به و
يمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره
ولا يكاشف ولا يظهر انه يتصور ان يتجاسر احد على مثله لا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان ذلك
ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة فعند ذلك فان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم الامر
فيه ويقال اياك ان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين يدي الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب
في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب
حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح و
ينبغي ان يمنع النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع النوم ليلا ولكن يمنع الفرش الوطية حتى تتصلب
اعضاؤه ولا يستخف بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعوده الخشونة في المفرش والملبس والمطعم وينبغي
ان يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود
في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشي
ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من ان يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه والداه او بشيء من مطاعمه
وملابسه او لوحه ودواته بل يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف معهم في الكلام ويمنع
من ان ياخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة في الاعطاء لا
في الاخذ وان الاخذ لؤم وخسة وان كان من اولاد الفقراء فيعلم ان الاخذ والطمع مهانة ومذلة و
ان ذلك من داب الكلب فانه يتبصبص في انتظار لقمة وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة و
الطمع فيهما ويحذر منهما اكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان افة حب الذهب والفضة والطمع فيهما
اكثر من افة السموم على الصبيان بل على الاكابر ايضا وينبغي ان يعود ان لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا
يتثاوب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب كفه تحت ذقنه ولا يعمد راسه
بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس وينبغي ان يمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل
على الوقاحة وان ذلك فعل اللئام ويمنع اليمين راسا صادقا وكاذبا حتى لا يتعود في الصغر ويمنع من ان
يبتدئ بالكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا بقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو
اكبر سنا منه وان يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن
اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء واصل
تاديب الصبيان الحفظ من القرناء السوء وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع
باحد من الصبيان ولا غيرهم بل يصبر ويذكر له ان ذلك داب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ داب
المماليك والنسوان وينبغي ان يؤذن له بعد الفراغ من الكتاب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب

الادب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل
ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه راسا وينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه و
كل من هو اكبر سنا منه من قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ومهما بلغ
سن التمييز ينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلوة ويؤمر بالصوم في بعض الايام من رمضان ويجنب
لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة واكل الحرام ومن الكذب والخيانة
والفحش وكل ما يغلب على الصبيان واذا وقع نشوه كذلك في الصبى فعند ما قارب البلوغ امكن ان يعرف اسرار
هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة ادوية وانما المقصود منها ان يقوى الانسان بها على عبادة الله تعالى
وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الموت منتظر
في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للاخرة حتى يعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعيمه فاذا
كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو
بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه
عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فاوائل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي خلق بجوهره
قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود
يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال سهل بن عبد الله التستري كنت ابن ثلث سنين وكنت اقوم
بالليل انظر الى صلوة خالي محمد بن سوار فقال لي خالي يوما الا تذكر الله الذي خلقك قلت كيف اذكره فقال قل بقلبك
عند تقلبك في ثيابك ثلث مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي الله ناظر الي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال
قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة احد عشر مرة فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته
فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والاخرة فلم
ازل على ذلك سنين فوجدت له حلاوة في سري فقال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وهو ناظر اليه
وشاهده ايعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو فبعثوا بي الى المكتب فقلت اني لاخشى ان يتفرق علي همي ولكن
شارطوا المعلم اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب وتعلمت القران وانا ابن ست سنين
او سبع سنين وكنت اصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثني عشر سنة فوقعت لي مسئلة وانا ابن ثلث عشر
سنة فسالت اهلي ان يبعثوا بي الى البصرة اسال عنها فجئتها فسالت علماءها فلم يشف عني احد شيئا فخرجت الى
عبادان الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسالته عنها فاجابني فاقمت عنده مدة انتفع بكلامه
واتادب بادبه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصارا على ان يشترى لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن
لي ويخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة على اوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا ادام وان يكفيني ذلك الدرهم
سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسة وعشرين ليلة وكنت على
ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة اعلم ان من
شاهد الاخرة بقلبه مشاهدة يقين اصبح بالضرورة مريدا حرث الاخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها
مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كان معه خرزة فراى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة
وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة فمن ليس مريدا حرث الاخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه
بالله واليوم الاخر ولست اعني بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق و

اخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهرة الا
لفظها فاما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة
فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم
الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله الهادين الى طريقه والمنبهين
على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الاخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم
وغاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله
فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى وعادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة
والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله تعالى عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوبا
والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان تنبه
متنبه من نفسه او من تنبيه غيره وانبعثت له ارادة في حرث الاخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا
لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليأمن من الاعداء
القطاع لطريقه وله وظائف لا بد له من ملازمتها في وقت سلوك الطريق اما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة
فهو رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق
قال الله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الاية والسد بين المريد والحق اربعة المال والجاه والتقليد
والمعصية وانما يرتفع حجاب المال بان يفرقه ويخرجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت
اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد من موضع الجاه
وبالتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق عنه و
انما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديق ايمان ويحرص في تحقيق صدقه بان يرفع كل
معبود له سوى الله واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى
اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب
عليه التعصب لمعتقده ولم يتسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء
الى مذهب معين اصلا واما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج عن المظالم وتصميم
العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصحح
التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف
على اسرار القران وتفسيره وهو لم يتعلم لغة العرب بعد فان ترجمة القران لا بد من تقديمها اولا ثم
الترقي منها الى اسرار معانيه وكذا لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا واخرا ثم الترقي الى اغوارها واسرارها
فاذا قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث
وصار صالحا للصلاة فيحتاج الى امام يقتدي به وكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدي به
لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له
شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه لا محالة فمن سلك البوادي المهلكة بنفسه من غير خفير ودليل فقد
خاطر بنفسه واهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان
بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى

الاعمى على شط النهر بالقائد بحيث يفوض امره اليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقي
في متابعته شيئا ولا يذر وليعلم ان نفعه في خطاء شيخه لو اخطأ اكثر من نفعه في صواب نفسه لو
اصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه
قواطع الطريق وهي اربعة امور الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود
المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه اما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفي بياضه نوره
ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته وفي رقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته سبب الحجاب ومهما نقص
دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات قال عيسى عليه الصلوة والسلام
يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم قال سهل ما صار الابدال ابدالا الا باربع خصال
اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال ففائدة الجوع في تنوير القلب امر ظاهر يشهد له التجربة
وسيأتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره و
ينضاف الى الصفاء الذي حصل من الجوع ويصير القلب كالكوكب الدري والمراة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق
ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الاخرة وحقارة الدنيا وافاتها فيتم بذلك رغبته عن الدنيا واقباله
على الاخرة والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا
كان بقدر الضرورة فيكون سببا لمكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان اكلهم فاقة
ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابرهيم الخواص اجتمع راي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من
كثرة شرب الماء واما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه
وشرابه وتدبير امره فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلوب الى الكلام عظيم فانه
يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر ويستريح اليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم
التقوى واما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب
في حكم حوض تنصب اليه مياه كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك
المياه ومن الطين الحاصل فيها ليتفجر اسفل الحوض فيتفجر منه الماء النظيف الطاهر فكيف يصح ان ينزح الماء
من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل حال اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس الا عن قدر
الضرورة وليس يتم ذلك الا بالخلوة في مكان مظلم فان لم يكن مكان مظلم فليلف راسه في جيبه او يتدثر بكساء
او ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل له يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه
الاربعة جنة وحصن بها تدفع عنه القواطع ويمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده
بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله تعالى الا صفات القلب التي سببها
الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل
وهي اعني تلك الصفات اسرار العلائق التي قطعها في اول الارادة واثارها اعني اثار المال والجاه
وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصي فلا بد وان يخلي الباطن عن اثارها كما اخلى الظاهر
عن اسبابها الظاهرة وفيه يطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص يكفي وقد كفي
اكثر الصفات فلا يطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة الشهوة ومخالفة
الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفي ذلك او ضعف بالمجاهدة

ولم يبق في قلبه علقة تشغله بعد ذلك يلزمه قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الأوراد الظاهرة
بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الأوراد وثمرتها
أعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو عن ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتا إلى
علائقه قال الشبلي للحصري إذا كان يخطر على قلبك من الجمعة إلى الجمعة التي تأتيني شيء غير الله
فحرام عليك أن تأتيني وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على
القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له إلا هم واحد فإذا صار كذلك ألزمه
الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فإن أصل طريق
الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس
ويقول مثلا الله الله أو سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه
حتى تسقط حركة لسانه وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال
يواظب حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك
حتى يمحى من القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرا
معه غالبا عليه قد فرغ القلب عن كل ما سواه لأن القلب إذا اشتغل بشيء خلا عن غيره أي شيء
كان فإذا اشتغل بذكر الله وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه أن يراقب
وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من أحواله وأحوال
غيره فإنه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان ذلك نقصا
فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءته الوساوس
من هذه الكلمة وأنها ما هي وما معنى قولنا الله ولأي معنى كان إلها وكان معبودا ويعتريه عند
ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما
كان كارها لذلك ومتشمرا لإماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة إلى ما يعلم قطعا
أن الله عز وجل منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه أن لا يبالي به
ويفزع إلى ذكر الله ويبتهل إليه ليدفعه عنه كما قال تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله إنه سميع عليم إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإلى ما
يشك فيه فينبغي أن يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الأحوال من فترة أو نشاط أو التفات
إلى علقة أو صدق في إرادة فينبغي أن يظهر ذلك لشيخه وأن يستره عن غيره فلا يطلع عليه
أحد ثم شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فإن علم أنه لو تركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه
لحقيقة الحق فينبغي أن يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له به
حقيقته وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده إلى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر
دليل قريب من فهمه وينبغي أن يتأنق الشيخ ويتلطف به فإن هذه مهالك الطريق ومواقع أخطاره
فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل
بالبطالة وسلك طريق الإباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للفكر ودفع العلائق الشاغلة
عن قلبه لم يخل عن مثل هذه الأفكار فإنه قد ركب سفينة الخطر فإن سلم كان من ملوك الدين وإن
أخطأ كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز وهو تلقي أصل الإيمان
وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فإن الخطر في العدول عن ذلك كثير

ولهذا يجب على الشيخ أن يتفرس في المريد فإن لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من الاعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر
والفكر بل يرده إلى الأعمال الظاهرة والأوراد المتواترة أو يشغله بخدمة المتجردين للفكر ليشمله بركتهم فإن
العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي أن يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه
بركتهم وإن كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد تقطعه قواطع كثيرة من الرياء والعجب والفرح
بما ينكشف من الأحوال وما يبدو من أوائل الكرامات ومهما التفت إلى شيء من ذلك وشغل به نفسه كان
ذلك فتورا في طريقه ووقوفا بل ينبغي أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا يرويه البحار ولو
أفيضت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة قال بعض السائحين قلت لبعض
الأبدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق إلى التحقيق وقلت مرة أخرى دلني على عمل أجد فيه قلبي مع الله
عز وجل في كل وقت على الدوام فقال لي لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة قلت لا بد لي قال فلا تسمع
كلامهم فإن كلامهم قسوة للقلب قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فإن معاملتهم وحشة قلت أنا بين
أظهرهم ولا بد من معاملتهم قال فلا تسكن إليهم فإن السكون إليهم هلكة قلت هذا لعله قال يا هذا أتنظر
إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله على الدوام هذا ما لا
يكون أبدا فإذن منتهى الرياضة أن تجد قلبك مع الله أبدا ولا يمكن ذلك إلا بأن يخلو عن غيره ولا يخلو عن
غيره إلا بطول المجاهدة فإذا حصل قلبه مع الله انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر
له من لطائف رحمة الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط الوصف به أصلا وإذا انكشف للمريد شيء
من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها
لذة فتدعوه تلك اللذة إلى أن يتفكر في كيفية إيراد تلك المعاني وتحسين الألفاظ المعبرة عنها وترتيب
ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين صورة الكلام لتميل إليه القلوب والأسماع
والشيطان ربما يخيل إليه أن هذا إحياء منك للقلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى وإنما أنت واسطة بين الله
وبين الخلق تدعو عباده إليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بأن يظهر
في أقرانه من يكون أحسن كلاما منه وأجزل لفظا وأقدر على جلب قلوب العوام فإنه يتحرك في باطنه عقرب
الحسد لا محالة إن كان محركه لذة القبول وإن كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله تعالى
إلى الصراط المستقيم فيعظم فرحه بذلك ويقول الحمد لله الذي عضدني وأيدني بمن وازرني على إصلاح عباده
كالذي وجب عليه مثلا أن يحمل ميتا ليدفنه إذ وجده ضائعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاءه من أعانه
عليه فإنه يفرح به ولا يحسد معينه والغافلون موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ففي كثرتهم استرواح
وتناصر فينبغي أن يعظم الفرح به وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي أن يكون المريد على حذر منه فإنه أعظم
حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتح له أوائل الطريق فإن إيثار الحياة الدنيا طبع غالب على الإنسان
ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا ثم بين أن الشر قديم في الطباع وأن ذلك مذكور في الكتب
السالفة فقال إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته
في التدريج إلى لقاء الله تعالى أما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي فإن أغلب الصفات على الإنسان
بطنه وفرجه ولسانه أعني الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما أحب الإنسان
شهوة البطن والفرج وأنس بها أحب الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه وإذا طلب المال والجاه
حدث فيه الكبر والعجب والرياسة وإذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه

الرياسة وغلب عليه الغرور فلذلك وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين بان نستكمل ربع المهلكات بثمانية

كتب كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في كسر الغضب والحسد والحقد

وكتاب في كسر شهوة الكلام وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها

وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه

وكتاب في الكبر والعجب وكتاب في بيان مواقع الغرور

بذكر هذه المهلكات وتعليم طريق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات والمنجيات ان شاء الله تعالى فان ما ذكرنا في الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب اما تفصيلها فانما يأتي في هذه الكتب ان شاء الله تعالى وحده

كتاب كسر الشهوتين البطن والفرج

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بامانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ويرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه عن الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى يضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد ان يوسع عليه ما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه مما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك ليمتحنه به ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ اوامره وينتهي عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلوة والسلام على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلوة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته واقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه اما

بعد فاعظم المهلكات لابن ادم شهوة البطن فيها اخرج ادم وحوا من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوءاتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والافات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم تتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة الى المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد من ذلك افة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحسد والحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله تعالى ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت افة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وافاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله وتشبيه في فصول يجمعها

وهي بيان فضيلة الجوع وفوائد الجوع وطريق الرياضة في كسر شهوة البطن واختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس ثم بيان الرياء في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله تعالى من جوع وعطش وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال صلى الله عليه وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا واشربوا وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة قال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضلكم منزلة عند الله تعالى اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم عند الله تعالى كل نؤوم اكول شروب وفي الخبر انه كان صلى الله عليه وسلم يجوع من غير عوز اي مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وسلم ما ملأ ادمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وفي حديث اسامة بن زيد وحديث ابي هريرة الحديث الطويل ذكر فيه فضل الجوع اذ قال ان اقرب الناس من الله تعالى يوم القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاتقياء الاخفياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله افترش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الله على كل بلد ليس فيها منهم احد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى امر الله الذي اذهب عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الاخرة يا اسامة اذا رايتهم في بلدة فاعلم انهم امان لتلك البلدة لا يعذب الله تعالى قوما هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار روى الحسن عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء وقال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم هكذا وفي التورية مكتوب ان الله تعالى يبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال ابن مسعود ان الله تعالى يبغض القارئ السمين وفي الخبر المرسل ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن ياكل في معاء واحد والمنافق ياكل في سبعة امعاء

اي يأكل سبعة اضعاف أكل المؤمن او يكون شهوته سبعة امثال شهوته ويكون المعاء كناية عن الشهوة لان الشهوة هي التي
تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذه المعاء وليس المعنى زيادة عدد معاء المنافق على معاء المؤمن وروى الحسن عن عائشة
رضي الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اديموا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت وكيف نديم
قرع باب الجنة فقال صلى الله عليه وسلم بالجوع والظماء وروي ان ابا جحيفة تجشأ في مجلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم اقصر من جشائك فان اكثر الناس جوعا يوم القيمة
اكثرهم شبعا في الدنيا وكانت عائشة رضي الله عنها تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
امتلى شبعا قط وربما بكيت له رحمة مما ارى به من الجوع فامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفدا
لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من
الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم و
اجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة
احب الي من ان ينقص من حظي غدا في الآخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي
قالت عائشة والله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى وعن انس قال جاءت فاطمة
بكسيرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما هذه الكسيرة قالت
قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك منه بهذه الكسيرة فقال صلى الله عليه وسلم اما انه اول طعام
دخل فم ابيك منذ ثلاثة ايام وقال ابو هريرة ما اشبع النبي صلى الله عليه وسلم اهله ثلاثة ايام تباعا
من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الآخرة
وان ابغض الناس الى الله المتخمون الملاء وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كان له درجة في الجنة

اما الآثار فما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال اياكم والبطنة فانها ثقل في الحياة نتن في الممات وقال
شقيق ان العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلتها المجاعة وقال لقمن لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت
الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال الفضيل بن عياض لنفسه اي شيء تخاف
ان تجوع لا تخاف ذلك فانت اهون على الله من ذلك انما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكان
كهمس يقول الهي اجعتني واعريتني وفي ظلم الليل اجلستني فباي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح
الموصلي يقول اذا اشتد مرضه وجوعه الهي ابتليتني بالجوع والمرض وكذلك تفعل باوليائك فباي
عمل اودي شكر ما انعمت به علي وقال مالك بن دينار لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة
تقوته وتغنيه عن الناس فقال لي يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جائعا وامسى جائعا وهو عن الله تعالى راض
وكان الفضيل يقول الهي اجعتني واجعت عيالي وتركتني في ظلم الليل بلا مصباح وانما تفعل ذلك باوليائك
فباي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع
المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التورية اتق الله تعالى واذا
شبعت فاذكر الجائع وقال ابو سليمن لان اترك لقمة من عشائي احب الي من قيام ليلة وقال الجوع عند
الله في خزائنه لا يعطيه الا لمن احبه وكان سهل التستري يطوي نيفا وعشرين يوما لا يأكل وكان يكفيه
لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي القيامة عمل بر افضل من ترك فضول
الطعام والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في اكله وقال لم ير الاكياس شيئا انفع من الجوع للدين
والدنيا وقال لا اعلم شيئا اضر على طلاب الآخرة من الاكل وقال وضعت الحكمة والعلم في الجوع وجعلت المعصية والجهل
في الشبع وقال ما عبد الله بشيء افضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقد قال في الحديث ثلث

للطعام فمن زاد فانما يأكل من حسناته وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب
اليه من الاخذ ويكون اذا جاع ليلة سأل الله تعالى ان يجعلها ليلتين فاذا كان كذلك وجد الزيادة
وقال ايضا انما صار الابدال ابدالا باخماص البطون والصمت والسهر والخلوة وقال رأس كل بر نزل من السماء
الى الارض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال
الله تعالى على العبد بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد فيه النجاة الا
بذبح نفسه وقتلها بالجوع والصبر والجهد وقال ما على وجه الارض احد شرب من هذا الماء حتى روي فسلم
من المعصية وان شكر الله تعالى وكيف الشبع من الطعام وسئل حكيم باي قيد اقيد نفسي قال قيدها بالجوع والعطش
وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت ارجل ابناء الآخرة واكسرها بترك زي القراء عن
ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم
بالله تعالى ان الله تعالى ما صافى احدا الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا به ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ولا
تولاهم الله الا بالجوع وقال ابو طالب المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن
صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلئ فكذلك الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام و
اقل للمنام وقال بكر بن عبد الله ثلاثة يحبهم الله تعالى قليل النوم قليل الاكل قليل الراحة وروي عن عيسى
على نبينا وعليه الصلوة والسلام انه مكث يناجي ربه ستين صباحا لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن
المناجاة فاذا رغيف موضوع فقعد يبكي لفقد المناجاة فاذا شيخ قد اظله فقال له عيسى بارك الله
فيك يا ولي الله ادع الله تعالى لي فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ
اللهم ان كان الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي بل كان اذا احضره شيء اكله من غير فكر و
خاطر وروي ان موسى لما قربه الله تعالى نجيا كان قد ترك الاكل اربعين يوما

بيان فوائد الجوع وآفات الشبع

لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين وما سببه وليس فيه الا
ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي ان يعظم الفضل في كل ما يتأذى به الا
من ضربه نفسه او قطعه لحمه وتناوله الاشياء الكريهة وما يجري مجراه فاعلم ان هذا يضاهي قول من
شرب دواء فانتفع به وظن ان منفعته لمرارة الدواء وكراهيته فاخذ يتناول كل ما هو مكروه من
المذاق وهو غلط بل نفعه في خاصية في الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء و
كذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء في الشرع من
مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدواء انتفع وان لم يعلم وجه المنفعة وعلمنا و
وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان اردت ان ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم قال يرفع
الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوائد **الفائدة الاولى** صفاء القلب و
ايقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى
يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا
اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والادراك وقال ابو سليمن عليك
بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب ويورث العلم السماوي وقال صلى الله عليه وسلم احيوا
قلوبكم بقلة الضحك والشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد و
القناعة كالسحاب والحكمة كالمطر وقال صلى الله عليه وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه

وقال ابن عباس من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شئ زكوة وزكوة البدن الجوع وقال الشبلي ما جعت
لله يوما الا رايت في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من
العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه
والمعرفة باب من ابواب الجنة فالحرى ان يكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمن لابنه يا بني
اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال ابو يزيد
الجوع سحاب فاذا جاع العبد امطر القلب الحكمة وقال صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من
الله الشبع والقرب الى الله تعالى حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فتطفئوا نور المعرفة من قلوبكم
ومن بات يصلي في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح **الفائدة الثانية** رقة القلب وصفاؤه
الذي به يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتاثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن
القلب لا يلتذ به ولا يتاثر حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق في احوال فيعظم تاثره
بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمن احلى ما يكون الي العبادة اذا
لصق ظهري ببطني وقال الجنيد يجعل احدهم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة
المناجاة وقال ابو سليمن القلب اذا جاع وعطش صفا ودق واذا شبع عمى وبار فاذن تاثر القلب بلذة
المناجاة امر وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهي فائدة ثانية **الفائدة الثالثة** الانكسار والذل و
زوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى ولا ينكسر النفس ولا يذل لشئ
كما يذل بالجوع فعنده يسكن لربها ويخشع له ويقف على عجزه وذلته اذا ضعفت منتها وضاقت حيلتها
بلقمة طعام فاتتها واظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تاخرت عنها وما لم يشاهد الانسان ذل نفسه وعجزه لا يرى
عز مولاه وقهره وانما سعادته في ان يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز
والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولذلك لما
عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وخزائنها فقال لا اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت
صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب النار واصله الشبع والذل
والانكسار باب من ابواب الجنة واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب
الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الاخر **الفائدة
الرابعة** ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائعين وينسى
الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء الا ويتذكر به بلاء الاخرة فيتذكر من عطشه عطش الخلق في
عرصات القيمة ومن جوعه جوع اهل النار حتى يجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغساق
والمهل ولا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب الاخرة والامها فانه الذي يهيج الخوف ومن لم يكن في
ذلة ولا علة ولا بلاء نسي عذاب الاخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي ان يكون العبد في
بلاء او مشاهدة بلاء واولى ما يقاسيه من البلاء بلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الاخرة
وهذا احد الاسباب التي اقتضى اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف على نبينا
وعليه الصلوة والسلام اتجوع وفي يدك خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع فذكر الجائعين والمحتاجين
احدى فوائد الجوع فان ذلك يدعوه الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله والشبعان في غفلة عن الم
الجائع **الفائدة الخامسة** وهي من كبار الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس

الامارة بالسوء فان منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة
الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة
في ان يملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت
وجمحت فكذلك النفس ولذلك قيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك فقال لانه
سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح بي فيورطني ولأن احمله على الشدائد احب الي من ان
يحملني على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا وقد عصيت او هممت بمعصية وقالت
عائشة رضي الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما
شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد و
لذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى واقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام
فان الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من افات اللسان كالغيبة والفحش والكذب و
النميمة وغيره فيمنعه الجوع من كل ذلك فاذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب
الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم واما شهوة الفرج فلا يخفى غائلتها والجوع يكفي شرها واذا
شبع الرجل لم يملك نفسه فجر وان منعته التقوى فلا يملك عينه والعين تزني كما ان الفرج يزني فان
ملك عينه بغض النظر فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الردية وحديث النفس باسباب الشهوة ما
يتشوش به مناجاته وربما عرض في اثناء الصلوة وانما ذكرنا افة اللسان والفرج مثالا والا فجميع
معاصي الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز
البحت سنة لا يخالطه معه شئ من الشهوات ويأكل نصف بطنه رفع الله عنه مؤونة الشهوات **الفائدة
السادسة** دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولذلك كان يقول بعض
الشيوخ على راس السفرة معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع
سبعون صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع
وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره تنقيص من العمر ثم
فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواته ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام
على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتاذى به واما ان يحتاج
الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد اخره للتهجد ثم يحتاج الى مؤونة الحمام وربما يقع
عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه ايضا اخطارا ذكرناها في الطهارة وكل ذلك اثر الشبع وقد قال
ابو سليمن الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع
الافات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له **الفائدة السابعة** تيسر المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع
من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل بالاكل وربما يحتاج الى زمان في شراء الطعام او طبخه ثم
يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذه لو صرفها
الى الذكر والمناجاة وساير العبادات لكثر ربحه قال السري رايت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت
ما حملك على هذا فقال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين
سنة فانظر كيف اشفق على وقته فلم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهر نفيس لا قيمة له فينبغي ان
يستوفي منه خزانة باقية في الاخرة لا اخر لها وذلك بان يصرفه الى ذكر الله تعالى وطاعته ومن جملة ما يتعذر

بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته ومن جملة الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغل الاكل واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها ويعرفون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمان الداراني الى ست آفات في الشبع فقال من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل

الفائدة الثامنة من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات و يشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب كل ذلك يحتاج الى مؤن وتبعات لا يخلو الانسان فيها بعد التعب من انواع المعاصي واقتحام الشهوات و في الجوع ما يدفع عنه كل ذلك حكى ان الرشيد جمع اربعة اطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه عندي الاهليلج الاسود وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض وقال العراقي هو عندي الماء الحار وقال السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء فقالوا فما هو عندك قال الدواء الذي لا داء فيه عندي ان لا تاكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدق وذكر لبعض الفلاسفة من اطباء اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد واظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذاك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة بادب لم يعتل الا علة الموت قيل له وما الادب قال ياكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع وقال بعض افاضل الاطباء في ذم الاستكثار ان انفع ما ادخل الانسان معدته الرمان واضر ما ادخل معدته المالح ولان يقلل من المالح خير له من ان يستكثر من الرمان وفي الحديث المشهور صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وتقليل الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما

الفائدة التاسعة خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له آخذا بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل ويتعب وربما يحتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة كما قال بعض الحكماء اني لاقضي عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك اروح لنفسي وقال آخر اذا اردت ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان ابراهيم بن ادهم رحمه الله يسأل اصحابه عن اسعار الماكول فيقال له انه غال فيقول ارخصوه بالترك وقال سهل الاكول مذموم في ثلاثة احوال ان كان من اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها وهي ابواب النار وفي حسمها فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم اديموا قرع ابواب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في

سائر الشهوات وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله تعالى و تجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فانه انما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة فاما المحتاج فتلهيه لا محالة

الفائدة العاشرة ان يتمكن به من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته كما ورد الخبر فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله وليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع كان الحسن رحمه الله اذا قرأ قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الاية قال عرضها على السموات السبع الطباق الطرائق التي زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها قال ان احسنت جزيت وان اسأت عوقبت قالت لا ثم عرضها على الارض كذلك فابت ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصلاب فقيل لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه فقد رأيناهم والله اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا الافا فماذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا قبورهم واسمنوا براذينهم واهزلوا دينهم واتعبوا انفسهم بالغدو والرواح الى باب السلطان يتعرضون للبلاء وهم من الله في عافية يقول احدهم تبيعني ارض كذا وكذا وازيدك كذا يتكئ احدهم على شماله وياكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى اذا اخذته الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ائتني بشيء يهضم طعامي يا لكع اطعامك تهضم انما دينك تهضم اين الفقير اين الارملة اين اليتيم والمساكين الذين امرك الله بهم فهذه اشارة الى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام الى الفقراء ليدخر به الاجر فذلك خير من ان ياكله حتى يتضاعف عليه الوزر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فاومأ الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد ادركنا اقواما كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لاكله فيقول والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى اجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب عن كل واحدة فوائد لا تنحصر عددها ولا تتناهى فوائدها فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة ولهذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة و باب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد يدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة واذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كان لك رتبة المقلدين في الايمان

بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن

اعلم ان على المريد في بطنه و ماكوله اربع وظائف الاولى ان لا ياكل الا حلالا فالعبادة مع اكل الحرام كالبناء على امواج البحر وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وبقي ثلث وظائف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس الماكول في تناول المشتهيات وتركها

اما الوظيفة الاولى في تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج فمن تعود الاكل الكثير فانتقل دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من د طعامه المعتاد فان كان ياكل رغيفين في كل يوم واراد ان يرد ذلك الى واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا او جزءا من ثلاثين فيرجع الى رغيف في شهر ولا يستضر به ولا يظهر اثره فان شاء فعل ذلك بالوزن وان شاء فيترك في كل يوم مقدار لقمة

بالشابح

ويتقاصر عن الكل بالامس ثم هذا فيه اربع درجات **الدرجة الاولى** اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلث بالحيوة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهي الحيوة والعقل اكل وافطر ان كان صائما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغي ان لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا وراى ان صلوته قاعدا مع ضعف الجوع افضل منها قائما مع قوة الاكل وسئل سهل عن بدايته وما كان يتقوت به فقال كان قوتي في كل سنة ثلثة دراهم كنت اخذ بدرهم دبسا ودرهم سمنا وبدرهم دقيق الارز فاسويه مخلطا ثلثمائة وستين كرة اخذ كل ليلة كرة افطر عليها فقيل له فالساعة كيف قال بغير حد ولا توقيت ويحكى عن الرهابين انهم قد يردون انفسهم الى مقدار درهم من الطعام **الدرجة الثانية** ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون مقدار هذا ثلث البطن في حق الاكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وكان ذلك عادة عمر رضي الله عنه اذ كان ياكل سبع لقم او تسع **الدرجة الثالثة** ان يرد نفسه الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله صلى الله عليه وسلم للنفس **الدرجة الرابعة** ان يزيد على المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله صلى الله عليه وسلم ولا تسرفوا اعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان من لم يقدر على نفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احدها ان لا تطلب النفس الادم بل ياكل الخبز وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلب خبزا بعينه او ادما فليس ذلك بالجوع وقيل ان يبصق فلا يقع الذباب عليه اي لا يبقى فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض والصواب للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة اربعة امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو قدر ما ذكرناه انه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج الى زيادة لسقوط النوى منه فقد كان ابو ذر يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه حتى القاه فاني سمعته صلى الله عليه وسلم يقول اقربكم مني مجلسا يوم القيمة واحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادمين واختلف عليكم بالوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في اخر ولم تكونوا هكذا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت اهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن يقول المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وشرطا شرطا لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم وقال سهل

لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لان اكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط **الوظيفة الثانية** في وقت الاكل ومقدار تاخيره وفيه ايضا درجات العليا ان يطوي ثلثة ايام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلثين يوما او اربعين وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني وعبد الرحمن بن ابرهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير وسليمن الخواص وسهل بن عبد الله الخواص وقد كان الصديق الاكبر رضي الله عنه يطوي ستة ايام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة ايام وكان ابو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوي سبعة وروي ان الثوري وابرهيم بن ادهم كانا يطويان ثلثا ثلثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الاخرة قال بعض العلماء من طوى اربعين يوما من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار الالهية وقد حكي بعض هذه الطائفة على راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوي اربعين يوما وانه معجزة لا تكون الا لنبي صادق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم انه الحق وانك على الباطل فقال نعم فقعد لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما فقال ازيدك ايضا فطوى الى تمام الستين ففعل ذلك فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن احدا يجاوز المسيح وكان ذلك سبب اسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وانساه جوعه وحاجته **الدرجة الثانية ان يطوي** ان يطوي يومين الى ثلثة وليس خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة **يومين** وهي ادناها ان يقتصر في اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة الجوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة روى ابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف ياكلون في كل يوم اكلة وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها اياك والاسراف فان اكلتين في يوم من السرف وكان اكلتين في يوم سرف واكلة في كل يومين اقتار واكلة في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله تعالى ومن اقتصر في اليوم على اكلة واحدة فيستحب ان ياكلها سحرا قبل طلوع الصبح فيكون اكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو المعدة لفراغ القلب ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته وفي حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى ترم قدماه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد اخر الفطر الى السحر وفي حديث عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان التفت قلب الصائم بعد المغرب الى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب في التهجد ايضا فالاولى ان يقسم طعامه بنصفين ان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا عند الفطور ورغيفا عند السحر ليسكن نفسه ويخف عند التهجد بدنه ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل تسحره فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس ان ياكل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه هي الطرق في مواقيت الاكل وتباعده وتقاربه

الوظيفة الثالثة في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير

متخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه المزورات
بالادهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع عن الادام على الدوام بل الامتناع
عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان واكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقساوة في قلبه وانسا
له بلذات الدنيا حتى يالفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت
سجنا عليه ومضيقا عليه واشتهى الافلات منها ويكون الموت طلاقها واليه اشار يحيى بن معاذ حيث
قال معاشر الصادقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس و
كل ما ذكرناه من آفات الشبع فانها تجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادته فلذلك
يعظم الثواب بترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم شرار امتي الذين يأكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى ان من اكله مرة ومرتين
لم يعص ومن داوم عليه ايضا فلا يعصي بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم فيأنس بالدنيا ويألف اللذات
وتسعى في طلبها فيجره ذلك الى المعاصي فهم من شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام امور وتلك
الامور معاصي وقد قال صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وانما
همتهم انواع الطعام والوان اللباس يتشدقون في الكلام واوحى الله تعالى الى موسى على نبينا وعليه
الصلوة والسلام فيما قال له واذكر انك ساكن القبر فليمنعك ذلك عن كثير من الشهوات وقد اشتد
خوف السلف من تناول لذائذ الاطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا ان ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع
الله منه غاية السعادة حتى روي ان وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال احدهما
للآخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي وقال الآخر امرت باهراق
زيت اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان تيسير اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا
امتنع عمر رضي الله عنه من شرب ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عني حسابها فلا عبادة لله
اعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات كما اوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى
نافع ان ابن عمر كان مريضا واشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا و
كذا فاشتريت بدرهم ونصف ثم شويت وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال
للغلام لفها برغيفها وادفعها اليه فقال الغلام اصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها
حتى وجدتها فاشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها فقال لفها وادفعها اليه فقال الغلام
للسائل هل لك ان تأخذ درهما وتتركها فقال نعم فاعطاه وردها فوضعها بين يديه وقال قد
اعطيته درهما واخذتها منه فقال لفها وادفعها اليه ولا تأخذ منه الدرهم فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر الله له وقال صلى
الله عليه وسلم اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار
اشار به الى ان المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر رضي الله عنه
ان يزيد بن ابي سفيان يأكل انواع الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه قد حضر عشاؤه فاعلمني
فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاءه فجاءوه بثريد ولحم فاكل معه عمر ثم قربوا الشوي وبسط يزيد يده
وكف عمر وقال الله الله يا يزيد بن ابي سفيان اطعام بعد طعام والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم
عن سنتهم صلى الله عليه وسلم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن يسار بن عمير قال ما نخلت لعمر دقيقا قط

الا وانا عاص له من غير امره وروي ان عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه بالشمس ثم
يأكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ في الدار الآخرة الشوي والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز
فيغرف به من حب كان في الشمس نهاره فيقول مولاة له يا عتبة لو اعطيتني دقيقك فخبزته لك و
بردت لك الماء فيقول لها يا ام فلان قد شددت عني كلب الجوع وروي عن مالك بن دينار انه بقي
اربعين سنة يشتهي لبنا فلم يأكله فاهدي اليه يوما رطب فقال لاصحابه كلوا فما ذقته
منذ اربعين سنة وقال احمد بن ابي الحواري اشتهى ابو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به
اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف واقبل يبكي وقال عجلت الي شهوتي بعد اطالة جهدي
شقوتي وقد عزمت على التوبة فاقلني قال احمد فما رأيته اكل الملح حتى لقي الله تعالى وقال
مالك بن ضيغم مررت على سوق البصرة فنظرت الى البقل فقالت لي نفسي لو اطعمتني الليلة من
هذا فاقسمت ان لا اطعمها اياه اربعين ليلة ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما اكل
رطبة لاهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا اهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة فما اكلت لكم
رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص مني ولا نقص مني ما زاد فيكم وقال مالك بن دينار طلقت
الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي لبنا اربعين سنة فوالله لا اطعمها حتى الحق بالله تعالى
وقال حماد بن ابي حنيفة اتيت داود الطائي والباب عليه مغلق فسمعته يقول اشتهيت جزرا
فاطعمتك ثم اشتهيت تمرا فآليت ان لا تأكليه ابدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومر ابو حازم بالسوق
فرأى فيها من الفواكه فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة
لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها واتى بها قال لنفسه قد خدعتني
حتى نظرت واشتهيت وغلبتني حتى اشتريت والله لا اذقتك فبعث بها الى فقراء ايتام في
جيرانه وقال موسى الاشج نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة فما اطعمتها وقال احمد بن
خليفة نفسي منذ عشرين سنة ما تطلب مني الا الماء حتى تروى مما اروبتها وروي ان
عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال قد استحييت من نفسي ان
ادفعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشترى قطعة لحم وشواها ووضعها على خبز فلقي
صبيا فقال الست انت ابن فلان وقد مات ابوك فقال نعم فناوله اياه وجعل يبكي ويقرأ ويطعمون الطعام
على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ولم يذقه بعد ومكث عتبة الغلام يشتهي تمرا سنين كثيرة فلما ان كان
ذات يوم اشترى بقيراط تمرا فرفعه حتى يفطر عليه فهبت ريح واظلمت الدنيا ففزع الناس فقال
عتبة هذا لجرأتي عليك وشرائي التمر بالقيراط وقال لنفسه ما اظن ان هذا اصاب الناس الا بذنبك
عليّ ان لا اذيقنه وتصدق به واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلا وبفلس خلا فاقبل
ليلته يقول ويلك يا داود ما اطول حسابك يوم القيامة ولم يكن يأكل الا قفارا وقال عتبة الغلام
لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من قلبه منزلة ما اعرفها من قلبي قال لانك تأكل مع خبزك تمرا وهو
لا يزيد على الخبز شيئا قال فان انا تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي
فقال له بعض اصحابه ابكى الله عينك أعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق
عزمه في الترك هو اذا عزم ترك شيئا لم يعاوده ابدا وقال جعفر بن نصير امرني الجنيد ان اشتري
له التين الوزيري فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة ووضعها في فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقد

لذي ذلك فقال هتف هاتف في ذلك قلبي اما تستحيي ثم تعود اليها وقال صالح المري قلت لعطاء السليمي
اني متكلف لك شيئا فلا ترد علي كرامتي قال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ولدي بشربة من سويق قد لتته
بسمن وعسل فقلت لا تبرح حتى يشربها فشربها فلما كان من الغد بعثت له نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته
ولمته وقلت سبحان الله رددت علي كرامتي فلما راى وجدي لذلك قال لا يسوءك هذا اني قد شربتها
اول مرة وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم اقدر على ذلك لاني كلما اردت ذلك ذكرت قوله
تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال صالح فبكيت وقلت في نفسي انا في واد وانت في اخر وقال السري ان نفسي تطالبني
منذ ثلاثين سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر الجلاء اعرف انسانا يقول له نفسه انا اصبر لك
على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اترك هذه
الشهوة وروي ان عابدا دعى بعض اخوانه فقرب اليه رغيفا فجعل اخوه يقلب بعض الارغفة ليختار اجودها
فقال له العابد مه اي شيء تصنع اما علمت ان في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا
صانع حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والرياح والارض والبهائم و
بني ادم حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين
يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستين صانعا اولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة
الذين تزجي السحاب والشمس والقمر والافلاك وملائكة الهوى ودواب الارض واخر ذلك الخباز
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال بعضهم اتيت قاسم الجوعي فسألته عن الزهد اي شيء هو فقال لي اي
شيء سمعت فيه فعددت اقوالا فسكت فقلت وانت اي شيء تقول فقال اعلم ان البطن دنيا العبد
فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر بن الحارث قد
اعتل فسأل عبد الرحمن ابن المتطبب عن شيء يوافقه من المأكولات فقال تسألني فاذا وصفت لك
لم تقبل مني قال بشر فصف لي حتى اسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل بعد ذلك
اسفيذباجا فقال له بشر تعلم شيئا اقل من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال فانا اعرف قال ما هو
قال الهندبا بالخل ثم قال تعرف شيئا اقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف هو الخرنوب الشامي
ثم قال تعرف شيئا هو اقل من الاسفيذباج يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف ماء الحمص بسمن البقر
في معناه فقال عبد الرحمن فانت اعلم مني بالطب فلم تسألني فقد عرفت ان هؤلاء كيف امتنعوا
من الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الاوقات
لانه كان لا يصفو لهم حلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات
حتى قال ابو سليمن الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذه هي النهاية
فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا
ان ياكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي رضي الله عنه من
ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل ان للمداومة على اللحم
ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه
شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الاكل لتنشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع
بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن يصلي او يجلس فيذكر الله تعالى فانه اقرب الى
الشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم واقل ذلك ان يصلي

اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة او يقرا جزءا من القران عقيب كل اكلة وكان الثوري اذا شبع ليلة احياها
واذا شبع في يوم واصله بالذكر والصلوة وكان يقول اشبع الزنجي وكده ومرة يقول اشبع الحمار و
كده ومهما اشتهى شيئا من طيبات الفواكه فينبغي ان يترك الخبز وياكل الفاكهة بدلا عن الخبز ليكون
قوتا ولا يكون تفكها ولئلا يجمع للنفس بين شهوتين ونظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال
له ابدأ بالتمر فان قامت بكفايتك والا اخذت من الخبز بعده حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا و
غليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطفه وكان
بعضهم يقول لاصحابه لا تاكلوا الشهوات فان اكلتم فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب
بعض انواع الخبز شهوة وقال ابن عمر ما ياتينا من العراق فاكهة احب الينا من الخبز فراى ذلك الخبز
فاكهة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال وبقدر ما يستوفي
العبد شهوته يخشى ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته
يتمتع في الاخرة بشهواته قال بعض عباد البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وسمكا فمنعتها فقويت
مطالبتها واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رايته في المنام فقلت له ماذا فعل الله
بك فقال لا احسن ان اصف لك ما تلقاني به ربي تعالى من الكرامة والنعيم وكان اول شيء استقبلني به خبز ارز
وسمك فقال كل شهوتك اليوم هنيئا بغير حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في
الايام الخالية والذي اسلفوه ترك الشهوات لاجلها ولهذا قال ابو سليمن ترك شهوة من شهوات
النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس

اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفي
قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضائل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات
ولكن من اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع
بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان
والعالم يدرك ان المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية
الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع
الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فانه ان اسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع ايضا
ما يدل على اساءته كما ان الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم
من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة
الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه اصلا فان
مقصود الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع من العبادة والم الجوع يشغل القلب ويمنع
منها العبادة فالمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى للماكول فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن
ثقل الطعام والم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد
الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الادمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع
الى الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقة محماة على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة
الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط ولو ماتت
ماتت على الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة وكذلك الشهوات محيطة

بالانسان لخاطرته الحلقة بالملائكة والملائكة خارجون عن الخلقة ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملائكة في الخلاص فاشبه احوالهم البعد وابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاخلاق المتقابلة وعنه عبر قوله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها واليه اشار قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا بشبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما في بداية الامر اذا كانت النفس جموحا متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت ورجعت الى الاعتدال ترك تعذيبها وايلامها عن هذا السر يامر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه في نفسه فيامره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع هو منها لانه قد فرغ عن تاديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب الاحوال على النفس الشره والشهوة والجماح عن العبادة كان الاصلح له الجوع الذي يحس بالمه في اكثر الاحوال لتنكسر والمقصود ان تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك في الغذاء ايضا الى الاعتدال وانما يمتنع عن ملازمة الجوع من سالكي طريق الآخرة اما صديق واما مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغني عن تاديب نفسه الظان بنفسه خيرا وهذا غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما تتادب تادبا كاملا وكثيرا ما تغتر فتنظر الى الصديق ومسامحته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة حتى يهلك والذي يدل على ان تقدير الطعام بمقدار يسير ووقت مخصوص ليس مقصودا في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متابية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتاقيت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان عليه الصلوة والسلام يدخل على اهل بيته فيقول صلى الله عليه وسلم هل عندكم من شيء فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذا صائم وقد كان يقدم اليه صلى الله عليه وسلم الشيء فيقول اما اني كنت اردت الصوم ثم ياكل وخرج صلى الله عليه وسلم يوما وقال اني صائم فقالت عائشة رضي الله عنها قد اهدي الينا حيس فقال صلى الله عليه وسلم كنت اردت الصوم ولكن قربيه وكذلك حكي ان سهلا قيل له كيف كنت في بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات منها انه كان يقتات بورق النبق مدة ومنها انه كان ياكل دقاق التبن ثلث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له وكيف انت في وقتك قال اكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد وتوقيتا اني اكل كثيرا بل لا اقدر بمقدار واحد ما اكله وقد كان معروف الكرخي يهدى اليه طيبات الطعام فياكل فقيل له ان اخاك بشرا لا ياكل من هذا فقال ان اخي بشرا قبضه الورع وانما بسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت ما لي وللاعتراض والتمييز ودفع ابن ادهم الى بعض اخوانه دراهم فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حواريا فقال يا ابا اسحق بهذا كله قال اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح ذات يوم طعاما فاكثر ودعا نفرا يسيرا فيهم الاوزاعي والثوري فقال له الثوري اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في اللباس والاثاث فالذي ياخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من ابراهيم بن ادهم و يسمع من مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح بيتي منذ عشرين سنة وعن السري السقطي انه منذ اربعين سنة يشتهي ان

يغمس جزرة في دبس فلم يفعل فيراه متناقضا فيتحير ويقطع بان احدهما مخطئ والبصير باسرار العلم يعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم ان هذه الاحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط او غبي مغرور فيقول المحتاط ما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فليس نفسي اطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من جملة الممتنعين من الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول وما نفسي باعصى علي من نفس معروف وابن ادهم فاقتدي بهم وارفع التقدير عن ماكولي فانا ايضا ضيف في دار مولاي فما لي وللاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه وتوقيره او في ماله وجاهه او بتطريقه واحدة قامت عليه القيامة واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل رفع التقدير في الطعام والصيام لا يسلم الا لمن ينظر في مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله تعالى علامة في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون اكله اذا اكل على نية كما يكون امساكه بنية فيكون عاملا لله تعالى في اكله وافطاره فينبغي ان يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل وياكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرض عليه ماء مبرد بالعسل جعل يدير الاناء في كفه ويقول اشربها فيذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها وتركها فهذه اسرار لا ينبغي ان يكاشف الشيخ بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغني عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابراهيم الخواص ان يخوض مع المريد في كل رياضة كان يامره بها كيلا يخطر بباله ان الشيخ لم يامره بما لا يفعله ويفتره بذلك في رياضته والقوي اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا في سياقتهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء واذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي ان لا يترك في كل حال ولذلك ادب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله بن عمر اذ دخل عليه فوجده ياكل لحما مادوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا ام لك كل يوما خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم اقتار وهذا قوام بين ذلك

بيان آفة الرياء

المتطرق الى من ترك اكل الشهوات او تقليل الاكل اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات

الآفة الاولى ان لا يقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن يريد ان لا يعرف بانه يشتهيه فيخفي الشهوة وياكل في الخلوة ما لا ياكل في الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات وحبها ان يظهره فان هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدة بالاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال هو نقصان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيستحق مقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين فقال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر واظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله تعالى الى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره فالعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله تعالى و

فانه يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغي ان يدعوه الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال

يظهر من نفسه الشهوة اسقاطا للمنزلة عن قلوب الخلق وقد كان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في
بيته وهو فيها من الزاهدين ولكن ينبغي ان لا يلبس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشوا
عليه حاله فنهاية الزهد الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين الصدقين
كما ان الاول جمع بين كذبين فهذا حمل على النفس ثقلين وجرعها كاس الصبر مرتين مرة
بشربه ومرة بقذفه فلا جرم اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وهذا ايضا هي طريق من يعطي الجاه
فيأخذه ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي ان يفوته اظهار
شهوته ونقصانه والصدق فيه فلا ينبغي ان يغرك قول الشيطان انك اذا اظهرت فيقتدي بك
غيرك فاستره اصلاحا لغيرك لانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه اهم عليه من غيره فهو انما
يقصد الرياء المجرد ويروجه عليه الشيطان في معرض اصلاح غيره ولذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه و
انه علم ان من يطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل ولا ينزجر باعتقاده انه تارك للشهوات **الآفة
الثانية** ان يقدر على ترك الشهوات ولكن يفرح ان يعرف به ويشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف
شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما
احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة اهم من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو اولى به قال ابو سليمان اذا
قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد اسقطت
عن نفسك الشهوة وقد نغصت على نفسك اذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق اذا قدمت الي
شهوة نظرت الى نفسي فان اظهرت شهوتها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها وان اخفت شهوتها
واظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منه شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة
الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة
الرياء اضر كثيرا من شهوة الطعام **القول في شهوة الفرج** اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان
لفائدتين **الفائدة الاولى** ان يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت
اقوى لذات الاجساد كما ان النار والمها اعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الخلق الى سعاداتهم
وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان ما لم يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق **الفائدة الثانية**
بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك في الدين والدنيا ان لم يضبط
ولم يقهر ولم يرد الى حد الاعتدال وقد قيل في تفسير قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن
ابن عباس في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه
وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال صلى الله عليه وسلم النساء حبائل الشيطان
ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال وروي ان موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام كان
جالسا في بعض مجالسه اذ اقبل عليه ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوان فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم اتاه
فقال السلام عليك يا نبي الله قال موسى من انت قال انا ابليس فقال لا حياك الله ما جاء بك فقال جئت
لاسلم عليك لمنزلتك من الله تعالى ومكانك منه قال فما الذي رايت عليك قال اختطف به قلوب بني آدم
قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك
ثلاثا لا تخل بامراة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامراة لا تحل له الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى افتنه بها

ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها
الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى احول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتاه علم موسى ما
يحذر منه بني آدم وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم يأيس ابليس ان يهلكه بالنساء
ولا شيء اخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح
وقال بعضهم ان الشيطان قال للمرأة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطي وانت موضع
سري وانت رسولي في حاجتي فنصف جندي الشهوة ونصفه الغضب واعظم الشهوات شهوة النساء
وهذه الشهوة ايضا لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى التمتع
بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي افراطها الى
بطائفة الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا ما يقوي شهوتهم للاستكثار من الوقاع كما يتناول بعض
الناس ادوية تقوي المعدة ليعظم شهوتها للطعام وما مثال ذلك الا كمن بلي بسباع ضارية وثعابين عادية
فينام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام والوقاع
على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص فان قيل فقد روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غريب الحديث انه قال شكوت الى جبرئيل ضعف الوقاع فامرني باكل الهريسة فاعلم انه
كان تحته صلى الله عليه وسلم تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن ان طلقهن وكان
طلبه القوة لهذا المعنى لا للتنعم واللذة والامر الثاني انه قد ينتهي هذه الشهوة ببعض الضلال الى
العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لان المتعشق ليس يقنع بالافراغ
شهوة الوقاع وهي اقبح الشهوات واجدرها بان يستحيى منها حتى يعتقد ان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد
والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق فيكتفي به وهذا لا يكتفي الا بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية
الى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا
لاجلها وما العشق الا منبع افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما يجب الاحتراز منه اوائله بترك
معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق الجاه والمال والعقار والاولاد وحتى حب
اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد يستولي على طائفة بحيث ينغص عليهم الدين والدنيا
ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر العشق في اوائل انبعاثه مثل من يصرف عنان الدابة عند توجهها
الى باب ليدخله وما اهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة
حتى يدخل ويجاوز الباب ثم ياخذها بذنبها يجرها الى ورائها وما اعظم التفاوت بين الامرين في العسر واليسر فليكن
الاحتياط في بدايات الامور فاما اواخرها فلا يقبل العلاج الا بجهد شديد يكاد يؤدي الى نزع الروح فاذن
افراط الشهوة ان تغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة
وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان يكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت
فكسرها بالجوع والنكاح قال صلى الله عليه وسلم معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان
الصوم له وجاء **بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله** اعلم ان المريد في ابتداء امره لا ينبغي ان يشغل نفسه
بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه عن السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله تعالى شغل عن الله
تعالى ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله عز وجل فلا
يقاس الملائكة بالحدادين ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا وما رايت مريدا تزوج

فثبت على ما كان وقيل له ما احوجه الى امراة فيستأنس بها فقال لا آنسني الله بها اي الانس بها يمنع الانس بالله
وقال ايضا ما شغلك عن الله تعالى من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم وكيف يقاس غيره برسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان استغراقه بحب الله تعالى كان يجد احتراقه فيه الى حد كان يخشى في بعض
الاحوال ان يسري ذلك الى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب يده على فخذ عايشة رضي الله عنها احيانا
ويقول كلميني يا عايشة ليشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه وقد كان طبعه الانس
بالله وكان انسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق
صدره قال ارحنا بها يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ احواله في مثل
هذا فهو مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على اسرار افعاله صلى الله عليه وسلم فشرط المريد العزوبة
في الابتداء الى ان يقوى في المعرفة وهذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل و
الصوم الدايم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج
فالنكاح له اولى لتسكن الشهوة والا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ فكره وتفرق همه وربما وقع في بلية لا يطيقها
نعم زنا العين من كبائر الصغائر وهي تؤدي على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر
على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلم اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة
وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير انما كانت فتنة داود من اجل النظرة وقال داود لابنه يا بني امش خلف
الاسود والاسد ولا تمش خلف المراة وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام ما بدء الزنا قال النظر والتمني وقال الفضيل
يقول ابليس هي قوسي القديمة وسهمي الذي لا اخطي به يعني النظرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم
من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى اعطاه الله سبحانه ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال صلى الله عليه و
سلم ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول
فتنة بني اسرائيل كانت من النساء وقال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم الايتين وقال
صلى الله عليه وسلم لكل ابن آدم حظه من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما
البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبل والقلب يهم او يتمنى ويصدق ذلك
الفرج او يكذبه وقالت ام سلمة استاذن ابن ام مكتوم الاعمى وانا وميمونة جالستان فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم احتجبا فقلنا اليس باعمى لا يبصرنا فقال صلى الله عليه وسلم وانتما لا تبصرانه افعمياوان
انتما وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في المآتم والولائم فيحرم على الاعمى
الخلوة بالنساء ويحرم على المراة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه لغير حاجة وانما جوز للنساء محادثة الرجال
والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان
فالنكاح اولى به فان الشر في الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى المراة امكنه الوصول الى
استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة
الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر فان قلت كل ذي حس يدرك
التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة لا محالة فاقول لست اعني تفرقة
العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة بين شجرة خضراء واخرى يابسة وماء صاف وماء
كدر وشجرة عليها ازهارها وانوارها وشجرة تساقطت اوراقها فانه يميل الى احدهما بعينه وطبعه
ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولذلك لا يشتهي ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل

الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح و
لكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل
في قلبه وادرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والاثواب المنقشة والسقوف المزخرفة
فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون
قال بعض التابعين ما انا باخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من غلام امرد يجلس اليه وقال
سفيان لو ان رجلا عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجله يريد الشهوة لكان لوطا وقال
السلف سيكون في هذه الامة ثلاثة اصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون و
صنف يعملون فاذن آفة النظر الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره
فالصواب له ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع قال بعضهم غلبت علي شهوتي
في بدء ارادتي بما لم اطق فاكثرت الضجيج الى الله تعالى فرايت شخصا في المنام فقال لي ما لك فشكوت
اليه قال تقدم فتقدمت فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي
فاصبحت وقد زال عني ما كان بي فبقيت معافا سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فجاء
شخص في المنام فقال اتحب ان يذهب ما تجد واضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقبتك فمددتها
فجرد سيفا من نور وضرب عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافا سنة ثم عاودني ذلك و
اشد منه فرايت شخصا يخاطبني فيما بين صدري وجنبي ويقول ويحك كم تسال الله تعالى رفع ما لا
يحب رفعه تزوج فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي ان يترك
شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام
بالحقوق الواجبة كما فصلنا ذلك في آداب النكاح فلا نطول باعادته وعلامة صدق ارادته ان ينكح
فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية وقال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق
وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها
والفقيرة بخلاف ذلك وقيل قال بعضهم ينبغي ان تكون المراة دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول والمال
والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال والادب والخلق والورع وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح
الخلق الحسن تزوج بعض المريدين من امراة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المراة وشكت الى الاب وقالت
قد تحيرت في هذا الرجل انا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء معي او علي
قبلي اليه وتزوج بعضهم امراة ذات جمال فلما قرب الزفاف اصاب المراة الجدري فاشتد حزن اهلها
لذلك خوفا من ان يستقبحها فاراهم الرجل انه قد رمد ثم اظهر انه ذهب بصره حتى زفت المراة
وزال عن اهلها ذلك الحزن فبقيت معه عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه فقيل له في ذلك فقال
تعمدت لاجل اهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اخوانك بهذا الخلق الحسن وتزوج بعض الصوفية
امراة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر على خلقها
فيتاذى بها فان نكح المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر على الترك فهو اولى اذا لم يمكنه الجمع بين فضل
النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن سليمن الهاشمي وكان يملك
غلة في كل يوم ثمانين الف درهم فكتب الى كبراء البصرة وعلمائها في امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم على
رابعة العدوية فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا في كل

يوم ثمانين ألف درهم ولبس بمعنى الأيام والليالي حتى اجتمعا مائة ألف درهم وأنا أصير إليك مثلها وشلها
فأجبني إلى ما سألت والسلام فكتب إليه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الزهد في
الدنيا راحة البدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فإذا أتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك
وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا تراثك وصم الدهر واجعل فطرك الموت وأما
أنا فلو أن الله خولني مثل ما خولك وأضعافه ما سرني أن أشتغل عن الله تعالى طرفة عين وهذا
إشارة إلى أن كل ما شغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر المريد إلى حاله وقلبه فإن وجده في العزوبة
فهو الأقرب وإن عجز فالنكاح أولى به فدواء هذه الشهوة بثلاثة أمور بالجوع وغض البصر
والاشتغال بشغل يستولي على القلب فإن لم ينفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستأصل مادتها
فقط ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب وهو ابن أربع
وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى ما شيء عندي أخوف من النساء وعن
عبد الله بن وداعة السهمي قال كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياما فلما جئته قال أين كنت قلت
توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال ألا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت
أهلا فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة فقال أنا فقلت وتفعل قال
نعم ثم حمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم زوجني بحضرته على درهمين أو ثلاثة فقمت و
ما أدري ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلي وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت
المغرب وانصرفت إلى منزلي وأسرجت وكنت وحدي وكنت صائما فقدمت عشائي لأفطر وكان
خبزا وزيتا فإذا بابي يقرع فقلت من هذا قال سعيد ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد
بن المسيب فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته وبين المسجد فخرجت فإذا هو سعيد بن المسيب
فظننت أنه قد بدا له فقلت يا أبا محمد ألا أرسلت إلي فآتيك قال لأنت أحق أن تؤتى فقلت فما تأمر قال
إنك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك فإذا هي قائمة
خلفه في طوله ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت المرأة من الحياء فقال بارك الله
فيكما ولكما برحمته وانصرف فغلقت الباب ودخلنا أنا وهي ثم تقدمت إلى القصعة التي فيها الزيت
والخبز فوضعتها في ظل السراج كيلا تراه ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجاؤوني فقالوا ما شأنك
قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها على غفلة فقالوا سعيد زوجك
فقلت نعم وهو ثا في الدار معي فنزلوا إليها وبلغ ذلك أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام
إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام فأقمت ثلاثا ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل النساء
وهي أحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق
الزوج فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان بعد شهر أتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت
عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق أهل المسجد فقال ما حال ذلك الإنسان
فقلت خير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال إن رابك شيء فالعصا فانصرفت إلى
منزلي فوجه إلي بعشرين ألف درهم قال عبد الله بن سليمان كانت بنت سعيد بن المسيب قد خطبها
عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك
يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف

ما ايس الشيطان من شئ الا اتاه من قبل النساء وقال سعيد

فاستعجال سعيد في الزفاف في تلك الليلة لمعرفته غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين إلى
تطفئة نار الشهوة بالنكاح

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

اعلم أن هذه الشهوة أغلب
الشهوات على الإنسان وأعصاها عند الهيجان على العقل إلا أن مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من
اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما لعجز أو لخوف أو لحياء أو لمحافظة على حشمة وليس
في شيء من ذلك ثواب فإنه إيثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة أن لا يقدر ففي
هذه العوائق فائدة وهي دفع الإثم فإن من ترك الزنا اندفع عنه إثمه بأي سبب تركه وإنما الفضل و
الثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب لا سيما عند
صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين فلذلك قال صلى الله عليه وسلم من عشق وقدر وعف و
كتم ومات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله وعد منهم رجلا
دعته امرأة ذات جمال وحسن إلى نفسها فقال إني أخاف الله رب العالمين وقصة يوسف وامتناعه عن
زليخا مع القدرة عنها مشهورة وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه وهو إمام كل من وفق لمجاهدة
الشيطان في هذه الشهوة العظيمة روي أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجها فدخلت عليه امرأة
فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا عن منزله وتركها قال سليمان فرأيت في المنام يوسف وكأني
أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذي هممت وأنت سليمان الذي لم تهم أشار به
إلى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وعن سليمان أيضا ما هو أعجب من هذا وهو
أنه خرج حاجا من المدينة ومعه رفيق له حتى نزلا بالأبواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق إلى
السوق ليبتاع شيئا من الطعام من السوق وجلس سليمان في الخيمة وكان من أجمل الناس وجها على ما
ذكرنا وأورع الناس فبصرت به أعرابية من قلة الجبل فلما رأت حسنه وجماله انحدرت إليه وعليها
البرقع والقفازان فجاءت ووقفت بين يديه وأسفرت عن وجهها كأنها فلقة قمر فقالت أهنئني
فظن أنها تريد طعاما فقام إلى فضل السفرة ليعطيها فقالت لست أريد هذا إنما أريد ما يكون
من الرجل إلى أهله فقال جهزك إلي إبليس ثم وضع رأسه بين كميه وأخذ في البكاء والنحيب فلم يزل
كذلك يبكي فلما رأت ذلك منه سدلت البرقع على وجهها ورفعت رجلها إلى خيمتها على رأس الجبل وجاء
رفيقه ورآه قد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك فقال خير ذكرت صبيتي فقال
لا إلا أن لك قصة إنما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به رفيقه حتى أخبره بشأن
الأعرابية فوضع السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال له سليمان فأنت ما يبكيك قال أنا أحق بالبكاء
إني أخشى أني لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان حتى انتهى وقت فريضة فنهضا للصلوة فلما
انتهى سليمان إلى مكة طاف وسعى فأتى الحجر فاحتبى بثوبه فنعس فإذا رجل وسيم جميل طوال له شعرة
حسنة وشارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان من أنت رحمك الله قال أنا يوسف قال يوسف الصديق
قال نعم قلت إن في شأنك وشأن امرأة العزيز لشأنا عجيبا فقال له يوسف شأنك وشأن صاحبة الأبواء
أعجب وروى عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلاثة نفر ممن
كان قبلكم حتى أواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا
إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم قال رجل منهم اللهم إنه كان لي أبوان كبيران شيخان
فكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما

فوجدتهما نائمين فكرهت ان اغبق قبلهما اهلا او مالا فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما
حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت
ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه
وقال الآخر اللهم كانت لي ابنة عم كانت من احب الناس الي فاردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت
بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى
اذا قدرت عليها قالت لا احل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي
احب الناس الي وتركت الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما
نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم اني استأجرت اجراء فاعطيتهم
اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجره حتى كثرت منه الاموال فجاء في بعد حين فقال
يا عبد الله ادّ الي اجري فقلت كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا
تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم ان كنت فعلت
ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا افضل من تمكن
من قضاء هذه الشهوة فعف وتقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان النظر مبدأ
الزنا فحفظه مهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها تنشأ منه و
النظرة الاولى اذا لم يقصدها لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وسلم لك
الاولى وعليك الثانية اي النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فان النظر يجعل
في القلب شهوة وقلّ ما يخلو الانسان في ترددانه عن وقوع البصر على النساء والصبيان ومهما تخايل
اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر في نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل لانه
ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يتلذذ
به وتألم لانه قصد اللذة فقد فعل ما آلمه فلا يخلو في كلتا حالتيه عن معصية وعن تألم وتحسر ومهما حفظ
العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فان اخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن
فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق وروي عن بكر بن عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية
لبعض جيرانه فارسلها اهلها الى حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت لا تفعل
فانا اشد حبا لك منك ولكني اخاف الله تعالى قال فانت تخافينه وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه
العطش حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بني اسرائيل فسأله فقال ما لك قال
العطش قال تعال حتى ندعو الله تعالى حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال ما لي من عمل فادعو قال
انا ادعو وامّن انت فدعا الرسول وامّن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب
الى مكانه ومالت السحابة معه فقال له الرسول زعمت انه ليس لك عمل وانا الذي دعوت وانت الذي امّنت
فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره فقال الرسول ان التائب من الله عز وجل بمكان
ليس احد من الناس بمكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم
المسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه والقامة والسمت فنظرت اليه امرأة ذات جمال وعقل
فشغفت به وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى
اسمع مني كلمات اكلمك بها ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله

فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها فاطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة وانا اكره
ان اكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن
معاذ الله ان يتشوف العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في مثل هذا الوقت
بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد في مثل القوارير ادنى
شيء يعيبه وجملة ما اكلمك به ان جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في امري وامرك فمضى الشاب
الى منزله فاراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا فكتب كتابا وخرج من منزله فاذا
المرأة واقفة في موضعها فالقى الكتاب اليها ورجع الى منزله وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم
اعلمي ايتها المرأة ان الله تعالى اذا عصي حلم فاذا عاد العبد في المعصية ستره فاذا لبس لها ملابسها
غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منه السموات والارضون والجبال والشجر والدواب فمن ذا
يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن
وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم واني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان
كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب هدى يداوي الكلوم الممرضة والاوجاع المرمضة ذلك الله رب
العالمين فاقصديه على صدق المسألة وارجعي اليه فاني متشاغل عنك بقوله تعالى وانذرهم يوم
الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين الآية فاين المهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بايام
فوقفت له على طريقه فلما رآها من بعيد اراد الرجوع الى منزله لئلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان
الملتقى بعد هذا ابدا الا بين يدي الله تعالى وبكت بكاء شديدا وقالت اسأل الله تعالى الذي بيده
مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم تبعته فقالت امنن علي بموعظة احملها واوصني بوصية
اعمل عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم
بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار فاطرقت وبكت بكاء شديدا اشد من بكائها الاول ثم افاقت وقضت
ولزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد ذلك ثم
يبكي عليها بكاء شديدا فيقال له مم بكاؤك وانت قد ايستها فيقول اني قد ذبحت طمعها مني في اول امرها
وجعلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله تعالى وانا استحيي من الله عز وجل ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده

كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله
والهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وافاض على قلبه خزائن العلوم فاكمله
ثم ارسل عليه سترا من رحمته وارسله ثم امده بلسان يترجم به عما حواه القلب وتعقله ويكشف عنه ستره الذي
ارسله فاطلق بالحمد مقوله وافصح بالشكر عما اولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله واشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله الذي اكرمه وبجله ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله
اي فضله ودين سهله صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه ومن قبله ما كبره عبد وهلله اما بعد
فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه وعظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين
الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود او معدوم
خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فا

ن

كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في ساير الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد فله في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والاخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله او آجله وعلم ما يحمد فيه اطلاق اللسان او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في اطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تيسيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها واسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز منها ونورد ما ورد من الآثار والاخبار في ذمها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعنيك ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة المراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن اما لحيوان او جماد او انسان ثم آفة الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم آفة الغيبة ثم آفة النميمة ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطا في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته ويرتبط باصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله وكلامه وعن الحروف وانها قديمة او محدثة وهي آخر الآفات وجملتها عشرون آفة

بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه كما قال عليه الصلوة والسلام من صمت نجا وقال ايضا الصمت حكم وقليل فاعله اي حكمة وحزم وروى عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك اخبرني عن الاسلام قال قل آمنت بالله ثم استقم قلت فما اتقي فاوما بيده الى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال النبي صلى الله عليه وسلم من تكفل لي بما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة وقال عليه الصلوة والسلام من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلث بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل النار فقال الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم آفة اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد البطن لانه منفذه وقال معاذ قلت يا رسول الله انؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك امك يا ابن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسانه ثم قال هذا وروي ان معاذا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل قال فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه اصبعه وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يامن جاره بوائقه وقال عليه الصلوة والسلام من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اصبح ابن آدم اصبحت الاعضاء كلها تكفر اللسان اي تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروي ان عمر اطلع على ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا اوردني الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء من الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته وعن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم او انصت تسلم من قبل ان تندم قيل له يا ابا عبد الرحمن هذا شيء تقوله او شيء سمعته قال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اكثر خطايا ابن آدم في لسانه وقال ابن عمر رضي الله عنهما قال عليه الصلوة والسلام من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وروي ان معاذ بن جبل رضي الله عنه قال يا رسول الله اوصني قال اعبد الله كانك تراه وعد نفسك في الموتى وان شئت انبأتك بما هو املك لك من هذا واشار بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وقال الحسن ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم وقال سفيان قالوا لعيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلم دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع قال فلا تنطقوا الا بخير وقال سليمان بن داود على نبينا وعليهما الصلوة والسلام ان كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب وعن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجائع واسق الظمآن وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير وقال عليه الصلوة والسلام امسك لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال عليه الصلوة والسلم ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم ما يقول وقال عليه الصلوة والسلام اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم الناس ثلاثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل وقال عليه الصلوة والسلام ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بالشيء امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلم العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به

الآثار

كان الصديق رضي الله عنه يضع حجرا في فيه يمنع به نفسه من الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا اوردني الموارد وقال ابن مسعود والله الذي لا اله الا هو ما شيء احوج الى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع ان ارسلته اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز اما بعد فان من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله

ثم كلامه فيما لا يعنيه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل خصلتين السلامة في دينه والفهم عن
صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من
حفظ الدنانير والدراهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس احد يكون لسانه منه على بال الا
رايت صلاح ذلك على سائر عمله وقال الحسن كانوا يتكلمون عند معاوية والاحنف ساكت
فقالوا ما لك لا تتكلم يا ابا بحر قال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت قال ابو بكر بن
عياش اجتمع اربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على
ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الآخر اني اذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم ملكتها
ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع عليه لم تنفعه وقال الرابع
انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقيل ان ابن المعتمر لم يتكلم بعد عشاء الآخرة اربعين
سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وقيل انه كان اذا اصبح وضع قرطاسا و
قلما فكلما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم
ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والنميمة والغيبة والرياء والنفاق والفحش والمراء و
تزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء
الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهي سباقة الى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب
وعليها بواعث من الطبع والشيطان فالخائض فيها قل ما يقدر على ان يزم اللسان فيطلقه بما يحب و
يكفه عما لا يحب فان ذلك من غوامض العلم كما سيأتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك
عظم فضله هذا مع ما فيه من تبعات القول ومن حسابه في الآخرة وقد قال الله تعالى ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد ويدلك على فضل لزوم الصمت امر وهو ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم
هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم لا ضرر فيه ولا منفعة اما الذي هو ضرر محض فلا بد من
السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول
والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع وقد سقط ثلاثة ارباع
الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج بما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية
النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى مدركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان
على ما سنذكره علم قطعا ان ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من
صمت نجا فلقد اوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم وجواهر الحكم ولا يعرف احد ما تحت كلماته من بحار
المعاني الا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك
ان شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدئ باخفها ونترقى الى الاغلظ قليلا قليلا
ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها اطول وهي عشرون آفة **الآفة الأولى الكلام**
فيما لا يعنيك اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك عن جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والكذب
فان النظر فيها اطول والمراء والنفاق وغيره وتتكلم بما هو مباح لا ضرر فيه عليك ولا على مسلم اصلا
الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك و
تستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر والذكر ربما كان ينفتح لك من نفحات
رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه ولو هللت الله سبحانه وسبحته وذكرته لكان خيرا لك فكم من كلمة

من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة صح

يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على ان ياخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا
خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم ياثم فقد خسر حيث
فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا هكذا
قال النبي صلى الله عليه وسلم بل راس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا
في الآخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل
ورد ما هو اشد من هذا قال انس استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من
الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريك
لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسال عنه فقالوا
مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه قال ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال من هذه المتألية
على الله قال هي امي يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا يغنيه ومعناه انه
انما يتهنأ الجنة من لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا يتهنأ الجنة مع
المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل من
هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه
بذلك وقالوا اخبرنا باوثق عملك في نفسك ترجو به فقال اني لضعيف وان اوثق ما ارجو به سلامة الصدر و
ترك ما لا يعنيني وقال ابو ذر قال لي النبي صلى الله عليه وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت
بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن
احسن من الدهم الموقفة لا تكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تكلم فيما يعنيك حتى تجد له
موضعا فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعيب ولا تمار حليما ولا سفيها
فان الحليم يقليك وان السفيه يؤذيك واذكر اخاك اذا تغيب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب
ان يعفيك منه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان ماخوذ بالاجرام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك
قال لا اسال عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي امر انا في طلبه عشرين سنة لم اقدر
عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما
لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من خشي الله ولا
تصحب الفاجر لتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى وحد ما
لا يعنيك ان تتكلم بكل ما لو سكت عنه لم تاثم ولم تتضرر في حال ولا مال مثاله ان تجلس مع قوم فتحكي
معهم اسفارك وما رايت فيها من جبال وانهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة
والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه امور لو سكت عنها لم تاثم ولم تتضرر واذا
بالغت في الاجتهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر
بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى فانت مع ذلك كله
مضيع زمانك واني تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها ان تسال غيرك عما لا يعنيك فانت
بالسؤال مضيع وقتك وقد الجات صاحبك ايضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق
الى السؤال عنه آفة واكثر الاسئلة فيها آفات فانك تسال غيرك عن عبادته مثلا فتقول هل انت صائم
فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر

تفضل عبادة المجتهد بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا اياك وتاذيت به و
وان احتال بمدافعة الجواب افتقر الى الجهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال اما للرياء او الكذب او
الاستحقار او التعب في حيلة الجواب وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصي
وكل ما يخفيه ويستحيي منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول ماذا انتم تقولون وفيم انتم وكذلك ترى
انسانا في الطريق فتقول من اين فانه ربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تاذى به واستحيى
وان لم يذكره بصدق وقع في الكذب وكذلك تسال عن مسئلة لا حاجة بك اليها والمسؤل
ربما لا يسمح نفسه بان يقول لا ادري فيجيب عن غير بصيرة ولسنا نعني بالتكلم بما لا يعني هذه الاجناس
فان هذا يتطرق اليه اثم او ضرر وانما مثال ما لا يعني ما روي ان لقمن دخل على داود على نبينا وعليه السلم
وهو يسرد الدرع فجعل يتعجب مما يرى فاراد ان يساله عن ذلك فمنعه حكمته فامسك نفسه ولم يساله
فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمن الصمت حكم وقليل فاعله اي حصل العلم
به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك فلم يساله
فهذا وامثاله من الاسولة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو مما لا يعني
وتركه من حسن اسلام المرء فهذا حده واما السبب الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه او المباسطة بالكلام
على سبيل التودد او تزجية الوقت بحكايات احوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت بين
يديه وانه مسئول عن كل كلمة وان انفاسه راس ماله وان لسانه شبكة يقدر ان يقتنص بها الحور العين
فاهماله وتضييعه خسران هذا علاجه من حيث العلم واما من حيث العمل فالعزلة او ان يضع حصاة في فيه و
ان يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير
المعتزل شديد جدا **الافة الثانية فضول الكلام** وهو ايضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني
والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يقرره ويجسمه
ويكرره ومهما تادى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فضول اي فضل على الحاجة وهو ايضا مذموم
لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر قال عطاء ابن ابي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام
وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم او امر بمعروف او نهي
عن منكر او نطق لحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها ويقولون انكرون ان عليكم لحافظين كراما
كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحيي احدكم ان لو نشرت
صحيفته التي املاها صدر نهاره فكان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمني
بالكلام لجوابه اشهى الي من الماء البارد الى الظمآن فاترك جوابه خيفة ان يكون فضلا وقال مطرف ليعظم جلال الله
في قلوبكم فلا تذكروه عند قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما اشبه ذلك واعلم ان فضول الكلام لا
ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف
او اصلاح بين الناس وقال النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله فا نظر
كيف قلب الناس الامر في ذلك فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه قال
قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا علينا
فضلا وانت اطولنا علينا طولا وانت الجفنة الغراء وانت وانت فقال صلى الله عليه وسلم قولوا قولكم ولا يستهوينكم
الشيطان هذا اشارة الى ان اللسان اذا اطلق في الثناء ولو بالصدق فيخشى ان يستهوي الشيطان الى الزيادة

المستغنى عنها وقال ابن مسعود انذركم فضول الكلام حسب امرئ ما بلغ به حاجته وعن مجاهد قال ان الكلام
ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه فيقول ابتاع لك كذا وكذا فيكتب كذابا وقال الحسن يا ابن ادم بسطت لك
صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان عملك فاملي ما شئت واكثر او اقل وروي ان سليمان بن داود
على نبينا وعليهما الصلوة والسلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه قال
فاخبروه انه مر على السوق فرفع راسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز راسه فساله سليمن عن ذلك
فقال عجبت من الملائكة على رؤس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون
وقال ابرهيم التيمي المؤمن اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان له تكلم والا امسك والفاجر انما يرسل لسانه رسلا
رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر سقطه وكذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب
نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فاكثر فقال صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك
من باب فقال شفتاي واسناني فقال صلى الله عليه وسلم اما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية انه
قال صلى الله عليه وسلم ذلك في رجل اثنى عليه واستهتر في الكلام ثم قال صلى الله عليه وسلم ما اوتي رجل
شرا من فضل في لسان وقال عمر بن عبد العزيز انه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة وقال بعض
الحكماء اذا كان المرء في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فاعجبه السكوت فليتحدث وقال
يزيد بن ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام اليه احب من الاستماع وان وجد من يكفيه فان
في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر ان احق ما طهر الرجل لسانه
وراى ابو الدرداء امراة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها وقال ابرهيم يهلك
الناس في خلتين فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة كثرة الكلام وفضوله وسببه الباعث
عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني **الافة الثالثة الخوض في الباطل** وهو الكلام في المعاصي
كحكاية احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة
واحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهو حرام واما الكلام فيما لا يعني واكثر ما لا يعني
فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام الكثير فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل واكثر
الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس والخوض في الباطل وانواع الباطل
لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها ولذلك لا مخلص منه الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين و
الدنيا وفي هذا الجنس تقع من الكلمات ما يهلك صاحبها وهو يستحقرها وقد قال بلال بن الحرث
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت
يكتب الله بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت
فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيمة قال وكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال
بن الحارث وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا
وقال ابو هريرة رضي الله عنه ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم وان الرجل ليتكلم
بالكلمة ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها في الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الناس خطايا يوم
القيمة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله تعالى
فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم وقال سلمان ان اكثر الناس ذنوبا يوم
القيمة اكثرهم كلاما في معصية الله تعالى وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول

توضأ فان بعض ما يتقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة
والنميمة والفحش وغيره بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر في التوصل اليها من
غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل فيه ايضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى
من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض والحديث فيه خوض في الباطل

الآفة الرابعة المراء والمجادلة وذلك منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا
تعده موعدا فتخلفه وقال صلى الله عليه وسلم ذروا المراء فانه لا يفهم حكمته ولا يؤمن فتنته وقال صلى الله
عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض
الجنة وعن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه بعد عبادة
الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم الا اوتوا الجدل وقال صلى الله عليه
وسلم لا يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وقال صلى الله عليه وسلم ست من كن
فيه بلغ حقيقة الصيام في الصيف وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل الصلوة في يوم الدجن والصبر على
المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقران
فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه عرضا للخصومات اكثر التنقل
وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانها ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل
قوم بعد اذ هداهم الله الا بالجدال وقال مالك بن انس ليس هذا الجدال من الدين بشيء وقال ايضا
المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال
بن سعد اذا رايت الرجل لجوجا مماريا معجبا برايه فقد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت اخي في رمانة
فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي الى السلطان وقال سفيان صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء
فليرمينك بداهية تمنعك من العيش وقال ابن ابي ليلى لا اماري صاحبي فاما ان اكذبه واما
ان اغضبه وقال ابو الدرداء كفى بك اثما ان لا تزال مماريا وقال صلى الله عليه و
سلم تكفير كل لحاء ركعتان وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث
لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضاء
بالجهل منه وقال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال
ذهبت مروته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا
تفارق اخا لك عن قلى قال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم المراء والجدال
كثير وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في
قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان
كان باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في
لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو او من جهة اللغة او العربية او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم او تأخير
وذلك تارة يكون من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار
خلله واما في المعنى فبان يقول ليس كما تقول وقد اخطأت فيه من كذا وكذا واما في قصده فمثل ان يقول
هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس ان
جرى في مسئلة علمية ربما خص باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت او السؤال في معرض

الاستفادة لا على صيغة العناد والنكارة او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن واما المجادلة
فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه و
آيته ذلك ان يكون تنبهه للحق من جهة غيره مكروها عند المجادل يحب ان يكون هو المظهر لخطأه
ليتبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت واما
الباعث على هذا فهو الترفع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس
قويتان اما اظهار الفضل فهي من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء
وهي من صفات الربوبية واما تنقيص الاخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه
ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما المراء والجدال والمواظب على
المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهية بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء
الغير ولا ينفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما
يمكنه من حق او باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور فيثور الشجار بين المتماريين كما يثور الهراش بين
الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية في افحامه فاما علاجه فهو بان يكسر الكبر
الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سيأتي ذلك في كتاب ذم الكبر و
كتاب ذم الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة
وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه روي ان ابا حنيفة قال لداود الطائي رحمهما الله لم آثرت
الانزواء فقال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك
فما رايت مجاهدة اشد علي منه وهو كما قال لان من يسمع من غيره خطأ وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه
جدا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة لشدة ذلك
على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن ان له ثوابا اشتد عليه حرصه و
تعاون الطبع والشرع وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة واذا راى مبتدعا
تلطف في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال فان الجدال يخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس فان ذلك صنعة
يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو ارادوا فيستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد فاذا عرفت ان
النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة
الا باحسن ما يقدر عليه قال هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات وكل من تعود المجادلة مدة و
اثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات فلا يستطيع عنها نزوعا اذا
اجتمع عليه سلطان الكبر والغضب والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها
فكيف بمجموعها **الآفة الخامسة الخصومة** وهي ايضا مذمومة وهي وراء المراء والجدال فالمراء طعن في
كلام الغير باظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن
امر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال او حق مقصود وذلك تارة
يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة رضي الله
عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله تعالى الالد الخصم وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم
اياكم والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن

عبد الله بن ابي بكر فقال له ما يجلسك قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي قال ان لابيك عندي يدا
واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رايت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروة ولا اضيع
للذة ولا اشغل للقلب من خصومة قال فقمت لارجع فقال لي الخصم ما لك قلت لا اخاصمك ابدا قال
عرفت ان الحق لي قلت لا ولكني اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب شيئا هو لك فان قلت اذا كان
للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف يذم خصومته
فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان
يعرف ان الحق في اي جانب هو يتوكل في الخصومة من اي جانب يكون فيخاصم من غير علم ويتناول الذي
يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط او على قصد
الايذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار الحق
ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من
المال وفي الناس من يصرح به ويقول انما قصدي عناده وكسر عرضه واني ان اخذت منه هذا المال
ربما رميته في البئر ولا ابالي فهذا مقصوده اللدد واللجاج وهو مذموم جدا اما المظلوم
الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة ومن غير قصد عناد
وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد
الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب فاذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه و
بقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة الآخر ويحزن بمسرته ويطلق
اللسان في عرضه فمن ابتدا بالخصومة فقد تعرض لهذه المحظورات واقل ما فيه تشويش خاطره
حتى انه في صلوته يشتغل بمحاجة الخصم فلا يبقى الامر على حد الواجب والخصومة مبدا كل شر
وكذا الجدال والمراء فينبغي ان لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ
اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته فيسلم
عن الاثم ولا يذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيه لان معه ما يكفيه فيكون تاركا
للاولى ولا يكون آثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد عليه من
الثواب اذ اقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام اعظم من الطعن و
الاعتراض الذي حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله
او كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام
الطعام وقال الله تعالى وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس من سلم عليك من خلق الله فاردد
عليه وان كان مجوسيا لان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال
ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة
لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله تعالى لمن اطعم الطعام واطاب الكلام
وروي ان عيسى عليه الصلوة والسلام مر به خنزير فقال له مر بسلام فقيل له يا روح الله تقول
هذا للخنزير فقال اكره ان اعود لساني الشر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم الكلمة الطيبة صدقة
وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم يكن فبكلمة طيبة وقال عمر رضي الله عنه
البر شيء هين وجه طلق وكلام لين وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به

جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فلعله عز وجل يعوضك منه ثواب المحسنين وقال ايضا الكلام اللين
يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح فهذا كله في فضل الكلام الطيب ويضاده الخصومة والمراء و
اللجاج والجدال فانه الكلام المستنكر الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب
الموغر للصدر

الآفة السادسة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه
بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة فكل ذلك من التصنع المذموم
من التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والاتقياء من امتي برآء من التكلف وقال
صلى الله عليه وسلم ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا يوم القيمة الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في
الكلام وقالت فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم
ياكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه وسلم الا هلك
المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر ان شقاشق الكلام من شقاشق
الشيطان وجاء سعد بن عمر الى ابيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من
حاجتك ابعد منك اليوم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياتي على الناس زمان يتخللون الكلام
بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلأ بالسنتها فكانه انكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة و
هذا ايضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن العادة وكذلك تكلف
السجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي
من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الاعراب
وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي ان يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام
التفهيم للغرض فما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من غير
افراط واغراب لان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ولرشاقة اللفظ تاثير فيه
فهو لائق به فاما المحاورات التي تجري في قضاء الحاجات فلا يليق بها التسجيع والتشدق والاشتغال
به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم مكروه
في الشرع يزجر عنه

الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان وهو منهي عنه مذموم ومصدره الخبث واللوم قال صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش و
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان يسب قتلى بدر من المشركين وقال لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص
اليهم شيء مما تقولون وتؤذون الاحياء الا ان البذاء لؤم وقال صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بالطعان
ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال صلى الله عليه وسلم الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال
صلى الله عليه وسلم اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم ويدعون بالويل والثبور
رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر
الى كل كلمة قذعة خبيثة بذية فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه وسلم البذاء والبيان شعبتان
من شعب النفاق ويحتمل ان يكون المراد بالبيان المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا
البيان في امور الدين وفي صفات الله تعالى فان القاء ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة في
بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس واذا اجملت بادرت القلوب الى القبول ولم تضطرب
ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الانسان من بيانه فان الاولى في مثله الاغماض

المصنوع المتكلف

وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء

الا يجوز كشفه ويختل اسما

والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا يحب الفاحش المتفحش الصياح
في الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي امامي فقال
صلى الله عليه وسلم ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شيء وان احسن الناس اسلاما احسنهم
اخلاقا وقال ابرهيم بن ميسرة يقال الفاحش المتفحش يوم القيمة في صورة كلب او في جوف كلب قال الاحنف
بن قيس الا اخبركم بادوا الداء اللسان البذي والخلق الدني فهذه مذمة الفحش فاما حده وحقيقته فهو
التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة ويجري اكثر ذلك في الفاظ الوقاع وما يتعلق به
فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه واهل الصلاح يتحاشون عن التعرض
لها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكرون ما يقاربها ويتعلق بها قال ابن عباس ان الله تعالى
حيي كريم يعفو ويكني كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست
بفاحشة وهنا عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات
متفاوتة في الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف ذلك بعادة البلاد واوائلها مكروهة
واواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة
عن البول والغائط اولى من لفظ التغوط والخراءة وغيرهما فان هذه ايضا مما يخفى وكل ما يخفى ويستحيي
منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحة فانه فحش ولذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال
قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة كذا او قيل من وراء الستر او قالت ام الاولاد او قيل في الدار
والتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيي منها فلا ينبغي
ان يعبر عنه بصريح لفظه كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه
فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان قال العلاء بن هرون كان عمر بن
عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج تحت ابطه خراج فاتيناه نسأله لنرى ماذا يقول قلنا من اين خرج فقال من
باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة اهل الفساد والخبث
واللوم ومن عادتهم السب وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال عليك بتقوى الله
وان امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيئا
قال فما سببت شيئا بعده وقال عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو
دوني هل علي باس ان انتصر منه فقال صلى الله عليه وسلم المستبان شيطانان يتكاذبان ويتهاتران
وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم وقال صلى الله عليه وسلم
سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله عليه وسلم ملعون من سب والديه وفي رواية من اكبر الكبائر
ان يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب الرجل والديه فقال صلى الله عليه وسلم يسب الرجل
فيسب الاخر اباه

الآفة الثامنة اللعن

اما لحيوان او جماد او انسان وذلك مذموم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بلعان وقال صلى الله عليه وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا
بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن الحصين بينما رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره اذا امراة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى
الله عليه وسلم خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة وكاني انظر الى تلك الناقة تمشي في الناس لا يعرض
لها احد وقال ابو الدرداء ما لعن احد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله تعالى وقالت عائشة رضي

الله عنها قالت سمع النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه فقال
يا ابا بكر الصديقين ولعانين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلاثا فاعتق ابو بكر يومئذ بعض
رقيقه وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا اعود وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان اللعانين لا
يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة وقال انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير
فلعن بعيره فقال صلى الله عليه وسلم لا تسر معنا على بعير ملعون وكان ذلك انكارا واللعن عبارة عن الطرد
والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الا على من يتصف بصفة تبعده من الله تعالى وهو الكفر والظلم بان
يقول لعنة الله على الظالمين والكافرين وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع لان في اللعنة خطرا لانه حكم على الله
تعالى بانه قد ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه الا الله تعالى ويطلع عليه رسوله اذا اطلعه الله تعالى عليه والصفات
المقتضية للعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق وللعن في كل واحدة ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف
الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعين والفسقة والثانية اللعن باوصاف اخص منه كقولك لعنة الله على
الكافرين اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض وعلى الزناة والظلمة واكلة
الربا وكل ذلك جائز ولكن في لعن اوصاف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامضة فما لم يرد فيه لفظ ماثور
فينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا والثالثة اللعن
على الشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص ثبتت
لعنته شرعا فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه ثبت ان هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف
ذلك شرعا واما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي فهذا فيه خطر لانه ربما يسلم فيموت
مقربا عند الله تعالى فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه
الله لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور ان يرتد فاعلم ان قولنا رحمه الله اي ثبته الله على الاسلام الذي
هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سؤال الكفر وهو في نفسه
كفر بل الجائز ان يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب
لا يدرى والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر واذا عرفت هذا في الكافر فهو
في زيد الفاسق او زيد المبتدع اولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تتقلب على الاعيان الا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز ان يعلم من يموت على الكفر ولذلك كان قد عين باللعن قوما فقال اللهم عليك
بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهي
اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او
يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون يعني انهم ربما يسلمون فمن اين تعلم انهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته
على الكفر جاز لعنته وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم وان كان فيه اذى على مسلم لم يجز كما روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سال ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال ابو بكر رضي الله عنه هذا قبر رجل
كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد فقال يا رسول الله هذا
قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابي قحافة فقال ابو بكر رضي الله عنه يكلمني هذا يا رسول الله
بمثل هذا الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفف عن ابي بكر فامسك فانصرف ثم اقبل على
ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للآباء فكف الناس عن
ذلك وشرب نعيمان الخمر فحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما

كلا ورب الكعبة
كلا ورب الكعبة

عم

وكان يقول في دعائه على قريش

اكثر ما اوتي به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على اخيك وفي رواية لا تقل
هذا فانه يحب الله ورسوله ونهاه عن ذلك فهذا يدل على ان لعنة فاسق بعينه غير جايز وعلى الجملة ففي
لعنة الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعنة ابليس فضلا من غيره فان قيل هل يجوز
لعنة يزيد لكونه قاتل الحسين او آمرا به قلنا هذا لم يثبت اصلا ولا يجوز ان يقال انه قتله او امر
به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة ولانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق بل يجوز ان يقال قتل
ابن ملجم عليا رضي الله عنه وقتل ابو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز ان يرمي مسلما
بفسق وكفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت
عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا
فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر
ببدعة او غيره كان مخطئا لا كافرا وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انهاك ان تشتم مسلما او
تعصي اماما عادلا والتعرض للاموات اشد قال مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت ما فعل فلان
لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات
فانهم افضوا الى ما قدموا وقال صلى الله عليه وسلم ايها الناس احفظوني في اصحابي واخواني واصهاري فلا
تسبوهم ايها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله
او الآمر بقتله لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة
فان وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل
كبيرة ولا تنتهي الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو اولى و
انما اوردناه لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي ان يطلق
اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر او على الاجناس المعروفين باوصافهم دون الاشخاص
المعينين فالاشتغال بذكر الله تعالى اولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة وقال مكي بن ابراهيم كنا عند
ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون
انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عون انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيمة لا اله
الا الله ولعن الله فلانا ولان يخرج من صحيفتي لا اله الا الله احب الي من ان يخرج لعن الله وقال رجل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال اوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمر ان ابغض عباد الله الى
الله كل طعان لعان وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد ان روى هذا لو قلت انه مرفوع
لم ابال وعن ابي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل ان يقتله وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على ظالم كقول
الانسان لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فكل ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على
الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيمة **الآفة التاسعة الغناء والشعر** وقد ذكرنا في كتاب
السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده واما الشعر فحسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلئ شعرا وعن مسروق انه سئل
عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال انا اكره ان يوجد في صحيفتي شعر وسئل بعضهم عن شيء من
الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله تعالى خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا

وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فتؤذوا به الاحياء

لم يكن فيه ما يكره قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب
وقد يدخله الكذب وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت بهجاء الكفار والتوسع في المدح فانه وان كان
كذبا فانه لا يلتحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر **شعر** ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله
فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة
الشعر ولا يقصد منه ان يعتقد صورته وقد انشدت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيات منها
لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك ولم يمنع منه قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخصف نعله وكنت اغزل قالت فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه
يتولد نورا قالت فبهت فنظر الي فقال صلى الله عليه وسلم ما لك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك
فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا فلو رآك ابو كبير الهذلي لعلم انك احق بشعره قال وما يقول يا
عائشة ابو كبير الهذلي فقلت ومبرأ من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء معضل واذا نظرت الى اسرة وجهه
برقت كبرق العارض المتهلل قالت فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في يده وقام الي فقبل ما بين عيني
وقال جزاك الله يا عائشة خيرا ما سررت مني كسروري منك ولما قسم صلى الله عليه وسلم الغنائم امر للعباس
بن مرداس باربع قلائص فاندفع يشكو في شعر له وفي آخره وما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر
حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقول الشعر في
فجعل يعتذر ويقول بابي انت وامي اني لاجد للشعر دبيبا على لساني مثل دبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا اجد
بدا من ان اقول فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين **الآفة**
العاشرة المزاح واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك
ولا تمازحه فان قلت المماراة ايذاء لان فيه تكذيبا للاخ والصديق او تجهيلا اما المزاح فطايبة وفيه انبساط و
طيبة قلب فلم نهي عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط فيه او المداومة عليه اما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل و
اللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة واما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث
الضغينة في بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن النبي صلى الله عليه و
سلم انه قال اني امزح ولا اقول الا حقا ومثله يقدر ان يمزح ولا يقول الا حقا واما غيرك اذا فتح باب المزاح كان غرضه
ان يضحك الناس كيف كان وقد قال عليه الصلوة والسلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد
من الثريا وقال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه
كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة
عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال رجل لاخيه يا اخي هل اتاك انك
وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قال فما رئي ضاحكا حتى مات وقال يوسف
بن اسباط اقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك ويقال اقام عطاء السلمي اربعين سنة لم يضحك ونظر وهيب بن الورد الى
قوم يضحكون في يوم فطر فقال ان كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان لم يغفر لهم فما هذا فعل
الخائفين وكان عبد الله بن ابي يعلى يقول اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس
من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رايت رجلا في الجنة يبكي الست
تعجب من بكائه قال بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري الى ما يصير هو اعجب منه فهذه آفة الضحك

والمذموم منه ما يستغرق ضحكا والمحمود التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت كذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال القاسم مولى معوية اقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله تفر به فجعل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه فهلك فقال صلى الله عليه وسلم وافواهكم ملاء من دمه واما اذا ادى المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر قالت لي امي لا تمزح مع الصبيان فتهون عليهم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجترئ عليك وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا الله واياكم والمزاح فانها تورث الضغينة وتجر الى القبيح تحدثوا بالقران وتجالسوا به فان ثقل عليكم فبحديث حسن من حديث الرجال وقال عمر رضي الله عنه اتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق وقال لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة للنهى ومقطعة للاصدقاء فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فكيف ينهى عنه فاقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه احيانا على الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفة ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور مع الزنج ابدا لينظر الى رقصهم ويتمسك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لعائشة رضي الله عنها في النظر اليهم وهم يرقصون في يوم عيد وهذا خطأ اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن هذا نعم روى ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا قال عطاء ان رجلا سال ابن عباس فقال اكان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح فقال نعم فقال الرجل فما كان مزاحه قال ابن عباس انه كان كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوبا واسعا وقال لها البسيه واحمدي الله وجري منه ذيلا كذيل العروس وروى انس انه صلى الله عليه وسلم كان من افكه الناس ويروى انه كان صلى الله عليه وسلم كثير التبسم وعن الحسن انه اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال صلى الله عليه وسلم انك لست يومئذ بعجوز قال الله تعالى انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا وروى زيد بن اسلم ان امرأة يقال لها ام ايمن جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك فقال صلى الله عليه وسلم ومن هو اهو الذي بعينه بياض فقالت والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه لبياضا فقالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم ما من احد الا بعينه بياض اراد به البياض المحيط بالحدقة وجاءت امرأة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال صلى الله عليه وسلم احملك على ابن البعير فقالت ما اصنع به لا يطيقني ولا يحملني فقال صلى الله عليه وسلم وهل من بعير الا وهو ابن بعير وكان يمزح بذلك وقال انس كان لابي طلحة ابن يقال له ابو عمير وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا ابا عمير ما فعل النغير كان يلعب به وهو فرخ العصفور وقالت عائشة رضي الله عنها خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة بدر فقال تعالي حتى اسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا فقمنا عليه فاستبقنا فسبقني فقال هذه مكان ذي المجاز وكان جاءنا يوما ونحن بذي المجاز وانا جارية قد بعثني ابي بشيء فقال اعطينيه فابيت وسعيت فسعى على اثري فلم يدركني وقالت

عائشة رضي الله عنها سابقني النبي صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني فقال هذه بتلك وقالت عائشة رضي الله عنها كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت خزيرا وجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه فقلت والله لتاكلين او لالطخن وجهك فقالت ما انا بذائقته فاخذت من الصحفة شيئا فلطخت وجهها به ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتيه لتستقيد مني فتناولت من الصحفة شيئا فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وروى ان الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له يا رسول الله ان عندي امرأتين احسن من هذه الحميراء فلا انزل لك عن احديهما فتتزوجها وعائشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت اهي احسن ام انت فقال لا بل انا احسن منها واكرم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم من مسئلة عائشة اياه لانه كان دميما وروى علقمة عن ابي سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسين بن علي رضي الله عنهما فيرى الصبي لسانه فيهش فقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن لي الابن رجلا قد تزوج وبقل وجهه وما قبلته قط فقال صلى الله عليه وسلم ان من لا يرحم لا يرحم واكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى الهزل وقال صلى الله عليه وسلم لصهيب وبه رمد وقد رآه يأكل تمرا فقال صلى الله عليه وسلم أتأكل التمر وانت رمد فقال انما آكل بالشق الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروى ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا عبد الله ما لك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم طلع عليه فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فكنت بعد ذلك اتفرر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع علي وانا اصلي في المجلس المسجد فجلس الي فطولت فقال صلى الله عليه وسلم لا تطول فاني انتظرك فلما سلمت قال لي يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد قال فسكت واستحييت وقام وكنت اتفرر منه حتى لحقني يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه من شق واحد فقال ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فقلت والذي بعثك بالحق نبيا ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله تعالى وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب الخمر فيؤتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعليه ويأمر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة يوما لعنك الله فقال له صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم جاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطالب نعيمان بثمنه جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول صلى الله عليه وسلم اولم تهده لنا فيقول يا رسول الله انه والله لم يكن عندي ثمنه واحببت ان تأكله فيضحك صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب

الآفة الحادية عشر السخرية والاستهزاء

وهذا محرم مهما كان مؤذيا قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم الآية ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة و

في معنى الغيبة قالت عايشة رضي الله عنها حكيت انسانا فقال لي صلى الله عليه وسلم ما احب اني حكيت انسانا
ولي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمسلمين والكبيرة القهقهة بذلك وهذه اشارة الى
ان الضحك على الناس من الجرائم والذنوب وقال عبد الله بن زمعة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال له هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا جاء اغلق دونه ثم يفتح
له باب اخر فيقال له هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما زال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له
الباب ويقال له هلم هلم فما ياتيه وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب منه
لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نبه قوله تعالى
عسى ان يكونوا خيرا منهم اي لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتأذى به فاما من جعل
نفسه مسخرة وربما فرح بان يسخر منه صارت السخرية في حقه من جملة المزاح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وانما
المحرم استصغار من يتأذى به المستهزئ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة يجري بان يضحك على
كلامه اذا تخبط ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته وعلى صورته وخلقته
اذا كان قصيرا او ناقصا لعيب من العيوب والضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها **الآفة
الثانية عشر افشاء السر** وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال صلى الله
عليه وسلم اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي امانة وقال صلى الله عليه وسلم مطلقا الحديث بينكم امانة وقال
الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك ويروى ان معاوية اسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا ابة
ان امير المؤمنين اسر الي حديثا وما اراه يطوي عنك ما بسطه الى غيرك قال فلا تحدثني به
فان من كتم سره كان الخيار اليه ومن اظهره كان الخيار عليه فقلت له يا ابت ان هذا ليدخل بين الرجل وابنه فقال لا والله يا بني ولكن احب
ان لا تذلل لسانك باحاديث السر فاتيت معاوية فحدثته فقال يا وليد اعتقك اخي من رق الخطاء
فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولوم اذا لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان
السر في كتاب آداب الصحبة فلا نعيده **الآفة الثالثة عشر الوعد الكاذب** فان اللسان سباق الى الوعد
ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق وقد قال الله تعالى يا ايها
الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وسلم العدة عطية وقال صلى الله عليه وسلم الواي مثل
الدين او افضل والواي الوعد وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل على نبينا وعليه الصلوة والسلام في وفائه
بالوعد حيث قال تعالى انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا فقيل انه كان واعد انسانا في موضع فلم
يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال انه كان خطب
الي ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله بثلث النفاق اشهدكم اني قد
زوجته ابنتي فلانة وعن عبد الله بن ابي الحمسا قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فوعدته ان آتيه بها في مكانه
ذلك فنسيت يومي والغد فاتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا
انتظرك منذ ثلث وقيل لابرهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال ينتظره ما بينه وبين ان
يدخل وقت الصلوة التي تجيء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن
مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من
الوفاء الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازما على ان لا يفي به فهذا هو النفاق وقال ابو هريرة قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب
واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان
منافقا ومن كانت فيه خصلة واحدة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف
واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفاء من غير عذر
فاما من عزم على الوفاء او عن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق
ولكن ينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل نفسه معذورا من
غير ضرورة فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فاتي بثلاثة
من السبي فاعطاه اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة رضي الله عنها تطلبه منه وهي تقول الا ترى اثر
الرحى بيدي يا رسول الله فذكر موعده لابي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لابي الهيثم فآثره على
فاطمة لما سبق من موعده له مع انها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة ولقد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم جالسا يقسم الغنائم التي لهوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لي عندك موعدا
يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم صدقت فاحتكم ما شئت قال احكم ثمانين ضائنة وراعيها فقال
صلى الله عليه وسلم هي لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت
احزم واجزل حكما منك حين حكمها موسى فقالت حكمي ان تردني شابة وادخل معك الجنة قيل فكان الناس
يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا فيقولون اشح من صاحب الثمانين والراعي وقد قال صلى الله عليه وسلم
ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل وليس في نيته ان يفي وفي لفظ اخر اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته ان يفي فلم يجد
فلا اثم عليه **الآفة الرابعة عشر الكذب في القول واليمين** وهو من قبايح الذنوب وفواحش العيوب وقال
اسمعيل بن واسط سمعت الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما
في النار وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب باب من ابواب النفاق وقال الحسن
كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذي يبنى عليه
النفاق الكذب وقال صلى الله عليه وسلم كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك به مصدق وانت له
فيه كاذب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى
يكتب عند الله كذابا ومر صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول احدهما والله لا انقصك
من كذا وكذا ويقول الاخر والله لا ازيدك على كذا فمر بالشاة وقد اشتراها احدهما فقال صلى الله عليه وسلم
اوجب احدهما بالاثم والكفارة وقال صلى الله عليه وسلم الكذب ينقص الرزق وقال صلى الله عليه وسلم
ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس الله تعالى قد احل البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فياثمون ويحدثون
فيكذبون وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق
سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال صلى الله عليه وسلم ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل
جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة
يحبهم الله تعالى رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه وعلى اصحابه ورجل كان له جار سوء
يؤذيه فيصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل كان مع قوم في سفر او سرية فاطالوا السرى
حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلاثة يشنؤهم الله تعالى

التاجر والبياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال صلى الله عليه وسلم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك الناس او القوم ويل له ويل له وقال النبي صلى الله عليه وسلم رايت كان رجلا جاءني فقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قائم والاخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الاخر فيمده فاذا مده رجع الاخر كما كان فقلت للذي اقامني ما هذا قال هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيمة وعن عبد الله بن جراد انه سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله هل يزني المؤمن فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد يكون من ذلك فقال يا نبي الله هل يكذب المؤمن فقال صلى الله عليه وسلم لا ثم اتبعه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله قوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون وقال ابو سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وانا صبي فذهبت لاخرج لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال اعطيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اردت ان تعطيه فقالت تمرا فقال اما لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة وقال صلى الله عليه وسلم لو افاء الله تعالى علي نعما عدد هذه الحصا لقسمتها فيكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم وكان متكيا الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال الا وقول الزور وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبلوا الي بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هي قال صلى الله عليه وسلم اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال صلى الله عليه وسلم ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم وخطب عمر رضي الله عنه بالجابية فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم كمقامي هذا فيكم فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد وقال صلى الله عليه وسلم من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين باثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله تعالى يوم القيمة وهو عليه غضبان وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم رد شهادة رجل في كذبة كذبها وقال صلى الله عليه وسلم كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقالت عائشة رضي الله عنها ما كان من خلق اشد عند اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من اصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم انه قد احدث لله عز وجل منه توبة وقال موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمن لابنه يا بني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال صلى الله عليه وسلم في مدح الصدق اربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق حديث وحفظ امانة وحسن خليقة وعفة طعمة وقال ابو بكر رضي الله عنه في خطبته بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة وقال معاذ قال لي صلى الله عليه وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث واداء الامانة ووفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح

اما الآثار قال علي رضي الله عنه اعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيمة وقال عمر بن عبد العزيز ما كذبت كذبة منذ شددت علي ازاري وقال عمر رضي الله عنه احبكم الينا ما لم نركم احسنكم اسما فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة وعن ميمون بن ابي شبيب قال قعدت اكتب كتابا فاتيت على حرف ان انا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فناداني مناد من جانب البيت يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وقال الشعبي ما ادري ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني اوجر على ترك الكذب لاني انما ادعه انفا وقيل لخالد بن صبيح من يكذب كذبة واحدة هل يسمى فاسقا قال نعم وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب ما من خطيب الا عرضت خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال ايضا الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج احدهما الاخر وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد في شيء فقال له كذبت فقال عمر ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه

بيان ما رخص فيه الكذب اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو به فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون ماذونا فيه وربما كان واجبا قال ميمون بن مهران ان الكذب في بعض المواطن خير ارايت لو ان رجلا سعى باخر ليقتله فدخل دارا فانتهى اليك فقال رايت فلانا ما كنت قائلا الست تقول لم اره وما نصنع به فهذا الكذب واجب فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم واجب فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود حرب او اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني عليه الا بكذب فالكذب مباح الا انه ينبغي ان يحترز عنه ما امكن لانه اذا فتح باب الكذب فيخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر فيه على حد الضرورة فكان الكذب حراما في الاصل الا لضرورة والذي يدل على الاستثناء ما روي عن ام كلثوم ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص في شيء من الكذب الا في ثلث الرجل يقول القول يريد الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امراته والمراة تحدث زوجها وقالت ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت اسماء بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل الكذب يكتب على ابن ادم الا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما وروي عن ابي كاهل قال وقع بين رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن الثناء عليك ولقيت الاخر فقلت مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت اهلكت نفسي واصلحت بين هذين الرجلين فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس يعني ولو بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك وروي ان ابا عذرة الدولي وكان في خلافة عمر يخلع النساء اللاتي يتزوج فطار له في الناس من ذلك احدوثة يكرهها فلما علم بذلك قام بعبد الله بن ارقم حتى ادخله بيته فقال لامراته انشدك بالله هل تبغضيني قالت لا تنشدني قال فاني انشدك بالله قالت نعم

عزة

فقال لا بل لا دام السمع ثم انطلقا الى عمر فقال انكم تحدثون اني اظلم النساء واخلعهن فاسئل ابن ارقم
فسأله فارسل الى امراة ابن ابي عذرة فجاءت وعمتها فقال انت التي تحدثين لزوجك انك تبغضينه
فقالت اني اول من تاب وراجع امر الله تعالى انه ناشدني الله فتحرجت ان اكذب أفأكذب يا امير المؤمنين
قال نعم فاكذبي فان كانت احداكن لا تحب احدنا فلا تحدثه بذلك فان اقل البيوت التي تبنى على الحب
ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحساب وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما لي اراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة
الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امرأته يرضيها
وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلم او دفع عنه وقال علي رضي الله عنه اذا حدثتكم عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلأن اخر من السماء احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة
فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به غرض مقصود صحيح
له ولغيره اما المال فمثل ان يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله ان ينكر او يأخذه السلطان ويسأله عن فاحشة
بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله ان ينكر ويقول ما زنيت ولا شربت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى وللرجل
ان يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان يسأل عن سر
اخيه فله ان ينكره وان يصلح بين اثنين وبين الضرات من نسائه بان يظهر لكل واحدة انها احب اليه وان كانت
امرأته لا تطيعه الا بوعد لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب
قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق في هذه
المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما بالاخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور
الذي يحصل بالصدق اشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود اهون من
مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامر بحيث يتردد فيه وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب يباح بضرورة
او حاجة مهمة فاذا شك في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد
ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب مهما امكنه ذلك وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك
اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة لحق الغير والاضرار به واكثر كذب
الناس انما هو لحظوظ نفسهم ثم هو لزيادة المال والجاه ولامور ليس في فواتها محذور حتى ان المرأة لتحكي
عن زوجها ما تفاخر به وتكذب لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام قالت اسماء سمعت امرأة تسأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لا يفعل اضارها بذلك فهل علي فيه شيء فقال
صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال صلى الله عليه وسلم من تطعم بما لم يطعم وقال
لي وليس له واعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيمة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه
ورواية الحديث الذي ليس يتثبت فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف ان يقول لا
ادري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب في المكتب الا بوعد او وعيد
وتخويف كان ذلك مباحا نعم روينا في الاخبار ان ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب المباح ايضا قد
يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح لقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور
كبير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا

يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب لاجله هل هو اهم في
الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض جدا فالحزم في تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز
تركه كما لو ادى الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن الظانون انه يجوز وضع الاحاديث
في فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطأ محض قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا بضرورة
ولا ضرورة اذ في الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد في الايات والاخبار كفاية عن
غيرها وقول القائل ان ذلك يكرر على الاسماع فسقط وقعها وما هو جديد فوقعه اعظم
فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعلى الله تعالى عن ذلك ويؤدي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا
شره اصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا يقاومها شيء **بيان الحذر
من الكذب بالمعاريض** وقد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب قال
عمر رضي الله عنه اما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب وروي عن ابن عباس وغيره مثله وانما
ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم يكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض
والتصريح جميعا ولكن التعريض اهون ومثل المعاريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطاه
فتعلل بمرض وقال ما رفعت جنبي مذ فارقت الامير الا ما رفعني الله به وقال ابرهيم اذا بلغ
الرجل عنك شيء فكرهت ان تكذب فقل ان الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف
نفي عند المستمع وعنده للابهام وكان معاذ عاملا لعمر فلما رجع قالت امرأته ما جئت به مما يأتي به
العمال الى اهلهم ولم يكن جاءها بشيء فقال كان معي ضاغط قالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابي بكر فبعث معك عمر ضاغطا فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر فلما سمع
عمر ذلك دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا فقال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك
عمر واعطاه شيئا وقال ارضها به وقوله ضاغطا يريد الله تعالى وحفيظا عليه وكان النخعي لا يقول
لابنته اشتري لك سكرا بل يقول ارايت لو اشتريت لك فانه ربما لا يتفق له ذلك وكان ابرهيم
اذا طلبه في الدار من يكرهه يقول للجارية قولي اطلبه في المسجد ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كاذبة
وكان الشعبي اذا طلب في البيت وهو يكرهه يخط دائرة ويقول للجارية ضعي الاصبع ههنا فيها وقولي
ليس هو ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم للكذب
وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روي عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابي على عمر بن عبد
العزيز فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه امير المؤمنين وكنت اقول جزى الله امير
المؤمنين خيرا فقال لي يا بني اتق الله واياك والكذب وما اشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقريرا لهم
على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل ولا فائدة فيه نعم المعاريض تباح لغرض خفيف
كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز وفي عين زوجك بياض
ونحملك على ولد البعير وما اشبهه فاما الكذب الصريح كما فعله نعيمان الانصاري مع عثمان في قصة
الضرير اذ قال له انه نعيمان وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقى بتغريرهم بان امرأة قد رغبت في
تزويجك فان كان فيه ضرر يؤدي ذلك الى ايذاء قلب فهو حرام وان لم يكن الا لمطايبة فلا يوصف

صاحبها بالفسق ولكنه ينقص ذلك من درجة ايمانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستكمل
المؤمن ايمانه حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه واما قوله صلى الله عليه و
سلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوي بها ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذاء
قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت العادة به في المبالغة كقوله قلت لك كذا
مائة مرة فانه لا يراد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا
وان طلبه مرارا لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا ياثم وان لم يبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبا
لغة فيها لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به ان يقال كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك
منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت اسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة حين هيأ
ناها وادخلناها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب
ثم ناوله عائشة فاستحيت الجارية فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي منه
فاخذته على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا فقلت
يا رسول الله ان قالت احدانا لشيء تشتهيه لا نشتهيه ايعد ذلك كذبا فقال صلى الله عليه وسلم ان الكذب
ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة وقد كان اهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن
سعد كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت هذا الرمص فيقول
فاين قول الطبيب وهو يقول لا تمس عينيك فاقول لا افعل وهذه مراقبة اهل الورع ومن تركه انسل
لسانه عن اختياره فيكذب ولا يشعر قال خوات التيمي جاءت اخت الربيع بن خثيم عائدة الى بني له فانكبت عليه فقالت
كيف انت يا بني فجلس ربيع فقال ارضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان
يقول يعلم الله فيما لا يعلمه وقال عيسى عليه الصلوة والسلام ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله
يعلم لما لا يعلم وربما يكون في حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اعظم الفرى
ان يدعي الرجل الى غير ابيه او يري عينيه في المنام ما لم ير او يقول علي ما لم اقل وقال صلى الله عليه وسلم من كذب
في حلمه كلف يوم القيمة ان يعقد شعيرة

الآفة الخامسة عشر الغيبة

والنظر فيها طويل فنذكر اولا مذمة
الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله تعالى على ذمها في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة
فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا الاية وقال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه
والغيبة تناول العرض وقد جمع الله تعالى بينه وبين الدم والمال وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وابي سعيد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان العبد قد يزني فيتوب الله تعالى عليه
وان صاحب الغيبة لا يغفر الله له حتى يغفر له صاحبه قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي
على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم فقلت يا جبرئيل من هؤلاء فقال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون
في اعراضهم وقال سليمان بن جابر اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمني خيرا ينفعني الله به فقال
صلى الله عليه وسلم لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستسقي وان تلقى اخاك
ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتابه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق في بيوتها
فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة اخيه
يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته واوحى الله تعالى الى موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام

من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار وقال
انس امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن احد حتى آذن له فصام الناس
حتى اذا امسوا فجعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظللت صائما فاذن لي لافطر فياذن له والرجل والرجل
حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من اهلك ظلتا صائمتين وانهما تستحيان ان تاتياك فاذن
لهما ان تفطرا فاعرض عنه ثم عاوده فاعرض عنه ثم عاوده فقال صلى الله عليه وسلم انهما لم تصوما وكيف
صام هذا اليوم وهو ياكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين ان تستقيئا فرجع اليهما فاخبرهما
فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال
صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية انه لما
اعرض عنه جاء بعد ذلك فقال يا رسول الله انهما والله قد ماتتا او كادتا ان تموتا فقال صلى
الله عليه وسلم ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس او بقدح فقال صلى الله عليه وسلم لاحدهما قيئي فقاءت
من قيح ودم وصديد حتى ملات القدح وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال صلى الله عليه و
سلم ان هاتين صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما جعلت احداهما الى الاخرى
فجعلتا تاكلان لحوم الناس وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم
شانه وقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله تعالى في الخطيئة من ستة وثلاثين زنية
يزنيها الرجل وان اربى الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير
فاتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال اما انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فيمشي
بالنميمة او يغتاب الناس واما الآخر فكان لا يتنزه من بوله ودعا بجريدة رطبة فكسرها ثم امر بكل
كسرة فغرست على قبر وقال صلى الله عليه وسلم اما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين او ما
لم تيبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل في الزنا فقال رجل لصاحبه هذا اقعص كما
يقعص الكلب فمر النبي صلى الله عليه وسلم في طريقه بجيفة وهما معه فقال صلى الله عليه وسلم ما
اصبتما من اخيكما انتن من هذه وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند
الغيبة ويرون ذلك افضل الاعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال ابو هريرة من اكل
لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الآخرة فقيل له كله ميتا كما اكلته حيا فياكل ويضج ويكلح وروي ايضا
مرفوعا كذلك وروي ان رجلين كانا قاعدين عند باب من ابواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا
فترك ذلك فقالا لقد بقي فيه شيء منه فاقيمت الصلوة فدخلا فصليا مع الناس فجال في انفسهما
مما قالا فاتيا عطاء فسالاه فامرهما ان يعيدا الوضوء والصلوة وان كانا صائمين امرهما ان يقضيا
صيام ذلك اليوم قال مجاهد في قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي ياكل
لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا ان عذاب القبر ثلاثة اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من البول و
ثلث من النميمة وقال الحسن والله للغيبة اسرع في دين المؤمن من الاكلة في الجسد وقال بعضهم
ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلوة ولكن في الكف عن اعراض
الناس وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوب نفسك وقال ابو هريرة
يبصر احدكم القذى في عين اخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه وقال الحسن يقول ابن آدم انك لن تصيب
حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدا باصلاح ذلك العيب فتصلحه من

نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله تعالى من
كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلم والحواريون
على جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا فقال عيسى ما اشد بياض اسنانه كانه
نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على انه لا يذكر من شيء من خلق الله الا احسنه وسمع علي
بن الحسين رضي الله عنهما رجلا يغتاب اخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس
وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله فانها شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء

بيان معنى الغيبة وحدها اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت
نقصانا في بدنه او نسبه او في خلقه او في فعله او في قوله او في دينه او في دنياه حتى في ثوبه
وفي داره وفي دابته اما البدن فذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة
وجميع ما يتصور ان يوصف به مما يكرهه واما النسب فان يقول ابوه نبطي او هندي او فاسق
او خسيس او زبال او اسكاف او شيء مما يكرهه كيف كان فاما الخلق فان يقول انه سيء الخلق
بخيل متكبر مراءى شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وكل ما يجري مجراه واما في
افعاله المتعلقة بالدين كقوله سارق وكذاب وشارب وخائن وظالم ومتهاون بالصلوة و
بالزكوة ولا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز عن النجاسات وليس بارا بوالديه ولا يضع الزكوة
مواضعها ولا يحسن قسمتها ولا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لاعراض المسلمين واما فعله
المتعلق بالدنيا كقولك انه قليل الادب متهاون بالناس ولا يرى لاحد حقا على نفسه ويرى
لنفسه حقا وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نؤوم وينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه واما في ثو
به فانه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب كبير العمامة واما الدين فقد قال قوم لا غيبة فيه لانه ذم ما ذمه
الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه يجوز بدليل ما روي انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم امراة
وكثرة صومها وصلوتها لكنها تؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم انها في النار وذكر امراة اخرى
بانها بخيلة فقال صلى الله عليه وسلم فما خيرها اذن وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم
الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن للتنقيص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
والدليل عليه اجماع الامة ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله
عليه وسلم في حد الغيبة وكل هذا وان كنت صادقا فيه فانت به مغتاب عاص لربك واكل لحم اخيك
بدليل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال
ذكرك اخاك بما يكرهه قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان
لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
ما اعجزه فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد
بهتموه وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها انها ذكرت امراة فقالت انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والافك وكل في كتاب الله تعالى الغيبة
ان تقول فيه والبهتان ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك وذكر لابن سيرين ابرهيم فقال النخعي
ولم يقل الاعور وقالت عائشة لا تغتابن منكم احد احدا فاني قلت لامراة وانا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان هذه الطويلة الذيل فقال صلى الله عليه وسلم الفظي الفظي فلفظت بضعة من لحم

وذكر لابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته

بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان
اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض فيه كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز
والرمز والكتبة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام ومن ذلك قول عائشة
رضي الله عنها دخلت علينا امراة فلما ولت اومات بيدي انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة بان تمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد من الغيبة لانه اعظم
في التصوير والتفهيم ولما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حكت امراة قال صلى الله عليه
وسلم ما يسرني اني حاكيت ولي كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتاب فان القلم احد اللسانين وذكر المصنف
شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب الا ان يقترن به شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سياتي بيانه و
اما قوله قال قوم كذا فليس ذلك بغيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اما حي او ميت ومن الغيبة ان يقول
بعض من مر بنا اليوم او بعض من رايناه اليوم اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون
ما به التفهيم فاما اذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام
يفعلون كذا وكذا وكان لا يعين كقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدعي العلم اذا كان معه قرينة
يفهم بها عين الشخص فهو غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة
اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون انهم جمعوا بين
فاحشتين الرياء والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على
السلطان والتبذل في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسال الله تعالى ان يعصمنا منها وانما
قصده ان يفهم عيب غيره فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن
احوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر
فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره وان يمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون
مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين
عن الغيبة وكذلك يلعب الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم و
يحبط بمكائده عملهم ويضحك عليهم ويسخر بهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين
فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغي الى المغتاب ويعلم ما يقوله فيذكر اسم الله ويستعمل اسمه آلة له
في تحقيق خبثه وهو يمن على الله تعالى بذكره جهلا منه وغرورا وكذا يقول لقد ساءني ما جرى على صديقنا
فنسال الله تعالى ان يروح سره ويكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء
لاخفاه في خلوة او عقيب صلوة ولو كان يغتم لاغتم ايضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك
المسكين قد بلي بافة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره
وخفي قصده وهو بجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما يتعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك
الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها وكانه يستخرج الغيبة منه
بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت انه كذلك ما عرفته الى الان الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله
تعالى من بلائه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم المستمع احد المغتابين وقد روي ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما قال احدهما للا

فلان لئيم ثم طلبا أدماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلا مع الخبز فقال صلى الله عليه وسلم قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه فقال صلى الله عليه وسلم بلى إنكما أكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمع وقال صلى الله عليه وسلم للرجلين اللذين قال أحدهما أقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج عن إثم الغيبة إلا بأن ينكر بلسانه فإن خاف فبقلبه وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وإن كان يقول بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه عن الإثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي بأن يشير باليد أي اسكت أو يشير بحاجبه أو رأسه وجبينه وغير ذلك فإن ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي أن يعظمه فيذب عنه صريحاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق وقال أبو الدرداء قال النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله تعالى أن يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم من الغيب وفضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول بالإعادة.

بيان الأسباب الباعثة على الغيبة

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سبباً ثمانية تطرد في حق العامة وثلاثة تختص بأهل الدين والخاصة أما الثمانية فالأول تشفي الغيظ وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فإذا هاج غضبه تشفى بذكر مساويه وسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وازع وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن ويصير حقداً ثابتاً فيكون سبباً دائماً لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة **الثاني** موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فإنهم إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض فيرى أنه لو أنكر أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهاراً للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر المساوي والعيوب فيهلك معهم **الثالث** أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ويطول لسانه فيه أو يقبح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يبتدئ بذكر ما فيه صادقاً ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد به ويقول ليس من عادتي الكذب فإني أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت **الرابع** أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه أن يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعله ولا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركاً له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله **الخامس** إرادة التصنع والمباهاة وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم أنه أفضل منه أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك **السادس** الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلاً إليه إلا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه وإكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فإن ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق **السابع** اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس به على سبيل المحاكاة والتعجب **الثامن** السخرية والاستهزاء استحقاراً له فإن ذلك قد يجري في الحضور فيجري أيضاً في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به وأما الأسباب الثلاثة التي في الخاصة فهي أغمضها وأدقها لأنها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر **الأول** أن تنبعث من الدين داعية التعجب من إنكار المنكرات والخطأ في الدين فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان فإنه قد يكون به صادقاً ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل عليه الشيطان ذكر اسمه في ذكر تعجبه فصار به مغتاباً من حيث لا يدري فأثم ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل **الثاني** الرحمة وهو أن يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني أمره وما ابتلي به فيكون صادقاً في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر عن ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتاباً فيكون غمه ورحمته خيراً وكذلك تعجبه ولكن ساقه إلى شر من حيث لا يدري بالرحمة والتغم ممكن دون ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه **الثالث** الغضب لله تعالى فإنه قد يغضب على منكر قارفه إنسان إذا رآه وسمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلاً عن العوام فإنهم يظنون أن الرحمة والتعجب والغضب إذا كان لله تعالى كان عذراً في ذكر الاسم كما سيأتي روي عن عامر بن واثلة أن رجلاً مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا لله فقال أهل المجلس والله لبئس ما قلت والله لننبئنه قم يا فلان لرجل منهم فأدركه فأخبره بما قال فأدركه رسولهم فأخبره فأتى الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله أن يدعوه فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لم تبغضه قال أنا جاره وأنا به خابر والله ما رأيته صلى صلاة قط إلا هذه المكتوبة قال فاسأله يا رسول الله هل رآني أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فسأله فقال لا فقال والله ما رأيته يصوم شهراً قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فسله يا رسول الله هل رآني قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيئاً فسأله فقال لا فقال والله ما رأيته يعطي سائلاً ولا مسكيناً ولا رأيته ينفق من ماله شيئاً في سبيل الخير إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فسله هل رآني نقصت منها أو ماكست طالبها الذي يسألها فسأله فقال لا فقال للرجل قم فلعله خير منك.

بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة

اعلم أن مساوي الأخلاق كلها إنما تعالج بمعجون العلم والعمل وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل أما على الجملة فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الأخبار التي رويناها وأن يعلم أنها محبطة حسناته فإنه تنقل يوم القيامة حسناته إلى من اغتابه بدلاً عما استباحه من عرضه فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لمقت الله تعالى ومشبه عنده بآكل الميتة بل العبد يدخل النار بأن تترجح كفة سيئاته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد وروي أن رجلاً قال للحسن بلغني أنك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي فمهما آمن العبد بما ورد به الأخبار لم يطلق لسانه بالغيبة خوفاً من ذلك وينفعه أيضاً أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيباً اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيباً فينبغي أن يستحيي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغي أن يعلم أن عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه إن كان ذلك عيباً يتعلق بفعله واختياره وإن كان

امرا خطيرا فالذم له ذم الخالق فان من ذم صنعة فقد ذم الصانع قال رجل لبعض الحكماء يا قبيح الوجه
قال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه واذا لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه باعظم
العيوب فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه بنفسه انه بريء من كل عيب جهل
بنفسه وهو من اعظم العيوب وينفعه ان يعلم ان تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له واذا كان لا يرضى
لنفسه ان يغتاب فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية اما التفصيل فهو
ان ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب
فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو ان يقول اني ان امضيت غضبي عليه لعل الله يمضي غضبه
علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنه فاستجرأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه و
سلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفا غيظه بمعصية الله تعالى وقال النبي صلى الله عليه وسلم من
كظم غيظا وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلايق حتى يخيره في اي الحور شاء
وفي بعض كتب الله تعالى المنزلة يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك
فيمن امحق واما الموافقة فبان يعلم ان الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضا المخلوق
فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله تعالى و
ذلك لا يوجب ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله ايضا على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم
عصوا ربك بافحش الذنوب وهو الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة الخيانة الى الغير حيث يستغنى عن ذكر الغير
فيعالجه بان يعرف ان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى
يقينا ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الاخرة او تخسر
حسناتك وتحصل ذم الله تعالى لك نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان واما
عذرك كقولك اني ان اكلت الحرام ففلان ياكل وان قبلت مال السلطان ففلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر
بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف امر الله جل ثناؤه قد ترى لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل
غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك فما ذكرته غيبة وزيادة معصية
اضفتها الى ما اعتذرت منه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر
الى المعز تردي نفسها من الجبل فتردي هي ايضا نفسها ولو كان لها لسان وصرحت بالعذر وقالت المعز
اكيس مني وقد اهلكت نفسها فانا ايضا كذلك لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا
تضحك من نفسك واما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بان تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم
انك بما ذكرته ابطلت فضلك عند الله وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك
اذا عرفوا ثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوق وهما ولو حصل لك من المخلوق
اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا واما الغيبة للحسد فهو جمع بين عذابين لانك حسدته
على نعمة الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذابا في الاخرة وكنت خاسرا في الدنيا
فجعلت نفسك خاسرا في الاخرة ايضا لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك واهديت
اليه حسناتك فاذا انت صديقه وعدو نفسك اذ لا يضره غيبتك ويضرك وينفعه اذ ينقل اليه حسناتك
او ينقل اليك سيآته ولا ينفعك وقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار
فضل محسودك فقد قيل **شعر** واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود واما الاستهزاء فمقصودك

منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين فلو تفكرت في
حسرتك وحياءك وخجلتك وخزيك يوم تحمل سيآت من استهزأت به وتساق الى النار لادهشك ذلك عن
اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت اولى ان تضحك منه فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك
لان ياخذ يوم القيمة على ملاء من الناس ويسوقك تحت سيآته كما يساق الحمار الى النار وهو مستهزئ بك و
فرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله تعالى اياه وتسليطه على الانتقام منك واما الرحمة على اثمه فهي حسنة
ولكن حسدك ابليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم المرحوم
فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب مرحوما اذ حبط اجرك ونقص من حسناتك وكذلك الغضب لله لا يوجب
الغيبة فانما حبب اليك الشيطان الغيبة ليحبط اجر غضبك وتصير معرضا لغضب الله تعالى بالغيبة
واما التعجب اذا اخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انك كيف اهلكت دينك بدين غيرك او بدنياه فانت مع
ذلك لا تأمن من عقوبة الدنيا وان يهتك الله سترك كما هتكت ستر اخيك بالتعجب فاذا علاج جميع ذلك المعرفة
فقط والتحقيق بهذه الامور التي هي من ابواب الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف عن الغيبة لا محالة

بيان تحريم الغيبة بالقلب

اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول وكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك
بمساوي الغير فليس لك ان تحدث نفسك وتسيء الظن باخيك ولست اعني به الا عقد القلب وحكمه على غيره
بالسوء فاما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك ايضا معفو عنه ولكن المنهي عنه الظن والظن عبارة
عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب وقد قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسبب
تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا الله علام الغيوب فليس لك ان تعتقد في غيرك سوءا الا اذا انكشف
لك بعيان لا يحتمل التاويل فعند ذلك لا يمكنك ان لا تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك
ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق الفساق وقد قال
الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا الاية فلا يجوز تصديق ابليس وان
كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان يصدق به لان الفاسق يتصور ان يصدق في خبره ولكن
لا يجوز لك ان تصدقه حتى ان من استنكه فوجد في فيه رائحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون قد
تمضمض بالخمر ومجه وما شربها او حمل عليها قهرا فهذا كله دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة
الظن بالمسلم فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى حرم من المسلم دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن
السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو بعين مشاهد او ببينة عادلة فاذا لم يكن ذلك و
خطر لك سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان حاله عندك مستور كما ان حالك عنده وعند
غيره مستور ولا يجب ان يساء به الظن فكذا اوجب عليك ان تكون عند سترة ولا تبتغي به ظنا كما كان فانما
رايته محتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فاقول امارة عقد
الظن ان يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام
بسببه فهذا امارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه
من سوء الظن ان لا يحققه اي لا يحقق في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره
الى النفرة والكراهة وفي الجوارح بالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بادنى مخيلة مساءة الناس
ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك فان المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق
ناظر بغرور الشيطان وظلمته فاما اذا اخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته

لكنت خائنا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك ايضا من الظن فلا ينبغي ان تحسن الظن بواحد وتسيء
بالآخر بل ينبغي ان تبحث هل بينهما عداوة او محاسدة وتعنت فيتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع برد
شهادة الأب العدل للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند ذلك ان تتوقف فان كان عدلا فلا تصدقه
ولا تكذبه لكن تقول المذكور حاله كان في ستر الله تعالى عندي وكان امره محجوبا وقد بقي كما كان لم ينكشف لي
شيء من امره وقد يكون الرجل ظاهر العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن من عادته التعرض للناس وذكر
مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق واذا كان ذلك من عادته ردت شهادته
الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الناس ومهما خطر لك خاطر
سوء على مسلم فينبغي ان تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ ابليس ويدفعه عنك فلا يلقي اليك
الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك
الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين
التعظيم وتنظر اليه بعين الاستصغار وترتفع عنه بدالة الوعظ ولكن قصدك تخليصه من الاثم وانت حزين
كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان وينبغي ان يكون تركه ذلك من غير نصيحتك احب اليك من تركه
بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته واجر الاعانة على دينه ومن
ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا
منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا ولا يغتب الآية فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه ومحرم في
آية واحدة ومعنى التجسس ان لا يترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل الى الاطلاع عليهم والتجسس عن احوالهم
وهتك الستر حتى ينكشف لك ما كان مستورا عنك فاذا تركته كان اسلم لقلبك ودينك وقد ذكرنا في
كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حكم التجسس وحقيقته

بيان الاعذار المرخصة في الغيبة

اعلم ان المرخص في ذكر مساءة الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم
الغيبة وهي ستة امور **الاول** التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا
عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم حسبا اذ لا يمكنه استيفاء
حقه به فقد قال صلى الله عليه وسلم لصاحب الحق مقال وقال صلى الله عليه وسلم مطل الغني ظلم وقال
لي الواجد يحل عرضه وعقوبته **الثاني** الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح
كما روي ان عمر مر على عثمن وقيل على طلحة فسلم عليه فلم يرد عليه فذهب الى ابي بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك
فجاء ابو بكر ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم ولذلك قيل لعمر ان ابا جندل قد عاقر الخمر بالشام فكتب
اليه عمر رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب و
قابل التوب شديد العقاب ذي الطول فتاب ولم ير ذلك عمر ممن قاله غيبة اذ كان قصده ان ينكر عليه
عمر فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وانما اباح هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان
حراما **الثالث** الاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني ابي او زوجي او اخي فكيف طريقي في الخلاص والاسلم
التعريض بان يقول ما قولك في رجل ظلمه ابوه او زوجته او اخوه ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روي عن
هند انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي افآخذ من
غير علمه فقال صلى الله عليه وسلم خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها و
لم يزجرها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء **الرابع** تحذير المسلم من الشر فاذا رأيت

متفقها يتردد الى مبتدع او فاسق وخفت ان يتعدى اليه بدعته وفسقه فلك ان تكشف له بدعته وفسقه
ومهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الغرور اذ قد
يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى
مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة او بالفسق او بعيب آخر فلك ان تذكر ذلك فان في سكوتك ضرر المشتري وفي
ذكرك ضرر العبد والمشتري اولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن وكذلك
المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة و
ان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو الواجب وفيه كفاية فان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح
بالعيب فله ان يصرح به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترعوون عن ذكر الفاسق حتى يعرفه الناس
اذكروه بما فيه يحذره الناس وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه
الخامس ان يكون الانسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول روى
ابو الزناد عن الاعرج وسليمان عن الاعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء مثل ذلك لضرورة التعريف
ولان ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد ان صار مشهورا به نعم لو وجد عنه معدلا و
امكنه التعريف بعبارة اخرى فهو اولى ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص **السادس**
ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن
يتظاهر بالفسق بحيث لا يستنكف من ان يذكر به ولا يكره ان يذكر به فاذا ذكرت منه ما يتظاهر به فلا اثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر رضي الله عنه ليس لفاجر
حرمة واراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت
للحسن الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلاثة لا غيبة
لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بالفسق والامام الجائر فهؤلاء الثلاثة يجمعهم انهم يتظاهرون
به وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر
به اثم قال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين ان الله تعالى حكم عدل
ينتقم من الحجاج لمن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله تعالى غدا كان اصغر ذنب
اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج

بيان كفارة الغيبة

اعلم ان الواجب على
المغتاب ان يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج من حق الله تعالى ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج
عن مظلمته وينبغي ان يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من
نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية اخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار
دون الاستحلال وربما احتج في ذلك بما روى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر
له وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير وسئل عطاء بن ابي رباح عن
التوبة من الغيبة قال تمشي الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت اخذت
بحقك وان شئت وهبت وهذا هو الاصح وقول القائل لا عوض له فلا يجب الاستحلال الا بخلاف
المال كلام ضعيف اذ وجب في العرض حد القذف ويثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح انه قال
صلى الله عليه وسلم من كانت عنده لاخيه مظلمة في عرض او مال فليستحللها منه من قبل ان يأتي يوم
ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات يؤخذ من سيئات صاحبه فيزيد على

شيئا آخر وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتها فاستحلها
فاذا لا بد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غائبا او ميتا فينبغي ان يكثر الاستغفار
له والدعاء ويكثر من الحسنات فان قلت فالتحليل هل يجب فاقول لا لانه تبرع والتبرع فضل
وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر ان يبالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم
ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها
سيئة الغيبة في القيمة وكان بعض السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني وقال
ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرم الله تعالى
ابدا فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرمه الله عز وجل غير ممكن فنقول
المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما ذكره ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة
فانه لا يجوز ان يحلل لغيره الغيبة فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون
كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اني تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق
به فقد اباح تناوله فان كان لا ينفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه اني لا اطلب مظلمة في القيمة
ولا اخاصم ولا افضي الغيبة حلالا ولا تسقط المظلمة به لانه عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفا
بان لا يخاصم فان رجع وخاصم كان قياس ساير الحقوق ان له ذلك بل صرح الفقهاء بان من اباح القذف
لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل قال الحسن اذا جثا
الامم بين يدي الله عز وجل يوم القيمة نودوا ليقم من كان اجره على الله فلا يقوم الا من عفا في الدنيا وقال
تعالى خذ العفو الاية وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل ما هذا قال ان الله عز وجل يامرك ان تعفو عن
من ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقد روي عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك
فبعث اليه طبقا من الرطب فقال بلغني انك قد اهديت الي من حسناتك فاردت ان اكافيك عليها فاعذرني
لا اقدر ان اكافيك على التمام **الآفة السادسة عشر النميمة** قال الله تعالى هماز مشاء بنميم ثم قال عتل
بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك ولد الزنا لا يكتم الحديث واشار الى ان كل من لم يكتم الحديث ومشى
بالنميمة دل على انه ولد الزنا استنباطا من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال تعالى
ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام وقال تعالى حمالة الحطب كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما
فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت امراة لوط تخبر بالضيفان وامراة نوح تخبر انه مجنون وقال صلى الله
عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم احبكم الى الله تعالى احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون
وان ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبراء العثرات وقال صلى الله عليه و
سلم الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم المشاؤون بالنميمة المفسدون
بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقال ابو ذر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشاع على
مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله تعالى في النار يوم القيمة وقال ابو الدرداء قال صلى الله عليه وسلم ايما رجل
اشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله تعالى ان يذيبه بها يوم القيمة في النار وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها باهل فليتبوأ مقعده من النار و
يقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وروي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى

الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس
لا يسكن فيك مدمن خمر ولا المصر على الزنا ولا القتات وهو النمام ولا ديوث ولا الشرطي ولا المخنث
ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله تعالى ان لم افعل كذا وكذا ثم لم يف به وروى كعب انه اصاب
بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام مرات فما اجيب فاوحى الله تعالى اليه اني لا استجيب
لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم
عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا وقيل اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ لاجل سبع كلمات
فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي آتاك الله تعالى من العلم اخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض
وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى منه وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما
اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه فقال البهتان على البريء اثقل من السموات والحق اوسع من الارض و
القلب القانع اغنى من البحر والحرص والحسد احر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير
وقلب الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم **بيان حد النميمة وما يجب في ردها** اعلم ان اسم
النميمة انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وليس
النميمة مخصوصة به بل حد النميمة كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث
وسواء كان الكشف بالقول او بالكتابة او بالرمز او بالايماء وسواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال
وسواء كان ذلك عيبا او نقصانا على المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما
يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من احوال الناس ينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم او دفع
لمعصية كما اذا رأى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه فاما اذا رآه يخفي مالا
لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر فان كان ما ينم به نقصانا فاحشا وعيبا في المحكي عنه فهو كان قد جمع
بين الغيبة والنميمة والباعث على النميمة اما ارادة السوء للمحكي عنه واظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث
والخوض في الفضول وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا وكذا او فعل في حقك كذا
وكذا وهو يريد في افساد امرك او في ممالأة عدوك او في تقبيح حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة
امور **الاول** ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى ان جاءكم فاسق
بنبأ الاية **الثاني** ان ينهاه وينصح له ويقبح له فعله قال الله تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر
الثالث ان يبغضه في الله تعالى فانه بغيض عنده تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى **الرابع** ان لا
تظن باخيك الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن **الخامس** ان لا يحملك ما حكي لك على التجسس
والبحث لتتحقق لقوله تعالى ولا تجسسوا **السادس** ان لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه فلا تحكي
نميمته فتقول فلان قد حكى كذا وكذا فتكون نماما ومغتابا وقد تكون قد اتيت عنه بما نهيت وقد روي عن عمر
بن عبد العزيز انه دخل اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا
فانت من اهل هذه الاية ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الاية هماز
مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين لا اعود اليه ابدا وروي ان حكيما من الحكماء زاره
بعض اخوانه واخبره بخبر عن غيره فقال الحكيم قد ابطأت في الزيارة واتيتني بثلاث جنايات بغضت الي
اخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة وروي ان سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده
الزهري فجاءه رجل فقال له سليمن بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت

فقال له سليمان ان الذي اخبرني كان صادقا فقال الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت اذهب
بسلام قال الحسن من نم اليك نم عليك وهذا اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بقوله وبصداقته
وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين
الناس والخديعة وهو ممن قد سعى في قطع ما امر الله ان يوصل قال الله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان
يوصل ويفسدون في الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير
الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قاطع قيل وما قاطع قال قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع
الرحم وروي ان عليا رضي الله عنه سعى اليه رجل برجل فقال يا هذا نحن نسال عما قلت فان كنت صادقا
مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك فقال اقلني يا امير المؤمنين وقيل لمحمد
بن كعب القرظي اي خصال المؤمن اوضع له فقال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول كل احد وقال رجل لعبد الله
بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير اني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال لك
حتى اظهر كذبه عندك قال ما احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي اني لم اصدقه فيما قال ولا اقطع عنك الوصال
وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طبقة من الناس الا منهم وقال
مصعب بن الزبير نحن نرى قبول السعاية شرا من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على
شيء فاخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعي فلو كان في قوله صادقا لكان في صدقه لئيما اذ لم يحفظ الحرمة
ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله
عليه وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس بولد حلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستاذن
في الكلام فقال اني مكلمك يا امير المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته فقال قل فقال يا
امير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك
فلا تامنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصخ اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لم يالوا الامة خسفا والامانة تضييعا و
الاعراض قطعا وانتهاكا اعلى قربهم البغي والنميمة واجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وانت مسؤول عما اجترحوا وليسوا
المسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد اخرتك فان اعظم الناس غبنا بايع اخرته بدنيا غيره وسعى
رجل بزياد الاعجم الى سليمن بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد على الرجل يقول له فانت امرؤ اما ائتمنتك خاليا
فخنت واما قلت قولا بلا علم   فانت من الامر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والاثم وقال رجل لعمرو بن عبيد
ان الاسواري ما زال يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا اديت
حقي حين بلغتني عن اخي وانت تعلم ان الموت يعمنا والقيامة تضمنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض
السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته فكتب على ظهرها السعاية
قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمن لابنه يا
بني اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم و
اللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك وامنهم من قبول قول ساع او سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك
وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقيل النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق
وهي اثافي الذل ولو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجتري بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لم
يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي ان يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشتري ما فيه
عيب الا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان
يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه عند نومه شعرات حتى اسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج ان
امراتك اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك فتناوم فجاءت المراة بالموسى فظن انها
تقتله فقام وقتلها فجاء اهل المراة فقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر

الآفة السابعة عشر كلام ذي اللسانين

الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وقل ما
يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تجدون من شر عباد الله تعالى يوم القيمة ذا الوجهين الذي ياتي هؤلاء بحديث وهؤلاء
بحديث وفي لفظ اخر هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال ابو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين
ان يكون امينا عند الله تعالى وقال مالك بن دينار قرات في التوراة بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين
مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيمة كل شفتين مختلفتين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض خليقة
الله تعالى يوم القيمة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم
تخلقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعا و
قال ابن مسعود لا يكونن احدكم امعة قالوا وما الامعة قال الذي يجري مع كل ريح واتفقوا على ان ملاقاة الاثنين
بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهي من جملتها وروي ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه و
سلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر رضي الله عنه يموت رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
تصلي عليه فقال يا امير المؤمنين انه منهم فقال عمر انشدتك الله وانا منهم ام لا قال اللهم لا ولا او من منها احدا بعدك
فان قلت فبماذا يصير ذا لسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان
صادقا لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى حد
الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرنا في كتاب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام
كل واحد على جهة الى الاخر فهو نمام وذو لسانين وذلك شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين
الى الاخر فقط فان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين
وكذلك اذا وعد كل واحد منهما ان ينصره وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك اذا اثنى
على احدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين او يثني
في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه وقيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره
فقال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول
على الامير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل خاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذي احوج
نفسه اليه وان كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى واثنى
فهو منافق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء والى مراعاتهم ومراياتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة
وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم
وقالت عائشة رضي الله عنها استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة
فلما دخل عليه الان له الكلام والقول فلما خرج قلت يا رسول الله قد قلت بئس رجل العشيرة ثم النت له القول
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان شر الناس الذي يكرم لاتقاء شره ولكن هذا ورد في الاقبال عليه والتبسم
فاما الثناء فهو كذب صريح فلا يجوز الا لضرورة واكراه يبيح الكذب بمثله كما ذكرنا في افة الكذب بل لا يجوز

الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التصديق على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي
ان ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه **الآفة الثانية عشر المدح** وهو منهي عنه في بعض المواضع
اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات اربع في المادح واثنتان في الممدوح
فاما المادح فالاولى انه قد يفرط فينتهي به الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما او احدا بما ليس فيه على
رؤس الاشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه **الثانية** انه قد يدخله الرياء لانه بالمدح مظهر للحب و
قد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا **الثالثة** انه قد يقول ما لا يتحققه
ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روي ان رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ويحك قطعت
عنق صاحبك لو سمعها ما افلح ثم قال صلى الله عليه وسلم ان كان لا بد احدكم مادحا اخاه فليقل احسب فلانا
ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي
تعرف بالادلة كقوله انه متقي وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه اما اذا قال رأيته يصلي بالليل ويتصدق
ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضا فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول فيه الا بعد
خبرة باطنه وسمع عمر رضي الله عنه رجلا يثني على رجل فقال اسافرت معه قال لا قال اخالطته في
المبايعة والمعاملة قال لا قال فانت جاره تعرف صباحه ومساءه قال لا فقال والله الذي لا اله الا هو لا اعرفه
الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يغضب
اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله فالظالم الفاسق ينبغي ان يذم
ليغتم ولا يمدح ليفرح واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه يحدث فيه كبرا او عجبا وهما مهلكان قال
الحسن كان عمر جالسا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر
ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك يا امير المؤمنين قال ما لي ولك اما لقد سمعتها
قال سمعتها فمه قال خشيت ان يخالط قلبك منها شيء فاحببت ان اطاطئ منك **الثاني** هو انه اذا اثني عليه بالخير
فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاذا انطلقت
الالسن بالثناء عليه ظن انه قد ادرك الغرض ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لذلك المادح قطعت عنق صاحبك
لو سمعها ما افلح وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا
وقال صلى الله عليه وسلم لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثناء او مدحة الا
تصاغرت الي نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد منا يسمع ثناء او مدحة الا تراءى له شيطان ولكن المؤمن
يراجع قال ابن المبارك لقد صدق كلاهما اما ما ذكر زياد فذلك قلب العوام واما ما ذكره مطرف فذلك قلب
الخواص وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه
وقال عمر رضي الله عنه المدح الذبح لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور او لان المدح يورث
الكبر والعجب وهو مهلك كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح عن هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم
يكن به باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى النبي عليه الصلوة والسلم على الصحابة حتى قال لو وزن ايمان ابي بكر
بايمان العالمين لرجح وقال في عمر لو لم ابعث لبعثت يا عمر واي ثناء يزيد على هذا ولكنه قال عن صدق وبصيرة و
كانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفترة بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر وقال النبي عليه
الصلوة والسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصد الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان
افتخاره كان بالله تعالى وبقربه من الله لا بكونه مقدما على ولد آدم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله

وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه
اذ قال صلى الله عليه وسلم وجبت لما اثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد ان لبني آدم جلساء من الملائكة فاذا
ذكر اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك مثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته اربع على
نفسك واحمد الله اذ ستر عورتك فهذه آفات المدح **بيان ما على الممدوح** اعلم ان على الممدوح ان يكون
شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منها الا بان يعرف نفسه ويتامل في خطر الخاتمة و
دقائق الرياء وآفات الاعمال فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره
لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم احثوا
التراب في وجوه المداحين وقال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثني على رجل من الصالحين
فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وانت تعرفني وقال آخر لما اثني عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك وانا
اشهدك على مقته وقال علي رضي الله عنه لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني
خيرا مما يظنون واثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال اتهلكني وتهلك نفسك واثنى رجل على علي رضي الله عنه
في وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه فقال انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك **الآفة التاسعة عشر في الغفلة**
عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ
في امور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله يعفو عنه لجهله ومثاله
ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك
لان في العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وكلمه
في بعض الامر فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم اجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله وحده وخطب
رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل
ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فكره صلى الله عليه وسلم قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان ابراهيم يكره ان يقول
اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك وان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره
بعضهم ان يقول اللهم اعتقنا من النار وقال العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار فقال رجل
اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ويكون الشفاعة للمذنبين من المسلمين وقال ابراهيم اذا قال
الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حمارا رأيتني خلقته او خنزيرا رأيتني خلقته وعن ابن عباس قال ان احدكم
ليشرك حتى يشرك بكلبه فيقول لولاه لسرقنا الليلة وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم قال عمر والله ما حلفت بها منذ سمعت ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
تسموا الكرم العنب انما الكرم الرجل المسلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقول احدكم عبدي
امتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي
ولا ربتي ولكن سيدي وسيدتي وكلكم عبيد الله والرب الله الواحد وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا
للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال صلى الله عليه وسلم من قال انا بريء من الاسلام
فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما وهذا وامثاله مما يدخل في الكلام و
لا يمكن حصره ومن تامل جميع ما اوردناه من آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك
يعرف سر قول النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهلك ومعاطب وهي
على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع

وروي عن ابي بكر رضي الله عنه
انه كان اذا ... قال اللهم

حافظ ومراقبة لازمة وتقلل في الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر
فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة إحدى الغنيمتين **الآفة
العشرون سؤال العوام** عن صفات الله تعالى وعن الكلام وعن الحروف وأنها قديمة أو حادثة
ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن إلا أن ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب
والعامي يفرح بأن يخوض في العلم إذ الشيطان يخيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل فلا يزال يحبب
إليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم
لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته وإنما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والإيمان بما ورد
به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادة سوء أدب منهم يستحقون
المقت من الله سبحانه ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو موجب للعقوبة
وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فإنه بالإضافة إليه عامي ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ما نهيتكم عنه
فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وقال أنس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
حتى أكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال صلى الله عليه وسلم سلوني فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم
به فقام إليه رجل فقال يا رسول الله من أبي فقال صلى الله عليه وسلم أبوك حذافة فقام إليه شابان أخوان
فقالا يا رسول الله من أبونا فقال أبوكما الذي تدعيان إليه ثم قام إليه رجل فقال يا رسول الله أفي الجنة
أنا أو في النار فقال صلى الله عليه وسلم لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه و
سلم أمسكوا فقام إليه عمر فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا فقال
اجلس يا عمر رحمك الله إنك لموفق ما علمت وفي الحديث نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وإضاعة
المال وكثرة السؤال وقال صلى الله عليه وسلم يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله
الخلق فمن خلق الله فإذا قالوا ذلك فقولوا الله أحد حتى يختموا السورة ثم ليتفل أحدكم على يساره ثلاثا و
ليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما نزلت آية التلاعن إلا عن كثرة السؤال وفي قصة
موسى والخضر على نبينا وعليهما الصلاة والسلام تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه إذ قال
فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر
وقال لا تؤاخذني بما نسيت الآية فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال هذا فراق بيني وبينك وفارقه
فسؤال العوام عن غوامض الدين أعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن فيجب زجرهم ومنعهم
من ذلك وخوضهم في حروف القرآن يضاهي اشتغال من كتب إليه الملك كتابا رسم له فيه أمورا فلم
يشتغل بشيء منها وضيع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة
لا محالة فكذلك تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهي قديمة أم حديثة و
كذلك سائر الصفات

هذا آخر كتاب آفات اللسان ويتلوه كتاب آفة الغضب والحسد والحقد إن
شاء الله تعالى وحده العزيز
ولله الحمد والمنة

كتاب آفة الغضب والحقد والحسد وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يتكل على عفوه الراجون ويحذر سوء غضبه وسطوته الخائفون الذي استدرج
عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب و
كلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره واللذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون وامتحن به حبهم ليعلم
صدقهم فيما يدعون وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون وحذرهم أن يأخذهم بغتة
وهم لا يشعرون فقال سبحانه وتعالى إن كانت إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا إلى أهلهم يرجعون والصلاة والسلام على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه المتقون
وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين والسادة المرضيين صلاة توازي عددها عدد ما خلق الله تعالى
وما سيكون ويحظى ببركتها الأولون والآخرون وسلم تسليما كثيرا **أما بعد** فإن الغضب
شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة إلا أنها لا تطلع إلا على الأفئدة وإنها لمستكنة في طي الفؤاد
استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد وقد
انكشف للناظرين بنور اليقين أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد
قويت فيه قرابة الشيطان اللعين الرجيم حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فإن شأن الطين السكون
والوقار وشأن النار التلظي والاشتعال والحركة والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد و
بهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا كان الحقد و
الحسد والغضب مما يسوق العبد إلى مواطن العطب فما أحوجه إلى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك
ويتقيه ويميطه عن القلب إن كان وينفيه ويعالجه إن رسخ في قلبه ويداويه فإن من لا يعرف الشر يقع فيه
ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد
والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب وأسبابه ثم بيان أن الغضب هل يمكن
إزالة أصله بالرياضة أم لا ثم بيان الأسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان
فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول
في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية
الواجب في إزالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبني العم والأقارب و
تأكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب
في نفي الحسد عن القلب

بيان ذم الغضب

قال الله تعالى إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية
الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن
الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلا قال يا رسول الله مرني
بعمل وأقلل فقال صلى الله عليه وسلم لا تغضب ثم أعاد فقال صلى الله عليه وسلم لا تغضب وقال ابن عمر
قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا وأقلل لعلي أعقله قال لا تغضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك
يرجع إلى لا تغضب وعن عبد الله بن عمر قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم ماذا يبعدني من غضب الله
قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي

لا يصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله
عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود يا بني اياك وكثرة الغضب
فان كثرة الغضب يستخف قلب الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي
لا يغلبه الغضب وقال ابو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال صلى الله عليه وسلم
لا تغضب وقال يحيى لعيسى على نبينا وعليهما الصلوة والسلام لا تغضب قال يا اخي لا استطيع ان لا
اغضب انما انا بشر قال لا تقتني مالا قال هذا عسى ان شاء الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم الغضب
يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم ما غضب احد الا اشفى على جهنم و
قال له رجل اي شيء اشد فقال صلى الله عليه وسلم غضب الله تعالى قال فما يبعدني من غضب الله قال
لا تغضب **الآثار** قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت يوشك ان تثب وثبة فتقع في النار وعن
ذي القرنين انه لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر
ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت
اخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه ان راهبا
كان في صومعته فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فلم يجبه فقال افتح
فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال اني انا المسيح قال الراهب وان كنت المسيح فما اصنع بك
اليس قد امرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك فقال
انه الشيطان وقد اردت ان اضلك فلم استطع فجئتك لتسألني عما شئت فاخبرك قال ما اريد ان
اسألك عن شيء قال فولى مدبرا فقال الراهب الا تسمع قال بلى قال اخبرني اي اخلاق بني آدم اعون لك
عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة يقول الشيطان
وكيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه وقال
جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار رأس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل
استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه و
قال مجاهد قال ابليس ما اعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث اذا سكر احدهم اخذنا بخزامته فقدناه
حيث شئنا وعمل لنا بما احببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم عليه ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا
يقدر عليه وقيل لحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذن لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب
وقال بعضهم اياك والغضب فانه يصيرك الى ذل الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان
كما يفسد الصبر العسل وقال ابن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك
بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله ان لا تعاقب عند
غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز
به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد اغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فاطرق عمر طويلا ثم
قال اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان فانال منك اليوم ما تناله مني غدا والله لا كان
ذلك ابدا اذهب فقد عفوت عنك وقال بعضهم لابنه لا يثبت العقل عند الغضب كما لا
يثبت روح الحي في التنانير المسجورة فاقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء

ومكرا وان كان للآخرة كان علما وحلما وقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان
عمر رضي الله عنه اذا خطب قال في خطبته افلح منكم من حفظ من الهوى والطمع والغضب و
قال بعضهم من اطاع غضبه وشهوته قاداه الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين
وحزم في لين وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في
فاقة واحسان في قدرة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا يجمح به الحمية ولا
تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته فينصر المظلوم ويرحم الضعيف
ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه
في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الانبياء
لمن معه من يتكفل لي ان لا يغضب ويكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم
انا ثم اعاد عليه فقال الشاب انا ووفى به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه
تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والخرق والطمع

بيان حقيقة الغضب

اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب في
داخل بدنه واسباب خارجة عنه انعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه اما
السبب الداخل فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الرطوبة والحرارة عداوة ومضادة فلا تزال
الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير اجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد
من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله تعالى الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق
في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له
من الهلاك بهذا السبب واما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات
التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله الغضب من النار وغرزه
في الانسان وعجنه بطينته فمهما قصد في غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب
وثارت ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء
الذي في القدر على النار فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة بصفائها تحكي لون ما وراءها
من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان
صدر الغضب ممن فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب و
صار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان على نظير يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر
ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام وانما تتوجه هذه
القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه
القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في اول الفطرة من
التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال
فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو
شيطان فمن فقد قوة الحمية والغضب اصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله تعالى الصحابة بالشدة والحمية فقال تعالى
اشداء على الكفار وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الغلظة و
الشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج من سياسة العقل والدين

طاعته ولا يبقى للمرء بعد ذلك بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته
امور غريزية وامور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته في
الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال صلى الله عليه و
سلم فبرودة المزاج تطفئه وتكسر سورته واما الاسباب الاعتيادية فهو ان يخالط قوما يتبجحون بتشفي
الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم انا الذي لا اصبر على المحال و
لا احتمل من احد ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر لجهله فمن سمعه فيترشح في نفسه حسن
الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها اعمى صاحبه
واصمه عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده غضبا وان استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر
اذ ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب
من غليان دم القلب دخان الى الدماغ مظلم فيستولي على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس
فيظلم عينه فلا يرى بعينه شيئا وتسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضرمت فيه نار
فاسود جوه وحمي مستقره وامتلا بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانطفى او انمحى نوره فلا
يثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلمة ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي
ان يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق وكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما يقوى نار
الغضب فيفني الرطوبة التي بها حيوة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فتشقق وتنهد
اعاليه على اسافله وذلك لابطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهكذا حال القلب مع
الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا وارجى سلامة
من النفس المضطربة غيظا اذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها واما القلب فهو
صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذ اعماه الغضب واصمه ومن اثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة
الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد
على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو راى الغضبان نفسه في حال غضبه و
قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان
الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة
تغير الباطن فقس الثمرة بالثمرة فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والقبح والفحش من
الكلام الذي يستحيي منه ذوو العقول ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب
اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم بالقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة وتمزيق
الثياب فان هرب منه المغضوب عليه وفاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب
نفسه ويلطمها ويضرب راسه على الارض او يده او يعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير و
ربما سقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب
الجمادات فيكسر القصعة مثلا ويشتم الحمار والحيوان والبغل ويخاطبه ويقول الى متى منك كيت و
كيت كانه يخاطب عاقلا حتى انه ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك واما اثره في القلب مع
المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءات والحزن بالسرور والعزم على افشاء
السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط فاما ثمرة الحمية

الضعيفة فقلة الانفة فيما تانف منه من التعرض للحرم والزوجة والامة واحتمال الذل من الاخساء و
صغر النفس والحياء وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال صلى الله عليه وسلم
ان سعدا لغيور وانا اغير منه والله اغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس بذلك
لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها ومن ضعف
الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم خير امتي احداؤها يعني في الدين
وقال تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ لا تتم الرياضة
بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم
وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم وحفظه
على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله تعالى بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور اوساطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى احس من نفسه بضعف
الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال
غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب
ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان
عجز عنه فليطلب القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا
كل الميل فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير
ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته

بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا

اعلم انه ظن ظانون انه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه تتوجه واياه تقصد وظن اخرون انه
اصل لا يقبل العلاج وهذا راي من يظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرايين ضعيف
بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما بقي الانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو عن الغيظ والغضب وما دام
يوافقه شيء ويخالفه اخر فلا بد وان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما اخذ منه
محبوبه غضب لا محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا ان ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلاثة اقسام

الاول ما هو ضرورة في حق الكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب و
الجرح فلا بد وان يغضب وكذلك اذا اخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك اذا اخرج من داره التي هي مسكنه
واريق ماؤه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان عن كراهة زوالها وعن غيظ على من يتعرض
لها

القسم الثاني ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه
الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في انفسهما فيكنزان
ويغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور ان ينفك الانسان عن
اصل الغيظ عليه فاما اذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز ان يكون
بصيرا بامر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب باخذها فانه لا يحب وجودها ولو احب وجودها
لغضب على الضرورة باخذها واكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في
المجلس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل ومن
لا يحب ذلك فلا يبالي ولو جلس في صف النعال فلا يغضب اذ جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هي التي
اكثرت محاب الانسان ومكارهه فاكثرت غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات اكثر كان صاحبها احط

رتبة وانقص لان الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل ابدا جهده في ان يزيد في حاجاته
وفي شهواته وهو لا يدري انه مستكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات
الردية ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل له انك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج
ولا يقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من هذه الرذائل فالغضب على
هذا الجنس ليس بضروري لان حبه ليس بضروري **القسم الثالث** ما يكون ضروريا في حق بعض
الناس دون البعض كالكتاب مثلا للعالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه
وكذلك ادوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها فان ما هو وسيلة
الى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري
ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح معافى في بدنه آمنا في سربه وله قوت يومه فكانما
حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الامور وسلم له هذه الثلاث يتصور
ان لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة اقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها **اما القسم الاول**
فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا
على حد يستحسنه الشرع والعقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال حتى يصير الحلم و
الاحتمال خلقا له راسخا واما قمع اصل الغيظ من القلب فذلك مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن
كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه
ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث ايضا لان ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ
استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه
واما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب
وذلك بان يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الآخرة وان الدنيا معبرة يعبر عليها ويتزود منها
قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن قلبه ولو كان
للانسان كلب لا يحبه لم يغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة في هذا قد تنتهي الى قمع اصل
الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو اهون فان قلت الضروري
من القسم الاول التألم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت لا يغضب على احد
وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب
على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها من الله تعالى فلا يغضب على احد من خلقه اذ
يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم ولا
يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الموت والذبح من الله تعالى فيندفع
الغضب لغلبة التوحيد ويندفع ايضا بحسن الظن بالله وهو ان يرى الكل من الله تعالى وان الله تعالى لا
يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على
الفصاد لانه يرى الخيرة فيه فنقول هذا على الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما يكون
كالبرق الخاطف تغلب في احوال مختطفة ولا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا
لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه كان يغضب حتى تحمر
وجنتاه حتى قال صلى الله عليه وسلم اللهم انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما مسلم سببته او لعنته او

وراء صح

ضربته فاجعلها مني صلوة وزكوة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول
الله اكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال صلى الله عليه وسلم اكتب فوالذي نفسي بالحق ما يخرج
منه الا الحق واشار الى لسانه فلم يقل صلى الله عليه وسلم اني لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن
الحق اي لا اعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة فقال لها ما لك جاءك شيطانك فقالت و
ما لك يا رسول الله شيطان قال بلى ولكني دعوت الله تعالى فاعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بالخير ولم يقل
صلى الله عليه وسلم لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن قال صلى الله عليه وسلم لا يحملني على الشر و
قال علي رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد و
لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على
الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانما غضب لله تعالى
فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه
فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما
عداه وهذا كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما
تقول فقد كان همه مصروفا الى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال يا هذا
قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم اقطعها فانا شر مما تقول و
سب رجل ابا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله عنك اكثر فكأنه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن ان
يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين
النقصان وذلك لجلالة قدره وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما عرفني غيرك فكأنه كان مشغولا
بان ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقيه اليها الشيطان فلم يغضب لما نسب اليه وسب رجل الشعبي
فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم
يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات قلوبهم ويحتمل ان يكون قد اثر ذلك في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما
كان هو الاغلب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض
المحاب فاذا يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو ان يعلم
ان الله تعالى يحب منه ان لا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة وقد عرفت بهذا
ان الطريق للخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب
ذم الدنيا ومن اخرج حب المزايا عن القلب تخلص من اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن محوه فيمكن كسره وتضعيفه
فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه **بيان الاسباب المهيجة للغضب** قد عرفت ان علاج كل علة حسم
مادتها وازالة اسبابها فلا بد من معرفة اسبابها وقد قال يحيى لعيسى عليهما الصلوة والسلام اي
شيء اشد قال غضب الله تعالى قال فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته
قال عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل
والمماراة والمضادة والتعيير وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية مذمومة
شرعا ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب باضدادها فينبغي
ان تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفتك بنفسك كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك
من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم في الانتساب اب واحد وانما اختلفوا بالفضل اشتاتا فبنو آدم جنس واحد

بعيني صح

الفخر بالفضائل والفخر والعجب اكبر الرذائل وهي راسها واصلها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك
فلم تفتخر وانت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة واما المزاح
فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفت ذلك واما الهزل فتزيله
بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة الآخرة واما الهزء
فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزئ بك واما التعيير فبالحذر
عن القول وصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة الحرص على مزايا العيش فيزال بالقناعة بقدر الضرورة
طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات تفتقر
في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر
عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مالوفة هينة على النفس فاذا
انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت ايضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن
اشد البواعث للغضب عند اكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه
بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتاكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن
الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب في القلب بسببه وتسمية
هذا عزة نفس جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية انه
لضعف النفس ان المريض اضعف قلبا واسرع غضبا من الصحيح والمرأة اسرع غضبا من الرجل وكذلك
الصبي والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيئ والرذائل القبيحة اسرع غضبا من
صاحب الفضائل والرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى يغضب على اهله و
ولده واصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي ان يعالج هذا الجاهل بان يتلى عليه
حكايات اهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والحكماء والعلماء
واكابر الملوك والفضلاء وضد ذلك منقول عن الارذال من الاتراك والاكراد والجهلة والاغبياء الذين
لا عقل لهم ولا فضل

بيان علاج الغضب

عند هيجانه ما ذكرناه هو حسم مواد الغضب وقطع لاسبابه
حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم
وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل اما العلم فهو ستة امور **الاول** ان يتفكر في
الاخبار التي سنوردها في كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فيمنعه شدة الحرص
على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفئ غيظه قال مالك بن اوس بن الحدثان غضب عمر رضي
الله عنه على رجل وامر بضربه فقلت يا امير المؤمنين فالتفت الي فقرأت خذ العفو وامر بالعرف
فكان يتامل الآية وكان وقافا على كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبره فخلى الرجل وامر
عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين الغيظ فقال للغلام خل عنه **الثاني** ان يخوف
نفسه بعقاب الله تعالى وهو ان يقول قدرة الله تعالى علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت
غضبي عليه فلم آمن ان يمضي الله تعالى غضبه علي يوم القيمة احوج ما اكون الى العفو وقد قال الله تعالى في
بعض الكتب يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصيفا الى حاجة فابطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك ضربا اي القصاص في
القيمة وقيل ما كان في بني اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة وفيها ارحم ترحم ارحم المسكين واخش

الموت واذكر الآخرة وكان يقرأها حتى يسكن غضبه **الثالث** ان يحذر نفسه عاقبة العداوة
والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم اغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن
المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع الى تسليط
شهوة على غضب وليس هذا من اعمال الآخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها
على بعض الا ان يكون محذوره ان يتشوش عليه في الدنيا فراغه للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون
مثابا عليه **الرابع** ان يتفكر في قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة غيره حال الغضب ويتفكر
في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك
للغضب للانبياء والعلماء والصالحين ويخير نفسه بين ان يشبه الكلاب والسباع واراذل الناس
وبين ان يشبه العلماء والصالحين في عادتهم لتميل نفسه الى حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقي
معه مسكة من عقل **الخامس** ان يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد
وان يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير
حقيرا في اعين الناس فليقل لنفسه ما اعجبك يا نفس تأنفين من الاحتمال اليوم ولا تأنفين من
خزي يوم القيمة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك وانت تحذرين من ان تصغري في اعين
الناس ولا تحذرين ان تصغري عند الله والملائكة والنبيين بانتقامك من هذا فمهما كظم الغيظ فينبغي
ان يكظمه لله تعالى ولعظمته وجلاله فماله وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة اشد من ذله لو انتقم الآن فلا
يحب ان يكون هو القائم اذا نودي يوم القيامة ليقم من اجره على الله ولا يقوم الا من عفا عن حق وهذا
وامثاله من معارف الايمان ينبغي ان يقرره على قلبه **السادس** ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق
مراده فكيف يقول مرادي اولى من مراد الله تعالى ويوشك ان يكون غضب الله تعالى عليه اعظم من غضبه **واما العمل**
فان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال
عند الغيظ وكان صلى الله عليه وسلم اذا غضبت عائشة رضي الله عنها اخذ بانفها وقال يا عويش قولي
اللهم رب محمد النبي اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن فيستحب ان تقول ذلك
فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف به
ذل نفسك واطلب بالاضطجاع والجلوس السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة وقد
قال صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة توقد في القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم
من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليقم فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد او يغتسل فان
النار لا يطفئها الا الماء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من
النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما يطفأ النار بالماء فاذا غضب
احدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت وقال ابو هريرة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غيظه وقال
ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ
اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض وكان هذا اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضاء من اذل
المواضع وهو التراب ليستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وروي ان
عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغيظ وقال عروة بن

بعد ما استعملت على اليمن قال لي اني اوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك و
الارض تحتك ثم اعظم خالقهما وروي ان ابا ذر قال لرجل في خصومة بينهما يا ابن الحمراء فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر بلغني انك عيرت رجلا بامه فقال نعم فانطلق ابو ذر ليرضي
صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر ارفع راسك
فانظر ثم اعلم بانك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت
قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتك وان كنت متكئا فاضطجع وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان
قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب له ثلاث صحائف واعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت
فاعطني هذه وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فاعطني هذه وقال للثالث اذا سكن غضبي فاعطني
هذه فاشتد غضبه يوما فاعطي الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك لست باله انما
انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطي الثانية وفيها ارحم من في الارض
يرحمك من في السماء واعطي الثالثة وفيها خذ الناس بحق الله تعالى فانه لا يصلحهم الا ذاك اي لا تعطل الحدود
وغضب المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضب لله باشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله

بيان فضيلة كظم الغيظ

قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ذكره في معرض المدح وقال صلى الله عليه وسلم من
كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته و
قال صلى الله عليه وسلم اشدكم من غلب نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا عند القدرة وقال صلى الله
عليه وسلم من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملا الله قلبه يوم القيمة رضا وفي رواية ملا الله قلبه
امنا وايمانا وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم من جرعة غيظ كظمها ابتغاء
وجه الله وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية
الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد وما
كظمها عبد الا ملا الله قلبه ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه
الله على رؤس الخلائق ويخيره من اي الحور شاء **واما الآثار** قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف
غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير ما ترون وقال لقمان لابنه يا بني لا
تذهب ماء وجهك بالمسئلة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ايوب
حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع الثوري وابو خزيمة اليربوعي والفضيل فتذاكروا الزهد فاجمعوا
على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ما تقضي
بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل يا امير المؤمنين الم تسمع
الى قول الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكانما
نار فاطفئت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضي لم يدخله رضاه في
الباطل واذا غضب لم يخرجه من الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل الى سلمان فقال يا عبد الله
اوصني فقال لا تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك

بيان فضيلة الحلم

اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم فلا يحتاج الى كظم
الغيظ الا من هاج غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك
اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال

العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا
قال صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه اشار
بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن
تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم حلمكم اشار بهذا الى ان التكبر والتجبر هو الذي
يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين ومن دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اغنني بالعلم وزيني
بالحلم واكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابتغوا الرفعة عند الله تعالى قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه وسلم خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة
والسواك والتعطر وقال علي رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم ليدرك
بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما يملك الا اهل بيته وقال ابو هريرة ان
رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعونني واحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون
علي واحلم عنهم فقال صلى الله عليه وسلم لئن كان ما تقول فكانما تسفهم المل ولا يزال معك
من الله ظهير ما دمت على ذلك المل يعني الرمل وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة
اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فاوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه
وسلم اني قد غفرت له فقال صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم قالوا وما
ابو ضمضم يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم رجل كان فيمن قبلكم اذا اصبح يقول اللهم اني تصدقت
بعرضي على من ظلمني وقيل في تفسير قوله تعالى ربانيين اي حلماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن ابي رباح يمشون على
الارض هونا اي حلما وقال ابن ابي حبيب في قوله تعالى وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد
واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا اوذوا صفحوا وروي ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال صلى الله
عليه وسلم اصبح ابن مسعود وامسى كريما ثم تلا ابرهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى واذا مروا
باللغو مروا كراما وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركني ولا ادركه زمان لا يتبعون فيه العليم
ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب وقال صلى الله عليه وسلم ليليني
منكم ذوو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم
وهيشات الاسواق وروي انه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الاشج فاناخ راحلته ثم عقلها
ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما يصنع ثم اقبل يمشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه و
سلم يا اشج ان فيك خلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بابي انت وامي يا رسول الله فقال
صلى الله عليه وسلم الحلم والاناة قال خلتان تخلقتهما او جبلتا في فقال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال
الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب
الحليم الحيي الغني المتعفف ويبغض الفاحش البذي السائل الملحف وقال ابن عباس قال النبي صلى
الله عليه وسلم ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي

وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال صلى الله عليه وسلم اذا جمع الخلائق يوم القيمة
نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتلقاهم الملائكة
فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون
كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا عفونا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة نعم اجر
العاملين **الآثار** قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال علي رضي
الله عنه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان تباهي
الناس بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله واذا اسات استغفرت الله وقال الحسن اطلبوا العلم و
زينوه بالوقار والحلم وقال اكثم دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر وقال ابو الدرداء ادركت
الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم نقدوك وان تركتهم لم يتركوك
قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال علي رضي الله عنه ان اول عوض الحليم
من حلمه ان الناس كلهم انصاره على الجاهل وقال معوية لا يبلغ الرجل مبلغ الراي حتى
يبلغ حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال معوية لعمرو بن الاهتم اي الرجال
اشجع قال من رد جهله بحلمه قال اي الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال انس في قوله
تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم الى قوله تعالى عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول
ان كنت كاذبا غفر الله لك وان كنت صادقا غفر الله لي وقال رجل شتمت رجلا من اهل البصرة
فحلم فاستعبدني بها زمانا وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها
فنكس الرجل راسه واستحيا وقال رجل لعمر بن عبد العزيز اشهد انك من الفاسقين فقال
ليس تقبل شهادتك وروي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت
عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع فيه خمس خصال الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل
فيما يبعده من الله وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء
من الدنيا وقال معوية لعرابة بن اوس بم سدت قومك يا عرابة فقال يا امير المومنين كنت احلم
عن جاهلهم واعطي سائلهم واسعى في حوائجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني و
من قصر عني فانا خير منه وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في امر
اني اريد ان اتركه فيقال لي ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم وقال الخليل بن احمد كان
يقال من اساء اليك فاحسن اليه يحمل له حاجزا من قلبه يردعه عن مثل اساءته وقال
الاحنف بن قيس لست بحليم ولكني اتحلم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم
ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطي ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن
لا يكره الشر ياثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يامن
ومن يتول الله يمنع ومن لا يسال الله يفتقر ومن لا يتكل على الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر
وقال رجل لمالك بن دينار بلغني انك ذكرتني بسوء فقال انت اذن علي اكرم من نفسي اني اذا فعلت
ذلك اهديت اليك حسناتي وقال بعض العلماء الحلم ارفع من العقل لان الله عز وجل تسمى به وقال
رجل لبعض الحكماء لاسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال معك يدخل لا معي ومر عيسى على نبينا و
عليه الصلوة والسلم بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا

فقال كل واحد ينفق مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند
الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخ الا عند حاجتك اليه ودخل على حكيم صديق له فقدم اليه الطعام
فخرجت امراة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الرجل مغضبا فتبعه
الحكيم وقال تذكر يوما كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة وافسدت ما عليها فلم
يغضب احد منا فقال نعم قال فاحسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فسري عنه وانصرف وقال صدق
الحكيم شفاء من كل الم وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجر
تعثرت به فذبحت به ودبحت الغضب وقال محمود الوراق في معناه سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب
وان كثرت منه علي الجرائم وما الناس الا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم فاما الذي فوقي فاعرف قدره
واتبع فيه الحق والحق لازم واما الذي دوني فان قال صنت عن اجابته عرضي وان لام لائم واما الذي مثلي فان زل او
تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم **بيان القدر الذي يجوز الانتصار** والتشفي به من الكلام اعلم ان كل
ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله ولا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس
ولا مقابلة السب بالسب وكذا سائر المعاصي على ما ورد به الشرع وفصلناه في الفقه واما السب فلا ينبغي
مثله لقوله صلى الله عليه وسلم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال صلى الله عليه وسلم المستبان شيطانان
يتهاتران وشتم رجل ابا بكر رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدا ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه و
سلم فقال يا رسول الله انك كنت جالسا ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت فقال صلى الله عليه وسلم لان الملك
كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن اجلس في مجلس فيه الشيطان وقال قوم يجوز
المقابلة بما لا كذب فيه ونهاه صلى الله عليه وسلم عن التعيير بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي و
الذي يرخص فيه ان يقول من انت وهل انت الا من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل انت الا من بني هذيل
فقال ابن مسعود وهل انت الا ابن امية ومثل قوله يا احمق قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين الله الا ان
بعض الناس اقل حماقة من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى يرى الناس كلهم حمقى في ذات الله تعالى وكذلك
قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيئ الخلق يا صفيق الوجه يا ثلاب
الاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت واخزاك الله
وانتقم منك فاما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روي انه كان بين خالد بن الوليد
وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني ان ياثم بعضنا في بعض
فلم يسمع السوء وكيف يجوز ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام ولا هو مثل الحرام كالنسبة الى الزنا والسب
والفحش ما روت عائشة رضي الله عنها ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ارسلن اليه فاطمة عليها السلم فجاءت
فقالت يا رسول الله ارسلتني ازواجك يسالنك العدل في ابنة ابي قحافة والنبي صلى الله عليه وسلم
نائم فقال يا بنية اتحبين ما احب قالت نعم فقال صلى الله عليه وسلم فاحبي هذه فرجعت اليهن
فاخبرت بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيئا فارسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تساميني
في الحب فجاءت فقالت بنت ابي بكر بنت ابي بكر تذكرني وانا ساكتة انتظر ان ياذن لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الجواب فاذن لي فسببتها حتى جف لساني فقال صلى الله عليه وسلم كلا انها ابنة
ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام وقولها سببتها ليس المراد به الفحش من الكلام بل هو الجواب
عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق مثل قولها انا بنت ابي بكر وما لك وانت بنت جحش وما ذا تريد

وغير ذلك مما يشبه هذا الكلام وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر هو الذي اباحه هؤلاء وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذاء السابق باللسان ولا يبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجر الى ما وراءه ولا يمكن الاقتصار على مقدار الحق فيه والسكوت عن اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على حفظ نفسه في فور الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف في الابتداء ولكن يحقد في الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهو شرهم وفي الخبر المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك وقال الشافعي رضي الله عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني ادم خلقوا على طبقات فمنهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء ولما كان الغضب في الحال يهيج ويؤثر في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما يتعدى الواجب ولانه ربما يكون متشفيا غيظه ومريحا نفسه فيكون صاحب حظ فيه وينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه راى عمر رضي الله عنه سكرانا فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له يا امير المؤمنين لما شتمك تركته قال لانه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني لعاقبتك

القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق

اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار منه وان يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب يثمر ثمانية امور ١ الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين اعني الحسد وسيأتي ذمه ٢ ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلاء ٣ ان تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك ٤ وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له ٥ ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره ٦ ان تحاكيه استهزاء به وتسخر منه ٧ ايذاؤه بالضرب وما يولم بدنه ٨ ان تمنعه حقه من صلة رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من الافات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصي الله تعالى به ولكن تستثقله بالباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له او بترك الدعاء له والثناء عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب ولما حلف ابو بكر رضي الله عنه ان لا ينفق على مسطح وكان قريبه لانه تكلم في واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم الاية فقال ابو بكر بلى نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه فالاولى ان تبقى على ما كان فان امكنك ان تزيد في الاحسان مجاهدة

والحقد

للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل اعمال المقربين فللحقود ثلاثة احوال عند القدرة احدها ان يستوفي حقه من غير زيادة عليه ولا نقصان وهو العدل والثاني ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل والثالث ان يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجة الصالحين ولنذكر الآن

فضيلة العفو والاحسان

اعلم ان معنى العفو ان يستحق حقا فيسقطه ويبرئ عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيامة ولا فتح رجل باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله شيء فاذا انتهك من محارم الله شيء كان اشدهم غضبا في ذلك وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما وقال عقبة بن عامر لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فبدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والاخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم قال موسى يا رب اي عبادك اعز قال الذي اذا قدر عفا وكذلك سئل ابو الدرداء من اعز الناس فقال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يجلس واراد ان ياخذ له بمظلمته فقال صلى الله عليه وسلم ان المظلومين هم المفلحون يوم القيامة فابى ان ياخذها حتى سمع الحديث وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة اصوات يا معشر الموحدين ان الله تعالى قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وسعى وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال صلى الله عليه وسلم ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فخرجوا كانما نشروا من القبور ودخلوا في الاسلام وقال سهيل بن عمرو لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على بابي الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون قال قلت يا رسول الله نقول خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فقام كذا وكذا الفا فدخلوها

بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي امر ان يؤتى بحد الا
اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا الآية وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من ادى
دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلوة قل هو الله احد عشر مرات وعفا عن قاتله قال ابو بكر او احداهن يا رسول
الله فقال او احداهن **الآثار** قال ابرهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا وراء العفو لانه يشتغل
قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وانه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا اراد الله
ان يتحف عبدا اتاح له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه
فقال عمر انك ان تلقى الله ومظلمتك كما هي خير لك من ان تلقاه وقد انتقصتها وقال يزيد بن ميسرة
ان ظللت تدعو على من ظلمك فان الله يقول ان آخر يدعو عليك انك ظلمته فان شئت استجبنا لك و
اجبنا عليك وان شئتما اخرتما الى يوم القيامة فيسعكما عفوي وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على
ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل وقمن ان لا يفعل وعن ابن
عمر عن ابي بكر رضي الله عنهم بلغنا ان الله عز وجل يأمر مناديا يوم القيامة فينادي من كان له عند الله شيء فليقم
فيقوم اهل العفو فيكافيهم بما كان من عفوهم عن الناس وقال هشام بن محمد اتي النعمان بن المنذر برجلين احدهما
قد اذنب ذنبا عظيما فعفا عنه والآخر اذنب ذنبا صغيرا فعاقبه وقال يعفو الملوك عن الذنوب لفضلها
ولقد يعاقب في اليسير وليس بجهلها الا ليعرف حلمها ويخاف شدة بطشها وعن مبارك بن فضالة قال وفد
سوار بن عبد الله في وفد من اهل البصرة الى ابي جعفر وكنت عنده اذ اتي برجل فامر بقتله فقلت في نفسي
يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر فقلت يا امير المؤمنين الا احدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو
قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيمة جمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر
فيقوم مناد فيقول من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال والله لسمعته من الحسن فقلت والله
لسمعته من الحسن فقال خلوا عنه وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم
بالصفح والافضال وروي ان راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب ارأيت ذا القرنين
اكان نبيا فقال لا ولكنه اعطي ما اعطي باربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا
حدث صدق ولا يجمع من اليوم لغد وقيل ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم
قدر فعفا وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب واتي هشام برجل بلغه عنه امر
فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المؤمنين قال الله تعالى يوم
تأتي كل نفس تجادل عن نفسها افنجادل الله ولا نتكلم كلاما فقال هشام بلى تكلم وروي ان سارقا دخل
خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فانه من اعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله ان يستر علي يوم
القيامة وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت
فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون على من اخذها ويقولون اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها فقال عبد الله اللهم ان كان
حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه وقال الفضيل ما رأيت
احدا ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه
فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي قال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله عز وجل فاشرف عقلي على
ادحاض حجته فبكائي رحمة له وقال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم بن ايوب ليلا وهو على البصرة وجاء
الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف و

صنع اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد
النساء ومن الحبس ثم قال ايها الامير ماذا صنع الله به رفع ذكره واعلى كعبه وجعله
على خزائن الارض فما صنع حين اكمل له امره وجمع له اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ولو
لم اجد الا ثوبي لواريتكم [illegible] وكتب ابن المقفع الى صديق له يسأله العفو عن بعض اخوانه فلان
هارب من زلته الى عفوك لائذ منك بك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو
فضلا واتي عبد الملك باسارى ابن الاشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى قال ان الله تعالى
قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم وروي ان زيادا اخذ رجلا
من الخوارج فافلت منه فاخذ اخا له فقال له ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال ارأيت ان
جئتك بكتاب من امير المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم قال فاني آتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين
ابرهيم وموسى ثم تلا ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى
فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم
الشيطان

فضيلة الرفق

اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب
والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد
يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في
الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما
على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال صلى الله
عليه وسلم يا عائشة انه من اعطي حظه من الرفق اعطي حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه
من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله تعالى اهل بيت ادخل
عليهم الرفق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا
اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا حرموا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ارفقي فان
الله اذا اراد باهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال صلى الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم
الخير كله وقال صلى الله عليه وسلم ايما وال ولي فلان ورفق رفق الله به يوم القيمة وقال صلى الله
عليه وسلم تدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب وقال صلى الله عليه وسلم الرفق يمن و
الخرق شؤم وقال صلى الله عليه وسلم التأني من الله والعجلة من الشيطان وروي ان رجلا جاء
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك
بخير فقال الحمد لله مرتين او ثلاثا قال نعم ثم اقبل عليه فقال هل انت مستوص قال نعم قال اذا اردت
امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانته عنه وعن عائشة رضي الله عنها انها
كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال يا عائشة
عليك بالرفق فانه لا يدخل في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه **الآثار** بلغ عمر
رضي الله عنه ان جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فامرهم ان يوافوه فلما اتوه قام فحمد الله تعالى واثنى
عليه ثم قال ايها الرعية ان لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير ايتها الرعاة ان للرعية
عليكم حقا واعلموا انه لا حلم احب الى الله تعالى ولا اعم من حلم امام ورفقه وليس جهل ابغض الى الله

شاهدين

مرتين او ثلاثا

تعالى ولا اعم من حمل الامام وخرقه واعلموا انه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق
العافية فيمن دونه وقال وهب بن منبه الرفق ثنى الحلم وفي الخبر موقوفا ومرفوعا العلم
خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين اخوه والصبر امير
جنوده وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه الرفق وما اضيف
شيء الى شيء مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال ان تكون ذا اناة و
تلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناواة من يقدر على ضررك وقال
سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور مواضعها والشدة
في مواضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذه اشارة الى انه
لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق ووضع الندى في موضع السيف بالعلى
مضر كوضع السيف في موضع الندى فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في ساير الاخلاق ولكن
لما كانت الطباع الى الحدة والعنف اميل كانت الحاجة الى ترغيبهم في جانب الرفق اكثر ولذلك كثر
ثناء الشرع في جانب الرفق دون العنف وان كان العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن
فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو الذ من الزبد بالشهد هكذا قاله عمر
بن عبد العزيز روي ان عمرو بن العاص كتب الى معوية يعاتبه في التاني فكتب اليه معوية اما بعد
فان التفهم في الخير زيادة رشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخائب من خاب عن الاناة
وان المتثبت مصيب او كاد ان يكون مصيبا وان العجل مخطئ او كاد ان يكون مخطئا وان من
لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لم ينفعه التجارب لا يدرك المعالي وعن ابي عون الانصاري
ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة الين منها تجري مجراها وقال ابو حمزة الكوفي لا
تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة شيئا الا
اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن المؤمن وقاف متان وليس كحاطب ليل فهذا ثناء اهل
العلم بالرفق وذلك لانه محمود مفيد في اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع
ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل امر حقه فان
كان قاصر البصيرة او اشكل عليه حكم واقعة فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر

في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته

بيان ذم الحسد

اعلم ان
الحسد ايضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرع الغضب والغضب اصل اصله ثم
للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال صلى الله عليه و
سلم في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد
الله اخوانا وقال انس كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج
رجل من اهل الجنة فاطلع رجل من الانصار ينطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال
فسلم فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل بعينه وقال صلى الله
عليه وسلم في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو
بن العاص فقال اني لاحيت ابي فاقسمت ان لا ادخل عليه ثلاثا فان رأيت ان تؤويني حتى تمضي فعلت

فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير انه اذا تقلب على فراشه ذكر الله تعالى
ولا يقوم حتى يقوم الفجر قال الا اني لم اسمعه يقول الا خيرا فلما مضت الثلاث وكدت ان احتقر عمله قلت
يا عبد الله لم يكن بيني وبين ابي غضب ولا هجرة ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا
فاردت ان اعرف عملك فلم ارك تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذلك قال ما هو الا ما رايت فلما وليت
دعاني فقال ما هو الا ما رايت غير اني لا اجد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير اعطاه الله اياه
فقال عبد الله هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينجو منهن احد الظن و
الطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت
فلا تبغ وفي رواية ثلاث لا ينجو منهن احد وقل من ينجو منهن فاثبت في هذه الرواية امكان النجاة وقال
صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة
الدين والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلك لكم
افشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر و
قال صلى الله عليه وسلم امتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا
والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج وقال صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه
الله ويبتليك وروي ان موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام لما تعجل الى ربه راى في ظل العرش رجلا
فغبطه بمكانه وقال ان هذا لكريم على ربه فسال ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك من عمله
بثلاث كان لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة وقال زكريا على
نبينا وعليه الصلوة والسلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي
قسمت بين عبادي وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون
وقال صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه وسلم
ان لنعم الله اعداء قيل ومن اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم
ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين
بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد

الآثار

قال بعض السلف اول خطيئة
كانت في الحسد حسد ابليس آدم ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية وحكي ان عون بن عبد الله دخل على الفضل
بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشيء فقال وما ذاك قال اياك والكبر فانه اول
ذنب عصي الله به ثم قرا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر واياك والحرص فانه
اخرج آدم من الجنة اسكنه الله عز وجل جنة عرضها السموات والارض ياكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها
فاكل منها فاخرجه الله ثم قرا اهبطا منها الاية واياك والحسد فانما قتل ابن آدم اخاه حين حسده ثم قرا واتل عليهم
نبا ابني آدم الاية واذا ذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسك واذا ذكر النجوم فاسكت واذا ذكر
القدر فاسكت وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول احسن الى
المحسن باحسانه فان المسيء سيكفيكه اساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال
ان الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم ان الملك ابخر فقال الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه
اليك فاذا دنا منك وضع يده على انفه لئلا يشم رائحة البخر فقال انصرف حتى انظر فخرج من عند الملك
فدعا الرجل الى منزله واطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك وقال احسن الى المحسن

يا حسابه فان المسيء سيكفيك اساءته فقال له الملك ادن مني فدنا منه ووضع يده على فيه مخافة ان يشم
الملك منه رايحة الثوم فقال الملك في نفسه ما ارى فلانا الا وقد صدق وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة
او صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك صاحب كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده و
ابعثه الي فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب فقال خط الملك لي بصلة
فقال هبه مني فقال هو لك فاخذه ومضى الى العامل فقال العامل في كتابك ان اذبحك واسلخك
فقال ان الكتاب ليس هو لي الله الله في امري حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه
وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما صنعت بالكتاب فقال
لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له فقال انه ذكر انك تزعم اني ابخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك
على فيك قال اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسيء
اساءته وقال ابن سيرين ما حسدت احدا على شيء من امور الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على
الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده وهو يصير الى النار وقال رجل
للحسن هل يحسد المؤمن قال ما انساك بني يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا يضرك ما لم تعد
به يدا ولا لسانا وقال ابو الدرداء ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معوية كل
الناس اقدر على رضاه الا الحاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها وقد قيل في ذلك شعر
كل العداوة قد ترجى اماتتها الا عداوة من عاداك عن حسد وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ
وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه
وقال الحسن يا ابن ادم لم تحسد اخاك فان كان الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله
وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة و
ذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة
وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا

بيان حقيقة الحسد وحكمه

ومراتبه اعلم انه
لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله تعالى على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان احدهما ان تكره تلك النعمة
وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحاسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه
الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذا
يسمى غبطة وقد يخص باسم المنافسة وقد يسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة وقد يوضع احد
اللفظين بدل الاخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن يغبط و
المنافق يحسد فاما الاول فهو حسد وهو حرام بكل حال الا ان تكون نعمة اصابها فاجر او كافر او من
يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها
فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو امنت فساده لم يغمك تنعمه ويدل
على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وان هذه الكراهة تسخط بقضاء الله تعالى في تفضيل بعض عباده
على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير ان يكون لك
فيه مضرة والى هذا اشار القران بقوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها
وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من
بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال تعالى ودوا لو

تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله حسد اخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى اذ قالوا ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا الاية فلما كرهوا حب ابيه له وساءهم ذلك واحبوا زواله عنه فغيبوه عنه وقال تعالى
ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا يضيق صدورهم به ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال
تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله وقال تعالى كان الناس امة واحدة الى
قوله تعالى الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا وقال تعالى وما
تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته فامرهم ان يتألفوا
فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد ان ينفرد بالرياسة وقبول القول ورد بعضهم على بعض قال ابن عباس
كان اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب
الذي تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم
اياه فقال الله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله
بغيا اي حسدا وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال
اقول انه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال ارى معاداته ايام الحياة فهذا حكم الحسد في التحريم واما المنافسة فليست
بحرام بل هي اما واجبة او مندوبة او مباحة وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة قال قثم بن
العباس لما اراد هو والفضل ان يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه ان يؤمرهما على الصدقة لعلي حين قال لهما علي
رضي الله عنه لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك
عليك اي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه اياك فاطمة والمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة والذي يدل على
اباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند خوف
الفوت وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد منهما ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة
لا يحظى هو بها كيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله مالا
فسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه الله علما فهو يعمل به في ماله ورجل اتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب
العلم لو ان لي مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ماله من غير حب زوال
النعمة قال ورجل اتاه الله تعالى مالا فهو ينفقه في معاصي الله عز وجل ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مال فلان
لكنت اعمل بمثل عمله فهما في الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه المعصية لا من جهة حبه ان يكون له
من النعمة مثل ماله فاذا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره
دوامها نعم اذا كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكوة فهذه المنافسة واجبة و
هو ان يحب ان يكون مثله لانه اذا لم يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل
كالانفاق للاموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم بها على وجه
مباح فكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة للنعمة وكان تحت هذه النعمة
امران احدهما راحة المنعم عليه والاخر ظهور نقصانه عنه وتخلفه عنه وهو يكره احد الوجهين وهو
تخلف نفسه ويحب مساواته ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص
من الفضل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان
وههنا دقيقة غامضة وهو انه اذا ايس من ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة
يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه اما بان ينال مثل ذلك او بان يزول نعمة المحسود فاذا انسد

احدى الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك
اشهى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فان كان
بحيث لو القي الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان
تزعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عنه فيما يجده في طبعه من ارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان
كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعنى بقوله عليه الصلوة والسلام ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد
والظن والطيرة ثم قال صلى الله عليه وسلم وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ اي ان وجدت في قلبك
شيئا فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريدا للحاق باخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة
اذ يجد لا محالة له ترجيحا على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي ان يحتاط له فانه موضع الخطر
ولا احد الا وهو يرى فوق نفسه من معارفه واقرانه من يحب ان يساويه ويكاد يجره ذلك الى الحسد المحظور
ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت فظهور نقصانه عن غيره يجره الى الحسد المذموم
والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى ينزل هو الى مساواته فان ذلك اذا لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته
بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن يعفى
عنه في ذلك ما لم يعمل به ويكون كراهيته ذلك من نفسه كفارة له وهذه حقيقة الحسد واحكامه واما مراتبه فهي اربع
الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان كان ذلك لا ينتقل اليه وهذه غاية الخبث الثانية ان يحب زوال النعمة اليه
لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او امراة جميلة او ولاية نافذة او سعة نالها غيره وهو
يحب ان يكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها الثالثة ان
لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة
ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا و
المندوب اليه ان كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية اخف من الثالثة والاولى
مذموم محض وتسمية الرتبة الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم قال الله تعالى ولا تتمنوا
ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم واما تمنيه عين ذلك فهو مذموم

بيان اسباب الحسد والمنافسة

اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك امرا دينيا فسببه
حب الله عز وجل وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الآن
في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة اسباب العداوة والتعزز والتكبر والعجب
والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه
عدو فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته
لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه او الى من يحبه واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه و
هو لا يطيق احتمال كبره ومفاخرته لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على
المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب
من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى
مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما بان لا يكون
بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله ولا بد من شرح هذه الاسباب

الاول العداوة والبغضاء وهذا اشد اسباب الحسد فان من آذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في غرض
بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان
يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فمهما اصابت عدوه بلية فرح فظن انها
مكافاة من جهة الله تعالى له على بغضه وانها لاجله اصابته ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا
منزلة له عند الله تعالى حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما و
انما غاية التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن
وهذا مما وصف الله الكفار به اعني الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل
من الغيظ الآية وكذلك قال تعالى قد بدت البغضاء من افواههم والحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع و
التقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه **السبب الثاني التعزز**
وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره
ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا
ولكن لا يرضى بترفعه عليه **السبب الثالث التكبر** وهو ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه
الانقياد له والمتابعة له في اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته وربما يتشوف الى مساواته او الى
ان يترفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطاطئ له رؤسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال الله تعالى يصف قول قريش اهؤلاء من الله عليهم من بيننا
كالاستحقار لهم والانفة منهم **السبب الرابع التعجب** كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا و
لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم
واحبوا زوال النبوة عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة او سبب
آخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة فقال الله تعالى او عجبتم ان جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم **السبب الخامس الخوف من فوت المقاصد** وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد
يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد
الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد على
نيل المنزلة في قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به الى الجاه والمال وكذلك تحاسد
الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على
طائفة من المتفقهة محصورين اذ كل واحد يطلب منزلة في قلوبهم للتوصل به الى اغراضه **السبب السادس حب الرياسة و
طلب الجاه** لنفسه من غير توسل به الى مقصوده وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون اذا غلب
عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في
اقصى العالم لساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او
جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر على المحسود
ولا خوف من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة
في الدنيا وفي قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه و
سلم ولا يؤمنون به خيفة ان تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم **السبب السابع خبث النفس وشحها** بالخير
على عباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله فيما انعم به

المنافسة

المقاصد

عليه شق ذلك عليه واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم ياخذون ذلك من خزانته وملكه ويقول البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه لا عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب اسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته اذ يستحيل في العادة ازالته فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل يهتك حجاب المجاملة فتظهر العداوة بالمكاشفات واكثر المحاسدات يجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها

بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكده وقلته في غيره وضعفه اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع فيهم جملة من هذه الاسباب وتتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه وتترادف جملة الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق او مسجد او مدرسة تواردوا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية اسباب الحسد فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز آخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ الواعظ اكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود اخص فاصل هذه المحاسدات العداوة واصل التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل لا يجمع متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشا جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الآخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت ارضه وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى

ايضا ولا ضيق فيما عند الله تعالى ايضا لان اجل ما عند الله من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ولا مزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر ونقص منه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك ان يمتلئ قلب غيره بها وان يفرح بها فالفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه والمال اجسام واعيان لها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله تعالى وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك عنده الذ من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحما فيه ولا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فيكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يامن زوالها وهو ابدا يجتني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ابدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذا لا يتصور ان يكون في الجنة محاسدة لان الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال الا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة براء عن الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان الرجيم اللعين وذكر من صفاته انه حسد آدم على ما خص به من الاجتباء ولما دعي الى السجود استكبر وابى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة الى السماء ولكن السماء لسعة اقطارها وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد اصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا ان تطلب نعمة لا زحمة فيها ولذة لا تكدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وافعاله وعجائب ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك في الآخرة الا بهذه المعرفة ايضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنها رايك وضعفت عنها رغبتك فانت في ذلك معذور فالعنين لا يشتاق الى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين وكذلك لذة المعرفة يختص بادراكها الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين

بيان الدواء الذي به ينفى مرض الحسد عن القلب اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلوب الا بالعلم والعمل فالعلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدين والدنيا وانه لا ضرر به على المحسود في الدنيا ولا في

قلبه

الفكر

صفته

بل ينتفع به في الدين والدنيا ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت
الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته
التي قسمها لعباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه
جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف اليه انك
غششت رجلا من المومنين وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه عليهم السلم في حبهم الخير لعباد الله
وشاركت ابليس وسائر الكفار في محبتهم للمومنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تاكل حسنات القلب
كما تاكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتالم بحسدك وتتعذب
به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداؤك لا يخليهم الله من نعم يفيضها عليهم ولا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتالم
بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما متشعب القلب ضيق الصدر كما تشتهيه لاعدائك وكما تشتهي اعداؤك
لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم
تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلب
ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما اعجب من عاقل ان
يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير فائدة ولا
جدوى واما انه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى
من اقبال ونعمة فلا بد ان يدوم الى اجل قدره الله تعالى فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل اجل
كتاب ولذلك شكا نبي من الانبياء من امراة ظالمة مستولية على الخلق بالاذى فاوحى الله تعالى اليه فر
من قدامها حتى تنقضي ايامها اي ما قدرناه في الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي
سبق القضاء بدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا عليه اثم في
الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة زالت عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتهيه اولا لنفسك
فانك لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان
ايضا لان الكفار يحسدون المومنين على الايمان قال الله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما
يضلون الا انفسهم اذ ما يريده الحسود لا يكون نعم هو يضل بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر
فمن اشتهى ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانه يريد ان يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر
النعم وان اشتهيت ان تزول النعم عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة
فان كل واحد من حمقى الحساد ايضا يشتهي ان يختص بهذه الخاصية ولست باولى من غيرك فنعمة الله تعالى
عليك في ان لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وانت بجهلك تكرهها وفي معناه لا زلت محسودا على نعمة
فانما الكامل من يحسد واما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح اما منفعته في الدين فانه مظلوم من جهتك
لا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا
تهديها اليه اعني انك بذلك تهدي اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيمة ان كنت تؤمن بالبعث فانك تلقاه
يوم القيمة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكانك اردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله
تعالى عليه نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة واما
منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب
اعظم مما انت فيه من الم الحسد وغاية اماني اعدائك ان يكونوا في نعمة وان تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت

بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي ان يطول حياتك ولكن في عذاب
الحسد لتنظر الى نعمة الله عليه فينقطع قلبك حسدا وغما ولذلك قيل لا مات اعداؤك بل خلدوا
حتى يروا فيك الذي يكمدوا لا زلت محسودا على نعمة فانما الكامل من يحسد ففرح عدوك بغمك و
حسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية
عنده فما انت فيه تلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذن اذا تاملت هذا عرفت
انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به
عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموما عند الخلق والخالق شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود
دائمة شئت ام ابيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى توصلت الى ادخال اعظم سرور على ابليس
الذي هو اعدى اعدائك لانه لما رآك محروما عن نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به
عدوك دونك خاف ان تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من احب الخير لاخيه
المسلم كان شريكا له في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما احب
ذلك فخاف ابليس ان تحب ما انعم الله به على عبده من دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا
تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال
صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقام اعرابي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى الساعة يا
رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلوة ولا صيام الا اني احب الله
ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة
الى ان اكثر بغيتهم كان حب الله ورسوله قال انس فنحن نحب الله ورسوله وابا بكر وعمر ولا نعمل بمثل عملهم ونرجو
ان نكون معهم وقال ابو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد
اشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت
ان تكون عالما فكن عالما فان لم تستطع ان تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع ان تكون متعلما فاحبهم فان لم تستطع
فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجا فانظر الآن كيف حسدك ابليس ففوت
عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك اخاك وحملك على الكراهية حتى اثمت وكيف لا وعساك
ان تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطئ في دين الله وينكشف خطاؤه ليفتضح وتحب ان يخرس
لسانه حتى لا يتكلم او يمرض فلا يعلم ولا يتعلم واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت
بسببه سلمت من الاثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث اهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف
عنه اي من يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهية فانظر كيف ابعدك ابليس عن جميع المداخل
الثلاثة حتى لا تدور بها البتة فقد نفذ عليك حسد ابليس وما نفذ على عدوك حسدك بل على نفسك
بل لو كوشفت بحالك في يقظة او منام لرايت نفسك ايها الحاسد في صورة من يرمي حجرا الى عدوه
ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا اشد من الاول
فرجع الحجر على عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثا فيعود على راسه فيشجه وعدوه سالم في
كل حال وهو اليه راجع مرة بعد اخرى واعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه فهذا حال الحسود
وسخرية الشيطان منه لا بل حالك في الحسد اقبح من هذا لان الحجر العائد لم يفوت الا العين ولو
بقيت لفاتت بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله

تعالى والى النار فلأن يذهب عينه في الدنيا خير من ان تبقى له عين يدخل بها الى النار فيذهبها لهب
النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذا اراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم ازال النعمة عن الحاسد
اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق
المكر السيئ الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى
بمثلها حتى قالت عائشة رضي الله عنها ما تمنيت لعثمان شيئا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا
اثم الحسد نفسه وكيف ما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش
في التشفي من الاعداء وهو الداء الذي فيه هلك الامم السالفة فهذه هي الادوية العلمية فمهما تفكر الانسان
فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفى من قلبه نار الحسد وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه
ومنغص عيشه واما العمل النافع فهو ان يحكم الحسد وكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي ان
يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه بالمدح له والثناء عليه وان حمله على
التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام الزم نفسه الزيادة في الانعام
فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد واحبه وتولد
من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان التواضع والثناء والمدح واظهار السرور بالنعمة
يستميل قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان
يعود الى الاول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه اولا طبعا آخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له
لو تواضعت واثنيت حمله العدو على العجز وعلى النفاق والخوف وان ذلك مذلة ومهانة فان ذلك من
خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كان او طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقلل من
رغبتها وتعود القلوب الى التآلف والتحاب وبه تستريح القلوب من الم الحسد وغم التباغض فهذه هي
ادوية الحسد وهي نافعة جدا الا انها مرة جدا ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء
لم ينل حلاوة الشفاء وانما تهون مرارة هذا الدواء اعني التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح
والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما
احبه وعزة النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شيء على خلاف مرادها وعند ذلك يريد ما يكون
اذ لا مطمع في ان يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد
امرين اما بان يكون ما يريد واما بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة
فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل فان هذا هو
الدواء الكلي فاما الدواء المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما
لا يغني وسيأتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا
بقمع المادة فان لم يقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين وتطفية ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول
الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام محبا للجاه فلا بد وان يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب
الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده واما الخلو عنه
راسا فلا يمكنه

بيان القدر الواجب في نفي الحسد

عن القلب اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن اذاك
فلا يمكنك ان لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال
عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد له ولكن ان قوي
ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية
فانت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك في باطنك تحب زوال النعمة
وليس في نفسك كراهية لهذه الحالة فانت حسود عاص ايضا لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل
قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا الآية وقال تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا
وقال تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم اما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس
هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها
بل هي معصية بينك وبين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فاما اذا
كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهية ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك
تمقت نفسك على ما في طبعها فيكون تلك الكراهية من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة
الطبع فقد اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع
ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه او غمه بما تيسر لهما من نعمة او تنصب عليهما من بلية سواء
فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا بحب الله تعالى
مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال العباد بل ينظر الى الكل
بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وافعالهم افعالا لله تعالى ويراهم مسخرين وذلك
ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته
اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهيته والزم قلبه فقد ادى ما كلفه وقد ذهب
ذاهبون الى انه لا ياثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي عن الحسن انه لما سئل عن الحسد
فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تبده وروي عنه موقوفا ومرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ثلاث لا يخلو منهن مؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من الحسد ان لا يبغي والاولى ان يحمل على ما ذكرنا
من ان يكون فيه كراهية من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو تلك
الكراهية تمنعه من البغي ومن الايذاء فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهره
على ان كل حاسد آثم والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال وكل من يحب مساءة المسلمين
فهو حاسد فاذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والاظهر ما ذكرناه
من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد ان يعفى عن العبد في ارادة مساءة
مسلم واشتماله بالقلب عليه من غير كراهية وقد عرفت من هذا ان لك في اعدائك ثلاثة احوال احدها
ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت
نفسك وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت
الاختيار اكثر منه الثاني ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو
الحسد المحظور قطعا الثالث وهو بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك
ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا محل الخلاف

والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك
الحب وضعفه والله تعالى
اعلم

آخر كتاب ذم الحسد ويتلوه كتاب ذم الدنيا ان شاء الله تعالى

كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عرّف اولياءه غوائل الدنيا وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امراة مليحة تستميل قلوب الناس بجمالها ولها اسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرّارة عن طلابها شحيحة باقبالها فاذا اقبلت لم يؤمن شرها ووبالها وان احسنت ساعة اساءت سنة وان اساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيها خاسرة وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة ومجاري احوالها بذل طالبيها ناطقة وكل مغرور بها الى الذل مصيره وكل متكبر بها الى التحسر مسيره شانها الهرب من طالبها والطلب لهاربها ومن خدمها فاتته ومن اعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا من احبابها كشرت لهم عن انيابها وشوشت عليهم مناظم اسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجائبها فاذاقتهم قواتل سمامها ورشقتهم بصوائب سهامها بينما اصحابها منها في سرور وانعام اذ ولت عنهم كأنها اضغاث احلام ثم كرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في اكفانهم تحت الصعيد ان ملكت واحدا منهم جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كأن لم تغن بالامس تمني اصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا وكان امر الله قدرا مقدورا والصلوة والسلام على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وعلى من كان من آله واصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا

اما بعد فان الدنيا عدوة لله تعالى وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله اما عداوتها لله تعالى فانها قطعت الطريق على عباد الله سبحانه وتعالى ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها واما عداوتها لاولياء الله تعالى فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله تعالى فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها واجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم السعادة ابد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون واذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد اولا من معرفة حقيقة الدنيا وما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مداخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك ان يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها واصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى اصولها وسبب انصراف الخلق عن الله تعالى بسبب التشاغل بفضولها ان شاء الله **بيان** ذم الدنيا **بيان** المواعظ في ذم الدنيا وصفتها **بيان** صفة الدنيا بالامثلة **بيان** حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد **بيان** ماهية الدنيا في نفسها

بيان ذم الدنيا الآيات الواردة في ذم الدنيا كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على اهلها قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال ابو موسى الاشعري قال صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة وقال زيد بن ارقم كنا مع ابي بكر رضي الله عنه فدعا بشراب فاتي بماء وعسل فلما ادناه من فيه بكى حتى ابكى اصحابه فسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لا يقدرون على مسألته ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما ابكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك فقال صلى الله عليه وسلم مثلت لي الدنيا فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك ثم ذكر ذلك ولم يشرب رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروي انه صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى ان زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال ايضا يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا ان الآخرة لا تدرك الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة اورثت اهلها حزنا طويلا وقال ايضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم واما النساء فاتقوهن بالصوم والصلوة وقال ايضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا يطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه وقال موسى بن يسار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروي ان سليمان بن داود مر في موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه وشماله فمر بعابد فقال لقد آتاك الله يا ابن داود ملكا عظيما فسمع سليمان كلامه فقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما اعطي ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر قال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء

منهم

هذه الدنيا م

انا الله تعالى عزيز

والزم الله قلبه اربع خصال همًّا لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا
وأملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ابو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اريك
الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدي واتى بي واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة
فيها جماجم ورؤس ناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا ابا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص
كحرصكم وتأمل امالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات الوان اطعمتهم
اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية
كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون
عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك فما برحنا حتى اشتد بكاءنا وروي في بعض الكتب
ان الله تعالى لما اهبط ادم على نبينا وعليه الصلوة والسلام الى الارض قال له ابن للخراب ولد للفنا
وقال داود بن هلال مكتوب في صحف ابرهيم يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت
لهم اني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا اهون علي منك كل شانك صغير والى
الفناء تصيرين قضيت عليك يوم خلقتك ان لا تدومي لاحد ولا يدوم احد لك وان بخل بك صاحبك
وشح عليك طوبى للابرار الذين اطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى
لهم ما لهم عندي من الجزاء اذا وفدوا الي من قبورهم النور يسعى امامهم والملائكة حافون بهم حتى ابلغهم ما
يرجون من رحمتي وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله عز وجل
لا ينظر اليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لادنى اوليائك فيقول اسكتي يا لا شيء اني لم ارضك لهم
في الدنيا ارضاك لهم اليوم وروي في اخبار ادم انه لما اكل الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن
ذلك مجعولا في شيء من اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن اكلها فجعل يدور في الجنة فامر الله تعالى
ملكا يخاطبه فقال له قل له اي شيء تريد قال ادم اريد ان اضع ما في بطني من الاذى فقيل للملك قل له اي
مكان تضعه على الفرش ام على السرر ام على الانهار او تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا موضعا يصلح
لذلك ولكن اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن اقوام يوم القيامة واعمالهم كجبال
تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين فقال صلى الله عليه وسلم نعم مصلون ويصومون
وياخذون هنية من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وسلم في بعض
خطبه المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله
قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن حيوته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا
خلقت لكم وانتم خلقتم للاخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة
والنار وقال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلم لا يستقيم حب الدنيا وحب الاخرة في قلب مؤمن كما
لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد ويروى ان جبرئيل قال لنوح يا اطول الانبياء عمرا كيف وجدت
الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من الاخر وقيل لعيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلم
لو اتخذت بيتا فقال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها
اسحر من هاروت وماروت وعن الحسن خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على اصحابه
فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال امله فيها
اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى

بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا
المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر للبغضاء و
هو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى اعطاه ثواب خمسين صديقا
وروي ان عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلم اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ اليه
فرفعت له خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها امراة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع يده
عليه وقال الهي لكل شيء ماوى ولم تجعل لي ماوى فاوحى الله تعالى اليه ماواك في مستقر من رحمتي لازوجنك
يوم القيامة مائة حور خلقتها بيدي ولاطعمن في عرسك اربعة الاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولامرن مناديا
ينادي اين الزهاد في الدنيا انظروا لعرس الزاهد عيسى بن مريم وقال عيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلوة و
السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويامنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف اتتهم ما
يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون ويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا عند الله
تعالى وقيل اوحى الله تعالى الى موسى بن عمران على نبينا وعليه الصلوة والسلام يا موسى ما لك ولدار الظالمين
انها ليست لك بدار اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها ونعمت الدار هي يا موسى
اني مرصد للظالم حتى اخذ منه للمظلوم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابا عبيدة بن الجراح
فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدومه فوافوا صلوة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى النبي صلى الله
عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم صلى الله عليه وسلم حين راهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشيء
قالوا اجل يا رسول الله قال فابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى ان تبسط عليكم الدنيا
كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم وقال ابو سعيد الخدري قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله تعالى لكم من بركات الارض فقيل يا رسول الله
ما بركات الارض فقال صلى الله عليه وسلم زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم
بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى على نبينا وعليه الصلوة و
السلام بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال لهم يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن
سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسال ربه عز وجل فاوحى
الله اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك قال فلما كان الليل اشرف على نشز من الارض فنادى يا اهل القرية
فاجابه مجيب لبيك يا روح الله وكلمته فقال ما حالكم وما قصتكم فقالوا بتنا في عافية واصبحنا في الهاوية
قال وكيف ذاك قالوا لحبنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قالوا حب
الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حزنا وبكينا قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون
بلجام من النار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف اجبتني انت من بينهم قال لاني كنت فيهم و
لم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم فانا معلق على شفير جهنم لا ادري انجو منها ام اكبكب
فيها فقال المسيح على نبينا وعليه الصلوة والسلم للحواريين لاكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم
على المزابل كثير مع عافية الدنيا والاخرة وقال انس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء
او القصوى لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه حق على الله تعالى ان لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه وقال عيسى علمنا علما واحدا على نبينا وعليه الصلوة والسلم
من ذا الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال

ابغضوا الدنيا يحبكم الله وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال ابو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدات تبكون على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن تغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين ما فرق بين اهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم ما لكم لا تناصحون في امر الدين ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على امر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها املك باموركم لكن في قلوبكم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب امر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم فأتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم لتبينون صواب الراي في دنياكم وتأخذون بالحزم في اموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على السنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوههم ولا يتغير حال بكم اني ارى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصبحتم على الغل نبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت ان الله تعالى ابعدني منكم والحقني بمن احب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا والله استعين على نفسي وعليكم وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ليأتينكم بعدي دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب وقال عيسى عليه الصلاة والسلام يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل

ارى رجالا بادنى الدين قد قنعوا ولا اراهم رضوا في العيش بالدون فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

واوحى الله تعالى الى موسى يا موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي عليك اشد منها ومر موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام برجل وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا شعر

قال علي رضي الله عنه من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا اولها من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال الحسن رحمه الله انما كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال ايضا من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فالقها اليه في نحره وقال لقمان لابنه يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير فليكن سفينتك فيها تقوى الله تعالى وحشوها الايمان به عز وجل وشراعها التوكل عليه سبحانه لعلك تنجو وما اراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتي في هذه الاية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا

جرزا وقال بعض الحكماء انك لن تصبح في شيء من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة او غداء يوم فلا تهلك في اكله وصم عن الدنيا وافطر على الآخرة فان راس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لراهب كيف ترى الدنيا الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الامال ويقرب المنية قال فما حال اهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وقيل شعر

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره فسوف لعمري عن قليل يلومها اذا ادبرت كانت على المرء حسرة وان اقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة او بلية نازلة او منية قاضية وقال بعضهم من خبث الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لكنها اما تزيد وتنقص وقال سفيان اما ترى النعم كلها مغضوب عليها وقد وضعت في غير اهلها وقال ابو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر ومن طلب الآخرة لم المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية وقال رجل لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو اخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجيء في طلبه فيأخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى قال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله تعالى وقال ابن مسعود ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وقد قيل

وما المال والاهلون الا ودائع ولا بد يوما ان ترد الودائع

وزارت رابعة العدوية اصحابها فذكروا الدنيا واقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذمها فلولا موقعها من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا ان من احب شيئا اكثر من ذكره وقيل لابراهيم بن ادهم كيف انت فقال شعر

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

ارى طالب الدنيا وان طال عمره ونال من الدنيا سرورا وانعما كبان بنى بنيانه فاقامه فلما استوى ما قد بناه تهدما

هب الدنيا تساق اليك عفوا اليس مصير ذاك الى الانتقال وما دنياك الا مثل فيء اظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله عز وجل جعل الدنيا ثلاثة اجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقيل الدنيا جيفة فمن اراد منها فليصبر على معاشرة الكلاب ومهارشتهم وقيل شعر

يا خاطب الدنيا الى نفسها تنح عن خطبتها تسلم ان التي تخطب غدارة قريبة العرس من المأتم

وقال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله تعالى انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقد قيل شعر

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق يا راقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد تطرقن اسحارا افنى القرون التي كانت منعمة كر الليالي اقبالا وادبارا

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها　يمسي ويصبح في دنياه سفارا　هلا تركت من الدنيا معانقة
حتى تعانق في الفردوس ابكارا　ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها　فينبغي لك ان لا تامن النارا
وقال ابو امامة الباهلي لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت
امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبونها ما ابالي ان لا يعبدوا الاوثان وانا اغدو عليهم واروح
بثلاث باخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله تبع لهذا وقال رجل لعلي رضي
الله عنه صف لنا الدنيا فقال كرم الله وجهه وما اصف من دار من صح فيها امن ومن سقم فيها ندم ومن
افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها الحساب وفي حرامها العذاب وقيل له ذلك مرة فقال
اطول ام اقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها
تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال ابو سليمان الداراني اذا كانت الاخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها
واذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الاخرة لان الاخرة كريمة والدنيا لئيمة واللئيم يزاحم الكريم وهذا تشديد
عظيم ونرجو ان يكون ما ذكره سنان بن الحكم اصح اذ قال الدنيا والاخرة تجتمعان في القلب فايهما غلب
كان الاخر تبعا له وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الاخرة من قلبك وبقدر ما تحزن
للاخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله علي رضي الله عنه حيث قال الدنيا والاخرة ضرتان
فبقدر ما ترضي احداهما تسخط الاخرى وقال الحسن والله لقد ادركت اقواما كانت الدنيا اهون عليهم من
التراب الذي يمشون عليه ما يبالون اشرقت الدنيا ام غربت ذهبت الى ذا ام ذهبت الى ذا وقال
رجل للحسن ما تقول في رجل اتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه ايحسن له ان يتعيش فيه يعني يتنعم
فقال لا لو كانت الدنيا كلها له ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل لو ان
الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب عليها في الاخرة لكنت اتقذرها كما يتقذر احدكم الجيفة
اذا مر بها ان يصيب ثوبه وقيل لما قدم عمر رضي الله عنه الشام استقبله ابو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة
بحبل فسلم عليه وسائله ثم اتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر لو اتخذت متاعا فقال
يا امير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الاخرة لقلبك
وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا وقال وهب
قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة
فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يا بني انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الاخرة فانت
الى دار تقرب منها اقرب من دار تتباعد منها وقال سعيد بن مسعود اذا رايت العبد تزداد دنياه و
تنقص اخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص على المنبر
والله ما رايت قوما قط ارغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر برسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاث الا والذي عليه اكثر من الذي له وقال الحسن بعد ان تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة
الدنيا من قال ذا من خلقها من هو اعلم بها منكم واياكم ايا ها وحذركم منها اياكم وما شغل من الدنيا
فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل منها الا اوشك ذلك الباب ان يفتح عليه
عشرة ابواب وقال ايضا مسكين ابن ادم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان اخذه من حله
حوسب بنعمته وان اخذه من حرام عذب به ابن ادم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته في
في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك اما بعد فكانك باخر من

كتب عليه الموت قد مات فاجابه عمر السلام عليك كانك بالدنيا لم تكن وبالاخرة لم تزل وقال الفضيل
الدخول في الدنيا هين لكن التخلص منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح
وعجبا لمن يعرف ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن وعجبا
لمن يعرف ان القدر حق كيف ينصب وقدم على معوية رجل من نجران عمره مائتا سنة فساله عن الدنيا
كيف وجدها سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا
المولود باد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى فترده او اجل
حضر فتدفعه قال لا املك ذلك قال لا حاجة لي اليك وقال داود الطائي يا ابن ادم فرحت ببلوغ املك
فانما بلغته بانقضاء اجلك ثم سوفت بعملك كان منفعته لغيرك وقال بشر من سال الله تعالى الدنيا
فانما يسال طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد الزق اليه شيء يسوءك وقال
الحسن لا يخرج نفس ابن ادم من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن الزاد
لما قدم عليه وقيل لبعض العباد قد نلت الغناء فقال انما نال الغناء من عتق من رق الدنيا وقال ابو سليمان لا يصبر
عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالاخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يامر
بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري اي عذاب الله ينزل علينا وقال ابو حازم يسير الدنيا
يشغل عن كثير الاخرة وقال الحسن اهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد باهنا منها لمن اهانها وقال ايضا اذا
اراد الله بعبد خيرا اعطاه الله من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد عاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له
بسطا وكان بعضهم يدعو يا ممسك السماء ان تقع على الارض الا باذنك امسك الدنيا عني وقال محمد بن المنكدر
ارايت لو ان رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا يفتر وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب
محارم الله غير انه يؤتى به يوم القيمة فيقال ان هذا عظم في عينه ما صغره الله وصغر في
عينه ما عظمه كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال
ابو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والاخرة فاما مؤنة الاخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما مؤنة الدنيا
فانك لا تضرب بيدك الى شيء منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال ابو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء
الارض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يا رب يا رب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يا لا شيء
اسكتي يا لا شيء وقال ابن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال وهب بن
منبه من فرح بشيء من الدنيا فقد اخطا الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدمه فرق الشيطان من ظله ومن غلب عقله
هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الاخرة ضيع نفسه قيل انه كان يفعل ويفعل
وذكروا ابوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تنقص الينا نفسها ونحن
نحبها وكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل الاخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب منها قلب من يعمرها و
الجنة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها وقال الجنيد كان الشافعي من المريدين الناطقين بالحق في الدين
وعظ اخا له في الله وخوفه بالله تعالى فقال يا اخي ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صائر
وساكنها الى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار و
الاعسار فيها يسار فافزع الى الله تعالى وارض برزق الله عز وجل لا تتسلف من دار بقائك في دار فنائك
فان عيشك في زائل وجدار مائل اكثر من عملك وقصر من املك وقال ابراهيم بن ادهم لرجل ادرهم في المنام
احب اليك ام دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت ان الذي تحبه في الدنيا كانك تحبه في المنام

فالذين تركها فقيل
الاخرة لمن هي قال لمن
طلبها صح

والتي تجر في الاخرة كانك لا تجر في اليقظة وعن اسمعيل بن عياش كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة و
لو يقولون اليك عنا يا خنزيرة فلو وجدوا لها اسما اقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا
حتى تعبدوها واهلها وقال يحيى بن معاذ العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان
يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه وقال ايضا الدنيا بلغ من شومها ان تمنيك لها تلهيك عن طاعة الله
فكيف الوقوع بها وقال بكر بن عبد الله من اراد ان يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن وقال
ايضا من اقبل على الدنيا احرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الاخرة صفته نيرانها فصار
سبيكة ذهب ينتفع به ومن اقبل على الله عز وجل احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا قيمة له وقال علي رضي الله
عنه انما الدنيا ستة اشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات
العسل وهو مذقة ذباب واشرف المشروبات الماء ويستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات
الحرير وهو نسج دودة واشرف المركوبات الفرس وعليه تقتل الرجال واشرف المنكوحات المراة وهي مبال
في مبال والله ان المراة لتزين احسن شيء منها ويراد اقبح شيء منها

المواعظ في ذم الدنيا وصفتها

قال بعضهم يا ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله عز وجل على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل
ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم باماليها وتزينت لخطابها
فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق
لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثرت بوائقها وذمها خالقها جديدها
يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم و
انتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل او مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل او هل الى الطبيب من
سبيل فيدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان اوصى وماله احصى ثم يقال قد ثقل
لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه ثم عرق عند ذلك جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت
جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان
ومنعت الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فما ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء
ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك
واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك
ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطي حاجته منها لانه يتوقع آفة تغدو على ماله
فتجتاحه او على جمعه فيفرقه او تاتي سلطانه فتهدمه من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه او تفجعه بشيء هو ضنين به
من احبابه فالدنيا احق بالذم هي الاخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بينا هي تضحك صاحبها اذ
اضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له اذ ابكت عليه وبينا هي تبسط كفها بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد
تعقد التاج على راس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما
بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا
دار ظعن وليست بدار اقامة وانما انزل اليها آدم عقوبة فاحذرها يا امير المؤمنين فان الزاد منها
تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من اعزها وتفقر من جمعها هي كالسم ياكله
من لا يعرفه وهي حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على
شدة الدواء مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت
بخدعها وفتنت بغرورها وحلت باماليها وتسوفت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية فالعيون
اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلها قاتلة فلا الباقي بالماضي
معتبر ولا الاخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله تعالى حين اخبره عنها مذكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر
وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت عنها قدمه فعظمت بليته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت
بالمه وحسرات الفوت بغصته وكم راغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد و
قدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المؤمنين وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما
اطمان منها الى سرور اشخصته الى مكروه السار فيها لاهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخاء منها
بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وادبر ولا يدري ما هو آت فينتظر
امانيها كاذبة وامالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر ان عقل ونظر وهو من النعماء
على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد ايقظت النائم
ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله عز وجل قدر وما نظر اليها
مذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه عند الله جناح بعوضة فابى ان
يقبلها اذ كره ان يخالف على الله امره او يحب ما ابغضه خالقه او يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختيارا
وبسطها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه اكرم بها ونسي ما صنع الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم
حين شد على بطنه الحجر ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه جل وعز ان الله تعالى قال لموسى على نبينا وعليه الصلوة و
السلام اذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت فاقتد
بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلوة والسلام كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي
الصوف وصلائي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتت الارض امسي
وليس لي شيء وليس على الارض احد اغنى مني وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل هرون وموسى على نبينا وعليهما الصلوة و
السلام الى فرعون فقال لا يروعكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني
ولا يعجبكما ما متع به فانما هي زهرة الحيوة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت ان ازينكما بزينة يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته
تعجز عما اوتيتما لفعلت ولكني ارغب بكما عن ذلك فازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائي اني لاذودهم عن نعيمها كما
يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة واني لاجنبهم سكونها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة وما ذاك
لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا انما يتزين لي اوليائي بالذل والخشوع والخوف والتقوى تثبت
في قلوبهم فتظهر على اجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم
التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي اياه يا ملون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم
انه من اخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثائر له يوم القيامة

ومن خطب علي كرم الله وجهه

ايها الناس اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة
وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي بين اهلها دول وسجال لا تدوم احوالها ولن يسلم من
شرها نزالها بينا اهلها في رخاء وسرور اذا هم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها
مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها
مقدور وحظه منها موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول
منكم اعمارا واشد منكم بطشا واعمر ديارا وابعد آثارا فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها و

اجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية استبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق
الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين
اهل عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان
على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل
والثرى فاصبحوا بعد الحياة امواتا وبعد غضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب واسكنوا التراب وظعنوا
فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكان قد صرتم الى ما صاروا
اليه من البلى والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عاينتم الامور
وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب
لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار
هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا
بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية جعلنا الله واياكم عاملين
بكتابه ومتبعين لاوليائه ولحبائه حتى يحلنا دار المقامة من فضله انه حميد مجيد رحيم ودود وقال
بعض الحكماء الايام سهام والناس اغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وايامه حتى
يستغرق جميع اجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الايام وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما
احدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت ممر الساعات بك و
ولكن تدبير الله فوق الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذا عجمها
الحكيم وقد اعيت الواصف لعيوبها بظاهر افعالها وما تأتي به من العجائب اكثر مما يحيط به الواعظ
فنستوهب الله تعالى رشدا الى الصواب وقال الحكيم وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها الدنيا وقتك
الذي يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يأت فلا علم لك به و
الدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعته واحداثه تتوالى على الانسان بالتغيير والنقصان و
الدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور
وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال يا ايها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به وتغفلونه
يظهر من افعالكم فانتم حمقى وان كنتم تكذبون به فانتم هلكى انما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار
تنقلون عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا
بفراق اخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما انتم اليه صائرون وفيه خالدون ثم غلبه البكاء ونزل وقال
علي رضي الله عنه في خطبته اوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها
المبلية لاجسامكم وان كنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه
وافضوا الى علم فكانهم بلغوه وكم عسى ان يجري المجري حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم من
الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بنعمائها
فانه الى زوال العجب لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل ليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين لما علم اهل
العقل والعلم والمعرفة والادب ان الله عز وجل قد اهان الدنيا وانه لم يرضها لاوليائه وانها عنده
حقيرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها اكلوا منها قصدا وقدموا
فضلا اخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام ادناه

ما سد الجوعة نظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الآخرة انها باقية فتزودوا منها كزاد الراكب فخربوا
الدنيا وعمروا بها الآخرة نظروا الى الآخرة بقلوبهم فعلموا ان هذه سينظرون اليها باعينهم وارتحلوا اليها
بقلوبهم لما علموا انهم اليها سيرحلون بابدانهم صبروا قليلا وتنعموا طويلا وكل ذلك بتوفيق مولاهم
الكريم احبوا ما احب لهم وكرهوا ما كره لهم

بيان صفة الدنيا بالامثلة

اعلم ان الدنيا سريعة
الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة
سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند
انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبصر
الظاهر بل بالبصيرة الباطنة وانشد الحسن رضي الله عنه لما ذكرت عنده الدنيا فقال

شعر

احلام نوم او كظل زائل ... ان اللبيب بمثلها لا يخدع

وكان الحسن بن علي رضي الله عنه يتمثل ويقول

يا اهل لذات الدنيا لا بقاء لها ... ان اغترارا بظل زائل حمق

وكان يرى انه من قوله وقيل انه للعراقي
نعم فقدموا اليه طعاما فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فقلعوا الخيمة ورحلوا فاصابته
الشمس فانتبه يقول

الا انما الدنيا كظل ثنية ... ولا بد يوما ان ظلك زائل

مثال اخر

الدنيا
من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها بعد افلاتها يشبه خيالات المنام واضغاث احلام وينشد

وان امرأ دنياه اكبر همه ... لمستمسك منها بحبل غرور

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلم و
اهلها عليها مجازون ويعاقبون وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي في الدنيا الا كرجل نام
فرأى في منامه ما يكره وما يحب فبينا هو كذلك اذ انتبه وكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا
فاذا ليس بايديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لبعض الحكماء اي شيء اشبه بالدنيا قال احلام النائم

مثال الدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها بنيها

اعلم ان طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا و
التوصل الى الاهلاك اخرا وهي كامرأة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم وقد روي عن عيسى على نبينا
وعليه الصلوة والسلام انه كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز شمطاء هتماء عليها من كل زينة فقال
لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قال بل كلهم قتلت قال عيسى بؤسا
لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون
منك بحذر

مثال اخر للدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها

اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي تشبه
عجوزا مزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها
فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها قال العلاء بن زياد رأيت في النوم
عجوزا كبيرة متغضنة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها يتعجبون منها وينظرون اليها
فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من انت قالت اوما تعرفني قلت
ما ادري من انت قالت انا الدنيا فقلت اعوذ بالله من شرك قالت فان احببت ان تعاذ من شري فابغض
الدرهم وقال ابو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها
يصفقون ويرقصون فلما قابلتني قالت لي لو ظفرت بك لصنعت بك كما صنعت بهؤلاء ثم بكى ابو
بكر وقال رأيت هذا قبل ان ادخل بغداد وقال الفضيل قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة
عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلائق فيقال لهم تعرفون هذه فيقولون
نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم

وتباغضتم ولتفرّدتم ثم تقذف في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل الحقوا
بها اشياعها واتباعها وقال الفضيل بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امراة على قارعة الطريق عليها
من كل زينة الحلي والثياب واذا لا يمر بها احد الا جرحته فاذا هي ادبرت كانت احسن شيء رآه الناس و
اذا اقبلت كانت اقبح شيء رآه الناس عجوز شمطاء شوهاء زرقاء عمشاء قال فقلت اعوذ بالله منك قالت
لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال فقلت لها من انت قالت انا الدنيا **مثال اخر**
وعبور الناس بها اعلم ان الاحوال ثلاثة حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك الى الازل وحالة لا تكون
فيها مشاهدا للدنيا وهو ما بعد موتك الى الابد وحالة متوسطة بين الابد والازل وهي ايام حيوتك في
الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الازل والابد حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر
طويل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم
صائف فرفعت له شجرة فقال في ظلها ساعة ثم راح وتركها ومن راى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال
كيف انقضت ايامه في ضر وضيق او في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وراى بعض الصحابة يبني بيتا من جص فقال صلى الله عليه وسلم ارى
الامر اعجل من هذا وانكر ذلك والى هذا اشار عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها
ولا تعمروها وهو مثال واضح فان الحياة الدنيا معبر الى الاخرة والمهد هو الميل الاول على راس القنطرة واللحد
هو الميل الثاني وبينهما مسافة محدودة ومن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم
من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيف ما كان فلا بد له من العبور والبناء على القنطرة و
تزيينها باصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل والخذلان **بيان اخر للدنيا في لين موردها** وخشونة مصدرها
اعلم ان اوائل امور الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة خروجه كحلاوة الخوض فيها وهيهات فان الخوض
في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي رضي الله عنه الى سلمان الفارسي مثالها فقال انما مثل
الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما
ايقنت من فراقها وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمان منها الى سرور اشخصه عنه
مكروه والسلم **مثال اخر للدنيا في تعذر الخلاص** منها ومن تبعاتها بعد الخوض فيها قال النبي صلى الله عليه وسلم انما
مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء ان لا يبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة
قوم ظنوا انهم يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك
مكيدة من الشيطان بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا اعظم المتفجعين بفراقها وكما ان المشي في الماء يقتضي
بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب
مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلم بحق اقول لكم كما ينظر المريض الى
الطعام فلا يلتذ باكله من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع
ما يجد من حب الدنيا بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعبت وتغير خلقها كذلك القلوب اذا
لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ بحق اقول لكم ان الزق ما لم يتخرق او يقحل يوشك ان
يكون وعاء للعسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات او يدنسها الطمع او يقسها النعيم فسوف تكون
اوعية للحكمة قال نبينا صلى الله عليه وسلم انما مثل عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا
خبث اعلاه خبث اسفله **مثال آخر لما بقي من الدنيا** وقلتها بالاضافة الى ما سبق قال انس قال رسول الله

اراد بالخفض الانحطاط ه

صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى آخره فبقي معلقا بخيط في آخره فيوشك
ذلك الخيط ان ينقطع **مثال اخر** لما دية علائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك قال عيسى
على نبينا وعليه الصلوة والسلم مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا
حتى يقتله **بيان اخر** لمخالفة اول الدنيا آخرها ولخرها اولها ولنضارة اوائلها وخبث عواقبها
اعلم ان شهوات الدنيا فلتك في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات
الدنيا في قلبه من النتن والكراهة والقبح ما يجد للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان
الطعام كلما كان الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا وكذلك كل شهوة
في القلب هي اشهى والذ واقوى فنتنها وكراهيتها والتاذي بها عند الموت اشد بل هي في دار الدنيا
مشاهدة فان من نهبت داره واخذ ولده وماله فيكون تفجعه ومصيبته والمه في كل ما فقد له بقدر
لذته به وحبه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود اشهى عنده والذ فهو عند الفقد ادهى وامر وما
للموت معنى الا فقد ما في الدنيا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للضحاك بن سفيان الكلا
الست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالى ما يصير قال الى ما
قد علمت يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا لما يصير اليه طعام ابن آدم و
قال ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم
ابن آدم للدنيا مثلا وان قزحه وملحه وقال الحسن قد رايتهم يطيبونه بالافاويه والطيب ثم يرمونه حيث رايتم
وقال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس رضي الله عنه الى رجيعه وقال رجل لابن عمر اني
اريد ان اسالك واستحيي قال لا تستحي وسل قال اذا قضى احدنا حاجته وقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان
الملك يقول له انظر هذا ما بخلت به انظر الى ما صار وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا الى ثماركم ودجاجكم وعسلكم
وسمنكم **بيان اخر في نسبة الدنيا الى الاخرة** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كمثل ما يجعل
احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع اليه **مثال اخر** للدنيا واهلها واشتغالهم بنعيمها وغفلتهم عن الاخرة و
خسرانهم العظيم بسببها اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج
لقضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم الحاجة و
بادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فاخذ اوسع الاماكن والينها واوفقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة و
نسي السفينة وعجلتها وجعل ينظر الى ازهارها وانوارها العجيبة وغياضها الملتفة وطيورها ذات النغمات الطيبة
والحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من تربتها احجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال
الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة اعين الناظرين بحسن زبرجها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع
اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار واعجبه
حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة من الحجارة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزاده ما
حمله من الحجارة ضيقا وصار ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد في السفينة مكانا
لموضعه فحمله على عنقه وهو متاسف على اخذه وليس ينفعه التاسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وسيره
عاجلا وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله باكل الثمار واشتمام تلك الانوار و
التفرج بين تلك الاشجار والتشمم لتلك الازهار والانوار من تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من
السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن شوك يتشبث بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة يدخل

بي

صح ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر ما يخرج من ابن آدم وان قزحه وملحه الى ما يصير فقال صلعم صح

ج

الملتفة

في وحله ويحلبه او صوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو اراده
فلما بلغهم نداء السفينة انصرف بعضهم مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي على الشط حتى مات جوعا وعطشا
وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات
في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة واما من وصل الى المركب بثقل ما احمله من الازهار و
الانوار والاحجار المزججة فقد استرقته وشغلته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه
فلم يلبث ان ذبلت تلك الازهار وكدت الوان الاحجار فظهر نتن ريحها فصار مع كونه مضيقا عليه مؤذيا له
بنتنه ووحشته فلم يجد حيلة الا ان القاها في البحر هربا منها وقد اثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت
عليه الاسقام بتلك الروائح والاطعمة فبلغ سقيما مدنفا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتاذى بضيق المكان مدة
ولكنه لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اولا وجد المكان الاوسع ووصل الى الوطن سالما فهذا مثال اهل الدنيا في
اشتغالهم بحظوظ العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امرهم وما اقبح من يزعم انه بصير
عاقل ان تغره احجار الارض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا وشيء منه لا يصحبه عند الموت
بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم الا من عصمه الله تعالى

مثال اخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم بقول الله عز وجل في تحذيره اياهم غوائل الدنيا قال
الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا
لم يدروا ما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة
فايقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر راسه ماء فقالوا هذا قريب عهد بريف وما
جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال علام انتم قالوا على ما ترى قال ارايتكم ان
هديتكم الى ماء رواء ورياض خضرة ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا قال اعطوني عهودكم و
مواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئا فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا
فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم ورياض
ليس كرياضكم فقال اكثرهم يا هذا والله ما وجدنا هذا حتى ظننا انا لن نجده وما نصنع بعيش خير من
هذا وقالت طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيئا وقد صدقكم في
اول حديثه فوالله ليصدقنكم في اخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فاصبحوا بين اسير وقتيل

مثال اخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من الدنيا مثل رجل هيا دارا و
زينها وهو يدعو الى داره قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين
ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه فيأخذه فجهل رسمه فظن انه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما
استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف
سنة الله تعالى في الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا
بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه امثلة الدنيا و
افاتها وغوائلها

بيان حقيقة الدنيا وما فيها في حق العبد اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف
الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي ان يجتنب منها وما الذي لا يجتنب فلا بد ان نبين الدنيا المذمومة المامورة
باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله تعالى ما هي فنقول دنياك واخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك
فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي المؤخر يسمى اخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ
وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهذه الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه
ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هي ثلاثة اقسام القسم الاول ما يصحبك الى الاخرة ويبقى
معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل فقط واعني بالعلم العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله
وملائكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعني
بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يانس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده
فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا
ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الاخرة وكذلك العابد قد يانس
بعبادته فيستلذها بحيث لو منع منها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من
الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين قيام الليل وقال اخر اللهم ارزقني قوة الصلوة والركوع و
السجود في القبر فهذا قد صارت الصلوة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق
عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة فجعل الصلوة
من جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم المشاهدة والشهادة
فهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالسجود والركوع انما يكون في الدنيا فلذلك اضافها الى الدنيا
الا انا لسنا نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا

القسم الثاني وهو المقابل
على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الاخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم
بالمباحات الزائدة على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم
بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري و
المواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذه كلها هي الدنيا المذمومة
وفيما يعد فضولا او في محل الحاجة نظر طويل اذ روي عن عمر رضي الله عنه انه استعمل ابا الدرداء على
حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه من عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى عويمر قد كان لك
في بناء فارس والروم ما يكفيك عن عمران الدنيا حين اراد الله خرابها فاذا اتاك كتابي هذا فقد سيرتك
انت واهلك الى دمشق فلم يزل بها حتى مات فهذا راه فضولا من الدنيا فتامل فيه

القسم الثالث وهو
متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على اعمال الاخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد
الخشن وكل ما لا بد منه ليتاتى للانسان البقاء والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل فهذا ليس من الدنيا
كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد من الدنيا على قصد الاستعانة به
على العلم والعمل لم يكن فيه متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة
به على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد بعد الموت الا ثلاث صفات صفاء
القلب اعني طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله تعالى وحبه لله عز وجل وصفاء القلب وطهارته لا
يحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه والحب لا يحصل
الا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد
الموت وهي الباقيات الصالحات اما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد
وبين عذاب الله تعالى كما ورد في الاخبار ان اعمال العباد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام

الليل يدفع عنه واذا جاء من جهته مديد جاء تبا لصدقه بدفع عنه الحديث واما الانس والحب فهما من
المستعذبات وهما موصلان العبد الى لذة البقاء والمشاهدة وهذه السعادة تستعجل عقيب الموت
الى ان يدخل اوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن
له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق
وافلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع آمنا من الفراق وكيف
لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا في الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت
عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه ما كان له واحد ثم اخذ منه ذلك الواحد وليس الموت عدما انما هو الفراق
لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذا سالك طريق الاخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث
وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن
الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر
الذي لا بد منه في هذه الثلاثة اذا اخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا والراغبين في
حظوظ الدنيا وحظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب في الاخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول
بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات
القيمة لاجل الحساب ايضا عذاب فمن نوقش في الحساب فقد عذب اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم حلالها
حساب وحرامها عقاب وقال ايضا حلالها عذاب يعني الحساب فان الحساب عذاب الا انه عذاب اخف من
عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على
تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب وقس به حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك
وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف ينقطع قلبك عليه حسرة مع علمك بانها سعادات متصرمة لا بقاء
لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الدهور دون
غايتها فمن تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر او بالنظر الى خضرة او بشربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الاخرة
وهو المعني بقوله صلى الله عليه وسلم هذا من النعيم الذي تسئل عنه اشار الى الماء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل
وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر رضي الله عنه اعزلوا عني حسابها حيث
كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فاداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعون
الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد
حتى ان عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام وضع راسه على حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل له ابليس فقال يا ابن مريم
رغبت في الدنيا وحتى ان سليمن على نبينا وعليه الصلوة والسلم في ملكه كان يطعم الناس لذائذ الاطعمة وهو ياكل خبز
الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر على لذائذ الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا روي
ان الله تعالى زوى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوي اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله تعالى
البلاء على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما
يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه الم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا به عليه وقد عرفت
بهذا ان كل ما ليس لله عز وجل فهو للدنيا وما هو لله تعالى فليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله سبحانه فاقول
الاشياء ثلثة اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله تعالى وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع
التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحض المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورته لله تعالى ويمكن ان يجعل
لغير الله تعالى وهي ثلاثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلث اذا جرت سرا ولم يكن
عليها باعث سوى امر الله واليوم الآخر فهي لله تعالى وليست من الدنيا فان كان الغرض من الفكر طلب
العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال او
الحمية لصحة البدن او الاشتهار بالزهد فقد صار هذا بالمعنى من الدنيا وان كان يظن بصورته انه لله تعالى و
منها ما صورته لحظ النفس ويمكن ان يجعل معناه لله تعالى وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به
بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة على التقوى
فهو لله تعالى بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا
لقي الله تعالى وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسئلة وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة
ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي
لا حاجة اليه لامر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان
الجنة هي المأوى ومجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله عز وجل انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة
يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا فقد عرفت ان كل ما هو لله تعالى فليس من
الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله سبحانه ان قصد به وجه الله تعالى والاستكثار
منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة درجات يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف
يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب
منه فينبغي ان يحذر وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى
والتقرب من حد الضرورة ما امكن الاقتداء بالانبياء والاولياء اذ كانوا يردون انفسهم
الى حد الضرورة حتى ان اويسا القرني كان يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على
باب دارهم وكان ياتي عليهم السنة والسنتان والثلث لا يرون وجهه وكان يخرج الى المسجد اول الاذان ويعود
العشاء الآخرة وكان طعامه ان يلتقط النوى وكلما اصاب حشفة خباها لافطاره فان اصاب ما يقوته
من الحشف تصدق بالنوى وان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى ما يقوته وكان لباسه
ما يجد على المزابل يلتقط من قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها وكان ذلك
لباسه وكان ربما مر بالصبيان فيرجمونه بالحجارة يظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم ترموني فارموني
باحجار صغار فاني اخاف ان تدموا عقبي فيحضر وقت الصلوة ولا اصيب الماء فهكذا كانت سيرته ولقد رفع
لهذا عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم امره فقال اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن اشارة اليه ولما
ولي عمر رضي الله عنه قال يا ايها الناس من كان منكم من اهل العراق فليقم فقاموا فقال اجلسوا الا من
كان من اهل الكوفة فجلسوا وقام جماعة فقال اجلسوا الا من كان من مراد فقام جماعة فقال اجلسوا الا من
كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجل واحد فقال له عمر اقرني انت فقال نعم فقال اتعرف اويس بن عامر القرني
فوصفه له فقال نعم وما تسال عن ذلك يا امير المؤمنين والله ما فينا احمق ولا اجن منه ولا احوج منه ولا
ادون منه فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال ما قلت الا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل في
شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر رضي الله عنه قدمت الكوفة فلم يكن

ثم الا ان اطلب اويسا القرني واسال عنه حتى وجدته على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثو
به فعرفته بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الرأس كث اللحية متغير جدا
كريه الوجه مهيب المنظر فسلمت عليه فرد علي السلام ونظر الي فقلت حياك الله من رجل ومددت يدي
لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت يا اويس رحمك الله كيف انت غفر الله لك ثم خنقتني العبرة من حبي اياه ورقتي عليه اذ
رايت من حاله ما رايت حتى بكيت وبكى ثم قال وانت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف انت يا اخي ومن دلك علي قلت
الله عز وجل فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فعجبت حين عرفني ولا والله ما رايته قبل ذلك
اليوم ولا رآني فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رايتك قبل اليوم قال نبأني العليم الخبير وعرفت روحي روحك
حين كلمت نفسي نفسك ان الارواح لها انفس كانفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله
تعالى وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحديث اسمعه منك قال اني لم ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لي معه صحبة بابي وامي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن رايت رجالا قد صحبوه وبلغني من حديثه نحو مما بلغك ولست احب ان افتح على نفسي
هذا الباب ان اكون محدثا او مفتيا او قاضيا في نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا اخي اقرأ علي آية من
القرآن اسمعها منك وادع لي بدعوات واوصني بوصية احفظها عنك فاني احبك في الله حبا شديدا فقام واخذ
بيدي على شاطئ الفرات ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى وقال قال ربي والحق قول ربي واصدق
الحديث حديثه واصدق الكلام كلامه ثم قرأ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق
ولكن اكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى قوله انه هو السميع العليم فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه ثم قال يا ابن حيان مات
ابوك حيان واوشك ان تموت فاما الى جنة واما الى نار ومات ابوك آدم وماتت امك حواء ومات نوح ومات
ابراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن يا ابن حيان ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه و
سلم رسول رب العالمين ومات ابو بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب
اخي وصفيي ثم قال يا عمراه يا عمراه فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت فقال قد نعاه الي ربي ونعى الي نفسي ثم قال
انا وانت في الموتى كان قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيفات ثم قال هذه وصيتي
اياك يا هرم بن حيان كتاب الله ونعي المؤمنين الصالحين فقد نعيت الي نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق
قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح للامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر
فتفارق دينك وانت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك و
زارني من اجلك فعرفني وجهه في الجنة وادخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيث
ما كان وضم عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما اعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما اعطيته
من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال استودعك الله يا هرم والسلام عليك ورحمة الله لا اراك
بعد اليوم رحمك الله ان تطلبني فاني اكره الشهرة والوحدة احب الي اني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس ما حييت
فلا تسأل عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال وان لم ارك ولم ترني فاذكرني وادع لي فاني سأذكرك وادعو
لك ان شاء الله انطلق انت ههنا حتى انطلق انا ههنا فحرصت ان امشي معه ساعة فابى علي وفارقني وبكى فابكاني
وجعلت انظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله و
غفر له فهكذا كانت سيرة ابناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت بما سبق في شأن الدنيا ومن سيرة الانبياء
والاولياء ان حد الدنيا كل ما اظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الآخرة

وهو كل ما اريد به الله عز وجل مما وجد بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة طاعة الله تعالى فذلك
ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم
اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج و
كذلك البدن مركب النفس يقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما يبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من
الآخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الاسباب كان منحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه
القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد سبعة ايام طاويا فسمعت في الليلة الثامنة مناديا وانا بين
اليقظة والنوم الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله تعالى عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك

بيان ماهية الدنيا في نفسها

واشغالها التي استغرقت هممهم الخلق حتى انستهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم ومورده
اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلاثة امور وقد يظن ان الدنيا
عبارة عن احدها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا
ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فالارض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس
ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الارض ثلاثة اقسام المعادن والنبات والحيوان اما النبات فيطلبه الآدمي
للاقتيات والتداوي واما المعادن فيطلبها الآدمي للآلات والاواني كالنحاس والرصاص وللنقد كالذهب و
الفضة ولغير ذلك من المقاصد واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم اما البهائم فيطلب لحومها للاكل وظهورها
للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب الآدمي ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان
او ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه
بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله
زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على اللآلئ واليواقيت وغيرها والخيل المسومة والانعام هي البهائم والحيوانات
والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها
وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات
القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التفاخر
والتكاثر وهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي التي ذكرناها **العلاقة الثانية** مع البدن وهو اشتغاله
باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها
والخلق انما نسوا انفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل
ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي
يسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا يبقى الابل في طريق
الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق
ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل اليها انواع الحشيش ويبرد لها الماء
بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته
والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى
الناقة بقدر الضرورة وكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء
الا بالضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من البطن في ان كل واحد منهما ضرورة البدن ومن

الاعيان صح

ثمنه ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه واكثر ما اشتغل الناس عن الله تعالى هو البطن فان القوت
ضروري وامر المسكن والملبس اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليها لم يستغرقهم
بجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا واتصل بعضها
بالبعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا بكثرة الاشغال فنسوا مقصودها ونحن نذكر
تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى يتضح لك ان
اشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف انستهم عاقبة امورهم فنقول الاشغال
الدنيوية هي الحرف والصناعات والاعمال التي ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو ان
الانسان مضطر الى ثلاث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد
والمسكن لدفع الحر والبرد والمطر ولدفع اسباب الهلاك عن المال والاهل ولم يخلق الله تعالى القوت و
المسكن والملبس مصلحا بحيث يستغني عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك للبهائم فان النبات تغذي الحيوان
من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغني عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها
وجلودها فيستغني عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هي
اصول الصناعات واوائل الاشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء
اما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة للمطعم والرعاية
للمواشي والخيل وهو ايضا للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه الله تعالى من صيد او
معدن او حشيش او حطب فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الاموال ويستنتجها و
المقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الارض ما خلق
فيها من غير صنع آدمي ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات واشغال عدة ثم هذه الصناعات
تفتقر الى ادوات والات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والالات انما تؤخذ اما من
النبات وهو الاخشاب او من المعادن كالحديد والرصاص وغيره او من جلود الحيوانات فحدثت
الحاجة الى ثلاثة انواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الالات ونعني
بالنجارة كل عامل على الخشب كيفما كان وبالحدادة كل من عمل على جواهر المعادن حتى النحاس و
الابري وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس فاما احاد الحرف فكثيرة واما الخرز فنعني به كل عامل على
جلود الحيوانات واجزائها فهذه امهات الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل
يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لشيئين احدهما حاجته الى النسل ولا يكون ذلك
الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثاني التعاون على تهيئة اسباب المطعم والملبس ولتربية الولد
فان الاجتماع يفضي الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت ثم ليس
يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل
كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى الاتها ويحتاج
الالة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو
يفتقر الى حراسة القطن والات الحياكة والخياطة واعمال كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده
وحدثت الحاجة الى الاجتماعات ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد واللصوص
فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد كل اهل بيت به وبما معه من الالات والاثاث والمنازل

تدفع الحر والبرد وتدفع اذى الجيران عن اللصوصية ولكن جميع المنازل قد يقصدها جماعة من اللصوص
خارج المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا
تولدت بينهم الخصومات اذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية الابوين على الولد لانه
ضعيف يحتاج الى القوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل افضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم
اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت فاما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في المنزل واما
اهل البلد ايضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك
الرعاة وارباب الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون
لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة لعمى او مرض وهرم وتعرض عوارض مختلفة لو ترك
ضائعا لهلك ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له
فيحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات اخرى فمنها صناعة المساحة التي
بها يعرف مقادير الارض ليمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الحكم والتوصل الى فصل الخصومة و
التوسط بينهم ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي ان ينضبط الخلق ويلزموا
الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في المعاملات وشروطها فهذه امور
سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها الا المخصوص بصفات مخصوصة من التمييز والعلم والهداية واذا اشتغلوا
بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى ويحتاجون الى المعايش ويحتاج اهل البلد اليهم اذ لو اشتغل اهل البلد بالحرب
مع الاعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت
البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم ارزاقهم الاموال الضائعة التي لا
مالك لها ان كانت ويصرف اليهم الغنائم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا
بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليمدوهم
بالحراسة فيحدث الحاجة الى الخراج فيتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى صناعات اخر اذ يحتاج الى من يوظف
الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون
والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهم العارض للعساكر و
هذه الاعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم رابط لانخرم النظام فيحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع
يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويرعى النصفة في اخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند
في الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات
الملك فيحدث من بعد ذلك بعد الجند الذين هم اهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم
الحساب والخزان والجباة والكتاب والعمال ثم هؤلاء ايضا يحتاجون الى المعيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف
فيحدث الحاجة الى النقد مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث
طوائف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثاني الجندية الحماة لهم بالسيوف والثالث المترددون بين الطائفتين
في الاخذ والاعطاء وهم العمال والجباة وامثالهم فانظر كيف ابتدأ الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس و
الى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا ينفتح منها باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب اخر وهكذا تتناهى الى غير حد يحصر
محصور كانها هاوية لا نهاية لها وبعضها من وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالي فهذه
الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال والالات والمال عبارة عن اعيان الارض وما عليها وما ينتفع بها

الامكنة التي تشتغى فيها المتعيشون
واعلاها الاغذية ثم الامكنة التى تاوى الانسان اليها وهى الدور ثم الامكنة التى تشتغى فيها المتعيشون
كالحوانيت والاسواق وللمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والة ثم الالات للالات وقد يكون فى الالات
ما هو حيوان كالطالة الصياد والبغال الحراثة والفرس الة للحرب ثم حدث من ذلك حاجة البيع
فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس بها الة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن بها الزراعة فبالضرورة
يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج احدهما الى ان يبذل ما عنده للاخر حتى ياخذ منه
عوضه وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذاء مثلا بالة ربما لا يحتاج
الفلاح فى ذلك الوقت الى الالة فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الالة من النجار بالطعام ربما كان عنده
طعام فى ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فيعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع الة كل صناعة ليترصد
بها صاحبها ارباب الحاجات والى انبار يجمع اليه ما يحمله الفلاحون من الطعام فيشتريه منهم صاحب الانبار ويترصد
ارباب الحاجات فيظهر لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص
من الباعة فيخزنونها فى انتظار ارباب الحاجات طمعا فى الربح وكذلك فى جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة
بين البلاد والقرى فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الالات وينقلون ويتعيشون به
لتنتظم امور البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لا يوجد فيه كل الة وكل قرية لا يوجد فيها كل الطعام والبعض يحتاج الى البعض
فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكلفون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع الاموال فيتعبون طول النهار والليل فى
الاسفار لا غرض غيرهم ويصيبهم من جمع المال الذى ياكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم و
لكن جعل الله فى غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة
ولو عقل الناس فارتفعت هممهم لزهدوا فى الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد
ايضا ثم هذه الاموال التى تنتقل لا يقدر الانسان على حملها فيحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لا يملك الدابة
فيحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب ايضا ثم يحدث بسبب البياعات
الحاجة الى النقدين فان من يريد ان يشترى طعاما بثوب فمن اين يدرى ان المقدار الذى يساويه من الطعام كم هو
والمعاملة تجرى فى اجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل
يتوسط بين المتبايعين يعدل احدهما بالاخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج الى مال يطول
بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس
ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فيحدث الحاجة الى دار الضرب ثم الى الصيارفة وهكذا تداعى
الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ما تراه فهذه اشغال الخلق وهى معايشهم وشىء من
هذه الحرف لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب فى الابتداء وفى الناس من يغفل عن ذلك فى الصبى
فلا يشتغل به او يمنعه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان ياكل مما يسعى فيه غيره
فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية اذ يجمعهما انهما ياكلان من سعى غيرهما ثم ان الناس يحترزون
من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم اموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم فى استنباط الحيل والتدابير
اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا ويكون فى يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويكاثرون ويقطعون الطرق
كالاعراب والاكراد واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب والتسلق عند انتهاز فرصة
الغفلة واما بان يكون طرارا او سلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما انتجته الافكار
المصروفة الى استنباطها فاما المكدى فانه اذا طلب ما يسعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل كما يعمل غيرك فما لك

والبطالة فلا يعطى فافتقروا الى الحيلة فى استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم فى البطالة فاحتالوا
للتعليل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعامى
والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان تلك محنة اصابت من غير استحقاق
ليكون ذلك سببا للرحمة وجماعة يلتمسون اقوالا وافعالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها
حتى تسخو برفع اليد عن قليل من المال فى حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد
يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة او الكلام المنثور المسجع
مع حسن الصوت والشعر الموزون اشد تاثيرا فى النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب
الصحابة وفضائل اهل البيت او الذى يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة الطالبين فى الاسواق او
تسليم ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش الذى يتخيل انها ادوية فيخدع بذلك الصبيان
كاصحاب القرعة والفال من المنجمين ويدخل فى هذا الجنس الوعاظ المكدون على رءوس المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل
علمى وكان غرضهم استمالة قلوب العوام واخذ اموالهم وانواع الكدية تزيد على الالف والالفين وكل ذلك استنبط
بدقيق الفكر لاجل المعيشة فهذه هى اشغال الخلق واعمالهم التى اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت
والكسوة ولكن نسوا فى اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فضلوا وتاهوا وسبق الى عقولهم الضعيفة
بعد ان كدرتها زحمة اشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت اراؤهم على عدة اوجه فطائفة
غلبتهم الغفلة والجهل فلم ينفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم فقالوا المقصود ان نعيش ايا ما فى الدنيا فنجتهد حتى
نكسب القوت ثم ناكل حتى نقوى على الكسب ثم نكتسب حتى ناكل فياكلون ليكتسبوا ويكتسبون لياكلوا وهذا
هذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم فى الدنيا ولا قدم فى الدين فانه يتعب نهارا لياكل ليلا و
ياكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السوانى فانه سير لا ينقطع الا بالموت وطائفة اخرى زعموا انهم تفطنوا للامر
وهو انه ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم فى الدنيا بل السعادة ان يقضى وطره من شهوة الدنيا
وهى شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا انفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة ياكلون
كما ياكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعادات فشغلهم ذلك عن الله تعالى
واليوم الاخر وطائفة ظنوا ان السعادة فى كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم
واتعبوا نهارهم فى الجمع فهم يتعبون فى الاسفار طول الليل والنهار ويترددون فى الاعمال الشاقة ويكتسبون
ويجمعون ولا ياكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم وفى ذلك دابهم وحركتهم الى
ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض او يظفر به من ياكله فى الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبه ووباله
وللاكل لذته ثم الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك من غيرهم ولا يعتبرون وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة فى
حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروة فهؤلاء يتعبون فى كسب المعايش ويضيقون
على انفسهم فى المطعم والمشرب ويصرفون جميع ما لهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة ويزخرفون ابواب
الدور وما يقع عليه ابصار الناس حتى يقال انه غنى وانه ذو ثروة ويظنون ان ذلك هو السعادة فهمتهم
فى ليلهم ونهارهم فى تعهد موقع الثناء وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة فى الجاه والكرامة بين الناس و
انقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الاعمال
السلطانية لينفذ امرهم بها على طائفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم
فقد سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية المطلوب وهذا اغلب الشهوات على قلوب المتغافلين من الناس

الطالبين صح

فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله عز وجل وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم و
معادهم ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم ضلوا واضلوا وضلوا
عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن فنسوا ما يراد له هذه الامور
الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم اوائل اسبابها الى اواخرها وتداعى بهم الى مهاوى لا يمكنهم
الرقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في
شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت
والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال وفرغ القلب وغلب عليه
ذكر الآخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى
البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في اودية الدنيا فلا يبالي
الله تعالى في اي واد اهلكه منها فهذا شان المنهمكين في اشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فاعرضوا
عن الدنيا فحسدهم الشيطان واضلهم في الاعراض ايضا حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة ان الدنيا دار
بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل اليها تعبد في الدنيا او لم يتعبد فراوا ان الصواب ان يقتلوا
انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب عقلاء من طوائف الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون
انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص من محن الدنيا وبلاءها ووصول الى سعادة الآخرة و
اخطؤوا الطريق وظنت طائفة اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد اولا من اماتة الصفات البشرية وقلعها
عن النفس بالكلية وان السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم اقبلوا على المجاهدة وشددوا على انفسهم حتى
هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه طريق العبادة وبعضهم
عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في الزندقة و
الالحاد والكفر وبدا وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله انما هو لله وان الله مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه
عصيان عاص ولا يزيده عبادة متعبد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط
الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم ومعرفتهم بالله تعالى وحكمته فاسقطوا عن
انفسهم جملة التكليف والعبادات حيث اعتقدوا ان الله تعالى مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة
اخرى ان المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله تعالى فاذا حصلت المعرفة
فقد وصل وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة والتكلف فتركوا السعي والعبادة وزعموا
انه ارتفع محلهم في معرفة الله تعالى عن ان يمتهنوا بالتكليف وانما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا
مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصاؤها الى ما يبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما الناجي
منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا
بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فياخذ منها قدر الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما
يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة بل يتبع العدل ولا يطلب كل شئ من الدنيا بل يعلم
مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فياخذ من القوت ما يقوى به البدن على
العبادة ومن المسكن ما يحفظ من اللصوص والحر والبرد حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على
الله عز وجل بكنه همته فاشتغل بالعبادة والذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات و
مراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية و

الفرقة الناجية هم الصحابة رضي الله عنهم فانه لما قال الناجي واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم فقال
صلى الله عليه وسلم اهل السنة والجماعة فقيل وما اهل السنة والجماعة قال صلى الله عليه وسلم ما انا
واصحابي عليه فقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا ياخذون
الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط ولا
افراط بل كان امرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب
الامور الى الله سبحانه وتعالى كما سبق ذكره في
مواضع والله تعالى
اعلم

هذا آخر كتاب ذم الدنيا ويتلوه كتاب ذم حب المال وهو الكتاب السابع من الربع
الثالث من كتاب احياء علوم الدين و
الحمد لله رب العالمين

كتاب ذم حب المال وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذي خلق الخلق ووسع
الرزق وافاض على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقليب الاحوال وردّدهم فيها بين
العسر واليسر والغنى والفقر والطمع والياس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص
والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع و
الاملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا وينظر
ايهم آثروا الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا عدة وخولا والصلاة
على محمد الذي نسخ بملته مللا وطوى بشريعته اديانا ونحلا وعلى اصحابه وآله الذين سلكوا سبل الحق ذللا
وسلم كثيرا اما بعد فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال
اعظم فتنها واعظم فتنة فيها انه لا غنى لاحد عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة لاحد منها فان فقد
المال حصل منه الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبته
الا الخسران وبالجملة فهي لا تخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات و
تمييز خيرها من شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في الدين من العلماء
الراسخين دون المترسمين المغترين ولا بد من شرح ذلك على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم
الدنيا عامة والدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن
والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب بعضها والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها
ابعاض كثيرة ويجمعها كل ما للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال
وحده اذ فيه آفات وغوائل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى وهما حالتان
يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحداهما مذمومة والاخرى محمودة

وللحريص حالتان القناعة والحرص واحدهما مذمومة طمع فيما في ايدي الناس وتشمر للحرف والصناعات
مع الياس عن الخلق واحدهما مذمومة والاخرى محمودة والطمع شر الحالين وللواجد حالتان امساك
بحكم البخل والشح وانفاق واحدهما مذمومة والاخرى محمودة وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود
هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونحن نشرح ذلك في اربعة عشر فصلا
وهي **بيان** ذم المال ثم **بيان** مدحه ثم **بيان** تفصيل فوائد المال وآفاته ثم **بيان** ذم الحرص والطمع
ثم **بيان** علاج الحرص والطمع ثم **بيان** فضيلة السخاء ثم **بيان** حكايات الاسخياء **بيان** ثم **بيان**
ذم البخل ثم **بيان** حكايات البخلاء ثم **بيان** الايثار وفضله ثم **بيان** حد السخاء والبخل ثم **بيان**
علاج البخل ثم **بيان** مجموع الوظائف في المال ثم **بيان** ذم الغنى ومدح الفقر **بيان ذم المال و**
كراهة مدحه قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال تعالى انما اموالكم
واولادكم فتنة وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها وقال تعالى الهكم التكاثر وقال تعالى ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق وقال صلى الله
عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم اكثر فسادا فيها من حب الجاه والمال في دين
الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلك الاكثرون الا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل
ما هم وقيل يا رسول الله اي امتك اشر فقال صلى الله عليه وسلم الاغنياء وقال صلى الله عليه وسلم سيأتي
بعدكم قوم يأكلون اطايب الدنيا والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها و
يركبون فراه الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا
يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا من دون ربهم الى امرهم ينتهون و
هواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم
ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال
صلى الله عليه وسلم دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو
لا يشعر وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت
او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال صلى الله عليه وسلم هل معك من مال قال نعم قال قدم
مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال صلى
الله عليه وسلم اخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي
يتبعه الى قبض روحه فماله والذي يتبعه الى قبره فاهله والذي يتبعه الى محشره فعمله وقال الحواريون
لعيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلوة والسلام ما لك تمشي على الماء ولا نقدر فقال لهم ما منزلة الدينار
والدرهم عندكم قالوا حسن قال لكنهما عندي والمدر سواء وكتب سلمان الى ابي الدرداء يا اخي اياك
ان تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا
الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله في ثم يجاء
بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله تعالى وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك الا
اديت حق الله تعالى في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور وكل ما اوردناه في كتاب الزهد و
الفقر وفي ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكل ما ذكرناه في ذم
الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة

كما ينبت الماء البقل ص

رجل يا رسول الله تعالى لا احب الموت فقال له

قال ص

وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال صلى الله عليه
وسلم لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا **الآثار** روي ان رجلا نال من ابي الدرداء واراده بسوء
فقال اللهم من فعل بي سوءا فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء
مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد وان يفضي الى الطغيان ووضع علي رضي الله عنه درهما على كفه ثم قال
اما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وروي ان عمر رضي الله عنه ارسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت
ما هذا قالوا ارسل اليك عمر قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته صررا وجعلته
فيه وقسمته في اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا ف
كانت اول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما اعز الدرهم احد الا
اذله الله تعالى وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما و
قال من احبكما فهو عبدي حقا وقال سميط بن عجلان ان الدنانير والدراهم ازمة المنافقين يقادون
بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الرازي الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تاخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل
وما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من
كل زينة فقلت اعوذ بالله من شرك قالت فابغض الدرهم والدينار وذلك لان الدرهم والدينار
هي الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع اصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل **شعر**
اني وجدت فلا تظنوا غيره هذا التورع عند هذا الدرهم فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بان تقاك تقوى المسلم و
قيل ايضا **شعر** لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق كعب الساق رفعه اره الدرهم وانظر غيه او ورعه
روي ان مسلمة بن عبد الملك بن مروان دخل على عمر بن عبد العزيز عند موته فقال يا امير المؤمنين صنعت صنيعا لم
يصنعه احد قبلك تركت ولدك ليس لهم دينار ولا درهم وكان عنده ثلاثة عشر من الولد فقال عمر اقعدوني فاقعدوه
فقال اما قولك اني لم ادع لهم دينارا ولا درهما فاني لم امنعهم حقا لهم ولم اعطهم حقا لغيرهم وانما ولدي احد رجلين
اما مطيع لله عز وجل فالله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله تعالى فلا ابالي على ما وقع وروي ان محمد
بن كعب القرظي اصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكني ادخره لنفسي عند ربي وادخر ربي
لولدي ويروى ان رجلا قال لابي عبد ربه يا اخي لا تذهب بشر وتترك اولادك بخير فخرج ابو عبد ربه من مائة الف
درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال
يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله **بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم** اعلم ان الله تعالى قد سمى المال خيرا في مواضع من
القرآن فقال تعالى ان ترك خيرا الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء
في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليه الا به وقال الله تعالى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك و
قال تعالى ممتنا على عباده ويمددكم باموال وبنين الآية وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء
على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك
انه خير من وجه وشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا هو شر محض بل
هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة مرة ويذم اخرى ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه غير
المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم فالقدر المقنع
فيه هو ان مقصد الاكياس وارباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا ذكر
الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس واكيسهم فقال صلى الله عليه وسلم اكثرهم للموت ذكرا

لك

فانه لمحتن ومقيم ص

امام

واشدهم له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الاسباب و اعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة والخارجة اخسها والمال من جملة الخارجات وادناها الدراهم و الدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ويرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هي الجوهر النفيس المطلوب سعادتها وانها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق ليحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق ان المقصود من المطاعم ابقاء البدن و من المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتربيتها بالعلم والخلق الحسن ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع وكان ما حصل له الغرض محمودا في حقه فاذا المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذا محمود ومذموم بالاضافة الى المقصود المذموم فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد في الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة ووسيلة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلوة والسلام اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض خيره واستعاذ ابرهيم على نبينا وعليه الصلوة والسلام فقال و اجنبني وبني ان نعبد الاصنام وعنى بهما هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان يعتقد الالهية في شيء من هذه الحجارة وانما معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون اليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش فبين ان محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل من كان عابدا لغير الله فهو عابد صنم وهو شرك الا ان الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فانه اخفى من دبيب النمل وشرك جلي يوجب الخلود في النار **بيان آفات تفصيل المال وفوائده** اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وسمومه امكنه ان يحترز من شرها ويستدر من خيرها اما الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية فينحصر جميعها في ثلاثة انواع **النوع الاول** ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في الاستعانة على عبادة اما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من امهات القربات والفقير محروم عن فضلهما واما فيما يقويه على العبادة و ذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب منصرفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط **النوع الثاني** ما يصرفه الى الناس وهي اربعة اقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة الاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفئ غضب الرب وقد ذكرنا فضائلها فيما تقدم واما المروة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه فان

لذا اهتمام

هذا لا يسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى المحتاج الا ان هذا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم هو ايضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة والاحتراز عما يثور في كلامه من العداوة التي تحمل في المكافاة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه وهي كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالذكر والفكر الذي هو اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطبخه وخبزه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكل ما يتصور ان يقوم به غيرك ويحصل غرضك فانت مغبون اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور ان يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران **النوع الثالث** ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الحباب في الطريق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة دعاء الصالحين الى اوقات متمادية وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية واما الغوائل فدينية ودنيوية **اما الدينية فثلاثة** الاولى ان يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا يقدر ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر القدرة انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في الشدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء **الثانية** انه يجر الى التنعم في المباحات وهذا اول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان بن داود على نبينا وعليهما الصلوة والسلام في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا اليه لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض فاذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراءاة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الردية لينتظم له امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ولا بد وان ينافقهم ويعصي الله تعالى في طلب رضاهم فان سلم الانسان من الآفة الاولى وهو مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة ويتبنى عليها الحسد والحقد والرياء والكبر و الكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يخلو التعدي ايضا الى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شوم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه **الثالثة** وهي التي لا ينفك

لى

عنها احد وهوان يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران و
لذلك قال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام ان في المال ثلاث آفات ان ياخذه من غير حله فقيل ان
اخذه من حله قال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله تعالى وهذا
هو اكبر الداء فان اصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله تعالى والفكر في جلاله وذلك يستدعي
قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح وخيانته وسرقته هو ورفقاءه و
محاسبته وخصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان في الخراج وخصومة
الاجراء في التقصير في العمارة وصاحب التجارة يتفكر في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل
وتضييعه للمال وهكذا صاحب المواشي وسائر الاموال وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت
الارض فلا يزال المتفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع اطماع
الناس عنه واودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك فهذه جملة
من الآفات الدينية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال من الخوف والحزن والغم والتعب والهم في دفع الحساد
وتجشم المصاعب في حفظ الاموال وكسبها فاذا ترياق المال اخذ القوت منه وصرف الباقي الى الخيرات
وما عداه سموم وآفات

بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس عما في ايدي الناس

اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق
غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر
الضرورة من المطعم والمسكن والملبس ويقتصر على اقله قدرا واخسه نوعا ويرد امله الى يومه او الى
شهره ولا يشغل قلبه بما بعد الشهر فان تشوق الى الكثير او طول الامل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة
بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد
جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى
وراءهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال ابو واقد الليثي كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اوحي اليه اتيناه يعلمنا مما اوحي اليه فجئته يوما فقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل
يقول انا انزلنا المال لاقام الصلوة وايتاء الزكوة ولو ان لابن آدم واديا من الذهب والفضة لاحب ان
يكون اليه ثان ولو كان له ثان لاحب ان يكون اليهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على
من تاب وقال ابو موسى الاشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله تعالى ليؤيد هذا
الدين باقوام لا خلاق لهم ولو ان لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب
ويتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله
عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنان الامل وحب المال او قال الحرص ولما كانت هذه جبلة الآدمي و
هي مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي الى الاسلام
وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيامة انه كان
اوتي قوتا من الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس ونهى صلى
الله عليه وسلم عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال صلى الله عليه وسلم الا ايها الناس اجملوا في
الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة
ويحكى ان موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام سأل ربه تعالى فقال اي عبادك اغنى قال اقنعهم بما اعطيته

قال فايهم اعدل قال من انصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس
نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقال ابو هريرة
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز
من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن اعبد
الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى صلى الله عليه و
سلم عن الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
عظني واوجز فقال صلى الله عليه وسلم اذا صليت فصل صلوة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه
غدا واجمع الياس مما في ايدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي كنا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال صلى الله عليه وسلم الا تبايعون رسول الله قلنا اوليس قد بايعناك يا
رسول الله ثم قال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبا
بيعك
فقال على ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الصلوة الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسألوا
الناس شيئا فلقد كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فما يسأل احدا ان يناوله اياه

الآثار

قال عمر رضي الله
قال رضي
عنه ان الطمع فقر وان الياس غنى وانه من ايس عما عند الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى فقال
قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ولذلك قيل شعر

العيش ساعات تمر وخطوب ايام تكر
اقنع بعيشك ترضه واترك هواك تعيش حر
فلرب حتف ساقه ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء
وياكل ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى احد وقال سفيان خير دنياكم ما لم تبتلوا بها وخير ما ابتليتم بها ما خرج من
ايديكم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال
سميط بن عجلان انما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك
فقال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن والياس مما في ايدي الناس وروي ان الله تعالى قال في بعض
الكتب يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت و
جعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا
ولا يأتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما ياتيه ما قسم له او ما رزق وكتب بعض بني امية الى
ابي حازم يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه قد رفعت حوائجي الى مولاي فما اعطاني منها قبلت وما
امسك عني قنعت وقيل لحكيم اي شيء اسر للعاقل وايما اعون له على دفع الحزن فقال اسرها اليه ما قدم
من صالح العمل واعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القدر وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس غما
الحسود واهناهم عيشا القانع واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا و
اعظمهم ندامة العالم المفرط وقيل شعر

ارفه ببال فتى يمسي على ثقة ان الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ما يدنسه والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها لم يلق في دهره شيئا يؤرقه

واخر شعر

حتى متى انا في حل وترحال وطول سعي وادبار واقبال
ونازح الدار لا انفك مغتربا عن الاحبة لا يدرون ما حالي
بمشرق الارض طورا ثم مغربها لا يخطر الموت من حرصي على بالي
ولو قنعت اتاني الرزق في دعة ان القنوع الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضي الله عنه الا
اخبركم بما استحل من مال الله تعالى حلتان لشتائي وقيظي وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي
بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم ولا باوضعهم فوالله ما ادري ايحل ذلك ام لا كأنه شك

في ان هذا القدر هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال يا
اخي انت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته وكان ما غاب عنك قد كشف
لك وما انت فيه قد نقلت اليه كانك يا اخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وانشد شعر

اراك يزيدك الاثراء حرصا على الدنيا كانك لا تموت
فهل لك غاية ان صرت يوما اليها قلت حسبي قد رضيت

قال الشعبي ضرب المثل ان رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد ان تصنع بي قال اذبحك فاشويك واكلك
فقالت والله ما اشفي من قرم ولا اشبع من جوع ولكن اعلمك ثلاث خصال هي خير لك من اكلي اما واحدة
فاعلمك وانا في يدك والثانية فاذا صرت على راس الشجرة واما الثالثة فاذا صرت على الجبل فقال هات الاولى
قالت لا تتلهفن على ما فات فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن
بما لا يكون انه يكون ثم طارت الى الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين كل درة عشرين
مثقالا قال فعض على شفتيه وتلهف وقال هات الثالثة قالت انت قد نسيت الثنتين فكيف اخبرك
بالثالثة الم اقل لك لا تتلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انه يكون انا ولحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين
مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة عشرون مثقالا وهذا مثال لفرط طمع الادمي
فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون انه يكون وقال ابن السماك ان الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك
فاخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال ابو محمد اليزيدي دخلت على الرشيد فوجدته
ينظر في ورقة مكتوب عليها بالذهب فلما راني تبسم فقلت فائدة اصلح الله امير المؤمنين قال نعم وجدت
هذين البيتين في بعض خزائن بني امية فاستحسنتهما وقد اضفت اليهما ثالثا وانشدني شعر

اذا سد باب عنك من دون حاجة فدعه لاخرى ينفتح لك بابها
فان قراب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوءات الامور اجتنابها
ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره
النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل بين لي قول كعب قال الطمع الرجل في المال يطلبه فيذهب عليه
دينه حتى يحصله والشره كثرة النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب ان يفوتها شيء ويكون لك الى هذا
حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم انفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت
له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم
يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان وقال الحكيم
من عجائب امر الانسان انه لو نودي بدوام البقاء في ايام الدنيا لم يكن في قوة خلقه من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله
مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال قال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت من اين تاكل فقال
من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحى ياتيها بالطحين واومى بيده الى رحى اضراسه بيان

علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلاثة اركان
الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة امور الاول وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق
فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد على نفسه ابواب الخرج ما امكنه ويرد نفسه الى ما لا بد منه فمن كثر خرجه
واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع باي طعام
كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا القدر فان
هذا القدر يتيسر عليه بادنى جهد ويمكنه معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة هو الاصل في القناعة

ونعني به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه قال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحب الرفق في الامر كله وقال
عليه الصلوة والسلام ما عال من اقتصد وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات خشية الله في السر و
العلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب وروي ان رجلا راى ابا الدرداء
يلتقط حبا من الارض وهو يقول ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس قال النبي عليه الصلوة
والسلام الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة وفي الخبر التدبير
نصف المعيشة وقال صلى الله عليه وسلم من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله احبه الله و
قال صلى الله عليه وسلم اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتؤدة في الانفاق
من اهم الامور الثاني انه اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب لاجل
المستقبل ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له لا بد وان ياتيه وان اشتد حرصه
فان شدة الحرص ليس هو السبب لوصول الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله تعالى اذ قال
تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وذلك ان الشيطان يعده الفقر ويامره بالفحشاء ويقول
ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل في السؤال فلا يزال طول
العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتماله التعب مع الغفلة عن الله تعالى لتوهم
تعب في ثاني الحال وربما لا يكون وفيه قيل * ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر
وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤسكما فان الانسان تلده امه
احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له لا تكثر همك ما يقدر
يكن وما ترزق ياتك وقال صلى الله عليه وسلم الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن
يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى
في تقدير ارزاق العباد وان ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال في الطلب بل ينبغي ان يعلم ان رزق العبد من حيث لا يحتسب اكثر
قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا انسد عليه باب كان ينتظر منه الرزق فلا ينبغي
ان يضطرب قلبه لاجله قال صلى الله عليه وسلم ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب وقال سفيان
اتق الله فما رايت تقيا محتاجا اي لا يترك التقي فاقدا للضرورة بل يلقي الله في قلوب المسلمين ان يوصلوا اليه رزقه وقال
المفضل الضبي قلت لاعرابي من اين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش الا من حيث ندري لم
نعش وقال ابو حازم وجدت الدنيا شيئين شيئا منهما هو لي فلن اعجله قبل اجله ولو طلبته بقوة السموات والارض
وشيئا منهما هو لغيري فذلك لم انله فيما مضى ولا ارجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي اي
هذين افني عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر الثالث ان يعرف
ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الطمع من الذل فاذا تحقق عند ذلك انبعثت رغبته الى القناعة لانه في
الحرص لا يخلو من ذل وليس في القناعة الا الم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا الم لا يطلع عليه احد وفيه ثواب
الاخرة وذلك مما يضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والماثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان
من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا
يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان قال النبي صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس
ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت فانت نظيره واحتج الى من شئت فانت اسيره واحسن الى
من شئت فانت اميره الرابع ان يكثر تامله في تنعم اليهود والنصارى وارذال الناس والحمقى من الاكراد

والاعراب ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى احوال الانبياء والاولياء والى سمت الخلفاء الراشدين
وسائر الصحابة والتابعين ويستمع احاديثهم ويطلع احوالهم ويخير عقله بين ان يكون على
مشابهة ارذال الخلق او على الاقتداء بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله تعالى حتى يهون عليه
بذلك الصبر على القليل والقناعة باليسير ثم ينظر انه ان تنعم في البطن فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم في
الوقاع فالخنزير اعلى رتبة منه وان تزين في الملبس والخيل ففي اليهود والنصارى من هو اعلى رتبة منه
وان قنع بالقليل ورضي به لم يساهم في رتبته الا الانبياء والاولياء **الخامس** ان يفهم ما في جمع المال
من الخطر كما ذكرناه من آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من
الامن والفراغ ويتامل ما ذكرناه من آفات المال والحسرة عند الموت مع ما يفوته من المبادرة
عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه الحق بزمرة الاغنياء ولخرج عن جريدة الفقراء
ويتم ذلك بان ينظر ابدا الى من دونه في الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان ابدا يصرف نظره في الدنيا
الى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره
في الدين الى من دونه ويقول لم تضيق على نفسك وتخاف الله عز وجل والله رحيم وفلان اعلم منك
هو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد ان تتميز عنهم بالسقام قال ابو ذر اوصاني
خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان انظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقي اي في الدنيا وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من
هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر
الامل وان يعلم ان غاية صبره في الدنيا اياما قلائل ليتمتع دهورا طويلة فيكون كالمريض الذي يصبر
على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء **فضيلة السخاء والجود** اعلم ان المال ان
كان مفقودا فينبغي ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغي ان يكون
حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من اخلاق
الانبياء وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال السخاء شجرة
من شجر الجنة اغصانها متدلية الى الارض فمن اخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة و
قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبرئيل قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته
لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية فاكرموه بهما ما
صحبتموه وعن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جبل الله وليا الا على
السخاء وحسن الخلق وعن جابر قال قيل اي الايمان افضل فقال صلى الله عليه وسلم الصبر و
السماحة وقال صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله تعالى وخلقان يبغضهما الله عز وجل

قال عبد الله بن عمرو
عز وجل

فاما الذي يحبهما الله فالسخاء وحسن الخلق واما اللذان يبغضهما الله عز وجل فسوء الخلق و
البخل واذا اراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس وروى المقداد بن شريح عن
ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال صلى الله عليه وسلم ان من
موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام قال ابو هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيا اخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله
الجنة والشح شجرة في النار فمن كان شحيحا اخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله النار وقال

ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله اطلبوا الفضل من الرحماء من
عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي فلا تطلبوا في القاسية قلوبهم فاني جعلت
فيهم سخطي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخي فان الله
تعالى اخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرزق الى مطعم الطعام
اسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله جواد يحب الجود ويحب معالي الامور والاخلاق ويكره سفسافها وقال
انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الاسلام شيئا الا اعطاه فاتاه رجل فسأله فامر
له بشاء كثيرة بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء
من لا يخشى الفاقة وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع
العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله وحولها الى غيره وعن الهلالي قال اتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم باسرى من العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال علي رضي الله عنه يا رسول الله
الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال عليه الصلوة والسلام نزل
علي جبرئيل فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى يشكر له سخاوته وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان
لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وعن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد
دواء وطعام البخيل داء وقال صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عليه عظمت حوائج الناس اليه
فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام استكثروا
من شيء لا تاكله النار قيل وما هو قال المعروف وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الجنة دار الاسخياء وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السخي قريب من الله
قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة
قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله تعالى من عابد بخيل وادوأ الداء البخل وقال صلى الله عليه وسلم
اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس باهله فان اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب اهله
فانت اهله وقال صلى الله عليه وسلم ان بدلاء امتي لم يدخلوا الجنة بصلوة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء
الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف
اليهم ويسر عليهم اعطاءهم كما يسر الغيث الى البلدة المجدبة ليحييها ويحيي بها اهلها وقال صلى الله عليه وسلم
كل المعروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى به المرء عرضه كتب له صدقة

قد

وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفه وقال صلى الله عليه وسلم كل المعروف صدقة والدال على الخير
كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان كل معروف فعلته الى غني او فقير صدقة وروي ان الله تعالى اوحى
الى موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام لا تقتلوا السامري فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ان الجود من شيمة اهل هذا البيت **الايثار** قال علي رضي الله عنه اذا
اقبلت الدنيا فانفق فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق فانها لا تبقى وانشد **شعر**
لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف فان تولت فاحرى ان تجود بها فالحمد منها اذا ما ادبرت

خلف

وسال معوية الحسن بن علي رضي الله عنهم عن المروة والنجدة والكرم فقال اما المروة فحفظ الرجل دينه و
حرزه نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية واما النجدة فالذب عن
الجار والصبر في المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرافة بالسائل
مع بذل النائل ودفع رجل الى الحسين بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن
رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال ربما يسالني الله عز وجل عن ذل مقامه
بين يدي حتى اقرا رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه
سئل بعض الاعراب فقيل من سيدكم قال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا واغضى عن جاهلنا وقال علي بن الحسين
رضي الله عنهما من وصف ببذله ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يبتدئ بحقوق الله تعالى في اهل
طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقينه بثواب الله تعالى تاما وقيل للحسن البصري ما
السخاء قال ان تجود بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك قيل فما الاسراف قال الانفاق
لحب الرياسة وقال جعفر الصادق رضي الله عنه لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة
كالمشاورة الا وان الله عز وجل يقول اني جواد كريم لا يجاورني اللئيم واللؤم من الكفر واهل الكفر في النار و
الجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنة وقال حذيفة رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته
وراى الاحنف بن قيس رجلا وفي يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال اما انه ليس لك حتى
يخرج عن يدك وانشد: انت للمال اذا امسكته فاذا انفقته فالمال لك وسمي واصل بن عطاء الغزال
لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا راى امراة ضعيفة اعطاها شيئا وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى الحسين
رضي الله عنهم يعيب عليه اعطاء الشعراء فكتب اليه الحسين رضي الله عنه خير المال ما وقى العرض وقيل لسفيان
بن عيينة ما السخاء فقال السخاء البر بالاخوان والجود بالمال وورث ابي خمسين الف درهم فبعث بها صررا
الى اخوانه وقال لقد كنت اسال الله تعالى لاخواني الجنة في صلواتي فابخل عليهم بالدنيا وقال الحسن بذل
المجهود في بذل الموجود منتهى الجود قيل لبعض الحكماء من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قيل
فان لم يكن قال من كثرت ايادي عنده وقال المهدي لشبيب بن شيبة كيف رايت الناس في داري قال
يا امير المؤمنين ان الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما
ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع فاذا اصطنعت صنيعة فاعمل بها لله او لذي
القرابة اودع فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا
فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت انت اهلا **حكايات الاسخياء** روى محمد بن
المنكدر عن ام درة وكانت تخدم عايشة رضي الله عنها قالت ام درة بعث ابن الزبير الى عايشة بمال في
غرارتين قيل انه كان ثمانين ومائة الف درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت
يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام درة ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا
بدرهم لحما نفطر عليه قالت لو كنت اذكرتيني لفعلت وعن ابان بن عثمان قال اراد رجل ان يضار عبد الله
بن العباس فاتى وجوه قريش قال يقول لكم عبد الله تغدوا عندي اليوم فاتوه حتى ملؤوا عليه الدار
فقال ما هذا فاخبر الخبر فامر عبد الله بشراء فاكهة وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم
يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فاكلوا حتى صدروا وقال عبد الله لوكلائه اموجود لي كل ما اردت
قالوا نعم قال فليتغد عندنا هؤلاء في كل يوم وقال مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر

بالمدينة فقال الحسين لاخيه الحسن لا تلقاه ولا تسلم عليه فلما خرج معوية قال الحسن ان علينا دينا
ولا بد لنا من اتيانه فركب في اثره فلحقه وسلم عليه واخبره بدينه فمروا عليه ببختي عليه ثمانون الف
دينار وقد اعيا وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معوية ما هذا فذكر له حاله فقال اصرفوه
بما عليه الى ابي محمد يسوقه الى المدينة وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثنا ابي انه دفع
قصة الى المامون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المامون على ظهر رقعته انك رجل
اجتمع فيك خصلتان سخاء وحياء فاما السخاء فهو الذي اطلق ما في يديك واما الحياء فهو الذي
يمنعك عن تبليغنا ما انت عليه وقد امرت لك بمائة الف درهم فان كنت اصبت فازدد في بسط
يدك وان كنت لم اصب فجنايتك عليك لا تضيق على نفسك وانت حدثتني وكنت على قضاء الرشيد
وعن محمد بن اسحق عن الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم ان
مفاتيح ارزاق العباد بازاء العرش يبعث الله عز وجل الى كل عبد بقدر نفقته من كثر كثر ومن
قلل قلل له وانت اعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة المامون اياي الحديث احب الي من الجائزة وهي
مائة الف اخرى وسال رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما حاجة فقال له يا هذا لحق سؤالك اياي
ومعرفتي بما يجب لك يكبر علي ويدي تعجز عن نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله قليل وما في
ملكي وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتيال والاهتمام لما اتكلف من واجبك
فعلت ان شاء الله فقال يا ابن رسول الله اقبل واشكر العطية واعذر على المنع فدعا الحسن وكيله
فجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثمائة الف فاحضر خمسين
الفا قال فما فعل الخمسمائة دينار قال هي عندي قال احضرها فاحضرها فدفع الدراهم والدنانير
الى الرجل وقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع اليهما الحسن رداءه كراء لهما لاجل الحمل
فقال مواليه والله ما عندنا درهم فقال لكني ارجو ان يكون لي عند الله اجر عظيم واجتمع قراء البصرة
الى ابن عباس وهو عامل بها فقالوا ان لنا جارا صواما قواما يتمنى كل واحد منا ان يكون مثله وقد زوج
بنته من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فاخذ
بايديهم وادخلهم داره وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس
ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن صيامه وقيامه ارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا
من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة الله وما بنا من الكبر ما لا نخدم اولياء الله تعالى ففعل
وفعلوا وقيل لما اجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد اميرهم فقال والله لاعلمن الشيطان اني
عدوه فعال محاويجهم الى ان رخصت الاسعار ثم عزل عنهم ورحل وللتجار عليه الف الف درهم فرهنهم
بها حلي نسائه وقيمتها خمسمائة الف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم ببيعها ودفع الفاضل منها
من حقوقهم الى من لم تكن نالته صلته لتقسموها وكان ابو طالب بن كثير شيعيا فقال له رجل
بحق علي لما وهبت لي نخلتك بموضع كذا فقال لقد فعلت وحقه لاعطينك ما يليها ايضا وكان ذلك
اضعاف ما طلب الرجل وكان ابو مرثد احد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر ما عندي ما
اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي عشرة الاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي
لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفعت اليه عشرة الاف درهم واخرج ابو مرثد من الحبس
وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول على

فلم يمهله فقال يوما لبعض خدمه معنا اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل الحلة كتب الشاعر بيتا على
خشبة بحبر والقاها في الماء الذي يدخل بستان معن وكان معن على راس الماء فلما ابصر بالخشبة
اخذها وقراها وعليها مكتوب شعر ايا جود معن ناج معنا بحاجتي فما لي الى معن سواك شفيع
فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له كيف قلت فاعاد فامر له بعشر بدر فاخذها ووضع
الامير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط وقراها ودعا بالرجل ودفع
اليه مائة الف درهم فلما اخذها تفكر الرجل وخاف ان ياخذ ما اعطاه فلما كان في اليوم الثالث
قراها ودعا بالرجل فلم يوجد فقال معن حق علي ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار
وقال ابو الحسين المدائني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا
فمروا بعجوز في خباء لها منفردة من الحلة على قرب الطريق فقالوا هل من شراب لبن او ماء فقالت نعم فاناخوا
اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا هل من طعام
فقالت لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم وذبحها وكشطها ثم
هيات لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا
سالمين ان شاء الله فالمي بنا فانا صانعون بك خيرا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب
الرجل وقال ويحك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش ثم اهبطتهما
الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها على رؤوسهما ويبيعانه ويعيشان بثمنه فمرت
العجوز في بعض سكك المدينة فاذا الحسن جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فدعا العجوز و
قال لها يا امة الله تعرفيني قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا قالت العجوز بابي انت وامي انت هو
قال نعم ثم امر الحسن فاشتري لها من غنم الصدقة الف شاة وامر لها معها بالف دينار فامر لها الحسين بمثل
ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين رضي الله عنهما فذكرت
له الفي شاة والفي دينار فامر لها بالفي دينار والفي شاة وقال لو بدات بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها
بذلك كله وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى
الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة يا غلام قال صلاحك وفلاحك رايتك تمشي وحدك فقلت اقيك بنفسي
واعوذ بالله ان طار بجناحك مكروه فاخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا بالف دينار فدفعها
اليه وقال استنفق فنعم ما ادبك اهلك وحكي ان قوما من العرب جاءوا الى قبر بعض اسخيائهم للزيارة
فنزلوا على قبره وكانوا جاءوا من سفر بعيد فباتوا عند قبره فراى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول
له هل لك ان تبادل بعيرك هذا بنجيبي وقد كان خلف ذلك السخي الميت نجيبا معروفا به وكان لهذا الرجل بعير
سمين فقال له في النوم نعم وباعه في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد الميت الى البعير فنحره
في النوم فانتبه الرجل من نومه يثج الدم من نحر البعير فقام اليه فنحره وقسم لحمه وطبخوه واشتووا منه و
اكلوا منه وقضوا حاجتهم ثم رحلوا عنه صباحا فلما كان في اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم
ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال انا فقال هل بعت من فلان
شيئا وذكر الميت صاحب القبر فقال نعم بعت منه بعيري بنجيبه في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال
هو ابي وقد رايته في النوم وهو يقول لي ان كنت ابني فادفع نجيبي الى فلان وسماه وقيل قدم رجل
من قريش من السفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضر به المرض فقال يا

هذا اعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي اربعة الاف درهم
فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكا فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما اعطيتك قال لا و
لكن ذكرت ما تاكل الارض من كرمك فابكاني واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابي معيط داره
التي في السوق بتسعين الف درهم فلما كان الليل سمع بكاء من اهل دار خالد فقال لاهله ما لهؤلاء يبكون
قالوا يبكون لدارهم قال يا غلام ايتهم فاعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا وقيل انفذ الرشيد الى مالك رحمه الله
خمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب هرون الرشيد وقال له اعطيته انا خمسمائة
دينار فتعطيه الف دينار وانت من رعيتي فقال يا امير المؤمنين ان لي في كل يوم من غلتي الف دينار فاستحييت
ان اعطي مثله اقل من دخل يوم وحكي انه لم تجب عليه الزكوة مع ان دخله كل يوم الف دينار وروي ان امراة سالت
الليث بن سعد شيئا من عسل فامر لها بزق من عسل فقيل له انها كانت تقنع بدون هذا فقال انها سالت على قدرها
ونعطيها على قدر النعم علينا وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا قال الاعمش
اشتكت شاة عندي وكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسالني عنها هل استوفت علفها وكيف
صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي في علة الشاة
اكثر من ثلثمائة دينار من بره وانا استغفر الله حتى تمنيت ان الشاة لم تبرا وقال عبد الملك بن مروان لاسماء بن
خارجة بلغني عنك خصال فحدثني بها فقال هي من غيري احسن منها مني قال عزمت عليك الا حدثتني بها فقال
يا امير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما فدعوت عليه قوما الا كانوا امن علي مني
عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسالني شيئا فاستكثرت له شيئا اعطيته اياه قط ودخل سعيد بن خالد على
سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيئا كتب لمن ساله صكا على نفسه حتى يخرج عطاءه
فلما نظر اليه سليمان تمثل بهذا البيت شعر اني سمعت مع الصباح مناديا يا من يعين على الفتى المعوان ثم قال
ما حاجتك فقال ديني قال وكم هو قال ثلاثون الف دينار قال لك ذلك ومثله وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة
فاستبطا اخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا
ينادي من كان عليه لقيس حق فهو في حل منه فكسرت درجته بالعشي من كثرة من عاده وعن ابي اسحق صليت الفجر في
مسجد الاشعث بالكوفة اطلب غريما لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت لست من اهل المسجد فقيل ان
الاشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فامر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين وقال الشيخ ابو سعيد
الخركوشي النيسابوري سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول كان بمصر رجل عرف بان يجمع
للفقراء شيئا فولد لبعضهم ولد قال فجئت اليه فقلت ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة
فلم يفتح له بشيء فجاء الى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم وكلفت
جماعة دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء ثم قام واخرج دينارا فكسره نصفين وناولني نصفه وقال هذا
دين عليك الى ان يفتح لك بشيء فاخذته وانصرفت واصلحت ما اتفق لي فراى ذلك المحتسب تلك الليلة
ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا اذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل
لاولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة مثقال واحملها الى هذا الرجل فلما كان من
الغد تقدم الرجل الى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا مكان الكانون واخرجوا
الدنانير وجاءوا بها فوضعوها بين يديه وقال هذا مالكم وليس له في رؤياي حكم فقالوا هو يتسخى ميتا
ونحن لا نتسخى احياء فلما الحوا عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة فاخذ منها دينارا

فكره بنصفين فاعطاه النصف الذي اقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفيني هذا لتصدق على الفقراء فقال ابو سعيد فلا ادري اي هؤلاء اسخى وروي ان الشافعي لما مرض مرض موته قال مروا فلانا يغسلني فلما توفي بلغ ذلك الرجل خبره فاتى وحضر وقال ائتوني بتذكرته فاتي بها فنظر فيها فاذا على الشافعي سبعون الف درهم فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي اياه اي اراد به هذا قال ابو سعيد الواعظ الخركوشي لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرايت جماعة من احفاده وزرتهم ورايت فيهم سيماء الخير وآثار الفضل فقلت بلغ اثره في الخير اليهم وظهرت بركته عليهم مستدلا بقوله تعالى وكان ابوهما صالحا وقال الشافعي رحمه الله لا ازال احب حماد بن سليمان لشيء بلغني عنه انه كان ذات يوم راكبا حماره فحركه فانقطع زره فمر على خياط فاراد ان ينزل اليه ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط اليه فسوى زره فاخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه في قلتها وانشد الشافعي لنفسه **شعر** يا لهف نفسي على مال افرقه على المقلين من اهل المروات ان اعتذاري الى من جاء يسالني ما ليس عندي من احدى المصيبات وعن الربيع اخذ رجل بركاب الشافعي من صنعاء الى مكة فقال يا ربيع اعطه اربعة دنانير واعتذر اليه عني وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي رحمه الله من صنعاء الى مكة بعشرة الف دينار فضرب خباءه في موضع خارجا من مكة فنثرها على ثوب ثم اقبل على كل من دخل عليه فيقبض قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء وعن ابي ثور قال اراد الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيئا من سماحته فقلت له ينبغي ان تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك من بعدك قال فخرج ثم قدم علينا فسالته عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني ان اشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقف اكثرها ولكن بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا ان ينزلوا فيه وانشد الشافعي لنفسه **شعر** ارى نفسي تتوق الى امور ويقصر دون مبلغهن مالي فنفسي لا تطاوعني ببخل ومالي لا يبلغني فعالي وقال محمد بن عباد المهلبي دخل ابي على المامون فوصله بمائة الف درهم فلما قام من عنده تصدق بالمال وفرقه فاخبر به المامون فلما عاد اليه عاتبه المامون في ذلك فقال يا امير المومنين منع الموجود سوء ظن بالمعبود فوصله بمائة الف اخرى وقام رجل الى سعيد بن العاص فساله فامر له بمائة الف درهم فبكى فقال له سعيد ما يبكيك فقال ابكي على الارض ان تاكل مثلك فامر له بمائة الف اخرى ودخل ابو تمام على ابرهيم بن شكلة بابيات قد امتدحه بها فوجده عليلا فقبل منه المدحة وامر حاجبه بنيله بما يصلحه وقال عسى ان اقوم من مرضي فاكافيه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام فكتب اليه **شعر** ان حراما قبول مدحتنا وترك ما نرتجي من الصفد كما الدنانير بالدراهم في البيع حرام الا يدا بيد فلما وصلت اليه الابيات قال لحاجبه كم اقام على الباب قال شهرين قال اعطه ثلاثين الف درهم وجئني بدواة فكتب اليه **شعر** اعجلتنا فاتاك عاجل برنا قلا ولو امهلتنا لم نقلل فخذ القليل وكن كانك لم تقل ونكون نحن كاننا لم نفعل ويروى انه كان لعثمان على طلحة خمسون الف درهم فخرج عثمان يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيا مالك فاقبضه فقال هو لك يا ابا محمد معونة على مروتك وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة مرات فرايت منه ثقلا فقلت ما لك فقال اجتمع عندي مال وقد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك ففرقه فيهم فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فيهم فسالت الخادم كم كان فقال اربعمائة الف درهم وجاء اعرابي الى طلحة فساله وتقرب اليه برحم فقال ان هذه لرحم ما سالني بها احد قبلك ان لي ارضا قد اعطاني بها عثمان ثلثمائة الف درهم فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمان ودفعت اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع اليه الثمن وقيل بكى علي رضي الله عنه يوما فقيل ما يبكيك قال لم ياتني ضيف منذ سبعة ايام اخاف ان يكون الله تعالى اهانني واتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ما جاء بك قال لاربعمائة درهم علي فوزن اربعمائة درهم واخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امراته لم اعطيته اذ شق عليك فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي به

بيان ذم البخل

قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وقال عز اسمه الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعا فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض ثلاثة الشيخ الزاني والبخيل المنان والمعيل المختال وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق شيئا الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا لزقت كل حلقة مكانها حتى اخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانما اهلك من كان قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك انه شهيد فلعله كان يتكلم بما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه مقفله من حنين علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسالونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا وقال عمر قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هؤلاء كانوا احق به منهم فقال صلى الله عليه وسلم انهم يخيروني بين ان يسالوني بالفحش او يبخلوني ولست بباخل وقال ابو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالا فقال صلى الله عليه وسلم لكن فلان اعطيته ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان احدكم ليسالني فينطلق في مسالته متابطها وهي نار فقال عمر لم تعطيهم ما هو نار فقال صلى الله عليه وسلم يابون الا ان يسالوني ويابى الله لي البخل وروي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم الا ان الله خلق الجود وجعله في صورة شجرة وجعل راسها راسخا في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله الى الجنة الا ان السخاء من الايمان

م

قدميها اليه

والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل راسه راسخا في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى
النار فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر في النار وقال صلى الله عليه و
سلم السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار ولا يلج النار الا بخيل وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل
فقال صلى الله عليه وسلم اي داء ادوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية انهم قالوا سيدنا
جد بن قيس فقال صلى الله عليه وسلم بم تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك لنزنه بالبخل فقال
صلى الله عليه وسلم اي داء ادوأ من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله فقال صلى الله
عليه وسلم سيدكم بشر بن البراء وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض
البخيل في حياته السخي عند موته وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان
في قلب عبد مؤمن وقال صلى الله عليه وسلم السخي الجهول احب الى الله من العابد البخيل وقال صلى الله عليه و
سلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمؤمن ان يكون
بخيلا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى السخي اعز من الظالم واي ظلم اظلم عند الله تعالى
من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت
لي ذنبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي فقال هو اعظم من ان اصفه لك
قال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون قال بل ذنبي فقال صلى الله عليه وسلم ويحك ذنبك اعظم ام
الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك
اعظم ام السموات قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبي قال فذنبك اعظم
ام الله عز وجل قال بل الله اعظم واعلى واجل فقال صلى الله عليه وسلم صف لي ذنبك قال يا رسول
الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل لياتيني يسالني فكانما يستقبلني بشعلة من نار فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين
الركن والمقام ثم صليت الف الف عام وبكيت حتى تجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم
مت وانت لئيم لاكبك الله في النار ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار اما علمت ان الله تعالى
يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون **الآثار** قال ابن عباس
لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل
وعين الكافور وعين التسنيم وتفجر منها في الجنان انهار الخمر والعسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك
وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور العين فاظهرت فنظر اليها فقال لها تكلمي فقالت طوبى
لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لا اسكنتك بخيلا وقالت اخت عمر بن عبد العزيز اف للبخيل لو
كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله انا لنجد باموالنا ما
يجد البخلاء ولكنا نتصبر وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم
وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم وقال علي رضي الله عنه في خطبته انه سياتي على الناس زمان
عضوض يعض المؤمن على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال
عبد الله بن عمر الشح اشد من البخل لان الشحيح هو يشح على ما في يدي غيره حتى ياخذه ويشح بما في يديه فيحبسه

والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه وقال الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في جهنم البخل ام الكذب وقيل وفد على انو شروان
حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من الفي سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متانيا
وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقال الرومي من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره
لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقراء ومن لا يرحم سلط عليه من لا يرحم وقال الضحاك
في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون قال البخل امسك الله تعالى ايديهم عن النفقة
في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لممسك
تلفا ولمنفق خلفا قال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في
عينه فكانما يرى السائل اذا راه ملك الموت اذا اتاه وقال ابو حنيفة لا ارى ان اعدل بخيلا لان البخل يحمله على
الاستقصاء فياخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مامون الامانة وقال علي رضي الله
عنه ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض قال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلاث
ذم البخلاء واكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وسلم انك اذا
لبخيل ومدحت امراة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذا و
قال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب
للاسخياء الا حب ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا بغض ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه
ولقي يحيى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ابليس في صورته فقال يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك وابغض الناس اليك
قال احب الناس الي المؤمن البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال يحيى لم قال لان البخيل قد كفاني بخله و
الفاسق السخي اخاف ان يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى ما اخبرتك

حكايات البخلاء

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فاكل واكثر وجعل
يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما اجهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا باس
عليك تقيأ ما اكلت فقال هاه اتقيأ طباهجة ببيض اموت ولا اتقيأ طباهجة ببيض وقيل اقبل اعرابي يطلب
رجلا وهو جالس وبين يديه طبق تين فلما راه غطاه بكساء فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القران
شيئا قال نعم فقرا والزيتون وطور سينين فقال الرجل اين والتين قال تحت الكساء ودعا بعضهم لخالد ولم
يطعمهم الى العصر شيئا حتى اشتد جوعهم واخذهم مثل الجنون فاصطلح البيتا العود وقال المحبوب اي صوت
تشتهي اسمعك قال صوت المقلى ويحكى ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان
يالفه عنه وقال له قائل صف لي مائدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل له فمن يحضره
قال الكرام الكاتبون قال فما ياكل معه احد قال بلى الذباب فقال له وانت خاص به وثوبك مخرق قال انا والله
لا اقدر على ابرة اخيط بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوا ابرا ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب
يضمنون عنه ابرة ويسالونه اعارتها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل وقيل كان مروان
بن ابي حفصة لا ياكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم ارسل غلامه فاشترى له راسا فاكله فقيل له نراك لا
تاكل الا الرؤوس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك فقال نعم الراس اعرف سعره وآمن خيانة الغلام فيه
ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه واما الراس فانه ان مس عينا او اذنا او
اعرف ذلك واكل منه الوانا عينه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا ولسانه لونا واذنيه لونا واكفى طبخه ومؤونته
فقد اجتمعت فيه مرافق وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امراة من اهله ما لي عليك ان رجعت بالجائزة

قال ان اعطيت مائة الف درهم اعطيتك درهما فاعطى ستين الفا فاعطاها ثلاثة الحمامي درهم واشترى
لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف وكان للاعمش
جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول لو دخلت فاكلت كسيرة عندنا وملحا فيابى عليه الاعمش فعرض
عليه ذات يوم ووافق جوع الاعمش فقال سر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسيرة وملحا اذ سال سائل فقال له
رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسئلة فقال له بورك فيك فلما قال الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت
اليك بالعصا فناداه الاعمش وقال اذهب ويحك والله ما رايت احدا اصدق مواعيد منه منذ مدة يعد
ان يطعمني كسيرة وملحا فلا والله ما زاد عليهما

بيان فضيلة الايثار وفضله

اعلم ان السخاء والبخل
كل واحد منهما ينقسم الى درجات فارفع درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء
عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج او لغير محتاج والبذل مع الحاجة اشد وكما ان السخاوة قد تنتهي الى ان
يسخو الانسان على غيره مع الاحتياج فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض
فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لاكلها فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة
وذاك يؤثر على نفسه غيره مع انه محتاج الى ذلك فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء
وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد اثنى الله عز وجل على الصحابة به فقال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو
كان بهم خصاصة وقال صلى الله عليه وسلم ايما رجل اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر له وقالت عائشة
رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا
نؤثر على انفسنا ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيئا فدخل عليه رجل من الانصار
فذهب بالضيف الى اهله فوضع بين يديه الطعام وامر امراته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل و
لا ياكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من صنيعكم الى
ضيفكم ونزل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة والسخاء خلق من اخلاق الله تعالى والايثار اعلى
درجات في السخاء وكان ذلك من ادب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال وانك
لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله قال موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام يا رب ارني بعض درجات محمد
صلى الله عليه وسلم وامته فقال يا موسى انك لن تطيق ذلك ولكن اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها
عليك وعلى جميع خلقي فكشف له عن ملكوت السموات فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من انوارها وقربها من
الله تعالى فقال يا رب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار يا موسى لا ياتيني احد
منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له
فنزل على نخل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها اذ اتى بقوته ودخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام
قرصا فاكله وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم اثرت هذا الكلب فقال ما هي
بارض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا فقال
عبد الله الام على السخاء هذا الاسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيها من الالات فاعتق الغلام ووهبها
منه وقال عمر رضي الله عنه اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي
كان احوج اليه مني فبعث به اليه فلم يزل يبعث به الواحد الى الاخر حتى تداولته سبعة ابيات حتى رجع الى الاول وبات علي رضي الله
عنه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله تعالى الى جبرئيل وميكائيل اني اخيت بينكما وجعلت
عمر احدكما اطول من عمر الاخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة فاوحى الله تعالى اليهما افلا
كنتما مثل علي اخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه
من عدوه فكان جبرئيل عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي
الله بك الملائكة فانزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد ويحكى
عن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم ارغفة معدودة
لم يشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله لم ياكل واحد
منهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه وروي ان شعبة جاءه سائل فلم يكن عنده شيء فنزع خشبة من سقف بيته
فاعطاه ثم اعتذر اليه وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وانا اقول
ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار نعم فاذا رجل يقول آه فاشار ابن عمي
انطلق به اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع به اخر فقال آه فاشار هشام انطلق به اليه فجئته
فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال عباس بن
دهقان ما خرج احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحارث فانه اتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه
فاعطاه واستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرطوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب
الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا باب الجهاد اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع خال وقعدنا فلما
نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه خمسة وعشرون كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعدت
الكلاب فيها فاكلتها وذلك الكلب ينظر اليها حتى اكلتها وبقي العظام ورجعت الكلاب الى البلد وقام ذلك الكلب
الى العظام فاكل ما بقي على العظم قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من الاخبار والاثار في احوال الاولياء
في كتاب الفقر والزهد فلا نعيده

بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما

لعلك تقول قد عرف بشواهد
الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا وقد يصدر فعل من الانسان فيختلف
فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول اخرون ليس هذا من البخل وما من انسان الا ويجد في نفسه حب المال و
لاجله يحفظ المال ويمسكه فاذا كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك احد عن البخل واذا كان
الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء
الذي يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قائلون حد البخل منع الواجب وكل من ادى ما يجب عليه
فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا الى القصاب والخبز الى الخباز لنقصان حبة او نصف حبة فانه
يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة زادوها عليه
او تمرة اكلوها من ماله عد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن انه ياكل معه فاخفاه عنه
عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو قاصر ايضا فانه ان اريد به انه يستصعب كل عطية
فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق ذلك وان اريد به انه يستصعب
بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله او المال العظيم فهذا
لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف من غير روية وقيل الجود
عطاء من غير مسئلة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء بما امكن وقيل الجود
عطاء على رؤية ان المال لله تعالى والعبد لله تعالى فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من
اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن اعطى الاكثر وابقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى
الضر واثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة

بحقيقة البخل والجود بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه
عن الصرف الى ما خلق للصرف ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل
وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل
حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه
اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخاء فقد قيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا
تبسطها كل البسط وقيل والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فالجود وسط بين الاقتار والاسراف
وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه
ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها
فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه
الى ما يجب صرفه اليه فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فاقول
الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا
واجب المروة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع ابخل كالذي يمنع اداء الزكوة
ويمنع عياله واهله النفقة او يؤديها ولكن يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف والذي يتيمم
الخبيث من ماله ولا يطيب له ان يعطي من اطيب ماله ومن وسطه فهذا كله بخل واما الواجب بالمروة فهو ترك
المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص
فمن كثر ماله استقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه
ما لا يستقبح من الاجانب ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا
يستقبح منه في المبايعة والمعاملة فيختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة او معاملة وبما به المضايقة
من طعام او ثوب اذ يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلا او شراء
الاضحية وشراء خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك يختلف بمن معه المضايقة
من صديق واخ وقريب وزوجة وولد واجنبي وعن منه المضايقة من صبي وامرأة وشيخ وشاب
وعالم وجاهل وموسر وفقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي ان لا يمنع اما بحكم الشارع او بحكم
المروة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن الغرض وهو اهم من
حفظ المال فان صيانة الدين اهم من حفظ المال فمانع الزكوة والنفقة بخيل وصيانة المروة اهم
من حفظ المال فالمضايق في الدقائق مع من لا يحسن المضايقة معه هاتك ستر المروة فهو بخيل وبقي
درجة اخرى وهو ان يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروة ولكن معه مال كثير قد جمعه و
ليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان
وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الاخرة فامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس و
ليس ببخل عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام كالمقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع
النوائب مهما وربما يظهر عند العوام ايضا سمة البخل عليه اذا كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت
الزكوة الواجبة وليس علي غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة
حاجة المحتاج وصلاحه ودينه واستحقاقه فمن ادى واجب الشرع وواجب المروة اللائقة به فقد تبرأ
من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات

فان انبسطت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا يتوجه عليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه
من قليل او كثير ودرجات ذلك لا تنحصر وبعض الناس اجود من بعض واصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة
والمروة هو الجود ولكن بشرط ان يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة او مكافاة او شكر او ثناء فان
من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فانه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في
نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى فاما
الادمي فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشيء الا لغرض ولكنه اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الاخرة
واكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل يسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من
الهجاء مثلا او من ملامة الخلق او ما يتوقعه من نفع ينال من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه
مضطر اليه بهذه البواعث وهي اعراض معجلة له عليه فهو معتاض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات
انها وقفت على حيان بن هلال وهو جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اسأله مسألة فقالوا لها
سلي عما شئت واشاروا الى حيان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل
والايثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا ان نعبد الله سخية بها انفسنا غير
مكرهة قالت فتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله عز وجل وعدنا بالحسنة عشر
امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرة فباي شيء تسخيتم عليه قالوا فما
السخاء عندك رحمك الله قالت السخاء عندي ان تعبدوا الله تعالى متنعمين متلذذين بطاعته غير
كارهين لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء الا تستحيون من الله ان يطلع
على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيئا بشيء ان هذا في الدنيا لقبيح وقالت بعض المتعبدات لبعض
اتحسبان السخاء في الدرهم والدينار فقط قال ففيم قالت السخاء عندي في بذل المهج وقال المحاسبي
السخاء في الدين ان تسخو نفسك بتلفها لله تعالى ويسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك لله عز و
جل بسماحة من غير اكراه لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب و
لكن يغلب على قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل
بك ما لا تحسن تختاره لنفسك **بيان علاج البخل** اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال
سببان احدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه
يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله اذ القدر الذي يحتاج اليه في يوم او في شهر او في سنة قريب وان
كان قصير الامل ولكن كان له اولاد قام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه
فيمسك لاجلهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة مجهلة فاذا انضاف الى ذلك خوف
الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة **السبب الثاني** ان يحب عين المال فمن الناس من
له ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته ويفضل الاف وهو شيخ ولا ولد
له ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكوة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا
لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فتضيع او يأخذها
اعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بان يأكل او يتصدق منها بحبة وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج
ولا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى برؤه وعلاجه ومثال صاحبه مثل رجل عشق
شخصا فاحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول مبلغ الى الحاجات

فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم تنسى الحاجات ويصير الذهب كانه محبوب في
نفسه وهو غاية الضلال بل من راى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل الا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل
عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه اسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج
حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران
وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه
وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله احسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده
بخير وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فيكفيه الله تعالى وان كان فاسقا فيستعين
بماله على المعصية ويرجع مظلمته اليه ويعالج ايضا قلبه بكثرة التامل في الاخبار الواردة في ذم البخل و
مدح السخاء وما توعد الله تعالى به على البخل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التامل في احوال
البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من
اصحابه فيعلم انه مستقبح ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان يتفكر في
مقاصد المال وانه لماذا خلق ولا يحفظ من المال الا بقدر حاجته والباقي يدخره لنفسه بان يحصل ثواب
بذله فهذه ادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة
هاجت رغبته في البذل ان كان عاقلا فاذا تحركت الداعية فينبغي ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف فان
الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه كان ابو الحسن البوشنجي ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذا
له وقال انزع عني هذا القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسي ان
تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا يزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق
بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عليه مدة ليتسلى عنه قلبه وكذلك الذي يريد علاج
البخل ينبغي ان يفارق المال تكلفا بان يبذله بل لو رماه في الماء كان اولى من امساكه اياه مع الحب له ومن لطائف
الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا
في حشمة الجود فيكون قد ازال عن نفسه خبث البخل واكتسب خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء
ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عن فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام
عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى له اللعب ولكن لينفك عن الثدي اليه ثم ينقل عنه الى غيره و
كذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها على بعض كما يسلط الشهوة على الغضب ويكسر سورته
بها ويسلط الغضب على الشهوة ويكسر رعونتها به الا ان هذا مفيد في حق من كان البخل اغلب عليه من حب الجاه
والرياء فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقلع علة ويزيد اخرى
مثلها الا ان علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء اغلب عليه فان كان البذل
يشق عليه مع الرياء فينبغي ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض البخل اغلب على قلبه ومثال دفع بعض هذه
الصفات ببعض ما يقال ان الميت يستحيل جميع اجزائه دودا ثم ياكل بعض الديدان البعض حتى يقل
ويكبر ثم ياكل بعضهم بعضا حتى يرجع الى اثنين قويين عظيمين ثم لا يزالان يتقاتلان الى ان يغلب احدهما الآخر
فياكله ويسمن به ثم لا يزال يبقى وحده جائعا الى ان يموت وكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط
بعضها على بعض حتى يقمعها فيجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان لا يبقى الا واحد ثم تقع العناية بمحوها واذابتها
بالمجاهدة وهو منع القوت منه ومنع القوت عن الصفات ان لا يعمل بمقتضاها فانها لا تقتضي لا محالة اعمالا

فاذا لو لم تتجدد الصفات وماتت مثل البخل فان ذلك يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال
مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب فيه فاذن علاج البخل بالعلم والعمل
فالعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع الى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى
البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة بآفته واذا لم يتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فيبقى العلة مزمنة
كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وامكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض
شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزواياهم وكان اذا توهم من مريد فرحه
بزاوية نقله الى زاوية غيره ونقل زاوية غيره اليه ويخرجه عن جميع ما ملكه فاذا راه يلتفت الى ثوب جديد
يلبسه او سجادة وكان يفرح بها يامره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب
عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل انس بالدنيا واحبها وان كان له الف متاع كان له الف محبوب ولذلك
اذا سرق كل واحد من ذلك المتاع به مصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزل به الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان
يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج
مرصع من الجوهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء كيف ترى هذا قال
اراه مصيبة او فقرا قال كيف قال ان انكسر كان مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم
تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة والفقر ثم اتفق انه انكسر يوما وعظمت
مصيبة الملك عليه وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شان جميع اسباب الدنيا فان الدنيا عدوة
لاعداء الله تعالى اذ تسوقهم الى النار وعدوة اولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لله اذ تقطع طريق
على عباده وعدوة نفسها فانها تاكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها
الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال ياكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة
المال لم يانس به ولم ياخذ منه الا قدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة لا يبخل لان ما امسك لحاجته فليس
بخلا وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط دجلة اذ لا يبخل احد
لقناعة الناس عنها بمقدار الحاجة

بيان الوظائف التي على العبد في ماله

اعلم ان المال كما وصفناه خير من
وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية ياخذها الراقي ويستخرج منها الترياق وياخذها الغافل فيقتله
سمها من حيث لا يدري ولا يخلو احد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس وظائف **الاولى** ان يعرف مقصود
المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتج اليه حتى لا يكتسب ولا يكتسب حتى يحتاج اليه ولا يحفظ الا بقدر الحاجة ولا
يعطيه من همته فوق ما يستحقه **الثانية** ان يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه
الحرام كمال السلاطين ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة
وكالسؤال الذي فيه الذل وهتك المروءة وما يجري مجراه **الثالثة** في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر
منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلاث
درجات ادنى واوسط واعلى وما دام مائلا الى جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة كان محقا ويجا
جملة المحقين وان جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات
في كتاب الزهد **الرابعة** ان يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما
ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في
غير حقه سواء **الخامسة** ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فليأخذ ما ياخذ ليستعين

به على العبادة ويترك ما يتركه زهدًا فيه واستحقارًا له وإذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال
علي رضي الله عنه لو أن رجلا أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم
يرد به وجه الله فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أو ما يعين على العبادة
فإن أبعد الحركات عن العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فإذا كان ذلك قصدك بهما
صار ذلك عبادة في حقك وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما يحفظك من قميص وإزار وفراش وآنية
لأن كل ذلك مما قد يحتاج إليه في الدين وما فضل عن الحاجة ينبغي أن يقصد به أن ينتفع به عبد من عباد الله
تعالى ولا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك هو الذي أخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا
يضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك إلا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي إذا تشبه بالعالم في
الاستكثار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة شابه الصبي الذي يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية و
يتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدي به ويظن أنه أخذها مستحسنًا صورتها وشكلها ومستلينًا جلدها
فأخذها اقتداء به فتقتله في الحال إلا أن قتيل الحية يدري أنه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا
بالحية فقيل **شعر** هي دنيا كحية تنفث السم وإن كانت المجسة لانت • وكما يستحيل أن يتشبه الأعمى بالبصير
في تخطي قلل الجبال وأطراف البحار والطرق المشوكة فمحال أن يتشبه العامي بالعالم العامل الكامل في تناول
المال **بيان ذم الغنى ومدح الفقر** اعلم أنهم قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد
أوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب ندل على
أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير التفات إلى تفصيل الأحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل
ذكره الحارث المحاسبي في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة كعبد الرحمن
بن عوف وكثرة ماله وشبه نفسه بهم والمحاسبي حبر الأمة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين
عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه فقد قال بعد
كلام له في الرد على العلماء السوء بلغنا أن عيسى عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون
وتصدقون ولا تفعلون ما تأمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول
والأماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لا تكونوا
كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة وكذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل
في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها
رغبته بحق أقول إن قلوبكم تبكي من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول أفسدتم
آخرتكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأي الناس أخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى
تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا
ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني
عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء و
لا كأحرار كرام يوشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم
تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم إلى الملك الديان حفاة عراة فرادى فيوقفكم
على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم ثم قال الحارث رحمه الله إخواني فهؤلاء علماء السوء شياطين الإنس و
فتنة الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار

وشين وفي الآخرة هم الأخسرون أو يعفو الله الكريم بفضله وبعد فإني رأيت الهالك المؤثر للدنيا سروره
ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه أنواع الهموم وفنون المعاصي وإلى التلف والبوار مصيره فرح الهالك برجائه
فلم تسلم له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين فيا لها من مصيبة ما أفظعها
ورزية ما أجلها ألا فراقبوا الله إخواني ولا يغرنكم الشيطان وأولياؤه من الآنسين بالحجج الداحضة عند الله
تعالى فإنهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأنفسهم المعاذير والحجج ويزعمون أن أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانت لهم أموال فيتزين المغرورون ويعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما
يشعرون ويحك أيها المفتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على
لسانك لتهلك لأنك متى زعمت أن أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت
السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمدًا صلى
الله عليه وسلم والمرسلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع
المال ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه فقد زعمت
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح للأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير للأمة وقد
غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء عليه لقد كان للأمة ناصحًا وعليهم مشفقًا وبهم
رؤوفًا ومتى زعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله تبارك وتعالى لم ينظر لعباده حين نهاهم عن
جمع المال وقد علم الله عز وجل أن المال خير لهم أو زعمت أن الله لم يعلم أن الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه
وأنت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الفضل والاستكثار من
الخير من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون تدارك وتدبر ما دهاك به الشيطان حتى زين لك الاحتجاج
بمال عبد الرحمن بن عوف ويود ابن عوف في القيامة أنه لم يؤت من الدنيا إلا قوتا ولقد بلغني أنه لما توفي عبد
الرحمن بن عوف قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال
كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وأنفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أبا ذر فخرج
مغضبًا يريد كعبًا فمر بلحي بعير فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبًا فقيل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربًا
حتى دخل على عثمان رضي الله عنه يستغيث به وأخبره الخبر فأقبل أبو ذر يقتص الأثر في طلب كعب حتى دخل دار عثمان
فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربًا من أبي ذر فقال له أبو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم أنه لا بأس بما ترك
عبد الرحمن لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا نحو أحد وأنا معه فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر فقلت
لبيك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن
يمينه وشماله وقدامه ووراءه وقليل ما هم ثم قال يا أبا ذر قلت نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي فقال صلى الله عليه
وسلم ما يسرني أن لي مثل أحد أنفقه في سبيل الله أموت وأترك يوم أموت قيراطين ثم قال صلى الله عليه و
سلم يا أبا ذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل فرسول الله صلى الله عليه يريد هذا وأنت يا ابن اليهودية تقول
لا بأس بما ترك عبد الرحمن كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفًا منه حتى خرج وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت
عليه عير من اليمن فضجت بالمدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا فقيل عير قدمت لعبد الرحمن قالت
صدق الله ورسوله فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إني رأيت
الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيًا ولم أر أحدًا من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف
رأيته يدخلها معهم حبوًا فقال عبد الرحمن إن العير وما عليها في سبيل الله وإن أرقاءها أحرار لعلي أدخلها معهم سعيًا

وبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن انك اول من يدخل الجنة من اغنياء امتي وما كدت ان تدخلها الا حبوا فيا ايها المفتون ما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنايعه المعروف وتعففه من قصدا وبذل الاموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشرى له بالجنة يوقف في عرصة القيمة واهوالها بسبب مال اكتسبه من حلال للتعفف ولصنايع المعروف وانفق منه قصدا واعطى في سبيل الله سخاء منع من السعي الى الجنة مع الفقراء المهاجرين فصار يحبو في اثارهم حبوا فما ظنكم بامثالنا الغرقى في فتن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتكالب على اوساخ الناس وتتقلب في الشهوات والزينة والمباهات وتتقلب في فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن بن عوف وتزعم انك ان جمعت المال فقد جمع الصحابة كانك اشبهت السلف وفعلهم ويحك ان هذا من قياس ابليس ومن فتياه لاوليائه وساصف لك احوال السلف لتعرف فضايحك وفضيلة الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة اموال ارادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا واكلوا طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله باكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة اثروا الله على انفسهم كثيرا فبالله اكذلك انت والله انك لبعيد الشبه بالقوم وبعد فان اخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر امنين وبالله في ارزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا امرارتها وزهدوا في نعيمها وزهراتها ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله تعالى واذا راوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان اذا اصبح وعند عياله شي اصبح كيبا حزينا واذا لم يكن عندهم شي اصبح مسرورا فرحا فقيل ان الناس اذا لم يكن عندهم شي حزنوا واذا كان عندهم شي فرحوا وانت لست كذلك فقال اني اذا اصبحت وليس عند عيالي شي فرحت اذ كانت لي بمحمد صلى الله عليه وسلم اسوة واذا كان عند عيالي شي حزنت واغتممت اذ لم يكن لي بال محمد عليه الصلوة والسلام اسوة وبلغنا انهم كانوا اذا اسلك بهم سبيل الرخاء حزنوا واشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكانهم على جناح خوف واذا اسلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الان تعاهدنا ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل اكثر مما ذكرناه فبالله اكذلك انت انك لبعيد الشبه بالقوم وساصف احوالك ايها المفتون ضد احوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى وتبطر في الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذي النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتانف من المسكنة وذلك فخر المسلمين وانت تانف منه وتدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها وبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ليجيئن يوم القيمة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وانت في غفلة فاذا مت على ذلك فقد حرمت نعيم الاخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة وقعت وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا وقد بلغنا ان من طلب الدنيا ليكاثر بها او ليفاخر لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان وانت غير مكترث لما حل بك من غضب الله عز وجل حين اردت التكاثر والعلو نعم وعساك المكث في الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار الله تعالى فانت تكره لقاء الله عز وجل والله للقائك اكره وانت في غفلة وعساك

تاسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة وانت تاسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله تعالى ولعلك تخرج من دينك لحيا نا لتوفر دنياك وتفرح باقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب الدنيا وسر بها ذهب خوف الاخرة من قلبه وبلغنا ان بعض اهل العلم قال انك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك من الدنيا اذا قدرت عليها وانت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله عز وجل وعساك تعنى بامور دنياك اضعاف ما تعنى بامور اخرتك وعساك مصيبتك في معاصيك اهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الاوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعساك ترضي المخلوقين بما يسخط الله عز وجل كيما تكرم وتعظم ويحك فكان احتقار الله لك في القيمة اهون عليك من احتقار الناس اياك وعساك تخفي من المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله تعالى عليك فيها فكان الفضيحة عند الله تعالى اهون عليك من الفضيحة في الناس فكان العبيد اعلى قدرا من الله تعالى عن جهلك وكيف تنطق عن ذوي الالباب وهذه المثالب فيك اف لك تتلوث في الاقذار وتحتج بمال الابرار هيهات ما ابعدك عن السلف والله لقد بلغني انهم كانوا فيما احل لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذي لا باس به عندكم كان كالموبقات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة اشد استعظاما منكم لكباير المعاصي فليت اطيب مالك واحله مثل شبهات اموالهم وليتك اشفقت على سياتك كما اشفقوا على حسناتهم ان لا تقبل ليت صومك على مثال افطارهم وليت اجتهادك في العبادة مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم فلقد بلغني عن بعض الصحابة انه قال غنيمة الصادقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوي عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الاخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله عز وجل وفريق امثالكم في السفالة الا ان يعفو الله الكريم بفضله وبعد فان زعمت انك متاس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر امرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم ويحسب انك تحتاط كما احتاطوا لقد بلغني ان بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام افتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما احسبك كذلك ويحك فكن على يقين ان جمع المال لاعمال البر مكر من الشيطان بك لتوقع في البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اجترا على الشبهات اوشك ان يقع في الحرام ايها المغرور اما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم لقدرك عند الله تعالى من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله عز وجل وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لان تدع درهما واحدا مخافة ان لا يكون حلالا خير لك من ان تتصدق بالف دينار من شبهة لا تدري ايحل لك ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من ان تلبس وانما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله تعالى ويحك ان كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا المسايلة بلغنا ان بعض الصحابة قال ما يسرني ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقه في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلوة الجماعة قالوا ولم ذلك رحمك الله قال لاني غني عن مقام يوم القيمة فيقول عبدي من اين اكتسبت وفي اي شي انفقت فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الاسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة ان لا يقوم خير المال بشره وانت تغاية الامن والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال ويحك واين الحلال فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك ما تخاف ان يتغير عند

الغناء قلبك وقد بلغنا ان بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة ان يفسد قلبه افتطمع ان تكون قلبك انقى من قلوب الصحابة فلا تزول عن شيء من الحق في امرك ولئن ظننت ذلك لقد احسنت الظن بنفسك الامارة بالسوء ويحك اني لك ناصح ارى لك ان تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نوقش في الحساب عذب وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل يوم القيمة وقد جمع مالا من حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حلال فيقال له قف لعلك قصرت في طلب هذا بشيء مما فرضت عليك من صلوة لم تصلها لوقتها او فرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يا رب كسبت من الحلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت علي فيقال لعلك اختلت في هذا المال في شيء من مركب او ثوب باهيت به فيقول لا يا رب فيقال لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت علي ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد من قرابتي او ممن امرتني ان اعطيه قال فيجيء اولئك فيخاصمونه فيقولون يا رب اعطيته واغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا فان كان اعطاهم وما ضيع شيئا من الفرائض ولم يختل في شيء فيقال له قف الان هات شكر نعمة انعمها الله عليك من اكلة او شربة او لقمة او لذة فلا يزال يسأل ويحك فمن الذي يتعرض لهذه المسائل التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال قام بالحقوق كلها وادى الفرائض كلها بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه المسائل خاف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا ورضوا بالكفاف منها وعملوا بانواع البر من كسب الحلال فلك بهؤلاء الاخيار اسوة فان ابيت وزعمت انك بالغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيئا من الحلال الا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ورسوله ولم تسخط الله في شيء من سرائرك وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك فينبغي ان ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الاموال اذا وقفوا للسؤال وتسبق مع الرعيل الاول في زمرة المصطفى صلى الله عليه وسلم لا حبس عليك للمسائلة والحساب فاما سلامة واما عطب فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين قبل اغنيائهم الجنة بخمسمائة عام وقال صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل اغنيائهم فياكلون ويتمتعون والاخرون جثاة على ركبهم فيقول الله تعالى قبلكم طلبتي انتم حكام الناس وملوكهم فاروني ماذا صنعتم فيما اعطيتم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ما سرني ان لي حمر النعم ولا اكون في الرعيل الاول مع محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق مع المخفين في زمرة المرسلين وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وجل المتقون لقد بلغنا ان بعض الصحابة عطش فاستسقى فاتي بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وابكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فلما اكثر البكاء قيل له اكل هذا من اجل هذه الشربة فقال نعم بينا انا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه في البيت احد غيري فجعل يدفع عن نفسه ويقول اليك عني فقلت له فداك ابي وامي ما ارى بين يديك احدا فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت لي بعنقها وراسها فقالت لي يا محمد خذني فقلت اليك عني فقالت ان تنج مني فانه لا ينجو مني من بعدك فاخاف ان تكون هذه قد لحقتني تقطعني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا قوم فهؤلاء الاخيار بكوا وجلا ان تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من حلال وانت ويحك في انواع النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع اف لك ما اعظم جهلك ويحك فانك ان تخلفت في القيمة عن محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه لتنظرن الى اهوال جزعت منها الملائكة والانبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ولئن اردتها لكثرة فلتصيرن الى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت باحوال المخلطين لتنقطعن عن اصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين ولئن خالفت احوال المتقين لتكونن من المحتبسين في اهوال يوم الدين تدبر فيما ان زعمت انك في خيار السلف تقنع بالقليل زاهدا في الحلال بذولا لمالك مؤثرا على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئا لغدك مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر والبلاء فرح بالقلة والمسكنة مسرور بالذل والضعة كاره للعلو والرفعة قوي في امرك لا تتغير عن الرشد قلبك وقد حاسبت نفسك في الله واحكمت امورك كلها على ما وافق رضوان الله تعالى ولن توقف في المسائلة ولا يحاسب مثلك من المتقين وانما تجمع المال الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ايها المغرور تدبر الامر وحسن النظر اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر لله تعالى والفكر والاعتبار اسلم للدين وايسر للحساب واخف للمسائلة وآمن من روعات القيامة واجزل للثواب واعلى لقدرك عند الله تعالى اضعافا بلغنا عن بعض الصحابة انه قال لو ان رجلين احدهما في حجره دنانير يعطيها والاخر يذكر الله تعالى لكان الذاكر افضل وسئل بعض اهل العلم عن رجلين احدهما طلب الدنيا حلالا فاصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه واما الاخر فانه جانبها ولم يطلبها ولم يتناولها فايهما افضل قال بعيد والله ما بينهما الذي جانبها افضل كما بين المشارق والمغارب ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل ان تركت الاشتغال بالمال ان ذلك اروح لبدنك واقل لتعبك وانعم لعيشك وارخى لبالك واقل لهمومك فما عذرك في جمع المال وانت بترك المال افضل ممن طلب المال لاعمال البر نعم شغلك بذكر الله افضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الاجل وبعد فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الاخلاق ان تتاسى بنبيك صلى الله عليه وسلم اذ هداك الله به وترضى ما اختاره لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا وقف تحت لواء المصطفى عليه الصلوة والسلام سابقا الى جنة الماوى فانه بلغنا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال سادة المؤمنين في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة الا ما يواريه ولا يقدر ان يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا الا يا اخي متى جمعت المال من بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت انك للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظيم والتكرمة تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله تعالى واستحي من دعواك ايها المغرور ويحك ان كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا ان الخير والفضل في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا باساءتك وكن ضيقا على نفسك عند جمعه معترفا باساءتك فذلك انجى لك وكن وجلا من الحساب فهو اولى بك وانجى واقرب الى الفضل من طلب الحجج لجمع المال اخواني اعلموا ان دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من اورع الناس وازهدهم في المباح لهم ونحن في زمان الحلال فيه

مفقود وكيف لنا من الحلال بمبلغ القوت والمسكن وستر العورة فالجمع المال في دهرنا فاعاذنا الله و
اياكم من ذلك وبعد فاين لنا من تقوى الصحابة وورعهم وزهدهم واحتياطهم واين لنا مثل ضمائرهم وحسن
نياتهم رضينا والله بادواء النفوس واهوائها وعن قريب يكون الورود فيا لسعادة المخفين يوم النشور
وخزن طويل لاهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم ان قبلتم فالقابلون لهذا قليل وفقنا الله واياكم بمنه وكرمه
هذا اخر كلامه رحمه الله وفيه كفاية في اظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه وليشهد بذلك جميع الاخبار
التي اوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد وما روي عن ابي امامة الباهلي ان ثعلبة بن حاطب
قال يا رسول الله ادع الله لي ان يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله
ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة اما لك في اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبي الله اما والذي نفسي بيده لو شئت
ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله تعالى ان يرزقني مالا لاعطين
كل ذي حق حقه ولافعلن ولافعلن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما
ينمى الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما
سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات في الجماعة الا الجمعة وهي تنمى كما ينمى الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم
الجمعة فيسالهم عن الاخبار وسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله
اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة واخبر بامره كله فقال صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وانزل
الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم وانزل الله تعالى فرائض الصدقة
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وامرهما
ان يخرجا فياخذا الصدقة من المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم
فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقرءاه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية
ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما فقام الى خيار اسنان ابله
فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راوها قالا لا يجب عليك هذا وما نريد ان ناخذ هذا منك فقال بلى خذوها
فنفسي بها طيبة وانما هي لتطيب الينا لتاخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسالاه الصدقة فقال
اروني كتابكما فنظر فيه وقال هذا اخت الجزية انطلقا حتى ارى رايي فانطلقا حتى اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما راهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسلمي فاخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السلمي فانزل الله
تعالى في ثعلبة الايات الثلاث ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن الى قوله تعالى يكذبون وعند رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ما انزل فيه فخرج حتى اتى ثعلبة فقال لا ام لك يا ثعلبة قد انزل
الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فساله ان يقبل منه صدقته فقال صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على راسه فقال له صلى الله عليه وسلم
هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء
بها الى ابي بكر فابى ان يقبلها منه وجاء بها الى عمر فابى ان يقبلها وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان رضي الله عنه فهذا طغيان
المال وشومه وقد عرفته من هذا الحديث ولاجل بركة الفقر وشوم الغنى اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه و
لاهل بيته حتى روي عن عمران بن الحصين انه قال كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال صلى الله عليه
وسلم يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم يا رسول الله
بابي انت وامي فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم ادخل فقالت ادخل يا رسول الله

قال انا ومن معي قالت نعم ومن معك يا رسول الله والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة فقال
اصنعي بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه
خلقة فقال صلى الله عليه وسلم استري بها راسك ثم اذنت له فدخل فقال صلى الله عليه وسلم السلام عليكم
يا ابنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر على طعام اكله
فاجهدني الجوع فبكى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث
واني لاكرم على الله منك ولو سالت الله ربي لاطعمني ولكن اثرت الاخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على
منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت يا رسول الله واين اسية امراة فرعون
ومريم بنت عمران فقال صلى الله عليه وسلم اسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة
سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي
بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الاخرة فانظر الى حال فاطمة وهي بضعة من رسول الله صلى
الله عليه وسلم كيف اثرت الفقر وتركت المال ومن راقب احوال الانبياء والاولياء واقوالهم وما ورد
من اخبارهم واثارهم لم يشك في ان فقد المال افضل من وجوده وان صرف الى الخيرات اذ اقل ما فيه من اداء
الحقوق والتوقي من الشبهات والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله تعالى
اذ لا ذكر الا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال وقد روي عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى على نبينا وعليه الصلوة
والسلام فقال اكون معك واصحبك فانطلقا فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة ارغفة
فاكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف و
قال للرجل من اخذ الرغيف فقال لا ادري فانطلقا فراى ظبية معها خشفان لها فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى
منه فاكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب ثم قال للرجل اسالك بالذي اراك هذه الاية
من اخذ الرغيف قال ما ادري ثم انتهيا الى وادي ماء فاخذ عيسى بيد الرجل فمشى على الماء فلما جاوزا قال اسالك
بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال لا ادري فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى يجمع ترابا وكثيبا
ثم قال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلاثة اقسام فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف فقال
انا اخذته فقال عيسى فهذا كله ذلك وفارقه عيسى فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال فارادا ان ياخذاه
منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاث قال فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشتري طعاما فبعثوا احدهم فقال الذي
بعث لاي شيء اقاسم هؤلاء هذا المال لكني اضع في هذا الطعام سما فاقتلهما واخذ جميعه ففعل ذلك ورجع
ومعه الطعام المسموم وقال الرجلان لاي شيء نجعل له ثلث المال لكنا اذا رجع قتلناه واقتسمناه بيننا
فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا وبقي ذلك المال في المفازة واولئك قتلى عنده فمر عيسى وهم على تلك
الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها وحكي ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس في ايديهم شيء مما يتمتع
الناس به من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما
ترعى البهائم وقد قيض لهم في ذلك معايش من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال فقيل له اجب
ذا القرنين فقال ما لي اليه حاجة فاقبل ذو القرنين وقال ارسلت اليك لتاتيني فابيت فها انا قد جئت فقال
له لو كان لي اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين ما لي اراكم على الحال التي لم ار احدا من الامم عليها قال وما
ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء افلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا انما كرهنا ذلك لان احدا لم يعط

منها شيئاً الا نافت نفسه ودعته الى ما هو افضل واكثر منه قال فما بالكم احتفرتم قبوراً فاذا اصبحتم تعهدتموها وكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا انا اذا نظرنا اليها وامّلنا الدنيا منعتنا قبورنا وذكرها ورؤيتها من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها قالوا انا كرهنا ان نجعل بطوننا قبوراً لها ورأينا في نبات الارض بلاغاً وانما يكفي ابن آدم ادنى العيش من الطعام فان من جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعماً كائناً ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده من خلف ذي القرنين وتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطاناً على اهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله تعالى ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك ملّكه الله تعالى بعده وقد كان يرى ما يصنع الذي كان قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله تعالى وامر بالعدل في اهل مملكته فصار كما ترى قد احصى الله عز وجل عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال وهذه الجمجمة تكون كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك اخاً ووزيراً وشريكاً فيما آتاني الله عز وجل من هذا المال والملك قال ما اصلح انا وانت في مكان ولا ان نكون جميعاً قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا اجد احداً يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجباً منه ومتعظاً به فهذه الحكايات تدل على آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل ه

هذا آخر كتاب ذم حب المال ويتلوه كتاب ذم حب الجاه والحمد لله رب العالمين

كتاب ذم الجاه والرياء وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما تجنه الضمائر من خفايا العيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص من شوائب الرياء والشرك وصفا المنفرد بالملكوت والملك فهو اغنى الاغنياء عن الشرك والصلوة والسلام على محمد وآله واصحابه المبرئين من الخيانة والافك صلوة وسلاماً كثيراً **اما بعد** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الرياء والشهوة الخفية التي هي اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلاً عن عامة العباد والاتقياء وهو من آخر غوائل النفس وبواطن مكائدها وانما يبتلى بها العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العلم والعمل فوجدت مخلصاً من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه

الشهوات وتوقيه للشبهات وتحمله مشاق العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والاطراء ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام واكرموه في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في اغراضه موقرين فاصابت النفس في ذلك لذة هي اعظم اللذات وشهوة هي اغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على الطاعات لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن ان حياته بالله وبعبادته المرضية وانما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها الا العقول الناقدة القوية ويرى انه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تزيناً للعباد وتصنعاً للخلق وفرحاً بما نالت من المنزلة والوقار واحبطت بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال وقد اثبتت اسمه في جريدة ديوان المنافقين وهو يظن انه عند الله تعالى من المقربين وهو مكيدة للنفس لا يسلم عنها الا الصديقون ومهواة لا يرتقي منها الا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة واذا كان هذا هو الداء الدفين الذي هو اعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته واقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين **الشطر الاول** في حب الجاه والشهرة وفيه **بيان** ذم الشهرة و**بيان** فضيلة الخمول و**بيان** ذم الجاه و**بيان** معنى الجاه وحقيقته و**بيان** السبب في كونه محبوباً اشد من حب المال و**بيان** ان الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي و**بيان** ما يحمد من حب الجاه وما يذم و**بيان** السبب في حب المدح والثناء وكراهية الذم و**بيان** العلاج في حب الجاه و**بيان** علاج حب المدح و**بيان** علاج كراهية الذم و**بيان** اختلاف احوال الناس في الذم والمدح فهذه اثنا عشر فصلاً منها تنشأ معاني الرياء فلا بد من تقديمها والله الموفق للصواب

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب المرء من الشر الا من عصمه الله من السوء ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم والى اعمالكم ولقد ذكر الحسن رحمه الله للحديث تأويلاً لا بأس به اذ روى هذا الحديث فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا رأوك اشاروا اليك بالاصابع فقال انه لم يعن هذا انما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه وقال علي رضي الله عنه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم بن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلاثة قام ورأى طلحة قوماً يمشون معه نحواً من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار وقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول ابي بن كعب نمشي خلفه اذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا امير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وخرج ابن مسعود من منزله يوماً فاتبعه الناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قل ما يثبت معه قلوب الحمقى وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال لهم هل لكم من حاجة والا فما عسى ان يبقى هذا من قلب المؤمن وروي ان رجلاً صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال اوصني فقال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف فافعل وان استطعت ان تمشي ولا يمشى اليك فافعل وان استطعت ان تسأل ولا تسأل فافعل وخرج ايوب في سفر فشيعه ناس كثير فقال لولا اني اعلم ان الله يعلم من قلبي

فقال صر

بل هذا كاذب يحبب المقت من الله وقال معمر عاتبت ايوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله
وهي اليوم في تشميره وقال بعضهم كنت مع ابي قلابة اذ دخل عليه رجل عليه اكسية فقال اياكم وهذا
الحمار النهاق يشير به الى طلبه الشهرة وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب
الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحارث اوصني فقال اخمل ذكرك وطيب
مطعمك وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي الجامع وقال بشر بن الحارث ما اعرف رجلا احب
ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب ان يعرفه الناس

بيان فضيلة الخمول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على
الله لابره منهم البراء بن عازب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه
له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اني اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال صلى
الله عليه وسلم الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره واهل النار كل متكبر
جواظ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له
الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم
تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيمة على الناس لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من امتي
من لو اتى احدكم يساله دينارا لم يعطه اياه ولو ساله درهما لم يعطه اياه ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو سال الله
تبارك وتعالى الجنة لاعطاها اياه ولو ساله الدنيا لم يعطها اياه وما منعها اياه لهوانه عليه ذو طمرين لا يؤبه له لو اقسم
على الله لابره وروي ان عمر رضي الله عنه دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الرياء شرك و
ان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء
مظلمة وقال محمد بن سويد قحط الناس بالمدينة وكان بها رجل صالح لازم لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبيناهم في دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين اوجز فيهما ثم بسط يديه وقال يا رب اقسمت
عليك الا امطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغيم وامطروا حتى صاح
اهل المدينة من مخافة الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل صاحبه
الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر اليه فخرج اليه فقال اني اتيتك في حاجة فقال وما هي قال تخصني بدعوة
فقال سبحان الله انت انت وتسالني ان اخصك بدعوة قال ما الذي بلغك ما رايت قال اطعت الله فيما امرني
ونهاني فسالت الله فاعطاني وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج
الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في اهل السماء وتخفون في اهل الارض وقال ابو امامة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اغبط اوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلوة احسن عبادة ربه واطاعه في السر
وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع فصبر على ذلك قال ثم نقض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده
فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما احب عباد الله تعالى الى الله الغرباء قيل
ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيمة الى عيسى بن مريم وقال الفضيل بلغني ان الله تعالى
يقول في بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم
اجعلني عندك من ارفع خلقك واجعلني في نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك

وقال الثوري وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء اصحاب قوت وعباء وقال ابن ادهم ما قرت عيني في
الدنيا يوما قط الا مرة بت في مسجد في بعض قرى الشام وكان بي داء البطن فجرني المؤذن برجلي حتى اخرجني
من المسجد وقال الفضيل ان قدرت على ان لا تعرف فافعل وما عليك ان لا تعرف وما عليك ان لا يثنى عليك و
ما عليك ان تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله فهذه الاخبار
والآثار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة
في القلوب وهو منشا كل فساد فان قلت فاي شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفاء الراشدين و
ائمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة فاما وجودها من جهة الله سبحانه من غير
تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهو كالغريق الضعيف اذا كان معه
جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه احد منهم فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوي
فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويحصل له الثواب على ذلك

بيان ذم حب الجاه

قال الله تعالى
تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار
الآخرة للخالي عن الارادتين جميعا وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها الى قوله اولئك
الذين ليس لهم في الآخرة الا النار الآية وهذا ايضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه اعظم لذة من لذات
الحيوة الدنيا واكثر زينة من زينتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق
في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر
فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه انما هلاك الناس
باتباع الهوى وحب الثناء

بيان معنى الجاه وحقيقته

اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى
المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان الغني ذا المال
هو الذي يملك الدراهم والدنانير اي يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات
وساير حظوظ النفس وكذلك ذو الجاه يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها في اغراضه
وماربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات وكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات
ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات وكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال
انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الوصف
كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن من قلبه للموصوف
به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلوب تابعة لاعتقادات
القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاب والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق
الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك يملك العبد
قهرا والعبد متاب بطبعه ولو خلي ورايه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغي ان تكون له
الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه طالب الجاه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير
فاذن معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس اي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون
من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه
وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده

فينثني عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون مسخرة له مثل العبيد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص اما بعلم او بعبادة او حسن خلق او نسب او ولاية او كمال في صورة او قوة في بدن او شيء مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها يعظم محله في القلوب فيكون سببا لقيام الجاه **بيان سبب كون الجاه محبوبا** بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشدة المجاهدة

اعلم ان السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر انواع المال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي ان يكون احب من المال كما يقتضي ان يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض في اعيانهما اذ لا يصلح لمطعم ومنكح وملبس وانما هي والحصباء بمثابة ولكنهما محبوبة لانهما وسيلة الى المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات وكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى سائر اغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجح الجاه على المال اقتضى ان يكون الجاه احب اليه من المال ولملك القلوب ترجيح على ملك المال من ثلاثة اوجه الاول ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم او الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقدت فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة الكمال لو وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذن الجاه وسيلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ايضا ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه احب **الثاني** هو ان المال معرض للتوى بان يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظ والحراس والخزائن ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت فلا تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها ايدي الغصاب واثبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغني عن المراقبة والحفظ واما خزائن القلوب فهي محفوظة بانفسها والجاه في امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله **الثالث** ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فيصف ما تعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب ايضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين واما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة والجاه ابدا في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال في مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فان قلت فالاشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي ان يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم او كالمبتلى بمرض او بعقوبة

اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة الا بمال او جاه فحبه للمال معلوم وكذا حبه للجاه اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع امر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الاموال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطؤها ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او ليبروه بمال او ليعينوه على غرض من اغراضه ومع الياس من ذلك فانه يلتذ به غاية التلذذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا ينفك عنه القلوب وله سببان احدهما جلي والآخر خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما وابعدهما عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون فاما السبب الاول فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال عليه الصلاة والسلام منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن عن هذا الخوف واما السبب الثاني وهو الاقوى ان الروح امر رباني به وصفه الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي ومعنى كونه ربانيا كونه من اسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في اظهاره اذ لم يظهره النبي صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربانية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من اصول مختلفة يطول شرح تفصيلها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الالهية وصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال في التفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لا محالة وكما ان الشمس في انها موجودة وحدها فلو كان معها شمس اخرى كان ذلك نقصانا في حقها اذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله عز وجل اذ ليس معه موجود سواه فان ما سواه اثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما ان اشراق نور الشمس في اقطار الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبعا فاذن معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ

الصوفية ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو
كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي اومأ اليها قوله
تعالى قل الروح من امر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة
للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض
للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال من ذاته وانما الكمال بعد ان يسلم التفرد بالوجود
في الاستيلاء على كل الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فان تكون
مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب
ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به الا ان الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب
الارادة وبكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء فاحب الانسان ان يكون له الاستيلاء على كل الاشياء
الموجودة معه الا ان الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغير في نفسه كذات الله عز وجل وصفاته و
الى ما يقبل التغير ولكن لا يستولي عليها قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس
الملائكة والجن والشياطين وكالبحار والجبال وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل التغير بقدرة العبد كالارض
واجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتأثير والتغير مثل
اجسادهم واجساد الحيوانات فاذن انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات و
الى ما لا يقدر كذات الله والملائكة والسموات فاحب الانسان ان يستولي على السموات بالعلم والاحاطة و
الاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع الاستيلاء اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولي
عليه ولذلك احب ان يعرف الله والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وعجائب البحار والجبال
وغيرها لان ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة الى
معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي ان يعرف اللعب به وانه كيف وضع وكمن يرى
صنعة عجيبة في الهندسة او الشعبذة او جر الثقيل وغيره وهو مستشعر في نفسه نقص العجز والقصور عنه
لكنه يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متألم بنقص العجز وملتذ بكمال العلم ان علمه واما القسم الثاني وهو الارضيات
التي يقدر عليها الانسان فانه يحب بالطبع ان يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان
اجساد وارواح اما الاجساد فالدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الر
والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع
فلذلك احب الاموال وان كان لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد
واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك
قلوبهم فانه ربما لم يعتقد كماله حتى صار محبوبا ويقوم منزلته فيها فان الحشمة القهرية ايضا لذيذة لما فيه من القدرة
القسم الثاني نفوس الآدميين وقلوبهم وهي انفس ما على وجه الارض فهو يحب ان يكون له استيلاء وقدرة
عليها لتكون مسخرة له متحركة تحت اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بالصفات
الربوبية والقلوب انما تتسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات
الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني الذي هو من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يبليه
الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فياكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله تعالى والساعي
اليه فاذن معنى الجاه تسخير القلوب ومن تسخرت له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء

كمال وهو من اوصاف الربوبية فاذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من
اسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم او مقدور فالشوق لا
يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان الحديث فاذن
مطلوب القلب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل انسان ولذته
بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل
الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلم ما لا يصلح للتوصل به الى
الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب والمشكلات
لان في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من الصفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع
الا ان في حب كمال العلم والقدرة اغاليط لا بد من بيانها

بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي

الذي لا حقيقة له قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا في العلم والقدرة ولكن كمال الحقيقي
هو ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه ان كمال العلم هو لله تعالى وذلك من ثلاثة اوجه احدها كثرة المعلومات
وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد اكثر كانت اقرب الى الله تعالى والثاني
من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة له تعالى
باتم انواع الكشف على ما هي عليه وكذلك مهما كان علم العبد اوضح وايقن واصدق واوفق للمعلوم في
تفاصيل صفات المعلوم كان اقرب الى الله تعالى والثالث من حيث بقاء العلم ابد الاباد بحيث لا يتغير
ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور ان يتغير وكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل
التغير والانقلاب كان اقرب الى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وازليات اما المتغيرات
فمثاله العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم ولكن يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد
كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا وكل ما اعتقدته اعتقادا موافقا له
ويتصور ان ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد ان ينقلب كمالك نقصا ويعود علمك جهلا ويلتحق
بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة ارض وبعد البلاد و
ما بينها من الاميال والفراسخ وسائر ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي
اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق تتغير
من حال الى حال فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب والقسم الثاني هو المعلومات الازلية
وهي جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ازلية ابدية اذ لا يستحيل الواجب جائزا
قط ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا وكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله تعالى وما يجب له وما
يستحيل في صفاته وما يجوز في افعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت السماء والارض وترتيب
الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس
بعد الموت فيكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
اي تكون هذه المعرفة رأس مال يوصل الى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما ان من معه سراج خفي فانه يجوز
ان يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن
ليس معه اصل السراج فلا مطمع له في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر
لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاذن لا سعادة الا في معرفة الله

فاما ما عدا ذلك من المعارف ففيها ما لا فائدة لها اصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيره ومنها ما له منفعة فى الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما فى القرآن من كيفية العبادات والاعمال التى تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد فى استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله تعالى كما قال جل وعلا قد افلح من زكيها وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فيكون جملة هذه المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة الله تعالى وانما الكمال فى معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله و ينطوى فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هى فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهى من تكملة معرفة الله تعالى هذا حكم كمال العلم الذى ذكرناه وان لم يكن لائقا باحكام الجاه والرياء ولكن اوردنا لاستيفاء اقسام الكلام واما القدرة فليس فيها كمال حقيقى للعبد بل للعبد علم حقيقى وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب ارادته وقدرته وحركته فهى حادثة باحداث الله تعالى كما اوردناه فى كتاب الصبر والشكر وكتاب التوحيد والتوكل وفى مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله عز وجل فاما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهى وسيلة الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشى وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج فى استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والملبس وذلك القدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله تعالى فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التى تنقضى على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل والخلق كلهم هالكون فى غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقى الذى يوجب القرب من الله سبحانه ومن ملائكته وهو العلم والحرية اما العلم فما ذكرناه من معرفة الله تعالى واما الحرية فالخلاص من اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الغضب والشهوة عن النفس من الكمال الذى هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتأثر عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض ابعد كان الى الله تعالى اقرب وبالملائكة اشبه ومنزلته عند الله تعالى اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده فى اقسام الكمال الحقيقى لان حقيقته ترجع الى عدم نقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها والهلاك نقص فى الذات وفى صفات الكمال فاذن الكمالات ثلاثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا العلم وكمال الحرية واعنى به عدم العبودية للشهوات وارادات الاسباب الدنيوية والقدرة وللعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنعدم بالموت بل تبقى كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذى لا يسلم وان سلم لا بقاء له فاعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذى اذا حصل كان ابديا لا انقطاع له وهؤلاء الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا والعلم والحرية هى الباقيات الصالحات التى لا تبقى كمالا فى النفس والمال والجاه هو الذى ينقضى على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال كماء انزلناه من السماء الاية وقوله تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا الى قوله تعالى تذروه الرياح وكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحيوة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظنى لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر البلغة منها الى الكمال الحقيقى

بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم

مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم الاموال فانه عرض من اعراض الحيوة وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة وكل ما خلق فى الدنيا فيمكن ان يتزود منه للآخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام والمال الذى يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له فى قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وحبه لان يكون له فى قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون له فى قلب استاذه ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل فى قلب سلطانه ما يحثه على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق فى هذا يفضى الى ان لا يكون المال والجاه فى اعيانهما محبوبا له بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون فى بيته وداره بيت ماء لانه مضطر اليه لقضاء الحاجة ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت الماء وهذا على التحقيق ليس بحب لبيت الماء وكل ما يراد للتوسل به الى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوسل اليه وتدرك التفرقة بمثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفى مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما انه لو كفى قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفى الشهوة لبقى مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول وكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوسل الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتى فان قلت طلبه الجاه والمنزلة فى قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق كيفما كان او يباح الى حد مخصوص على وجه مخصوص فاقول يطلب ذلك على ثلاثة اوجه وجهان منه مباح ووجه منه محظور اما الوجه المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة فى قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه علوى او عالم او ورع ولا يكون كذلك فهو حرام لانه تلبيس وكذب اما بالقول او بالمعاملة واما المباح فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف على نبينا وعليه الصلوة والسلام اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم فانه طلب المنزلة فى قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه والثانى ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز فلا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة فى العلم به كالذى

صل

وعليهم

يحمي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله اني ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب
لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظورات تحسين الصلوة بين يديه ليحسن
فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو تلبيس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله تعالى وهو مراء بما
يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب
المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له ان يملك مال غيره بتلبيس في عوض او في غيره فلا يجوز له ان يملك قلبه
بتزوير وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال **بيان السبب في حب المدح والثناء وارتياح
النفس به وميل الطباع اليه** وبغضها الذم ونفرتها منه اعلم ان لحب المدح والتذاذ القلب به اربعة اسباب
السبب الأول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ
فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت فالمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به
مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه اقل ولكنه
لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بانه طويل القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن
لذته فاذا استشعر به لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة
فيه اعظم كالثناء عليه بكمال العلم وكمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وكمال
علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا لكونه عديم النظير في هذه الامور
لتطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم
اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف في القول الا عن تحقيق وذلك
كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة العلم والفضل فانه في غاية اللذة وان صدر عمن
يجزف في الكلام او لا يكون بصيرا في ذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ويكرهه لانه يشعر
بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مولم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم
من بصير موثوق به كما ذكرناه في المدح **السبب الثاني** ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك
للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة
تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان المثني ممن
لا يؤبه له ولا يقتدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على امر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة
وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتألم به القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته اعظم لان الفائت
به اعظم **السبب الثالث** ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا
كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملا فلا جرم كلما كان الجمع اكثر
والمثني اجدر بان يلتفت اليه والى قوله كان المدح الذ والذم اشد على النفس **السبب الرابع** ان المدح
يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه اما عن طوع واما عن قهر
فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في
الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع
المادح وقوته فيكون لذة ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثناء اشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح
مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفترق فينقص اللذة اما العلة الاولى وهي استشعار الكمال فيندفع بان
يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه كما اذا مدح بانه نسيب وسخي او عالم او متورع عن المحظورات وهو يعلم

من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية
اللذات فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفات بطلت اللذة الثانية وهو
استيلاء على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء وان لم يكن ذلك عن خوف
بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه اصلا لذة لفوات الاسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء
عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم وانما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة و
خوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يعرف معالجته اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض **بيان علاج حب الجاه**
اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراءاة
لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله واعماله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد
ويجر ذلك الى التساهل في العبادات والمراءاة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك
شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما في الدين بذئبين ضاريين وقال صلى الله عليه وسلم
انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول او الفعل فكل من طلب المنزلة
في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه
اذن من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل القلب عليه كما جبل على حب المال وعلاجه مركب
من علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم
وقد بينا ان ذلك ان صفا وسلم فاخره الموت وليس من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط
الارض من المشرق الى المغرب الى خمسين سنة لم يبق الساجد والمسجود له ويكون حالك حال من مات قبلك
من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو سبب الحيوة الابدية التي لا انقطاع لها
ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الاخرة
كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده فيكون حاله حال الحسن البصري حيث كتب الى عمر بن
عبد العزيز اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت وقد مات فانظر كيف مد النظر نحو المستقبل وقدره كائنا
وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب في جوابه اما بعد فكانك بالدنيا لم تكن وكانك بالاخرة لم تزل فهؤلاء
كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين فاستحقروا الجاه والمال في الدنيا وابصار
اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحيوة
الدنيا والاخرة خير وابقى وقال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة فمن هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه في
حب الجاه بالعلم بالافات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود
ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من ان يتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر
في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والاعراض وما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات
له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء كان ذلك غموم عاجلة ومكدرة
للذة الجاه فلا يفي في الدنيا ايضا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الاخرة فبهذا ينبغي ان يعالج البصيرة الضعيفة و
اما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه لم يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط
الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط من اعين الخلق ويفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول
ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية اذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا عن
اعين الناس فيسلموا من افة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي

لا يقتدى به فلا يجوز ان يقدم على محظورات لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا وجعل يأكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن انه يشرب الخمر فيسقط من اعين الناس وهذا لا يجوز من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال يعالجون انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما راوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل بعضهم وكان قد عرف بالزهد فاقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه واستردوا منه الثوب وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلد الذي فيه مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته وربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتالمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم بالاعتذار وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين بعد انه محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمحب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع فيهم فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع طمعه عن الناس راسا اصبح الناس كلهم عنده كلا شيء او كالشيء الهالك الارذال فلا يبالي اكان له منزلة في قلوبهم ام لم يكن كما لا يبالي بما في قلوب الذين منه في اقصى الشرق والغرب واكثر البلاد لانه لا يراهم ولا يطمع فيما في ايديهم ولا ينقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى عنهم لم يشتغل قلبه بهم ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة او قلة او علة وينظر في احوال السلف وايثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة

بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهته

اعلم ان اكثر الناس انما هلكوا لخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب المدح ويكره الذم وهي ثلاثة اسباب اما **السبب الاول** فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح وطريقك فيه ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهي اما صفة تستحق بها الفرح كالعلم والورع واما صفة لا تستحق كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فان كان من الاعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بالنبات الذي يخبت على الارض الذي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا فلا ينبغي ان يفرح الانسان بعروض الدنيا فان فرح فلا ينبغي ان يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها فلا يجب ان يفرح به بل سبب وجودها هو الله تعالى فهو المستحق للحمد والمدح تبارك وتعالى وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضي الفرح لانه يقرب عند الله تعالى زلفى ولكن خطر الخاتمة باق ففي الخوف من الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان يكون فرحك بفضل الله تعالى لا من المادح والمدح تابع له فلم ينبغي ان تفرح بالمدح والمدح

يزيدك فضلا وان كانت الصفة التي مدحت بها انت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزا به انسان ويقول سبحان الله ما اكثر العطر الذي في احشائه وما اطيب الروائح التي تفوح منه اذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه امعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح بذلك وكذلك اذا اثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذن المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله تعالى عليك وان كذب فينبغي ان يغمك ذلك ولا تفرح به واما **السبب الثاني** فهو دلالة المدح على تسخر قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله تعالى وبان تعلم ان طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله تعالى فكيف تفرح به واما **السبب الثالث** وهو الحشمة التي اضطرت المادح الى المدح فهو ايضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بها بل ينبغي ان يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لان آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرنا في كتاب آفات اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد امكن الشيطان من ان يدخل في بطنه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل انت وكان احب اليك من ان يقال لك بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل وروي في بعض الاخبار ان صح فهو قاصم للظهور وهو ان رجلا اثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لو كان صاحبك حاضرا فرضي بالذي قلت فمات على ذلك دخل النار وهذا امر عظيم وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم الا لا تمادحوا واذا رايتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة رضي الله عنهم على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور به حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سال رجلا عن شيء فقال انت يا امير المؤمنين خير مني واعلم فغضب وقال اني لم آمرك بان تزكيني وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما ابقاك الله فغضب وقال اني لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الي بمقتك فاشهدك على مقته وانما كرهوا المدح خيفة من ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق وكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله تعالى يبغض اليهم المدح من الخلق لان الممدوح هو المقرب الى الله تعالى والمذموم هو المبعد من الله الملقى في النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله تعالى من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الآجال والارزاق بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه

بيان علاج كراهة الذم

قد سبق ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلاثة احوال اما ان يكون قد صدق فيما قال وقصد النصح والشفقة واما ان يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت واما ان يكون كاذبا فان كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغي ان تذمه وتغضب عليه وتحقد عليه بسببه بل ينبغي ان تتقلد له منة بذلك فان من اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى المهلك حتى تتقيه فينبغي ان تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها فاما اغتمامك بسببه وكراهيتك له وذمك اياه فغاية الجهل وان كان قصده التعنت فانت قد انتفعت بقوله اذ ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلا وذكرك عيبك ان كنت غافلا او قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك اسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب

السعادة فقد اتيح لك اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة
او غيرها وانت لا تدري ولو دخلت عليه لخفت ان تحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل ايها
الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوي الاخلاق مهلكة
في الآخرة والانسان انما يعرفها من قول اعدائه فينبغي ان تغتنمه فاما قصد العدو التعنت فجناية منه على دين نفسه
وهو نعمة منه عليك اراد ها الله تعالى لك والا فبما تنبهك انت بمن يحمل اليه هذه وتنبه لك عند الله تعالى فلم تغضب
عليه بفعل انتفعت به وتضرر هو به **الحالة الثانية** ان يفتري عليك بما انت برئ منه عند الله تعالى فينبغي
ان لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلاثة امور الاول انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن امثاله
واشباهه وما ستره الله من عيوبك اكثر فاشكر الله اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت برئ عنه
الثاني ان ذلك كفارة لبقية مساويك وذنوبك فكانه رماك بعيب انت برئ عنه وطهرك عن ذنوب
انت ملوث بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك
تفرح بقطع الظهر وتحزن بهدايا الحسنات التي تقربك الى الله تعالى وانت تزعم انك تحب القرب من الله تعالى
الثالث ان المسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله عز وجل واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه
الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب الله تعالى عليه فتشمت الشيطان به وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم
اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون لما ان ضربوه
ودعا ابرهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة وقال اعلم اني ماجور بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا بسببي
وانما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك و
اصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال وما دام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح في قلب من
طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا تنال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغي ان يطمع
طالب المال والجاه ويحب المدح ويبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا **بيان اختلاف احوال الناس**
في المدح والذم اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح **الحالة الاولى** ان يفرح بالمدح ويشكر
المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافيه او يحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية
في هذا الباب **الثانية** ان يمتعض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح بالمدح باطنه
ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله كمال **الحالة**
الثالثة وهو اول درجات الكمال ان يستوي عنده ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد
يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته ان لا يجد في نفسه استثقالا للذام
عند تطويله الجلوس عنده اكثر مما يجد في المادح وان لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق
ما يجده في قضاء حاجة الذام وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح وان لا يكون موت
المادح المطري له اشد نكاية في قلبه من موت الذام وان لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من اعدائه اكثر مما يكون
بمصيبة الذام وان لا يكون زلة المادح اخف على قلبه وعينه من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح
واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما ابعد ذلك وما اشده على القلوب واكثر العباد فرحهم بمدح الناس
مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه الى المادح
دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد اطاع الله بمدحك فكيف
تسوي بينهما وانما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس فانك لو تفكرت علمت ان في الناس من

ارتكب من كبائر المعاصي اكثر مما ارتكبه الذام من مذمتك ثم انك لا تستثقلهم ولا تنفر عنهم وتعلم ان المادح الذي
مدحك لا يخلو عن مذمة غيرك ولا تجد في نفسك نفرة عنه لمذمته غيرك كما تجد لمذمته نفسك فالمذمة من حيث انها معصية
لا تختلف بان يكون هو المذموم او غيره فاذن العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم الشيطان يخيل
اليه انه من الدين حتى يعتقد انه يعبد الله بهواه فيزيد ذلك بعدا من الله تعالى ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس
فاكثر عباداته تعب ضائع يفوت عليه الدنيا ويخسر في الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا الآيتين **الحالة الرابعة** وهي الصدق في العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة
للظهر مضرة له في الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه عيبه ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته كما قال
صلى الله عليه وسلم راس التواضع ان تكره ان تذكر بالبر والتقوى وروي في بعض الاخبار ما هو قاصم
للظهور امثالنا لو صح قال صلى الله عليه وسلم ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا من فقيل يا رسول
الله الا من فقال صلى الله عليه وسلم من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة وهذا
شديد جدا وغاية امثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو ان يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا
يظهر ذلك بالقول والعمل فاما الحالة الثالثة وهو التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها ثم
ان طالبنا انفسنا بعلامات الحالة الثالثة فانها لا تفي بها فلا بد وان تتسارع الى اكرام المادح وقضاء
حاجته وتتثاقل عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا تقدر ان تسوي بينهما في الفعل الظاهر
كما لا تقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو جدير
بان يتخذ قدوة في هذا الزمان ان وجد وقد رانه الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده من
الرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب ايضا فيها درجات اما الدرجات في المدح فهو ان من الناس من يتمنى
المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيلها بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات
لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبها بالمباحات
ولا يطلبها بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستميل به
القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا
ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم
يتكلف الكراهة فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى الرتبة التي قبلها وان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه
الكراهية وبغض السرور عليه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة يكون عليه ولم يكن له ومنهم
من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى ان يغضب على المادح وينكر عليه واقصى درجاته ان يكره
ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك عين النفاق لانه
يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال
في حق الذام واول درجاته اظهار الغضب وآخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره الا ممن في قلبه
حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها
بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام
لها ويعتقد فطنته وذكاءه بما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده
اذ صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها فعسى
ان يكون جبرا لعيوبه التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو

(هامش: منهم من اذا سمع المدح لم يسر ولم يغتم ولكن لم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص)

ان يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين الشيطان عقبات
كثيرة هذه احدى تلك العقبات ولا يقطع شيء منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل **الشطر الثاني**
من الكتاب في **طلب الجاه والمنزلة** بالعبادات وهو الرياء وفيه بيان **ذم الرياء** وبيان حقيقة الرياء وما
يراءى به وبيان **درجات الرياء** وبيان **الرياء الخفي** وبيان ما **يحبط العمل من الرياء** وما لا يحبط و
بيان **دواء الرياء** وبيان **الرخصة** في اظهار الطاعة وبيان **الرخصة** في كتمان الذنوب وبيان
ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان **ما يصح من نشاط العبد** للعبادة بسبب رؤية الخلق وبيان ما
يجب على المريد ان يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي **احد عشر فصلا بيان ذم الرياء** اعلم ان الرياء حرام والمرائي
عند الله ممقوت وقد شهد بذلك الآيات والاخبار والآثار اما الآيات فقال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم
ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر
اولئك هو يبور قال مجاهد اهل الرياء وقال تعالى في مدح المخلصين انما نطعمكم لوجه الله الآية فمدح المخلصين
بنفي كل ارادة سوى وجه الله تعالى والرياء ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا
يشرك بعبادة ربه احدا انزل ذلك فيمن يطلب الاجر والحمد بعباداته واعماله واما **الاخبار** فقال النبي صلى الله
عليه وسلم حين سأله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة فقال صلى الله عليه وسلم ان لا يعمل العبد بطاعة الله و
يريد بها الناس وروى ابو هريرة في حديث الثلاثة المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله
كما اوردناه في كتاب الاخلاص وان الله تعالى يقول لكل واحد منهم كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد
كذبت فلان شجاع كذبت فلان قارئ فاخبر صلى الله عليه وسلم انهم لم يثابوا وان رياءهم هو الذي احبط اعمالهم
وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به وفي حديث طويل ان الله تعالى
يقول لملائكته ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك
الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم الرياء يقول الله تعالى يوم القيمة اذا
جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه و
سلم استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم واد في جهنم اعد للقراء المرائين
وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء
عن الشرك وقال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام اذا كان صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى
الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق
وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله تعالى عملا فيه مثقال ذرة من رياء وقال عمر رضي الله عنه لمعاذ بن جبل حين رآه يبكي
ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ادنى الرياء شرك وقال صلى
الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهي ايضا ترجع الى خفايا الرياء ودقائقه وقال صلى الله عليه
وسلم كان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله الحديث ورجل تصدق بيمينه صدقة يكاد يخفيها عن شماله و
لذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر سبعين ضعفا وقال صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادى يوم
القيمة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك فقال اني تخوفت على امتي من الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا
ولا حجرا ولا قمرا ولكنهم يراءون باعمالهم وقال صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى الارض مادت باهلها فخلق
الجبال فصيرها اوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو اشد من الجبال فخلق الله تعالى الحديد فقطع الجبال

ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله سبحانه الماء فاطفا النار وامر الريح فكدرت الماء فاختلفت الملائكة
فسالوا الله تعالى فقالوا يا ربنا ما اشد ما خلقت من خلقك قال الله تعالى لم اخلق شيئا هو اشد من ابن
آدم حين يتصدق بصدقة بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلق خلقته وروى عبد الله بن المبارك باسناده
عن رجل انه قال لمعاذ حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا
يسكت فسكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال يا معاذ قلت له لبيك يا رسول الله بابي انت
وامي فقال صلى الله عليه وسلم اني محدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت
حجتك عند الله تعالى يوم القيمة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق
السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى
حين امسى له نور كنور الشمس حتى اذا صعدت به الى سماء الدنيا زكته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم تاتي الحفظة
بعمل صالح من اعمال العبد فتمر به فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية
قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان
يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام قد اعجب الحفظة فيجاوزون به
الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثالثة قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني
ربي ان لا ادع عمله يجاوزني انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب
الدري له دوي بتسبيح وصلوة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به الى السماء الرابعة فيقول لهم الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال و
تصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به الى السماء الخامسة كانه العروس المزفوفة الى اهلها فيقول لهم الموكل بها قفوا
واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل
من كان ياخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة
بعمل العبد من صلوة وزكوة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الموكل به قفوا واضربوا بهذا
العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله تعالى اصابه بلاء او ضر بل يشمت به انا ملك الرحمة امرني
ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلوة ونفقة
واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول
لهم الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه اقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل
لم يرد به وجه الله تعالى انه اراد بعمله غير الله عز وجل انه اراد رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في
المدائن امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل
المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله
سبحانه وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل
الصالح المخلص لله تعالى قال فيقول الله عز وجل لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يردني
بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله
ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله صلى الله عليك وانا معاذ
قال اقتد بي وان كان في عملك تقصير يا معاذ حافظ لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القران واحمل ذنوبك

وعلاجه صح

بقوله

بوجهه

مقدار صح

اضربوا وجهه وبطنه صح

عليك ولا تحملها عليهم ولا تترك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في
مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير
الدنيا والآخرة ولا تمزق الناس فيمزقك كلاب جهنم يوم القيمة في النار قال الله تعالى والناشطات نشطا اتدري ما
هن يا معاذ قلت ما هن بابي انت وامي يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم كلاب في النار تنشط اللحم والعظم قلت
بابي انت وامي فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال الراوي فما رأيت
اكثر تلاوة من معاذ للحذر مما في الحديث واما الآثار فيروى ان عمر رضي الله عنه رأى رجلا يطأطئ رقبته فقال
يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلوب ورأى ابو امامة رجلا في سجوده فقال
انت انت لو كان هذا في بيتك وقال علي رضي الله عنه للمرائي ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان
في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة بن الصامت اقاتل بسيفي في سبيل الله اريد به وجه الله
تعالى ومحمدة الناس قال لا شيء لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة ان الله تعالى يقول انا اغنى
الاغنياء عن الشرك وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال ان احدنا يصطنع المعروف يحب ان يحمد ويؤجر فقال له اتحب ان تمقت
قال لا قال فاذا عملت لله عملا فاخلصه وقال الضحاك لا يقولن احدكم هذا لوجه الله تعالى ولوجهك ولا يقل هذا لله تعالى
وللرحم فان الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رضي الله عنه رجلا بالدرة ثم قال اقتص مني فقال لا بل ادعها لله تعالى
ولك فقال عمر ما صنعت شيئا اما ان تدعها لي فاعرف ذلك او تدعها لله وحده فقال ودعتها لله وحده قال فنعم
اذن وقال الحسن لقد صحبت اقواما ان كان احدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه الا
مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر فيرى الاذى على الطريق فما يمنعه ان ينحيه الا مخافة الشهرة ويقال ان المرائي ينادى
يوم القيمة باربعة اسماء يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال الفضيل كانوا
يراءون بما يعملون وصاروا اليوم يراءون بما لا يعملون ويكذبون وقال عكرمة ان الله تعالى يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه
على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن المرائي يريد ان يغلب قدر الله تعالى هو رجل سوء يريد ان
يقول الناس هو صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الاردياء فلا بد لقلوب المؤمنين ان تعرفه وقال قتادة اذا
راءى العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال مالك بن دينار القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء الملوك و
ان محمد بن واسع من قراء الرحمن وقال الفضيل من اراد ان ينظر الى مراء فلينظر الي وقال محمد بن
المبارك اظهر السمت بالليل فانه اشرف من سمتك بالنهار فان سمتك بالنهار للمخلوقين وسمتك بالليل لرب العالمين
وقال ابو سليمان التوقي على العمل اشد من العمل وقال ابن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو
بخراسان قيل كيف ذلك قال يحب ان يذكر انه مجاور بمكة وقال ابراهيم بن ادهم ما صدق الله من اراد ان يشتهر

بيان حقيقة الرياء وما يراءى به اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وانما الرياء اصله
طلب المنزلة في قلوب الناس بارائهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة تطلب في القلب باعمال سوى
العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات
واظهارها فحد الرياء هو ارادة العباد بطاعة الله عز وجل فالمرائي هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم
لطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به هو الخصال التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصد اظهار ذلك المرائي
شيئا والمراءى به كثير وتجمعه خمسة اقسام وهي مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو البدن والزي والقول والعمل
والاتباع والاشياء الخارجة وكذلك اهل الدنيا يراءون بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الرياء
باعمال ليست من جملة الطاعات اهون من الرياء بالطاعات الاول الرياء في الدين من جهة البدن وذلك باظهار
النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة الخوف للآخرة وليدل بالنحول على
قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن في الدين وكذلك يرائي بتشعث الشعر ليدل على استغراق
الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه اسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور فارتاحت
النفس لمعرفتهم فلذلك تدعو النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين و
ذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذي خفض من صوته او ضعف الجوع
هو الذي ضعف قوته وعن هذا قال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام اذا صام احدكم فليدهن راسه ويرجل
شعره ويكحل عينيه وكذلك روي عن ابي هريرة وكذلك كله للخوف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ولذلك قال
ابن مسعود رضي الله عنه اصبحوا صياما مدهنين فهذه مراءاة اهل الدين بالبدن فاما اهل الدنيا فيراءون باظهار
السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن والثوب وقوة الاعضاء وتناسبها
القسم **الثاني الرياء بالزي** والهيئة اما الهيئة فتشعيث شعر الراس وحلق الشارب واطراق الراس في
المشي والهدوء في الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب من الساق
وتقصير الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه انه متبع للسنة فيه ومقتد
بعباد الله الصالحين ومن ذلك لبس المرقع والصلوة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع
الافلاس من حقائق التصوف في الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ليرى به انه قد انتهى تقشفه
الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان
يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم انه من اهل العلم والمراءون بالزي على طبقات منهم من يطلب المنزلة عند اهل
الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائي بغلظها وقصرها ووسخها
وتخرقها ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه ان يقول
الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح
وعند اهل الدنيا من الملوك والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردتهم القراء ولو لبسوا الثياب الخلقة المخرقة ازدرتهم
الاعين عين الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف
الدقيقة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة ثيابهم قيمة ثياب الاغنياء ولونه وهيئته لون
ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء لو كلفوا لبس ثوب خشن او وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا
من السقوط عن اعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس الديبقي والكتان الرقيق الابيض والقصب المعلم وان
كان قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم عليهم خوفا من ان يقول اهل الصلاح قد رغب في زي اهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى
منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى ما دونه او ما فوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة واما اهل الدنيا
فمراءاتهم بالثياب النفيسة والمراكب والخيول وانواع التوسع في المسكن والملبس واثاث البيت وفره الخيول والثياب
المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا
للناس على تلك الهيئة ما لم يبالغوا في الزينة **القسم الثالث الرياء بالقول** ورياء اهل الدين بالوعظ والتذكير و
النطق بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاجل الاستعمال في المحاورة اظهارا لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية
باحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق و
اظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت
بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروي الحديث

ببيان ذلك في لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار الفضل فيه وفي
المجادلة على قصد الافحام للخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير وانواعه لا تنحصر واما اهل
الدنيا فمراياتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو والغريب للاغراب
على اهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب **القسم الرابع الرياء بالعمل** كمراياة المصلي بطول
القيام ومده وتطويل السجود والركوع واطراق الرأس وترك الالتفات واظهار الهدوء والسكون وتسوية
القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج والصدقة واطعام الطعام وبالاخبات في المشي عند اللقاء كارخاء
الجفون وتنكيس الرأس والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع في المشي الى حاجته حتى اذا اطلع عليه واحد من اهل
الدين رجع الى الوقار واطراق الرأس خوفا من ان ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل رجع الى العجلة فاذا راه
عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله تعالى حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى ان لا يعتقد فيه انه
ليس من العباد والصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا استحيى من ان يخالف مشيته في الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه
المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا راه لم يفتقر الى التغيير ويظن انه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف فيه رياؤه فانه صار في
خلوته ايضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملأ لا لخوف من الله تعالى وحياء منه واما اهل الدنيا
فمراياتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك
على الجاه والحشمة **القسم الخامس المراياة بالاصحاب** والزائرين والمخالطين كالذي يتكلف ان يستزير عالما من العلماء
ليقال ان فلانا قد زار فلانا او عابدا من العباد ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه او ملكا من
الامراء او عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقي
شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراياته يترشح عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ
وانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت المشايخ وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به المراؤون وكلهم
يطلبون به الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين
كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى
جريمة في ديره او صومعته لتشوش عليه ولم يقنع بعلم الله تعالى ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في
ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قد قطع طمعه من اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه في اسبابه فانه
نوع قدرة وكمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن اكثر الناس جهال ومن المرائين
من لا يقنع بقيام منزلته في القلوب بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار
الصيت في البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك ليقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يديه فيقوم
له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل الى جمع حطام الدنيا وكسب مال ولو من الاوقاف
واموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراؤون بالاسباب التي ذكرناها
فهذه حقيقة الرياء وما يقع به الرياء فان قلت فالرياء حرام او مكروه او مباح او فيه تفصيل فاقول
فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات او بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو مثل
طلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يكتسب المال بتلبيسات واسباب محظورة فكذلك الجاه
وكما ان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به من الآفات محمود
وهو الذي طلبه يوسف حيث قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم ناقع وترياق نافع
فكذلك الجاه وكما ان كثرة المال يلهي ويطغي وينسي ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثرة الجاه بل اشد وفتنة الجاه

اعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول ان تملك المال الكثير حرام فلا نقول بان تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حمل
كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم الى كثرة
المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها واما سعة الجاه من غير حرص منك على
طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه
الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف
بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراياة وليس هو بحرام
لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روي عن عائشة رضي
الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يخرج الى الصحابة فكان ينظر في جب الماء ويسوي عمامته وشعره
فقالت او تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم
هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لانه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع
واستمالة قلوبهم ولو سقط عن اعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه ان يظهر لهم محاسن احواله لئلا
تزدريه اعينهم فان اعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد النبي صلى الله عليه وسلم
ولو قصد قاصد به ان يحسن نفسه في اعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم
كان قد قصد امرا مباحا اذ للانسان ان يحذر من الم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه
واستقذروه لم يأنس بهم فاذن المراياة بما ليس من العبادات قد تكون مباحا وقد تكون طاعة وقد تكون
مذموما وذلك بحسب الغرض المطلوب به ولذلك نقول الرجل اذا انفق ماله على جماعة من الاغنياء
لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخي فهذا مراياة وليس بحرام وكذلك امثاله واما
العبادات كالصدقة والصلاة والغزو والحج فللمرائي فيه حالتان احداهما ان لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون
الاجر فهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا ليس يقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته
حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم لما دل عليه الآيات والاخبار والمعنى فيه امران احدهما
يتعلق بالعبادة وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من اهل الدين وليس كذلك والتلبيس
ايضا في امر الدنيا حرام حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم به لما فيه من
التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر والثاني يتعلق بالله وهو انه مهما قصد بعبادة الله خلق الله فهو مستهزئ
بالله ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله عز وجل انظروا اليه كيف يستهزئ بي ومثاله ان يتمثل بين يدي
ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وانما وقوفه لملاحظة جارية من جواري الملك او غلام من
غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بالخدمة بل قصد بذلك عبدا من عبيده فاي
استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله مراءاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك
الا لانه يظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله وانه اولى بالتقرب اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك
فجعله مقصود عبادته فاي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه
النبي عليه الصلاة والسلام الشرك الاصغر نعم بعض درجات الرياء اشد من بعض كما سيأتي في بيان
درجات الرياء ولا يخلو شيء منه عن اثم غليظ او خفيف بحسب ما به الرياء ولو لم يكن في الرياء الا انه يركع ويسجد
لغير الله لكان فيه كفاية فانه وان لم يقصد التقرب الى الله عز وجل فقد قصد غير الله لعمري لو عظم
غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة

ان يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا انه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فعن هذا كان شركا خفيا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون من نفعه وضره ورزقه واجله ومصالح حاله وماله اكثر مما يملكه الله عز وجل فلذلك عدل بوجهه عن الله عز وجل اليهم واقبل بقلبه عليهم يستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله اليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده شيئا بل يقول الانبياء فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتقبه لطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي ان يشك في ان المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر فاما اذا قصد الاجر والحمد جميعا في صدقته وصلوته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص ويدل على ما ذكرناه في الآثار من قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت انه لا اجر فيه اصلا

بيان درجات الرياء اعلم ان بعض ابواب الرياء اشد واغلظ من بعض واختلافه باختلاف اركانه وتفاوت الدرجات فيه واركانه ثلاثة المرايا به والمرايا لاجله ونفس قصد الرياء **الركن الاول نفس قصد الرياء** وذلك لا يخلو اما ان يكون مجردا دون ارادة الله والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان يكون ارادة الثواب اقوى واغلب او اضعف او مساويا لارادة العباد فيكون الدرجات اربعا

الدرجة الاولى وهي اغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذي يصلي بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده الى الرياء فهو الممقوت عند الله وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما اداه فهذا من الدرجة العليا من الرياء **الدرجة الثانية** ان يكون قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان قصد الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل فلا ينفي عنه المقت والاثم **الدرجة الثالثة** ان يكون قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة او كان كل واحد لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فنرجو ان يسلم راسا براس لا له ولا عليه او يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص **الدرجة الرابعة** ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما اقدم فالذي نظنه والعلم عند الله عز وجل انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه ينقص منه او يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب واما قوله تعالى انا اغنى الاغنياء عن الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان او كان قصد الرياء ارجح **الركن الثاني** المرايا به وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء باوصافها **القسم الاول** وهو الاغلظ الرياء بالاصول وهي على ثلاث درجات الدرجة الاولى **الرياء باصل الايمان** وهذا اغلظ ابواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض الآية وقال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقال تعالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا

وفي بعض الكتب عبدي لخشيت بالمعاصي من خلقي لصلحت امرنا الناظر من الملائكة ومعناه في الطاعة اذا كان لغير الله مثله

والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الاسلام ممن يدخل في ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا الى قول الملحدة او يعتقد طي بساط الاحكام ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر **الدرجة الثانية الرياء باصول العبادات** مع التصديق باصل الدين وهذا ايضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله ان يكون مال الرجل في يد غيره فيامره باخراج الزكوة خوفا من ذمه والله يعلم منه انه لو كان في يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلوة وهو في جمع وعادته ترك الصلوة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها او يصل رحمه او يبر والديه لا عن رغبة ولكن خوفا من الناس او يغزو او يحج لذلك فهو مراء معه اصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لغير الله لم يفعل ولكنه يترك العبادة للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محمدتهم اشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن اصل الايمان من حيث الاعتقاد **الثالثة** ان لا يرائي بالايمان ولا بالفرائض ولكن يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة في الصلوة وعيادة المريض واتباع الجنائز وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لما زاد على اداء الفرائض فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذي قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون الخالق وكان ذم الخلق اعظم عنده من عقاب الله واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركه فكانه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء باصول العبادات **القسم الثاني** الرياء باوصاف العبادات لا باصولها وهي ايضا على ثلاث درجات **الدرجة الاولى** ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا رآه الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه اي انه ليس يبالي باطلاع الله تعالى عليه في الخلوة فاذا اطلع آدمي عليه احسن الصلوة ومن جلس بين يدي انسان متربعا او متكئا فدخل غلامه فاستوى جالسا واحسن الجلسة كان ذلك منه تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلوة في الملا دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكوة من الدنانير الرديئة ومن الحب الرديء فاذا اطلع عليه غيره اخرجه من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لا لاجل العبادة للصوم خوفا من المذمة فهذا من الرياء المحظور لان فيه تقديما للمخلوق على الخالق ولكنه دون الرياء باصول التطوعات فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم يريد بالسنة المغتابين عن الغيبة فانهم اذا راوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا السنتهم بالذم والغيبة فانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة الشيطان عندك وتلبيس وليس كذلك فان ضررك من نقصان صلوتك وهي خدمة منك لمولاك اعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك اكثر وما انت في هذا الا كمن يهدي وصيفة الى ملك لينال منه ولاية يتقلدها فيهديها اليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان الملك على الخلوة فاذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك يكون

العبادات ص

مراقبة الملائكة ثم للمرائي فيه حالتان احداهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا والثانية ان
يقول ليس لي الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت لكانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بذمهم وغيبتهم
فاستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا ارجو عليه ثوابا فهو خير من ان اترك تحسين الصلوة فيفوت الثواب
وتحصل المذمة فهذا فيه ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص فان لم تحضره النية فينبغي ان يستمر على عادته
في الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراياة بطاعة الله تعالى فان ذلك استهزاء كما سبق **الدرجة الثانية** ان يرائي
بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام
وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة
وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في الزكوة واعتاق الرقبة في الكفارة
وكل ذلك مما لو خلي ونفسه لكان لا يقدم عليه **الدرجة الثالثة** ان يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل ايضا كحضوره الجماعة
قبل القوم وقصده الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه
لكان لا يبالي اين وقف ومتى يحرم بالصلوة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يراءى به وبعضها اشد من بعض وكله
مذموم **الركن الثالث المرائى لاجله** فان للمرائي مقصودا لا محالة فانه يرائي لادراك مال او جاه او غرض من الاغراض
لا محالة وله ايضا ثلاث درجات **الاولى** وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده التمكن من معصية كالذي
يرائي بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى
القضاء والاوقاف والوصايا واموال الايتام فياخذها او يسلم اليه تفرقة الزكوة والصدقات ليستأثر بما يقدر
عليه منها او يودع الودائع فياخذها ويجحدها او يسلم اليه الاموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها او كلها او يتوصل
بها الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي الصوفية وهيئة الخشوع وكلام الحكمة والحكماء على سبيل
الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى غير الله تعالى اما الى امرأة او غلام لاجل الفجور او لاجل التزوج بالمرأة وقد يحضرون
من الناس مجالس العلم والتذكير والوعظ وحلق القراء خلق يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء
والصبيان او يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امرأة او غلام وهؤلاء ابغض المرائين
الى الله عز وجل لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته وجعلوا هذه الاشياء توصلا الى اغراضهم واتخذوها
آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هؤلاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو
مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس
بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى الفجور بامرأة
او غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى **الثانية** ان يكون غرضه نيل مباح من حظوظ
الدنيا من مال او نكاح امرأة جميلة او شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل
له الاموال وترغب في نكاحه النساء فيقصد اما امرأة بعينها لينكحها او امرأة شريفة على الجملة وكالذي يرغب
في ان يتزوج بنت عالم زاهد عابد فيظهر العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه
طلب بطاعة الله متاع الحيوة الدنيا ولكنه دون الاول لان المطلوب بهذا مباح في نفسه **الثالثة**
ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح ولكن يظهر عبادته خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص ولا
يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي ويطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك
العجلة لئلا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار وكذلك يسبق الى الضحك ويبدو منه المزاح
فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول

ما اعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف ان ينظر
اليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح او يتهجدون او يصومون
الاثنين والخميس او يتصدقون فيوافقهم خيفة ان ينسب الى الكسل او يلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل
شيئا منه وكالذي يعطش في يوم عرفة وفي يوم عاشوراء او في الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس
انه غير صائم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل لاجله او يدعى الى الطعام فيمتنع ليظن انه صائم وقد لا يصرح
بانه صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فانه يري انه صائم ثم يري انه مخلص ليس بمراء وانه
يحترز من ان يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد ان يقال انه ساتر لعبادته ثم انه ان اضطر ولم يصبر
عن ان يذكر لنفسه عذرا تصريحا او تعريضا بان يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم او
يقول افطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كيلا يظن به انه يعتذر رياء ولكنه يصبر
ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل ان يقول ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة في ان ياكل الانسان
من طعامه وقد الح اليوم علي ولم اجد بدا من تطييب قلبه فافطرت اليوم ثم يصبر ساعة ويقول هاتوا
الماء او يقول ان امي ضعيفة القلب رقيقة شفيقة علي تظن اني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني ان
اصوم فهذا وما يجري مجراه علامة الرياء فلا يسبق الى اللسان لرسوخ عرق الرياء في الباطن اما المخلص
فلا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة في الصوم لله تعالى فقد علم الله سبحانه ولم يشرك فيه
غيره وقد يخطر له ان في اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسيأتي
شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب اصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله تعالى وغضبه و
هو من اشد المهلكات وان من شانه ان فيه شوائب هي اخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر يزل فيه فحول العلماء
فضلا عن العباد الجهلة بآفات النفس وغوائل القلوب **بيان الرياء الخفي** الذي هو اخفى من دبيب
النمل اعلم ان الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا
هو ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه يخفف العمل الذي اريد به وجه الله تعالى كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه
فاذا نزل عنده ضيف نشط وخف عليه وعلم انه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان واخفى
من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في
الدعاء الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص
في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن اذا اطلع الناس عليه سره ذلك وارتاح له وروح
ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يترشح السرور ولولا التفات القلب الى الناس
لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فاظهر منه اطلاع الخلق
اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق
الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء
الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن
بالشمائل كالذي يظهر منه النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع و
غلبة النعاس الدال على طول السهر والتهجد واخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته و
لكنه مع ذلك اذا رأى الناس احب ان يبدؤه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه وان ينشطوا في
قضاء حوائجه وان يسامحوه في البيع والشراء وان يوسعوا له في المكان فان قصر فيه مقصر ثقل على قلبه ووجد لذلك استبعادا
في نفسه كان نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي اخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان

ضيف صح

يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم
الله تعالى ولم يكن خاليا عن شوب خفي من الرياء اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر و
لا يسلم منه الا الصديقون وقد روي عن علي رضي الله عنه انه قال ان الله تعالى يقول للقراء يوم القيامة الم يكن يرخص
عليكم السعر الم تكونوا تبتدءون بالسلام الم تكن تقضى لكم الحوائج وفي الحديث الآخر لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال
ابن المبارك يروى عن وهب بن منبه انه قال ان رجلا من السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة
الطغيان فنخاف ان نكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا
اذا لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فاحب
ان يتبرك به فقصده في موكبه فلما راى السائح السهل والجبل قد امتلأ بالناس قال ما هذا قالوا الملك قد
اظلك فسلم عليك فقال للغلام ائتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه
ويأكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا هو فقال له الملك كيف انت فقال كالناس وفي حديث
آخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي
ذام وسجد لله شكرا ولم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي مجتهدين لذلك في مخادعة الناس عن اعمالهم
الصالحة يحرصون على اخفائها اعظم مما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء ان تخلص اعمالهم فيجازيهم
الله تعالى يوم القيامة باخلاصهم على ملا من الخلق اذ علموا ان الله تعالى لا يقبل في القيامة الا الخالص وعلموا شدة
حاجتهم وفاقتهم في القيامة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ولا يجزي والد عن ولده
ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا
توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع انفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم بان ارباب البوادي لا يروج عندهم
الزائف والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص من النقد فكذا
يشاهد ارباب القلوب يوم القيامة والزاد الذي يتزودونه من التقوى فاذن شوائب الرياء الخفي كثيرة
لا تنحصر ومهما ادرك من نفسه تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه
عن البهيمة لم يبال حضره البهائم والصبيان الرضع ام غابوا اطلعوا على حركته او لم يطلعوا ولو كان مخلصا
قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلاء لا يقدرون له على رزق
واجل وزيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه
شوب خفي وليس كل شوب محبطا للعمل للاجر ومفسدا للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى احدا ينفك عن
السرور اذا عرفت طاعته فالسرور كله مذموم او بعضه محمود فنقول اولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور
منقسم الى مذموم والى محمود والمحمود اربعة **الاول** ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله سبحانه
ولكن لما اطلع الخلق علم ان الله اطلعهم واظهر الجميل وستر القبيح فيستدل به على حسن صنيع الله تعالى به و
نظره اليه والطافه فانه يستر على الطاعة والمعصية ثم يستر المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف اعظم من
ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال الله
عز وجل قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وكانه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به **الثاني** ان
يستدل باظهار الله عز وجل الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعله في الآخرة اذ قال النبي صلى الله
عليه وسلم ما ستر الله على عبد في الدنيا ذنبا الا ستره عليه في الآخرة فكان الاول فرحا بالقبول في الحال
من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل **الثالث** ان يظن رغبة المطلعين في الاقتداء به في
الطاعة فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما اظهر آخرا واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى به

في طاعة فله اجر اعمال المقتدين من غير ان ينقص من اجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بان يكون سببا
للسرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة **الرابع** ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح
بطاعتهم لله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة اذ من اهل الايمان من يرى اهل الطاعة
فيمقته ويحسده ويذمه ويهزأ به وينسبه الى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة
الاخلاص في هذا النوع ان يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه **واما المذموم** فهو الخامس وهو
ان يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالا
كرام في مصادره وموارده فهذا مكروه

بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط

فنقول
اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو اما ان يرد عليه بعد فراغه
من العمل او قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يحبط العمل اذ العمل
قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء فما يطرأ عليه بعده فنرجو ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما اذا لم
يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمن ذكره واظهاره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله عز وجل ولم
يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ولكن
ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف وفي الآثار والاخبار ما يدل على انه يحبط
فقد روي عن ابن مسعود انه سمع رجلا يقول قرأت البارحة البقرة فقال ذلك حظه منها وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال له ما صمت ولا افطرت
فقال بعضهم انما قال ذلك لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهية صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل ان يكون ذلك
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده
لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان يقال انه مثاب
على عمله الذي مضى ومعاقب على مراياته بطاعة الله عز وجل بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده
الى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فان ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل واما اذا ورد وارد الرياء قبل
الفراغ من الصلاة فان كان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد وارد الرياء بعد العقد فلا يخلو اما ان يكون
مجرد سرور لا يؤثر في العمل واما ان يكون رياء باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العبادة به
حبط اجره ومثاله ان يكون في تطوع فتجددت له نظارة او حضر ملك من الملوك وهو يشتهي ان ينظر اليه او
يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد ان يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفا من مذمة الناس
فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العمل كالوعاء
اذا طاب آخره طاب اوله اي النظر الى الخاتمة وروي انه من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهذا منزل
على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء من ذلك منفرد فما يطرأ يفسد
الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلاة فاما اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام
من اجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثناء صلاته ففرح بحضورهم وانعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة
لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات
فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب فهذا وقصد العبادة مغمور فهذا ايضا ينبغي
ان يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا
يطرأ عليها ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا يفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء اصل الثواب

وان ضعف بجوم قصد هو اغلب منه ولقد ذهب الحارث المحاسبي رحمه الله الى الاحتياط فيما هو اهون منه
وقال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو حب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس في
هذا فصارت فرقة الى انه محبط لانه قد نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص
وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط وان لم يزد في العمل ولا امن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف
الناس والاغلب على قلبي انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء فان قيل قد قال الحسن رحمه الله انما هو حالتان فاذا
كانت الاولى لله لم يضره الثانية وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اسر العمل لا
احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر واجر العلانية ثم تكلم على الاثر والخبر فقال اما الحسن
فانه اراد بقوله لا يضره اي لا يدع العمل ولا يضره الخطرة وهو يريد الله عز وجل ولم يقل اذا اعتقد
الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة اوجه
احدها انه يحتمل انه اراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه قبل الفراغ والثاني انه اراد ان يسره
للاقتداء الناس به والسرور آخر محمود كما ذكرناه من قبل لا سرورا بسبب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه
جعل له به اجرا ولا ذاهب من الامة الى ان للسرور بالمحمدة اجرا وغايته ان يعفى عنه وكيف يكون للمخلص اجر و
للمرائي اجران والثالث قال اكثر من يروي الحديث يرويه غير متصل الى ابي هريرة بل اكثرهم توقفه على
ابي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء اولى من هذا ما ذكره ولم يقطع به بل اظهر
ميلا الى الاحتياط والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي العمل صادرا من باعث
الدين وانما انضاف اليه سرور بالاطلاع فلا يفسد العمل به لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك
النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام واما الاخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا
الخلق واما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب او اغلب منه اما اذا
كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال ولا ينبغي ان تفسد الصلاة ولا يبعد
ايضا ان يقال ان الذي اوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله تعالى والخالص ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا
للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما اوفى مما اوردناه الآن فليرجع
اليه فهذا حكم الرياء الطاري بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ واما بعد الفراغ **القسم الثالث** الذي
يقارن حال العقد بان يبتدئ الصلاة على قصد الرياء فان تم عليه حتى سلم فلا خلاف في انه يقضي ولا يعتد
بصلاته وان ندم عليه في اثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة اوجه فرقة قالت لم ينعقد
صلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة تلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد افعاله
دون تحريمة الصلاة لان التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه
اعادة شيء بل يستغفر الله تعالى بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ
بالاخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا ازيل
العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا يكون الا لله تعالى ولو سجد لغير الله
سبحانه لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد
الناس وذمهم فتصح صلاته ومذهب الفرقتين الاخريين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال
يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت افعالا زائدة في الصلاة
تبطل الصلاة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو ضعيف ايضا لان الرياء يقدح في

النية واولى الاوقات بمراعاتها احكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال
ان كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم
يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه
نجسا لكان ايضا يصلي لاجل الناس فهذه صلاة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لا باعث
ولا اجابة فاما لو كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهرت له الرغبة في المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان
فهذا اما ان يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم او في عقد صلاة وحج فان كانت في صدقة
فقد عصى باجابة باعث الرياء واطاع باجابة باعث الثواب ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الآخر وان كان
في صلاة تقبل الفساد بتطرق الخلل الى النية فلا يخلو اما ان يكون نفلا او فرضا فان كان نفلا فحكمها حكم الصدقة
فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذ اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن ان يقال ان صلاته فاسدة والاقتداء
به باطل حتى ان من يصلي التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع
الناس خلفه ولو خلا في البيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه
يقصد الثواب ايضا بتطوعه فيصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر هو
به عاص فاما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما
فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا
حتى لو لم يكن باعث الرياء لادى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لانشأ صلاة تطوعا لاجل الرياء فهذا في محل
النظر وهو محتمل فيحتمل ان يقال ان الواجب صلاة خالصة لوجه الله تعالى ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل ان يقال
ان الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما
لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلاة في الدار المغصوبة فانه مطيع باصل الصلاة ومسقط
الفرض عن نفسه فتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في اصل الصلاة واما اذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون
اصل الصلاة مثل من بادر في اول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلاة لاجل الرياء
فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لان باعث اصل الصلاة من حيث انها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث
تعيين الوقت فهذا ابعد عن القدح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه فاما مجرد السرور باطلاع
الناس اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل فبعيد ان يفسد الصلاة فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسألة غامضة
من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في الفقه والذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء
في صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه
هو الاقصد فيما نراه والله اعلم **بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب** فيه لقد عرفت مما سبق ان الرياء محبط
للاعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد في ازالته ولو
بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا في شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبي يخلق
ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة
ويرسخ ذلك في قلبه وذهنه وانما يشعر بكونه ذلك مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على
قمعه الا بمجاهدة شديدة لقوة الشهوات فلا ينفك احد من الخلق عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق اولا
وتخف آخرا وفي علاجه مقامان احدهما قطع عروقه واصوله التي منها انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال

المقام الاول في قطع عروقه واستئصال اصوله واصله حب الجاه والمنزلة واذا فصل رجع
الى ثلاثة اصول وهو حب لذة الحمد والفرار من الم الذم والطمع فيما في ايدي الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب
وانها الباعثة للمرائي ما روى ابو موسى ان اعرابيا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل
حمية ومعناه انه يانف ان يقهر او يذكر بانه مقهور او مغلوب وقال الرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب
لذة الجاه والمنزلة والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله تعالى وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة وكتبوا
الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال عمر رضي
الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله قد ملا دفتي راحلته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم من غزى لا يبغي الا عقالا
فله ما نوى فهذا اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من الم الذم كالبخيل بين الاسخياء
وهم يتصدقون بالمال الكثير فيتصدق هو بالقليل حتى لا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين
الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد فقد هجم غيره على صف القتال وكان اذا ايس من الحمد
كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات كيلا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان
على الصبر على الم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل فهذه الاحوال الثلاثة هي التي
تحرك المرائي الى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يخفى
ان الانسان انما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المآل فان علم انه لذيذ في الحال
ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن علم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض عنه فكذلك
طريق قطع هذه الرغبة ان يعلم ما فيه من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه
في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله تعالى وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي
الظاهر حيث ينادى على رؤس الخلائق يوم قيام الاشهاد يا فاجر يا غادر يا مرائي اما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله
تعالى عرض الدنيا راقبت قلوب العباد واستهزات بطاعة الله تعالى وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله تعالى وتزينت
لهم بالشين عند الله تعالى وتقربت اليهم بالبعد من الله تعالى وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله تعالى اما كان احد
اهون عليك من الله تعالى فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته من
الآخرة وما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد
بالرياء حول الى كفة السيئات فيترجح به ويهوي الى النار فلو لم يكن في الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا
في معرفة ضرره وان كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو المرتبة عند الله
تعالى في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد الى صف النعال من مراتب الاولياء
هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضى الناس غاية لا تدرك وكل
ما يرضى به فريق يسخطه فريق ورضى بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله سبحانه
تعالى عليه واسخطهم عليه ايضا ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله عز وجل لاجل حمدهم ولا يزيده حمدهم و
مدحهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة واما الطمع لما في ايديهم فبان يعلم ان الله
تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل
من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والاستهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد قد
يصيب وقد يخطي فاذا اصاب فلا تفي لذته بالم منته ومذلته واما ذمهم فلم يخاف ويحذر منه ولا يؤخر رزقه ولا يعجل اهل

النار ان كان من اهل الجنة ولا يبغضه الى الله تعالى ان كان محمودا عند الله تعالى ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا
عند الله تعالى فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه
هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله تعالى بقلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه
ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله تعالى عن سره حتى يبغضه
الناس ويعرفهم انه مراء وممقوت عند الله تعالى ولو اخلص لله لكشف الله سبحانه لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم
له واطلق السنتهم بحمده والثناء عليه مع انه لا كمال في حمدهم ولا نقصان في ذمهم كما قال الشاعر من بني تميم ان مدحي
زين وان ذمي شين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ذاك الله الذي لا اله الا هو سبحانه وتعالى اذ لا زين
الا في حمد الله ولا شين الا في ذمه فاي خير لك في مدح الناس وانت عند الله مذموم ومن اهل النار واي
شر لك من ذم الناس وانت محمود عند الله في زمرة المقربين فمن احضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة
عند الله تعالى استحقر ما يتعلق بالخلق ايام الحيوة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى
الله تعالى وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من اخلاصه انوار على قلبه ينشرح بها صدره
وينفتح له من لطائف المكاشفات ما يزيد به انسه بالله تعالى ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه
للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الاول هي
الادوية العلمية القالعة مغارس الرياء واما الدواء العملي فهو ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها
كما يغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله تعالى واطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله
تعالى به وقد روي ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا
بعد هذا فلم يرخص في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الاخفاء و
ذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل الطاف الله
الله تعالى وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتاييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد
المجاهدة ومن الله تعالى الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله العظيم فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين وان
تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما **المقام الثاني** في دفع العارض منه في اثناء العبادة وذلك لا بد
من تعلمه ايضا فان من جاهد نفسه وقطع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه من اعين الخلق و
استحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في اثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء ولا ينقطع عنه
نزغاته وهوى النفس وميلها لا يمحى بالكلية فلا بد ان يتشمر لدفع ما يعرض من خطرات الرياء وخواطر الرياء ثلاثة وقد
يخطر دفعة واحدة كالخطرة الواحدة وقد تترادف بالتدريج فالاول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم
يتلوه هيجان النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه قبول النفس له والركون اليه وعقد
الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد و
انما كمال القوة في دفع الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق او رجاء اطلاعهم
دفع ذلك بان يقال ما لك وللخلق علموا او لم يعلموا والله عالم بحالك واي فائدة في علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة
الحمد يذكر ما رسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله في القيمة وخيبته في احوج اوقاته
الى اعماله فكما ان معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك
الشهوة اذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعذابه الاليم والشهوة تدعوه الى القبول والكراهة تدعوه الى الاباء و
النفس تطاوع لا محالة اقويهما واغلبهما فاذا لا بد في رد الرياء من ثلاثة امور المعرفة والكراهة والاباء وقد يشرع

هم

كالخطرة صح

الرغبة من

العبد في العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا يحضره المعرفة والكراهة التي كان اضمر
منطويا عليها وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب المدح واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في
القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بافات الرياء وشؤم عاقبته اذ لم يبق في القلب موضع خال
عن شهوة الحمد او خوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على الحلم عند جريان سبب
الغضب ثم يجري من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابق عزمه ويمتلي قلبه غيظا يمنع ذكر افة الغضب و
يشغل عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملا القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب واليه اشار
جابر رضي الله عنه بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت
فانسيناها يوم حنين حتى نودي يا اصحاب الشجرة فرجعوا وذلك ان القلوب امتلأت بالخوف فنسيت
العهد السابق حتى ذكروا واكثر الشهوات التي تهجم فجاءة هكذا اذ ينسى معرفة مضرتها الداخلة في عقد الايمان و
مهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم ان الذي خطر له هو خاطر الرياء
الذي يعرضه لسخط الله عز وجل ولكنه يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال
فيسوف بالتوبة او يتشاغل عن التفكر في ذلك لشدة الشهوة فكم عالم يحضره كلام لا يدعوه اليه الا رياء
الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فيكون الحجة عليه اوكد اذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه
مذموما عند الله ولا ينفعه معرفته اذ خلت المعرفة عن الكراهة وقد يحضره المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك
يقبل داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا ايضا لا ينتفع بكراهته
اذ الغرض من الكراهة ان تصرف عن الفعل فاذن لا فائدة الا في اجتماع الثلاث وهي المعرفة والكراهة
والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم وضعف المعرفة
بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الاخرة وقلة التامل في افات
الحيوة الدنيا وعظم نعيم الاخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات
فهو راس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب
وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وانوار العلوم فان
قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع
اليه وحبه له ومنازعته اياه الا انه كاره لحبه وميله وغير مجيب اليه فهل يكون في زمرة المرائين فاعلم
ان الله عز وجل لم يكلف العبد الا ما يطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع
حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينازع اليها وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب
وعلم الدين واصول الايمان بالله واليوم الاخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية في اداء ما كلف ويدل على ذلك من
الاخبار ما روي ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شكوا اليه وقالوا تعرض لقلوبنا اشياء لان نخر من السماء
فتخطفنا الطير او تهوي بنا الريح في مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم به قال او قد وجدتموه قالوا نعم
قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس والكراهية له ولا يمكن ان يقال اراد بصريح الايمان
الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وان كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق
الله عز وجل فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبان يندفع ضرر الاصغر اولى وكذلك يروى عن النبي عليه
الصلوة والسلام في حديث ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الحمد لله الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة
وقال ابو حازم ما كان من نفسك وكرهته نفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته

نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذن وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت
مرادهما بالاباء والكراهة والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للاسباب المهيجة للرياء
هي من الشيطان والرغبة والميل بعد ذلك الخواطر من النفس والكراهة من الايمان ومن اثار العقل
الا ان للشيطان ههنا مكيدة وهي انه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه ان صلاح قلبه في الاشتغال
بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال
بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله فيوجب ذلك نقصانا في منزلته عند الله و
المتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على اربع مراتب الاولى ان يرد على الشيطان مكيدته ولا يقتصر عليه
بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه ان ذلك اسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل
عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال
قطاع الطريق نقصان في السلوك **الرتبة الثانية** ان يعرف ان القتال والجدال نقصان في السلوك
فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته **الثالثة** ان لا يشتغل بتكذيبه ايضا لان ذلك وقفة و
ان قلت بل يكون قد تقرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا
للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة **الرابعة** انه يكون قد علم ان الشيطان سيحسده عند
جريان اسباب الرياء فيكون قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان زاد في العبادة التي هو فيها من الاخلاص
والاشتغال بالله واخفاء الصدقة غيظا للشيطان فذاك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه
وقنوطه حتى لا يرجع يروى عن الفضيل بن غزوان انه قيل له ان فلانا يذكرك فقال والله لاغيظن من امره
قيل ومن امره قال الشيطان قال اللهم اغفر له اي لاغيظنه بان اطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد
هذه العادة كف عنه خيفة من ان يزيد في حسناته وقال ابراهيم التيمي ان الشيطان ليدعو العبد الى الباب من
الاثم فلا يطعه وليحدث عند ذلك خيرا فاذا راه كذلك تركه وقال ايضا اذا راك الشيطان مترددا طمع
فيك واذا راك مداوما ملك وقلاك وضرب الحارث المحاسبي لهذه الاربعة مثلا احسن فيه فقال
مثلهم كاربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على
ذلك ضال مبتدع وخاف ان يعرفوا الحق فتقدم الى واحد منهم فمنعه وصرفه عنه ودعاه الى مجلس ضلال فابى
فلما عرف اباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن ان ذلك مصلحة وهو غرض الضال
ليفوت عليه بقدر تاخره فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه فوقف ودفع في نحر الضال ولم يشتغل
بالقتال واستعجل ففرح به الضال بقدر توقفه للدفع فقط ومر به الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل
بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه بالكلية ثم مر الرابع فلم يتوقف واراد ان يغيظه فزاد
في عجلته وترك التاني في المشي فيوشك ان عادوا ومروا عليه مرة اخرى ان يعاود الجميع الا هذا الاخير فانه
لا يعود اليه خيفة ان يزداد فائدة باستعجاله فان قلت فالشيطان اذا كان لا يؤمن من نزغاته فهل يجب
الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظارا لوروده او يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له او يجب الاشتغال بالعبادة
والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة اوجه فذهب فرقة من اهل البصرة ان الاقوياء قد استغنوا
عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله فاشتغلوا بحبه فاعتزلهم الشيطان وايس منهم وخنس عنهم
كما ايس من ضعفاء العباد في الدعوة الى الخمر والزنا فصار ملاذ الدنيا عندهم وان كانت مباحة كالخمر والخنزير
عندهم واذ خلوا منها بالكلية لم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى الحذر وذهبت فرقة من اهل

الشام الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه ونقص توكله فمن تيقن ان لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم ان الشيطان ذليل مخلوق ليس له امر ولا يكون الا ما اراده الله فهو الضار والنافع فالعارف يستحيي منه ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من ان الاقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلا قلبهم عن حب الدنيا وهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا اذ الانبياء لم يتخلصوا من وساوس الشيطان و نزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وساوس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله سبحانه واسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغيره لا ينجو احد من الخطر فيه ولذلك قال الله تعالى وما ارسلنا من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان الاية وقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي مع ان شيطانه قد اسلم ولا يامر الا بخير فمن ظن ان اشتغاله بحب الله تعالى اكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم والخضر وسائر الانبياء فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه ادم وحواء في الجنة التي هي دار الامن والسرور بعد ان قال الله تعالى لهما ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ومع انه لم ينه الا عن شجرة واحدة واطلق له ما وراء ذلك مما اراد فاذا لم يامن نبي من الانبياء وهو في الجنة دار الامن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره في دار الدنيا وذلك منبع الفتن والمحن ومعدن الملاذ والشهوات وقال موسى كما اخبر الله عز وجل عنه هذا من عمل الشيطان الاية ولذلك حذر الله تعالى منه جميع الخلق فقال تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة وقال تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقران من اوله الى اخره تحذير وتخويف منه فكيف يدعي الامن منه والحذر حيث امر الله تعالى به لا ينافي الحذر منه والاشتغال بحب الله تعالى فان من الحب له عز وجل امتثال امره وقد امرنا بالحذر من العدو كما امرنا بالحذر من الكفار فقال تعالى وليأخذوا اسلحتهم وقال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فاذا لزمك بامر الحذر من العدو الكافر وانت تراه فان يلزمك الحذر من العدو الذي لا تراه ويراك اولى ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه ولا يراك يوشك ان تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك ان يظفر بك واشار الى الشيطان فكيف وليس في الغفلة من عداوة الكافر الا قتل هو شهادة وفي اهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذره الله تعالى وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية فعلم ان ذلك قادح في التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما امر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من ظن ان معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل لا ينافي امتثاله التوكل مهما اعتقد القلب ان الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد ان المضل والهادي هو الله ويرى الاسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه في بعض التوكل وهذا ما اختاره المحاسبي وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه ان يكون كلام العباد الذين لا يغزر علمهم ويظنون ان ما هم عليه من الاحوال في بعض الاوقات من الاستغراق بالله وحده يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاث اوجه في كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله العدو فلا ينبغي ان يكون شيء اغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا اذا غفلنا عنه لحظة فيوشك ان يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدي الى خلو القلب عن ذكر الله عز وجل

واشتغال الهم كله بالشيطان وعداوته وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله تعالى ولا ننسى الشيطان وعداوته وللحاجة الى الحذر فنجمع بين الامرين فانا ان نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسب وان تجردنا لذكره كنا قد اهملنا ذكر الله تعالى فالجمع اولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان اما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر الله فلا يخفى غلطه وانما امرنا بالحذر كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب الاشياء على قلبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدي ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فاذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك ان يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم نؤمر بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره واما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ جمعت بين ذكر الله تعالى والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله تعالى وقد امر الله تعالى الخلق بذكره ونسيان ما سواه ابليس وغيره فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله تعالى ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله تعالى لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من ان يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على ان يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليل مرات قبل اوانه لما استكن في قلبه من الحذر مع انه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو واذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى فقد ما تبعه الهوى ولحيا فيه نور العقل والعلم وانماطت عنه ظلمة الشهوات فاهل البصيرة اشعروا قلوبهم عداوة الشياطين وترصده والزموا الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله تعالى ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاءوا بنور الذكر حتى ابصروا خواطر العدو فمثال القلب مثال بئر يراد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منه الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله تعالى قد نزح الماء القذر من جانب ولكن تركه جاريا اليه من جانب فيطول تعبه ولا يجف البئر عن الماء القذر والبصير هو الذي سد مجرى الماء القذر وملأه بالماء الصافي فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر من غير كلفة ولا مؤنة تعب

بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات

اعلم ان في الاسرار في الاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في الاظهار ايضا فائدة ولذلك اثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال عز وجل ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان احدهما في نفس العمل والاخر بالتحدث بما عمل الاول نفس العمل كالصدقة في الملا لترغيب الناس في مثله كما روي عن الانصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما راوه فقال صلى الله عليه وسلم من سن سنة فعمل بها كان له اجرها واجر من اتبعه ويجري سائر الاعمال هذا المجرى من الصلوة والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء في الصدقة على الطباع اغلب نعم الغازي اذا هم بالخروج واستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك افضل له لان الغزو في اصله من اعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليس من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في صلوة الليل لينبه جيرانه واهله فيقتدى به وكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون فيه شوائب الرياء واما ما يمكن اسراره كالصدقة والصلوة فان

كان اظهار الصدقة يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر افضل لان الايذاء حرام و
انه لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية وان كان في العلانية
قدوة وقال قوم السر افضل من علانية لا قدوة فيها اما العلانية للقدوة افضل من السر ويدل على
ذلك ان الله تعالى امر الانبياء باظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان يظن بهم
انهم حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم له اجرها واجر من عمل بها وقد روي ان
عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن بعامله على
عمل السر سبعين ضعفا وهذا لا وجه للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء و
تم الاخلاص على وجه واحد في الحالين فما يقتدى به افضل لا محالة وانما الخوف من ظهور الرياء و
مهما حصل شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في ان السر افضل منه ولكن على
من يظهر العمل وظيفتان **الوظيفة** الاولى ان يظهره حيث يعلم انه يقتدى به او يظن ذلك ظنا ورب
رجل يقتدي به اهله دون جيرانه وربما يقتدي به جيرانه دون اهل السوق وربما يقتدي به اهل
محلته وانما العالم المعروف هو الذي يقتدي به الناس كافة فغير العالم اذا اظهر بعض الطاعات
ربما نسب الى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وانما يصح الاظهار
بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به **الثانية** ان يراقب قلبه فانه ربما
يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتداء وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه مقتدى
به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا الاقوياء المخلصون فلا ينبغي ان يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك
وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة قريبة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى
فرحمهم واقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالماء في الدنيا ساعة وليت كان الهلاك بالرياء
مثله لا بل عذابه دائم مدة وهذه مزلة اقدام العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاقوياء في الاظهار
ولا يقوى قلوبهم على الاخلاص فيحبط اجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان يعرض على
نفسه انه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من اقرانك ويكون لك في السر مثل اجر الاعلان
فان مال قلبه الى ان يكون هو المقتدى وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الاجر واقتداء الناس
ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير والنظر الى غيره واجره فقد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه
يميل الى الاظهار لولا ملاحظته لاعين الخلق ومراياتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوع و
الشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما يسلم الاعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي ان يعدل
بالسلامة شيئا فالسلامة في الاخفاء وفي الاظهار من الاخطار ما لا يقوى عليه امثالنا فالحذر من الاظهار
اولى بنا وبجميع الضعفاء **القسم الثاني** ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر
في هذا اشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في اظهار
الدعاوي عظيمة الا انه لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر في افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه
اهون والحكم فيه ان من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك
عند من يرجو الاقتداء والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل مندوب اليه ان صفت النية وسلمت عن جميع الآفات
لانه ترغيب في الخير والترغيب فيه خير وقد نقل ذلك عن جماعة من السلف الاقوياء قال سعد بن معاذ ما
صليت صلاة منذ اسلمت فحدثت نفسي بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول

لها ولا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت انه حق وقال عمر رضي الله عنه ما ابالي اصبحت
على عسر او يسر لاني لا ادري ايهما خير لي وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما اصبحت على حال فتمنيت ان اكون
في غيرها وقال عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت النبي صلى
الله عليه وسلم وقال شداد بن اوس ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت حتى ازمها واخطمها غير هذه وكان قد قال
لغلامه ائتنا بالسفرة نعبث بها حتى ندرك الغداء وقال ابو سفيان لاهله حين حضرته الوفاة لا تبكوا
علي فاني ما احدثت ذنبا منذ اسلمت وقال عمر بن عبد العزيز ما قضى الله لي بقضاء قط فسرني ان يكون قضى
لي بغيره فما اصبح لي هوى الا في مواقع قدر الله فهذه كلها اظهار للاحوال الشريفة وفيها غاية المراءاة اذا صدرت ممن
يرائي به وهو غاية الترغيب اذا صدر ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز للاقوياء بالشروط التي
ذكرناها فلا ينبغي ان يسد باب اظهار العمل والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل اظهار المرائي للعبادة اذا
لم يعلم الناس انه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مراء
عند الله وقد روي انه كان يجتاز الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقرآن من البيوت
فصنف بعضهم كتابا في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب
لم يصنف فاظهار المرائي فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر
وباقوام لا خلاق لهم كما ورد في الخبر وبعض المرائين ممن يقتدى بهم **بيان الرخصة في كتمان الذنوب و**
كراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له اعلم ان الاصل في الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال
عمر رضي الله عنه لرجل عليكم بعمل العلانية قيل يا امير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليه لم تستحي
منه وقال ابو مسلم الخولاني ما عملت عملا ابالي ان يطلع الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغائط الا ان
هذه درجة عظيمة لا ينالها كل احد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع
الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر في الشهوات والاماني والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائه
عن العبيد ربما يظن انه رياء محظور وليس كذلك فهذا هو ستر المرائي واما الصادق الذي لا يرائي فله
ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه بسبب اطلاع الناس عليه من ثمانية اوجه **الاول** ان يفرح
بستر الله تعالى عليه فاذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف ان يهتك الله ستره في القيامة اذ ورد
في الخبر ان من ستر عليه في الدنيا ستر عليه في الآخرة وهذا غم ينشأ من الايمان **الثاني** انه قد علم ان الله
تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات
فليستتر بستر الله فهو وان عصى الله تعالى بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما احبه الله وهذا ينشأ من قوة الايمان
بكراهة الله عز وجل ظهور المعاصي واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ويغتم بسببه **الثالث**
ان يكره ذم الناس له به من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فان الطبع يتأذى
بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة وبهذه العلة ايضا ينبغي ان يكره الحمد الذي يشغله عن الله
تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا ايضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب
لاجل الطاعة من الايمان **الرابع** ان تكون ستره ورغبته فيه لكراهيته لذم الناس من حيث يتأذى
طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما ان الضرب مؤلم للبدن وتألم القلب بالذم ليس بحرام والانسان به
عاص وانما يعصي اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على
الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به نعم كمال الصدق في ان يزول عنه رؤية الخلق فيستوي عنده ذامه

مادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا واكثر الطباع تتألم بالذم
لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تألم محمود اذا كان الذام من اهل البصيرة في الدين فكيف لا يغتم
به لفوات الحمد بالورع كانه يحب ان يحمد بالورع ثم الغم المذموم هو ان يغتم ولا يجوز ان يحب ان يحمد بطاعة
الله تعالى فيكون قد طلب المدح بطاعة الله تعالى ثوابا من غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه ان
يقابله بالكراهية والرد واما كراهية الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك
ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب الحمد لكن يكره الذم وانما مراده ان يتركه الناس حمدا وذما فكم من
صابر عن لذة الحمد لا يصبر على الم الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم واما الذم فانه مؤلم فحب الحمد
على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال واما كراهية الذم على المعصية فلا محذور فيه الا امر واحد وهو
ان يشغله غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي ان يكون غمه
باطلاع الله تعالى وذمه له اكثر وقد يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله تعالى به وهذا من الايمان و
علامته ان يكره ذمه لغيره ايضا فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع **السادس**
ان يستر ذلك لا يقصد لبشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء الم الذم فان الذم مؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه
وخسته فان كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب فله ان يستر ذلك
حذرا منه **السابع** مجرد الحياء فانه نوع الم وراء الم الذم والقصد بالستر وهو خلق كريم يحدث
في اول الصبي مهما اشرق عليه نور العقل فيستحيي من القبائح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب الحيي الحليم والذي
يفسق ولا يبالي ان يظهر فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء فهو اشد حالا ممن يستتر و
يستحيي الا ان الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل مراء انه مستحيي
فان سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم ويهيج عقيبه
داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور ان يخلص معه ويتصور ان يرائي معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديق
له قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا انه يستحيي من رده وعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحيي ولا يقرض رياء
ولا لطلب ثواب فله عند ذلك احوال احدها ان يشافه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحياء وهذا فعل
من لا حياء له فان المستحيي اما ان يتعلل او يقرض فان اعطى فيتصور له ثلاثة احوال احدها ان يمتزج بالرياء الحياء
بان يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي ان تعطي حتى يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك
بالسخاء وينبغي ان تعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا اعطى فقد اعطى للرياء وكان المحرك للرياء هيجان
الحياء الثاني ان يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج باعث الاخلاص ويقول له ان
الصدقة بواحدة والقرض بثمانية عشر ففيه اجر عظيم وادخال السرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى
فتسخو النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء اخلاصه والثالث ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف
من مذمته ولا حب لمحمدته لانه لو طالبه مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من الم الحياء
ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحيي منه من الاجانب او الاراذل لكان يرده وان كثر الحمد والثواب فيه فهذا
مجرد الحياء ولا يكون هذا الا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائي يستحيي من المباحات ايضا حتى انه يرى
مستعجلا في المشي فيعود الى الهدوء ويرى ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم ان ذلك حياء وهو عين الرياء و
قد قيل ان بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وامامة الناس في

فانهم يشهدون الله وذمهم يدل على ذم الله وعلى نقص في الدين صح

وهو الخامس من الوجوه الثمانية صح

وقال الحياء لا ياتي الا بخير صح

على لسان صح

الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فيستحيي
من شيبته ان ينكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن واحسن منه ان
يستحيي من الله تعالى فلا يضيع الامر بالمعروف والقوي يؤثر الحياء من الله تعالى على الحياء من الناس و
الضعيف لا يقدر عليه فهذه الاسباب التي يجوز لاجلها ستر القبيح والذنوب **الثامن** ان يخاف من
ظهور ذنبه ان يستجرئ عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية في اظهار الطاعة
وهو القدوة ويختص ذلك بالائمة او بمن يقتدى به فبهذه العلة ينبغي ان يخفي العاصي ايضا معصيته
من اهله وولده لانهم يتعلمون منه ففي ستر العاصي للذنب هذه الاعذار الثمانية وليس في اظهار الطاعة
عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد ستر المعصية ان يخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد
ذلك باظهار الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال
رجل للنبي صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يحبني الله تعالى عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله
وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون
مذموما فالمحمود ان تحب ذلك لتعرف به حب الله تعالى فانه اذا احب عبدا حببه في قلوب عباده والمذموم
ان تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله تعالى
عاجلا سوى ثواب الله والمباح ان تحب ان يحبوك بصفات محمودة سوى الطاعات المحدودة المعينة فحبك ذلك
كحب المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال فلا فرق بينهما

بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من ان يكون مرائيا به وذلك غلط و
موافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو ان الطاعات تنقسم
الى ما لا لذة في عينه كالصلاة والصوم والحج والغزو فانها مقاساة للشدائد ومجاهدات انما تصير لذيذة من حيث
انه يوصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا يقتصر
على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وامامة الصلاة والتذكير والوعظ والد
وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما يعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة **القسم الاول** الطاعة
اللازمة للبدن التي لا يتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصلاة والصوم والحج فخطرات الرياء فيه ثلاثة **الاول**
ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء كرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة
فانه تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على ان يدفع عن نفسه باعث الرياء فيقول لها الا
تستحيين من مولاك ولا تسخين بالعمل لاجله وتسخين بالعمل لاجل عباده حتى تندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة
للنفس على خاطر الرياء وكفارة عليه فليشتغل بالعمل **الثاني** ان ينبعث لاجل الله تعالى ولكن يعترض الرياء مع
عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء و
تحصيل الاخلاص بالمعالجات التي ذكرناها من الزام النفس كراهية الرياء والاباء عن القبول **الثالث**
ان ينعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي ان يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع
الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك العمل فان لم تجب و
اشتغلت فيدعوك الى الرياء فان لم تجب ودفعته بقي يقول هذا العمل ليس بخالص وانت مراء وتعبك
ضائع فاي فائدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك ذلك بترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه و
مثال من ترك العمل لخوفه ان يكون مرائيا كمن سلم مولاه اليه حنطة فيها تراب وقال خلصها من التراب ونقها

ن

تحب ان صح

ربي

جع

منه نفيه بالمعرفة فيترك اصل العمل ويقول اخاف انا اشتغلت به لم يخلص خالصا صافيا نقيا فيترك من اصله و
ترك الاخلاص مع العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل ان يترك العمل خوفا على الناس ان يقولوا انه مراء
فيعصون الله تعالى به فهذا من مكايد الشيطان لانه اساء اولا الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك
ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم انه مراء وهو عين الرياء فلولا
حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم انه مراء او قالوا انه مخلص واي فرق بين ان يترك العمل خوفا من ان
يقال انه مراء وبين ان يحسن العمل خوفا من ان يقال انه غافل مقصر بل ترك العبادة اشد من ذلك فهذه
كلها مكايد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف تطمع في ان تتخلص من الشيطان بان تترك العمل والشيطان لا يخليك
بل يقول لك الان يقول الناس انك تركت العمل ليقال انه مخلص لا يشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب
فان هربت ودخلت سربا تحت الارض القى في قلبك حلاوة معرفة الناس بتزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك
بقلوبهم فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه الا ان تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو انه ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا
ليلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وان نزغ العدو ونازع الطبع فان ذلك لا ينقطع
وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر
الرياء والزم قلبك من الله الحياء اذ دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو
اطلع الخلق على قلبك وانك تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك
فافعل فان قال لك الشيطان انت مراء فاعلم كذبه بما تصادف في قلبك من كراهية الرياء وخوفك منه وحياءك
من الله تعالى وان لم تجد في قلبك كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك
وهو بعيد فمن شرع في العمل لله عز وجل فانه لا بد وان يبقى معه اصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن اقوام ترك
العمل مخافة الشهرة روي ان النخعي دخل عليه انسان فاطبق المصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا انا نقرأ
كل ساعة وقال ابراهيم التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت واذا اعجبك السكوت فتكلم وقال الحسن ان كان احدهم
ليمر بالاذى ما يمنعه من تنحيته الا كراهية الشهرة وكان احدهم يأتيه البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد
فيه آثار كثيرة قلنا هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات مما لا يحصى واظهار الحسن هذا الكلام في معرض
الوعظ اوتيا للخوف للشهرة من البكاء واماطة الاذى عن الطريق نقل ثم لم يترك وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام
في الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقوياء دون الضعفاء فالافضل ان يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه
وارباب الاعمال قد يعالجون انفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف فالاقتداء ينبغي ان يكون بالاقوياء واما اطباق
النخعي المصحف يمكن ان يكون لعلمه بانه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله واستئنافه القراءة بعد خروجه للاشتغال
بمكالمته فرأى ان لا يراه في القراءة ابعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد ذلك
واما ترك دفع الاذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم اياه عن عبادات هي اكبر من دفع
خشبة من الطريق فيكون تركه للمحافظة على العبادات التي اكثر منها لا بمجرد خوف الرياء واما قول التيمي ان اعجبك
الكلام فاسكت يجوز ان يكون قد اراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث
العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول من مباح الى مباح حذرا من العجب فاما الكلام الحق
المندوب اليه فلم يتعرض عليه على ان الامر فيما ينطق في الكلام فهو داخل في القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات
الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا يعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في ترك البكاء واماطة الاذى خوف
الشهرة ربما كان حكاية لاحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقائق وانما ذكره تخويفا للناس

منافرة للشهوة وزجرا عن طلبها **القسم الثاني** ما يتعلق بالخلق ويعظم فيه الآفات والاخطار
واعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق المال اما الخلافة والامارة
فهي من افضل العبادات اذا كان مع ذلك العدل والاخلاص قال صلى الله عليه وسلم ليوم من امام عادل
خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم
اول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط احدهم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة
لا ترد دعوتهم الامام العادل احدهم وقال صلى الله عليه وسلم اقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة امام عادل
رواه الخدري فالخلافة والامارة من اعظم العبادات ولم يزل المتقون يتركونها ويتوقونها ويهربون من
تقلدها وذلك لما فيها من عظم الخطر اذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء
ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا فاذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك
ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته وان كان
باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شر من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه
ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضي الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من والي
عشرة الا جاء يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه اطلقه عدله او اوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه
عمر رضي الله عنه ولاية فقال يا امير المؤمنين اشر علي فقال اجلس واكتم علي وروى الحسن ان رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم
فقال للنبي خر لي فقال اجلس وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن
لا تسأل الامارة فانك ان اوتيتها عن غير مسألة اعنت عليها وان اوتيتها عن مسألة وكلت اليها وقال ابو بكر لرافع بن
عمر لا تأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع الم تقل لي لا تأمر على اثنين فانت قد وليت امر امة محمد صلى الله
عليه وسلم قال بلى وانا اقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة
يرى ما ورد من فضل الامارة مع ما ورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق ان الخواص الاقوياء في الدين
لا ينبغي ان يمتنعوا من تقلد الولايات وان الضعفاء لا ينبغي ان يدوروا بها فيهلكوا واعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا
يستفزه الطمع ولا تأخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن اعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة
الخلق وقهروا انفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان فآيس منهم فهؤلاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت
فيه ارواحهم فهم اهل نيل الفضل في الامارة والخلافة ومن علم انه ليس بهذه الصفات فيحرم عليه الخوض في الولايات و
من جرب نفسه فرآها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولاية ولكن خاف عليها ان تتغير اذا ذاقت لذة الولاية وان
تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الامر فتكره العزل فيداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في انه هل يلزمه الهرب
من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لان هذا خوف امر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه الا قوية
في ملازمة الحق وترك الشهوات والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير
جزما لكان يخاف عليها ان تتغير عند الولاية وكيف اذا اظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية اهون من العزل بعد
الشروع فالعزل مؤلم وهو كما قيل الطلاق اول ما قيل العزل فاذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل الى المداهنة واهمال الحق وتهوي
به في قعر جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى الموت الا ان يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل من يحب الولاية ومهما مالت
النفس الى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو امارة الشر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نولي
امرنا من سألنا فاذا فهمت اختلاف حكم القوي والضعيف عرفت ان نهي ابي بكر رضي الله عنه لرافع عن الولاية ثم تقلده
لها ليس بمتناقض واما القضاء فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو في معناهما فان كل ذي ولاية امير اي له امر نافذ

خطاط

يوما منها عبادة صح

يتولاه

الحلى و صح

والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه ايضا عظيم مع العدول عن
الحق وقد قال صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار وقال صلى الله عليه وسلم من
استقضي فقد ذبح بغير سكين فحكم الامارة فينبغي ان يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن
في عينه وليتقلده الاقوياء الذين لا يأخذهم لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء
الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق والواجبات لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه
ولم يطيعوه فليس له ان يتقلد القضاء وان تقلده فعليه ان يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا
له في الاهمال للحقوق اصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي ان يفرح بالعزل ان كان يقضي لله تعالى فان كان
ممن لا يسمح نفسه بذلك فهو اذا يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك
الاسفل من النار واما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه
الجاه ويعظم به القدر فآفته ايضا عظيمة مثل آفة الولايات بل اشد وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما
وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي ودفن بشر كذا وكذا قمطرة
من كتب الحديث وقال انما يمنعني ان احدث اني اشتهي ان احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه وتاثير
قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة لا يوازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال
طبعه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا ويفر عن كل كلام يستثقله العوام وان كان حقا و
يصير مصروف الهمة بالكلية الى تحريك قلوب العوام وتعظيم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكاية الا ويكون فرحه بها
من حيث انه يصلح ان يذكره على راس المنبر وكان ينبغي ان يكون فرحه بها من حيث انه عرف به طريق السعادة وطريق
سلوك سبيل الدين ليعمل به اولا ثم يقول الحمد لله الذي انعم علي بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فاقصها لينتفع بها
في نفعها اخواني في السلوك وهذا ايضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له الا طلب الجاه
والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر به فينبغي ان يتركه ويخالف الهوى فيه الى ان ترتاض نفسه وتقوى في
الدين همته ويأمن الفتنة على نفسه فعند ذلك يعود اليه فان قلت مهما حكم بذلك على اهل العلم تعطلت العلوم و
اندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى قال
عليه الصلوة والسلام انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيامة وندامة الا من اخذها بحقها وقال صلى الله عليه
وسلم نعمت المرضعة وبئست الفاطمة واراد بها الامارة ومعلوم ان السلطنة والامارة لو تعطلت لبطلت الدنيا
والدين جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد وبطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك للضعفاء
ولم ضرب عمر ابي بن كعب حين راى قوما يتبعونه وهو في ذلك يقول صلى الله عليه وسلم ابي سيد المسلمين و
كان صلى الله عليه وسلم يقرأ عليه القرآن ويقول ان الله امرني ان اقرأ عليك وانما منع ان يتبعوه وقال عمر
ذلك فتنة على المتبوع وذلة على التابع فبين العلاء في ذلك وعمر كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمتنع منه واستاذن
رجل عمر ان يعظ الناس اذا فرغ من صلوة الصبح فمنعه فقال اتمنعني من نصح الناس فقال اخشى ان تنتفخ حتى
تبلغ الثريا وذلك اذ راى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق فالخلافة والقضاء والامارة مما يحتاج الناس
اليها في دينهم ودنياهم كالوعظ والتدريس والفتوى فيحتاج اليهم ايضا وفي كل واحد منها فتنة ولذة ولا فرق
بينهما واما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله عليه و
سلم عن القضاء لم يؤد الى تعطيل القضاء بل الرياسة وحبها يضطر الخلق الى طلبها و
كذلك حب الرياسة من الخلق في العلوم لا يترك تدريس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والاغلال عن طلب

صح

العلوم التي فيها القبول والرياسة لافلتوا من الحبس والقيد وقطعوا السلاسل وطلبوا العلم وقد وعد الله تعالى
ان يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بامر الناس فان الله تعالى لا يضيعهم
وانظر لنفسك ثم اقول مع هذا اذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عنه الخوف الا امتناع
بعضهم والا فيعلم انهم كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فلم يكن في الدنيا الا واحد وكان وعظه نافعا
للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخيله في الظاهر الى العوام انه انما يريد الله تعالى
بوعظه وانه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه فنقول له اشتغل وجاهد نفسك فان قال لست اقدر
على نفسي فنقول اشتغل وجاهد لانا نعلم انه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم اذ لا قائم به غيره ولو واظب
وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع احب الينا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم
ونقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم
ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فاما الذي يحدثه الوعاظ
في هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة بالاشعار وليس فيه تعظيم لامر الدين
ولا تخويف للمسلمين بل فيه الترجية والتجرية على المعاصي بطيارات النكت فيجب اخلاء البلاد منهم فانهم نواب
الدجال وخلفاء الشيطان وانما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول
ولا يقصد غيره وفيما اوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يزجره تصومون
وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تامرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون
بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل
يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكمة من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد
الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم
جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فاي
الناس اخس منكم لو كنتم تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محلة المتحيرين كانكم تدعون اهل
الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم
كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد
الاتقياء ولا كاحرار كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم
ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان عراة وفرادى فيوقفكم
على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم وقد روى الحارث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء
علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة
واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الاخسرون فان قلت فهذه الآفات
ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم لان يهدي الله بك رجلا
خير لك من الدنيا وما فيها وقال النبي عليه الصلوة والسلام ايما داع دعا الى هدى فاتبع عليه كان له اجره و
اجر من اتبعه الى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي ان يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراءاة الخلق كما يقال
لمن خالجه الرياء في الصلوة لا تترك العمل وجاهد فاعلم ان فضل العلم كبير وخطره عظيم كفضل الآفة في الخلافة
والامارة فلا نقول لاحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس في نفس العلم آفة في اظهاره بالتصدي للوعظ
والتدريس ورواية الاحاديث ولا نقول له ايضا اتركه ما دام يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء فاما

مما يتقى له غوائل الحذر من فتن العلم وغوائله ولقد قال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام يا علماء السوء صح

انما الآفة صح

اذا لم يحركه الرياء فترك الاظهار انفع واسلم وكذلك نوافل الصلوات اذا تجرد فيها باعث
الرياء وجب تركها اما اذا خطر له وساوس في اثناء الصلوة وهو لها كاره فلا يترك الصلوة
لان آفة الرياء في العبادات ضعيفة وانما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في
العلم وبالجملة فللمراتب ثلاث **الاولى** الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا
من الآفة **الثانية** الصوم والصلوة والحج والغزو وقد تعرض لها اقوياء السلف وضعفاؤهم
ولم يؤثر منهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع اتمام
العمل لله تعالى بادنى قوة **الثالثة** وهو متوسط بين الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ و
الفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها اقل مما في الولايات واكثر مما في العبادات الصلوات
فالصلوات ينبغي ان لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي ان
يتركها الضعفاء راسا دون الاقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم انها بالولاية
اشبه وان الحذر في حق الضعيف اسلم والله اعلم وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال واخذه للتفرقة على
المستحقين فان في الانفاق واظهار السخاء استجلاب للثناء وفي ادخال السرور على قلوب الناس
لذة للنفس والآفات فيها ايضا كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم امسك وآخر
طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد افضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وان من الزهد
تركها قربة الى الله تعالى وقال ابو الدرداء ما يسرني ان اقمت على درج مسجد دمشق اصيب كل يوم
خمسين دينارا اتصدق بها اما اني لا احرم البيع والشرا ولكني اريد ان اكون من الذين لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله تعالى فقد اختلف العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منه
وتصدق به فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات النوافل وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله تعالى افضل و
الاخذ والعطاء يشغل عن ذكر الله تعالى وقد قال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام يا طالب
الدنيا ليبر تركك للدنيا ابر وقال اقل ما فيه انه يشغله عن ذكر الله تعالى وذكر الله اكبر وافضل وهذا
فيمن سلم من الآفات فاما من يتعرض لآفة الرياء فتركها والاشتغال بالذكر لا خلاف في انه افضل و
بالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات والاذى والاحب ان يعمل ويدفع الآفة فان عجز فلينظر و
ليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع
وبالجملة ما يجده اخف على قلبه فهو في الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل اليه
وان كان لا يبعد ذلك ايضا في بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات فهو موكول
الى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال و
لا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في ان تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات افضل من
امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب ان الافضل ترك الكسب والانفاق والتجرد للذكر وذلك لما في الكسب
من الآفات فاما المال الحاصل من الحلال فتفرقته افضل بكل حال من امساكه فان قلت فباي علامة يعرف العالم و
الواعظ انه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم ان لذلك علامات احديها انه لو ظهر من
هو احسن منه وعظا واغزر منه علما والناس اشد له قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا باس بالغبطة وهو ان
يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى ان الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل يبقى كما كان عليه فينظر الى
الخلق بعين واحدة والاخرى ان لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه ولذلك علامات كثيرة يطول

احصاءها وقد روى سعيد بن ابي مروان قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من بعض
ابواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون اصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت في المسجد
فلم ير حلقة احفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن
فلما رآه الحسن متوجها اليه تجافى له عن ناحية مجلسه وتجافيت له ايضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين
الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم حتى
انتهى الى الحجاج فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت في نفسي لابلون الحسن اليوم في كلامه ثم لانظرن
هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد في كلامه يتقرب اليه او يحمل الحسن هيبة الحجاج ان ينقص من كلامه فتكلم
الحسن كلاما واحدا نحوا مما يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به
رفع الحجاج يده فوضع على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس واشباهها فاتخذوها
خلقا وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من امر
الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها ثم افتر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر
من بلاغته ثم نهض وسار فجاء رجل من اهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين
الا تعجبون اني رجل شيخ كبير واني اغزو واكلف فرسا وبغلا واكلف فسطاطا وان لي ثلثمائة درهم من العطاء و
سبع بنات من العيال فشكا من حاله حتى رق الحسن واصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن
راسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا
عدو الله غزا في الفساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة واذا اغزى اخاه اغزاه طاويا راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم
باقبح العيب واشده فقام رجل كان يجالس الحسن من اهل الشام فسعى بالحسن الى الحجاج في الحال فحكى كلامه فلم يلبث
ان اتاه رسل الحجاج فقالوا اجب الامير فقام الحسن واشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن
ان رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقلما رايته فاغرا فاه يضحك انما كان يتبسم فاقبل حتى قعد في مجلسه
فعظم الامانة وقال انما تجالسون بالامانة كانكم تظنون ان الخيانة ليست الا في الدينار والدرهم ان الخيانة
اشد الخيانة ان يجالسنا الرجل فنطمئن الى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار اني اتيت هذا الرجل فقال
اقصر عليك من لسانك وقولك اذا غزا عدو الله غزا كذا واذا اغزى اخاه اغزاه لا ابا لك تحرض علينا الناس اما على
ذلك لا نتهم لنصيحتك فاقصر عليك قال فدفعه الله عني وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينا هو يسير اذ التفت
فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة او تسألون عن شيء والا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد فبهذه
العلامات وامثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رايت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا
يتعاونون فاعلم انهم قد اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون **بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة
بسبب رؤية الخلق وما لا يصح** اعلم ان الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد ويقوم بعضهم
فيصلون الليل كله او بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على
ما كان يعتاده او يصلي مع انه كان لا يعتاد الصلوة بالليل اصلا وكذلك قد يتفق ان يقع في موضع يصوم فيه
اهل الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب
ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام
النهار ولكن قد يعوقه العوائق ويمنعه الاشتغال ويغلبه التمكن من الشهوات او يستهويه الغفلة فربما يكون مشاهدة
الغير سبب زوال الغفلة او يندفع العوائق والاشغال في بعض المواضع فينبعث له النشاط وقد يكون الرجل في منزله

فينقطع الاسباب عن التهجد مثل ان يمكنه النوم على فراش وثير ويمكنه التمتع بزوجته او المحادثة مع اهله واقاربه او الاشتغال باولاده او مطالعة حساب له مع معامليه فاذا وقع في منزل غريبا اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفتر رغبته في الخير وحصلت له اسباب باعثة على الخير كمشاهدته وقد اقبلوا على الله تعالى واعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه ان يسبقوه بطاعة الله تعالى فيتحرك داعيته للدين لا للرياء او ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع او بسبب لطف فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما ينضاف اليه انه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه اطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا اعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم عنها قوي الباعث فهذا وامثاله من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان عند ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزيد على صلواتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفه من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لا سيما اذا كانوا يظنون به انه يقوم بالليل فان نفسه لا تسمح بان يسقط من اعينهم فيريد ان يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلي لاجلهم بل لله عز وجل وانما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وانما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاع الناس عليك وهذا امر مشتبه الا على ذوي البصائر فاذا عرف ان المحرك هو الرياء فلا ينبغي له ان يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لانه يعصي الله تعالى بطلبه محمدة الناس بطاعة الله تعالى وان كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه انه لو رآهم يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء الحجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت تسخو نفسه بالصلاة وهم لا يرونه فان سخت نفسه فليصل فان باعثه الحق وان كان يثقل ذلك على نفسه لو غاب عن اعينهم فليترك فان باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الانسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم ويمكن ان يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن ان يكون سببه تحرك نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين وداعيته ويقارنه نزوع في النفس الى حب الحمدة فمهما علم ان الغالب على قلبه ارادة الدين فلا ينبغي ان يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغي ان يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله تعالى لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة مع الصدق اذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق ان يعرض على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى ام لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن اعينهم فانما خوفه من ان يقال انه قاسي القلب فينبغي ان لا يتباكى قال لقمان لابنه لا تري الناس انك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والانين عند القرآن والذكر او بعض مجاري الاحوال تارة يكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتاسف وتارة يكون لمشاهدة حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والانين ويتحازن وذلك محمود وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على انه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت هذه الداعية فهي الرياء وان اقترنت بداعية الحزن فان اباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط اجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله تعالى به وقد يكون اصل الانين عن الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك

الزيادة رياء لانها في حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك معه نفسه ولكن يسبق خاطر الرياء فيقبله ويدعو الى زيادة تحزين الصوت ورفع له او حفظ الدمعة على الوجه حتى يبصر بعدما استرسلت لخشية الله تعالى ولكن يحفظ اثرها على الوجه لاجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فيضعف قواه من الخوف ثم يسقط ثم يستحيي ان يقال انه يسقط من غير زوال العقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فيجزع نفسه ان يقال حالته غير ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع ان يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكئ على غيره يرى انه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطى ليظهر انه ضعيف عن سرعة المشي فهذه كلها مكايد الشيطان ونزغات النفس فاذا خطرت فعلاجها ان يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله تعالى مطلع على ضميره وهو اشد له مقتا كما روي عن ذي النون انه قام وزعق فقام معه شيخ رأى فيه اثر التكلف فقال يا شيخ الذي يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من اعمال المنافقين وقد جاء في الخبر تعوذوا بالله من خشوع النفاق وانما خشوع النفاق ان تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله عز وجل من عذابه وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراءاة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تضادها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن اين هو فان كان لله تعالى فامضه واحذر مع ذلك ان يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك اهي مقبولة ام لا لخوفك على الاخلاص فيها واحذر ان تتجدد لك خاطر الركون الى حمدهم بعد الشروع في الاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا خطر لك فتفكر في اطلاع الله تعالى عليك ومقته لك وتذكر ما قاله احد الثلاثة نفر الذين حاجوا ايوب اذ قالوا يا ايوب اما علمت ان العبد يضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم اعوذ بك ان يرى الناس اني اخشاك وانت لي ماقت وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح لك فيما اخلو سريرتي في محافظا على الرياء للناس من نفسي ومضيعا لما انت مطلع عليه مني ابدي للناس احسن امري وافضي اليك باسوء عملي تقربا الى الناس بحسناتي وفرارا منهم اليك بسيئاتي فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك اعذني من ذلك يا رب العالمين وقد قال احد الثلاثة نفر لايوب يا ايوب الم تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم واضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوههم فهذه جمل آفات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليها ففي الخبر ان للرياء سبعين بابا وقد عرفت ان بعضه اغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل وبعضه اخفى من دبيب النمل فكيف يدرك ما هو اخفى من دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته ادرك بعد بذل المجهود فكيف يطمع في ادراكه من غير تفقد للقلب وامتحان النفس وتفتيش عن خدعها

بيان ما ينبغي للمريد ان يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه

اعلم ان اولى ما يلزم المريد قلبه في سائر اوقاته القناعة بعلم الله تعالى في جميع طاعته ولا يقنع بعلم الله الا من لا يخاف الا الله تعالى ولا يرجو الا الله عز وجل فاما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن احواله فان كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من الخطر والتعرض للمقت وليراقب قلبه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم او الخوف العظيم او البكاء العظيم لو عرفه الخلق

شد لسجد والدك فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف يرضى باخفائه فيجهل الناس محله وينكرون قدره
ويحرصون على الاقتداء به ففي هذا الامر ينبغي ان يثبت قدمه ويتذكر في مقابلته عظيم عمله عظيم ملك الآخرة
ونعيم الجنة ودوامه ابد الآباد وعظم غضب الله تعالى ومقته من طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم ان
اظهاره لغيره تحبب اليه وسقوط عند الله تعالى واحباط للعمل العظيم فيقول وكيف ابيع مثل هذا العمل بحمد الخلق
وهم عاجزون لا يقدرون لي على رزق ولا اجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي ان يايس عنه ويقول انما يقدر على
الاخلاص الاقوياء واما المخلطون فليس ذلك من شانهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لان المخلط الى ذلك احوج
من المتقي لان المتقي ان فسدت نوافله بقيت فرايضه كاملة تامة والمخلط لا يخلو فرايضه عن النقصان و
الحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم تسلم صار ماخوذا بالفرايض وهلك به والمخلط الى الاخلاص احوج وقد
روى تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسب العبد يوم القيمة فان نقص فرضه قيل انظروا هل من
تطوع فان كان له تطوع اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقي في النار فياتي المخلط يوم القيامة
وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده في جبر الفرايض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل
واما المتقي فجهده في زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقي من حسناته ما يترجح على السيئات فيدخل الجنة فاذا
ينبغي ان يلزم قلبه خوف اطلاع الله تعالى عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يتحدث به ولا
يظهره واذا فعل ذلك جميعه فينبغي ان يكون وجلا من عمله خائفا انه ربما دخله من الرياء الخفي ما لم يقف
عليه فيكون شاكا في قبوله ورده ويجوز ان يكون الله تعالى قد احصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله
بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده لا في ابتداء العقد بل ينبغي ان يكون متيقنا
في الابتداء انه مخلص ما يريد بعمله الا الله تعالى حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان
كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية احبطت عمله من رياء او عجب اولى به ولكن يكون رجاؤه اغلب من خوفه
لانه استيقن انه دخل بالاخلاص وشك في انه هل افسده برياء فيكون رجاء القبول اغلب وبذلك تعظم
لذته في المناجاة والطاعات فالاخلاص يقين والرياء شك وخوفه لاجل ذلك الشك جدير بان يكفر خاطر
الرياء ان كان قد سبق وهو غافل عنه والذي يتقرب الى الله تعالى بالسعي في حوائج الناس وافادة العلم
فينبغي ان يلزم نفسه رجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه دون شكره ومكافاته وحمده وثنائه من المتعلم والمنعم عليه
فان ذلك يحبط الاجر فمهما توقع من المتعلم مساعدة في شغل وخدمة او مرافقة في المشي في الطريق ليستكثر
استتباعا او يتردد منه في حاجة فقد اخذ اجره فلا ثواب له غيره نعم ان لم يتوقع هو ولم يقصد الا الثواب
على عمله بعلمه ليكون له مثل اجره ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته فنرجو ان لا يحبط ذلك عمله ولا
اجره اذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون ذلك
حتى ان بعضهم وقع في بئر فجاء قوم فادلوا الحبل ليرفعوه فحلف عليهم ان لا يقف معهم من قرا عليه اية من القران
او سمع منه حديثا خيفة من ان يحبط اجره وقال شقيق البلخي اهديت لسفيان الثوري ثوبا فرده علي فقلت له يا عبد الله
لست انا ممن يسمع الحديث حتى ترده علي قال علمت ذلك ولكن اخوك يسمع مني الحديث فاخاف ان يلين قلبي لاخيك
اكثر مما يلين لغيره وجاء رجل الى سفيان ببدرة او بدرتين وكان ابوه صديقا لسفيان وكان سفيان ياتيه
ويسلم عليه كثيرا فقال له يا ابا عبد الله في نفسك من ابي شيء فقال رحم الله اباك كان كذا وكذا واثنى عليه كثيرا فقال
يا ابا عبد الله قد عرفت كيف صار هذا المال الي فاحب ان تاخذ هذه تستعين بها على عيالك قال فقبل سفيان
ذلك فلما خرج قال لولده يا مبارك الحقه فرده علي فرجع فقال احب ان تاخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه فكأنه

علي ص

الجيران

كانت اخوته مع ابيه في الله تعالى فكره ان ياخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم املك نفسي ان جئت اليه فقلت له
ويلك اي شيء قلبك هذا حجارة عد انه ليس لك عيال اما ترحمني اما ترحم اخوتك اما ترحم عيالنا فلما اكثرت
عليه قال يا مبارك تاكلها هنيئا واسال عنها انا فاذا يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله تعالى
في اقتداء الناس به فقط ويجب على المتعلم ان يلزم نفسه حمد الله وثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند المعلم وعند الخلق و
ربما يظن انه له ان يرائي المعلم بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطا لان ارادته بطاعته غير الله تعالى خسران
في الحال والعلم ربما يفيد فكيف يخسر في الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغي ان يتعلم لله عز وجل ويعبد
الله تعالى لا ليكون له في قلبه منزلة ان كان يريد ان يكون تعلمه طاعة فان العباد امروا ان لا يعبدوا الا الله ولا
يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم ابويه لا ينبغي ان يخدمهما لطلب المنزلة عندهما الا من حيث ان رضا الله تعالى
في رضى الوالدين ولا يجوز له ان يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية في الحال وسيكشف
الله تعالى عن ريائه ويسقط منزلته من قلب الوالدين ايضا واما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي له ان يلزم قلبه
ذكر الله تعالى والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله فان ذلك يغرس الرياء في
صدره حتى تتيسر عليه العبادات في خلوته وانما سلوته معرفة الناس باعتزاله واستعظامهم محله وهو لا يدري انه
المخفف للعمل عليه قال ابراهيم بن ادهم تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته
فقلت يا سمعان منذ كم انت في صومعتك فقال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال يا حنيفي وما دعاك الى هذا
قلت احببت ان اعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير الذي بحذائك
قلت نعم قال انهم ياتوني في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني فكلما تثاقلت نفسي
عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر في قلبي
نور المعرفة فقال حسبك او ازيدك قلت بلى قال فانزل عن الصومعة فنزلت فادلى الي ركوة فيها عشرون حمصة فقال
لي ادخل الدير فقد راوا ما ادليت اليك فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا يا حنيفي ما الذي ادلى اليك الشيخ
قلت من قوته قالوا وما تصنع به نحن احق به قالوا ساوم قلت عشرون دينارا فاعطوني عشرين دينارا
فرجعت الى الشيخ فقال يا حنيفي ما الذي صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال
اخطأت لو ساومتهم بعشرين الف دينار لاعطوك هذا عز من لا يعبده فانظر كيف يكون عز من يعبده
وحده يا حنيفي اقبل على ربك ودع الذهاب والمجيء فالمقصود ان استشعار النفس عز العظمة في القلوب
يكون باعثا في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي ان يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته ان يكون الخلق
عنده والبهائم بمثابة فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهة ضعيفة ان وجدها
في قلبه فيردها في الحال بعقله وايمانه وانه لو كان في عبادة فاطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم
يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل
والايمان وبادر الى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون اليه فيرجى له ان لا يخيب سعيه الا ان يزيد عند مشاهدتهم
في الخشوع والانقباض كيلا ينبسطوا اليه فذلك لا باس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد يكون شهوتها الخفية
اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فيطالبها في دعواها قصد الانقباض بعوق من الله تعالى غليظ وهو
انه لو علم ان انقباضهم عنه انما يحصل بان يعدو مسرعا او ياكل خبزا او يضحك لسمحت نفسه بذلك فاذا لم تسمح به
وسمحت بالعبادة فيشبه ان يكون مراده المنزلة عندهم ولا ينجو عن ذلك الا من تقرر في قلبه انه ليس في الوجود
احد سوى الله عز وجل فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا خطرات

سمعان ص

حمصة ص

ستة ص

ضعيفة لا يشق عليه ان الناس فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه انه لو
كان له صاحبان احدهما غني والاخر فقير فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان في
الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه الى مشاهدة الاغنياء
اكثر فهو مراء او طماع والا فالنظر الى الفقراء يزيد في رغبة الاخرة ويحبب الى القلب المسكنة والنظر الى
الاغنياء بخلافه فكيف يستروح الى الغني اكثر مما يستروح الى الفقير وقد حكي ان الاغنياء لم يروا في
مجلس اذل منهم في مجلس الثوري كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون انهم فقراء
في مجلسه نعم لك زيادة اكرام الغني اذا كان اقرب اليك او كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون
بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في اكرام ولا توقير البتة فان الفقير اكرم على الله
تعالى من الغني فايثارك له لا يكون الا طمعا في غناه ورياء له ثم اذا استويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك
ان تظهر الحكمة والخشوع للغني اكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك رياء خفي وطمع خفي كما قال ابن السماك لجارية
له ما لي اذا اتيت بغداد فتحت لي الحكمة فقال الطمع يشحذ لسانك وقد صدق فان اللسان ينطلق عند الغني
بما لا ينطلق عند الفقير وكذلك يحضره من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخفاياها في
هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها الا بان تخرج ما سوى الله تعالى من قلبك وتتجرد للشفقة على نفسك بقية عمرك
ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة في ايام متقاربة منقضية ويكون في الدنيا كملك من الملوك الذي قد
امكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات
وعلم انه لو احتمى وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء وحارف الصيادلة وعود
نفسه شرب الادوية المرة فصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر في مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة
اكله ولكن سقمه كل يوم يزداد نقصانا لشدة احتمائه فمهما نازعته نفسه الى شهوة تفكر في توالي الالام والاوجاع
عليه وادى ذلك الى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة اعدائه ومهما اشتد عليه شرب دواء
تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذي هو سبب للتمتع بملكه ونعيمه في عيش هني وبدن صحيح وقلب رخي
وامر نافذ فيخف عليه المهاجرة للذات ومصابرة المكروهات وكذلك المؤمن المريد لملك الاخرة احتمى عن كل مهلك
له في اخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف و
ترك المؤانسة بالخلق خوفا من ان يحل عليه غضب الله تعالى فيهلك ورجاء الان ينجو من عذابه فخف ذلك عليه عند
شدة يقينه وايمانه بعاقبة امره وبما اعد له من النعيم المقيم في رضوان الله تعالى ابد الاباد ثم علم ان الله تعالى رحيم
كريم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رؤوفا وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم عن التعب والنصب ولكن
اراد ان يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا تحمل العبد التعب في بدايته اقبل الله تعالى عليه بالمعونة والتيسير
وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه عن سائر اللذات ويقويه
على اماتة الشهوات وتولى سياسته وتقويته وامده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب امل المحب
وهو الذي يقول عز وجل من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقول تعالى لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى
لقائهم لاشد شوقا فليظهر العبد في البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب
ما هو اللائق بجوده وكرمه ورافته ورحمته والحمد لله وحده
وصلواته على خير خلقه محمد النبي واله الطاهرين و
الحمد لله رب العالمين

كتاب ذم الكبر والعجب وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم ❁ الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز
الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في
جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذي لا يدافعه عن مراده دافع الغني الذي ليس في ملكه شريك ولا
منازع القادر الذي بهر ابصار الخلائق جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه
واستيلاؤه وحصر السن الانبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه
فاعترف بالعجز عن كنه جلاله ملائكته وانبياؤه وكسر ظهر الاكاسرة عزه وعلاؤه وقصر ايدي القياصرة
عظمته وكبرياؤه فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فاعجزه دواؤه
جل جلاله وتقدست اسماؤه والصلوة على سيدنا محمد النبي الامي الذي انزل معه النور المستنير
ضياؤه حتى اشرقت بنوره اكناف العالم وارجاؤه وعلى اله واصحابه الذين هم احباء الله واولياؤه وخيرته
واصفياؤه وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى
العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالعجب والكبر داءان مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان
مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان واذا كان القصد في هذا الربع من هذا الكتاب كتاب
احياء علوم الدين شرح المهلكات وجب ايضاح العجب والكبر فانهما من قبائح المرديات ونحن نستقصي
بيانهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب **الشطر الاول من الكتاب في الكبر وفيه احد عشر فصلا**
بيان ذم الكبر **بيان** ذم الاختيال **بيان** فضل التواضع **بيان** حقيقة الكبر و
آفته **بيان** من يتكبر عليه ودرجات الكبر **بيان** ما به التكبر **بيان** البواعث على التكبر **بيان**
اخلاق المتواضعين وما فيه يظهر الكبر **بيان** علاج التكبر **بيان** امتحان النفس في خلق
الكبر **بيان** المحمود من خلق التواضع والمذموم منه

بيان ذم الكبر

قد ذم الله تعالى
الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير
الحق وقال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال تعالى
لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين وذم الكبر في القران كثير واما **الاخبار** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان و
قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن
نازعني واحدا منهما القيته في جهنم وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله
بن عمر على المروة فتوافقا فمضى ابن عمرو واقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا ابا عبد الرحمن قال هذا يعني
عبد الله بن عمرو زعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر
اكبه الله في النار على وجهه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين
فيصيبه ما اصابهم من العذاب وقال سليمن بن داود على نبينا وعليه الصلوة والسلام يوما للطير والجن والانس
والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي الف من الانس ومائتي الف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في

السموات ثم خفض حتى مست قدماه الحضيض صوت سمعه الثقلان الانس والجن لو كان في قلب صاحبه مثقال
ذرة من الكبر لخسفت به ابعد ما دفنته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له اذنان تسمعان
وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر و
بالمصورين وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وسلم
تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني الا الضعفاء
من الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله تعالى للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال
للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال صلى الله عليه وسلم بئس
العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد
عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدا والمنتهى وروي عن ثابت انه قال بلغنا
انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال اليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال اني آمركما باثنين وانهاكما عن اثنين
انهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارض وما فيهن لو وضعت في كفة
الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت ارجح منهما ولو ان السموات والارض وما فيهن كانتا
حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلوة كل شيء وبها يرزق
كل شيء وقال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال النبي صلى الله
عليه وسلم اهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع واهل الجنة الضعفاء المقلون وقال صلى الله
عليه وسلم ان احبكم الينا واقربكم منا في الآخرة احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الينا وابعدكم منا الثرثارون
والمتشدقون والمتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال صلى الله
عليه وسلم المتكبرون وقال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيمة ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من
الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة
اهل النار وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيمة في صور الذر
يطاهم الناس لهوانهم على الله وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن ابي بردة فقلت له يا بلال ان
اباك حدثني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في جهنم واديا يقال له هبهب حقا على الله عز وجل
ان يسكنه كل جبار فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان في النار قصرا يجعل
فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال من فارق
روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول **واما الآثار** قال ابو بكر رضي الله عنه
لا يحقرن احد احدا من المسلمين فان صغير المسلمين كبير عند الله وقال وهب لما خلق الله تعالى جنة عدن نظر
اليها وقال انت حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما و
مصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى اثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن آدم
يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب لابن آدم يغسل الخرء كل يوم بيده مرتين ثم يتكبر يعارض
جبار السموات والارض وقد قيل في تفسير قوله تعالى وفي انفسكم هو سبيل الغائط والبول وقال محمد
بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر
ما دخل من ذلك قل او كثر وسئل سلمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان

بن بشير على المنبر ان للشيطان مصالي وفخوخا وان من مصاليه وفخوخه البطر بانعم الله والفخر باعطاء
الله تعالى والكبر على عباد الله تعالى واتباع الهوى في غير ذات الله تبارك وتعالى **بيان ذم الاختيال و**
اظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله تعالى الى رجل يجر ازاره بطرا
وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في برديه قد اعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة و
قال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيمة وقال زيد بن اسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد
الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول اي بني ارفع ثوبك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا
ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع اصبعه
عليه وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل ابن آدم اتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك
وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق وانى
اوان الصدقة منك وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مشت امتي المطيطا وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم
على بعض قال ابن الاعرابي هي مشية فيها اختيال وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته
لقي الله تعالى وهو عليه غضبان **الآثار** عن ابي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد
المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه
الحسن فقال اف اف شامخ بانفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه اي حميق تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة
ولا مذكورة غير المأخوذ بامر الله فيها ولا المؤدي حق الله منها والله ان يمشي احدهم طبيعته يتخلج تخلج المجنون و
في كل عضو من اعضائه لله نعمة وللشيطان به لعنة فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الي وتب الى
ربك اما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب
عليه بزة له حسنة فدعاه فقال ابن آدم معجب بشبابه معجب بشمائله كأنك بالقبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت
عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله تعالى الى العباد صلاح قلوبهم وروي ان عمر بن عبد العزيز حج قبل
ان يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر
كالمعتذر اليه يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه
فقال اتدري من انت اما امك فاشتريتها بمائتي درهم واما ابوك فلا كثر الله في المسلمين مثله ورأى ابن عمر
رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا كررها مرتين او ثلاثة وروي ان مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب
وهو يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اما تعرفني فقال بلى
اعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته
تلك وقال مجاهد في تفسير قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر واذ ذكرنا ذم الكبر والاختيال
فلنذكر فضيلة التواضع ان شاء الله تعالى **بيان فضيلة التواضع** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد
الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه فان هو رفع راسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه
قالا اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه في غير
معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة وعن ابي سلمة المديني عن ابيه عن جده
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء وكان صائما فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن
وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه فذاقه وجد حلاوة العسل فقال ما هذا قلنا يا رسول الله

جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال صلى الله عليه وسلم اما اني لا احرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر
وضعه الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر من ذكر الله احبه الله وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان في نفر من اصحابه في بيته ياكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فاذن له
فلما دخل اجلسه على فخذه ثم قال اطعم فكان رجلا من قريش اشمأز به وتكرهه فما مات ذلك الرجل القرشي
حتى كانت به زمانة مثلها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرني ربي بين امرين بين ان اكون عبدا رسولا
او ملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي من الملائكة جبرئيل فرفعت راسي اليه فقال تواضع لربك فقلت
عبدا رسولا قال اوحى الله تعالى الى موسى انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي والزم قلبه خوفي
وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع
واليقين الغنى وقال عليه الصلوة والسلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيمة طوبى للمصلحين
بين الناس هم الذين يرثون الفردوس يوم القيمة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله
تعالى يوم القيمة وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته و
جعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اربع
لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد وقال ابن عباس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال صلى الله عليه وسلم ان التواضع
لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل اسود
به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال صلى الله
عليه وسلم انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه
وسلم ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة يا رسول الله قال التواضع وقال صلى الله عليه وسلم
اذا رايتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار

الآثار قال عمر رضي الله عنه ان العبد
اذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش واذا تكبر وعدا طوره رهصه الله الى الارض وقال اخسأ
اخسأك الله فهو في نفسه كبير وفي اعين الناس حقير حتى انه لاحقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله
انتهيت مرة الى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم
ان الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله
في الدنيا فان من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيمة يا جرير اتدري ما ظلمة النار يوم القيمة
قلت لا قال انه ظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا وقالت عائشة انكم لتغفلون افضل العبادة التواضع
وقال يوسف بن اسباط يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال
الفضيل وقد سئل عن التواضع فقال هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته
من اجهل الناس قبلته وقال ابن المبارك راس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه
انه ليس لك بدنياك عليه فضل وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه
عليك فضلا وقال قتادة من اعطي مالا او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا
يوم القيمة وقيل اوحى الله تعالى الى عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام اذا انعمت عليك بنعمة فاستقبلها
بالاستكانة اتممها عليك وقال كعب ما انعم الله على عبد من نعمة من نعم الدنيا فشكرها لله وتواضع

[هامش: عندهن]

بها لله الا منعه الله نفعها في الدنيا ورفع له طبقا من النار يعذبه به ان شاء او يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك
بن مروان اي الرجال افضل قال من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة وترك النصرة عن قوة ودخل
ابن السماك على هرون الرشيد فقال يا امير المؤمنين ان تواضعك في شرفك اشرف لك من شرفك فقال ما احسن
ما قلت فقال يا امير المؤمنين ان امرا آتاه الله جمالا في خلقه وموضعا في حسبه
وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى في ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله من خواص
الله تعالى فدعا هرون بدواة وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمان بن داود عليهما السلام اذا اصبح تصفح
وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى المساكين ويقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال
بعضهم كما تكره ان يراك الاغنياء في ثياب الدون فكذلك فكذلك تكره ان يراك الفقراء في الثياب
المرتفعة ويروى ان خرج يونس وايوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهما الحسن اتدرون ما التواضع
التواضع ان تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما الا رايت له عليك فضلا وقال مجاهد ان الله تعالى لما اغرق
قوم نوح شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله تعالى فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال
ابو سليمان ان الله تعالى اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلبا اشد تواضعا من قلب موسى
على نبينا وعليه الصلوة والسلام فخصه منهم بالكلام وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات
لم اشك في الرحمة لولا اني كنت معهم اني اخشى انهم حرموا بسببي وقيل ارفع ما يكون المؤمن عند الله
اوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون عند الله ارفع ما يكون عند نفسه وقال زياد النميري
الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر وقال مالك بن دينار لو ان مناديا ينادي بباب المسجد
ليخرج شركم رجلا والله ما كان يسبقني احد الى الباب الا رجل بفضل قوة او سعي فلما بلغ ابن المبارك
قوله قال بهذا صار مالك مالكا وقال الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا وقال موسى بن القاسم
كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا ابا عبد الله انت امامنا فادع الله عز و
جل لنا فبكى ثم قال ليتني لم اكن سبب هلاككم قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي ان الله
تعالى دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل الى الشبلي فقال له ما انت وكان هذا دابه وعادته
قال انا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي ابعد الله شاهدك او تجعل لنفسك مكانا وقال الشبلي
في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود وقال من راى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وعن الفتح بن
شخرف قال رايت عليا رضي الله عنه في المنام فقلت له يا ابا الحسن عظني فقال ما احسن التواضع بالاغنياء
في مجلس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله تعالى واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله عز وجل وقال
ابو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر
فقيل له فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته
بنفسه وقال ابو سليمان لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه وقال يحيى بن خالد البرمكي
الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى التكبر على ذي التكبر عليك بماله تواضع ويقال
التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الاغنياء احسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء اقبح ويقال لا عز الا لمن
تذلل لله عز وجل ولا رفعة الا لمن تواضع لله عز وجل ولا امن الا لمن خاف الله ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله
عز وجل وقال ابو علي الجوزجاني النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله هلاكه منع منه التواضع و
النصيحة والقناعة واذا اراد الله به خيرا فاذا هاجت في نفسه نار الكبر ادركها التواضع مع نصرة الله
تعالى فاذا هاجت نار الحسد في نفسه ادركتها النصيحة مع توفيق الله تعالى واذا هاجت في نفسه نار الحرص

[هامش: ضع]

[هامش: الله]

[هامش: يكون]

[هامش: وقال عروة بن الورد التواضع احد مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع ص]

ادركها القناعة مع عون الله تعالى وعن الجنيد انه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا انه روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال يكون في اخر الزمان زعيم القوم ارذلهم فلولا ذاك ما تكلمت عليكم وقال الجنيد ايضا التواضع
عند اهل التوحيد تكبر ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا
حتى يضعها او يرفعها قال عمر بن شيبة كنت بمكة بين الصفا والمروة فرايت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان
واذا هم يعنفون الناس عنفا وشما الاخير بغلته حتى يسير في المسعى قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت
على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر فجعلت انظر اليه واتامله فقال لي ما لك تنظر الي فقلت له شبهتك
برجل رايته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك قال اني ترفعت في موضع
يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس وقال المغيرة كنا نهاب ابراهيم النخعي هيبة الامير وقال كان
يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلمي اذا سمع صوت الرعد قام وقعد
واخذه بطنه كانه امراة ماخض وقال هذا من اجلي يصيبكم لو مات عطاء لاستراح الناس وكان بشر الحافي
يقول سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال اعطاك الله ما ترجوه فقال
ان الرجاء يكون بعد المعرفة فاين المعرفة وتفاخرت قريش عند سلمان فقال لكني خلقت من نطفة قذرة
ثم اعود جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع

بيان حقيقة الكبر وافته

اعلم ان الكبر ينقسم الى ظاهر وباطن فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو اعمال تصدر من الجوارح و
اسم الكبر بالخلق الباطن احق واما الاعمال فهي ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا
ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح
والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب
كما سياتي فان العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان
يكون متكبرا الا مع غيره وهو ان يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا
ولا يكفي ان يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره اعظم من نفسه او مثل
نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو راى نفسه احقر لم يتكبر ولو راى غيره
مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند
هذه الاعتقادات الثلث يحصل فيه خلق الكبر لا ان هذه الرؤية هي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة
تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتزاز وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك
العزة والهزة والركون الى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك قال النبي عليه الصلوة والسلام اعوذ بك
من نفخة الكبر ولذلك قال عمر اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استاذنه ان يعظ بعد صلوة الصبح
فكان الانسان مهما راى نفسه بهذه العين وهي الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة
عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى ايضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في
قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة
تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات لها ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى
غيره حقر من دونه وازدراه واقصاه عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومواكلته وراى حقه
ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره وان كان اشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا
للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيانف عن مساواته وتقدم عليه في
مضايق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر ان يبداه بالسلام واستبعد ان يقصر في قضاء حوائجه
وتعجب منه وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وعنف في النصح
ان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم و
استخدمهم وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمر استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة من خلق
الكبر كثيرة وهي اكثر من ان تحصى فلا حاجة الى احصائها فانها مشهورة وافته عظيمة وغائلته هائلة
وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الناس و
كيف لا تعظم افته وقد قال عليه الصلوة لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر وانما صار حجابا من
الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المومنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعزة النفس
تغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر ان يحب للمومنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على
التواضع وهو راس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر على ترك
الحسد وفيه العز ولا يقدر على مراعاة الناس ومداراتهم وفيه العز ولا يقدر على ان يدوم على الصدق وفيه
العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على ترك قبول
النصح وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا
وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه
فمن هذا لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض
لا محالة وشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الايات التي
فيها ذم المتكبرين قال الله عز وجل والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم الى قوله تعالى تستكبرون ثم قال تعالى
ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان اشد اهل النار عذابا اشدهم عتيا على الله
عز وجل فقال تعالى ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال تعالى فالذين لا يومنون
بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال تعالى يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا
مومنين وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى ساصرف
عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في التفسير سادفع فهم القران عن قلوبهم وفي بعض التفاسير
ساحجب قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج ساصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال عيسى على
نبينا وعليه الصلوة والسلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع و
لا تعمر في قلب المتكبر الا ترون ان من شمخ براسه الى الراس شجه ومن طاطا اظله واكنه فهذا ضرب مثل
للمتكبرين وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر نبينا عليه الصلوة والسلام جحود الحق في حد الكبر والكشف
عن حقيقته فقال الكبر من سفه الحق وغمص الناس

بيان المتكبر عليه واقسامه ودرجاته وثمرات الكبر فيه

اعلم ان المتكبر عليه هو الله او رسله او سائر خلقه وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق و
تارة على الخالق فاذا التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلثة اقسام القسم **الاول التكبر على الله** وذلك هو افحش
انواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل
رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما كان من كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال انا
ربكم الاعلى اذ استنكف ان يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون

استنكفهم
والسلم
علي
مثل

جهنم داخرين وقال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن
عبادته ويستكبر الاية وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن **القسم الثاني التكبر على الرسل**
من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الخلق وذلك تارة يصرف عن
الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بتكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع مع
المعرفة ولكن لا يطاوعه نفسه بالانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله تعالى عن قولهم انؤمن لبشرين مثلنا
ان انتم الا بشر مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا
لقد استكبروا في انفسهم وقالوا لولا انزل عليه ملك وقال فرعون فيما اخبر الله تعالى عنه او جاء معه الملائكة
مقترنين وقال الله تعالى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق فتكبر هو على الله تعالى وعلى رسوله جميعا
قال وهب قال له موسى آمن ولك ملكك قال حتى اشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما
انت رب يعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستنكف من عبودية الله تعالى ومن اتباع موسى و
قالت قريش فيما اخبر الله عز وجل عنهم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال
قتادة الوليد بن المغيرة وابو مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم اذ قالوا
غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا وقال تعالى ليقولوا اهؤلاء
من الله عليهم من بيننا استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش كيف نجلس عندك وهؤلاء اشاروا الى
فقراء المسلمين فازدروهم باعينهم وتكبروا عن مجالستهم فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي الاية ثم اخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا
كنا نعدهم من الاشرار قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن
الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به وقال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر
على الله عز وجل وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول امر الله تعالى والتواضع لرسوله صلى الله عليه وسلم **القسم الثالث التكبر على العباد**
وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى
الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو ايضا
عظيم من وجهين احدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق الا بالملك القادر فاما العبد المملوك
الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن اين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا
يليق الا بجلاله عز وجل ومثاله ان يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره فما اعظم
استحقاقه للمقت وما اعظم تهدفه للخزي والنكال وما اشد استجراءه على مولاه وما اقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى
الاشارة بقوله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته اي انه خاص صفتي ولا يليق الا بي و
المنازع فيه منازع في صفة من صفاتي واذا كان الكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي يسترذل
خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك ان يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض امره وان لم يبلغ
درجته درجة من اراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر
على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق
بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في اصل الملك **الوجه الثاني** الذي تعظم
به رذيلة الكبر انه يدعو الى مخالفة الله تعالى في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله و

اليك وصر

منهم صح

تشمّر لجحده وكذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون
تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما
يقدر عليه من التلبيس وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد
شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته
العزة بالاثم وروي عن عمر رضي الله عنه انه قرأها فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف
فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالقسط فقتل المتكبر الذي خالفه والذي يأمره كبرا وقال ابن مسعود
كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا
استطيع فقال صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه الا كبره قال فما رفعها بعد ذلك اي اعتلت يده فاذن
تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على امر الله تعالى وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكى من احواله الا
للاعتبار به فانه قال انا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان
يمتنع من السجود الذي امره الله تعالى به وكان مبدأه التكبر على آدم والحسد فجره ذلك الى التكبر على امر الله تعالى
وكان ذلك سبب هلاكه ابد الآباد فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله
عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين اذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله اني امرؤ قد حبب الي من الجمال ما
ترى افمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي حديث آخر من سفه الحق
وقوله صلى الله عليه وسلم من غمص الناس اي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله تعالى امثاله او خير منه وهذه الآفة
الاولى وسفه الحق هو رده وهي الآفة الثانية فكل من رأى انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين
الاستصغار او رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن انف من ان يخضع لله تعالى ويتواضع له بطاعته
واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورسله **بيان ما به التكبر** اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم
نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال ومجامع ذلك يرجع الى كمال ديني او دنيوي
فالديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب
السبب الاول العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء
فلا يلبث العالم ان يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس و
ينظر اليهم نظره الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع ان يبدأوه بالسلام فان بدأ احدا منهم بالسلام او رد عليه ببشر او قام
له او اجاب دعوته رأى ذلك صنيعة عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه اكرمهم وفعل بهم ما لا
يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يرقوا له ويخدموه شكرا له على صنيعه بل الغالب انهم يبرونه ولا يبرهم
ويزورونه ولا يزورهم ويعودونه ولا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره في
حوائجه فان قصر فيه استنكره كأنهم عبيده او اجراؤه وكأن تعليمه العلم صنيعة منه لديهم ومعروف اليهم واستحقاق
حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا اما في امر الآخرة فتكبره عليهم بانه يرى نفسه عند الله تعالى اعلى وافضل منهم
فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بان يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل
العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله تعالى على العلماء وعظم خطر العلم
فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذه العلوم تزيد خوفا وتواضعا وتخشعا وتقتضي ان يرى كل
الناس خيرا منه لعظم حجة الله تعالى عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال ابو الدرداء من ازداد

فخام

الكبر

اوردّ عليه

علما ازداد وجها وهو كما قال فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان لذلك سببين
احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي وانما العلم الحقيقي ما يعرف العبد به نفسه وربه وخطر
امره في لقاء الله تعالى والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك العلم كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات
وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ منها امتلأ بها كبرا ونفاقا وهذه بان تسمى صناعات
اولى من ان تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهو يورث التواضع غالبا
السبب الثاني ان يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة ردي النفس سيء الخلق فلم يشتغل اولا بتهذيب
نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدات ولم يروض نفسه في عبادة ربه فيبقى خبيث الجوهر واذا خاض
في العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وضرب وهب
لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر
طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها واهوائها
فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لان من همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به
فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم ان الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا
وذلا وتواضعا فالعلم من اعظم ما يتكبر به ولاجل ذلك قال الله عز وجل لنبيه واخفض جناحك لمن
اتبعك من المؤمنين وقال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك و وصف اولياءه فقال
اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين قال النبي عليه الصلوة والسلام فيما رواه ابن العباس يكون قوم يقرؤن
القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى الصحابة فقال
صلى الله عليه وسلم فاولئك منكم ايها الامة اولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا
تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم ولذلك استأذن تميم الداري عمر رضي الله عنه في القصص
فابى ان يأذن له فقال انه الذبح واستأذنه رجل كان امام قوم انه اذا سلم من صلوته ذكرهم فقال اني
اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا
اني رايت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف للضعفاء من
متأخري هذه الامة فما اعز على بسيط الارض عالما يستحق ان يقال له عالم ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه
فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا من الاستفادة
من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في اقصى الصين لسعينا اليه رجاء ان يشملنا بركته وتسري الينا
سيرته وسجيته وهيهات فاني تسمح هذا الزمان بمثلهم من ارباب الاقبال واصحاب الدول فقد انقرضوا في
القرن الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة
فذلك ايضا معدوم واما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سيأتي على الناس زمان
من تمسك بعشر ما انتم عليه نجا لكان جديرا بنا ان نقتحم والعياذ بالله ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن فيه عليه
من سوء اعمالنا ومن لنا ايضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه فليتنا تمسكنا بعشر عشره فنسأل الله تعالى ان
يعاملنا بما هو اهله وان يستر علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله الثاني والعبادة
ليس يخلو عن رذيلة العجب والكبر واستمالة قلوب الناس والزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا
اما الدنيا فهو انهم يرون غيرهم بزيارتهم اولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم و

وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ الى جميع
ما ذكرناه في حق العلماء وكانهم يرون عبادتهم منة على الخلق واما في الدين فهو ان يرى الناس هالكين ويرى
نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما راى ذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس
فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول يدل على انه مزدر بخلق الله تعالى مغتر بالله آمن من مكر الله
تعالى غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كفى بالمرء شرا ان يحقر اخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه الله ويعظمه لعبادته ويستعظم في نفسه
استكبارا ويرجو له ما لا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله فهم يتقربون الى الله تعالى
بالدنو منه وهو يتمقت الى الله تعالى بالتنزه والتباعد منهم كانه مترفع عن مجالستهم فما احدرهم اذا احبوه
لصلاحه ان ينقلهم الله تعالى الى درجته في العمل وما احدره اذا ازدراهم بعينه ان ينقله الله الى حد الاهمال كما
روي ان رجلا في بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل يقال له عابد بني اسرائيل وكان
على راس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به قال في نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست
اليه فقال كيما وقرب منه استصغارا للنفس يقول ذلك في سره وقال العابد هذا خليع بني اسرائيل كيف يجلس الي
فانف منه وقال قم عني فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل
العابد وفي رواية اخرى فتحولت الغمامة الى راس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل
والعاصي اذا تواضع وذل هيبة لله وخوفا منه فقد اطاع بقلبه فهو اطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب و
كذلك روي ان رجلا من بني اسرائيل اتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا
يغفر الله لك فاوحى الله اليه ايها المتألي علي انت لا يغفر الله لك ولذلك قال الحسن حتى ان صاحب الصوف
اشد كبرا من صاحب المطرف الخز اي ان صاحب المطرف الخز يتذلل لصاحب الصوف ويرى له الصغر ويرى له
الفضل لنفسه وهذه الآفات ايضا قلما ينفك عنها كثير من العباد وهو انه لو استخف به مستخف او آذاه موذ
استبعد ان يغفر الله له ولا يشك في انه صار ممقوتا عند الله سبحانه ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك
الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين العجب والكبر والاغترار بالله تعالى وقد
ينتهي الحمق والغباوة في بعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه واذا اصيب بنكبة زعم ان ذلك
من كراماته وان الله تعالى ما اراد به الا شفاء غليله والانتقام منه مع انه يرى طبقات من الكفار
يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الانبياء فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم ان الله تعالى امهل
اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما اسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل المغرور
يظن انه اكرم على الله تعالى من انبيائه عليهم السلام وانه قد انتقم له بما لم ينتقم لانبيائه ولعله في مقت الله تعالى
باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين واما الاكياس من العباد فيقولون ما كان
يقوله عطاء السلمي حين كانت تهب ريح او تقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببي ولو مات عطاء
لتخلصوا وما قاله الآخر بعد انصرافه من عرفات كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر الى الفرق بين
الرجلين هذا يتقي الله تعالى ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذلك ربما يضمر من الرياء
والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان ثم انه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق احد من عباد
الله فقد احبط بجهله جميع علمه فان الجهل اخس المعاصي واعظم شيء يبعد العبد عن الله تعالى حكمه
لنفسه بانه خير من غيره جهل محض والامن من مكر الله تعالى ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك

روي ان رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه
ذلك اليوم فقال صلى الله عليه وسلم اني ارى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اسالك بالله حدثتك نفسك انه ليس في القوم افضل
منك قال اللهم نعم فراى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه
هذه آفة لا ينفك عنها احد من العباد الا من عصمه لكن العلماء والعباد في آفة التكبر على درجات **الاولى**
ان يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا
من نفسه وهذا قد رسخ في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية **الثانية** ان يظهر ذلك على افعاله
بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر في حقه كما ذكرنا ذلك في العالم الذي يصعر
خده للناس كأنه معرض عنهم وفي العابد انه يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متنزه عن الناس مستقذر لهم وغضبان
عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة
حتى يطأطأ ولا في الذيل حتى يقصر انما الورع في القلوب قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى صدره
وقد كان صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق واتقاهم وكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا قال الحارث
بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني من القراء كل طليق مضحاك فاما الذي تلقاه
ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله يرضى ذلك لما قال تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك الآية وهؤلاء الذين يظهرون اثر الكبر على شمائلهم واحوالهم اخف
احوالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة
وتزكية النفس وحكاية الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل اما العابد فانه يقول في معرض
التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن اين زهده فيطول اللسان فيهم بالنقص ثم يثني على نفسه فيقول
اني لم افطر منذ كذا ولا انام بالليل واختم القرآن في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما
يجري مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان فهلك ولده واخذ ماله او مرض وغير ذلك
يدعي الكرامة لنفسه واما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى اكثر مما كان يصلي وان
كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة
خوفا ان يقال غيره اعبد منه او اقوى منه في دين الله واما العالم فانه يتفاخر ويقول انا متفنن في العلوم
ومطلع على الحقائق ورايت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن انت وما فضلك ومن لقيت وما الذي
سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما مباهاته فهو انه يجتهد في المناظرة ان يغلب
ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة
وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث والفاظها
واسانيدها حتى يرد على من اخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح مهما اخطأ واحد منهم ليرد
عليه ويسوءه اذا اصاب واحسن خيفة من ان يرى انه اعظم منه فهذا كله اخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها
التعزز بالعلم والعمل واين من يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه فليت شعري من عرف هذه الاخلاق
من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من
كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره وهو يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل النار وانما
العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وكبر والعالم هو الذي فهم ان الله تعالى قال له ان لك

عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رايت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الذين
قاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو الكبر بالعلم والعمل

السبب الثالث التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان
ارفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى ان الناس له موال وعبيد فيانف من مخالطتهم ومجالستهم
وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي يا هندي يا ارمني من انت ومن ابوك وانا فلان بن
فلان ومن اين لمثلك ان يكلمني او ينظر الي ومع مثلي تتكلم وغير ذلك مما يجري مجراه وذلك عرق دفين
في النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا وعاقلا الا انه قد لا يترشح منه عند اعتدال الاحوال فان غلبه
غضب اطفأ ذلك نور بصيرته فيترشح منه كما روي عن ابي ذر انه قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه و
سلم فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على
ابن السوداء فضل قال ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه راى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء فان ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة
الكبر باخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روي ان رجلين تفاخرا عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما للآخر انا فلان بن فلان فمن انت لا ام لك فقال صلى الله عليه وسلم افتخر
رجلان عند موسى فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فاوحى الله تعالى الى موسى قل للذي افتخر بل التسعة
من اهل النار وانت عاشرهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في
جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان والجعلان الذي تدوف بانافها القذر **السبب الرابع التفاخر بالجمال**
وذلك اكثر ما يجري بين النساء ويدعو ذلك الى الثلب والتنقص والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روي عن عائشة
رضي الله عنها قالت دخلت امراة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت بيدي هكذا اي انها قصيرة فقال النبي صلى
الله عليه وسلم قد اغتبتيها وهذا منشأه خفي الكبر لانها لو كانت ايضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكانها اعجبت
بقامتها واستقصرت المراة في جنب نفسها فقالت ما قالت **السبب الخامس الكبر بالمال** وذلك يجري بين
الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر
الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول انت كذا وانت مسكين وانا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من
هو فوقك ومن انت وما معك واثاث بيتي يساوي اكثر من جميع مالك وانا انفق في اليوم ما لا تأكله انت في سنة
وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره الفقير وكل ذلك منه جهل بآفات الغنى وفضيلة الفقر واليه الاشارة
بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه وقال كما اخبر الله تعالى عنه ان
ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي الآية وكان ذلك تكبرا منه بالمال والولد ثم بين الله عاقبة امره وهو قوله
تعالى يا ليتني لم اشرك بربي احدا ومن ذلك تكبر قارون قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته الآية **السبب
السابع التكبر بالاتباع** والانصار والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والاقارب والبنين ويجري ذلك
بين الملوك في المكاثرة في الجنود وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد
كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث ليتكبر على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة
المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب و
كثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به
العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلي بشيء منه على من لا يدلي به او على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما

من صح

انا صح

السبب السادس الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف صح

كان مثله او فوقه عند الله كالعالم الذي يتكبر بعلمه وعلى من هو اعلم منه لظنه انه الاعلم ولحسن اعتقاده في نفسه

بيان البواعث على الكبر واسبابه المهيجة

اعلم ان الكبر خلق باطن فاما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهي ثمرة ونتيجة وينبغي ان يسمى تكبرا اذ يخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب كما سياتي معناه فانه اذا اعجب بنفسه وبعلمه وعمله او بشيء من اسبابه استعظم نفسه وتكبر واما التكبر الظاهر فاسبابه ثلاثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب يتعلق بغيرهما اما السبب الذي يتعلق بالمتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء فيصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والرياء والحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما اما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن يثمر الكبر الظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال واما الحقد فانه قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فاورثه الغضب حقدا فرسخ في قلبه بغضه فهو لا يطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رذل لا يطاوعه النفس على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه وبغضه له ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحله وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به واما الحسد فانه ايضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد ايضا الى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصح وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد من اهل بلده او اقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق المتكبرين وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه واما الرياء ايضا فهو يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه افضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له خيفة من ان يقول الناس انه افضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه واما الذي يتكبر بالعجب او الحسد او الحقد فانه يتكبر ايضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمي الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم بباطنه بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بانه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على التكبر وكان اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاستحقار وهؤلاء وان سموا متكبرين فلاجل التشبه بافعال الكبر

بيان اخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه اثر التواضع والتكبر

اعلم ان التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه راسه وجلوسه متربعا ومتكئا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته وفي تعاطيه الافعال وفي سائر تقلباته واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال علي رضي الله عنه من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال انس لم يكن شخص احب اليهم من النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال ابو الدرداء رضي الله عنه لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال ما يبقي هذا من قلب العبد وكان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم اما لتعليم غيره واما

لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما خلع الثوب الجديد في الصلوة وابدله بالخليع لاحد هذين المعنيين ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير للغير في الدين وهو ضد التواضع وروي ان سفيان الثوري قدم الرملة فبعث اليه ابراهيم بن ادهم ان تعال فحدثنا فجاءهم سفيان فقيل له يا ابا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال اردت ان انظر كيف تواضعه ومنها ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه وقال وهب بن منبه جلست الى عبد العزيز بن رواد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ ثيابي فجرني الى نفسه وقال لي لم تفعلون بي كما تفعلون بالجبابرة واني لا اعرف فيكم رجلا شرا مني قال انس كانت الوليدة من ولائد المدينة تاخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها ان يتوقى مجالسة المرضى والمجذومين ويتحاشى عنهم وهو كبر دخل رجل وعليه جدري قد تقشر على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده اصحابه ياكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم بجنبه وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه روي ان عمر بن عبد العزيز اتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج ينطفئ فقال الضيف اقوم الى المصباح فاصلحه فقال ليس من كرم الرجل ان يستعمل ضيفه قال افانبه الغلام قال هي اول نومة نامها فقام بنفسه واخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف قمت انت بنفسك يا امير المؤمنين فقال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر وخير الناس عند الله من كان متواضعا ومنها ان لا ياخذ متاعه ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وقال علي رضي الله عنه لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء الى عياله وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو امير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وقال ثابت بن ابي مالك رأيت ابا هريرة اقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان على المدينة فقال اوسع الطريق للامير يا ابن ابي مالك وعن الاصبغ بن نباتة قال كأني انظر الى عمر معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله وقال بعضهم رأيت عليا رضي الله عنه اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت احمل عنك يا امير المؤمنين قال لا ابو العيال احق ان يحمل ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال عليه الصلوة والسلام البذاذة من الايمان قال سألت معنى البذاذة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر رضي الله عنه خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربعة عشر رقعة بعضها من ادم وعوتب علي رضي الله عنه في ازار مرقوع عليه قال يقتدي به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام جودة الثياب خيلاء القلب وقال طاوس اني لاغسل ثوبي هذين فانكر قلبي ما داما نقيين ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان قبل ان يستخلف يشترى له الحلة بالف دينار فيقول ما اجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما اجوده لولا لينه فقيل له اين لباسك ومركبك وعطرك فقال ان لي نفسا تواقة وانها لم تتذوق من الدنيا طبقة حتى تاقت الى الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي ارفع الطبقات تاقت الى ما عند الله تعالى وهو الجنة ورؤيته عز وجل وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا امير المؤمنين ان الله قد اعطاك فلو لبست فنكس رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال ان افضل القصد عند الجدة وان افضل العفو عند القدرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك زينة لله تعالى ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء مرضاته كان حقا على الله تعالى ان يدخر له عبقري الجنة فان قلت فقد قال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر

فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد
ليس من ضرورته ان يكون من الكبر في حق كل احد وفي كل حال وهو الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو الذي عرفه صلى الله عليه وسلم من حال ثابت بن قيس اذ قال له اني امرء حبب الي من الجمال ما
ترى فعرف ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من
الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب
التجمل اذا رآه الناس ولا يبالي اذا انفرد بنفسه كيف يكون وعلامة طالب الجمال ان يحب الجمال في كل شيء ولو
في خلوته وحتى في ستور داره فذلك ليس من الكبر فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى على نبينا وعليه
الصلوة والسلام على بعض الاحوال على ان قوله هو خيلاء القلب يعني قد يورث خيلاء في القلب وقول
نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليس من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر وبالجملة
فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرذالة وقد قال صلى
الله عليه وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا ولا عليكم ان الله تعالى يحب ان يرى اثر النعم على عبده وقال بكر بن عبد الله
المزني البسوا ثياب الملوك واميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب اهل الصلاح وقد
قال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام ما لكم تاتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري البسوا
ثياب الملوك والينوا قلوبكم بالخشية **ومنها** ان يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذي واخذ حقه فذلك هو الاصل في
الورع والزهد وقد اوردناه ما نقل عن السلف في احتمال الاذى في كتاب الغضب والحسد وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق
والتواضع تؤخذ من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فمنه ينبغي ان يقتدى به ومنه يتعلم وقد قال ابو سلمة قلت لابي سعيد
الخدري ما ترى ما احدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن اخي كل لله واشرب لله وكل شيء من
ذلك دخله زهو او رياء او سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعالج في بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه
ويطحن عنه اذا اعيا ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده ويجعله في طرف ثوبه فينقلب الى اهله
يصافح الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتديا على كل من استقبله من صغير او كبير او اسود او احمر او عبد
من اهل الصلوة ليس له حلة لمدخله وحلة لمخرجه ولا يستحيي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي
اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع عند الغداء للعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل
المعاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد من غير عنف متواضع من غير مذلة جواد من غير
سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يتبشم قط من شبع ولم يمد يده الى طمع قال ابو سلمة
دخلت على عائشة فحدثتها بهذا عن ابي سعيد فقالت ما اخطأ حرفا ولقد قصر اذ ما اخبرك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى وكانت الفاقة احب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل
جائعا يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان سأل ربه فيؤتى بكنوز الارض وثمارها
ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل وربما بكيت له رحمة مما اوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي واقول
نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من
الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني
استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة
وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى
فما نقل عن احواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى

نفسه فوق محل محمد صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما اشد جهله فلقد كان اعظم خلق الله
منصبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم اعزنا
الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام وقال ابو الدرداء اعلم ان
لله عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة ابدل الله مكانهم قوما
من امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صلوة ولا صيام ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع و
حسن النية وسلامة الصدور لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر وتحنن وتواضع في
غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقا ثلثون رجلا قلوبهم على مثل
يقين ابرهيم خليل الرحمن لا يموت رجل منهم حتى يكون الله تعالى قد انشأ من يخلفه واعلم يا اخي انهم لا يلعنون
شيئا ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون احدا ولا يحرصون على الدنيا هم اطيب الناس
خيرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم
في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهرة وهم فيما بينهم وبين ربهم لا يدركهم الرياح العواصف
ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله تعالى اشتياقا اليه وقدما في الاستباق للخيرات اولئك
حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوي فقلت يا ابا الدرداء اما سمعت بصفة هي اشد علي
من هذه الصفة وكيف لي ان ابلغها قال فقال ما بينك وبين ان تكون في اوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك
اذا ابغضت الدنيا اقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة وحرصك عليها تزهد في الدنيا و
بقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله تعالى من عبد حسن الطلب افرغ عليه السداد واكتنفه
بالعصمة واعلم يا ابن اخي ان ذلك في كتاب الله المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال
يحيى بن ابي كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله تعالى وطلب مرضاته **بيان الطريق في
معالجة الكبر واكتساب التواضع** اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شيء منه وازالته
فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة والاستعمال للادوية القامعة له وفي معالجته مقامات
احدهما استيصال اصله من منبته وقلع شجرته من مغرسها في القلب والثاني دفع العارض منه بالاسباب
الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره **المقام الاول** في استيصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم
الشفاء الا بمجموعهما فاما العلمي فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما
عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة
واذا عرف ربه علم انه لا يليق العظمة والكبرياء الا بالله تعالى اما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول
فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة واما معرفته نفسه فهي ايضا تطول ولكنا نذكر منه ما ينفع في اثارة التواضع
والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فان في القرآن علم الاولين والآخرين لمن فتحت
بصيرته وقد قال الله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره
ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره فقد اشارت الآية الى اول خلق الانسان والى آخر امره والى وسطه
فلينظر الانسان ليفهم معنى هذه الآية اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في كتم العدم دهورا
بل لم يكن لعدمه اول واي شيء اخس واقل من العدم والمحو وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من اذل
الاشياء ثم من اقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسا العظم لحما فقد
كان هذا بداية وجوده حيث صار شيئا مذكورا فما صار مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق

فابتداؤه كان ملا امثل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم
فبدأ بموته قبل حيوته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصيرته وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل نطقه و
بضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله تعالى من أي شيء خلقه فقدره ومعنى قوله
تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا الآية كذلك خلقه أولا ثم امتن عليه فقال ثم
السبيل يسره وهذا اشارة الى ما تيسر له في مدة حيوته الى الموت ولذلك قال من نطفة أمشاج نبتليه
فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل ومعناه انه احياه بعد ان كان جمادا ميتا ترابا أولا ونطفة ثانيا
واسمعه بعدما كان أصم وبصره بعدما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضا
بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقد واغناه بعد الفقر واشبعه بعد الجوع وكساه بعد العري وهداه بعد الضلال
فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف يسره والى طغيان الانسان ما أكفره والى جهل الانسان كيف
أظهره فقال أو لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم
إذا أنتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله تعالى عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة الى
هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا مذكورا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد
العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل وهاديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر
فكان في ذاته لا شيء وأي شيء أخس من لا شيء وأي قلة أقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئا وانما خلقه
من التراب الذليل والنطفة القذرة بعد العدم المحض ليعرف خسة ذاته فيعرف به نفسه وانما أكمل النعمة
عليه ليعرف به ربه ويعلم به عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به ولذلك امتن عليه فقال ألم نجعل له
عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وعرف خسته أولا فقال ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان
علقة ثم ذكر منته فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ليدوم وجوده بالتناسل كما
حصل وجوده أولا بالاختراع فهو على التحقيق أخس الأخساء وأضعف الضعفاء نعم لو أهمله وفوض اليه
أمره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدا والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده
الأمراض الهائلة والأسقام العظيمة والآفات المختلفة والطبائع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم
يهدم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبى رضي أم سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت
كرها لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا خيرا ولا شرا يريد أن يعلم الشيء فيجهله ويريد أن يذكر الشيء
فينساه ويريد أن ينسى الشيء ويغفل عنه فلا يغفل ويريد أن يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في أودية
الوساوس والأفكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهي الشيء وربما يكون هلاكه
فيه ويكره الشيء وربما يكون حيوته فيه يستلذ الأطعمة فتهلكه وترديه ويستبشع الأدوية وهي تنفعه و
تحييه لا يأمن الخطر من نهاره وليله ان يسلب سمعه وبصره وتفلج أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه و
يسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شيء
من نفسه وغيره فأي شيء أذل منه لو عرف نفسه وأنى يليق الكبر به لولا جهله فهذا أوسط أحواله فليتأمل
وأما آخره ومورده الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره ومعناه انه يسلب روحه
وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان أول مرة لا يبقى الا شكل
أعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الأول
نطفة مذرة ثم تبلى أعضاؤه وتتفتت أجزاؤه وتنخر عظامه فيصير رميما ورفاتا ويأكل الدود أجزاءه فيبتدي

فمن كان هذا بدؤه وهذا حاله فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء صح

بحدقتيه فيقلعهما وبخديه فيقطعهما وبسائر أجزائه فيصير روثا في أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب
منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان وأحسن أحواله أن يعود الى ما كان
فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر به البنيان ويصير مفقودا بعدما كان موجودا وصار كأن لم تغن بالأمس حصيدا
كما كان أول أمره أمدا مديدا وليته بقي كذلك فما أحسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شدائد
البلاء فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة الى أهوال القيامة فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة مشققة
وأرض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم
تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر فيرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال قد كان وكل بك
في حيوتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما تنطق به وتعمله من قليل و
كثير وصغير وكبير ونقير وقطمير وأكل وشرب وقيام وقعود وقد نسيت ذلك فأحصاه الله تعالى فهلم الى الحساب
واستعد للجواب وتساق الى النار دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل أن تنتشر الصحيفة و
يشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهده قال يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها
فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى ثم اذا شاء أنشره فما لمن هذه حاله والتكبر بل ما له وللفرح في لحظة فضلا عن
البطر والفخر والتجبر فقد ظهر له أول حاله ووسطه ولو ظهر آخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلبا أو خنزيرا
ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا ويلقى عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير أشرف
منه وأطيب وأرفع اذ أوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير
لا يهرب منه الخلق ولو رأى أهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا به من وحشة خلقته وقبح صورته ولو
وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى به في بحار الدنيا لصارت أنتن من الجيفة
فمن هذا حاله في العاقبة الا أن يعفى عنه وهو في شك من العفو فكيف يتكبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتقد
له فضلا وأي عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا أن يعفو الكريم بفضله أرأيت من جنى على بعض الملوك بما
استحق به ضرب ألف سوط فحبس في السجن وهو ينتظر أن يخرج الى العرض ويقام عليه العقوبة على ملاء
من الخلق فليس يدري أيعفى عنه أم لا كيف يكون ذله في السجن الذي هو فيه أفترى أنه يتكبر على من في السجن و
ما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله ولا يدري كيف يكون أمره فيكفيه ذلك حزنا
وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي القاطع لأصل الكبر وأما العلاج العملي فهو التواضع
بالفعل لله ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من أحوال الصالحين ومن
أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه كان يأكل على الأرض ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وقيل
لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما أنا عبد فاذا أعتقت يوما لبست ثوبا جديدا أشار به الى العتق في
الآخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالايمان
والصلوة جميعا وقيل الصلوة عماد الدين وفي الصلوة أسرار لأجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع
بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يأنفون من الانحناء وكان يسقط من يد الواحد
سوطه فلا ينحني لأخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لاصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت النبي
صلى الله عليه وسلم على أن لا أخر الا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم ثم فقه وكمل ايمانه فلما كان
السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة أمروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع
في قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع ولذلك

من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع خلقاً له فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعاً وذلك لخفي العلاقة بين القلب والجوارح وسائر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت **المقام الثاني** فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقي هو العلم والعمل واما ما عداهما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة **الاول النسب** فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل **شعر** لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا فالمتكبر بالنسب ان كان خسيساً في صفات ذاته فمن اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينتسب اليه حياً لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت وانما انت دودة خلقت من بولي أفترى ان الدودة التي خلقت من بول الانسان اشرف من الدودة التي خلقت من بول فرس هيهات فهما متساويان والشرف للانسان لا للدودة **الثاني** ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله عز وجل نسبه فقال تعالى الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله التراب المهين الذي يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنوناً كيف يتكبر وباخس الاشياء ما اليه انتسابه اذ يقال يا اذل من التراب ويا انتن من الحمأة ويا اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب فنقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب اليه من الاب فليحتقر نفسه بذلك ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى من التراب فمن اين رفعته واذا لم يكن له رفعة فمن اين جاءت الرفعة لولده فاذا اصله من التراب وفصله من النطفة فلا اصل له ولا فصل وهذا غاية خسة النسب فالاصل يوطئ بالاقدام والفصل يغسل منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثاله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد اخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة ذلك الشرف فبينما هو كذلك اذ اخبره عدول لا يشك في قولهم انه ابن عبد هندي حجام يتعاطى الصنائع الخسيسة والقاذورات وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم أفترى ان ذلك يبقى شيئاً من كبره لا بل يصير عند نفسه من احقر الناس واذلهم فهو من استشعار الخزي بخسته في شغل عن ان يتكبر على غيره فهذا حال البصير اذا تفكر في اصله وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب او يتعاطى عمل الدم بالفصد والحجامة وعلم ذلك لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة اعضاء ابيه بالتراب وفي الدم فكيف اذا عرف انه في نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التي يتنزه عن مشاهدتها في نفسه وغيره **السبب الثاني التكبر بالجمال** فدواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بجماله فانه وكل به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبصاق في فيه والوسخ في اذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطيه يغسل الغائط كل يوم بيده مرة او مرتين ويتردد الى الخلاء كل يوم مرة او مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلاً من ان يمسه او يشمه ليعرف قذارته وذلك في حال اعتداله وصحته ولم يخلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض واخرج من مجاري الاقذار اذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر قال انس كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر الينا انفسنا ويقول يخرج احدكم من مجرى

لم يكن به

البول مرتين وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرء اذ رآه يتبختر وذلك قبل خلافته هذا اوله ووسطه ولو ترك نفسه في حياته يوماً لم يتعهدها بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وصار انتن وانجس من الدواب المهملة التي لا تتعهد نفسها قط فاذا نظر انه خلق من اقذار واسكن في اقذار وسيموت فيصير جيفة اقذر من سائر الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الازهار في البوادي فبينما هو كذلك اذ صار هشيماً تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقياً وعن هذه القبائح خالياً لكان يجب ان لا يتكبر به على القبيح اذ قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جميل الجميل اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو في كل حال يتصور ان يزول بمرض او جدري او قرحة وسبب من الاسباب فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن اكثر فيها تأملها **السبب الرابع التكبر بالقوة** والايد ويمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق واحد في يده لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل ولو انه سلبه الذباب شيئاً لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت انفه او نملة دخلت اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع ذبابة فلا ينبغي ان يفتخر بقوته ثم ان قوي الانسان فلا يكون اقوى من حمار او بقرة او جمل او فيل واي افتخار في صفة يسبقك البهائم فيها **السبب الخامس الغناء** وكثرة المال وفي معناه كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكين من جهتهم فكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح انواع الكبر فان المتكبر بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدم داره لعاد ذليلاً والمتكبر بتمكين السلاطين وولايته لا بصفة في نفسه بنى امره على قلب هو اشد غلياناً من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تأمل لرأى في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل فأف لشرف يسبقك به اليهودي واف لشرف يأخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلاً مفلساً فهذه اسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشيء من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان ابقاه بقي وان استرجعه زال وما انت الا عبد مملوك لا تقدر على شيء ومن عرف ذلك لا بد وان يزول كبره ومثاله ان يفتخر الجاهل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان ابويه كانا مملوكين فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه فاخذه واخذ جميع ما في يده وهو مع ذلك يخشى ان يعاقبه وينكل به لتفريطه في امواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكاً ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوساً في منزل قد احدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقاً الى الخلاص البتة أفترى ان من هذا حاله هل يفتخر بقدرته وثروته وقوته وكماله ام يذل في نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك فانه لا يملك قوته وماله وبدنه واعضاءه وهو مع ذلك بين الآلام والشهوات والامراض والاسقام التي هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقدرته وقوته اذ يعلم انه لا قدرة له ولا قوة وهذا طريق علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان في النفس جديران بان يفرح بهما ولكن في التكبر بهما ايضاً نوع من الجهل خفي كما سنذكره **السبب السادس** التكبر بالعلم وهذا اعظم الآفات واغلب الادواء وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو اعظم من قدر المال والجمال و

وغيرهما بل لا قدر لهما اصلاً الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب ان للعلم طغياناً كطغيان المال
ولذلك قال عمر رضي الله عنه العالم اذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة
الى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان
يعلم ان حجة الله على اهل العلم آكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وان من عصى الله عز وجل
عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل
النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله عز وجل من يعلم و
لا يعمل بالحمار والكلب فقال تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا اراد به علماء
اليهود وقال في بلعم بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الى قوله تعالى فمثله
كمثل الكلب قال ابن عباس اوتي بلعم كتابا فاخلد الى شهوات الارض ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث
اي سواء آتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فاي عالم لم يتبع شهوته واي عالم
لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو
بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر
بروحه في ملكه لكثرة اعدائه فانه اذا اخذ وقهر اشتهى ان يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في
الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع التكبر لانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل
منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي ان يكون العالم عند نفسه اكبر من الصحابة وقد كان بعض الصحابة
يقول يا ليتني لم تلدني امي ويأخذ الآخر تبنة من الارض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول
الآخر يا ليتني كنت طيرا أوكل وذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون انفسهم اسوأ حالا من الطير ومن
التراب ومهما اطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال الكبر بالكلية ورأى نفسه كانه شر الخلق ومثاله عبد
امره سيده بامور فشرع فيها وترك بعضها وادخل النقصان في بعضها وشك في بعضها انه هل اداها كما يرتضيه
مولاه ام لا فاخبره مخبر ان مولاه ارسل اليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في
الشمس والحر زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به المجهود امر برفع حسابه وفتش عن جميع
اعماله قليلها وكثيرها ثم امر به الى سجن ضيق وعذاب اليم دائم لا يروح عنه ساعة وعلم ان سيده قد عاقب طوائف من عبيده
مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري انه من اي الفريقين يكون فاذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره و
ظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق بل تواضع رجاء ان يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب فكذلك العالم
اذا تفكر فيما ضيعه من اوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب في باطنه من الرياء والحسد والعجب والنفاق وغيره و
علم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة الامر الثاني ان العالم يعرف ان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده
وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله عز وجل منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر
لنفسك قدرا فان رأيت لك قدرا فلا قدر لك فلا بد ان يكلف نفسه ما يحبه مولاه وهذا يزيل التكبر عن
قلبه وان كان يستيقن انه لا ذنب له مثلا او تصور ذلك وبهذا زال الكبر عن الانبياء اذ علموا ان من نازع
الله في رداء الكبرياء قصمه وقد امرهم الله عز وجل بان يصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا
ايضا مما يبعثه على التواضع لا محالة فان قلت فكيف يتواضع للفاسق المظاهر بالفسق وللمبتدع وكيف يرى
نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله وكيف يغنيه ان يخطر بباله خطر العلم وهو
يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكثر فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه

ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبير من
كبر عند الله تعالى في الآخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن هو عند الله تعالى من اهل النار وهو
لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه
الله الاسلام وفاق جميع المسلمين الا ابا بكر وحده فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا
الى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا يراد للعاقبة فاذن من حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل قال
انه عصى الله تعالى بجهل وانا عصيته بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى عالم فيقول هذا علم ما لم
اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى كبير هو اكبر منه سنا قال انه اطاع الله تعالى قبلي فكيف اكون
مثله وان نظر الى كافر او مبتدع قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن فليس
دوام الهداية الي كما لم يكن ابتداؤها الي فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه فكل ذلك
بان يعلم ان الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله تعالى لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري هذا
الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق كل واحد ان يكون مصروف الهم الى نفسه مشغول
القلب بخوفه لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان على
نفسه ما لو حبس جماعة في جناية وعدوا بان يضرب رقابهم لم يتفرغوا للتكبر بعضهم على بعض وان عمهم
الخطر اذ شغل كل واحد همّ نفسه عن الالتفات الى غيره حتى كان كل واحد هو وحده في مصيبته وخطره
فان قلت فكيف ابغض المبتدع في الله وابغض الفاسق بغضهما ثم مع ذلك اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم
ان هذا مما يشتبه ابليس على اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله تعالى في انكار البدعة والفسق بتكبر النفس
والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا رأى فاسقا جلس بجنبه ازعجه
من عنده وتنزه منه بكبر باطن في نفسه وهو ظان انه قد غضب لله تعالى كما وقع لعابد بني اسرائيل
مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه
الغضب لله تعالى وهو خير فان الغضبان ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب واحدهما
يثمر الآخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذي يخلصك من هذا ان يكون الحاضر
على قلبك عند مشاهدة المبتدع او الفاسق او امرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة امور احدها
التفاتك الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر ذلك قدرك في عينك والثاني ان يكون ملاحظتك لما
انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه لا لك
فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما
يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه فان قلت فكيف اغضب مع هذه الاحوال
فاقول تغضب لمولاك وسيدك اذ امرك بان تغضب له لا لنفسك وانت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا و
صاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله تعالى من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة
واعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله تعالى ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره
فاقول اذا كان للملك غلام وولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره ان يضربه مهما اساء ادبه
واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام مطيعا محبا لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضب مهما رأى
ولده اساء ادبه وانما يغضب عليه لمولاه لانه امره به ولانه يريد التقرب بامتثال امره اليه ولانه جرى من ولده
ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه

لان الولد اعز لا محالة من الغلام فاذن ليس من ضرورة الغضب الكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان
تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدرهما عند الله تعالى في الآخرة اعظم لما سبق لهما من الحسنى في
الازل ولما سبق لك من سوء القضاء في الازل وانت غافل عنه ومع ذلك فتغضب بحكم الامر محبة لمولاك
اذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن تجوز ان يكون عنده اقرب منك في الآخرة فهكذا يكون بعض العلماء الاكياس
فيضم اليه الخوف والتواضع واما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك
غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله تعالى او اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر

السبب السابع التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله ان يلزم قلبه التواضع لسائر
العباد وهو ان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم قال الله
سبحانه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد
كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل العلم فان قال العابد ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا
عالم فاجر فيقال له اما عرفت ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم فكذلك يمكن
ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما يشهد لذلك واذا
كان هذا امرا غائبا عنه لم يجز له ان يحتقر عالما بل وجب عليه ان يتواضع له فان قلت فان صح هذا فينبغي
ان يكون للعالم ان يرى نفسه فوق العابد لقوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على
ادنى رجل من اصحابي فاعلم ان ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة الامر مشكوك فيها فيحتمل
ان يموت بحيث يكون حاله عند الله تعالى اشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو
عند الله عظيم وقد مقته به واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذن كل واحد من العالم والعابد خائف
على نفسه وقد كلف امر نفسه لا امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق
غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال وهذا حال العابد مع العالم فاما مع غير العالم فهم ينقسمون
في حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا يتكبر على المستور فلعله اقل منه ذنوبا واكثر عبادة منه
واشد منه حبا لله تعالى واما المكشوف حاله فانه لم يظهر لك من ذنوبه الا ما يزيد عليه ذنوبك في طول
عمرك فلا ينبغي ان يتكبر عليه ولا يمكن ان يقول هو اكثر مني ذنوبا لان عدد ذنوبك وذنوب غيرك في طول
العمر لا تقدر على احصائها حتى تعلم الكثرة نعم يمكن ان تعلم ان ذنوبه اشد كما لو رايت منه القتل والشرب
والزنا ومع ذلك فلا ينبغي ان يتكبر اذ ذنوب القلب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل و
الوسوسة في صفات الله تعالى وتخيل الخطا في كل ذلك شديد عند الله تعالى فربما جرى عليك في باطنك
من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله تعالى ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب
من حب الله تعالى واخلاص وخوف وتعظيم ما انت خال عنه وقد كفر بذلك سيئاته فينكشف الغطاء يوم القيمة
فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغي ان يكون قريبا عندك اذ كنت
مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف في حقك فانه لا تزر وازرة وزر اخرى وعذاب
غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك
فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال
العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره وهو ان يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هي
افضل منه وارفع وفرقة هي شر منه وادنى وهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان راى من هو خير منه سره وتمنى

ان يلحق به وان راى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك انا ولا يراه الا خائفا من العاقبة
ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا ادري لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب
عليه ويختم له باحسن الاعمال وبري ظاهره فذلك تزكي فلا ايامن فيما اظهر من الطاعة ان يكون دخلها
الآفات فاحبطها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد اهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة من جوز ان يكون
عند الله شقيا وقد سبق القضاء الازلي بشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا
غلب الخوف راى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روي ان عابدا اوى الى جبل فقيل له في
النوم ايت فلانا الاسكاف فسله ان يدعو لك فاتاه فساله عن عمله فاخبره انه يصوم النهار و
يكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله ببعضه فرجع وهو يقول ان هذا لحسن ولكن ليس
كالتفرغ لطاعة الله فاتي في النوم ثانيا وقيل له ايت الاسكاف فقل له ما هذا الصفار
بوجهك فاتاه فساله فقال له ما رايت احدا من الناس الا وقع لي انه سينجو واهلك انا فقال العابد
هذه والذي يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة
اي يؤتون الطاعة وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
وقال انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وقد وصف الله تعالى الملائكة مع تقديسهم عن الذنوب و
مواظبتهم على العبادة على الدؤوب بالاشفاق فقال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم من
خشيته مشفقون فمتى زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الازل وينكشف عند خاتمة الاجل
غلب الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالتكبر دليل الامن والامن مهلك و
التواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذا ما يفسده العابد باضمار التكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم
بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير
الا ان النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعي البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا
وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت وعدها فعن هذا لا ينبغي ان يكتفى في المداواة بمجرد المعرفة
بل ينبغي ان يكمل بالعمل ويجرب بافعال المتواضعين في مواضع هيجان الكبر من النفس وبيانه ان يمتحن
النفس بخمس امتحانات هي ادلة على استخراج ما في الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة **الامتحان الاول**
ان يناظر في مسألة مع واحد من اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله و
الانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا
دفينا فليتق الله فيه وليشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبان يذكر خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا
يليق الا بالله عز وجل واما بالعمل فبان يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق اللسان بالحمد و
الثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا
عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتني له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر من دله عليها فاذا واظب
على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه
الثناء على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل عليه في الملا فليس فيه
كبر وانما هو رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع من الناس وتذكير القلب بان منفعته في
كماله في ذاته وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الرياء وان ثقل عليه في الخلوة والملا جميعا ففيه
الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا

ممكان الامتحان الثاني ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم و
يجلس في الصدور تحتهم فان ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله
فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهي ان يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين
الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين الرياء التكبر فان ذلك يخف على نفوس
المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع
ايضا بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث
الكبر من الباطن **الامتحان الثالث** ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب
فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس
عنها ليس الا لخبث في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف
التي تزيل الكبر **الامتحان الرابع** ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من السوق الى البيت فان ابت نفسه ذلك
فهو كبر او رياء فان كان يثقل مع خلو الطريق فهو كبر وان كان لا يثقل الا عند مشاهدة الناس فهو رياء
وكل ذلك من امراض القلب وعللها المهلكة له ان لم يتدارك وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجسام
مع ان الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال تعالى الا من اتى
الله بقلب سليم وروي عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك و
بنيك ما يكفونك قال اجل ولكن اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على
ترك الانفة حتى جربها اهي صادقة ام كاذبة وفي الخبر من حمل الفاكهة او الشيء فقد برئ من الكبر **الامتحان
الخامس** ان يلبس ثيابا بذلة فان نفرة النفس عن ذلك في الملأ رياء وفي الخلوة كبر وكان عمر بن عبد
العزيز له مسح يلبسه بالليل وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من
الكبر وقال صلى الله عليه وسلم انما انا عبد آكل بالارض والبس الصوف واعتقل البعير والعق اصابعي
واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني وروي ان ابا موسى الاشعري رضي الله عنه قيل له
ان اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذا يجتمع فيه الرياء والكبر فما
يختص بالملأ فهو الرياء وما يكون في الخلوة فهو الكبر فليعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك
المرض لا يداويه **بيان غاية الرياضة في خلق التواضع** اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة
فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا
والمحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي قصد الامور ذميم واحب الامور الى الله عز
وجل اوساطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر ومن يتاخر عنهم فهو متواضع اي وضع شيئا من قدره الذي يستحقه
والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتنحى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وغدا الى باب الدار خلفه
فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو ان يعطي كل ذي حق حقه فينبغي
ان يتواضع بمثل هذا لامثاله ولمن يقرب من درجته فاما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام و
الرفق في السؤال واجابة دعوته والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه
اخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة امره وخاتمته فاذا سبيله في اكتساب التواضع
ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد
حصل الخلق المتواضع فان كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير

ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس
فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه الا ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط
المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق اهون من
الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير
ونهاية البخل مذمومان واحدهما افحش وكذلك نهاية التكبر ونهاية التخسس والتذلل مذمومان واحدهما اقبح من
الاخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب على ما يعرف ذلك بالشرع والعادة و
ليقتصر على هذا القدر من بيان اخلاق الكبر والتواضع

الشطر الثاني من الكتاب في العجب

وفيه **بيان** ذم العجب وآفاته و**بيان** حقيقة العجب والادلال وحدهما و**بيان** علاج العجب على الجملة و**بيان**
اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

بيان ذم العجب وآفاته

اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وذكر ذلك في معرض الانكار وقال تعالى وظنوا
انهم مانعتهم حصونهم من الله الآية رد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقد قال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه وقال صلى الله
عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وسلم لابي ثعلبة حيث ذكر
آخر هذه الامة فقال صلى الله عليه وسلم اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك نفسك وقال
ابن مسعود الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي والطلب والجد و
التشمير والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب و
المحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد القانط فمن ثم جمع بينهما وقال الله تعالى
فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وقال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا
تبروها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم
احد فاكب عليه حتى اصيبت كفه فكانه اعجبه فعله العظيم اذ فداه بنفسه حتى جرح فتفرس فيه ذلك عمر
رضي الله عنه فقال ما زال يعرف في طلحة نأو منذ اصيبت اصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والنأو
هو العجب في اللغة الا انه لم ينقل عنه انه اظهر ذلك واحتقر مسلما فلما كان وقت الشورى قال ابن عباس لعمر اين انت
من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب امثالهم فكيف يتخلص منه الضعفاء ان لم ياخذوا
حذرهم وقال مطرف لان ابيت نائما واصبح نادما احب الي من ان ابيت قائما واصبح معجبا وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب فجعل العجب اكبر الذنوب وكان بشر بن منصور
من الذين اذا رأوا ذكر الله والدار الآخرة لمواظبته على العبادة فاطال الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له
بشر فلما انصرف عن الصلاة قال لا يعجبك ما رايت مني فان ابليس قد عبد الله تعالى مدة طويلة ثم صار الى
ما صار اليه وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقد قال الله تعالى لا
تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان العجب
مذموم جدا

بيان آفة العجب

اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرناه
فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد فاما مع الله تعالى فالعجب يدعو الى
نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكره
منها فيستصغره ولا يستعظمه ولا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن انه يغفر له واما العبادات والاعمال فيستعظمها

مع الملائكة ص

ويتبجح بها ويمن على الله تعالى بفعلها وينسى نعم الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر سعيه ضايعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوايب قل ما ينفع وانما يتفقده من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويامن مكر الله تعالى وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله تعالى منة وحقا باعماله التي هي نعمة وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان اعجب برايه وعقله وعلمه منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه وبرايه ويستنكف عن سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب بالراي الخطا الذي يخطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطائه فان كان رايه في امر دنيوي فيحقق فيه وان كان في امر ديني لا سيما فيما يتعلق باصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برايه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم آفاته ان يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وانه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه

بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما

اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان احديهما ان يكون خايفا على زواله ومشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا يكون خايفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهو ان يكون غير خايف عليه بل يكون فرحا به ومطمئنا اليه ويكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة ورفعة وخير لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة فيكون فرحه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله تعالى بانه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله تعالى مهما شاء ازالها سلبها اذ اخذ للحزن نفسه فاذا العجب هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله تعالى حقا وانه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد ان يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله تعالى حقا وكذلك قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه واقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك وفي الخبر ان صلوة المدل لا تصعد فوق راسه ولان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله فانه لا يتعجب من رد دعاء الفساق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر واسبابه

بيان علاج العجب على الجملة

اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعلم الذي به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه او من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى له لا يدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث هو منه واليه وباختياره حصل وبقدرته وقوته فينبغي ان يتامل في قدرته وارادته واعضائه وساير الاسباب التي بها يتم عمله من اين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله تعالى اليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحقه وآثره على غيره لا بسابقة ولا وسيلة فمهما برز الملك لغلمانه ونظر اليهم فخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره من غير استحقاق فاعجابه بنفسه من اين وما سببه ولم ينبغي ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد فيقول الملك حكم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا بسبب فلولا انه تفطن فيّ من الصفات المحمودة الباطنة ما اقتضى الايثار بالخلعة لما آثرني بها فيقال وتلك الصفة هي ايضا من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها عن غيرك من غير وسيلة او هي عطية غيره فان كانت من عطية الملك لم يكن لك ان تعجب بها بل كان كما لو اعطاك فرسا فلم تعجب به فاعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما اعطاني غلاما لاني صاحب فرس واما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس والغلام معا او يعطي احدهما بعد الآخر فان كان الكل منه فينبغي ان يعجبك جوده وفضله لا نفسك واما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد ان تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار القاهر ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المتفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان اعجبت بعبادتك وقلت رزقني العبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فتقول هو عز وجل فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب اعمالك فاذن لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده والمحل ايضا من جوده وفضله فان قلت لا يمكنني ان اجهل اعمالي واني انا عملتها فاني انتظر عليها ثوابا ولولا اني عملتها لما انتظرت الثواب وان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن اين لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف لا اعجب بها فالجواب من وجهين احدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة اما الصريح فهو انك وقدرتك وارادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله تعالى واختراعه فاذن ما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى هذا هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من ابصار العيون بل خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو اردت ان تنفي شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع الا انه خلقه على الترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي خيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله تعالى سياتي تحقيقه في كتاب الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الآن نزيل اشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة ما وهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك ووجود عملك وارادتك وقدرتك وساير اسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله تعالى ومهما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزاين بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهي بيد الله تعالى لا محالة ارايت لو رايت خزاين الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفاتيحها بيد خازن فلو جلست على بابها وحول حيطانها الف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار مما فيها ولو اعطاك المفتاح لاخذته من قريب بان تبسط يدك اليه فتاخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفتاح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت يدك

فاخذ شيئا فاعجابك كان باعطاء الخازن المفاتيح او بما اليك من مد اليد واخذها فلا شك فانك ترى
ذلك نعمة من الخازن لا من المؤونة في تحريك اليد في اخذ المال فهذا انما الشأن كله في تسليم المفاتيح وكذلك
مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف
حتى لم يبق صارف ولا دافع ولا باعث الا وكل بك والعوائق عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق و
تهيئة الاسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب ممن اليه الامر كله
ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ سلط دواعي الفساد على الفساق
وصرفها عنك وسلط اخدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات
وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم
الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي
بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصي واشقاه بعدله فما اعجب اعجابك بنفسك
اذا عرفت ذلك فاذن لا ينصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها
فكانه الذي اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلا فله الشكر والمنة لا لك وسيأتي في كتاب التوحيد و
التوكل من بيان تسلسل الاسباب والمسببات ما يستبين به لك انه لا فاعل الا الله تعالى ولا خالق
سواه عز وجل والعجب ممن يتعجب اذا رزقه الله تعالى عقلا وافاض عليه المال من غير علم يقول كيف يمنعني قوت
يومي وانا العاقل الفاضل وافاض على هذا نعيم الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري المغرور
انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه في ظاهر الاحوال اذ يقول الجاهل الفقير يا رب
جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني منهما فهلا جمعتهما لي او رزقتني احدهما والى هذا اشار علي رضي الله عنه
حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما
يرى الجاهل الغني احسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا من عقلك وفقرك لامتنع
منه فاذن ذلك يدل على ان نعمة الله عليه اكبر فلم يتعجب منه والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على
الدميمة والقبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخص بها مثل هذا القبح ولا تدري
المغرورة ان الجمال محسوب عليها من رزقها وانها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع الغنى لآثرت الجمال فاذن نعمة
الله عليها اكبر وقول العاقل الحكيم الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني الدنيا واعطيتها الجهال كقول من اعطاه
الملك فرسا فيقول ايها الملك لم لا تعطيني الغلام انا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم اعطك الفرس
فهب اني ما اعطيتك صار نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذه اوهام لا تخلو الجهال عنها و
منشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله واوصافه كل ذلك من عند الله نعمة ابتدأه بها
قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم
يتصور ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك من الله عز وجل ولذلك قال داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام يا رب
ما تأتي ليلة الا وانسان من آل داود قائم ولا يأتي يوم الا وانسان من آل داود صائم وفي رواية ما من ساعة من ليل
او نهار الا وعابد من آل داود يعبدك اما يصلي واما يصوم واما يذكرك فاوحى الله تعالى اليه يا داود ومن اين
لهم ذلك ان ذلك لم يكن الا بي ولولا عوني اياك ما قويت وسأكلك الى نفسك قال ابن عباس انما اصاب داود
ما اصاب من الذنب بعجبه بعمله اذ اضافه الى آل داود مدلا به حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا اورثه الحزن والندم
وقال داود يا رب ان بني اسرائيل يسألونك بابراهيم واسحق ويعقوب فقال اني ابتليتهم فصبروا فقال يا رب وانا ان ابتليتني

صبرت فادل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى اما اني لم اخبرهم باي شيء ابتليتهم ولا في اي سنة وشهر وانا مخبرك
في سنتك هذه وشهرك هذا ابتليك غدا بامرأة فاحذر لنفسك فوقع فيما وقع وكذلك لما اتكل اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى وقالوا لا نغلب اليوم عن
قلة وكلوا الى انفسهم فقال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا الآية وروى ابن عيينة ان
ايوب عليه السلام قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا آثرت هواك على هواي فنودي من غمامة
بعشرة آلاف صوت يا ايوب انى لك ذلك اي من اين لك ذلك قال فاخذ رمادا ووضعه على رأسه و
قال منك يا رب فرجع عن نسيانه واضاف ذلك الى الله تعالى ولهذا قال عز وجل ولولا فضل الله عليكم
ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهم خير الناس ما منكم من احد
ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولقد كان اصحابه من بعده
يتمنون ان يكونوا طيورا مع صفاء اعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لذي بصيرة ان يعجب بعمله او يدل به ولا
يخاف على نفسه فاذن هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله
خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب
اذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لا يبالي ان يحرم من غير جناية ويعطي من غير وسيلة لا يبالي ان يعود و
يسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بالسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال

بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

اعلم ان العجب بالاسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه
برأيه الخطأ الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية اقسام الاول ان يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب اشكاله و
حسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة الزوال في
كل حال وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في اقذار باطنه وفي اول امره وفي آخره وفي الوجوه الجميلة والابدان
الناعمة انها كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور حتى استقذرتها الطباع **الثاني** القوة والبطش كما حكي
عن قوم عاد حين قالوا فيما اخبر الله تعالى عنهم من اشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه
على عسكر موسى فثقب الله تلك القطعة حتى صارت في عنقه وقد يتكل المؤمن على قوته كما روي عن سليمان على نبينا وعليه
الصلاة والسلام انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة ولم يقل ان شاء الله فحرم ما اراد من الولد وكذلك قول
داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام ان ابتليتني صبرت وكان اعجابا بالقوة ويورث العجب بالقوة الهجوم على الحروب والقاء
النفس في التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم تضعف
قوته وانه اذا اعجب بها ربما سلبها الله تعالى اياها بادنى آفة سلطها عليه **الثالث** العجب بالعقل والكياسة والتفطن
لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالرأي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له و
لرأيه ويخرج الى قلة الاصغاء الى اهل العلم اعراضا عنهم بالاستغناء بالرأي والعقل واستحقارا لهم واهانة
وعلاجه ان يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ويتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث
يضحك منه فلا يأمن ان يسلب عقله ان اعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتي من العلم الا قليلا وان اتسع
علمه وان ما جهله مما عرفه الناس اكثر مما عرفه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله وينظر الى الحمقى كيف
يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا يدري فان القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي ان يعرف
مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن اعدائه لا من اصدقائه فان من يداهنه يثني عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا
الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا **الرابع العجب بالنسب** كعجب الهاشمية حتى يظن انه ينجو بشرف نسبه ونجاة

اباءه وانه مغفور له فيتفضل بعضهم على جميع الخلق ولهم موال وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف اباءه في افعالهم
واخلاقهم وظن انه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى باباءه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازدراء على
النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال المحمودة لا بالنسب فليتشرف
بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل والشعوب من لم يؤمن بالله فكانوا عند الله شرا من
الكلاب واخس من الخنازير ولذلك قال الله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى اي لا تفاوت
في انسابكم لاجتماعكم على اصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين ان
الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم
الناس من اكيس الناس لم يقل من ينتمي الى نسبي ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا و
انما نزلت الاية حين اذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن
اسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية اي كبرها كلكم بنو ادم وادم من تراب وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ياتي الناس بالاعمال يوم القيمة وتاتون بالدنيا تحملونها تقولون يا محمد يا محمد
فاقول هكذا اي اعرض عنكم فبين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى و
انذر عشيرتك الاقربين فناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب
عمة رسول الله اعملا لانفسكما فاني لا اغني عنكما من الله شيئا فمن عرف هذه الامور وعلم ان شرفه
بقدر تقواه وقد كان من عادة اباءه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع والا كان طاعنا في نسب
نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت فقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية اني لا اغني عنكما من الله شيئا الا ان لكما رحما سابلها
ببلالها وقال صلى الله عليه وسلم اترجو سليم شفاعتي ولا ترجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته
بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم هو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسب ايضا جدير بان يرجوها ولكن
بشرط ان يتقي الله ان يغضب عليه فلا ياذن لاحد في الشفاعة فان الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة
فيه والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند الملوك في الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة
فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وبقوله
يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا وبقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين واذا انقسمت
الذنوب الى ما يشفع فيها والى ما لا يشفع فيها وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو كان كل ذنب تقبل فيه الشفاعة
لما امر قريشا بالطاعة ولما نهى فاطمة عن المعصية ولكان ياذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذاتها في
الدنيا ثم يشفع لها في الاخرة لتكمل لذاتها في الاخرة فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اعتمادا على رجاء
الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من اب او اخ او غيره
وذلك جهل لان سعي الطبيب وهمته وحذقه ينفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية
مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطب اثر على الجملة ولكن في الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج
فهكذا ينبغي ان يفهم عناية الشفاعة من الانبياء والصلحاء للاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا
يزيل الخوف والحذر فكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة وقد كانوا يتمنون
ان يكونوا بهائم من خوف الاخرة مع كمال تقواهم وحسن اعمالهم وصفاء قلوبهم ومع ما سمعوه من وعد النبي صلى الله عليه

من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبقوله تعالى صح

وسلم اياهم خاصة بالجنة صح ولسائر المسلمين عامة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخشوع والخوف قلوبهم فكيف يعجب بنسبه
ويتكل على الشفاعة بالشفاعة صح من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم **الخامس العجب بنسب السلاطين** الظلمة واعوانهم دون نسب
الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه ان يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله تعالى والفساد
في دين الله وانهم الممقوتون عند الله تعالى ولو نظر الى صورهم في النار وانتانهم واقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من
الانتساب اليهم ولانكر على من ينسبه اليهم استقذارا لهم واستحقارا ولو انكشف له ذلهم في القيمة وقد تعلق الخصماء
بهم والملائكة اخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم في مظالم العباد لتبرأ الى الله تعالى منهم ولكان
انتسابه الى الكلب والخنزير احب اليه من الانتساب اليهم فحق اولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله تعالى
على سلامة دينهم ويستغفروا لاباءهم ان كانوا مسلمين فاما العجب بالنسب فجهل محض **السادس العجب بكثرة العدد**
من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع كما قال تعالى اخبارا عن الكافرين نحن
اكثر اموالا واولادا وكما قال المؤمنون يوم حنين لا نغلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو ان يتفكر
في ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
باذن الله وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه ولد ولا اهل ولا قريب
ولا حميم ولا عشير فيسلمونه الى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيئا وهو في احوج
اوقاته اليهم وكذلك يهربون عنه يوم القيمة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم
يومئذ شان يغنيه فاي خير فيمن يفارقك في اشد احوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك
في القبر والقيامة على الصراط الا عملك وفضل الله فكيف تتكل على ما لا ينفعك وتنسى نعم من يملك ضرك و
نفعك وحيوتك وموتك **السابع العجب بالمال** كما قال الله تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين انا اكثر منك
مالا واعز نفرا وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال
صلى الله عليه وسلم اخشيت ان يعدو اليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه ان يتفكر في افات المال و
كثرة حقوقه وعظيم غوائله وينظر الى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيمة والى ان المال غاد ورائح ولا
اصل له والى ان في اليهود من يزيد عليه في المال والى قوله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في حلة له قد اعجبته
نفسه اذ امر الله الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة اشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وقال
ابو ذر كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا ابا ذر ارفع راسك فرفعت راسي فاذا
رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه خلقان فقال يا ابا ذر هذا عند الله
خير من قراب الارض مثل هذا وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال
يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن ان يعجب بثروته بل لا يخلو
المؤمن عن الخوف من تقصيره في القيام بحقوق المال واخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك
فمصيره الى الخزي والبوار فكيف يعجب بماله **الثامن العجب بالراي الخطاء** قال الله تعالى افمن زين له سوء
عمله فراه حسنا وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك
يغلب على اخر هذه الامة وبذلك هلكت الامم السالفة اذ افترقت فرقا وكل معجب برايه وكل حزب بما لديهم
فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بارائهم والعجب بالبدع هو استحسان ما
يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد من علاج غيره لان صاحب الراي الخطاء
جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فيعسر مداواته جدا

الا ان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برأيه وجهله فانه لا يصغي الى العارف ويتهمه فقد سلط الله تعالى عليه بلية تهلكه وهو يظن انها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما لرأيه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له دليل قاطع من كتاب او سنة او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة ولكن لن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد وتشمير في الطلب وممارسة الكتاب والسنة ومجالسة اهل العلم طول العمر ومدارسة العلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا يصغي اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله تعالى واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق فيما اخبر ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي واداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الاعمال فان خاض في المذاهب والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على ان يشتغل في عمره بشيء غير العلم فاما الذي عزم على التجرد للعلم فاول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الامر فيه والوصول الى اليقين والمعرفة في اكثر المطالب شديد لا يقدر عليه الا الاقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ بالله من الاغترار بخيالات الجهال

تم كتاب الكبر والعجب والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه اجمعين

كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي بيده مقاليد الامور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور ومخرج اوليائه من الظلمات الى النور ومورد اعدائه ورطات الغرور والصلوة والسلام على سيدنا محمد مخرج الخلائق من الديجور وعلى آله واصحابه الذين لم تغرهم الحيوة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلوة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور اما بعد فان مفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله تعالى على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية ولا داعي اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس وارباب البصائر قلوبهم كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء والمغترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور والاكياس هم الذين اذا اراد الله ان يهديهم يشرح صدورهم للاسلام والمغترون هم الذين اذا اراد الله ان يضلهم يجعل صدورهم ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه بصيرا وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا فاذا عرف ان الغرور هو ام الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد واخذ حذره منها وبنى على الحزم والبصيرة امره ونحن نشرح اجناس مجاري الغرور واصناف المغترين من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادي الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان اكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على مثال يغني عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم اربعة اصناف

الصنف الاول من العلماء **الصنف الثاني** من العباد **الصنف الثالث** من المتصوفة **الصنف الرابع** من ارباب الاموال والمغترون من كل صنف فرق وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى ولغيره كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلوة او القراءة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من مداخل لا تتضح الا بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدأ اولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده

بيان ذم الغرور وحقيقته وامثلته

اعلم ان قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني كاف في ذم الغرور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به والغرور هو جهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذي يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا يكون دليلا سمي الجهل الحاصل به غرورا والغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم مخطئون فيه فاكثر الناس اذاً مغرورون وان اختلفت اصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من بعض واظهرها واشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لهما امثلة لحقيقة الغرور

المثال الاول غرور الكفار فمنهم من غرتهم الحيوة الدنيا ومنهم من قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فاذن هي خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال فيما اخبر الله تعالى به انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله تعالى في قوله سبحانه وما عند الله خير وابقى وقوله تعالى وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وقوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله ابعثك الله رسولا فكان يقول صلى الله عليه وسلم نعم فيصدقه وهذا ايمان العامة وهو يخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في ان حضور المكتب خير من حضور الملعب مع انه لا يدري وجه كونه خيرا واما المعرفة بالبيان

والبرهان مبنى ان تعرف وجه فساد هذا القياس الذى نظمه فى قلبه الشيطان وان كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع فى النفس ويورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء فالقياس الذى نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما ان قوله ان الدنيا نقد والاخرة نسيئة وهذا صحيح والاخر قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس وليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة فى المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منها فالنسيئة خير فان هذا الكافر المغرور يبذل فى تجارته درهما لياخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا اتركه واذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الاطعمة ترك ذلك فى الحال خوفا من الم المرض فى المستقبل وقد ترك النقد ورضى بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون فى الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة فى ثانى الحال خيرا من واحد فى الحال فانسب لذة الدنيا من حيث اضافة مدتها الى مدة الاخرة فان اقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير جزء من الف الف جزء من الاخرة فكانه ترك واحدا ليأخذ الف الف بل ليأخذ ما لا نهاية له ولا حد وان نظر من حيث النوع راى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بالمنغصات ولذات الاخرة صافية غير مكدرة فاذا قد غلط فى قوله النقد خير من النسيئة وهذا غرور منشاه قبول لفظ عام مشهور اطلق واريد به خاص فغفل المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسيئة انما اراد به خير من نسيئة هو مثلها وان لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الاخر وهو قوله ان اليقين خير من الشك والاخرة شك وهذا القياس اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر فى تعبه على يقين وفى ربحه على شك والمتفقه فى اجتهاده على يقين وفى ادراكه رتبة العلم على شك والصياد فى تردده فى المقتنص على يقين وفى الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم داب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك اليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم اتجر بقيت جائعا وعظم ضررى وان اتجرت كان تعبى قليلا وربحى كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قريب بالاضافة الى ما اخافه من المرض والموت فكذلك من شك فى الاخرة فواجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر ايام قلائل وهى منتهى العمر قريب بالاضافة الى ما يقال فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتنى الا التنعم ايام حيوتى وقد كنت فى العدم من الازل الى الان لا اتنعم فاحسبانى بقيت فى العدم وان كان ما قيل فيه صدقا فابقى فى النار ابد الاباد وهذا لا يطاق ولهذا قال على رضى الله عنه لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلنا حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك فى الاخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين له انه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور واما الاصل الثانى من كلامه وهو قوله ان الاخرة شك فهو ايضا خطا بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان احدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك ايضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام واكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء واهل الصناعة من عند اخرهم على ان دواءه النبت الفلانى فانه تطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقى سوادى او معتوه يكذبهم فى ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الاحوال انهم اكثر منه عددا واغزر منه فضلا واعلم بالطب منه بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر فى علمه بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا وكذلك من نظر الى المقرين بالاخرة والمخبرين عنها والقائلين بان التقوى هو الدواء النافع فى الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله تعالى واعلاهم رتبة فى البصيرة والمعرفة والعقل فهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على اصنافهم وشذ منهم احاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بانهم من اهل النار فجحدوا الاخرة وكذبوا الانبياء فكما ان قول الصبى والسوادى لا يزيل طمانينة فى القلب على ما اتفق عليه الاطباء فكذلك قول هذا الغبى الذى استرقته الشهوات لا يشكك فى صحة قول الانبياء والعلماء فهذا القدر من الايمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به واما المدرك الثانى لمعرفة الاخرة هو الوحى والالهام بل الوحى للانبياء والالهام للاولياء ولا تظنن ان معرفة النبى صلى الله عليه وسلم لامر الاخرة ولامور الدين تقليد لجبرئيل بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد النبى صلى الله عليه وسلم حين يكون معرفتك كمعرفته وانما يختلف المقلد فقط هيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء يعرفون ومعنى معرفتهم فهو انه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هى عليه فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصيرة الظاهرة فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر الله تعالى وليس المراد بكونه من امر الله تعالى الامر الذى يقابل النهى لان ذلك كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر الشان حتى يكون المراد انه من خلق الله تعالى فقط لان ذلك عام فى جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير فى وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة فى ذكره لاستضرار اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذى منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف انه امر ربانى بطبعه وفطرته وانه فى العالم الجسمانى غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه فى ذاته بل بامر عارض غريب عن ذاته وذلك العارض الغريب ورد على ادم وعبر عنه بالمعصية وهى التى حطته عن الجنة التى هى اليق به بمقتضى ذاته فانه فى جوار الرب عز وجل وانه امر ربانى وحنينه الى جوار الرب لله تعالى وانه طبعى ذاتى الا ان يصرف عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون اى الخارجون عن مقتضى طبعهم ومعدن استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطرى وهذه اشارة الى اسرار يهتز لاستنشاق روائحها العارفون وتشمئز من سماع الفاظها القاصرون فانها تضرهم كما تضر رياح الورد بالجعل ويبهر اعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهى مبادى مقامات الانبياء ولنرجع الى الغرض والمقصود ان غرور الشيطان بان الاخرة شك يدفع اما بيقين تقليدى واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم وبعقائدهم اذا ضيعوا اوامر الله تعالى وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصى فهم يشاركون الكفار فى هذا الغرور لانهم اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة نعم امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم ايضا من المغرورين فانهم اعترفوا بان الاخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا واثروها ومجرد الايمان لا

ولله الخلق والامر والاجسام والمقادير من عالم الخلق صح

اليقين

عليهم

يكفي في العفو قال الله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال تعالى ان رحمة الله
قريب من المحسنين وقال صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقال عز وجل بسم الله الرحمن
الرحيم والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فوعد المغفرة في جميع كتاب الله
منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء ايضا مغرورون اعني المطمئنين الى
الدنيا الفرحين بها المترفهين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوت لذات الدنيا خلاف
الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا ولنذكر للغرور
مثالين من غرور الكافرين والعاصين فاما غرور الكفار بالله تعالى فمثاله قول بعضهم في انفسهم او
بالسنتهم انه لو كان لله تعالى معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا واسعد حالا كما اخبر الله
تعالى عنهم من قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا
منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر بنى قصرا بالف واشترى بستانا بالف وخدما
بالف وتزوج امراة على الف وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت وبنيت قصرا يخرب
ويفنى الا اشتريت قصرا في الجنة واشتريت بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا في الجنة لا يفنى
خدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفي ذلك كله يرد عليه الكافر ويقول
وما هناك شيء وما قيل لك فهو اكاذيب وان كان ليكونن لي في الاخرة خير من هذا وكذلك وصف الله
تعالى قول العاصي وائل حيث قال لاوتين مالا وولدا وقال الله تعالى ردا عليه اطلع الغيب ام اتخذ
عند الرحمن عهدا كلا وروي عن خباب بن الارت انه قال كان لي على العاص بن وائل دين فجئته اتقاضاه
فلم يقضني فقلت اني اخذه في الاخرة فقال لي اذا صرت الى الاخرة فان لي هناك مالا وولدا اقضيك من المال
فانزل الله تعالى افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الايات وقال تعالى ولئن اذقناه رحمة
منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
وهذا كله من الغرور بالله تعالى وسببه قياس من اقيسة ابليس وذلك لانهم ينظرون الى نعم الله تعالى عليهم
في الدنيا فيقيسون عليه نعمة الاخرة كما قال تعالى وينظرون مرة الى تاخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب
الاخرة كما قال تعالى لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين
وهم فقراء شعث غبر فيزدرونهم ويستحقرونهم ويقولون اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا
ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي القى الشيطان في قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله الينا بنعيم
الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن في المستقبل ايضا كما قال الشاعر لقد احسن الله
فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي وانما يقيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب اذ يقول
لولا اني كريم عند الله محبوب لما احسن الي والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعامه
عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي
الابصار يدل على الهوان ومثاله ان يكون عند الرجل عبدان صغيران يبغض احدهما ويحب الاخر
فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ
الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية التي تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب
ولا يدخل المكتب وياكل كل ما يشتهي فيظن هذا العبد المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه
من لذاته وشهواته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا

بستانا صر

نعيم الكثرة الدنيا فانها مهلكات ومبعدات عن الله تعالى فان الله تعالى يحمي عبده الدنيا وهو يحبه
كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورد في الخبر وكان ارباب البصائر اذا اقبلت
عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته وراوا ذلك امارة المقت والاهمال واذا اقبل الفقر قالوا
مرحبا بشعار الصالحين والمغرورون اذا اقبلت عليهم الدنيا ظنوا انها كرامة من الله واذا صرفت عنهم
ظنوا ان ذلك هوان كما اخبر الله عنهم فقال تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول
ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بين ان ذلك غرور وقال
الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول هذا ليس بكرامتي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي
غنيا كان او فقيرا والمهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل
الكرامة والهوان اما بالبصيرة واما بالتقليد اما البصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات الى
شهوات الدنيا مبعدا عن الدنيا ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله ويدرك ذلك بالالهام في منازل
العارفين والاولياء وشرحه من علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة واما معرفته بطريق التقليد التصديقي
فهو ان يؤمن بكتاب الله ويصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من
مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى
فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وفي تفسير قوله تعالى سنستدرجهم
انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى ولا
تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين الاية فما ورد في كتاب الله
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فمن امن به تخلص من هذا الغرور فان منشا هذا الغرور الجهل بالله تعالى وبصفاته
فان من عرفه لا يامن مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات وينظر الى فرعون وقارون وغيرهم الذين كانوا
ملوك الارض كيف احسن اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذر الله تعالى مكره واستدراجه فقال تعالى فلا
يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وقال تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين
وقال تعالى انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الاية وكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم على
حب السيد بل ينبغي ان يحذر ان يكون ذلك مكرا منه مع ان السيد لم يحذره مكر نفسه فبان يجب ذلك في حق الله تعالى مع
تحذيره استدراجه اولى فان من امن مكر الله فهو مغتر ومنشا هذا الغرور انه استدل بنعم الدنيا على انه كريم عند المنعم
واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى والشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى ما يوافقه
وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور **واما المثال الثالث فهو غرور العصاة** من المؤمنين بالله تعالى
بقولهم ان الله كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم رجاء
وظنهم ان الرجاء مقام محمود في الدين وان نعمة الله تعالى واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد في بحار
رحمته وانا موحدون مؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الاباء وعلو رتبتهم
كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة ابائهم من الخوف والتقوى والورع وظنهم انهم اكرم على الله تعالى من ابائهم اذ اباؤهم
مع غاية التقوى والورع خائفين وهم مع غاية الفجور والفسق امنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى فقياس الشيطان
للعلوية ان من احب انسانا احب اولاده وان الله تعالى قد احب اباءكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة وينسى المغرور ان نوحا على
نبينا وعليه الصلوة والسلام اراد ان يستصحب ولده في السفينة فقال رب ان ابني من اهلي فقال تعالى انه ليس من اهلك انه عمل
غير صالح وان ابرهيم صلوات الله على نبينا وعليه استغفر لابيه فلم ينفعه وان نبينا صلى الله عليه وسلم استاذن في ان يزور

جلة صر

جمع

تبرأ منه وليستغفر لها فاذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبرها صلى الله عليه وسلم لرقته لها
بسبب القرابة فهذا ايضا اغترار بالله تعالى وهذا لان الله سبحانه يحب المطيع ويبغض العاصي فكما انه لا يبغض
الاب المطيع لبغضه الولد العاصي كذلك لا يحب الولد العاصي لحبه الاب المطيع ولبغضه الولد العاصي وكذلك لا
يحب الولد العاصي بحبه الابن المطيع ولو كان الحب يسري من الاب الى الولد لاوشك ان يسري البغض ايضا بل الحق
ان لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى ابيه كمن ظن انه يشبع باكل ابيه ويروى بشرب
ابيه ويصير عالما بتعلم ابيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشي ابيه فالتقوى فرض عين فلا يجزي والد عن ولده شيئا
وعند جزاء التقوى يفر المرء من اخيه وامه وابيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فاذن في الشفاعة
كما سبق في كتاب الكبر والعجب فان قلت فاين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو عفوه
ورحمته فما هذا الا كلام صحيح مقبول في القلوب فاعلم ان الشيطان لا يغوي الانسان الا بكلام مقبول الظاهر
مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف ذلك فقال
صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
وهذا هو التمني على الله تعالى غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله تعالى الرجاء
فقال عز وجل ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله يعني ان الرجاء
بهم يليق وهذا لانه ذكر ثواب الاخرة اجرا وجزاء على الاعمال قال الله تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال تعالى وانما توفون اجوركم يوم القيامة افترى ان من استوجر
على اصلاح اوان وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير
وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم ان المستاجر كريم افتراه العقلاء في انتظاره
متمنيا مغرورا او راجيا وهذا للفرق بين الرجاء وبين الغرة قيل للحسن قوم يقولون نرجو الله ويضيعون
العمل فقال هيهات هيهات تلك امانيهم يترجحون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وقال مسلم بن
يسار لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل انا نرجو الله سبحانه فقال مسلم هيهات هيهات
من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما ان الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او
جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله تعالى وهو لم يؤمن او امن ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك
المعاصي فهو مغرور وكما انه اذا نكح ووطئ وانزل بقي مترددا في الولد يخاف ويرجو فضل الله تعالى في خلق
الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الام الى ان يتم فهو كيس فكذلك اذا آمن وعمل الصالحات و
ترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف ان لا يقبل منه وان لا يدوم عليه وان يختم له بالسوء ويرجو
من الله ان يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه
عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو كيس ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله سبحانه
وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نبأه بعد حين يقولون كما اخبر الله سبحانه ربنا
ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي علمنا انه لا يولد ولد الا بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع الا بحراثة وبث بذر
وكذلك لا يحصل من الآخرة ثواب ولا اجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك و
ان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وكلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير الم يسمعكم
سنة الله تعالى في عباده انه توفى كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله سبحانه بعد ان سمعتم وعقلتم
لو كنا سمعنا من رسلنا وعلماءنا الصالحين وعقلنا عن الله سبحانه وتعالى اوامره ونواهيه وقالوا لو كنا نسمع

او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير فان قلت فاين مظنة الرجاء و
موضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين احدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان وانى
تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله فيجب عند هذا ان يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر ان الله كريم يقبل التوبة عن عباده
والتوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله
يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم الاية امرهم بالانابة وهي الرجوع وقال تعالى واني
لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا فان توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار
فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان لا
تدرك الجمعة فاقم على موضعك فكذب الشيطان وقام يعدو وهو يرجو ان يدرك الجمعة فهو راج وان
استمر على التجارة وجعل يرجو تاخير الامام الصلوة لاجله او لغيره او لسبب اخر الى وسط الوقت فهو
مغرور والثاني ان تفتر نفسه عن فضائل الاعمال فيقتصر على الفرائض فيرجي نفسه نعيم الله تعالى و
ما وعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على العبادة ويتذكر قوله تعالى قد افلح
المؤمنون الى عشر ايات اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الاول
يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمير فكل توقع حث
على توبة وعلى تشمير في عبادة فهو رجاء وكل توقع اوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو
غرة كما اذا خطر له ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان ما لك ولايذاء نفسك وتعذيبها
ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر به عن التوبة والعبادة فهي الغرة وعند هذا واجب على العبد ان يستعمل
الخوف فيخوف نفسه بغضب الله تعالى وعظيم عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ومع انه كريم خلد الكفار في النار ابد الاباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب و
المحن والامراض والعلل على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها عنهم فهذه سنته في عباده وقد خوفني
عقابه فكيف لا اخافه وكيف اغتر به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان على العمل فما لا يبعث على العمل
فهو تمن وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا واعراضهم عن الله تعالى واهمالهم السعي
للاخرة فذلك غرور وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على اخر هذه الامة وقد كان ما وعد
به عليه الصلوة والسلام فقد كان الناس في الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة
يخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله تعالى يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات و
يبكون على انفسهم في الخلوات واما الان فترى الخلق مسرورين امنين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم
في الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين انهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله وراجون لعفوه ومغفرته كانهم
يزعمون انهم عرفوا من كرم الله تعالى وفضله ما لم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا
الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا فعلى ما ذا كان بكاء اولئك وخوفهم وحزنهم فقد ذكرنا تحقيق هذه الامور
في كتاب الرجاء والخوف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار ياتي على الناس زمان
يخلق فيه القران في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان يكون امرهم كله طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم
قال يتقبل مني وان اساء قال يغفر لي فاخبر انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القران
وما فيه وبمثله اخبر الله تعالى عن اليهود والنصارى اذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض
هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا كان او حراما وقد قال الله تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد و

من أول الجزء تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه إن كان مؤمناً بما فيه ونرى الناس الآن يهذون القرآن هذاً ويخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ونصبها ورفعها وكأنهم يقرؤون شعراً من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات إلى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه أمثلة الغرور بالله تعالى **بيان الفرق بين الغرور والرجاء** ويقرب منهم قوم لهم طاعات ومعاصي إلا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنه ترجح كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعافه ولعل ما يتصدق به من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحلال أو الحرام ما هو لأجل إلا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألفاً وأراد أن يشيل الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه أنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه وإذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله سبحانه بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراض الناس ويتكلم بما لا يرضى الله طول النهار من غير حصر وعد ويكون نظره إلى عدد سبحته أنه استغفر مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله تعالى بالعقاب على كل كلمة وقال سبحانه ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فهو أبداً يتأمل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين بذكر ما لا يعمرونه إلى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته كان يعده ويحسبه ويوازيه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فيا عجباً لمن يحاسب نفسه ويحتاط على قيراط يفوته في الأجرة على النسخ ولا يحتاط خوفاً من فوات الفردوس الأعلى ونعيمه ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وإن صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وإنا نبرأ إلى الله تعالى أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالاً على أباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى

بيان أصناف المغترين وفرق كل صنف وهم أربعة أصناف

الصنف الأول أهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإلزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم عند الله عز وجل بمكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغاً لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله تعالى وهم مغرورون فإنهم لو نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله تعالى وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة وأما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد إلا للعمل ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يعرفها إلا حذاق الأطباء فيسعى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وعجنه فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع

خوفا صح

إلى بيته وهو يكررها ويقرؤها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها أفترى أن ذلك يغني عنه من مرضه شيئاً هيهات هيهات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئاً إلى أن يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه فإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف إذا لم يشربه أصلاً فمهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه إذا أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصي ولم يجتنبها وأحكم علم الأخلاق المذمومة وما زكى نفسه عنها وأحكم علم الأخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور إذ قال الله تعالى قد أفلح من زكاها ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فإن العلم بالدواء لا يزيل المرض وإنما مطلبك القرب من الله تعالى وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الأخبار الواردة في فضائل العلم فإن كان المسكين معتوهاً مغروراً وافق ذلك مراده وهواه واطمأن إليه وأهمل العمل وإن كان كيساً فيقول للشيطان أتذكرني فضائل العلم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب وكقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فأي خزي أعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً وقال صلى الله عليه وسلم يلقى العالم في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا وكقوله صلى الله عليه وسلم شر الناس العلماء السوء وقول أبي الدرداء ويل للذي لا يعلم ولو شاء الله تعالى لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات أي أن العلم حجة عليه إذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وأمثاله مما أوردناه في كتاب العلم في باب علماء الآخرة أكثر من أن يحصى إلا أن هذا لا يوافق هوى العالم الفاجر وما أوردناه في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان بقلبه إلى ما يهواه وذلك عين الغرور فإنه إن نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وإن نظر بعين الإيمان فالذي أخبره بفضيلة العلم أخبره بذم العلماء السوء وأن حالهم عند الله تعالى أشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده أنه على خير مع تأكد حجة الله تعالى عليه غاية الغرور وأما الذي يدعي علوم المكاشفة كالعلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع أمر الله وحدوده فغروره أشد ومثاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولونه وشكله وعرضه وطوله وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وحركة وكلام وسكوت فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخاً بجميع ما يكرهه الملك عاطلاً عن جميع ما يحبه متوسلاً إليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جداً إذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك أقرب إلى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه الشهوات لم ينكشف له من معرفة الله تعالى إلا الأسامي دون المعاني إذ لو عرف الله عز وجل حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى إلى داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام خفني كما تخاف السبع الضاري نعم من يعرف من الأسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه فكأنه ما عرف الأسد ومن عرف الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم أنه مسخر في قدرة من لو أهلك مثله آلافاً مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبداً لم يؤثر ذلك فيه أثراً ولم يأخذه عليه رقة ولا اعتراه جزع ولهذا قال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء قيل معناه العلماء بالله تعالى على الحقيقة وفي فاتحة الزبور رأس

ص

في النار ص

الحكمة خشية الله تعالى وقال ابن مسعود كفى بخشية الله عز وجل علما وكفى بالاغترار بالله تعالى جهلا وسئل
الحسن عن مسئلة فاجاب فقيل ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رايت فقيها قط الفقيه القائم
ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال ايضا الفقيه لا يداري ولا يماري ينشر حكمة الله تعالى فان قبلت
منه حمد الله تعالى وان ردت حمد الله تعالى فاذن الفقيه من فقه عن الله تعالى امره ونهيه وعلم من صفاته
ما احبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فاذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين

وفرقة اخرى احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا انهم لم يتفقدوا
قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله تعالى من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وارادة
السوء للاقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يلتفت الى قول النبي صلى الله عليه و
سلم ادنى الرياء الشرك والى قوله عليه الصلوة والسلام لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى
قوله عليه الصلوة والسلام الحسد ياكل الحسنات كما ياكل النار الحطب والى قوله عليه الصلوة والسلام حب المال
والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار التي اوردناها في جميع الربع المهلكات
في الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم انما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلب
هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن وكقبور
الموتى ظاهرها مزين وباطنها جيفة وكبيت مظلم باطنه وضع السراج على سطحه حتى استنار ظاهره وكرجل
قصد الملك ضيافته الى داره فجصص باب داره وترك المزابل في صدر داره ولا يخفى ان ذلك غرور بل اقرب
مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع من الحشيش من قلعه من اصله
فاخذ يجز راسه ويقطعه فلا يزال يقوى اصله وينبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب ومن لا
يطهر القلب منها لا يتم الطاعات الظاهرة الا مع الافات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلاء و
شرب الدواء ليزيل ما له لا على ظاهره والدواء ينقطع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما
يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن وفرقة اخرى علموا ان
هذه الاخلاق الباطنة وعلموا انها مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم
ارفع عند الله تعالى من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فاما هو فاعظم عند الله تعالى
من ان يبتليه ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين و
اظهار شرف العلم ونصرة دين الله تعالى وارغام انف المخالفين من المبتدعين واني لو لبست الدون من الثياب و
جلست في الدون من المجلس شمتت اعداء الدين وفرحوا بي وكان ذلي ذلا على الاسلام ونسي المغرور ان
عدوه الذي حذره مولاه الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى ان النبي صلى الله عليه وسلم بماذا
نصر الدين وبماذا ارغم الكافرين وينسى ما اثر عن الصحابة رضي الله عنهم من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر و
المسكنة حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بذاذة زيه عند قدومه الشام فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب
العز في غير الاسلام ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الدقيقة من القصب والديبقي والابريسم المحرم والخيول
والمراكب ويزعم انه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما اطلق لسانه بالحسد في اقرانه او فيمن رد عليه شيئا
من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه ولم
يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد انه لو طعن في غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسته وزوحم فيها هل كان
غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله تعالى ام لا يغضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح
به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من خبث باطنه وهكذا يرائي باعماله وبعلومه واذا خطر له خاطر
الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من
عقاب الله عز وجل ولا يتأمل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه
صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم لم يفرق بين ان يحصل شفاؤهم
على يديه او على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان ايضا ويقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان
الاجر لي والثواب لي فانما فرحي بثواب الله تعالى لا بقبول الخلق هذا ما يظن بنفسه والله تعالى مطلع على ضميره
على انه لو اخبره نبي بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم اكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في السجن وقيد
بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي به يظهر رياسته من تدريس او
وعظ او غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتردد اليه ويثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلا
طين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في مالهم فاما انت فغرضك ان تشفع للمسلمين و
تدفع الضرر عنهم وتدفع شر اعدائك عن نفسك والله يعلم ما في باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك
السلطان فصار يشفع في كل مسلم حتى دفع الضرر في جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على ان يقبح حاله عند ذلك
السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى ان ياخذ من مالهم فاذا خطر له انه
حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام دين الله
تعالى افلا يحل لك ان تاخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة امور احدها في انه مال لا مالك له فانه
يعرف انه ياخذ الخراج من المسلمين واهل السواد والذين اخذ منهم احياء قيام واولادهم وورثتهم احياء وغايته الامر وقوع
الخلط في اموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف في انه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك
له ويجب ان يقسم بين العشرة ويرد الى كل واحد عشرة وان كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله
انك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا اموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا
والاقبال على الرياسة والاعراض عن الآخرة بسببه اكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها واقبلوا على الله
تعالى فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض
عن الدنيا والاقبال على الله تعالى كالانبياء والصحابة وعلماء السلف والدجال هو الذي يقتدى به في الاعراض عن
الله تعالى ولعل موت هذا انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم انه قوام الدين ومثله كما قال عيسى على نبينا وعليه الصلوة
والسلام للعالم السوء السوء كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع و
اصناف غرور اهل العلم في هذه الاعصار المتاخرة خارج عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير وفرقة
اخرى احكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا اخلاق
النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا انفسهم في التبري منها وقلعوا من
القلوب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكائد الشيطان وخبايا خداع
النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها واهملوها وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش
عن كل حشيش رآه فقلعه الا انه لم يفتش عما لم يخرج راسه بعد من تحت الارض وظن ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد
نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فاهملها وهو يظن انه قد اظهرها فاذا هو بها في غفلته وقد نبتت
وقويت وافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري وكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد

يعرف بعضهم ان ذلك مذموم فهو منكب عليها غير منزجر عنها وكلام

الدواء صح

ح

طين

للرفاق فتراه يسهر ليله ونهاره في جميع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه
الحرص على اظهار دين الله تعالى ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الاطراف وكثرة
الرحلة اليه من الآفاق وانطلاق الالسنة عليه بالثناء والمدح والزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات و
ايثاره في الاغراض والاجتماع حوله والاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع
بتحريك الرؤس على كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والمستفيدين والسرور بالتخصص بهذه
الخاصية من بين سائر الاقران والاشكال والجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من اطلاق اللسان بالطعن في
الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين لكن عن ادلال بالتميز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا المسكين
المغرور بهجته في الباطن بما انتظم له من امر الامارة والعز والانقياد والتوقير وحسن الثناء فلو تغيرت عليه القلوب
واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من اعماله فعساه يتشوش عليه قلبه ويختلط اوراده ووظائفه وعساه يعتذر
بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج الى ان يكذب في تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد
والورع فان كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه عن من عرف حد فضله وورعه وان كان ذلك على نوع حاله
وعساه يؤثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى انه يؤثره لتقدمه في الفضل والورع وانما ذلك لانه اطوع له
انفع لمراده واكثر ثناء عليه واشد اصغاء اليه واحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم
وهو يظن ان قبولهم لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى ان
ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية وعساه لو وعد بمثل ذلك على الثواب في ايثار الخمول والعزلة و
اخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة والاخفاء لذة القبول وعز الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان
من زعم من بني آدم انه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبالي وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا انه يجمع علم الله تعالى
لينتفع به وانما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه ذلك
مع علمه بان ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله تعالى عالم بانه المصنف لا من ادعاه فلعله في
تصنيفه لا يخلو عن الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن في غيره ليتبين من طعنه في
غيره انه افضل ممن طعن فيه على من هو اعظم منه علما ولعله كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد
تزييفه فيعزيه الى قائله وما يستحسنه فلعله لا يعزيه اليه ليظن انه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له او يغيره ادنى
تغيير كالذي يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين الفاظه وتسجيعه وتحسين
نظمه كيلا ينسب الى الركاكة ويرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه
غافل عما روي ان بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحفا في الحكمة فاوحى الله تعالى الى نبي زمانه قل له قد ملأت الارض
نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا لظن كل واحد بنفسه السلامة
عن عيوب القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من طلابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه اكثر
تبعا من غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة
تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه
فبعد ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه ولا يتشمر بقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما اثنى
مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه الى فئة اخرى كان انفع له في دينه لانه من الآفات التي كانت
تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة ومع ذلك لا يزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا تحركت فيه
مبادي الحسد لم يقدر على اظهاره فيعتل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله

لا لنفسي ومهما ذكر عيوبه بين يديه ربما فرح به وان اثنى عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكرت عيوبه
يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك فهذا وامثاله من خفايا
العيوب لا يفطن لها الا الاكياس ولا يتنزه منها الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفاء الا ان اقل
الدرجات ان يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله تعالى بعبد خيرا
بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه
الممتن على الله عز وجل بعلمه وعمله الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله تعالى من الغفلة ومن الاغترار ومن
المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال فهذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم الا ان غرور
الذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم عن اصل ذلك العلم واما
لاقتصارهم عليه فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوي في الحكومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية
بين الخلق لمصالح المعايش وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال
الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة والبطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي الى
السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والرياء والحسد وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون
من وجهين احدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال
المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف
على الهلاك ويحتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم علم الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه
بانه رجل لا يحيض ولا يستحيض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتسال عنها وذلك غاية الغرور وكذلك
المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة و
وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله تعالى وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم و
الاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض وهو لا يحتاج الى شيء
من ذلك قط في عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من
الجاه والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور بنفسه انه مشغول بفرض دينه وليس
يدري ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان
قد قصد بالفقه وجه الله تعالى فانه وان قصد وجه الله تعالى فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه
في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل واما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم الدين
وترك علم كتاب الله وسنة رسوله وربما طعن على المحدثين وقال انهم نقلة وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم
تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على
التقوى فتراه آمنا من الله تعالى مغترا به متكلا على انه لا بد وان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى
لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه
ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله تعالى ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم
التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والذي يحصل به
الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وبدفع
القتل والجراحات والمال في طريق الله تعالى آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات
القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن

الله تعالى فإنه في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك فإنه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج في شيء وقد شرحنا ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه إلا تعلم طريق المجادلة والإلزام وإفحام الخصوم ودفع الحق لأجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات أرباب المذاهب والتفقد لعيوب الأقران والتلقف لأنواع التشبيهات المؤذية وهؤلاء هم سباع الإنس إذ طبعهم الإيذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم إلا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الأقران وكل علم لا يحتاجون إليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فإنهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وإنما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم في علم الفتاوى ولكن زادوا إذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضاً بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف وأما أدلة الأحكام فيشتمل عليه علم المذاهب وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيه وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية إنما أبدع لإظهار الغلبة والإفحام وإقامة سوق الجدل به فغرورهم أولاً أشد كثيراً وأقبح من غرور من قبلهم

وفرقة أخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الأهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة أولئك وإفحامهم وافترقوا في ذلك فرقاً كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون لعبد عمل إلا بالإيمان ولا يصح إيمان إلا بأن يتعلم جدلهم وما سموه أدلة عقائدهم وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم وأنه لا إيمان لمن لا يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم إلى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي تدعو إلى غير السنة والمحقة هي التي تدعو إلى السنة والغرور شامل لجميعهم أما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضاً وإنما أوتيت من حيث إنها لم تتهم رأيها ولم تحكم أولاً شروط الأدلة ومنهاجها فرأت الشبهة دليلاً والدليل شبهة وأما الفرقة المحقة فإنما اغترارها من حيث إنها ظنت بالجدل أنه أهم الأمور وأفضل القربات في دين الله تعالى وزعمت أنه لا يتم لأحد دينه ما لم يتفحص ولم يبحث وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن وليس بكامل الإيمان ولا مقرب عند الله تعالى فلهذا الظن الفاسد قطعت أعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم وأهملوا أنفسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الباطنة والظاهرة وهي تظن أن اشتغالها بالجدل أولى وأقرب عند الله تعالى وأفضل ولكنها لالتذاذها بالغلبة والإفحام ولذة الرياسة وعزة الانتماء إلى الذب عن دين الله تعالى عميت بصيرتها فلم تلتفت إلى القرن الأول وأن النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وأنهم قد أدركوا كثيراً من أهل البدع والهوى فما جعلوا أعمارهم ودينهم غرضاً للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد جوارحهم وقلوبهم وأحوالهم بل لم يتكلموا فيه إلا من حيث رأوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته وإذا رأوا مصراً على ضلاله هجروه وأعرضوا عنه وأبغضوه في الله ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر بل قالوا إن الحق هو الدعوة إلى السنة ومن السنة ترك الجدال في الدعوة إلى السنة إذ روى أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما ضل قوم إلا أوتوا الجدل وخرج صلوات الله وسلامه عليه يوماً على أصحابه وهم يجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال ألهذا بعثتم أم بهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا إلى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدل ثم إنهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث إلى كافة الخلق فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لإلزام وإفحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وإيراد

إلزام فما جادلهم إلا بتلاوة القرآن المنزل عليه ولم يزد في المجادلة عليه لأن ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الإشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الأقيسة وأن يعلم أصحابه كيفية الجدل والإلزام ولكن الأكياس وأهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا أهل الأرض وهلكنا لم ينفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلتهم فما لنا نضيع أعمارنا ولا نصرفها إلى ما ينفعنا في القيامة يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نأمن على أنفسنا الخطأ في تفاصيله ثم نرى أن المبتدع ليس يترك بدعته بجدلنا بل يزيده التعصب والخصومة تشدداً في بدعته فاشتغالنا بمخاصمة أنفسنا ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للآخرة أولى بنا هذا لو كنا لم ننه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهينا عن ذلك فكيف ندعو إلى السنة بترك السنة فالأولى بنا التفقد لأنفسنا والنظر في صفاتها مما يبغضه الله وما يحبه لتتنزه عما يبغضه وتتمسك بما يحبه

وفرقة أخرى شغلت بالوعظ والتذكير وأعلاهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون بأنفسهم أنهم إذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها صاروا موصوفين بها وهم منفكون عنها عند الله تعالى إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء أشد الغرور لأنهم يعجبون بأنفسهم غاية الإعجاب ويظنون أنهم ما تبحروا في علم المحبة إلا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم معرضون عنها متنزهون ولولا أنهم مقربون عند الله لما عرفهم معنى القرب والبعد وعلم السلوك إلى الله تعالى وكيفية قطع المنازل في طريق الله تعالى فالمسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى وهو من الساخطين ويرى أنه من الراضين وهو من المغترين المضيعين ويرى أنه من المتوكلين على الله تعالى وهو من المتكلين على العز والجاه والمال والأسباب ويرى أنه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الإخلاص ويترك الإخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره ويرائي بذكره ليعتقد فيه أنه لولا أنه مخلص لما اهتدى إلى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا مع شدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء إلى الله تعالى وهو منه فار ويخوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ويقرب إلى الله تعالى وهو منه متباعد ويحث على الإخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق الرديء وهو على الخلق الرديء أشد حرصاً لو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس إلى الله تعالى لضاقت عليه الأرض بما رحبت ويزعم أن غرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غماً وحسداً ولو أثنى أحد من المترددين إليه على أقرانه لكان أبغض خلق الله تعالى إليه فهؤلاء أعظم الناس غروراً وأبعدهم عن التنبه والرجوع إلى السداد لأن المرغب في الأخلاق المحمودة والمنفر عنها هو العلم بغوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف يسبيل تخويفه وإنما المخوف ما يتلوه على عباده فيخافون الله وهو ليس بخائف نعم إن ظن بنفسه أنه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو أن يدعي مثلاً حب الله تعالى فما الذي تركه من محاب الدنيا لأجله ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي الأنس بالله تعالى فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلئ بالحلاوة إذا أحدق به المريدون ويراه

بحيا آنناصر

يستوحش اذ خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره فالاكياس
يمتحنون انفسهم في هذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله
غليظ والمغترون يحسبون بانفسهم الظنون واذا كشف الغطاء عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في
النار فتندلق اقتابهم فيدورون بها كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لانهم يامرون بالخير ولا ياتونه و
ينهون عن الشر وياتونه وانما وقع الغرور بهؤلاء من حيث انهم يصادفون من قلبهم شيئا ضعيفا من اصول هذه
المعاني وهو حب الله تعالى والخوف منه والرضاء بفعله فقدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه
المعاني وظنوا انهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله تعالى عليه مما نفع الناس بكلامهم فيها الا
لاتصافهم بها وذهب عليهم ان القبول للكلام والكلام بالمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وان كان
ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم يفارقوا آحاد المسلمين في الاتصاف بصفة الخوف والحب الا في القدرة على
الوصف بل ربما زاد امنه وربما قل خوفه وظهر الى الخلق ميله وضعف في قلبه حب الله تعالى وانما مثاله مثال
مريض يصف المرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى ولا يقدر على وصف
الصحة والشفاء واسبابه ودرجاته واصنافه فهؤلاء يفارقهم في صحة المرض والاتصاف به انما يفارقهم في الوصف
والعلم بالطب ويظن عند جهله بحقيقة الصحة انه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وسائر
هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذا
حال الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والاخبار ووعظ الحسن وامثاله
وفرقة اخرى منهم عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ اهل الزمان كافة الا من عصمه الله تعالى
على الندور في بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات
خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ
وتلفيقها فاكثر همهم في الاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق وغرضهم ان يكثر في مجالسهم
الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا عن سواء السبيل
فان الاولين ان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هؤلاء فانهم يصدون عن
سبيل الله تعالى ويجرون الخلق الى الغرور بالله سبحانه بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصي
ورغبة في الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب فانه يشهد من فرقه الى قدمه
بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور اكثر مما يصلح بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا فلا
يخفى كونه مغرورا **وفرقة اخرى** منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون
الكلمات على وجهها ويرددونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في
المحاريب وبعضهم في الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه اذا تميز عن السوقية بهذا القدر والجندية
اذ حفظ كلام الزهاد واهل الدين دونهم فقد افلح ونال الغرض وصار مغفورا له وامن من عقاب الله
تعالى من غير ان يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن ان حفظه لكلام اهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء
اظهر من غرور من قبلهم **وفرقة اخرى** استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث اعني في سماعه وجمع الروايات
الكثيرة وطلب الاسانيد الغريبة العالية فهمة احدهم ان يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا اروي عن
فلان ولقد لقيت فلانا ومعي من الاسناد ما ليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها انهم كحملة الاسفار
فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك يكفيهم ومنها

انهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بما فهموا وقد يفهمون بعضها ايضا ولا يعملون بها ومنها انهم يتركون
العلم الذي هو فرض عين وهو معرفة معالجة القلب ويشتغلون بتكثير الاسانيد وطلب العالي
منها ولا حاجة بهم الى شيء من ذلك ومنها وهو الذي غلب على اهل الزمان انهم لا يقومون بشروط
السماع فان السماع بمجرده وان لم يكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد
الاثبات والعمل بعد التفهم فالاول السماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من
الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ
نائم والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر
ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما اشتغل بحديث او نسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو
صحف وغير ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل في الحديث ان تسمعه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحفظه كما تسمعه وترويه كما حفظته فتكون الرواية عن الحفظ و
الحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة والتابعين و
صار سماعك عن الراوي كسماع من يسمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان تصغي لتحفظ وتروي
كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه شيئا حرفا ولو غير غيرك منه حرفا واخطأ علمت خطاه والحفظ
طريقان احدهما ان تحفظ بالقلب وتستديمه بالتكرار كما تحفظ ما يجري على سمعك في مجاري الاحوال والثاني
ان تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل اليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي
خزانتك فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما غيره واذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك
او بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتامن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب و
لا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رايت نسخة لذلك وجوزت ان يكون ما
فيها متغيرا او تفاوت حرف منها النسخة التي سمعتها لم يجز لك ان تقول سمعت هذا الكتاب لانك لا تدري
لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئا يخالف ما فيه ولو في كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة
استوثقت عليها بالمقابلة فمن اين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به
علم وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان انا سمعنا ما في هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه
كذب صريح واقل شروط السماع ان يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ لا يشعر معه بالتغيير و
لو جاز ان يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز ان يكتب سماع الصبي في المهد وسماع
المجنون ثم اذا بلغ الصبي وافاق المجنون سمع عليهما ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز ان يكتب
سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب و
الغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ فان استجرأ جاهل فقال يكتب سماع الصبي في
المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فما
ذا ينفع هذا وهذا انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر اذا صار شيخا على ان يقول سمعت بعد
بلوغي اني في صباي حضرت مجلسا يروي فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا ادري ما هو ولا خلاف
في ان الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز اثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية
لانه سمع صوتا غفلا لجاز اثبات سماع صبي في المهد وذلك غاية الجهل ومن اين يوجد هذا وهل للسماع
مستند الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها وكيف

يؤدي ما سمع من لا يدري ما سمع فهذا من افحش انواع الغرور وقد بلي به اهل الزمان ولو احتاط اهل
الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوا في الصبى على هذا الوجه مع الغفلة الا ان للمحدثين في
ذلك جاها وقبولا فخاف المساكين ان يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع في حلقهم فينقص جاههم ويقل ايضا
احاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك واقتصروا او اصطلحوا على انه ليس يشترط الا
ان يكون ممن يقرع سمعه دمدمة وان كان لا يدري ما يجري وصحة السماع لا يعرف من قول
المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علماء باصول الفقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين اصول الفقه
فهذا غرور هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي افنائهم عمرهم في
جمع الروايات والاسانيد ولعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاخبار مثل الذي يقصد من
الحديث سلوك طريق الآخرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روي عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس
السماع وكان اول حديث روي قول النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام
وقال يكفيني هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور
وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انه قد غفر لهم و
انهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فافنى هؤلاء
اعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعراء وفي غرائب اللغة ومثلهم كمن يفني جميع العمر في تعلم الخط
وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتب فلا بد من تعلمه وتصحيحه ولو عقل لعلم
انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط بحيث يمكن ان يقرأ كيفما اتفق والباقي زيادة في الكتابة وكذلك الاديب لو عقل لعرف
ان لغة العرب كلغة الترك والهند وانما فارقتها لورود الشريعة بها وكذا من علم اللغة معرفة علم الغريب في
الاحاديث ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب واما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى
عنه ثم لو اقتصر عليه واعرض عن معرفة المعاني الشرعية والعمل بها فهو ايضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع العمر في
تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه فهو مغرور اذ المقصود من الحروف المعاني وانما الحروف ظروف و
ادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين فهو من جهال المغرورين فكذلك غرور اهل النحو واللغة والادب و
القرآن والتدقيق في مخارج الحروف مما تعمقوا فيها او تجردوا لها وعرجوا عليها اكثر مما يحتاج في تعلم العلوم التي
هي فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه
وهو سماع الالفاظ بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك
وهي القشرة الاعلى العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغرورون الا من اتخذ هذه الدرجات
منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فتجاوز الى ما وراء ذلك حتى وصل الى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل
قلبه وجوارحه وزجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود
المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم
يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب او في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة
بعلوم الشرع اغتر بها اربابها فاما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم انه ليس من علوم الشرع فلا
يعتقد اصحابها انهم ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم وكان الغرور فيها اقل من الغرور بعلوم الشرع لان
العلوم الشرعية مشتركة في انها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى و
الباقي محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به **وفرقة اخرى** عظم

لعل ما بين الصفرتين فيضيع اوقاته في تحسين القدح الذي يشرب فيه السكنجبين صح

غرورهم في فن الفقه وظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله تعالى يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا
الحيل في دفع الحقوق واساؤوا تأويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر واخطأوا فيها وهذا من قبيل
الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطاء في الفتوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الا الاكياس منهم فنشير
الى امثلة فمن ذلك فتواهم بان المرأة مهما ابرأت عن الصداق برئ الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ
بل الزوج قد يسيء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج
لتتخلص فهو ابراء لا عن طيبة نفس وقد قال الله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وطيبة النفس
غير طيبة القلب فقد يريد الانسان بقلبه ما لا تطيب به النفس فالانسان يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها
نفسه فانما طيبة النفس ان تسمح نفسها بالابراء لا عن ضرورة تقابله حتى اذا ترددت بين ضررين اختارت
اهونهما فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض فينظر
الظاهر وانها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي في صعيد القيامة
للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الابراء وكذلك لا يحل مال الانسان الا بطيبة نفس
منه فلو طلب من انسان مالا على ملاء من الناس فاستحيى من الناس ان لا يعطيه وكان يود ان يكون سؤاله في
خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف الم مذمة الناس وخاف الم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار اهون الالمين وهو
الم التسليم فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك اقوى من الم
القلب وبذل المال فيختار اهون الالمين والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب
الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله تعالى ظاهر وانما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك
بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه او لشر سعايته فهو حرام عليه
وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام الا ترى الى ما جاء في قصة داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام
حيث قال بعد ان غفر له يا رب كيف لي بخصمي وكان امره بالاستحلال منه فامر بندائه في صخرة بيت المقدس
فناداه يا اوريا بن حنان فاجابه لبيك يا نبي الله لقد اخرجتني من الجنة فماذا تريد قال اني اسأت اليك في امر
فهبه لي قال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف وقد ركن الى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت
له ما صنعت قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال لبيك يا نبي الله قال اني اذنبت اليك ذنبا فقال
الم اهبه لك قال او لا تسألني ما ذلك الذنب قال ما هو يا نبي الله قال كذا وكذا وذكر شأن المرأة فانقطع الجواب
فقال يا اوريا الا تجيبني قال يا نبي الله ما هكذا يفعل الانبياء حتى اقف معك بين يدي الله تعالى فاستقبل
داود الصراخ والبكاء من الرأس حتى وعده الله تعالى ان يستوهبه منه في القيامة فهذا ينبهك ان الهبة من غير
طيبة قلب لا تفيد وان طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة وكذلك طيبة القلب لا تكون في الابراء والهبة الا اذا
خلي الانسان واختياره حتى تنبعث الدواعي من ذات نفسه لا ان يضطر دواعيه الى الحركة بالحيل والالزام
ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته واتهابه مالها لاسقاط الزكاة فالفقيه يقول
سقطت الزكاة فان اراد به ان مطالبة الساعي والسلطان قد سقط عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم
ظاهر الملك وقد زال وان ظن انه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك المال او كمن لا يملك المال او كمن باع
لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما اعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب
من رذيلة البخل فان البخل مهلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وانما
صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه فان الله سبحانه وتعالى مطلع

عن صح

هكذا صح

واعجاب المرء بنفسه صح

على قلبه وحب المال وحرص عليه فانه يبلغ من حرصه على المال انه استنبط الحيل حتى سد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالحيل والغرور ومن ذلك ابلحه الله تعالى مال المصالح الفقيه وغيره بقدر الحاجة المغرورون لا يميزون بين الاماني والفضول والشهوات والحاجات بل يرون ما لا تتم رعونتهم الا به حاجة وذلك محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها في العبادة وطريق الله وكل ما تناوله العبد للاستعانة على الدين والعبادة فهو حاجة وما عدا ذلك فهو فضول وشهوة ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء في امثال هذا لملانا منه مجلدات والغرض التنبيه على امثلة يعرف بها الاجناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول

الصنف الثاني ارباب العبادة والعمل المغرورون فيهم فرق كثيرة منهم من غروره في الصلوة ومنهم من غروره في تلاوة القران ومنهم من غروره في الحج ومنهم من غروره في الغزو ومنهم من غروره في الزهد في الدنيا وكذلك المشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور الا الاكياس وقليل ما هم

فمنهم فرقة اهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرتضي الماء المحكوم عليه بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة واذا آل الامر الى اكل الحلال قدر الاحتمالات قريبة بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان اشبه بسيرة الصحابة اذ توضا عمر رضي الله عنه بماء من جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان يدع ابوابا من الحلال خوفا من الوقوع في المشتبه والحرام ثم من هؤلاء من يخرج الى الاسراف في صب الماء وذلك منهي عنه وقد يطول الامر حتى يضيع الصلوة ويخرجها عن وقتها وان لم يخرجها ايضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة اول الوقت وان لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو اعز الاشياء فيما له مندوحة عنه الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله سبحانه بطريق شتى ولا يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك

وفرقة اخرى غلبت عليها الوسوسة في نية الصلوة فلا يدعها الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يوسوس الى احدهم حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلوة عن الوقت وان تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في اول الصلوة ثم يغفلون في جميع الصلوة ولا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون انهم اذا اتعبوا انفسهم في تصحيح النية في اول الصلوة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم

وفرقة اخرى تغلب عليهم الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها فلا يزال احدهم يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع الصلوة لا يهمه غير ذلك ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معاني القران والاتعاظ به وصرف الفهم الى اسراره وهذا من اقبح انواع الغرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القران من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم في الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان وامر ان يؤديها على وجهها فاخذ يؤدي الرسالة ويتانق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد اخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما احراه ان تقام عليه السياسة ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل

وفرقة اخرى اغتروا بقراءة القران فيهذونه هذا وربما يختمونه في اليوم والليلة مرة وربما يريد احدهم على ذلك فلسانه يجري بالتلاوة وقلبه يتردد في اودية الاماني ولا يتفكر في معاني القران لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند اوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القران في مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن ان المقصود من انزال القران الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله مثال عبد كتب اليه مالكه كتابا واشار عليه فيه بالاوامر والنواهي فلم يصرف عنايته الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما امره به مولاه الا انه يكرر الكتاب بنغمته وصوته في كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته انما تراد كيلا ينسى بل لحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وانما هي لذة في صوته ولو ردد الحانه بشعر او كلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه فيعرف ان لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه او بصوته

وفرقة اخرى منهم اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر وصاموا الايام الشريفة وهم فيها لا يحفظون السنتهم من الغيبة وخواطرهم من الرياء وبطونهم عن الحرام عند الافطار والسنتهم من الهذيان بانواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور

وفرقة اخرى اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حج الاسلام ويضيعون في الطريق الصلوة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يوخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وانفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيعصي الله تعالى في كسب الحرام اولا وفي انفاقه بالرياء ثانيا فلا هو اخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الاخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه وهو مغرور

وفرقة اخرى اخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فينكر على الناس ويامرهم بالخير وينسى نفسه واذا امرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعز واذا باشر منكرا ورد عليه غضب وقال انا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس الى مسجده ومن تاخر عنه غلظ القول عليه وانما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن انه يؤذن لله تعالى ولو جاء غيره واذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم اخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد امامة مسجد ويظن انه على خير وانما غرضه ان يقال انه امام المسجد وان تقدم غيره وان كان اورع منه واعلم منه ثقل عليه

وفرقة اخرى جاوروا بمكة او بالمدينة واغتروا بهما ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم وقلوبهم متعلقة ببلادهم ملتفتة الى قول من يعرف ان فلانا مجاور بمكة تراه يتحدى ويقول جاورت بمكة كذا وكذا سنة واذا سمع ان ذلك قبيح ترك صريح التحدي واحب ان يعرف الناس بذلك ثم انه يجاور ويمد عين الطمع الى اوساخ اموال الناس واذا جمع من ذلك شيئا شح عليه وامسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وان يقال انه من المجاورين الزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل فهو ايضا مغرور وما من عمل من الاعمال وعبادة من العبادات الا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك الا من جملة كتاب احياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلوة من كتاب الصلوة وفي الحج والزكوة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وانما الغرض الآن الاشارة الى مجامع ما سبق في الكتب

وفرقة اخرى زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت انها ادركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد ترك اهون الامرين وباء باعظم المهلكين فان الجاه اعظم من المال ولو ترك الجاه واخذ المال كان الى السلامة اقرب فهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر ان منتهى لذتها الرياسة وان الراغب فيها لا بد وان يكون منافقا حسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق نعم قد

بترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور اذ يتطول بذلك على الاغنياء ويخشن معهم الكلام
وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لا يدري
وربما يعطى المال فلا ياخذ خيفة من ان يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال خذه في الظاهر ورده في الخفية لم
يسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الذ ابواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد في الدنيا
فهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الاغنياء وتقديمهم على الفقراء او الميل الى المريدين له والمثنين عليه
والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان وفي العباد من يشدد على نفسه في اعمال
الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة مثلا الف ركعة ويختم القران وفي جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده
وتطهيره من الكبر والرياء والعجب وسائر المهلكات فلا يدري ان ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وان
ظن بنفسه ذلك توهم انه مغفور له لعمله الظاهر وانه غير مؤاخذ باحوال القلب وان توهم فيظن ان العبادات
الظاهرة يترجح بها كفة حسناته وهيهات وذرة من ذي تقوى وخلق واحد من اخلاق الاكياس افضل من امثال الجبال
عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فاذا
قيل له انت من اوتاد الارض واولياء الله واحبائه فرح المغرور وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن ان تزكية الناس له
دليل على كونه مرضيا عند الله تعالى ولا يدري ان ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه **وفرقة اخرى** حرصت على النوافل
ولم تعظم اعتدادها بالفرائض فترى احدهم يفرح بصلوة الضحى وبصلوة الليل وامثال هذه النوافل ولا يجد للفرض
لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في اول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل ما تقرب
المتقربون الي بمثل اداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان
احدهما يفوت والاخر لا يفوت او فضلان احدهما يضيق والاخر متسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا
ونظائر ذلك كثيرة فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على البعض كتقديم
الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام
بها غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت كما يجب ان يقدم حاجة الوالدة
على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل من ابر فقال صلى الله عليه وسلم امك قال ثم من فقال
صلى الله عليه وسلم امك قال ثم من قال امك ثم قال ثم من قال اباك قال ثم من قال ادناك فادناك فينبغي ان يبتدئ
بالصلة بالاقرب فالاقرب فان استووا فالاحوج فان استووا فالاتقى والاورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين
والحج فربما يحج فهو مغرور بل ينبغي ان يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض اهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على
العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت والاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو طاعة في نفسه وكذلك
يصيب ثوبه نجاسة وهو يغلظ القول على ابويه واهله بسببه فالنجاسة محذورة وايذاؤهما محذور والحذر
من الادنى لهما اهم من الحذر من النجاسة وامثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن ترك الترتيب
في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لان المغرور فيه في طاعة الا انه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية
حيث ترك بها طاعة واجبة هي اهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف في الفقه في حق من بقي وعليه
شغل في الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالقلب والجوارح لان مقصود الفقه ما لا يحتاج اليه
غيره في حوائجه فمعرفة ما يحتاج اليه هو في نفسه اولى به الا ان حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الاقران
والتقدم عليهم يعمي عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظن انه كان مشغولا بهم دينه **الصنف الثاني المتصوفة** وما
اغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله تعالى اغتروا بالزي و

المنطق والهيئة فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم والفاظهم في ادابهم ومراسمهم و
اصطلاحاتهم وفي احوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلوة والجلوس على
السجادات مع اطراق الراس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت
في الحديث وغير ذلك من الشمائل والهيات فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا انهم ايضا
صوفية ولم يتعبوا قط انفسهم في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الاثام
الخفية والجلية وكل ذلك من اوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم ان يعدوا انفسهم
من الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموها شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات واموال
السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم
اعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امراة عجوز سمعت
ان الابطال والشجعان من المقاتلين تثبت اسماؤهم في الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من اقطار المملكة
فتاقت نفسها الى ان يقطع لها مملكة فلبست درعا ووضعت على راسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال ابياتا و
تعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وكيفية تحريكهم الايدي وتلقفت
جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى العسكر ليثبت اسمها في ديوان
الشجعان فلما دخلت عليهم انفذت الى ديوان العرض وامر العارض بان تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما
تحته ويمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر غنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي
عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع فقيل لها جئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف باهل حضرته والتلبيس
عليهم خذوها فالقوها قدام الفيل لسخفها فالقيت الى الفيل وهكذا حال المدعين للتصوف في القيامة اذا كشف
عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي العدل الاكبر الذي لا ينظر الى الزي ولا المرقع بل الى سر القلب **وفرقة اخرى**
زادت على هؤلاء في الغرور اذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون وارادت ان تتظاهر
بالتصوف ولم تجد بدا من التزيي بزيهم فتركوا الخز والابريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة و
السجادات المصبوغة ولبسوا من الثياب ما هو ارفع قيمة من الخز والابريسم وظن احدهم مع ذلك انه متصوف
بمجرد الوان الثياب وكونه مترقعا ونسوا انهم انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ
وانما لبسوا المرقعات اذ كانت ثيابهم مرقعة وكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فاما تقطيع الفوط الرفيعة
قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن اين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء اظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون
بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش وياكلون اموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة
فضلا من الباطنة وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى الى الخلق اذ هلك من تقتدي بهم ومن
لا يقتدي بهم يفسد عقيدته في اهل التصوف كافة ويظن ان جميعهم كانوا من جنسهم فيطول اللسان في الصادقين
منهم وكل ذلك من شوم المتشبهين وشرهم **وفرقة اخرى** ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة
المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامي
والالفاظ الا انه تلقف من الفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والاخرين
فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح
ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة فيتلقف منهم تلك الطامات المزيفة فهو يرددها
كانه يتكلم في الوحي ويخبر عن سر الاسرار فيستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد انهم اجراء متعبون

وتصول في العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من
الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب
قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه **وفرقة اخرى** منهم وقعت في الاباحة وطووا بساط الشرع و
الاحكام ورفضوا الفصل بين الحلال والحرام فبعضهم زعم ان الله عز وجل مستغن عن عملي فلم اتعب نفسي وبعضهم
يقول قد كلف الناس تطهير القلب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال وقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به
من لم يجرب واما نحن فقد جربنا وادركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من
اصلهما بل تاديبهما بحيث ينقاد بحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا قدر لها وانما النظر الى القلوب
وقلوبنا والهة بحب الله تعالى وواصلة الى معرفة الله تعالى وانما نخوض في الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة في حضرة الربوبية
فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس
بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله تعالى لقوتهم فيها ويرفعون درجة انفسهم عن درجة
الانبياء اذ كان يصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين كثيرة متوالية
واصناف غرور هؤلاء واهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على اغاليط ووساوس
خدعهم الشياطين بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم
صالح للاقتداء واحصاء اصنافهم يطول **وفرقة اخرى** جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الاعمال وطلبت
الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار احدهم يدعي المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعي
الوجد والحب لله تعالى ويزعم انه واله بالله ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة او كفر فيدعي حب الله
تعالى قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله تعالى وعن ايثار هوى نفسه على امر الله تعالى وعن بعض تلك
الامور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى ولا يدري ان كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل
الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة لم ينقل
من السلف والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل منه فما فهموا من التوكل سوى مخاطرة الروح وترك الزاد
بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل
على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من المقامات المنجيات الا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد
ذكرنا مداخل الآفات في ربع المنجيات من الكتاب **وفرقة اخرى** ضيقت على نفسها في امر القوت
حتى طلبت منه الحلال الخالص واهملت تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة **ومنهم** من
اهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومكسبه واخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين ان الله لم
يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه الا تفقد
جميع الطاعات والمعاصي فمن ظن ان بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور **وفرقة اخرى** منهم ادعوا
حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك
شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظهرون
ان غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من
الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثر اتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ اموال السلاطين
وينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفقها في طريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه البر والارفاق وباعث
جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك اهمالهم لجميع اوامر الله عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم باخذ الحرام والانفاق

منه ومثال من يأخذ المال الحرام وينفقه في طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة و
يزعم ان قصده العمارة بذلك **وفرقة اخرى** منهم اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير
النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم في
جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس وباستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس
عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع
الاوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش
عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه **وفرقة اخرى** جاوزوا هذه الرتبة وابتدأوا
سلوك الطريق وانفتح لهم ابواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادي المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبتهم
غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده عن غيرهم و
كل ذلك غرور لان عجائب طريق الله ليس لها نهاية ولو وقف السالك مع كل اعجوبة وتقيد بها لقصرت خطاه و
حرم الوصول الى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار لم
يكن رأى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك **وفرقة اخرى** جاوزوا
هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار في الطريق والى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على
الفرح بها والالتفات اليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله تعالى وظنوا انهم وصلوا
الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله تعالى سبعين حجابا من نور ولا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب في الطريق
الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة بقول ابرهيم صلوات على نبينا وعليه اذ قال تعالى اخبارا عنه فلما جن عليه الليل
رأى كوكبا قال هذا ربي وليس المعني به هذه الاجسام المضيئة المعينة فانه كان يراها في الصغر ويعلم انها ليست
آلهة وهي كثيرة وليست واحدة والجهال يعلمون ان الكواكب ليس باله فمثل ابرهيم لا يغره الكوكب الذي لا يغر السواد
ولكن المراد به نور من الانوار التي هي من حجب الله تعالى وهي على طريق السالكين السالك ولا يتصور الوصول الى الله
الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من النور بعضها اعظم من بعض واصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه و
اعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابرهيم لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى وكذلك نري ابرهيم
ملكوت السموات يصل الى نور بعد نور ويتخايل اليه في اول ما يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له ان وراءه امرا فيترقى
اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا بعده فقال هذا اكبر فلما
ظهر له انه مع عظمه غير خال عن الهوي في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الآفلين اني
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وسالك هذا الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب
وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجاب بين الله تعالى وبين العبد هو نفسه فانه ايضا امر رباني وهو نور من انوار
الله تعالى اعني سر القلب الذي يتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط به ويتجلى فيه
صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول الامر محجوب
بمشكاة هي كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله سبحانه عليه ربما التفت صاحب
القلب الى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء
ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس
فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في المرآة فيظن انه لون المرآة وكما يلتبس ما
في الزجاج بالزجاج كما قال بعض الشعراء **شعر** رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر فكأنما خمر ولا قدح

وكاعا لا خمر ولا قدح وكقوله ايضا وهذا البيت يعزى الى ابن الشبل البغدادي تملت زجاجات اتتنا
فرغا حتى اذا ملئت بصفو الراح خفت وكادت تستطير بما حوت وكذا الجسوم تخف بالارواح
وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح فراوا اشراق نور الله تعالى قد تلالا فيه فغلطوا فيه كمن راى كوكبا في مرات
او في ماء فيظن ان الكوكب في المرات او في الماء فيمد اليد اليه لياخذه وهو مغرور وانواع الغرور في طريق السلوك الى
الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره و
لعل القدر الذي ذكرناه ايضا كان الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج الى ان يسمعه من غيره والذي لم
يسلكه لم ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشا من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهي
اخراجه من الغرور الذي هو فيه اذ ربما يصدق بان الامر اعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر
وجدله المزخرف ويصدق ايضا بما يحكى في المكاشفات التي اخبر عنها اولياء الله عز وجل ومن عظم غروره ربما
اصر مكذبا بما يسمعه من قبل **الصنف الرابع ارباب الاموال** والمغترون منهم فرق ففرقة منهم يحرصون على بناء
المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اساميهم بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم و
يبقى بعد الموت اثرهم ويظنون انهم قد استحقوا بذلك المغفرة وقد اغتروا فيه من وجهين **الوجه الاول** انهم يبنونها
من اموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله تعالى في كسبها فاذا عصوا الله
تعالى في كسبها وتعرضوا للسخط في انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذا عصوا الله تعالى في كسبها فالواجب عليهم
التوبة والرجوع الى الله تعالى وردها الى ملاكها اما باعيانها او ورد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك فكان الواجب
ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى اهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين وهم
لا يفعلون ذلك خيفة من ان لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالآجر وغرضهم من بنيانها الرياء وجلب
الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء اسمهم بها لا لبقاء الخير **الوجه الثاني** انهم يظنون بانفسهم الاخلاص وقصد
الخير في الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه لشق
عليه ولم تسمح به نفسه والله مطلع على ذلك كتب اسمه او لم يكتب ولولا انه يريد به وجه الناس لا وجه الله تعالى لما افتقر
الى ذلك **وفرقة اخرى** ربما اكتسبت المال من الحلال وانفقت على المساجد وهي ايضا مغرورة من وجهين **الاول**
الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره او في بلده فقراء وصرف المال اليهم اهم من الصرف الى المساجد وتزيينها
وانما يخف عليه الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس **الثاني** انه يصرف الى زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش
التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة ابصارهم والمقصود من الصلوة الخشوع وحضور القلب و
ذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع عليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من
الخيرات ويعتد ذلك وسيلة الى الله تعالى وهو بذلك قد تعرض لسخط الله تعالى ويظن انه مطيع لله سبحانه و
ممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله تعالى بما زخرفه من المساجد وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون
مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته اذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى قال
مالك بن دينار اتى رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله وهو لا يريد الصلوة فكتب على
المكانه الله صديقا فهكذا ينبغي ان يعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد بنفسه جناية على المسجد لا ان يرى
تلويث المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا منة على الله تعالى وقال الحواريون لعيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام انظر الى
هذا المسجد ما احسنه فقال امتي امتي بحق اقول لا يترك الله تعالى من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا اهلكه الله بذنوب
اهله ان الله تعالى لا يعبا بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئا وان احب الاشياء الى الله تعالى

القلوب الصالحة بها يعمر الله تعالى الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان رسول الله صلى الله عليه و
سلم لما اراد ان يبني مسجد المدينة اتاه جبرئيل فقال ابنه سبعة اذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه فغرور
هذا من حيث انه راى المنكر معروفا واتكل عليه **وفرقة اخرى** ينفقون الاموال في الصدقات وعلى الفقراء
والمساكين فيطلبون به المحافل الجامعة من الفقراء ومن عادته الشكر والافشاء للمعروف ويكرهون التصدق
في السر ويرون اخفاء الفقير لما اخذ منه جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على الانفاق للمال في الحج فيحجون
مرة بعد اخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود في اخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم
السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي باحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره
ماسور الى جنبه لا يواسيه وجاء رجل يودع بشر بن الحارث وقال قد عزمت على الحج فامرني بشيء فقال له كم
اعددت للنفقة فقال الفي درهم فقال بشر اي شيء تبتغي بحجك من هذا اشتياقا الى البيت وابتغاء مرضات الله
قال ابتغاء مرضات الله تعالى قال فان اصبت مرضات الله عز وجل وانت في منزلك وتنفق الفي درهم تكون على
يقين من مرضاته عز وجل قال نعم قال اذهب واعطها عشرة انفس مدين يقضي دينه وفقير يرم شعثه
ومعيل يحيي عياله ويتيم تربيه وتفرحه وان قوي قلبك تعطيها واحدا فافعل فان ادخال السرور على قلب
المسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف افضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما
امرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال يا ابا نصر سفري اقوى في قلبي فقال بشر المال اذا جمع من وسخ التجارات و
الشبهات اقتضت النفس ان تقضي به وطرا فاظهرت الاعمال الصالحة وقد آلى الله على نفسه ان لا يقبل الا عمل
المتقين **وفرقة اخرى** من ارباب الدنيا يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية
التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى
على باطنهم فهو يحتاج الى قمعه باخراج المال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله من دخل في ثوبه
حية وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج الى
السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان فلانا الغني كثير الصوم والصلوة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال
غيره انما حال هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا افضل له من تجويعه نفسه ومن صلوته
لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه الفقراء **وفرقة اخرى** غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكوة فقط
ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردي الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم به ويتردد في حاجتهم
او من يحتاجون اليه في المستقبل والاستسخار في خدمته او من لهم فيه على الجملة غرض او يسلمون الى من يعينه
واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية و
محبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن انه مطيع لله تعالى وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله تعالى عوضا من غيره
فهذا وامثاله من غرور ارباب الاموال ايضا لا يحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور **وفرقة
اخرى** من عوام الخلق وارباب الاموال والفقراء اغتروا بمجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم و
يكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم اجرا على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ و
هم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة
محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فاذا قصر عن
الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من الوعظ من فضل حضور المجلس وفضل

البكاء وربما يتخذ بعد ذكر قرة القراء فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على ان يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم او نعوذ بالله او سبحان الله ويظن انه قد اتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله المريض يحضر مجالس الاطباء فيسمع ما يجري والجائع الذي يحضر عند من يصف له الاطعمة اللذيذة وينصرف وذلك لا يغني من مرضه وجوعه شيئا وكذلك وصف الطاعات دون العمل بها لا يغني من الله تعالى شيئا وكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا من افعالك حتى تقبل على الله تعالى وتعرض عن الدنيا اقبالا قويا او ضعيفا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رايته وسيلة لك كنت مغرورا فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص عنه احد ولا يمكن الاحتراز عنه وهذا يوجب اليأس اذ لا يقوى احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات فاقول الانسان اذا فترت في شيء الهمة استعظم الامر واستوعر الطريق واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا اراد ان يستنزل الطير المحلق في جو السماء مع بعده منه استنزله وكذلك اذا اراد ان يستخرج الحوت من اعماق البحار استخرجه واذا اراد ان يستخرج الذهب والفضة استخرجهما من تخوم الجبال واذا اراد ان يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري اقتنصها واذا اراد ان يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات فاستسخرها واذا اراد ان يأخذ الافاعي والحيات ويعبث بها فاخذها واستخرج الترياق من اجوافها واذا اراد ان يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت اتخذه واذا اراد ان يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها فعرفها بطريق الهندسة وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الآلات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيأ الشبكة لاقتناص السمك الى غير ذلك من دقائق حيل الآدمي وكل ذلك لانه اهمه امر دنياه وذلك معين له على دنياه فلما اهمه امر آخرته وليس عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل في ذلك وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال فلو اصبح وهمه هذا الهم الواحد لكان كما قيل لو صح منك الهوى ارشدت للحيل فهذا شيء لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدق ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها فان قلت قد قربت الامر فيه بعد ان اكثرت من ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور فاعلم انه ينجو منه بثلاثة امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة امور لا بد منها اما العقل فاعني به الفطرة الغريزية والنور الاصلي الذي به يدرك الانسان حقائق الاشياء فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة فالبليد لا يقدر على التحفظ من الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه في اصل الفطرة وهذا ان لم يفطر عليه الانسان فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل اصله امكن تقويته بالممارسة فاساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلوتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب احد وما قسم الله لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين وعن ابي الدرداء انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ارايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ما نعلم منزلته عند الله يوم القيمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يجزى على قدر عقله وقال انس رضي الله عنه اثنى

على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقله قالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله وخلقه فقال صلى الله عليه وسلم كيف عقله فان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس على قدر عقولهم وقال ابو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن رجل شدة عبادة سال عن عقله فاذا قالوا حسن قال صلى الله عليه وسلم ارجو ان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ وذكر له صلى الله عليه وسلم شدة عبادة رجل فقال صلى الله عليه وسلم كيف عقله قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون والذكاء وصحة الغريزة كالعقل نعمة من الله تعالى في اصل الفطرة فان فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك لها **الثاني المعرفة** واعني بها ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا العالم واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه فقط فلا يتصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه وليستعن على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وكتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف النفس والى وصف جلال الله تعالى ويحصل به التنبيه على الجملة وكمال المعرفة وراءه فان هذا من علوم المكاشفة ولم يطنب في هذا الكتاب الا في علم المعاملة واما معرفة الدنيا والآخرة فليستعن عليه بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب ذكر الموت ليتبين له ان لا نسبة للدنيا الى الآخرة فاذا عرف نفسه وعرف ربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله تعالى حب الله عز وجل وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير اهم اموره ما يوصله الى الله تعالى وينفعه في الآخرة شدة الرغبة فيها فاذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان اكل مثلا او اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشاه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا او الى الجاه او المال فان ذلك هو المفسد للنية وما دامت الدنيا احب اليه من الآخرة وهوى نفسه احب اليه من رضى الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله تعالى على قلبه بمعرفته بالله عز وجل وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى **الثالث** وهو العلم اعني العلم بكيفية السلوك للطريق الى الله سبحانه والعلم بما يقربه من الله سبحانه وما يبعده عنه والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد اودعناه كتاب احياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها فيتقيها ومن ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطر اليه فياخذه بادب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله سبحانه فان المانع من الله تعالى الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لا بد وان توضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا احاط بجميع ذلك امكنه الحذر عن الانواع التي اشرنا اليها من الغرور واصل ذلك كله ان يغلب حب الله تعالى على قلبه ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الارادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها فان قلت فاذا فعل ذلك جميعه فما الذي يخاف عليه فاقول يخاف عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ما عرفه من دين الله تعالى فان المريد المخلص اذا فرغ عن تهذيب نفسه واخلاقه وراقب القلب حتى صفاه عن جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه فتركها وانقطع عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه فقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فياتيه من جهة الدين ويدعوه الى الترحم على خلق الله تعالى والشفقة على دينهم بالنصح لهم والدعاء الى الله تعالى فينظر العبد بالرحمة الى العبيد فيراهم حيارى في امورهم سكارى في دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب واشرفوا

على العطب فغلب على قلبه الحزن لهم وقد كان عرف حقيقة المرض بما يهديهم ويبين لهم حالهم ويرشدهم الى سعادتهم
وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤونة ولو لزم غرامة وكان مثله كمثل رجل كان به داء عظيم لا يطاق الم
وقد كان لذلك يسهر ليله ويضطرب نهاره لا ياكل ولا يشرب ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء
عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرا وصح فطاب يومه بالليل بعد سهره و
هدا بالنهار شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد
كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء انينهم فتذكر ان
دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم باسهل ما يكون وفي اوجز زمان يقدر فاخذته الرحمة والرقة ولم
يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم وكذلك العبد المخلص بعد ان اهتدى الى الطريق و
شفي من امراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم واعضل داؤهم وقرب هلاكهم وشفاؤهم وسهل
عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء ان يجد
مجال الفتنة فدعا الى الرياسة دعاء خفيا اخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى
دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين النغمات والالفاظ والحركات والتصنع في الزي والهيات فاقبل الناس
عليه يعظمونه ويجاورونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ راوه شافيا لادوائهم معرضا محض الشفقة و
الرحمة من غير طمع فصار احب اليهم من ابائهم وامهاتهم واقاربهم فاثروه بابدانهم واموالهم وصاروا له خولا
كالخدم والعبيد فخدموه وقدموه في المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع و
ارتاحت النفس وذاقت لذة يا لها من لذة واصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة وكان
قد نزل الدنيا فوقع في اعظم لذاتها وعند ذلك وجد الشيطان فرصته وامتدت الى قلبه يده فهو يستعمله
في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وامارة انتشار الطبع وركون النفس الى الشيطان انه لو خطئ ورد
عليه بين يدي الخلق غضب فاذا انكر على نفسه ما وجده من الغضب بادر الشيطان فخيل اليه ان ذلك غضب
لله تعالى لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه وانقطعوا عن طريق الله تعالى فوقع في الغرور وربما الجاه
ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع في الغيبة في المحذور المحظور بعد تركه الحلال المتسع ووقع في المنكر الذي
هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد ان كان يحذره من طوارق الخطرات وكذلك اذا سبقه الضحك او
فتر عن بعض الاوراد جزعت النفس ان يطلعوا عليه فيسقط قوله اتبع ذلك بالاستغفار وتنفس
الصعداء وربما زاد في الاعمال والاوراد لاجلهم والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك كيلا يفتر
رايهم عن طريق الله سبحانه فيتركون الطريق بتركه فانما ذلك خدعة وغرور بل هي خدع من النفس خفية فوت
الرسالة الرياسة وكذلك لا يجزع نفسه من اطلاع على مثل ذلك من اقرانه من ما التفات القلوب الى قبوله وزاد اثر كلامه في
القلوب على كلامه شق ذلك عليه ولولا ان النفس قد استشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك اذ مثاله ان
يرى الرجل جماعة من اخوانه قد وقعوا في بئر وتغطا راس البئر بحجر كبير فعجز وا عن الترقي بسببه فرق قلبه لاخوانه فجاء
من اعانه على ذلك حتى تيسر عليه او كفاه ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر وان
كان غرض الناصح خلاص اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من اعانه وكفاه ذلك فلم يثقل عليه ذلك اذا رايت لو
اهتدوا بانفسهم جميعهم لكان ينبغي ان يثقل عليه ذلك وان كان غرضه امرهم وهو يحب هدايتهم فاذا اهتدوا به
فلم يثقل عليه وبها وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان الى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح واهلكه فنعوذ بالله
من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء فان قلت فمتى يصح له ان يشتغل بنصح الناس فاقول

اذا لم يكن له قصد الا هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه ولو اهتدوا بانفسهم وانقطع بالكلية طمعه
عن ثنائهم وعن اموالهم فاستوى عنده مدحهم وذمهم فلا يبالي بذمهم اذ كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقترن بحمد
الله تعالى ونظر اليهم كما ينظر الى السادات والبهائم اما الى السادات من حيث لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا من نفسه
لجهله بالخاتمة واما الى البهائم من حيث انقطاع طمعه عن المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يتزين
لها ولا يتصنع بل راعي الماشية انما غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه فما لم ير سائر
الناس كالماشية التي لا يلتفت اليها نظرها ولا يبالي بهم لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن
يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالشمع يضيء غيره ويحترق في نفسه فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ الا
عند نيل هذه الدرجة خلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب فاقول لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حب الدنيا راس كل خطيئة ولولم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والابدان جميعا
الا انه صلى الله عليه وسلم لكم علم ان حب الدنيا يهلك وان ذكره كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الاخرين
الا الاقلين الذين لا يخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر العظيم ولم يترك ذكره
خوفا من ان يترك نفسه بالشهوات المهلكة التي سلطها الله تعالى على عباده ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا لقوله
تعالى ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وكذلك السنة الوعاظ مطلقة بحب الرياسة
ولا يدعونها بقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كالمرتع الخلق الشرب والزنا والسرقة والرباء
والظلم وسائر المعاصي لقول الله تعالى وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك حرام فانظر لنفسك وكن
فارغ القلب عن حديث الناس فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص قال الله
تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض الاية وان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا
خلاق لهم فانما يخشى الطالب ان ينسد طريق الاتعاظ فاما ان يخرس السنة الوعاظ ووراءهم
باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك ابدا فان قلت فان علم المريدون هذه المكيدة من
الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح او نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي
يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الاخطار وحبائل الاغترار فاعلم انه بقي عليه اعظم وهو
ان الشيطان يقول له قد اعجزتني وافلت مني بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء
والكبراء وما قدرت عليك فما اصبرك وما اعظم عند الله تعالى محلك اذ قواك على قهري و
مكنك من التفطن بجميع مداخل غروري فيصغي اليه ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من
الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب اعظم من كل ذنب ولذلك
قال الشيطان يا ابن ادم اذا ظننت انك بعملك سلمت مني فبجهلك قد وقعت في حبائلي فان قلت
ولو لم يعجب بنفسه اذ علم ان ذلك من الله تعالى لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان الا بتوفيق
الله تعالى ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزها عن اقل القليل فاذا قدر على مثل هذا الامر العظيم
علم انه لا يقوى عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب فاقول يخاف
عليه الغرور بفضل الله تعالى والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة في
المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله تعالى فقط دون ان
يقارنه الخوف من مكره ومن امن مكر الله سبحانه فهو خاسر جدا بل سبيله ان يكون مشاهد الجملة ذلك
من فضل الله تعالى خائفا على نفسه ان يكون قد سد عنه صفة من صفات قلبه من حب دنياه ورياء

خلق والتفات الى غيره وهو غافل عنه ويكون خائفا ان يسلب حاله في كل نظرة غير آمن من مكر الله تعالى ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الاولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال افلت مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذن المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر عظيم

فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب اولياء الله تعالى ابدا فنسأل الله تعالى برحمته حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها ٥

تم كتاب الغرور وهو آخر ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين بعون الله تعالى وحسن توفيقه على يدي العبد المذنب الضعيف الخاطي الراجي الى عفو ربه الصمد عماد الدين بن محمود بن محمد اصلح الله حاله ونور بنور المعرفة باله وحصل مقاصده وامانيه في اواخر شهر الربيع الاول سنة خمس عشر وتسعماية هجرية نبوية مصطفوية

والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين واصحابه الطاهرين ٥

ربع المنجيات من احياء علوم

الحمد لله الذي بحمده يستفتح كل كتاب وبذكره يصدر كل خطاب وبحمده يتنعم اهل النعيم في دار
الثواب وباسمه يتسلى الاشقياء وان ارخي دونهم الحجاب وضرب بينهم وبين السعداء بسور له
باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب الارباب و
مسبب الاسباب ونرجوه رجاء من يعلم انه الملك الرحيم الغفور التواب ونمزج برجائنا
الخوف مزج من لا يرتاب مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ونصلي على نبيه محمد
وعلى آله وصحبه الاكرمين صلوة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب وتمهد لنا عند
الله زلفى وحسن مآب **وبعد** فان التوبة عن الذنوب بالرجوع الى ستار العيوب مبدأ
طريق السالكين ورأس مال الفائزين واول اقدام المريدين ومفتاح استقامة المائلين و
مطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين ولاسيما آدم على الصلوة والسلام وعلى سائر الانبياء اجمعين
وما احدى بالاولاد الاقتداء بالآباء والاجداد فلا غرو ان اذنب الآدمي واجترم فهي شنشنة
نعرفها من اخزم ومن اشبه اباه فما ظلم ولكن الاب اذا جبر بعد ان كسر وعمر بعد ان هدم فليكن
النزوع اليه في كلا طرفي النفي والاثبات والوجود والعدم ولقد قرع آدم سن الندم و
تندم على ما سبق منه وتقدم فمن اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم بل
التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين والتجرد للشر دون التلافي سجية الشياطين والرجوع الى
الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان والمتجرد
للشر شيطان والمتلافي للشر بالرجوع الى الخير بالحقيقة انسان فقد ازدوج في طينة الانسان شائبتان
واصطحب فيه سجيتان وكل عبد مصحح نسبه اما الى الملك واما الى آدم واما الى الشيطان فالتائب قد
اقام البرهان على صحة نسبه الى آدم بملازمة حد الانسان والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب
الشيطان فاما تصحيح النسب بالتجرد لمحض الخير الى الملائكة فخارج عن حيز الامكان فان الشر معجون في طينة آدم
عجنا محكما لا يخلصه الا احدى النارين نار الندم او نار جهنم والاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر
الانسان عن خبائث الشيطان واليك الآن اختيار اهون النارين والمبادرة الى اخف الشرين قبل
ان يطوى بساط الاختيار ويساق الى دار الاضطرار اما الى الجنة او الى النار واذا كان التوبة من الدين
موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها في صدر ربع المنجيات لشرح حقيقتها وشروطها و
سببها وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها والادوية الميسرة لها ويتضح ذلك بذكر اربعة اركان
الركن الاول في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وانها واجبة على الفور وعلى جميع
الاشخاص وفي جميع الاحوال وانها اذا صحت كانت مقبولة **الركن الثاني** فيما عنه التوبة
وهي الذنوب وبيان انقسامها الى صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى وبيان
كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الاسباب التي بها تعظم الصغائر و

لابينا و عليه ص

الركن الثالث في بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ما مضى وكيفية تكفير الذنوب و
بيان اقسام التائبين في دوام التوبة **الركن الرابع** في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل
عقدة الاصرار من المذنبين ويتم المقصود بهذه الاركان الاربعة ان شاء الله تعالى **الركن الاول**
في نفس التوبة **بيان حقيقة التوبة** وحدها اعلم ان التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة امور مرتبة
علم وحال وفعل فالعلم اول والحال ثان والفعل ثالث فالاول موجب للثاني والثاني موجب للثالث
ايجابا اقتضاه اطراد سنة الله تعالى في الملك والملكوت **اما العلم** فهو معرفة عظم ضرر الذنوب و
كونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة
تألم للقلب بسبب فوات المحبوب فان القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم وان كان فواته بفعله تأسف على
الفعل المفوت فيسمى تألمه للقلب بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب واستولى
عليه انبعث من هذا الالم في القلب حالة اخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل له تعلق بالحال وبالماضي و
الاستقبال اما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابسا له واما بالاستقبال فبالعزم على
ترك الذنب المفوت للمحبوب الى آخر العمر واما بالماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للقضاء
او الجبران كان قابلا للجبر فالعلم هو الاول وهو مطلع هذه الخيرات واعني بهذا العلم الايمان واليقين
فان الايمان عبارة عن التصديق بان الذنوب سموم مهلكة واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق و
انتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الايمان مهما اشرق على القلب نار الندم فيتألم القلب
حين يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيطلع
النور عليه بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فرأى محبوبه قد اشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في
قلبه فتنبعث تلك النيران بارادتها للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في
الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مترتبة في الحصول يطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا
ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون
الندم محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة انه ذوبان الحشا لما سبق
من الخطايا فان هذا يعرض لمجرد الالم ولذلك قيل هو نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب و
باعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة انها خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء وقال سهل التستري التوبة
تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت واكل الحلال وكانه اشار الى
المعنى الثالث من التوبة والاقاويل في حد التوبة لا تنحصر واذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها
عرفت ان جميع ما قيل في حدودها قاصرة عن الاحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الامور اهم من طلب
الالفاظ المجردة **بيان وجوب التوبة وفضلها** اعلم ان وجوب التوبة ظاهر بالاخبار والآيات وهو واضح
بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله تعالى بنور الايمان صدره حتى اقتدر على ان يسعى بنوره
الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده في كل خطوة فالسالك اما اعمى لا يستغني عن
القائد في خطوة واما بصير يهدى الى اول الطريق ثم يهتدي بنفسه وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون
هذه الاقسام فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوة فيفتقر الى ان يسمع في كل قدم نصا من
كتاب الله او سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما يعوزه ذلك فيتحير فسير هذا وان طال عمره وعظم
جده مختصر وخطاه قاصرة ومن سعد شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه تنبه بادنى اشارة

للقضاء

نيران

صح

ن

لسلوك طريق معوصة لا يهتدى بها وقطع عقبات متعبة فليشرق في قلبه نور الايمان القرآن ونور الايمان
وهو لشدة نور باطنه يجتزئ بادنى وكانه يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار فاذا امسته نار فهو نور على
نور يهدى الله لنوره من يشاء فهذا لا يحتاج الى نقل منقول في كل واقعة فمن هذا حاله اذا اراد ان يعرف وجوب
التوبة فينظر اولا بنور البصيرة الى التوبة ما هي ثم الى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا
يشك في ثبوته لها وذلك بان يعلم ان معنى الوجوب ما هو واجب في الوصول الى سعادة الابد والنجاة من
هلاك الابد وانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى و
قول القائل صار واجبا بالايجاب حديث محض فان من لا غرض له عاجلا وآجلا في فعله وتركه فلا معنى
لاشتغاله به اوجبه عليه غيره او لم يوجبه فاذا عرف معنى الوجوب وانه الوسيلة الى سعادة الابد وعلم
انه لا سعادة في دار البقاء الا في لقاء الله ان كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهيه محترق بنار
الفراق ونار الجحيم وعلم انه لا مبعد عن لقاء الله الا اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفاني و
الاكباب على حب ما لا بد له من فراقه قطعا وعلم انه لا مقرب من لقاء الله الا قطع العلاقة عن
زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله تعالى طلبا للانس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة
جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله تعالى واتباع لمحاب الشياطين
اعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله فلا يشك في ان الانصراف عن
طريق البعد واجب للحصول الى القرب وانما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم فانه ما لم يعلم
ان الذنوب اسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجع
فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك في ان المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول الى
المحبوب وهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة واما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته
عن حدود اكثر الخلق ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به الى النجاة من الهلاك فليلاحظ
في ذلك قول الله تعالى وقول رسوله عليه الصلوة والسلام وقول السلف الصالحين فقد قال الله
تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وهذا امر على العموم وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا
توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم الاية ومعنى النصوح الخالص لله خاليا عن الشوائب
ماخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه
فوضع راسه ونام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش او
ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت
فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا
براحلته وفي بعض الالفاظ فقال من فرحه اذا اراد شكره ربه اللهم انا ربك وانت عبدي ويروى عن
الحسن رضي الله عنه انه لما تاب الله على آدم على نبينا وعليه السلام هنئته الملائكة فهبط عليه جبرئيل وميكائيل
و[illegible] فقالوا يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم يا جبرئيل فان كان بعد هذه التوبة
سؤال فاين مقامي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة من دعاني
منهم لبيته كما لبيتك ومن سالني المغفرة لم ابخل عليه لاني قريب مجيب واحشر التائبين من القبور مستبشرين
ضاحكين ودعاؤهم مستجاب والاخبار والآثار في ذلك لا تحصى والاجماع منعقد من الامة على وجوبها

اذ معناه العلم بان الذنوب مهلكة ولا اختلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم
على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الاحوال وذلك لا يشك في وجوبه واما
الندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب عليه وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع الم
يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله فان قلت تالم القلب امر ضروري
لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب فاعلم ان سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل
سببه ولمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال
بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة والقادر الكل من خلق الله تعالى وفعله والله خلقكم وما تعملون هذا
هو الحق عند ذوي الابصار وما سوى هذا ضلال فان قلت افليس للعبد اختيار في الفعل والترك قلت نعم وذلك
لا يناقض قولنا ان الكل من خلق الله تعالى بل الاختيار ايضا من خلق الله والعبد مضطر في الاختيار الذي له فان
الله تعالى اذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في المعدة وخلق العلم في القلب
بان هذا يسكن الشهوة وخلق الخواطر المتعارضة في ان هذا الطعام هل فيه مضرة مع انه يسكن الشهوة وهل
دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله ام لا ثم خلق العلم بانه لا مانع فعند اجتماع هذه الاسباب تنجزم
الارادة الباعثة على التناول فانجزام الارادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى
اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام اسبابه فاذا حصل انجزام الارادة بخلق الله تعالى اياها تحركت اليد الصحيحة الى جهة
الطعام لا محالة اذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا فتحصل الحركة فيكون الحركة بخلق الله تعالى
بعد حصول القدرة وانجزام الارادة وهما من خلق الله ويكون انجزام الارادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم
الموانع وهما ايضا من خلق الله ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتيبا جرت به سنة الله في خلقه ولن تجد
لسنة الله تبديلا فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حيوة وما
لم يخلق ارادة مجزومة ولا يخلق الارادة المجزومة ما لم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا ينبعث هذا الميل انبعاثا تاما
ما لم يخلق علما بانه موافق للنفس اما في الحال او في المآل ولا يخلق العلم ايضا الا باسباب اخر ترجع الى حركة وارادة وعلم
فالعلم وميل الطبع ابدا يستتبع الارادة الجازمة والارادة والقدرة ابدا تستردف الحركة وهكذا الترتيب في
كل فعل والكل من اختراع الله تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط للبعض فكذلك يجب تقديم البعض وتاخير البعض
كما لا يخلق الارادة الا بعد العلم ولا يخلق العلم الا بعد الحيوة ولا يخلق الحيوة الا بعد الجسم فيكون خلق الجسم شرطا
لحدوث الحيوة لا ان الحيوة تتولد من الجسم ويكون خلق الحيوة شرطا لخلق العلم لا ان العلم يتولد من الحيوة ولكن
لا يستعد المحل لقبول العلم الا اذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الارادة ولكن لا يقبل الارادة الا جسم حي عالم
ولا يدخل في الوجود الا ممكن وللامكان ترتيب لا يقبل التغيير لان تغييره محال فمهما وجد شرط الوصف استعد المحل
به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الالهي والقدرة الازلية عند حصول الاستعداد ولما كان
للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى ترتب والعبد مجرى هذه الحوادث المرتبة
وهي مرتبة في قضاء الله الذي هو واحد كلمح بالبصر ترتيبا كليا لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر استعدادها
وعنه العبارة بقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وعن القضاء الكلي الازلي العبارة بقوله تعالى وما امرنا الا واحدة
كلمح بالبصر واما العباد فانهم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة اليد في يد الكاتب
بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى قدرة وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى قصدا وبعد خلق علم بما اليه ميله
يسمى ادراكا ومعرفة فاذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الامور الاربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير

سبق لأهل عالم الملك والشهادة المحجوبين عن عالم الغيب والملكوت وقالوا ايها الرجل قد تحركت وكتبت ورميت
ونودي من وراء حجب الغيب وسرادقات الملكوت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وما قتلت اذ قتلت ولكن
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وعند هذا تتحير عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة فمن قائل انه جبر محض ومن
قائل انه اختراع صرف ومن متوسط مائل الى انه كسب ولو فتح لهم ابواب السماء فنظروا الى عالم الغيب والملكوت
لظهر لهم ان كل واحد صادق من وجه وان القصور شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحط علمه بجوانبه
وتمام علمه ينال باشراق النور من كوة نافذة الى عالم الغيب وانه عالم الغيب والشهادة لا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من
رسول وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة الاسباب والمسببات
وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها بمسبب الاسباب انكشف له سر القدر وعلم
علما يقينا ان لا خالق الا الله ولا مبدع سواه فان قلت فقد قضيت على كل واحد من القائلين
بالجبر والاختراع والكسب بانه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن
فهم ذلك وكيف يمكن ايصال ذلك الى الافهام بمثال فاعلم ان جماعة من العميان سمعوا انه قد حمل الى
البلدة حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قد شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من
مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا اليه لمسوه فوقعت يد بعض العميان على
رجله ووقعت يد بعضهم على نابه ووقعت يد بعضهم على اذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سألهم بقية
العميان فاختلفت اجوبتهم فقال الذي لمس الرجل ان الفيل ما هو الا مثل اسطوانة خشنة الظاهر الا انه
الين منها وقال الذي لمس الناب ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه واملس لا خشونة فيه وليس هو في غلظ
الاسطوانة اصلا بل هو مثل وقال الذي لمس الاذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق احدهما فيه
ولكن قال ما هو مثل عمود ولا مثل اسطوانة وانما هو مثل جلد عريض غليظ وكل واحد من هؤلاء
صدق من وجه اذ اخبر كل واحد عما اصابه من معرفة الفيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف
الفيل ولكنهم بجملتهم قصروا عن الاحاطة بكنه صورة الفيل فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فانه
مثال لما اختلف الناس فيه وان كان هذا كلاما يناطح علوم المكاشفة ويحرك امواجها
وليس ذلك من غرضنا فلنرجع الى ما كنا بصدده وهو بيان ان التوبة واجبة بجميع اجزائها الثلاثة
العلم والندم والترك وان الندم داخل في الوجوب لكونه واقعا في جملة افعال الله المحصورة بين علم
العبد وقدرته وارادته المتخللة بينها وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله

بيان ان وجوب التوبة على الفور

اما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه اذ معرفة كون المعاصي مهلكات من
نفس الايمان وهو واجب على الفور والمتفصي عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن
الفعل فان هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التي لا يتعلق بعمل بل من علوم المعاملة وكل علم
يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التفصي عن عهدته ما لم يصر باعثا فالعلم بضرر الذنوب انما اريد
ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقوله عليه الصلوة والسلام
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وما اراد به نفي الايمان الذي يرجع الى علوم المكاشفة كالعلم
بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافيه الزنى والمعاصي وانما اراد به نفي
الايمان لكون الزنى مبعدا عن الله سبحانه وموجبا للمقت كما اذا قال الطبيب هذا سم فلا تتناوله
فاذا تناول يقال تناول وهو غير مؤمن لا بمعنى انه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير
مصدق به بل المراد انه غير مصدق بقوله انه سم مهلك فان العالم بالسم لا يتناوله اصلا فالعاصي بالضرورة
ناقص الايمان وليس الايمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله و
ادناها اماطة الاذى عن الطريق ومثال ذلك قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف و
سبعون اعلاها الروح والقلب وادناها اماطة الاذى عن البشرة بان يكون مقصوص الشارب مقلم الاظفار
نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بارواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها واظلافها وهذا
مثال مطابق فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح والذي ليس له
الا شهادة التوحيد والرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقوء العينين فاقد لجميع اعضائه الظاهرة و
الباطنة الا اصل الروح وكما ان من هذا حاله قريب من ان يموت فيزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلفت عنها
الاعضاء التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا اصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من ان يقتلع شجرة ايمانه
اذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل ايمان لم يثبت في النفس
اصله ولم يتشعب في الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة
الا ما سقي بماء الطاعات على توالي الايام والساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصي للمطيع اني مؤمن كما انك مؤمن كقول
شجرة القرع لشجرة الصنوبر انا شجرة وانت شجرة وما احسن جواب شجرة الصنوبر اذ قالت ستعرف فيمن اغترارك بشمول
الاسم اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك تنقلع اصولك وتتناثر اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في
اسم الشجرة مع الغفلة عن اسباب ثبات الاشجار وسوف ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك ام حمار فهذا امر
يظهر عند الخاتمة وانما انقطعت نياط العارفين خوفا من دواهي الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها
الا الاقلون فالعاصي اذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك في الشهوات المضرة
اذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته فان الموت لا يقع فجأة غالبا فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم اذا مرض خاف الموت
فكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة ثم اذا ختم له بالسوء وجب الخلود في النار فان المعاصي للايمان كالماكولات
المضرة للابدان فلا تزال تجتمع في الباطن مغيرة مزاج الاخلاط وهو لا يشعر بها الى ان يفسد المزاج فيمرض فجأة
ثم يموت دفعة فكذلك المعاصي فان كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم وما
يضره من الماكولات في كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الابد اولى بان يجب عليه ذلك وان كان
متناول السم اذا ندم يجب عليه ان يتقيأ ويرجع عن تناوله بابطاله واخراجه عن المعدة على سبيل الفور
والمبادرة تلافيا لبدنه المشرف على الهلاك لئلا يفوت عليه الا هذه الدنيا الفانية فمتناول
سموم الدين وهي الذنوب اولى بان يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام يبقى للتدارك
مهلة وهو العمر فان المخوف من هذا السم فوات الاخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم والملك العظيم وفي فواتها
نار الجحيم والعذاب المقيم الذي تتصرم اضعاف اعمار الدنيا دون عشر عشير مدته اذ ليس لمدته آخر
البتة فالبدار البدار الى التوبة قبل ان تعمل سموم الذنوب بروح الايمان عملا يجاوز الامر فيه اختيار
الاطباء ولا ينفع بعده الاحتماء فلا ينجع بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق
الكلمة عليه بانه من الهالكين ويدخل تحت عموم قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الى قوله تعالى ام لم
تنذرهم لا يؤمنون ولا يغرنك لفظ الايمان فتقول المراد به الكافرون اذ بين لك ان الايمان بضع
وسبعون بابا وان الزاني لا يزني وهو مؤمن فالمحجوب عن الايمان الذي هو شعب وفروع سيحجب
في الخاتمة عن الايمان الذي هو اصل كما ان الشخص الفاقد لجميع الاطراف التي هي فروع سيساق

الى الموت المعدم للروح الذي هو اصل فلا بقاء للاصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الاصل ولا فرق بين الفرع والاصل الا في شيء واحد وهو ان وجود الفرع وبقاءه جميعا يستدعي وجود الاصل واما وجود الاصل فلا يستدعي وجود الفرع فبقاء الاصل بالفرع ووجود الفرع بالاصل فعلوم المكاشفة وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الاصل والفرع فلا يستغني احدهما عن الآخر وان كان احدهما في رتبة الاصل والآخر في رتبة التابع وعلوم المعاملة اذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها فانها لم تعمل عملها الذي تراد له ثم قامت مؤكدة للحجة على صاحبها ولذلك يزاد في عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل الفاجر كما اوردناه من الاخبار في كتاب العلم

بيان ان وجوب التوبة عام في الاشخاص والاحوال فلا ينفك عنه احد البتة

اعلم ان ظاهر الكتاب قد دل على هذا اذ قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون فعم الخطاب ونور البصيرة ايضا يرشد اليه اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب الى الشيطان ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل الا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان الى اغواء الانسان اذ كمال العقل انما يكون عند مقاربة الاربعين واصله انما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة واذا اجتمعا قام القتال بين الجندين بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للآخر فانهما ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما غلب احدهما ازعج الآخر بالضرورة واذا كانت الشهوات تكمل في الصبي والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به انس والف لا محالة مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه ويعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو جند الله وحزبه ومنقذ اوليائه من ايدي اعدائه شيئا فشيئا على التدريج فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وانجز اللعين موعده حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وان قوي العقل وكمل كان اول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر الى العبادات فلا معنى للتوبة الا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى وليس في الوجود آدمي الا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملائكة فكان الرجوع عما سبق اليه على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل انسان نبيا كان او غبيا فلا تظنن ان هذه الضرورة اختصت بآدم على نبينا وعليه الصلوة والسلام

فلا تحسبا هندا لها الغدر وحدها ... سجية نفس كل غانية هند

بل هو حكم ازلي مكتوب على جنس الانس لا يمكن فرض خلافه ما لم تتبدل السنة الالهية التي لا مطمع في تبديلها فاذن كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من كفره وجهله فان بلغ مسلما تبعا لابويه غافلا عن حقيقة اسلامه فعليه التوبة عن غفلته بتفهم معنى الاسلام فانه لا يغني عنه اسلام ابويه شيئا ما لم يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته والفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع الى قالب حدود الله بالمنع والاطلاق والانكفاف والاسترسال وهو من اشق ابواب التوبة وفيه هلك الاكثرون اذ عجزوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل ان التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور ان يستغني عنها احد من البشر كما لم يستغن عنها آدم على نبينا وعليه الصلوة والسلام فخلقة الولد لا تتسع لما لم تتسع له خلقة الوالد اصلا واما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو ان كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل عنه الانبياء كما ورد في القرآن والاخبار من خطايا الانبياء وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم فان خلا في بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عنه فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته وافعاله وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بالتشاغل باضداده

رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع فلا يتصور الخلو في حق الآدمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل فلا بد منه ولهذا قال عليه الصلوة والسلام انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة فاستغفر الله الحديث ولذلك اكرمه الله بان قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واذا كان هذا حاله فكيف حال غيره فان قلت لا يخفى ان ما يطرأ على القلب من الهموم والخواطر نقص وان الكمال في الخلو عنه وان القصور عن معرفة كنه جلال الله نقص وانه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال وان الانتقال الى الكمال من اسباب النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضائل لا فرائض وقد اطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الامور ليست بواجبة اذ ادراك الكمال غير واجب في الشرع فما المراد بقولك التوبة واجبة في كل حال فاعلم انه قد سبق ان الانسان لا يخلو في مبدأ خلقته عن اتباع الشهوات اصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما مضى وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفعت منها ظلمة الى قلبه كما يرتفع من نفس الانسان ظلمة الى وجه المرآة الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوات صارت رينا كما يصير بخار النفس في وجه المرآة عند تراكمه خبثا قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرآة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وافسده وصار لا يقبل التصقيل بعده وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو تلك الآثار التي انطبعت في القلب كما لا يكفي في ظهور الصور في المرآة قطع الانفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الآثار وكما يرتفع الى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتنمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله عليه الصلوة والسلام اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا لا يستغني العبد في حال من احواله عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات هذا في قلب حصل اولا صفاؤه وجلاؤه ثم اظلم باسباب عارضة فاما التصقيل الاول ففيه يطول شغله اذ ليس شغل الصيقل في ازالة الصداء عن المرآة كشغله في عمل اصل المرآة فهذه اشغال طويلة لا تنقطع اصلا وكل ذلك يرجع الى التوبة فاما قولك ان هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال فاعلم ان الواجب له معنيان احدهما ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهذا القدر الذي لو اشتغل به كافة الخلق لم يخرب العالم فلو كلف الناس كلهم ان يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يؤدي ذلك الى بطلان التقوى بالكلية فانه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ احد للتقوى بل شغل الحياكة والحراثة والخبز يستغرق جميع عمر كل واحد فيما يحتاج اليه فجميع هذه الدرجات ليست بواجبة بهذا الاعتبار والواجب الثاني هو الذي لا بد منه للوصول به الى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود من الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول اليه كما يقال الطهارة واجبة في صلوة التطوع فالطهارة ليست بواجبة عليه لاجلها وكما يقال العين والاذن واليد والرجل شرط في وجود الانسان يعني انه شرط لمن يريد ان يكون انسانا كاملا ينتفع بانسانيته ويتوصل بها الى الدرجات العلى في الدنيا فاما من قنع باصل الحياة ورضي بان يكون كلحم على وضم وكخرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحيوة عين ويد ورجل فاصل الواجبات الداخلة في فتوى العامة لا يوصل الا الى اصل النجاة واصل النجاة كاصل الحيوة وما وراء اصل النجاة من السعادات التي بها تنتهي النجاة تجري مجرى الاعضاء والآلات التي بها تتهيأ الحياة وفيه سعي الانبياء والاولياء والعلماء والامثل فالامثل وعليه كان حرصهم وحواليه كان تطوافهم ولاجله كان رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية حتى انتهى عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام الى ان توسد حجرا في منامه فجاء اليه الشيطان وقال اما كنت تركت الدنيا للآخرة فقال بلى وما الذي حدث فقال توسدك لهذا الحجر تنعم بالدنيا فلم لا تضع راسك على الارض فرمى عيسى عليه الصلوة والسلام الحجر ووضع راسه على الارض

اعني من يريدها فانه لا توصل اليه الا بها فاما من يقنع بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة التطوع صح

وكان رمية الحجر توبة عن هذا الشغل افترى كان عيسى عليه الصلوة والسلام لم يعلم ان الراس على الارض لا يسخى ولكن في فتاوى العامة افترى ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما شغله الثوب الذي كان عليه علم في صلوته حتى نزعه وشغله شراك نعله الذي جدده حتى اعاد الشراك الخلق فلم يعلم ان ذلك ليس واجبا في شرعه الذي شرعه لكافة العباد فاذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك الا لانه راه مؤثرا في قلبه اثرا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذي كان معدا له او ترى ان الصديق رضي الله عنه بعد ان شرب اللبن وعرف انه على غير وجهه ادخل اصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر وهو ان ما اكله عن جهل فهو غير اثم به ولا يجب في فتوى الفقه اخراجه فلم تاب عن اكله بالتدارك على حسب امكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك الا لسر وقر في صدره عرفه ذلك السر ان فتوى العامة حديث اخر وان خطر طريق الاخرة لا يعرفه الا الصديقون فتامل احوال هؤلاء الذين هم اعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبطرق الغرور بالله واياك مرة ولحاق ان تغرك الحيوة الدنيا واياك ثم اياك الف مرة ان يغرك بالله الغرور فهذه اسرار من استنشق مبادى روائحها علم ان لزوم التوبة النصوح لازم للعبد السالك في كل نفس من انفاسه ولو عمر عمر نوح وان ذلك واجب على الفور من غير مهلة ولقد صدق ابو سليمن حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره الا على فوت ما مضى منه في غير الطاعة لكان خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله وانما قال هذا لان العاقل اذا ملك جوهرة نفيسة فاذا ضاعت منه بغير فائدة بكى عليها لا محالة وان ضاعت منه وكان ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منه اشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها فانها صالحة لان توصلك الى سعادة الابد وتنقذك من شقاوة الابد واي جوهر انفس من هذا فاذا ضيعتها في الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا وان صرفتها الى المعصية فقد هلكت هلاكا فاحشا وان كنت لا تبكي على هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك اعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها انه صاحب مصيبة فان نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فعند ذلك ينكشف لكل مفلس افلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد رفع الياس عن التدارك قال بعض العارفين ان ملك الموت اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستاخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الاسف والحزن والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو اول ما يظهر من معاني قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون واليه الاشارة بقوله تعالى من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب الى قوله تعالى اذا جاء اجلها فقيل الاجل القريب الذي يطلبه معناه انه يقول العبد عند كشف الغطاء يا ملك الموت اخرني يوما اعتذر فيه الى ربي واتوب واتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول اخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتتردد انفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة الياس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب اصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال فاذا زهقت نفسه فان كان سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضاء بالشقاوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ولمثل هذا قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو اثرها بحسنة يردفها بها قبل ان يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال عليه الصلوة والسلام اتبع السيئة الحسنة تمحها وقال لقمن لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت ياتي بغتة ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو الثاني ان يعاجله المرض او الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف فما هلك من هلك الا من التسويف

فيكون تسويد القلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة الى ان يختطفه الاجل فياتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم فالقلب امانة الله عند عبده والعمر امانة الله عنده وكذا سائر اسباب الطاعة فمن خان في الامانة ولم يتدارك خيانته فامره مخطر قال بعض العارفين ان لله الى عبده سرين يسرهما اليه على سبيل الالهام احدهما اذا خرج من بطن امه يقول له عبدي قد اخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقاني والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في امانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فالقاك على الوفاء او اضعتها فالقاك بالمطالبة والعقاب واليه الاشارة بقوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وبقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

بيان ان التوبة اذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة

اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور البصائر المستمدون من انوار القران علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الاخرة في جوار الله ومستعد لان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله وعلموا ان القلب خلق سليما في الاصل فكل مولود يولد على الفطرة فانما يفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة فانه لا طاقة لظلام مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون فكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لان يكون في جواره وكما ان استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول فانما عليك التزكية والتطهير فاما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الازلي الذي لا مرد له وهو المسمى فلاحا في قوله تعالى قد افلح المؤمنون وقوله تعالى قد افلح من زكيها ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة اعلى واقوى من المشاهدة بالبصر ان القلب يتاثر بالطاعات والمعاصي تاثرا متضادا يستعار لاحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للاخر لفظ النور كما يستعار للعلم وان بين الظلمة والنور تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكانه لم يعرف من الدين الا قشوره ولم يعلق به الا اسماؤه وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه فهو بغيره اجهل واعني به قلبه اذ بقلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف نفسه فمن يتوهم ان التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول الا ان يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه فمثال ذلك ان يتراكم الذنوب حتى تصير رينا وطبعا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب اصلا ما لم تتغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن به فهذا حال امتناع اصل التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه بنقل الايات والاخبار والاثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة فلا يوثق به وقد قال تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب الى غير ذلك من الايات وقال عليه الصلوة والسلام فالله افرح بتوبة عبده الحديث والفرح

وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة وقال عليه الصلوة والسلام ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط يده كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل وقال عليه الصلوة والسلام لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال عليه الصلوة والسلام ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا فارا منه حتى يدخل الجنة وقال عليه الصلوة والسلام كفارة الذنب الندم وقال عليه الصلوة والسلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له وروي ان حبشيا قال يا رسول الله كنت اعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولى ثم رجع وقال يا رسول الله اكان يراني وانا اعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها نفسه ويروى ان الله تعالى لما لعن ابليس سأله النظرة فانظره الى يوم القيمة فقال وعزتك وجلالك لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح وقال عليه الصلوة والسلام ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ والاخبار في هذا لا تحصى اما الآثار فقد قال سعيد بن المسيب انزل الله تعالى انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب قال الفضيل يقول الله تعالى بشر المذنبين بانهم ان تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين اني ان وضعت عليهم عدلي عذبتهم وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين وقال عبد الله بن عمر من ذكر خطيئة الم بها فوجل منها قلبه محيت عنه في ام الكتاب وروي ان نبيا من انبياء بني اسرائيل اذنب فاوحى الله تعالى اليه وعزتي لئن عدت لاعذبنك فقال يا رب انت انت وانا انا وعزتك لئن لم تعصمني لاعودن فعصمه الله وقال بعضهم ان العبد ليذنب ذنبا فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ليتني لم اوقعه في الذنب وقال حبيب بن ثابت تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيمة فيمر بالذنب فيقول اما اني قد كنت مشفقا منه فيغفر له ويروى ان رجلا سأل ابن مسعود ثم التفت اليه فرأى عينيه تذرفان فقال له ان للجنة ثمانية ابواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس وقال عبد الرحمن بن ابي القاسم تذاكرنا مع عبد الرحمن توبة الكافر وقول الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال اني لارجو ان يكون المسلم احسن حالا عند الله ولقد بلغني ان توبة المسلم كاسلام بعد اسلام وقال عبد الله بن سلام لا احدثكم الا عن نبي مرسل وكتاب منزل ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه اسرع من طرفة عين وقال عمر اجلسوا الى التوابين فانهم ارق افئدة وقال بعضهم انا اعلم متى يغفر الله لي قيل ومتى قال اذا تاب علي وقال آخر انا من ان احرم التوبة اخوف مني ان احرم المغفرة اي المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة ويروى انه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا اجبتنا فاجبناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك وان رجعت الينا قبلناك وقال ذو النون المصري ان لله عبادا نصبوا اشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فاثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عي ولا بكم وانهم لهم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكاس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم في الملكوت وجالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرءوا صحيفة الخطايا فاورثوا انفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت ارواحهم في العلى حتى اناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة واقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة فهذا القدر كاف في بيان ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة لا محالة فان قلت افتقول ما قالته المعتزلة من ان قبول التوبة واجب على الله فاقول لا اعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله الا ما يريده القائل بقوله ان الثوب اذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وان العطشان اذا شرب وجب زوال العطش وانه اذا منع الماء مدة وجب العطش وانه اذا دام العطش وجب الموت وليس في شيء من ذلك ما يريده المعتزلة بالايجاب على الله بل اقول خلق الله الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيل العطش والقدرة متسعة لخلافه لو سبقت به المشية فلا واجب على الله ولكن ما سبقت به الارادة الازلية فواجب كونه لا محالة فان قلت فما من تائب الا وهو شاك في قبول توبته والشارب لا يشك في زوال العطش فلم يشك فيه فاقول شكه في القبول كشكه في وجود شرائط الصحة فان للتوبة اركانا وشروطا دقيقة كما سياتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي يشك في دواء شربه للاسهال في انه هل يسهل وذلك لشكه في حصول شروط الاسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وادويته فهذا وامثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لا محالة على ما سياتي في شروطها

الركن الثاني فيما عنه التوبة

وهي الذنوب صغارها وكبارها اعلم ان التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشيء الا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذا واجبة والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لامر الله من ترك او فعل وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات من اولها الى آخرها وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير الى مجامعها وروابط اقسامها

بيان اقسام الذنوب

بالاضافة الى صفات العبد اعلم ان للانسان اخلاقا واوصافا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجائب القلب وغوائله ولكن تنحصر مثارات الذنوب في اربع صفات صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت من اخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الاخلاط في المعجون منه اثرا من الآثار كما يقتضي السكر والخل والزعفران في السكنجبين آثارا مختلفة فاما ما يقتضي النزوع الى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغنى وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كانه يريد ان يقول انا ربكم الاعلى وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهي المهلكات العظيمة التي هي كالامهات لاكثر المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات الثانية هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد والمكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة الى البدع والضلال الثالثة الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواطة والسرقة واكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات الرابعة الصفة السبعية ومنها يتشعب الحقد والغضب والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الاموال ويتفرع عنها جمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدريج في الفطرة فالصفة البهيمية هي التي تغلب اولا ثم تتلوها الصفة السبعية ثانيا ثم

اذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم تغلب بالاخرة الصفات الربوبية وهي الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه امهات الذنوب ومنابعها ثم تتفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق واضمار السوء للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى بيان تفصيل ذلك فانه واضح

قسمة ثانية اعلم ان الذنوب تنقسم الى ما بين العبد وبين الله تعالى والى ما يتعلق بحقوق العباد فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلوة والصوم وسائر الواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كترك الزكوة وقتل النفس وغصب الاموال وشتم الاعراض وكل متناول من حق الغير اما نفس او طرف او مال او عرض او دين او جاه وتناول الدين بالاغواء والدعاء الى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج اسباب الجراة على الله كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالامر فيه اغلظ وما بين العبد وبين الله اذا لم يكن شركا فالعفو فيه ارجى واقرب وقد جاء في الخبر الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر فذنوب العباد بينهم وبين الله واما الديوان الذي لا يغفر فالشرك واما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد اي لا بد وان يطالب به حتى يقضي عنها

قسمة ثالثة اعلم ان الذنوب تنقسم الى صغائر وكبائر وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال قائلون لا صغيرة بل كل ما نهى الله عنه فهي كبيرة وهذا ضعيف وقال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وقال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقال عليه الصلوة والسلام الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة يكفرن ما بينهن ان اجتنبت الكبائر وفي لفظ آخر كفارات لما بينهن الا الكبائر وقد قال عليه الصلوة والسلام فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من اربع الى سبع الى تسع الى احدى عشر فما فوق ذلك فقال ابن مسعود هي اربع وقال ابن عمر هي سبع وقال عبد الله بن عمرو هي تسع وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هي الى سبعين اقرب منها الى سبع وقال مرة كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما اوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف كل ما اوجب الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل انها مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة وقال ابن مسعود لما سئل عنها اقرؤا من اول سورة النساء الى راس ثلثين آية منها عند قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فكل ما نهى الله تعالى عنه في هذه السورة الى هنا فهي كبيرة وقال ابو طالب المكي سبعة عشر جمعتها من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وقول ابن مسعود وابن عمر اربعة في القلب وهو الشرك بالله والاصرار على معصيته والقنوط من رحمته والامن من مكره واربع في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس وهي التي يحق بها باطلا او يبطل بها حقا وقيل هي التي تقتطع بها مال مسلم باطلا ولو سواكا من اراك وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها في النار والسحر وهو كل كلام يغير الانسان وسائر الاجسام عن موضوعات الخلقة وثلاث في البطن وهو شرب الخمر والمسكر من كل شراب واكل مال اليتيم واكل الربا وهو يعلم واثنان في الفرج وهما الزنا واللواط واثنان في اليد وهما القتل والسرقة وواحدة في الرجلين وهو الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من عشرين وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين وجملة عقوقهما ان يقسما عليه في حق فلا يبر قسمهما وان يسألاه حاجة فلا يعطيهما وان يسباه فيضربهما ويجوعان فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو قريب ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء اذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل اكل الربا ومال اليتيم من الكبائر وهي جناية على الاموال ولم يذكر في كبائر النفوس الا القتل واما فقؤ العينين وقطع اليدين وغير ذلك

(هامش: وغيرهم)

من تعذيب المسلمين بالضرب وانواع العذاب لم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع اطرافه لا شك في انه اكبر من اكل ماله كيف وفي الخبر من الكبائر السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض اخيه المسلم وهذا زائد على قذف المحصن وقال ابو سعيد الخدري وغيره من الصحابة انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقالت طائفة كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله عنه كبيرة وكشف الغطاء عن هذا ان نظر الناظر في ان السرقة هي كبيرة ام لا لا يصح ما لم يفهم معنى الكبيرة والمراد بها كقول القائل السرقة حرام ام لا ولا مطمع في معرفته الا بعد تقرير معنى الحرام اولا ثم البحث عن وجوده في السرقة فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع وذلك لان الصغير والكبير من المضافات وما من ذنب الا وهو كبيرة بالاضافة الى ما دونه وصغيرة بالاضافة الى ما فوقه فالمضاجعة مع الاجنبية كبيرة بالاضافة الى النظر صغيرة بالاضافة الى الزنا وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة الى ضربه صغيرة بالاضافة الى قتله نعم للانسان ان يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة ونعني بوصفها بالكبيرة ان العقوبة بالنار عظيمة وله ان يطلق على ما اوجب الحد عليه مصيرا الى ما عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله ان يطلق على ما ورد في نص الكتاب النهي عنه فيقول تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمه ثم ما يكون عظيما او كبيرا لا محالة بالاضافة الى منصوصات القرآن ايضا تتفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات لا حرج فيها وما نقل من الفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا يبعد تنزيلها على شيء من هذه الاحتمالات نعم من المهمات ان نعلم معنى قول الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس كفارات لما بينهن الا الكبائر ورمضان الى رمضان كفارة لما بينهن فان هذا اثبات حكم الكبائر والحق في ذلك ان الذنوب منقسمة في نظر الشرع الى ما نعلم استعظامه اياها والى ما نعلم انها معدودة في الصغائر والى ما نشك فيه فلا ندري حكمه فالطمع في معرفة حد حاصر او عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فان ذلك لا يمكن الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول اني اردت بالكبائر عشرا او خمسا ويفصلها فاذا لم يرد هذا بل ورد في بعض الالفاظ ثلاث من الكبائر وفي بعضها سبع من الكبائر ثم ورد ان السبتين بالسبة الواحدة من الكبائر وهو خارج من السبع والثلاث علم انه لم يقصد به العدد والحصر فكيف يطمع في عدد ما لم يعده الشرع وربما قصد الشرع ابهامه ليكون العباد منه على وجل كما ابهم ليلة القدر ليعظم جد الناس في طلبها نعم لنا سبيل كلي يمكننا ان نعرف به اجناس الكبائر وانواعها بالتحقيق واما اعيانها فنعرفها بالظن والتقريب ونعرف ايضا اكبر الكبائر فاما اصغر الصغائر فلا سبيل الى معرفته وبيانه انا نعلم بشواهد الشرع وانوار البصائر جميعا ان مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق الى جوار الله وسعادة لقائه وانه لا وصول لهم الى ذلك الا بمعرفة الله ومعرفة صفاته وكتبه ورسله واليه الاشارة بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليكونوا عبيدا لي ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية فلا بد وان يعرف ربه ونفسه فهذا هو المقصود الاقصى ببعثة الانبياء ولكن لا يتم هذا الا في الحيوة الدنيا وهو المعنى بقوله عليه الصلوة والسلام الدنيا مزرعة الآخرة فصار حفظ الدنيا ايضا مقصودا تابعا للدين لانه وسيلة اليه والمتعلق من الدنيا بالآخرة شيئان النفوس والاموال فكل ما يسد باب معرفة الله تعالى فهو اكبر الكبائر ويليه ما يسد باب حيوة النفوس ويلي ذلك ما يسد باب المعايش التي بها حيوة النفوس فهذه ثلاث مراتب فحفظ المعرفة على القلوب والحيوة على الابدان والاموال على الاشخاص ضروري في مقصود الشرائع كلها وهذه ثلاثة امور لا يتصور ان تختلف فيها الملل فلا يجوز ان يبعث الله نبيا يريد ببعثه اصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله وهو الكفر او يأمرهم باهلاك النفوس واهلاك الاموال فحصل من هذا ان

الكبائر ثلاث مراتب الاولى ما يمنع من معرفة الله ومعرفة رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر اذ الحجاب
بين العبد وبين الله هو الجهل والوسيلة المقربة له اليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبعده بقدر
جهله ويتلو الجهل الذي يسمى كفرا الامن من مكر الله والقنوط من رحمته فان هذا ايضا عين الجهل فمن عرف
الله لم يتصور ان يكون امنا ولا ان يكون ايسا ويتلو هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته
وافعاله وبعضها اشد من بعض وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقها بذات الله وبافعاله
وبشرائعه وباوامره ونواهيه ومراتب ذلك لا تنحصر وهي تنقسم الى ما يعلم انها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة
في القران والى ما يعلم انه لا يدخل والى ما يشك فيه وطلب دفع الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع
الرتبة الثانية النفوس اذ ببقائها وحفظها تدوم الحيوة وتحصل المعرفة بالله فقتل النفس لا محالة
من الكبائر وان كان دون الكفر لان ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود اذ الحيوة الدنيا
لا تراد الا للاخرة والتوصل بها الى معرفة الله ويتلو هذه الكبيرة قطع الاطراف وكل ما يفضي الى الهلاك
حتى الضرب وبعضها اكبر من بعض ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط لانه لو اجتمع الناس بالذكور في قضاء
الشهوات انقطع النسل ودفع الوجود قريب من قطع الوجود واما الزنا فانه لا يفوت اصل الوجود ولكن يشوش
الانساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الامور التي لا ينتظم العيش الا بها بل كيف يتم النظام مع
اباحة الزنا ولا ينتظم امور البهائم ما لم يتميز الفحل منها باناث يختص بها عن سائر الفحول ولذلك لا
يتصور ان يكون الزنا مباحا في شرع قصد به الاصلاح وينبغي ان يكون الزنا دون القتل في الرتبة لانه ليس يفوت
دوام الوجود ولا يمنع اصله ولكن يفوت تمييز الانساب ويحرك من الاسباب ما يكاد يفضي الى التقاتل بل ينبغي ان
يكون اشد من اللواط لان الشهوة داعية اليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم اثر الضرر بكثرته الرتبة الثالثة الاموال
فانها معايش الخلق فلا يجوز تسليط الناس على تناولها كيف شاءوا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرهما بل
ينبغي ان يحفظ لتبقى ببقائها النفوس الا ان الاموال اذا اخذت امكن استردادها وان اكلت امكن تغريمها
فليس يعظم الامر فيها نعم اذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك فينبغي ان يكون من الكبائر وذلك باربع طرق احدها
الخفية وهي السرقة فانه اذا لم يطلع عليه غالبا كيف يتدارك الثاني اكل مال اليتيم وهو ايضا من الخفية واعني به
في حق الولي والقيم فانه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فتعظيم الامر فيه واجب بخلاف
الغصب فانه ظاهر يعرف وبخلاف الخيانة في الوديعة فان المودع خصم فيها ينتصف لنفسه الثالث تفويتها
بشهادة الزور الرابع اخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فان هذه طرق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز ان
تختلف الشرائع في تحريمها اصلا وبعضها اشد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس وهذه الاربعة
جديرة بان تكون مرادة بالكبائر وان لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن اكثر الوعيد عليها وعظم في مصالح
الدنيا تاثيرها واما اكل الربا فليس فيه الا اكل مال الغير بالتراضي مع الاخلال بشرط وضعه الشرع فلا
يبعد ان تختلف الشرائع في مثله واذا لم يجعل الغصب الذي هو اكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع
من الكبائر فاكل الربا اكل برضا المالك ولكن دون رضا الشرع فان عظم الشرع الربا بالزجر عنه فقد عظم
ايضا الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة والمصير الى ان اكل دانق بالغصب والخيانة من الكبائر فيه نظر و
ذلك واقع في مظنة الشك واكثر ميل الظن الى انه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغي ان تختص الكبيرة بما لا يجوز
اختلاف الشرائع فيه ليكون ضروريا في الدين فيبقى مما ذكره ابو طالب المكي القذف والشرب والسحر والفرار من
الزحف وعقوق الوالدين اما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بان يكون من الكبائر وقد دلت عليه تشديدات

على الاكفاء صح

بعيره صح

الشرع وطريق النظر ايضا لان العقل محفوظ كما ان النفس محفوظة بل لا خير في النفس دون العقل
فازالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر فلا شك في انه لو شرب ماء فيه قطرة
من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وانما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك وايجاب الشرع
الحد به يدل على تعظيم امره فيعد ذلك من الكبائر بالشرع وليس في القوة البشرية الوقوف على
جميع اسرار الشرع فان ثبت اجماع في انه كبيرة وجب الاتباع والا فللتوقف فيه مجال اما القذف
فليس فيه الا تناول الاعراض والاعراض دون الاموال في الرتبة ولتناولها مراتب واعظمها التناول
بالاضافة الى فاحشة الزنا وقد عظم الشرع امره واظن ظنا غالبا ان الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب الحد به
كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا يكفره الصلوات الخمس وهو الذي نريده بالكبيرة الان ولكن من حيث يجوز
ان تختلف فيه الشرائع فالقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمه بل كان يجوز ان يرد الشرع بان العدل الواحد
اذا راى انسانا يزني فله ان يشهد ويجلد المشهود عليه بمجرد شهادته فان لم تقبل شهادته فحد به ليس
ضروريا في مصالح الدنيا وان كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات فاذا هذا ايضا
يلحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع فاما من ظن ان له ان يشهد وحده او ظن انه يساعده على
الشهادة غيره فلا ينبغي ان يجعل في حقه من الكبائر واما السحر فان كان فيه كفر فكبيرة والا فعظمته
بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس او مرض او غيره واما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين
فذلك ايضا ينبغي ان يكون من حيث القياس في محل التوقف فاذا قطع بان سب الناس بكل شيء سوى الزنا
وضربهم والظلم عليهم بغصب اموالهم واخراجهم من مساكنهم وبلادهم واجلائهم من اوطانهم ليس من الكبائر
انه لم ينقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو اكثر ما قيل فيه فالتوقف في هذا ايضا غير بعيد ولكن الحديث يدل
على تسميتها كبيرة فليلحق بالكبائر فاذا رجع حاصل الامر الى انا نعني بالكبيرة ما لا يكفره الصلوات
الخمس بحكم الشرع وذلك مما انقسم الى ما علم انه لا يكفره قطعا والى ما يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه
مظنون بالنفي والاثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله الا نص كتاب او سنة واذا
لا مطمع فيه فطلب رفع الشك فيه محال فان قلت فهذا اقامة برهان على استحالة معرفة حدها فكيف
يرد الشرع بما يستحيل معرفته فاعلم ان كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فجائز ان يتطرق اليه الابهام
لان دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة بل موجبات
الحدود معلومة باسمائها كالسرقة والزنا وغيرهما وانما حكم الكبيرة ان الصلوات الخمس لا تكفرها
وهذا امر يتعلق بالاخرة والابهام اليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يجترءون على
الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى ان
تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها
مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امراة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر و
لمس فان مجاهدته نفسه عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر في اظلامه فهذا معنى
تكفيره فان كان عنينا او لم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف امر اخر فهذا
لا يصلح للتكفير اصلا وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربها فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر
التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار نعم من يشتهي الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة
عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدة النفس بالكف ربما يمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية

لدين

السماع فكل هذه الاحكام لا بد وان يبقى بعضها في محل الشك ويكون من المشتبهات ولا يعرف تفصيلها
الا بالنص ولم يرد النص بعدد ولا بحد جامع بل ورد بألفاظ مختلفة فقد روى ابو هريرة انه صلى الله
عليه وسلم قال الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلاث الاشراك
بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل ما ترك السنة قال الخروج من الجماعة ونكث الصفقة ان تبايع
ثم تخرج عليه بالسيف تقاتله فهذا وامثاله من الالفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع
فيبقى مبهما لا محالة فان قلت الشهادة لا تقبل الا ممن يجتنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس بشرط
في قبول الشهادة وهذا من احكام الدنيا فاعلم انا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في ان
من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب في اواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته
ولم يذهب احد الى ان هذه الامور من الكبائر وقال الشافعي اذا شرب الحنفي النبيذ حددته ولم ارد شهادته
فقد جعله كبيرة بايجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل ان الشهادة نفيا واثباتا لا تدور على الصغائر
والكبائر بل كل الذنوب تقدح في العدالة الا ما لا يخلو الانسان عنه غالبا بضرورة مجاري العادات كالغيبة
والتجسس وسوء الظن بالمسلم والكذب في بعض الاقوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف و
اكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدا على حد المصلحة واكرام السلاطين
الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه في امر الدين فهذه ذنوب
لا يتصور ان ينفك الشاهد عن قليلها او كثيرها الا بان يعتزل الناس ويتجرد لامر الآخرة ويجاهد نفسه
مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك فلو لم يقبل الا قول مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام و
الشهادات وليس لبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنرد ومجالسة اهل الشرب في وقت الشرب والخلوة بالاجنبيات
وامثال هذه الصغائر من هذا القبيل فالى مثل هذا المنهاج ينبغي ان ينظر في قبول الشهادة وردها لا الى الكبيرة
والصغيرة ثم آحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها اثر في رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب
الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كما ان المباح يصير صغيرة بالمواظبة
كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا

اعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الملكوت واعني بالدنيا حالتك قبل الموت و
بالآخرة حالتك بعد الموت فدنياك وآخرتك صفاتك واحوالك يسمى القريب الداني منها دنياك والمتأخر
آخرتك ونحن الآن نتكلم في الدنيا من الآخرة فانا الآن في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي
عالم الملكوت ولا يتضح شرح عالم الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال ولذلك قال تعالى وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وذلك لان عالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك قال
عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما سيكون في اليقظة لا يتبين لك في النوم الا بضرب الامثال
المحوجة الى التعبير فكذلك ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا الا بكسوة الامثال واعني
بكسوة الامثال ما تعرفه من علم التعبير ويكفيك منه ان كنت فطنا ثلاثة امثال فقد جاء رجل الى ابن سيرين
وقال رأيت كان في يدي خاتما اختم به افواه العباد وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان
قبل الفجر فقال صدقت وجاءه آخر فقال رأيت كاني اصب الزيت في الزيتون فقال ان كانت تحتك
جارية اشتريتها ففتش عن حالها فانها امك لان الزيتون اصل الزيت فهو رد الى الاصل فنظر فاذا جاريته

كانت امه وقد سبيت في صغره وقال آخر رأيت كاني اقلد الدر في اعناق الخنازير فقال انك تعلم
الحكمة غير اهلها فكان كما قال والتعبير من اوله الى آخره مثال يعرفك طريق ضرب الامثال وانما نعني
بالمثال اداء المعنى في صورة ان نظر الى المعنى وجد صادقا وان نظر الى الصورة وجد كاذبا فالمؤذن
ان نظر الى صورة الخاتم والختم به على الفروج رآه كاذبا فانه لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده
صادقا وقد صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذي يراد الختم له وليس للانبياء ان يتكلموا مع
الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم انهم في النوم والنائم لا يكشف له
شيء الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق ولذلك قال عليه الصلوة والسلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن وهو من المثال الذي لا يعقله الا العالمون فاما الجاهل فلا يجاوز نظره ظاهر المثال لجهله بالتفسير الذي
يسمى تأويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الامثلة في النوم تعبيرا فيثبت لله تعالى يدا واصبعا تعالى الله عن قوله ذلك وكذلك
في قوله ان الله تعالى خلق آدم على صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله مثلا
تعالى الله عن قوله علوا كبيرا ومن ههنا زل من زل في الصفات الالهية حتى في الكلام وجعلوه صوتا و
حرفا الى غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول وكذلك قد يرد في امر الآخرة ضرب امثلة فكذب بها
الملحدون لجمود نظرهم على ظاهر المثل وتناقضه عندهم كقوله عليه الصلوة والسلام يؤتى بالموت يوم القيمة في
صورة كبش املح فيذبح فيثور الملحد الاحمق ويكذب به ويستدل به على تكذيب الانبياء ويقول يا سبحان
الله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا الا محال ولكن الله عزل هؤلاء الحمقى
عن معرفة اسراره فقال تعالى وما يعقلها الا العالمون ولا يدري المسكين ان من قال رأيت في منامي انه
جيء بكبش وقيل هذا هو الوباء الذي في البلد وذبح فقال المعبر صدقت والامر كما رأيت وهذا
يدل على ان هذا الوباء ينقطع ولا يعود ابدا لان المذبوح وقع اليأس منه فاذا المعبر صادق في
تعبيره وهو صادق في رؤيته ويرجع حقيقته الى ان الملك الموكل بالرؤيا وهو الذي يطلع الارواح
عند النوم على ما في اللوح المحفوظ عرفه ما في اللوح المحفوظ بمثال ضربه له لان النائم انما يحتمل المثال فكان
مثاله صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل ايضا انما يتكلمون الناس في الدنيا وهي بالاضافة الى الآخرة نوم
فيوصلون المعاني الى افهامهم بالامثلة حكمة من الله تعالى ولطفا بعباده وتيسيرا لادراك
ما يعجزون عن ادراكه دون ضرب المثل فقوله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت في صورة كبش املح مثال ضربه
ليوصل الى الافهام حصول اليأس من الموت وقد جبلت القلوب على التأثر بالامثلة وثبوت المعاني
فيها بواسطتها ولذلك عبر القرآن بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر عليه الصلوة والسلام
بقوله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن عن سرعة التقليب وقد اشرنا الى الحكمة في ذلك في
كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات فلنرجع الآن الى المقصود والغرض والمقصود ان
تعريف توزع الدركات والدرجات على السيئات والحسنات لا يمكن الا بضرب الامثال فليفهم
من المثل الذي نضربه معناه لا صورته فنقول الناس ينقسمون في الآخرة اصنافا وتتفاوت درجاتهم في السعادة
والشقاوة تفاوتا لا يدخل في الحصر كما تتفاوت في سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الآخرة الدنيا في هذا
المعنى اصلا البتة فان مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له وسنته الصادرة عن ارادته الازلية مطردة لا تبديل لها
الا انا ان عجزنا عن احصاء آحاد الدرجات فلا نعجز عن احصاء الاجناس فنقول الناس ينقسمون في الآخرة بالضرورة الى
اربعة اقسام هالكين ومعذبين وناجين وفائزين ومثاله في الدنيا ان يستولي ملك من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم

فمنهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فمنهم المعذبون ويخلي بعضهم فمنهم الناجون ويخلع على بعضهم
فمنهم الفائزون فان كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك الا باستحقاق فلا يقتل الا جاحدا لاستحقاق الملك
معاندا له في اصل الدولة ولا يعذب الا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يخلي الا معترفا برتبة
الملك لكنه لم يوجب العذاب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع الا على من ابلى عذره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي ان يكون
خلع الفائزين متفاوت الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة واهلاك الهالكين اما تحقيقا بحز الرقبة او تنكيلا بالمثلة
بحسب درجات معاندتهم وتعذيب المعذبين في الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد انواعها واختلافها
بحسب درجات طول مدة تقصيرهم فينقسم كل قسم من هذه الرتب الى درجات لا تنحصر فكذلك فافهم ان الناس في
الاخرة هكذا متفاوتون فمن هالك ومن معذب مدة ومن ناج يحل في دار السلامة ومن فائز والفائزون
ينقسمون الى من يحلون في جنات عدن او جنات المأوى او جنات الفردوس والمعذبون ينقسمون الى من يعذب قليلا والى
الى من يعذب الى سبعة الاف سنة وذلك اقصى من يخرج من النار كما ورد في الخبر وكذا الهالكون الايسون من رحمة
الله تتفاوت درجاتهم وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر كيفية توزعها عليها اما الرتبة
الاولى وهي الهلاك ونعني بالهالكين الايسين من رحمة الله اذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربناه ايس
من رضا الملك واكرامه فلا تغفل عن معاني المثال وهذه الدرجة لا تكون الا للجاحدين والمعرضين المتجردين للدنيا
المكذبين بالله ورسله وكتبه فان السعادة الاخروية في القرب من الله والنظر الى وجهه وذلك لا ينال اصلا الا بالمعرفة
التي يعبر عنها بالايمان والتصديق والجاحدون هم المنكرون المكذبون فهم الايسون من رحمة الله ابد الاباد وهم الذين
يكذبون برب العالمين وبانبيائه المرسلين وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل محجوب عن محبوبه
فمحول بينه وبين ما يشتهيه فهو لا محالة يكون محترقا مع نار جهنم بنار الفراق ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من
نار جهنم ولا رجاؤنا للحور العين انما مطلبنا اللقاء ومهربنا من الحجاب فقط وقالوا من يعبد الله بعوض فهو لئيم كأن يعبده
لطلب جنته او لخوف ناره بل العارف يعبده لذاته فلا يطلب الا ذاته فقط فاما الحور العين والفواكه فقد لا يشتهيها
واما النار فقد لا يتقيها اذ نار الفراق اذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للاجسام فان نار الفراق نار الله الموقدة التي
تطلع على الافئدة ونار جهنم لا شغل لها الا مع الاجساد والم الاجساد يستحقر مع الم الفؤاد ولذلك قيل وفي فؤاد المحب نار هوى
احر نار الجحيم ابردها ولا ينبغي ان تنكر هذا في عالم الاخرة اذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا فقد رؤي من غلب عليه الوجد فعدا
على النار وعلى اصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في
القتال فتصيبه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال لان الغضب نار في القلب قال صلى الله عليه وسلم الغضب قطعة
من النار واحتراق الفؤاد اشد من احتراق الاجساد والاشد يبطل الاحساس بالاضعف كما تراه فليس الهلاك من النار و
السيف الا من حيث انه يفرق بين جزءين يرتبط احدهما بالاخر بارتباط التأليف الممكن في الاجسام فالذي يفرق بين القلب و
بين محبوبه المرتبط به رابطة تأليف اشد احكاما من تأليف الاجسام فهو اشد ايلاما ان كنت من ارباب
البصائر وارباب القلوب ولا يبعد ان لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الالم ويستحقره بالاضافة
الى الم الجسم فالصبي لو خير بين الم الحرمان عن الكرة والصولجان وبين الم الحرمان عن رتبة السلطان
لم يحس بالم السلطان اصلا ولم يعد ذلك الما وقال العدو في الميدان مع الصولجان احب الي من سرير الملك و
سلطان مع الجلوس عليه بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلواء وبين فعل جميل يقهر به
الاعداء ويفرح به الاصدقاء لاثر الهريسة والحلواء وهذا كله لفقد المعنى الذي به يصير الجاه
محبوبا ووجود المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذيذا وذلك لمن استوفت صفات البهائم ولم يظهر فيه الصفات

الملكية التي لا يناسبها ولا يلذها الا القرب من رب العالمين ولا يؤلمها الا البعد والحجاب وكما لا يكون
الذوق الا في اللسان والسمع الا في الاذن فلا تكون هذه الصفة الا في القلب فمن لا قلب له ليس له هذا الحس
كمن لا سمع له ولا بصر ليس له لذة الالحان وحسن الصور والالوان وليس لكل انسان قلب ولو كان لما
صح قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فجعل من لم يتذكر بالقران مفلسا من القلب ولست اعني
بالقلب هذا اللحم الذي يكتنفه عظام الصدر بل اعني به السر الذي هو من عالم الامر وهذا اللحم الذي هو من
عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه وسائر الاعضاء عالمه ومملكته ولله الخلق والامر جميعا ولكن ذلك
السر الذي قال الله تعالى فيه قل الروح من امر ربي هو الملك والامير لان بين عالم الخلق وعالم الامر ترتيبا و
عالم الامر امير على عالم الخلق وهو اللطيفة التي اذا صلحت صلح لها سائر الاجساد من عرفها فقد عرف نفسه
ومن عرف نفسه فقد عرف ربه فعند ذلك يشم العبد مبادي روائح المعنى المطوي تحت قوله عليه الصلوة و
السلام ان الله خلق ادم على صورته وينظر بعين الرحمة الى الجامدين على ظاهر لفظه والى المتعسفين في طريق
تأويله وان كانت رحمته على الجامد اكثر من رحمته على المتعسف في التأويل لان الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة
اولئك اكثر وان اشتركوا في مصيبة الحرمان عن حقيقة الامر فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو
الفضل العظيم وهي حكمة يختص بها من يريد ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولنعد الى الغرض فقد اخرجنا
اطولنا النفس في امر هو اعلى من علوم المعاملة التي نقصدها في هذا الباب فقد ظهر ان رتبة الهلاك ليست
الا للجهال المكذبين وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل تحت الحصر فلذلك لم
نوردها الرتبة الثانية رتبة المعذبين وهذه رتبة من تحلى باصل الايمان ولكن قصر في الوفاء بمقتضاه فان
راس الايمان هو التوحيد وهو ان لا يعبد الا الله ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة
بل معنى قولك لا اله الا الله قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهو ان يذر بالكلية غير الله ومعنى قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا ولما كان الصراط الموصوف في الاخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في امر يسير
ولا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قادح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضي
لا محالة نقصانا في درجة القرب ومع كل نقصان ناران نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ونار
جهنم كما وصفها القران فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من وجهين ولكن شدة ذلك
العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدة انما يكون بسبب امرين احدهما قوة الايمان وضعفه والثاني
كثرة اتباع الهوى وقلته واذ لا يخلو بشر في غالب الامر عن واحد من الامرين قال تعالى وان منكم الا واردها
الاية ولذلك قال الخائفون من السلف انما خوفنا لانا تيقنا انا على النار واردون وتشككنا في النجاة
وكما روى الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد الف عام وانه ينادي يا حنان يا منان قال الحسن
يا ليتني كنت ذلك الرجل فاعلم ان في الاخبار ما يدل على ان اخر من يخرج من النار بعد سبعة الاف سنة وان
الاختلاف في المدة بين اللحظة وبين سبعة الاف حتى قد يجوز بعضهم على النار كبرق خاطف ولا يكون له لبث
وبين اللحظة وبين سبعة الاف سنة درجات متفاوتة من الايام والاسبوع والشهور وسائر المدد وان
الاختلاف بالشدة لا نهاية لاعلاها وادناها التعذيب بالمناقشة في الحساب ثم يعفو وقد يضرب
بالسياط وقد يعذب بانواع اخر من العذاب ويتطرق الى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة
وهو اختلاف الانواع اذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب باخذ المال وقتل الولد و
استباحة الحريم وتعذيب الاقارب والضرب مع قطع اللسان واليد والانف والاذن وغيره فهذه الاختلافات

تأثيره في عذاب الآخرة دل عليه قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الإيمان وضعفه وكثرة
الطاعات وقلتها وكثرة السيئات وقلتها أما شدة العقاب فبشدة قبح السيئات وكبرها وأما
كثرته فبكثرتها وأما اختلاف أنواعه فباختلاف أنواع السيئات وقد تحقق هذا لأرباب القلوب
مع شواهد القرآن بنور الإيمان وهو المعني بقوله وما ربك بظلام للعبيد وبقوله تعالى اليوم تجزى
كل نفس بما كسبت وبقوله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وبقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون الثواب والعقاب
جزاء على الأعمال وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة أرجح إذ قال تعالى سبقت رحمتي غضبي
وقال تعالى وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فإذا هذه الأمور الكلية من ارتباط
الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة فأما التفصيل فلا
يعرف إلا ظنا ومستنده ظواهر الأخبار ونوع حدس يستمد من أنوار الاستبصار بعين الاعتبار فنقول
كل من أحكم أصل الإيمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع الفرائض أعني الأركان الخمسة ولم يكن منه إلا
صغائر متفرقة لم يصر عليها يشبه أن يكون عذابه بالمناقشة في الحساب فقط فإنه إذا حوسب رجحت حسناته
على سيئاته إذ ورد في الأخبار أن الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارة لما بينهن وكذلك
اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب فإن لم يدفع الحساب فكل من هذا
حاله فقد ثقلت موازينه فينبغي أن يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة
راضية نعم التحاقه بأصحاب اليمين أو بالمقربين ونزوله في جنات عدن أو في الفردوس الأعلى فذلك يتبع
أصناف الإيمان لأن الإيمان إيمانان تقليدي كإيمان العوام يصدقون بما يسمعون ويستمرون عليه وإيمان
كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فيتضح أن الكل إلى الله
مرجعه ومصيره إذ ليس في الوجود إلا الله وصفاته وأفعاله فهذا الصنف هم المقربون النازلون في الفردوس
الأعلى وهم على غاية القرب من الملأ الأعلى وهم أصناف فمنهم السابقون ومنهم من دونهم وتفاوتهم بحسب
تفاوت معرفتهم بالله ودرجات العارفين في المعرفة لا تنحصر إذ الإحاطة بكنه جلال الله غير ممكن وبحر
المعرفة ليس له ساحل وإنما يغوص فيه الغواصون بقدر قواهم وبقدر ما سبق لهم من الله في الأزل فالطريق
إلى الله لا نهاية لمنازله فالسالكون لسبيل الله لا نهاية لدرجاتهم فأما المؤمن إيمانا تقليديا فهو من أصحاب
اليمين ودرجته دون درجة المقربين وهم أيضا على درجات فالأعلى من درجات أصحاب اليمين تقارب درجته
رتبة الأدنى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب الكبائر وأدى كل الفرائض أعني الأركان الخمسة التي
هي النطق بكلمة الشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج فأما من ارتكب كبيرة أو كبائر أو أهمل بعض
أركان الإسلام فإن تاب توبة نصوحا قبل قرب الأجل التحق بمن لم يرتكب لأن التائب من الذنب كمن لا
ذنب له والثوب المغسول كالذي لم يتوسخ أصلا فإن مات قبل التوبة فهذا أمر مخطر عند الموت
إذ ربما يكون موته على الإصرار سببا لتزلزل إيمانه فيختم له بسوء الخاتمة لا سيما إذا كان إيمانه تقليديا فإن
التقليد وإن كان جزما فهو قابل للانحلال بأدنى شك وخيال والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء
الخاتمة وكلاهما إن ماتا على الإيمان يعذبان إلا أن يعفو الله عنهما بأزيد من عذاب المناقشة في الحساب
ويكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الإصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر
ومن حيث الاختلاف في النوع بحسب اختلاف أنواع السيئات وعند انقضاء مدة العقاب ينزل البله

المقلدون في درجات أصحاب اليمين والعارفون المستبصرون في أعلى عليين وفي الخبر آخر من يخرج من
النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف فلا تظنن أن المراد به تقديره بالمساحة لأطراف الأجسام بأن
يقابل فرسخ بفرسخين أو بعشرة فإن هذا جهل بطريق ضرب الأمثال بل هذا كقول القائل أخذ منه جملا وأعطاه
عشرة أمثاله وكان الجمل يساوي عشرة دنانير فأعطاه مائة دينار فإنه لم يفهم من المثل إلا المثل في الوزن والثقل
ولا يكون مائة دينار لو وضع في كفة الميزان والجمل في كفة أخرى عشر عشيره بل هو موازنة معاني الأجسام
وأرواحها دون أشخاصها وهياكلها فإن الإبل لا يقصد لطوله وعرضه وثقله ومساحته بل لماليته فروح المالية
وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية وهذا صادق
عند من يعرف روح المالية من الذهب والإبل لو أعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقد
أعطيته عشرة أمثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه إلا الجوهري فإن روح الجوهر لا يدرك بالبصر
بل بفطنة أخرى وراء البصر فلذلك يكذب الصبي بل القروي والبدوي ويقول ما هذه الجوهرة إلا حجارة
وزنها مثقال ووزن الإبل ألف مثقال فقد كذب في قوله إني أعطيته عشرة أمثاله والكاذب بالتحقيق هو
الصبي ولكن لا سبيل إلى تحقيق ذلك عنده إلا بأن ينتظر به البلوغ والكمال وأن يحصل في قلبه النور الذي به
يدرك أرواح الجواهر وسائر الأموال فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن تفهيم المقلد
القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة إذ يقول الجنة في السموات كما ورد في الأخبار
والسموات من الدنيا فكيف يكون عشرة أمثال الدنيا في الدنيا وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبي لتلك
الموازنة وكذلك عن تفهيم البدوي وكان الجوهري مرحوم إذا بلي بالبلادي والقروي في تفهيم تلك
الموازنة فالعارف مرحوم إذا بلي بالبليد الأبله في تفهيم هذه الموازنة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام
ارحموا ثلاثة عالما بين الجهال وغني قوم افتقر وعزيز قوم ذل والأنبياء مرحومون بين الأمة
بهذا السبب وبمقاساتهم القصور وعقول الأمة فتنة لهم وامتحانا وابتلاء من الله وهو بلاء موكل بهم سبق
بتوكيله القضاء الأزلي وهو المعنى بقوله عليه الصلاة والسلام البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل
فالأمثل فلا تظنن أن البلاء بلاء أيوب وهو الذي ينزل بالبدن وإن بلاء نوح أيضا من البلاء
العظيم إذ بلي بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه إلى الله إلا فرارا ولذلك لما أوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكلام بعض الناس قال رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر فإذا كان لا يخلو الأنبياء عن
الابتلاء بالجاحدين فلا يخلو العلماء والأولياء عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قلما انفك الأولياء
عن ضروب الإيذاء وأنواع البلاء بالإخراج والسعاية بهم إلى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر و
الخروج من الدين ويجب أن يكون أهل المعرفة عند الجهال من الكافرين كما يجب أن يكون المعتاض عن
الإبل الكثيرة جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين المضيعين فإذا عرفت هذه الدقائق
فآمن بقوله عليه الصلاة والسلام إنه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات وإياك أن
تقتصر بتصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حمارا برجلين لأن الحمار يشاركك في الحواس
الخمس وإنما أنت مفارق للحمار بسر إلهي عرض على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها
فأدرك ما يخرج من عالم الحواس الخمس ولا يصادفها إلا في عالم ذلك السر الذي به فارقت الحمار وسائر البهائم
ولم يجاوز المحسوسات فهو الذي أهمل نفسه وعطلها وتشبها بالأعراض عنها ولا تكونوا كالذين نسوا الله

فانما هم انفسهم فكل من لا يعرف الا المدرك بالحواس الخمس فهو نبي الله اذ لبني الله تعالى
منكبا في هذا العالم بالحواس الخمس فكل من انسى الله انساه الله لا محالة نفسه ونزل الى درجة البهائم
وترك التشوق الى الملأ الاعلى وخان في الامانة التي اودعه الله اياها وانعم بها عليه كافرا بالنعمة
ومتعرضا للنقمة الا انه اسوء حالا من البهيمة فان البهيمة تتخلص بالموت واما هذا فعنده امانة ترجع
لا محالة الى مودعها فاليه مرجع الامانة ومصيرها وتلك الامانة كالشمس الزاهرة وانما هبطت
الى هذا القالب الفاني وغربت فيه وستطلع هذه الشمس عند خراب هذا من مغربها وتعود الى خالقها وبارئها
اما مظلمة منكسفة واما زاهرة مشرقة والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن الحضرة الربانية والمظلمة ايضا راجعة
الى الحضرة اذ المرجع والمصير للكل اليه الا انها ناكسة رأسها عن جهة اعلى عليين الى جهة اسفل السافلين
ولذلك قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم الاية الا انهم منكوسون منحوسون فلا تنقلب
وجوههم الى اقفيتهم وانتكست رؤسهم عن جهة فوق الى جهة اسفل وذلك حكم الله فيمن حرمه توفيقه ولم يهده
طريقه فنعوذ بالله من الضلال والنزول في منازل الجهال فهذا حكم انقسام من يخرج من النار ويعطى مثل عشر
امثال الدنيا او اكثر ولا يخرج من النار الا موحد ولست اعني بالتوحيد ان يقول بلسانه لا اله الا الله فان اللسان
من عالم الملك والشهادة فلا ينفع الا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وايدي الغانمين عن ماله
مدة الرقبة والمال مدة الحيوة فحيث لا تبقى رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان وانما ينفع الصدق في التوحيد
وكمال التوحيد ان لا يرى الامور كلها الا من الله وعلامته ان لا يغضب على احد من الخلق بما يجري عليه اذ لا يرى
الوسائط وانما يرى مسبب الاسباب كما سيأتي تحقيقه في التوكل وهذا التوحيد متفاوت في الناس
من له التوحيد مثل الجبال ومنهم من له مثقال ومنهم من له التوحيد مقدار خردلة وذرة فمن في قلبه مثقال دينار
فهو اول من يخرج من النار وفي الخبر يقال اخرجوا من النار من في قلبه مثقال دينار من الايمان واخر من يخرج
في قلبه مثقال ذرة من ايمان وما بين المثقال والذرة تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة
الذرة والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرناه من الموازنة بين اعيان الاموال النقود واكثر
ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد فديوان العباد هو الذي لا يترك فاما بقية السيئات فيتسارع العفو
والتكفير اليها ففي الاثر ان العبد ليوقف بين يدي الله وله من الحسنات امثال الجبال لو سلمت له لكان من اهل الجنة فيقوم
اصحاب المظالم فيكون قد سب هذا واخذ مال هذا وضرب هذا فيقتص من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول
الملائكة يا ربنا قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقال القوا سيآتهم الى سيآته وصكوا له صكا الى النار
هو بسيئة غيره بطريق القصاص وكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم اذ تنقل اليه عوضا عما ظلم به وقد حكي
عن ابن الجلاء ان بعض اخوانه اغتابه ثم ارسل اليه يستحله فقال لا افعل ليس في صحيفتي حسنة افضل منها
فكيف امحوها وقال هو وغيره ذنوب اخواني من حسناتي اريد ان ازين بها صحيفتي فهذا ما اردنا ان نذكره
من اختلاف العباد في المعاد في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر الاسباب يضاهي
حكم الطبيب على مريض بانه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض اخر بان عارضه خفيف وان علاجه
هين فان ذلك ظن يصيب في اكثر الاحوال لكن قد يشرف المريض على الهلاك من حيث لا يشعر
الطبيب وقد يهلك صاحب العارض الخفيف لخطأ من حيث لا يطلع عليه وذلك لاسرار الله الخفية في ارواح
الاحياء وغموض الاسباب التي رتبها مسبب الاسباب تقديرا معلوما اذ ليس في قوة البشر الوقوف على
كنهها فكذلك النجاة والفوز في الاخرة لها اسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها ويعبر عن تلك الاسباب التي

المفضي الى النجاة بالعفو والرضا وعما يفضي الى الهلاك بالغضب والانتقام ووراء ذلك سر المشيئة
الالهية الازلية التي لا يطلع الخلق عليها فلذلك يجب علينا ان نجوز العفو عن العاصي وان كثرت
سيآته الظاهرة والغضب على المطيع وان كثرت طاعاته الظاهرة فان الاعتماد على التقوى و
التقوى في القلب وهو اغمض من ان يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف لارباب القلوب
انه لا عفو عن عبد الا بسبب خفي فيه يقتضي العفو ولا غضب الا بسبب باطن يقتضي البعد من الله
ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الاعمال والاوصاف ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولو لم
يكن عدلا لم يصح قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ولا قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة ان الله
لا يظلم الناس شيئا وكل ذلك صحيح فليس للانسان الا ما سعى وسعيه هو الذي سوف يرى وكل
نفس بما كسبت رهينة ولما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ولما غيروا انفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله
تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وهذا كله قد انكشف لارباب القلوب انكشافا اوضح
من المشاهدة بالبصر اذ البصر يمكن الغلط فيه اذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب لا
يمكن الغلط فيها وانما الشان في انفتاح بصيرة القلب والا فما يرى بها بعد الانفتاح فلا يمكن الغلط و
لا يتصور الكذب فيه واليه الاشارة بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى **الرتبة الثالثة رتبة
الناجين** ونعني بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا
فيعذبوا ويشبه ان يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم
الدعوة في اطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية
فلا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فما هم من اهل الجنة ولا من اهل النار بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين
ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالاعراف وحلول طائفة من الخلق فيه معلوم يقينا من الايات والاخبار ومن
انوار الاعتبار فاما الحكم على التعيين كالحكم مثلا بان الصبيان منهم فهذا مظنون وليس مستيقن والاطلاع عليه
يقينا في عالم النبوة ويبعد ان يرتقي اليه رتبة الاولياء والعلماء والاخبار في حق الصبيان ايضا متعارضة حتى
قالت عائشة رضي الله عنها لما مات بعض الصبيان عصفور من عصافير الجنة فانكر عليه الصلوة والسلام ذلك
وقال ما يدريك فاذا الاشكال والاشتباه اغلب في هذا المقام **الرتبة الرابعة رتبة الفائزين** وهم
العارفون دون المقلدين وهم المقربون السابقون فان المقلد وان كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من اصحاب
اليمين وما يلقى هؤلاء يجاوز حد البيان والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن اذ ليس بعد بيان الله بيان والذي
لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي اجمله قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقوله عليه الصلوة و
السلام حكاية عن الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصور ان تخطر على قلب بشر في هذا العالم فاما الحور والقصور والفواكه
واللبن والخمر والعسل والحلي والاساور فانهم لا يحرصون عليها ولو اعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون الا لذة
النظر الى وجه الله الكريم فهذه غاية السعادات ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية كيف رغبتك
في الجنة فقالت الجار ثم الدار فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شيء سواه حتى عن
انفسهم ومثالهم العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي همه بالنظر الى وجهه والفكر فيه فانه في حال الاستغراق
غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ويعبر عن هذه الحالة بانه فني عن نفسه ومعناه انه صار مستغرقا
بغيره وصارت همومه هما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت اليه لا نفسه و

هذه الحالة هي التي توصل في الآخرة الى قرة عين لا يتصور ان يخطر صورة الالوان والاشكال على
قلب الاكمه ولا الكمه الا ان يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حالة يعلم قطعا انه لم
يتصورها ويخطرها بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق وبرفعه ينكشف الغطاء فعند ذلك
يدرك ذوق الحيوة الطيبة فان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في بيان
توزع الدرجات على الحسنات **بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب** اعلم ان الصغيرة تكبر
باسباب منها الاصرار والمواظبة ولذلك قيل لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار فكبيرة
واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور ذلك كان العفو عنها ارجى من صغيرة يواظب العبد عليها
ومثال ذلك قطرات الماء تقع على حجر على التوالي فيؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة
واحدة لم يؤثر ولذلك قال عليه الصلوة والسلام خير الاعمال ادومها وان قل والاشياء تستبان
باضدادها فان كان النافع من العمل هو الدائم وان قل فالكثير المنصرم قليل النفع في تنوير القلب و
تطهيره فكذلك القليل من السيئات اذا دام عظم تاثيره في اظلام القلب الا ان الكبيرة قلما يتصور
الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر فقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة
ومقدمات وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة سابقة فكل كبيرة تكتنفها صغائر سابقة ولاحقة
ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق لها عود ربما كان العفو فيها ارجى من صغيرة واظب الانسان عمره
عليها ومنها ان يستصغر الذنب فان الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله وكلما استصغره
كبر عند الله لان استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له وذلك النفور يمنع من شدة تاثره به واستصغاره
يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور
تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجري في الغفلة وقد جاء في الخبر المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف
ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه فاطاره وقال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل
عمله مثل هذا وانما يعظم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله فاذا نظر الى عظم من عصى به راى الصغير كبيرا وقد
اوحى الله الى بعض الانبياء لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء
من واجهته بها وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة وكذلك قال بعض الصحابة
للتابعين انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الموبقات اذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله تعالى اتم فكانت الصغائر عندهم بالاضافة الى جلال الله كبائر وبهذا
السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامي في امور لا يتجاوز في امثالها عن العارف لان الذنب و
المخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف ومنها السرور بالصغيرة والتبجح والفرح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة و
الغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم اثرها في
تسويد قلبه حتى ان من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمقارفته اياه كما يقول اما رايتني
كيف مزقت عرضه ويقول المناظر في مناظرته اما رايتني كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى
خجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ويقول المعامل في التجارة اما رايت كيف روجت عليه الزيف
وكيف خدعته وكيف غبنته في ماله وكيف استحمقته فهذا وامثاله تكبر به الصغائر فان الذنوب مهلكات و
اذا دفع العبد اليها وظفر الشيطان به في الحمل عليها فينبغي ان يكون في مصيبة وتاسف بسبب غلبة العدو عليه
وبسبب بعده من الله تعالى فالمريض الذي يفرح بان ينكسر اناؤه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من الم شربه لا يرجى

شفاؤه **ومنها** ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله له ولا يدري انه انما يمهل مقتا
ليزداد بالامهال اثما فيظن ان تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالى به فيكون ذلك
لامنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا
الله بما نقول الآية **ومنها** ان ياتي بالذنب ويظهره بان يذكره بعد اتيانه او ياتيه
في مشهد غيره فان ذلك جناية منه على ستر الله الذي اسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن
اسمعه ذنبه او اشهده فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فغلظت به فان انضاف الى ذلك
الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الامر وفي الخبر
كل الناس معافى الا المجاهرين يبيت احدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله
ويتحدث بذنبه وهذا لان من صفات الله انه يظهر الجميل ويستر على القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار
كفران لهذه النعمة وقال بعضهم لا تذنب فان كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين و
لذلك قال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف الآية
قال بعض السلف ما انتهك المرء من اخيه حرمة اعظم من ان يساعده على معصيته ثم يهونها عليه **ومنها**
ان يكون المذنب عالما يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم وركوبه مراكب
الذهب واخذه مال الشبهة من اموال السلاطين ودخوله على السلاطين وترديده اليهم ومساعدته
اياهم بترك الانكار عليهم واطلاقه اللسان في الاعراض وتعديه باللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف
واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه الا الجاه كعلم الجدل والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها
فيموت العالم ويبقى شره مستطيرا في العالم اياما متطاولة فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه و
في الخبر من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيء الخبر وقال تعالى
ونكتب ما قدموا وآثارهم والآثار ما يلحق العمل بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس رضي الله عنهما
ويل للعالم يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل
انكسار السفينة تغرق ويغرق اهلها وفي الاسرائيليات ان عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته
توبة فعمل في الاصلاح دهرا فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته و
لكن كيف بمن اضللت من عبادي فادخلتهم النار فبهذا يتضح ان امر العلماء مخطر فعليهم وظيفتان احداهما
ترك الذنب والاخرى اخفاؤه وكما تتضاعف اوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على
الحسنات اذا اتبعوا فاذا ترك التجمل والميل الى الدنيا وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت
ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدي به العلماء والعوام ويكون له مثل ثوابهم وان مال الى التجمل
وان مال الى التجمل مالت الطباع ممن دونه الى التشبه به ولا يقدرون على التجمل الا بخدمة السلاطين وجمع الحطام
من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك فحركات العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها
اما بالربح واما بالخسران وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي يتوب عنها **الركن الثاني**
في تمام التوبة وشروطها ودوامها الى آخر العمر قد ذكرنا ان التوبة عبارة عن ندم يورث عزما
وقصدا وذلك الندم اورثه العلم بكون المعاصي حائلا بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم
دوام وتمام ولتمامها علامة ولدوامها شروط ولا بد من بيانها اما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة و
سياتي واما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن و

وانسكاب الدمع وطول البكاء فمن استشعر عقوبة نازلة بولده او ببعض اعزته طال عليه بكاؤه و
مصيبته واي عزيز اعز عليه من نفسه واي عقوبة اشد من النار واي شيء ادل على نزول العقوبة
من المعاصي واي مخبر اصدق من الله ورسوله ولو حدثه انسان واحد يسمى طبيبا ان مرض ولده
انه لا يبرأ وانه سيموت منه طال في الحال حزنه وليس ولده باعز من نفسه ولا الطبيب
باعلم ولا اصدق من الله ورسوله ولا الموت باشد من النار ولا المرض ادل على الموت من المعاصي على
سخط الله والتعرض بها للنار فالم الندم كلما كان اشد كان تكفير الذنوب به ارجى فعلامة صحة الندم
رقة القلب وغزارة الدمع وفي الخبر جالسوا التوابين فانهم ارق افئدة ومن علامته ان تتمكن مرارة
تلك الذنوب في قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة وفي الاسرائيليات
ان الله تعالى قال لبعض انبيائه وقد ساله قبول توبته فقال وعزتي لو شفع فيه اهل السموات
والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه فان قلت فالذنوب
اعمال مشتهاة بالطبع فكيف يجد مرارتها فاقول من تناول عسلا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق
واستلذه ثم مرض وطال مرضه وتناثر شعره وفلج اعضاؤه فاذا قدم اليه عسل فيه مثل ذلك
السم وهو في غاية الجوع والشهوة فهل ينفر نفسه عن ذلك العسل ام لا فان قلت لا فهو جحد
للمشاهدة بل ربما ينفر عن العسل الذي ليس فيه سم ايضا لشبهه به فوجدان التائب مرارة الذنب
كذلك يكون وذلك لعلمه بان كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا يصح التوبة ولا يصدق
الا بمثل هذا الايمان ولما عز مثل هذا الايمان عزت التوبة والتائبون فلا ترى الا معرضا عن الله متهاونا
بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغي ان يدوم الى الموت وينبغي ان يجد هذه
المرارة في جميع الذنوب وان لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم في العسل النفرة من الماء
البارد مهما علم ان فيه مثل ذلك السم اذ لم يكن ضرره من العسل بل بما فيه ولم يكن ضرر التائب من
سرقته وزناه من حيث انه سرقة وزنا بل من حيث انه مخالفة امر الله وذلك جار في كل ذنب واما
القصد الذي ينبعث منه وهو ارادة التدارك فله تعلق بالحال وهو موجب ترك كل محظور

واداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله تعلق بالماضي صح

وهو ملابس له وهو تدارك ما فرط وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى
الموت وشرط صحته فيما يتعلق بالماضي ان يرد فكره الى اول يوم بلغ فيه بالسن او الاحتلام ويفتش
عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر الى الطاعات ما الذي
قصر فيها والى المعاصي ما الذي قارفها فان كان قد ترك صلوة او صلاها مع ثوب نجس او صلاها
بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية فيقضيها عن آخرها فان شك في عدد ما فاته فيحسب من مدة
بلوغه ويترك القدر الذي يستيقن انه اداها ويقضي الباقي وله ان يأخذ فيه بغالب الظن ويصل اليه على سبيل
التحري والاجتهاد واما الصوم فان كان قد تركه في سفر ولم يقضه او افطر عمدا او نسي النية بالليل
ولم يقض فيتعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويشتغل بقضائه واما الزكوة فيحسب جميع ماله
وعدد السنين من اول ملكه لا من زمان البلوغ فان الزكوة واجبة في مال الصبي فيؤدي ما علم بغالب
الظن انه في ذمته فان اداه لا على وجه يوافق مذهبه بان لم يصرف الى الاصناف الثمانية او اخرج
البدل وهو على مذهب الشافعي فيقضي جميع ذلك فان ذلك لم يجزه اصلا وحساب الزكوة و
معرفة ذلك يطول ويحتاج فيه الى تامل شاف ويلزمه ان يسال عن كيفية الخروج عنه من العلماء واما الحج

فان كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له الخروج والآن قد افلس فعليه الخروج فان لم يقدر به
مع الافلاس فعليه ان يكتسب من الحلال قدر الزاد فان لم يكن له كسب ولا مال فعليه ان يسال الناس ليصرف
اليه من الزكوات او الصدقات ما يحج به فانه ان مات قبل الحج مات عاصيا قال عليه الصلوة والسلام من
مات ولم يحج فليمت على اي دين ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا والعجز الطارى بعد القدرة لا يسقط
عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها واما المعاصي فينبغي ان يفتش من اول بلوغه عن سمعه
وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته ويفصل
عنده تفسير ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغائرها وكبائرها ثم ينظر فيما كان من ذلك بينه وبين
الله من حيث لا يتعلق بمظالم العباد كنظر الى غير محرم وقعوده في المسجد مع جنابة ومس مصحف بغير وضوء و
واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاهي وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنها بالندم والتحسر
عليها وبان يحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها
فياتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات اخذا من قوله عليه الصلوة والسلام اتق الله حيث ما كنت واتبع
السيئة الحسنة تمحها بل من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فيكفر سماع الملاهي بسماع القران و
مجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر مس
المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة تلاوة القران فيه وكثرة تقبيله وبان يكتب مصحفا ويجعله و
وقفا ويكفر شرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال هو احب اليه واطيب اليه وعد جميع المعاصي غير ممكن وانما
المقصود سلوك طريق المضادة فان المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها
الا نور يرتفع اليه بحسنة تضادها والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي ان يمحى كل سيئة بحسنة
من جنسها لكن تضادها فان البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق من التلطف
في طريق المحو والرجاء فيه اصدق والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان
ذلك ايضا مؤثرا في المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله ويدل على ان الشيء يكفر بضده ان حب الدنيا راس كل خطيئة
واثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والانس بها والحنين اليها فلا جرم كان كل اذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن
الدنيا يكون كفارة له اذ القلب يتجافى عن دار الهموم بالهموم والغموم قال عليه الصلوة والسلام ان من
الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وفي حديث عائشة رضي الله عنها اذا كثرت ذنوب العبد
ولم يكن له اعمال تكفرها ادخل الله عليه الهموم فيكون كفارة لذنوبه ويقال ان الهم الذي يدخل على القلب و
العبد لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع فان قلت هم
الانسان غالبا بماله وولده وجاهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة فاعلم ان الحب له خطيئة والحرمان
منه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة فقد روي ان جبرئيل دخل على يوسف على نبينا وعليهما الصلوة والسلام
في السجن فقال له يا يوسف كيف تركت الشيخ الكئيب قال قد حزن عليه حزن مائة ثكلى قال فما له عند الله قال
اجر مائة شهيد فاذا الهموم ايضا مكفرات حقوق الله تعالى فهذا حكم ما بينه وبين الله واما حقوق العباد
ففيها ايضا معصية وجناية على حق الله تعالى فان الله عز وجل نهى عن ظلم العباد ايضا فما يتعلق منه بحق الله
تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل والاتيان بالحسنات التي هي اضدادها فيقابل ايذاء الناس
بالاحسان اليهم ويكفر غصب اموالهم بالتصدق بملكه الحلال ويكفر تناول اعراضهم بالغيبة والقدح بالثناء
على اهل الدين واظهار ما يعرف من خصال الخير من اقرانه ويكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب لان ذلك احياء اذ العبد

اذ العبد مفتقر لنفسه موجود لسيده فالاعتاق ايجاد ولا يقدر الانسان على اكثر منه فيقابل
الاعدام بالايجاد وبهذا يعرف ان ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في
الشرع حيث كفر القتل باعتاق رقبة ثم اذا فعل ذلك كله لم ينجه ولم يكفه ما لم يخرج من مظالم العباد واما
مظالم العباد اما في النفوس او الاموال او الاعراض او القلوب اعني به الايذاء المحض اما النفوس فان جرى عليه
قتل خطا فتوبته بتسليم الدية ووصولها الى المستحق اما منه او من عاقلته وهو في عهدته ذلك قبل الوصول
وان كان عمدا موجبا للقصاص فبالقصاص فان لم يعرف فيجب عليه ان يتعرف عند ولي الدم ويحكمه في روحه
فان شاء عفا عنه وان شاء قتله ولا تسقط عهدته الا بهذا ولا يجوز الاخفاء (خفاء) وليس هذا كما لو زنى
او شرب او سرق او قطع الطريق او باشر ما يجب فيه حد من حدود الله فانه لا يلزمه في التوبة ان يفضح نفسه
ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله بل عليه ان يستتر بستر الله ويقيم حد الله على نفسه بانواع
المجاهدة والتعذيب فالعفو في محض حق الله قريب من التائبين النادمين فان رفع امره الى الوالي حتى اقام
عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله بدليل ما روي ان ماعز بن مالك اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني ظلمت نفسي وزنيت واني اريد ان تطهرني فرده فلما كان من الغد اتاه فقال
يا رسول الله اني قد زنيت فرده الثانية فلما كان في الرابعة حفر له حفيرة ثم امر به فرجم وكان الناس فيه فرقتين
فقائل يقول لقد هلك ولقد احاطت به خطيئته وقائل يقول ما توبة اصدق من توبة ماعز فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم وجاءت الغامدية فقالت يا رسول الله
اني قد زنيت فطهرني فردها فلما كان من الغد قالت يا رسول الله لم تردني لعلك ان تردني كما رددت ماعزا
فوالله اني لحبلى فقال اما الآن فاذهبي حتى تلدي فلما ولدت اتت بالصبي في خرقة فقالت هذا قد ولدته قال فاذهبي
فارضعيه حتى تفطميه فلما فطمته اتته بالصبي وفي يده كسرة خبز قالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد اكل الطعام
فدفع الصبي الى رجل من المسلمين ثم امر بها فحفر لها الى صدرها وامر الناس فرجموها فاقبل خالد بن الوليد بحجر
فرمى راسها فنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه اياها فقال مهلا
يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم امر بها فصلى عليها ودفنت و
اما القصاص وحد القذف فلا بد من تحكيم المستحق فيه وان كان المتناول مالا تناوله بغصب او خيانة
او غبن في معاملة بنوع تلبيس كترويج زيف او ستر عيب من المبيع او نقص اجرة اجير او منع اجرته فكل ذلك يجب
ان يفتش عنه لا من حد بلوغه بل من اول مدة وجوده فان ما يجب في مال الصبي يجب عليه بعد البلوغ اخراجه ان
كان الولي قد قصر فيه فانه لم يفعل كان مظالما مطالبا به اذ يستوي في الحق المالي الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على
الحبات والدوانق من يوم حياته الى يوم توبته قبل ان يحاسب في القيمة وليناقش قبل ان يناقش فمن لم يحاسب نفسه
في الدنيا طال في الآخرة حسابه فاذا حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه وليكتب
اسامي اصحاب المظالم واحدا واحدا وليطف في نواحي العالم وليطلبهم وليستحلهم او ليؤد حقوقهم وهذه
التوبة تشق على الظلمة والتجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد
منهم ان يفعل منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر من الحسنات حتى تفيض منه يوم القيمة
فيؤخذ حسناته وتوضع في موازين ارباب المظالم ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فانه ان لم تف بها
حسناته حمل من سيئات ارباب المظالم فيهلك بسيئات غيره فهذا طريق كل تائب في رد المظالم وهذا يوجب
استغراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول المظالم فكيف وذلك لا يعرف وربما يكون الاجل قريبا فينبغي ان

يكون تشمره بالحسنات والوقت ضيق اشد من تشمره الذي كان بالسيئات والمعاصي في متسع الاوقات
هذا حكم المظالم الثابتة في ذمته اما امواله الحاضرة فليرد الى المالك ما يعرف له مالكا معينا وما لا يعرف
له مالكا معينا فعليه ان يتصدق به فان اختلط الحرام بالحلال وعرف قدر الحرام بالاجتهاد تصدق بذلك
القدر كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام واما الجناية على القلوب بمشافهة الناس بما يسوءهم او يعيبهم
في الغيبة فليطلب كل من تعرض له باللسان او آذى قلبه بفعل من افعاله فليستحل واحدا واحدا منهم ومن مات
او غاب فقد فات امره ولا يتدارك الا بتكثير الحسنات ليؤخذ عوضا في القيمة واما من وجده واحله
بطيبة من قلبه فذلك كفارة له وعليه ان يعرفه قدر جنايته وتعرضه له فالاستحلال المبهم لا يكفي وربما لو عرف
ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالاحلال وادخر ذلك في القيمة ذخيرة يأخذ من حسناته او
يحمل من سيئاته فان كان في جملة جنايته على الغير ما لو ذكره وعرفه لتأذى بمعرفته كزناه بجاريته او اهله
او نسبته باللسان الى عيب من خفايا عيوبه يعظم اذاه مهما شوفه به فقد انسد عليه طريق الاستحلال فليس له
الا ان يستحل منها ثم تبقى له مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلمة الميت والغائب فاما الذكر و
التعريف فهو سيئة جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنايته وعرفه المجني عليه فلم تسمح نفسه بالاحلال
بقيت المظلمة عليه فان هذا حقه فعليه ان يتلطف به ويسعى في مهماته واغراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه
ما يستميل به قلبه فان الانسان عبد الاحسان وكل من نفر بسيئة مال بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة تودده
وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال فان ابى الا الاصرار فينبغي ان يكون تلطفه به واعتذاره اليه
من جملة حسناته التي يمكن ان يجبر بها في القيامة جنايته وليكن قدر سعيه في فرحه وسرور قلبه بتودده
وتلطفه كقدر سعيه في ايذائه حتى اذا قاوم احدهما الآخر وزاد عليه اخذ ذلك منه عوضا في الآخرة
بحكم الله تعالى عليه كمن اتلف مالا في الدنيا فجاء بمثله فامتنع من له من القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه
بالقبض منه شاء ام ابى فكذلك يحكم في صعيد القيمة احكم الحاكمين واعدل المقسطين وفي المتفق
عليه من الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان
قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة
وتسعين نفسا فهل له من توبة قال لا فقتله فكمل به مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال
انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها
اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا بلغ نصف
الطريق اتاه الموت فاختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا
الى الله وقال ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين
الارضين فالى ايتهما ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة و
في رواية فكان الى القرية الصالحة اقرب منها بشبر فجعل من اهلها وفي رواية اخرى ان الله تعالى
اوحى الى هذه ان تباعدي والى هذه ان تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر
فغفر له فهذا يعرفك انه لا خلاص الا برجحان ميزان الحسنات ولو بمثقال فلا بد للتائب من تكثير الحسنات
فهذا حكم القصد المتعلق بالماضي واما العزم المرتبط بالاستقبال فهو ان يعقد مع الله عقدا مؤكدا و
يعاهده بعهد وثيق ان لا يعود الى تلك الذنوب ولا الى امثالها كالذي يعلم في مرضه ان الفاكهة تضره مثلا
فيعزم عزما جزما ان لا يتناول الفاكهة ما لم يزل مرضه فان هذا العزم يتاكد في الحال وان كان يتصور

نفساه

ان تغلبه الشهوة في ثاني الحال ولكن لا يكون تائبا ما لم يتأكد عزمه في الحال ولا يتصور ان يتم ذلك للتائب
في اول امره الا بالعزلة والصمت وقلة الاكل والشرب والنوم واحراز قوت حلال فان كان له مال موروث
حلال او كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه فان راس المعاصي اكل الحرام فكيف يكون تائبا مع
الاصرار عليه ولا يكتفي بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر على ترك الشهوات في الماكولات و
الملبوسات قال بعضهم من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتل بها وقال
آخرون من تاب من ذنب واستقام عليه سبع سنين لم يعد اليه ابدا ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما
ان يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة وان لم يؤثر العزلة لم يتم له الاستقامة
المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والغصب واللواط مثلا وليست
هذه التوبة المطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح وقال قائلون تصح ولفظ الصحة
مجمل في هذا المقام بل نقول لمن قال لا تصح ان عنيت به ان ترك بعض الذنوب لا يفيد اصلا بل وجوده
كعدمه فما اعظم خطاك فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقلتها سبب لقلته ونقول لمن قال
تصح ان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا يوصل الى النجاة او الفوز فهذا ايضا خطأ بل النجاة والفوز
بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا اسرار عفو الله وان قال من ذهب الى انه لا تصح اذا اردت
به ان التوبة عبارة عن الندم وانما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة ويستحيل ان يندم عليه
دون الزنا ان كان توجعه لاجل المعصية فان العلة شاملة لهما اذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع
على قتله بالسكين لان توجعه لفوات محبوبه وذلك بالمعصية سواء عصى بالزنا او بالسرقة فكيف
يتوجع على البعض دون البعض فالندم حال يوجبها العلم بكون المعصية مفوتة للمحبوب من حيث انها معصية
فلا يتصور ان يكون على بعض المعاصي دون بعض ولو جاز هذا لجاز ان يتوب من شرب الخمر من احد الدنين
دون الآخر فان استحال ذلك من حيث ان المعصية في الخمرين واحدة وانما الدنان ظروف فكذلك اعيان
المعاصي آلات المعصية والمعصية من حيث هي مخالفة الامر واحدة فاذا معنى عدم الصحة ان الله تعالى وعد
التائبين رتبة تلك الرتبة لا تنال الا بالندم ولا يتصور الندم على بعض المتماثلات فهو كالملك
المرتب على الايجاب والقبول فانه اذا لم يتم الايجاب والقبول يقال ان العقد لم يصح اي لا يترتب عليه
الثمرة وهي الملك وتحقيق هذا ان ثمرة مجرد الترك ان ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير
ما سبق فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور الندم الا لكونها معصية وذلك
يعم جميع المعاصي وهذا كلام مفهوم واقع تستنطق المنصف بتفصيل به ينكشف الغطاء فنقول
التوبة عن بعض الذنوب لا يخلو اما ان يكون عن الكبائر دون الصغائر او عن الصغائر دون الكبائر
او عن كبيرة دون كبيرة اما التوبة عن الصغائر دون الكبائر دون الصغائر فممكن لانه يعلم
ان الكبائر اعظم عند الله واجلب لسخط الله ومقته والصغائر اقرب الى تطرق العفو اليه فلا
يستحيل ان يتوب عن الاعظم ويندم عليه كالذي يجني على اهل الملك وحرمه ويجني على دابته فيكون
خائفا من الجناية على الاهل مستحقرا الجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد
كونه مبعدا عن الله وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر التائبون في الاعصار ولم يكن واحد
منهم معصوما فلا تستدعي التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا و
يحذره السكر تحذيرا اخف منه على وجه يشعره بانه ربما لا يظهر ضرر السكر اصلا فيتوب

المريض بقوله عن العسل دون السكر فهذا غير محال وجوده وان كلهما جميعا بحكم شهوته ندم على
اكل العسل دون السكر الثاني ان يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا ايضا ممكن لاعتقاده
ان بعض الكبائر اشد واغلظ عند الله كالذي يتوب عن القتل والظلم والنهب ومظالم العباد لعلمه
بان ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يتسارع العفو اليه فهذا ايضا ممكن كما في تفاوت الصغائر
والكبائر لان الكبائر ايضا متفاوتة في انفسها وفي اعتقاد مرتكبيها ولذلك قد يتوب عن بعض
الكبائر التي لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن الخمر دون الزنا مثلا اذ يتضح له ان الخمر مفتاح الشرور وانه
اذا زال العقل ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري فيحسب ترجح شرب الخمر عنده ينبعث منه خوف يوجب
ذلك تركا في المستقبل وندما على الماضي الثالث ان يتوب عن صغيرة او صغائر وهو مصر على كبيرة
يعلم انها كبيرة كالذي يتوب عن الغيبة او عن النظر الى غير المحرم وما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر و
هذا ايضا ممكن ووجه امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خائف على معاصيه ونادم على فعله ندما اما ضعيفا
واما قويا ولكن يكون لذة نفسه في تلك المعصية اقوى من الم قلبه في الخوف منها لاسباب توجب ضعف الخوف
من الجهل والغفلة واسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك العزم ولا
قويا عليه فان سلم عن شهوة اقوى منه بل لم يعارضه الا ما هو اضعف منه قهر الخوف الشهوة وغلبها واوجب ترك
تلك المعصية وقد تشتد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنها ويكون له ضراوة ما بالغيبة و
ثلب الناس والنظر الى غير المحرم وخوفه من الله قد بلغ مبلغا يقمع هذه الشهوة الضعيفة دون القوية
فيوجب عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك بل يقول هذا الفاسق في نفسه ان قهرني الشيطان بواسطة
غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلا ينبغي ان اخلع العذار وارخي العنان بالكلية بل اجاهده في بعض المعاصي
عساني اغلبه فيكون قهري له في البعض كفارة لبعض ذنوبي ولو لم يتصور هذا لما تصور من الفاسق
ان يصوم ويصلي ولقيل له ان كانت صلاتك لغير الله فلا تصح وان كانت لله فاترك الفسق
لله فان امر الله فيهما واحد فلا يتصور ان تقصد بصلاتك التقرب الى الله ما لم تتقرب بترك الفسق
وهذا محال بل يقول لله علي امران ولي على المخالفة فيهما عقوبتان وانا مليء في احدهما بقهر الشيطان
عاجز عنه في الآخر فانا اقهره فيما اقدر عليه وارجو بمجاهدتي فيه ان يكفر عني ما عجزت عنه بفرط
شهوتي فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم اذ لا مسلم الا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب
له الا هذا واذا فهم هذا فهم ان غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب ممكن وجوده والخوف اذا كان من فعل
ماض اورث الندم والندم اورث العزم وقال عليه الصلوة والسلام الندم توبة ولم يشترط الندم على كل
ذنب وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعاني يتبين
ان التوبة عن بعض الذنوب غير ممتنعة لانها ممكنة في حق الشهوة وفي حق المرض بسخط الله ثم يجوز ان
يتوب عن الخمر دون النبيذ لتفاوتهما في اقتضاء السخط ويتوب عن الكثير دون القليل لان في كثرة
المعاصي بالاستيفاء كثرة العقوبة فقد يعد الشهوة بالقدر الذي يعجز عنه وقد يترك بعض شهوته
لله كالمريض الذي حذره الطبيب الفاكهة فانه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من
هذا انه لا يمكن ان يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله بل لا بد ان يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقي عليه اما
في شدة المعصية واما في غلبة الشهوة واذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد الناس تصور الخلاف في حالهم

في الخوف والندم فيتصور اختلاف حاله في الترك فندمه على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك
يلحقه بمن لم يذنب وان لم يكن قد اطاع الله في جميع الاوامر والنواهي فان قلت فهل يصح توبة العنين من الزنا
الذي قارفه قبل طريان العنة فنقول لا لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله وما
لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه ولكني اقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف و ... ومعرفة
تحقق بها ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الوقاع باقية لكانت حرقة الندم
تقمع تلك الشهوة وتغلبها فانا نرجو ان يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته اذ لا خلاف في انه لو تاب قبل طريان
العنة ومات عقيب التوبة كان من التائبين وان لم تطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر اسباب قضاء الشهوة
ولكنه تائب باعتبار ان ندمه بلغ مبلغا اوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذا لا يستحيل ان
يبلغ قوة الندم في حق العنين هذا المبلغ الا انه لا يعرفه من نفسه فان كل من لا يشتهي شيئا يقدر نفسه قادرا
على تركه بادنى خوف والله تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه بل الظاهر انه يقبله
والحقيقة في هذا ترجع الى ان ظلمة المعاصي تنمحي عن القلب بشيئين احدهما حرقة الندم والاخر شدة المجاهدة
بالترك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا ان يقوى الندم بحيث يقوى على محوه
دون المجاهدة ولولا هذا لقلنا ان التوبة لا تقبل ما لم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في عين تلك
الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه اصلا فان قلت اذا فرضنا تائبين احدهما سكنت
نفسه عن النزوع الى الذنب والاخر بقي في نفسه نزوع اليه وهو يجاهدها ويمنعها فايهما افضل فاعلم ان هذا مما
اختلف العلماء فيه فقال احمد بن ابي الحواري واصحاب ابي سليمان الداراني ان المجاهد افضل لان له مع التوبة فضل جهاد
وقال علماء البصرة ذلك الاخر افضل لانه لو فتر في توبته كان اقرب من السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة الفتور
عن المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيه ان الذي انقطع
نزوع نفسه له حالتان احداهما ان يكون انقطاع نزوعه اليه بفتور في نفس الشهوة فقط فالمجاهد افضل من
هذا اذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة نفسه واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين
على قوة الدين واعني بقوة الدين قوة الارادة التي تنبعث باشارة اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة باشارة
الشياطين فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعا وقول القائل ان هذا سلم اذ لو فتر لا يعود الى
الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الافضل فيه خطأ وهو كقول القائل العنين افضل لانه في امن من خطر
الشهوة والصبي افضل من البالغ لانه اسلم والمفلس افضل من الملك القاهر القامع لاعدائه لان المفلس لا عدو
له والملك ربما يغلب وان غلب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بان العز
في الاخطار وان العلو شرطه اقتحام الاخطار بل هو كقول القائل الصياد الذي ليس له فرس وكلب افضل في صناعة
الاصطياد واعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لانه امن من ان يجمح به فرسه فيكسر اعضاءه عند السقوط على
الارض وامن من ان يعضه الكلب ويعتدي عليه وهذا خطأ بل صاحب الكلب والفرس اذا كان قويا عالما بادواتهما
اعلى رتبة واحرى بدرك سعادة الصيد الحالة الثانية ان يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق
المجاهدة السابقة اذ بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تأدبت بادب الشرع فلا تهيج الا باشارة الدين وقد
سكنت بسبب استيلاء الدين عليها فهذا اعلى رتبة من المجاهد المقاسي لهيجان الشهوة وقمعها وقول القائل
لذلك فضل الجهاد قصور عن الاحاطة بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصودا لعينه بل المقصود قطع ضراوة

العدو حتى لا يستجرك الى شهواته وان عجز عن استجرارك فلا يصدنك عن سلوك طريق الدين فاذا قهرته وحصلت
المقصود فقد ظفرت وما دمت في المجاهدة فانت بعد في طلب الظفر ومثال الحال من قهر العدو واسترقه
بالاضافة الى من هو مشغول بالجهاد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله ايضا من علم كلبا للصيد وركض
الفرس فيما تاثان عنده بعد ترك الكلب للضراوة والفرس للجماح بالاضافة الى من هو مشغول بمقاساة
التاديب بعد ولعله زل في هذا قوم فظنوا ان الجهاد هو المقصود الاقصى ولم يعلموا ان ذلك طلب الخلاص
من عوائق الطريق وظن اخرون ان قمع الشهوات وامانتها بالكلية مقصود حتى جربه بعضهم فعجز عنه فقال هذا
محال فكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد
قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات فان قلت فما قولك في تائبين احدهما نسي الذنب
ولم يشتغل بالتفكر فيه والاخر جعله نصب عينه فلا يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه ايهما افضل فاعلم
ان هذا ايضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة ان تنصب ذنبك بين عينيك وقال الاخر حقيقة
التوبة ان تنسى ذنبك وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالاضافة الى حالين وكلام المتصوفة
ابدا يكون قاصرا فان عادة كل واحد ان يخبر عن حال نفسه فقط فلا يهمه حال غيره فتختلف الاجوبة لاختلاف
الاحوال فهذا نقصان بالاضافة الى درجة العلم فان معرفة الاشياء على ما هي عليها افضل واعلى ولكنه كمال
بالاضافة الى الهمة والارادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حالة نفسه لا يهمه غيره اذ طريقه
الى الله نفسه ومنازل احواله وقد يكون طريق العبد الى الله تعالى التعلم والتعليم فالطرق الى الله كثيرة وان
كانت مختلفة في القرب والبعد والله تعالى اعلم بمن هو اهدى سبيلا مع الاشتراك في اصل الهداية فاقول
حضور الذنب وفكره والتفجع عليه كمال في حق المبتدئ المريد لانه اذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا يقوى باعثه
وارادته لسلوك الطريق ولان ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله فهو بالاضافة
الى الغافل كمال ولكنه بالاضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع من سلوك الطريق بل سالك الطريق
ينبغي ان لا يعرج على غير السلوك فان ظهرت له مبادي الوصول وانكشفت له انوار المعرفة ولوامع الغيب
استغرق ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات الى ما سبق من احواله وهو الكمال بل لو عاق عن الطريق حاله
من البلاد نهر حلو لطال التعب المسافر في عبوره من حيث انه كان قد خرب جسره من قبل فلو جلس على شاطئ
النهر بعد عبوره يبكي متاسفا على تخريب الجسر كان هذا مانعا اخر اشتغل به بعد الفراغ عن ذلك المانع نعم
ان لم يكن الوقت وقت الرحيل بان كان ليلا فيتعذر السلوك وكان على طريقه انهار وهو
يخاف على نفسه ان يجري بها فليطل بالليل بكاءه وحزنه على تخريب الجسر ليتاكد بطول الحزن
عزمه على ان لا يعود الى مثله فان تحصل من التنبه ما وثق بنفسه انه لا يعود الى مثله فيكون
الطريق اولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء لا يعرفه الا من عرف الطريق والمقصد
والعائق وطريق السلوك وقد اشرنا الى تلويحات منه في كتاب العلم وفي ربع المهلكات بل نقول
شرط دوام التوبة ان يكون كثير التفكر في نعيم الاخرة ليزيد رغبته ولكن ان كان شابا فلا
ينبغي ان يطيل فكره في كل ما له نظير في الدنيا كالحور والقصور فان ذلك الفكر ربما يحرك رغبته
فيطلب العاجلة ولا يرضى بالآجلة بل ينبغي ان يتفكر في لذة النظر الى وجه الله فقط فذلك لا نظير
له في الدنيا فكذلك تذكير الذنب قد يكون محركا للشهوة فالمبتدئ ايضا قد يستضر به فيكون
النسيان افضل له عند ذلك ولا يصدنك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود

وهذا امر

على نبينا وعليه الصلوة والسلام وبنا احتراف فان قياسك نفسك على الانبياء قياس في غاية الاعوجاج
لانهم قد يتنزلون في اقوالهم وافعالهم الى الدرجات اللائقة باممهم فانهم ما بعثوا الا لارشادهم
فعليهم التلبس بما ينتفع امتهم بمشاهدته وان كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم فقد كان من الشيخ
من لا يشير على شيء من انواع الرياضة الا ويخوض معهم فيه وقد كان مستغنيا عنها لفراغه عن المجاهدة وتاديب
النفس ولكن تسهيلا للامر على المريد ولذلك قال عليه الصلوة والسلام اما اني لا انسى ولكني انسى لاشرع
ولا تعجب من هذا فان الامم في كنف شفقة الانبياء كالصبيان في كنف شفقة الاباء وكالمواشي في كنف
شفقة الرعاة اما ترى الاب اذا اراد ان يستنطق ولده الصبي كيف ينزل الى درجة نطق الصبي كما قال عليه الصلوة
والسلام للحسن كخ كخ لما اخذ تمرة من الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته تقصر عن ان يقول ارم هذه
التمرة فانها حرام ولكن لما علم انه لا يفهم منطقه ترك فصاحته ونزل الى لكنته بل الذي يعلم شاة او طائرا يصوت
به رغاء وصفيرا تشبها بالبهيمة والطير وتلطفا في تعليمه فاياك ان تغفل عن هذه الدقائق فانها
مزلة اقدام العارفين فضلا عن الغافلين **بيان اقسام العباد في دوام التوبة**
اعلم ان طبقات التائبين اربع الطبقة الاولى ان يتوب العاصي ويستقيم على التوبة الى اخر عمره
فيتدارك ما فرط من امره ولا يحدث نفسه بالعود الى ذنوبه الا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في
العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة في التوبة وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل
بالسيئات الحسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس الساكنة النفس المطمئنة التي ترجع
الى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين اليهم الاشارة بقوله عليه الصلوة والسلم سبق المفردون المستهترون
بذكر الله وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيمة خفافا فان فيه اشارة الى انهم كانوا تحت اوزار وضعها
الذكر عنهم واهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع الى الشهوات فمن تائب سكنت شهوته تحت قهر
المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صراعها والى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه مليء بمجاهدتها
وردها ثم تتفاوت درجات النزاع ايضا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الانواع وكذلك
يختلفون من حيث طول العمر فمن مختطف قريب من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن
طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته وحال هذا اعلى وافضل اذ كل سيئة فانما
يمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء انما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي عشر مرات الا ان يتمكن منه عشر مرات
مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله واشتراط هذا بعيد وان كان لا ينكر عظم
اثره لو وقع ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف ان يسلك هذا الطريق فتهيج الشهوة وتحضر الاسباب
حتى يتمكن ثم يطمع في الانكفاف فانه لا يؤمن من خروج عنان الشهوة من يده واختياره فيقدم على
المعصية وينقض توبته بل طريقه الفرار من ابتداء اسبابها الميسرة لها حتى يسد طرقها على نفسه ويسعى مع
ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فيسلم توبته في الابتداء **الطبقة الثانية** تائب سلك طريق
الاستقامة في امهات الطاعات وكبائر الفواحش كلها الا انه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد
وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري احواله من غير ان يقدم عزما على الاقدام عليها ولكنه كلما اقدم عليه
لام نفسه وندم وتاسف وجدد عزمه على ان يتشمر للاحتراز من اسبابها التي تعرضه لها وهذه النفس
جديرة بان تكون هي النفس اللوامة اذ تلوم صاحبها على ما يستهدف له من احواله الذميمة لا عن تصميم
عزم وتخمين راي وقصد وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت نازلة عن الطبقة الاولى وهي اغلب

مريد صح

احوال التائبين لان الشر معجون بطينة الادمي قل ما ينفك عنه وانما غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى
يثقل ميزانه فيرجح كفة الحسنات فاما ان يخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم
حسن الوعد من الله اذ قال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة فكل
المام يقع بصغيرة لا عن توطين نفس عليه فهو جدير بان يكون من اللمم المعفو عنه وقد قال تعالى والذين
اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فاثنى عليهم مع ظلمهم انفسهم لتندمهم
ولومهم انفسهم عليه والى مثل هذه الرتبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه علي رضي الله عنه خياركم
كل مفتن تواب وفي خبر اخر المؤمن كالسنبل تفيء احيانا وتميل احيانا وفي الخبر لا بد للمؤمن من ذنب
ياتيه الفينة بعد الفينة اي الحين بعد الحين فكل ذلك ادلة قاطعة على ان هذا القدر لا ينقض التوبة
ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح
عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والاطعمة الحارة مرة بعد اخرى من غير مداومة واستمرار وكالفقيه
يؤيس المتفقه من نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق في اوقات نادرة غير متطاولة ولا
كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق من درجات
السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المختطفات قال عليه الصلوة والسلم كل بني ادم
خطاء وخير الخطائين المستغفرون وقال ايضا صلى الله عليه وسلم المؤمن واه راقع فخيرهم من
مات على رقعه اي واه بالذنوب راقع بالتوبة والندم وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما
صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة فما وصفهم بعدم السيئة **الطبقة الثالثة** ان يتوب ويستمر
على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن
قهر الشهوات الا انه مع ذلك يواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والقوة وانما قهرته
هذه الشهوة الواحدة او الشهوتان وهو يود لو اقدره الله على قمعها وكفاه شرها هذا امنيته في حال
قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم افعله وسأتوب عنه واجاهد نفسي في قهرها لكنه يسول
نفسه ويسوف توبته مرة بعد اخرى ويوما بعد يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس المسولة وصاحبها
من الذين قال الله تعالى فيهم واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم فامره
من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما تعاطاه مرجو فعسى الله ان يتوب عليه وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه
وتاخيره فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره في المشيئة فان تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة
التحق بالسابقين وان غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى ان يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الازل
لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على انه سبق له في الازل ان يكون من
الجاهلين فضعف الرجاء في حقه واذا تيسرت له الاسباب المواظبة على التحصيل دل على انه سبق له في الازل
ان يكون من علماء العالمين فكذلك ارتباط سعادات الاخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير
مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والادوية وارتباط حصول فقه النفس الذي
يتاهل به المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس فكما لا يصلح لمنصب الرياسة و
القضاء والتقدم بالعلم الا نفس صارت فقيهة بطول التفقه فلا يصلح لملك الاخرة ونعيمها ولا للقرب
من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية والتطهير هكذا سبق في الازل بتقدير رب الارباب
ولذلك قال تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فعند

وقع العبد في ذنب فصار الذنب نقدا والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان قال
عليه الصلوة والسلام ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه من اهلها
ولا يبقى بينه وبينها الا شبر ثم يسبق عليه الكتاب بعمل اهل النار فيدخلها فاذا الخوف من الخاتمة
قبل التوبة وكل نفس فهو خاتمة اذ يمكن ان يكون الموت متصلا به فليراقب الانفاس والا وقع المحذور
ودامت الحسرة حين لا ينفع الحسرة **الطبقة الرابعة** ان يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم
يعود الى مقارفة الذنب والذنوب من غير ان يحدث نفسه بالتوبة ومن غير ان يتأسف على فعله بل
بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع الشهوات فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هي النفس الامارة بالسوء
الفرارة من الخير ويخاف على هذا سوء الخاتمة وامره في مشية الله فان ختم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر
لها وان ختم بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل ان يشمله عموم
العفو بسبب خفي لا يطلع عليه كما لا يستحيل ان يدخل الانسان خربا فيتفق ان يجد كنزا وكان يجلس
في البيت فيجعله الله عالما بالعلوم من غير تعلم كما كان للانبياء عليهم الصلوة والسلام فطلب المغفرة بالطاعات
كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبه بمجرد الرجاء مع خراب الاعمال كطلب الكنوز
في المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة وليس من اجتهد تعلم وليس من اتجر استغنى وليس من صلى
وصام غفر له فالناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون على خطر عظيم وكما ان من خرب بيته وضيع
امواله وترك نفسه وعياله جياعا يزعم انه ينتظر فضل الله بان يرزقه كنزا يجده تحت الارض في بيته الخربة
يعتقد ذوي الابصار في الحمقى والمغرورين وان كان ما ينتظره غير مستحيل من فضل الله تعالى ومقدرته
فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله تعالى وهو مصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة
معدود عند ارباب القلوب من المعتوهين والعجب من عقل هذا المغرور المعتوه ترويجه حماقته في
صنعة حسنة اذ يقول ان الله كريم وجنته ليست تضيق عن مثلي ومعصيتي ليست تضره ثم تراه
يركب البحار ويقتحم الاوعار في طلب الدنيا واذا قيل له ان الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر عن
فقرك وكسلك بترك التجارة لا يضره فاجلس في بيتك فعساه يرزقك من حيث لا تحتسب فيستجهل
قائل هذا الكلام ويستهزئ به ويقول ما هذا الهوس السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وانما ينال
ذلك بالكسب هكذا قدره رب الارباب واجرى به سنته ولا تبديل لسنة الله ولا يعلم المغرور ان
رب الارباب ورب الاخرة واحد فان سنته لا تبديل لها فيهما جميعا وانه قد اخبر اذ قال وان
ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى فكيف يعتقد انه كريم في الاخرة وليس بكريم في
الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال ومقتضاه الفتور عن الملك المقيم و
النعيم الدائم وان ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد وهذا يعسر مع شدة الاجتهاد في غالب
الامر فنعوذ بالله من العمى والضلال فما هذا الانتكاس على ام الراس والانغماس في ظلمات الجهل و
صاحبه جدير بان يكون داخلا تحت قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا
وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي ابصرنا انك صدقت فيما قلت فان ليس للانسان الا ما سعى فارجعنا
للسعي وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب
السائق الى سوء المنقلب والمآب **بيان ما ينبغي ان يبادر اليه** التائب ان جرى عليه ذنب اما عن قصد او شهوة
غالبة او عن المام بحكم الاتفاق اعلم ان الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده

كما ذكرنا طريقه فان لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن احد الواجبين فلا
ينبغي ان يترك الواجب الثاني وهو ان يدرء بالحسنة السيئة فيمحوها ليكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا
والحسنات المكفرة للسيئات اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح وليكن الحسنة في محل السيئة وفيما
يتعلق باسبابها فاما القلب فيكفره بالتضرع الى الله في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الآبق
المذنب ويكون ذله بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فما للعبد الآبق المذنب وجه
التكبر على سائر العباد وكذلك يضمر بقلبه الخيرات لسائر المسلمين والعزم على الطاعات واما باللسان بالاعتراف
بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من ضروب
الاستغفار كما اوردناه في كتاب الدعوات والاذكار واما بالجوارح فبالطاعات والصدقات و
انواع العبادات وفي الآثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية اعمال كان العفو عنه مرجوا اربعة من اعمال القلوب
وهي التوبة والعزم وحب الاقلاع عنه وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له واربعة من اعمال الجوارح
وهو ان يصلي عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر الله بعدهما سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة
مرة ثم يتصدق بصدقة ثم يصوم صوما يوما وفي بعض الآثار يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي
ركعتين وفي بعض الاخبار يصلي اربع ركعات وفي الخبر اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة يكفرها السر بالسر
والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار وفي الخبر
الصحيح ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني عالجت امراة فاصبت منها كل شيء الا المسيس فاقض
علي بحكم الله فقال عليه الصلوة والسلام اوما صليت معنا صلوة الغداة قال بلى قال ان الحسنات يذهبن
السيئات وهذا يدل على ان ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلوة كفارة له بمقتضى
قوله الصلوات الخمس كفارة لما بينهن الا الكبائر فعلى الاحوال كلها ينبغي ان يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته
ويجتهد في دفعها بالحسنات فان قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الاصرار وفي الخبر
المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله وكان بعضهم يقول استغفر الله من قولي استغفر الله
وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير فاعلم
انه قد ورد في فضل الاستغفار اخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الاذكار والدعوات حتى
قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول فقال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون وكان بعض الصحابة يقول كان لنا امانان ذهب احدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الآخر
وهو الاستغفار فان ذهب هلكنا فنقول الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد
اللسان من غير ان يكون للقلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة استغفر الله
وكما يقول اذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير ان يتأثر به قلبه وهذا يرجع الى مجرد حركة اللسان ولا
جدوى له فاما اذا انضاف اليه تضرع القلب الى الله وابتهاله في سؤال المغفرة عن صدق ارادة وخلوص
رغبة فهذه حسنة في نفسها تصلح لان يدفع بها السيئة وعلى هذا يحمل الاخبار الواردة في فضل الاستغفار
حتى قال عليه الصلوة والسلام ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن الاستغفار
بالقلب وللتوبة والاستغفار درجات واوائلها لا تخلو عن الفائدة وان لم تنته الى اواخرها وكذلك قال
سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فاحسن احواله ان يرجع اليه في كل شيء فان عصى قال يا رب استر علي فاذا
فرغ من المعصية قال يا رب تب علي فاذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل قال يا رب تقبل مني وسئل

ايضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال اولا الاستغفار الاجابة ثم الانابة ثم
التوبة فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال القلب والتوبة اقباله على مولاه بان يترك
الخلق ثم يستغفر من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون
عنده ماواه ثم التنقل الى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة
ثم الموالاة ثم المصافاة ثم المحادثة السر وهو الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه
والذكر قوامه والرضاء زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام
العرش وسئل ايضا عن قوله عليه الصلوة والسلام التائب حبيب الله فقال انما يكون حبيبا اذا
كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى التائبون العابدون الاية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما
يكرهه حبيبه والمقصود ان للتوبة ثمرتين احديهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له و
الثاني نيل الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير ايضا درجات فبعضها محو لاصل الذنب بالكلية و
بعضها تخفيف له وتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك
بالحسنات وان خلا عن حل عقدة الاصرار من اوائل الدرجات فليس يخلو عن الفائدة اصلا
فلا ينبغي ان تظن ان وجودها كعدمها بل عرف اهل المشاهدة وارباب القلوب معرفة لا ريب فيها
ان قول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره صدق وانه لا يخلو ذرة من الخير عن اثر ولو خلت الشعيرة
الاولى عن الاثر لكانت الثانية مثلها وكان لا يترجح الميزان باحمال وذلك بالضرورة محال بل ميزان
الحسنات يترجح بذرات الخيرات الى ان يثقل فيشيل كفة السيئات فاياك ان تستصغر ذرات
الطاعات فلا تأتيها وذرات المعاصي فلا تتقيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر
في كل ساعة الا على خيط واحد وتقول اي غنى يحصل بخيط واحد وما وقع ذلك في الثياب ولا تدري
المعتوهة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة
فاذا التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله اصلا بل اقول الاستغفار باللسان
ايضا اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم او فضول كلام
بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه وانما يكون نقصا بالاضافة الى
عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه ابي عثمن المغربي ان لساني في بعض الاحوال يجري بالذكر والقرآن
وقلبي غافل فقال اشكر الله اذ استعمل جارحة من جوارحك في خير وعوده الذكر ولم تعوده الفضول
ولا استعمله في الشر وما ذكره حق فان تعود الجوارح الخيرات حتى تصير لها كالطبع يدفع جملة
من المعاصي فمن تعود لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه الى ما تعوده فقال
استغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه الى ان يقول ما احمقك وما اقبح كذبك ومن تعود
الاستعاذة اذا حدث بظهور مبادي الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان نعوذ بالله واذا تعود
الفضول قال لعنه الله فيعصي في احدى الكلمتين ويسلم في الاخرى وسلامته اثر اعتياد اللسان الخير و
هو من جملة قوله تعالى ان الله لا يضيع اجر المحسنين ومعنى قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها فانظر
كيف ضاعفها اذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة اللسان حتى دفع تلك العادة شر المعاصي
بالغيبة واللعن والفضول هذا التضعيف في الدنيا لادنى الطاعات وتضعيفه في الآخرة اكبر لو
كانوا يعلمون فاياك ان تلحظ في الطاعات مجرد الافات فتفتر رغبتك في الطاعات فان هذه مكيدة روجها

ب

معاني ص

الشيطان بلعنته على المغرورين وخيل اليهم انهم ارباب البصائر واهل التفطن للخفايا والسرائر فاي خير
في ذكر اللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق في هذه المكيدة الى ثلاثة اقسام ظالم لنفسه ومقتصد
وسابق اما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هي كلمة حق اردت بها باطلا فلا جرم اعذبك بها
مرتين وارغم انفك من وجهين فاضيف الى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي داوى جرح الشيطان
بنثر الملح عليه واما الظالم المغرور فاستشعر في نفسه خيلاء الفطنة بهذه الدقيقة ثم عجز عن الاخلاص
بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فاسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاكلة
والموافقة كما يقال وافق شن طبقه وافقه فاعتنقه واما المقتصد فلم يقدر على ارغامه باشراك
القلب في العمل وتفطن لنقصان حركة اللسان بالاضافة الى القلب ولكن اهتدى الى كماله بالاضافة الى
السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى ان يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير فكان السابق
كالحائك ذمت حياكته فتركها واصبح كاتبا والظالم المتخلف كالذي ترك الحياكة واصبح كناسا والمقتصد
كالذي عجز عن الكتابة فقال لا انكر مذمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالاضافة الى الكاتب لا بالاضافة الى
الكناس فلا اترك الحياكة لما قالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار ولا تظن انها تذم
حركة اللسان من حيث انه ذكر بل تذم غفلة القلب فهو يحتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فان سكت
عن الاستغفار باللسان ايضا احتاج الى استغفارين لا الى استغفار واحد فهكذا ينبغي ان يفهم
ذم ما يذم وحمد ما يحمد والا جهلت ما قال القائل الصدق حسنات الابرار سيئات المقربين فان هذه الامور
تثبت بالاضافة فلا ينبغي ان تؤخذ من غير اضافة بل ينبغي ان لا تستحقر ذرات الطاعات والمعاصي
ولذلك قال جعفر الصادق رضي الله عنه ان الله خبأ ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئا
فلعل رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلا تحقروا منها شيئا فلعل غضبه فيه وخبأ ولايته في عباده فلا
تحقروا منهم احدا فلعله ولي الله

الركن الرابع في دواء التوبة

وطريق العلاج لحل عقدة الاصرار
اعلم ان الناس قسمان شاب لا صبوة له نشأ على الخير واجتنب الشر وهو الذي قال عليه الصلوة والسلام فيه يعجب
ربك من الشاب ليست له صبوة وهذا عزيز نادر والقسم الثاني هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم هم
ينقسمون الى مصرين والى تائبين وغرضنا ان نبين العلاج في حل عقدة الاصرار ونذكر الدواء فيه ف
اعلم ان شفاء التوبة لا يحصل الا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء اذ لا معنى للدواء
الا مناقضة اسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وابطاله ولا يبطل الشيء الا
بضده ولا سبب للاصرار الا الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة الا العلم ولا يضاد الشهوة الا الصبر على قطع
الاسباب المحركة للشهوة والغفلة [illegible]
ولا دواء للتوبة [illegible] معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر وكما يجمع السكنجبين بين حلاوة السكر
وحموضة الخل ويقصد بكل واحد منهما غرض اخر في العلاج بمجموعهما فيقمع الاسباب المهيجة للصفراء فهكذا
ينبغي ان تفهم علاج القلب [illegible] مرض الاصرار فلا بد لهذا الدواء من اصلين احدهما العلم والاخر الصبر
فلا بد من بيانهما [illegible]
ادوية لامراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه [illegible]
خصوصي [illegible]
الاول ان يصدق على الجملة [illegible] سبب الاسباب

ص

معن ص

نسخة في وزاد وخبأ اجابته في دعائه فلا تحقروا الدعاء فربما كانت الاجابة فيه صح

كما ان علم الطب نافع في علاج الامراض ولكن يخص صح

وهذا هو الايمان باصل الطب فانه من لا يؤمن به لا يشتغل باصل الا بالعلاج وحق عليه الهلاك
وهذا وزانه ما نحن فيه الايمان باصل الشرع وهو ان للسعادة في الآخرة سببا وهو الطاعة وللشقاوة
سببا وهو المعصية وهو الايمان باصل الشرائع وهذا لا بد من حصوله اما عن تحقيق وتقليد وكلاهما
من جملة الايمان الثاني انه لا بد وان يعتقد المريض في طبيب معين انه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما
يعبر لا يلبس ولا يكذب فان ايمانه باصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الايمان ووزانه مما
نحن فيه العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان بان كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه
ولا خلف الثالث انه لا بد وان يصغي الى الطبيب فيما يحذره من تناول الفواكه والاسباب المضرة
على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتماء فيكون شدة الخوف باعثا له على الاحتماء ووزانه من
الدين الاصغاء الى الآيات والاخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب
واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقى اليه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف
المقوي على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج الرابع ان يصغي الى الطبيب فيما يخص مرضه
وفيما يلزمه بتفسير الاحتماء عنه ليعرفه اولا تفصيل ما يضره من افعاله واحواله وماكوله
ومشروبه فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة
علم خاص له دواء خاص ووزانه من الدين ان كل عبد فليس يبتلى بكل ذنب شهوة وارتكاب
كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب خاص او ذنوب مخصوصة وانما حاجته في الحال مرهقة الى العلم
بانها ذنوب ثم الى العلم بآفاتها وقدر ضررها في الدين ثم الى العلم بكيفية التوصل الى الصبر عنها
ثم الى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم يختص بها اطباء الدين وهم العلماء ورثة
الانبياء فالعاصي ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وان كان لا يدري
انه ارتكب ذنبا فعلى العالم ان يعرفه وذلك بان يتكفل كل عالم باقليم او بلدة او محلة او مسجد
فيعلم اهلها دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي ان يصبر الى ان
يسأل عنه بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فانهم ورثة الانبياء والانبياء ما
تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على ابواب دورهم في الابتداء ويطلبون
واحدا واحدا فيرشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه
برص ولا مرآة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى
السلاطين كافة ان يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم فان الخلق لا يولدون الا
جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة اليهم في الاصل والفرع والدنيا دار مرضى اذ ليس في بطن الارض الا ميت ولا
على ظهرها الا سقيم ومرضى القلوب اكثر من مرضى الابدان والعلماء اطباء والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض
لا يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم الى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي او الذي غلب
عليه الجنون الى القيم ليقيده بالسلاسل والاغلال ويكفي شره عن سائر الناس وانما صار مرض القلوب اكثر من
مرض الابدان لثلاث علل احدها ان المريض به لا يدري انه مريض والثانية ان عاقبته غير مشاهدة في هذا
العالم بخلاف مرض البدن فان عاقبته موت يشاهد تنفر الطباع عنه وما بعد الموت غير مشاهد فقلت
النفرة عن ذنوب القلوب وان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله ويجتهد في علاج مرض البدن من
غير اتكال والثالثة وهي الداء العضال فقد الطبيب فان الاطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الاعصار

مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم فاضطروا الى
اغواء الخلق والاشارة عليهم بما يزيدهم مرضا لان الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الاطباء
فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافا من ان يقال لهم فما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون انفسكم فبهذا
السبب عم على الخلق الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الاطباء بل اشتغل الاطباء بفنون
الاغواء فليتهم اذ لم ينصحوا لم يغشوا واذ لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم يهمهم في وعظهم الا
ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون الى ذلك الا بالارجاء وتغليب اسباب الرجاء وذكر دلائل
الرحمة لان ذلك الذ في الاسماع واخف على الطباع فتنصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد
جرأة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله ومهما كان الطبيب جاهلا او خائنا اهلك بالدواء حيث يضعه في
غير موضعه فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين متضادي العلتين اما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا
بالجملة وكلف نفسه ما لا يطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية فتكسر سورة اسرافه في الخوف بذكر اسباب
الرجاء ليعود الى الاعتدال وكذلك المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع منها بحكم اليأس والقنوط استعظاما
لذنوبه التي سبقت فيعالج ايضا باسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب فاما معالجة المغرور المسترسل
في المعاصي بذكر اسباب الرجاء فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفاء وذلك من دأب الجهال والاغبياء
فاذا فساد الاطباء هو الداء المعضل الذي لا يقبل الدواء اصلا فان قلت فاذكر الطريق الذي ينبغي
ان يسلكه الواعظ في وعظ الخلق فاعلم ان ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه نعم نشير الى الانواع
النافعة في حل عقدة الاصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي اربعة النوع الاول ان يذكر ما في القرآن
من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين وكذلك ما ورد في الاخبار مثل قوله عليه الصلاة والسلام ما من
يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان باربعة اصوات يقول احدهما يا ليت هذا
الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر يا ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ويقول الآخر يا ليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا
عملوا بما علموا وفي الآخر تجالسوا فتذاكروا ما علموا فيقول بعض الروايات ويا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما
عملوا وقال بعض السلف اذا اذنب العبد امر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو امير عليه ان يرفع القلم عنه ست ساعات
فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه وان لم يستغفر كتبها وقال بعض السلف ما من عبد يعصي الا استأذن
مكانه من الارض ان يخسف به واستأذن سقفه من السماء ان يسقط عليه كسفا فيقول الله لهما كفا عن عبدي
وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب الي فاغفر له لعله يستبدل صالحا فابدل له حسنات
وذلك معنى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الآية وفي حديث عمر الطابع معلق بقائمة
العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم ارسل الله الطابع فيطبع على القلوب بما فيها وفي حديث مجاهد
القلب مثل الكف المفتوحة كلما اذنب ذنبا انقبضت اصبع حتى تنقبض الاصابع كلها فيشد على القلب فذلك هو
القفل وقال الحسن ان بين الله وبين العبد حدا في المعاصي معلوما اذا بلغه العبد طبع على قلبه فلم يوفقه
بعدها الخير والاخبار والآثار في ذم المعاصي وندم التائبين لا تحصى فينبغي ان يستكثر الواعظ منها ان
كان وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ما خلف دينارا ولا درهما انما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم
بقدر ما اصابه النوع الثاني حكايات الانبياء والسلف وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك
شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل احوال آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام في عصيانه وما لقيه من
الاخراج من الجنة حتى روي انه لما اكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته فاستحيا التاج والاكليل

فاخذ بيدي فاستحييت منه فقلت يا ابا عبد الله سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه
الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز بيدي وقال الجنيد عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بعد ثلاثين
سنة وقال ابو سليمن الداراني الاحتلام عقوبة وقال لا تفوت احدا صلوة الجماعة الا بذنب اذنبه وفي
الخبر ما انكرتم من زمانكم فبما غيرتم من اعمالكم وفي الخبر يقول الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا اثر
شهوته على طاعتي ان احرمه لذة مناجاتي وحكي عن ابي عمرو بن علوان في قصة يطول تعالى فيها فكنت قائما
اصلي ذات يوم فجاء في قلبي هوى طاولته بفكري حتى تولد منه شهوة الرجال فوقعت الى الارض واسود
وجهي وجسدي كله واستترت في البيت فلم اخرج ثلاثة ايام وكنت اعالج غسله في الحمام بالصابون فلا
يزداد الا اسودادا حتى انكشف بعد ثلاث فلقيت الجنيد وكان قد وجه الي فاشخصني من الرقة فلما اتيته
قال لي اما استحييت من الله كنت قائما بين يديه فساررت نفسك بشهوة حتى استولت عليك بفرقة فاخرجتك
من بين يدي الله فلولا اني دعوت الله لك وتبت اليه عنك للقيت الله بذلك اللون قال فتعجبت كيف
علم ذلك وهو ببغداد وانا بالرقة واعلم انه لا يذنب العبد ذنبا الا ويسود وجه قلبه فان كان سعيدا اظهر السواد
على ظاهره لينزجر وان كان شقيا اخفي عنه حتى ينهمك من شؤم الذنوب في الدنيا على الجملة ان يكتسب ما بعده صفته
فاذا ابتلي بشيء كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتضاعف شقاوته وان اصابته نعمة كان استدراجا له ويحرم
جميل الرزق الشكر حتى يعاقب على كفرانه واما المطيع فمن بركة طاعته ان يكون كل نعمة في حقه جزاء على طاعته و
يوفق للشكر وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته النوع الرابع ذكر ما ورد من العقوبات على
احاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير اهله
فضع للدواء في غير موضعه بل ينبغي ان يكون العالم كالطبيب الحاذق يستدل اولا بالنبض والسحنة ووجوه
الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها فليستدل بقرائن الاحوال على خفايا الصفات وليتعرض لها فوق علمه
اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لرجل اوصني ولا تكثر علي فقال لا تغضب وقال لاخر اوصني فقال
عليك باليأس مما في ايدي الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلوة مودع و
اياك وما يعتذر منه وقال رجل لمحمد بن واسع اوصني فقال اوصيك ان تكون ملكا في الدنيا والاخرة قال كيف
لي بذلك قال ازهد في الدنيا فكانه صلى الله عليه وسلم توسم في السائل الاول مخايل الغضب فنهاه عنه وفي السائل
الثاني مخايل الطمع وطول الامل وتخيل محمد بن واسع في السائل مخايل الحرص على الدنيا وقال رجل لمعاذ اوصني
فقال كن رحيما اكن لك بالجنة زعيما فكانه تفرس فيه اثار الغلظة والفظاظة وقال رجل لابرهيم بن ادهم اوصني
فقال اياك والناس وعليك بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب
الناس وبقي النسناس وكما ادلهم بالناس بل غمسوا في غمار الناس وكانه تفرس فيه اثار المخالطة والحيرة
عما كان يحصل القائل على حاله في فقره وكان الغالب ايذاءه بالناس والكلام على قدر حال السائل اولى من ان يكون
بحسب حال القائل وكتب معوية الى عائشة رضي الله عنها ان اكتبي لي كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكتبت اليه
من عائشة الى معوية السلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضى الناس
بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس والسلام عليك
فانظر الى فقهها كيف تعرضت للافة التي يكون الولاة بصددها وهو مراعاة الناس وطلب مرضاتهم
وكتبت مرة اخرى اما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الناس لن يغنوا عنك من الله شيئا والسلم فاذا يجب
على كل ناصح ان يكون عنايته مصروفة الى تعرف الصفات الخفية وتوسم الاحوال اللائقة ليكون اشتغا

فاشخصني

تنبيه على وجه الحكمة في تعجيل العقوبة والاخبار في الذنوب في الدنيا شئ من الفقر والمرض وغيرهما صح

رضاء

من وجهك ثم رفعه عنه فجاء جبرئيل فاخذ التاج وحل الاكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش اهبطا من جواري
فانه لا يجاورني من عصاني فالتفت ادم الى حوا باكيا وقال هذا اول شوم المعصية اخرجنا من جوار الحبيب وروي ان
سليمن على نبينا وعليه الصلوة والسلم لما عوقب على خطيئته لاجل التمثال الذي عبد في داره اربعين يوما وقيل لان المراة
سالته ان يحكم لابيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل هم بان يكون الحكم لابيها على خصمه لمكانها فسلب ملكه اربعين يوما
فهرب تائها على وجهه فكان يسال بكفه فلا يطعم فاذا قال اطعموني فاني سليمن بن داود ضرب وشج وحكي
انه استطعم من بيت لامراة فطردته وبزقت في وجهه وفي رواية اخرجت عجوز جرة فيها بول فصبته على راسه الى ان اخرج
له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء ايام العقوبة فجاءت الطيور فعكفت على راسه وجاءت الجن والشياطين
والوحوش فاجتمعت حوله واعتذر اليه بعض من كان جنى عليه فقال لا الومكم فيما فعلتم من قبل ولا احمدكم في عذركم
لان هذا امر كان من السماء ولا بد منه وروي في الاسرائيليات ان رجلا تزوج امراة من بلدة وارسل عبده ليحملها
اليه فراودته نفسه وطالبته فجاهدها واستعصم قال فنباه الله ببركة تقواه وكان نبيا في بني اسرائيل وفي قصص موسى
انه قال للخضر بم اطلعك الله تعالى على علم الغيب قال بترك المعاصي لاجل الله وروي ان سليمن كان الريح يسير به فنظر
الى قميصه نظرة وكان عليه قميص جديد فكانه اعجبه فوضعته الريح قال لم فعلت ولم امرك قال انما نطيعك اذا
اطعت الله وروي ان الله تعالى اوحى الى يعقوب على نبينا وعليه الصلوة والسلام اتدري لم فرقت بينك وبين ولدك
يوسف قال لا قال لقولك لاخوته اخاف ان ياكله الذئب لم خفت عليه الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة
اخوته ولم تنظر الى حفظي له وكذلك لما قال يوسف على نبينا وعليه الصلوة والسلام اذكرني عند ربك فانساه
الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وامثال هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القران والاخبار
ورود الاسمار بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار ليعلم ان الانبياء تجاوز عنهم في الذنوب الصغائر فكيف
يتجاوز عن غيرهم نعم كانت سعادتهم في ان عوجلوا بالعقوبة ولم يؤخروا الى الاخرة والاشقياء يمهلون ليزدادوا اثما و
لان عذاب الاخرة اشد واكبر فهذا ايضا مما ينبغي ان يكثر جنسه على اسماع المصرين فانه نافع في تحريك دواعي التوبة
النوع الثالث ان يقرر عندهم ان تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنب وان كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب
جناياته فرب عبد يتساهل في امر الاخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا اكثر لفرط جهله فينبغي ان يخوف به فان الذنوب
كلها يتعجل شؤمها في الدنيا في غالب الامر كما حكي في قصة داود وسليمان على نبينا وعليهما الصلوة والسلام حتى قد يضيق على
العبد رزقه بسبب ذنبه وقد يسقط منزلته عن القلوب ويستولي عليه اعداؤه قال عليه الصلوة والسلم ان العبد ليحرم
الرزق بالذنب يصيبه وقال ابن مسعود رضي الله عنه اني لاحسب ان العبد ينسى العلم بذنب يصيبه وهو معنى قوله
عليه الصلوة والسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا وقال بعض السلف ليست اللعنة سواد الوجه ولا
نقصان المال وانما اللعنة ان لا يخرج من ذنب الا وقع في مثله او شر منه وهو كما قال ان اللعنة هي الطرد والابعاد
فاذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد ابعد والحرمان من رزق التوفيق اعظم حرمان وكل ذنب فانه يدعو الى ذنب
اخر ويتضاعف فيحرم العبد به عن رزقه النافع في مجالسة العلماء المنكرين للذنوب وعن مجالسة الصالحين بل يمقته
الصالحون وحكي عن بعض العارفين انه كان يمشي في وسط الوحل جامعا ثيابه يحترز حتى زلقت رجله وسقط فقام
وهو يمشي في وسط الوحل ويبكي ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب وذنبين فعنده
يخوض في الذنوب خوضا وهو اشارة الى ان الذنب تتعجل عقوبته بالانجرار الى ذنب اخر ولذلك قال الفضيل
ما انكرت من تغير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك ورثتك ذلك وقال بعضهم والله اني لاعرف العقوبة حتى في
فارة بيتي وقال بعض الصوفية الشامية نظرت الى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت انظر اليه فمر بي ابن الجلاء الدمشقي

كما صح

بالحمية فان حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكن والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عن الوعظ
فيه تضييع زمان فان قلت فان كان الواعظ يتكلم في جمع او يسأله من لا يدري باطن حاله فكيف
يفعل فاعلم ان طريقه في ذلك ان يعظ بما يشترك كافة الخلق في الحاجة اليه اما على العموم او الاكثر فان
في علوم الشرع الحمية ادوية الاغذية للكافة والادوية لارباب العلل ومثاله ما روي ان رجلا
قال لابي سعيد الخدري اوصني فقال عليك بتقوى الله فانه راس كل خير وعليك بالجهاد فانه
رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن فانه نور لك في اهل الارض وذكر لك في اهل السماء وعليك بالصمت
الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال رجل للحسن اوصني فقال اعز امر الله يعزك الله وقال
لقمن لابنه وقال يا بني زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وانفق فضول
كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى اعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر
شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلوتك فان الصلوة افضل من الصوم ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا
الوجهين وقال ايضا لابنه يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب ولا تسأل عما لا يعنيك ولا
تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني من يرحم يرحم ومن يصمت
يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل لابي حازم اوصني فقال
كل ما لو جاءك الموت عليه رأيته غنيمة فالزمه وكل ما لو جاءك الموت عليه رأيته مصيبة فاجتنبه وقال
موسى للخضر على نبينا وعليهما الصلوة والسلام اوصني فقال كن بساما ولا تكن غضابا وكن نفاعا ولا
تكن ضرارا وانزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم
وابك على خطيئتك يا ابن عمران وقال رجل لمحمد بن كرام اوصني فقال اجتهد في رضا خالقك بقدر ما
تجتهد في رضاء نفسك وقال رجل لحامد اللفاف اوصني فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف ان
لا تدنسه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا الا ما لا بد منه وترك كثرة الكلام الا
فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا بد منه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فخف مما خوفك
الله واحذر مما حذرك الله وخذ مما في يديك لما بين يديك فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام
وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن يسأله ان يعظه فكتب اليه اما بعد فان الهول الاعظم والامور المفظعات
امامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك اما بالنجاة واما بالعطب واعلم ان من حاسب نفسه ربح ومن غفل
عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن اطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف أمن ومن امن اعتبر ومن اعتبر
ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم فاذا زللت فارجع واذا ندمت فاقلع واذا جهلت فسل واذا غضبت فامسك
وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر
من لا علم له فكن فيها يا امير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء و
كتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة اما بعد فان الدنيا عدوة اولياء الله وعدوة اعداء الله اما اولياؤه
فغمتهم واما اعداؤه فغرتهم وكتب ايضا الى بعض عماله اما بعد فقد امكنتك القدرة من ظلم العباد فاذا هممت
بظلم احد فاذكر قدرة الله عليك واعلم انك لا تأتي الى الناس شيئا الا كان زائلا عنهم باقيا عليك واعلم
ان الله آخذ للمظلومين من الظالمين والسلام فهكذا ينبغي ان يكون وعظ العامة ووعظ من لا يدري خصوص
واقعته فهذه المواعظ مثل الاغذية التي تشترك الكافة في الانتفاع بها ولاجل فقد مثل هؤلاء الوعاظ
انحسم باب الاتعاظ وغلبت المعاصي واستشرى الفساد وبلي الخلق بوعاظ يزخرفون اسجاعا وينشدون ابياتا

ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم
ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل الى القلب بل القائل متكلف والمستمع متكلف وكل واحد
منهما مدبر ومتخلف فاذا كان طلب الطبيب اول علاج المرضى فطلب العلماء اول علاج العاصين فهذا
احد اركان العلاج واصوله الاصل الثاني الصبر ووجه الحاجة اليه ان المريض انما يطول مرضه لتناوله
ما يضره وانما يتناول ذلك اما لغفلة عن مضرته واما لشدة غلبة شهوته فله سببان فما ذكرناه
علاج الغفلة فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجه قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس وحاصله
ان المريض اذا اشتدت ضراوته بمأكول مضر فطريقه ان يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا
يحضره ثم يتسلى عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الالم الذي يناله في تركه
فلا بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك يعالج الشهوة في المعاصي كالشاب مثلا اذا غلبته الشهوة فصار
لا يقدر على حفظ عينه او حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته فينبغي ان يستشعر ضرر ذنبه بان
يستقري المخوفات التي جاءت فيه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا اشتد خوفه
تباعد من الاسباب المهيجة لشهوته ومهيج الشهوة من خارج هو حضور المشتهى والنظر اليه وعلاجه
الهرب والعزلة ومن داخل تناول اللذائذ الاطعمة وعلاجه الجوع والصوم الدائم وكل ذلك لا يتم الا
بالصبر ولا يصبر الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم ولا يعلم الا عن بصيرة وافتكار او عن سماع وتقليد
فاول الامر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع عن قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف الى السماع ثم
التفكر فيه لتمام الفهم وينبعث من تمامه لا محالة خوفه واذا قوي الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعثت الدواعي
لطلب العلاج وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك فمن اعطى من قلبه حسن الاصغاء واستشعر فاتقى
وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره
للعسرى ثم لا يغني عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما على الانبياء الا شرح طرق
الهدى وانما لله الآخرة والاولى فان قلت فقد رجع الامر كله الى الايمان لان ترك الذنب لا يمكن الا
بالصبر عنه والصبر لا يمكن الا لمن عرف الخوف والخوف لا يكون الا بالعلم ولا يحصل العلم الا بالتصديق
بعظم ضرر الذنوب وتصديق الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم هو الايمان فكان من اصر على الذنب لم يصر عليه الا لانه غير مؤمن
فاعلم ان هذا لا يكون لفقد الايمان بل كل مؤمن مصدق بان المعصية سبب البعد عن الله سبب
العقاب في الآخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب امور احدها ان العقاب الموعود غيب ليس بحاضر
والنفس جبلت متأثرة بالحاضر فتأثرها بالموعود ضعيف بالاضافة الى تأثرها بالحاضر الثاني ان
الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال آخذة بالمخنق وقد قوي ذلك و
استولى بسبب الاعتياد والالف والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل لخوف الآجل
شديد على النفس ولذلك قال الله تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال تعالى بل
تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى وقد عبر عن شدة الامر قوله عليه الصلوة والسلام حفت
الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله عليه الصلوة والسلام ان الله خلق النار وقال لجبرئيل
اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال
اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يبقى احد الا دخلها
وخلق الجنة فقال لجبرئيل اذهب فانظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها فحفها

بالمكاره ثم قال اذهب فانظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احد فاذا كون الشهوة
مرهقة في الحال وكون العقاب متأخرا الى المآل سببان ظاهران في الاسترسال مع حصول
اصل الايمان فليس كل من يشرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه مكذبا باصل الطب ولا مكذبا
بان ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه والم الصبر عنها ناجز فيهون عليه الالم المنتظر
الثالث انه ما من مؤمن مذنب الا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات
وقد وعد بان ذلك يجبره الا ان طول الامل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة و
التكفير فمن حيث رجاؤه لتوفيق التوبة فربما يقدم عليه مع الايمان الرابع انه ما من مؤمن موقن الا
وهو معتقد ان الذنوب لا توجب العقوبة ايجابا لا يمكن العفو عنها فهو مذنب وينتظر العفو
اتكالا على فضل الله فهذه اسباب اربعة موجبة للاصرار مع بقاء اصل الايمان نعم قد يقدم
المذنب لسبب خامس يقدح في اصل ايمانه وهو كونه شاكا في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي
يحذره الطبيب تناول ما يضره في المرض وكان المحذر ممن لا يعتقد فيه انه عالم بالطب فيكذبه
او يشك فيه فلا يبالي به فهذا هو الكفر فان قلت فما علاج الاسباب الخمسة فنقول هو الفكر وذلك
بان يقرر على نفسه في السبب الاول وهو تأخر العقاب ان كل ما هو آت آت وان غدا للناظرين
قريب وان الموت اقرب الى كل واحد من شراك نعله فما يدريه فلعل الساعة قريب والمتأخر اذا وقع
صار ناجزا ويذكر نفسه انه في دنياه ابدا يتعب نفسه في الحال خوفا من الاستقبال اذ يركب
البحر ويقاسي الاسفار لاجل الربح الذي يظن انه قد يحتاج اليه في ثاني الحال لو مرض ولو اخبره طبيب
نصراني بان الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت وكان الماء البارد الذ الاشياء عنده تركه مع ان
الموت المخطر انه لم يجف ما بعده ومفارقته للدنيا لا بد منها فكم نسبة وجوده في الدنيا الى العدم
ازلا وابدا فلينظر كيف بادر الى ترك ملاذه بقول ذمي لم يقم معجزة على طبه فيقول كيف يليق
بعقلي ان يكون الانبياء المؤيدون بالمعجزات دون نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة ولا
تشهد له الاعوام الخلق فكيف يكون عذاب النار اخف عندي من عذاب المرض وكل يوم في الاخرة مقداره
خمسين الف سنة من ايام الدنيا وبهذا التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول
اذا كنت لا اقدر على ترك لذاتي ايام العمر وهي ايام قلائل فكيف اقدر على ذلك ابد الاباد واذا كنت لا
اطيق الم الصبر فكيف اطيق الم النار واذا كنت لا اصبر على زخارف الدنيا مع كدوراتها وتنغصها و
امتزاج صفوها بكدرها فكيف اصبر عن نعيم الاخرة واما التسويف في التوبة فيعالج بالفكر في انه اكثر
صياح اهل النار من التسويف لان المسوف يبني الامر على ما ليس اليه وهو البقاء فلعله لا يبقى وان
بقي فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري هل عجز في الحال الا لغلبة الشهوة و
الشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف اذ تتأكد بالاعتياد فليست الشهوة التي اكدها الانسان
بالعادة كالتي لم يؤكدها وعن هذا هلك المسوفون لانهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون ان
الايام متشابهة في ان ترك الشهوات فيها ابدا شاق وما مثال المسوف الا مثال من احتاج الى قلع
شجرة فرآها قوية لا تنقلع الا بمشقة شديدة فقال اؤخرها سنة ثم اعود اليها وهو يعلم ان الشجرة
كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا اعظم من حماقته
اذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فاخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيف

واما المعنى الرابع وهو انتظار عفو الله فضلا فعلاجه ما سبق من ينفق جميع ماله ويترك نفسه وعياله فقراء
منتظرا من فضل الله ان يرزقه العثور على كنز في ارض خربة فان امكان العفو عن الذنب مثل هذا
الامكان وهو مثل من يتوقع النهب من الظلمة في داره وذخائر امواله في صحن داره وقدر على دفنه
واخفائه فلم يفعل وقال انتظر من فضل الله ان يسلط غفلة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ
الى داره او اذا انتهى الى باب داره مات على باب الدار فان الموت ممكن والغفلة ممكنة وقد يحكى في الاسمار
مثل ذلك فمع فانتظر من فضل الله مثله فمنتظر هذا منتظر امر ممكن ولكنه في غاية الحماقة واما الخامس وهو الشك
فهذا كفر وعلاجه الاسباب التي تعرفه صدق الرسل وذلك يطول ولكن يمكن ان يعالج بعلاج قريب يليق
بحد عقله فيقال له ما قاله الانبياء المؤيدون بالمعجزات صدقهم هل هو ممكن او تقول اعلم انه محال كما اعلم استحالة
كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فان قال اعلم استحالته كذلك فهو اخرق معتوه وكأنه لا وجود
لمثل هذا في العقلاء وان قال انا شاك فيه فيقال فلو اخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك
في البيت لحظة انه ولغت فيه حية والقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تتركه ام تأكله وان كان الذ
الاطعمة فيقول اتركه لا محالة لاني اقول ان كذب فلا يفوتني الا هذا الطعام والصبر عنه وان كان شديدا
فهو قريب وان صدق فيفوتني الحياة والموت بالاضافة الى الم الصبر عن الطعام وان عظم شديد
فيقال يا سبحان الله كيف تؤخر صدق الانبياء كلهم مع ما ظهر عليهم من المعجزات وصدق كافة العلماء والاولياء
والحكماء بل جميع اصناف العقلاء ولست اعني بهم جهال العوام بل ذوي الالباب عن صدق رجل واحد
مجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس في العقلاء الا من صدق باليوم الآخر واثبت ثوابا وعقابا وان اختلفوا
في كيفيته فان صدقوا فقد اشرفت على عذاب الله تعالى ابد الاباد وان كذبوا فلا يفوتك الا بعض شهوات
هذه الدنيا المكدرة ولا تبقى لم توقفت ان كان عاقلا مع هذه الفكر اذ لا نسبة لمدة العمر الى ابد الاباد
بل لو قدرنا الدنيا مملوة بالذرة وقدرنا طائرا يلتقط في كل الف سنة حبة واحدة لفنيت الذرة ولم
ينقص ابد الاباد شيئا فكيف يفتر رأي العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لاجل سعادة تبقى
ابد الاباد وذلك لا منتهى له ولذلك قال ابو العلاء المعري قال المنجم والطبيب كلاهما لا يحشر
الاموات قلت اليكما ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالخسار عليكما ولذلك قال علي رضي الله عنه
لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الامور وكان شاكا ان صح ما قلت فقد تخلصت وتخلصنا والا
فقد تخلصنا وهلكت اي العاقل يسلك طريق الامن في جميع الاحوال فان قلت فهذه الامور جلية و
لكنا ليس تنال الا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر واستثقلته وما علاج القلوب لردها الى الفكر لا سيما
من آمن باصل الشرع وتفصيله فاعلم ان المانع من الفكر امران احدهما ان الفكر النافع هو الفكر في عقاب
الآخرة واهوالها وشدائدها وخسران العاصين في الحرمان النعيم المقيم وهذا فكر مولم لدغ للقلوب فتنفر
القلوب عنه وتتلذذ بالفكر في امور الدنيا على سبيل التفرج والاسترواح والثاني ان الفكر في الحال شغل مانع
من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من انسان الا وله في كل حالة من احواله وفي كل نفس من انفاسه شهوة قد
تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخرا لشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت لذته في طلب الحيلة فيه
او في مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك واما علاج هذين المانعين ان يقول القلب ما اشد
غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده تألما بذكره مع استحقار الم مواقعته فكيف تصبر على مقاساته
اذا وقع وانت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتألم به واما الثالث وهو كون التفكر مفوتا

لذات الدنيا وهو ان يتحقق ان فوات لذات الآخرة اشد واعظم فانها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريعة الدثور وهي مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية عن كدر وكيف وفي التوبة عن المعاصي والاقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله واستراحة بمعرفته وطول الانس به ولو لم يكن للمطيع جزاء على عمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافيا فكيف بما ينضاف اليه من نعيم الآخرة نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكن تصبر عليها مدة مديدة وقد صار الخير ديدنا كما صار الشر ديدنا فان النفس قابلة لما عودتها تتعود والخير عادة والشر لجاجة فاذا هي الافكار هي المحرك والمهيج لقوة الصبر عن اللذات ومهيج هذه الافكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب باسباب تتفق لا تدخل في الحصر فيصير الفكر موافقا للطبع فيميل القلب اليه ويعبر عن السبب الذي اوقع الموافقة بين الطبع وبين الفكر الذي هو سبب الخير بالتوفيق توفيقا اذ التوفيق هو التأليف بين الارادة وبين المعنى الذي هو الطاعة النافعة في الآخرة وقد روي في حديث طويل انه قام عمار بن ياسر فقال لعلي رضي الله عنه يا امير المؤمنين اخبرنا عن الكفر على ماذا بني فقال علي بني على اربع دعائم على الجفاء والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمي نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الاماني فاخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب فما ذكرناه بيان لبعض آفات الغفلة عن التفكر وهذا القدر كاف في التوبة فاذا كان الصبر ركنا من اركان دوام التوبة فلا بد من بيان الصبر فنذكره في كتاب مفرد ان شاء الله تعالى وهذا آخر كتاب التوبة والحمد لله رب العالمين

كتاب الصبر والشكر وهو الكتاب الثاني من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله اهل الحمد والثناء المتفرد برداء الكبرياء المتوحد بصفات المجد والعلاء المؤيد صفوة الاولياء بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء والصلوة والسلام على سيد الانبياء وعلى آله واصحابه سادة الاصفياء وقادة البررة الاتقياء صلوة محروسة بالدوام عن الفناء ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضاء **اما بعد** فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الآثار وشهدت له الاخبار وهما ايضا وصفان من اوصاف الله العلي واسمان من اسمائه الحسنى اذ سمى نفسه صبورا وشكورا فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الايمان ثم هو غفلة عن وصفين من اوصاف الرحمن ولا سبيل الى الوصول الى القرب من الله الا بالايمان وكيف يتصور سلوك سبيل الايمان دون معرفة ما به الايمان ومن به الايمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الايمان وعن ادراك ما به الايمان فما احوج كلا الشطرين الى الايضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط احدهما بالآخر **الشطر الاول** في الصبر وفيه بيان **فضيلة الصبر** وبيان **حده وحقيقته** وبيان كونه **نصف الايمان** وبيان **اختلاف اساميه** باختلاف متعلقاته وبيان **اقسامه** بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان **مظان الحاجة الى الصبر** وبيان **دواء الصبر** وما يستعان به عليه وهذه سبعة فصول مشتملة على جميع مقاصده

بيان فضيلة الصبر

وقد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى ولنجزين الذين صبروا اجرهم وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من قربة الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر ولاجل كون الصوم من الصبر وانه نصف الصبر قال الله تعالى الصوم لي وانا اجزي به فاضافه الى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بانه معهم فقال تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا الآية وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فالهدى والصلوات والرحمة مجموعة للصابرين فاستقصاء جميع الآيات في الصبر يطول **واما الاخبار** فقد قال عليه الصلوة والسلام الصبر نصف الايمان على ما سيأتي وجه كونه نصفا وقال عليه الصلوة والسلام من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على مثل ما انتم عليه احب الي من ان يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني اخاف عليكم ان تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم اهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا وروى جابر انه عليه الصلوة والسلام سئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال عليه الصلوة والسلام الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل مرة ما الايمان قال الصبر وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقال ايضا افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس وقيل اوحى الله تعالى الى داود على نبينا وعليه الصلوة والسلام تخلق باخلاقي فان من اخلاقي اني انا الصبور وفي حديث عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار قال أانتم مؤمنون فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله قال وما علامة ايمانكم قال نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما تكره خير كثير وقال المسيح انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال عليه الصلوة والسلام لو كان الصبر رجلا لكان رجلا كريما والله يحب الصابرين والاخبار في هذا مما لا يحصى **واما الآثار** فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنهما عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران احدهما افضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله واعلم ان الصبر ملاك الايمان وذلك بان التقوى افضل البر والتقوى بالصبر وقال علي رضي الله عنه بني الايمان على اربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال ايضا الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ولا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلوة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير واشار الى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكان حبيب بن ابي حبيب اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد بكى وقال واعجباه اعطى واثنى اي هو المعطي للصبر وهو المثني وقال ابو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضاء بالقدر وهذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل اما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه

بيان حقيقة الصبر ومعناه

اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من

من منازل السالكين وجميع مقامات الدين انما ينتظم من ثلاثة امور معارف واحوال واعمال فالمعارف
هي الاصول وهي تورث الاحوال والاحوال تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان و
الاعمال كالثمار وهذا مطرد في جميع منازل السالكين الى الله واسم الايمان تارة يختص بالمعارف وتارة
يطلق على الكل كما ذكرناه في اختلاف اسم الايمان والاسلام في كتاب قواعد العقائد فكذلك الصبر لا يتم الا
بمعرفة سابقة وبحالة قائمة فالصبر عبارة عنها على التحقيق والعمل هو كالثمرة يصدر منها فلا يعرف هذا الا
بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والانس والبهائم فان الصبر خاصية الانس ولا يتصور ذلك في البهائم والملائكة
اما في البهائم فلنقصانها واما في الملائكة فلكمالها وبيانه ان البهائم سلطت عليها الشهوة وصارت مسخرة لها
فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى
ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا واما الملائكة فانهم جردوا للشوق الى حضرة الربوبية والابتهاج
بدرجة القرب منها ولم يسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى يحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة
الجلال بجند آخر يغلب الصوارف واما الانسان فانه خلق في ابتداء الصبي ناقصا مثل البهيمة لم يخلق
فيه الا شهوة الغذاء الذي هو محتاج اليه ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على
الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال
بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما وليس في الصبي الا جند الهوى كما في البهيمة ولكن الله بفضله
وسعة جوده اكرم بني آدم ورفع درجتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ
ملكين احدهما يهديه والآخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين
معرفة الله و[…] ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية
لها الى المصلحة العواقب بل الى مقتضى شهوتها في الحال فقط فلذلك لا تطلب الا اللذيذ فاما الدواء
النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تعرفه ولا تطلبه فصار الانسان يعرف بنور الهداية ان اتباع الشهوات
له مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر
يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات
فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه
بجنود لم تروها وامر هذا الجند بقتال جند الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك
بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد كما ان نور الهداية ايضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم
هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الهوى و
الشهوات بمقتضاها باعث الهوى والحرب بينهم سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث
الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله فالصبر
عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر
حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع
الشياطين فاذا ترك الافعال المشتهاة عمل يثمره حال تسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي في مقابلة
باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لاسباب
السعادات في الدنيا والآخرة فاذا قوي يقينه اعني المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة
عدوا قاطعا لطريق الله قوي ثبات باعث الدين واذا قوي ثباته تمت الافعال على خلاف ما يتقاضاه

الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضادة لباعث الشهوة وقوة المعرفة والا[يمان]
بقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين
الجندين باذن الله وتسخيره اياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الموكلان بكل شخص من
الآدميين واذا عرفت ان رتبة الملك الهادي اعلى من الملك المقوي لم يخف عليك ان جانب اليمين
الذي هو اشرف الجانبين من جنبتي الدست ينبغي ان يكون مسلما له فهو اذا صاحب اليمين والآخر
صاحب الشمال وللعبد طوران في الغفلة والفكر والاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن
صاحب اليمين ومسيء اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو محسن
فيكتب له حسنة وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليمين تارك للاستمداد منه فهو به مسيء فيكتب
عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيكتب له به حسنة وانما تثبت هذه الحسنات
والسيئات باثباتهما فكذلك سميا كراما كاتبين اما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولان الملائكة
كلهم كرام بررة اما الكاتبين فلاثباتهما الحسنات والسيئات وانما يكتبان في صحائف مطوية في
سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهما وكتبهما وخطهما وصحائفهما
وجملة ما يتعلق بهما من عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة وشيء من عالم الملكوت لا تدركه الابصار في
هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيمة الصغرى ومرة في القيمة الكبرى و
اعني بالقيمة الصغرى حالة الموت اذ قال عليه الصلوة والسلام من مات فقد قامت قيامته وفي هذه القيمة
يكون العبد وحده وعندها يقال لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا اما في القيمة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده وربما يحاسب على ملأ من الخلق وفيها
يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمرا لا احادا والهول الاول هو هول القيمة الصغرى ولجميع اهوال
القيمة الكبرى نظير في القيمة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا فان ارضك الخاصة بك تتزلزل
في الموت فانك تعلم ان الزلزلة اذا نزلت ببلدة صدق ان يقال قد زلزلت ارضهم وان لم تتزلزل البلاد
المحيطة بها بل لو تزلزل مسكن الانسان وداره فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يتضرر عند
زلزلة جميع الارض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان
واعلم انك ارضي مخلوق من تراب وحظك الخاص من التراب بدنك فقط فاما بدن غيرك فليس بحظك
والارض التي انت جالس عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان وانما تخاف من التزلزل ان يتزلزل به
بدنك بسببه والا فالهواء ابدا متزلزل وانت لا تخشاه اذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة
الارض كلها زلزلة بدنك فقط فهي ارضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال ارضك ورأسك
سماء ارضك وقلبك شمس ارضك وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ومفيض العرق
من بدنك بحر ارضك وشعورك نبات ارضك واطرافك اشجار ارضك وهكذا الى جميع اجزائك فاذا
انهدم بالموت اركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها فاذا انفصل العظام من اللحوم فقد حملت
الارض والجبال فدكتا دكة واحدة واذا رجت العظام فقد نسفت الجبال نسفا واذا اظلم قلبك عند الموت
فقد كورت الشمس تكويرا واذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا
واذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا فاذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت
البحار تفجيرا واذا التفت احدى ساقيك بالاخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلا فاذا فارق

الروح الجسد فقد جلت الارض وملئت حتى القت ما فيها وتخلت ولست اطول بموازنة جميع
الاحوال والاهوال ولكني اقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة ولا يفوتك من القيامة الكبرى
شيء مما يخصك بل ما يخص غيرك فان بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت
حواسك التي بها تنتفع بالكواكب والاعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها
لانه قد كسف في حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ومن انشق راسه
فقد انشقت سماؤه اذ السماء عبارة عما يلي جهة الراس فمن لا راس له لا سماء له فمن اين ينفعه بقاء السماء لغيره
فهذه هي القيامة الصغرى والخوف بعد منتظر والهول بعد مدخر وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى
وارتفع الخصوص وبطلت السموات والارض ونسفت الجبال وتمت الاهوال واعلم ان هذه الصغرى
ان طولنا في وصفها فانا لم نذكر عشر عشير اوصافها وهي بالنسبة الى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى
بالنسبة الى الولادة الكبرى فان للانسان ولادتين احديهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع
الارحام وهو في الرحم في قرار مكين الى قدر معلوم وله في سلوكه الى الكمال منازل واطوار من نطفة وعلقة
ومضغة وغيرها الى ان يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة الصغرى
كنسبة سعة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت الى سعة
فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا ايضا الى الرحم بل اوسع واعظم فنسبة الاخرة بالاولى فما خلقكم ولا بعثكم الا
كنفس واحدة وما النشأة الثانية الا على قياس النشأة الاولى بل اعداد النشأة ليست محصورة في اثنين
واليه الاشارة بقوله تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بعالم
الملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى احد العالمين وذلك هو
الجهل والضلال والاقتداء بالاعور الدجال فما اعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين
يديك هذه الاهوال فان كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال افلا يكفيك القيامة الصغرى
اوما سمعت قول سيد الانبياء والمرسلين كفى بالموت واعظا اوما سمعت بكربه في وقت الموت حتى قال
هون على سكرات الموت اوما تستحيي من استبطائك هجوم الموت اقتداء بعادة الغافلين الذين
لا ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون
فياتيهم المرض نذيرا من الموت فلا ينزجرون وياتيهم الشيب رسولا منه فما يعتبرون فيا حسرة على
العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون افيظنون انهم في الدنيا خالدون اولم يروا كم اهلكنا
قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون او يحسبون ان الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون
كلا ان كل لما جميع لدينا محضرون ولكن ما ياتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين وذلك
لانا جعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم اانذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون ولنرجع الى الغرض فان هذه تلويحات تشير الى امور هي اعلى من علوم المعاملة فنقول
قد ظهر ان الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصية
الادميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين وهما لا يكتبان شيئا على الصبيان والمجانين اذ ذكرنا ان الحسنة في
الاقبال على الاستفادة منهما والسيئة في الاعراض عنهما والصبيان والمجانين لا سبيل لهما الى الاستفادة
فلا يتصور منهما اقبال واعراض وهما لا يكتبان الا الاعراض والاقبال من القادرين على الاقبال والاعراض
ولعمري تظهر مبادي اشراق نور الهداية عند سن التمييز وتنمو على التدريج الى سن البلوغ كما يبدو نور

سيده صح

ان سأقوما

الصبح الى ان يطلع قرن الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد الى مضار الاخرة بل الى مضار الدنيا
فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب في الاخرة ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر في
الاخرة بل على القيم العدل والولي الشفيق البار ان كان من الابرار وكان على سمت الكرام البررة والاخيار
ان يكتب على الصبي سيئته وحسنته على صحيفة قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه
عليه بالضرب فكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد ورث اخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي فينال
بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والمقربين والصديقين واليه
الاشارة بقوله عليه الصلوة والسلام انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة **بيان كون الصبر نصف
الايمان** اعلم ان الايمان تارة يختص في اطلاقه بالتصديقات باصول الدين وتارة يختص بالاعمال
الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف ابواب وللاعمال ابواب ولاشتمال لفظ الايمان
جميعها كان الايمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد
من ربع العبادات ولكن الصبر نصف الايمان باعتبارين وعلى اطلاقين احدهما ان يطلق على التصديقات
والاعمال جميعا فيكون للايمان ركنان احدهما اليقين والاخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية
الحاصلة بهداية الله تعالى عبده الى اصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه ان
المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو
استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا
جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الخبر الاعتبار
الثاني ان يطلق على الاحوال المثمرة للاعمال لا على المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد
الى ما ينفعه في الدنيا والاخرة او يضره فيهما وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر وبالاضافة الى
ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر احد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما كان اليقين احد الشطرين
بالاعتبار الاول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضي الله عنه الايمان نصفان نصف صبر ونصف
شكر وقد يرفع ايضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى بثبات
باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب والشهوة
لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن
والفرج دون مقتضى الغضب قال عليه الصلوة والسلام الصوم نصف الصبر بهذا الاعتبار لان كمال الصبر
بالصبر عن داعي الشهوة وداعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الايمان فهكذا ينبغي ان يكون
نفهم تقديرات الشرع لحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه ان تعرف كثرة ابواب
الايمان وان اسم الايمان يطلق على وجوه مختلفة **بيان الاسامي التي تتجدد للصبر**
بالاضافة الى ما عنه الصبر اعلم ان الصبر ضربان ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليه وهو اما
بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة اما من العبادات او من غيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد
والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الاخر
وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن
والفرج سمي عفة وان كان على احتمال مكروه اختلفت اساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر
فان كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو اطلاق داعي الهوى

معتقى صح

ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخد وشق الجيوب وغيرهما وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وان كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما ويضاده التذمر وان كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره فاكثر اخلاق الايمان داخل في الصبر فلذلك لما سئل عليه الصلوة والسلام مرة عن الايمان قال هو الصبر لانه اكثر اعماله واعزها كما قال الحج عرفة وقد جمع الله اقسام ذلك وسمي الكل صبرا فقال تعالى والصابرين في البأساء والضراء اي المصيبة والفقر وحين البأس اي المحاربة اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فاذا هذه اقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن ياخذ المعاني من الاسامي يظن ان هذه احوال مختلفة في ذواتها وحقايقها من حيث راى الاسامي مختلفة والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعاني اولا فيطلع على حقايقها ثم يلاحظ الاسامي فانها وضعت دالة على المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لا بد ان يزل والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم فان الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه الا بمثل هذه الانعكاسات

بيان اقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف اعلم ان باعث الدين له بالاضافة الى باعث الهوى ثلاثة احوال احدها ان يقهر داعي الهوى فلا يبقى له قوة المنازعة ويتوصل اليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون الى هذه المرتبة هم الاقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهؤلاء لازموا الصراط المستقيم واستووا على الطريق القويم واطمانت نفوسهم على مقتضى باعث الدين واياهم ينادي المنادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الحالة الثانية ان تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشيطان ولا يجاهد لياسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهوتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا اعداء الله في قلوبهم التي هي سر من اسرار الله وامر من امور الله واليهم الاشارة بقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم وقيل لمن قصد ارشادهم فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها الياس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحمق كما قال عليه الصلوة والسلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله عز وجل وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال انا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست اطمع فيها او لم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به الى توبتي فهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل الى قضاء شهواته فقد صار عقله في يد شهوته كمسلم اسير في ايدي الكفار يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها ومحله عند الله محل من يقهر مسلما ويسلمه الى الكفار ويجعله اسيرا عندهم لانه تفاحش جنايته بسبب انه سخر ما حقه ان يستسخر وسلط من حقه ان يتسلط عليه وانما استحق المسلم ان يكون متسلطا لما فيه من معرفة الدين وانما استحق الكافر ان يكون مسلطا عليه

لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم اوجب على نفسه من حق غيره عليه فمهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشيطان المبعدين عن الله كان ككمن ارق مسلما لكافر بل كمن قصد الملك المنعم عليه فاخذ اعز اولاده وسلمه الى ابغض اعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه لنقمته لان الهوى ابغض اله عبد في الارض عند الله والعقل اعز موجود خلق في الارض الحالة الثالثة ان يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يعد لا من الظافرين واهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق اليه ايضا ثلاثة احوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه اما ان يغلب جميع الشهوات او لا يغلب شيئا منها او يغلب بعضها دون بعض وتنزيل قوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض اولى والتاركون المجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم اضل اذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق له وعطله فهو الناقص حقا والمدبر يقينا ولذلك قيل ولم ار في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام وينقسم الصبر باعتبار العسر واليسر الى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا والى ما يكون بغير شدة التعب بل يحصل بادنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر فاذا دام التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فان الرجل القوي يقدر على ان يصرع الضعيف بادنى حملة وايسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته الاعياء واللغوب ولا يضطرب فيه نفسه ولا ينبهر ولا يقوى على ان يصرع الشديد الا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما اذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة اورث ذلك مقام الرضى كما سياتي في كتاب الرضا والرضا اعلى من الصبر ولذلك قال عليه الصلوة والسلام اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقال بعض العارفين اهل الصبر على ثلاث مقامات اولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثاني الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالث المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسنبين في كتاب المحبة ان مقام المحبة اعلى من مقام الرضا كما ان مقام الرضا اعلى من مقام الصبر وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على البلايا والمصائب واعلم ان الصبر ايضا ينقسم باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعلى المكاره نفل والصبر على الاذى المحظور محظور كمن تقطع يده او يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حرمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على اهله والصبر المكروه هو الصبر على اذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغي ان يخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع من الصبر مخصوصة

بيان مظان الحاجة الى الصبر وان العبد لا يستغني عنه في حال من الاحوال اعلم ان جميع ما يلقاه العبد في هذه الحيوة الدنيا لا يخلو من نوعين احدهما هو الذي يوافق هواه والآخر هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الاحوال لا يخلو عن احد هذين النوعين او كليهما فهو اذا لا يستغني

وقط عن الصبر النوع الاول ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة
واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما احوج العبد الى الصبر على
هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانهماك في ملاذها
المباحة منها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان راه استغنى حتى قال
بعض الناس العارفين البلايا يصبر عليها المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا صديق وقال
سهل الصبر على العافية اشد من الصبر على البلاء ولما فتحت ابواب الدنيا على الصحابة قالوا ابتلينا
بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله عباده من فتنة
المال والزوج والولد فقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر
الله وقال تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم و
قال عليه الصلوة والسلام الولد مبخلة مجبنة محزنة ولما نظر الى ابنه الحسن تبعثر في قميصه
نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة اني لما رايت ابني يتعثر لم
املك نفسي ان اخذته ففي ذلك عبرة لاولي الابصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى
الصبر ان لا يركن اليه ويعلم ان ذلك مستودع عنده وعسى ان يسترجع على القرب وان لا يرسل
نفسه في الفرح به ولا ينهمك في التنعم واللذة واللعب واللهو وان يرعى حقوق الله في ماله
بالانفاق وفي بدنه ببذل المعونة في الخلق وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك في سائر ما انعم عليه
وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سياتي وانما كان الصبر على السراء اشد
لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة ان لا تقدر والصبر على الحجامة والفصد اذا تولاه غيرك ايسر من
الصبر على فصدك نفسك والجائع على غيبة الطعام اقدر على الصبر منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة
وقدر عليها فلهذا عظمت فتنة السراء **النوع الثاني** ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو اما ان
يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي او لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب او لا يرتبط
باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه فهي ثلثة اقسام القسم الاول ما
يرتبط باختياره وهو سائر افعاله التي توصف بكونها طاعة او معصية وهما ضربان الضرب الاول
الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية
وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعضهم بعض العارفين ما من نفس الا وهي مضمرة ما اظهره فرعون
من قوله انا ربكم الاعلى ولكن وجد فرعون له مجالا وقبولا فاظهره اذ استخف قومه فاطاعوه
وما من احد الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وان
كان ممتنعا من اظهاره فان استشاطته وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس
يصدر الا من اضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء فاذا العبودية شاقة على النفس مطلقا
ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلوة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكوة ومنها ما يكره بسببهما
جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع الى الصبر على الطاعة في ثلث
احوال الاولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الافات
وعقد العزم على الاخلاص والوفاء وذلك من الصبر الشديد وعند من يعرف حقيقة النية والاخلاص
وآفات الرياء ومكايد النفس وقد نبه عليه الصلوة والسلام على ذلك اذ قال انما الاعمال بالنيات

ولكل امرئ ما نوى وقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولهذا المعنى قدم الله
الصبر على العمل الصالح فقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات الحالة الثانية حالة العمل كيلا
يغفل عن الله في اثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق ادابه وسننه ويدوم على شرط الادب الى الاخير فيلازم
الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ وهذا ايضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى ونعم اجر العاملين
الذين صبروا اي صبروا الى تمام العمل الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه و
التظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط اثره كما قال
تعالى ولا تبطلوا اعمالكم وكما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن
والاذى فقد ابطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليهما وقد جمعهما الله تعالى
في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاء
ذي القربى هو المروة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر الضرب الثاني المعاصي فما احوج العبد الى الصبر
عنها وقد جمع الله انواع المعاصي في قوله تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال عليه الصلوة والسلام
المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه والمعاصي مقتضى باعث الهوى واشد انواع الصبر على
المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مالوفة بالعادة فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضافت العادة الى الشهوة تظاهر
جندان من جنود الشيطان على جند الله فلا يقوى باعث الدين على قمعهما ثم ان كان ذلك الفعل مما تيسر فعله كان الصبر
عنه اثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا و
انواع المزاح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي يقصد بها الايذاء والاستحقار وذكر
الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فان ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على
النفس فان للنفس شهوتين احديهما في القلوب والاخرى اثبات نفسه وبها تتم له الربوبية التي في طبعه
وهي ضد ما امر به من العبودية ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان يصير ذلك معتادا في
المحاورات فيعسر الصبر عنها حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكررها وعموم الانس بها
فترى الانسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في اعراض الناس فلا
يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر من ان الغيبة اشد من الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على
الصبر فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد اهون من الصبر على السكوت مع المخالطة و
تختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وايسر من حركة اللسان
حركة الخواطر باختلاج الوساوس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه اصلا الا بان يغلب
على القلب هم اخر من الدين يستغرقه كمن اصبح وهمومه هم واحد والا فان لم يستعمل الفكر في شيء معين لم
يتصور فتور الوسواس القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو اوذي
بقول او فعل وجني عليه في نفسه او ماله فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة يكون واجبا وتارة
يكون فضيلة قال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى ولنصبرن على
ما آذيتمونا وقسم صلى الله عليه وسلم مرة مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين هذه قسمة ما اريد بها وجه الله
فاخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحمرت وجنتاه ثم قال رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا
فصبر وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقال تعالى واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال
تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون وقال تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب الآية اي ان تصبروا

عن المكافاة ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقال عليه الصلوة والسلام صل من قطعك واعط من حرمك
واعف عن ظلمك ورايت في الانجيل قال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام لقد قيل لكم من قبل ان السن بالسن
والاذن بالاذن وانا اقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك اليمنى فحول اليه خدك اليسرى ومن
اخذ رداءك فاعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك امر بالصبر على
الاذى فالصبر على اذى الناس من اعلى مراتب الصبر لانه يتعاون فيه على باعث الدين باعث الشهوة
والغضب جميعا القسم الثالث ما لا يدخل تحت الاختيار اوله واخره كالمصائب مثل موت الاعزة و
هلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العيون وفساد الاعضاء وبالجملة فسائر انواع
البأساء والضراء البلاء والصبر على ذلك من اعلى مقامات الصبر قال ابن عباس رضي الله عنه
الصبر في القران على ثلاثة اوجه صبر على اداء فرائض الله فله ثلثمائة درجة وصبر عن محارم الله
وله ستمائة درجة وصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة وانما فضل هذه
الرتبة مع انها من الفضائل على ما قبلها من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فاما
الصبر على بلاء الله فلا يقدر عليه الا ببضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس ولذلك قال عليه
الصلوة والسلام اسالك من اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا فهذا صبر مستنده حسن اليقين وقال
ابو سليمن والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وقال عليه الصلوة والسلم يقول الله
تعالى اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه
فان ابرأته ابرأته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال داود على نبينا وعليه الصلوة و
السلام يا رب ما جزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه ان البسه لباس الايمان فلا انزع
عنه ابدا وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبادي مصيبة في بدنه او ماله او ولده
ثم استقبل ذلك بالصبر الجميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال عليه الصلوة و
السلام انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال ايضا من اصيب بمصيبة فقال كما امره الله تعالى انا لله وانا اليه
راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك به وقال انس رضي الله عنه حدثني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه فقال سبحانك لا علم
لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ما انعم الله على
عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر الا كان ما عوضه منها افضل مما انتزع منه وقرا انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله فقيل وكيف ذلك
قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقيل حبس الشبلي في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من انتم قالوا احباؤك
جاؤك زائرين فاخذ يرميهم بالحجر فاخذوا يهربون فقال لو كنتم احبائي لصبرتم على بلائي وكان بعض
العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا ويقال
ان امراة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع قالت ان لذة الثواب ازالت
عن قلبي مرارة وجعه وقال داود على نبينا وعليه الصلوة والسلام يستدل بتقوى المؤمن على ثلاث حسن
التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من
اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وروي عن بعض الصالحين انه خرج يوما

وفي كمه صرة فافتقدها فاذا هي قد حذفت من كمه فقال بارك الله له لعله احوج اليها مني وقال بعضهم
مررت الى ابي تمام سهم مولى ابي حنيفة على سالم في القتلى وبه رمق فقلت له اسقيك ماء فقال
جرني قليلا الى العدو واجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته فهكذا كان صبر سالكي
طريق الاخرة على بلاء الله فان قلت فبماذا ينال درجة الصبر في المصائب وليس الامر الى اختياره بل
هو مضطر شاء ام ابى فان كان المراد به ان لا يكون في نفسه كراهية في المصيبة فذلك غير داخل في
الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى
واظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم وهذه الامور داخلة تحت اختياره
فينبغي ان يجتنب جميعها ويظهر الرضا بالقضاء ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك كان
وديعة فاسترجعت وقد قيل الصبر الجميل ان لا يعرف من صاحب المصيبة اذ لا يتغير عنه ولا يخرج عن حد
الصابرين بوجع القلب وفيضان الدمع على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الى الموت كما روي
عن الرميصاء ام سليم قالت توفي ابن لي وزوجي ابو طلحة غائب فقمت فهيات له فطاره فجعل ياكل فقال
كيف الصبي فقلت باحسن حال بحمد الله فانه لم يكن منذ اشتكى اسكن منه الليلة ثم تصنعت له احسن ما
كنت اتصنع قبل ذلك حتى اصاب مني حاجته ثم قلت الا تعجب من جيراننا قال وما لهم قلت اعيروا عارية
فلما طلبت منهم جزعوا فقال بئس ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله وان الله قبضه اليه فحمد
الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما
قال الراوي فلقد رايت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قرءوا القران وروى عكرمة عن
جابر انه عليه الصلوة والسلام قال رايتني دخلت الجنة فاذا انا بالرميصاء امراة ابي طلحة وقيل
الصبر الجميل هو ان لا يعرف من صاحب المصيبة اذ لا يتغير عنه ولا يخرج عن حد الصابرين توجع
القلب ولا فيضان الدمع العين بالدمع على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان
ولذلك لما مات ابرهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له اما نهيتنا عن
هذا قال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء بل ذلك ايضا لا يخرج من مقام الرضا فالمقدم
على الفصد والحجامة راض به وهو متالم بسببه لا محالة وقد تفيض عينه اذا عظم المه وسياتي
ذلك في كتاب الرضا وكتب ابن ابي نجيح يعزي بعض الخلفاء ان احق من عرف حق الله فيما اخذ منه
من عظم حق الله عنده فيما ابقاه واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي بعدك هو الماجور
فيك واعلم اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة عليهم فيما يعافون فيه فاذا مهما وقع الكراهية يسير
بالتفكر في نعم الله عليه نال درجة الصابرين ثم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب
وقد قيل من كنوز البر كتمان الاوجاع والمصائب والصدقة فقد ظهر لك بهذه التقسيمات ان وجوب
الصبر عام في جميع الاحوال والافعال فان الذي كفي الشهوات كلها واعتزل وحده فلا يستغني عن الصبر
على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن واكثر
جولان الخواطر انما يكون في فائت لا تدارك له او في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيف
ما كان تضييع زمان والة العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به
انسا بالله او عن فكر يستفيد به معرفة بالله ليستفيد بالمعرفة محبة الله فهو مغبون هذا اذا كان فكره
ووسواسه مقصورا في المباحات ولا يكون كذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الحيل ايضا بالشهوات اذ

لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره او من يشتمه برائه ينازعه ويخالف غرضه
بظهور امارة منه لم يتقيد المخالفة من اخلص الناس في حجره حتى في اهله وولده ويتوهم مخالفتهم لم
يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته ولا يزال في شغل دائم فان
للشيطان جندين جندا يطير وجندا يسير والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيار والشهوة عبارة عن
حركة جنده السيار وهذا لان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار وقد اجتمع فيه مع
النار الطين والطين طبعه السكون والنار طبعها الحركة فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا يزال طبعها الحركة
تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار ان يطمئن عن حركته ساجدا للمخلوق من الطين فابى واستكبر
واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين فاذا حيث لم يسجد الملعون
لابينا آدم على نبينا وعليه الصلوة والسلام فلا ينبغي ان تطمع في سجوده لاولاده ومهما كفوا على القلب
وسواسه وعداوته وطيرانه وجولانه فقد اظهر الانقياد والاذعان والانقياد بالاذعان سجود منه فهو روح
السجود وانما وضع الجبهة على الارض قالبه وعلامته الدالة بالاصطلاح عليه ولو جعل وضع الجبهة على الارض علامة
استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانبطاح بين يدي المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي
ان يدهشك صنعة الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قيده عالم الشهادة
بالكلية عن عالم الغيب وتحقق ان الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين
الا ان تصبح وهمومك هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك فتكون عند ذلك
من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين ولا تظنن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال
يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدح فان اردت ان يخلو عن الهواء من غير ان تشغله بالماء
او بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك القلب المشغول
بفكر مهم في الدين يخلو عن جولان الشيطان والا فمن غفل عن الله ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين
الا الشيطان ولذلك قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال عليه الصلوة
والسلام ان الله يبغض الشاب الفارغ وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين
به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم تزدوج
فروخه ايضا وتبيض مرة اخرى وتفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا اسرع من توالد سائر
الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الحلفاء اليابسة كثر توالده فلا تزال النار تتولد من النار ولا تنقطع
البتة بل تسري شيئا فشيئا على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار وكما لا تبقى
النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال اذا لم يكن شهوة فاذا اذا تأملت علمت ان اعدى
عدوك شهوتك وهي صفة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن
التصوف فقيل ما هو فقال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذا حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة
مذمومة وحركة الباطن اولى بالصبر عنها وهذا صبر دائم لا يقطعه الا الموت **بيان دواء الصبر** وما
يستعان به عليه اعلم ان الذي انزل الداء انزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر وان كان شاقا او ممتنعا فتحصيله ممكن
بمعجون العلم والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط التي منها تركب الادوية لامراض القلوب كلها لكن يحتاج كل مرض الى
علم آخر وعمل آخر وكما ان اقسام الصبر مختلفة فكذلك اقسام العلل مختلفة واذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ
معنى العلاج مضادة العلة وقمعها واستيفاء ذلك مما يطول ولكن نعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول اذا

افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه بحيث لا يملك معها فرجه او يملك فرجه ولكن
ليس يملك عينه او يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه ولا يزال يحدثه بمقتضيات الشهوة ويصده
ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والاعمال الصالحة فنقول قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصادمة باعث
الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين اردنا ان يغلب احدهما الآخر فلا طريق لنا فيه الا تقوية
من اردنا ان تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف
باعث الشهوة فاما باعث الشهوة فسبيل تضعيفها ثلاثة امور احدها ان ننظر الى مادة قوتها و
هي الاغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم
الدائم مع الاقتصار عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز عن اللحم و
الاطعمة المهيجة للشهوة الثاني قطع اسبابه المهيجة لها في الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان
الشهوة اذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان
وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية قال عليه الصلوة والسلام النظرة سهم مسموم
من سهام ابليس وهو سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع الا تغميض الاجفان والهرب من
صوب رميه فانه انما يرمي هذا السهم من قوس الصور فاذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك
سهمه الثالث تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالنكاح فان كل ما يشتهيه
الطبع ففي المباحات من جنسه ما يغني عنه من المحظورات وهذا هو العلاج الانفع في حق الاكثر فان
قطع الغذاء يضعف عن سائر الاعمال ثم قد لا يقمع الشهوة في حق اكثر الرجال ولذلك قال عليه الصلوة
والسلام عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء فهذه ثلاثة اسباب فالعلاج
الاول وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن الدابة الجموح وعن الكلب الضاري ليضعف و
يسقط قوته والثاني يضاهي تغييب اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب
مشاهدتها والثالث يضاهي تسكينها بشيء قليل مما يميل اليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما تصبر به
على التأديب واما تقوية باعث الدين فانما يكون بطريقين احدهما اطماعه في فوائد المجاهدة وثمراتها
في الدين والدنيا وذلك بان يكثر فكره في الاخبار التي اوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في
الدنيا والآخرة وفي الاثر ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ
فات ما لا يبقى معه الا مدة الحيوة وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي
ان يحزن لفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الايمان فتارة يضعف وتارة يقوى
فان قوي قوي باعث الدين وهيجه تهييجا شديدا وان ضعف ضعفه وانما قوة الايمان يعبر عنها باليقين
وهو المحرك لعزيمة الصبر واقل ما اوتي الناس اليقين وعزيمة الصبر والثاني ان يعود هذا الباعث مصارعة
باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها ويقوى منته في مصارعتها
فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الاعمال ولذلك
تزيد قوة الحمالين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة جميع الممارسين للاعمال الشاقة على قوة الخياطين و
العطارين والفقهاء والصالحين وذلك لان قواهم لم تتأكد بالممارسة فالعلاج الاول يضاهي اطماع
المصارع في الخلعة عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند اغرائه اياهم بموسى حيث
قال وانكم لمن المقربين والثاني يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المقاتلة والمصارعة مباشرة اسباب

فيه
عليها
وجاء اي خصاء
قوة الايمان صح
عنها
ح

ذلك من مبداء الصبى حتى يانس به ويستجرى عليه ويقوى غير مستنده فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر
ضعف فيه باعث الدين فلا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها
مهما اراد فهذا منهاج العلاج في جميع انواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه وانما اشدها كف الباطن
عن حديث النفس وانما يشتد ذلك على من يفرغ له بان قمع الشهوات الظاهرة واثر العزلة و
جلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوساوس لا تزال تجاذبه من جانب الى جانب وهذا لا علاج
له البتة الا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار من الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء و
الاصدقاء والاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به ثم كل ذلك
لا يكفي فالم يصير ما لم يصير الهموم هما واحدا وهو الله ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفيه ذلك
ما لم يكن له مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله وسائر
ابواب معرفة الله حتى اذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك محادثة الشيطان ووسوسته
وان لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة من القراءة و
الاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور فان الفكر بالباطن هو الذي
يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة ثم اذا فعل كل ذلك لم يسلم له من الاوقات الا بعضها
اذ لا يخلو في جميع اوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الذكر والفكر من مرض وخوف وايذاء من
انسان وطغيان من مخالطه اذ لا يستغنى عمن يخالطه من يعينه في بعض اسباب المعيشة فهذا احد
الانواع الشاغلة واما النوع الثاني وهو ضروري اشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم
والملبس واسباب المعايش فان تهيئة ذلك ايضا يحوج الى شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه
غيره فلا يخلو عن شغل قلب بمن يتولاه ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له اكثر الاوقات ان لم
يهجم به ملمة او واقعة وفي تلك الاوقات يصفو القلب ويتيسر الفكر وينكشف فيه من اسرار الله في ملكوت
السموات والارض ما لم يقدر على عشر عشيره في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق والانتهاء
الى هذا هو اقصى المقامات التي يمكن ان تنال بالاكتساب والجهد فاما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما
يرد من لطف الله في الاحوال والاعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقد يقل الجهد و
يجل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ والمعول وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن
فانها توازي اعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد في ان يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع
عن قلبه جواذب الدنيا فان المجذوب الى اسفل السافلين لا ينجذب الى اعلى عليين وكل مهموم بالدنيا
فهو منجذب اليها فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله عليه الصلوة والسلام ان لربكم في ايام دهركم
نفحات الا فتعرضوا لها وذلك لان تلك النفحات والجذبات لها اسباب سماوية اذ قال الله تعالى وفي السماء
رزقكم وما توعدون وهذا من اعلى انواع الرزق والامور السماوية غائبة عنا فلا ندري متى ييسر الله تعالى
اسباب الرزق فما علينا الا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب اجله كالذي يصلح الارض
وينقيها من الحشيش ويبث فيها البذر وكل ذلك لا ينفعه الا بمطر ولا يدري متى يقدر الله اسباب
المطر الا انه يثق بفضل الله انه لا يخلي سنة عن مطر فكذلك قلما يخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من
الجذبات ونفحة من النفحات فينبغي ان يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر
الارادة والاخلاص وعرضه لمهاب رياح الرحمة كما يقوى انتظار الامطار في الاوقات الربيعية وعند
ظهور الغيم فيقوى انتظار تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما في
يوم عرفة ويوم الجمعة وايام رمضان فان الهمم والانفاس اسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمته
حتى يستدر بها الامطار في اوقات الاستسقاء وهي لاستدرار امطار المكاشفات ولطائف
المعارف من خزائن الملكوت اشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من اقطار الجبال
بل نقول الاحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك وانما انت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك
فصار ذلك حجابا بينك وبينها فلا تحتاج الا الى ان تنكسر الشهوة ويرفع الحجاب فتشرق انوار المعارف من باطن
القلب واظهار ماء الارض بحفر القناة اسهل واقرب من استجرار الماء اليها من مكان بعيد منخفض عنها ولكونه
حاضرا في القلب ومنسيا بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الايمان تذكرا فقال وليذكر اولوا الالباب
وقال تعالى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس والشواغل وهو
اخر درجات الصبر وانما الصبر عن العوائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر قال الجنيد المسير من الدنيا الى الاخرة سهل
على المؤمن وهجران الخلق في جنب الحق شديد والمسير من النفس الى الله صعب شديد والصبر مع الله اشد
فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق واشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه
فان لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستتباع اغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف
لا يكون اعلى اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهي الربوبية وهي محبوبة ومطلوبة بالطبع
للقلب لما فيه من المناسبة للامور الربوبية وعنها العبارة بقوله تعالى قل الروح من امر ربي وليس القلب مذموما
على حبه ذلك وانما هو مذموم على غلطة وقعت له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر
حسدا له على كونه من عالم الامر فاضله واغواه وكيف يكون مذموما وهو يطلب سعادة الاخرة فليس يطلب
الا بقاء لا فناء فيه وعزا لا ذل فيه وامنا لا خوف فيه وغنى لا فقر فيه وكمالا لا نقص فيه وهذه كلها من اوصاف
الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل حق كل عبد ان يطلب ملكا عظيما لا اخر له وطالب الملك طالب للعلو
والعز والكمال لا محالة ولكن الملك ملكان ملك مشوب بانواع الالام ومحرق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل
وهو في الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا الم ولا يقطعه قاطع ولكنه اجل وخلق الانسان عجولا راغبا في
العاجلة فجاء الشيطان وتوسل اليه بواسطة العجلة التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة وتوصل
اليه بواسطة الحمق فوعده بالغرور في الاخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الاخرة كما قال عليه الصلوة و
السلام الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا و
ملكها على قدر امكانه ولم يتدله الموفق بحبل غروره اذ علم مدخل مكره فاعرض عن العاجلة فعبر عن
المخذولين وقيل كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما
ثقيلا وقال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولما استطار
مكر الشيطان في كافة الخلق ارسل الله الملائكة الى الرسل فاوحوا اليهم ما تم على الخلق من اهلاك العدو
واغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا اصل له ان سلم ولا دوام له اصلا
فنادوا فيهم يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا
من الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل فالتورية والانجيل والزبور والفرقان وصحف موسى
وكل كتاب منزل ما انزل الا لدعوة الخلق الى الملك الدائم المخلد والمراد منهم ان يكونوا ملوكا في الدنيا ملوكا في
الاخرة اما ملك الدنيا فالزهد فيها والقناعة باليسير منها واما ملك الاخرة فبالتقرب من الله بدرك بقاء

لا فناء فيه وعز لا ذل فيه وقرة عين اخفيت في هذا العالم لا يعلمها نفس من النفوس والشيطان بدعوته يمنعك ملك الدنيا لانه لا يسلم لك ايضا ولو كان يسلم لكان يحسده ايضا فليعلم بان ملك الدنيا ولتعلم بان ملك الآخرة يفوت به اذ الدنيا والآخرة ضرتان ولتعلم بان ملك الدنيا لا يسلم له ايضا ولو كان يسلم لكان يحسده ايضا ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات وكذلك سائر اسباب الجاه ثم كما يسلم يتم الاسباب بعض العمر قال تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس وضرب الله له مثلا فقال تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء الى قوله تعالى تذروه الرياح والزهد في الدنيا لما ان كان ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فصده عنه ومعنى الزهد ان يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين واشارة الايمان وهذا ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لبطنه وفرجه وسائر اغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يسخره زمام الشهوة آخذا بمخنقته الى حيث يريد ويهوى فما اعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا هل يكون الا معكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة قال كيف اطلب منك حاجة وملكي اعظم من ملكك فقال كيف قال من انت عبده فهو عبد لي قال كيف ذلك قال انت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيد لي فهذا اذا هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق الى الملك في الآخرة فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا للاستعداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا فاذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلط فيه وكيفية تعمية الشيطان وتلبيسه فيسهل عليك النزوع عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عند فواته اذ تصير بتركه ملكا في الحال وترجو به ملكا في الآخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان الف الجاه وانس به ورسخت فيه بالعادة مباشرة اسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف بل لا بد ان يضيف اليه العمل وعمله في ثلاثة امور احدها ان يهرب عن موضع الجاه كيلا يشاهد اسبابه فيعسر عليه الصبر مع الاسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر بنعمة الله في سعة الارض اذ قال تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الثاني ان يكلف نفسه في اعماله افعالا تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بنقائضها حتى يترسخ باعتياد ذلك ضد ما ترسخ فيه من قبل باعتياد ضده فلا معنى للمعالجة الا المضادة الثالث ان يراعي في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدريج فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض ثم ابتدا بترك البعض من ذلك البعض ثم كذلك الى ان تقنع بالقليل وهكذا يفعل شيئا فشيئا الى ان تنقمع تلك الصفات التي رسخت فيه والى هذا التدريج الاشارة بقوله عليه الصلوة والسلام ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى واليه الاشارة بقوله عليه الصلوة والسلام لا تشادوا هذا الدين فان من شاده هذا الدين يغلبه فهذا ما ذكرناه في علاج الصبر عن الوساوس وعن الشهوة وعن الجاه اضفه الى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من المهلكات واتخذه دستورك لتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل فان تفصيل الآحاد يطول ومن راعى التدريج ترقى به الصبر الى حال لا يشق عليه الصبر معه فينعكس اموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها عنده مشربا هنيئا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعليم في الابتداء قهرا فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وانس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا اشير بما حكي عن بعض العارفين انه سال الشبلي عن الصبر ايما اشد فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله تعالى فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا فقال فايش قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقد قيل الصبر لله عناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وقيل معناه ان الصبر عنك فمذموم عواقبه والصبر في سائر الاشياء محمود وقيل ايضا الصبر يجمل في المواطن كلها الا عليك فانه لا يجمل هذا آخر ما اردنا شرحه من علوم الصبر واسراره

الشطر الثاني من الكتاب في الشكر

وفيه ثلاثة اركان الركن الاول في فضيلة الشكر وحقيقته واقسامه واحكامه الركن **الثاني** في حقيقة النعم واقسامها الخاصة والعامة الركن **الثالث** في بيان الافضل من الصبر والشكر

الركن الاول في نفس الشكر

اعلم ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع انه قال ولذكر الله اكبر فقال عز وجل فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقيل في قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى في خمسة في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال تعالى يرزق من يشاء وقال تعالى يغفر لمن يشاء وقال تعالى ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من اخلاق الربوبية اذ قال تعالى والله شكور حليم وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام اهل الجنة فقال الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين **واما الاخبار** فقد قال عليه الصلوة والسلام الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروي عن عطاء انه قال دخلت على عائشة فقلت اخبرينا باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت واي شانه لم يكن عجبا اتاني في ليلة فدخل معي في فراشي او قالت في لحافي حتى مس جلدي جلده ثم قال يا ابنة ابي بكر ذريني اتعبد لربي قالت قلت اني احب قربك فاذنت له فقام الى قربة ماء فتوضا فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع راسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلوة فقلت له يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ولم لا افعل وقد انزل الله علي ان في خلق السموات والارض الآية وهذا يدل على ان البكاء ينبغي ان لا ينقطع ابدا والى هذا السر يشير ما روي من ان بعض الانبياء مر بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب فانطقه الله فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة انا ابكي من خوفه فساله ان يجيره من النار فاجاره ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكي الآن

ملوكا

اذا قنعت نفسه بذلك البعض

ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة او اشد قسوة ولا يزول قسوتها
الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا وروي انه صلى الله عليه وسلم قال ينادي يوم القيمة ليقم الحامدون
فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحامدون قال الذين يشكرون الله على كل حال وفي
لفظ آخر على السراء والضراء وقال عليه الصلوة والسلام الحمد رداء الرحمن واوحى الله الى ايوب اني رضيت
بالشكر مكافاة لاوليائي في كلام طويل واوحى الله تعالى ايضا في صفة الصابرين ان دارهم دار السلام
اذا دخلوها الهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الي ازيدهم ولما
نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه فأي المال نتخذ قال عليه الصلوة والسلام ليتخذ احدكم
لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا امر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال ابن مسعود رضي الله عنه
الشكر نصف الايمان

بيان حد الشكر وحقيقته

اعلم ان الشكر من جملة مقامات السالكين
وهو ايضا ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل اما
العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم
ومحبوبه ويتعلق ذلك بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة
بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه فالاصل الاول هو العلم وهو
علم بثلاثة امور بعين النعمة ووجه كونه نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر
الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه يصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لا بد
من معرفتها هذا في حق غير الله اما في حق الله فلا يتم الا بان يعرف ان النعم كلها من الله وهو المنعم والوسائط
مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد اذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة
الاولى في معارف الايمان التقديس ثم اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه
غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم ان كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة
منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة اذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد
بالفعل وعن هذا عبر صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله
فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة وقال صلى الله عليه وسلم افضل الذكر لا اله الا الله
وافضل الدعاء الحمد لله وقال ليس شيء من الاذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله ولا تظنن ان هذه الحسنات
بازاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا اله
الا الله تدل على التوحيد والحمد لله تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بازاء هذه المعارف
التي هي من ابواب الايمان واليقين واعلم ان تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الافعال فمن انعم عليه ملك من الملوك
بشيء فان رأى لوزيره او لوكيله دخلا في ايصال ذلك اليه فهو اشراك به في النعمة فلا يرى النعمة من
الملك من كل وجه بل من وجه ومن غيره من وجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا في حق الملك نعم
لا يقدح في توحيده في حق الملك وكمال شكره ان يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه
وبالكاغذ الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم والكاغذ ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما من حيث هما موجودان
بانفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم ان الوكيل الموصل والخازن ايضا مضطران
من جهة الملك في الايصال وانه لو رد الامر اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق وامر جزم يخاف عاقبته لما
سلم فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كنظره الى القلم والكاغذ فلا يورث ذلك شركا في توحيده

واضافة النعمة الى الملك فكذلك من عرف الله وعرف فعله علم ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره كالقلم مثلا في يد الكاتب وان الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فان
الله تعالى هو المسلط للدواعي عليها لتفعل شاءت ام ابت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا
الى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه لما اعطاك ذرة مما في يده فكل من وصل اليك نعمة الله على
يده فهو مضطر اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه الدواعي والقى في قلبه ان خيره في الدنيا والآخرة
في ان يعطيك ما اعطاك وان غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل الا به
وبعد ما خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا الى تركه فهو اذا انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك
ولو لم يكن غرضه في الاعطاء لما اعطاك ولو لم يعلم ان منفعته في منفعتك لما نفعك فهو اذا انما
يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة الى نعمة اخرى هو يرجوها وانما الذي
انعم عليك هو الذي سخره لك والقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى
الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت
على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرا ولذلك قال موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلم
في مناجاته الهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان ذلك مني فكانت
معرفته شكرا فاذا لا تشكر الا بان تعرف ان الكل منه وان خالجك ريب في هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا
بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل بغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك
ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل الاصل الثاني الحال المستمدة من اصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع
هيئة الخضوع والتواضع وهو ايضا في نفسه شكر على تجرده كما ان المعرفة شكر ولكن انما يكون شكرا اذا كان
جامعا شروطه وشرطه ان يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب
لك مثلا فنقول الملك الذي يريد الخروج الى سفر فانعم بفرس على انسان يتصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس
من ثلاثة اوجه احدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وانه جواد
نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء فاخذه لكان فرحه
مثل هذا الفرح الوجه الثاني ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته
عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء او اعطاه غير الملك لكان لا يفرح به اصلا لاستغنائه
عن الفرس اصلا او لاستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك الوجه الثالث
ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة
الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك انه يعطيه فرسا ويعتني به هذا القدر من العناية
بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشيء من ماله على احد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة ايضا الا مشاهدة
الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب دون
الوزارة ولم يختر الوزارة دون القرب فهذه ثلاث درجات فالاول لا يدخل فيه معنى الشكر اصلا لان
نظر صاحبه مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة
وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثاني داخل في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا
من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين
الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو

ان يكون فرح العبد بنعم الله تعالى من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذه هي الرتبة العليا وامارته انه لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد ومهملج بل من حيث الحمل في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعم وقال الخواص شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض لسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء المرة حتى قيل ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فاذا هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فان لم يكن بل فعرا في فانه لم يكن هذا فالدرجة الثانية اما الاولى فخارجة من كل حساب فكم من فرق بين من يريد الفرس للملك وبين من يريد الملك للفرس وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها اليه تعالى الاصل في

الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب واللسان والجوارح اما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على المعصية حتى ان شكر العينين ان يستر كل عيب يراه لمسلم وشكر الاذنين ان يستر كل عيب يسمعه فيدخل هذا في جملة شكر نعم هذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضى من الله وهو مامور به قال عليه الصلوة والسلام لرجل كيف اصبحت فقال بخير فاعاد السؤال حتى قال في الثالثة بخير احمد الله واشكره فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي اردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشكر وكل عبد سئل عن حال فهو بين ان يشكر او يشكو او يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من اهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شيء الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالاحرى بالعبد انه ان لم يحسن الصبر على البلاء وافضى به الضعف الى الشكوى ان يكون شكواه الى الله تعالى فهو المبلي وهو القادر على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح قال تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر فقد روي ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا امير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو اسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة اما الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك واما الرهبة فقد آمننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف فهذه هي اصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته فاما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر الى فعل اللسان مع بعض احوال القلب وقول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه نظر الى مجرد عمل اللسان وقول القائل ان الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بادامة

حفظ الحرمة جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الا عمل اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة ان ترى نفسك فيه طفيليا اشارة الى معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك اهلا للنعمة اشارة الى حال من احوال القلب على الخصوص وهؤلاء تعربوا عن احوالهم ولذلك اختلفت اجوبتهم ولا يتفق ثم قد تختلف جواب كل واحد في حالتين لانهم لا يتكلمون الا في حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالا بما يهمهم او يتكلمون بما يرونه لايقا بحال السائل اقتصارا على ذكر القدر الذي يحتاج اليه ولم اصلح الا ما يحتاج اليه فلا ينبغي ان تظن انما ذكرناه طعن عليهم وانه لو عرض عليهم مجامع المعاني التي شرحناها كانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك لعاقل اصلا الا ان ينقص منازعة من حيث اللفظ في ان اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني ام يتناول بعضها مقصودا وتقية المعاني يكون من توابعها ولوازمها ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الاخرة في شيء

بيان كيفية الغطاء عن الشكر

في حق الله تعالى لعله يخطر ببالك ان الشكر انما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر الملوك اما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم او بالخدمة التي هي اعانة لهم على بعض اغراضهم او بالمثول بين ايديهم في صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا يكون شاكرا لهم الا بنوع من ذلك وهذا محال في حق الله من وجهين احدهما ان الله تعالى منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والاطراء وعن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه ركعا او سجدا فشكرنا اياه بما لا حظ له فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بان ننام في بيوتنا او نركع او نسجد اذ لا حظ للملك فيه وكذا لا حظ لله في افعالنا والوجه الثاني ان جميع ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة اخرى من نعم الله اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وداعيتنا وسائر الامور التي هي اسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو اعطانا الملك مركوبا فاخذنا مركوبا اخر له وركبناه او اعطانا مركوبا اخر لم يكن الثاني شكرا للاول بل كان الثاني يحتاج الى الشكر كما كان الاول ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة اخرى فيؤدي الى ان يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين ولسنا نشك في الامرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخاطر قد خطر لداود على نبينا وعليه الصلوة والسلم وكذلك لموسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام فقال كيف اشكرك يا رب وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ اخر شكري لك نعمة اخرى من نعمك توجب الشكر علي فاوحى الله اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر اخر اذا عرفت ان النعم مني رضيت منك بذلك شكرا فان قلت فقد فهمت السؤال فهمي قاصر عن ادراك ما اوحي اليهم فاني اعلم استحالة الشكر لله فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا لان هذا العلم ايضا نعمة فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع الى ان من لم يشكر فقد شكر وان قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الاولى والفهم قاصر عن درك السر فيه فان امكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه فاعلم ان هذا قرع باب من ابواب المعارف وهي اعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير منها الى ملامح فنقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شيء هالك الا وجهه وان ذلك صدق في كل حال ازلا وابدا لان الغير هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال ان يوجد اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقي موجودا

اي بالقيام

فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك فاذا ليس في الوجود غير القيوم الحي وهو الواحد الصمد فان نظرت من هذا المقام علمت ان الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن هنا نظر حبيب بن حبيب حيث قرا انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب فقال واعجباه اعطى واثنى اشار الى انه اذا اثنى على عطائه فعلى نفسه اثنى فهو المثني وهو المثنى عليه ومن هنا نظر الشيخ ابو سعيد الميهني حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه اشار به الى انه المحب وانه المحبوب وهذه رتبة عالية لا تفهمه الامثال على حد عقلك ولا يخفى عليك ان المصنف اذا احب تصنيفه فقد احب نفسه والصانع اذا احب صنعته فقد احب نفسه والوالد اذا احب ولده من حيث انه ولده فقد احب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله فهو تصنيف الله وصنعه فان احبه فما احب الا نفسه واذا لم يحب ما الا نفسه فبحق لحب ما احب وهذا كله نظر بعين التوحيد ويعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس اي فني عن نفسه وعن غير الله تعالى فلم ير الا الله فمن لا يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف يفنى وطول ظله اربعة اذرع ولعله ياكل في يوم ارطالا من الخبز فيضحك عليهم الجهال الجهلة بمعاني كلامهم وضرورة العارفين ان يكونوا ضحكة للجاهلين والبه الاشارة بقوله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون الى ان قال تعالى عليهم حافظين ثم بين ان ضحك العارفين عليهم اعظم اذ قال فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون الاية وكذلك امر نوح على نبينا وعليه الصلوة والسلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة فقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فهذا احد النظرين والنظر الثاني نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود انفسهم وانكروا ان يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلتي العينين لانهم نفوا ما هو الثابت حقيقة وهو القيوم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت فكل قائم فقائم به ولم يقتصروا على هذا حتى اثبتوا انفسهم ولو عرفوا لعلموا انهم من حيث هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث اوجدوا وفرق بين الموجود وبين الموجد باطل من حيث هو هو والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان اذ كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربنا ذو الجلال والاكرام الفرقة الثانية ليس بهم عمى ولكن بهم عور اذ يبصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى تم عماها اذ ليس يبصر بها فناء غير الحق فاثبت موجودا اخر مع الله وهذا مشرك تحقيقا كما ان الذي قبله جاحد حقا فان جاوز حد العمى الى العمش ادرك نفيا وتباين الموجودين فاثبت عبدا وربا فبهذا القدر من اثبات التفاوت والتفرقة بين الموجود الاخر دخل في حد التوحيد ثم ان كحل بصره بما يزيد في انواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له من نقصان ما اثبته سوى الله فان بقي في سلوكه كذلك فلا يزال النقصان يفضي به الى المحو فينمحي عن رؤية ما سوى الله فلا يرى الا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث ادرك نقصان في وجود ما سوى الله دخل في اوائل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى فيها يتفاوت درجات الموحدين وكتب الله تعالى المنزلة على السنة رسله هي الكحل الذي به يحصل انوار الابصار والانبياء هم الكحالون وقد جاءوا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه ان لا يرى الا الواحد الحق والواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون والجاحدون والمشركون ايضا قليلون وهم على الطرف الاقصى

المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فكانوا داخلين في اوائل ابواب التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الاكثرون وفيهم من ينفتح بصيرته في بعض الاحوال فيلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت وفيهم من يلوح له ذلك فيثبت زمانا ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز لكل الى شاو والعلى حركات ولكن عزيز في الرجال ثبات ولما امر عليه الصلوة والسلام بطلب القرب وقيل له اسجد واقترب قال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط وكانه لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففني عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهي الصفات فقال اعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم راى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترب ورقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال اعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه راى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا ومثنيا ففني عن مشاهدة نفسه اذ راى ذلك نقصانا فاقترب فقال لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله لا احصي خبر عن فناء نفسه وخروجه من مشاهدتها وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان انه المثني وهو المثنى عليه وان الكل منه بدا واليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه فكان اول مقامه نهاية مقامات الموحدين وهو ان لا يرى الا الله وافعاله فيستعيذ بفعل من فعل فانظر الى ماذا انتهى نهايته اذا انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع في نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ولقد كان عليه الصلوة والسلام لا يرتقي من رتبة الى اخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله من الاولى ويرى ذلك نقصا في سلوكه وتقصيرا في مقامه واليه الاشارة بقوله عليه الصلوة والسلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها بعد البعض واولها وان كانت مجاوزة اقصى غايات الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافة الى اخرها فكان استغفاره لذلك ولما قالت عائشة رضي الله عنها قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فما هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد قال افلا اكون عبدا شكورا معناه افلا اكون طالبا للمزيد في المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم فاذا انتهينا في بحار المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول الانبياء قد بعثوا لدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريفهم طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة اخرى ومقام اخر فيظهر في ذلك المقام بالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا يعرف ذلك الا بمثال فاقول يمكنك ان تفهم ان من الملوك يرسل الى عبد قد بعد منه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده في الطريق حتى يقطع به المسافة البعيدة ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان احدهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له غنى في خدمته والثانية ان لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمته تغني به غناء وغيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب والزاد ان يحظى العبد بما يقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به وبانتفاعه فمنزلة العبد من الله في المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله تعالى

التعلم من تعليم الله في النجوم

والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته ما لم يتم بخدمته
التي ارادها الملك منه واما الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا او كافرا
ويكون شكره بان يستعمل ما انفذه اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل فيه بان يعطله
او يستعمله فيما يزيد في بعده منه فمهما لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا في الطريق فقد شكر
مولاه اذ استعمل نعمته في محابه اي فيما احبه لعبده لا لنفسه ولو ركبه واستدبر حضرته واخذ يبعد منه فقد
كفر نعمته اي استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان جلس ولم يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد
كفر ايضا نعمته اذ اهملها وعطلها وان كان هذا دون ما لو تبعد منه فكذلك خلق الله الخلق وهم في ابتداء فطرتهم
يحتاجون الى استعمال الشهوات لتكمل بها ابدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منه فاعد لهم من
النعم ما يقدرون على استعمالها في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الاية فاذا نعم الله آلات يترقى العبد بها عن اسفل سافلين خلقها
الله تعالى لاجل العبد لينال بها سعادة القرب والله غني عنه قرب او بعد والعبد فيه بين ان يستعملها في
الطاعة فيكون قد شكر لموافقته محبة مولاه وبين ان يستعملها في معصيته فقد كفرها لاقتحامه ما يكرهه
مولاه ولا يرضاه له فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان عطلها فلم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو
ايضا كفران النعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا انما خلق آلة للعبد ليتوصل بها الى سعادة الاخرة ونيل القرب
من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الاسباب التي استعملها في الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال
او عاص استعمل في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله فالمعصية والطاعة تشملهما المشيئة ولا تشملهما المحبة و
الكراهة بل رب محبوب ورب مراد مكروه ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من افشائه وقد
انحل بهذا الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر وبهذا ايضا ينحل الثاني فانا لم نعن بالشكر
انصراف نعمة الله في جهة محبة الله فاذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله
ومن حيث انت محله فقد اثنى عليك وثناؤه نعمة اخرى منه اليك فهو الذي اعطى وهو الذي اثنى وصار احد فعليه
سببا لانصراف فعله الثاني الى جهة محبته فله الشكر على كل حال وانك موصوف بانك شاكر بمعنى انك محل المعنى
الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى انك موجد له كما انك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى انك خالق العلم وموجده
ولكن بمعنى انك محل له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شيئية لك وانت شيء
ان جعلك خالق الاشياء شيئا وانما انت لا شيء اذ كنت انت ظانا لنفسك شيئية من ذاتك فاما باعتبار
النظر الى الذي جعل الاشياء اشياء فانت شيء اذ جعلك شيئا فان قطع النظر عن جعله كنت لا شيئا تحقيقا
والى هذا اشار عليه الصلوة والسلام حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له فيهم العمل اذا كانت الاشياء قد
فرغ منها من قبل فبين ان الخلق مجاري قدر الله ومحل افعاله وان كانوا هم ايضا من افعاله ولكن بعض افعاله محل
للبعض وقوله صلى الله عليه وسلم اعملوا وان كان جاريا على لسان الرسول فهو فعل من افعاله وهو سبب لعلم الخلق بان
العمل نافع وعلمهم فعل من افعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة الى الحركة والطاعة وانبعاث الداعية ايضا من
افعال الله وهو سبب لحركة الاعضاء وهو ايضا من افعال الله ولكن بعض افعاله سبب لبعض افعاله اي الاول شرط
للثاني كما ان خلق الجسم سبب لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق الحيوة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق
الارادة والكل من افعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض اي هو شرط ومعنى كونه شرطا انه لا يستعد لقبول فعل الحيوة
الا جوهر ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حيوة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض افعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى

ان بعض افعاله موجد لغيره بل ممهد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة التوحيد الذي ذكرناه
فان قلت فلم قال الله تعالى اعملوا والا فانتم معاقبون ومذمومون على العصيان وما الينا شيء فكيف نذم وانما الكل
الى الله تعالى فاعلم ان هذا القول من الله سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات
والتجافي عن دار الغرور وذلك سبب للوصول الى جوار الله والله مسبب الاسباب ومرتبها فمن سبق له في الازل السعادة
يسر له هذه الاسباب حتى تقوده بسلسلتها الى الجنة ويعبر عن مثله بان كلا ميسر لما خلق له ومن لم تسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام
الله وكلام رسوله وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم واذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا فاذا لم يترك
بقي في حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم اجمعين فاذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فما من
احد الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول الا وهو مقود الى
النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن والغرور فالمتقون يقادون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا
ولا قاهر الا الله الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار فاذا انكشف الغطاء عن اعين الغافلين فشاهدوا الامر
كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لا
ذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء الا ذلك اليوم فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال
حيث لا ينفعهم الكشف فنعوذ بالله من الجهل والعمى فانه اصل اسباب الهلاك

بيان تميز ما يحبه عما يكرهه

اعلم ان فعل الشكر وترك الكفر لا يتم الا بمعرفة ما يحبه الله اذ معنى الشكر استعمال النعمة في محابه ومعنى الكفر نقيض
ذلك اما بترك الاستعمال او باستعماله في مكارهه ولتميز ما يحبه الله عما يكرهه مدركان احدهما السمع ومستنده
الايات والاخبار والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو لاجل ذلك عزيز فلذلك
ارسل الله الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك مبني على معرفة جميع احكام الشرع في جميع افعاله لم يمكنه القيام
بحق الشكر اصلا واما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمة الله في كل موجود خلقه اذ ما خلق شيئا في العالم
الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى جلية وخفية اما الجلية فكالعلم بان
من الحكم في خلق الشمس ان يحصل به الليل والنهار فيكون النهار معاشا والليل لباسا فيتيسر الحركة عند الابصار والسكون عند
الاستتار فهذا من جملة حكمة الشمس لا كل الحكم فيه بل فيه حكم اخرى دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في الغيم ونزول
الامطار وذلك لانشقاق الارض بانواع النبات مطعما للخلق ومرعى للانعام وقد انطوى القران على جملة من
الحكم الجلية التي تحتملها افهام الخلق دون الدقيقة التي يقصرون عن فهمها اذ قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا
الارض شقا الايات واما الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها والثوابت فخفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر
الذي يحتمله فهم الخلق انها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر اليها واليه الاشارة بقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا
بزينة الكواكب فجميع اجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته لا تخلو ذرة
من ذراتها من حكم كثيرة من حكمة واحدة الى عشرة الى الف وكذلك اعضاء الحيوان تنقسم الى ما يعرف حكمتها كالعلم
بان العين للابصار لا للبطش واليد للبطش لا للمشي والرجل للمشي لا للشم واما الاعضاء الباطنة من الامعاء والمرارة والكلية
والكبد وآحاد العروق والاعصاب والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والانحراف
والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها كافة الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها الا قدرا
يسيرا بالاضافة الى علم الله وما اوتيتم من العلم الا قليلا فاذا كل من استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها او على
الوجه الذي اريد به فقد كفر نعمة الله فيه فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد اذ خلقت له اليد ليدفع بها
عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا ليهلك بها غيره ومن نظر الى وجه غير محرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس

اذ لا ابصار ولا تتم الا بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما فقد
استعملهما في غير ما اريدا له وهذا لان المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق
بها على الوصول الى الله ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا ولا انس الا
بدوام الفكر ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا بدوام البدن
ولا يبقى البدن الا بالارض والماء والهواء والغذاء ولا يتم ذلك الا بخلق الارض والسماء وخلق سائر الاعضاء
ظاهرا وباطنا فكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله هو النفس المطمئنة بطول
العبادة والمعرفة ولذلك قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فكل من استعمل شيئا في غير
طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها للاقدام على تلك المعصية ولنذكر مثالا واحدا
للحكمة الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم طريق الشكر والكفران على النعم فنقول من نعم الله
خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في اعيانهما ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث
ان كل انسان محتاج الى اعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني
عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه ويحتاج الى الزعفران
فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدير اذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من
الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن او الصورة وكذلك من يشتري
دارا بثياب او عبدا بخف او دقيقا بحمار فهذه الاشياء لا تناسب فيها فلا يدرى ان الجمل كم يساوي بالزعفران
فيتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينها يحكم فيها بحكم عدل
فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير
المساوي فخلق الله الدراهم والدنانير حاكمين ومتوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر الاموال بهما فيقال
هذا الجمل يساوي مائة وهذا القدر من الزعفران يساوي مائة فهما من حيث انهما مساويان لشيء واحد وانما
امكن التعديل بالنقدين اذ لا غرض في اعيانهما ولو كان في اعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحا ولم
يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذا خلقهما الله لتتداولهما الايدي ويكونا حاكمين بين
الاموال بالعدل ولحكمة اخرى وهي التوسل بهما الى سائر الاشياء لانهما عزيزان في انفسهما ولا غرض في اعيانهما
ونسبتهما الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكانه ملك كل شيء لا كمن ملك ثوبا فانه لم يملك الا الثوب
فلو احتاج الى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في دابة مثلا فاحتيج الى شيء هو في صورته
ليس بشيء وهو في معناه كانه كل الاشياء والشيء انما تستوي نسبته الى المختلفات اذا لم يكن له صورة خاصة تفيدها
بخصوصها كالمرآة لا لون لها وتحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف
لا معنى فيه في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما ايضا حكم يطول ذكرها فكل من
عمل فيهما عملا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين
في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لانه اذا كنزها فقد ضيع ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم لزيد
خاصة ولعمرو خاصة اذ لا غرض للآحاد في اعيانهما فانهما حجران وانما خلقا لتتداولهما الايدي فيكونا حاكمين
بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب فاخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الاسطر الالهية
المكتوبة على صفحات الموجودات بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة
اخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت

المعنى الذي عجزوا عن ادراكه فقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الاية وكل من اتخذ من الدراهم و
الدنانير آنية من فضة او ذهب فقد كفر النعمة وكان اسوأ حالا ممن كنز لان مثال هذا من استسخر حاكم البلد
في الحياكة والكنس والاعمال التي يقوم بها اخساء الناس فالحبس اهون منه وذلك لان الخزف والحديد
والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات من ان تتبدد وانما الاواني لحفظ المائعات
ولا يكفي الخزف والحديد في المقصود الذي اريد به النقود فمن لم ينكشف له هذا انكشف له بالترجمة الالهية وقيل
له من شرب في آنية من ذهب او فضة فكانما يجرجر في بطنه نار جهنم وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير
فقد كفر النعمة وظلم لانهما خلقا لغيرهما لا لنفسهما اذ لا غرض في عينهما فاذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصودا
على خلاف وضع الحكمة اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على ان يشتري
به طعاما او دابة اذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فيتوصل به الى مقصوده فانهما وسيلتان الى الغير لا
غرض في اعيانهما وموقعهما من الاموال كموقع الحرف من الكلام كما قال النحويون ان الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره
وكموقع المرآة من الالوان فاما من معه نقد فلو جاز له ان يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد
متقيدا عنده وينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع
النقد بالنقد الا اتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو ظلم فان قلت فلم جاز بيع احد النقدين بالآخر ولم جاز بيع
الدراهم بمثلها فاعلم ان احد النقدين يخالف الآخر في مقصود التوسل اذ قد يتيسر التوسل باحدهما من حيث
كثرته كالدراهم تتفرق في الحاجات قليلا قليلا ففي المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به وهو تيسر التوصل به الى غيره
واما بيع الدرهم بالدرهم بماثله فجائز من حيث ان ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به تاجر فانه
عبث يجري مجرى وضع الدراهم على الارض واخذها بعينها ونحن لا نخاف على العقلاء ان يصرفوا
اوقاتهم الى وضع الدراهم على الارض واخذها بعينها فلا نمنع مما لا تتشوق اليه النفوس الا ان يكون احدهما
اجود وذلك ايضا لا يتصور جريانه اذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فلا ينتظم العقد فلا جرم يمنع
منه ويحكم بان جيدها ورديها سواء لان الجودة والرداءة ينبغي ان ينظر اليهما فيما يقصد في عينه وما لا غرض
في عينه فلا ينبغي ان ينظر اليهما فيما يقصد في غيره فلا ينبغي ان ينظر الى مصارفات دقيقة في صفاته وانما الذي
ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في اعيانها وحقها ان لا تقصد و
اما اذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فانما لم يجز لانه لا يقدم على هذا الا مسامح قاصد للاحسان في القرض
وهو مكرمة مندوب اليها عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له حمد واجر والمعاوضة وكذلك الاطعمة خلقت ليتغذى بها
او ليتداوى بها فلا ينبغي ان يصرف عن جهتها فان فتح باب المعاملة فيها يوجب تقييدها في الايدي ويؤخر عنها
الاكل الذي اريدت له فما خلق الطعام الا ليؤكل والحاجة الى الاطعمة شديدة فينبغي ان يخرج عن يد المستغني عنه الى
المحتاج ولا يتعامل على الاطعمة الا مستغن عنها اذ من معه الطعام فلم لا ياكله ان كان محتاجا ولم يجعله بضاعة
تجارة وان جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام يكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك الطعام
فهو ايضا مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب
نعم بائع البر بالتمر معذور اذ احدهما لا يسد مسد الآخر في العوض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكنه
عابث فلا يحتاج الى منع لان النفوس لا تسمح به الا عند التفاوت في الجودة ومقابلة الجيد بمثله من الرديء لا يرضى به
صاحب الجيد واما جيد برديئين فقد يقصد ولكن لما كانت الاطعمة من الضروريات والجيد يساوي الرديء
في اصل الفائدة ويخالفه في وجوه التنعم اسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا

وقد انكشف لنا بهذا بعد الاعراض عن فن الفقه فليلحق هذا الفن بالفقهيات فانه اولى من جميع ما اوردناه في
الخلافيات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي في التخصيص بالاطعمة دون المكيلات اذ لو دخل الجص فيه لكان الثياب
والدواب اولى بالدخول ولولا الملح لكان مذهب مالك اقوم المذاهب اذ خصصه بالاقوات ولكن كل معنى يرعاه
الشرع فلا بد ان ينضبط بحد وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت فكان ممكنا بالمطعوم فجرى الشرع التحديد بجنس
المطعوم لجرى لكل ما هو ضرورة البقاء وتحديدات الشرع قد يحيط باطراف لا تقوى فيها اصل المعنى الباعث
على الحكم ولكن التحديد لذلك يقع بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق في تتبع جوهر المعنى مع اختلافه بالاحوال
والاشخاص فعين المعنى بكمال قوته يختلف بالاحوال والاشخاص فيكون الحد ضروريا ولذلك قال تعالى ومن
يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولان اصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وانما تختلف في وجوه التحديد
كما يحد شرع عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام تحريم الخمر بالسكر وحده شرعنا بكونه من جنس المسكر لان
قليله يدعو الى كثيره والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الحسم كما دخل اصل المعنى بحكم الاصلية فهذا انشا
واحد لحكمة خفية من حكم النقدين فينبغي ان يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغي ان
يصرف عنها ولا يعرف هذا الا من عرف الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولكن لا يصادف جواهر الحكمة
في قلوب هي مزابل الشهوات وملاعب الشياطين بل لا يتذكر الا اولو الالباب ولذلك قال عليه الصلوة والسلام
لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السموات واذا عرفت هذا المثال فقس عليه
حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر منك فانه اما شكر واما كفران لا يتصور ان ينفك
عنهما وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي يتناطق به عوام الخلق بالكراهة وبعضه بالحظر فاقول مثلا
لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة اليدين اذ خلق الله لك اليدين وجعل احدهما اقوى من الاخرى فاستحق
الاقوى بمزيد رجحان في الغالب التشريف والتفضيل اذ تفضيل الناقص عدول عن العدل والله يامر بالعدل ثم
احوجك من اعطاك اليدين الى اعمال بعضها شريفة كاخذ المصحف وبعضها خسيسة كازالة النجاسة باليمين فقد
خصصته بما هو خسيس فغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك اذا بزقت مثلا في جهة القبلة
او استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله في خلق الجهات وخلق سعة العالم لانه خلق الجهات لتكون
متسعك في حركاتك وقسم الجهات الى ما لم يشرفها والى ما شرفها بان وضع فيها بيتا اضافه الى نفسه استمالة لقلبك اليه
لتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبدت ربك وكذلك انقسمت
افعالك الى ما هي شريفة كالطاعات والى ما هي خسيسة كقضاء الحاجات ورمي البزاق فاذا رميت بزاقك الى جهة
القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله عليك بوضع القبلة التي وضعها لكمال عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدأت
باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل فيحظ والبداية بالحظوظ ينبغي ان يكون بالاشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة
ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة وان سماه الفقيه مكروها حتى ان بعضهم كان قد جمع اكرارا من
الحنطة وكان يتصدق بها فسئل عن سببه فقال لبست المداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا فاريد ان اكفره بالصدقة نعم
الفقيه لا يقدر على تفخيم الامر في هذه الامور لانه مسكين مبتلى باصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الانعام وهم
منغمسون في ظلمات اكثر واعظم من ان تظهر امثال هذه الظلمات بالاضافة اليها فيقبح ان يقال الذي شرب الخمر واخذ القدح بيساره
فقد تعدى من وجهين احدهما الشرب والاخر الاخذ باليسار ومن باع خمرا في وقت النداء يوم الجمعة فيقبح ان يقال خالف من
وجهين احدهما بيع الخمر والاخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب المسجد فيقبح ان يذكر تركه الادب في قضاء
الحاجة من حيث لم يجعل القبلة على يمينه فالمعاصي كلها ظلمات بعضها فوق بعض فينمحي بعضها في جنب البعض فالسيد قد يعاقب

عبده اذا استعمل سكينه لغير اذنه ولكن لو قتل بذلك الغزال او لاده بذلك السكين لم يتوقع لاستعمال السكين
بغير اذنه حكم وشكاية في نفسه فكل ما راعاه الانبياء والاولياء من الاداب وتسامحنا به في الفقه
مع العوام فسببه هذه الضرورة والا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران النعم ونقصان عن الدرجة
المبلغة للعبد الى درجات القرب ثم بعضها يؤثر في البعد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية
من حدود القرب الى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن
غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله في خلق الاشجار وخلق اليد اما اليد فلانها لم تخلق للعبث بل للطاعة وللاعمال المعينة
على الطاعة واما الشجرة فانما خلقها الله وخلق لها العروق وساق اليها الماء وخلق فيها قوة الاغتذاء والنماء
لتبلغ منتهى نشوها فينتفع بها عباده فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول
عن العدل فان كان له غرض صحيح فله ذلك اذ الشجر والحيوان جعلا فداء لاغراض الانسان فانهما جميعا فانيان
هالكان فافناء الاخس في بقاء الاشرف مدة ما اقرب الى العدل من تضييعهما جميعا واليه الاشارة بقوله تعالى و
سخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه نعم ان كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم ايضا وان كان محتاجا لان كل شجرة
بعينها لا تفي بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحد ولو خص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظالما
وصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الارض وساق الماء اليها وقام بالتعهد فهو اولى بها من
غيره فترجح جانبه بذلك فان نبت ذلك في موات لا بسعي احد فيختص بغرس او بغرس فلا بد من طلب اختصاص اخر
وهو السبق الى الاخذ فللسابق خاصية السبق فالعدل ان يكون هو اولى به وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو
مجاز محض اذ لا ملك الا لملك الملوك الذي له ما في السموات وما في الارض فكيف يكون العبد مالكا وهو في نفسه ليس
يملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد الله والارض مائدة الله وقد اذن لهم في الاكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك
ينصب مائدة لعبيده فاخذ لقمة بيمينه واحتوت عليها براجمه فجاء عبد اخر واراد انتزاعها من يده لم يمكن منه لا لان
اللقمة صارت ملكا له بالاخذ باليد فان اليد وصاحب اليد ايضا مملوك ولكن اذا كانت كل لقمة بعينها لا تفي بحاجة
كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والاخذ اختصاص يتفرد به العبد فمنع
من لا يدلي بذلك الاختصاص عن مزاحمته فهكذا ينبغي ان يفهم امر الله في عباده ولذلك نقول من اخذ من اموال الدنيا اكثر
من حاجته وكنزه وامسكه وفي عباد الله من يحتاج اليه فهو ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل
الله وانما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته اموال الدنيا اذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم نعم لا يدخل
هذا في حد فتاوى الفقه لان مقادير الحاجات خفية والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة و
اواخر الاعمار غير معلومة فتكليف العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن
كل كلام غير مهم وهم بحكم نقصانهم لا يطيقونه فتركنا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو واباحتنا اياهم ذلك لا يدل
على ان اللعب واللهو حق وكذلك اباحتنا للعوام حفظ الاموال والاقتصار في الانفاق على قدر الزكوة لضرورة ما جبلوا
عليه من البخل لا يدل على انه غاية الحق وقد اشار تعالى اليه فقال ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا بل الحق الذي لا كدورة
فيه والعدل الذي لا ظلم فيه ان لا ياخذ احد من عباد الله من مال الله الا بقدر زاد الراكب فكل عباد الله راكبون مطايا
الابدان الى حضرة الملك الديان فمن اخذ زيادة عليه ومنعه عن راكب اخر محتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن
مقصود الحكمة وكافر لنعمة الله عليه بالقران والرسول والعقل وسائر الاسباب التي بها عرف ان ما سوى زاد الراكب وبال
عليه في الدنيا والاخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع انواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك
يحتاج الى مجلدات ثم لا يفي الا بالقليل وانما اوردنا هذا القدر لتعلم علة الصدق في قوله تعالى وقليل من

عبادي الشكور وروح ابليس في قوله تعالى ولا تجد اكثرهم شاكرين فلا تعرف معنى هذه الآية من لم يعرف هذا كله
وامورا اخر وراء هذا يقتضي الاعتبار دونها استقصاء مباديها واما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفها
كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين التفسير والمعنى فان قلت فقد رجع حاصل الكلام
الى ان لله حكمة في كل شيء وانه جعل بعض افعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل
بعض افعالهم مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة الى غايتها فهو شكر وكل ما
خالف ومنع الاسباب من ان تنساق الى الغاية المرادة بها فهو كفران فهذا كله مفهوم ذلك ولا اشكال لـ
باق وهو ان فعل العبد المنقسم الى ما يتم الحكمة وما يدفعها هو ايضا من فعل الله فاين العبد في البين حتى يكون
العبد شاكرا مرة وكافرا اخرى فاعلم ان تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد
رمزنا فيما سبق الى تلويحات بمباديها ولنعبر الآن بعبارة وجيزة عن اخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير
ويجحدها من عجز عن الايضاع في السير فضلا عن ان يجول في جو الملكوت جولان الطير فنقول ان لله سبحانه وتعالى في
جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة اعلى واجل من ان تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها
بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها في العالم عبارة لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغة ان يمتد
طرفهم الى مبادي اشراقها فانخفضت عن ذروتها ابصارهم كما تنخفض ابصار الخفافيش عن نور الشمس ولكن الضعف في
ابصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت ابصارهم لملاحظة جلالها الى ان يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات
عبارة تفهم من مبادي حقائقها شيئا ضعيفا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق
فقلنا لله صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود الى اقسام وخصوص و
صفات ومصدر انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة اخرى استعيرت لها بمثال الضرورة
التي سبقت عبارة المشيئة فهي تومي منها الى امر مجمل عند المتناطقين باللغات التي هي حروف واصوات المتفاهمين بها
وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة
من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى الذي هو غاية حكمتها والى ما يقف دون الغاية وكل واحد نسبة الى صفة المشيئة لرجوعها
الى الاختصاصات التي بها تتم القسمة والاختلافات فاستعيرت لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة واستعيرت لنسبة
الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقيل انهما جميعا داخلان في وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية نسبة اخرى في
النسبة تومي لفظ المحبة والكراهة منها الى امر مجمل عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباده الذين هم ايضا
من خلقه واختراعه الى من سبقت له في المشيئة الازلية ان يستعمله لاستيفاء حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهرا في حقهم
بتسليط الدواعي والبواعث عليهم والى من سبقت له في الازل ان يستعملهم لسياقة الغايات في بعض الامور فكان لكل واحد من
الفريقين نسبة الى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين في تمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقف بهم
اسباب الحكمة دون غاياتها عبارة الغضب وظهر على من غضب عليه في الازل فعل وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير له
الكفران واردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في النكال وظهر على من ارتضاه في الازل فعل انساقت بسببه الحكمة
الى غايتها فاستعير له عبارة الشكر واردف بخلعة الثناء والاطراء زيادة في الرضاء والقبول والاقبال فكان
الحاصل انه اعطى الجمال ثم اثنى واعطى النكال ثم قبح واردى وكان مثاله ان ينظف الملك عبده الوسخ مثلا ويسلخه ثم
يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تم زينته قال يا جميل ما اجملك واجمل ثيابك وانظف وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو
المثني على الجمال فهو المثني عليه بكل حال وكانه لم يثن من حيث المعنى الا على نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر و
الصورة فهكذا كانت الامور في ازل الآزال وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب

الايضاع في السير

كان صح

ولم يكن ذلك عن اتفاق وبخت بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وامر جزم استعير له لفظ القضاء وقيل انه كلمح البصر فهاج
بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر
بازاء الامر الكلي ولفظ القدر بازاء التفصيل المتمادي الى غير نهاية وقيل ان شيئا من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر
فخطر لبعض العباد ان القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل و
كان بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة كنه هذا الامر والاحتواء على مجامعه فالجموا عما لم يطيقوا خوضه بلجام المنع وقيل لهم
اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وامتلأت مشكاة بعضهم نورا مقتبسا من نور الله في السموات
والارض وكان زيتهم اولا صافيا يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار فمسته نار فاشتعل نورا على نور فاشرقت
اقطار الملكوت بين ايديهم بنور ربها فادركوا الامور كما هي عليه فقيل لهم تأدبوا بآداب الله واسكتوا واذا ذكر
القدر فامسكوا فان للحيطان آذانا وحولكم ضعفاء الابصار فسيروا بسير اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار
الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاككم فتخلقوا باخلاق الله وانزلوا الى السماء الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم
الضعفاء ويقتبسوا من بقايا انواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفاش من بقايا نور الشمس والكواكب
في جنح الليل فيحيا به حياة يحتملها شخصه وحاله وان كان لا يحيا به حياة المترددين في كمال نور الشمس وكونوا كما قيل
فيهم شعر

شربنا شرابا طيبا عند طيب — كذاك شراب الطيبين يطيب
شربنا واهرقنا على الارض فضله — وللارض من كأس الكرام نصيب

فهكذا كان اول هذا الامر وآخره ولا تفهمه الا اذا كنت اهلا له واذا كنت اهلا
له فتحت العين وابصرت فلا تحتاج الى قائد يقودك والاعمى يمكن ان يقاد ولكن الى حد ما فاذا ضاق الطريق
وصار احد من السيف وادق من الشعر قدر الطائر على ان يطير عليه ولم يقدر على ان يستجر وراءه اعمى واذا
دق المجال ولطف لطف الماء مثلا ولم يمكن العبور الا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة ان يعبر بنفسه
وربما لم يقدر على ان يستجر وراءه اعمى فهذه امور نسبة السير عليها الى السير على ما هو مجال جماهير الخلق كنسبة
المشي على الماء الى المشي على الارض والسباحة يمكن ان يتعلم فاما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعلم بل ينال بقوة
اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام يقال كان يمشي على الماء فقال لو ازداد يقينا
لمشى على الهواء فهذه رموز واشارات الى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران ولا يليق بعلم
المعاملة اكثر منه وقد ضرب الله مثلا لذلك تقريبا الى افهام الخلق اذ عرف انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدون
فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم اخبر ان له عبدين يحب احدهما واسمه جبريل وروح القدس والامين وهو
عنده محبوب مطاع مكين ويبغض الآخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم احال الارشاد الى جبريل
فقال قل نزله روح القدس وقال تعالى يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده واحال الاغواء الى ابليس فقال تعالى
ليضلهم عن سبيله والاغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبه الى العبد الذي غضب
عليه والارشاد هو سياقتهم الى الغاية فانظر كيف نسبه الى العبد الذي احبه وعندك في العادة له مثال فالملك اذا
كان يحتاج الى من يسقيه الشراب والى من ينظف فناء منزله عن التراب وكان له عبدان فلا يعين المكنس الا لاقبحهما
واخسهما ولا يفوض حمل الشراب الطيب اليه الا الى احسنهما واكملهما واحبهما اليه ولا ينبغي ان تقول هذا فعلي ولم يكن
فعله على وفق فعلي فانك اخطأت اذا اضفت ذلك الى نفسك بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل
المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب اتماما للعدل فان عدله تارة يتم بامور لا مدخل لك فيها و
تارة يتم فيك فانك ايضا من افعاله فداعيتك وقدرتك وعلمك واسباب حركتك في التعيين هو فعله الذي رتبه بالعدل
ترتيبا يصدر منه الافعال المعتدلة الا انك لا ترى الا نفسك فتظن ان ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب

ضت

وكان لفظ القضاء صح

كب

من عالم الغيب والملكوت فلذلك تضيق عنه نفسك وإنما أنت مثل الصبي الذي ينظر ليلاً إلى
لعب المشعوذ الذي يخرج صوراً من وراء الحجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهي مؤلفة من
خرق لا تتحرك بأنفسها وإنما يحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤوسها في
يد المشعوذ وهو محتجب عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص و
تلعب وتقوم وتقعد وأما العقلاء فإنهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بتحرك ولكنهم ربما لا يعلمون
تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلم كما يعلمه المشعوذ الذي الأمر إليه والجاذب بيده فكذلك صبيان
أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان إلا العلماء ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها المتحركة فيحيلون
عليها والعلماء يعلمون أنهم محركون إلا أنهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الأكثرون إلا العارفين و
العلماء الراسخين فإنهم أدركوا بحدة أبصارهم خيوطاً دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة
من السماء متشبثة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الأبصار الظاهرة
ثم شاهدوا رؤوس تلك الخيوط في مناطات لها هي متعلقة بها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في
أيدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا أبصار ملائكة السموات مصروفة إلى حملة العرش ينتظرون منهم ما
ينزل عليهم من الأمر من الحضرة الربوبية فلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات
في القرآن فقال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وعن انتظار ملائكة السموات لما ينزل عليهم من الأمر والقدر
فقال سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن الآية وهذه أمور لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في
العلم بعلوم لا يحتملها أفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى يتنزل الأمر بينهن فقال لو ذكرت ما أعرفه من معنى هذه
الآية لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم إنه كافر فلنقتصر على هذه القدر فقد خرج عنان الكلام من قبضة الاختيار
وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منه فلنرجع إلى مقاصد الشكر فنقول إذا رجع حقيقة الشكر إلى كون العبد مستعملاً
في إتمام حكمة الله فأشكر العباد لله أحبهم إلى الله وأقربهم إليه وأقربهم إلى الله الملائكة ولهم أيضاً ترتيب وما منا
إلا له مقام معلوم وأعلاهم في رتبة القرب اسمه إسرافيل وإنما علو درجتهم لأنهم في أنفسهم كرام بررة وقد أصلح الله
بهم الأنبياء وهم أشرف مخلوق على وجه الأرض وتلي درجتهم درجة الأنبياء فإنهم في أنفسهم أخيار وقد هدى الله
بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته وأعلاهم رتبة نبينا عليه الصلاة والسلام إذ أكمل الله به الدين وختم به النبيين ويليهم
العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فإنهم في أنفسهم صالحون وقد أصلح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد بقدر
ما أصلح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم ولأجل
اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا عليه الصلاة والسلام كان أفضل من سائر الأنبياء فإنه أكمل الله به صلاح
دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الأنبياء ثم يلي العلماء والسلاطين الصالحون الذين أصلحوا أنفسهم فقط فلم
يتم حكمة الله بهم إلا فيهم ومن عدا هؤلاء فهمج رعاع واعلم أن السلطان به قوام الدين فلا ينبغي أن يستحقر وإن كان
ظالماً فاسقاً قال عمرو بن العاص إمام غشوم خير من فتنة تدوم وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم أمراء
يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساؤوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وقال
سهل من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل
وسئل أي الناس خير فقال السلطان فقيل كنا نرى أن شر الناس السلطان فقال مهلاً إن لله كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة
أموال المسلمين ونظرة إلى سلامة أبدانهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنوبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة
على أبوابهم خير من سبعين قاصاً يقصون **الركن الثاني من أركان الشكر ما عليه الشكر** وهو

النعم ولنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فإن إحصاء نعم الله
على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم أموراً كلية تجري مجرى
القوانين في معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الآحاد **بيان حقيقة النعمة وأقسامها** اعلم أن كل خير ولذة
وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الأخروية وتسمية ما عداها نعمة
وسعادة إما غلط وإما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض وقد
يكون اسم النعمة للشيء صدقاً ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى
سعادة الآخرة ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو بوسائط فإن تسميته نعمة صحيحة وصدق لأجل أنه يفضي
إلى النعمة الحقيقية والأسباب المعينة واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات **القسمة الأولى** أن
الأمور كلها بالإضافة إلينا تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعاً كالعلم وحسن الخلق وإلى ما هو ضار فيهما
جميعاً كالجهل وسوء الخلق وإلى ما ينفع في الحال ويضر في المآل كالتلذذ باتباع الشهوات وإلى ما يضر في الحال
ويؤلم ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والمآل جميعاً هو النعمة تحقيقاً كالعلم وحسن
الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقاً وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي الأبصار
وتظنه الجهال نعمة ومثاله الجائع إذا وجد عسلاً فيه سم فإنه يعده نعمة إن كان جاهلاً وإذا علم ذلك علم أن ذلك بلاء
سيق إليه والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الألباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه
إلا أنه شاف من الأمراض والأسقام وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل إذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده
نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه إليه ويهيئ له أسبابه فلذلك تمنع الأم ولدها من الحجامة والأب يدعوه إليها فإن الأب لكمال
عقله يلحظ العاقبة والأم لفرط حبها وقصور عقلها تلحظ الحال والصبي لجهله يتقلد منة من أمه دون أبيه ويأنس إليها
وإلى شفقتها ويقدر الأب عدواً له ولو عقل لعلم أن الأم عدو باطن في صورة صديق لأن منعها إياه من الحجامة
يسوقه إلى أمراض وآلام أشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل إنسان فإنه صديق نفسه ولكنه صديق
جاهل فلذلك تعمل به ما لا يعمل به العدو **قسمة ثانية** اعلم أن الأسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها
فقل ما يصفو خيرها كالمال والأهل والولد والأقارب والجاه وسائر الأسباب ولكن تنقسم إلى ما نفعه أكثر من
ضره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الأسباب وإلى ما ضره أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير و
الجاه الواسع وإلى ما يكافئ ضرره نفعه وهذه أمور تختلف بالأشخاص فرب إنسان صالح ينتفع بالمال الكثير
فينفقه في سبيل الله ويصرفه إلى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه ورب إنسان يستضر بالقليل أيضاً إذ لا يزال
مستصغراً له شاكياً من ربه طالباً للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه **القسمة الثالثة** اعلم أن
الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى ما هي مؤثرة لذاتها وإلى ما هي مؤثرة لغيرها وإلى ما هي مؤثرة لذاتها ولغيرها فالأول
ما يؤثر لذاته لا لغيره كلذة النظر إلى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الآخرة التي لا انقضاء لها فإنها
لا تطلب ليتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها والثاني ما يقصد لغيره ولا غرض أصلاً
في ذاته كالدراهم والدنانير فإن الحاجات لو كانت لا تنقضي بها لكانت هي والحصى بمثابة واحدة ولكن لما كانت
وسيلة إلى اللذات سريعة الإيصال إليها صارت عند الجهال محبوبة في نفسها حتى أنهم يجمعونها ويكنزونها و
يتعاملون عليها بالربا ويظنون أنها مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصاً فيحب بسببه رسوله الذي يجمع
بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول محبة الأصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولاً بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده
وهو غاية الجهل والضلال والثالث ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فإنها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر

الموصلين الى لقاء الله وليتوصل بهما الى استيفاء اللذات الدنيوية ويقصد ايضاً لذاتهما فان الانسان وان استغنى عن
الشيء الذي يراد سلامة الرجل لاجله فيريد ايضاً سلامة الرجل من حيث انها سلامة فاذاً المؤثر لذاته فقط هو
الخير والنعمة تحقيقاً وما يؤثر لذاته ولغيره ولكن دون الاول فاما ما لا يؤثر الا لغيره كالنقدين فلا يوصفان
في انفسهما من حيث هما جوهران بانهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد امراً ليس يمكن ان يتوصل
اليه الا بهما ولو كان مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر
فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما اشغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان
نعمة **القسمة الرابعة** اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى نافع وجميل ولذيذ فاللذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال
والنافع هو الذي يفيد في المآل والجميل هو الذي يستحسن في سائر الاحوال ويقابلها الضار والقبيح والمؤلم وكل واحد من القسمين
ضربان مطلق ومقيد فالمطلق هو الذي اجتمعت فيه الاوصاف الثلاثة اما في الخير فكالعلم والحكمة واما في الشر فانهما
نافعة وجميلة ولذيذة عند اهل العلم والحكمة واما في الشر فكالجهل فانه ضار وقبيح ومؤلم وانما يحس الجاهل بالم جهله
اذا عرف انه جاهل بان يرى غيره عالماً ويرى نفسه جاهلاً فيدرك الم النقص فينبعث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد يمنعه
الحسد والكبر والشهوات الدنيوية عن التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم المه فانه ان ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان و
ان اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات او بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم والضرب الثاني
مقيد وهو الذي جمع بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع الاصبع المتآكلة والسلعة الخارجة من البدن
ورب نافع قبيح كالحمق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع وقد قيل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في
الحال الى ان يجيء وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كالقاء المال في البحر عند خوف الغرق فانه ضار
للمال نافع للنفس في نجاتها والنافع قسمان ضروري كالايمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الآخرة واعني بهما العلم
والعمل اذ لا يقوم مقامهما غيرهما البتة والى ما لا يكون ضرورياً كالسكنجبين مثلاً في تسكين الصفراء فانه قد يمكن تسكينها
بما يقوم مقامه **القسمة الخامسة** اعلم ان النعمة يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه بها
ومشاركته لغيره ثلاثة انواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات اما العقلية
فكلذة العلم والحكمة اذ ليس يستلذها السمع والبصر ولا الشم ولا الذوق ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذها القلب لاختصاصها
بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه اقل اللذات وجوداً وهي اشرفها اما قلتها فلان العلم لا يستلذه الا عالم والحكمة لا يستلذها
الا حكيم فما اقل اهل العلم والحكمة وما اكثر المتشبهين بالاسم والمترسمين برسومهم واما شرفها
فلانها لازمة لا تزول ابداً لا في الدنيا ولا في الآخرة ودائمة لا تمل والطعام يشبع منه فيمل وشهوة الوقاع
يفرغ منها فيستثقل ومن قدر على الشريف الباقي ابد الآباد اذا رضي بالخسيس الفاني في اقرب الآماد فهو مصاب
في عقله محروم بشقاوته وادباره واقل امر فيه ان العلم والعقل لا يحتاج الى اعوان وحفظة بخلاف المال اذ العلم
يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالانفاق والمال يسرق والولاية يعزل عنها والعلم
لا تمتد اليه ايدي السراق بالاخذ ولا ايدي السلاطين بالعزل فيكون صاحبه في روح الامن والامان ابداً و
صاحب المال والجاه في كرب الخوف ابداً ثم العلم نافع لذيذ وجميل في كل حال قائد الى الخير ومنجي من الشر والمال
تارة يجذب الى الهلاك وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله المال في القرآن في مواضع وان سماه خيراً في
مواضع ولان العلم والحكمة من مواريث الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الانبياء
لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وانما ورثوا العلم فمن اخذ به اخذ بحظ وافر والمال من مواريث الفراعنة والكفار فكم
بين الميراثين واما قصور اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق فمن لم يذقه لم يعرفه ولم يشتق اليه اذ الشوق

يتبع الذوق واما لفساد امزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل
ويراه مراً واما لقصور فطرتهم اذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل
والطيور السمان ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل على انها ليست لذيذة ولا استطابته اللبن تدل على انه الذ الاشياء
والقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة اما من لم يحي بعد باطنه كالطفل واما من مات بعد الحيوة باتباع الشهوات
واما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى في قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول وقوله تعالى لينذر من كان حياً اشارة
الى حي حيوة باطنة وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وان كان عند الجهال من الاحياء ولذلك كان الشهداء
احياء عند ربهم يرزقون فرحين وان كانوا موتى بالابدان الثانية لذة يشارك بها الانسان بعض الحيوانات كلذة الرياسة و
الغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات الثالثة ما يشارك به سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج
وهذه اكثرها وجوداً وهي اخسها ولذلك اشترك فيها كل ما دب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة
تشبث بلذة الغلبة وهي اشدها التصاقاً بالمتغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الرتبة الثالثة فصار اغلب اللذات
عليه لذة العلم والحكمة لا سيما لذة معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج استيلاء
حب الرياسة من القلب ولهذا قيل آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة واما شهوة البطن والفرج فكسرها مما يقوى
عليه الصالحون وشهوة الرياسة لا يقدر على قهرها الا الصديقون فاما قمعها بالكلية حتى لا يقع بها الاحساس
على الدوام وفي اختلاف الاحوال العارضة فيشبه ان يكون خارجاً عن مقدور البشر نعم تغلب لذة معرفة الله في
احوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياسة والغلبة ولكن لا يدوم طول العمر بل يعتريه الفترات فيعود اليه
الصفات البشرية فيكون موجودة لكن يكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند ذلك
ينقسم القلوب الى اربعة اقسام قلب لا يحب الا الله ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدري
ما لذة المعرفة وما معنى الانس بالله وانما لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب اغلب
احواله الانس بالله والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتريه في بعض الاحوال الرجوع الى الاوصاف البشرية وقلب
اغلب احواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتريه في بعض الاحوال التلذذ بالعلم والمعرفة اما الاول فان كان ممكناً في الوجود
فهو في غاية البعد واما الثاني فالدنيا طافحة به واما الثالث والرابع فموجود ولكن على غاية الندور ولا يتصور الا ان يكون
نادراً وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة وانما يكون كثرته في الاعصار القريبة من اعصار الانبياء فلا
يزال يزداد العهد طولاً ويزداد مثل هذه القلوب قلة الى ان يقرب الساعة ويقضي الله امراً كان مفعولاً وانما وجب
ان يكون هذا نادراً لانه مبادي ملك الآخرة والملك عزيز وكما لا يكون الفائق في الملك والجمال الا نادراً واكثر الناس من
دونهم فكذا في ملك الآخرة فان الدنيا مرآة الآخرة فانها عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب وعالم الشهادة
تابع لعالم الغيب كما ان الصورة التي في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة والصورة التي كانت في المرآة وان كانت
هي الثانية في رتبة الوجود فانها اولى في حق رؤيتك فانك لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة اولاً فتعرف بها
صورتك ثانياً على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعاً في حق المعرفة وانقلب المتأخر متقدماً وهذا نوع من الانعكاس
ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة محاك لعالم الغيب والملكوت فمن الناس من يتيسر له
الانظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك الا ويعبر به الى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد امر الخلق به فقال فاعتبروا يا اولي
الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وسيفتح الى حبسه ابواب جهنم وهذا الحبس مملوء ناراً شأنها ان
تطلع على الافئدة الا ان بينه وبين ادراك المها حجاباً فاذا رفع الحجاب بالموت ادركه وعن هذا اظهر الله الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا
الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجحيم تدرك مرة بادراك يسمى علم اليقين ومرة بادراك يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون الا في الآخرة وعلم اليقين

ثم لا يكون في الدنيا ولكن للذين وفر حظهم من نور اليقين ولذلك قال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم اي
في الدنيا ثم لترونها عين اليقين اي في الاخرة فاذا قد ظهر ان القلب الصالح لملك الاخرة لا يكون الا عزيزا
كالشخص الصالح لملك الدنيا الفصل السادس الحاوي لمجامع النعم اعلم ان النعم تنقسم الى ما هي غاية مطلوبة لذاتها
والى ما هو مطلوب لاجل الغاية اما الغاية فانها سعادة الاخرة ويرجع حاصلها الى اربعة امور بقاء لا فناء له
وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل فيه وغنى لا فقر معه وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لا عيش
الا عيش الاخرة وقال ذلك مرة في الشدة تسلية للنفس وذلك في وقت حفر الخندق في شدة الضر وقال ذلك مرة في
السرور منعا للنفس من الركون الى الدنيا وسرورها وذلك عند احداق الناس به في حجة الوداع وقال رجل اللهم اني اسألك
تمام النعمة فقال عليه الصلوة والسلام هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة واما الوسائل فتنقسم الى الاقرب
الاخص كفضائل النفس والى ما يليه في القرب كفضائل البدن والى ما يليه في القرب ويجاوز الى غير البدن كالاسباب
المطيفة بالبدن من المال والاهل والعشيرة والى ما يجمع بين هذه الاسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس
كالتوفيق والهداية فهي اذا اربعة انواع النوع الاول وهو الاخص الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب
اطرافها الى الايمان وحسن الخلق وينقسم الايمان الى علم المكاشفة وهو العلم بالله وصفاته وملائكته ورسله والى
علوم المعاملة وحسن الخلق ينقسم الى قسمين ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه العفة ومراعاة العدل في الكف عن
مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يمتنع اصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون اقدامه واحجامه بالميزان العدل الذي انزله
تعالى على لسان رسوله عليه الصلوة والسلام اذ قال تعالى ان لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان
فمن خصى نفسه لترك شهوة النكاح او ترك النكاح مع القدرة والامن من الافات او ترك الاكل حتى ضعف عن
العبادة والذكر والفكر فقد اخسر الميزان ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان وانما العدل ان يخلو
وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعتدل به كفتا الميزان فاذا الفضائل الخاصة بالنفس المقربة الى الله تعالى اربع
علم المكاشفة وعلم المعاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا في غالب الامر الا بالنوع الثاني وهو الفضائل البدنية وهي اربع الصحة و
القوة والجمال وطول العمر ولا تتهيأ هذه الامور الاربعة الا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي
اربع المال والجاه والاهل وكرم العشيرة ولا ينتفع بشيء من هذه الاسباب الخارجة والبدنية الا بالنوع الرابع وهي الاسباب
التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية وهي اربع هداية الله ورشده وتسديده وتأييده فمجموع هذه النعم
ستة عشر اذ قسمناها الى اربعة وقسمنا كل واحد الى اربع وهذه الجملة يحتاج بعضها الى بعض اما حاجة ضرورية او نافعة
اما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الاخرة الى الايمان وحسن الخلق اذ لا سبيل الى الوصول الى سعادة الاخرة
الا بهما فليس للانسان الا ما سعى وليس لاحد في الاخرة الا ما تزود من الدنيا وكذلك حاجة الفضائل النفسية بكسب
العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن ضروري واما الحاجة النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية الى
النعم الخارجة مثل المال والعز والاهل فان ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل الى بعض هذه النعم الداخلة فان قلت فما
وجه الحاجة لطريق الاخرة الى النعم الخارجة من المال والاهل والجاه والعشيرة فاعلم ان هذه الاسباب جارية
مجرى الجناح المبلغ والالة المسهلة للمقصود اما المال فالفقير في طلب العلم والكمال وليس معه كفاية كساع الى
الهيجاء بغير سلاح وكباز يروم الصيد بغير جناح ولذلك قال عليه الصلوة والسلام نعم المعين المال الصالح للرجل
الصالح وقال صلى الله عليه وسلم نعم العون على تقوى الله المال وكيف لا ومن عدم المال صار مستغرق الاوقات في
طلب القوت وتهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لانواع من الاذى تشغله عن الذكر والفكر
لا يندفع الا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم فضيلة الحج والزكوة والصدقات وافاضة الخيرات وقد قال بعض الحكماء

وقد قيل انما النعيم فقال الغنى فاني رأيت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال الامن فاني رأيت الخائف لا عيش له
قيل زدنا قال العافية فاني رأيت المريض لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فاني رأيت الهرم لا عيش له وكان ما ذكره
اشارة الى نعيم الدنيا ولكنه من حيث انه معين على الاخرة فهو نعمة ولذلك قال عليه الصلوة والسلام من اصبح امنا في
سربه معافى في بدنه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها واما الاهل والولد الصالح فلا يخفى وجه
الحاجة اليهما اذ قال عليه الصلوة والسلام نعم العون على الدين المرأة الصالحة وقال في الولد اذا مات الرجل انقطع عمله الا من
ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث وقد ذكرنا فوائد الاهل والولد في كتاب النكاح واما الاقارب فمهما كثر اولاد
الرجل واقاربه كانوا له مثل الاعين والايدي فيتيسر له بسببهم من الامور الدنيوية المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال
شغله وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين على الدين فهو اذا نعمة واما العز والجاه فبه يدفع الانسان
عن نفسه الذل والضيم ولا يستغني عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل
قلبه وقلبه رأس ماله وانما يندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان وقال تعالى ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الا ملك القلوب كما لا معنى للغنى الا ملك الدراهم ومن ملك القلوب
تسخرت له ارباب القلوب لدفع الاذى عنه فكما يحتاج الانسان الى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع البرد وكلب يدفع الذئب
عن ماشيته فيحتاج ايضا الى من يدفع الشر عن نفسه وعلى هذا القصد كان الانبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون
السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائنهم والاستئثار والاستكثار في الدنيا
بما تحتهم ولا يظنن ان نعمة الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث نصره واكمل دينه واظهره على جميع اعدائه ومكن له في القلوب
حتى انتشر به عزه وجاهه كانت اقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة فان قلت كرم العشيرة
وشرف الاهل من النعم ام لا اقول نعم ولذلك قال عليه الصلوة والسلام الائمة من قريش ولذلك كان عليه الصلوة والسلام من اكرم ارومة
في نسب آدم عليه السلام ولذلك قال عليه الصلوة والسلام تخيروا لنطفكم وقال عليه الصلوة والسلام اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء
الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء فهذا ايضا من النعم ولسنا نعني به الانتساب الى الظلمة وارباب الدنيا بل الا
الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ائمة العلماء والصالحين والابرار المتوسمين بالعلم والعمل فان قلت فما معنى الفضائل
البدنية فنقول لا خفاء بشدة الحاجة الى الصحة والقوة والى طول العمر اذ لا يتم علم وعمل الا بهما ولذلك قال عليه الصلوة والسلام افضل
السعادات طول العمر في طاعة الله وانما يستحقر من جملتها امر الجمال فيقال يكفي ان يكون البدن سليما من الامراض الشاغلة عن تحري
الخيرات ولعمري الجمال قليل الغناء ولكنه من الخيرات ايضا اما في الدنيا فلا يخفى نفعه واما في الاخرة فمن جهتين احدهما ان القبيح
مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل الى الاجابة اقرب وجاهه في الصدور اوسع وكانه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه
اذ هو نوع قدرة اذ يقدر الجميل على تنجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء الحاجات في الدنيا فمعين على الاخرة بواسطتها
والثاني ان الجمال في الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تادى الى ظاهر البدن كثيرا ما يتلازمان ولذلك
عول اصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيآت البدن وقالوا العين والوجه مرآة الباطن ولذلك يظهر فيه اثر الغضب والسرور
والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان ما في النفس وقيل ما في الارض قبيح الا ووجهه احسن ما فيه واستعرض المأمون جيشا فعرض
عليه رجل قبيح فاستنطقه فاذا هو الكن فاسقط اسمه من الديوان وقال الروح اذا اشرقت على الظاهر فصباحة او على الباطن
ففصاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال عليه الصلوة والسلام اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال عمر اذا بعثتم رسولا فاطلبوه
حسن الوجه حسن الاسم وقال الفقهاء اذا تساوت درجات المصلين فاحسنهم وجها اولاهم بالامامة وقال تعالى ممتنا بذلك وزاده
بسطة في العلم والجسم ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك انوثة وانما نعني به ارتفاع القامة على الاستقامة
مع الاعتدال في اللحم وتناسب الاعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليه فان قلت فقد ادخلت المال والجاه

والنسب والاهل والولد فى خير النعم وقد ذم الله المال والجاه وكذا رسوله صلى الله عليه وسلم وكذلك العلماء وقال تعالى
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال على رضى الله عنه فى ذم النسب الناس
ابناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بابيه فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا فاعلم
ان من يأخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المأولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه اغلب ما لم يهتد بنور الله الى
ادراك الامور على ما هو عليه ثم ينزل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة والتخصيص اخرى فهذه نعم معينة على امر الآخرة
لا سبيل الى جحدها الا ان فيها فتنة ومخاوف فمثال المال مثال الحية التى فيها ترياق نافع وسم ناقع فان اصابها المعزم الذى
يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة وان اصابها السوادى الغر فهو عليه هلاك
وبلاء وهو مثل البحر الذى تحته اصناف الجواهر واللآلى فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق الغوص
وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمة وان خاضه جاهلا بذلك فقد هلك ولذلك مدح الله
تعالى المال وسماه خيرا وكذلك مدحه النبى صلى الله عليه وسلم فقال نعم العون على تقوى الله المال وكذلك
مدح الله الجاه والعز اذ منّ الله على رسوله ان اظهره على الدين كله وحببه فى قلوب الخلق وهو المعنى بالجاه و
لكن المنقول فى مدحهما قليل والمنقول فى ذم المال والجاه كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه اذ الرياء مقصوده
اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وانما كثر هذا وقل ذاك لان الناس اكثرهم جهال بطريق الرقية
المال وطريق الغوص فى بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول الى ترياقه ويهلكهم تمساح
بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانا فى اعيانهما مذمومين بالاضافة الى كل احد لما تصور ان ينضاف
الى النبوة الملك كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكما انضاف اليه الغنى كما كان لسليمن على نبينا وعليه
الصلوة والسلام فالناس كلهم صبيان والاموال حيات والانبياء والعارفون معزمون وقد يضر
الصبى ما لا يضر المعزم نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه واصلاحه وقد وجد حية وعلم انه لو اخذها
لاجل ترياقها لاقتدى به ولده واخذ الحية اذا رآها ليلعب بها فيهلك فله غرض فى الترياق وله غرض فى
حفظ الولد فواجب عليه ان يزن غرضه فى الترياق بغرضه فى حفظ الولد فان كان يقدر على الصبر عن الترياق
ولا يستضر بفقده ضررا كبيرا ولو اخذها لاخذها الصبى وعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه ان يهرب من الحية اذا
رآها ويشير على الصبى بالهرب ويقبح صورتها فى عينه ويعرفه ان فيها سما قاتلا لا ينجو منه احد ولا يحدثه اصلا
بما فيها من نفع الترياق فان ذلك ربما يغره فيتقدم عليه من غير تمام المعرفة وكذلك الغواص لو علم انه لو غاص
فى البحر بمرأى من ولده لاتبعه وهلك فواجب عليه ان يحذر الصبى ساحل البحر والنهر فان كان لا ينزجر الصبى بمجرد
الزجر مهما رأى اباه يحوم حول الساحل فواجب عليه ان يبعد من الساحل مع الصبى ولا يقرب منه بين يديه فكذلك
الامة فى حجر الانبياء عليهم الصلوة والسلام كالصبيان الاغبياء ولذلك قال عليه الصلوة والسلام انما انا لكم
مثل الوالد لولده وقال انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا آخذ بحجزكم وحظهم الاوفر فى حفظ اولادهم
عن المهالك فانهم لم يبعثوا الا لذلك فليس لهم حظ فى المال الا بقدر القوت فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما
فضل لم يمسكوه بل انفقوه فان الانفاق فيه الترياق وفى الامساك السم ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا
فيه لمالوا الى الامساك ورغبوا عن ترياق الانفاق فلذلك قبحت الاموال والمعنى به تقبيح امساكها والحرص عليه
للاستكثار منها والتوسع فى نعيمها بما يوجب الركون الى الدنيا ولذاتها فاما اخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل
الى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر ان لا يحمل الا بقدر زاده فى السفر اذا صمم العزم على ان يختص به فاما اذا
انسحت نفسه باطعام الطعام وتوسيع الزاد على الفقراء فلا بأس بالاكثار وقوله عليه الصلوة والسلام ليكن بلاغ

احدكم من الدنيا كزاد الراكب معناه لانفسكم خاصة والا فقد كان ممن يروى هذا الحديث ويعمل به من يأخذ
مائة الف درهم ويفرقها فى موضع ولا يمسك منها حبة ولما ذكر صلى الله عليه وسلم ان الاغنياء لا يدخلون الجنة الا
بشدة استأذنه عبد الرحمن بن عوف فى ان يخرج من جميع ما يملكه فاذن له فنزل جبريل فقال مره بان يطعم
المسكين ويكسو العارى ويقرى الضيف الحديث فاذن النعم الدنياوية مشوبة قد امتزج داؤها بدوائها و
مرجوها بمخوفها ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله ان يقرب منها متقيا داءها ومستخرجا دواءها ومن لا
فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار فلا يعدل بالسلامة شيئا فى حق هؤلاء وهم الخلق كلهم الا
من عصمه الله وهداه لطريقه فان قلت فما معنى النعم التوفيقية الراجعة الى الهداية والرشد والتسديد و
التأييد فاعلم ان التوفيق لا يستغنى عنه احد وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين ارادة العبد و
بين قضاء الله تعالى وقدره وهذا يشمل الشر والخير وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة
بتخصيص الاسم بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله وقدره كما ان الالحاد عبارة عن الميل فخصص بمن
يميل الى الباطل عن الحق وكذلك الارتداد ولا خفاء بالحاجة الى التوفيق ولذلك قيل اذا لم يكن عون
من الله للفتى فاكثر ما يجنى عليه اجتهاده واما الهداية فلا سبيل لاحد الى طلب السعادة الا بها لان داعية
الانسان قد تكون مائلة الى ما فيه صلاح آخرته ولكن اذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا
فمن اين ينفعه مجرد الارادة فلا فائدة فى الارادة والاسباب الا بعد الهداية ولذلك قال ربنا الذى
اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله
يزكى من يشاء وقال عليه الصلوة والسلام ما من احد يدخل الجنة الا برحمة الله اى بهدايته فقيل ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا وللهداية ثلاث منازل الاول معرفة طريق الخير والشر المشار اليه بقوله
تعالى وهديناه النجدين وقد انعم الله به على كافة عباده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ولذلك
قال تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاسباب الهدى هى الكتب والرسل وبصائر
العقول وهى مبذولة فلا يمنع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التى تعمى القلوب وان كانت
لا تعمى الابصار ومن جملة المعميات الالف والعادة وحب استصحابهما وعنه العبارة بقوله انا وجدنا
آباءنا على امة وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقوله ابشرا
منا واحدا نتبعه فهذه المعميات هى التى منعت الاهتداء والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة و
هى التى يمد الله بها العبد حالا بعد حال وهى ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم والهداية الثالثة وراء الثانية وهى النور الذى يشرق
فى عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدى بها الى ما لا يهتدى اليه بالعقل الذى يحصل به التكليف وما
عداه من العلوم فهو الذى شرفه الله تعالى بتخصيص الاضافة اليه وان كان الكل من جهته فقال تعالى قل ان هدى الله
هو الهدى وهو المسمى حيوة فى قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس والمعنى بقوله تعالى افمن
شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه واما الرشد فنعنى به العناية الالهية التى تعين الانسان عند توجهه الى
مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ولقد آتينا ابرهيم رشده
من قبل فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة محركة اليها فالصبى اذا بلغ خبيرا بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء
ولكن مع ذلك يبذر ولا يريد الاستنماء لا يسمى رشيدا لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما
يعلم انه يضره فقد اعطى الهداية وميز بها عن الجاهل الذى لا يدرى انه يضره ولكن ما اعطى الرشد فالرشد بهذا الاعتبار اكمل

من مجرد الهداية الى وجوه الاعمال وهو نعمة عظيمة واما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب وتيسيرها عليه
ليشتد في صوب الصواب في اسرع وقت فان الهداية بمجردها لا تكفي بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي الرشد والرشد
لا يكفي بل لا بد من تيسير الحركات بمساعدة الاعضاء والآلات حتى يتم المراد مما انبعث الداعية اليه فالهداية محض
التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك والتسديد اعانة ونصرة بتحريك الاعضاء في صوب السداد
واما التأييد فكانه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية امره بالبصيرة من داخل وبقوة البطش ومساعدة الاسباب
من خارج وهو المراد بقوله تعالى اذ ايدتك بروح القدس ويقرب منه العصمة وهي عبارة عن وجود الهي يسبح
في الباطن يقوى به الانسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس واياه عني بقوله تعالى
ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه فهذه هي مجامع النعم ولن يثبت الا لمن خوله الله من الفهم
الصافي الثاقب والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن
المهمات لقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفهاء وظلم الاعداء ويستدعي
كل واحد من هذه الستة عشر اسبابا الى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين وذلك رب الارباب ومسبب الاسباب
واذا كانت تلك الاسباب طويلة لا يحتمل ذكرها مثل هذا الكتاب باستقصائها فلنذكر منها الانموذج ليعلم
به معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها

بيان وجه الانموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر

اعلم انا جعلنا النعم في ستة عشر ضربا وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة
المتأخرة فهذه النعمة الواحدة لو اردنا ان نستقصي الاسباب التي بها تتم هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن الاكل
احد اسباب الصحة فلنذكر شيئا من جملة الاسباب التي بها تتم نعمة الاكل ولا يخفى ان الاكل فعل وكل فعل من هذا
النوع فهو حركة وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة على الحركة ولا بد للماكول من
اصل يحصل منه ولا بد من صانع يصلحه فلنذكر اسباب الادراك ثم اسباب الارادات ثم اسباب القدرة ثم اسباب
الماكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء اما الطرف الاول في نعم الله تعالى في خلق اسباب الادراك
اعلم ان الله تعالى خلق النبات وهو اكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والرصاص والنحاس وغيرها من الجواهر
التي لا تغتذي ولا تنمو فان النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء الى نفسه من جهة اصله وعروقه النابتة في
الارض وهي له آلات فيها يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة يغلظ اصولها
ثم تتشعب ولا تزال تستدق وتتشعب الى عروق شعرية تنبسط في اجزاء الورقة حتى تغيب عن الابصار
الا ان النبات مع هذا الكمال ناقص فانه لو اعوزه غذاء يساق اليه ومس اصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء
من موضع آخر فان الطلب انما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال اليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعم الله عليك
ان خلق لك آلة الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر الى ترتيب حكمة الله في خلق الحواس
الخمس التي هي آلة الادراك فاولها حاسة اللمس وانما خلقت لك حتى اذا مستك نار محرقة او سيف جارح
تحس به فتهرب منه وهو اول حس يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان الا وان يكون له هذا الحس لانه ان لم يحس
اصلا فليس بحيوان واقل درجات الحس ان يحس بما يلاصقه ويماسه فان الاحساس بما يبعد
منه احساس اتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فانها اذا غرز فيها
ابرة انقبضت للهرب لا كالنبات فان النبات يقطع ولا ينقبض اذ لا يحس بالقطع الا انك لو لم يخلق
لك الا هذا الحس لكنت ناقصا كالدودة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس
به فتجتذبه الى نفسك فقط فافتقرت الى حس تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم لانك تدرك به الرائحة ولكنك

لا تدري انها جاءت من اي ناحية فتحتاج الى ان تطوف كثيرا من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذي شممت رائحته وربما لم
تعثر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك الا هذا فخلق لك البصر تدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد
تلك الجهة بعينها الا انه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصا اذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر عدوا
ليس بينك وبينه حجاب وقد لا ينكشف الحجاب الا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به
الاصوات من وراء الجدران عند جريان الحركات وانك لا تدرك بالبصر الا شيئا حاضرا واما الغائب فلا يمكنك معرفته
الا بكلام ينتظم من حروف واصوات يدرك بحس السمع فاشتدت حاجتك اليه فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام
عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق اذ يصل الغذاء اليك فلا تدرك انه مخالف
لك او موافق فانك ربما تاكله فتهلك كالشجرة يصب في اصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب
جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدم دماغك ادراك آخر يسمى حسا مشتركا تتأدى اليه المحسوسات
الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الامر عليك فانك اذا اكلت شيئا اصفر مثلا فوجدته مرا مخالفا لك فتركته فاذا رأيته
مرة اخرى فلا تعرف انه مر ما لم تذقه ثانيا لولا الحس المشترك اذ العين تدرك الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف
تمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة والمرارة جميعا حتى اذا ادرك الصفرة حكم بانه مر فيمتنع عن تناوله
ثانيا وهذا كله تشاركك فيه الحيوانات اذ للشاة هذه الحواس كلها فلو لم يكن لك الا هذا لكنت ناقصا فان البهيمة يحتال عليها فتؤخذ
فلا تدري كيف تدفع الحيلة وكيف تتخلص اذا قيدت وقد تلقي نفسها في البئر ولا تدري ان ذلك يهلكها ولذلك قد تاكل البهيمة
ما تستلذه في الحال ويضرها في ثاني الحال فتمرض وتموت اذ ليس لها الا الاحساس بالحاضر فاما ادراك العواقب فلا فميزك
الله واكرمك بصفة اخرى هي اشرف من الكل وهو العقل فبه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتها وما يضره في المآل وبه تدرك
كيفية طبخ الاطعمة وتاليفها واعداد اسبابها فتنتفع بعقلك في الاكل الذي هو سبب صحتك وهو اخس فوائد العقل
واقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله ومعرفة افعاله ومعرفة الحكمة في عالمه وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس في حقك
فيكون الحواس الخمس كالجواسيس واصحاب الاخبار الموكلين بنواحي المملكة وقد وكلت واحدة منها باخبار الالوان والاخرى باخبار الاصوات
والاخرى باخبار الروائح والاخرى باخبار الطعوم والاخرى باخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها
وهذه البرد والجواسيس يقتنصون الاخبار من اقطار المملكة ويسلمونها الى الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدم
الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فياخذها وهي مختومة
اذ ليس له الا اخذها وحفظها فاما الاطلاع على ما فيها فلا ولكن اذا صادف القلب العاقل الذي هو الامير والملك
سلم الانهاءات اليه مختومة فيفتشها الملك ويطلع منها على اسرار المملكة ويحكم فيها باحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها
في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح يحرك الجنود وهي الاعضاء مرة في الطلب ومرة في الهرب
ومرة في اتمام التدبيرات التي تعن له فهذه سياقة نعم الله عليك في الادراكات ولا تظنن انا استوفيناها
فان الحواس الظاهرة هي بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت
العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها اغشية وبعض الاغشية كانها نسج العنكبوت
وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كانها بياض البيض وبعضها كانه الجمد ولكل واحدة من الطبقات
العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر او صفة
واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجزت عنه الاطباء والكحالون كلهم فهذا في حس واحد فقس به حاسة
السمع وسائر الحواس بل لا يمكن ان يستوفي حكم الله وانواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع
انه جملته لا تزيد على جوزة صغيرة فكيف ظنك بجميع البدن وسائر اعضائه وعجائبه فهذه رموز الى نعم الله

بخلق الادراكات

الطرف الثاني في اصناف النعم وخلق الارادات

اعلم انه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق اليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو انفع الاشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والادراك معطلا في حقه فاضطررت الى ان يكون لك ميل الى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك يسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضي الذي يضطرك الى التناول حتى تتناول وتغتذي فتبقى بالغذاء وهذا مما يشاركك فيه الحيوان دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن اذا اخذت مقدار الحاجة اسرفت واهلكت نفسك فخلق الله الكراهة عند الشبع لتترك الاكل بها لا كالزرع فانه لا يزال يجتذب الماء اذا انصب في اسافله حتى يفسد فيحتاج الى آدمي يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء اخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تاكل فتبقى بها ذاتك خلق فيك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى بها نسلك ولو قصصنا عليك عجائب صنع الله في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتاليف الجنين من النطفة والحيض وكيفية خلق الانثيين والعروق السالكة اليهما من الفقار الذي هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المراة من الترائب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم الى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتتشكل بشكل الاناث وكيفية ادارتها في اطوار خلقتها مضغة وعلقة وعظما ولحما ودما وكيفية قسمة اجزائها الى راس ورجل وبطن وظهر ويد وسائر الاعضاء لانقضيت من انواع نعم الله عليك في مبدا خلقك كل العجب فضلا عما تراه الآن ولكنا لسنا نريد ان نتعرض الا لنعم الله تعالى في الاكل وحده كيلا يطول الكلام فاذا شهوة الطعام احد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه تاتيك المهلكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذي تدفع به كل ما يضادك ولا يوافقك لبقيت عرضة للآفات ولاخذ منك كل ما حصلته من الغذاء فان كل احد يشتهي ما في يدك فتحتاج الى داعية في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب ثم هذا لا يكفيك اذ الشهوة والغضب لا يدعوان الا الى ما يضر وينفع في الحال اما في المآل فلا يكفي فيه هذه الارادة فخلق لك ارادة اخرى مسخرة تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرين تحت ادراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل اذ مجرد المعرفة بان هذه الشهوة مثلا يضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل الى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة افردت بها عن البهائم اكراما لبني آدم كما افردت بمعرفة العواقب وقد سمينا هذه الارادة باعثا دينيا وقد فصلناه في كتاب الصبر اوفى من هذا

الطرف الثالث في نعم الله في خلق القدرة والآلات

اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك والارادة لا معنى لها الا الميل الى الطلب والهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم يكن له آلة الطلب والهرب فكم من زمن مشتاق الى شيء بعيد عنه مدرك له ولكنه لا يمكنه ان يمشي اليه لفقد رجله او لا يمكنه ان يتناوله لفقد يده او لفلج وخدر فيها فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة ليكون تحركها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهة هربا فلذلك خلق الله لك الاعضاء التي تنظر الى ظاهرها ولا تعرف اسرارها فمنها ما هو للطلب كالرجل للانسان والجناح للطير والقوائم للدواب ومنها ما هو للدفع كالاسلحة للانسان والقرون للحيوانات وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر اعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج الى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ومنها ما خلق له اربع قوائم ومنها ما له رجلان ومنها ما يدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الاعضاء التي بها يتم الاكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول رؤيتك الطعام من بعد وحركتك اليه لا يكفي ما لم تاخذه فافتقرت الى آلة باطشة فانعم الله عليك بخلق اليدين وهما طويلتان فتمتدان الى الاشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات فتمد وتنثني اليك فلا تكون كخشبة منصوبة ثم جعل راس اليد عريضا بخلق الكف ثم قسم راس الكف بخمسة

اقسام هي الاصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الابهام في جانب ويدور على الاربعة الباقية ولو كانت مجتمعة او متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعا ان بسطتها كانت لك مجرفة وان ضممتها وثنيتها كانت مغرفة وان جمعتها كانت لك آلة القبض ثم خلق لها اظفارا واسند اليها رؤس الاصابع حتى لا تنفتت وحتى تلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تحويها الاصابع فتاخذها برؤس اظفارك ثم هب انك اخذت الطعام باليد فمن اين يكفيك هذا ما لم يصل الى المعدة وهي في الباطن فلا بد ان يكون من الظاهر دهليز اليه حتى يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذا الى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام الى المعدة ثم ان وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج الى طاحونة تطحن الطعام فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق الاضراس من العليا على السفلى لتطحن بها الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج الى الكسر وتارة يحتاج الى القطع ثم يحتاج الى الطحن بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة طواحن كالاضراس والى حادة قواطع كالرباعيات والى ما يصلح للكسر كالانياب ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الاسفل ويتاخر حتى يدور على الفك الاعلى دوران الرحى ولولاه لما تيسر الا ضرب احدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحي الاسفل متحركا حركة دورية واللحي الاعلى ثابتا لا يتحرك فانظر الى عجيب صنع الله فان كل رحى صنعه الخلق يثبت منه الحجر الاسفل ويدور الاعلى الا هذا الرحى الذي صنعه الله اذ يدور منه الاسفل على الاعلى فسبحانه ما اعظم شانه واتم برهانه واوسع امتنانه ثم هب انك وضعت الطعام في فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام الى ما تحت الاسنان وكيف تستجره الاسنان الى نفسها وكيف تنصرف باليد في داخل الفم فانظر كيف انعم الله عليك بخلق اللسان فانه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التي ترد الطعام الى الرحى هذا مع ما فيه من عجائب قوة الذوق وعجائب قوة النطق التي لسنا نطنب بذكرها ثم هب انك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع الا بان ينزلق الى الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف سخرها لهذا الامر فانك ترى الطعام من بعيد فتثور المسكرة للخدمة وينصب اللعاب حتى تتحلب اشداقك والطعام بعد بعيد منك ثم هذا الطعام المطحون المعجون من يوصله الى المعدة وهو في الفم ولا تقدر على ان تدفعه باليد ولا في المعدة يد حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هيا الله المريء والحنجرة وجعل على راسها طبقات تنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى يتقلب الطعام المنضغط فيهوي الى المعدة في دهليز المريء فاذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح ان يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل لا بد وان يطبخ طبخا تاما يتشابه اجزاؤه فخلق الله المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتنغلق عليه الابواب فلا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من الاعضاء الباطنة اذ من جانبها الايمن الكبد ومن الايسر الطحال ومن قدام الترائب ومن خلفها لحم الصلب فيتعدى الحرارة اليها من تسخين هذه الاعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعا متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه اجزائه ورقته وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله بينها وبين الكبد مجاري من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي الى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كانه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في اجزاء الكبد فينصب الطعام الدقيق الرقيق فيها وينتشر في اجزائها حتى تستولي عليه قوة الكبد فيصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الاعضاء الا ان حراره

الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد في جميع ما يطبخ احديهما
يشبه الدردي والعكر وهو الخلط السوداوي والاخرى تشبه الرغوة وهي الصفراء فلو لم
تنفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الاعضاء فخلق الله المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا
ممدودا الى الكبد داخلا في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداوي
فيبقى الدم صافيا ليس فيه الا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية ولولاه لما انتشر في تلك العروق الشعرية
ولا خرج منها متصاعدا الى الاعضاء فخلق الله الكليتين واخرج من كل واحدة عنقا طويلا الى الكبد
ومن عجائب حكمة الله ان عنقها ليس داخلا في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدبة الكبد حتى
يجذب ما فيها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد اذ لو جذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من
العروق فاذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث نقيا من كل ما يفسد الغذاء
ثم ان الله تعالى اطلع من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع اقساما وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله
من الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل الى سائر الاعضاء حتى تصير العروق
المنقسمة شعرية كعروق اوراق الاشجار بحيث لا تدرك بالابصار فيصل منها الغذاء بالرشح الى سائر الاجزاء ولو
حلت المرارة آفة فسد الدم وحصلت منه الامراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة وان حل بالطحال
آفة فلم يجذب الخلط السوداوي حدثت الامراض السوداوية كالبهق والجذام والماليخوليا وغيرها وان لم تندفع
المائية نحو الكلى حدثت منه الاستسقاء وغيره ثم انظر الى حكمة الله الفاطر الحكيم كيف رتب منافع على هذه الفضلات
الثلاث الخسيسة اما المرارة فانها تجذب باحد عنقيها وتقذف بالعنق الآخر الى الامعاء فيحصل به في ثفل الطعام
رطوبة مزلقة ويحدث في الامعاء لذع يحركها للدفع فتنضغط حتى يندفع الثفل وتنزلق ويكون صفرته
لذلك واما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة احالة تحصل بها فيه حموضة وقبض ثم يرسل منها في كل يوم شيئا الى
فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثفل واما الكلية فانها تتغذى
بما في تلك المائية من دم وترسل الباقي الى المثانة ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعمة الله في الاسباب
التي اعدت للاكل ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد الى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضاء
الى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب الى سائر البدن التي بواسطتها يصل الروح و
كيفية انشعاب الاعصاب من الدماغ الى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق
السواكن من الكبد الى سائر البدن فبواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية تركيب الاعضاء وعدد عظامها و
عضلاتها وعروقها واوتارها ورباطاتها وغضاريفها لطال الكلام وكل ذلك محتاج اليه للاكل ولامور
اخر سواه بل في الآدمي الوف من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظ
وكثرة الانقسام وقلته ولا شيء منها الا وفيه حكمة او اثنتان او ثلاث او اربع الى عشر وزيادة وكل ذلك نعم من
الله عليك لو سكن من جملتها عرق متحرك او تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعمة الله لتقوى بها
تعد على الشكر فانك لا تعرف من نعمة الله الا الاكل وهي اخسها ثم لا تعرف منها الا انك تجوع فتأكل
والحمار ايضا يعلم انه يجوع فيأكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع ويستريح فينهق ويرمح فاذا لم تعرف انت من
نفسك الا ما يعرف الحمار فكيف تقوم بشكر نعم الله عليك وهذا الذي رمزنا اليه على الايجاز قطرة من بحر واحد
من بحار نعم الله فقط فقس على الاجمال ما اهملناه من جملة ما عرفناه حذرا من التطويل وجملة ما
عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما لم يعرفوه من نعم الله اقل من قطرة في بحر الا ان من علم شيئا من هذا ادرك

شيء من معاني قول الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله قوام هذه الاعضاء
وقوام منافعها وادراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ومستقره القلب
ويجري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي الى جزء من اجزاء البدن الا ويحدث عند وصوله
في تلك الاجزاء ما يحتاج اليه من قوة حس وادراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يدار في اطراف البيت
فلا يصل الى جزء الا ويحصل بسبب وصوله ضوء على اجزاء البيت من خلق الله واختراعه ولكنه جعل السراج سببا
بحكمته وهذا البخار اللطيف هو الذي يسميه الاطباء الروح ومحله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة
والدم الاسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة والغذاء له كالزيت والحياة الظاهرة في سائر اعضاء البدن بسببه
كضوء السراج في جملة البيت وكما ان السراج اذا انقطع زيته انطفى فسراج الروح ايضا ينطفي مهما انقطع غذاؤه
وكما ان الفتيلة قد تحترق وتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفي السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذي
تشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفي مع وجود الغذاء فانه لا يقبل الغذاء الذي
يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث النار به وكما ان السراج تارة ينطفي بسبب من داخله كما
ذكرناه وتارة بسبب خارج كريح عاصفة فكذلك الروح تارة ينطفي بسبب من داخل وهو الامراض وتارة
ينطفي بسبب من خارج وهو القتل وكما ان انطفاء السراج بنفاد الزيت او بفساد الفتيلة او بريح عاصفة او
باطفاء انسان لا يكون الا باسباب مقدرة في علم الله مرتبة وكل ذلك يكون بقدر فكذلك انطفاء الروح وكما ان
انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك اجله الذي اجل له في ام الكتاب فكذلك انطفاء الروح و
ان السراج اذا انطفى اظلم البيت كله فالروح اذا انطفى اظلم البدن كله وفارقته انواره التي كانت تستفيدها من
الروح وهي انوار الاحساسات والقدر والارادات وسائر ما يجمعها معنى لفظ الحياة فهذا ايضا رمز
وجيز الى عالم آخر من عوالم نعم الله وعجائب صنعته وحكمته ليعلم انه لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان
تنفد كلماته فتعسا لمن كفر بالله تعسا وسحقا لمن كفر نعمته سحقا فان قلت فقد وصفت الروح وشبهته
ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح فلم يزد على ان قال الروح من امر ربي فلم يصفه لهم على هذا الوجه
فاعلم ان هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح يطلق لمعان كثيرة لا نطول بذكرها ونحن
انما وصفنا ان جملة جسما لطيفا يسميه الاطباء روحا وقد عرفوه بصفته ووجوده وكيفية سريانه في الاعضاء
وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضاء به حتى اذا خدر بعض تلك الاعضاء علموا ان ذلك لوقوع
سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الاعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما
يفتح السدة فان هذا الجسم بلطفه ينفذ في مشابك العصب وبواسطته يتأدى من القلب الى سائر الاعضاء
وما يرتقي اليه معرفة الاطباء فامره سهل نازل واما الروح التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت فسد سائر
الجسد فذلك سر من اسرار الله لم يصفه ولا رخصة في وصفه الا بان يقال هو امر رباني كما قال الله تعالى قل الروح
من امر ربي والامور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل تتحير فيه عقول اكثر الخلق واما الاوهام والخيالات
فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن ادراك الاصوات وتتزلزل في ذكر مبادي وصفها معاقد العقول
المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقها فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل بنور آخر اعلى واشرف من
العقل يشرق ذلك النور في عالم النبوة والولاية ونسبته الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله
الخلق اطوارا فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لان ذلك طور لم يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ
المعقولات ولا يدرك ما وراءها لان ذلك طور لم يبلغه بعد وانه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ

حجابا للحق بنور الايمان واليقين وذلك المشرب العذب اعز من ان يكون مشرعة لكل وارد بل لا يطلع عليه الا واحد
بعد واحد وحجاب الحق صدود وفي مقدمته الصد مجال وميدان رحب وعلى اول الميدان عتبة هي مستقر ذلك
الامر الرباني فمن لم يكن له على العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال ان يصل الى الميدان فكيف بالانتهاء
الى ما وراءها من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وانى يصادف هذا في خزانة الاطباء
ومن اين للطبيب ان يلاحظ بل المعنى المسمى روحا عند الطبيب بالاضافة الى هذا الامر الرباني كالكرة التي
يحركها صولجان الملك بالاضافة الى الملك فمن عرف الروح الطبي فظن انه ادرك الامر الرباني كان كمن راى الكرة
فظن انه راى الملك ولا شك في ان خطاءه فاحش وهذا الخطا الفحش منه جدا ولما كانت العقول التي يحصل بها
التكليف وبها يدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر لم ياذن الله لرسوله ان يتحدث عنه بل
امره ان يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله في كتابه من حقيقة هذا الامر شيئا بل ذكر نسبته وفعله ولم يذكر
ذاته اما نسبته فقوله تعالى من امر ربي واما فعله فقد ذكره في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية
فلنرجع الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله في الات الاكل **الطرف الرابع في نعم
الله في الاصول** التي يحصل منها الاطعمة وتصير صالحة لان يصلحها الادمي بعد ذلك بصنعته اعلم ان
الاطعمة كثيرة ولله في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى واسباب متوالية لا تتناهى وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان
الاطعمة اما ادوية واما فواكه واما اغذية فلنأخذ الاغذية فانها الاصل ولناخذ من جملتها حبة من البر ولندع
سائر الاغذية فنقول اذا وجدت حبة او حبات فلو اكلتها فنيت وبقيت جائعا فما احوجك الى ان تنمو الحبة في
نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بجميع حاجاتك فخلق الله في حبة الحنطة من القوة ما يغتذي به كما خلق فيك فان
النبات انما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذاء لانه يغتذي بالماء ويجتذب ولسنا نطنب في ذكر
الة النبات في اجتذاب الغذاء الى نفسه ولكن نشير الى غذائه فنقول كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى
طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذي بكل شيء بل تحتاج الى شيء مخصوص بدليل انك لو تركتها في البيت لم تزد لانه
ليس يحيط بها الا الهواء ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها ولو تركتها في الماء لم تزد ولو تركتها في ارض لا ماء فيها لم تزد
بل لا بد من ارض فيها ماء يمتزج ماؤها بالارض فيصير طينا والى الاشارة بقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه انا
صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا ثم لا يكفي الماء والتراب اذ لو تركت في ارض ندية صلبة متراكمة لم
تنبت لفقد الهواء فتحتاج الى تركها في ارض رخوة متخلخلة يتغلغل الهواء اليها ثم الهواء لا يتحرك اليها بنفسه فتحتاج
الى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الارض حتى تنفذ فيها والى الاشارة بقوله تعالى وارسلنا الرياح
لواقح وانما القاحها في ايقاع الازدواج بين الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط
وشتاء شات فتحتاج الى حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج غذائك الى هذه الاربعة فانظر الى ما اذا
يحتاج كل واحد ان يحتاج الماء ليساق الى ارض الزراعة من البحار والعيون والانهار والسواقي فانظر كيف
خلق الله البحار وفجر العيون واجرى منها الانهار ثم الارض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها فانظر
كيف خلق الغيوم وكيف سلط الرياح عليها فتسوقها باذنه الى اقطار العالم وهي سحاب ثقال حوامل بالماء
ثم انظر كيف ترسله مدرارا على الارض في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال
حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجا اذ لو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي ونعم الله في
السحاب والجبال والامطار والبحار لا يمكن احصاؤها واما الحرارة فلا تحصل بين الماء والارض وكلاهما
باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد

عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها اكثر من ان يحصى ثم النبات
اذا ارتفع عن الارض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فتفتقر الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر
وجعل من خاصيته الترطيب والصبغ كما جعل من خاصية الشمس التسخين والحكم فيها اكثر من ان يحصى فهو ينضج
الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب
عليها لكانت ناقصة فاسدة حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا اظلتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بان تكشف
راسك في الليل للقمر فتغلب على راسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب راسك يرطب الفواكه بل
نقول لكل كوكب في السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخر الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن
حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصائها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا ولم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا
باطلا وقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وكما انه ليس في اعضائك عضو الا لفائدة
فليس في اعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة والعالم كله كشخص واحد وهي متفاوتة تفاوت الاعضاء بدنك في جملة
بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي ان تظن ان الايمان بان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامر الله في امور جعلت
اسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق المنجمين بل المنهي عنه امران احدهما ان تصدق بانها
فاعلة لاثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وهذا كفر والثاني تصديق المنجمين في
تفصيل ما يخبرون عنه من الاثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم احكام
النجوم كان معجزة لبعض الانبياء ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطا فاعتقاد
كون الكواكب اسبابا لاثار تحصل بخلق الله تعالى في الارض والنبات والحيوان فليس بقادح في الدين بل هو حق ولكن
دعوى العلم بتلك الاثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين وكذلك اذا كان معك ثوب غسلته وتريد ان تجففه فقال
لك غيرك اخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحمي الهواء لا يلزمك تكذيبه ولا الانكار عليه بحوالة حمي الهواء
بطلوع الشمس واذا سالت عن تغير وجه الانسان فقال قرعتني الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه
وقس بهذا سائر الاثار الا ان الاثار بعضها معلومة وبعضها مجهولة فالمجهولة لا يجوز دعوى العلم فيها والمعلومة
بعضها معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس وبعضها لبعض الناس كحصول الزكام بشروق
القمر فاذا الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولقد نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء فقرا
ربنا ما خلقت هذا باطلا الاية وقال ويل لمن قرا هذه الاية ثم مسح بها سبلته ومعناه ان يقرا ويترك التامل
والتفكر ويقتصر من فهم ملكوت السموات على ان يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما يعرفه البهائم ايضا فمن قنع منه
بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته فلله في ملكوت السموات والافاق والانفس والحيوانات والنبات عجائب يطلب
معرفتها المحبون لله فان من احب عالما فلا يزال مشغوفا بطلب تصانيفه ليزيد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له
فكذلك الامر في عجائب صنع الله فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة
قلوب عباده فان تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتاليفه بما انعم عليه من هدايته و
تسديده وتعريفه كما اذا رايت لعب المشعبذ يرقص ويتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تتعجب من اللعب فانها
خرق محركة لا متحركة ولكن تعجب من حذق المشعبذ المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الابصار فاذا المقصود ان غذاء
النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم الافلاك الا
بحركاتها ولا تتم حركاتها الا بملائكة سماوية يحركونها وكذلك تتمادى الى اسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما
اهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر اسباب غذاء النبات **الطرف الخامس في نعم الله تعالى في الاسباب الموصلة**

للاطعمة اليك اعلم ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن
دون بعض والناس منتشرون على وجه الارض وقد بعد عليهم الاطعمة ويحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر
كيف سخر الله التجار وسلط عليهم حرص المال وشهوة الربح مع انه لا يغنيهم في غالب الامر شيئا بل يجمعون فاما ان
تغرق بهم السفن واما ان تنهبها قطاع الطريق او يموتون في بعض البلاد فيأخذها السلاطين واحسن احوالهم ان يأخذها
ورثتهم وهم اشد اعدائهم لو عرفوهم فانظر كيف سلط الله عليهم الجهل والغفلة حتى انهم يقاسون الشدائد في
طلب الربح ويركبون الاخطار ويغررون بالارواح في ركوب البحار فيحملون الاطعمة وانواع الحوائج من اقصى الشرق و
الغرب اليك وانظر كيف علمهم الله صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الله الحيوانات وسخرها
للركوب والحمل في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف امدت بسرعة الحركة والى الحمار كيف
جعل صبورا على التعب وكيف يطوي المراحل تحت الاعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله بواسطة
السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا اليك الاطعمة وسائر الحوائج وتامل ما يحتاج اليه الحيوانات من اسبابها وادواتها
وعلفها وما يحتاج اليه السفن فقد خلق الله جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصاء ذلك غير ممكن و
يتمادى ذلك الى امور خارجة عن الحصر نرى تركها طلبا للايجاز **الطرف السادس في اصلاح الاطعمة** اعلم
ان الذي ينبت من الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان يقضم ويؤكل وهي كذلك بل لا بد في كل واحد من اصلاح
وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض الى امور لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام طويل و
لكن نعين رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للاكل من بعد القاء البذر في الارض
فاول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي يثير الارض والفدان وجميع اسبابه ثم بعد ذلك التعهد
بسقي الماء مدة ثم تنقية الارض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتامل عدد هذه الافعال
التي ذكرناها وما لم نذكرها وعدد الاشخاص القائمين بها وعدد الالات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغير
ذلك وانظر الى اعمال الصناع في اصلاح الات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيرهما وانظر الى حاجة الحداد الى
الحديد والرصاص وانظر كيف خلق الله الجبال والاحجار والمعادن وكيف جعل الارض قطعا متجاورات مختلفة فان
فتشت علمت ان رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح لاكلك يا مسكين ما لم يعمل عليه اكثر من الف صانع فابتدا بالملك
الذي يزجي السحاب لينزل الماء الى اخر الاعمال من جهة الملائكة حتى ينتهي النوبة الى عمل الانسان واذا استدار طلبه قريب من سبعة
الاف صانع كل صانع اصل من اصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تامل كثرة اعمال الانسان في تلك الالات حتى ان الابرة
التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها من حديدة تصلح للابرة الا بعد ان تمر على
يدي الابري خمسا وعشرين مرة يتعاطى في كل مرة عملا فلو لم يجمع الله البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت الى عمل المنجل الذي
يحصد به البر مثلا بعد نباته لنفد عمرك وعجزت عنه افلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لان يعمل
هذه الاعمال العجيبة والصنائع الغريبة فانظر الى المقراض مثلا وهما جلمان متطابقان ينطبق احدهما على الاخر فيتناولان الشيء
معا ويقطعانه بسرعة فلو لم يكشف الله طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا الى استنباط الطريق فيه بفكرنا
ثم الى استخراج الحديد من الحجر والى تحصيل الالات التي بها يعمل المقراض وعمر الواحد منا عمر نوح واوتي اكمل العقول لقصر عمره عن
استنباط الطريق في اصلاح هذه الالة وحدها فضلا عن غيرها فسبحان من الحق ذوي البصائر بالعيان وسبحان من منع
البليدين مع هذا البيان فانظر الان لو خلا بلدك عن الطحان مثلا او عن الحداد او عن الحجام الذي هو من اخس العمال او عن الحائك او
عن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الاذى وكيف يضطرب عليك امورك كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت
به مشيئته وتمت به حكمته ولنوجز القول في هذه الطبقة ايضا فان الغرض التنبيه دون الاستقصاء **الطرف السابع في اصلاح**

المصلحين اعلم ان هؤلاء الصناع المصلحين للاطعمة وغيرها لو تفرقت اراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبددوا
وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم بالبعض بل كانوا كالوحوش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف الف
الله بين قلوبهم وسلط الله الانس والمحبة عليهم ولو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم فلاجل الالف وتعارف
الارواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الاسواق والخانات وسائر
اصناف البقاع مما يطول احصاؤه ثم هذه المحبة تزول باغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففي جبلة الانسان
الغيظ والحسد والتنافس وذلك مما يؤدي الى التقاتل والتنافر فانظر كيف سلط الله السلاطين وامدهم بالقوة والعدة
والقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى اذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد حتى رتبوا اجزاء البلد
كانها اجزاء شخص واحد تتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض فرتبوا الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء
الاسواق واضطروا الخلق الى قانون العدل والزموهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز و
سائر اهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الحجام ينتفع بالحارث والحارث بالحجام وينتفع كل واحد بكل
واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلاطين وجمعهم كما يتعاون وتجمع جميع اعضاء البدن وينتفع بعضها
ببعض وانظر كيف بعث الانبياء ثم هدى العلماء حتى يصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ
العدل بين الخلق وقوانين السياسة وضبطهم وكشفوا لهم احكام الامامة والسلطنة واحكام الفقه ما اهتدوا به الى الصلاح
الدنيا فضلا عما ارشدوهم اليه من صلاح الدين وانظر كيف اصلح الله الانبياء بالملائكة وكيف اصلح الملائكة بعضهم ببعض
الى ان ينتهي الى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى فالخباز يخبز العجين والطحان يصلح الحب بالطحن
والحراث يصلح بالحصاد والحداد يصلح الات الحراثة وكذا جميع ارباب الصناعات المصلحين لالات الاطعمة والسلطان
يصلح الصانعين والانبياء يصلحون السلاطين والملائكة يصلحون الانبياء الى ان ينتهي الى الحضرة الربوبية التي
هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتاليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب
الاسباب ولولا فضله وكرمه اذ قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة
اليسيرة من نعم الله ولولا عزله ايانا عن ان نطمح بعين الطمع الى الاحاطة بكنه نعمه لتشوقنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء
ولكن عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تكلمنا فباذنه انبسطنا وان سكتنا
فبقهره انقبضنا اذ لا معطي لما منع ولا مانع لما اعطى لانا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلب
نداء الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فالحمد لله الذي ميزنا من الكفار واسمعنا هذا النداء قبل انقضاء
الاعمار **الطرف الثامن في بيان نعم الله في خلق الملائكة** لا يخفى عليك ما سبق من نعمه في خلق الملائكة
باصلاح الانبياء وهدايتهم وتبليغ الوحي اليهم ولا تظنن انهم مقتصرون في افعالهم على ذلك القدر بل طبقات
الملائكة مع كثرتها وترتب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات الارضية والسماوية وحملة العرش فانظر
كيف وكلهم الله بك فيما يرجع الى الاكل والغذاء الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية والارشاد
وغيرهما واعلم ان كل جزء من اجزاء بدنك بل من اجزاء النبات لا يغتذي الا بان يوكل به سبعة من الملائكة
هو اقله الى عشرة الى مائة الى ما وراء ذلك وبيانه ان معنى الغذاء ان يقوم جزء من الغذاء مقام جزء
وقد تلف وذلك الغذاء يصير دما في اجزاء الاعضاء ثم يصير لحما وعظما فاذا صار لحما وعظما تم اغتذاؤك
والدم واللحم اجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بانفسها ولا تتغير بانفسها ومجرد الطبع لا
يكفي في ترددها في اطوارها كما ان البر بنفسه لا يصير طحينا ثم عجينا ثم خبزا مستديرا ثم مطبوخا الا بصناع فكذلك
الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما وعروقا وعصبا الا بصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما ان الصناع في الظاهر هم

اهل البلد وقد اسبغ الله عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي ان تغفل عن النعم الباطنة فاقول لا بد من ملك
آخر يجذب الغذاء الى جوار اللحم والعظم فان الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء
في جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم او العظم او
العرق ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل من حاجة الغذاء ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب
صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى المقادير في
الالصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يبطل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه
ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء على انف الصبي ما يجمع على فخذه لكبر انفه
وبطل تجويفه وتشوهت صورته بل ينبغي ان يسوق الى الاجفان مع رقتها والى الحدقة مع صفائها والى
الافخاذ مع غلظها والى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل والا بطل حسن الصورة وربما
بعض المواضع وضعف بعض المواضع بل لو لم يراع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيط فساق الى راس الصبي وسائر بدنه ما ينمو به
الا الى احد الرجلين مثلا لبقي ذلك الرجل كما كان في حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل وعليه رجل
كانها رجل الصبي فلا ينتفع بنفسه البتة فمراعاة هذه الهندسة في القسمة مفوض الى ملك من الملائكة ولا تظنن ان الدم بطبعه
يهندس شكل نفسه فان محيل هذه الامور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول فهذه هي الملائكة الارضية وقد
شغلوا بك وانت في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك
في كل جزء من اجزائك التي لا تتجزى حتى يفتقر بعض الاجزاء كالعين والقلب الى اكثر من مائة ملك
تركنا تفصيل ذلك للايجاز والملائكة الارضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا
يحيط بكنهه الا الله ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جميعهم بالتاييد والتسديد
والهداية القدوس المهيمن المتفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموات والارض مالك الملك ذو
الجلال والاكرام والاخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والارضين واجزاء النبات والحيوانات
حتى كل قطرة من المطر وحتى كل سحاب ينجر من جانب الى جانب اكثر من ان تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد
فان قلت فهلا فوضت هذه الافعال الى ملك واحد ولم افتقر الى سبعة ملائكة والحنطة ايضا تحتاج الى
من يطحنها ثم الى من ينخلها ثانيا ثم الى من يصب الماء ثالثا ثم الى من يعجن رابعا ثم الى من يقطعها
كرات مدورة خامسا ثم الى من يرقها رغفانا عريضة سادسا ثم الى من يلصقها بالتنور سابعا ولكن قد يتولى
جميع ذلك رجل واحد يستقل به فهلا كانت اعمال الملائكة باطنا كاعمال الانس ظاهرا فاعلم ان خلقة الملائكة تخالف
خلقة الانس وما من واحد منهم الا وهو وحداني الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم الا فعل
واحد واليه الاشارة بقوله وما منا الا له مقام معلوم فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعين مرتبة
كل واحد وفعله مثال الحواس الخمس فان البصر لا يزاحم السمع في ادراك الاصوات ولا الشم يزاحمهما ولا هما
ينازعان الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش باصابع الرجل بطشا ضعيفا فتزاحم به اليد وقد تضرب
غيرك براسك فتزاحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز فان هذا
النوع من الاعوجاج والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفة
فلم يكن وحداني الفعل ولذلك ترى الانسان يطيع الله مرة ويعصيه اخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك
غير ممكن في طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون والراكع منهم راكع ابدا والساجد منهم ساجد ابدا والقائم قائم ابدا لا اختلاف

في افعالهم ولا فتور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن ان تشبه
بطاعة اطرافك لك فانك مهما جزمت الارادة بفتح الاجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة
ومعصيتك مرة بل كانه منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا باشارتك فهذا يشبه ذلك من وجه ولكن يخالفه
من وجه اذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحا واطباقا والملائكة احياء عالمون بما يعملون فاذا هذه نعمة الله
عليك في الملائكة الارضية والسماوية وحاجتك اليهم لغرض الاكل فقط دون ما عداه من الحركات والحاجات تكلما
فانا لم نطول بذكرها فهذه طبقة اخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها فكيف احادها بل
تحت مجامع الطبقات فاذا قد اسبغ الله عليك نعمه ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فترك
باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة واضمار الشر للناس الى غير ذلك من آثام القلوب هي الشكر
للنعم الباطنة وترك الاثم الظاهر بالجوارح شكر النعم الظاهرة بل اقول كل من عصى الله ولو في طرفة واحدة بان فتح جفنه مثلا
حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة الله عليه في السموات والارضين وما بينهما فان كل ما خلقه الله حتى الملائكة و
السموات من العباد قد تم به انتفاعه وان انتفع بغيره ايضا فان لله في كل طرفة بالجفن نعمتين في نفس الجفن اذ خلق تحت كل جفن
عضلات ولها اوتار ورباطات متصلة باعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن
الاسفل وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله في سوادها انه يجمع ضوء العين اذ البياض يفرق الضوء
والسواد يجمعه ونعمة الله في ترتيبها صفا واحدا ان يكون ذلك مانعا للهوام من الدبيب الى باطن العين ومتشبثا
للاقذار التي تتناثر في الهواء وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين اصلها ومع اللين قوام
نصبها وله في اشتباك الاهداب نعمة اعظم من الكل وهو ان غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق
لم يبصر فيجمع الاجفان مقدار ما تشتبك الاهداب فينظر من وراء اشباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعا
من وصول الاقذار من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم ان اصاب الحدقة غبار فقد خلق اطراف
الاجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة فيطبقها مرة او مرتين وقد انصقلت الحدقة عن الغبار
وخرجت الاقذار الى زوايا العين والاجفان والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدين فتراه على
الدوام يمسح بهما حدقته ليصقلها عن الغبار واذا تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقاره الى تطويل
يزيد على اصل هذا الكتاب ولعلنا نستانف له كتابا مقصورا عليه ان امهل الزمان وساعد التوفيق نسميه
عجائب صنع الله فلنرجع الى غرضنا فنقول فتكفر نعمة الله تعالى في الاجفان بفتح العين ولا يقوم الاجفان
الا بعين ولا العين الا براس ولا الراس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالماء والارض
والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر ولا يقوم شيء من ذلك الا بالسموات ولا السموات الا بالملائكة
فان الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط اعضاء البدن بعضها ببعض فاذا
كفر كل نعمة الله في الوجود من منتهى الثرى الى الثريا فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات
ولا جماد الا ويلعنه ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي يجتمع فيها الناس اما ان تلعنهم اذا
تفرقوا او تستغفر لهم وكذلك ورد ان العالم ليستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وان الملائكة
يلعنون العصاة في الفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها وكل ذلك اشارة الى ان العاصي بتطريفة واحدة جنى
على جميع ما في الملك والملكوت وقد اهلك نفسه الا ان يتبع السيئة حسنة تمحوها فيتبدل
اللعن بالاستغفار فعسى الله ان يتوب عليه ويتجاوز عنه واوحى الله تعالى الى ايوب على نبينا وعليه
الصلوة والسلام ما من عبد من الآدميين الا ومعه ملكان فاذا شكرني على نعمائي قال الملكان اللهم زده

نعما على نعمة فانك اهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريبا فكفى بالشاكر علوا رتبة عندي ان الشكر
شكوهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والآثار تبكي عليهم وكما عرفت ان في كل طرفة عين نعما
كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينقبض وينبسط نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب
ولو لم يخرج لهلك وبانقباضه يجمع روح الهواء الى القلب ولو سد منفسه لاحترق قلبه
بانقطاع الهواء وبرود ترويحه وهلك بل اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة قريب من الف
نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة الاف الاف نعم في كل جزء من اجزاء
بدنك بل في كل جزء من اجزاء العالم فانظر هل تتصور احصاء ذلك ام لا ولما انكشف لموسى على
نبينا وعليه الصلوة والسلام حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهي كيف اشكرك
ذلك وفي كل شعرة من جسدي نعمتان ان لينت اصلها وطمست راسها وكذلك ورد في الاثر من لم يعرف نعمة الله الا
في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع الى المطعم والملبس والمشرب فاعتبر ما سواه
من النعم به فان البصير لا يقع عينه في العالم على شيء ولا يلم خاطره بموجود الا ويتحقق ان لله فيه نعمة عليه ولنترك
الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطمع

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر

اعلم انه لم يقصر بالخلق عن شكر النعم الا الجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة الله ولا يتصور
شكر النعمة الا بعد معرفتها ثم ان عرفوا نعمة ظنوا ان الشكر عليها ان يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا ان
معنى الشكر ان يستعمل النعمة في اتمام الحكمة التي اريدت بها وهي طاعة الله فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين
المعرفتين الا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان اما الغفلة عن النعم فلها اسباب واحد اسبابها ان الناس بجهلهم لا
يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع احوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصا به فلا يعده نعمة فلا تراهم يشكرون
الله تعالى على روح الهواء ولو اخذ بمخنقهم لحظة واحدة حتى انقطع الهواء عنهم ولو حبسوا في بيت حمام فيه هواء حار
او في بئر فيه هواء ثقيل برطوبة الماء ماتوا غما فان ابتلي واحد منهم بشيء من ذلك ثم نجا فانه ربما قدر ذلك نعمة وشكرا
لله عليه وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على ان تسلب منهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الاحوال والاولى بان يشكر من
النعم في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره الا ان يعمى عينه فعند ذلك لو اعيد عليه احس به وشكره وعده
نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة عم الخلق وبذل في جميع الاحوال فلم يعده الجاهل نعمة وهذا الجاهل مثل العبد السوء
حقه ان يضرب دائما حتى اذا ترك ضربه ساعة واحدة تقلد به منه فان ترك ضربه على العموم غلبه البطر وترك
الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال الذي يتطرق اليه الاختصاص من حيث القلة والكثرة وينسون جميع نعم
الله عليهم كما شكى بعضهم فقره الى بعض ارباب البصائر واظهر شدة اغتمامه به فقال له ايسرك انك اعمى ولك عشرة الاف
درهم فقال لا فقال ايسرك انك اخرس ولك عشرة الاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اقطع اليدين والرجلين
ولك عشرون الفا فقال لا فقال ايسرك انك مجنون ولك عشرة الاف فقال لا فقال اما تستحي
ان تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين الفا وحكي ان بعض القراء اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا فرأى
في المنام كان قائلا يقول له تود انا انسيناك سورة الانعام وان لك الف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال
فسورة يوسف قال لا فقال فمعك قيمة مائة الف وانت تشكو فاصبح وقد سري عنه ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء
وفي يده كوز ماء يشربه فقال عظني فقال لو لم تعط هذه الشربة الا ببذل جميع اموالك والا بقيت عطشان فهل
تعطيه فقال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ماء فهذا يبين ان نعمة الله على العبد في شربة ماء عند العطش
اعظم من ملك الارض كلها واذا كانت الطباع مائلة الى اعتداد النعم الخاصة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر

اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولو امعن النظر في احواله رأى من الله نعمة او نعما كثيرة تخصه لا
يشاركه الناس فيها كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيها احد وذلك يعترف به كل عبد
في ثلاثة امور في العقل والخلق والعلم اما العقل فما من عبد لله الا وهو راض عن الله في عقله يعتقد انه اعقل الناس
وقل ما يسال الله العقل وان من شرف العقل ان يفرح بالخالي كما يفرح المتصف به واذا كان اعتقاده
انه اعقل الناس فالشكر واجب وان لم يكن ولكنه يعتقد انه كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كنزا تحت الارض فهو
يفرح به ويشكر عليه فان اخذ الكنز من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لانه في حقه كالباقي
واما الخلق فما من عبد الا ويرى من غيره عيوبا يكرهها واخلاقا يذمها وانما يذمها ويكرهها من حيث انه يعتقد نفسه
بريئا عنها فاذا لا ينبغي ان يشتغل بذم الغير بل ينبغي ان يشتغل بشكر الله اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق
السيء واما العلم فما من احد الا ويعرف من بواطن امور نفسه وخفايا افكاره ما هو متفرد به ولو انكشف
الغطاء حتى اطلع عليه احد لافتضح فكيف لو اطلع الناس كافة فاذا لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه احد من عباد الله فلم
لا يشكر ستر الله الجميل الذي ارسله على وجه مساويه فاظهر الجميل وستر على القبيح واخفى ذلك عن اعين الخلق وخصص
علمه به حتى لا يطلع عليه احد فهذه ثلاث من النعم خاصة يعترف بها كل عبد اما مطلقا واما في بعض الامور فلننزل عن
هذه الطبقة الى طبقة اخرى هي اعم منها قليلا فنقول ما من عبد الا وقد رزقه الله في صورته وشخصه او اخلاقه او صفاته او اهله
او ولده او مسكنه او بلده او رفيقه او اقاربه او عزه او جاهه او في سائر محابه امورا لو سلب ذلك منه واعطي ما خص
به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مؤمنا لا كافرا وحيا لا جمادا وانسانا لا بهيمة وذكرا لا انثى وصحيحا لا
مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصائص وان كان فيها عموم ايضا فان هذه الاحوال لو بدلت باضدادها لم
يرض بها بل له امور لا يبدلها باحوال الادميين ايضا وذلك اما ان يكون بحيث لا يبدله بما خص به احد من الخلق او
لا يبدله بما خص به الاكثر فاذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فاذا حاله احسن من حال غيره فان كان لا يعرف شخصا
يرتضي لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه اما على الجملة واما في امر خاص فاذا لله عليه نعمة ليست له على احد من عباده سواه وان
كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر الى عدد المغبوطين عنده فانه لا محالة يراهم اقل بالاضافة الى
غيرهم فيكون من دونه في الحال اكثر بكثير ممن هو فوقه فما باله ينظر الى من فوقه ليزدري نعمة الله على نفسه ولا ينظر الى
من دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوي دنياه بدينه اليس اذا لامته نفسه بسيئة يقارفها يعتذر اليها بان في
الفساق كثرة فينظر في الدين ابدا الى من دونه لا الى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فاذا كان حال اكثر الخلق في
الدين خيرا منه وحاله في الدنيا خير من حال اكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال عليه الصلوة والسلام من نظر في
الدنيا الى من هو دونه ونظر في الدين الى من هو فوقه كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر في الدنيا الى من فوقه وفي الدين الى من هو
دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا فاذا كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة لا سيما
من خص بالسنة والايمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والامن وغير ذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من لم يتغن
بآيات الله فلا اغناه الله وهذا اشارة الى نعمة العلم وقال صلى الله عليه وسلم ان القرآن هو الغنى الذي لا غنى بعده
ولا فقر معه وقال صلى الله عليه وسلم من آتاه الله القرآن فظن ان احدا اغنى منه فقد استهزأ بآيات الله وقال صلى
الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال كفى باليقين غنى وقال بعض السلف يقول الله تعالى ان عبدا
اغنيته عن ثلاثة لقد اتممت عليه نعمتي عن سلطان ياتيه وطبيب يداويه وعما في يد اخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال
اذا ما القوت ياتيك كذا الصحة والامن واصبحت اخا حزن فلا فارقك الحزن بل رشو العبارات و
افصح العبارات كلام افصح من نطق بالضاد حيث عبر عليه الصلوة والسلام عن هذا المعنى فقال من اصبح امنا في

سرير معافًى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم
يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلث مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله عليهم بالإيمان
الذي به وصولهم إلى النعيم المقيم والملك العظيم بل البصير ينبغي أن لا يفرح إلا بالمعرفة واليقين والإيمان بل نحن
نعلم من العلماء من لو سلم إليهم جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الأرض من الشرق إلى الغرب من أموال وأتباع وأنصار
وقيل لهم خذوه عوضًا عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم يأخذه وذلك لرجائه أن نعمة العلم تفضي به إلى قرب الله تعالى في
الآخرة بل لو قيل له لك في الآخرة ما ترجوه بكماله فخذ هذه اللذات في الدنيا عوضًا عن التذاذك بالعلم في الدنيا
وفرحك به لكان لا يأخذه لعلمه أن لذة العلم دائمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا تغصب ولا تنافس فيها وأنها صافية
لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة ومكدرة بغمها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا لذاتها بآلامها ولا فرحها بغمها هكذا
كانت إلى الآن وهكذا يكون ما بقي الزمان إذ ما خلقت لذات الدنيا إلا لتجلب بها العقول الناقصة وتخدع حتى
إذا انخدعت وتقيدت بها امتنعت عليه واستعصت كالمرأة الجميلة ظاهرها تتزين للشاب الشبق الغني حتى إذا تقيد
قلبه بها استعصت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها في عناء دائم وتعب قائم وكل ذلك لاغتراره بلذة النظر إليها في لحظة ولو
عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع العمر فهكذا وقع أرباب الدنيا في أشباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغي أن يقول
المعرض عن الدنيا يتألم بالصبر عنها فإن المقبل عليها أيضًا يتألم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها وتألم المعرض
يفضي إلى لذة في الآخرة وتألم المقبل يفضي إلى الآلام في الآخرة فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى إن تكونوا تألمون فإنهم
يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون فإذًا إنما انسد على الخلق طريق الشكر لجهلهم بضروب النعم الظاهرة و
الباطنة والخاصة والعامة فإن قلت فما علاج هذه القلوب حتى تشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر فأقول أما
القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا إليه من أصناف نعم الله العامة وأما القلوب البليدة التي لا تعد النعمة نعمة
إلا إذا خصتها أو أشعرت بالبلاء معه فسبيله أن ينظر أبدًا إلى من دونه ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية إذ كان
يحضر دار المرضى كل يوم والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع
بلاء الله عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الأمراض ويشاهد
الجناة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعذبون بأنواع العذاب ليشكر الله على عصمته من الجنايات ومن
تلك العقوبات ويشكر نعمة الأمن ويحضر المقابر فيعلم أن أحب الأشياء إلى الموتى أن يردوا إلى الدنيا
ولو يومًا واحدًا أما من عصى فليتدارك وأما من أطاع فليزد في طاعته فإن يوم القيامة يوم التغابن فالمطيع
مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما أعظم غبني إذ ضيعت بعض
الأوقات في المباحات وأما العاصي فغبنه ظاهر فإذا شاهد المقابر وعلم أن أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقي لهم من
العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر إلى ما يشتهي أهل القبور العود لأجله ليكون ذلك معرفة لنعم الله في بقية العمر بل في
الإمهال في كل نفس من الأنفاس وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف العمر إلى ما خلق العمر لأجله وهو التزود من
الدنيا للآخرة فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله فعساها تشكر ولقد كان الربيع بن خثيم مع تمام
استبصاره يستعين بهذا الطريق تأكيدًا للمعرفة فكان قد حفر في داره قبرًا وكان يضع غلًا في عنقه وينام في لحده
ثم يقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحًا ثم يقول يا ربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد ومما ينبغي
أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل يقول عليكم بملازمة
الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر وفي الخبر ما عظمت
نعمة الله على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال الله تعالى إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا

بدلا صح

ما بأنفسهم **الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر بيان اجتماع الصبر والشكر** على شيء واحد لعلك تقول ما ذكرته في النعم إشارة
إلى أن لله في كل موجود نعمة وهذا يشير إلى أن البلاء لا وجود له أصلًا فما معنى الصبر إذًا وإن كان البلاء موجودًا
فما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون أنا نشكر على البلاء فضلًا عن الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاء
وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر يستدعي ألمًا والشكر يستدعي فرحًا وهما متضادان وما معنى ما ذكرتموه من أن لله تعالى
في كل ما أوجده نعمة على عباده فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة والقول بإثبات النعمة يوجب القول
بإثبات البلاء لأنهما متضادان ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة
من كل وجه أما في الآخرة فكسعادة العبد بالنزول في جوار الله وأما في الدنيا فالإيمان وحسن الخلق وما يعين عليهما
وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه فكذلك البلاء ينقسم إلى
مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى إما مدة وإما أبدًا وأما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق
وهي التي تفضي إلى البلاء المطلق وأما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون في الدين بل
في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة أما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لأن الكفر بلاء ولا معنى
للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر وقد لا يعرف أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بها بسبب غشية أو غيره فلا
صبر عليه والعاصي يعرف أنه عاص فعليه تركه بل كل بلاء يقدر الإنسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الإنسان الماء
مع طول العطش حتى عظم ألمه فلا يؤمر بالصبر بل بإزالة الألم وإنما الصبر على ألم ليس إلى العبد إزالته فإذًا يرجع الصبر
في الدنيا إلى ما ليس ببلاء مطلق بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فإن الغناء
مثلًا يجوز أن يصير سبب هلاك الإنسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل ويقتل أولاده والصحة أيضًا كذلك فما من
نعمة من هذه النعم الدنيوية إلا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة إليه فكذلك ما من بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة و
لكن بالإضافة إلى حاله فرب عبد تكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الأرض وقال تعالى إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وقال عليه الصلاة والسلام إن الله ليحمي عبده الدنيا كما
يحمي أحدكم مريضه وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الأقسام الستة عشر سوى الإيمان وحسن الخلق
فإنها يتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون أضدادها إذًا نعمًا في حقهم إذ قد سبق أن المعرفة كمال ونعمة فإنه
صفة من صفات الله ولكن قد يكون على العبد في بعض الأمور بلاء ويكون فقده نعمة مثاله جهل الإنسان بأجله فإنه نعمة
عليه إذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش وطال غمه بذلك وكذلك جهله بما يضمره الإنسان عليه من معارفه وأقاربه نعمة
عليه إذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال ألمه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات
المذمومة من غيره نعمة عليه إذ لو عرفها أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالًا عليه في الدنيا والآخرة بل جهله بالصفات
المحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه فإنه ربما يكون وليًا لله وهو يضطر إلى إيذائه وإهانته ولو عرف وآذى كان
إثمه أعظم لا محالة فليس من آذى نبيًا أو وليًا وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف ومنها إبهام الله أمر القيامة وليلة القدر
وساعة يوم الجمعة وإبهام بعض الكبائر إذ كل ذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه
نعم الله في الجهل فكيف بالعلم وحيث قلنا إن لله نعمة في كل موجود فهو حق وذلك مطرد في حق كل أحد ولا يستثنى
منه بالظن إلا الآلام التي يخلقها الله في بعض الناس وهي أيضًا قد تكون نعمة في حق المتألم وإن لم يكن نعمة ففي حقه كالألم
الحاصل من المعصية كقطعه يد نفسه ووشمه بشرته فإنه يتألم به وهو عاص به وألم الكفار في النار أيضًا نعمة
ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم لأن مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا أن الله خلق العذاب وعذب به طائفة

إن تركه كفره وكذا لحق العاصي نعم الكافر صح

وهو بحيث صح

لم

لما عرف المتنعمون قدر نعمته لاكثر فرحهم بها فان فرح اهل الجنة انما يتضاعف اذا تفكروا في الم اهل النار الا ترى ان اهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم اليه من حيث انها عامة مبذولة ولا يشتد فرحهم بالنظر الى زينة السماء وهي احسن من كل بستان لهم في الارض يجتهدون في عمارتها ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذا قد صح ما ذكرناه من ان الله لم يخلق شيئا الا وفيه حكمة ولا خلق شيئا الا وفيه نعمة اما على جميع عباده او على بعضهم فاذا في خلق الله البلاء ايضا اما على المبتلى او على غيره فاذا كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق او نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا فان قلت فهما متضادان فكيف يجتمعان اذ لا صبر الا على غم ولا شكر الا على فرح فاعلم ان الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه اخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل مرض وفقر وخوف وبلاء في الدنيا خمسة امور ينبغي ان يفرح العاقل بها ويشكر عليها احدها ان كل مصيبة ومرض فيتصور ان يكون اكثر منها اذ مقدورات الله لا تتناهى فلو ضعفها الله وزادها ماذا كان يرده ويحجره فليشكر اذ لم يكن اعظم منها في الدنيا الثاني انه كان يمكن ان يكون مصيبته في دينه قال رجل لسهل دخل اللص بيتي واخذ متاعي فقال اشكر الله لو دخل الشيطان قلبك واخذ التوحيد ما كنت تصنع و لذلك استعاذ عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام اذ قال في دعائه لا تجعل مصيبتي في ديني وقال عمر رضي الله عنه ما ابتليت ببلاء الا وكان لله علي فيه اربع نعم اذ لم يكن في ديني واذ لم يكن اعظم منه واذ لم احرم الرضا فيه واذا ارجو الثواب عليه وكان لبعض ارباب القلوب صديق فحبسه السلطان فارسل اليه فقال له اشكر الله فضربه فقال اشكر الله فجيء بمجوسي محبوس وقيد وجعل حلقة من قيده على رجله وحلقة على رجل المجوسي فارسل اليه فقال اشكر الله فكان المجوسي يحتاج الى ان يقوم مرات وهو يحتاج ان يقوم معه ويقف على راسه حتى يقضي حاجته فكتب اليه بذلك فقال اشكر الله فقال الى متى هذا واي بلاء اعظم من هذا فقال لو جعل الزنار الذي في وسطه على وسطك فما من انسان قد اصيب ببلاء الا ولو تامل حق التامل في سوء ادبه ظاهرا او باطنا في حق مولاه لكان يرى انه يستحق اكثر مما اصيب به عاجلا او اجلا ومن استحق عليك ان يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق ان يقطع يديك فترك احديهما فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب عليه طست من رماد فسجد لله سجدة الشكر فقيل ما هذه السجدة فقال كنت انتظر ان تصب علي النار فالاقتصار على الرماد نعمة وقيل لبعضهم الا تخرج الى الاستسقاء فقد احتبست الامطار فقال انتم تستبطؤن المطر وانا استبطئ الحجر فان قلت كيف افرح وارى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما اصيب به حتى الكفار فاعلم ان الكافر قد خبئ له ما هو اكثر وانما امهل حتى يستكثر من الاثم ويطول العقاب كما قال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما واما العاصي فمن اين تعلم ان في العالم من هو اعصى منك ورب خاطر بسوء ادب في حق الله وفي صفاته اعظم وافحش من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك قال الله تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فمن اين تعلم ان غيرك اعصى منك ثم لعله قد اخرت عقوبته الى الاخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله عليه وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو انه ما من عقوبة الا وكان يتصور ان تؤخر الى الاخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب اخر تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الاخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلي اذ اسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الاخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا فاصابته شدة وبلاء في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا الرابع ان هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في ام الكتاب وكان لا بد من وصولها اليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها او من جميعها فهذه نعمة الخامس ان ثوابها اكثر منها فان مصائب الدنيا طرق الى الاخرة من وجهين

احدهما الوجه الذي يكون الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من اسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك من العلم والادب فكان يخسر جميع عمره فكذا المال والاهل والاقارب والاعضاء حتى العين التي هي اعز الاشياء قد تكون اسبابا لهلاك الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي هو اعز الامور قد يكون سببا لهلاكه فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين او صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله فما من شيء من هذه الاسباب يؤخذ من العبد الا ويتصور ان يكون فيه خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فان حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا اذا راوا ثواب البلايا كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ استاذه واباه على ضربه وتاديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التاديب والبلاء تاديب من الله عز وجل وعنايته بعباده اتم واوفر من عناية الاباء بالاولاد فقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال لا تتهم الله في شيء قضاه عليك ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله للمؤمن ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وان قضى بالضراء رضي وكان خيرا له والوجه الثاني ان راس الخطايا المهلكة حب الدنيا وراس اسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور ومواتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمانينة القلب الى الدنيا واسبابها حتى يصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته واذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم يانس بها وصارت الدنيا سجنا عليه وكانت نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك قال عليه الصلوة والسلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والكافر كل من اعرض عن الله ولم يرد الا الحيوة الدنيا ورضي بها واطمان اليها فالمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين الى الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه باطن خفي وبقدر حب الدنيا يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق فاذا في البلاء نعم من هذه الجهة فيجب الفرح به واما التالم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة الى الحجامة بمن يتولى حجامتك او يسقيك دواء نافعا بشعا وهو مجان فانك تتالم وتفرح فتصبر على الالم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الامور الدنيوية مثاله الدواء الذي يولم في الحال وينفع في المال بل من دخل دار ملك للنظارة وعلم انه يخرج منها لا محالة فراى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك بلاء عليه لانه يورث الانس بمنزل لا يمكنه المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من ان يطلع عليه الملك فيعذبه فاصابه ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل والناس دخلوها من باب الرحم وهم خارجون منها الى باب اللحد فكل ما يحقق انسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع انسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه ان يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يؤمن بان ثواب المصيبة اكثر من المصيبة لم يتصور منه الشكر وحكي ان اعرابيا عزى ابن عباس على ابيه فقال اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية بعد صبر الراس خير من العباس اجرك بعده والله خير منك للعباس فقال ابن عباس ما عزاني احد باحسن من تعزيته والاخبار الواردة في الصبر على المصائب كثيرة قال عليه الصلوة والسلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد اصيب بمصيبة فقال كما امر الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك به وقال عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى من سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي وروي ان رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال عليه الصلوة والسلام لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه ان الله اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره وقال عليه الصلوة والسلام ان الرجل لتكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء

في جهنم فيلعنها بذلك وعن خباب بن الارت قال اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برداء في ظل الكعبة فشكونا
اليه فقلنا يا رسول الله الا تدعو الله تستنصر لنا فجلس محمارا وجهه ثم قال ان من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له الحفيرة في
الارض ويجاء بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل فرقتين ما يصرفه عن دينه وعن علي رضي الله عنه قال ايما رجل حبسه
السلطان ظلما فمات فهو شهيد وقال ايضا من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك
وقال ابو الدرداء تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى الا حبذا المكروهات
الثلاث الفقر والمرض والموت وروي ان زكريا على نبينا وعليه الصلوة والسلم لما هرب من الكفار من بني اسرائيل
واختفى في الشجرة فعلموا بذلك فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار راسه فان انة فاوحى الله اليه لئن صعدت
منك انة ثانية لامحونك من ديوان النبوة فعض زكريا على الصبر حتى قطع بشطرين وقال ابو مسعود البلخي من اصيب
بمصيبة فخرق ثوبا او ضرب صدرا فكانما اخذ رمحا يريد ان يقاتل به ربه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا واراد ان يصافيه صب عليه البلاء صبا وثجه ثجا فاذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف
فان دعاه ثانيا فقال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك لا تسألني شيئا الا اعطيتك او دفعت عنك ما هو خير
او ادخرت لك عندي ما هو افضل منه فاذا كان يوم القيمة جيء باهل الاعمال فوفوا اعمالهم بالميزان اهل الصلوة والصيام
والصدقة والحج ثم يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا كما كان يصب عليهم
البلاء صبا فيود اهل العافية في الدنيا لو انهم كانت تقرض اجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به اهل البلاء من الثواب
فذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال شكى نبي من الانبياء الى ربه
فقال يا رب العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا
يطيعك ويجترئ على معاصيك تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا فاوحى الله تعالى اليه ان العباد لي والبلاء لي
وكل يسبح بحمدي فيكون المؤمن عليه من الذنوب فازوي عنه الدنيا واعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه
حتى يلقاني ويكون الكافر له الحسنات فابسط له في الرزق وازوي عنه البلاء فاجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني
فاجزيه بسيئاته وروي انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه
الاية فقال عليه الصلوة والسلام غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض اليس يصيبك الاذى الست تحزن فهذا مما تجزون به
يعني ان جميع ما يصيبك كفارة لذنوبك وعن عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم الرجل يعطيه
الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج ثم قرأ قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل
شيء يعني لما تركوا ما امروا به فتحنا عليهم ابواب الخيرات حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي بما اعطوا من الخير اخذناهم بغتة وعن الحسن
البصري رحمه الله ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم راى امراة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل
يلتفت اليها وهو يمشي فصدمه حائط فاثر في وجهه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال عليه الصلوة والسلام
اذا اراد الله بعبد خيرا عجل عقوبة ذنبه في الدنيا وقال علي رضي الله عنه الا اخبركم بارجى اية في كتاب الله فقالوا بلى فقرا
عليهم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فالمصائب في الدنيا بكسب الاوزار فاذا عاقبه الله في الدنيا فهو اكرم من ان
يعذبه ثانيا وان عفا عنه في الدنيا فهو اكرم من ان يعذبه في الاخرة وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ما تجرع عبد
قط جرعتين احب الى الله من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة احب الى الله من
قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه الا الله وما خطا عبد خطوتين
احب الى الله من خطوة الى الصلوة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم وعن ابي الدرداء انه قال توفي ابن لسليمن على
نبينا وعليه الصلوة والسلام فوجد عليه وجدا شديدا فاتاه ملكان فجثيا بين يديه في زي الخصوم فقال

احدهما بذرت بذرا فلما استحصد مر به هذا فافسده فقال للآخر ما تقول فقال اخذت الجادة فاتيت على الزرع
فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه فقال سليمن لم بذرت على الطريق اما علمت انه لا بد للناس من الطريق قال
فلم تحزن على ولدك اما علمت ان الموت سبيل الاخرة فتاب سليمن الى ربه فلم يجزع على ولد بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز
على ابن له مريض فقال يا بني لان تكون في ميزاني احب الي من ان اكون في ميزانك فقال يا ابه لان يكون ما تحب
احب الي من ان يكون ما احب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نعي اليه بنت فاسترجع وقال عورة سترها الله و
مؤنة كفاها الله واجر ساقه الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما امر الله تعالى واستعينوا بالصبر و
الصلوة وعن ابن المبارك انه مات ابن له فعزاه مجوسي فقال له ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد
خمسة ايام فقال ابن المبارك اكتبوا عنه هذه وقال بعض العلماء ان الله ليبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي
على الارض وما له ذنب وقال الفضيل ان الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل اهله بالخير
وقال حاتم الاصم ان الله يحتج على الخلق يوم القيمة باربع انفس على اربعة اجناس على الاغنياء بسليمن وعلى الفقراء
بعيسى وعلى العبيد بيوسف وعلى المرضى بايوب وقال لقمن لابنه يا بني ان الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح
يجرب بالبلاء واذا احب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط وقال الاحنف بن قيس اصبحت
يوما اشتكي ضرسي فقلت لابي ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثا فقال لقد اكثرت من الم ضرسك
في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها احد واوحى الله تعالى الى عزير اذا نزلت بك بلية
فلا تشكني الى خلقي كما لا اشكوك الى ملائكتي اذا صعدت مساويك وفضايحك

بيان فضل النعمة على البلاء

لعلك تقول هذه الاخبار تدل على ان البلاء خير في الدنيا من النعم فهل لنا ان نسأل الله البلاء
فاقول لا وجه لذلك لما روي انه عليه الصلوة والسلم كان يستعيذ في دعاءه من بلاء الدنيا وبلاء
الاخرة وكان يقول هو والانبياء ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وكانوا يستعيذون من
شماتة الاعداء وغيره وقال علي رضي الله عنه اللهم اني اسألك الصبر فقال عليه الصلوة والسلام لقد
سالت الله البلاء فاسال العافية وروى الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
سلوا الله العافية فما اعطي العبد افضل من العافية الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب عن مرض
الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية البدن قال الحسن الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر فكم من
منعم عليه غير شاكر وعن مطرف بن عبد الله قال لان اعافى فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر وقال عليه
الصلوة والسلام في دعائه وعافيتك احب الي وهذا اظهر من ان يحتاج فيه الى استشهاد وهذا لان البلاء صار نعمة باعتبارين
احدهما بالاضافة الى ما هو اكبر منها اما في الدنيا او في الدين والاخر بالاضافة الى ما يرجى من الثواب فينبغي ان يسأل الله
تعالى تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه من البلاء ونيل الثواب في الاخرة على الشكر على نعمته فانه قادر على ان يعطي
على الشكر ما يعطيه على الصبر فان قلت فقد قال بعضهم وددت اني اكون جسرا على النار يعبر علي الخلق كلهم فينجون واكون انا
في النار وقال سمنون وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرني فهذا ممن هو سؤال البلاء فاعلم انه
حكي ان سمنون بلي بعد هذا البيت بعلة الحصر وكان بعد ذلك يدور على ابواب المكاتب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم
الكذاب اما محبة الانسان لان يكون هو في النار دون سائر الخلق فغير ممكن ولكن قد تغلب المحبة حتى يظن المحب بنفسه
انه يحب مثل ذلك فمن شرب كاس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولو زال سكره علم ان ما غلب عليه كانت حالة
لا حقيقة لها فما تسمع من هذا الفن هو كلام العشاق الذين افرطهم وكلام العشاق يستلذ سماعه ولا يعول عليه كما
حكي ان فاختة كانت يراودها زوجها فتمنعت فقال ما الذي يمنعك مني ولو اردت ان اقلب لك ملك سليمن لفعلته لاجلك

فسمع سليمن فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال وقول الشاعر
اريد وصاله ويريد هجري ۞ فاترك ما اريد لما يريد ۞ هو ايضا محال ومعناه اريد ما لا اريد لان من
اراد الوصال فما اراد الهجر فكيف اراد الهجر الذي لم يرده بل لا يصدق هذا الكلام الا باعتبارين احدهما ان
يكون ذلك في بعض الاحوال حتى يكتسب به رضاه الذي يتوصل به الى مراد الوصال في الاستقبال فيكون
الهجران وسيلة الرضا والرضا وسيلة الوصال الى المحبوب والوسيلة الى المحبوب محبوب فيكون مثاله مثال
المحب للمال اذا اسلم درهما في درهمين فهو يحب الدرهمين بترك الدرهم في الحال والثاني ان يصير رضاه
مطلوبا عنده من حيث انه رضى فقط ويكون له لذة في استشعاره رضى محبوبه منه وتزيد تلك اللذة على لذة
مشاهدته مع كراهته فعند ذلك يتصور ان يريد ما فيه الرضى فلذلك قد انتهى حال بعض المحبين الى ان صارت
لذتهم في استشعارهم رضا الله عنهم اكثر من لذتهم في العافية من غير شعور بالرضى فهؤلاء اذا قدروا رضاه في
البلاء صار البلاء احب اليهم من العافية وهذه حالة لا يبعد وقوعها في غليان الحب ولكنها لا تثبت وان ثبتت
مثلا فهل هي حالة صحيحة ام هي حالة اقتضتها حالة اخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر
وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه فقد ظهر بما سبق ان العافية خير من البلاء فنسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة

بيان الافضل من الصبر والشكر

اعلم ان الناس قد اختلفوا في ذلك فقال قائلون الصبر افضل من الشكر و
قال آخرون الشكر افضل وقال آخرون هما سيان وقال آخرون يختلف باختلاف الاحوال واستدل كل فريق بكلام
شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطويل بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق اولى فنقول في بيان ذلك
مقامان المقام الاول في البيان على سبيل التساهل وهو ان ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب بالتفتيش تحقيقه وهو
البيان الذي ينبغي ان يخاطب به عوام الخلق لقصور افهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا الفن من الكلام هو الذي
ينبغي ان يعتمده الوعاظ اذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام اصلاحهم والطبيب المشفق لا ينبغي ان يصلح الصبي الطفل
بالطيور السمان وضروب الحلاوات بل باللبن اللطيف وعليها ان تؤخر عنه اطايب الاطعمة الى ان يصير محتملا لها بقوته ويفارقه
الضعف الذي هو عليه في بنيته فنقول لهذا المقام في البيان يأبى البحث والتفصيل ويقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم
من موارد الشرع وذلك يقتضي تفضيل الصبر فان الشكر وان وردت اخبار في فضله فاذا اضيف اليها ما ورد في فضيلة
الصبر كانت فضائل الصبر اكثر بل فيها الفاظ صريحة في التفضيل كقوله عليه الصلوة والسلام من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة
الصبر وفي الخبر يؤتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له اما ترضى ان نجزيك
كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه
فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واما قوله صلى الله عليه وسلم
الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فهو دليل على ان الفضيلة في الصبر اذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحقه بالصبر
وكان هذا منتهى درجته ولولا انه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة في الشكر وهو كقوله
عليه الصلوة والسلام الجمعة حج الفقراء وجهاد المرأة حسن التبعل لزوجها وهو كقوله شارب الخمر كعابد الوثن
وابداء المشبه به ينبغي ان يكون اعلى رتبة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان لا يدل على ان
الشكر مثله وهو كقوله صلى الله عليه وسلم الصوم نصف الصبر فان كل ما ينقسم بقسمين يسمى احدهما
نصفا وان كان بينهما تفاوت كما يقال الايمان هو العلم والعمل فالعمل نصف الايمان فلا يدل ذلك على ان
العمل يساوي العلم وفي الخبر آخر الانبياء دخولا الجنة سليمن بن داود لمكان ملكه وآخر اصحابي دخولا الجنة
عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي لفظ آخر يدخل سليمن بعد الانبياء باربعين خريفا وفي الخبر ابواب الجنة

كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب وكل ما ورد في
فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال الفقير والشكر حال الغني فهذا هو المقام الذي يقنع
العوام ويكفيهم في الوعظ اللائق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم المقام الثاني هو البيان الذي نقصد به
تعريف اهل العلم والاستبصار بطريق الكشف والايضاح فنقول فيه كل امرين مبهمين لا يمكن الموازنة بينهما مع الابهام ما
لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على اقسام لا يمكن الموازنة بين الجملة والجملة بل يجب ان يفرد الآحاد
بالموازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر اقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما في الرجحان والنقصان مع
الاجمال فنقول قد ذكرنا ان هذه المقامات تنتظم من ثلاثة امور علوم واحوال واعمال والصبر والشكر وسائر
المقامات كذلك وهذه الثلاثة اذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين الى الظواهر ان العلوم تراد للاحوال
والاحوال تراد للاعمال فالاعمال هي الافضل واما ارباب البصائر فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال
تراد للعلوم فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة افضل منه واما آحاد هذه
الثلاثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد الاحوال اذا اضيف بعضها الى
بعض وكذا آحاد المعارف فافضل المعارف علوم المكاشفة وهو ارفع من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة
فانها تراد للمعاملة ففائدتها اصلاح العمل وانما فضل العالم بالمعاملة على العابد اذا كان علمه مما يعم نفعه
فيكون بالاضافة الى عمل خاص افضل والا فالعلم القاصر بالعمل ليس بافضل من العمل القاصر فنقول فائدة اصلا
العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح حال القلب ان ينكشف له جلال الله في ذاته وصفاته وافعاله فارفع
علوم المكاشفة معرفة الله وهي الغاية التي تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها بل هي عين السعادة ولكن لا
يشعر القلب في الدنيا بانها عين السعادة وانما يشعر بها في الآخرة فهي المعرفة الحرة التي لا قيد عليها فلا تتقيد
بغيرها وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها انما تراد لاجلها ولما كانت تراد لاجلها
كان تفاوتها بحسب نفعها في الافضاء الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يفضي الى بعض اما بواسطة او
بوسائط كثيرة فكل ما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله اقل فهو افضل واما الاحوال فنعني بها احوال القلب في تصفيته
وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى اذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق فاذا فضائل الاحوال بقدر تاثيرها
في اصلاح القلب وتطهيره واعداده لان يحصل له علوم المكاشفة وكما ان تصقيل المرآة يحتاج الى ان يتقدم على تمامها احوال
المرآت بعضها اقرب الى الصقالة من بعض فكذلك احوال القلب فالحالة التي هي اقرب من صفات القلب هي افضل
مما دونها لا محالة لسبب القرب من المقصود وهكذا ترتيب الاعمال فان تاثيرها في تاكيد صفات القلب وجلب
الاحوال اليها وكل عمل فاما ان يجلب اليها حالة مانعة من المكاشفة موجبة لظلمة القلب جاذبة الى زخارف الدنيا واما ان
يجلب اليها حالة مهيئة للمكاشفة موجبة لصفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه واسم الاول المعصية واسم الثاني الطاعة
والمعاصي من حيث التاثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها
بحسب درجات تاثيرها وذلك يختلف باختلاف الاحوال وذلك انا نقول بالقول المطلق ان الصلوة
النافلة افضل من كل عبادة نافلة وان الحج افضل من الصدقة وان قيام الليل افضل من غيره ولكن التحقيق فيه ان
الغني الذي معه مال وقد غلب البخل وحب المال على الشاكر فاخراج درهم له افضل من قيام ليالي وصيام ايام لان الصيام يليق بمن
غلبته شهوة البطن فاراد كسرها او منعه الشبع عن صفاء الفكر في علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب بالجوع فاما هذا
المدبر فلم يكن حاله هذه الحالة فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكرة يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالجوع
خروج منه عن حاله الى حال غيره وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن اذا استعمل دواء الصداع فلا ينتفع به بل حقه ان

ينطوي في المهالك الذي استولى عليه والشح المطاع من جملة المهلكات ولا يزيله صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة
بل لا يزيله الا اخراج المال فعليه ان يتصدق بما معه وتفصيل هذا ما ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع اليه فاذا
باعتبار هذه الاحوال يختلف وعند ذلك يعرف البصير ان الجواب المطلق فيه خطأ اذ لو قال القائل الخبز افضل ام الماء
لم يكن فيه جواب حق الا ان يقال الخبز للجائع افضل والماء للعطشان فان اجتمعا فلينظر الى الاغلب فان كان العطش هو
الاغلب فالماء هو الافضل فان تساويا فهما متساويان وكذلك لو قال القائل السكنجبين افضل ام شراب النيلوفر لم يجز الجواب
عنه مطلقا اصلا نعم لو قيل لنا السكنجبين افضل ام عدم الصفراء فنقول عدم الصفراء لان السكنجبين مراد لاجله وما يراد
لغيره فذلك الغير افضل منه لا محالة فاذن بذل المال عمل وهو الانفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب
الدنيا من القلب وتهيؤ القلب بسبب خروج حب الدنيا من القلب لمعرفة الله وحبه فالافضل المعرفة ودونها الحال ودونهما
العمل فان قلت فقد حث الشرع على الاعمال وبالغ في فضائلها حتى طلب الصدقات بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا وقال تعالى ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون الفعل والانفاق افضل من الاحوال فاعلم ان الطبيب اذا اثنى على
الدواء لم يدل على ان الدواء مراد لعينه او على انه افضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب و
مرض القلب مما لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به غالبا فهو كبرص على وجه من لا مرآة له فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا
يصدق به فالسبيل معه التلطف في الثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلا ان كان ماء الورد يزيل البرص
حتى يستحثه حظ الثناء على المواظبة عليه فيزول المرض فانه لو ذكر ان المراد والمقصود زوال البرص عن
وجهه ربما ترك العلاج وزعم ان وجهه لا عيب فيه ولنضرب مثالا اقرب من هذا فنقول من له ولد
علمه العلم او القرآن واراد ان يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم انه لو امره بالتكرار و
الدراسة ليبقى له محفوظا لقال انه محفوظ ولا حاجة لي اليه ودراسته لانه يظن ان ما يحفظ في
الحال يبقى كذلك محفوظا ابدا وكان له عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل
ليتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبي المسكين ان المقصود تعليم العبيد
القرآن وانه قد استخدم لتعليمهم فيشكل عليه الامر فيقول ما لي قد استخدمت لاجل العبيد وانا
اجل منهم واعز عند الوالد واعلم ان ابي لو اراد تعليم العبيد لقدر على تعليمهم دون تكليفي وعلم انه لا نقصان
لابي لفقد هؤلاء العبيد فضلا من علمهم بالقرآن فربما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتمادا
على استغناء ابيه وعلى كرمه والعفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبرا محروما من حيث لا يدري
وقد انخدع بمثل هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله غني عن عبادتنا وغني ان يستقرض
منا فاي معنى لقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله اطعام المساكين
لاطعمهم فلا حاجة بنا الى صرف اموالنا اليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار واذا قيل لهم انفقوا مما
رزقكم الله الآية وقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف
هلكوا بصدقهم فسبحان من اذا شاء اهلك بالصدق واذا شاء اسعد بالجهل يضل به كثيرا ويهدي به
كثيرا فهؤلاء لما ظنوا انهم استخدموا لاجل المساكين ولاجل الله ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله
فينا وفي اموالنا انفقنا او امسكنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن ان مقصود الوالد استخدامه لاجل العبيد
ولم يشعر بان المقصود ثبات صفة العلم في نفسه وتأكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا
وانما كان ذلك من الوالد تلطفا به في استجراره الى ما فيه سعادته فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا
الطريق فاذا للمسكين الآخذ للمال اليه يستوفي بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك فانه حمال

لك هو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك فالحجام خادم لك لا انت
خادم الحجام ولا يخرج الحجام عن ان يكون خادما بان يكون له غرض في ان يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات
مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبائث الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذها ونهى عنها
كما نهى عن كسب الحجام وسماها اوساخ اموال الناس وشرف اهل بيته بالصيانة عنها والمقصود ان الاعمال
مؤثرات في القلوب كما سبق في ربع المهلكات والقلب بحسب تأثرها يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا
هو القول الكلي والقانون الاصلي الذي ينبغي ان يرجع اليه في معرفة فضائل الاعمال والاحوال فلنرجع الآن الى
خصوص ما نحن فيه من الشكر والصبر فنقول في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز ان يقابل المعرفة في احدهما
بالحال والعمل في الآخر بل يقابل كل واحد بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب يظهر الفضل ومهما قوبلت
معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعا الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر ان يرى نعمة العينين مثلا من الله ومعرفة
الصابر ان يرى العمى من الله وهما معرفتان متلازمتان ومتساويتان هذا اذا اعتبر في البلاء والمصائب وقد
بينا ان الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الصبر والشكر لان الصبر على الطاعة هو عين شكر
الطاعة لان الشكر يرجع الى صرف نعمة الله الى ما هو المقصود منه بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين في
مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين في مقابلة
باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق
لهذه الحكمة وان يصرع به باعث الشهوة فقد صرفه الى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل
الشيء على نفسه فاذا مجاري الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلاء وقد ظهر حكمهما في الطاعة والمعصية اما البلاء
فهو عبارة عن فقد النعمة والنعم اما ان تقع ضرورية كالعينين مثلا واما ان تقع في محل الحاجة كالزيادة
على قدر الكفاية من المال اما العينان فصبر الاعمى عنهما بان لا يظهر الشكوى ويظهر الرضى بقضاء الله ولا
يترخص بسبب العمى في بعض المعاصي وشكر البصير عليهما من حيث العمل بامرين احدهما ان لا يستعين بهما على
المعصية والآخر ان يستعملهما في الطاعة وكل واحد من الامرين لا يخلو من الصبر فان الاعمى كفي الصبر عن الصور
الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على الجميل فصبر كان شاكرا لنعمة العينين وان اتبع النظر كفر نعمة العينين
فقد دخل الصبر في شكره وكذلك اذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد فيها من صبر على الطاعة ثم قد يشكرها
بالنظر الى عجائب صنع الله فيكون هذا الشكر افضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شعيب مثلا وكان ضريرا فوق رتبة موسى
لانه صبر على فقد البصر وموسى لم يصبر ولكان الكمال في ان يسلب الانسان الاطراف ويترك كلحم على وضم وذلك محال جدا
لان كل واحد من هذه الاعضاء آلة في الدين يفوت بفواتها ذلك الركن من الدين وشكرها استعمالها فيما هي آلة فيه من الدين
وذلك لا يكون الا بالصبر واما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه اذا لم يؤت الا قدر الضرورة وهو محتاج
الى ما وراءه ففي الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقراء ووجود الزيادة نعمة وشكرها ان يصرف الى الخيرات وان لا يستعمل
في المعصية فان اضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرف الى الطاعة فالشكر افضل لانه يتضمن الصبر ايضا وفيه فرح بنعمة الله وفيه
احتمال الم في صرفه الى الفقراء او ترك صرفه الى التنعم المباح وكان الحاصل يرجع الى ان شيئين افضل من شيء واحد وان الجملة اعلى
رتبة من البعض وهذا فيه خلل اذ لا يصح الموازنة بين الجملة وابعاضها واما اذا كان شكره بان لا يستعين به على معصية بل يصرفه
الى التنعم المباح فالصبر ههنا افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من الغني الممسك ماله الصارف له الى المباحات لا من الغني
الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها واحسن الرضا على بلاء الله وهذه الحالة تستدعي لا محالة
قوة والغني اتبع نهمته واطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح والمباح مندوحة عن الحرام ايضا ولكن لا بد من قوة

في الصبر عن الحرام ايضا الا ان القوة التي يصدر عنها صبر الفقير اعلى واتم من القوة التي عنها يصدر الاقتصار
في التنعم على المباح والشوق لتلك القوة بدل العمل عليها فان الاعمال لا تراد الا لاحوال القلب وتلك القوة
حالة القلب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على زيادة قوة في الايمان فهو افضل لا محالة وجميع
ما ورد من تفضيل اجر الصبر على اجر الشكر في الاخبار والآيات انما اريد به هذه الرتبة على الخصوص
لان السابق الى افهام الناس من النعمة الاحوال والغناء بها والسابق الى الافهام من الشكر ان يقول الانسان
الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لا ان يصرفها الى الطاعة فاذا الصبر افضل من الشكر اعني الذي تفهمه
العامة والى هذا المعنى على الخصوص اشار الجنيد حيث سئل عن الصبر والشكر ايهما افضل فقال ليس مدح
الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في اثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغني يصحبه
فيما عليه اشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها والفقير يصحبه فيما عليه اشياء تؤلم صفته وتقبضها وتزعجها
فاذا كانا لا اشتداد قائمين لله عز وجل بشرط ما عليهما كان الذي آلم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع صفته و
نعمها والامر على ما قاله وهو الصحيح من جملة اقسام الصبر والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو لم يرد
سواه ويقال كان ابو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر
فدعا عليه الجنيد فاصابه ما اصابه من البلاء من قتل اولاده وتلف ماله وزوال عقله اربع عشرة سنة
وكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ومهما لاحظت المعاني التي
ذكرناها علمت ان لكل واحد من القولين وجها في بعض الاحوال فرب فقير صابر افضل من غني شاكر كما سبق
ورب غني شاكر افضل من فقير صابر وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير اذ لا يمسك لنفسه من
المال الا قدر الضرورة والباقي يصرفه الى الخيرات او يمسكه على اعتقاد انه خازن للمساكين والمحتاجين
وانما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرفه اليها ثم اذا صرفه لم يصرفه لطلب جاه ولا صيت ولا تقليد منة بل اداء لحق
الله في تفقد عباده فهذا افضل من الصابر فان قلت فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه الفقر لانه
هذا يستشعر لذة القدرة وذلك يستشعر الم الصبر فان كان الصابر متألما بفراق المال فيجبر ذلك بلذته في
القدرة على الانفاق فاعلم ان الذي تراه من ان ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس اكمل كمالا ممن ينفقه وهو
بخيل به وانما يقطعه قهرا وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة فايلام النفس ليس مطلوبا لعينه
بل لتأديبها وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب المؤدب اكمل من الكلب المحتاج الى الضرب وان كان صابرا
على الضرب ولذلك يحتاج الى الايلام والمجاهدة في البداية ولا يحتاج اليه في النهاية بل النهاية ان يصير ما كان
مولما في حقه لذيذا عنده كما يصير العلم عند الصبي العاقل لذيذا وقد كان مولما له اولا ولكن لما كان الناس
كلهم الا الاقلون في البداية بل قبل البداية بكثير اطلق الجنيد القول بان الذي يولم صفته افضل وهو كما قال صحيح فيما اراده
من عموم الخلق فاذا انما ذكرت لا تفصيل الجواب وتطلقه لارادة الاكثر فاطلق القول بان الصبر افضل من الشكر فانه
صحيح بالمعنى السابق الى الافهام فاما اذا اردنا التحقيق فنفصل فان الصبر درجات اقلها ترك الشكوى مع الكراهة
ووراءه الرضا وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا اذ الصبر مع التألم والرضا
يمكن بما لا الم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا اقصاها
ويدخل في جملتها امور دونها فان حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفته بالتقصير عن الشكر شكر والاعتذار
من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله ولم يكشف ستره شكر والاعتراف بان النعم من الله ابتداء من غير استحقاق
شكر والعلم بان الشكر ايضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط شكر

اذ قال عليه الصلاة والسلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب اسرار الزكوة وقلة
الاعتراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر فما يندرج
من الاعمال والاحوال تحت اسم الصبر والشكر لا تحصر لها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل
احدهما على الآخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام وقد روي عن بعضهم انه قال رأيت في بعض
الاسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسألته عن حاله فقال اني كنت في ابتداء عمري اهوى ابنة عم لي وهي كذلك
كانت تهواني فاتفق انها زوجت مني فليلة زفافها قلت لها تعالي حتى نحيي هذه الليلة شكرا لله على ما جمعنا
فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ احدنا الى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فصلينا طول الليل فنحن منذ
سبعين سنة او ثمانين سنة على تلك الحالة كل ليلة اليس كذلك يا فلانة فقالت العجوز كما يقول الشيخ
فانظر اليهما لو صبرا على بلاء الفرقة انتظارا لجمع الله بينهما ما زاد صبر الفرقة على شكر الوصال على هذا الوجه فلا
يخفى عليك ان هذا الشكر افضل فاذا لا وقوف على حقائق المفضلات
الا بتفصيل كما سبق والله تعالى اعلم بالصواب ۝

تم كتاب الصبر والشكر بتوفيق الله تعالى وعونه
ويتلوه كتاب الخوف والرجاء و
هو الكتاب الثالث من ربع
المنجيات من كتاب
احياء علوم
الدين
۝

كتاب الرجاء والخوف وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب اوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطائف الائه الى النزول بفنائه والعدول عن دار بلائه التي هي مستقر اعدائه وضرب بسياط التخويف وزجره العنيف وجوه المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه وكرامته وصدهم عن التعرض للائمته والتهدف لسخطه ونقمته قودا لاصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وازمة الرفق واللطف الى جنته والصلوة والسلام على محمد سيد انبيائه وخير خليقته وعلى آله واصحابه وعترته **اما بعد** فان الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الاخرة كل عقبة كؤود فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجاء ثقيل الاعباء محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والاعضاء الا ازمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب المقيم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات الا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد اذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد مشتملا على شطرين الشطر الاول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف اما الشطر الاول فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطريق الذي به يجتلب الرجاء **بيان حقيقة الرجاء** اعلم ان الرجاء من جملة مقامات السالكين واحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت واقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال كما ان الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب والى سريعة الزوال كصفرة الوجل والى ما بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من اوصاف القلب وغرضنا الان حقيقة الرجاء فالرجاء ايضا يتم من علم وحال وعمل فالعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجاء اسما للحال من جملة الثلثة وبيانه ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود في الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر في الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكرا وتذكرا وان كان ما خطر بقلبك موجودا في الحال سمي وجدا وذوقا وادراكا وانما سمي وجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان كان قد خطر ببالك وجود شيء في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظارا واشفاقا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سمي ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد وان يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وان كان ذلك انتظارا مع انخرام اسبابه واضطرابها فاسم الحمق والغرور عليه اصدق من اسم الرجاء وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمني اصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الا على ما يتردد فيه اما ما يقطع به فلا اذ لا يقال ارجو طلوع الشمس وقت الطلوع واخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك مقطوع به نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه وقد علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة الاخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيمة يوم الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر في ارض سبخة فينبغي ان يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع

فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس ثم امده بما يحتاج اليه وهو سوق الماء اليه في اوقاته ثم نقى الارض عن الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر او يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله دفع الصواعق والآفات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان بث البذر في ارض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب اليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر اصلا ثم انتظر حصاد الزرع منه سمي انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء وان بث البذر في ارض طيبة ولكن لا ماء لها واخذ ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمتنع ايضا سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذا اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله بصرف القواطع والمفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بماء الطاعات ونقى القلب عن شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تثبيته عليه الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في اتمام اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات او ترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور قال عليه الصلوة والسلام الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وذم الله تعالى صاحب البستان اذ دخل جنته وقال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فاذا العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول الجنة واما العاصي اذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبة واما قبل التوبة اذا كان كارها للمعصية يسوءه السيئة ويسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق اليها فحقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي الى التوبة وانما الرجاء بعد تاكد الاسباب ولذلك قال الله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله ومعناه اولئك يستحقون ان يرجوا وما اراد به تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم قد يرجو ايضا ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء فاما من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر في ارض سبخة وعزم ان لا يتعهدها بسقي ولا تطهير وقال يحيى بن معاذ من اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله من غير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله مع الافراط فاذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت انها حالة اثمرها العلم بجريان اكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان فان من حسن بذره وطاب ارضه وماؤه وصدق رجاؤه فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تعهد الارض وتفقدها وتنقية الحصاد وهذا لان الرجاء يضاده الياس والياس يمنع من التعهد فمن عرف ان الارض سبخة وان الماء معوز وان البذر لا ينبت فيترك لا محالة تفقد الارض والتعب في تعهدها والرجاء محمود لانه باعث والياس مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل والخوف ليس بضد للرجاء بل هو رفيق له كما سياتي بيانه بل هو باعث بطريق الرهبة فاذا حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الاحوال ومن اثاره التلذذ بدوام الاقبال على الله والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فان هذه الاحوال لا بد وان تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك او شخصا من الاشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله فان كان ذلك لا يظهر فليستدل به على الحرمان من مقام الرجاء والنزول في حضيض التمني والغرور فهذا هو البيان لحال الرجاء وما اثمره من العلم وما استثمر

كل حشيش ينبت فيها الى وقته

من العمل ويدل على ثماره لهذه الاعمال الحديث زيد الخيل اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئتك لاسألك
عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت قال اصبحت احب الخير واهله واذا قدرت على شيء
منه سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا فاتني شيء منه حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن
يريد ولو ارادك بالاخرى هيأك لها ثم لا يبالي في اي اوديتها هلكت فقد ذكر عليه الصلوة والسلام علامة
من اريد به الخير فمن ارتجى ان يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور **بيان فضيلة الرجاء و
الترغيب فيه** اعلم ان العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم له والحب يغلب بالرجاء و
اعتبر ذلك بملكين احدهما يخدم خوفا من عقابه والاخر رجاء ثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب
قال الله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله فحرم اصل اليأس وفي اخبار يعقوب ان الله تعالى اوحى اليه اتدري لم فرقت بينك
وبين يوسف لقولك اخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته
ولم تنظر الى حفظي له وقال عليه الصلوة والسلام لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله وقال الله تعالى انا عند
ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك قال
اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال عليه الصلوة والسلام ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه
ما رجا وآمنه مما يخاف وقال علي رضي الله عنه لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك
من رحمة الله اعظم من ذنوبك وقال سفيان من اذنب ذنبا فعلم ان الله قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله له
ذنبه وذلك لان الله تعالى عير قوما فقال عز وجل وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم وقال تعالى وظننتم ظن
السوء وكنتم قوما بورا وقال عليه الصلوة والسلام ان الله يقول للعبد يوم القيمة ما منعك اذا رأيت المنكر
ان تنكره فان لقنه الله عز وجل حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس قال تعالى قد غفرته لك وفي الحديث الصحيح ان
رجلا كان يداين الناس ويسامح ويتجاوز عن المعسر فلقي الله ولم يعمل خيرا قط فقال تعالى من احق بذلك
منا فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه انه يعفو عنه مع افلاسه عن الطاعات قال تعالى ان الذين يتلون كتاب
الله واقاموا الصلوة الى قوله تجارة لن تبور ولما قال عليه الصلوة والسلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجارون الى ربكم فهبط جبرئيل فقال ان
ربك يقول لم تقنط عبادي فخرج عليهم فرجاهم وشوقهم وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود احببني و
احبب من يحبني وحببني الى خلقي فقال كيف احببك يا رب الى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر الائي و
احساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون الا الجميل ورئي ابان بن ابي عياش في النوم وكان يكثر ذكر ابواب
الرجاء فقال اوقفني الله بين يديه فقال ما الذي حملك على ذلك فقلت اردت ان احببك الى خلقك
فقال قد غفرت لك ورئي يحيى بن اكثم في النوم بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال اوقفني الله بين يديه
فقال يا شيخ فعلت وفعلت قال فاخذني من الرعب ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك قال
وما حدثت عني فقلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن انس عن نبيك انك قلت انا عند ظن عبدي
بي فليظن بي ما شاء وكنت اظن بك ان لا تعذبني فقال صدق جبرئيل وصدق نبيي وصدق انس وصدق
الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت انت وامش بين يدي الولدان قال فالبست
ومشي بين يدي الولدان الى الجنة فقلت يا لها من فرحة وفي الخبر ان رجلا من بني اسرائيل كان يقنط
الناس ويشدد عليهم فيقول الله يوم القيمة اليوم اويسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي من رحمتي وفي
الخبر ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها الف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله لجبرئيل اذهب فأتني بعبدي

قال فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان فيقول ردوه الى
مكانه قال فيمشي ويلتفت الى ورائه فيقول الله تعالى الى اي شيء تلتفت فيقول لقد رجوت ان لا تعيدني اليها بعد
اذ اخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة فدل على ان رجاءه كان سبب نجاته **بيان دواء الرجاء
والسبيل الذي يحصل به حال الرجاء ويغلب** اعلم ان هذا الدواء يحتاج اليه احد رجلين اما رجل غلب عليه اليأس
فترك العبادة واما رجل غلب عليه الخوف فاسرف في المواظبة على العبادة حتى اضر بنفسه واهله وهذان رجلان
مائلان عن الاعتدال الى طرفي الافراط والتفريط فيحتاجان الى علاج يردهما الى الاعتدال فاما العاصي المغرور المتمني على
الله مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فادوية الرجاء تنقلب سموما في حقه مهلكة وتنزل منزلة العسل الذي هو
شفاء لمن غلب البرد عليه وهو سم مهلك لمن غلب الحرارة بل المغرور لا يستعمل في حقه الا ادوية الخوف والاسباب المهيجة
له ولهذا يجب ان يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا الى مواضع العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب
هو العدل والقصد في الصفات والاخلاق كلها وخير الامور اوساطها فاذا جاوز الوسط الى احد الطرفين عولج بما
يرده الى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي ان يستعمل مع الخلق اسباب الرجاء بل
المبالغة في التخويف ايضا تكاد لا تردهم الى جادة الحق وسنن الصواب فاما ذكر اسباب الرجاء فيهلكهم ويرديهم بالكلية
ولكنها لما كانت اخف على القلوب والذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ الا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء
كيفما كانوا مالوا الى الارجاء قال علي رضي الله عنه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله حتى
ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون في طغيانهم تماديا ونحن نذكر اسباب الرجاء ليستعمل في حق الآيس ومن غلب عليه
الخوف اقتداء بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لانهما جامعان
لاسباب الشفاء في حق اصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الانبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا
استعمال الاخرق الذي يظن ان كل شيء من الادوية صالح لكل مريض كيف ما كان وحال الرجاء تغلب بشيئين احدهما
الاعتبار والاخر استقراء الايات والاخبار اما الاعتبار فهو ان يتأمل جميع ما ذكرناه في اصناف النعم في كتاب الشكر حتى
اذا علم لطائف نعم الله لعباده في الدنيا وعجائب حكمته التي راعاها في فطرة الانسان حتى اعد له كل ما كان ضروريا له في دوام
الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج اليه كالاصابع والاظفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف الوان
العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما لا ينثلم بفقده غرض مقصود وانما كان يفوت به مزية جمال فالعناية الالهية
اذا لم تقصر عن عباده في امثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده ان يفوتهم الزوائد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى
بسياقتهم الى الهلاك المؤبد بل اذا نظر الانسان نظرا شافيا علم ان اكثر الخلق قد هيئ له اسباب السعادة في الدنيا
حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وان اخبر بانه لا يعذب بعد الموت ابدا ولا يحشر اصلا فليس كراهيتهم للعدم الا
لان اسباب النعم اغلب لا محالة وانما الذي يتمنى الموت نادر ثم لا يتمناه الا في حالة نادرة وواقعة هائلة غريبة فاذا كان
حال اكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلا فالغالب ان امر الاخرة كذا يكون
لان مدبر الدنيا والاخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا تؤمل حق التأمل قوي به اسباب
الرجاء ومن الاعتبار ايضا النظر في حكمة الشريعة وسنتها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى
كان بعض العارفين يرى اية المداينة في سورة البقرة من اقوى اسباب الرجاء فقيل له وما فيها من الرجاء فقال
الدنيا كلها قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف انزل الله فيه اطول اية ليهدي عبده الى الطريق في الاحتياط
في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له **الفن الثاني في استقراء الايات والاخبار** فما ورد في الرجاء
خارج عن الحصر اما الايات فقد قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله

يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم
وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض واخبر تعالى ان النار اعدها للاعداء
وانما خوف بها اولياءه فقال تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده وقال تعالى
واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى
وقال تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في امته حتى قيل له
اما ترضى وقد انزلت عليك وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى
قال لا يرضى محمد وواحد من امته في النار وكان ابو جعفر محمد بن علي يقول انتم اهل العراق تقولون ارجى اية في كتاب
الله قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية ونحن اهل البيت نقول ارجى اية في كتاب الله قوله تعالى
ولسوف يعطيك ربك فترضى وانما الاخبار فقد روى ابو موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الاخرة عجل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيمة دفع الى كل رجل من
امتي رجل من اهل الكتاب فيقال هذا فداؤك من النار وفي لفظ اخر يأتي كل رجل من هذه الامة بيهودي او نصراني الى جهنم
فيقول هذا فداءي من النار وروي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي ان الله تعالى اوحى الى نبيه اني اجعل حساب
امتك اليك فقال يا رب انت خير لهم مني فقال اذا لا يخزيك فيهم وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب
امته فقال يا رب اجعل حسابهم الي لئلا يطلع على مساويهم غيري فاوحى الله اليه هم امتك وهم عبادي وانا ارحم بهم منك لا اجعل
حسابهم الى غيري لئلا تنظر في مساويهم انت ولا غيرك وقال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم اما حياتي
فأسن لكم السنن واشرع لكم الشرائع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رأيت منها حسنا حمدت الله عليه وما رأيت منها
سيئا استغفرت الله لكم وقال عليه الصلوة والسلام يوما يا كريم العفو فقال جبرئيل اتدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان عفا
عن السيئات برحمته ثم بدلها حسنات بكرمه وسمع صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم اني اسألك تمام النعمة فقال هل تدري
ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة وقال العلماء قد اتم نعمته علينا برضاه الاسلام دينا وفي الخبر اذا اذنب
العبد ذنبا فاستغفر الله يقول الله لملائكته انظروا الى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب
ويأخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له وفي الخبر لو اذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما
استغفرني ورجاني وفي الخبر لو لقيني عبدي بقراب الارض ذنوبا لقيته بقرابها مغفرة وفي الخبر
ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا اذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه وان لم يكتبها سيئة
وفي لفظ اخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو امير عليه الق هذه السيئة
حتى القي من حسناته واحدة من تضعيف العشر وارفع تسع حسنات فيلقى عنه هذه السيئة وروى انس في
حديث انه عليه الصلوة والسلام قال اذا اذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال اعرابي فان تاب عنه قال محي عنه قال
يكتب عليه قال الاعرابي فان تاب قال محي عن صحيفته قال الى متى قال الى ان يستغفر الله ويتوب اليه ان الله لا يمل من
المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فان عملها كتبها
ضعف ذلك ثم يضاعفها الله الى سبعمائة ضعف فاذا هم بخطيئة لم يكتب عليه فان عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها
حسن عفو الله وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لا اصوم الا الشهر لا ازيد
ولا اصلي الا الخمس لا ازيد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع اين انا اذا مت فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال نعم معي ان حفظت قلبك من اثنين الغل والحسد ولسانك من اثنين الغيبة والكذب وعينيك من اثنين النظر
الى ما حرم الله وان تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين وفي الحديث الطويل لانس رضي الله عنه

النبي صح

ان الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق قال الله تعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال
صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا اعرابي قال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال عليه الصلوة والسلام صدق الا
ولا كريم اكرم من الله هو اكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي ثم قال ايضا ان الله شرف الكعبة وعظمها ولو ان
عبدا هدمها حجرا حجرا ثم احرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من اولياء الله فقال الاعرابي ومن اولياء الله قال
المؤمنون كلهم اولياء الله اما سمعت قول الله الله ولي الذين امنوا وفي بعض الاخبار المؤمن افضل من الكعبة و
المؤمن طيب طاهر والمؤمن اكرم على الله من الملائكة وفي الخبر خلق الله جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به
عباده الى الجنة وفي خبر اخر انه تعالى قال انما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم اخلقهم لاربح عليهم وفي حديث ابي سعيد الخدري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما خلق الله شيئا الا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه وفي الخبر المشهور
ان الله كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي وعن معاذ بن جبل وانس بن مالك ان النبي صلى الله عليه و
سلم انه قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن قال اخر كلامه لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت
عليه النار ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان وفي خبر لو يعلم الكافر سعة رحمة الله ما ايس من جنته احد ولما
نزل عليه الصلوة والسلام قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم فقال اتدرون اي يوم هذا يوم يقال لادم قم فابعث
بعث النار من ذريتك فيقال كم فيقال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة قال فابلس القوم وجعلوا
يبكون يومهم وتعطلوا عن الاشتغال بالعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لكم لا تعملون فقالوا
ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم انتم في الامم اين تاويل وتاريس ومنسك ويأجوج ومأجوج امم لا يحصيها الا الله
انتم في سائر الامم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود وكالرقم في ذراع الدابة فانظر كيف كان يسوق الخلق بازمة
الخوف والرجاء الى الله تعالى اذ ساقهم بسياط الخوف اولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى افراط الياس داواهم بمعجون الرجاء
وردهم الى الاعتدال والقصد والاخير لم يكن منافيا للاول ولكن ذكر في الاول ما رآه سببا للشفاء واقتصر عليه فلما
احتاجوا الى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الامر فعلى الواعظ ان يقتدي بسيد الوعاظ فيتلطف في استعمال ادوية الخوف والرجاء
بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما يفسده بوعظه اكثر مما يصلحه وفي الخبر لو لم تذنبوا لخلق
الله تعالى خلقا يذنبون ليغفر لهم وفي لفظ اخر لذهب بكم وجاء بخلق اخر يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم و
في الخبر لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اشد من الذنوب قيل ما هي قال العجب وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر ليغفرن الله يوم القيمة مغفرة ما خطرت
قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول رجاء ان تصيبه وفي الخبر ان لله مائة رحمة ادخر عنده تسعة وتسعين
واظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فيها يتراحم الخلائق فتحن الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فاذا كان يوم القيمة
ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والارضين قال فلا يهلك
على الله الا هالك وفي الخبر ما منكم من احد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا انت قال ولا انا الا ان يتغمدني الله
برحمته وقال اعملوا وابشروا واعلموا ان احدا لن ينجيه عمله وقال ادخرت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي اترونها
للمطيعين المتقين بل هي للخاطئين المتلوثين وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقال احب ان
يعلم اهل الكتابين ان في ديننا سماحة ويدل على معناه استجابة الله للمؤمنين في قولهم ولا تحمل علينا اصرا وفي قوله ويضع عنهم اصرهم
والاغلال التي كانت عليهم وروى محمد بن الحنفية عن علي رضي الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قال يا جبرئيل
وما الصفح الجميل قال اذا عفوت عن ظالمك فلا تعاتبه فقال يا جبرئيل فالله اكرم من ان يعاتب من عفا عنه فبكى جبرئيل وبكى
النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله اليهما ميكائيل وقال ان ربكما يقرئكما السلام ويقول كيف اعاتب من عفوت عنه هذا لا يشبه

حاسب صح

الله تعالى صح

كريم والاخبار الواردة في اسباب الرجاء اكثر من ان تحصى **واما الاثار** فقد قال علي رضي الله عنه من اذنب ذنبا فستره الله عليه
في الدنيا فالله اكرم ان يكشف ستره في الاخرة ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فالله اعدل من ان يثني عقوبته على
عبده في الاخرة وقال الثوري ما احب ان يجعل حسابي الى ابوي لاني اعلم ان الله ارحم بي منهما وقال بعض السلف المؤمن اذا
عصى الله تعالى ستره الله تعالى عن ابصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه وكتب محمد بن مصعب الى الاسود بن سالم ان العبد اذا
كان مسرفا على نفسه فرفع يديه يقول يا رب حجبت الملائكة صوته وكذلك في الثانية والثالثة حتى اذا قال في الرابعة يا رب قال الله تعالى حتى
تحجبون صوت عبدي عني قد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري اشهدكم اني قد غفرت له وقال ابرهيم بن ادهم خلا لي الطواف
ليلة وكانت ليلة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا فهتف بي هاتف من البيت يا
ابرهيم انت تسالني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر وقال الحسن لو لم يذنب
المؤمن لكان يطير في الملكوت ولكن الله قمعه بالذنوب وقال الجنيد ان بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين وكان مالك
بن دينار ابان فقال الكم تحدث الناس بالرخص فقال يا ابا يحيى اني لارجو ان ترى من عفو الله يوم القيمة ما تخرق به كساءك
هذا من الفرح وفي حديث ربعي بن حراش عن اخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات اخي سجي بثوبه
والقيناه على نفسه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا فقال اني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان ورب
غير غضبان واني رايت الامر ايسر مما تظنون فلا تغتروا وان محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه ينتظرونني حتى ارجع اليهم قال
ثم طرح نفسه فكانها كانت حصاة وقعت في طست فحملناه ودفناه وفي الحديث ان رجلين من بني اسرائيل تواخيا في الله عز و
جل فكان احدهما يسرف على نفسه وكان الاخر عابدا وكان يعظه فكان يقول دعني وربي ابعثت علي رقيبا حتى راه ذات يوم على
كبيرة فغضب وقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله يوم القيمة ايستطيع احد ان يحظر رحمتي على عبادي اذهب فقد غفرت لك
ثم قال للعابد واما انت فقد اوجبت لك النار وقال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة اهلكت دنياه واخرته وروي ان
لصا كان يقطع الطريق في بني اسرائيل اربعين سنة فمر عليه عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام وخلفه عابد من عباد بني اسرائيل من الحواريين
فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثا قال فنزل فجعل يريد ان يدنو من الحواري
ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول في نفسه مثلي لا يمشي الى جنب هذا العابد قال فاحس به الحواري فقال
في نفسه هذا يمشي الى جانبي فضم نفسه وتقدم الى عيسى فمشى الى جانبه فبقي اللص خلفه قال فاوحى الله الى
عيسى قل لهما ليستانفا العمل فقد احبطت ما سلف من اعمالهما اما الحواري فقد احبطت حسناته لعجبه بنفسه واما
الاخر فقد احبطت سيئاته بما ازدرى على نفسه فاخبرهما بذلك وضم اللص اليه في سياحته وجعله من حوارييه وروي
عن مسروق ان نبيا من الانبياء كان ساجدا فوطئ بعض العصاة عنقه حتى الزق الحصى بجبهته قال فرفع النبي راسه
مغضبا فقال اذهب فلن يغفر الله لك فاوحى الله تعالى اليه تتالى علي في عبادي اني قد غفرت له وروي عن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلوته فنزل قوله تعالى ليقطع طرفا من الذين كفروا الاية فترك
الدعاء عليهم وهدى الله عامة اولئك الى الاسلام وفي الاثر ان رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة فاذا
ادخلا الجنة رفع احدهما في الدرجات العلى على صاحبه فيقول يا رب ما كان هذا في الدنيا باكثر مني عبادة فرفعته علي في
عليين فيقول الله تعالى انه كان يسالني في الدنيا الدرجات العلى وانت كنت تسالني النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله
وهذا دليل على ان العبادة على الرجاء افضل لان المحبة اغلب على الراجي منه على الخائف فكم من فرق في الملوك بين من يخدم اتقاء
لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لانعامه واكرامه ولذلك امر الله تعالى بحسن الظن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله
الدرجات العلى فانما تسالون كريما وقال اذا سالتم الله فاعظموا الرغبة وسلوا الفردوس الاعلى فان الله لا يتعاظمه شيء وقال
بكر بن سليم الصواف دخلنا على مالك بن انس في العشية التي قبض فيها فقلنا يا ابا عبد الله كيف تجدك قال لا ادري ما اقول لكم الا

انكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برح حتى اغمضناه وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد رجائي
لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اجدني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف احرزها وانا بالافة معروف
واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقيل ان مجوسيا استضاف ابرهيم
الخليل على نبينا وعليه الصلوة والسلام فقال ان اسلمت اضفتك فمر المجوسي فاوحى الله تعالى الى ابرهيم لم تطعمه الا بتغيير
دينه ونحن منذ سبعين سنة نطعمه على كفره فلو اضفته ليلة ما ذا كان عليك فمر ابرهيم خلف المجوسي واضافه فقال له
المجوسي ما السبب فيما بدا لك فذكر فقال المجوسي اهكذا يعاملني ثم قال اعرض علي الاسلام فاسلم وراى الاستاذ ابو سهل
الصعلوكي ابا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بالوعيد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الامر اسهل مما توهمنا
وراى بعضهم ابا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال له يا استاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظني بربي
بحسن ظني بربي بحسن ظني بربي ثلاثا وحكي ان العباس بن سريج راى في مرض موته في المنام كان القيامة قد قامت واذا
الجبار سبحانه يقول اين العلماء فجاءوا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يا رب قصرنا واسانا قال فاعاد السؤال
كانه لم يرض به واراد جوابا اخر فقلت اما انا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه قال اذهبوا
فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال وقيل كان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع الى غلام له اربع
دراهم وامره ان يشتري شيئا من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب منصور بن عمار وهو يسال لفقير شيئا ويقول من دفع
اليه اربع دراهم دعوت له اربع دعوات قال فدفع الغلام الدراهم فقال منصور ما الذي تريد ان ادعو لك فقال لي سيد
اريد ان اتخلص منه فدعا منصور فقال ما الاخرى قال ان يخلف الله علي دراهمي فدعا ثم قال ما الاخرى قال ان يتوب الله على سيدي
فدعا فقال ما الاخرى قال ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور فرجع الغلام فقال له سيده لم ابطات فقص عليه
القصة قال وبم دعا فقال سالت لنفسي العتق فقال اذهب فانت حر قال وايش الثاني قال ان يخلف الله علي
ما لي الدراهم فقال لك اربع الاف درهم قال وايش الثالث قال ان يتوب الله عليك قال تبت الى الله قال وايش
الرابع قال ان يغفر الله لي ولك وللقوم قال هذا الواحد ليس الي فلما بات تلك الليلة راى في المنام كان قائلا
يقول انت فعلت ما كان اليك اترى اني لا افعل ما كان الي فقد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم
اجمعين وروي عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي قال رايت جنازة يحملها ثلاثة من الرجال وامراة قال
فاخذت مكان المراة وذهبنا الى المقبرة وصلينا عليها ودفنا الميت فقلت للمراة من كان هذا منك قالت ابني قلت و
لم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صغروا امره قلت وايش كان قالت مخنثا قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلي واعطيتها
الدراهم وحنطة وثيابا قال فرايت تلك الليلة كانه اتاني ات كانه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يشكرني فقلت من
انت فقال المخنث الذي دفنتموني اليوم رحمني ربي باحتقار الناس اياي قال ابرهيم الاطروش كنا قعودا ببغداد مع
معروف الكرخي على دجلة اذ مر قوم احداث في زورق يضربون بالدف ويشربون الخمر ويلعبون فقالوا لمعروف اما تراهم
يعصون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال الهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الاخرة فقالوا انما سالناك ان تدعو عليهم
فقال اذا فرحهم في الاخرة تاب عليهم وكان بعض السلف يقول في دعائه واي اهل دهر لم يعصوك ثم كانت
نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم دارا سبحانك ما احلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى
كانك يا رب تطاع سبحانك ما احلمك تعصى وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى كانك يا ربنا لا تغضب
فهذه هي الاسباب التي يجتلب بها روح الرجاء الى قلوب الخائفين والايسين فاما الحمقى المغرورون فلا ينبغي
ان يسمعوا شيئا من ذلك بل يسمعون ما سنورده في اسباب الخوف فان اكثر الناس لا يصلحون الا على الخوف
كالعبد السوء والصبي العرم لا يستقيمون الا على السوط والعصا واظهار الخشونة في الكلام فاما ضد ذلك فيسد

علم باب الصلاح في الدنيا والدين **الشطر الثاني من الكتاب في الخوف** وفيه بيان **حقيقة الخوف**
وبيان **درجات الخوف** وبيان **اقسام المخاوف** وبيان **فضيلة الخوف** وبيان **الافضل من الخوف والرجاء**
وبيان **دواء الخوف** وبيان معنى **سوء الخاتمة** وبيان **احوال الخائفين** من الانبياء والصالحين **بيان حقيقة
الخوف** اعلم ان الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة
الرجاء ومن انس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل
فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله اعلى من الخوف والرجاء فانهما زمامان يمنعان النفس من الخروج الى
رعوناتها والى هذا اشار الواسطي حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال ايضا اذا ظهر الحق على السرائر
لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا لخوف وبالجملة فالمحب اذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان نقصانا في
الشهود وانما دوام الشهود غاية المقامات ولكنا الآن انما نتكلم في اوائل المقامات فنقول حال الخوف ينتظم ايضا من علم و
حال وعمل اما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو و
الافلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه
حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يتشفع اليه في حقه وكان هذا الخائف عاطلا
عن كل وسيلة وحسنة تمحو اثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الاسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب
وبحسب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف
منه كالذي وقع في مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهو سطوته وحرصه على الافتراس غالبا وان كان
افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى سيل او جوار حريق فان الماء يخاف
لانه بطبعه مجبول على السيلان والاغراق وكذا النار على الاحراق فالعلم باسباب المكروه هو السبب الباعث المثير
لاحتراق القلب وتألمه وذلك الاحتراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تارة يكون لمعرفة الله ومعرفة صفاته وانه
لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون بكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما
جميعا وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله وتعاليه واستغنائه وانه لا يسأل عما يفعل يكون قوة
خوفه فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله ولذلك قال تعالى انما
يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا كملت المعرفة اورثت حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن
وعلى الجوارح وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء وقد تنشق به المرارة فيفضي
الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث اليأس والقنوط واما في الجوارح فبكفها عن
المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح
عينيه بل من يترك ما يخاف العذاب عليه وقال ابو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه
وقيل لذي النون متى يكون العبد خائفا قال اذا انزل نفسه منزلة السقيم يحتمي مخافة طول السقام واما في
الصفات فبان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها
عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول و
الخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في عاقبته
فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات ومؤاخذة
النفس في الخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري انه يغفل عنه فيفلت
او يهجم عليه فيهلكه فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى

عليه وهكذا كان جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته
وافعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال واقل درجات الخوف مما يظهر اثره في
الاعمال ان يمنع عن المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف عما لا يتيقن ايضا
تحريمه ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ان يترك ما لا بأس به مخافة مما
به بأس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا
يلتفت الى دنيا يعلم انه يفارقها ولا يصرف الى غير الله نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا
ويدخل في الصدق التقوى وفي التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى
الشهوات خاصة فاذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن
مقتضى الشهوة واعلى منه الورع فانه اعم لانه كف عن كل محظور واعلى منه التقوى فانه اسم الكف عن المحظور والشبهة
جميعا ووراءه اسم الصديق والمقرب وتجري الرتبة الاخيرة مما قبلها مجرى الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص
فقد ذكرت الكل كما انك تقول الانسان اما عربي واما عجمي والعربي اما قرشي او غيره والقرشي اما هاشمي او غيره
والهاشمي اما علوي او غيره والعلوي اما حسني او حسيني فان ذكرت انه حسيني مثلا فقد وصفته بالجميع وان
وصفته بانه علوي وصفته بما هو فوقه مما هو اعم منه فكذلك اذا قلت صديق فقد قلت متق وورع وعفيف
فلا ينبغي ان تظن ان كثرة هذه الاسامي تدل على معان كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على كل من طلب المعاني من الالفاظ
ولم يتبع الالفاظ المعاني فهذه اشارة الى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب
السفل كالاعمال الصادرة منه كفا واقداما **بيان درجات الخوف** واختلافه في القوة والضعف اعلم ان الخوف
محمود وربما يظن ان كل ما هو محمود فكل ما كان اقوى واكثر كان احمد وهو غلط بل الخوف سوط الله يسوق به عباده
الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى والاصلح للبهيمة ان لا تخلو عن سوط وكذلك الصبي
ولكن ذلك لا يدل على ان المبالغة في الضرب محمودة فكذلك الخوف له قصور وله افراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال
والوسط فاما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع
وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف
قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف تضرب به دابة قوية لا يؤلمها ألما مبرحا فلا
يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفين والعلماء ولست اعني بالعلماء المترسمين
برسوم العلماء والمتسمين باسمائهم فانهم ابعد الناس عن الخوف بل اعني العلماء بالله وبايامه وبافعاله وذلك
مما عز وجوده الآن قال الفضيل اذا قيل لك هل تخاف الله فان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واشار به الى ان
الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة
خاطر لا يستحق ان يسمى خوفا واما المفرط فهو الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط وهو
مذموم ايضا لانه يمنع من العمل والمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كمالا
لانه بالحقيقة نقصان لان منشأه الجهل والعجز اما الجهل فهو انه ليس يدري عاقبة امره ولو عرف لم يكن خائفا
لان المخوف هو الذي يتردد فيه واما العجز فهو انه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه فاذا هو محمود بالاضافة
الى نقص الآدمي وانما المحمود في ذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز ان يوصف الله به وما لا يجوز وصف الله به فليس
بكمال في ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص اعظم منه كما يكون احتمال الالم محمودا لانه اهون من الم المرض والموت
فما يخرج الى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف ايضا الى المرض والضعف والى الوله والدهشة وزوال العقل وقد يخرج

الى الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة او يمرضها او يكسر
عضوا من اعضائهما وانما ذكر عليه الصلوة والسلام اسباب الرجاء واكثر منها ليعالج به صدمة الخوف المفرط
المفضي الى الياس والقنوط او احد هذه الامور فكلما يراد الامر فالمحمود منه ما يفضي الى المراد المقصود
منه فما يقصر عنه او يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة
والفكر والذكر وسائر الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحيوة مع صحة البدن وسلامة
العقل فكل ما يقدح في هذه الاسباب فهو مذموم فان قلت من خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله
مذموما فاعلم ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت لا
بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة فاما بالاضافة الى تقدير بقاءه وطول عمره في طاعة الله وسلوك
سبيله فليس بفضيلة بل للسالك سبيل الله بطريق الفكر والمشاهدة والترقي في درجات المعارف في كل
لحظة رتبة شهيد وشهداء ولولا هذا لكان رتبة صبي يقتل او مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة نبي وولي
يموت حتف انفه وهو محال فلا ينبغي ان يظن هذا بل افضل السعادات طول العمر في طاعة الله فكل ما ابطل
العمر او الصحة او العقل الذي يعطل العمر ذلك فهو نقصان وخسران بالاضافة الى امور وان كان بعض
اقسامها فضيلة بالاضافة الى امور اخر كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة الى
درجات النبيين والصديقين فالخوف اذا لم يوثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في
حركة الدابة وان اثر فله درجات بحسب ظهور اثره فان لم يحمل الا على العفة وهي الكف عن مقتضى الشهوات فله
درجة وان اثمر الورع فهو اقصى واعلى درجاته ان يثمر درجات الصديقين وهو ان يسلب الظاهر والباطن عما
سوى الله حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع فهذا اقصى ما يحمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز
هذا الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه باسباب الرجاء
وبغيره حتى يزول ولهذا كان سهل يقول للمريدين الملازمين للجوع اياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم
يكن لله ولي ناقص العقل

بيان اقسام الخوف

بالاضافة الى ما يخاف منه اعلم ان الخوف لا يتحقق الا بانتظار
مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها في ذاته كالنار واما ان يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كما يكره
المعاصي لادائها الى مكروه في الآخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة لادائها الى الموت ولا بد لكل خائف من
ان يتمثل في نفسه مكروه من احد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك
المكروه ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم ما
ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة ونكث العهد او
خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله او خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة او خوف
الميل عن الاستقامة او خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المالوفة او خوف الاغترار بزخارف الدنيا
او خوف اطلاع الله على سريرته في حال غفلته عنه او خوف ان يكله الله الى حسناته التي اتكل عليها او خوف
الاشتغال عن الله بغير الله او خوف الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف غوائل طاعاته حيث يبدو له من الله
ما لم يكن يحتسب او خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش واضمار السوء او خوف ما لا يدري انه
يحدث في بقية عمره او خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل الموت او خوف الخاتمة عند الموت بخاتمة
السوء او خوف السابقة التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد خصوص فائدة وهو
سلوك سبيل الحذر عما يفضي الى الخوف فمن خاف استيلاء العادة عليه فانه يواظب على الفطام عن العادة ومن

يخاف من اطلاع الله على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام واغلب
هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيها خطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة
خوف السابقة لان الخاتمة تتبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق
به القضاء في ام الكتاب والخائف من الخاتمة بالاضافة الى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك في حقهما
بتوقيع يحتمل ان يكون فيه حز الرقبة ويحتمل ان يكون هو تسليم الوزارة اليه ولم يصل التوقيع اليهما بعد فتعلق
قلب احدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وانه عما ذا يظهر ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك و
كيفيته وانه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة او غضب وهذه التفات الى السبب فهو اعلى من
الالتفات الى ما هو فرع وكذلك الالتفات الى القضاء الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم اعلى من الالتفات
الى ما يظهر في الابد واليه اشار عليه الصلوة والسلام حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال
كتاب الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم وانسابهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى وقال
كتاب الله كتب فيه اهل النار باسمائهم وانسابهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن اهل السعادة حتى يقال
كانهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي
بقضاء الله والاعمال بالخواتيم فهذا كانقسام الخائفين الى من يخاف من معصيته وجنايته والى من يخاف
الله بنفسه بصفته وجلاله واوصافه التي تقتضي الهيبة لا محالة فهذا اعلى رتبة ولهذا يبقى خوفه وان
كان في طاعة الصديقين واما الآخر فهو في عرضة الغرور والامن ان واظب على الطاعات فالخوف من
المعصية خوف الصالحين والخوف من الله خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله وكل من
عرفه وعرف صفاته علم انه جدير بان يخاف من غير جناية بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم
يخف المعصية ولولا انه يخوف في نفسه ما يسوقه الى المعصية وييسر سبيلها ويمهد اسبابها فان تيسير اسباب
المعصية ابعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها ان ييسر للمعصية ويجري عليه اسبابها ولا سبق قبل الطاعة
وسيلة توسل بها من يسرت له الطاعات ومهد له سبيل القربات فالعاصي قد قضي عليه بالمعصية شاء ام ابى و
كذا المطيع فالذي رفع محمدا صلى الله عليه وسلم الى اعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع ابا
جهل في اسفل السافلين من غير جناية منه قبل وجوده جدير بان يخاف لصفة جلاله فان من اطاع سلط عليه ارادة
الطاعة واتاه القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى سلط
عليه ارادة قوية جازمة واتاه الاسباب والقدرة فكان الفعل بعد الارادة ضروريا فليت شعري ما الذي
اوجب اكرام هذا وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه وما الذي اوجب اهانة الآخر وابعاده وتسليط داعي
المعصية عليه وكيف يحال ذلك الى العبد واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف
ممن يقضي بما شاء ويحكم ما يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا المعنى من القدر الذي لا يجوز افشاؤه ولا يمكن
تفهيم الخوف منه في صفات الله الا بالامثال لولا اذن الشرع لم يستجر على ذكره ذو بصيرة فقد جاء في الخبر انه تعالى
اوحى على نبيه داود عليه الصلوة والسلام يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى
وان كان لا يوقف به على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله والحاصل
ان السبع يخاف لا لجناية سبقت اليه بل لقوته وقدرته وبطشه وسطوته وكبريائه وهيبته وانه يفعل ما يفعل
ولا يبالي فانه ان قتلك لا يرق قلبه ولم يتالم بقتلك وان خلاك لم يخلك شفقة عليك وابقاء على روحك بل
انت عنده اخس من ان يلتفت اليك حيا كنت او ميتا بل اهلاك الف مثلك واهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة

اذ لا تقدح ذلك فى عالم سبعيتة وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى و
لكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التى هى اقوى واوثق واجلى من المشاهدة الظاهرة
انه صادق فى قوله هؤلاء فى الجنة ولا ابالى وهؤلاء فى النار ولا ابالى ويكفيك من موجبات الهيبة
والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة **الطبقة الثانية من الخائفين** اذ يتمثل فى انفسهم ما
هو المكروه وذلك مثل سكرات الموت وشدتها او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع
او هيبة الموقف بين يدى الله والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف
من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او الخوف من النار واغلالها واهوالها او الخوف من
الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات او الخوف من الحجاب
عن الله وكل هذه الاسباب مكروهة فى انفسها فهى لا محالة مخوفة ويختلف احوال الخائفين فيها
واعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله وهو خوف العارفين وما قبل ذلك هو خوف
العابدين والصالحين والزاهدين وكافة العاملين ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال
ولا بالم البعد والفراق فاذا ذكر له ان العارف لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب وجد ذلك منكرا فى باطنه و
تعجب منه فى نفسه وربما انكر لذة النظر الى وجه الله الكريم لولا منعه الشرع اياه من الانكار فيكون اعترافه باللسان
عن ضرورة التقليد والا فباطنه لا يصدق به لانه لا يعرف الا لذة البطن والفرج والعين بالنظر الى الالوان و
الوجوه الحسان وبالجملة كل لذة تشاركه البهائم واما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام
مع من ليس له اهلا ومن كان له اهلا يستبصر بنفسه واستغنى عن ان يشرحه غيره فالى هذه الاقسام يرجع خوف
الخائفين **بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه** اعلم ان فضل الخوف تارة يعرف بالتامل والاعتبار وتارة بالايات
والاخبار اما الاعتبار فسبيله ان فضيلة الشئ بقدر غنائه فى الافضاء الى سعادة لقاء الله اذ لا مقصود
سوى السعادة ولا سعادة للعبد الا فى لقاء مولاه والقرب منه فكل ما اعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر
اعانته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله تعالى فى الاخرة الا بتحصيل محبته والانس به فى الدنيا ولا يحصل
المحبة الا بالمعرفة ولا يحصل المعرفة الا بدوام الذكر والفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا يتيسر المواظبة على
الذكر والفكر الا بانقطاع حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات
الا بقمع الشهوات ولا ينقمع الشهوة بشئ كما ينقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذن فضيلته بقدر ما
يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصى ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما
سبق وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه يحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهى الاعمال الفاضلة المحمودة التى تقرب
بها الى الله زلفى واما بطريق الاقتباس من الايات والاخبار فما ورد فى فضيلة الخوف خارج عن الحصر وناهيك دلالة
على فضيلته جمع الله للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهى مجامع مقامات اهل الجنان قال تعالى هدى ورحمة
للذين هم لربهم يرهبون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ووصفهم بالعلم لخشيتهم وقال تعالى رضى الله عنهم و
رضوا عنه ذلك لمن خشى ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم ولذلك جاء فى خبر
موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام واما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف افردهم بمرافقة
الرفيق الاعلى وذلك لانهم العلماء ولهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء وحق المرافقة للانبياء ومن يلحق
بهم ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البقاء فى الدنيا وبين القدوم على الله كان يقول اسئلك الرفيق الاعلى
فاذا ان نظر الى مثمره فهو العلم وان نظر الى ثمرته فهو الورع والتقوى ولا يخفى ما ورد فى فضلهما حتى ان العاقبة صادت

موسومة بالتقوى مخصوصة بها كما صار الحمد مخصوصا بالله والصلوة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله
رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلوة على محمد واله اجمعين وقد خصص الله التقوى بالاضافة الى نفسه فقال
تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق و
لذلك قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم ولذلك وصى الله تعالى الاولين والاخرين بالتقوى فقال تعالى ولقد وصينا
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقال تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين فامر بالخوف واوجبه و
شرطه فى الايمان ولذلك لا يتصور ان ينفك مؤمن عن خوف وان ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته
وايمانه قال عليه الصلوة والسلام فى فضيلة التقوى اذا جمع الله الاولين والاخرين لميقات يوم معلوم فاداهم ببصوت
يسمع اقصاهم كما يسمع ادناهم فيقول يا ايها الناس انى قد انصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا الى اليوم انما هى
اعمالكم ترد عليكم ايها الناس انى جعلت لكم نسبا وجعلتم لانفسكم نسبا فوضعتم نسبى ورفعتم نسبكم قلت ان اكرمكم عند الله
اتقيكم وابيتم الا فلان بن فلان وفلان اغنى من فلان فاليوم اضع نسبكم وارفع نسبى اين المتقون فيرفع للقوم لواء فيتبع
القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وقال صلى الله عليه وسلم راس الحكمة مخافة الله وقال صلى الله عليه وسلم
لابن مسعود ان اردت ان تلقانى فاكثر من الخوف بعدى وقال الفضيل من خاف الله دله الخوف على كل خير وقال الشبلى
ما خفت الله يوما الا رايت له بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وقال يحيى بن معاذ ما من مؤمن يعمل سيئة الا ويلحقه
حسنتان خوف العقاب ورجاء العفو كثعلب بين اسدين وفى خبر موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام واما الورعون
فانه لا يبقى احد الا ناقشته الحساب وفتشت عما فى يديه الا الورعين فانى استحييهم واجلهم ان اوقفهم للحساب والورع
والتقوى اسامى اشتقت من معانى شرطها الخوف فان خلت عن الخوف لم تسم بذلك وكذلك ما ورد فى فضائل الذكر لا يحصى وقد
جعله الله مخصوصا بالخائفين فقال تعالى سيذكر من يخشى وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال عليه الصلوة
والسلام قال الله تعالى وعزتى وجلالى لا اجمع على عبدى خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امننى فى الدنيا اخفته يوم القيمة
واذا خافنى فى الدنيا امنته يوم القيمة وقال عليه الصلوة والسلام من خاف الله خافه كل شئ ومن خاف غير الله اخافه من كل شئ
وقال ابو سليمن الدارانى ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقالت عائشة قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما
اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وهو الرجل يزنى ويسرق قال لا بل الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف ان لا
يقبل منه وقيل للحسن يا ابا سعيد كيف نصنع بمجالسة اقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال انك والله ان تخالط
قوما يخوفونك حتى يدركك امن خير من ان تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف وقال عليه الصلوة والسلام اكملكم عقلا
اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر الله به ونهى عنه نظرا وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن ادم لو خاف النار كما يخاف
الفقر لدخل الجنة وقال ذو النون ينبغى ان يكون الخوف ابلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب وقال ايضا
من خاف الله ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه وكان ابو الحسن الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة
لان الخوف زمام بين الله وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ من امن الخلق غدا
قال اشدهم اليوم خوفا وقال سهل لا تجد الخوف حتى تاكل الحلال والتشديدات الواردة فى الامن من مكر الله لا تنحصر
وكل ذلك ثناء على الخوف لان مذمة الشئ ثناء على ضده الذى ينفيه وضد الامن الخوف كما ان ضد الرجاء الياس و
كما دلت مذمة القنوط على فضيلة الرجاء كذلك يدل مذمة الامن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول ما ورد
فى فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان فان من رجا محبوبا فلا بد وان يخاف فوته فان
كان لا يخاف فوته فهو اذا لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك
احدهما عن الاخر نعم يجوز ان يغلب احدهما على الاخر وهما مجتمعان ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت

الى الاخر لتعذر عنه وهذا لان من شروط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف
فاذا المحبوب الذي يجوز وجوده ويجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه
يوجع القلب وهو الخوف والتقديران يتقابلان لا محالة اذا كان الامر المشكوك فيه نعم احد طرفي الشك قد يترجح
بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك بسبب غلبة احدهما على الاخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب
قوي الرجاء وخفي الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال الله تعالى ويدعوننا
رغبا ورهبا وقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء فقال الله تعالى
ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون وكثيرا ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما
اذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه بل اقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو
اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية وقد قال الله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا
وقال تعالى يبكون ويزيدهم خشوعا وقال تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون و
قال عليه الصلوة والسلام ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه دموع وان كانت مثل رأس الذباب من خشية
الله ثم تصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال عليه الصلوة والسلام اذا اقشعر قلب المؤمن
من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار
احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع وقال عقبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله قال
امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا
رسول الله من يدخل الجنة من امتك بغير حساب قال من ذكر ذنوبه فبكى وقال عليه الصلوة والسلام ما من
قطرة احب الى الله من قطرة دمع من خشية الله او قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقال عليه الصلوة
والسلام اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان بذروف الدمع قبل ان تصير الدموع دما والاضراس
جمرا وقال عليه الصلوة والسلام سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت
عيناه وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع ان يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكان
محمد بن المنكدر اذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول بلغني ان النار لا تاكل موضعا مسته الدموع
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ
حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وقال ابو سليمان الداراني ما تغرغرت عين بمائها الا لم يرهق
وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيمة فان سالت دموعه اطفأ باول قطرة منها بحارا من النيران ولو ان
رجلا بكى في امة ما عذبت تلك الامة وقال ابو سليمان الداراني البكاء من الخوف والرجاء والطرب و
الشوق وقال كعب الاحبار والذي نفسي بيده لان ابكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي
احب الي من ان اتصدق بجبل ذهب قال عبد الله بن عمر لان ادمع دمعة من خشية الله احب الي من ان
اتصدق بالف دينار وروي عن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة
رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فدنت مني المراة وجرى
بيننا من حديث الدنيا ونسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذنا في الدنيا ثم
تذكرت ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت انادي قد نافق حنظلة فاستقبلني ابو بكر فقال
كلا لم ينافق حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقول نافق حنظلة فقال
صلى الله عليه وسلم كلا لم ينافق فقلت يا رسول الله كنت عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها

القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فاخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا
عليه عندك فقال صلى الله عليه وسلم يا حنظلة لو انكم كنتم ابدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في الطرق و
على فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة فاذا كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل الورع و
التقوى وفضل العلم ومذمة الامن فهو دلالة على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلقة به اما تعلق السبب او تعلق
المسبب

بيان ان الافضل غلبة الخوف او غلبة الرجاء او اعتدالهما

اعلم ان الاخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت
وربما ينظر الناظر اليهما فيعتريه شك في ان الافضل ايهما وقول القائل الخوف افضل ام الرجاء سؤال فاسد
يضاهي قول القائل الخبز افضل ام الماء وجوابه ان الخبز افضل للجائع والماء افضل للعطشان فان اجتمعا نظر الى
الاغلب فان كان الجوع اغلب فالخبز افضل وان استويا فهما متساويان وهذا لان كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر
بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه والخوف والرجاء دواءان يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء
الموجود فان كان الغالب على القلب داء الامن من مكر الله والاغترار به فالخوف افضل وكذلك ان كان الغالب
على العبد المعصية فالخوف افضل وان كان الاغلب هو الياس والقنوط من رحمة الله فالرجاء افضل ويجوز ان
يقال مطلقا الخوف افضل على التاويل الذي يقال الخبز افضل من السكنجبين اذ يعالج بالخبز مرض الجوع و
بالسكنجبين الصفراء ومرض الجوع اكثر واغلب فالحاجة الى الخبز اكثر فهو الافضل فبهذا الاعتبار غلبة الخوف
افضل لان المعاصي والاغترار على الخلق اغلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء افضل لانه مستقى من بحر
الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه
اغلب وليس وراء المحبة مقام واما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجاء
وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي ان يستعمل فيه لفظ الاصلح لا لفظ الافضل فنقول اكثر الخلق الخوف لهم اصلح من الرجاء
وذلك لاجل غلبة المعاصي فاما التقي الذي ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح ان يعتدل خوفه و
رجاؤه وروي ان عليا رضي الله عنه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك ان اتيته بحسنات اهل
الارض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء انك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك ولذلك قيل لو وزن
خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا ولذلك قال عمر لو نودي ليدخل النار كل الناس الا رجلا لرجوت ان اكون انا
ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا لخشيت ان اكون انا ذلك الرجل وهذه عبارة عن غاية الخوف
والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر ينبغي ان يستوي خوفه
ورجاؤه فاما العاصي اذا ظن انه الرجل الذي استثني من الذين امروا بدخول النار كان ذلك دليلا على اغتراره
فان قلت مثل عمر رضي الله عنه لم ينبغي ان يساوي خوفه رجاؤه بل ينبغي ان يغلب رجاؤه كما سبق في اول الكتاب في نظر
الرجاء وان قوته ينبغي ان تكون بحسب قوة اسبابه كما مثل بالبذر والزرع ومعلوم ان من بث البذر الصحيح في ارض
نقية وواظب على تعهدها ووفى بجميع شروطها غلب على قلبه رجاء الادراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا
كان ينبغي ان تغلب رجاؤه كما سبق يكون احوال المتقين فاعلم ان من ياخذ المعارف من الالفاظ والامثلة يكثر
زلله وذلك وان اوردناه مثالا فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لان سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة اذ
علم بالتجربة صلاحية الارض ونقاءها وصحة البذر وصحة الهواء وصحته وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وانما
مثال مسئلتنا بذر لم يجرب جنسه وقد بث في ارض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يختبرها في بلاد ليس يدري اتكثر
الصواعق بها ام لا فهذا الزارع وان ادى كنه مجهوده واتى بكل ما هو مقدور له فلا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر
في مسئلتنا الايمان وشروط صحته دقيقة والارض القلب وخفايا خبثه وصفاته من الشرك الخفي والنفاق والرياء

وخبايا الأخلاق فيه غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب إليها في مستقبل الزمان وإن سلم في الحال فذلك مما لا يحقق ولا يعرف بالتجربة إذ قد يعرض من الأسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي أهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد فيه وذلك مما لم يجرب ثم الحصاد والإدراك عند المنصرف من القيامة إلى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقائق هذه الأمور فإن كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما سيحكى في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين وإن كان ثابت الجأش قوي القلب تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فأما أن يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة أنه هل يعرف به شيئا من آثار النفاق إذ كان حذيفة قد خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين فمن الذي يقدر على تطهير قلبه من خبايا النفاق والشرك الخفي وإن اعتقد نقاء قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله بتلبيس حاله عليه وإخفاء عيبه عنه وإن وثق به فمن أين يثق ببقائه على ذلك إلى تمام حسن الخاتمة وقد قال عليه الصلاة والسلام إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر وفي رواية إلا قدر فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار وقدر فواق الناقة لا يحتمل عملا بالجوارح إنما هو خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السوء فكيف يؤمن ذلك فإذا أقصى غايات المؤمن أن يعتدل خوفه ورجاؤه وأما غلبة الرجاء في غالب الناس فيكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله بينهما في وصف من أثنى عليهم فقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وأين مثل عمر فالخلق الموجودون كلهم الأصلح لهم غلبة الخوف بشرط أن لا يخرجهم إلى اليأس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا إلى الانهماك في المعاصي فإن ذلك قنوط وليس بخوف وإنما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا ويدعوه إلى التجافي عن دار الغرور فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والحث ودون اليأس الموجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف غرق في بحار الأفكار ومن عبده بمحض الرجاء تاه في مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محجة الأذكار وقال مكحول النسفي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجئ ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد فإذا لا بد من الجمع بين هذه الأمور وغلبة الخوف هو الأصلح ولكن قبل الإشراف على الموت أما عند الموت فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن بالله لأن الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق أسباب الخوف فإن ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته وأما روح الرجاء فإنه يقوي قلبه ويحبب إليه ربه الذي إليه رجاؤه ولا ينبغي أن يفارق أحد الدنيا إلا محبا لله ليكون محبا للقائه قال عليه الصلاة والسلام من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه والرجاء يقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم والأعمال كلها معرفة الله حتى يثمر المعرفة المحبة فإن المصير إليه والقدوم بالموت عليه ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فمهما كان الغالب عند الموت على القلب حب الأهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقاء والأصحاب فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالدنيا جنته إذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه فأما إذا لم يكن له محبوب سوى الله وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا إذا سجنه لأن السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الاسترواح إلى محابه فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من أفلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب فضلا عما أعد الله لعباده الصالحين ما لم تره عين ولا خطر على قلب بشر وفضلا عما أعد للذين

استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمأنوا إليها من الأنكال والسلاسل والأغلال وضروب الخزي والنكال فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع في إجابة هذا الدعاء إلا باكتساب حب الله ولا سبيل إليه إلا بإخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله من جاه ومال ووطن فالأولى أن يتحصن بدعاء نبينا صلى الله عليه وسلم إذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد والغرض أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لأنه أجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لأنه أحرق لنار الشهوات وأقمع لمحبة الدنيا من القلب ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه وقال تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ولما حضر سليمان التيمي الوفاة قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله على حسن الظن به وكذلك لما حضر الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه وقال أحمد بن حنبل عند الموت لابنه اذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن والمقصود من ذلك كله أن يحبب الله إلى نفسه ولذلك أوحى الله إلى داود وعلى نبينا وعليه الصلاة والسلام أن حببني إلى عبادي فقال بماذا فقال بأن تذكرهم آلائي ونعمائي فإذا غاية السعادة أن يموت العبد محبا لله وإنما تحصل المحبة بالمعرفة وإخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كلها كالسجن المانع من المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الداراني في المنام وهو يطير فسأله فقال الآن أفلت فلما أصبح سأل عن حاله فقالوا إنه مات البارحة

بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف

اعلم أن ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف والرجاء لأن أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الإيمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والخوف والرجاء يقويان على الصبر فإن الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف ولذلك قال علي رضي الله عنه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله والفكر فيه على الدوام فيؤدي دوام الذكر إلى الأنس ودوام الفكر إلى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة والأنس إلى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين فليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله ظاهرا وباطنا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق إلا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة والأنس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل فإذا فيما ذكرناه في علاج الصبر كفاية ولكنا نفرد الخوف بكلام جملي فنقول الخوف يحصل بطريقين مختلفين أحدهما أعلى من الآخر مثاله أن الصبي إذا كان في بيت فدخل عليه سبع أو حية ربما كان لا يخاف وربما مد اليد إلى الحية ليأخذها ويلعب بها ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها فإذا نظر الصبي إلى أبيه وهو يرتعد فرائصه ويحتال في الهرب قام معه وغلب عليه الخوف ووافقه في الهرب فخوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته وأما خوف الابن فإنما هو بمجرد التقليد لأنه يحسن الظن بأبيه ويعلم أنه لا يخاف إلا من سبب مخوف في نفسه فيعلم أن السبع مخوف ولا يدري وجهه فإذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله على مقامين أحدهما الخوف من عقابه والثاني الخوف منه في ذاته فأما الخوف منه فهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله ويحذركم الله نفسه وقوله اتقوا الله حق تقاته فأما الأول

فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالله والجنة والنار وكونهما جزاءين على الطاعة و
المعصية وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وانما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير و
ملازمة الفكر في اهوال القيامة واصناف العذاب في الآخرة ويزيد ايضا بالنظر الى الخائفين ومجالستهم و
مشاهدة احوالهم فان فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تاثير قال ذو النون خوف النار عند خوف الفراق
كقطرة في بحر لجي واما الثاني وهو الاعلى ان يكون الله هو المخوف اعني ان يخاف البعد والحجاب عنه ويرجو القرب منه
هذه خشية العلماء قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولعموم المؤمنين ايضا حظ من هذه الخشية ولكن
هو بمجرد التقليد يضاهي خوف الصبي من الحية تقليدا لابيه وذلك لا يستند الى بصيرة فلا جرم يضعف ويزول على قرب
حتى ان الصبي ربما يرى المعزم يقدم على اخذ الحية فينظر اليه ويغتر به فيتجرأ على اخذها تقليدا له كما احترز من اخذها
تقليدا لابيه والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب الا اذا قويت بمشاهدة اسبابها المؤكدة لها دائما على الدوام
او بالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فاذا ارتقى الى ذروة
المعرفة وعرف الله خافه بالضرورة فلا يحتاج الى علاج يجلب الخوف كما ان من عرف السبع ورأى نفسه واقعا في مخالبه
لا يحتاج الى علاج يجلب الخوف الى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء ام ابى ولذلك اوحى الله تعالى الى داود خفني كما
تخاف السبع الضاري ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري الا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه فلا
يحتاج الى حيلة سواه فمن عرف الله عرف انه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة
سابقة وابعد ابليس من غير جريمة سالفة بل صفته ما ترجمه قوله هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي
ان خطر بالبال انه لا يعاقب الا على معصية ولا يثيب الا على طاعة فتامل انه لم يمد المطيع باسباب الطاعة حتى يطيع شاء
ام ابى ولم يمد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصي شاء ام ابى فانه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان
الفعل واقعا بالضرورة فان كان ابعده لانه عصاه فلم حمله على المعصية هل لذلك المعصية سابقة حتى تتسلسل الى غير نهاية
او يقف لا محالة على اول لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه في الازل وعلى هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم بقوله احتج
آدم وموسى عند ربهما فقال موسى انت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته واسكنك
جنته ثم اهبطت الناس بخطيئتك الى الارض فقال آدم انت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه واعطاك
الالواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان اخلق قال باربعين عاما قال فهل وجدت
فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال افتلومني على ان عملت عملا كتبه الله علي قبل ان اعمل وقبل ان يخلقني باربعين سنة
قال صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى فمن عرف السبب في هذا الامر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين
المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من
الفريقين خوف فان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع والسبع قد يغفل
بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاتفاق اسباب مرتبة بقدر معلوم ولكن اذا
اضيف الى من لا يعرفه سمي اتفاقا والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخر ان
سلط عليه الجوع افترس وان سلط عليه الغفلة خلى وترك وانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلست اقول الخوف
من الله مثال الخوف من السبع بل اذا كشف الغطاء علم ان الخوف من السبع هو عين الخوف من الله لان المهلك بواسطة
السبع هو الله فاعلم ان سباع الآخرة مثل سباع الدنيا فان الله خلق اسباب العذاب واسباب الثواب و
خلق لكل واحد اهلا يسوقه القدر المتقن عن القضاء الجزم الازلي الى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها اهلا سخروا
لاسبابها شاؤوا او ابوا وخلق النار وخلق لها اهلا سخروا لاسبابها شاؤوا او ابوا فلا يرى احد نفسه في ملتطم

امواج البحر الاهلاك الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين باسرار القدر فمن قعد به القصور عن الارتفاع
الى بقاع الاستبصار فسبيله ان يعالج نفسه بسماع الاخبار والآثار فيطالع احوال الخائفين واقوالهم وينسب
عقلهم ومناصبهم الى مناصب الراجين المغرورين فلا يتمارى في ان الاقتداء بهم اولى لانهم الانبياء والاولياء والعلماء
واما الآمنون فهم الفراعنة والجهال والاغبياء اما رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الاولين والآخرين وكان
اشد الناس خوفا حتى روي انه كان يصلي على طفل ففي رواية انه سمع في دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب
النار وفي رواية ثانية انه سمع قائلة تقول هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال ما يدريك انه كذلك
والله اني لرسول الله وما ادري ما يصنع بي ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص وفي
رواية انه قال ذلك ايضا على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الاولين لما قالت ام سلمة هنيئا لك
الجنة وكانت ام سلمة بعد ذلك تقول والله لا ازكي احدا بعد ذلك ولا ابي الذي ولدني قال فثارت الشيعة
فاخذ يذكر من فضائل علي ومناقبه وروي في حديث آخر ان رجلا من اهل الصفة استشهد فقالت امه هنيئا
لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت الى رسول الله وقتلت في سبيل الله فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريك لعله كان
يتكلم بكلام لا ينفعه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر انه صلى الله عليه وسلم دخل على بعض اصحابه وهو عليل فسمع
امراة تقول هنيئا لك الجنة من هذه المتالية على الله فقال المريض هي امي يا رسول الله فقال وما يدريك لعل
فلانا يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول شيبتني هود
واخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من
الابعاد كقوله تعالى الا بعدا لعاد قوم هود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود الا بعدا لثمود مع علمه عليه الصلاة والسلام بانه
لو شاء الله ما اشركوا اذ لو شاء لآتى كل نفس هداها وفي سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة اي جف القلم بما هو
كائن وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة اما خافضة قوما كانوا مرتفعين في الدنيا واما رافعة قوما كانوا منخفضين في
الدنيا وفي سورة التكوير من اهوال القيامة وانكشاف الخاتمة واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت
وفي عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ولا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا والقرآن من
اوله الى آخره مخاوف لمن قراه بتدبر ولو لم يكن فيه الا قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى لكان
كافيا اذ علق المغفرة على اربعة شروط يعجز العبد عن آحادها واشد منه قوله تعالى فاما من تاب وآمن وعمل
صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم وسنفرغ لكم ايه الثقلان وقوله تعالى
افامنوا مكر الله وكذلك قوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة وقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى
الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وقوله تعالى وان منكم الا واردها وقوله تعالى اعملوا ما شئتم انه بما تعملون
بصير وقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة الآية وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآيتين وقوله تعالى وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وكذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر السورة فهي اربعة شروط
للخلاص من الخسران وانما كان خوف الانبياء مع ما فاضت عليهم من النعم لانهم لم يامنوا مكر الله ولا يامن مكر الله الا القوم
الخاسرون حتى روي ان جبرئيل ونبينا عليهما الصلاة والسلام بكيا خوفا من الله تعالى فاوحى اليهما لم تبكيان وقد امنتكما
فقالا ومن يامن مكرك فكانهما علما ان الله علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غايات الامور لم يامنا ان يكون قوله
آمنتكما ابتلاء لهما وامتحانا ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد امنا من المكر وما وفيا بقولهما كما ان ابراهيم
على نبينا وعليه الصلاة والسلام لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله وكانت هذه من الدعاوي العظام فامتحن وعورض بجبرئيل
في الهواء حتى قال الك حاجة فقال اما اليك فلا فكان ذلك وفاء بمقتضى قوله حسبي الله فاخبر الله تعالى عنه بقوله

وابرهيم الذي وفى اي بموجب قوله حسبي الله وبمثل هذا الخبر عن موسى حيث قالا اننا نخاف ان يفرط علينا
او ان يطغى فقال تعالى لا تخافا انني معكما اسمع وارى ومع هذا لما القى السحرة سحرهم اوجس موسى في
نفسه خيفة اذلم يامن مكر الله والتبس الامر عليه حتى جدد عليه الامن وقال لا تخف انك انت الاعلى ولما
ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال عليه الصلوة والسلم اللهم ان تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الارض احد يعبدك
فقال ابو بكر رضي الله عنه دع مناشدتك ربك فانه واف بما وعدك وكان مقام الصديق الثقة بوعد الله وكان مقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو اتم لانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة باسرار الله وخفايا افعاله
ومعاني صفاته التي يعبر عنها عن بعض ما يصدر عنها بالمكر وما لاحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله ومن عرف حقيقة
الامر وقصور معرفته عن الاحاطة بكنه الامور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام
لما قيل له انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله الى قوله تعالى فانك انت العزيز الحكيم فوض الامر الى المشيئة
واخرج نفسه بالكلية من البين لعلمه بانه ليس له من الامر شيء وان الامور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد المعقولات
والمالوفات فلا يمكن الوقوف عليها بقياس وحدس وحسبان فضلا عن التحقق والاستيقان وهذا هو الذي قطع قلوب
العارفين اذ الطامة الكبرى هي ارتباط امرك بمشيئة من لا يبالي بك ان اهلكك فقد اهلك من لا يحصى من امثالك
ولم يزل في الدنيا يعذبهم بانواع الالام والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم ابد
الاباد ثم يخبر عنه ويقول ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها الاية وقال تعالى وتمت كلمة ربك لاملان جهنم الاية فكيف
لا يخاف بما حق القول في الازل ولا مطمع في تداركه ولو كان الامر انفا لكانت الاطماع تمتد الى حيلة
فيه ولكن ليس الا التسليم واستقراء خفي الاسباب السابقة من جلي الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسر
له اسباب الشر وحيل بينه وبين الخير واحكمت علاقته مع الدنيا فكانه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت
له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له وان كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه
على الله مقبلا كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد
نيران الخوف اشتعالا ولا يمكنه الاطفاء وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فانه
اشد تقلبا من القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب ان عذاب ربهم غير مامون فاجهل الناس من امن منه وهو ينادي
بالتحذير من الامن ولولا ان الله تعالى لطف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف
فاسباب الرجاء رحمة من الله تعالى واسباب الغفلة رحمة منه على عوام الخلق من وجه اذ لو كشف الغطاء لزهقت النفوس
وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب قال بعض العارفين لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة
اسطوانة فمات لم اقطع له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من تقلب القلب وقال بعضهم لو كانت الشهادة على
باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام لاني لا ادري ما يعرض لقلبي من باب
الحجرة وباب الدار وكان ابو الدرداء يحلف بالله ما احد امن على ايمانه ان يسلبه عند الموت الا سلبه وكان سهل يقول
خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة وهم الذين وصفهم الله اذ قال وقلوبهم وجلة ولما
احتضر سفيان الثوري جعل يبكي ويجزع فقيل له يا ابا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله اعظم من ذنوبك فقال او على
ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال بان القى الله بامثال الجبال من الخطايا وحكي عن بعض الخائفين انه اوصى
بعض اخوانه فقال اذا حضرتني الوفاة فاقعد عند راسي فان رايتني مت على التوحيد فخذ جميع ما املكه واشتر به لوزا
وسكرا وانثره على صبيان اهل البلد وقل هذا عرس المنفلت وان مت على غير ذلك فاعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا بشهود
جنازتي ليحضر جنازتي من احب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد موتي قال وبم اعلم ذلك فذكر له علامة التوحيد فراى علامة

علامة التوحيد فاشترى اللوز والسكر وفرقه وكان سهل يقول المريد يخاف ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان
يبتلى بالكفر وكان ابو يزيد يقول اذا توجهت الى المسجد كان في وسطي زنارا اخاف ان يذهب بي الى البيعة وبيت النار
حتى ادخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا لي كل يوم خمس مرات وعن عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام انه قال يا معشر
الحواريين انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر وروي في الاخبار ان نبيا شكى الى الله الجوع والقمل
والعري سنين وكان لباسه الصوف فاوحى الله اليه عبدي اما رضيت ان عصمت قلبك ان يكفر بي حتى تسالني الدنيا فاخذ
التراب ووضع على راسه وقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فاذا كان خوف العارفين مع رسوخ اقدامهم
وقوة ايمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء ولسوء الخاتمة اسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر
وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن لو اني اعلم اني بريء من النفاق كان احب الي
من ما طلعت عليه الشمس وما عنى به النفاق الذي هو ضد اصل الايمان بل المراد به ما يجتمع مع اصل الايمان فيكون مسلما منافقا
وله علامات كثيرة قال عليه الصلوة والسلام اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم وان كانت خصلة
منهن فيه ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان واذا خاصم فجر وفي لفظ اخر واذا
عاهد غدر وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منها الا صديق قال الحسن ان من النفاق اختلاف السر
والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه الامور مالوفة بين الناس
معتادة ونسي كونها منكرا بالكلية حتى جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة كان الرجل يتكلم
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا اني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وكان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الكبائر وقال بعضهم علامة النفاق ان تكره من الناس ما تاتي مثله وان تحب على شيء من الجور وان
تبغض على شيء من الحق وقيل من النفاق ان اذا مدح بشيء ليس فيه اعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر انا ندخل على
هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وروي ان رجلا كان يذم الحجاج ويقع فيه فقال ارايت لو كان الحجاج حاضرا اكنت تتكلم بما
تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واشد من ذلك ما روي ان نفرا
قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شانه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا
فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حذيفة
كان قد خص بعلم المنافقين واسباب النفاق ويقول ياتي على القلب ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للايمان
فيه مغرز ابرة ويأتي ساعة يمتلئ بالايمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز ابرة فقد عرفت بهذا ان خوف
العارفين من سوء الخاتمة وان سببه امور متقدمة منها البدع والمعاصي ومنها النفاق ومتى يخلو العبد
عن جملة ذلك فان ظن انه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل من امن النفاق فهو منافق وقال بعضهم لبعض العارفين
اني اخاف على نفسي النفاق فقيل له لو كنت منافقا ما خفت النفاق فلا يزال العبد العارف بين الالتفات الى
السابقة والخاتمة خائفا منهما ولذلك قال عليه الصلوة والسلم العبد المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما
الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت مستعتب ولا بعد الدنيا
من دار الا الجنة او النار

بيان سوء الخاتمة

فان قلت ان هذه الامور ترجع الى سوء الخاتمة فما معنى سوء
الخاتمة فاعلم ان سوء الخاتمة على رتبتين احديهما اعظم من الاخرى فاما الرتبة العظيمة الهائلة فان يغلب على القلب عند سكرات
الموت وظهور اهواله اما الشك واما الجحود فتقبض الروح في حال غلبة الجحود او الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود

اذهب

بالكلية صح

على القلب صح

معنى صح

خوف صح

حجابا بينه وبين الله ابدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد والثانية وهي دونها ان يغلب على قلبه عند الموت حب امر من امور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه منكسا راسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب اذ نار الله الموقدة لا تأخذ الا المحجوبين فاما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف الى الله تعالى فتقول له النار جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي فمهما اتفق قبض روحه في حالة غلبة حب الدنيا فالامر مخطر لان المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة اخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب الا باعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا في الرجوع الى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة الا ان اصل الايمان وحب الله اذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال اخرجه من النار في زمان اقرب وان كان اقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد ان يخرجه من النار ولو بعد آلاف سنين فان قلت فما ذكرته يقتضي ان يسرع اليه النار عقيب موته فما باله يؤخر الى يوم القيامة ويمهل طول هذه المدة فاعلم ان من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الايمان ونور القرآن بل الصحيح عند ذوي الابصار ما صح به الاخبار وهو ان القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنة وانه قد يفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به الاخبار فلا تفارقه روحه الا وقد نزل به البلاء ان كان قد شقي بسوء الخاتمة وانما تختلف اصناف العذاب باختلاف الاوقات فيكون بسؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر والتعذيب بعده ثم المناقشة في الحساب والافتضاح في ملأ الاشهاد في القيامة ثم بعد ذلك خطر الصراط وهول الزبانية الى آخر ما وردت به الاخبار فلا يزال الشقي مترددا في جميع احواله بين اصناف العذاب وهو في جملة الاحوال معذب الا ان يتغمده الله برحمته ولا تظنن ان محل الايمان يأكله التراب بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها الى ان يبلغ الكتاب اجله فتجتمع الاجزاء المتفرقة ويعاد اليها الروح الذي هو محل الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة اما في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش واما على حالة تضادها هذه الحالة ان كانت والعياذ بالله شقية فان قلت فما السبب الذي يفضي الى سوء الخاتمة فاعلم ان اسباب هذه الامور لا يمكن احصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين احدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الاعمال كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت اعماله صالحة ولست اعني مذهبا واقول انه بدعة فان ذلك يطول القول فيه بل اعني بالبدعة ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وافعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ما هو عليه اما برأيه ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصوم وعليه يعول وبه يغتر واما اخذا بالتقليد ممن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه فربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما يعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادي سكراته منه فقد ينكشف به بعض الامور فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه اخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لاجل انه رجع فيه الى رأيه الفاسد وعقله الناقص بل ظن ان كل ما اعتقده لا اصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او لشكه فيها فان اتفق زهوق روحه على هذه الخطرة قبل ان يثبت ويعود الى اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرج روحه على الشرك والعياذ بالله منه فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الآية وكما انه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك

بسبب خفة اشتغال القلب عن الدنيا فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الامور اذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من ان ينظر الى الملكوت فيطالع ما في اللوح المحفوظ لينكشف له الامور على ما هي عليه فيكون مثل هذه الحالة سببا للكشف ويكون الكشف سببا للشك في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله وفي صفاته وافعاله شيئا على خلاف ما هو به اما تقليدا واما نظرا بالرأي والمعقول فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينجي منه الا الاعتقاد الحق والبله بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ولا اصغوا الى اصناف المتكلمين ولذلك قال عليه الصلاة والسلام اكثر اهل الجنة البله ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الامور وامروا الخلق ان يقتصروا على ان يؤمنوا بما انزل الله جميعا وبكل ما جاء من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم عن الخوض في التأويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباتها كؤود ومسالكها وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطربة ومتعارضة والقلوب لما القي اليها في مبدأ النشو آلفة وبه متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة والمأخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وبشهوات الدنيا مجتمعة آخذة وعن تمام الفكر ممنوعة فاذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طباعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال او الاحاطة بكنه الحق انطلقت السنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتأكد ذلك بطول الالف فيهم فانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الآن قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد ان ذلك علم واستيقان وانه صفو الايمان ويظن ان ما وقع له عن حدس وتخمين علم اليقين بل عين اليقين ولتعلمن نبأه بعد حين وينبغي ان ينشد في هؤلاء عند انكشاف الغطاء احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر فاعلم يقينا ان كل من فارق الايمان الساذج بالله ورسله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله من انكسرت سفينته وهو في ملتطم الامواج ومرمي به من موج الى موج وربما يتفق ان يقذفه الى الساحل وذلك بعيد والهلاك عليه اغلب وكل نازل على عقيدة يلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم اما مع الادلة التي حرروها في تعصباتهم او دون الادلة ان كان شاكا فيها فهو فاسد الدين وان كان واثقا فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين الا اذا جاوز حدود المعقول الى نور المكاشفة التي تشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الاحمر واني يتيسر وانما ينجو عن هذا الخطر البله من العوام الذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يخوضوا في هذه الفضول فهذا احد الاسباب المخطرة واما السبب الثاني فهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى الا من حيث حديث النفس ولا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب فلا يزال يطفئ ما فيه من نور الايمان على ضعفه حتى يصير طبعا ورينا فاذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب اعني حب الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوبة الغالبة على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله تعالى فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك من حيث انه من الله فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كما ان الذي يحب ولده حبا ضعيفا فاذا اخذ ولده امواله التي هي احب اليه من ولده واحرقها انقلب ذلك الحب بغضا فان

انتهى زهوق روحه في تلك الخطرة التي زهقت خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك
هلاكا مؤبدا والسبب الذي يفضي الى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون اليها والفرح باسبابها
مع ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله فمن وجد في قلبه حب الله اغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا
فهو ابعد عن هذا الخطر وحب الدنيا راس كل خطيئة وهو الداء العضال وقد عم اصناف الخلق وذلك كله لقلة
المعرفة بالله اذ لا يحبه الا من عرفه ولذلك قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم الاية فاذا من فارقته
روحه في حالة خطرة الانكار على الله بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه في تفريقه بينه وبين اهله وماله وسائر
محابه فيكون موته قدوما على ما ابغضه وفراقا لما احبه فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الابق اذا قدم به على
مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال واما الذي يتوفى على الحب لله فانه يقدم على الله قدوم
العبد المحسن المشتاق الى مولاه الذي تحمل مشاق الاعمال ووعثاء الاسفار طمعا في لقائه فلا يخفى ما يلقاه من
الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الاكرام وبدائع الانعام واما الخاتمة الثانية التي هي دون
الاولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها ايضا سببان احدهما كثرة المعاصي وان قوي الايمان والاخر ضعف الايمان
وان قلت المعاصي لان مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما
الفه الانسان في عمره يعود ذكره الى قلبه عند الموت فان كان ميله الاكثر الى الطاعات غلب ذكرها على قلبه وان كان ميله
الاكثر الى المعاصي غلب ذلك على قلبه عند موته فربما يقبض روحه عند شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيد
قلبه بها ويصير محجوبا عن الله فالذي لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو ابعد من هذا الخطر والذي
لم يقارف الذنب اصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلب عليه المعاصي وكانت اكثر من طاعاته وقلبه
بها افرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جدا ونعرف هذا بمثال وهو انه لا يخفى عليك ان الانسان
يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته في اليقظة وحتى ان
المراهق الذي يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما راى صورة الوقاع
عند الاحتلام ثم لا يخفى ان الذي قضى عمره في الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء اكثر مما يراه
التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة باسباب التجارة اكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر
في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الالف او بسبب اخر من الاسباب والموت شبه النوم لكنه فوقه
لكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المالوفات وعودها الى
القلب واحد الاسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف وطول الالف بالمعاصي والطاعات ايضا مرجح وكذلك
تخالف منامات الصالحين ايضا منامات الفساق ايضا فيكون غلبة الالف سببا لان تتمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل
اليها نفسه فربما يقبض عليه روحه فيكون ذلك سوء خاتمته وان كان اصل الايمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص
منها وكما ان ما يخطر في اليقظة انما يخطر بسبب خاص يعلمه الله فكذلك احاد المنامات لها اسباب عند الله
نعرف بعضها ولا نعرف بعضها كما انا نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء الى ما يناسبه اما بالمشابهة واما بالمضادة
واما بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس معا اما المشابهة فبان ينظر الى جميل فيتفكر قبيحا ويتامل في
شدة التفاوت بينهما واما بالمقارنة فبان ينظر الى فرس قد راه مع انسان من قبل فيتذكر الانسان وقد ينتقل
الخاطر من شيء الى شيء ولا يدري وجه مناسبته له وانما يكون ذلك بواسطة او واسطتين مثل ان ينتقل
من شيء الى ثان ومنه الى ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الاول والثالث مناسبة ولكن يكون بينه وبين
الثاني مناسبة وبين الثاني والاول مناسبة فلذلك لا ينتقل في المنام اسبابه من هذا الجنس وكذا عند

غلبته صح

ذلك صح

الخواطر صح

سكرات الموت ومقاساتها ان يكف خاطره عن الانتقال بطول عمره في فطام نفسه عنها وفي قمع الشهوات من القلب
فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة و
ذخيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك نقل عن
بقال انه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة وهو يقول خمسة ستة اربعة وكان مشغول النفس بالحساب
الذي طال الفه قبل الموت ولقد قال بعض العارفين من السلف ان العرش جوهرة يتلألأ نورا فلا يكون العبد
على حال الا ينطبع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فاذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش فربما
يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف له في القيمة فيرى احوال نفسه فياخذه من الحياء والخوف ما يجل عن
الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فان النائم يدرك ما سيكون في المستقبل من مطالعة
اللوح المحفوظ وهو جزء من اجزاء النبوة فاذا رجع سوء الخاتمة الى احوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله
والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار الكلي فان كان لطول الالف فيه تاثير فلهذا عظم خوف العارفين
من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان ان لا يرى في المنام الا احوال الصالحين واحوال الطاعات والعبادات عسر عليه
ذلك وان كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وان كان
الغالب مناسبته ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ ابا علي الفارمذي يصف لي وجوب
حسن ادب المريد لشيخه ان لا يكون في قلبه انكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخي ابي القاسم
الكركاني مناما لي وقلت رايتك قلت لي كذا فقلت لم ذلك فهجرني شهرا ولم يكلمني وقال لولا انه كان في باطنك
تجويز المطالبة والانكار لما اطلقك لسانك جرى ذلك على لسانك في المنام وهو كما قال اذ قلما يرى الانسان في منامه
خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه فهذا هو الذي يسمح بذكره في علم المعاملة من اسرار الخاتمة وما وراء ذلك
فهو داخل في علم المكاشفة وقد ظهر لك بهذا ان الامن من سوء الخاتمة بان ترى الاشياء كما هي عليها من غير جهل و
تزجي جميع العمر في طاعة الله من غير معصية فان كنت تعلم ان ذلك عسير وحال فلابد وان يغلب عليك من الخوف ما
غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم به حزنك وقلقك كما سنحكيه من احوال الانبياء والاولياء
والسلف الصالحين ليكون ذلك احد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك فقد عرفت بهذا ان اعمال العمر كلها ضائعة
ان لم تسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب امواج الخواطر مشكلة جدا ولذلك كان
مطرف بن عبد الله يقول اني لا اعجب ممن هلك كيف هلك ولكني اعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف اذا صعدت
الملائكة بروح المؤمن الذي قد مات على الخير والاسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا من دنيا فسد فيها خيارنا وكان
الثوري يبكي فقيل له علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالان نبكي على الاسلام ومن وقعت سفينته في
لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الامواج كانت النجاة في حقه ابعد من الهلاك وقلب المؤمن اشد اضطرابا
من السفينة وامواج الخواطر اعظم التطاما من امواج البحر وانما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال
عليه الصلوة والسلام ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بما سبق
به الكتاب ولا يتسع فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف وقال
سهل رايت كاني ادخلت الجنة فرايت ثلاثمائة نبي فسالتهم ما اخوف ما كنتم تخافون في الدنيا فقالوا سوء الخاتمة ولاجل هذا الخطر
العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وموت الفجاة مكروها اما الموت فجاة فلانه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه
على القلب والقلب لا يخلو عن امثالها الا ان يدفع بالكراهة او بنور المعرفة واما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة لم
يبق في القلب سوى حب الله وخرج حب الدنيا والاهل والمال والولد وجميع الشهوات من القلب اذ لا يهجم على صف القتال

الا للمعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة صح

موطنا نفسه على الموت الا في سبيل الله وطلبا لرضاه وبايعا دنياه باخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه الله تعالى به حيث
قال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والبائع راغب عن المبيع لا محالة ويخرج حبه من القلب
ويجرد حب العوض المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة قد يغلب على القلب في بعض الاحوال لكن لا يتفق زهوق الروح فيها
فضيلة القتال بسبب زهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة
فان من كان هذا حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن هذه الحالة وعن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاخبار واذا
بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها وواظب على ذكر الله واخرج من قلبك حب الدنيا
واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة اهلها جهدك
فان ذلك ايضا يؤثر في قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك ان تسوف وتقول ساستعد لها اذا جاءت الخاتمة
فان كل نفس من انفاسك خاتمتك اذ يمكن ان يختطف فيه روحك فراقب قلبك في كل تطريفة واياك ان تهمله لحظة فلعل
تلك اللحظة خاتمتك هذا ما دمت في يقظتك فاما اذا نمت فاياك ان تنام الا على طهارة الظاهر والباطن وان يغلبك
النوم الا بعد غلبة ذكر الله على قلبك لست اقول على لسانك فان حركة اللسان بمجردها ضعيفة الاثر واعلم قطعا انه لا يغلب
عند النوم على قلبك الا ما كان قبل النوم غالبا عليه وانه لا يغلب في النوم الا ما كان غالبا قبل النوم ولا تبعث من نومك
الا على ما غلب على قلبك في نومك والموت والبعث شبه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ
الا على ما كان عليه في نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه وتحقق قطعا ويقينا ان
الموت والبعث حالتان من احوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من احوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب ان
ان لم تكن اهلا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب انفاسك ولحظاتك واياك ان تغفل عن
الله طرفة عين فانك اذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل فالناس كلهم هلكى الا العالمين
والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصين والمخلصون على خطر عظيم واعلم ان ذلك لا يتيسر
لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقي كله فضول والضرورة من
المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغي ان يكون تناولك تناول مضطر كاره له ولا يكون رغبتك فيه اكثر من
رغبتك في قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام وبين اخراجه فهما ضرورتان في الجبلة وكما لا يكون قضاء
الحاجة من همتك التي تشتغل بها فلا ينبغي ان يكون تناول الطعام من همتك واعلم انه ان كان همتك ما يدخل
في بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك واذا لم يكن قصدك من الطعام الا التقوي على عبادة الله من ماكول
في قدره ووقته وجنسه اما الوقت فاقله ان تكتفي في اليوم والليل بمرة واحدة فتواظب على الصوم واما
قدره فان لا تزيد على ثلث البطن واما جنسه فان لا تطلب اللذائذ من الاطعمة بل تقنع بما يتفق فان قدرت
على هذه الثلث وسقطت عنك مؤنة الشهوات واللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وامكنك
ان لا تاكل الا من حلال فان الحلال يعز ولا يفي بالشهوات واما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر و
البرد وستر العورة فكل ما دفع البرد عن راسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيره فضول منك تضييع
زمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله بالكسب مرة والطمع اخرى من الحرام والشبهة
فقس بهذا ما تدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود اللباس ان لم تكتف به في خساسة قدره
وجنسه لم يكن لك حد وموقف بعده بل كنت ممن لا يملأ بطنه الا التراب وكذا المسكن ان اكتفيت
بمقصوده كفاك السماء سقفا والارض مستقرا فان غلبك حر او برد فالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا
طال عليك وانصرف اليه اكثر عمرك وعمرك بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدك من الحائط سوى كونه حائلا

بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا للامطار فاخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد
تورطت في مهواة يبعد رقيك منها وهكذا جميع ضروراتك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على
التزود لاخرتك والاستعداد لخاتمتك وان تجاوزت حد الضرورة الى اودية الاماني تشعبت همومك
ولم يبال الله في اي واد اهلكك فاقبل هذه النصيحة ممن هو احوج الى النصيحة منك واعلم ان متسع التدبير
والتزود والاحتياط هذا العمر القصير فلو دفعته يوما بيوم في تسويفك او غفلتك اختطفت فجاءة في غير
وقت ارادتك ولم يفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لا تعتمد على ملازمة ما اشرت اليه لضعف خوفك
اذ لم يكن فيما وصفناه من امر الخاتمة كفاية في تخويفك فانا نورد عليك من احوال الخائفين ما نرجو ان يزيل
بعض القساوة عن قلبك فانك تتحقق ان عقل الانبياء والاولياء والعلماء وعملهم ومكانهم عند الله لم
يكن دون عقلك وعملك ومكانتك فتامل مع كلال بصيرتك وعمش عين قلبك في احوالهم لم اشتد بهم الخوف
وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر
ميتا الى الارض ولا غرو ان كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان قلوب الغافلين كالحجارة او اشد قسوة وان من
الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والله اعلم

احوال الانبياء عليهم السلم في الخوف

روت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة تغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من الله وقرا
عليه الصلوة والسلام اية في سورة الحاقة فصعق وذكر انه عليه الصلوة والسلم كان اذا دخل في الصلوة يسمع لصدره
ازيز كازيز المرجل وقال الله تعالى وخر موسى صعقا وراى صلى الله عليه وسلم صورة جبرئيل بالابطح فصعق وقال عليه
الصلوة والسلم ما جاءني جبرئيل قط الا وهو يرعد فرقا من الجبار وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبرئيل وميكائيل
يبكيان فاوحى الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا رب ما نامن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تامنا
مكري وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت افئدة الملائكة من اماكنها فلما خلق بنو آدم عادت وعن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت جبرئيل ما لي لا ارى ميكائيل يضحك فقال جبرئيل ما ضحك ميكائيل
منذ خلقت النار مخافة ان يغضب الله عليه فيعذبه بها وقال ابن عمر رضي الله عنهما خرجت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر وياكل فقال يا ابن عمر ما لك
لا تاكل قال قلت يا رسول الله لا اشتهيه قال لكني اشتهيه وهذا صبح رابعة لم اذق طعاما ولم اجده
ولو سالت ربي لاعطاني ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم
لضعف اليقين قال فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الاية قال فقال
عليه الصلوة والسلام ان الله لم يامركم بكنز المال ولا باتباع الشهوات من كنز دنانير يريد بها حياة فانية
فان الحياة بيد الله الا واني لا اكنز دينارا ولا درهما ولا اخبأ رزقا لغد وقال ابو الدرداء كان يسمع ازيز
قلب ابرهيم خليل الرحمن صلوات الله على نبينا وعليه اذا قام في المصلى مسيرة ميل خوفا من الله وقال مجاهد بكى
داود اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى راسه فنودي يا داود اجائع
انت فتطعم ام ظمآن فتسقى ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر جوفه ثم انزل الله عليه التوبة
والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام
ولا لشراب ولا لغيرهما الا راها فابكته فكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته فما
يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه ويروى انه عليه السلم ما رفع راسه الى السماء حتى مات

حياء من الله تعالى وكان يقول في مناجاته الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك
ارتدت الي روحي سبحانك الهي اتيت اطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك دلوني فبؤسا للقانطين من
رحمتك وقال الفضيل بلغني ان داود ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضعا يده على راسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت
اليه السباع فقال ارجعوا لا اريدكم انما اريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني الا بالبكاء ومن لم يكن ذا خطيئة
فما يصنع بداود الخطاء وكان يعاتب في كثرة البكاء فقال دعوني ابكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام
واشتعال الحشا وقبل ان يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وقال عبد العزيز بن عمر لما اصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال الهي بح صوتي في صفاء اصوات
الصديقين وروي انه عليه السلم لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه فقال يا رب اما ترحم بكائي
فاوحى الله تعالى اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهي وسيدي كيف انسى ذنبي وكنت اذا
تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح واظلني الطير على راسي وانست الوحوش الى محرابي
الهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني وبينك بعد تلك الكرامات فاوحى الله تعالى اليه يا داود ذلك
انس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود آدم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي واسجدت
له ملائكتي والبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقاري وشكى الي الوحدة فزوجته امتي حواء واسكنته
جنتي عصاني فطردته من جواري عريانا ذليلا يا داود اسمع مني والحق اقول اطعتنا فاطعناك وسالتنا
فاعطيناك وعصيتنا فامهلناك وان عدت الينا على ما كان منك قبلناك وقال يحيى بن ابي كثير بلغنا ان داود
على نبينا وعليه الصلوة والسلم كان اذا اراد ان ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا ياكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب
النساء فاذا كان قبل ذلك بيوم اخرج له منبر الى البرية فامر سليمان ان ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض
والآكام والجبال والبراري والصوامع والبيع فينادي فيها الا من اراد ان يسمع نياح داود فليات فتاتي الوحوش من
البراري والآكام وتاتي السباع من الغياض وتاتي الهوام من الجبال وتاتي الطير من الاوكار وتاتي العذارى من خدورهن ويجتمع
الناس لذلك اليوم وياتي داود حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنو اسرائيل وكل صنف على حدته محيطا به وسليمن قائم
على راسه فياخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم ياخذ في ذكر الجنة والنار فتموت الهوام وطائفة
من الوحوش والسباع والناس ثم ياخذ في اهوال القيمة وفي النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فاذا راى
سليمن كثرة الموتى قال يا ابتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني اسرائيل ومن الوحوش
والهوام فياخذ في الدعاء فبينا هو كذلك اذ ناداه بعض عباد بني اسرائيل يا داود عجلت في طلب الجزاء على ربك
فخر داود مغشيا عليه فلما نظر سليمان الى ما اصابه اتى بسرير فحمله عليه ثم امر مناديا ينادي الا من كان له مع داود
قريب او حميم فليات بسرير فليحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المراة تاتي بالسرير فتحمل قريبها
وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله ثم اذا افاق داود قام ووضع يده على راسه ودخل بيت عبادته واغلق
بابه ويقول يا اله داود اغضبان انت على داود فلا يزال يناجي فياتي سليمن ويقعد على الباب ويستاذن ثم يدخل
ومعه قرص شعير فيقول يا ابتاه تقو بها على ما تريد فياكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج الى بني اسرائيل فيكون
بينهم وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم فخرج في اربعين الفا فمات منهم ثلاثون الفا
وما رجع الا في عشرة آلاف قال وكانت له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط واضطرب قعدتا على
صدره ورجليه مخافة ان تتفرق اعضاؤه ومفاصله فيموت وقال ابن عمر رضي الله عنهما دخل يحيى بن زكريا بيت
المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا التراقي و

سلكوا فيها السلاسل وشدوها الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع الى ابويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا له
يا يحيى هلم بنا نلعب فقال اني لم اخلق للعب قال فاتى ابويه فسالهما ان يدرعاه الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس فكان
يخدمه نهارا ويصلي ويصبح فيه ليلا حتى اتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ابواه في طلبه فادركاه على ساحل بحر الاردن وقد
انقع رجليه في الماء وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا اذوق بارد الشراب حتى اعلم اين
مكاني منك فسال ابواه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فمدح
بالبر ورده ابواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا على بكائه حتى
يغمى عليه فلم يزل يبكي حتى خرقت دموعه لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فقالت امه يا بني لو اذنت لي ان
اتخذ لك شيئا تواري به اضراسك عن الناظرين فاذن لها فعمدت الى قطعتي لبود فالصقتهما على خديه فكان
اذا قام يصلي بكى فاذا استنقعت دموعه في القطعتين اتت اليه امه فعصرتهما فاذا رات دموعه تسيل على
ذراعي امه قال اللهم هذه دموعي وهذه امي وانا عبدك وانت ارحم الراحمين فقال له زكريا يوما يا بني
انما سالت ربي ان يهبك لي لتقر عيناي فقال يا ابت ان جبرئيل اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها
الا كل بكاء فقال زكريا فابك يا يحيى وقال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام معاشر الحواريين خشية
الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا وحق اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على
المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل وقيل كان الخليل على نبينا وعليه الصلوة والسلم اذا ذكر خطيئته
يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فياتيه جبرئيل فيقول الجبار يقرئك السلم ويقول هل رايت خليلا
يخاف خليله فيقول يا جبرئيل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي فهذه احوال الانبياء فدونك والتامل
فيها فانهم اعرف خلق الله تعالى بالله وبصفاته وتامل في حال قلبك فعند ذلك يحق لك ان تخاف خوفا

بيان احوال الصحابة والتابعين في الخوف

قال ابو بكر رضي الله عنه لطائر يا ليتني مثلك يا طائر
ولم اخلق بشرا وقال ابو ذر وددت لو اني شجرة تعضد وقال طلحة كذا وقال عثمن وددت اني اذا مت
لم ابعث وقالت عايشة رضي الله عنها وددت اني كنت نسيا منسيا وكان في وجه عمر رضي الله عنه خطان اسودان
من الدموع وقال عمر من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير ما ترون ولما
قرا اذا الشمس كورت وانتهى الى قوله واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلي ويقرا سورة و
الطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع نزل عن حماره فاستند الى حائط ومكث
زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه وقال علي رضي الله عنه وسلم عن صلوة الفجر
وقد علاه كآبة وهو يقلب يده فرفع راسه وحزن في النظر الى الناس لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلم ار اليوم
شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون
كتاب الله ويتراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا وذكروا الله مادوا كما يميد الشجر يوم الريح وهملت اعينهم الدموع
حتى تبل ثيابهم والله كاني بالقوم باتوا غافلين ثم قام فما رؤي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وروي ان عمر رضي الله
عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه وكان يعاد اياما واخذ يوما تبنة من الارض فقال يا ليتني
كنت هذه التبنة يا ليتني لم تلدني امي يا ليتني كنت نسيا منسيا وقال عمران بن الحصين لوددت اني رماد تسفني الريح
في يوم عاصف وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت اني كبش فيذبحني اهلي فياكلون لحمي ويحسون مرقي وكان علي بن الحسين
رضي الله عنهما اذا توضا اصفر لونه فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم وقال موسى بن مسعود كنا اذا جلسنا الى
الثوري كان النار قد احاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه وقرا بعض القارئين هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق فبكى عبد الواحد بن

زيحيى غشي عليه ثم أفاق وقال وعزتك لا أعصينك جهدي أبدا فأعني بتوفيقك على طاعتك وكان
المسور بن مخرمة لا يقوى أن يسمع القرآن من شدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة
فما يعقل أياما حتى أتى عليه رجل فقرأ عليه يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا
فقال أنا من المجرمين ولست من المتقين أعد القول علي أيها القارئ فأعادها عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة وقال
يحيى البكاء ولو ترى إذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة ومكث منها مريضا أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة وقال
مالك بن دينار بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بعجوز متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول يا رب كم من شهوة
ذهبت لذتها وبقيت تبعتها أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار وتبكي فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال
مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخا أقول ثكلت مالكا أمه ويروى أن الفضيل رأى يوم عرفة
والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة حتى إذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه إلى
السماء وقال واسوءتاه منك وإن عفوت ثم انقلب مع الناس وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن
الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة وأعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر أمامنا والقيامة
موعدنا وعلى جهنم ممرنا وصراط بين أيدينا وبين يدي ربنا موقفنا ومر الحسن رضي الله عنه بشاب وهو مستغرق في
ضحكه وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراط قال لا قال فهل تدري إلى
الجنة تصير أم إلى النار قال لا قال فما هذا الضحك قال فما رئي الفتى بعدها ضاحكا وكان حماد بن عبد ربه إذا
جلس جلس مستوفزا على قدميه فقيل له لو اطمأننت فيقول تلك جلسة الآمن وأنا غير آمن إذ عصيت الله تعالى
وقال عمر بن عبد العزيز إنما جعل الله هذه الغفلة رحمة في قلوب العباد كيلا يموتوا من خشية الله وقال مالك
بن دينار لقد هممت إذا أنا مت أمرتهم أن يقيدوني ويغلوني ثم ينطلقوا إلى ربي كما ينطلق العبد الآبق إلى
سيده وقال حاتم الأصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة وقد لقي فيها آدم ما لقي ولا تغتر بكثرة
العبادة فإن إبليس بعد طول تعبده لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر
ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة عند الله من المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم
ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه وقال التستري إني لأنظر إلى أنفي مرات مخافة أن يكون قد
اسود وجهي وقال أبو حفص منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي أن الله ينظر إلي نظر السخط وأعمالي
تدل على ذلك وخرج ابن المبارك يوما على أصحابه فقال إني اجترأت البارحة على الله سألته الجنة وقالت
أم محمد بن كعب القرظي لابنها يا بني إني أعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكأنك أحدثت حدثا موبقا لما أراك
تصنع في ليلك ونهارك فقال يا أماه ما يؤمنني أن يكون الله قد اطلع علي وأنا على بعض
ذنوبي فمقتني وقال وعزتي لا أغفرن لك وقال الفضيل إني لا أغبط ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا
عبدا صالحا أليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة إنما أغبط من لم يخلق وروي أن فتى من الأنصار دخلته
خشية النار وكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه فخر
ميتا فقال عليه الصلاة والسلام جهزوا صاحبكم فإن الفرق من النار فتت كبده وروي عن ابن أبي ميسرة
أنه كان إذا أوى إلى فراشه قال يا ليت أمي لم تلدني فقالت له امرأته يا ميسرة إن الله قد أحسن إليك وهداك
إلى الإسلام قال أجل ولكن بين لنا أنا واردوا النار ولم يبين لنا أنا صادرون عنها وقيل لفرقد
السبخي أخبرنا بأعجب شيء بلغك من بني إسرائيل قال بلغني أنه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن
الصوف والمسوح فذكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السليمي من الخائفين فكان

لا يسأل الله الجنة أبدا لكنه يسأل العفو وقيل له في مرضه ألا تشتهي شيئا فقال إن خوف جهنم لا يدع في قلبي موضعا
للشهوة ويقال إنه ما رفع رأسه إلى السماء ولا ضحك أربعين سنة وإنه رفع رأسه يوما ففزع فسقط فانفتق
في بطنه فتق وكان يمس جسده في بعض الليل مخافة أن يكون قد مسخ وكان إذا أصابتهم ريح أو برق أو
غلاء طعام قال هذا من أجلي يصيبهم ومن شؤمي لو مات عطاء لاستراح الناس وقال عطاء خرجنا مع
عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء وقد تورمت أقدامهم من طول
القيام وغارت أعينهم في رؤوسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الأوتار
يصبحون كأن جلودهم قشور البطيخ وكأنهم قد خرجوا من القبور يخبرون أن الله كيف أكرم المطيعين وكيف
أهان العاصين فبينا هم يمشون إذ مر عتبة بمكان فصاح واحد منهم فخر مغشيا عليه فجلس أصحابه حوله
يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاءوا بماء فمسحوا وجهه فأفاق وسألوه عن أمره فقال
إني ذكرت أني كنت عصيت الله في ذلك المكان وقال صالح المري قرأت على رجل من المتعبدين يوم تقلب
وجوههم في النار فصعق ثم أفاق فقال زدني يا صالح فإني أجد غما فقرأت كلما أرادوا أن يخرجوا منها من
غم أعيدوا فيها فخر ميتا وروي أن زرارة بن أبي أوفى صلى بالناس صلاة الغداة فلما قرأ فإذا نقر في الناقور
خر مغشيا عليه فحمل ميتا ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال عظني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين
اعلم أنك لست أول خليفة يموت فبكى فقال زدني فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب إلا
ميت فبكى فقال زدني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا
عليه وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية وإن جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسي ووضع
يده على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدرون عليه ورأى داود الطائي امرأة تبكي على رأس قبر ولدها
وهي تقول يا ابناه ليت شعري أي خديك بدأ به الدود فصعق داود وسقط مكانه وقيل مرض سفيان الثوري فعرض
دليله على طبيب ذمي فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجس عرقه ثم قال ما علمت أن في الحنيفية مثله وقال
أحمد بن حنبل سألت الله أن يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت يا رب على قدر ما أطيق فسكن
قلبي وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع
صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وكأنه أشار إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا وقال العنبري اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال
عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث إنما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء
الغريق إنما هذا زمان احفظ فيه لسانك وأخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ورأى الفضيل
يوما وهو يمشي فقيل له إلى أين فقال لا أدري وكان يمشي والهاً من الخوف وقال ذر بن عمر لأبيه عمر بن ذر
ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد فإذا تكلمت سمعت البكاء من كل جانب فقال يا بني ليست النائحة الثكلى
كالنائحة المستأجرة وحكي أن قوما وقفوا على عابد وهو يبكي فقالوا ما الذي يبكيك رحمك الله قال قرحة
يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء بالعرض على الله وكان الخواص يبكي ويقول
في مناجاته قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فأعتقني وقال صالح المري قدم علينا ابن السماك
مرة فقال أرني شيئا من بعض عجائب عبادكم فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خص له فاستأذنا عليه
فإذا رجل يعمل خوصا فقرأت عليه إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون
فشهق الرجل شهقة فخر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا إلى آخر فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية

ص
في الحميم صح

فهو يشهق وخر مغشيا عليه فذهبنا واستاذنا على ثالث فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا فتر
ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة فجعل يبدأ الدم من منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى
يبس فتركناه على حاله وخرجنا فادرنا على ستة انفس كل نخرج من عنده ونتركه مغشيا عليه ثم اتينا الى السابع
فاستاذنا فاذا امراة من وراء الخص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا فلم يشعر بسلامنا
فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا بصره
يصيح بصوت له ضعيف اوه اوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته اخرجوا فانكم لا تنتفعون به الساعة
فلما كان بعد ذلك سالت عن القوم فاذا ثلاثة قد افاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله واما الشيخ فانه مكث على حاله
مبهوتا ثلاثة ايام لا يؤدي فرضا فلما كان بعد ثلاث عقل وكان يزيد بن الاسود يرى انه من الابدال وكان قد
حلف ان لا يضحك ابدا ولا ينام مضطجعا ولا ياكل سمينا حتى يموت فما رؤي ضاحكا ولا مضطجعا ولا اكل سمينا حتى
مات وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني انك لم تضحك قط فقال كيف اضحك وجهنم قد سعرت والاغلال قد نصبت
والزبانية قد اعدت وقال رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال
تسالني عن حالي ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على اي
حال هم قال الرجل على حال شديدة قال الحسن حالي اشد من حالهم ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز على عمر فسلمت عليه
ثم قامت الى المسجد في بيته فصلت فيه ركعتين ثم غلبتها عيناها فرقدت فاستكت من منامها فقالت يا امير المؤمنين
اني رايت والله عجبا فقال لها وما ذلك قالت رايت النار وهي تزفر على اهلها ثم جيء بالصراط فوضع على متنها
فقال هيه قالت فجيء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه الا يسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى الى
جهنم فقال هيه قالت ثم جيء بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى الا يسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى فقال
هيه قالت ثم جيء بك والله يا امير المؤمنين فصاح عمر صيحة خر مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادي في اذنه يا
امير المؤمنين اني رايتك والله قد نجوت قال وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجليه ويحكى ان اويسا القرني
كان يحضر القاص فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ اويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون
مجنون مجنون وقال معاذ بن جبل ان المؤمن لا يسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه وكان طاوس يفترش
فراشه ويضطجع فيتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير
ذكر جهنم نوم الخائفين وقال الحسن البصري يخرج من النار رجل بعد الف عام ويا ليتني كنت ذلك الرجل وانما
قال ذلك لخوفه من الخلود وسوء الخاتمة وروي انه ما ضحك اربعين سنة قال رجل من الصحابة كنت اذا رايته قاعدا
كانه اسير قد قدم لتضرب عنقه واذا تكلم كانه يعاين الاخرة فيخبر عن مشاهدتها واذا سكت كان النار تسعر
بين عينيه وعوتب في شدة حزنه فقال ما يؤمنني ان يكون الله قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني فقال
اذهب فلا غفرت لك فانا اعمل في غير معمل وعن ابن السماك قال وعظت يوما في مجلس فقام شاب من القوم
فقال يا ابا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالي ان لا نسمع غيرها قلت وما هي رحمك الله قال قولك
لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما في الجنة او النار ثم غاب عني فتفقدته في مجلس اخر فلم اره فسالت عنه
فاخبرت انه مريض يعاد فاتيته اعوده فقلت يا اخي ما صنع الله بك قال غفر لي ورحمني وادخلني الجنة قلت بماذا
قال بتلك الكلمة فهذه مخاوف الانبياء والاولياء والعلماء ونحن اجدر بالخوف منهم ولكن ليست الخوف بكثرة
الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة والا فليس امننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت
علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة احوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا

ولا مشاهدة احوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا فنسال الله تعالى ان يتدارك بفضله ورحمته
وجوده احوالنا فيصلحنا ان كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجائب انا
اذا اردنا طلب ثروة بالعلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا واجتهدنا في طلبها فوائتنا ولا نثق
بضمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم اذا طمحت اعيننا نحو الملك الدائم والنعيم
المقيم قنعنا بان نقول بالسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي اليه رجاؤنا وبه اعتزازنا ينادينا و
يقول وان ليس للانسان الا ما سعى ولا يغرنكم بالله الغرور ويا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ثم كل
ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا من اودية غرورنا واما نيّنا فما هذه الا محنة هائلة ان لم يتفضل الله علينا بتوبة
نصوح يتداركنا بها ويجبرنا فنسال الله تعالى ان يتوب علينا بل نسال الله ان يشوقنا الى التوبة سرائرنا وكونها
وان لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل اذا
سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للخذلان اعظم من هذا
ولنقتصر من حكايات احوال الخائفين على ما اوردناه فان القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكفي و
الكثير منه وان فيض على القلب الغافل لا يغني ولقد صدق الراهب الذي حكى عنه عيسى بن مالك
الخولاني وكان من خيار العباد انه رآه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون من شدة الوله
ما يكاد يرقى دمعه من كثرة البكاء قال عيسى فلما رايته هالني منظره فقلت يا ايها الراهب اوصني
بوصية احفظها منك قال يا اخي بماذا اوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته
السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف ان يغفل فيفترسه السباع او يسهو فينهشه الهوام فهو
مذعور القلب وجل الخوف فهو في المخافة في ليله وان امن المغترون وفي الحزن في نهاره وان فرح
البطالون فكن كذلك ثم ولى وتركني فقلت لو زدتني شيئا عسى ان ينفعني فقال الظمآن يجزيه
من الماء اليسير فقد صدق فان القلب الصافي يحركه ادنى مخافة والقلب الجامد ينبو عنه كل موعظة
وما ذكره من تقدير انه احتوشته السباع والهوام فلا يظن انه تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت
بنور البصيرة باطنك لرايته مشحونا باصناف السباع وانواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد
والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان سهوت عنها لحظة
الا انك محجوب العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت
لك بصورها واشكالها الموافقة لمعانيها فترى بعينك العقارب والحيات قد احدقت بك في قبرك
وانما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها فان اردت ان تقتلها وتقهرها وانت قبل
الموت قادر عليها فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها الصميم فؤادك فضلا عن ظاهر بشرتك

وجسمك اعاذنا الله من ذلك بفضله وكرمه ورحمته
فانه اكرم الاكرمين وارحم الراحمين
وخير المتولين
٥

كتاب الفقر والزهد وهو الكتاب الرابع من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي يسبح له الرمال ويسجد له الظلال وتتدكدك من هيبته الجبال خلق الانسان من صلصال وزين
صورته باحسن تقويم واعتدال وعصم قلبه بنور الهداية من ورطات الضلال واذن له في قرع باب الخدمة بالغدو
والآصال ثم كحل بصيرة المخلص في خدمته بنور العبرة حتى لاحظ بضياء معرفته حضرة الجلال فلاح له من البهجة والبهاء والكمال
ما استقبح دونه بوادي اشراق كل حسن وجمال فاستثقل عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال وتمثل له ظاهر
الدنيا في صورة امرأة جميلة تميس وتختال وانكشف له باطنها عن عجوزة شوهاء تتجلبب بجلباب الخزي وتضرب في قالب
النكال وهي تستر قبحها بجلبابها المخيل قبائح اسرارها بلطائف السحر والاحتيال وقد نصبت حبائلها في مدارج الرجال
فهي تقتنصهم بضروب المكر والاحتيال ثم لا تجزيهم بالتخلي في مواعيد الوصال بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل
والاغلال وتبتليهم بانواع البلايا والانكال فلما انكشف للعارفين منها قبائح الاسرار والافعال زهدوا فيها زهد المبغض
لها وتركوا التفاخر والتكاثر بالاموال واقبلوا بكنه هممهم على حضرة الجلال واكتفوا منها بوصال الذي دونه وصال و
مشاهدة ابدية لا يعتريها فناء ولا زوال والصلوة والسلام على سيد الانبياء وعلى خير آل **اما بعد** فان
الدنيا عدوة لله تعالى بغرورها ضل من ضل وبمكرها زل من زل فحبها راس الخطايا والسيئات وبغضها ام الطاعات و
اس الحسنات وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ونحن
نذكر الآن فضل البغض لها والزهد فيها فانه راس المنجيات فلا مطمع في النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا و
البعد منها ولكن مقاطعتها اما ان تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا واما بانزواء العبد عنها و
يسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادة وحظ في الاعانة على الفوز والنجاة ونحن الآن
نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما واقسامهما وشروطهما واحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد
في شطر آخر ونبدأ بالفقر **الشطر الاول من الكتاب في الفقر** وفيه بيان **حقيقة الفقر** وبيان **فضيلة
الفقر** مطلقا وبيان **فضيلة خصوص الفقراء** وبيان **فضل الفقر على الغنى** وبيان
آداب الفقير في فقره وبيان **ادبه** في قبول العطاء وبيان **تحريم السؤال** بغير ضرورة وبيان **مقدار
الغنى** المحرم للسؤال وبيان **احوال السائلين** بيان **حقيقة الفقر** واختلاف احوال الفقير واساميه

اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه اما فقد ما لا حاجة اليه فلا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا
عليه لم يكن المحتاج فقيرا واذا فهمت هذا لم تشك ان كل موجود سوى الله فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال
ودوام وجوده مستفاد من فضل الله وجوده فان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو
الغني المطلق ولا ينبغي ان يكون مثل هذا الموجود الا واحدا فليس في الوجود الا غني واحد وكل من عداه فانهم
محتاجون اليه ليمد وجودهم بالدوام والى هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء ولكنا لسنا نقصد
بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والا ففقر العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته لا ينحصر لان
حاجاته لا حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليها بالمال وهو الذي نريد الآن بيانه فقط فنقول كل فاقد
للمال فانا نسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان ذلك المفقود محتاجا اليه في حقه ثم يتصور ان يكون
له خمسة احوال عند الفقر ونحن نميزها ونخصص كل حال باسم لنتوصل بالتمييز الى ذكر احكامها الحالة الاولى وهي
العليا ان يكون بحيث لو اتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب من اخذه مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهو الزهد

واسم صاحبه الزاهد الثانية ان يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة
يتأذى بها ويزهد فيه لو اتاه وصاحب هذه الحالة نسميه راضيا الثالثة ان يكون وجود المال
احب اليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه بل ان اتاه عفوا صفوا اخذه
وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة نسميه قانعا اذ قنعت
نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة الرابعة ان يكون تركه الطلب لعجزه والا
فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب لطلبه وصاحب هذه الحالة نسميه الحريص
الخامسة ان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه
الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته في الطلب اما ضعيفة واما قوية وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه
خمسة احوال اعلاها الزهد وادناها الاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور ذلك فهو اقصى درجات الزهد كما
سيأتي ووراء هذه الاحوال الخمسة حالة هي اعلى من الزهد وهي ان يستوي عنده وجود المال وفقده ان
وجده لم يفرح به ولم يتأذ وان فقده فكذلك بل حاله مثل حال عائشة رضي الله عنها اذ اتاها مائة الف درهم من
العطاء فاخذتها وفرقتها في يومها فقالت خادمتها لو اشتريت لنا بدرهم لحما فقالت لو ذكرتني لفعلت فمن هذا حاله لو كانت
الدنيا بحذافيرها في يده وخزائنه لم تضره اذ هو يرى الاموال في خزانة الله لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان تكون في يده او
في يد غيره وينبغي ان يسمى صاحب هذه الحالة المستغني لانه غني عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم
معنى يفارق اسم الغني المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو
فقير الى بقاء المال في يده وانما هو غني عن دخول المال في يده لا عن بقائه فهو اذا فقير من وجه فاما
هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده ايضا فانه ليس يتأذى به ليحتاج
الى الخروج وليس يفرح به ليحتاج الى البقاء وليس فاقدا له ليحتاج الى الدخول فغناه الى العموم اميل فهو الى الغني الذي
هو وصف الله اقرب وانما قرب العبد من الله بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنيا بل
مستغنيا ليبقى اسم الغني لمن هو الغني المطلق عن كل شيء واما هذا العبد فان استغنى عن المال وجودا وعدما فلم
يستغن عن اشياء اخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليبقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فان القلب
المقيد بحب المال رقيق والمستغني عنه حر والله هو الذي اعتقه عن هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب
متقلبة بين الرق والحرية في اوقات متقاربة لانها بين اصبعين من اصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغني على الاطلاق مع هذا
الكمال الا مجازا واعلم ان الزهد درجة هي كمال الابرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه
نقصانا اذ حسنات الابرار سيئات المقربين وهذا لان الكاره للدنيا مشغول بالدنيا كما ان الراغب فيها مشغول بها و
الشغل بما سوى الله حجاب عن الله اذ لا بعد بينك وبين الله حتى يكون البعد حجابا فانه اقرب اليك من حبل الوريد وليس هو في
مكان حتى تكون السموات والارض حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه الا اشتغالك بغيره وشغلك بنفسك او
شهواتك شغل بغيره وانت لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول ببغض نفسه
ايضا مشغول عن الله بل كل ما سوى الله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع العاشق والمعشوق
فان التفت قلب العاشق الى الرقيب والى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو في حال اشتغال قلبه
ببغضه الرقيب مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق
ولم يلتفت اليه فكما ان النظر الى غير المعشوق لحبه عند حضوره فالشغل بغير المعشوق شرك فيه ونقص ولكن
احدهما اخف من الآخر بل الكمال في ان لا يلتفت القلب الى غير المحبوب في حالة واحدة فلا يجتمع ايضا حب

لبغض وحب في حالة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبه الا ان المشغول بحبه غافل
وهو في غفلته سالك في البعد والمشغول ببغضه غافل وهو في غفلته سالك طريق القرب
اذ يرجى له ان ينتهي حاله الى ان تزول هذه الغفلة وتتبدل بالشهود فالكمال له مترقب لان بغض
الدنيا مطية توصل الى الله فالمحب والمبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها و
تسييرها ولكن احدهما مستدبر للكعبة والآخر مستقبل لها فهما سيان بالاضافة الى الحال في ان
كل واحد منهما محجوب عن الكعبة مشغول عنه ولكن حال المستقبل محمودة بالاضافة الى المستدبر اذ
يرجى له الوصول وليست بمحمودة بالاضافة الى المعتكف في الكعبة والملازم لها الذي لا يخرج منها حتى
يفتقر الى الخروج بسببها الاشتغال بالدابة في الوصول اليها فلا ينبغي ان يظن ان بغض الدنيا مقصود
في عينه بل الدنيا عائق عن الله تعالى ولا وصول الى الله الا بدفع العائق ولذلك قال ابو سليمان
الداراني من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغي ان يشتغل بالآخرة فبين ان سلوك
طريق الآخرة وراء الزهد كما ان سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق عن الحج فاذا قد ظهر ان الزهد
في الدنيا ان اريد به عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وان اريد به الرغبة في عدمها فهو
كمال بالاضافة الى درجة الراضي والقانع والحريص ونقصان بالاضافة الى درجة المستغني بل الكمال في
حق المال ان يستوي عندك الماء والمال وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بان تكون على شاطئ البحر و
لا قلته تؤذيك الا في قدر الضرورة مع ان الماء محتاج اليه كما ان المال محتاج اليه فلا يكون قلبك مشغولا
بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير بل تقول اشرب منه بقدر الحاجة واسقي منه عباد الله
بقدر الحاجة ولا ابخل به على احد فهكذا ينبغي ان يكون المال لان الخبز والماء واحد في الحاجة انما الفرق بينهما
في قلة احدهما وكثرة الآخر فاذا عرفت الله ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت ان قدر حاجتك
من الماء على ما سيأتي بيانه في كتاب التوكل قال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني قال مالك
بن دينار للمغيرة اذهب الى البيت فخذ الركوة التي اهديتها الي فان العدو يوسوس الي ان اللص قد اخذها فقال ابو سليمان
هذا من ضعف قلب الصوفية قد زهد في الدنيا ما عليه من اخذها فبين ان كراهته كون الركوة في بيته التفات اليها
بسبب الضعف والنقصان فان قلت فما بال الانبياء والاولياء هربوا من المال ونفروا كل النفار فاقول كما هربوا من
الماء على معنى انهم ما شربوا اكثر من حاجتهم ونفروا عما وراءها ولم يجمعوه في القرب والروايا يديرونه مع انفسهم بل
تركوها في البوادي والانهار للمحتاجين لا انهم كانت قلوبهم مشغولة بالدنيا بحبها او ببغضها وقد حملت خزائن
الارض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فاخذوها ووضعوها في مواضعها وما
هربوا منها اذ كان قد استوى عندهم الماء والمال والذهب والحجر وما نقل عنهم من امتناع فانما ان نقل عمن
خاف لو اخذه ان يخدعه المال ويقيد قلبه فيدعوه الى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا جرم البغض للمال و
الهرب منه في حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق لان كلهم ضعفاء الا الانبياء والاولياء واما ان ينقل عن
قوي بلغ الكمال ولكن اظهر الفرار والنفار نزولا الى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك اذ لو اقتدوا به في
الاخذ لهلكوا كما يفر الرجل المعزم بين يدي اولاده من الحية لا لضعفه عن اخذها لكن لعلمه بانه لو اخذها لاخذها
الاولاد اذا رأوها وهلكوا والسير بسيرة الضعفاء ضرورة الانبياء والاولياء والعلماء فقد عرفت اذا ان
المراتب ست وان اعلاها رتبة المستغني ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص واما المضطر فيتصور
في حقه ايضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الاحوال واسم الفقير يطلق على هذه

الخمسة اما تسمية المستغني فقيرا فلا وجه لها بهذا المعنى بل ان سمي فقيرا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه
محتاجا الى الله في جميع اموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن
عرف نفسه بالعبودية واقر بها فانه احق باسم العبد من الغافلين وان كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك
اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر الى الله فهو احق باسم الفقير واسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين
واذا عرفت هذا الاشتراك فهمت ان قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من الفقر وكاد الفقر ان يكون كفرا
لا يناقض قوله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا اذ الفقر المضطر هو الذي استعاذ
منه والفقر الذي هو الاعتراف بالذلة والمسكنة والافتقار الى الله هو الذي سأله في دعائه

فضيلة الفقر مطلقا

اما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الآية وقوله تعالى للفقراء الذين
احصروا الآية ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة
ظاهرة على مدح الفقر واما الاخبار في مدح الفقر فاكثر من ان تحصى قال ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاصحابه اي الناس خير قالوا موسر من المال يعطي حق الله في نفسه وماله قال نعم الرجل هذا و
ليس به قالوا فمن خير الناس يا رسول الله قال فقير يعطي جهده وقال عليه الصلاة والسلام لبلال الق الله فقيرا ولا
تلقه غنيا وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي الخبر المشهور يدخل فقراء امتي
الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام وفي حديث آخر باربعين خريفا اي اربعين سنة فيكون المراد به تقدم الفقير
الحريص على الغني الحريص والتقدير بخمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب وما ذكرناه
من اختلاف درجات الفقر تعرفك بالضرورة تفاوت الفقراء في درجاتهم وكأن الفقير الحريص على
درجة واحدة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين الى الخمسمائة فلا
تظنن ان تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى على لسانه جزافا وبالاتفاق بل لا ينطق صلى الله
عليه وسلم الا بحقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى وهذا كقوله عليه الصلاة والسلام الرؤيا الصالحة
من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فانه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة
غيره ان يعرف علة تلك النسبة الا بتخمين فاما بالتحقيق فلا اذ يعلم ان النبوة عبارة عما يختص به النبي و
يفارق به غيره وهو يختص بانواع من الخواص احدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله وصفاته
والملائكة والدار الآخرة لا كما يعلمه غيره بل مخالفا له بكثرة المعلومات وبزيادة اليقين والتحقيق والكشف
الثاني ان له في نفسه صفة بها تتم له الافعال الخارقة للعادات كما ان لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة بارادتنا
واختيارنا وهي القدرة وان كانت القدرة والمقدور جميعا من فعل الله والثالث ان له صفة بها يبصر الملائكة
ويشاهدهم كما ان للبصير صفة بها يفارق الاعمى حتى يدرك بها المبصرات والرابع ان له صفة بها يدرك ما سيكون
في الغيب اما في اليقظة واما في المنام اذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كمالات وصفات يعلم
ثبوتها للانبياء ويعلم انقسام كل واحد الى اقسام وربما يمكننا ان نقسمها الى اربعين والى خمسين والى
ستين ويمكننا ايضا ان نتكلف تقسيمها الى ستة واربعين بحيث تقع الرؤيا الصالحة جزءا واحدا من جملتها
ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يكون الا بظن وتخمين ولا ندري تحقيقا انه الذي اراده
رسول الله صلى الله عليه وسلم ام لا وانما المعلوم جامع الصفات التي بها تتم النبوة واصل انقسامها وذلك لا
يرشدنا الى معرفة علة التقدير وكذلك نعلم ان للفقراء درجات كما سبق فما بال هذا الفقير
الحريص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لا يقتضي له التقدم باكثر من اربعين سنة الى الجنة

واقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام فليس في فترة غير الانبياء الموقوف على ذلك الا نوع من التخمين لا وثوق والغرض التنبيه على مناهج التقدير في امثال هذه الامور فان الضعيف الايمان قد يظن ان ذلك التحري من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشا منصب النبوة عن ذلك فلنرجع الى نقل الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم ايضا خير هذه الامة فقراؤها واسرعها تصرفا في الجنة ضعفاؤها وقال عليه الصلوة والسلام ان لي حرفتين اثنتين فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني الفقر والجهاد وروي ان جبرئيل على نبينا وعليه الصلوة والسلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد الله يقرئك السلام و يقول اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا ويكون معك حيثما كنت فاطرق عليه الصلوة والسلام ساعة ثم قال يا جبرئيل الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال جبرئيل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت وروي ان عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام مر في سياحته على رجل ملتف بعباءة فايقظه وقال يا نائم قم فاذكر الله فقال ما تريد مني اني تركت الدنيا لاهلها فقال له نم فقد فقت العابدين فنم اذاً حبيبي ومر موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام برجل نائم على التراب تحت راسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضايع فاوحى الله اليه يا موسى اما علمت اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها وعن ابي رافع قال نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فارسلني الى رجل من يهود خيبر وقال قل له يقول محمد اسلفني او بعني دقيقا الى هلال رجب فاتيته فقال لا والله الا برهن فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اما والله لامين في اهل السماء واهل الارض لو باعني او اسلفني لاديته اليه اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الاية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا الاية تعزية له عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم الفقر ازين للمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم آمنا في سربه معافى في بدنه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى اذا رايت الفقير مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال عطاء الخراساني مر نبي من الانبياء بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال بسم الله والقى شبكته فلم يخرج منها حوت واحد ثم مر باخر فقال بسم الشيطان والقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبي يا رب ما هذا وقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله للملائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما فلما راى ما اعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولهذا من الهوان قال قد رضيت يا رب وقال نبينا عليه الصلوة والسلام اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقراء واطلعت في النار فرايت اكثر اهلها الاغنياء وفي لفظ اخر فقلت اين الاغنياء فقال حبسهم الجد وفي حديث اخر فرايت اكثر اهل النار النساء فقلت ما شانهن فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران وقال عليه الصلوة والسلام تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وفي الخبر اخر الانبياء دخولا الجنة سليمان لمكان ملكه واخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي حديث اخر رايته دخل الجنة زحفا وقال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام بشدة يدخل الغني الجنة وفي خبر اخر عن اهل البيت عليه الصلوة والسلام قال اذا احب الله عبدا ابتلاه واذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناؤه قال لم يترك له اهلا ولا مالا وفي الخبر اذا رايت الفقير مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغني مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام من احباؤك من خلقك حتى احبهم من اجلك قال كل فقير فقير فيكون الثاني للتاكيد ويمكن ان يكون المراد به شديد الضر وقال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام اني لاحب المسكنة وابغض النعماء وكان احب الاسامي اليه ان يقال له يا مسكين قال علي رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا ابغض الناس فقراءهم واظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله باربع

خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الحكام والشوكة من الاعداء واما الاثار فقد قال ابو الدرداء ذو الدرهمين اشد حبسا او قال اشد حسابا من ذي الدرهم وارسل سعيد بن عامر بالف دينار فجاء كئيبا حزينا فقالت امراته احدث لك امر قال اشد من ذلك ثم قال الا ارى بدرع الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء المسلمين قبل اغنيائهم بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده ويستخرج وقال ابو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشراب فلا يقال له ايها تريد وقيل جاء فقير الى مجلس الثوري فقال له تخط لو كنت غنيا ما قربتك وكان الفقراء من الاغنياء من اصحابه يودون انهم فقراء لكثرة تقريبه الفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رايت الغني اذل منه في مجلس الثوري ولا رايت الفقير اعز منه في مجلسه وقال بعض الحكماء مسكين ابن ادم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا وقال ابن عباس ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقر وقال لقمان لابنه لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك للفقراء من اخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامات الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامات المنافقين وفي الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى اوحى الى بعض اوليائه احذر ان امقتك فتسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صبا وكانت عائشة رضي الله عنها تفرق مائة الف درهم في يومها يوجهه اليها معاوية وابن عامر وغيرهما وان درعها لمرقع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتني لفعلت وكان من اوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستبدلي درعا حتى ترقعيه وجاء رجل الى ابرهيم بن ادهم بعشرة الاف فابى عليه فكرر عليه الرجل فقال ابرهيم تريد ان تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة الاف لا افعل ابدا

فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا فالاول للقانع وهذا للراضي ويكاد يشعر مفهومه بان الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على ان له ثوابا كما سيأتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله وكراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر وعن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب الفقراء والمساكين هم جلساء الله يوم القيمة وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب العباد الى الله الفقير القانع برزقه الراضي عن الله وقال عليه الصلوة والسلام اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا واوحى الله الى اسمعيل على نبينا وعليه الصلوة والسلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال عليه الصلوة والسلام لا احد افضل من الفقير اذا كان راضيا وقال عليه الصلوة والسلام يقول الله تعالى يوم القيمة اين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة من هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين

القانعون لبطائح الراضون بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس
في الحساب يترددون فهذا في القانع والراضي اما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني من
الكتاب **واما الآثار في القناعة والرضا** فكثيرة ولا يخفى ان القناعة مضادة للطمع وقد قال عمر
رضي الله عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وانه من ييأس عما في ايدي الناس وقنع استغنى عنهم وقال
ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك
وقال ابو الدرداء ما من احد الا وفي عقله نقص وذلك انه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا و
الليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر
ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان ابراهيم بن
ادهم من اهل النعم بخراسان فبينما هو ذات يوم مشرف من قصره اذ نظر الى رجل في فناء القصر
وبيده رغيف يأكله فلما اكل نام فقال لبعض غلمانه اذا انتبه فجئني به فلما قام جاء به اليه
فقال ابراهيم ايها الرجل اكلت الرغيف وانت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا
قال نعم قال ابراهيم في نفسه فما اصنع انا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر ومر رجل بعامر بن
عبد قيس وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له يا عبد الله ارضيت من الدنيا بهذا فقال الا ادلك على
من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن الآخرة وكان محمد بن واسع يخرج
خبزا يابسا فيبله بالماء ويأكل بالملح ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج الى احد وقال الحسن
لعن الله اقواما اقسم الله لهم ثم لم يصدقوه ثم قرأ قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون
فورب السماء والارض الآية وكان ابو ذر يوما جالسا في الناس فاتته امرأته فقالت له اتجلس
بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة فقال يا هذه ان بين ايدينا عقبة كؤودا لا ينجو منها
الا كل مخف فرجعت وهي راضية وقال ذو النون اقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له و
قيل لبعض الحكماء ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس عما في ايدي الناس
ويروى ان الله تعالى قال في بعض الكتب المنزلة لو كانت الدنيا كلها لك يا ابن آدم لم يكن لك منها
الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقيل في
القناعة **شعر**
اضرع الى الله لا تضرع الى الناس — واقنع بيأس فان العز في الياس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم — ان الغني من استغنى عن الناس
وقيل ايضا
يا جامعا مانعا والدهر يرمقه — مقدرا اي باب منه يغلقه
مفكرا كيف تأتيه منيته — اغاديا ام بها يسري فيطرقه
جمعت مالا فقل لي هل جمعت له — يا جامع المال اياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه — ما المال مالك الا يوم تنفقه
ارفه ببال فتى يغدو على ثقة — ان الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ما يدنسه — والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها — لم يبق في ظلها هم يؤرقه

بيان فضل الفقر على الغنى

اعلم ان الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد و
الخواص والاكثرون الى تفضيل الفقر وقال ابن عطاء الغني الشاكر القائم بحقه افضل من الفقير الصابر ويقال ان الجنيد دعا
على ابن عطاء لمخالفته اياه فيه فاصابته محنة وقد ذكرنا هذا في كتاب الصبر والشكر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر
وتمهيد السبيل لطلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل فاما الفقر والغنى اذا اخذ مطلقا
لم يسترب من قرأ الاخبار والآثار في تفضيل الفقر فلا بد فيه من تفصيل فنقول انما يتصور الشك في مقامين احدهما
فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع او راض بالاضافة الى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك

المال والثاني فقير حريص مع غني حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغني الحريص الممسك وان
الغني المنفق ماله في الخيرات افضل من الفقير الحريص اما الاول فربما يظن ان الغني افضل من الفقير لانهما تساويا
في ضعف الحرص على المال والغني متقرب بالخيرات والصدقات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذي ظنه ابن عطاء فيما
نحسبه فاما الغني المتمتع بالمال وان كان مباحا فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يستشهد له بما روي في
الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات و
الحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما ناله الاغنياء فتعلم الاغنياء ذلك
فكانوا يقولونه فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلوة والسلم ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء وقد استشهد ابن عطاء ايضا لما سئل عنه فقال الغني افضل لانه وصف الحق اما دليله الاول ففيه
نظر لان الخبر قد روي مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب
الغني وان فوزهم بنيل الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روى زيد بن اسلم عن انس بن مالك قال بعث الفقراء رسولا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند
قوم احبهم قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا
مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقراء ان لمن
صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء اما الخصلة الواحدة فان في الجنة غرفا ينظر اليها
اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مؤمن فقير والثانية يدخل
الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله و
لا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني الفقير وان انفق فيها عشرة آلاف درهم و
كذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا فهذا يدل على قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اي يزيد
ثواب الفقراء على الذكر واما قوله ان الغني وصف الحق فقد اجابه بعض الشيوخ فقال ارى ان الحق غني
بالاسباب والاغراض فانقطع ولم ينطق واجاب آخرون فقالوا التكبر من صفات الحق فينبغي ان يكون
افضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل ان الفقر افضل لان صفات العبودية افضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات
الربوبية لا ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال سهل
حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهما من صفات الرب ففي هذا الجنس تكلموا في تفضيل الغنى وجوابهما
يتعلق بعمومات تقبل التأويل وبكلمات قاصرة لا يبعد مناقضتها اذ كما يناقض قول من فضل الغنى بانه من صفات
الحق بالتكبر فكذلك يناقض قول من ذم الغنى لانه وصف العبد بالعلم والمعرفة فانه وصف الرب والجهل والغفلة
وصف العبد وليس لاحد ان يفضل الغفلة على العلم فكشف الغطاء في هذا ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان ما لا
يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها
عائقة عن الوصول الى الله ولا الفقر مطلوبا لعينه ولكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكم من
غني لم يشغله الغنى عن الله كسليمن وعثمن وعبد الرحمن بن عوف وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في
الدنيا هو حب الله والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد
يكون من الشواغل كالغنى وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع معه حب الله في القلب والمحب للشيء مشغول به
سواء كان في فراقه او وصاله بل ربما يكون شغله في الفراق اكثر والدنيا معشوقة الغافلين فالمحروم عنها مشغول بطلبها

والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فاذا ان وجدت وضعت فاذ عين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد اذ كل واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة افضل من فقده اذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة وان اخذت الامر باعتبار الاكثر فالفقير عن الخطر ابعد اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا يقدر ولذلك قال الصحابة بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر وهذا خلقة الادميين كلهم الا الشاذ الفذ الذي لا يوجد في الاعصار الكثيرة الا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر زجر الشرع عن الغناء وذمه وفضل الفقر ومدحه حتى قال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض العلماء تقليب الاموال يمص حلاوة الايمان وفي الخبر لكل امة عجل وعجل هذه الامة الدينار والدرهم وكان عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة فاستواء المال والماء والحجر والذهب انما يتصور للانبياء والاولياء ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة اذ كان صلى الله عليه وسلم يقول اليك عني اذ كانت الدنيا تتمثل له بزينتها وكان علي رضي الله عنه يا صفراء غري غيري ويا بيضاء غري غيري وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادي الاغترار لولا ان رآى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال عليه الصلوة والسلام ليس الغنى بكثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيدا فاذا الاصلح لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا وتصرفوا الى الخيرات لانهم لا ينفكون في القدرة على المال عن انس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة في بذلها وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم وبقدر ما يانس العبد بالدنيا يستوحش من الاخرة وبقدر ما يانس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطع اسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب اذا تجافى عما سوى الله وكان مؤمنا بالله انصرف الى الله لا محالة اذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود الا الله وغيره فمن اقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن اقبل عليه تجافى عن غيره ويكون اقباله على احدهما بقدر تجافيه عن الاخر وقربه من احدهما بقدر بعده من الاخر ومثلهما المشرق والمغرب فانهما جهتان فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب من احدهما يبعد من الاخر بل عين القرب من احدهما هو عين البعد من الاخر فعين حب الدنيا هو عين بغض حب الله فينبغي ان يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوبه عن الدنيا وانسه بها فاذا فضل الفقر والغنى بحسب تعلق قلبهما بالمال فقط فان تساويا فيه تساوت درجتاهما الا ان هذا مزلة القدم وموضع الغرور فان الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه في تفريقه واذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتا فليعلم انه كان مغرورا فكم من رجل باع سرية له لظنه انه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعل من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتحقق به انه كان مغرورا وان العشق كان مستكنا في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الاغنياء الا الانبياء والاولياء واذا كان ذلك بعيدا او محالا فلنطلق القول بان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة الفقير وانسه بالدنيا اضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فان حركات اللسان ليست مرادة لاعيانها بل ليتاكد بها الانس بالمذكور فلا يكون تاثيره في اثارة الانس في قلب فارغ عن غير المذكور كتاثيره في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من يتعبد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفئ النار بالحلفاء ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك وقال ابو سليمن تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها افضل من عبادة غني الف عام وقال رجل لبشر بن الحارث ادع الله فقد اضر بي العيال فقال اذا قال لك العيال ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع لي في ذلك الوقت فان دعاءك افضل من دعائي وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد الحسناء وكانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء وقال الصديق رضي الله عنه اللهم اني اسالك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف واذا كان مثل ابي بكر في كماله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف تشك في ان فقد المال اصلح من وجوده هذا مع ان احسن احوال الغني ان ياخذ حلالا وينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيمة ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب فقد عذب ولهذا تاخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة اذ كان مشغولا بالحساب كما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال ابو الدرداء ما احب ان لي حانوتا على باب المسجد لا يخطئني فيه صلوة وذكر واربح كل يوم اربعين دينارا واتصدق بها في سبيل الله قيل ما تكره قال سوء الحساب ولذلك قال سفيان اختار الفقراء ثلاثة اشياء والاغنياء ثلاثة اشياء اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب والاغنياء اختاروا تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما ذكره ابن عطاء من ان الغنى وصف الحق فهو افضل فهو صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه بان يستوي عنده كلاهما فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه فلا يضاهي غناه غنى الله لان الله غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور ان يسرق وما ذكر في الرد عليه من ان الله ليس غنيا بالاعراض والاسباب صحيح في ذم غني يريد بقاء المال وما ذكر من ان صفات الحق لا يليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو افضل شيء للعبد بل منتهى العبد ان يتخلق باخلاق الله وقد سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله تعالى قبل ان يقطع يصير الاسماء التسعة والتسعون اوصافا له اي يكون له من كل واحد نصيب واما التكبر فلا يليق بالعبد اذ التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله واما التكبر على من يستحق كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فيليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والايذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى وانما وصف الله انه اكبر من كل شيء وانه يعلم انه كذلك والعبد مامور بان يطلب اعلى المراتب ان قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد ان يعلم ان العبد المؤمن اكبر من الكافر والمطيع اكبر من العاصي والعالم اكبر من الجاهل والانسان اكبر من البهيمة والجماد والنبات واقرب الى الله منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها لكان صفة التكبر حاصلا له ولايقا به وفضيلة في حقه الا انه لا سبيل له الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة كيف تتفق فلجهله بها وجب ان لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر اذ ربما يختم للكافر بالايمان ويختم له بالكفر فلم يكن ذلك لائقا به لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور ان يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كمالا في حقه لانه من صفات الله ولما كان معرفة بعض الاشياء قد يضره صار ذلك العلم نقصا في حقه اذ ليس من اوصاف الله علم يضره فمعرفة الامور التي لا ضرر فيها هي التي يتصور في العبد من صفات الله فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء فاذا لو استوى عنده وجود المال وعدمه لكان ذلك من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي هو وصف الله فهو فضيلة اما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه اصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغني الشاكر

المقام الثاني في نسبة حال الفقير الحريص الى الغني الحريص

فلنفرض ذلك في شخص واحد هو طالب المال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقد وحالة الوجود فاي حالتيه افضل فنقول ننظر ان كان مطلوبه ما لا بد منه في المعيشة وكان قصده ان يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود افضل لان الفقد يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الذكر والفكر الا قدرة مشوبة بالشغل والمكفي هو القادر ولذلك قال عليه الصلوة والسلام اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا اي الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وان كان المطلوب فوق الحاجة او كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحالة الفقد اصلح وافضل لانهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في ان كل واحد منهما ليس يريد بقصده الاستعانة على الطريق فاستويا في ان كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية

بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في ان الواجد يأنس بما وجده فيتأكد حبه في قلبه ويطمئن الى الدنيا والفاقد المضطر
يتجافى قلبه عن الدنيا ويكون الدنيا عنده مثل السجن الذي يبغي الخلاص منه ومهما استوت الامور كلها وخرج منهما من الدنيا
احدهما اكثر ركونا الى الدنيا فحاله اشد لا محالة اذ يلتفت قلبه الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد انسه بالدنيا وقد
قال عليه الصلوة والسلام ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وهذا تنبيه على ان فراق المحبوب شديد
فينبغي ان تحب ما لا يفارقك وهو الله ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا فانك ان احببت الدنيا كرهت لقاء الله فيكون قدومك
بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا يكون اذاه في فراقه بقدر حبه وقدر انسه به وانس الواجد للدنيا
اكثر من انس الفاقد لها وان كان حريصا فاذا قد انكشف بهذا التحقيق ان الفقر هو الاشرف والاصلح والافضل لكافة الخلق الا
في موضعين احدهما غنى مثل غنى عائشة رضي الله عنها يستوي عنده الوجود والعدم فيكون الوجود مزيدا له اذ يستفيد به ادعية
الفقراء والمساكين وهممهم والثاني الفقر عن مقدار الضرورة فان ذلك يكاد ان يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه الا اذا كان
وجوده سببا لحيوته ثم يستعين بقوته وحيوته على الكفر والمعاصي فلو مات جوعا لكان معاصيه اقل فالاصلح له ان يموت جوعا ولا
يجد ما يضطر اليه ايضا بهذا تفصيل القول في الغنى والفقر وبقي النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي
غني هو دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقره فهذا في محل النظر والاظهر ان بعدهما عن
الله بقدر قوة تفجعهما بفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند الله تعالى

بيان آداب الفقير في فقره

للفقير آداب في باطنه وظاهره ومخالطته وافعاله ينبغي ان يراعيها اما في باطنه فان لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر
اعني انه لا يكون كارها لفعل الله من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر كالمحجوم يكون كارها للحجامة لتألمه بها ولا يكون كارها لفعل
الحجام ولا كارها له بل ربما يتقلد منه منة فهذا اقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله عليه الصلوة
والسلام يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وارفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل يكون
راضيا به وارفع منه ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلا في باطنه على الله تعالى واثقا به في قدر ضرورته
انه يأتيه لا محالة ويكون كارها للزيادة على الكفاف وقد قال علي رضي الله عنه ان لله عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر
فمن علامات الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو به حاله ويشكر الله على فقره ومن علامته
انه لو كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي به ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء وهذا يدل على ان كل فقير فليس
بمحمود بل الذي لا يتسخط او يرضى او يفرح به لعلمه بثمرته اذ قيل ما اعطي عبد شيئا في الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة
اثلاث شغل وهم وطول حساب واما في ظاهره فان يظهر التجمل والتعفف ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر
الفقر ويستر انه يستره ففي الحديث ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وقال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من
التعفف وقال سفيان افضل الاعمال التجمل عند المحنة وقيل ستر الفقر من كنز البر واما في اعماله فان لا يتواضع لغني لاجل غناه بل يتكبر عليه
قال علي رضي الله عنه ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله فهذا مرتبة واقل
منها ان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك من مبادي الطمع قال الثوري اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم انه مراء واذا
خالط السلطان فاعلم انه لص وقال بعض العارفين اذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته واذا
سكن اليهم ضل وينبغي ان لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا في العطاء واما آدابه في افعاله فان لا يفتر بسبب الفقر عن العبادة
ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى وعن زيد بن اسلم انه قال قال
عليه الصلوة والسلام درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله
مائة الف فتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب مائة الف ومن
ينبغي انه لا يدخر مالا بل ياخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلاث درجات احدها ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين

رجلان ص

والثانية ان لا يدخر الا لاربعين يوما فان ما زاد عليه داخل في طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله لموسى
ففهم منه الرخصة في امل الحيوة اربعين يوما وهذه درجة المتقين والثالثة ان يدخر لسنته وهي اقصى المراتب و
هي درجة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى
الصالح الضعيف في طمأنينة قلبه في قوت سنته وغنى الخصوص في اربعين يوما وغنى خصوص الخصوص في يوم و
ليلة

بيان آداب الفقير في قبول العطاء

اذا جاءه بغير سؤال ينبغي ان يلاحظ الفقير فيما جاءه
ثلاثة امور نفس المال وغرض المعطي وغرضه في الاخذ اما نفس المال فينبغي ان يكون حلالا خاليا عن الشبهات
كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من اخذه وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه
وما يستحب فاما غرض المعطي فلا يخلو اما ان يكون تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية او الثواب وهو الصدقة
والزكوة او الذكر والرياء والسمعة اما على التجرد او ممزوجا ببقية الاغراض اما الاول وهو الهدية فلا بأس
بقبولها فان قبولها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ينبغي ان لا يكون فيها منة فان كان فيها منة فالاولى
تركها فان علم ان بعضها مما يعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض اهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم سمن و
اقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش وكان عليه الصلوة والسلام يقبل من بعض الناس ويرد على بعض
وقال لقد هممت ان لا اتهب الا من قرشي او ثقفي او دوسي وفعل هذا من جملة من التابعين وجاءت صرة الى فتح
الموصلي وفيها خمسون درهما فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اتاه رزق من غير
مسألة فرده فانما يرده على الله ثم فتح الصرة واخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن يروي هذا الحديث
ايضا ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من
الناس مثل هذا لقي الله يوم القيمة وليس له خلاق وهذا يدل على ان امر الواعظ والعالم اشد في قبول العطايا و
قد كان الحسن يقبل من اصحابه وكان ابراهيم التيمي يسأل من اصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويعرض عليه غيرهم المائتين
فلا يأخذ وكان بعضهم اذا اعطاه صديقه شيئا يقول اتركه عندك وانظر ان كنت بعد قبوله في قلبك افضل مني قبل القبول
فاخبرني حتى آخذه والا فلا وامارة ذلك ان يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه في قبول صديقه
هديته فان علم انه يمازجه منة فاخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين وقال بشر ما سألت احدا قط شيئا
الا سريا السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون له
عونا على محبته وجاء خراساني الى الجنيد بمال وسأله ان ياكله فقال افرقه على الفقراء فقال ما اريد هذا فقال ومتى
اعيش الى ان آكل هذا فقال ما اريد ان تنفقه في الخل والبقل بل في الحلاوى والطيبات فقبل فقال الخراساني ما احد
ببغداد امن علي منك قال الجنيد وما ينبغي ان يقبل الا من مثلك الثاني ان يكون للثواب المجرد وذلك صدقة او
زكوة فعليه ان ينظر في صفات نفسه انه هل هو مستحق للزكوة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب
اسرار الزكوة وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر الى باطنه فان كان مقارفا للمعصية في السر يعلم ان المعطي لو علم ذلك
لنفر طبعه ولما تقرب الى الله بالتصدق عليه فهذا حرام اخذه كما لو اعطاه لظنه انه عالم او علوي ولم يكن فان اخذه حرام محض
لا شبهة فيه والثالث ان يكون غرضه الشهرة والرياء والسمعة فينبغي ان يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله اذ يكون
معينا له على غرضه الفاسد وكان سفيان يرد ما يعطى ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا به لاخذت وعوتب
بعضهم في رده ما كان يأتيه من صلة فقال انما ارده عليهم اشفاقا لهم ونصحا لانهم يذكرون ويحبون ان يعلم به فيذهب
اموالهم ويحبط اجورهم واما غرضه في الاخذ فينبغي ان ينظر اهو محتاج اليه فيما لا بد منه ام هو مستغن عنه فان كان
محتاجا اليه فقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في المعطي فالافضل الاخذ قال عليه الصلوة والسلام ما المعطي

وكيله خ

وانظر ص

مشعر باعظم الاجر من الاخذ اذا كان محتاجا وقال صلى الله عليه وسلم من آتاه شيء من هذا المال من غير مسئلة
ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه وفي لفظ آخر فلا يرده وقال بعض العلماء من اعطي فلم ياخذ
سأل ولم يعط وقد كان سري السقطي يوصل شيئا الى احمد بن حنبل فيرده فقال له السري يا احمد احذر آفة
الرد فانها اشد من آفة الاخذ فقال له احمد اعد علي ما قلت فاعاده فقال احمد ما رددت عليك الا ان عندي
قوت شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي وقال العلماء يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء
بطمع او دخول في شبهة او غيره فاما اذا كان ما اتاه زائدا على حاجته فلا يخلو اما ان كان حاله الاشتغال بنفسه
او التكفل بامور الفقراء والانفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء فان كان مشغولا بنفسه فلا وجه لاخذه
وامساكه ان كان طالبا طريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله فهو من سبيل الشيطان وداع اليه
ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه ثم له مقامان احدهما ان ياخذ في العلانية ويرد في السر او يفرق في السر وهذا
مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا يطيقه الا من اطمانت نفسه بالرياضة والثاني ان يترك ولا ياخذ ولا
ليصرفه صاحبه الى ما هو احوج منه او ياخذ ويوصل الى من هو احوج منه فيفعل كليهما في السر او كليهما في العلانية وقد
ذكرنا ان الافضل اظهار الاخذ واخفاءه في كتاب اسرار الزكوة مع جملة من احكام الفقير فليطلب منه و
امتناع احمد بن حنبل عن قبول عطاء سري السقطي انما كان لاستغنائه عنه اذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه
ان يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك آفات واخطارا والورع يكون حذرا من مظان الآفات اذ لم يكن
يأمن من مكيدة الشيطان على نفسه وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم اعددتها للانفاق في سبيل الله
فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى يا من يرى ما لا يرى فنظرت
فاذا عليه خلقان لا تكاد تواريه فقلت في نفسي لا اجد لدراهمي موضعا احسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها ثم اخذ منها
خمسة دراهم فقال اربعة ثمن مئزرين ودرهم انفقه ثلاثا ولا حاجة بي الى الباقي فرده قال فرايته في الليلة الثانية وعليه
مئزران جديدان فهجس في نفسي منه شيء فالتفت الي واخذ بيدي فاطاف بي معه سبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن
الارض يتخشخش تحت اقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر للناس فقال هذا كله
قد اعطانيه فزهدت فيه واخذ من ايدي الخلق لان هذه اثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود
ان الزيادة على قدر الحاجة انما ياتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة ياتيك رفقا بك
فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقال عليه
الصلوة والسلام لا حق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب
فاذا انت في اخذك الحاجة من هذه الثلاث مثاب وفيما زاد عليه ان لم تعص الله متعرض للحساب وان عصيت الله به فمتعرض
للعذاب ومن الاختبار ايضا ان تعزم على ترك لذة من اللذات تقربا الى الله وكسر الصفة النفس فياتيك عفوا
صفوا لتمتحن به قوة عقدك فالاولى الامتناع عنه فان النفس اذا رخصت في نقض العزم الفت نقض العهد وعادت
لعادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد فان اخذته وصرفته الى ما هو محتاج فهو غاية الزهد ولا يقدر
عليه الا الصديقون فاما اذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء فخذ
ما زاد على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء وبادر به الى الصرف اليهم ولا تدخره فان امساكه ولو ليلة واحدة
فيه فتنة واختبار فربما يحلو في قلبك فتمسكه فيكون فتنة عليك فقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة
الى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله ان يستقرض
على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة فان رزقه الله من حلال قضاه وان مات قبل القضاء قضى الله عنه

خصماءه وذلك بان يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده
ليقدم على اقراضه عن بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب ان يقضى من مال بيت المال او من الزكوة وقد قال
تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله قيل معناه ليبع احد ثوبيه وقيل فليستقرض بجاهه فذلك
مما آتاه الله وقيل لله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله ومات بعضهم فاوصى بثلث ماله
لثلاث طوائف الاقوياء والاسخياء والاغنياء فقيل من هؤلاء فقال اما الاقوياء فهم اهل
التوكل على الله واما الاسخياء فهم اهل حسن الظن بالله واما الاغنياء فهم اهل الانقطاع الى الله
فاذا مهما وجدت هذه الشروط فيه وفي المال وفي المعطي فلياخذه وينبغي ان يرى ما ياخذه من
الله لا من المعطي لان المعطي واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر اليه بما سلط عليه من الدواعي و
الارادات والاعتقادات وقد حكي ان بعض الناس دعا شقيقا في خمسين من اصحابه فوضع مائدة
حسنة فلما قعد قال لاصحابه ان هذا الرجل يقول من لم ير اني صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي حرام
عليه فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل لشقيق ماذا قصدت
بهذا قال اردت ان اختبر توحيد اصحابنا كلهم وقال موسى يا رب جعلت رزقي هكذا على ايدي بني
اسرائيل تغديني هذا يوما وتعشيني هذا ليلة فاوحى الله تعالى اليه هكذا اصنع باوليائي اجري
رزقهم على ايدي البطالين من عبادي ليوجروا فيهم فلا ينبغي ان يرى المعطي الا من حيث انه مسخر
ماجور

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه

اعلم انه قد
وردت مناه في السؤال وتشديدات ووردت فيه ايضا ما يدل على الرخصة اذ قال عليه الصلوة والسلام
للسائل حق وان جاء على فرس وقال ايضا ردوا السائل ولو بظلف محرق ولو كان السؤال مطلقا حراما
لما جاز اعانة المتعدي على عدوانه والاعطاء اعانة والكاشف للغطاء فيه ان السؤال حرام في
الاصل وانما يباح بضرورة او حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام وانما قلنا انه الاصل
في التحريم لانه لا ينفك عن ثلثة امور محرمة الاول اظهار الشكوى من الله تعالى اذ السؤال اظهار للفقر وذكر لقصور
نعمة الله عنه وهو عين الشكوى وكما ان العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله تشنيعا على سيده فكذا سؤال العباد تشنيع
على الله وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا بضرورة كما يحل الميتة والثاني ان فيه اذلال السائل نفسه لغير الله وليس للمؤمن ان
يذل نفسه بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه عزه فاما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي ان يذل لهم الا بضرورة
وفي السؤال ذل السائل بالاضافة الى المسؤل والثالث انه لا ينفك عن ايذاء المسؤل لانه ربما لا تسمح نفسه بالبذل
عن طيبة قلب فان بذل حياء من السائل او رياء فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحيى وتاذى بالمنع في نفسه اذ يرى
نفسه في صورة البخلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما موذيان والسائل هو السبب في
الايذاء والايذاء حرام الا بضرورة ومهما فهمت هذه المحذورات الثلث فهمت قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال
مسألة الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماه فاحشة ولا يخفى ان الفاحشة انما تباح لضرورة
كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها وقال عليه الصلوة والسلام من سأل عن غنى فانما يستكثر من جمر
جهنم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيمة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم وفي لفظ آخر كانت مسألته خدوشا وكدوحا
في وجهه وهذه الالفاظ صريحة في التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط
عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفيفة لا تسألوا الناس شيئا وكان يامر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول من سألنا اعطيناه
ومن استغنى اغناه الله ومن لم يسألنا فهو احب الينا وقال صلى الله عليه وسلم استغنوا

عن الناس ولو بشوص من سواك وما قل من السؤال فهو خير قيل فالوا ومنك يا رسول الله قال ومني وسمع عمر سائلا
يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانيا يسأل فقال الم اقل لك عشه فقال عشيته
فنظر عمر رضي الله عنه فاذا تحت يده مخلاة محشوة من خبز فقال لست بسائل ولكنك تاجر ثم اخذ المخلاة ونثرها
بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا ان سؤاله كان حراما لم يضربه ولا اخذ مخلاته ولعل
الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر اما ضربه فهو تاديب وقد ورد الشرع
بالتعزير واما اخذه ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بالمال فكيف استجازه وهذا استبعاد
مصدره القصور في الفقه فاين يظهر الفقهاء كلهم في حوصلة عمر واطلاعه على اسرار دين الله ومصالح
عباده افترى انه لم يعلم ان المصادرة بالمال غير جائزة او علم ذلك ولكن اقدم عليه غضبا في معصية الله و
حاشاه او اراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها الله وهيهات فان ذلك ايضا معصية بل الفقه الذي
لاح له فيه انه رآه مستغنيا عن السؤال وعلم ان من اعطاه فانما اعطاه على اعتقاد انه محتاج وقد
كان كاذبا فلم يدخل في ملكه باخذه مع التلبيس وعسير تمييزه للقطع ورده اذ لا يعرف اصحابه باعيانهم
فبقي مالا لا مالك له فوجب صرفه الى المصالح وابل الصدقة وعلفها من المصالح ويتنزل اخذ السائل مع اظهار
الحاجة كاذبا كاخذ العلوي بقوله اني علوي وهو كاذب فانه لا يملك ما ياخذه وكاخذ الصوفي الصالح
الذي يعطى لصلاحه وهو في الباطن مقارف معصية لو عرفها المعطي لما اعطاه وقد ذكرنا في مواضع ان ما اخذوه
لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد الى المالك فاستدل بفعل عمر على صحة هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير من
الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر فاذا عرفت ان
السؤال يباح لضرورة فاعلم ان الشيء اما ان يكون مضطرا اليه او محتاجا اليه حاجة مهمة او حاجة خفيفة او مستغنى
عنها فهذه اربع احوال اما المضطر اليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا او مرضا وسؤال العاري
بدنه مكشوف وليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط في المسؤول بكونه مباحا والمسؤول عنه
بكونه راضيا في الباطن والسائل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال الا
اذا استغرق طلب العلم اوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة واما المستغني فهو الذي يطلب
شيئا وعنده مثله او امثاله فسؤاله حرام قطعا وهذان طرفان واضحان اما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض
الذي يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف وكمن له جبة ولا قميص تحتها في الشتاء
وهو يتأذى بالبرد تأذيا لا ينتهي الى حد الضرورة وكمن يسأل لاجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة فهذا
ينبغي ان يسترسل له الاباحة لانها ايضا حاجة محققة ولكن الصبر عنه اولى وهو بالسؤال تارك للاولى ولا
يسمى سؤاله مكروها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتي قميص والبرد يؤذيني اذى اطيقه ولكن يشق علي
فاذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله ان شاء الله واما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند
خروجه ليستر به الخروق في ثيابه عن اعين الناس وكمن يسأل لاجل الادم وهو واجد للخبز وكمن يسأل الكراء للفرس
في الطريق وهو واجد كراء الحمار او يسأل كراء المحمل وهو قادر على الراحلة فهذا ان كان فيه تلبيس حال
باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن فيه وكان فيه شيء من المحذورات الثلاث من الشكوى والذل وايذاء المسؤول
فهو حرام لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان تباح بها هذه المحذورات وان لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة
فان قلت فكيف يمكن اخلاء السؤال عن هذه المحذورات فاعلم ان الشكوى تندفع بان يظهر الشكر لله والاستغناء
عن الخلق ولا يسأل سؤال المحتاج لكن يقول انا مستغن بما املكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهي

فضلة على الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى واما الذل فان يسأل اباه او قريبه او صديقه الذي
يعلم انه لا يستحقره بذلك ولا يصغر في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله او الرجل السخي الذي قد اعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح
بوجود مثله ويتقلد منه منة بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك فان الذل لازم للمنة لا محالة واما الايذاء فسبيل الخلاص عنه
ان لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقي الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان كان في القوم
شخص مرموق لو لم يبذل لكان يلام فهذا ايذاء فانه ربما يبذل كرها خوفا من الملامة ويكون الاحب اليه في الباطن
الخلاص لو قدر عليه من غير ملامة واما اذا كان يسأل معينا فينبغي ان لا يصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيل الى التغافل
ان اراد فاذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وانه غير متأذ به وينبغي ان يسأل من لا يستحيي منه لو رده
او تغافل فان الحياء من السائل يؤذي كما ان الرياء مع غير السائل يؤذي فان قلت فاذا اخذ مع العلم بان باعث المعطي
هو الحياء منه او من الحاضرين ولولاه لما ابتدأه فهو حلال او شبهة فاقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الامة وحكمه حكم
اخذ مال الغير بالمصادرة والضرب اذ لا فرق بين ان يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب او يضرب باطن قلبه بسوط الحياء و
خوف الملام وسوط الباطن اشد نكاية في قلوب العقلاء ولا يجوز ان يقال هو في الظاهر قد رضي به وقد قال عليه
الصلاة والسلام انما نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان هذه ضرورة القضاء في فصل الخصومات اذ لا يمكن رده الى
البواطن وقرائن الاحوال فاضطروا الى الحكم بظاهر اللسان مع انه ترجمان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت وهذا سؤال
عما بين العبد وبين الله والحاكم فيه احكم الحاكمين والقلوب عنده كالالسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا
الى قلبك وان افتوك فان المفتي معلم القاضي والسلطان ليحكموا في عالم الشهادة ومفتي القلوب هم علماء الآخرة و
بفتواهم النجاة عن سطوة سلطان الآخرة كما ان بفتوى الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا فاذا ما ياخذه مع
الكراهة لا يملكه بينه وبين الله ويجب عليه رده على صاحبه فان كان يستحيي من ان يسترده ولم يسترده فعليه ان يثيبه
على ذلك بما يساوي قيمته في معرض الهدية والمقابلة ليتفصى عن عهدته فان لم يقبل هديته فعليه ان يرد ذلك
الى ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه فيما بينه وبين الله وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الاذى
فان قلت فهذا امر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل فربما يظن السائل انه راض ولا يكون هو في الباطن راضيا فاقول
لهذا ترك المتقون السؤال راسا فما كانوا ياخذون من احد شيئا اصلا وكان بشر لا ياخذ من احد اصلا الا من السري وقال
لاني علمت انه يفرح بخروج المال من يده فانا اعينه على ما يحبه وانما عظم النكير في السؤال والامر بالتعفف لهذا لان الاذى
لا يحل الا بضرورة وهو ان يكون مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة واذى فيباح
له ذلك كما يباح له لحم الخنزير والميتة فكان الامتناع طريق الورعين ومن ارباب القلوب من كان واثقا ببصيرته في الاطلاع
على قرائن الاحوال فكانوا ياخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا ياخذ الا من اصدقائه ومنهم من كان ياخذ
مما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش والاقط وكان هذا فيما كان ياتيهم من غير سؤال فان
ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد يكون رغبته طمعا في جاه او طلبا للرياء والسمعة فكانوا يحترزون من ذلك اما السؤال
فقد امتنعوا منه راسا الا في موضعين احدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الانبياء في مقام الضرورة سليمان وموسى والخضر
ولا شك انهم ما سألوا الا من علموا انه يرغب فيهم والثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان وفي حق الاخوان فقد كانوا ياخذون
مالهم بغير سؤال واستئذان لان ارباب القلوب علموا ان المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا
يفرحون بمباسطتهم فانما كانوا يسألون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم على ما يريدونه والا فكانوا يستغنون عن
السؤال وحد اباحة السؤال انه يعلم ان المسؤول بصفة لو علم ما به من الحاجة لابتدأ دون السؤال فلا يكون لسؤاله تأثير

الا في معرض خلعتك فاما بحركة بالحياء واثارة داعية الجبلة فلا ويتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في
الرضى الباطن وحالة لا يشك في الكراهة ويعلم ذلك بقرائن الحال فالاخذ في الحالة الاولى حلال طلق وفي الثاني
حرام محض ويتردد بين الحالين احوال يشك فيها فليستفت قلبه وليترك حواز القلب فانه الاثم وليدع ما
يريبه الى ما لا يريبه وادراك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته
فان قوي الحرص وضعفت فطنته ترى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق
تطلع على سر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وقد اوتي والله جوامع الكلم
لان من كسب له ولا كسب لابيه ما ورثه فياكل من ايدي الناس وان اعطي بغير سؤال فانما يعطى بدينه ومتى
يكون باطنه بحيث لو انكشف لا يعطى بدينه فيكون ما ياخذه حراما وان اعطي بسؤال فاين من يطيب قلبه بالعطاء
اذا سئل واين من يقتصر في السؤال على حد الضرورة فاذا فتشت احوال من ياكل من ايدي الناس علمت ان جميع
ما ياكلونه او اكثره سحت وان الطيب هو الكسب الذي اكتسبته انت وموروثك فاذا بعد ان يجتمع الورع مع الاكل من
ايدي الناس فنسال الله تعالى ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه بمنه وجوده

بيان مقدار الغنى محرم للسؤال

اعلم ان قوله عليه الصلوة والسلام من سال عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم
صحيح في التحريم ولكن حد الغنى مشكل وتقديره عسير وليس لنا وضع المقادير بل نستدرك ذلك بالتوقيف وقد ورد في
الخبر استغنوا بغنى الله قالوا وما هو قال غداء يوم وعشاء ليلة وفي حديث اخر من سال وله خمسون درهما او عدلها
من الذهب فقد سال الحافا وورد في لفظ اخر اربعون درهما ومهما اختلفت التقديرات وصحت الاخبار فينبغي ان يقطع
بورودها على احوال مختلفة فان الحق في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك
الا بتقسيم محيط باحوال المحتاجين فنقول قال عليه الصلوة والسلام لا حق لابن ادم الا في ثلاث طعام يقيم به
صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فلنجعل هذه الثلاثة اصلا في الحاجات لبيان اجناسها
والنظر في الاجناس والاقدار والاوقات فاما الاجناس فهي هذه ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق
بها الكراء للمسافر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري مجراه في المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت
كفالته واما الاقدار فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوي الدين وهو ثوب واحد وقميص ومنديل وسراويل ومداس
فاما الثاني من كل جنس فهو مستغنى عنه وليقس على هذا اثاث البيت ولا ينبغي ان يطلب رقة الثياب وكون الاواني
من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على اخس
اجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة واما الطعام فقدره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما
يقتات وهو الشعير والادام على الدوام فضل وقطعه بالكلية اضرار وفي طلبه في بعض الاحوال رخصة واما
المسكن فاقل ما يجزي من حيث المقدار وذلك من غير زينة فاما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر
غنى واما بالاضافة الى الاوقات فما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه وبيت يكنه فلا شك فيه فاما
سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات احدها ما يحتاج اليه في غد والثانية ما يحتاج اليه بعد اربعين يوما او خمسين
يوما والثالثة ما يحتاج اليه في السنة ولنقطع بان من معه ما يكفيه له ولعياله ان كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فان ذلك
غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فان خمسة دنانير يكفي المنفرد في السنة اذا اقتصد اما
المعيل فربما لا يكفيه وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا تفوته فرصته فلا يحل له السؤال لانه
مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سال ما لا يحتاج اليه فيكفيه غداء يوم وليلة وعليه ينزل الخبر الذي

ورد في التقدير بغداء وعشاء وان كان يحتاج اليه قبل السنة ولكن يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو اخر فيباح له السؤال لان امل البقاء سنة غير
بعيد وهو بتاخير السؤال خائف ان يبقى مضطرا عاجزا عن ما يغنيه فان كان وقت السؤال خارجا عن محل الضرورة
لم يخل سؤاله عن كراهة ويكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة التي فيها يحتاج الى
السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله فيستفتي فيه قلبه ويعمل
به ان كان سالكا طريق الاخرة وكلما كان يقينه اقوى وثقته بمجيء الرزق في المستقبل اتم وقناعته بقوت الوقت اظهر
فدرجته عند الله اعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد اتاك الله قوت يومك لك وليالك الا من ضعف اليقين و
الاصغاء الى تخويف الشيطان وقد قال تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم
بالفحشاء والسؤال من الفحشاء التي ابيحت بالضرورة وحال من يسال لحاجة متراخية عن يومه وان كان داخل السنة اشد
من حال من ملك مالا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب الدنيا و
طول الامل وعدم الثقة بفضل الله وهي ام المهلكات

بيان احوال السائلين

كان بشر يقول الفقراء ثلاثة فقير
لا يسال وان اعطي فلا ياخذ فهذا مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسال وان اعطي اخذ فهذا مع المقربين في جنات
الفردوس وفقير يسال عند الفاقة فهذا مع الصديقين من اصحاب اليمين فاذا قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى انه مع
الفاقة يحط المرتبة والدرجة وقال ابرهيم بن ادهم لشقيق بن ابرهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من
اصحابك قال تركتهم ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال فقد اثنى عليهم غاية الثناء
فقال ابرهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له شقيق فكيف الفقراء عندك يا ابا اسحق فقال الفقراء عندنا ان
منعوا شكروا وان اعطوا اثروا فقبل راسه وقال صدقت يا استاذ فاذا درجات ارباب الاحوال في الرضا والصبر والشكر
والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الاخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر
على الرقي من حضيضها الى يفاعها ومن اسفل سافلين الى اعلى عليين وقد خلق الانسان في احسن تقويم ثم رد
الى اسفل سافلين ثم امر ان يترقى الى اعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الرقي قطعا وانما الشك
فيمن عرف ذلك فانه ربما يعجز عنه وارباب الاحوال قد تغلبهم حالة تقتضي ان يكون السؤال مزيدا لهم في درجاتهم ولكن
بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روي ان بعضهم راى ابا الحسين النوري يمد يده ويسال
الناس في بعض المواطن قال فاستعظمت ذلك واستقبحته له فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك
فان النوري لم يسال الناس الا ليعطيهم انما سالهم ليثيبهم في الاخرة فيوجرون من حيث لا يضره وكانه اشار الى قوله
صلى الله عليه وسلم يد المعطي هي العليا فقال بعضهم يد المعطي هي يد الاخذ للمال لانه لا يعطي الثواب والقدر
له لا بالاخذ ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فالقاها على المائة ثم قال
احملها اليه فقلت في نفسي انما يوزن الشيء ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم فاستحييت ان
اساله فذهبت بالصرة الى النوري فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه وقل له انا لا اقبل منك شيئا واخذ
ما زاد على المائة قال فزاد تعجبي فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا للثواب للاخرة
وطرح عليها قبضة بلا وزن لله فاخذت ما كان لله ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى
وقال اخذ ماله ورد مالنا الله المستعان فانظر الان كيف صفت قلوبهم واحوالهم وكيف خلصت لله
اعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي
الاسرار وذلك نتيجة اكل الحلال وخلو القلب عن الدنيا والاقبال بالكلية على الله فمن انكر ذلك قبل تجربة طريقه
فهو جاهل كمن ينكر مثلا كون الدواء مسهلا قبل شربه ومن انكره بعد ان طال اجتهاده حتى بذل النفس مجهوده

ولم يتصل فانكر ذلك المعين كان يكون شرب المسهل فلم يؤثر في حقه خاصة لعلة في باطنه فاخذ ينكر كون الدواء
مسهلا وهذا وان كان في الجهل دون الاول ولكنه ليس خاليا عن حظ وافر من الجهل بل البصير لهذه حالين
سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة فقد وصل الى عين اليقين واما رجل لم
يسلك الطريق او سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وصدق به فهذا صاحب علم اليقين وان لم يكن واصلا
الى عين اليقين ولعلم اليقين ايضا رتبة وان كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين
فهو خارج من زمرة المؤمنين ويحشر في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قرناء اصحاب العقول الضعيفة
واتباع الشياطين فنسأل الله تعالى ان يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين آمنا به كل من عند ربنا و
ما يذكر الا اولوا الالباب

الشطر الثاني من الكتاب في الزهد

وفيه بيان **حقيقة الزهد** و بيان **فضيلة الزهد** وبيان **درجات الزهد** واقسامه وبيان **تفصيل الزهد في المطعم** والملبس والمسكن والاثاث وضرورات المعيشة وبيان **علامة الزهد**

اعلم ان الزهد
في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لان ابواب
الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكان القول لظهوره اقيم مقام الحال اذ به يظهر
الحال الباطن والا فليس القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلاما ولم يسم ايمانا والعلم
هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم
والعمل اما الحال فنعني بها ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه فكل
من عدل عن شيء الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فانما عدل عنه لرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته
فيه فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذا
يستدعي حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا اليه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون ايضا
مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا فتارك التراب والحجر والحشرات
لا يسمى زاهدا وانما يسمى تارك الدراهم والدنانير زاهدا لان التراب والحجر ليسا في مظنة الرغبة وشرط
المرغوب اليه ان يكون خيرا عنده من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبائع لا يقدم على البيع الا والمشتري عنده خير من المبيع
فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض رغبة فيه وحبا ولذلك قال الله تعالى وشروه بثمن بخس
معناه باعوه وقد يطلق الشرى بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان
ذلك احب عندهم من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذا كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد فيها وكل من باع الآخرة
بالدنيا فهو ايضا زاهد في الآخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد في الدنيا كتخصيص اسم
الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة وان هو الميل المطلق في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة
لم يتصور الا بالعدول الى شيء هو احب منه والا فترك المحبوب لغير الاحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى
الله حتى الفراديس ولا يحب الا الله فهو الزاهد المطلق والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في
مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور وغيرها فهو ايضا زاهد ولكنه دون الاول والذي
يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه ويترك التوسع في الاكل ولا
يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزهد مطلقا ودرجته في الزهد درجة من يتوب عن بعض المعاصي
في التائبين وهو زهد صحيح كما ان التوبة عن بعض المعاصي صحيحة فان التوبة عبارة عن ترك المحظورات و
الزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ولا يبعد ان يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض

كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وان كان قد زهد فيها و
انصرف عنها ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات فاذا الزهد عبارة عن رغبة عن
الدنيا عدولا الى الآخرة او عن غير الله عدولا الى الله وهي الدرجة العليا وكما يشترط في المرغوب اليه
ان يكون خيرا عنده فيشترط في المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه فان ترك ما لا يقدر عليه محال
وبالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك لما قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز
اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيم زهدت واما العلم الذي هو مثمر لهذه الحال فهو
العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى المأخوذ كعلم التاجر بان العوض خير من المبيع فيرغب فيه و
ما لم يتحقق هذا العلم لا يتصور ان يزول الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف ان ما عند الله باق وان
الآخرة خير وابقى اي لذاتها خير في انفسها وابقى كما يكون الجوهر خيرا من الثلج مثلا وهو ابقى كما
يكون الجوهر ابقى من الثلج ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر واللآلي فهكذا مثال الدنيا والآخرة
فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى الانقراض والآخرة كالجوهر الذي لا فناء له
فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان من قوي
يقينه يبيع نفسه وماله كما قال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ثم بين ان صفقتهم
رابحة وقال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الآخرة
خير وابقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة عليه في
الحال وكونه مقهورا في يد الشيطان واما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوما فيوما الى ان يختطفه
الموت ولا يبقى معه الا الحسرة بعد الفوت والى تعريف خساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا
قليل والى تعريف نفاسة الآخرة الاشارة بقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فنبه
على ان العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاوضة ورغبة عن محبوب في احب منه و
قال رجل اللهم ارني الدنيا كما تراها فقال عليه الصلاة لا تقل هكذا ولكن قل ارني الدنيا كما اريتها عبادك الصالحين
وذلك لان الله تعالى يراها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلاله حقير والعبد يراها حقيرا في حق نفسه
بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بائع الفرس وان رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الارض لانه مستغن عنها
اعني عن الحشرات اصلا وليس مستغنيا عن الفرس والله غني بذاته عن كل ما سواه فيرى الكل في درجة واحدة بالاضافة
الى جلاله ويرى متفاوتة بالاضافة الى غيره والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره واما العمل
الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحد لانه بيع ومعاملة واستبدال للذي هو خير بالذي هو ادنى فكما ان العمل الصادر
من عقد البيع ترك المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي الدنيا بأسرها
مع اسبابها ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من اليد والعين ما اخرجه من القلب
ويوظف على اليد والعين وعلى سائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين
في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به فان الذي بايعه بهذا البيع وفى بالعهد فمن اسلم حاضرا في غائب
وسلم الحاضر واخذ يسعى في طلب الغائب سلم اليه الغائب حين فراغه من سعيه ان كان العاقد ممن يوثق
بعهده وصدقه وقدرته ووفائه بالعهد وما دام ممسكا للدنيا لا يصح زهده اصلا ولذلك لم يصف الله
اخوة يوسف بالزهد في بنيامين وان كانوا قد قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وعزموا على
ابعاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه احدهم فترك ولا وصفهم ايضا بالزهد في يوسف عند العزم على

اخراجه الا عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج فان اخرجت عن اليد بعض
الدنيا دون بعض فانت زاهد فيما اخرجت فقط ولست بزاهد مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك
الدنيا لم يتصور لك الزهد لان ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل
اليك ان الدنيا وان لم تاتك فانت زاهد فيها فلا ينبغي ان تتدلى بحبل غروره دون ان تستظهر بموثق غليظ من الله فانك
اذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما
تيسرت له اسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فاياك
ان تثق بوعدها في المباحات والموثق الغليظ ان تجربها مرة بعد اخرى في حال القدرة فاذا وفت بما
وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا فلا باس بان تثق بها وثوقا ما ولكن
تكون من تغيرها ايضا على حذر فانها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع وبالجملة فلا
امان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما ترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن ابي ليلى لابن شبرمة
الا ترى الى هذا ابن الحائك لا نفتي في مسئلة الا رد علينا يعني ابا حنيفة رحمه الله قال ابن شبرمة
لا ادري اهو ابن الحائك ام ما هو ولكن اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها ولذلك
قال جميع المسلمين انا نحب ربنا ولو علمنا في اي شيء محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان
اقتلوا انفسكم الاية وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت منهم اي من القليل قال
وما عرفت ان فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة وليس من الزهد ترك المال
على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب ولا على سبيل الطمع فان ذلك كله من محاسن العادات
ولا مدخل لها في العبادات انما الزهد ان تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الآخرة فاما كل نوع من الترك
فيتصور ممن لا يؤمن بالآخرة فذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا اذ حسن الذكر
وميل القلوب من العاجلة وهي الذ واهنأ من المال وكما ان ترك المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد
فكذلك تركه طمعا في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء واستثقالا له لما في حفظ المال من المشقة والعناء و
الحاجة الى التذلل للسلاطين والاغنياء ليس من الزهد اصلا بل هو استعجال حظ اخر للنفس بل الزاهد من اتته الدنيا
راغمة عفوا صفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم وفوات حظ فتركها حذرا من ان يانس بها فيكون
انسا بغير الله ومحبا لما سوى الله ومشركا في حب الله غير الله او تركها طمعا في ثواب الآخرة فترك التمتع باشربة الدنيا طمعا
في اشربة الآخرة وترك التمتع بالسرايا والنسوان طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين
الجنة واشجارها وترك التجمل والتزين بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه
الجنة وخوفا من ان يقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاثر في جميع ذلك ما وعد
به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لعلمه بان ما في الآخرة خير وابقى وما سوى هذا فمعاملات
دنيوية لا جدوى لها في الآخرة اصلا **بيان فضيلة الزهد** قال الله تعالى فخرج على قومه في
زينته الايتين نسب الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال تعالى اولئك
يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا جاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة
لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل معناه ايهم ازهد فيها فوصف الزهد بانه من احسن الاعمال وقال تعالى
من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من
نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الاية وقال تعالى الذين يستحبون الحياة

الدنيا

الدنيا على الآخرة فيه وصفا للكافرين ومفهومه ان المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو ان يستحب الآخرة على الحياة الدنيا **واما**
الاخبار فما ورد منها في ذم الدنيا فكثير وقد اوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا
من المهلكات ونحن الان نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فانه من المنجيات وهو المعني بالزهد وقد قال عليه الصلوة
والسلام من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا
ما كتب له ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال عليه
الصلوة والسلام اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقال تعالى ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله تعالى ينابيع الحكمة في قلبه و
انطق بها لسانه وعن بعض الصحابة انه قال قلنا يا رسول الله اي الناس خير قال كل مخموم القلب صدوق اللسان
قلنا وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قيل فمن على اثره يا رسول الله قال
الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة ومفهومه ان شر الناس الذي يحب الدنيا وقال عليه الصلوة والسلام ان اردت
ان يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن احبه الله فهو في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد
من افضل المقامات ومفهومه ايضا ان محب الدنيا متعرض لبغض الله وفي خبر من طريق اهل البيت الزهد والورع
يجولان في القلب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه الايمان والحياء اقاما فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم انا مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها وحجرها
وكاني في الجنة والنار وكاني بعرش ربي بارزا فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبد نور الله الايمان قلبه فانظر
كيف بدا باظهار حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين بالآخرة وكيف زكاه صلى الله عليه وسلم
اذ قال عبد نور الله الايمان قلبه ولما سئل عليه الصلوة والسلام عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام قيل له ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله و
هل لذلك من علامة فقال صلى الله عليه وسلم نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل
نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافي عن دار الغرور وقال عليه الصلوة والسلام استحيوا من الله
حق الحياء قالوا انا لنستحيي قال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون فبين ان ذلك ينافي الحياء من الله ولما قدم
عليه وفد فقالوا انا مؤمنون قال صلى الله عليه وسلم وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا
بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت على الاعداء فقال صلى الله عليه وسلم ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا
تاكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة ايمانهم وقال جابر خطبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه علي فقال بابي انت وامي يا رسول الله
ما لا يخلط معها غيرها صفه لنا وفسره لنا فقال حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون عمل
الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن و
البخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك وقال ايضا السخي قريب من الله قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب
من النار والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة وروى
سعيد بن المسيب عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة في قلبه وانطق بها
لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام وروي انه عليه الصلوة والسلام مر في
اصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من احب اموالهم اليهم وانفسها عندهم لانها تجمع الظهر واللحم
واللبن والوبر لعظمها في قلوبهم قال الله تعالى واذا العشار عطلت قال فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره

قريب من الناس

فقالوا يا رسول الله هذه بأنفسنا أموالنا لا تنظر إليها فقال صلى الله عليه وسلم قد نهاني الله عن ذلك بقوله تعالى ولا
تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم الآية وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت يا رسول الله ألا
تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت بك من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي
جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض من الدنيا ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقرها على غناها
وحزنها على فرحها يا عائشة إن الدنيا لا ينبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة إن الله لم يرض لأولي العزم من الرسل إلا الصبر على
مكروه الدنيا والصبر على محبوبها ثم لم يرض لي إلا أن يكلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل فاصبر
كما صبر أولوا العزم من الرسل والله ما لي بد من طاعته وإني لأصبرن كما صبروا بجهدي ولا حول ولا قوة إلا بالله و
روي عن عمر رضي الله عنه أنه قالت له ابنته حفصة حين فتح الفتوحات البس لين الثياب حين إذا قدمت
عليك الوفود من الآفاق ومر بصنعة طعام تطعم وتطعم من حضرك فقال عمر يا حفصة ألستِ تعلمين أن أعلم
الناس بحال الرجل أهل بيته فقالت نعم قال ناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث
في النبوة كذا وكذا سنة ولم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر وناشدتك الله هل تعلمين أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قربتم إليه يوماً طعاماً على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه
ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على ما دون ذلك ووضع بالأرض ناشدتك الله هل تعلمين أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عباءة مثنية فثنيتموها ليلة بأربع أثناء فنام عليها فلما استيقظ قال
منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها باثنين كما كنتم تثنونها وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه ليغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوباً يخرج به إلى الصلاة حتى
يلبس فيخرج به إلى الصلاة وناشدتك الله هل تعلمين أن امرأة من بني ظفر صنعت لرسول الله صلى الله عليه و
سلم كساء بين إزار ورداء وبعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به ليس
عليه غيره قد عقد طرفيه إلى عنقه فصلى كذلك فما زال حتى أبكاها وبكى عمر فانتحب حتى ظننا أن نفسه
ستخرج وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو أنه قال كان لي صاحبان سلكا طريقاً فإن سلكت
غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما وإني والله سأصبر على عيشهما الشديد لعلي أدرك معهما العيش
الرغيد وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد كان البقل يرى في بطنه من الهزال
فهذا ما كان اختاره أنبياء الله والمرسلون وهم أعرف خلق الله بالله وبطرق الفوز وفي حديث عمر أنه قال
لما نزل قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الآية قال عليه الصلاة والسلام تباً للدنيا تباً للدينار والدرهم
إنما نهانا الله عن كنز الذهب والفضة فأي شيء ندخر فقال عليه الصلاة والسلام ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً و
قلباً شاكراً وزوجة صالحة تعينه على أمر الآخرة وفي حديث حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثر
الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث هم لا يفارق قلبه أبداً وفقر لا يستغني أبداً وحرص لا يشبع أبداً وقال
عليه الصلاة والسلام لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشيء
أحب إليه من كثرته وقال عيسى صلوات الله على نبينا وعليه الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقيل له يا نبي
الله لو أمرتنا أن نبني بيتاً نعبد الله فيه فقال اذهبوا فابنوا على الماء بيتاً فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء قال
فكيف يستقيم عبادة على الكلام حب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم إن ربي عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة
ذهباً فقلت لا يا رب ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً فأما اليوم الذي أجوع فأتضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذي
أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك وعن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبرئيل معه على

الصفا فقال له يا محمد والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد كف من سويق ولا سفة دقيق فلم يكن
كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفظعته فقال عليه الصلاة والسلام أمر الله القيامة أن تقوم
فقال لا ولكن هذا إسرافيل قد نزل إليك حين سمع كلامك فأتاه إسرافيل فقال إن الله تعالى سمع ما ذكرت
فبعثني بمفاتيح الأرض وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً
وفضة فعلت فإن شئت نبياً ملكاً وإن شئت نبياً عبداً فأومى إليه جبرئيل أن تواضع لربك فقال نبياً
عبداً ثلاثاً تمت الخ وقال صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبد خيراً زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره
بعيوب نفسه وقال عليه الصلاة والسلام ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما أيدي الناس يحبك الناس وقال
صلى الله عليه وسلم من أراد أن يؤتيه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه
وسلم من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ومن خاف النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد
في الدنيا هانت عليه المصيبات وعن عيسى وعلى نبينا عليهما الصلاة والسلام أربع لا يدركن إلا بعجب الصمت وهو أول
العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء وجميع الأخبار الواردة في مدح بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن فإن الأنبياء
ما بعثوا إلا لصرف الناس عن الدنيا إلى الآخرة وإليه يرجع أكثر كلامهم مع الخلق وفيما ذكرناه كفاية **وأما الآثار** فقد جاء
في الأثر لا تزال لا إله إلا الله يدفع عن العباد سخط الله ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم وفي لفظ آخر ما لم يؤثروا صفقة دنياهم
على دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وعن بعض الصحابة قال تابعنا الأعمال
كلها فلم نر في أمر الآخرة أبلغ من الزهد في الدنيا وقال بعض الصحابة لبعض التابعين أنتم أكثر أعمالاً واجتهاداً من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيراً منكم قيل ولم ذلك قال كانوا أزهد منكم في الدنيا وقال عمر رضي الله عنه الزهادة
في الدنيا راحة القلب والجسد وقال بلال بن سعد كفى به ذنباً أن الله يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها فقال
رجل لسفيان أشتهي أن أرى زاهداً عالماً قال ويحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه إن للجنة ثمانية
أبواب فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل الزاهدين في
الدنيا العاشقين للجنة وقال يوسف بن أسباط إني لأشتهي من الله ثلاث خصال أن أموت وليس في ملكي
درهم ولا يكون علي دين ولا على عظمي لحم فأعطي ذلك كله ويروى أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء بجوائز
فقبلوها وأرسل إلى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه قد قبل الفقهاء وأنت ترد على
حالتك هذه فبكى الفضيل وقال أتدرون ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما
هرمت ذبحوها قبل أن لا ينتفعوا بجلدها فكذلك أنتم أردتم ذبحي على كبر سني لأن تموتوا يا أهلي جوعاً
خير لكم من أن تذبحوا فضيلاً وقال عبد الله بن عمر كان عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام يلبس الشعر و
يأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد أينما أدركه المساء نام وقالت امرأة لأبي حازم
يا أبا حازم هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله ثم الجنة أو النار
وقال إبراهيم بن أدهم قد حجبت قلوبنا بثلاثة أغطية فلن ينكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود
والحزن على المفقود والسرور بالمدح فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط
وأنا الساخط معذب وإذا سررت بالمدح فأنت معجب والعجب محبط وقال ابن مسعود ركعتان من زاهد قلبه
خير له وأحب إلى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبداً سرمداً وقال بعض السلف نعم الله علينا
فيما صرف عنا أكثر فيما صرف إلينا وكأنه التفت إلى قوله صلى الله عليه وسلم إن الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون
مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه إذا فهم هذا علم أن النعمة في المنع المؤدي إلى الصحة أكثر منه في العطاء المؤدي

يوم صم

ئز

معنى صم

الى السقم وكان الثوري يقول الدنيا دار التواء لا دار استواء ومنزل ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن
لشقاء وقال سهل لا يخلص العمل للعبد حتى لا يفزع من اربعة اشياء الجوع والعري والذل والفقر وقال الحسن
ادركت اقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا يأسفون على شيء منها ادبر ولهي
كانت في اعينهم اهون من التراب كان احدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لم يطو له ثوب ولم ينصب له قدر
ولم يجعل بينه وبين الارض شيء ولا امر من في بيته بصنعة طعام فاذا كان الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري
دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا اذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله ان يقبلها
واذا عملوا السيئة احزنتهم وسألوه ان يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة

بيان درجات الزهد واقسامه بالاضافة الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه اعلم ان الزهد
في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على ثلاث مراتب درجات الدرجة السفلى منها ان يزهد في
الدنيا وهو لها مشتهي وقلبه اليها مائل ونفسه اليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى
المتزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد اولا
يذيب نفسه ثم كيسه والزاهد اولا يذيب كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة لا في الصبر على ما فارقه
والمتزهد على خطر فانه ربما يغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة بها في قليل او كثير
الدرجة الثانية الذي يترك طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل
درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة
زهده ويلتفت اليها كما يرى البائع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه انه
ترك شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان الدرجة الثالثة وهي العليا ان يزهد
طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيئا اذ عرف ان الدنيا لا شيء فيكون
كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالاضافة الى الله تعالى
ونعيم الاخرة اخس من خزفة بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل
هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخزفة بالجوهرة آمن من طلب الاقالة في
البيع قال ابو يزيد لابي موسى عبد الرحيم في اي شيء تتكلم قال في الزهد قال في اي شيء قال في الدنيا فنفض
يده وقال ظننت انك تتكلم في شيء الدنيا لا شيء ايش تزهد فيه ومثل من ترك الدنيا للاخرة عند اهل المعرفة
وارباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة
من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ امره في جميع مملكته افترى انه يرى
لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز القاها الى كلبه في مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب الله يمنع الناس من
الدخول مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا لقمة خبز ان اكلتها فلذتها في حال المضغ وتنقضي على
القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنتهي الى النتن والقذر ثم يحتاج الى اخراج ذلك الثقل فمن تركها لينال
عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها اعني ما يسلم لكل شخص منها وان عمر مائة سنة بالاضافة الى نعيم
الاخرة اقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى ما لا نهاية له فالدنيا متناهية على القرب
ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافية عن كل كدورة لكان لا نسبة لها الى الابد فكيف ومدة العمر قصيرة
ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فأي نسبة لها الى نعيم الابد فاذا لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت
الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا اذا رآه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا معتدا به الا لقصور

معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذه تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه
ايضا لها درجات اذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت ايضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك
درجة المعجب بزهده في قدر التفاته الى زهده واما الانقسام بالاضافة الى المرغوب فيه فهو ايضا على
ثلاث درجات الدرجة السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر الالام كعذاب القبر ومناقشة
الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت به الاخبار اذ فيها ان الرجل ليوقف في
الحساب ما لو وردت مائة بعير عطاش على عرقه لصدرت رواء فهذا زهد الخائفين وكانهم رضوا بالعدم
لو اعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم الدرجة الثانية ان يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه
واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغير ذلك وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا
الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم قائم لا آخر له الدرجة الثالثة وهي
العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه فلا يلتفت قلبه الى الالام ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات
ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله وهو الذي اصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الحق الذي لا
يطلب غير الله لان من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب
غير الله الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب الله خاصة الا من عرفه وكما ان من
عرف الدينار والدرهم وعرف انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار فمن عرف الله وعرف لذة النظر الى
وجهه الكريم وعرف ان الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة
الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يؤثر غيره ولا تظنن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى
يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء
على اطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة
عند اهل المعرفة وارباب القلوب كالصبي الطالب للذة اللعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره
عن ادراك لذة الملك لا لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى والذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق واما
انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة فلا نشتغل بنقل
الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح ان اكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول
المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل وللتفصيل مراتب بعضها اشرح لآحاد الاقسام وبعضها اجمل للجمل
اما الاجمال في الدرجة الاولى فهو كل ما سوى الله فينبغي ان يزهد فيه حتى يزهد في نفسه ايضا والاجمال
في الدرجة الثانية ان يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة
والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها وفي الدرجة الثالثة ان يزهد في المال والجاه
واسبابهما اذ اليهما يرجع جميع حظوظ النفس وفي الدرجة الرابعة ان يزهد في العلم والقدرة والدنانير
والدراهم اذ الاموال وان كثرت اصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت اسبابه يرجع الى العلم
والقدرة واعني به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها
كما ان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل ابلغ
من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة منها سبعة فقال تعالى
زين للناس حب الشهوات الى قوله تعالى ذلك متاع الحياة الدنيا ثم رده في آية اخرى الى خمسة فقال
تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رده في موضع

أخر الى شيء فقال تعالى وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لعب ولهو ثم رد الكل الى واحد في موضع
آخر فقال تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس
في الدنيا فينبغي ان يكون الزهد فيه واذا فهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت ان البعض من هذا لا
يخالف البعض وانما يفارقه في الشرح مرة والاجمال مرة اخرى والحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن
حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر امله لا محالة لانه يريد
البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بارادة البقاء فان من اراد شيئا اراد دوامه ولا معنى لحب الحيوة
الا حب دوام ما هو موجود وممكن في هذه الحيوة الدنيا فاذا رغب عنها لم يردها ولذلك لما كتب
عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال الاية فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل اي لستم تريدون البقاء
الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين اما الزاهدون فالمحبون لله
قاتلوا في سبيله كانهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون
رائحة الجنة ويبادرون مبادرة الظمآن الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله او نيل رتبة الشهادة
وكان من مات على فراشه يتحسر على فوت الشهادة حتى ان خالد بن الوليد لما احتضر للموت على فراشه
كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وانا الآن اموت موت العجائز فلما
مات عد على جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراحات واما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من الموت
فقيل لهم ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم فايثارهم البقاء على الشهادة استبدال للذي هو ادنى
بالذي هو خير فاولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين واما
المخلصون فان الله اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فلما راوا انهم تركوا تمتع عشرين سنة او
ثلاثين بتمتع الابد استبشروا ببيعهم الذي بايعوه فهذا بيان المزهود فيه واذا فهمت هذا علمت ان ما
ذكره المتكلمون في حد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض اقسامه فذكر كل واحد ما راه غالبا على نفسه
او على من كان يخاطبه فقال بشر الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وهذا اشارة الى الزهد في الجاه
خاصة وقال قاسم الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك
من الزهد وهذا اشارة الى الزهد في شهوة واحدة ولعمري هي اغلب الشهوات على الاكثر وهي
المهيجة لاكثر الشهوات وقال الفضيل الزهد هو القناعة وهو اشارة الى المال خاصة وقال
الثوري الزهد هو قصر الامل وهو جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه
بالبقاء فيطول امله ومن قصر امله فكانه رغب عن الشهوات كلها وقال اويس اذا خرج يطلب ذهب
الزهد عنه ما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطا في الزهد وقال اويس ايضا الزهد ترك
الطلب للمضمون يعني الرزق وقال اهل الحديث الدنيا هي العمل بالراي والمعقول والزهد انما هو اتباع
العلم ولزوم السنة وهذا ان اريد به الراي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح
ولكنه اشارة الى بعض اسباب الجاه خاصة او الى بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة
فيها في الآخرة وقد طولوها حتى ينقضي عمر الانسان في الاشتغال بواحد منها فشرط الزاهد ان يكون الفضول
اولى مرغوب عنه وقال الحسن الزاهد الذي اذا راى احدا قال هذا افضل مني فذهب الى ان الزهد هو التواضع
وهذا اشارة الى نفي الجاه والعجب وهو بعض اقسام الزهد وقيل الزهد طلب الحلال واين هذا ممن يقول الزهد ترك
الطلب كما قال اويس ولا شك في ان الزهد في طلب الحلال وكان يوسف بن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك

الشهوات واكل الخبز من الحلال فقد اخذ باصل الزهد وفي الزهد اقاويل وراء ما نقلناه فلم نر في
نقلها فائدة فان من طلب كشف حقائق الامور من اقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد الا الحيرة
واما من انكشف له الحق في نفسه وادركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه فقد وثق بالحق واطلع على قصور
من قصر لقصوره بالتفاته من البصر مع كمال المعرفة لاقتصاره على حاجته وهؤلاء كلهم اقصروا لا لقصور في البصيرة
ولكنهم ذكروا ما ذكروا عند الحاجة فلا جرم ذكره بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف
وقد يكون سببه الاقتصار الاخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والاحوال تختلف فلا
جرم الاقوال المخبرة عنها تختلف واما الحق في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور ان يختلف وانما
الجامع من هذه الاقاويل الكامل في نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله ابو سليمان الداراني اذ قال
قد سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل وقد فصل مرة و
قال من تزوج او سافر في طلب المعيشة او كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضد الزهد و
قرا ابو سليمان قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذي ليس فيه غير الله وقال انما زهدوا في الدنيا
ليفرغ قلوبهم من همومها للآخرة فهذا بيان انقسام الزهد بالاضافة الى اصناف المزهود فيه فاما بالاضافة
الى احكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قال ابرهيم بن ادهم فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو
الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام
وذلك من الزهد اذ قيل لمالك بن انس ما الزهد قال التقوى واما بالاضافة الى خفايا ما يترك فلا نهاية
للزهد اذ لا نهاية لما يتمتع به النفس في الخطرات واللحظات وسائر الحالات لا سيما خفايا الرياء فان ذلك لا يطلع
عليه الا سماسرة العلماء بل الاموال الظاهرة ايضا درجات الزهد فيها لا تتناهى فمن اقصى درجاته زهد عيسى
اذ توسد حجرا في منامه فقال له الشيطان اما كنت تركت الدنيا فما الذي بدا لك فقال وما الذي تجدد لي
قال توسدك الحجر اي تنعمت برفع راسك عن الارض في النوم فرمى الحجر وقال خذه مع ما تركته لك وروي ان يحيى بن زكريا
لبس المسوح حتى نقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس فسألته امه ان يلبس مكانها جبة من صوف
ففعل فاوحى الله اليه يا يحيى آثرت الدنيا علي فبكى ونزع الصوف وعاد الى ما كان وقال احمد الزهد زهد اويس
بلغ من عريه ان جلس في قوصرة وجلس عيسى في ظل حائط انسان فاقامه صاحب الحائط فقال ما اقمتني انت انما
اقامني الذي لم يرض لي ان اتنعم بظل الحائط فاذا درجات الزهد ظاهرا وباطنا لا حصر لها واقل درجاته الزهد
في كل شبهة ومحظور وقيل الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم راوا
انه لم يبق حلال في اموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن فان قلت مهما كان الصحيح هو ان الزهد ترك ما سوى الله
فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم فكل ذلك اشتغال بما سوى الله فاعلم ان معنى
الانصراف عن الدنيا الى الله الاقبال بكل القلب عليه ذكرا وفكرا ولا يتصور ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضرورات
النفس فمهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا
بغير الله فان ما لا يتوصل الى الشيء الا به فهو منه فالمشتغل بعلف الناقة وسقيها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج
ولكن ينبغي ان يكون بدنك في طريق الله مثل ناقتك في طريق الحج ولا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات بل غرضك مقصور
على دفع المهلكات حتى تسير بك الى مقصدك فكذلك ينبغي ان تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش
المهلك في الاكل والشرب وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد
التلذذ بل التقوي على طاعة الله فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد فان قلت ولا بد ان اتلذذ بالاكل اذ

عند الجوع فاعلم أن ذلك لا يضره إذا لم يكن قصده التلذذ فإن شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب
ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش ومن يقضي حاجته قد يستريح به ولكن لا يكون ذلك مقصودا
عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب مصروفا إليه فالإنسان قد يستريح في قيام الليل بنسيم
الأسحار وصوت الطيور ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك
بغير قصده لا يضره ولقد كان في الخائفين من طلب موضعا لا يصيبه نسيم الأسحار خيفة من الاستراحة
به وأنس القلب معه فيكون فيه أنس إلى الدنيا ونقصان في الأنس بالله بقدر وقوع الأنس بغير الله
ولذلك كان داود الطائي له حب مكسور ماؤه وكان لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول
من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك
الاحتياط فإنه وإن كان شاقا فمدته قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأبيد لا يثقل على أهل
المعرفة القاهرين لنفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والآخرة

بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحيوة

اعلم أن ما الناس منهمكون فيه ينقسم إلى فضول
ومهم فالفضول كالخيل المسومة مثلا إذ يقتنيها الإنسان ليركب وهو قادر على المشي والمهم كالأكل و
الشرب ولسنا نقدر على تفصيل أصناف الفضول فإن ذلك لا ينحصر وإنما ينحصر المهم الضروري والمهم
أيضا يتطرق إليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات أربع المطعم
والملبس والمسكن وأثاثه والمناكح والمال والجاه يطلبان للأغراض وهذه الأربعة من جملتها
وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له ونحن الآن نقتصر على بيان هذه المهمات الأربع الأول
المطعم ولا بد للإنسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه
حتى يتم به الزهد فأما طوله فبالإضافة إلى جملة العمر فإن من يملك طعام يومه قد لا يقنع به وأما عرضه
ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله أما طوله فلا يقصر إلا بقصر الأمل وأقل درجات الزهد فيه
الاقتصار على دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن كان هذا حاله فإذا استقل بما تناوله لم
يدخر من غدائه لعشائه وهذه هي الدرجة العليا الدرجة الثانية أن يدخر لشهر أو لأربعين يوما الثالثة
أن يدخر لسنة وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر لأكثر من ذلك فتسميته زاهدا محال لأن من أمل بقاء
أكثر من سنة فهو طويل الأمل جدا فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الأخذ من الأيدي كداود
الطائي فإنه ورث عشرين دينارا فأمسكها وأنفقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد أصل الزهد إلا عند
من جعل التوكل شرط الزهد وأما عرضه فبالإضافة إلى المقدار وأقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل
وأوسطه رطل وأعلاه مد واحد وهو ما قدره الشرع في إطعام المساكين في الكفارة وما وراء ذلك
فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن
نصيب وأما بالإضافة إلى الجنس فأقله كل ما يقوت ولو الخبز من النخالة وأوسطه خبز الشعير والذرة
وأعلاه خبز البر منخول فإذا ميز النخالة أو صار حواريا فقد دخل في التنعم وخرج من آخر أبواب الزهد
فضلا عن أوائله وأما الأدام فأقله الملح أو البقل والخل وأوسطه الزيت ويسير من الأدهان أي دهن كان
وأعلاه اللحم أي لحم كان وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين فإن صار دائما أو أكثر من مرتين في الأسبوع
خرج من آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحب زهد في البطن أصلا وأما بالإضافة إلى الوقت فأقله في اليوم
والليلة مرة وهو أن يكون صائما وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل ويأكل ليلة ولا يشرب وأعلاه

إلى أن يطوي ثلاثة أيام أو أسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات
ولينظر إلى أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الأدم قالت
عائشة رضي الله عنها كانت تأتي أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا
نار قيل لها فبم كنتم تعيشون قالت بالأسودين التمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والأدم وقال الحسن
كان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق أصابعه ويأكل على الأرض ويقول
إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد وقال عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام بحق أقول إنه من طلب الفردوس
فخبز الشعير له والنوم في المزابل مع الكلاب كثير وقال الفضيل ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم
المدينة ثلاثة أيام من خبز البر وكان عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام يقول يا بني إسرائيل عليكم بالماء
القراح والبقل البري وخبز الشعير وإياكم وخبز البر فإنكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الأنبياء
والمرسلين في المطعم في ربع المهلكات فلا نعيدها ولما أتى عليه الصلاة والسلام أهل قباء أتوه بشربة من لبن
مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال أما إني لست أحرمه ولكني أتركه تواضعا لله وأتي عمر رضي الله عنه
بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها وقال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد
الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث أدرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار
فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياء شعاره والجوع إدامه
والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله و
العبادة حرفته والجنة مبلغه إن شاء الله تعالى

المهم الثاني الملبس

وأقل درجاته ما يدفع الحر و
البرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به وأوسطه قميص وقلنسوة ونعل وأعلاه أن يكون معه منديل و
سراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه
إذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت فإذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج من جميع أبواب
الزهد وهذا من حيث القدر وأما الجنس فأقله المسوح الخشنة وأوسطه الصوف الخشن وأعلاه القطن الغليظ
وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يستره سنة وأقله ما يبقى يوما حتى رقع بعضهم ثوبه بورق البقل وإن كان يتسارع
الجفاف إليه وأوسطه ما يتماسك عليه شهرا وما يقاربه فطلبه ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو
مضاد للزهد إلا إذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك قوته ومن وجد زيادة في ذلك فينبغي
أن يتصدق به فإن أمسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا ولينظر فيه إلى أحوال الأنبياء والصحابة كيف
تركوا الملابس قال أبو هريرة رضي الله عنه أخرجت إلينا عائشة كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هذين وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس وقال
عمرو بن الأسود العنسي لا ألبس مشهورا أبدا ولا أنام بليل على دثار ولا أركب على مأثور أبدا
ولا أملأ جوفي من طعام أبدا فقال عمر من سره أن ينظر إلى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلينظر إلى عمرو بن الأسود وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله عنه حتى ينزعه وإن
كان عنده حبيبا واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة وكان
إزاره أربعة أذرع ونصفا واشترى سراويل بثلاثة دراهم وكان صلى الله عليه وسلم يلبس شملتين
بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لأنهما ثوبان من جنس واحد وربما لبس بردين يمانيين أو سحوليين من
هذه الغلاظ وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قميص زيات ولبس رسول الله صلى

عليه وسلم يوما ولجد الثوبا سرا من سندس قيمته مائتا درهم وكان اصحابه يلمسونه ويقولون يا رسول الله
انزل هذا عليك من الجنة تعجبا وقد كان اهداه المقوقس ملك الاسكندرية فاراد ان يكرمه بلبسه ثم
نزعه وارسل به الى رجل من المشركين وصل به ثم حرم لبس الحرير والديباج وكان لبسه اولا تاكيد التحريم كما
لبس خاتما من ذهب يوما ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة في شان بريرة اشترطي لاهلها الولاء
فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه وكما ابيح المتعة ثلاثا ثم حرمها لتاكيد امر النكاح وقد صلى عليه الصلوة والسلام في
خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى ابي جهم واتوني بانبجانيته يعني كساءه فاختار لبس
الكساء على الثوب الناعم وكان شراك نعله قد اخلق فابدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال اعيدوا الشراك
الخلق وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلوة ولبس خاتما فنظر اليه على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني
هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم وكان عليه الصلوة والسلام قد احتذى نعلين جديدين فاعجبه حسنهما فخر
ساجدا وقال اعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى اول مسكين لقيه وعن
سنان بن سعد قال حيكت للنبي صلى الله عليه وسلم جبة من صوف انمار وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها
قال انظروا ما احسنها وما البنها فقام اليه اعرابي وقال هبها لي يا رسول الله وكان صلى الله عليه وسلم اذا سئل
شيئا لم يبخل به فدفعها اليه وامر ان تحاك له اخرى فتوفي صلى الله عليه وسلم وهي في المحاكة وعن جابر قال دخل
عليه الصلوة والسلام على فاطمة وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من اجلة الابل فلما نظر اليها بكى وقال يا فاطمة
تجرعي مرارة الدنيا بنعيم الاخرة فانزل الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم
ان من خيار امتي فيما انبأني الملأ الاعلى قوم يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عقاب ربهم
على الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان اجسامهم على الارض وافئدتهم عند العرش
فهذه سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملابس وقد اوصى امته باتباعه اذ قال عليه الصلوة والسلام
من احبني فليستن بسنتي وقال عليه الصلوة والسلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين عضوا
عليها بالنواجذ وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله واوصى عليه الصلوة و
السلام عائشة رضي الله عنها خاصة وقال لها ان اردت اللحاق بي فاياك ومجالسة الاغنياء
ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه وعد على قميص عمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من ادم و
اشترى علي رضي الله عنه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين و
قال الحمد لله الذي هذا من رياشه وقال سفيان الثوري وغيره البس من الثياب ما لا يشهرك في
عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول ان الفقير ليمر بي وانا اصلي فادعه يجوز ويمر
بي واحد من ابناء الدنيا وعليه هذه البزة فامقته فلا ادعه يجوز وقيل قوم ثوبا سفيان ونعلاه
بدرهم واربع دوانيق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشر ثيابي ما خدمته وقال بعض السلف
البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك وقال ابو سليمن الثياب
ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب ما يطلب جوهره و
حسنه وقيل من رق ثوبه رق دينه وكان جمهور العلماء من التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلاثين
وكان الخواص لا يلبس اكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته ويعطف ذيل قميصه على راسه وقال بعض اولي
النسك البذ وفي الخبر البذاذة من الايمان وقال عليه الصلوة والسلام من ترك ثوب جمال وهو
يقدر عليه تواضعا لله وابتغاء لوجه الله كان حقا على الله ان يدخره من عبقري الجنة في تخت الياقوت

ولوثب للناس ص

واوحى الله الى بعض انبيائه قل لاوليائي لا تلبسوا ملابس اعدائي ولا تدخلوا مداخل اعدائي فتكونوا اعدائي كما هم
اعدائي ونظر رافع بن خديج الى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا الى اميركم يعظ الناس
وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رقاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة الى ابي ذر في بزته فجعل
يتكلم في الزهد فوضع ابو ذر راحته على فيه وجعل يضرط به فغضب ابن عامر وشكاه الى ابن عمر فقال انت
صنعت بنفسك تتكلم بالزهد بين يديه في هذه البزة وقال علي رضي الله عنه ان الله اخذ على ائمة الهدى
ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره ولما عوتب في خشونة
ثيابه قال هو ادنى الى التواضع واجدر ان يقتدي به المسلم ونهى عليه الصلوة والسلام عن التنعم وقال
ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين وراى فضالة بن عبيد وهو وال على مصر اشعث حافيا فقيل له انت الامير و
تفعل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وامرنا ان نحتفي احيانا وقال علي لعمر رضي الله عنهما
ان اردت ان تلحق بصاحبيك فارقع قميصك واخصف النعل وقصر الامل وكل دون الشبع وقال عمر رضي
الله عنه اخلولقوا واخشوشنوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر وقال علي رضي الله عنه من تزيا بزي قوم فهو
منهم وقال عليه الصلوة والسلام ان من شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون الوان الطعام والوان الثياب و
يتشدقون بالكلام وقال عليه الصلوة والسلام ازرة المؤمن الى انصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين
وما اسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ازاره بطرا وقال ابو سليمن قال عليه الصلوة والسلام
لا يلبس الشعر من امتي الا مراء او احمق وقال الاوزاعي لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن
واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة ما دعاك الى مدرعة الصوف فسكت فقال اكلمك فلا
تجيبني فقال اكره ان اقول زهدا فازكي نفسي او فقرا فاشكو ربي وقال ابو سليمن لما اتخذ الله ابراهيم خليلا اوحى اليه ان
وار عورتك من الارض فكان لا يتخذ من كل شيء الا واحدا سوى السراويل فانه كان يتخذ سراويلين فاذا غسل احدهما
لبس الاخر حتى لا ياتي عليه حال الا وعورته مستورة وقيل لسلمان الفارسي ما لك لا تلبس الجيد من الثياب فقال ما للعبد والثوب
فاذا اعتق فله والله ثياب لا تبلى ابدا وعن عمر بن عبد العزيز انه كانت له جبة شعر وكساء شعر يلبسهما بالليل اذا قام يصلي و
قال الحسن لفرقد السبخي تحسب ان لك فضلا على الناس بكسائك بلغني ان اكثر اصحاب النار اصحاب الاكسية وقال يحيى بن
معاذ بن معين رايت ابا معاوية الاسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت انك تكسى
خيرا من هذا فقال ما ضرهم ما اصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بهذا ويبكي

المهم الثاني

المسكن والزهد فيه ايضا ثلاث درجات اعلاها ان لا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كاصحاب
الصفة واوسطها ان يطلب موضعا خاصا لنفسه مثل كوخ مبني من سعف وخص او ما يشبهه وادناها ان يطلب حجرة مبنية
اما بشرى او باجارة فان كان قدر سعتها على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن اخر درجات
الزهد فان طلب التجصيص والتشييد والسعة وارتفاع السقف اكثر من ستة اذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد في المسكن
فاختلاف جنس البناء بان يكون بالجص والقصب او الطين او بالاجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف
طوله بالاضافة الى الاوقات بان يكون مستاجرا او مملوكا او مستعارا والزهد مدخل في جميع ذلك وفي الجملة كل ما يراد للضرورة
فلا ينبغي ان يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من
المسكن دفع المطر والبرد ودفع الاعين والايدي واقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول والساعي له بعيد
من الزهد جدا وقد قيل اول شيء ظهر من طول الامل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدريز والتشييد يعني درز الثياب
فانها كانت تشل شلا والبنيان بالجص والاجر هو التشييد وانما كانوا يبنون بالسعف والجريد وقد جاء في الاخبار على

الناس زمان يوشون بنيانهم كما يوشى البرود اليمانية وامر عليه الصلوة والسلام ان يهدم عليته كان قد علا بها ومر
عليه الصلوة والسلام بجنبذة معلاة فقال لمن هذه فقالوا لفلان فلما جاء الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان
فسال الرجل اصحابه عن تغيره فخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فالخبر فذهب فهدمها فمر عليه الصلوة والسلام بالموضع
فلم يرها فاخبر بانه قد هدمها فدعا له بالخير وقال الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على
لبنة ولا قصبة على قصبة وقال عليه الصلوة والسلام اذا اراد الله بعبد شرا اهلك ماله في الماء والطين وقال عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا فقال ما هذا فقلنا خص لنا قد وهى فقال ارى
الامر اعجل من ذلك واتخذ نوح بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا لمن يموت كثير وقال الحسن دخلنا على
صفوان بن محيرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو اصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم وكان ارتفاع
بناء السلف قامة وبسطة قال الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى
السقف وقال عمرو بن دينار اذا اعلى العبد البناء فوق ستة اذرع ناداه ملك الى اين يا افسق الفاسقين ونهى سفيان عن
النظر الى بناء مشيد وقال لولا نظر الناس لما شيدوه فالناظر معين عليه وقال الفضيل اني لا اعجب ممن بنى وترك ولكن ممن نظر
اليه ولم يعتبر وقال عليه الصلوة والسلام من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيمة وفي الخبر كل نفقة يوجر عليها العبد الا
ما انفقه في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا انه الرياسة و
التطاول في البنيان وقال عليه الصلوة والسلام كل بناء وبال على صاحبه يوم القيمة الا ما اكن من حر وبرد وقال صلى الله عليه وسلم لرجل
شكا اليه ضيق منزله اتسع في السماء يعني في الجنة ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص وآجر فكبر وقال ما
كنت اظن ان يكون في هذه الامة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل
لي صرحا يعني به الآجر ويقال ان فرعون هو اول من بنى بالجص والآجر واول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو
الزخرف وذكر بعض السلف جامعا في بعض الامصار فقال ادركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رايته مبنيا من
رهوص ثم رايته الآن مبنيا باللبن فكان اصحاب السعف خيرا من اصحاب الرهوص واصحاب الرهوص خيرا من اصحاب اللبن و
كان في السلف من يبني داره في مدة عمره مرارا لضعف بنيانه وقصر امله وزهده في احكام البنيان وكان منهم من اذا حج او
غزا باع بيته او وهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهي عادة العرب الآن ببلاد اليمن وقال ابن
مسعود يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير دينكم **النوع الرابع**
اثاث البيت وللزهد فيه ايضا درجات واعلاها حال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام اذ كان لا يصحبه الا مشط وكوز
فراى انسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى المشط وراى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز وهذا حكم كل اثاث فانه يراد لمقصود فاذا
استغنى عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على اقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف
ولا يبالي بان يكون مكسور الطرف اذا كان المقصود يحصل به واوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن
يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالذي له قصعة يأكل فيها ويشرب فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف يستحبون استعمال
الآلة الواحدة في اشياء للتخفيف واعلاها ان يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فان زاد في العدد
او في نفاسة الجنس خرج من جميع ابواب الزهد وركن الى طلب الفضول ولينظر الى سيرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسيرة اصحابه قالت عائشة رضي الله عنها كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان ينام عليه
وسادة من ادم حشوها ليف وقال الفضيل روي ان عمر دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير
مرمول بشريط فراى اثر الشريط في جنبه صلى الله عليه وسلم فدمعت عيناه فقال صلى الله عليه وسلم ما الذي ابكاك يا
عمر فقال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وانت رسول الله وحبيبه وصفيه نائم على سرير مرمول بالشريط

فقال صلى الله عليه وسلم اما ترضى يا عمر ان يكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك لذلك
ودخل رجل على ابي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر ما ارى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الاثاث فقال ان لنا
بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فقال انه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عمير بن سعد
امير حمص على عمر قال له ما معك من الدنيا قال معي عصاي اتوكأ عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي
ومعي قصعتي آكل فيها واغسل فيها راسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي ووضوئي للصلوة فما كان بعد هذا
من الدنيا فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت رحمك الله وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة فراى على
بابها سترا وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها ابو رافع وهي تبكي فاخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسأله فقال من اجل الستر والسوارين فارسلت بهما بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت بذلك
فضعه حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه الى اهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق به
عليهم فدخل عليها فقال بابي انت قد احسنت وراى عليه الصلوة والسلام على باب عائشة سترا
فهتكه وقال كلما رايته ذكرت الدنيا ارسلي به الى آل فلان وفرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان
عليه الصلوة والسلام ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما اصبح قال لها اعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا
الفراش عني قد اسهرني الليلة وكذلك اتته دنانير خمسة او ستة عشاء فبيتها فسهر ليلته حتى اخرجها من آخر
الليل قالت عائشة فنام عليه الصلوة والسلام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله
وهذه عنده وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض
ثوبا قط كان اذا اراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه **النوع الخامس المناكح** قد قال قائلون
لا معنى للزهد في اصل النكاح ولا في كثرته واليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حبب الى سيد الزاهدين فكيف
نزهد فيهن ووافقه ابن عيينة وقال كان ازهد الصحابة علي بن ابي طالب وكان له اربع نسوة وبضع عشرة
سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان الداراني اذ قال كل ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك شوم
والمراة قد تكون شاغلة وكشف الحق فيه انه قد يكون العزوبة افضل في بعض الاحوال كما سبق في كتاب
النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح افضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون
من الزهد تركه وان لم يكن عليه آفة في تركه ولا في فعله ولكن ترك النكاح احترازا من ميل القلب اليهن والانس
بهن بحيث يشغل عن ذكر الله فيكون ذلك من الزهد وان علم ان المراة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك احترازا
من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد اصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله
وتكثير امة رسول الله صلى الله عليه وسلم من القربات واللذة التي تلحق الانسان فيما هو ضرورة الوجود لا
تضره اذا لم يكن هي المطلب والمقصد وهو كمن ترك اكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة ذلك فليس الاكل
والشرب من الزهد لان في تركهما فوات بدنه وفي ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز ترك النكاح زهدا
في لذته من غير خوف آفة اخرى فهذا ما عناه سهل بن عبد الله لا محالة ولاجله نكح صلى الله عليه وسلم
فاذا ثبت هذا فمن حاله حال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يشغله كثرة النسوة والاشتغال باصلاحهن
والانفاق عليهن فلا معنى لزهده فيهن حذرا من مجرد لذة الوقاع ولكن انى يتصور ذلك لغير الانبياء و
الاولياء واكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي ان يترك الاصل ان كان يشغله وان كان يخاف ان يشغله
الكثرة منهن او جمال المراة فلينكح واحدة غير جميلة وليراع قلبه في ذلك قال الداراني الزهد في النساء
ان يختار المراة الدون او اليتيمة على المراة الجميلة والشريفة وقال الجنيد احب للمريد المبتدي ان لا يشغل قلبه

بثلاث ولا بغير حال الا الكسب وطلب الحديث والتزويج وقال الجنيد للصوفى انه لا يقرا ولا يكتب لانه اجمع لهمه فاذا
ظهر ان لذة النكاح كلذة الاكل فما يشغلك عن الله فهو محذور فيهما جميعا **الهم السادس** ما يكون وسيله
الى هذه الخمسة وهو المال والجاه اما الجاه فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل بها الى الاستعانة فى
الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه فى جميع حاجاته وافتقر الى من يخدمه افتقر الى الجاه لا محالة فى قلب
خادمه ان لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل فى القلوب هو الجاه وهذا له مبادى قريبة ولكن
يتمادى الى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى اوشك ان يقع فيه وانما يحتاج الى المحل فى القلوب اما لجلب نفع او لدفع ضرر
او الخلاص من ظلم اما النفع فيغنى عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن للمستاجر عنده قدر وانما
يحتاج الى الجاه فى قلب من يخدمه بغير اجرة فاما دفع الضرر فيحتاج لاجله الى الجاه فى بلد لا يكمل فيه العدل او يكون
بين جيران يظلمونه فلا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له فى القلوب او محل له عند السلطان وقدر
الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض فى طلب الجاه سالك طريق الهلاك
بل حق الزاهد ان لا يسعى لطلب المحل فى القلوب اصلا فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل فى القلوب
ما يدفع به عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين واما التوهمات والتقديرات التى تحوج الى زيادة
فى الجاه على الحاصل بغير كسب فهى اوهام كاذبة اذ من طلب الجاه ايضا لم يخل عن اذى فى بعض الاحوال فعلاج ذلك
بالاحتمال والصبر اولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل فى القلوب لا رخصة فيه اصلا واليسير منه داع الى
الكثير وضراوته اشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره واما المال فهو ضرورى فى المعيشة اعنى القليل منه
فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغى ان يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه اكثر من سنة فقد خرج من حد ضعفاء الزهاد واقويائهم
جميعا وان كانت له ضيعة ولم يكن له قوة يقين فى التوكل فامسك منها مقدار ما يكفى ريعه لسنة واحدة فلا يخرج
بهذا القدر من الزهد بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل من كفاية سنته ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فان شرط
التوكل فى الزهد كما شرطه اويس القرنى رحمه الله فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا انه يخرج من حد الزهاد نعنى به ان
ما وعد للزاهدين فى الدار الآخرة من المقامات المحمودة لا يناله والا فاسم الزاهد لا يفارقه بالاضافة
الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وامر المنفرد فى جميع ذلك اخف من امر المعيل وقد قال ابو سليمان
لا ينبغى ان يرهق الرجل الى الزهد اهله بل يدعوهم اليه فان اجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ما شاء و
معناه ان التضييق المشروط على الزاهد يخصه عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا انصرف من بيت فاطمة بسبب ستر وقلبين لان ذلك من الزينة لا من الحاجة فاذا ما اضطر
الانسان اليه من جاه ومال ليس بمحذور بل الزائد على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء
نافع وما بينهما درجات متشابهة فما يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافعا ولكن يسير الضرر
والسم محظور شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه امره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه ومن تساهل
فانما يتساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه ورد نفسه الى مضيق الضرورة
فهو الآخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة والمقتصر على الضرورة والمهم لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل
ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روى ان ابراهيم
على نبينا وعليه الصلاة والسلام اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع
مهموما فاوحى الله اليه لو سألت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسالك

منها شيئا فاوحى الله تعالى اليه ليس الحاجة من الدنيا فاذا قدر الحاجة من الدين وما وراءه وبال فى الآخرة
وهو فى الدنيا ايضا كذلك يعرفه من يخبر احوال الاغنياء وما عليهم من المحنة فى كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال
الذل فيه وغاية سعادته به ان يسلم لورثته فيأكلونه وربما يكونون اعداء له وقد يستعينون به على المعصية فيكون
هو معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حتى
يقتلها ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب عمله الذى عمله بنفسه فكذا كل من اتبع شهوات
الدنيا فانما يحكم على قلبه بسلاسل تقيده بما يشتهيه حتى يتظاهر عليه السلاسل فتقيده المال والجاه
والاهل والولد وشماتة الاعداء ومراياة الاصدقاء وسائر حظوظ الدنيا فلو خطر له انه قد اخطأ
فيه وقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه وراى قلبه مقيدا بسلاسل واغلال لا يقدر على قطعها ولو
ترك محبوبا من محابه كاد ان يكون قاتلا لنفسه وساعيا فى هلاكها الى ان يفرق ملك الموت بينه وبين
جميعها دفعة فتبقى السلاسل فى قلبه معلقة بالدنيا التى فاتته وخلفها فهى تجاذبه الى الدنيا ومخالب
ملك الموت معلقة بعروق قلبه تجذبه الى الآخرة فيكون اهون احواله عند الموت ان يكون مثل شخص ينشر
بالمنشار ويفصل احد جانبيه من الآخر بالمجاذبة من الجانبين والذى ينشر بالمنشار انما ينزل المولم ببدنه
وتالمه من حيث يسرى الى القلب فكيف بالعذاب الذى يتمكن اولا من صميم القلب مخصوصا به لا بطريق السراية اليه من
غيره فهذا اول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت النزول فى اعلى عليين وجوار رب العالمين فبالنزوع
الى الدنيا يحجب عن لقاء الله وعند الحجاب يتسلط عليه نار جهنم اذ النار غير مسلطة الا على محجوب قال الله
تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالو الجحيم فرتب العذاب بالنار على الم الحجاب والم الحجاب
كاف من غير عذاب النار فكيف اذا اضيف العذاب اليه فنسأل الله الكريم ان يقرر فى سمعنا ما نفث فى
روع رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له احبب ما احببت فانك مفارقه ولذلك قيل **شعر**

كدود كدود القز ينسج دائما ... ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

ولما انكشف لاولياء الله ان العبد يهلك نفسه
باعماله واتباعه هوى نفسه اهلاك دود القز رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن رايت سبعين بدريا كانوا فيما
فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم وفى لفظ آخر كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رايتموهم
قلتم مجانين ولو راوا اخياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو راوا اشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب وكان
احدهم يعرض عليه المال الحلال فلا ياخذه يقول اخاف ان يفسد على قلبى فمن كان له قلب كان يخاف من فساده و
الذين اماتت حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله تعالى عنهم فقال ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وقال تعالى و
لا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هويه وقال تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا احال
ذلك كله على الغفلة وقلة العقل وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام احملنى معك
فى سياحتك فقال اخرج مالك والحقنى فقال لا استطيع فقال عيسى يدخل الغنى الجنة ويروى بشدة وقال
بعضهم ما من يوم ذر شارقه الا وملكان اربعة املاك ينادون فى الآفاق باربعة اصوات ملكان بالمشرق
ملكان بالمغرب يقول احدهم من المشرق يا باغى الخير هلم ويا باغى الشر اقصر ويقول الآخر اللهم اعط منفقا
خلفا واعط ممسكا تلفا ويقول اللذان بالمغرب لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الآخر كلوا وتمتعوا
لطول الحساب **بيان علامات الزهد** اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك
المال واظهار الخشونة سهل على من احب المدح بالزهد فكم من الرهابين ردوا انفسهم كل يوم الى قدر يسير
من الطعام ولازموا ديرا لا باب له وانما سرورهم معرفة الناس حالهم ونظرهم اليه ومدحهم له فذلك لا يدل على

على الزهد دلالة قاطعة بل لابد من الزهد في المال والجاه جميعاً حتى يكمل الزهد بل في جميع حظوظ النفس
من الدنيا بل قد يدعى جماعة الزهد مع الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين
اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من الثياب يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم
ولا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها الى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون لانفسهم باتباع
العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها وانما ياخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا
بالحقائق والجئوا الى المضايق وكل هؤلاء اكل الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب اخلاق
نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا لهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كلام
الخواص فاذا معرفة الزهد مشكلة وينبغي ان يعول في باطنه على ثلاث علامات الاولى ان لا يفرح بموجود
ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم بل ينبغي ان يكون بالضد منه
وهو ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده الثانية ان يستوي عنده ذامه ومادحه فالاول علامة الزهد
في المال والثاني علامة الزهد في الجاه الثالث ان يكون انسه بالله والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا
يخلو القلب عن حلاوة المحبة اما محبة الدنيا او محبة الله وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فالماء اذا
دخل خرج الهواء ولا يجتمعان فكل من انس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم الى ما افضى
بهم الزهد فقال الى الانس بالله واما الانس بالدنيا وبالله جميعا فلا يجتمع وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق
الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والاخرة جميعا وعمل لهما واذا بطن الايمان في سويداء القلب وباشره
ابغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها ولذلك ورد في دعاء ادم اللهم اني اسألك ايمانا يباشر قلبي
وقال ابو سليمان من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين والزاهد لا بد وان يكون في
احد هذين المقامين ومقام الاول ان يشتغل بنفسه وعند ذلك يستوي عنده المدح والذم والوجد
والعدم ولا يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده اصلا قال ابن ابي الحواري قلت لابي سليمان اكان
داود الطائي زاهدا قال نعم قلت بلغني انه ورث من ابيه عشرين دينارا فانفقها في عشرين سنة فكيف
كان زاهدا وهو يمسك الدنانير فقال اردت منه ان يبلغ حقيقة الزهد واراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له
غاية لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه
خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه واخره ان يترك كل ما سوى الله حتى لا يتوسد حجرا كما
فعله عيسى صلوات الله على نبينا وعليه فنسأل الله ان يرزقنا من مباديه نصيبا وان قل فان امثالنا لا يستجرئ
على الطمع في غاياته وان كان قطع الرجاء عن فضل الله غير مأذون فيه واذا لاحظنا عجائب نعم الله تعالى
علينا انا الله تعالى لا يتعاظمه امر فلا يبعد ان نعظم السؤال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال فاذا علامة
الزهد استواء الغنى والفقر والمدح والذم والعز والذل لاجل غلبة الانس بالله ويتفرع من هذه العلامات
علامات اخر لا محالة مثل ان يترك الدنيا ولا يبالي من اخذها وقيل علامته ان يترك الدنيا فلا يقول لابني
رباطا او اعمر مسجدا وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد السخاء بالموجود وقال ابن خفيف علامته وجود
الراحة في الخروج من الدنيا الملك وقيل الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف وقال ابو سليمان الصوف
علم من اعلام الزهد فلا ينبغي ان يلبس صوفا بثلاثة دراهم وقال احمد بن حنبل وسفيان علامة الزهد قصر
الامل وقال السري لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه
وقال النصراباذي الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الاخرة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلاث

عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة وقال ايضا الزاهد يسعطك الخل والخردل و
العارف يشمك المسك والعنبر وقال له رجل متى ادخل حانوت التوكل والبس رداء الزهد و
اقعد مع الزاهدين فقال اذا صرت من رياضتك لنفسك في السر الى حد لو قطع الله عنك الرزق
ثلاثة ايام لم تضعف في نفسك فاما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم
لا آمن ان تفتضح وقال ايضا الدنيا كالعروس من طلبها ماشطها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف
شعرها ويخرق ثوبها والعارف بالله تعالى يشتغل بالله لا يلتفت اليها وقال السري مارست
كل شيء من امر الزهد فنلت منه ما اريد الا الزهد في الناس فاني لم ابلغه ولم اطقه وقيل
الفضيل جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه
الزهد فهذا ما اردناه ان نذكره من حقيقة الزهد واحكامه واذا كان الزهد لا يتم الا بالتوكل
فلنشرع في بيانه

تم كتاب الفقر والزهد ويتلوه كتاب التوحيد والتوكل ان شاء الله
تعالى وحده العزيز

كتاب التوحيد والتوكل وهو الكتاب الخامس من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله المدبر للملك والملكوت المتفرد بالعزة والجبروت الرافع للسماء بغير عماد المقدر فيها ارزاق العباد الذي صرف اعين ذوي القلوب والالباب عن ملاحظة الوسائط والاسباب و رفع هممهم عن الالتفات الى ما عداه والاعتماد الى مدبر سواه فلم يعبدوا الا اياه علما بانه الواحد الفرد الصمد الاله وتحققا بان جميع اصناف الخلق عباد امثالهم لا يبتغى عندهم الرزق وانه ما من ذرة الا الى الله خلقها وما من دابة الا على الله رزقها فلما تحققوا انه رازق عباده ضامن وبه كفيل توكلوا عليه وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلوة والسلام على محمد قامع الاباطيل الهادي الى سواء السبيل وعلى اله واصحابه وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقام الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب من غير ان ترى اسبابا تغيير في وجه العقل وانغماس في غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض والعسر لا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء الا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا ونحن الان نبدا بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الاول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني من الكتاب

فضيلة التوكل

اما من الايات فقد قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين واعظم بمقام موسوم بمحبة الله سبحانه صاحبه ومضمون بكفاية الله ملابسه فمن الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقد قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب بهذه الاية فانه سؤال في معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقال تعالى ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجا الى ذمامه وحكيم لا يقصر عن تدبير امر من توكل على تدبيره وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم بين ان كل ما سوى الله عبد مسخر وحاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه وقال تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا وقال تعالى ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال تعالى يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وكل ما ذكر الله في القران من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار

واما الاخبار فقال عليه الصلوة والسلام فيما رواه ابن مسعود اريت الامم بالموسم فرايت امتي قد ملئوا السهل والجبل فاعجبني كثرتهم وهياتهم فقيل لي ارضيت قلت نعم قيل ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام اخر فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال عليه الصلوة والسلام سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا و

تروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال عليه الصلوة والسلام من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يده وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلوة ويقول بهذا امرني ربي قال الله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من استرقى واكتوى وروي انه لما قال جبرئيل لابرهيم على نبينا وعليهما الصلوة والسلام وقد رمي الى النار من المنجنيق الك حاجة قال اما اليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين اخذ ليرمى واوحى الله الى داود يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده اهل السموات والارض الا جعلت له مخرجا **واما الاثار** فقد قال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فاقسمت علي امي ان استرقي فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرا الخواص وتوكل على الحي الذي لا يموت فقال ما ينبغي للعبد ان يلجا بعد هذه الاية الى غير الله وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله فقد احرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلنك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع امر اخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتبه الله لك وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على ان الرزق مامور بطلب العبد وقال ابرهيم بن ادهم سالت بعض الرهبان من اين تاكل فقال لي هذا العلم عند ربي ولكن سل ربي من اين يطعمني وقال هرم بن حيان لاويس القرني اين تامرني ان اكون فاومى الى الشام قال هرم كيف المعيشة بها قال اويس ما لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا

بيان حقيقة التوحيد

الذي هو اصل التوكل اعلم ان التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا تنتظم الا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل فلنبدا ببيان العلم الذي هو الاصل وهو المسمى ايمانا في اصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم فاذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن نحتاج منها الى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة التي يدل عليه قولك وله الحمد فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تم له الايمان الذي هو اصل التوكل اعني ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه اما التوحيد فهو الاصل والقول فيه طويل وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات يتعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا بها فاذا لا نتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول للتوحيد اربع مراتب وهو ينقسم الى لب ولب اللب والى قشر وقشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا والسفلى فان له قشرين وله لب وللب دهن هو لب اللب فالمرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان بلسانه لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافق والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عوام المسلمين وهو اعتقاد والثالثة ان يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار والرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين ويسميها الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيها انشراح وانفتاح ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في الاخرة ان توفي عليها ولم يضعف بالمعاصي

عقدته ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل و
التضعيف ويقصد بها ايضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب تسمى كلاما والعارف به يسمى
متكلما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام حتى لا
يحل عقدته وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث انه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا
ينحل عقدته والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا فاعل بالحقيقة
الا واحد وقد انكشفت الحقيقة كما هي عليه لا انه كلف قلبه ان يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان ذلك رتبة
العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام الذي به يدفع حيل
المبتدع في تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث
انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز و
الثاني كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما ان القشرة العليا لا خير فيها
بل ان اكل فهو مر المذاق وان نظر الى باطنه فهو كريه المنظر وان اتخذ حطبا اطفأ النار واكثر الدخان و
ان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز لاجل الصوان ثم يرمى فكذلك التوحيد
بمجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى
الى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم
لم يؤمروا بشق القلوب والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشرة وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى
لتوحيده فائدة بعده وكما ان القشرة السفلى ظاهر النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب و
تحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصل امكن ان ينتفع به حطبا لكنه نازل القدر بالاضافة الى اللب
فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى
الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد
بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على
نور من ربه وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وكانه المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة
بالاضافة الى الدهن المستخرج منه وكذلك توحيد الفعل مقصد عال للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوب
ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف
يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة
فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات واسرارها لا يجوز ان تسطر في كتاب فقد
قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو
ان الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع مشاهدة اخرى واعتبار اخر وهذا كما
ان الانسان كثير ان التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه واحشائه وهو باعتبار اخر ومشاهدة
اخرى واحد اذ نقول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا و لا
يخطر بباله كثرة امعائه وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق
والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفرق وكانه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة فكذلك كل
ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات
واحد وباعتبارات اخر سواها كثيرة وبعضها اشد كثرة من بعض ومثال الانسان وان كان لا يطابق الغرض ولكنه

ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا وتستفيد بهذا الكلام ترك الانكار و
الجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد نصيب
منه بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة
تطرأ كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى هذا اشار الحسين الحلاج حيث رأى
الخواص يدور في الاسفار فقال فيماذا انت قال ادور في الاسفار لاصحح حالي في التوكل وقد كان من
المتوكلين فقال الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد فكان الخواص في المقام
الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال فان
قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فاقول اما الرابع فلا يجوز الخوض
في بيانه وليس التوكل ايضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث اما الاول وهو النفاق
فهو واضح واما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة
عنه مذكور في علم الكلام وذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه واما الثالث فهو الذي يبتني عليه التوكل اذ
مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله امثال
هذا الكتاب وحاصله ان ينكشف لك ان لا فاعل الا الله وان كل موجود من خلق ورزق ومنع وعطاء وحيوة
وموت وغنى وفقر الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمتفرد بابداعه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له
فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه
الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة في ملكوت السموات و
الارض واذا انفتحت لك ابواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك
الشيطان عن هذا التوحيد في مقامين يبتغي بهما ان يطرق الى قلبك شائبة الشرك بسببين احدهما الالتفات
الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات كاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه
وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله
شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور ولذلك قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له
الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قيل معناه انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف
له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء ولا يتحرك الهواء بنفسه ما لم يحرك وكذلك محركه وهكذا
الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه فالتفات العبد في النجاة الى الريح
يضاهي من اخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه وتخليته فاخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد و
القلم الذي به كتب التوقيع ويقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية
الجهل ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل
ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك الكاتب عن ان يخطر بباله القلم والحبر والدواة والشمس والقمر والنجوم و
المطر والغيم والارض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة كتسخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك
لاعتقادك ان الملك الموقع هو الكاتب للتوقيع والحق ان الله هو الكاتب كما قال الله تعالى وما رميت اذ رميت و
لكن الله رمى فاذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان
خائبا وايس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فاتاك في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في
الافعال الاختيارية ويقول لك كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره ان شاء

وحدة والكثرة صح

تصحيح صح

اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء حز
رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه ولا ترجوه وامرك بيده وانت تشاهد ذلك ولا شك فيه
يقول الكاتب نعم ان كنت لا ترى القلم الا مسخرا فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو مسخر له فعند هذا تزل
اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشياطين فشاهدوا بنور البصائر كون
الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط
النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغذ فرات راس القلم يسود الكاغذ ولم يمتد بصرها الى اليد والاصابع فضلا
عن صاحب اليد فغلطت وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة راس القلم لضيق
حدقتها فكذلك من لم ينشرح صدره بنور الله فقصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض
ومشاهدة كونه قهارا وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل ارباب القلوب والمشاهدات
قد انطق الله في حقهم كل ذرة في السموات والارض بقدرته التي انطق بها كل شيء حتى سمعوا تقديسها
وتسبيحها لله وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق يتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن
السمع لمعزولون ولست اعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الحمار شريك فيه ولا قدر
لما يشارك فيه البهائم وانما اريد به سمعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا هو
عجمي فان قلت فهذه اعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي كيفية نطقها وانها كيف نطقت وبماذا
نطقت وكيف سبحت وقدست وشهدت على نفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة في السماء والارض
مع ارباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله
الذي لا نهاية له قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا
ثم انها تتناجى باسرار الملك والملكوت وافشاء السر لؤم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رايت امينا
قط على سر الملك يناجي بخفاياه فنادى به على ملا من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لما قال عليه الصلوة والسلام لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر ذلك لهم حتى انهم يبكون ولا يضحكون ولما نهى عن افشاء
سر القدر ولما قال اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا ولما
خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الاسرار فاذا عن حكاية مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب ارباب
المشاهدات مانعان احدهما استحالة افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا في المثال
الذي كنا فيه وهو حركة القلم نحكي من مناجاتها قدرا يسيرا يفهم به على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه
ونرد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا واصواتا ولكن هذه ضرورة التفهيم فنقول
قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغذ وقد رآه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك
كان ابيض مشرقا والآن ظهر السواد عليه فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغذ ما
انصفتني في هذه المطالبة فاني ما سودت وجهي بنفسي ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا في
المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال
صدقت فسال الحبر عن ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت في المحبرة قارا ساكنا على ان لا ابرح
منها فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد واختطفني من وطني واجلاني من بلادي وفرق جمعي
وبددني كما تراه على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا علي فقال صدقت ثم سال القلم عن السبب في ظلمه
وعدوانه واخراج الحبر من اوطانه فقال سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار

متنزها بين خضرة الاشجار فجاءت اليد بسكين فنحتني وقشرتني ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من اصلي و
فصلت بين انابيبي ثم برتني وشقت راسي وغمستني في سواد الحبر ومرارته وهي تستخدمني
وتمشيني على قمة راسي فلقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك فتنح عني وسل من قهرني فقال
صدقت ثم سال اليد عن ظلمها على القلم واستخدامها له فقالت اليد ما انا الا لحم وعظم ودم وهل رايت
لحما يظلم او جسما يتحرك بنفسه وانما انا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والقوة فهي التي ترددني
وتجول بي في نواحي الارض اما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شيء منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذا لم
يركبها مثل هذا الفارس القوي القاهر اما ترى ايدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا
معاملة بينها وبين القلم فسل القدرة عن شاني فاني مركب ازعجني من ركبني فقال صدقت ثم سال القدرة
عن شانها في استعمالها اليد واستخدامها وكثرة ترديدها لها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من
لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك امري وكيف ظننت اني ظلمت اليد بركوبها وقد
كنت لها راكبة قبل التحريك وما كنت احركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانون بي اني ميتة
او معدومة لاني ما كنت اتحرك ولا احرك حتى جاءني موكل ازعجني وارهقني الى ما تراه مني وكانت لي
قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا اعرفه الا باسمه وهجومه وصياله
اذ ازعجني من غمرة النوم وارهقني الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورايي فقال صدقت ثم سال الارادة
ما الذي جراك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وارهقتها اليه ارهاقا لم تجد
عنه مخلصا ولا مناصا فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل لنا عذرا وانت تلوم فاني ما انتهضت بنفسي
ولكني انهضت وما انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر وامر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من
حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني مسكينة مسخرة
تحت قهر العلم والعقل ولا ادري باي جرم وقفت عليه وسخرت له والزمت طاعته ولكني ادري اني في
دعة وسكون ما لم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل او الظالم وقد وقفت عليه وقفا و
الزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة في المخالفة لعمري ما دام هو في التردد مع نفسه و
التحير في حكمه فانا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه انزعجت بطبع وقهر تحت طاعته
واشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شاني ودع عني عتابك فاني كما قال الشاعر شعر
اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... ان لا تفارقهم فالراحلون هم
فقال صدقت واقبل على العقل والعلم والقلب
مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل اما انا فسراج
ما اشتعلت بنفسي ولكني اشعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكني بسطت وقال
العلم اما انا فنقش نقشت في بياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم كان هذا
اللوح قبلي خاليا عني فسل القلم عني فان الخط لا يكون الا بالقلم فعند ذلك تتعتع السائل ولم يقنعه جوابه وقال لقد طال
تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت فيه على غيره ولكني كنت اطيب نفسا بكثرة
الترداد لما كنت اسمع كلاما مقبولا في الفؤاد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فاما قولك اني خط ونقش
والخط لي فلست افهمه فاني لا اعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد او الخشب ولا خطا الا بالحبر
ولا سراجا الا من النار واني لاسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا اشاهد منه شيئا
اسمع جعجعة ولا ارى طحنا فقال له القلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك

ضعيف والمهالك في الطريق الذي توجهت اليه كثيرة فالصواب لك ان تنصرف وتدع ما انت فيه فما هذا بعشك
فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في استتمام الطريق الى المقصد فالق سمعك وانت شهيد
واعلم ان العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة اولها ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد
من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت وهو ورائي فاذا جاوزتني
انتهيت الى منازله وفيه المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا ادري كيف تسلم فيها والثالث
عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلاث منازل اوائلها منزل
القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والملكوت لان عالم الملك اسهل منه طريقا وعالم
الملكوت اوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك والملكوت يشبه السفينة بين الارض والماء
فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم
الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى ان يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان
انتهى الى ان يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تتعتع فان كنت لا تقدر على المشي على
الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافي واول عالم
الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء اما سمعت قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلم لو ازداد يقينا لمشى على الهواء لما ان قيل له انه كان يمشي على الماء فقال
السالك السائل قد تحيرت في امري واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست ادري اطيق قطع
هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لذلك من علامة فقال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوي
فان ظهر لك القلم الذي به اكتب في لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت
وقرع اول باب من ابواب الملكوت كوشف بالقلم اما ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم في اول امره كوشف
بالقلم اذ نزل عليه قوله تعالى اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد
فتحت بصري وحدقته فوالله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد ابعدت
النجعة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت اما علمت ان الله لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا
تشبه يده الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه امور الهية من
عالم الملكوت فليس الله في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الايدي
ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج و
عفص فان كنت لا تشاهد هكذا فما اراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه وانوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذاك
لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته تعالى وصفاته عن الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن معاني
الحروف والاصوات واخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله ان الله خلق
آدم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا
تلعب بالتوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا
فحلا واطو الطريق فانك بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى
ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودي به موسى اني انا ربك الاعلى فلما سمع السالك من العلم ذلك
استشعر قصور نفسه وانه مخنث بين التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما
رآها بعين النقص ولقد كان زيته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم

بحدته اشتعل زيته فاصبح نورا على نور فقال له العلم اغتنم الان هذه الفرصة وافتح بصرك
لعلك تجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهي فاذا هو كما وصفه العلم في التنزيه
ما هو من خشب ولا قصب ولا له راس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر اصناف العلوم
وكان له في كل قلب راس ولا راس له فقضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم جزاه الله عني خيرا اذ الان ظهر
لي صدق انبائه عن اوصاف القلم فاني اراه قلما لا كالاقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال طال
مقامي عندك ومرادي لك وانا عازم على ان اسافر الى حضرة القلم فاسأله عن شأنه فسافر اليه و
قال له ايها القلم ما بالك تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تنبعث به الارادات الى اشخاص
القدرة وصرفها الى المقدورات فقال القلم اونسيت ما رايت في عالم الملك والشهادة وسمعته من جواب
القلم اذ سألته فاحالك على اليد قال لا قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وانت لا تشبهه قال القلم اما
سمعت ان الله خلق آدم على صورته قال نعم قال فسل عن شأني الملقب بيمين الملك فاني في قبضته
وهو الذي يرددني وانا مقهور مسخر ولا فرق بين قلم الالهي وقلم الآدمي في معنى التسخير وانما الفرق في
ظاهر الصورة قال ومن يمين الملك قال القلم اما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه هو الذي
يرددها فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا
يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا تحوي مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه والجملة فيه انه يمين
لا كالايمان ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع فرأى القلم متحركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل
اليمين عن شأنه وتحريكه القلم فقال جوابي مثل ما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة وهو الحوالة على
القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها القدرة لا محالة فسافر الى عالم القدرة ورأى فيه من العجائب
ما استحقر عندها ما قبلها وسألها عن تحريك اليمين فقالت انما انا صفة فاسأل القادر اذ العمدة على الموصوف
لا على الصفات وعند هذا كاد ان يزيغ ويطلق بالجرأة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي
من وراء حجاب سرادقات الحضرة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب في
غشيته مدة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شأنك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت
بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك
من سخطك وما لي الا ان اسألك واتضرع اليك وابتهل بين يديك فاقول اشرح لي صدري لاعرفك واحلل
عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع في الثناء وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع
اليه فما آتاك فخذه وما نهاك عنه فانته عنه وما قاله لك فقله فانه ما زاد في هذه الحضرة على ان قال سبحانك
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان جراة على الثناء عليك فهل للقلب
مطمع في معرفتك فنودي اياك وان تتخطى رقاب الصديقين وارجع الى الصديق الاكبر فاقتد به
فان اصحاب سيد الانبياء كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اما سمعته يقول العجز عن درك الادراك
ادراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند
ذلك رجع السالك واعتذر عن اسولته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها
اقبلوا عذري فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكاري عليكم
الا عن قصور وجهل والان قد صح عندي عذركم وانكشف لي ان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت
هو الواحد القهار فما انتم الا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته فهو الاول والآخر والظاهر

الباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل كيف يكون هو الأول والآخر وهما متضادان
وكيف يكون هو الظاهر والباطن والأول ليس بآخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الأول بالإضافة
إلى الموجودات إذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الآخر بالإضافة إلى سير المسافرين إليه
فإنهم لا يزالون مترقين من منزل إلى منزل إلى أن يقع الانتهاء إلى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في
المشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالإضافة إلى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لإدراكه بالحواس
الخمس ظاهر بالإضافة إلى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم
الملكوت فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل أعني من تكشف له أن الفاعل واحد
فإن قلت فقد انتهى هذا التوحيد على الإيمان بعالم الملكوت فمن لا يفهم ذلك ويجحده فما طريقه فأقول
أما الجاحد فلا علاج له إلا أن يقال إنكارك لعالم الملكوت كإنكار قوم من السمنية عالم الجبروت وهم
حصروا العلوم في الحواس الخمس وأنكروا القدرة والإرادة والعلم لأنها لا تدرك بالحواس الخمس ولازموا
حضيض عالم الشهادة فإن قال إنا منهم فإني لا أهتدي إلا إلى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئا
سواه فيقال إنكارك لما شاهدناه مما وراء الحواس الخمس كإنكار السوفسطائية للحواس الخمس فإنهم قالوا
ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه في المنام فإن قال إنا من جملتهم فإني شاك أيضا في المحسوسات فيقال
هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك قليلا فما كل مريض يقوى على علاجه الأطباء هذا حكم الجاحد
وأما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم فطريق السالكين معه أن ينظروا إلى عينه التي بها يشاهد عالم الملكوت
فإن وجدوها صحيحة في الأصل وقد نزل فيها ماء أسود يقبل التنقية اشتغلوا بتنقيتها اشتغال الكحال
بالأبصار الظاهرة فإذا استوى بصره أرشده إلى الطريق ليسلكه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص
أصحابه وإن كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك السبيل الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه أن يسمع
كلام ذرات الملك والملكوت بشهادة التوحيد كلمه بحرف وصوت ونزل به من ذروة التوحيد إلى الحضيض فهم
فإن في عالم الشهادة أيضا توحيدا إذ يعلم كل أحد أن المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد بأميرين فيقال
له على حد عقله إله العالم واحد والمدبر واحد إذ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق
ما رآه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الأنبياء أن
يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب وعلى حد عادتهم في المحاورة فإن قلت
فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عمادا للتوكل وأصلا فيه فأقول نعم فإن الاعتقاد إذا
قوي عمل عمل الكشف في إثارة الأحوال إلا أنه في الغالب يضعف ويتسارع إليه الاضطراب والتزلزل
غالبا ولذلك يحتاج صاحبه إلى متكلم يحرسه بكلامه أو إلى أن يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي
تلقفها من أستاذه أو من أبويه أو من أهل بلده وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه
شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وإن كان يزداد وضوحا كما أن الذي يرى إنسانا في
وقت الإسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بأنه إنسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته وما
مثال المكاشفين والمعتقدين إلا كسحرة فرعون مع أصحاب السامري فإن سحرة فرعون لما كانوا مطلعين
على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى ما جاوز حدود السحر انكشف لهم حقيقة
الأمر فلم يكترثوا بقول فرعون لأقطعن أيديكم وأرجلكم بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات
والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض فإن البيان والكشف يمنع التغير وأما أصحاب السامري لما كان أعينهم

عن النظر الظاهر إلى الثعبان فلما نظروا إلى العجل السامري وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله هذا إلهكم وإله
موسى ونسوا أنه لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكل من آمن بالنظر إلى الثعبان فيكفر لا محالة
إذا نظر إلى العجل لأن كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير وأما عالم الملكوت
من عند الله فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتناقضا أصلا فإن قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت أن الوسائط
والأسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر إلا في حركات الإنسان فإنه يتحرك إن شاء ويسكن إن شاء فكيف يكون مسخرا فاعلم
أنه لو كان مع هذا يشاء إن شاء ولا يشاء إن لم يشأ لكان هذا مزلة القدم وموضع الغلط ولكن علم أنه إذا شاء فعل إن
شاء أو لم يشأ فليست المشيئة إليه إذ لو كانت إليه لافتقرت إلى مشيئة أخرى وتسلسل إلى غير نهاية وإذا لم
تكن المشيئة إليه فمهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل
إلى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة محركة ضرورة في القلب فهذه ضرورات مرتب
بعضها على البعض وليس للعبد أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة إلى المقدور بعدها ولا وجود الحركة
بعد بعث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع فإن قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وأنت لا تنكر
الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا فأقول لو انكشف لك الغطاء لعرفت أنه في عين الاختيار مجبور فهو إذا مجبور
على الاختيار وكيف يفهم هذا من لم يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما نذكره تبعا
فإن هذا الكتاب لم يقصد إلا علم المعاملة ولكني أقول لفظ الفعل في الإنسان يطلق على ثلاثة أوجه إذ يقال الإنسان
يكتب بالأصبع ويتنفس بالرئة والحنجرة ويخرق الماء إذا وقع عليه بجسمه فينسب إليه الخرق في الماء والتنفس و
الكتابة وهذه الثلاثة في حقيقة الجبر والاختيار واحد ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور فأعرب عنها لذلك
بثلاث عبارات فيسمى خرقه الماء عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا ويسمى تنفسه فعلا إراديا ويسمى كتابته فعلا
اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لأنه مهما وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح إلى الهواء انخرق لا محالة
فيكون الخرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فإن نسبة حركة الحنجرة إلى إرادة التنفس كنسبة انخراق
الماء إلى ثقل البدن فمهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده وليس الثقل إليه فكذلك مهما وجد إرادة
التنفس وحدث بعدها حركة الحنجرة بالضرورة فكذلك الإرادة ليست إليه ولذلك لو قصد عين
الإنسان بإبرة طبق الأجفان اضطرارا ولو أراد أن يتركه مفتوحا لا يقدر عليه مع أن تغميض الأجفان فعل
إرادي ولكنه إذا تمثلت صورة الإبرة في مشاهدته بالإدراك حدثت الإرادة للتغميض ضرورة وحدثت
الحركة بها ولو أراد أن يترك التغميض لم يقدر عليه مع أنه فعل بالقدرة والإرادة فقد التحق هذا بالفعل
الطبيعي في كونه ضروريا فأما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي
يقال فيه إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن أن الأمر إليه وهو الجهل بمعنى
الاختيار فلنكشف عنه وبيانه أن الإرادة تتبع العلم الذي يحكم بأن الشيء موافق لك والأشياء تنقسم إلى ما تحكم
مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بأنه يوافقك من غير تحير وتردد أن تقصد عينك بإبرة أو بدنك بسيف
فلا يكون في علمك تردد في أن دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم تنبعث الإرادة ويحصل حركة الأجفان
بالدفع وحركة اليد بدفع السيف وذلك من غير فكر وروية حتى يكتنفه ويكون ذلك بالإرادة ومن الأشياء
ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري أنه موافق أم لا فيحتاج إلى روية وفكر حتى يتبين أن الخير في الفعل
أو الترك فإذا حصل بالفكر والروية العلم بأن أحدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر فانبعث
الإرادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فإذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل أنه خير سميت هذه الإرادة

اختيارا مشتقا من الخير اى هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر
فى انبعاثها الا ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل فى حقه الا ان الخيرية فى قطع السيف ظهر
من غير روية بل على البديهة من غير تحير وهذا افتقر الى الروية فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهى التى
انبعثت باشارة العقل فيما له فى ادراكه توقف وعن هذا قيل العقل يحتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر
الشرين ولا يتصور ان ينبعث الارادة الا بحكم الحس والتخيل او بحكم جزم من العقل ولذلك لو اراد الانسان
ان يحز رقبته بنفسه لم يمكنه لا لعدم القدرة فى اليد ولا لعدم السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة
وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل والحس بكون الفعل موافقا وقتله نفسه ليس موافقا له فلا
يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان فى عقوبة مؤلمة لا تطاق فان العقل ههنا يتوقف فى
الحكم ويتردد لانه تردد بين شر الشرين فان ترجح له بعد الروية ان ترك القتل اقل شرا لم يمكنه قتل
نفسه وان حكم بان القتل اقل شرا وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف منه انبعثت الارادة والقدرة
واهلك نفسه كالذى يتبع بالسيف للقتل فانه يرمى نفسه من السطح وان كان مهلكا ولا يبالى ولا يمكنه
ان لا يرمى نفسه وان كان لا يتبع الا بضرب خفيف فاذا انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب
اهون من الرمى فوقفت اعضاؤه فلا يمكنه ان يرمى نفسه ولا ينبعث له داعية البتة لان داعية الارادة
مسخرة لحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل مقدر بالضرورة
فيه من حيث لا يدرى فانما هو محل ومجرى لهذه الامور فاما ان يكون منه فكلا ومعنى كونه مجبورا ان
جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا انه محل الارادة بعد حكم العقل بكون الفعل
خيرا محضا وحدوث الحكم ايضا خيرا فاذا هو مجبور على الاختيار ففعل النار فى الاحراق مثلا جبر محض
وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار فطلب اهل
الحق لهذا عبارة ثالثة لما ان كان فنا ثالثا واتبعوا فيه كتاب الله فسموه كسبا وليس مناقضا للجبر
ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط ان لا يفهم من الاختيار
ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك فى حقه محال بل جميع الالفاظ المذكورة فى اللغات لا يمكن ان
يستعمل فى حق الله الا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم
ويطول القول فيه فان قلت فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة
ولدت الحركة وان كل متاخر حدث من المتقدم فان قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شىء لا من قدرة
الله وان ابيت فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم ان القول بان بعض هذا حدث من بعض
جهل محض سواء عبر عنه بالتولد او بغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذى يعبر عنه بالقدرة الازلية
وهو الاصل الذى لم يقف عليه كافة الخلق الا الراسخون فى العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة
وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات
مترتب على البعض فى الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا يصدر من القدرة الازلية ارادة الا بعد
علم ولا علم الا بعد حياة ولا حياة الا بعد محل الحياة وكما لا يجوز ان يقال الحياة حصلت من الجسم الذى
هو شرط الحياة فكذلك فى سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط ربما ظهر للعامة وبعضها لم
يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتاخر متاخر الا بالحق واللزوم وجميع
افعال الله كذلك ولولا ذلك لكان التقديم والتاخير عبثا يضاهى فعل المجانين تعالى الله عن ذلك وعن

مطلب معنى كونه مجبورا وكونه مختارا

قول الجاهلين علوا كبيرا والى هذا اشار قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين ما خلقناهما الا بالحق فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم
لا يتصور الا كما حدث وعلى الترتيب الذى وجد فما تاخر تاخر الا لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط
محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتاخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحياة ولا يتاخر عنها
الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك على منهاج الواجب وترتيب الحق ليس فى شىء من ذلك لعب و
اتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة مثالا
يقرب تصاديق الحق من الافهام الضعيفة وذلك بان تقدر انسانا محدثا قد انغمس فى ماء الى رقبته فالحدث
لا يرتفع عن اعضائه وان كان الماء هو الرافع وهو ملاق له فتقدر القدرة الازلية حاضرة ملاقية
للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للاعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء
انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف وجهه على الماء عمل الماء فى سائر الاعضاء وارتفع
الحدث وربما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليد برفعه عن الوجه لانه حدث عقيبه اذ يقول كان الماء ملاقيا
ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حدث ارتفاع الحدث من
اليد عند غسل الوجه فاذا ما وقع على الوجه هو الرافع للحدث عن اليد وهو جهل يضاهى ظن من يظن ان الحركة
تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطاء بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه
ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقى لها لا بغسل الوجه والماء لم يتغير واليد لم تتغير والحدث فيها لم يتغير
ولكن حدث وجود الشرط فظهر اثر العلة فهكذا ينبغى ان تفهم صدور المقدورات من القدرة الازلية مع
ان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب لعالم آخر من عوالم المكاشفة فلنترك جميع ذلك فان
مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد فى العمل وان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المرجو والمخوف وعليه التوكل و
الاعتماد ولم نقدر ان نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستقصاء
ذلك فى عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر باخذ القطرات منه وكل ذلك منطوى تحت قول لا اله الا الله وما
اخف مؤنته على اللسان وما اسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب وما اعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين
فكيف عند غيرهم فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد ان لا فاعل الا الله ومعنى الشرع
اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا وان كان الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا
ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فاقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان له معنيان
ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد
قاتل بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى آخر فمعنى كون الله فاعلا انه المخترع الموجد
ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذى خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة بعد ان خلق فيه العلم فارتبطت
القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلة وا
ارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيفما كان
الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك
سمى فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدور بين القدرتين ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال
فى القرآن مرة الى الملائكة ومرة الى العباد ونسبها بعينها مرة اخرى الى نفسه فقال تعالى فى الموت قل يتوفاكم
ملك الموت الذى وكل بكم ثم قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال تعالى افرأيتم ما تحرثون اضاف

اكرمت البنات ثم قال انا صببنا الماء صبا الايات ثم قال فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم
قال فنفخنا فيها من روحنا وكان النافخ جبرئيل كما قال تعالى فاذا قراناه فاتبع قرانه قيل في
التفسير معناه اذا قراه عليك جبرئيل وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف القتل
اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن معناه اذ
رميت بالمعنى الذي يكون العبد راميا وما رميت بالمعنى الذي يكون الرب
به راميا اذ هما معنيان مختلفان وقال تعالى الذي علم بالقلم ثم قال الرحمن علم القران وقال علمه
البيان وقال ثم ان علينا بيانه وقال تعالى افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فياخذ النطفة في يده ثم يصورها
جسدا فيقول يا رب اذكر ام انثى اسوي ام معوج فيقول الله سبحانه ما شاء ويخلق الملك وفي
لفظ اخر ويصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة او بالشقاوة وقد قال بعض السلف ان الملك
الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجسام وانه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من
انفاسه روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره من مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده ارباب
القلوب ببصائرهم فاما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم دون النقل به تخمين
مجرد ولذلك ذكر الله تعالى في القران الادلة والايات في الارض والسموات ثم قال تعالى اولم
يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وذلك
ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله بالنظر الى الموجودات وكم من طالب
عرف الموجودات بالله كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي وهو معنى قوله تعالى اولم
يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقد وصف الله نفسه بانه المحيي والمميت ثم فوض الحيوة والموت الى
ملكين وفي الخبر ان ملك الموت وملك الحيوة تناظرا فقال ملك الموت انا اميت الاحياء وقال ملك
الحيوة انا احيي الاموات فاوحى الله تعالى اليهما كونا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع انا المميت والمحيي
لا يميت ولا يحيي سواي فاذا الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني اذا فهمت
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي ناوله التمرة خذها لو لم تاتها لاتتك اضاف الاتيان اليه ومعلوم ان
التمرة لا ياتي على الوجه الذي ياتي الانسان اليها وكذلك لما قال للتائب اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد
فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله وكل من اضاف الكل الى الله فهو المحق الذي عرف الحق لاهله
ومن اضافه الى غيره فهو المتجوز المستعير في كلامه وللتجوز وجه كما ان للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه
واضع اللغة للمخترع ولكن ظن ان الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن انه تحقيق
وتوهم ان نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافة
الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا ان الامر بالعكس وقالوا ان كان اسم الفاعل
قد وضعه ايها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز اي تجوزت عما
وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا او اتفاقا صدقه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اصدق قول قاله الشاعر قول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل اي
كل ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيقته بغيره لا بنفسه فاذا

لا حق بالحقيقة الا الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما
سواه باطل ولذلك قال سهل يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول
انا وانا كن الان كما لم تكن فانه اليوم كما كان فان قلت فقد ظهر ان الكل جبر فما معنى الثواب والعقاب
والغضب والرضا وكيف غضبه على فعل نفسه فاعلم ان معنى ذلك قد اشرنا اليه في كتاب الشكر فلا نطول
باعادته فهذا هو القدر الذي راينا الرمز اليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا الا
بالايمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمة وسعتها
هو الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال المتوكل كما سياتي الا بالثقة بالوكيل وطمانينة القلب
الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان ايضا باب عظيم من ابواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه
طويل فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا استرابة فيه وهو ان تصدق
تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب ان الله عز وجل لو خلق الخلائق كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم
وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وافاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفه ثم زاد مثل عدد جميعهم
علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف
وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت
بما اعطوا من العلم والحكمة لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزيد فيما دبر الله تعالى
به الخلق في الدنيا والاخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص منها جناح بعوضة ولا ان يرفع منها ذرة ولا ان
يخفض منها ذرة ولا ان يدفع مرضا او عيبا او نقصا او فقرا او ضرا عمن بلي به ولا ان يزيل صحة او كمالا
او غنى او نفعا عمن انعم به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والارض ان رجعوا فيها البصر وطولوا فيها
النظر ما راوا فيها من تفاوت ولا فطور وكل ما قسم الله بين عباده من رزق واجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان
وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما
ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان اصلا احسن منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يفعله
لكان بخلا ينافي الجود وظلما ينافي العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا ينافي الالهية بل كل فقر وضر في الدنيا
فهو نقصان في الدنيا وزيادة في الاخرة وكل نقص في الاخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ لولا الليل
لما عرف قدر النهار ولولا المرض لما تنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لما عرف اهل الجنة قدر النعمة وكان فدا
ارواح الانس بارواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك
تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على اهل النار وفداء اهل الايمان باهل الكفر عين العدل وما لم يخلق
الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فمقتضى الجود و
الحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما ان قطع اليد اذا تاكلت ابقاء على الروح عدل لانه فداء كامل بناقص فكذلك
الامر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والاخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه وهذا
الان بحر لجي عظيم واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب في السعة من بحر التوحيد وفيه غرق طوائف من القاصرين ولم
يعلموا ان ذلك غامض لا يعقله الا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون ومنع عن افشاء
سره المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضي به وقد صار ما قضي به واجب الحصول بعد سبق المشية فلا راد
لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطاك
لم يكن ليصيبك فلنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي اصول لمقام التوكل ولنرجع الى علم المعاملة بتوفيقه

الشطر الثاني من الكتاب في احوال المتوكلين واعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله
الشيوخ في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد وللمعيل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان
التوكل في دفع الضار وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوي وغيره

بيان حال التوكل

قد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم فاما الحال فالتوكل عبارة عنه وانما
العلم اصله والعمل ثمرته وقد اكثر الخائضون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد من مقام
نفسه واخبر عن حده كما جرت عادة اهل التصوف ولا فائدة في النقل والاكثار فلنكشف الغطاء عنه
فنقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه اليه وليسمي المفوض اليه متكلا عليه و
متوكلا عليه فيسمى الموكول اليه وكيلا ومهما اطمان اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصيره ولم يعتقد
فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب للوكيل في الخصومة
مثلا فمن ادعي عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه
ولا واثق القلب مطمئن النفس بوكيله الا اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى
الفصاحة ومنتهى الشفقة اما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شيء اصلا
واما القوة والقدرة فليستجرئ على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحيي ولا يجبن فانه ربما
يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف او الجبن او الحياء او صارف اخر من الصوارف المضعفة للقلب عن
التصريح به واما الفصاحة فهي ايضا من القدرة الا انها قدرة في اللسان على الافصاح عن كل ما استجرأ
القدرة عليه واشار اليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدته واما منتهى الشفقة
فليكون باعثا له على بذل كل ما يقدر عليه من المجهود في حقه فان قدرته لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهمه
امره ولا يبالي ظفر به خصمه او لم يظفر هلك به او لم يهلك فان كان شاكا في هذه الاربعة او في واحد منها
او جوز ان يكون خصمه اكمل في هذه الاربعة منه لم يطمئن نفسه الى وكيله بل بقي منزعج القلب مستغرق
الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت احواله في شدة
الثقة وطمانينته بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة
والضعف تتفاوت تفاوتا لا ينحصر فلا جرم تتفاوت احوال المتوكلين في قوة الطمانينة والثقة تفاوتا
لا ينحصر الى ان ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى بجمع الحلال
والحرام لاجله فانه يحصل به يقين بمنتهى الشفقة والعناية فيصير خصلة واحدة من الخصال الاربعة قطعية
وكذلك سائر الخصال يتصور ان يحصل القطع به وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار
بانه افصح الناس لسانا واقواهم بيانا واقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الباطل بالحق فاذا عرفت التوكل في
هذا المثال فقس التوكل على الله تعالى فان ثبت في نفسك بكشف او باعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما
سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد
وبالاحاد وانه ليس وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه
ولا الى حوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الارادة الحركة والقدرة فان
الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه احد امرين اما ضعف
اليقين باحد هذه الخصال الاربع واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام
الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين فان من تناول عسلا فشبه

بالتحقيق صح

وليسمي الموكول اليه وكيلا صح

بين يديه العذرة ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت في قبر او فراش او بيت لم
ينفر طبعه وان كان متيقنا لكونه ميتا وانه جماد في الحال وان سنة الله تعالى مطردة بانه لا يحشره الان و
لا يحييه وان كان قادرا عليه كما انها مطردة بان لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب السنور
اسدا وان كان قادرا عليه ومع انه لا يشك في هذا اليقين فينفر طبعه عن مضاجعة الميت في
البيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان
عن شيء منه وان قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب
واحكامه فاذا لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمانينته
فالسكون في القلب شيء واليقين شيء اخر فكم من يقين لا طمانينة معه كما قال تعالى اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي فالتمس ان يشاهد احياء الاموات بعينه ليثبت في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن
به ولا تطمئن باليقين في ابتداء امره الى ان تبلغ بالاخرة درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في
البداية اصلا وكم من مطمئن لا يقين له كسائر ارباب الملل والمذاهب فان اليهودي مطمئن القلب الى
تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم اصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم
الهدى وهو سبب اليقين الا انهم معرضون عنه فاذا الجبن والجراءة غرائز ولا ينفع اليقين معهما
فهي احد الاسباب التي تضاد حال التوكل كما ان ضعف اليقين بالخصال الاربعة احد الاسباب واذا
اجتمعت هذه الاسباب حصلت الثقة بالله وقد قال عليه الصلوة والسلام من اعتز بالعبيد اذله الله واذا
انكشف لك معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم ان تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلث
درجات الدرجة الاولى ما ذكرناه وهو ان يكون حاله في حق الله تعالى والثقة به وبكفالته وعنايته
كحاله في الثقة بالوكيل الثانية وهي اقوى ان يكون حاله مع الله كحال الطفل في حق امه فانه لا يعرف غيرها ولا
يفزع الى سواها ولا يعتمد الا اياها فان راها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها وان نابه امر في غيبتها كان
اول سابق الى لسانه يا اماه واول خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه فانه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة
ليست خالية عن ادراك بالتمييز الذي له ويظن انه طبع من حيث ان الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على
تلفيق لفظه ولا على احضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان تالهه الى الله ونظره اليه
واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بامه فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على امه والفرق بين هذا وبين الاول
ان هذا متوكل وقد فني في التوكل عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط فلا مجال
في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فيتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله لان له التفاتا الى توكله وشعورا
به وذلك شاغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذا اشار سهل حيث سئل عن التوكل ما ادناه قال ترك
الاماني قيل واوسطه قال ترك الاختيار وهو اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا
من بلغ اوسطه الثالثة وهي اعلاها ان يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه
الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بانه مجرى للحركة والقدرة و
الارادة والعلم وسائر الصفات وان الكل يحدث جبرا فيكون بعين الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يفزع
الى امه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل مثاله مثال صبي علم انه وان لم يزعق بامه فالام تطلبه وانه ان لم يتعلق
بذيل امه فالام تحمله وانه لو لم يسالها اللبن فالام تفاتحه وتسقيه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه
ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتداء افضل مما يسال فكم من نعمة ابتداء قبل الدعاء وقبل الاستحقاق والمقام الثاني لا

تقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وانما تقتضي ترك السؤال من غيره فقط فان قلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها فاعلم ان
ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر والمقام الثاني والثالث اعز والاول اقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثالث والثاني فدوامه ابعد منه
بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه الا كصفرة الوجل فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة طبعي وانقباضه
عارض والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى يمحي عن ظاهر البشرة الحمرة التي كانت تتراءى من
وراء حجب الدم فانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم فكذلك انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول
والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم واما المقام الثاني فيشبه صفرة المحموم فانه قد يدوم يوما ويومين
والثالث يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد ان يدوم ولا يبعد ان يزول فان قلت فهل يبقى مع العبد
تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم ان المقام الثالث ينفي التدبير راسا ما دامت الحالة باقية بل
يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير الا من حيث الفزع الى الله تعالى بالدعاء والابتهال
كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط والمقام الثالث لا ينفي اصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات
كالمتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي اشار اليه وكيله به
والتدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه باشارته فلا يقول [illegible]
في حضوره فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا التوكل عليه اذ ليس هو فزعا عن الحول
نفسه وقوته في اظهار الحجة والحول عنه بل من تمام توكله عليه ان يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا عليه و
لا معتمدا على قوله لما احضر بقوله ولما المعلوم بعادته واطراد سنته فهو الذي يعلم من عادته انه لا يحتاج
الخصم الا من السجل فمن تمام توكله اذا كان متوكلا عليه ان يكون معولا على سنته وعادته ووافيا بمقتضاها
وهو ان يحمل السجل اليه مع نفسه عند مخاصمته فاذا لا يستغني عن الحضور وعن التدبير في احضار السجل و
لو ترك شيئا من ذلك لكان نقصا في توكله فكيف يكون فعله نقصا فيه نعم بعد ان حضر وفاء باشارته واحضر
السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظرا الى محاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى
كالمبهوت المنتظر لا يفزع الى حوله وقوته اذ لم يبق له حول ولا قوة وقد يكون فزعه الى حوله وقوته في الحضور
واحضار السجل باشارة الوكيل وسنته وقد انتهى بهما فلم يبق في طمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار
لما يجري واذا تأملت هذا اندفع عنك كل اشكال في التوكل وفهمت انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير و
عمل ولا كل تدبير وعمل لا يجوز ايضا مع التوكل بل هو على الانقسام وسيأتي تفصيله في الاعمال فاذا فزع
المتوكل الى حوله وقوته في الحضور والاحضار لا يناقض التوكل لانه يعلم انه لولا الوكيل لكان حضوره واحضاره
باطلا وتعبا محضا بلا جدوى فاذا لم ير مفيدا من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله مفيدا
لمحاجته وعرفه ذلك باشارته وسنته فاذا لا حول ولا قوة الا بالوكيل الا ان هذه الكلمة لا يحمل معناها في
حق الوكيل لانه ليس بخالق لحوله وقوته بل هو جاعل لهما مفيدين في انفسهما ولم يكونا مفيدين لولا
فعله وانما يصدق ذلك في حق الوكيل المطلق وهو الله تعالى اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق
في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدين اذ جعلهما شرطا لما يخلقه من بعدهما من الفوائد و
المقاصد فاذا لا حول ولا قوة الا بالله حقا صدقا فمن شاهد ذلك كان له الثواب العظيم الذي وردت
به الاخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة الا بالله وذلك قد يستبعد مغتال كيف يعطى هذا الثواب
كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب لمفهوم لفظها وهيهات فانما ذلك
جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها الى كلمة لا اله الا الله

وراء الرقيق من ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق تتراءى من صح

التدبير لا م

وثوابها كنسبة معنى احديهما الى الاخرى في هذه الكلمة اضافة شيئين الى الله تعالى فقط وهو الحول والقوة
واما كلمة لا اله الا الله فهو نسبة الكل اليه فانظر الى التفاوت بين الكل وبين شيئين لتعرف ثواب لا اله
لا اله الا الله بالاضافة الى هذا وكما ذكرناه من قبل ان التوحيد قشرين ولبين فكذلك لهذه الكلمة و
لسائر الكلمات واكثر الخلق وقفوا بالقشرين وما طرقوا الى اللبين والى اللبين الاشارة بقوله صلى الله
عليه وسلم من قال لا اله الا الله صادقا مخلصا وجبت له الجنة وحيث اطلق من غير ذكر الصدق والاخلاص
اراد بالمطلق المقيد كما اضاف المغفرة الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع واضافها الى مجرد
الايمان في بعض المواضع والمراد به المقيد بالعمل الصالح فان الملك لا ينال بالحديث وحركة اللسان
حديث وعقد القلب ايضا حديث وانما الصدق والاخلاص وراءهما ولا ينصب سرير الملك الا للمقربين
وهم المخلصون نعم لمن يقرب منهم في الرتبة من اصحاب اليمين ايضا درجات عند الله وان كان لا ينتهي الى
الملك اما ترى ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير
الملك فقال تعالى على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى اصحاب اليمين ما زاد على
ذكر الماء والظل والفواكه والاشجار والحور العين وكل ذلك لذات المنظور والمشروب والماكول والمنكوح و
يتصور ذلك للبهائم على الدوام واين لذات البهائم من لذة الملك والنزول في اعلى عليين في جوار رب
العالمين ولو كان لهذه اللذات قدر لما وسع على البهائم ولما رفع عنها درجة الملائكة افترى ان احوال
البهائم وهي مسيبة في الرياض متنعمة بالمياه والاشجار واصناف الماكولات متمتعة بالنزوان والسفاد
اعلى والذ من الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار الله في اعلى عليين وهيهات هيهات فما العذر
التحصيل من اذا خير بين ان يكون حمارا او يكون في درجة جبرئيل وليس يخفى ان شبه كل شيء مجذوب اليه وان
النفس التي نزوعها الى صنعة الاساكفة اكثر من نزوعها الى لذات الملائكة فهو بالبهائم اشبه منه بالملائكة
وهؤلاء هم الذين يقال فيهم اولئك كالانعام بل هم اضل وانما كانوا اضل لان الانعام ليس في قوتها درجة طلب
الملائكة فتركها ذلك للعجز واما الانسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل الكمال احرى بالذم واجدر
بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال واذا كان كلامنا هذا معترضا فلنرجع الى المقصود فقد
بينا معنى قول لا اله الا الله ومعنى قول لا حول ولا قوة الا بالله فمن ليس قائلا بهما عن مشاهدة فلا يتصور
منه حال المتوكل فان قلت ليس في قولك لا حول ولا قوة الا بالله الا نسبة شيئين الى الله فلو قال قائل السماء و
الارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فاقول لا لان الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين
الدرجتين ولا ينظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة ان جاز وصفهما بالصغر تجوزا فليست الامور
تعظم بالاشخاص بل كل عامي يفهم ان الارض والسماء ليس من جهة الادميين فهو من الله تعالى فاما الحول و
القوة فقد اشكل امرها على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعي انه يدقق في الراي والمعقول
حتى اشتوا المعرفة بحرة نظرهم فهي مملكة مخطرة ومزلة عظيمة هلك فيها الهالكون اذا اثبتوا لانفسهم امرا وهو شرك
في التوحيد واثبات خالق سوى الله فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو
الذي يصدق قوله لا حول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا انه ليس في التوحيد الا عقبتان احدهما النظر الى السماء
والارض والشمس والقمر والغيم والمطر وسائر الجمادات والثاني النظر الى اختيار الحيوانات وهي اعظم العقبتين
واخطرهما وكانه كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة اعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجمتها
فانا نرجع حال التوكل من التبري عن الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وسيتضح ذلك عند ذكر بيان تفصيل

خلاص

ولكنه حديث نفس صح

اعمال التوكل بيان ما قاله الشيوخ في احوال التوكل لينبغي ان شيئا منها لا يخرج عما ذكرناه ولكن كل واحد يشير
الى بعض الاحوال فقد قال ابو موسى الديبلي قلت لابي يزيد ما التوكل فقال ما تقول انت قلت ان اصحابنا يقولون
لو ان السباع والافاعي عن يمينك وعن يسارك ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو ان اهل
الجنة في الجنة يتنعمون واهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك تمييز عليهما خرجت من جملة التوكل فما ذكره ابو موسى
فهو جزء من اعلى احوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم الذي هو من اصول
التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما فعله الله تعالى فعله بالوجوب فلا تمييز بين اهل النار واهل الجنة بالاضافة
الى اصل العدل والحكمة وهذا اغمض انواع العلوم ووراءه سر القدر وابو يزيد قلما يتكلم الا عن اعلى المقامات و
اقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحيات شرطا في المقام الاول من التوكل فقد احترز ابو بكر رضي الله عنه
في الغار اذ سد حجرة الحيات الا ان يقال فعل ذلك بيده ولم يتغير بسببه سره او يقال فعل ذلك في حق رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا في حق نفسه وانما يزول التوكل بحركة سره وتغيره لامر يرجع الى نفسه وللنظر
ههنا مجال ولكن سيأتي ان امثال ذلك واكثر منه لا يناقض التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق
المتوكل ان يخاف مسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله وان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله
وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلع الارباب
وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وان كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا فقال
القاء النفس في العبودية واخراجها من الربوبية وهذا اشارة الى التبري من الحول والقوة فقط وسئل حمدون
عن التوكل فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن ان تموت ويبقى ذلك في عنقك ولو كان
لك عشرة آلاف درهم دين من غير ان تترك لها وفاء لا تيأس من الله ان يقضيها عنك وهذا اشارة الى مجرد الايمان
بسعة القدرة وان في المقدورات اسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة وسئل ابو عبد الله القرشي عن
التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو
المتولي لذلك والاول عام للمقامات الثلاث والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابرهيم
اذ قال لجبرئيل الك حاجة فقال اما اليك فلا اذ كان سؤاله سببا يفضي الى سبب وهو حفظ جبرئيل له فترك
ثقة بان الله تعالى ان اراد سخر جبرئيل لذلك فيكون هو المتولي لذلك وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله فلم
ير معه غيره وهو حال عزيز في نفسه ودوامه ان يوجد ابعد منه او اعز وقال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب
بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير الى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى
الوكيل وثقته به واضطرابه بلا سكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه الى
الام وسكون قلبه الى تمام شفقتها وقال ابو علي الدقاق التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض
فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذا اشارة الى تفاوت درجات
نظره بالاضافة الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد ان يكون الغالب
على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك وللشيوخ في التوكل اقاويل سوى ما ذكرناه ولا نطول بها فان الكشف انفع
من الرواية والنقل فهذا ما يتعلق بحال التوكل

بيان اعمال المتوكلين

اعلم ان العلم يورث الحال
والحال يثمر الاعمال وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض
كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين فكيف
ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل نكشف الغطاء عنه فنقول انما يظهر تأثير التوكل في حركة

وخلع الارباب اشارة الى علوم التوحيد

العبد وسعيه بعمله الى مقاصده وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنه كالكسب
او لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع او لازالة ضار
قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الاربعة وهو جلب النافع او
حفظه او دفع الضار او قطعه ولنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع

الفن الاول في جلب المنافع

فنقول فيه الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلث درجات مقطوع به ومظنون
ظنا يوثق به وموهوم وهما لا يثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه الدرجة الاولى المقطوع به وذلك
مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله تعالى ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كما اذا كان الطعام
موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك
السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون
وليس من التوكل في شيء فانك ان انتظرت ان يخلق الله فيك شبعا دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او
يسخر ملكا ليمضغه ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت
في ان يخلق الله نباتا من غير بذر او تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم فكل ذلك جنون وامثال هذا مما
يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو ان تعلم ان الله تعالى
خالق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك واما الحال فهو ان يكون سكون
قلبك واعتماده على فضل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال و
تفلج وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله عليك من يغلبك عليه او يبعث حية تزعجك عن مكانك
وتفرق بينك وبين طعامك فاذا احتمل امثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله فبذلك فليفرح
وليعول فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل

الدرجة الثانية

الاسباب التي ليست متيقنة لكن الغالب
ان المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل
ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس
شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزول التوكل به بعد ان يكون الاعتماد
على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز وهو من اعالي مقامات التوكل وكذلك
كان يفعله الخواص فان قلت فهذا سعي في الهلاك والقاء النفس في التهلكة فاعلم ان ذلك يخرج عن
كونه حراما بشرطين احدهما ان يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام
اسبوعا فما يقاربه بحيث تصبر عنه من غير ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى والثاني
ان يكون بحيث تقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الاشياء الخسيسة فبعد هذين الشرطين
لا يخلو في غالب الامر في البوادي في كل اسبوع عن ان يلقاه آدمي او ينتهي الى حلة او قرية او الى
حشيش يزجي به وقته فيحيى به مجاهدة نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يعول الخواص ونظراؤه
من المتوكلين والدليل عليه ان الخواص كان لا يفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا
لا يقدح في التوكل وسببه انه علم ان البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض وما جرت سنة الله تعالى
بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا تغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب الحشيش والماء يحتاج اليه
لوضوءه كل يوم مرات ولعطشه في يوم او يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام
وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فينكشف عورته ولا يوجد المقراض والابرة في البوادي غالبا عند كل صلاة

ولا يقوم مقامهما في الحيلة والقطع شيء مما يوجد في البوادي فكل ما في معنى هذه الاربعة ايضا يلتحق
بالدرجة الاولى لانه مظنون ظنا ليس مقطوعا به لانه يحتمل ان لا يحرق الثوب ويعطيه انسان ثوبا او يجد على رأس
البئر من يسقيه ولا يحتمل ان يخرج الطعام مصنوعا فبين الدرجتين فرق ولكن الثاني في معنى الاول و
لهذا نقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس
متوكلا فهو آثم به ساع في هلاك نفسه كما روي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقام في
سفح جبل سبعا وقال لا اسأل احدا شيئا حتى يأتيني ربي برزقي فقعد سبعا وكاد يموت ولم يأته
رزق فقال يا رب ان احييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فأوحى الله عز وجل اليه وعزتي
لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا
بشراب فأكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا
اما علمت اني ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذا التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة و
جهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال دون الاسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلا
في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فمعنى التوكل الاكتفاء بالاسباب
الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب لا الى السبب فان قلت فما قولك
في القاعد في البلد بغير كسب اهو حرام او مباح او مندوب فاعلم ان ذلك ليس بحرام لان صاحب البادية
اذا لم يكن مهلكا نفسه فكيف هذا كان مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما بل لا يبعد ان يأتيه الرزق
من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر والصبر ممكن الى ان يتفق ذلك ولكن لو اغلق باب البيت على نفسه بحيث
لا طريق لاحد اليه ففعل ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج
له اولى ولكن ليس فعله حراما الى ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وان
كان مشغول القلب بالله غير مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه
الى فضل الله واشتغاله بالله فهذا افضل وهو من مقامات التوكل وهو ان يشتغل بالله ولا يهتم برزقه
فان الرزق يأتيه لا محالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو ان العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما
لو هرب من الموت لادركه وانه لو سأل الله تعالى ان لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ويقول له يا جاهل
كيف اخلقك ولا ارزقك ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما اختلف الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل
فانهم اجمعوا انه لا رازق ولا مميت الا الله وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال وقال عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم انظروا
الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن اكبر بطونا من الطير فانظروا
الى الانعام كيف قيض الله سبحانه هذا الخلق لها وقال ابو يعقوب السوسي المتوكلون تجري ارزاقهم على ايدي
العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم العبيد كلهم سواء في رزق الله لكن بعضهم يأكل
بذل كالسؤال وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم بامتهان كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون
العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة **الدرجة الثالثة** ملابسة الاسباب التي يتوهم افضاؤها
الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك
يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم اعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا
مباحا لمال مباح فاما اخذ الشبهة والاكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب

فلا يخفى ان ذلك يبطل التوكل وهو مثل الاسباب التي نسبتها الى جلب النافع مثل الرقية والطيرة والكي
بالاضافة الى ازالة الضار فان النبي صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بانهم لا
يكتسبون ولا يسكنون الامصار ولا يأخذون من احد شيئا بل وصفهم بذلك وامثال هذه الاسباب
التي لا يوثق بها في المسببات كثيرة فلا يمكن احصاؤها وقال سهل في التوكل انه ترك التدبير وقال ان الله
تعالى خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجبهم بتدبيرهم ولعله اراد به استنباط الاسباب البعيدة بالفكر فهي
التي يحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية فاذا قد ظهر ان الاسباب منقسمة الى ما يخرج التعلق بها عن
التوكل والى ما لا يخرج وان الذي لا يخرج ينقسم الى مقطوع به والى مظنون فان المقطوع به لا
يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب فالتوكل فيها
بالحال والعلم لا بالعمل فاما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في
ملابسة هذه الاسباب على ثلاث مقامات الاول مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور
في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر اسبوعا وما فوقه او تيسير
حشيش له او قوت او تثبيته على الرضا بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك فان الذي يحمل الزاد قد يؤخذ
زاده او يضل بعيره ويموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما انه ممكن مع فقده المقام الثاني ان يقعد
في بيته او في مسجد ولكنه في القرى والامصار فهذا اضعف من الاول ولكنه ايضا متوكل لانه تارك
للكسب والاسباب الظاهرة معول على فضل الله في تدبيره امره من جهة الاسباب الخفية ولكنه با
في الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجلية الا ان ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره
الى الذي يسخر سكان البلد لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد اذ يتصور ان يغفل جميعهم عنه ويضيعوه
لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتحريك دواعيهم المقام الثالث ان يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه
الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب وهذا السعي ايضا لا يخرجه عن مقامات
التوكل اذا لم تكن طمأنينة نفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك كله ربما يهلكه الله جميعه
في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير اسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته
بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك
انه بماذا يتحرك والى ماذا يميل وبم يحكم ثم ان كان هذا المكتسب مكتسبا لعياله او ليفرق على المساكين فهو
ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع فحال هذا اشرف من حال القاعد في بيته والدليل على ان الكسب لا ينافي حال
التوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة كما سبق ان الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة
اخذ الاثواب تحت حضنه ودخل السوق ينادي حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد اقمت
لخلافة النبوة وقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان ضيعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهل
بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك راى ان مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين
اولى ويستحيل ان يقال لم يكن الصديق في مقام التوكل فمن اولى بهذا المقام منه فعلم انه كان متوكلا لا
باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله تعالى ميسر الاكتساب ومدبر
الاسباب وبشروط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن
غير ان يكون درهمه احب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق وان كان درهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص على
الدنيا ومحب لها ولا يصح التوكل الا مع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء

الزهد وقال ابو حفص الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتكلمين المتوكلين اخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت
السوق كنت اكتسب في كل يوم دينارا ولا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط ادخل به الحمام بل اخرجه
كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول استحيي ان اتكلم في مقامه وهو حاضر عندي
واعلم ان الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل فان لم يكن لهم معلوم ووقف وامروا الخادم
بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الا على ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسالوا
بل قنعوا بما يحمل اليهم فهو اقوى لكنه بعد اشتهار القوم بذلك صار سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل
السوق متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق فان قلت فالافضل ان يقعد في بيته او يخرج ويكتسب فاعلم
انه ان كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه
ذلك وهو مع هذا لا تستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل فيحمل اليه شيئا بل يكون قوي القلب
في الصبر والاتكال على الله فالقعود له اولى وان كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف الى الناس فالكسب
اولى لان استشراف القلب الى الناس سؤال بالقلب وتركه اهم من ترك الكسب وما كان المتوكلون ياخذون
ما يستشرف اليه نفوسهم كان احمد بن حنبل قد امر ابا بكر المروزي ان يعطي بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان
استاجره عليه فرده الفقير فلما ولى قال له احمد الحقه واعطه فانه يقبل فلحقه واعطاه فاخذه فسال
احمد عن ذلك فقال كان قد استشرفت نفسه فرد فلما خرج انقطع طمعه وايس فاخذ وكان الخواص اذا نظر
الى عبد في العطاء وخاف اعتياد النفس له لم يقبل منه شيئا وقال الخواص بعد ان سئل عن اعجب ما راه في اسفاره
قال رايت الخضر ورضي بصحبتي ولكني فارقته خيفة ان تسكن نفسي اليه فيكون نقصانا في توكلي فاذا المكتسب
اذا راعى اداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب ولم يقصد الاستكثار ولم يكن اعتماده على
بضاعته وكفايته كان متوكلا فان قلت ما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول علامته انه ان سرقت
بضاعته او خسرت تجارته او تعوق امر من اموره كان راضيا به ولم تبطل طمانينته ولم يضطرب قلبه بل كان
حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن الى شيء لم يضطرب بفقده ومن اضطرب بفقد
شيء فقد سكن اليه وكان بشر يعمل المغازل فتركها وذلك لان العلوي كاتبه بلغني انك استغنيت عن
رزقك بالمغازل ارايت ان اخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من فوقع ذلك في قلبه فاخرج آلة
المغازل من يده وقيل تركها لما نوهت باسمه وقصد لاجلها وقيل فعل ذلك لما جاءه ثم ماتت
عيال له كما كان لسفيان خمسين دينارا يتجر فيها فلما مات عياله فرقها فان قلت فكيف يتصور ان يكون له
بضاعة ولا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسب بغير بضاعة لا يمكن فاقول بان يعلم ان الذين رزقهم الله
بغير بضاعة فيهم كثرة وان الذين كثرت بضاعاتهم فسرقت واهلكت فيهم اكثر وان يوطن نفسه
على ان الله تعالى لا يفعل به الا ما فيه صلاحه فان اهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركها كان سببا
لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به وغايته ان يموت جوعا فينبغي ان يعتقد ان الموت جوعا
خير له في الاخرة مهما قضى الله عليه بذلك من غير تقصير من جهته فاذا اعتقد جميع ذلك استوى
عنده وجود البضاعة وعدمها ففي الخبر ان العبد ليهم من الليل بامر من امور التجارة مما لو فعله كان فيه هلاكه
فينظر الله تعالى اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره وابن عمه من سبقني
من دهاني وما هي الا رحمة رحمه الله بها ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا
ادري ايهما خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال ابو سليمن

الداراني لاحمد بن ابي الحواري لي من كل مقام نصيب الا من هذا التوكل المبارك فاني ما شممت منه رائحة
هذا كلامه مع علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما ادركته ولعله اراد
ادراك اقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وبان كل ما يقدره على
العبد من فقر وغنى وموت وحيوة فهو خير له مما يتمناه العبد لنفسه لم يكمل حال التوكل فبناء التوكل
على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الاحوال والاعمال ينبني على
اصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك
قال سهل من طعن على المكتسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد
فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن
بالله تعالى في تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو ان تعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان
وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله
يعدكم مغفرة منه وفضلا فالانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان ولذلك قيل الشفيق
بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الاسباب الظاهرة والباعثين
عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية ايضا تبطل التوكل
فقد حكي عن عابد انه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام لو اكتسبت لكان افضل لك فلم يجبه
حتى اعاد ثلاثا فقال في الرابعة يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال ان كان
صادقا في ضمانه فعكوفك في المسجد افضل لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما لما تقف بين الله وبين العباد
مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى في الرزق و
قال امام المسجد لبعض المصلين من اين تاكل يا شيخ فقال يا شيخ اصبر حتى اعيد الصلوة التي صليتها
خلفك ثم اجيبك وينفع في حسن الظن بالله يجر الرزق من لطف الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية
ان تسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله في وصول الرزق الى صاحبه وفيها عجائب قهر الله في اهلاك
اموال التجار والاغنياء وقتلهم جوعا كما روي عن حذيفة المرعشي وكان قد خدم ابرهيم بن ادهم
فقيل له ما اعجب ما رايت منه فقال بقينا في طريق مكة اياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى
مسجد خراب فنظر الي ابرهيم وقال يا حذيفة ارى بك الجوع فقلت هو ما راى الشيخ فقال علي بدواة
وقرطاس فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم انت المقصود بكل حال والمشار اليه بكل معنى انا حامد
انا شاكر انا ذاكر انا جائع انا نائع انا عار هي ستة وانا الضمين بنصفها فكن الضمين بنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها فاجر عبيدك من دخول النار ثم دفع الي الرقعة فقال اخرج ولا تعلق قلبك
بغير الله وادفع الرقعة الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة
فاخذها ونظر فيها وبكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها
ستمائة دينار ثم لقيت رجلا اخر فسالته عن صاحب البغلة فقال هذا نصراني فجئت الى ابرهيم واخبرته
بالقصة فقال لا تمسها فانه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني واكب على راس ابرهيم واسلم
قال ابو يعقوب الاقطع البصري جعت مرة بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي بالخروج فخرجت
الى الوادي لعلي اجد شيئا يسكن ضعفي فرايت شلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت في قلبي منها وحشة
فكان قائلا يقول لي جعت عشرة ايام فاخره يكون حظك شلجمة متغيرة فرميتها ودخلت المسجد فاذا

انا برجل عجمي بين يدي ووضع قطرة وقال هذا لك فقلت كيف خصصتني بها فقال انا كنا في البحر منذ عشرة
ايام واشرفت السفينة على الغرق فنذرت ان خلصني الله تعالى ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصري من
المجاورين وانت اول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها سميذ مصري ولوز مقشر وسكر كعاب
فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية مني لكم وقد قبلتها ثم قلت
رزقك يسير اليك من عشرة ايام وانت تطلبه من الوادي وقال ممشاد الدينوري كان علي دين فاشتغل
قلبي بسببه فرأيت في النوم كان قائلا يقول يا بخيل اخذت علينا هذا المقدار خذ عليك الاخذ وعلينا
العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم وحكي عن بنان الحمال قال كنت في طريق مكة
اجيء من مصر ومعي زاد فجاءتني امراة وقالت لي يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا
يرزقك قال فرميت بزادي ثم اتى علي ثلث ما اكل فوجدت خلخالا في الطريق فقلت في نفسي احمله حتى يجيء
صاحبه فربما يعطيني شيئا فارده عليه فاذا انا بتلك المراة فقالت لي انت تاجر تقول حتى يجيء صاحبه فآخذ منه
شيئا ثم رمت الي شيئا من الدراهم وقالت انفقها فاكتفيت بها الى قريب من مصر ويحكى ان بنان الحمال احتاج
الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا يجيء النفر فنشتري ما يوافق فلما ورد
النفر اجتمع رايهم على واحدة وقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه الجارية فقال انها ليست للبيع
فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال اهدتها اليه امراة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت له القصة وقيل كان
من الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص وقال ان اكلته مت فوكل الله به ملكا انه ان اكله فقد رزقه وان لم
ياكله فلا يعطيه غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكله وبقي عنده القرص وقال ابو سعيد الخراز
دخلت البادية بغير زاد فاصابتني فاقة فرايت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم فكرت في نفسي
حفرة من الرمل اني سكنت واتكلت على غيره فآليت ان لا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي
في الرمل حفرة وواريت جسدي فيها الى صدري فسمعوا صوتا في نصف الليل عاليا يا اهل المرحلة ان الله
وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجوني وحملوني الى القرية وروي ان رجلا
لازم باب عمر رضي الله عنه فقال عمر يا هذا هاجرت الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك
عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة ثم اتاه عمر بعد ذلك
فقال اشتقنا اليك فما الذي شغلك عنا فقال اني قرات القرآن فاغناني عن عمر وآل عمر فقال عمر
رحمك الله فما وجدت فيه فقال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السماء
وانا اطلبه في الارض فبكى عمر وقال صدقت وكان عمر بعد ذلك ياتيه ويجلس اليه وقال ابو حمزة
الخراساني حججت سنة من السنين فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي ان
استغيث فقلت لا والله لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر براس البئر رجلان
فقال احدهما للآخر تعال حتى نسد راس هذا البئر كيلا يقع فيه احد فاتوا بقصب وبارية وطموا راس البئر
فهممت ان اصيح ثم قلت في نفسي اصيح الى من هو اقرب منهما وسكنت فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشيء جاء فكشف
عن راس البئر وادلى رجليه وكانه يقول تعلق بي في همهمة له كنت اعرف ذلك فتعلقت به فاخرجني
فاذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وانا اقول

شعر

نهاني حيائي منك ان اكتم الهوى الى غايتي فاللطف يدرك باللطف تراءيت لي بالغيب حتى كانما
يبشرني بالغيب انك في الكفا اراك وبي من هيبتي لك وحشة فتؤنسني باللطف منك وبالعطف

ويحيى محيا انت في الحب حتفه وذا عجب كون الحيوة مع الحتف واشال هذه الوقايع مما يكثر
واذا قوي الايمان بالله وانضم اليه القدرة على الجوع قدر اسبوع من غير ضيق صدر وقوي الايمان
بانه ان لم يسق اليه رزقه في اسبوع فالموت خير له عند الله فلذلك حبسه عزم التوكل بهذه الاحوال
المشاهدات والاقاويل اصلا

بيان توكل المعيل

اعلم ان من له عيال فحكمه يفارق حكم
المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله الا بامرين احدهما قدرته على الجوع اسبوعا من غير استشراف وضيق
نفس والآخر ابواب من الايمان ذكرناها من جملتها ان يطيب نفسا بالموت ان لم ياته رزقه علما بان رزقه
الموت والجوع وهو وان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة في الآخرة فيرى انه قد سيق اليه خير الرزقين
وهو رزق في الآخرة فبهذا يتم التوكل ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن ان يقرر عندهم الايمان
بالتوحيد بان الموت على الجوع رزق مغبوط في نفسه ان اتفق ذلك نادرا وكذلك سائر ابواب الايمان فاذا
لا يمكنه في حقهم الا توكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل ابي بكر رضي الله عنه اذ خرج للكسب فاما دخول
البوادي وترك العيال توكلا في حقهم فهو حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا بهم بل التحقيق انه لا
فرق بينه وبين عياله فانه ان ساعده العيال على الصبر على الجوع رزقا وغنيمة في الآخرة فله ان يتوكل في حقهم
ونفسه ايضا عيال عنده لا يجوز ان يضيعها الا ان تساعده على الصبر مع الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب
عليه قلبه ويتشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل ولذلك روي ان ابا تراب النخشبي نظر الى صوفي مد يده الى قشر
بطيخ لياكله بعد ثلاثة ايام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق اي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح
التوكل لمن لا يصبر عن الطعام اكثر من ثلاثة ايام وقال ابو علي الروذباري اذا قال الفقير بعد خمسة ايام
انا جائع فالزموه السوق ومروه بالكسب والعمل فاذا بدنه عيال له وتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله
انما يفارقه في شيء وهو ان له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في حق عياله وقد انكشف لك من هذا ان
التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت ان تاخر الرزق نادرا وملازمة
البلاد والامصار او ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها اسباب البقاء ولكن
مع نوع من الاذى الذي لا يمكن الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار اقرب الى الاسباب من التوكل في البوادي
وكل ذلك من الاسباب الا ان الناس عدلوا الى اسباب اظهر منها فلم يعدوا ذلك اسبابا وذلك لضعف
ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم في الدنيا على الاذى لاجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم باساءة
الظن وطول الامل ومن نظر في ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقا ان الله دبر الملك و
الملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لا يجاوزه رزقه
اما ترى ان الجنين في بطن امه لما كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالام حتى ينتهي اليه فضلات
غذاء الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الام لتتكفل
به شاءت ام ابت اضطرارا من الله اليه بما اشتعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام
جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فدبر له اللبن اللطيف
في ثدي الام عند انفصاله على حسب حاجته افكان هذا بحيلة الطفل او بحيلة الام فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء
الكثيف انبت له اسنانا قواطع وطواحن لاجل المضغ واذا كبر واستقل يسر له اسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة
فجبنه بعد البلوغ جهل محض لانه ما نقصت اسباب معيشته ببلوغه بل زاد فانه لم يكن قادرا على الاكتساب والآن
قد قدر فزادت قدرته نعم كان المشفق عليه شخصا واحدا وهو الام او الاب وكانت شفقته مفرطة جدا ان كان

يطعم ويسقيه مرة او مرتين وكان الظاهر بتسليط الله تعالى الشفقة والحنو على قلبه فكذلك الخلق سلط الله
الشفقة والمودة والرقة والرحمة على قلوب المسلمين واهل البلد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا احس بمحتاج
تألم قلبه ورق عليه وانبعث له داعية الى ازالة حاجته فقد كان المشفق عليه واحدا والآن المشفق عليه الف
وزيادة ولقد كانوا لا يشفقون عليه لانهم راوه في كفالة الام وهي مشفقة خاصة فما راوه محتاجا ولو راوا
يتيما لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين او على جماعة حتى ياخذوه ويكفلوه فما رأي الى الآن في
سني الخصب والقحط يتيم فيموت جوعا مع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله تعالى كافله
بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في
الصبا وقد كان المشفق واحدا والآن الالف نعم كان شفقة الام اقوى واخص ولكنها واحدة وشفقة احاد
الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد لطف الله له حاله هو احسن من حال من
له اب وام فينجبر ضعف شفقة الاحاد بكثرة المشفقين وبترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة ولقد
احسن من قال **شعر** جرى قلم القضاء بما يكون ... فسيان التحرك والسكون ... جنون منك ان تسعى لرزق
ويرزق في غشاوته الجنين ... فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزا بالصبا واما هذا فبالغ قادر على
الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو مثلنا فليجتهد لنفسه فاقول ان كان هذا القادر بطالا فقد صدقوا
فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله فما للبطال
والتوكل وان كان مشتغلا بالله ملازما للمسجد او لبيته وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في
ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله بالله يقرر حبه في قلوب الناس وما رأي الى الآن عالم او عابد
استغرق الاوقات بالله وهو في الامصار فمات جوعا ولا يرى قط بل لو اراد ان يطعم جماعة من الناس
بقوله لقدر عليه فان من كان لله كان الله له ومن اشتغل بالله القى الله محبته في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر
قلب الام لولدها فقد دبر الله الملك والملكوت تدبيرا كافيا فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل
به وآمن ونظر الى مسبب الاسباب لا الى الاسباب نعم ما دبره تدبيرا يصل الى المشتغل به الحلواء والطيور
السمان والثياب الرقيقة والخيول النفيسة على الدوام لا محالة وقد يقع ذلك ايضا في بعض الاحوال لكن دبره تدبيرا
يصل الى كل مشتغل بعبادة الله في كل اسبوع قرص شعير او حشيش نبات ولا بد له لا محالة والغالب انه يصل اكثر
بل ما يزيد على الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل الا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة و
تناول الاغذية اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا يحصل من غير اضطراب وهو الغالب ايضا الذي
يحصل مع الاضطراب فانما يحصل نادرا وفي النادر ايضا قد يحصل بغير اضطراب فاثر الاضطراب ضعيف عند
من انفتحت بصيرته فلذلك لا يطمئن الى اضطرابه بل الى مدبر الملك تدبير الايجاز عبد من عباده رزقه وان كان
الا نادرا لا نادرا ولا عظيما يتصور مثله في حق المضطرب فاذا انكشفت هذه الامور وكان معه قوة في القلب
وشجاعة عزم قال الحسن البصري اذ قال وددت ان اهل البصرة في عيالي وان حبة بدينار وقال وهيب بن
الورد لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقي لظننت اني مشرك فاذا فهمت هذه
الامور فهمت ان التوكل مقام مفهوم في نفسه ويمكن الوصول اليه لمن قهر نفسه وعلمت ان من انكر اصل التوكل
وامكانه انكره عن جهل فاياك ان تجمع بين افلاسين افلاس عن وجود المقام ذوقا وافلاس عن وجود
الايمان به علما فاذا عليك بالقناعة بالنزر القليل والرضا بالقوت فانه ياتيك لا محالة وان فررت
منه وعند ذلك على الله ان يبعث عليك رزقك على يدي من لا تحتسب فان اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت

بالتجربة مصداق قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الا انه لم يتكفل ان يرزقه
لحم الطير ولذائذ الاطعمة فما ضمن الا الرزق الذي يدوم به الحياة فهذا المضمون مبذول لكل من
اشتغل بالضامن واطمأن الى ضمانه فان الذي احاط تدبير الله من الاسباب الخفية للرزق اعظم مما ظهر
للخلق بل مداخل الرزق فيها لا تحصى ومجاريه مما لا يهتدى اليها وذلك لان ظهوره على الارض وسببه
في السماء قال تعالى وفي السماء رزقكم واسرار السماء لا يطلع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيد فقالوا
نطلب الرزق فقال ان عرفتم اي موضع هو فاطلبوه قالوا فنسال الله تعالى ذلك قال ان علمتم انه ينساكم
فذكروه فقالوا ندخل البيت ونتوكل وننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة قال
ترك الحيلة فقد فهمت ان من انكسرت نفسه وقوي قلبه ولم يضعف بالجبن وقوي ايمانه بتدبير الله تعالى
كان مطمئن النفس ابدا واثقا بالله فان اسوء احواله ان يموت ولا بد ان ياتيه الموت كما ياتي من ليس متوكلا فاذا
تمام التوكل بضاعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانبه الذي ضمن رزق القانعين بهذه الاسباب التي
صادق فاقنع وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقا بما يرد عليك من الارزاق العجيبة التي لم تكن
في ظنك وحسبانك ولا تكن في توكلك منتظر الاسباب بل لمسبب الاسباب كما لا تكون منتظر القلم
الكاتب بل لقلب الكاتب فانه اصل حركة القلم والمحرك الاول واحد فلا ينبغي ان يكون النظر الا اليه و
هذا شرط توكل من يخوض البوادي بلا زاد او يقعد في الامصار وهو خامل فاما الذي له ذكر بالعبادة
والعلم فاذا قنع في اليوم والليلة مرة واحدة بخبز كيف كان وان لم يكن من اللذائذ وبثوب خشن مما يليق باهل
الدين فهذا ياتيه من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب على الدوام بل ياتيه اضعافه فترك التوكل و
الاهتمام بالرزق غاية الضعف والقصور فان اشتهاره سبب ظاهر لجلب الرزق اقوى من دخول
الامصار في حق الخامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح لذوي الدين وهو بالعلماء اقبح لان شرطهم
القناعة والعالم القانع ياتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة ان كانوا معه الا اذا اراد ان لا ياخذ من
ايدي الناس ويأكل من كسبه فذلك وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له
سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب الى
الله بما يعطيه اولى لانه تفرغ لله واعانة للمعطي على نيل الثواب ومن نظر الى مجاري سنة الله علم ان الرزق ليس
على قدر الاسباب ولذلك سال بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال اراد الصانع
ان يدل على نفسه اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل احمق لظن ان العقل رزق صاحبه فلما راوا خلافه علموا ان الرازق
هو الله ولا ثقة بالاسباب الظاهرة **بيان احوال المتوكلين** في التعلق بالاسباب بضرب مثال اعلم ان مثال
الخلق مع الله مثال طائفة من السؤال وقفوا في ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون الى الطعام فاخرج اليهم
غلمانا كثيرة ومعهم ارغفة وامرهم ان يعطوا بعضهم رغيفين وبعضهم رغيفا رغيفا ويجتهدوا
في ان لا يغفلوا عن واحد منهم وامر مناديا حتى نادى فيهم ان اسكنوا ولا تتعلقوا بغلماني اذا خرجوا اليكم
بل ينبغي ان يطمئن كل واحد في موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مأمورون بان يوصلوا اليكم طعامكم فمن
تعلق بالغلمان وآذاهم واخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج ابعثه بغلام يكون موكلا به الى ان تقدم
بعقوبته في ميعاد معلوم عندي ولكن اخفيه ومن لم يؤذ الغلمان وقنع برغيف واحد اتاه من يد الغلام وهو
ساكن فاني اخصه بخلعة سنية في الميعاد المذكور لعقوبة الآخر ومن ثبت في مكانه ولكن اخذ رغيفين فلا عقوبة
عليه ولا خلعة له ومن اخطاه الغلمان فما وصلوا اليه شيئا فبات الليلة جائعا غير متسخط على الغلمان ولا قائل ليته

اوصل الي فاني غدا استوزره وطوبى ملكي اليه فانتشر السوال الى اربعة اقسام قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا
الى العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم الى الغد فرج ونحن الان جايعون فبادروا الى الغلمان واخذوا منهم و
اخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد المذكور فندموا ولم ينفعهم الندم وقسم تركوا التعلق بالغلمان
خوفا العقوبة ولكن اخذوا رغيفين لغلبة الجوع فسلموا من العقوبة وما فازوا بالخلعة وقسم قالوا انا
نجلس بمرءى من الغلمان حتى لا يخطونا ولكنا لا ناخذ اذا اعطونا الا رغيفا واحدا ونقنع به فلعلنا
نفوز بالخلعة ففازوا وقسم رابع تخلفوا في زوايا الميدان وانحرفوا عن مراى اعين الغلمان وقالوا
ان اتبعونا واعطونا قنعنا برغيف واحد وان اخطاونا قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على ترك
السخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فما نفعهم ذلك اذ تتبعهم الغلمان في كل زاوية و
اعطوا كل واحد رغيفا واحدا وجرى مثل ذلك اياما حتى اتفق على الندور ان اختفى ثلاثة في زاوية ولم
يقع عليهم بصر الغلمان وشغلهم شاغل عن طول التفتيش فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم ليتني تعرضت
للغلمان واخذت طعامي فلست اطيق الصبر وسكت الثالث حتى الصبح فنال درجة القرب والوزارة فهذا مثال
الخلق فالميدان هو الحيوة الدنيا وباب الميدان الموت والميعاد المجهول هو القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد
بالشهادة للمتوكل اذا مات جائعا راضيا من غير تاخير ذلك الى ميعاد القيمة لان الشهداء احياء عند ربهم
يرزقون والمتعلق بالغلمان هو المعتدى في الاسباب والغلمان المسخرون هي الاسباب والجالس في الميدان
بمراى الغلمان هم المقيمون في الامصار في الرباطات والمساجد على هياة السكون والمختفون في الزوايا هم السائحون
في البوادي على هياة التوكل والاسباب تتبعهم والرزق ياتيهم الا على سبيل الندور فان مات واحد منهم
جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة فلعل من كل مائة
تعلق بالاسباب تسعون واقام سبعة من العشرة الباقية في الامصار متعرضا للسبب بمجرد حضورهم واشتهارهم
وساح في البوادي ثلاثة وتسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كان كذلك في الاعصار السالفة واما
الان فالذاكر للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة الاف

> فالتارك

الفن الثاني في التعرض لاسباب الادخار

فمن حصل له مال بارث او كسب او سوال او سبب من الاسباب فله في ادخاره ثلاثة احوال الاولى ان ياخذ قدر
حاجته في الوقت فيأكل ان كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشتري مسكنا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في
الحال ولا ياخذه ولا يدخره الا القدر الذي يبذل لمن يستحقه ويحتاج اليه فيدخر على هذه النية فهذا هو الوفاء
بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا الحالة الثانية المقابلة لها المخرجة له عن حدود التوكل ان يدخره
لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين اصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلاثة الفارة والنملة وابن ادم الحالة الثالثة
ان يدخر لاربعين يوما فما دونها فهذا هل يوجب حرمانه عن المقام المحمود الموعود في الاخرة للمتوكلين اختلفوا فيه فذهب
سهل الى انه يخرج من التوكل وذهب الخواص الى انه لا يخرج باربعين يوما ويخرج بما زاد عليه وقال ابو طالب المكي
لا يخرج عن حدود التوكل بالزيادة على اربعين يوما وهذا الخلاف لا معنى له بعد تجويز اصل الادخار نعم
يجوز ان يظن ان اصل الادخار يناقض التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب
موعود على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى اصحاب النهاية السابقين واصحاب
البدايات اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين ايضا على درجات وكذا السابقون واعالي درجات اصحاب اليمين
تلاصق اسفل درجات السابقين فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق ان التوكل مع ترك الادخار
لا يتم الا بقصر الامل واما عدم امل البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده واما

الناس يتفاوتون في قصر الامل وطوله واقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات واقصاه ما
يتصور ان يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا حصر لها فمن لم يامل اكثر من شهر اقرب الى المقصود ممن
يامل سنة وتقييده باربعين لميعاد موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام بعيد فان تلك الواقعة ما قصد بها
بيان مقدار ما يرخص فيه الامل ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم الا باربعين يوما بسر جرت
به وبامثاله سنة الله في تدريج الامور كما قال خمرت طينة ادم بيدي اربعين صباحا الا ان استحقاق تلك
الطينة للتخمير كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكرنا فما وراء السنة لا يدخل فيها الا بضعف حكم القلب والركون
الى ظاهر الاسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق بالحاطة التدبير من الوكيل الحق لخفايا الاسباب
فان اسباب الدخل في الارتفاعات والزكوات تتكرر بتكرر السنين غالبا ومن ادخر لاقل من سنة فله درجة
بحسب قصر الامل ومن كان امله شهرين لم يكن درجته درجة من امل شهرا ولا درجة من امل ثلاثة اشهر
بل هو بينهما في الرتبة ولا يمنع من الادخار الا قصر الامل فالافضل ان لا يدخر اصلا فان ضعف قلبه فكل ما
قل ادخاره كان فضله اكثر وقد روي في الفقير الذي امر صلى الله عليه وسلم عليا واسامة بغسله وكفنه

> وكفنه خ

ببردته فلما دفن قال لاصحابه انه يبعث يوم القيمة ووجهه كالشمس الضاحية قلنا وماهي يا رسول الله قال
كان صواما قواما كثير الذكر لله غير انه اذا جاءه الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه واذا جاءه الصيف ادخر
حلة الشتاء لشتاءه ثم قال ان من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث وليس الكوز والسفرة وما يحتاج اليه
في الصيف وهذا في حق من لا ينزع قلبه بترك الادخار ولا يستشرف نفسه الى ما في ايدي الخلق بل لا يلتفت
قلبه الا الى الوكيل الحق فان كان يستشعر في نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار
له اولى لان المقصود اصلاح القلب ليتجرد لذكر الله ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله

> بل لو امسك ضيعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك صر

عدمه والمحذور ما يشغل عن الله والا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون واهل الحرف والصناعات فلم يامر التاجر
بترك تجارته ولم يامر المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعى الكل الى الله وارشدهم الى
فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله وعمدة الاشتغال الى الله القلب فصواب الضعيف الادخار
قدر حاجته كما ان صواب القوي ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد واما المعيل فلا يخرج من حكم
التوكل بادخار قوت سنة جبرا لضعفهم وتسكينا لقلبهم وادخار اكثر من ذلك يبطل التوكل لان الاسباب
تتكرر عند تكرر السنين فادخار ما يزيد عليه مصدره ضعف قلب وذلك ينافي قوة المتوكل فالمتوكل
عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن النفس الى فضل الله واثق بتدبيره دون الاسباب الظاهرة وقد
ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ونهى ام ايمن وغيرها ان تدخر له شيئا لغد ونهى بلالا
عن الادخار في كسيرة خبز ادخرها ليفطر عليها وقال انفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا
وقال اذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبا فالاقتداء بسيد المتوكلين وقد كان من قصر امله بحيث
كان اذا بال تيمم مع قرب الماء ويقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وكان لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله اذ
كان لا يثق بما ادخره ولكنه ترك تعليما للاقوياء من امته فان اقوياء امته ضعفاء الى قوته وادخر لعياله
قوت سنة لا لضعف قلبه وقلب عياله ولكن ليسن ذلك للضعفاء من امته ثم اخبر ان الله يحب ان
يؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف الى الياس والقنوط
فيتركوا الميسور من الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات فما ارسل صلى الله عليه وسلم الا رحمة للعالمين كلهم

على اختلاف اصنافهم ودرجاتهم فاذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر
بعضهم ويدل عليه ما روى ابو امامة الباهلي ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي فما وجد له
كفن فقال صلى الله عليه وسلم فتشوا ثوبه فوجد وادينارين داخل ازاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان
وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا ولا يقول ذلك فيه وهذا يحتمل وجهين لانه كان يحتمل حاله احدهما
انه اراد كيتين من النار كما قال تعالى فتكوى بها جباههم وهذا اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل
مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس الثاني ان لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كما لو
كما ينقص عن كمال الوجه اثر كيتين في الوجه وذلك ان لا يكون عن تلبيس فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان في
درجته في الآخرة اذ لا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا وينقص بقدره من الآخرة اما بيان ان الادخار مع فراغ القلب عن
المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشهد له ما روي عن بشر قال الحسين المغازلي كنت عنده صحوة
من النهار فدخل كهل اسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر وما رايته قام لاحد غيره قال ودفع الي كفا من دراهم
وقال اشتر لنا من اطيب ما تقدر عليه من الطعام والطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام
فوضعته واكل معه وما رايته اكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فاخذه الرجل و
جمعه في ثوبه وحمله وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك انكرت فعله قلت نعم اخذ
بقية الطعام بغير اذن قال ذاك اخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما اراد ان يعلمنا ان
التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار

الفن الثالث في مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المتعرض للخوف

اعلم ان الضرر قد يتعرض للخوف في نفس او مال وليس من شرط التوكل ترك الاسباب الدافعة له اما في
النفس فكالنوم في المسبعة او في مجرى السيل من الوادي او تحت الجدار المائل او السقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه
وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع بها والى مظنونة والى موهومة
فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فان الكي والرقية قد
تقدم على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلى الله عليه و
سلم لم يصف المتوكلين الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم
يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها من الاسباب نعم الاستظهار باكل
الثوم عند الخروج الى السفر في الشتاء تهييجا للقوة الحارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق في الاسباب
والتعويل عليها فيكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة ولترك الاسباب الدافعة وان كانت مقطوعا بها وجه اذا ناله
الضرر من انسان فانه اذا امكنه الصبر وامكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال تعالى فاتخذه
وكيلا واصبر على ما يقولون وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله
وقال تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال تعالى ونعم
اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا في اذى الناس اما الصبر على اذى السباع والعقارب
وترك دفعها فليس من التوكل في شيء اذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا يترك السعي لعينه بل لاعانته على الدين و
ترتب الاسباب ههنا كترتبها في الكسب وجلب المنافع فلا نطول بالاعادة وكذلك في الاسباب الدافعة عن
المال فلا ينقص التوكل باغلاق الباب عند الخروج ولا بان يعقل البعير لان هذه اسباب عرفت بسنة الله
اما قطعا واما ظنا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للاعرابي لما اهمل البعير وقال توكلت على الله اعقلها و
توكل وقال تعالى خذوا حذركم وقال تعالى في كيفية صلوة الخوف وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال تعالى

واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وقال تعالى لموسى فاسر بعبادي والتحصن بالليل اختفاء عن
اعين العدو نوع سبب واختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار اختفاء عن اعين
الاعداء دفعا للضرر واخذ السلاح في الصلوة ليس دفعا قطعا كقتل الحية والعقرب فانه دافع قطعا
ولكن اخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا ان المظنون كالمقطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل
تركه فان قلت فقد حكي عن جماعة ان الاسد وضع يده على كتفه ولم يتحرك فاقول قد حكي عن جماعة
انهم ركبوا الاسد وسخروه ولا ينبغي ان يغرك ذلك فانه وان كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتداء
بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه اسرار لا يقف
عليها ما لم تنته اليها فان قلت فهل من علامة اعلم بها اني وصلت اليه فاقول الواصل لا يحتاج الى طلب
العلامات ولكن من علامات ما يقرب عليه ان يسخر لك الكلب هو معك في اهابك يسمى الغضب فلا يزال
يعضك ويعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج واشلي لم يسترسل الا باشارتك وكان مسخرا
لك فربما ترتفع درجتك الى ان يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع وكلب دارك اولى بان يكون مسخرا لك
من كلب البوادي وكلب اهابك اولى بان يسخر اولا من كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في
استسخار الكلب الظاهر فان قلت فاذا اخذ المتوكل سلاحه حذرا من العدو واغلق بابه حذرا من اللص
وعقل بعيره حذرا من ان ينطلق فباي اعتبار يكون متوكلا فاقول يكون متوكلا باعتبار الحال والعلم اما العلم
فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل بدفع الله اياه فكم من باب يغلق ولا
ينفع وكم من بعير يعقل ويموت او يفلت وكم من اخذ سلاحه يقتل فلا يتكل على هذه الاسباب اصلا بل على
مسبب الاسباب كما ضربنا المثل بالوكيل في الخصومة فانه وان حضر واحضر السجل فلا يتكل على نفسه ولا على
سجله بل على كفاية الوكيل وقوته واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول
اللهم ان سلطت على ما في البيت من ياخذه فهو في سبيلك راض بحكمك فاني لا ادري ان ما اعطيتني هبة فلا
ترجعها او عارية ووديعة فتردها ولا ادري انه رزقي او سبقت مشيتك في الازل بانه رزق غيري و
كيف ما قضيت فانا راض به وما اغلقت الباب تحصنا من حكمك وقضائك وتسخطا له بل جريا على مقتضى
سنتك في ترتيب الاسباب فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب فاذا كان هذا حاله وهذا الذي ذكرناه علمه
لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير واخذ السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد ما في البيت فينبغي ان
يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله وان لم يجده بل وجده مسروقا نظر الى قلبه فان وجده راضيا فرحا
بذلك عالما بانه ما اخذ الله ذلك منه الا ليزيد رزقه في الآخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه
وان تالم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد و
لا يصح الزهد الا ممن لم ياسف على ما فاته من الدنيا ولم يفرح بما ياتي بل قد يكون على العكس منه فكيف يصح
له التوكل نعم قد يصح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس وان لم يقدر
على ذلك حتى تاذى بقلبه واظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة مزيدا له
في دينه من حيث انه ظهر له قصوره عن جميع المقامات وكذبه في جميع الدعاوي فبعد هذا ينبغي ان يجتهد حتى
لا يصدق نفسه في دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها خداعة امارة بالسوء مدعية للخير فان قلت فكيف
يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ فاقول المتوكل لا يخلو بيته عن متاع كقصعة يشرب منها واناء يتوضأ منه وجراب يحفظ فيه
زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من اثاث البيت وقد يدخل في يده مال وهو يمسكه ليجد محتاجا

فيصرفه اليه ولا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه والجراب
الذي فيه زاده وانما ذلك في الماكول وفي كل مال زائد على قدر الضرورة لان سنة الله جارية بوصول الخبز الى الفقراء
المتوكلين في زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والامتعة في كل يوم ولا في كل اسبوع والخروج عن سنة الله
ليس شرطا في التوكل ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة دون الزاد لان سنة الله جارية
بالفرق بين الامرين فان قلت فكيف يتصور ان لا يحزن اذا اخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يأسف عليه فان كان لا
يشتهيه فلم امسكه واغلق الباب عليه وان امسكه لحاجته اليه فكيف لا يتأذى ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه
فاقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخيرة ان يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة له فيه
لما رزقه الله ولما اعطاه فاستدل على ذلك بتيسير الله وحسن الظن بالله مع ظنه ان ذلك معين له على اسباب دينه
ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به اذ يحتمل ان يكون خيرته في ان يبتلى بفقده حتى يتعب في تحصيل عوضه و
ويكون ثوابه في التعب والنصب اكثر فلما اخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله حسن
الظن به فيقول لولا ان الله علم ان الخيرة لي كانت في وجودها الى الآن والخيرة الآن لي في عدمها لما اخذها مني
فبمثل هذا الظن يتصور ان يندفع عنه الحزن اذ يخرج عن ان يكون فرحا بالاسباب من حيث انها اسباب بل من حيث انه
يسرها مسبب الاسباب عناية به وتلطفا وهو كالمريض بين يدي الطبيب المشفق يرضى بما يفعله فان قدم اليه
الغذاء فرح وقال لولا انه عرف ان الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قربه الي وان اخر عنه الغذاء بعد ذلك ايضا
فرح وقال لولا ان الغذاء يضرني ويسوقني الى الموت لما حال بيني وبينه فكل من لا يعتقد في لطف الله ما يعتقده
المريض في الوالد المشفق المعالج بعلم الطب فلا يصح منه التوكل اصلا ومن عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته في اصلاح
عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري اي الاسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا
فاني لا ادري ايهما خير لي فكذلك ينبغي ان لا يبالي المتوكل يسرق متاعه او لا يسرق فانه لا يدري ايهما خير له في
الدنيا ولا في الآخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من غني يبتلى بواقعة لاجل غناه يقول
يا ليتني كنت فقيرا **آداب المتوكلين اذا سرق متاعهم** للمتوكل آداب في متاع بيته اذا خرج الاول ان يغلق
الباب ولا يستقصي في اسباب الحفظ كالتماس من الجيران الحفظ مع الغلق وكجمعه اغلاقا كثيرة فقد كان مالك بن
دينار لا يغلق بابه ولكن يشده بشريطة ويقول لولا الكلاب ما شددته ايضا والثاني ان لا يترك في
البيت متاعا يحرص عليه السراق فيكون هو سبب معصيتهم او امساكه سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما اهدى
المغيرة الى مالك بن دينار ركوة قال خذها فلا حاجة لي اليها قال لم قال يوسوس الي عدوي ان اللص قد اخذها
فكأنه احترز من تعصية السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقته ولذلك قال ابو سليمان هذا من
ضعف قلوب الصوفية هذا قد زهد في الدنيا فما عليه من اخذها الثالث ما يضطر الى تركه في البيت
ينبغي ان ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله من تسليط سارق عليه ويقول ما يأخذه السارق فهو منه
في حل او في سبيل الله وان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو اولى ويكون له نيتان ان
لو اخذه غني او فقير احدهما ان يكون ماله مانعا له من المعصية فانه ربما يستغني به فيتوانى عن السرقة بعده
وقد زال عصيانه باكل الحرام لما ان جعله في حل فيكون ماله فداء مال مسلم آخر ومهما نوى حراسة
مال غيره بمال نفسه او نوى دفع المعصية عن السارق او تخفيفها فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله صلى الله
عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما ونصرة الظالم ان تمنعه من الظلم وعفوه اعدام الظلم ومنع له
ليتحقق انه هذه لا تضره بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الازلي ولكنه

والثاني ان نظلم ... الخ صح

الى معتمد صح

يتحقق بالزهد بنيته فان اخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لانه نواه وقصده وان لم يؤخذ يحصل
له الاجر ايضا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل واقر النطفة قرارها كان له اجر غلام ولد
من ذلك الجماع فعاش فقتل في سبيل الله وان كان لم يولد له لانه ليس اليه في امر الولد الا الوقاع فاما الخلق و
الحياة والرزق والبقاء فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم يعدم فكذلك امر السرقة الرابع انه
اذا وجد المال مسروقا ينبغي ان لا يحزن بل يفرح ان امكنه ويقول لولا ان الخيرة كانت فيه لما سلبه الله ثم
انه ان لم يكن قد جعله في سبيل الله فلا يبالغ في طلبه واساءة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله في سبيل الله
فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الى الآخرة فان اعيد عليه فالاولى ان لا يقبله بعد ان كان قد جعله
في سبيل الله وان قبله فهو ملكه في ظاهر العلم لان الملك لا يزول بمجرد تلك النية ولكنه غير محبوب عند المتوكلين
وقد روي ان ابن عمر سرقت ناقته فطلبها حتى اعيى ثم قال في سبيل الله فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه
رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان ناقتك في موضع كذا فلبس نعله وقام ثم قال استغفر الله وجلس فقيل
الا تذهب وتاخذها فقال اني كنت قلت في سبيل الله وقال بعض الشيوخ رأيت بعض اخواني في
النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي وادخلني الجنة وعرض علي منازلي فيها فرايتها قال
وهو مع ذلك كئيب حزين فقلت قد غفر لك ودخلت الجنة وانت حزين فتنفس الصعداء ثم قال نعم اني
لا ازال حزينا الى يوم القيامة قلت ولم ذلك قال اني لما رايت منازلي في الجنة رفعت لي مقامات في عليين
فما رايت مثلها فيما رايت فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له انما هذه
لمن امضى السبيل فقلت وما امضى السبيل فقيل لي قد كنت تقول للشيء انه في سبيل الله ثم ترجع فلو كنت
امضيت السبيل لامضينا لك وحكي عن بعض العباد بمكة انه كان نائما بجنب رجل معه هميان فانتبه الرجل
وفقد هميانه فاتهمه فقال كم كان فذكره فحمله الى البيت فوزنه من عنده ثم اعلمه اصحابه انهم كانوا اخذوا
الهميان منه مجانة فجاء هو واصحابه وردوا الذهب فابى وقال خذوه حلالا طيبا فما كنت لاعود في مال اخرجته
في سبيل الله فلم يقبل والحوا عليه فدعا ابنا له وجعل يصرها صررا ويبعث بها الى الفقراء حتى لم يبق منه شيء
فكذا كانت اخلاق السلف وكذلك من اخذ رغيفا ليعطيه فقيرا فغاب عنه يكره رده الى البيت بعد اخراجه فيعطيه
فقيرا آخر وكذلك في الدراهم وسائر الصدقات الخامس وهو اقل الدرجات ان لا يدعو على السارق الذي ظلمه
بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل على كراهته وتأسفه على ما فات وبطل زهده وان بالغ فيه بطل ايضا
فيما اصيب به ففي الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر وحكي ان الربيع بن خيثم سرق فرسه وكان ثمنه عشرين
الفا وكان قائما يصلي فلم يقطع ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال اما اني كنت رايته وهو يحله فقيل وما
منعك ان تزجره قال كنت فيما هو احب الي من ذلك يعني الصلاة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تفعلوا وقولوا
خيرا فاني قد جعلتها صدقة عليه وقيل لبعضهم في شيء قد كان سرق الا تدعو الله على ظالمك فقال ما احب ان اكون
عونا للشيطان عليه قيل ارايت لو ردت عليك قال لا آخذها ولا انظر اليها لاني كنت قد احللته له وقيل لآخر ادع
الله على من ظلمك قال ما ظلمني احد ثم قال انما ظلم نفسه الا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى ازيده شرا واكثر بعضهم
شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال لا تغرق في شتمه فان الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما
ينتصف منه لمن اخذ ماله ودمه وفي الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه
ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم السادس ان يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه
لعقاب الله تعالى ويشكر الله اذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصان دنياه لا نقصان دينه وقد

شكى بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق واخذ ماله فقال ان لم يكن غمك انه قد صار في المسلمين من يستحل
هذا اكثر من غمك بمالك فلا نصحت للمسلمين وسرق من علي بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فراه
ابوه يبكي ويحزن فقال اعلى الدنانير تبكي قال لا والله ولكن على المسكين ان يسال يوم القيمة ولا يكون له
حجة وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك قال اني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء

القسم الرابع السعي في ازالة الضرر

كمداواة المرض وامثاله اعلم ان الاسباب المزيلة للضرر ايضا تنقسم الى مقطوع به كالماء المزيل
لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب المسهل وسائر ابواب
الطب اعني معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة وهي اسباب ظاهرة في الطب والى موهوم
كالكي والرقية اما المقطوع فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت واما الموهوم فشرط التوكل
تركه اذ به وصف صلى الله عليه وسلم المتوكلين واقواها الكي ويليه الرقية والطيرة آخر درجاتها
والاعتماد عليها والاتكال اليها غاية التعمق في ملاحظة الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهي
المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم و
تركه ليس محظورا بخلاف المقطوع بل قد يكون تركه افضل من فعله في بعض الاحوال وفي حق بعض
الاشخاص فهو على درجة بين الدرجتين ويدل على ان التداوي غير مناقض للتوكل فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله وامره به اما قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم ما من داء الا وله دواء عرفه
من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني الموت وقال صلى الله عليه وسلم تداووا عباد الله فان الذي
انزل الداء انزل الدواء وسئل عن الدواء والرقى هل يرد من قدر الله فقال هي من قدر الله وفي الخبر
المشهور ما مررت بملا من الملائكة الا قالوا مر امتك بالحجامة وفي الحديث انه امر بها وقال احتجموا لسبع
عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم فذكر ان تبيغ الدم سبب الموت وانه قاتل
باذن الله وان اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك عن الاهاب وبين اخراج العقرب من
تحت الثياب واخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل هو كصب الماء على النار لاطفائها ودفع
ضررها عند وقوعها في البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل اصلا وفي خبر مقطوع من احتجم يوم الثلاثاء
لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة واما امره فقد امر عليه الصلوة والسلام غير واحد من الصحابة
بالتداوي والحمية وقطع لسعد بن معاذ عرقا اي فصده وكوى سعد بن زرارة وقال لعلي وكان ارمد
العين لا تاكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك يعني سلقا قد طبخ بدقيق او شعير
وقال لصهيب وقد رآه ياكل التمر وهو وجيع العين تاكل تمرا وانت رمد فقال انا آكل من الجانب
الآخر فتبسم واما فعله انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الوحي صدع راسه فكان يغلفه بالحناء
وروي انه كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا وما روي
من تداويه وامره بذلك خارج عن الحصر وقد صنف كتاب وسمي طب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر
بعض العلماء في الاسرائيليات ان موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل
فعرفوا علته فقالوا لو تداويت بكذا لبرئت فقال لا اتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء فطالت علته
فقالوا ان دواء هذه العلة معروف مجرب وانا نتداوى به فنبرأ فقال لا اتداوى فاقامت علته
فاوحى الله تعالى اليه وعزتي لا ابرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه
فبرئ فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي من اودع
العقاقير منافع الاشياء غيري وروي ان نبيا من الانبياء شكا علة يجدها فاوحى الله تعالى اليه كل البيض
وشكا نبي آخر الضعف فاوحى اليه كل اللحم باللبن فان فيهما القوة قيل هو الضعف عن الجماع وروي ان قوما
شكوا الى نبيهم قبح اولادهم فاوحى اليه مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد ويفعل ذلك
في الشهر الثالث والرابع اذ فيه يصور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل والنفساء الرطب
فهذا يبين ان مسبب الاسباب اجرى سنته بربط المسببات بالاسباب اظهارا للحكمة والادوية اسباب مسخرة
بحكم الله كسائر الاسباب فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش والسكنجبين دواء الصفراء و
السقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه الا في امرين احدهما ان معالجة الجوع والعطش بالخبز والماء جلي وا
ضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن ادركه بالتجربة التحق في حقه
بالاول والثاني ان الدواء يسهل والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط اخر في الباطن واسباب في المزاج ربما
يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيمتنع الدواء عن الاسهال واما ذوال
العطش لا يستدعي سوى الماء شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب
الماء ولكنه نادر واختلاف الاسباب ابدا ينحصر في هذين القسمين والا فالمسبب يتبع السبب لا محالة مهما تم
شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه على ترتيب بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر
المتوكل استعماله مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدواء فقد روي عن موسى على نبينا وعليه الصلوة
والسلام انه قال يا رب ممن الدواء والشفاء فقال تعالى مني قال فما يصنع الاطباء قال ياكلون ارزاقهم و
يطيبون نفوس عبادي حتى ياتي شفائي او قضائي فاذا معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما
سبق في فنون الاعمال الدافعة للضرر والجالبة للنفع فاما ترك التداوي راسا فليس شرطا فيه فان قلت
فالكي ايضا من الاسباب الظاهرة النفع فاقول ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة و
شرب المسهل وسقي المبردات للمحرور واما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقلما
يعتاد الكي في اكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الاتراك والاعراب فهي من الاسباب الموهومة كالرقية الا انه يتميز
عنها بامر وهو انه احراق بالنار في الحال مع الاستغناء عنه فانه ما من وجع يعالج بالكي الا وله دواء يغني عنه
ليس فيه احراق فالاحراق بالنار جرح مهلك مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد و
الحجامة فان سرايتهما بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك نهى صلى الله عليه وسلم عن الكي دون الرقى وكل
واحد منهما بعيد من التوكل وروي ان عمران بن الحصين اعتل فاشاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم
عليه الامير حتى اكتوى فكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا ويسلم علي الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك
عني وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما افلحنا ولا انجحنا ثم تاب من ذلك واناب الى الله فرد الله عليه ما كان
يجد من امر الملائكة وقال لمطرف بن عبد الله الم تر الى الكرامة التي كان اكرمني الله بها قد ردها علي بعد ان كان
اخبره بفقدها فاذا الكي وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالتوكل لانه يحتاج في استنباطه الى تدبير ثم هو مذموم
فيدل ذلك على شدة ملاحظة الاسباب وعلى التعمق فيها

بيان ان ترك التداوي قد يحمد في بعض الاحوال

ويدل على قوة التوكل وان ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم
ان الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن قد ترك التداوي ايضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك
نقصان لانه لو كان كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا يكون حال غيره في التوكل اعلى من حاله و
اكمل وقد روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قيل له لو دعونا لك طبيبا فقال الطبيب قد نظر الي وقال اني فعال

لما ادبه وقيل لابي الدرداء ما تشتكي فقال ذنوبي قيل فما تشتهي قال المغفرة لربي قالوا الا ندعو لك طبيبا
قال الطبيب امرضني وقيل لابي ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما فقال اني عنهما لمشغول قالوا لو سألت الله
ان يعافيك فقال اسأله فيما هو اهم علي منهما واصاب الربيع بن خثيم فالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم
ذكرت عادا وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى ولم تغن
الرقى شيئا وكان احمد بن حنبل يقول احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا السبيل ترك التداوي من شرب الدواء
وغيره وكان به علل فلا يخبر المتطبب بها ايضا اذا سأله وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضرر
في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله عليه فاذا من ترك التداوي ورآه
فيهم كثرة ولا يتسع وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعالهم الا بحصر الصوارف عن التداوي
فنقول ان لترك التداوي اسبابا الاول ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بانه قد انتهى اجله
وان الدواء لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده برؤيا صادقة وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق
ويشبه ان يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي من هذا السبب فانه كان من المكاشفين فانه قال
لعائشة في امر الميراث انما هما اختاك وما كانت لها الا اخت واحدة ولكن كانت امرأته حاملا فولدت
انثى فعلم انه كان قد كوشف بانها حامل بانثى فلا يبعد ان يكون قد كوشف ايضا بانتهاء اجله والا فلا يظن
به انكار التداوي وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره به السبب الثاني ان يكون المريض مشغولا
بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلا
بحاله ويدل عليه كلام ابي ذر قال اني عنهما لمشغول وكلام ابي الدرداء انما اشتكي ذنوبي فكان تألم
قلبه خوفا من ذنوبه اكثر من تألم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من اعزته او كالخائف
الذي يحمل الى ملك من الملوك ليقتل اذ قيل له الا تأكل وانت جائع فيقول انا مشغول عن الم الجوع فلا
يكون ذلك انكارا لكون الخبز نافعا من الجوع ولا طعنا فيمن اكل ويقرب من هذا اشتغال سهل حيث قيل
له ما القوت قال هو الحي القيوم فقيل انما سألناك عن القوام قال القوام هو العلم قيل سألناك عن الغذاء
قال هو الذكر قيل سألناك عن طعمة الجسد قال ما لك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه آخرا اذا دخل عليه
علة فرده الى صانعه اما رأيت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها السبب الثالث ان تكون
العلة مزمنة والدواء الذي يؤمر به بالاضافة الى علته موهوم النفع جار مجرى الكي والرقية فيتركه المتوكل واليه
يشير قول الربيع بن خثيم اذ قال ذكرت عادا وثمود وفيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى جميعا اي ان الدواء
غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته الطب وقلة
تجربته له فلا يغلب على ظنه كونه نافعا ولا شك في ان الطبيب المجرب اشد اعتقادا في الادوية من غيره فيكون
الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة واكثر من ترك التداوي من الزهاد والعباد هذا
مستندهم لانه يبقى الدواء عندهم شيئا موهوما لا اصل له وذلك صحيح في بعض الادوية عند من عرف
صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التداوي تعمقا في
الاسباب كالكي والرقية فيتركه توكلا السبب الرابع ان يقصد العبد بترك التداوي استبقاء المرض
لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله وليجرب نفسه في القدرة على الصبر فقد ورد في ثواب
المرض ما يكثر ذكره فقال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء اشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل
يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان في ايمانه ضعف خفف عنه

في مرضه صح

البلاء وروي ان الله يجرب عبده بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم
دون ذلك ومنهم من يخرج اسود محترقا وفي حديث من طريق اهل البيت ان الله اذا احب عبدا ابتلاه
فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال عليه الصلوة والسلام تحبون ان تكونوا كالحمر الصالة لا تمرضون
ولا تسقمون وقال ابن مسعود تجد المؤمن اصح شيء قلبا وامرضه جسما وتجد المنافق اصح شيء جسما و
امرضه قلبا فلما عظم الثناء على البلاء احب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه فكان فيهم
من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسي العلة والمرض ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم ان الحق اغلب
على قلبه من ان يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلم ان صلوته قاعدا مع الصبر على قضاء الله
افضل من الصلوة قائما مع العافية والصحة ففي الخبر ان الله يقول للملائكة اكتبوا لعبدي صالح ما كان
يعمل فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي وقال
عليه الصلوة والسلام افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس فقيل معناه ما دخل عليها من الامراض
والمصائب واليه الاشارة بقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وكان سهل يقول ترك
التداوي وان ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض افضل من التداوي لاجل الطاعات وكانت
به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوي الناس منها وكان اذا رأى العبد يصلي من قعود ولا
يستطيع اعمال البر من الامراض فيتداوى للقيام في الصلوة والنهوض الى الطاعات يتعجب من ذلك ويقول
صلوته من قعود مع الرضا بحاله افضل من التداوي للقوة والصلوة قائما وسئل عن شرب الدواء فقال
كل من دخل في شيء من الدواء فانما هو سعة من الله تعالى لاهل الضعف ومن لم يدخل في شيء منه فهو افضل
لانه ان اخذ شيئا من الدواء ولو كان هو الماء البارد يسأل عنه لم اخذت ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه
ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بان ذرة من اعمال القلوب مثل الصبر
والرضا والتوكل افضل من امثال الجبال من اعمال الجوارح والمرض لا يمنع من اعمال القلوب الا اذا كان المه
غالبا مدهشا وقال سهل علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة السبب الخامس ان يكون العبد قد
سبقت له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض اذا طال تكفيرا فيترك التداوي خوفا
من ان يسرع زوال المرض فقد قال عليه الصلوة والسلام لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشي على الارض
كالبردة ما عليه خطيئة وقال عليه الصلوة والسلام حمى يوم كفارة سنة فقيل لانها تهد قوة سنة و
قيل للانسان ثلثمائة وستون مفصلا وتدخل الحمى في جميعها ويجد من كل واحد الما فيكون كل الم كفارة
يوم ولما ذكر عليه الصلوة والسلام كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت ربه ان لا يزال محموما
فلم تكن الحمى تفارقه الى الموت وسأل ذلك طائفة من الانصار فكانت الحمى لا تزايلهم ولما قال عليه
الصلوة والسلام من اذهب الله كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة فلقد كان من الانصار من يتمنى العمى
وقال عليه الصلوة والسلام لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو
في ذلك من كفارة خطاياه وروي ان موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام نظر الى عبد عظيم البلاء فقال
يا رب ارحمه مما به ارحمه اي اكفر به ذنوبه وازيد في درجاته السبب السادس ان يستشعر العبد من نفسه
مبادي البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوي خوفا من ان يعاجله زوال المرض فيعاوده
الغفلة والبطر والطغيان وطول الامل والتسويف في تدارك الفائت وتأخير الخيرات فان الصحة عبارة
عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي واقلها ان تدعو الى التنعم في

ص

فقال كيف

المباحات وهو تضييع الأوقات وإهمال الربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات وإذا
أراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالأمراض والمصائب ولذلك قيل لا يخلو المؤمن من علة أو قلة أو ذلة
وروي أن الله تعالى قال الفقر سجني والمرض قيدي أحبس به من أحب من خلقي فإذا كان في المرض حبس
عن الطغيان وركوب المعاصي فأي خير يزيد عليه ولم ينبغي أن يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على
نفسه فالعافية في ترك المعاصي فقد قال بعض العارفين لإنسان كيف كنت بعدي قال في عافية
قال إن كنت لم تعص الله فأنت في عافية وإن كنت قد عصيته فأي داء أدوى من المعصية ما عوفي
من عصى وقال علي رضي الله عنه لما رأى زينة النبط بالعراق في يوم عيدهم ما هذا الذي أظهروه
قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا نعصي الله فيه فهو لنا عيد وقال تعالى
وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون قيل العوافي وقال إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى فكذلك إذا
استغنى بالعافية وقال فرعون أنا ربكم الأعلى لطول العافية لأنه لبث أربعمائة سنة لم يصدع له رأس
ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو أخذته الشقيقة كل يوم لشغلته عن الفضول
فضلا عن دعوى الربوبية وقد قال عليه الصلاة والسلام أكثروا ذكر هادم اللذات وقد قيل الحمى
بريد الموت فهو مذكر به ودافع للتسويف وقال تعالى أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين
ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يفتنون بالأمراض يختبرون بها ويقال إن العبد إذا مرض مرتين ثم لم
يتب قال ملك الموت يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تجب ولذلك كان السلف يستوحشون
إذا خرج عام لم يصابوا فيه بنقص في نفس أو مال وقال لا يخلو المؤمن أربعين يوما أن يروع روعة أو
يصاب بنكبة حتى روي أن عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها وأن النبي صلى الله عليه وسلم عرض
عليه امرأة وذكر من وصفها حتى هم أن يتزوجها فقيل وإنها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها وذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع لا أعرفه فقال
صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا وهذا لأنه ورد في الخبر الحمى حظ
المؤمن من نار جهنم وفي حديث أنس وعائشة يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم قال نعم
من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة وفي لفظ آخر الذي يذكر ذنوبه فيحزنه ولا شك في أن ذكر الموت على المريض
أغلب فلما أن كثرت فوائد المرض رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها إذ رأوا لأنفسهم مزيدا فيها لا من حيث رأوا
التداوي نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعله صلى الله عليه وسلم **بيان الرد على من قال أن ترك التداوي**
أفضل بكل حال فإن قال قائل إنما التداوي فعله صلى الله عليه وسلم للبس عنره وإلا فهو حال الضعفاء و
درجة الأقوياء توجب التوكل بترك الدواء فيقال فينبغي أن يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد عند
تبيغ الدم فإن قيل إن ذلك أيضا شرط فليكن من شرطه أن لا يدفع العقرب والحية فلا ينحيها عن نفسه إذ الدم
يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فأي فرق بينهما فإن قال وذلك أيضا شرط التوكل فيقال
وينبغي أن لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجبة وهذا لا قائل به ولا فرق
بين هذه الدرجات فإن جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الأسباب وأجرى بها سنته ويدل على ذلك أنه ليس
من شرط التوكل ما روي عن عمر وعن الصحابة رضي الله عنهم في قصة الطاعون فإنهم لما قصدوا الشام
انتهوا إلى الجابية بلغهم الخبر أن بها موتا ذريعا ووباء عظيما فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل
على الوباء فنلقي بأيدينا إلى التهلكة وقالت طائفة بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قضاء الله وقدره

ولا نفر من الموت فنكون كمن قال تعالى فيهم ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت
فرجعوا إلى عمر فسألوه عن رأيه فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له المخالفون في رأيه أنفر من قدر الله
فقال نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ثم ضرب لهم مثلا فقال أرأيتم لو كان لأحدكم غنم وله شعبتان إحداهما مخصبة
والأخرى مجدبة أليس إن رعى المخصبة رعى بقدر الله وإن رعى المجدبة رعى بقدر الله فقالوا نعم ثم طلب
عبد الرحمن بن عوف ليسأله عن رأيه فكان غائبا فلما أصبح جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك
فقال عندي يا أمير المؤمنين فيه شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله أكبر فقال
عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم بالوباء في أرض فلا تقدموا
عليه وإذا وقع في أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ففرح عمر بذلك وحمد الله إذ وافق رأيه و
رجع بالناس من الجابية فإذا كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أعلى المقامات إن كان
أمثال هذا من شروط التوكل فإن قلت فلم نهي عن الخروج من البلد وسبب الوباء في الطب
الهواء وأظهر طرق التداوي الفرار من المضر والهواء هو المضر فلم لم يرخص فيه فاعلم أنه لا خلاف
في أن الفرار من المضر غير منهي عنه إذ الحجامة فرار من المضر فيترك التوكل في أمثال هذا مباح فهذا
لا يدل على المقصود ولكن الذي ينقدح فيه والعلم عند الله أن الهواء لا يضر من حيث يلاقي ظاهر البدن
بل من حيث دوام الاستنشاق له فإنه إذا كانت فيه عفونة ووصل إلى الرئة والقلب وباطن
الأحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر إلا بعد طول التأثير في
الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الأثر الذي استحكم من قبل ولكنه يتوهم الخلاص فيصير
هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل و
لم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه لأنه انضاف إليه أمر آخر وهو أنه لو رخص للأصحاء في الخروج لما بقي في
البلد إلا المرضى الذين أقعدهم الطاعون وانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين ولم يبق في البلد من يسقيهم
الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتهما بأنفسهم فيكون ذلك سعيا في إهلاكهم تحقيقا وخلاصهم
منتظر كما أن خلاص الأصحاء منتظر ولو أقاموا لم تكن الإقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا
بالخلاص وهو قاطع في إهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضا والمؤمنون كالجسد
الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى إلى سائر أعضائه فهذا هو الذي ينقدح عندنا في تعليل النهي و
ينعكس هذا فيمن لم يقدم على البلد بعد فإنه لم يؤثر الهواء في باطنه ولا بأهل البلد حاجة إليه نعم لو لم
يبق في البلد إلا مطعونون وافتقروا إلى المتعهدين وقدم على البلد قوم فربما كان ينقدح استحباب
الدخول ههنا لأجل الإعانة ولا ينهى عن الدخول لأنه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر
عن بقية المسلمين ولهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الأخبار بالفرار من الزحف لأن فيه
كسر القلوب لبقية المسلمين وسعيا في إهلاكهم فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها ونظر إلى
ظواهر الأخبار والآثار تناقض عنده أكثر ما سمعه وغلط الزهاد والعباد في مثل هذا كثير و
إنما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك فإن قلت ففي ترك التداوي فضل كما ذكرت فلم لم يترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوي لينال الفضل فنقول فيه فضل بالإضافة إلى من كثرت
ذنوبه ليكفرها أو خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات أو احتاج إلى ما يذكره الموت
لغلبة الغفلة أو احتاج إلى درجة نيل الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين أو

قصرت بصيرته عن الاطلاع على ما اودع الله الادوية من لطايف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرقى او كان شغله بحاله يمنعه عن التداوي وكان التداوي يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع فالى هذه المعاني رجعت الصوارف عن ترك التداوي وكل ذلك كمالات بالاضافة الى بعض الخلق و نقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه اعلى من هذه المقامات كلها اذ كان حاله يقتضي ان يكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب وفقدها فانه لم يكن له نظر في الاحوال الا الى مسبب الاسباب ومن كان هذا مقامه لا يضره الاسباب كما ذكرنا ان الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كراهة وان كان كمالا فهو ايضا نقص بالاضافة الى من يستوي عنده وجود المال وعدمه فاستواء الذهب والحجر اكمل من الهرب عن الذهب دون الحجر وكان حاله عليه الصلوة والسلام استواء الحجر والذهب وكان لا يمسكه لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى درجتهم لا لخوفه على نفسه من امساكه فانه اعلى رتبة من ان تغره الدنيا وقد عرض عليه خزائن الارض فابى قبولها فكذلك يستوي عنده مباشرة الاسباب وتركها لمثل هذه المشاهدة وانما لم يترك استعمال الدواء جريا على سنة الله وترخيصا لامته فيما يمس اليه حاجتهم مع انه لا ضرر فيه بخلاف ادخار الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوي لا يضر الا من حيث رؤية الدواء نافعا دون خالق الدواء وهذا قد نهي عنه ومن حيث انه قد يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصي وذلك منهي عنه والمؤمن غالبا الامر لا يقصد ذلك واحد من المؤمنين لا يرى الدواء نافعا بنفسه بل من حيث انه يجعله الله سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا فحكم التداوي في مقصوده حكم الكسب فانه ان كسب للاستعانة على الطاعة او على المعصية كان له حكمها وان كسب للتنعم المباح فلا فقد ظهر بالمعاني التي اوردناها ان ترك التداوي قد يكون افضل في بعض وان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان واحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل الا ترك الموهومات كالكي والرقى فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين

بيان حكم التوكل في اظهار المرض وكتمانه اعلم ان كتمان المرض واخفاء الفقر وانواع البلاء من كنوز البر وهو من اعالي المقامات لان الرضا بحكم الله والصبر على بلاءه معاملة بين العبد وبين الله فكتمانه اسلم من الافات ومع هذا فالاظهار لا باس به اذا صحت فيه النية والمقصد و مقاصد الاظهار ثلاثة الاول ان يكون غرضه التداوي فيحتاج الى ذكره للطبيب فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المتطبب وجاعه وكان احمد بن حنبل يخبر بامراضه وقال انما اصف قدرة الله في الثاني ان يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينا في المعرفة فاراد من ذكره ان يتعلم منه حسن الصبر بل حسن الشكر بان يظهر انه يرى المرض نعمة يشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم وقال الحسن البصري اذا حمد المريض الله وشكره ثم ذكر اوجاعه لم يكن ذلك شكوى الثالث ان يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك يحسن ممن يليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما قيل لعلي رضي الله عنه في مرضه كيف انت قال بشر فنظر بعضهم الى بعض كانهم كرهوا ذلك وظنوا انه شكاية فقال اتجلد على الله فاحب ان يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والضراعة وتادب فيه بادب النبي صلى الله عليه وسلم اذا حيث مرض فسمعه رسول الله صلى الله عليه

وسلم وهو يقول اللهم صبرني على البلاء فقال لقد سالت الله البلاء فسله العافية فبهذه النيات يرخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره شكاية والشكوى من الله حرام كما ذكرناه في تحريم السؤال عن الفقراء الا بضرورة ويصير الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل الله فان خلا عن قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بان الاولى تركه لانه ربما يوهم الشكاية ولانه ربما يكون فيه تصنع ومزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن ترك التداوي توكلا فلا وجه في حقه للاظهار ولان الاستراحة من الدواء احسن من الاستراحة الى الافشاء وقد قيل في معنى قوله فصبر جميل لا شكوى فيه وقيل ليعقوب على نبينا وعليه الصلوة والسلام ما الذي اذهب بصرك قال مر الزمان وطول الاحزان فاوحى الله تعالى اليه تفرغت لشكايتي الى عبادي قال يا رب اتوب اليك وعن طاوس ومجاهد انهما قالا انه ليكتب على المريض انينه في مرضه وكانوا يكرهون انين المريض لانه اظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل ما اصاب ابليس من ايوب الا انينه في مرضه فجعل الانين حظه منه وروي اذا مرض العبد اوحى الله تعالى الى الملكين انظرا ماذا يقول لعواده فان حمد الله واثنى عليه بخير دعوا له وان شكى وذكر شرا قالا كذلك يكون وانما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام و كان بعضهم اذا مرض اغلق بابه فلم يدخل عليه احد حتى يبرا فيخرج اليهم منهم فضيل ووهب وبشر وكان يقول الفضيل اشتهي ان امرض بلا عواد وقال لا اكره العلة الا لاجل العواد ۝

تم كتاب التوحيد والتوكل بعون الله تعالى ومنه ويتلوه كتاب المحبة والشوق والرضا وهو الكتاب السادس من الربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين ۝

كتاب المحبة والشوق والانس والرضا وهو الكتاب السادس من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي نزه قلوب اوليائه عن الالتفات الى زخرف الدنيا ونضرتها وصفى اسرارهم عن ملاحظة غير حضرته ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ثم تجلى لها باسمائه وصفاته حتى اشرقت بانوار معرفته ثم كشف لها عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيداء كبريائه وعظمته فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما اغبر في وجه العقل وبصيرته وكلما همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا ايها الآيس عن نيل الحق بجهلك وعجلتك فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفتها ومحترقة بنار محبتها والصلوة والسلام على محمد خاتم الانبياء بكمال نبوته وعلى آله واصحابه سادة الخلق وائمته وقادة الحق وازمته اما بعد فان المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضا واخواتها ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر المقامات ان عز وجودها فلم تخل القلوب من الايمان بامكانها واما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع ثم بيان حقيقتها واسبابها ثم بيان ان لا مستحق للمحبة الا الله ثم بيان ان اعظم اللذات لذة النظر الى وجه الله ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الاسباب المقوية لحب الله ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله للعبد ثم بيان علامات محبة العبد لله ثم بيان معنى الانس بالله ثم بيان معنى الانبساط في الانس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته وبيان حقيقته ثم بيان ان الدعاء وكراهة المعاصي لا يناقضه وكذا الفرار من المعاصي ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة

بيان شواهد الشرع في حب العبد لله

اعلم ان الامة مجمعة على ان الحب لله تعالى ولرسوله فرض وكيف يفرض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد وان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من احب ويدل على اثبات الحب لله قوله تعالى يحبهم ويحبونه وقوله تعالى والذين آمنوا اشد حبا لله وهو دليل على اثبات الحب واثبات التفاوت فيه وقد جعل عليه الصلوة والسلام الحب لله من شرط الايمان في اخبار كثيرة اذ قال ابو رزين العقيلي يا رسول الله ما الايمان قال ان يكون الله ورسوله احب اليك مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن احدكم العبد حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن العبد حتى اكون انا احب اليه من اهله وماله والناس اجمعين وفي رواية ومن نفسه كيف وقد قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم الى قوله تعالى احب اليكم من الله ورسوله الآية فانما ذلك يجري في معرض التهديد والانكار وقد امر صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله ويروى ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك فقال استعد للفقر فقال اني احب الله فقال استعد للبلاء وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه لقد رأيته بين ابويه يغذوانه باطيب الطعام

والشراب فدعاه حب الله وحب رسوله الى ما ترون وفي الخبر المشهور ان ابراهيم على نبينا وعليه الصلوة والسلام قال لملك الموت حين جاءه ليقبض روحه هل رأيت خليلا يميت خليله فاوحى الله تعالى اليه هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فاقبض وهذا لا يجده الا عبد يحب الله بكل قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقاء انزعج قلبه اليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت اليه وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد وجاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال عليه الصلوة والسلام المرء مع من احب فقال انس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك وقال ابو بكر رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال الحسن من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن وقال ابو سليمان الداراني ان من خلق الله خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم فكيف يشتغلون عنه بالدنيا ويروى ان عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام مر بثلاثة نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخائف ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم اشد نحولا وتغيرا فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان وجوههم المرائي من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا نحب الله تعالى فقال انتم المقربون انتم المقربون وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل نائم في الثلج فقلت اما تجد البرد فقال من شغله حب الله لم يجد البرد وقال سري السقطي تدعى الامم يوم القيمة بانبيائها فيقال يا امة موسى ويا امة عيسى ويا امة محمد غير المحبين لله فانهم ينادون يا اولياء الله هلموا الى الله فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب عبدي انا وحقك لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب احب الي من عبادة سبعين سنة بلا حب وقال يحيى بن معاذ الهي اني مقيم بفنائك مشغول بثنائك صغيرا اخذتني اليك وسربلتني بمعرفتك وامكنتني من لطفك ونقلتني في الاحوال وقلبتني في الاعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقيني من حياضك وتهملني في رياضك ملازما لامرك ومشغوفا بقولك ولما طر شاربي ولاح طائري فكيف انصرف عنك اليوم كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة اليك همهمة لاني محب وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد في حب الله من الاخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك امر ظاهر وانما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به

بيان حقيقة المحبة

واسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله اعلم ان المطلب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها واسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله عز وجل فاول ما ينبغي ان يتحقق انه لا يتصور محبة الا بعد معرفة وادراك اذ لا يحب الانسان الا ما يعرفه ولذلك لم يتصور ان يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات في انقسامها تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤثر فيه بايلام وايلاذ فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه الم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب

الى ولده فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذا كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان في
الطبع ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذ فان
تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوي سمي مقتا فهذا
اصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته **الاصل الثاني** ان الحب لما كان تابعا للادراك والمعرفة
انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس ولكل حاسة ادراك لنوع من المدركات ولكل واحد منها
لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين في
الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة
الشم في الروائح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات
بالحواس ملذة كانت محبوبة اي كان للطبع السليم ميل اليها حتى قال عليه الصلوة والسلام حبب الي من دنياكم
ثلث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلوة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم انه لا حظ للعين والسمع فيه بل للشم
فقط وسمى النساء محبوبات ولا حظ فيهن الا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلوة قرة عين
وجعلها ابلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس يحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس مظنته القلب لا يدركه
الا من كان له قلب ولذات الحواس الخمس تشاركه فيها البهائم الانسان فان كان الحب مقصورا على مدركات
الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب فاذا قد بطلت خاصية
الانسان وما تميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل او بالنور او بالقلب او بما شئت من
العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات فالبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر والقلب اشد ادراكا من
العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فتكون لا محالة لذة القلوب
بما تدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن ان تدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل
الصحيح اليه اقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة كما سيأتي تفصيله فلا ينكر اذن حب الله الا من
قعد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز ادراك الحواس اصلا **الاصل الثالث** ان الانسان لا يخفى انه يحب
نفسه ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور ان يحب الانسان غيره لذاته لا لاجل نفسه هذا قد
يشكل على الضعفاء حتى يظنون انه لا يتصور ان يحب الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ الى المحب سوى
ادراك ذاته والحق ان ذلك متصور وموجود فلنبين اقسام المحبة واسبابها وبيانه ان المحبوب الاول
عند كل حي ذاته ومعنى حبه لنفسه ان في طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لان
المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب واي شيء اتم ملاءمة من نفسه ودوام وجوده واي شيء اعظم مضادة
ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا لمجرد ما يخافه بعد
الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير الم واميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به
وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض الا لمقاساة الم في الحيوة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه
زوال البلاء فان احب العدم لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلاء فالهلاك والعدم ممقوت و
دوام الوجود محبوب وكمال الوجود ايضا محبوب لان الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالاضافة الى
القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال الوجود كما انه
ممقوت في اصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان دوام اصل الوجود محبوب وهذه غريزة
في الطباع بحكم سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذا المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة اعضائه ثم ماله

وولده وعشيرته واصدقائه فالاعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لان دوام الوجود
وكماله موقوف عليها والمال محبوب لانه ايضا آلة في دوام الوجود وكماله وكذا سائر الاسباب
فالانسان يحب هذه الاشياء لا لاعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله بها حتى انه يحب ولده
وان كان لا يناله منه حظ بل يتحمل المشاق لاجله لانه يخلفه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نسله
نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكانه جزء منه لما عجز عن ان يطمع
في بقاء نفسه ابد الآباد نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر بقاء نفسه على
بقاء ولده لان بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه المحقق وكذلك حبه لاقاربه
وعشيرته يرجع الى حبه لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا بكمالهم فان العشيرة
والمال والاسباب الخارجة كالجناح المكمل للانسان وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا محالة فاذا
المحبوب الاول عند كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو
اول الاسباب **السبب الثاني الاحسان** فان الانسان عبيد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب
من احسن اليها وبغض من اساء اليها وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي
اشارة الى ان حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جبلة وفطرة لا سبيل الى تغييرها وبهذا
السبب يحب الانسان الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا اذا حقق رجع الى السبب الاول
فان المحسن من امد بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكماله وحصول الحظوظ التي
بها يتهيأ الوجود الا ان الفرق ان اعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فاما
المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب الذي يكون سببا في دوام صحة الاعضاء
ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة اذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب
لا لذاته بل لانه سبب الصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والاستاذ
محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة لكنها وسيلة
الى الطعام فاذا يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة والا فكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكل من
احب المحسن لاحسانه فما احب ذاته تحقيقا بل احب احسانه وهو فعل من افعاله لو زال لزال الحب مع
بقاء ذاته ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد ويتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان
ونقصانه **السبب الثالث** ان يحب الشيء لذاته لا لحظ يناله منه وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو
الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال
وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظنن ان حب
الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة اخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها
وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري
محبوب لا ليشرب الماء او يؤكل الخضرة او ينال منهما حظ سوى نفس الرؤية وكان عليه الصلوة والسلام
يعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والطيور
المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان ليتفرج عنه الغموم بالنظر اليها لا لطلب
حظ وراء النظر فهذه الاسباب ملذة وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة
ولا احد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له

جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال **الاصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال**. اعلم ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لا معنى للحسن والجمال
الا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة الى غير ذلك
مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغلب على الخلق حسن الابصار واكثر التفاتهم الى صور
الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا متقدرا فلا يتصور حسنه واذا لم يتصور
حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر
ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن و
هذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا كوز حسن فاي معنى لحسن الصوت والخط وسائر الاشياء
ان لم يكن الحسن الا في الصورة ومعلوم ان العين تستلذ النظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ استماع
النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من المدركات الا وهي منقسمة الى حسن وقبيح فما معنى الحسن الذي
يشترك فيه هذه الاشياء فلا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه
فنصرح بالحق ونقول كل شيء فحسنه وجماله في ان يحضر كماله الممكن اللائق به فاذا كانت جميع كمالاته الممكنة
حاضرة فهو في غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو
الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيأة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن
كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء
كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به
الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا يحسن الاواني بما يحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء
فان قلت هذه الاشياء وان لم يدرك جميعها بحسن البصر مثل الاصوات والطعام فانها لا تنفك عن ادراك
الحواس لها فهي محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادراك حسنها و
انما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق حسن
وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة
والشجاعة والقوة والتقوى والكرم والمروة وسائر خلال الخير وشيء من هذه الصفات لا يدرك بالحواس
الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخصال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند
من عرف صفاته وآية ان الامر كذلك ان الطباع مجبولة على حب الانبياء وعلى حب الصحابة مع انهم لم يشاهدوا
وعلى حب ارباب المذاهب مثل ابي حنيفة ومالك والشافعي وغيرهم حتى ان الرجل قد يجاوز حبه لصاحب مذهبه
حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق ماله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن
في امامه ومتبوعه فكم من دم اريق في نصرة ارباب المذاهب وليت شعري من يحب الشافعي مثلا فلم يحبه ولم يشاهد
قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته فاستحسانه الذي حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا
لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين و
التقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لافاضة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات في العالم
وهذه امور جميلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب ابا بكر الصديق
مثلا ليس حبه للحمه وجلده وعظمه واطرافه رضي الله عنه ويفضله على غيره او يحب عليا ويفضله على غيره
ويتعصب له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره ف

جميع مه

معلوم ان من يحب الصديق مثلا ليس يحبه للحمه وعظمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك قد زال وتبدل و
انعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقا وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السير الجميلة فكان الحب باقيا ببقاء
تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جملتها الى العلم والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر
على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب من هذين الوصفين وهما لا يدركان بالحس ومحلهما
من جملة البدن جزء لا يتجزى فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزى صورة ولون وشكل يظهر للبصر
حتى يكون محبوبا لاجله فاذا الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك
حبا فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهي الاخلاق الحميدة والفضائل الشريفة ويرجع جملتها الى كمال العلم
والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى وطبعه اذا اردنا ان نحبب اليه حاضرا
او غائبا حيا او ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال
الحميدة فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة وبغض ابي جهل و
ابليس الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقابح التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتما بالسخاوة
ووصفوا خالدا بالشجاعة احبتهم القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ ناله المحب منهم بل
اذا حكي من سيرة بعض الملوك في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير غلب حبه على القلوب
مع الياس من انتشار احسانه الى المحبين لبعد المزار ونأي الديار فاذا ليس حب الانسان مقصورا على من احسن
اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصور
ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة
الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب
عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا
على الجدار لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الانبياء لجمال صورته الباطنة **السبب الخامس
المناسبة** الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتاكد المحبة بينهما لا بسبب جمال او حظ ولكن
بمجرد تناسب الارواح كما قال عليه الصلوة والسلام الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف
وما تناكر منها اختلف وقد ذكرنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لانه
ايضا من عجائب اسباب الحب فاذا ترجع اقسام الحب الى خمسة اسباب وهي حب الانسان وجود نفسه وكماله و
بقاءه وحبه من احسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على دوام بقاءه ودفع المهلكات عنه وحب
من كان محسنا في نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه لكل جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة
او الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب كلها في شخص واحد
تضاعف الحب لا محالة كما لو كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن
الى الخلق محسن الى الوالد كان محبوبا لا محالة غاية الحب ويكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال
بحسب قوة هذه الخلال في نفسها فان كانت هذه الصفات في اقصى درجات الكمال كان الحب
لا محالة في اعلى الدرجات فلنبين الآن ان هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا في حق الله
تعالى فلا يستحق المحبة الا الله تعالى **بيان ان المستحق للمحبة هو الله تعالى** وحده وان من احب
غير الله لا من حيث نسبته الى الله تعالى فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى وان حب
الرسول محمود لانه عين حب الله وكذلك حب العلماء والاتقياء لان محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب

محبوب ومحب المحبوب محبوب مه

المحبوب مه

محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل فلا يجاوزه الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر
الا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه وايضاحه بان نرجع الى الاسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين
انها مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ولا توجد في غيره الا احادها وانها حقيقة في حق الله ووجودها
في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد
ما يتخيله ضعفاء العقول من استحالة حب الله تحقيقا وبان ان التحقيق يقتضي ان لا يحب احد غير الله
فاما السبب الاول وهو حب الانسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه و
عدمه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حي ولا يتصور ان ينفك عنها وهذا غاية المحبة لله تعالى فان من عرف
نفسه وعرف ربه عرف قطعا انه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال
وجوده من الله وبالله والى الله فهو المخترع الموجد له والمبقي له والمكمل لوجوده بخلق صفات
الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث
ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله عليه بالايجاد وهو هالك
عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته
وبالجملة فليس في الوجود شيء له قوام بنفسه الا القيوم الحي الذي هو قائم بذاته فكل ما سواه قائم به
فان احب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان
عرفه خالقا موجدا مخترعا ومبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه
والمحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصري
من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور ان يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذي به
قوام نفسه ومعلوم ان المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فبالضرورة انه يحب الاشجار التي بها قوام الظل
وكل ما في الوجود بالاضافة الى قدرة الله تعالى هو كالظل بالاضافة الى الشجر والنور بالاضافة الى الشمس
فان الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما ان وجود النور تابع لوجود الشمس ووجود الظل
تابع للشجر بل هذا المثال صحيح بالاضافة الى اوهام العوام اذ يتخيلون ان النور اثر الشمس وفائض منها
وموجود بها وهذا خطأ محض اذ انكشف لارباب القلوب انكشافا اظهر من مشاهدة الابصار
ان النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعا عند المقابلة بين الشمس وبين الاجسام الكثيفة كما ان
نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها ايضا حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من الامثلة
التفهيم فلا تطلب فيها الحقائق فاذا ان كان حب الانسان نفسه ضروريا فحب من به قوامه اولا ودوامه
ثانيا في اصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره واعراضه ايضا ضروري ان عرف ذلك كذلك ومن خلا
عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته واقتصر نظره على شهواته
ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذي تشاركه البهائم في التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذي
لا يطأ ارضه الا من يقترب الى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر
انحطاطه الى حضيض عالم البهائم واما السبب الثاني وهو حب من احسن اليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه
وامده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع اعداءه وقام بدفع شر الاشرار عنه وانتهض وسيلة الى جميع حظوظه
واغراضه في نفسه واولاده واقربائه فانه محبوب لا محالة عنده وهذا بعينه يقتضي ان لا يحب الا الله تعالى
فانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان المحسن اليه هو الله تعالى فقط فاما انواع احسانه الى كل عبيده فلست اعدها

اذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد اشرنا الى طرف منه في
كتاب الشكر ولكنا نقتصر الان على بيان ان الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله
تعالى ولنفرض ذلك فيمن انعم عليك بجميع خزائنه ومكنك منها لتتصرف كيف تشاء فانك تظن ان هذا
الاحسان منه وهو غلط فانه انما تم احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف
المال اليك فمن الذي انعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق داعيته ومن الذي حببك اليه وصرف وجهه
اليك والقى في نفسه ان صلاح دينه ودنياه في الاحسان اليك ولولا كل ذلك لما اعطاك حبة من ماله و
مهما سلط الله عليه الدواعي واوقع في نفسه ان صلاح دينه ودنياه في ان يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا في
التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن هو الذي اضطره وسخره لك وسلط عليه الدواعي الباعثة المرهقة الى
الفعل واما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك وصاحب اليد مضطر فيه اضطرار مجرى الماء في جريان الماء
فيه فان اعتقدته محسنا او شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الامر
فانه لا يتصور الاحسان من الانسان الا الى نفسه اما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله
الا لغرض له في البذل اما آجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنة والاستسخار او الثناء والصيت والاشتهار
بالسخاء والكرم او جذب قلوب الخلق الى الطاعة والمحبة له وكما ان الانسان لا يلقي ماله في البحر اذ لا غرض له فلا يلقيه
في يد انسان الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده واما انت فلست مقصودا بل يدك آلة له في
القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء او الشكر او الثواب بسبب قبضك المال فقد استسخرك في القبض للتوصل
الى غرض نفسه فهو اذا محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو ارجح عنده من ماله ولولا رجحان
ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لاجلك اصلا البتة فاذا هو غير مستحق للشكر والحب من جهتين احدهما
انه مضطر بتسليط الله الدواعي عليه فلا قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى
محسنا بتسليم خلعة الامير الى من خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر
على مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلم ذلك اليك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبذل حبة من
ماله حتى سلط الله عليه الدواعي والقى في نفسه ان حظه دينا ودنيا في بذله فبذله لذلك والثاني انه معتاض
عما بذله حظا هو اوفى عنده واحب مما بذله فكما لا يعد البائع محسنا لانه بذل بعوض هو احب عنده مما
بذل فكذلك الواهب اعتاض الثواب او الحمد او الثناء او عوضا اخر وليس من شرط العوض ان يكون عينا
متمولا بل الحظوظ كلها اعواض تستحقر الاموال والاعيان بالاضافة اليها فالاحسان في الجود والجود هو
بذل المال من غير عوض وحظ يرجع اليه فانه متعال عن الاغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره
مجاز وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان فان كان في
الطبع حب المحسن فينبغي ان لا يحب العارف الا الله تعالى اذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده
واما غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته واما السبب الثالث وهو حبك
المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه فهذا ايضا موجود في الطباع فاذا بلغك خبر ملك عالم عادل
رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من اقطار الارض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر ظالم
متكبر فاسق متهتك شرير وهو ايضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما اذ تجد في القلب ميلا
الى الاول وهو الحب ونفرة من الثاني وهو البغض مع انك آيس من خير الاول وآمن من شر الثاني لانقطاع
طمعك عن التوغل الى بلادهما فهذا هو حب المحسن من حيث انه محسن لا من حيث انه محسن اليك فهذا ايضا يقتضي

حب الله بل يقتضي ان لا يحب غيره اصلا الا من حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن الى الكافة
المتفضل على جميع اصناف الخلائق اولا بايجادهم وثانيا بتكميلهم بالاعضاء والاسباب التي هي من
ضروراتهم وثالثا بترفيههم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم يكن في مظان الضرورة
ورابعا بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري
من الاعضاء الراس والقلب والكبد ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استقواس
الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة و
مثال الضرورة من النعم الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه
ومثال المزايا والزوائد خضرة الاشجار وحسن اشكال الانوار والازهار ولذائذ الفواكه
والاطعمة التي لا تنخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل
نبات بل لكل صنف من اصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الثرى فاذا هو المحسن فكيف يكون
غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان
وخالق اسباب الاحسان فالحب بهذه العلة لغيره ايضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة
الا الله واما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء ادراك الجمال فقد بينا انه مجبول
في الطباع وان الجمال ينقسم الى جمال الصور الظاهرة المدركة بعين الراس والى جمال الصور الباطنة المدركة
بعين القلب ونور البصيرة فالاول يدركه الصبيان والبهائم والثاني يختص بدركه ارباب القلوب
ولا يشاركهم فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فان كان
مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء والعلماء وذوي المكارم السنية
والاخلاق المرضية فان ذلك متصور مع تشويش صورة الوجه وسائر الاعضاء وهو المراد بحسن
الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك بآثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل القلب عليه مال
القلب اليه فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم او الصديق رضي الله عنه او الشافعي رحمة الله عليه
فلا يحبهم الا لحسن ما ظهر منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن افعالهم بل دل حسن الافعال على حسن
الصفات التي هي مصدر الافعال اذ الافعال آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن رأى حسن تصنيف المصنف
وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الافعال صفاتها الجميلة
الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة وكلما كان المعلوم اشرف واتم جمالا واعظم كان
العلم اشرف واجمل وكذا المقدور فكلما كان اعظم رتبة واجل منزلة كانت القدرة عليه اجل رتبة و
اشرف قدرا واجل المعلومات هو الله تعالى فلا جرم احسن العلوم واشرفها معرفة الله تعالى وكذلك
ما يقاربه ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به فاذا جمال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعا يرجع
الى ثلاثة امور احدها علمهم بالله وملائكته ورسله وشرائع انبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح انفسهم و
اصلاح عباد الله بالارشاد والسياسة والثالث تنزههم عن الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة
عن سنن الخير الجاذبة الى طريق الشر وبمثل هذا يحب الانبياء والخلفاء والعلماء والملوك الذين هم اهل
العدل والكرم فانسب هذه الصفات الى صفات الله تعالى اما العلم فاين علم الاولين والآخرين من علم الله الذي
يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقد
خاطب الخلق كلهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا بل لو اجتمع اهل الارض والسماء على ان يحيطوا بعلمه وحكمته في

بتحصيلهم ص

جمالا وعظما

صفات ص

تفصيل خلق نملة او بعوضة لم يطلعوا على عشر عشير ذلك ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والقدر
اليسير الذي علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى خلق الانسان علمه البيان فان كان جمال العلم وشرفه
امرا محبوبا وكان هو في نفسه زينة وكمالا للموصوف به فلا ينبغي ان يحب بهذا السبب الا الله فعلوم العلماء
جهل بالاضافة الى علمه بل من عرف اعلم اهل زمانه واجهل اهل زمانه استحال ان يحب بسبب العلم الاجهل ويترك
الاعلم وان كان الاجهل لا يخلو عن علم ما تتقاضاه معيشته والتفاوت بين علم الله وبين علم الخلائق اكثر من
التفاوت بين علم اعلم الخلق واجهلهم لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا بعلوم معدودة متناهية يتصور في الامكان
ان ينالها الاجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله سبحانه وتعالى على علوم الخلائق كلهم خارج عن النهاية اذ
معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية واما صفة القدرة فهي ايضا كمال والعجز نقص فكل كمال وبهاء
وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وادراكه لذيذ حتى ان الانسان ليسمع في الحكايات شجاعة علي وخالد وغيرهما
من الشجعان وقدرتهما واستيلاءهما على الاقران فيصادف في قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد لذة
السماع فضلا عن المشاهدة ويورث ذلك حبا ضروريا في القلب للمتصف به فانه نوع كمال فانسب الآن قدرة الخلق
كلهم الى قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص قوة واوسعهم ملكا واقواهم بطشا واقهرهم للشهوات واقمعهم لخبائث
النفس واجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره ما منتهى قدرته وانما غايته ان يقدر على بعض صفات
نفسه وعلى بعض الاشخاص من الانس في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا نفعا ولا
ضرا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عد ما يعجز
عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته فضلا عما لا يتعلق به قدرته من ملكوت السموات والافلاك
وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيوانها وجميع اجزائها فلا
قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق
قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضا على اقوى شخص واعظم ملك لاهلكته فليس
للعبد قدرة الا بتمكين مولاه كما قال في اعظم ملوك الارض ذي القرنين انا مكنا له في الارض فلم يكن جميع
ملكه وسلطنته الا بتمكين الله اياه في جزء من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة الى اجسام العالم وجميع الولايات
التي يحظى بها الناس من الارض غبرة من تلك المدرة ثم تلك الغبرة ايضا من فضل الله تعالى وتمكينه فيستحيل ان
يحب عبدا من عباد الله لقدرته وسياسته وتمكنه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر والسموات مطويات بيمينه والارض وما عليها في قبضته
ونواصي جميع الخلائق في قبضة قدرته ان اهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق
امثالهم الف مرة لم يعي بخلقه ولا يمسه لغوب ولا فتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر الا وهو اثر من آثار قدرته
فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور ان يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق
الحب بكمال القدرة الا الله فاما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقدس عن الرذائل والخبائث فهو
احد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصورة الباطنة والانبياء والصديقون وان كانوا منزهين
عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقدس والتنزه الا للواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والاكرام
واما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه مخلوقا مسخرا مضطرا هو عين النقص والعيب فالكمال
لله وحده وليس في المقدور ان ينعم بمنتهى الكمال على غيره فان منتهى الكمال اقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخرا
لغيره قائما بغيره وذلك محال في حق غيره فهو المنفرد بالكمال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب وشرح

كما

ت

هين

وليس لغيره كمال الا بقدر ما اعطاه ص

وجوه التقديس والتنزيه في حقه عن النقائص يطول وهو من أسرار علوم المكاشفة فلا نطول به فهذا الوصف
أيضاً إن كان كمالاً وجمالاً محبوباً فلا تتم حقيقته إلا له وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقاً بل بالإضافة إلى
ما هو أشد نقصاناً منه كما أن للفرس كمالاً بالإضافة إلى الحمار وللإنسان كمالاً بالإضافة إلى الفرس وأصل النقص
شامل للكل وإنما يتفاوتون في درجات النقصان فإذاً الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد الذي لا ند
له الفرد الذي لا ضد له الصمد الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض القاهر
الذي لا يخرج عن قبضته وقدرته أعناق الجبابرة ولا ينفلت عن سطوته وبطشه رقاب القياصرة
الأزلي الذي لا أول لوجوده الأبدي الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحوم إمكان العدم حول
حضرته القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والأرض خالق الجماد والحيوان و
النبات المتفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والجمال والبهاء والقدرة
والكمال الذي تتحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه الألسنة كمال معرفة العارفين الاعتراف
بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الأنبياء الإقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه
وعليهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال سيد الصديقين رضي الله عنه سبحان من لم يجعل للخلق
طريقاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته فليت شعري من ينكر إمكان حب الله تحقيقاً ويجعله مجازاً أينكر أن هذه الأوصاف
من أوصاف الجمال والمحامد ونعوت الجمال والمحاسن أو ينكر كون الجمال والكمال والبهاء والعظمة محبوباً بالطبع
عند من أدركه فسبحان من احتجب عن أبصار العميان غيرة على جماله وجلاله أن يطلع عليه إلا من سبقت له منه الحسنى
الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات
البهائم يترددون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون فالحب
بهذا السبب أقوى من الحب بالإحسان لأن الإحسان يزيد وينقص ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود إن أود
الأوداء إلي من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور من أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم
أخلق جنة ولا ناراً ألم أكن أهلاً أن أطاع ومر عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام على طائفة من العباد
قد نحلوا فقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم مخلوقاً خفتم ومخلوقاً رجوتم ومر بقوم آخرين كذلك
فقالوا نعبده حباً له وتعظيماً لجلاله فقال أنتم أولياء الله حقاً معكم أمرت أن أقيم وقال أبو حازم إني
لأستحي أن أعبده للثواب والعقاب فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل وكالأجير السوء إن لم يعط
أجره لم يعمل وفي الخبر لا يكونن أحدكم كالأجير السوء إن لم يعط لم يعمل ولا كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل
وأما السبب الخامس للحب فهو المناسبة والمشاكلة إذ شبه الشيء منجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل و
لذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر عن غير نوعه وأنس العالم
بالعالم أكثر منه بالمحترف وأنس النجار بالنجار أكثر منه بالفلاح وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهد له الأخبار
والآثار كما استقصيناه في باب الأخوة في الله من كتاب آداب الصحبة فليطلب منه وإذا كانت المناسبة سبب
المحاب فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي للصبي في معنى الصبا وقد تكون خفياً
حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع في مال أو
في غيره كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم إذ قال الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر
منها اختلف فالتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب أيضاً يقتضي حب الله لمناسبة باطنة

أو ينكر كون الله تعالى موصوفاً بها

وأما السبب الخامس

لا ترجع إلى المشابهة في الصور والأشكال بل إلى معانٍ باطنة يجوز أن يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز
أن يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق إذا استكملوا شرط السلوك
فالذي يذكر هو قرب العبد من الله تعالى في الصفات التي هي الصفات الإلهية من البر والإحسان والعلم
واللطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وإرشادهم إلى الحق ومنعهم من الباطل إلى غير ذلك من
مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب إلى الله تعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات وأما ما يجوز أن يسطر في
الكتب كالمناسبة الخاصة التي اختص بها الآدمي فهي التي يومئ إليها قوله تعالى قل الروح من أمر ربي إذ بين أنه أمر
رباني خارج عن حد عقول البشر وأشير إليه قوله تعالى إنا جعلناك خليفة في الأرض إذ لم يستحق آدم خلافة الله إلا
بتلك المناسبة وإليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم على صورته حتى ظن القاصرون أن لا صورة إلا
الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا وصوروا وجسموا تعالى رب الأرباب عما يقول الجاهلون علواً كبيراً وإليه
الإشارة بقوله تعالى مرضت فلم تعدني وهذه المناسبة لا تظهر إلا بالمواظبة على النوافل بعد إحكام الفرائض كما قال
تعالى لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به و
لسانه الذي ينطق به وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه إلى قاصرين مالوا إلى التشبيه الظاهر وإلى
غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة إلى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم أنا الحق وضل النصارى في عيسى بن مريم
فقالوا هو الإله وقال آخرون تدرع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به وأما الذين انكشف لهم استحالة
التشبيه والتمثيل واستحالة الحلول والاتحاد واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الأقلون ولعل أبا الحسين النوري عن هذا
المقام كان ينظر إذ غلبه الوجد في قول القائل **شعر** لا زلت أنزل من ودادك منزلاً تتحير الألباب عند نزوله فلم يزل
يعدو في وجده على أجمة قد قطع قصبها وبقيت أصوله حتى تشققت قدماه وتورمتا ومات من ذلك رحمه الله وهذا هو أعظم أسباب الحب
وأقواها وهو أعزها وأبعدها وأقلها وجوداً فهذه هي المعلومة من أسباب الحب وجملتها متظاهرة في حق الله تعالى تحقيقاً لا
مجازاً وفي أعلى الدرجات لا في أدناها فكان المعقول المقبول عند ذوي البصائر حب الله تعالى فقط كما أن المعقول
الممكن عند العميان حب غير الله فقط ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الأسباب يتصور أن يحب غيره لمشاركته إياه في
السبب والشركة نقصان في الحب وغض من كماله ولا ينفرد أحد بوصف محبوب إلا وقد يوجد له شريك فيه فإن لم يوجد
فيمكن أن يوجد إلا الله تعالى فإنه موصوف بهذه الأوصاف التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شريك له فيه وجوداً ولا
يتصور أن يكون ذلك إمكاناً فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان إلى حبه كما لا يتطرق الشركة إلى صفاته
فهو المستحق إذاً لأصل المحبة ولكمال المحبة استحقاقاً لا يساهم فيه أصلاً

بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى

والنظر إلى وجهه الكريم وأنه لا يتصور أن يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة اعلم أن اللذات
تابعة للإدراكات والإنسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها مقتضى
طبعها الذي خلقت له فإن هذه الغرائز ما ركبت في الإنسان عبثاً بل خلق كل قوة وغريزة لأمر من الأمور هو مقتضاها
بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلاً خلقت
لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذا لذة السمع والبصر
والشم في الاستماع والإبصار والاستنشاق فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة بالإضافة إلى مدركاتها فكذلك في
القلب غريزة تسمى النور الإلهي لقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة
الباطنة وقد تسمى نور الإيمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالأسامي فإن الاصطلاحات مختلفة والضعيف
يظن أن الاختلاف واقع في المعاني لأن الضعيف يطلب المعاني من الألفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق

أمر فيها بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا بأخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات

لموسى عليه السلام

فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام

لسائر اجزاء البدن بصفة يدرك بها المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراك خلق العالم وافتقاره الى خالق مدبر
حكيم موصوف بصفات الالهية ولنسم تلك الغريزة عقلا بشرط ان لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المناظرة و
المجادلة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية والا فالصفة التي فارق الانسان البهائم بها وبها يدرك معرفة الله
تعالى اعز الصفات فلا ينبغي ان يذم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الامور كلها فمقتضى طبعها العلم والمعرفة وهي
لذتها كما ان مقتضى طبع سائر الغرائز هي لذتها وليس يخفى ان في العلم والمعرفة لذة حتى ان الذي ينسب الى العلم ولو في شيء خسيس
يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شيء حقير يغتم به حتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمدح به في
الاشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل
ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعر من كمال الذات به فان العلم من اخص صفات الربوبية وهو منتهى الكمال ولذلك
يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وجمال علمه
فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير امر الخلق ولا
لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف
العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم حتى ان الذي يعرف بواطن احوال الناس ويخبر بها يجد له لذة وان جهله
يتقاضاه طبعه ان يتفحص فان علم بواطن احوال رئيس البلد واسرار تدبيره في رياسته كان ذلك الذ عنده
واطيب من علمه بباطن حال حائك او فلاح فان اطلع على اسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه
في امر الوزارة فهو اشهى عنده والذ من علمه بباطن اسرار الرئيس فان كان خبيرا بباطن احوال الملك و
السلطان الذي هو المستولي على الوزير كان ذلك اطيب عنده والذ من علمه بباطن الوزير وكان تمدحه
بذلك وحرصه على البحث عنه اشد وحبه له اكثر لان لذته فيه اعظم فبهذا استبان ان الذ المعارف اشرفها
وشرفها بحسب شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به الذ
العلوم لا محالة واشرفها واطيبها فليت شعري هل في الوجود شيء اجل واعلى واشرف واكمل واعظم من خالق
الاشياء كلها ومكملها ومزينها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومصورها ومرتبها وهل يتصور
ان يكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال اعظم من الحضرة الربوبية التي لا يحيط بمبادي
جلالها وعجائب احوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع
على اسرار الربوبية والعلم بترتيب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هي اعلى انواع المعارف والاطلاعات
والذها واطيبها واشهاها واحرى ما تستشعر النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها واجدر ما
يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين ان العلم لذيذ وان الذ العلوم العلم بالله تعالى
وصفاته وافعاله وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان يعلم ان لذة المعرفة
اقوى من سائر اللذات اعني لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس فان اللذات مختلفة
بالنوع اولا كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة ولذة الرياسة وهي مختلفة بالضعف و
القوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع بالاضافة الى لذة الفاتر الشهوة وكمخالفة لذة النظر الى الوجه
الجميل البالغ في الجمال بالاضافة الى ما دونه في الجمال وانما يعرف اقوى اللذات بان تكون مؤثرة على
غيرها فان المخير بين النظر الى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة اذا اختار
النظر الى الصورة الجميلة علم ان الصورة الجميلة الذ عنده من الروائح الطيبة وكذلك اذا حضر الطعام و
قت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به ان لذة الغلبة في الشطرنج اقوى

امر

النظر اليه

عنده من لذة الاكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول اللذات تنقسم الى
ظاهرة كلذات الحواس الخمس والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيره اذ ليست هذه اللذات
للعين والانف والاذن ولا للمس ولا للذوق والمعاني الباطنة اغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة
فلو خير الرجل بين لذة الهريسة والدجاج المسمن واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الاعداء ونيل درجة
الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد البهيمية اختار الهريسة والحلاوة وان كان علي الهمة
كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت اياما كثيرة فاختياره للرياسة يدل
على انها الذ عنده من الطيبات المطعومات نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي او
الذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه فلا يبعد ان يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسة وكما ان لذة الرياسة
والكرامة اغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبى والعته فلذة معرفة الله ومطالعة جمال الحضرة الربوبية والنظر
الى اسرار الامور الالهية الذ من الرياسة التي هي اعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه ان يقال فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وانه اعد لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا
الان لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والتفكر والذكر وينغمس
في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين يرأسهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونها
مشوبة بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها وكونها مقطوعة بالموت الذي لا بد من اتيانه مهما اخذت الارض
زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها فيستعظم بالاضافة اليها لذة معرفة الله ومطالعة
صفاته وافعاله ونظام مملكته من اعلى عليين الى اسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات والمكدرات متسعة
للمترادين عليها لا يضيق عنهم بكثرتهم وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض واذا اخرج النظر
عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والارض يرتع
في رياضها ويقطف من ثمارها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي ابدية
سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى اذ محله الروح الذي هو امر رباني سماوي
وانما الموت يغير احوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها فاما ان يعدمها فلا قال تعالى
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الاية ولا تظنن ان هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فان للعارف
بكل نفس درجة الف شهيد وفي الخبر ان الشهيد يتمنى في الاخرة ان يرد الى الدنيا ليقتل مرة اخرى
لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وان الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء فاذا
جميع اقطار ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوأ منها حيث يشاء من غير حاجة الى ان يتحرك اليها بجسمه
وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق
بعضهم على بعض اصلا الا انهم يتفاوتون في سعة منتزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم
وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنة اقوى في حق ذوي
الكمال من لذات الحواس كلها وان هذه اللذة لا تكون للبهيمة ولا للصبي ولا للمعتوه وان لذة المحسوسات والشهوة
تكون لذوي الكمال مع لذة الرياسة ولكن تؤثر الرياسة فاما كون معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله و
ملكوت سماواته واسرار ملكه اعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن
اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على
لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانها على لذة شم البنفسج عند العنين لانه فقد الصفة التي بها تدرك

ض

ف

هذه اللذات ولكن من سئل امر الجنة وسلم جانب شمر ادرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان
يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب معرفة الامور الالهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة
عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها فانها ايضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها
غير شريفة شرف المعلومات الالهية فاما من طال فكره في معرفة الله وقد انكشف له من اسرار ملك الله ولو الشيء اليسير
فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه و
سروره وهذا مما لا يدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله الذ الاشياء
وانه لا لذة فوقها ولهذا قال ابو سليمان الداراني ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف
يشغلهم الدنيا عن الله ولهذا قال بعض اخوان معروف الكرخي له اخبرني يا ابا محفوظ اي شيء اهاجك الى العبادة والانقطاع عن
الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال واي شيء الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال واي شيء القبر فقال خوف
النار ورجاء الجنة فقال اي شيء هذا ان ملكا هذا كله بيده ان احببته انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه
معرفة كفاك جميع هذا وفي اخبار عيسى اذا رايت الفتى مشغوفا بطلب الرب فقد الهاه ذلك عما سواه وراى بعض
الشيوخ بشر بن الحارث في المنام فقال ما فعل ابو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة
بين يدي الله ياكلان ويشربان قلت فانت قال علم الله قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني النظر
اليه وعن علي بن الموفق قال رايت في المنام كاني ادخلت الجنة فرايت رجلا قاعدا على مائدة وملكان
عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلا آخر قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم
فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرايت في سرادق العرش رجلا قد شخص
ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره و
لا شوقا الى جنته بل حبا له فاباحه الله النظر اليه الى يوم القيمة وذكر ان الآخرين بشر بن الحارث واحمد بن حنبل
ولذلك قال ابو سليمان من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه
فهو غدا مشغول بربه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فاكون
كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه وقالت في معنى المحبة نظما **شعر** احبك حبين حب الهوى ✱
وحبا لانك اهل لذاكا ✱ فاما الذي هو حب الهوى ✱ فشغلي بذكرك عمن سواكا ✱ واما الذي انت اهل له ✱
فكشفك للحجب حتى اراكا ✱ فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ✱ ولكن لك الحمد في ذا وذاكا ✱ ولعلها ارادت بحب الهوى حب
الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بالحظوظ العاجلة وبحبه لما هو اهل له الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها
وهو اعلى الحبين واقواهما ولذة مطالعة جمال الحضرة الربوبية هي التي عبر عنها صلى الله عليه وسلم اعددت
لعبادي ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد يتعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن
انتهى صفاء قلبه الى الغاية وقال بعضهم اني اقول يا رب يا الله فاجد ذلك اثقل على قلبي من الجبال لان النداء
يكون من وراء الحجاب وهل رايت جليسا ينادي جليسه وقال اذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق
بالحجارة اي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنونا او كفرا فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه
فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما اخفي لهم منها واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب
مستغرقا بنعيمها فلو القي في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليه لكمال النعيم و
بلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لا يفهم الا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه
الله تعالى وما له صورة ولا شكل واي معنى لوعد الله به عباده وذكره بانه اعظم النعم بل من عرف الله

عرفان اللذات بالشهوات المختلفة كلها منطوية تحت هذه اللذة كما قال بعضهم ✱ كانت لقلبي اهواء مفرقة ✱
فاستجمعت مذ راتك العين اهوائي ✱ فصار يحسدني من كنت احسده ✱ وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي ✱
تركت للناس دنياهم ودينهم ✱ شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي ✱ ولذلك قال بعضهم ✱ وهجره اعظم من ناره ✱
ووصله اطيب من جنته ✱ وما ارادوا بذلك الا ايثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنكاح
فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله فقط ومثال اطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره
وهو ان الصبي في اول حركته وتمييزه تظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده الذ
من سائر الاشياء ثم تظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها اللعب ثم
تظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول اليها ثم تظهر لذة الرياسة والعلو
والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا واغلبها واقواها كما قال تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر الآية
ثم بعد هذا تظهر غريزة اخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة افعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها
وكل متاخر فهو اقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ
وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكما ان الصبي يضحك على من يترك
اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة
الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون

بيان السبب في زيادة لذة النظر في الآخرة

على المعرفة في الدنيا اعلم ان المدركات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة و
الاجسام المتلونة المتشكلة من اشخاص الحيوان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما
ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغير ذلك ومن راى انسانا ثم غض بصره وجد صورته حاضرة
في خياله كانه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وابصر ادرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف
بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف
فان صورة المرئي صارت بالرؤية اتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل ضوء النهار
ثم يرى عند تمام الضوء فانه لا يفارق احد الحالين الاخرى الا في مزيد الانكشاف فاذا الخيال اول الادراك
والرؤية هي استكمال الادراك وهو غاية الكشف وسمي ذلك رؤية لانه غاية الكشف لا لانه في العين
بل لو خلق هذا الادراك الكامل المكشوف في الجبهة او الصدر مثلا لاستحق ان يسمى رؤية فاذا فهمت هذا في المتخيلات
فاعلم ان المعلومات التي لا تتشكل في الخيال ايضا لمعرفتها وادراكها درجتان احداهما اول والثانية
استكمال له وبين الاول والثاني من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح ما بين المتخيل والمرئي فيسمى الثاني ايضا
بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية انما سميت رؤية لانها غاية
الكشف وكما ان سنة الله جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين
البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية وما لم يرتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخيل فكذلك
مقتضى سنة الله ان النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من
الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة من الخيال بل هذه الحيوة
حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب كونها حجابا يطول ولا يليق بهذا
العلم ولذلك قال تعالى لموسى لن تراني وقال تعالى لا تدركه الابصار اي في الدنيا والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما راى الله تعالى ليلة المعراج فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة

عنها بالكلية وان كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي فسد بطول تراكم
الخبث جوهرها فلا تقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم ابد الاباد نعوذ بالله من
ذلك ومنها ما لم ينته الى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا
يقمع منه الخبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية واقلها لحظة خفيفة و
اقصاها في حق المؤمنين كما وردت به الاخبار سبعة الاف سنة ولن يرتحل نفس عن هذا العالم الا و
تصحبها غبرة وكدورة ما وان قلت ولذلك قال تعالى وان منكم الا واردها الاية فكل نفس مستيقنة
للورود على النار وغير مستيقنة للصدر منها فاذا اكمل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب اجله ووقع
الفراغ من جملة ما وعد به الشرع من العرض والحساب وغيره ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم
يطلع الله عليه احدا من خلقه فانه واقع بعد القيامة ووقت القيامة مجهول فعند ذلك تستعد لصفائه ونقائه
عن الكدورات حيث لا ترهق وجهه غبرة ولا قترة لان يتجلى فيه الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف
تجليه بالاضافة الى ما علمه كانكشاف تجلي المرئيات بالاضافة الى ما تخيله وهذه المشاهدة والتجلي هو الذي
تسمى رؤية فاذا الرؤية حق بشرط ان لا تفهم من الرؤية استكمال الخيال في متصور متخيل مخصوص بجهة ومكان فان
ذلك مما يتعالى عنه رب الارباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير
وشكل وصورة فتراه في الاخرة كذلك بل اقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال
الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الاخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف الا من
حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا المثال في استكمال الخيال بالرؤية فاذا لم يكن في معرفة الله تعالى اثبات
صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح الى غاية الكشف ايضا جهة و
صورة لانها هي بعينها الا في زيادة الكشف واليه الاشارة بقوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون
ربنا اتمم لنا نورنا اذ تمام النور لا يؤثر الا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون
في الدنيا لان المعرفة هي البذر التي ينقلب في الاخرة مشاهدة كما ينقلب النواة شجرا والبذر زرعا ومن لا نواة
له فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع البذر فكيف يحصد الزرع فكذلك من لم يعرف الله في الدنيا فكيف يراه في الاخرة ولما كانت
المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي ايضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف
المعارف كاختلاف النبات بالاضافة الى اختلاف البذر اذ يختلف لا محالة بقلتها وكثرتها وحسنها وقوتها و
ضعفها ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان الله يتجلى للمؤمنين عامة ولابي بكر خاصة فلا ينبغي ان يظن ان غير
ابي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده ابو بكر رضي الله عنه بل لا يجد الا عشر عشيره ان
كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره فلما فضل الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به و
كما انك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المنكوح والمطعوم وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف
مشكلات ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية على الرياسة وعلى المطعوم والمشروب و
المنكوح جميعا فكذلك يكون في الاخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع
نعيمها الى المنكوح والمطعوم وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفناه من ايثار لذة العلم و
المعرفة والاطلاع على اسرار الربوبية على المنكوح والمشروب وسائر الخلق مشغولون به ولذلك
لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة فقالت الجار ثم الدار فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة فكل من لم يعرف
الله في الدنيا فلا يراه في الاخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الاخرة ما لم يصحبه من

الدنيا فلا يحصد احد الا ما زرع ولا يحشر المرء الا على ما مات عليه ولا يموت الا على ما عاش عليه فما
صحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه فقط الا انها تنقلب مشاهدة بكشف الغطاء فيتضاعف
اللذة به كما يتضاعف لذة العاشق اذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك منتهى
لذته وانما طيبة الجنة ان لكل واحد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي الا لقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره بل
ربما يتأذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله بقدر معرفته فاصل السعادات هي المعرفة التي
عبر الشرع عنها بالايمان فان قلت فلذة الرؤية ان كانت لها نسبة الى لذة المعرفة فهي قليلة وان كانت
اضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى ان يستحقر سائر
لذات الجنة فيها فاعلم ان هذا الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة فكيف يدرك
لذتها وان انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فللعارفين في معرفتهم
وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها ثم هذه اللذة مع
كمالها لا نسبة لها اصلا الى لذة اللقاء والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق الى رؤيته ولا للذة
استنشاق روائح الاطعمة الشهية الى ذوقها ولا للذة اللمس باليد الى لذة الوقاع واظهار عظم التفاوت بينهما
لا يمكن الا بضرب مثال فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق في الدنيا تتفاوت باسباب احدها كمال جمال المعشوق و
نقصانه فان اللذة في النظر الى الاجمل اكمل لا محالة والثاني كمال قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من
اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه والثالث كمال الادراك فليس التذاذه برؤية المعشوق في
ظلمة او من وراء ستر رقيق او من بعد كالتذاذه بادراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا ادراك لذة
المضاجعة مع ثوب حائل كادراكها مع التجرد والرابع اندفاع العوائق المشوشة والالام الشاغلة للقلب فليس
التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر الى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور او المريض المتألم او المشغول
قلبه بمهم من المهمات فقدر عاشقا ضعيف العشق ينظر الى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد
بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتمعت عليه فيها عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه
فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه فلو طرأت على الفجاءة حالة انهتك بها الستر
واشرق بها الضوء واندفعت عنه المؤذيات وبقي سليما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق
المفرط حتى بلغ اقصى الغايات فانظر كيف يتضاعف اللذة حتى لا يبقى للذة الاولى اليه نسبة
يعتد بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به و
العقارب والزنابير مثال الشهوات المتسلطة على الانسان من العطش والجوع والغضب والغم والحزن
وضعف الشهوة والحب مثال القصور النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق الى الملأ الاعلى والتفاتها
الى اسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته الى اللعب بالعصفور فالعارف
وان قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور ان يخلو عنها البتة نعم قد تضعف هذه
العوائق في بعض الاحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد
القلب يتفطر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقل ما يدوم بل يعرض من الشواغل والافكار والخواطر ما
ينغصه ويشوشه وهذه ضرورة دائمة في هذه الحياة الفانية وانما الحياة الطيبة بعد الموت وانما العيش
عيش الاخرة وان الدار الاخرة لهي الحيوان وكل من انتهى الى هذه الرتبة فانه يحب لقاء الله تعالى فيحب
الموت ولا يكرهه الا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له والاحا

بكنه جلال الله تعالى وكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وبافعاله وباسرار مملكته وقويت كثر النعيم في
الاخرة وعظمت كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا في الدنيا
ولا يزرع الا في صعيد القلب ولا حصاد الا في الاخرة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم افضل السعادات
طول العمر في طاعة الله لان المعرفة انما تكثر وتكمل وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة
والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب وذلك يستدعي زمانا لا محالة فمن احب الموت احبه لانه راى
نفسه واقفا في المعرفة بالغا الى منتهى ما يسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل مزيد معرفة يحصل له بطول
العمر وراى تقصيره فيما يحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند اهل المعرفة واما سائر الخلق
فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا ان اتسعت احبوا البقاء وان ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران
مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة والعلم والمعرفة اساس كل سعادة فقد عرفت بما
ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى لذة
الرؤية ومعنى كونها الذ من سائر اللذات عند ذوي الكمال وان لم يكن كذلك عند ذوي النقصان كما لم
يكن الرياسة الذ من المطعومات عند الصبيان فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب او العين في الاخرة فاعلم
ان الناس قد اختلفوا فيه وارباب البصائر لا يلتفتون الى ذلك ولا ينظرون فيه بل العاقل ياكل البقل ولا
يسال عن المبقلة ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه عن ان يلتفت الى ان رؤيته تخلق في عينه او جبهته بل يقصد
الرؤية ولذتها سواء كان بالعين او غيرها فان العين محل وظرف لا نظر اليه ولا حكم له والحق فيه ان القدرة
الازلية واسعة فلا يجوز ان نحكم عليها بالقصور عن احد الامرين هذا في حكم الجواز فاما الواقع في الاخرة من
الجائزين فلا يدرك الا بالسمع والحق ما ظهر لاهل السنة والجماعة من شواهد الشرع ان ذلك يخلق في العين
ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الالفاظ الواردة في الشرع مجراة على ظاهرها اذ لا يجوز ازالة الظواهر
الا لضرورة

بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى

اعلم ان اسعد الخلق حالا في الاخرة اقواهم حبا لله تعالى
فان الاخرة معناها القدوم على الله ودرك سعادة لقائه وما اعظم نعيم المحب اذا قدم على محبوبه
بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته ابد الاباد من غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم
ومن غير خوف انقطاع الا ان هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازداد الحب ازدادت اللذة وانما يكتسب
العبد حب الله في الدنيا واصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن اصل المعرفة واما قوة الحب و
استيلاؤه حتى ينتهي الى حد الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الاكثرون وانما يحصل ذلك
بسببين احدهما قطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع
للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب في ان يحب الله بكل قلبه وما دام يلتفت
الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله وبقدر ما يبقى
من الماء في الاناء ينقص من الخل المصبوب فيه والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله
ثم ذرهم وبقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله
اي لا معبود ولا محبوب سواه وكل محبوب فانه معبود فان العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به
وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم
ابغض اله عبد في الارض الهوى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله خالصا مخلصا
دخل الجنة ومعنى الاخلاص ان يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه

ومقصود قلبه فقط ومن كان هذا حاله فالدنيا سجنه لانها مانعة له عن مشاهدة محبوبه وموته
خلاص من السجن وقدوم على المحبوب فما حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتمادى
عنه حبسه فخلى من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن ابد الاباد فاحد اسباب ضعف حب الله في
القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمتنزهات حتى
ان المتفرج بطيب اصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله
بسببه فبقدر ما انس بالدنيا ينقص انسه بالله ولا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا وينقص بقدره من الاخرة
بالضرورة ولا يطيب قلب امراة الا ويضيق به قلب ضرتها فالدنيا والاخرة ضرتان وهما كالمشرق و
المغرب وقد انكشف ذلك لذوي القلوب انكشافا اوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب
الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والانقياد اليهما بزمام الخوف والرجاء فما ذكرناه
من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها احد ركني المحبة وهو
تخلية القلب عن غير الله واوله الايمان بالله واليوم الاخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجاء
ثم يتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك الى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا
حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله وحبه فيه فكل ذلك
مقدمات تطهير القلب وهو احد ركني المحبة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور
شطر الايمان كما ذكرناه في اول كتاب الطهارة **السبب الثاني** لقوة الحب قوة معرفة الله واتساعها
واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها يجري مجرى
وضع البذر في الارض بعد تطهيرها من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر
شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله لها المثل حيث قال تعالى الم تر كيف ضرب
الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فهي المعرفة والعمل الصالح كالحمال لها وكالخادم وانما العمل الصالح
كله في تطهير القلب من الدنيا اولا ثم في ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة واما العلم بكيفية العمل ف
يراد للعمل فالعلم هو الاول وهو الاخر وانما الاول علم المعاملة وغرض العمل وغرض المعاملة صفاء
القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه
المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدل المزاج اذا ابصر الجميل وادركه بالعين الظاهرة
احبه ومال اليه ومهما احبه حصلت اللذة فاللذة تتبع المحبة بالضرورة والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة
ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ
في الطلب والنظر المستمر في الله وفي صفاته وملكوت سماواته وسائر مخلوقاته والواصلون الى هذه
الرتبة ينقسمون الى الاقوياء ويكون اول معرفتهم لله ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء ويكون اول
معرفتهم بالافعال ثم يترقون منه الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك انه
على كل شيء شهيد وبقوله شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك فقال
عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي والى الثاني الاشارة بقوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق
وفي انفسهم وبقوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وبقوله تعالى قل انظروا ماذا في
السموات والارض وبقوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا الاية وهذا الطريق هو الاسهل

كما انه لا يقرب الانسان الى المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب
مح

على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه اكثر دعوة القران عند الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار
والنظر في ايات الله خارج عن الحصر فاذن كلا الطريقين مشكل فاوضح منهما ما يستعان به على تحصيل
المعرفة والتوصل بها الى المحبة فاعلم ان الطريق الاعلى وهو الاستشهاد به على الخلق فهو غامض والكلام
فيه خارج عن حد فهم اكثر الخلق فلا فائدة في ايراده في الكتب واما الطريق الاسهل الادنى فاكثره
غير خارج عن حد الافهام وانما قصرت الافهام عنها لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات
الدنيا وحظوظ النفس والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب ابوابه الخارجة عن الحصر
والنهاية اذ ما من ذرة من اعلى السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجائب وايات تدل على
كمال قدرة الله وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهى بل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فالخوض فيه انغماس في بحور علوم المكاشفة فلا يمكن ان
يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز الى مثال واحد على الايجاز ليقع التنبيه بجنسه فنقول
اسهل الطريقين النظر الى الافعال فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب اقلها
واحقرها واصغرها ولننظر في عجائبها فاقل المخلوقات هي الارض وما عليها اعني بالاضافة الى الملائكة
وملكوت السموات فانك ان نظرت فيها من حيث الشخص والحجم فالشمس على ما ترى من صغر حجمها
هي مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة فانظر الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر الى صغر الشمس
بالاضافة الى فلكها التي هي مركوزة فيه فانه لا نسبة لها اليه وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة با
بالاضافة الى ما فوقها من السموات ثم السموات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في العرش كذلك
فهذا نظر الى ظاهر الاشخاص من حيث المقادير وما احقر الارض كلها بالاضافة اليها بل ما اصغر
الارض بالاضافة الى البحار فقد قال عليه الصلوة والسلام الارض في البحر كالاصطبل في الارض و
مصداق هذا عرف بالتجربة والمشاهدة وعلم ان المكشوف من الارض عن الماء كجزيرة صغيرة بالاضافة
الى كل الارض ثم انظر الى الادمي المخلوق من التراب الذي هو جزء من الارض والى سائر الحيوانات و
الى صغره بالاضافة الى الارض ودع عنك جميع ذلك فاصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض
والنحل وما يجري مجراه فانظر الى البعوض على قدر صغره وتامل بعقل حاضر وفكر صاف كيف خلقه
الله على شكل الفيل الذي هو اعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما مثل خرطومه وخلق له على شكله
الصغير سائر الاعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين وانظر كيف قسم اعضاءه الظاهرة
فانبت جناحيه واخرج يديه ورجليه وشق سمعه وبصره ودبر في باطنه من اعضاء الغذاء والاته
مثل ما دبره في سائر الحيوانات وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة
ما ركب في الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه الله الى غذائه وعرفه ان
غذاءه دم الانسان ثم كيف انبت له الة الطيران الى الانسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه
حتى يغرز فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفا حتى يجري فيه
الدم الرقيق وينتهي الى باطنه وينتشر الى سائر اجزائه ويغذيه ثم كيف عرفه ان الانسان يقصده
بيده فعلمه حيلة الهرب واستعمال الة وخلق له سمعا يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعيدة منه فيترك
المص ويهرب ثم اذا سكن اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر مواضع غذائه فيقصده
فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر انه لما كان حدقة كل حيوان صغير لم يحتمل الاجفان لصغره وكانت الاجفان مصقلة

فانظر

لمرآة الحدقة عن الغبار اذ خلق الله للبعوض والذباب يدين فتنظر الى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه
بيديه واما الانسان والحيوان الكبير فخلق له الاجفان حتى ينطبق احدهما على الاخر واطرافها
حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميها الى اطراف الاهداب وخلق الاهداب السود ليجمع ضوء
العين ويعين على الابصار ويحسن صورة العين ويشبكها عند هيجان الغبار فتنظر من وراء شباك
الاهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الابصار واما البعوض فخلق لها حدقتين مصقلتين
من غير اجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين ولاجل ضعف ابصارها تراها تتهافت على السراج لان بصرها
ضعيف فهي تطلب ضوء النهار فاذا راى المسكين السراج بالليل ظن انه في بيت مظلم وان السراج كوة
من البيت الى الموضع المضيء فلا يزال يطلب الضوء ويرمي بنفسه الى الكوة فاذا جاوزها وراى الظلام
ظن انه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود اليه مرة اخرى الى ان يحترق ولعلك تظن
ان هذا لنقصانها وجهلها فاعلم ان جهل الانسان اعظم من جهلها بل صورة الادمي في الانكباب على
شهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار اذ يلوح للادمي انوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها
ولا يدري ان تحتها السم القاتل فلا يزال يرمي نفسه عليها الى ان ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكا مؤبدا
فليت كان جهل الادمي كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت في الحال و
الادمي يبقى في النار ابد الاباد او مدة مديدة ولذلك كان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول
انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا اخذ بحجزكم فهذه لمعة من عجائب صنع الله في اصغر الحيوانات
وفيها من العجائب ما لو اجتمع الاولون والاخرون على الاحاطة بكنهها عجزوا عن حقيقتها ولم يطلعوا
على امور جلية من ظاهر صورتها فاما خفايا معانيها فلا يطلع عليها الا الله تعالى ثم في كل حيوان
ونبات اعجوبة واعاجيب تخصه لا يشاركه فيها غيره فانظر الى النحل وعجائبها وكيف اوحى الله اليها
حتى اتخذت من الجبال بيوتا وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل احدهما ضياء والاخر شفاء
ثم لو تاملت عجائب امورها في تناولها الازهار والانوار واحترازها عن النجاسات والاقذار وطاعتها
لواحد من جملتها وهو اكبرها شخصا واميرها ثم ما سخر الله لاميرها من العدل والانصاف بينها حتى انه
ليقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها العجب اذ كنت بصيرا في نفسك وفارغا
من تكلف همك هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة اقرانك وموالاة اخوانك ثم
دع عنك جميع ذلك وانظر الى بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل المسدس
فلا تبني بيتها مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية في شكل المسدس يقصر فهم المهندسين
عن دركه وهو ان اوسع الاشكال واحواها المستدير وما يقرب منها فان المربع يخرج منه زوايا
ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فيبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة
لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا اجتمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في الاشكال
ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا
المسدس وهو خاصية هذا الشكل فانظر كيف الهم الله تعالى النحل على صغر جرمها لطفا بها وعناية
بوجودها وما هي محتاجة اليه لتهنا عيشها فسبحانه ما اعظم شانه واوسع لطفه وامتنانه فاعتبر بهذه
اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الارض والسموات فان القدر
الذي بلغه فهمنا القاصر منه تنقضي الاعمار دون ايضاحه ولا نسبة لما احاط به علمنا الى ما احاط به

المظلم

العلماء والانبياء ولا نسبة لما اطلع عليه الخلائق كلهم الى ما استأثر الله بعلمه بل كل ما عرفه
الخلق لا يستحق ان يسمى علما في جنب علم الله تعالى فبالنظر في هذا وامثاله تزداد المعرفة الحاصلة
باسهل الطريقين وبزيادة المعرفة يزداد الحب فان كنت طالبا سعادة لقاء الله تعالى فانبذ
الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدائم والفكر اللازم فعساك تحظى منه بقدر يسير
ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له

بيان السبب في تفاوت الناس في الحب

اعلم ان المؤمنين
مشتركون في اصل الحب لاشتراكهم في اصل المعرفة ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا
اذ الاشياء انما تتفاوت بتفاوت اسبابها واكثر الناس ليس لهم من معرفة الله تعالى الا الصفات والاسماء
التي قرعت سمعهم فتلقفوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الارباب وربما
لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا
بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم اهل السلامة من اهل اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون
بالحقائق هم المقربون وقد ذكر الله تعالى حال الاصناف الثلاثة في قوله فاما ان كان من المقربين
فروح وريحان وجنة نعيم الآية وان كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا
فنقول اصحاب الشافعي رضي الله عنه مثلا يشتركون في حب الشافعي العوام والفقهاء لانهم مشتركون
في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامي يعرف علمه مجملا والفقيه يعرفه
مفصلا فيكون معرفة الفقيه به اتم واعجابه به وحبه له اشد فمن رأى تصنيف مصنف ف
استحسنه وعرف به فضله احبه لا محالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر اعجب منه
واحسن تضاعف حبه لا محالة لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر
انه حسن الشعر فيحبه فاذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة
وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل فالعامي قد يسمع ان فلانا مصنف وانه
حسن التصنيف ولكنه لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة مجملة ويكون له اليه بحسبه ميل
مجمل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لا محالة لان
عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملته
صنع الله وتصنيفه والعامي يعلم ذلك ويعتقده واما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله
فيه حتى يرى في البعوضة مثلا من عجائب صنعه ما ينبهر به عقله ويتحير فيه لبه ويزداد
بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال الصفات في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على عجائب
صنع الله اطلاعا استدل به على عظمة الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة
اعني معرفة عجائب صنع الله لا ساحل له فلا جرم تفاوت اهل المعرفة في الحب لا حصر له ومما
يتفاوت بسبب الحب اختلاف الاسباب التي ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه
منعما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته اذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه
في حالة الرخاء واما من يحبه لذاته ولانه مستحق للحب بجماله وجلاله ومجده وعظمته فانه لا
يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه فهذا وامثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في
المحبة هو سبب التفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله تعالى

اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله
تعالى وكان هذا يقتضي ان يكون معرفته اول المعارف واسبقها الى الافهام واسهلها على العقول ونرى الامر
بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا ان اظهر الموجودات واجلاها المعنى لا تفهمه الا بمثال وهو انا
اذا راينا انسانا يكتب او يخيط كان كونه حيا عندنا من اظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وارادته للخياطة اجلى عندنا
من سائر صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه
وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته اما حياته
وقدرته وارادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير ان يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وارادته
الا بخياطته وحركته فلو نظرنا الى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته فما عليه الا دليل واحد وهو مع ذلك جلي
واضح ووجود الله وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس
الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وارض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء
وجوهر وعرض بل اول شاهد عليه انفسنا واجسامنا واوصافنا وتقلب احوالنا وتغير قلوبنا و
جميع اطوارنا في حركاتنا وسكناتنا واظهر الاشياء في علمنا انفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس
ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد
ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وادلة شاهدة بوجود مدبرها وخالقها ومصرفها
ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كانت
حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد له الا شاهد واحد وهو ما احسسنا من حركة يده
فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء من داخل نفوسنا وخارجها الا وهو دليل شاهد
عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا
حركتها بذاتها وانما تحتاج الى موجد ومحرك لها يشهد بذلك اول تركيب اعضائنا وائتلاف
عظامنا ولحومنا وعصبنا ومنابت شعورنا وتشكل اطرافنا وسائر اجزائنا الظاهرة والباطنة فانا
نعلم انها لم تأتلف بنفسها كما نعلم ان يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود مدرك
ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول
ودهشت عن ادراكه فان ما يقصر عن فهمه عقولنا له سببان احدهما خفاؤه في نفسه وغموضه و
ذلك لا يخفى مثاله والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما ان الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر
بالنهار لا لخفاء النهار واستتار الليل ولكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره
نور الشمس اذا اشرق فيكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا
يرى شيئا الا اذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره فكذا عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة
الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره
ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب باشراق نوره
واختفى عن البصائر والابصار بظهوره ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء
تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى انه لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل بعضها دون
البعض ادركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل الامر ومثاله نور
الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول عند غيبة الشمس
فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن انه لا هيئة في الاجسام الا الوانها وهي السواد

فان هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس ثم لا يمكن ان نعرف حياته وقدرته وارادته صح

والبياض وغيرهما فانا لا نشاهد في الاسود الا السواد وفي الابيض الا البياض فاما الضوء فلا ندركه
وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت
بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا
بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور
اظهر المحسوسات اذ به تدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر بنفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف
تصور استبهام امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالله تعالى هو اظهر الامور وبه ظهرت الاشياء
كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير لانهدمت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادرك
به التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة
بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الاحوال
يستحيل خلافه فلا جرم اورثت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام فاما
من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال امره لا يرى الا الله تعالى ولا يعرف
غيره ويعلم انه ليس في الوجود الا الله وافعاله اثر من اثار قدرته فهي بالتبعية له فلا وجود لها بالحقيقة
وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الافعال
الا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وارض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه
هو صنع الله فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره كمن نظر في شعر انسان او خطه او تصنيفه وراى
فيه الشاعر والمصنف وراى اثاره من حيث هو اثاره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج مرقوم
على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله فمن نظر اليه من حيث انه فعل الله و
احبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظرا الا في الله ولا عارفا الا بالله ولا محبا الا لله بل لا ينظر الى نفسه
من حيث انه نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا هو الذي يقال فيه انه فني في التوحيد وانه فني عن نفسه
واليه الاشارة بقول من قال كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن فهذه امور معلومة عند ذوي
البصائر اشكلت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن ايضاحها وبيانها
بعبارة مفهمة موصلة للغرض الى الافهام او باشتغالهم بانفسهم واعتقادهم ان بيان ذلك
لغيرهم مما لا يعنيهم فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله وانضم اليه ان المدركات كلها
التي هي شاهدة على الله انما يدركها الانسان في الصبا عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل
قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد انس بمدركاته ومحسوساته والفها فسقط وقعها
عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا راى على سبيل الفجاة حيوانا غريبا او نباتا غريبا او فعلا
من افعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحان الله وهو يرى
طول النهار نفسه واعضاءه وسائر الحيوانات المالوفة وكلها شواهد قاطعة ولا يحس بشهادتها
لطول الانس بها ولو فرض اكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء
والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجاءة لخيف على عقله ان ينبهر
لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب لخالقها فهذا وامثاله من الاسباب مع الانهماك في الشهوات هو
الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فالناس
في طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل اذ كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات

(هامش: وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله)

اذا صارت معتاصة فهذا سر هذا الامر فليتحقق ولذلك قيل شعر لقد ظهرت فما تخفى على احد
الا على اكمه لا يعرف القمرا ... لكن بطنت بما اظهرت محتجبا ... فكيف يعرف من بالعرف استترا

بيان معنى الشوق

الى الله تعالى اعلم ان من انكر حقيقة المحبة لله فلا بد وان ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى محبوب ونحن
نثبت وجود الشوق الى الله تعالى وكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصائر وبطريق
الاخبار والاثار اما الاعتبار فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب فكل محبوب فهو مشتاق اليه في غيبته لا محالة
فاما الحاصل الحاضر فلا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوق الى امر والموجود لا يطلب ولكن بيانه ان الشوق
لا يتصور الا الى شيء ادرك من وجه ولم يدرك من وجه فاما ما لا يدرك اصلا فلا يشتاق اليه فمن لم ير
شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور ان يشتاق اليه وما ادرك بكماله فلا يشتاق اليه وكمال الادراك بالرؤية
فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوما للنظر اليه لا يتصور ان يكون له شوق ولكن الشوق انما يتعلق بما ادرك
من وجه ولم يدرك من وجه وهو من وجهين لا ينكشف الا بمثال من المشاهدات فنقول من غاب عنه معشوقه
وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم
يتصور ان يشتاق اليه ولو رآه لم يتصور ان يشتاق في وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوق نفسه الى استكمال خياله
وكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال رؤيته وتمام الانكشاف
في صورته باشراق الضوء عليه الثاني ان يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر محاسنه فيشتاق
الى رؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيالها الصادر عن الرؤية ولكن يعلم ان له عضوا واعضاء جميلة ولم يدرك
جمالها بالرؤية فيشتاق الى ان ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان
بالضرورة لكل من العارفين فان ما اتضح للعارفين من الامور الالهية وان كان في غاية الوضوح فكانه من
وراء ستر رقيق فلا يكون متضحا غاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات فان الخيال لا يفتر في هذا ا
العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنغصات وكذا ينضاف اليها شواغل الدنيا
فانما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الاخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق
فانه منتهى محبوب العارفين فهذا هو احد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما الثاني ان الامور
الالهية لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى امور لا نهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها
وكونها معلومة لله ويعلم ان ما غاب عن علمه اكثر مما حضر فلا يزال متشوقا مشتاقا الى ان يحصل له اصل المعرفة
فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لا يعرفها اصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة والشوق الاول ينتهي
في الدار الاخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور ان يسكن في الدنيا وقد كان ابرهيم بن
ادهم من المشتاقين فقال قلت ذات يوم يا رب ان اعطيت احدا من المحبين لك ما يسكن به قلوبهم قبل لقائك
فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرايت في المنام انه اوقفني بين يديه وقال يا ابرهيم اما استحييت مني ان
تسالني ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب تهت في
حبك فلم ادر ما اقول فقال قل اللهم رضني بقضائك واصبرني على بلائك واوزعني شكر نعمائك فاذا هذا
الشوق يسكن في الاخرة واما الشوق الثاني فيشبه ان لا يكون له نهاية لا في الدنيا ولا في الاخرة اذ نهايته ان ينكشف
للعبد في الاخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وافعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لان ذلك لا نهاية
له ولا يزال العبد عالما بانه بقي من الجلال والجمال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه لا سيما من يرى فوق درجته
درجات كثيرة الا انه شوق الى استكمال الوصال مع حصول اصل الوصال فهو لذلك شوق لذيذ لا يظهر

(هامش: فاغفر لي وعلمني ما اقول)

فيه ولا بعد ان يكون الطاف الكشف والنظر متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا ابد الآباد ويكون لذة ما يتجدد من لطائف النعيم شاغلا عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط ان يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا اصلا وان كان ذلك غير ممكن فيكون النعيم واقفا على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا محتمل لهذا المعنى وهو ان ينعم باتمام النور مهما تزود من الدنيا اصل النور ويحتمل ان يكون المراد اتمام النور في غير ما استنار في الدنيا استنارة محتاجة الى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو المراد بتمامه وقوله انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل على ان الانوار لا بد وان يتزود اصلها في الدنيا ثم يزداد في الآخرة اشراقا فاما ان يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطر ولم ينكشف لنا بعد فيه ما يوثق به فنسأل الله تعالى ان يزيدنا علما ورشدا ويرينا الحق حقا فهذا القدر من انوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه واما شواهد الاخبار والآثار فاكثر من ان تحصى فمما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني اسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا الى لقائك فقال ابو الدرداء لكعب اخبرني عن اخص آية يعني في التوراة فقال يقول الله تعالى لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا قال ومكتوب بجانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال ابو الدرداء اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا وفي اخبار داود ان الله تعالى قال يا داود ابلغ اهل ارضي اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني ومؤنس لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وانسوا بي او انسكم واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة احبائي من طينة ابراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي وخلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وروي عن بعض السلف ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبونني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكرونني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ثلاث اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه وفي اخبار داود ان الله تعالى اوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق الي قال يا رب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الي الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي واني لاحمل قلوبهم بيدي فاضعها على سمائي ثم ادعو نجباء ملائكتي فاذا اجتمعوا سجدوا لي فاقول اني لم ادعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين الي واباهي بكم اهل الشوق الي فان قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها

الفوائد صح

فمما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني اسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا الى لقائك صح

ويذكرونني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم صح

بعيني صح

نور وجهي واتخذتهم لنفسي محدثين وجعلت ابدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون في كل يوم شوقا قال داود يا رب ارني اهل محبتك فقال يا داود ائت جبل لبنان فان فيه اربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم كهول وفيهم مشايخ فاذا اتيتهم فاقرئهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسألون حاجة فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم فاتاهم داود فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله عز وجل فلما نظروا الى داود نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود اني رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه والقوا اسماعهم نحو قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله اليكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسألون حاجة الا تنادونني اسمع صوتكم وكلامكم فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم وانظر اليكم كل ساعة نظرة الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك انجترئ على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا في شيء من امورنا فادم لنا لزوم الطريق واتمم بذلك المنة علينا وقال الآخر نحن مقصرون في طلب رضاك فاعنا عليه بجودك وقال الآخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك اينجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبتنا الدنو من نورك وقال الآخر كلت السنتنا عن دعائك لعظم شانك وقربك من اوليائك وكثرة منتك على اهل محبتك وقال الآخر انت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك وقال الآخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الآخر كيف يجترئ العبد على سيده اذ امرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدي به في الظلمات من اطباق السموات وقال الآخر ندعوك ان تقبل علينا وتديمه عندنا وقال الآخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال الآخر اسألك من بينهم ان تعمي عيني عن النظر الى الدنيا واهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة وقال الآخر قد عرفت انك تباركت وتعاليت انك تحب اولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك فاوحى الله الى داود قل لهم قد سمعت كلامكم واجبتكم الى ما احببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى نوري وجلالي فقال داود يا رب بم نالوا هذا منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا واهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا واهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك اعطف عليه وافرغ نفسه واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر الي نظر الناظر بعينه الى الشيء واريه كرامتي في كل ساعة واقربه من نور وجهي ان مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش ارويته واذيقه طعم ذكري فاذا فعلت ذلك به يا داود عميت نفسه عن الدنيا واهلها ولم احببها اليه لا يفتر عن الاشتغال بي يستعجلني القدوم وانا اكره ان اميته لانه موضع نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا ارى غيره فلو رأيته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت اعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بذكري اباهي به ملائكتي واهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يا داود لاقعدنه في الفردوس ولاشفين صدره من النظر الي حتى يرضى

البكاء صح

هديت صح

وقال الآخر انت انعمت بنعمتك فجاد وبنا وتفضلت به علينا صح

عنى صح

وفوق الرضا وفي اخبار داود ايضاً قل لعبادي المتوجهين الى محبتي ما ضركم اذا احتجبت عن خلقي
ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الي بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من
الدنيا اذا بسطت ديني لكم وما ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضائي وفي اخبار داود
ان الله تعالى اوحى اليه تزعم انك تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان
في قلب يا داود خالصني مخالصة وخالط اهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد
دينك الرجال اما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به واما ما اشكل عليك فقلدنيه
حقاً علي اني لي سياستك وتقويمك واكون قائدك ودليلك اعطيك من غير ان تسالني
واعينك على الشدائد فاني قد حلفت على نفسي اني لا اثيب الا عبداً قد عرفت من طلبته
وارادته القى نفسه بين يدي وانه لا غناء به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك
واسكن الغنى قلبك فاني قد حلفت على نفسي انه لا يطمئن عبد لي الى نفسه ينظر الى افعالها الا
وكلته اليها اضف الاشياء الي لا تضاد عملك فتكون متعنياً ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفتي
حداً فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطيتك ولا تجد لزيادتي مني حداً ثم اعلم بني
اسرائيل انه ليس بيني وبين احد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندي ابيح لهم ما
لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعني من عينيك وانظر الي ببصر
قلبك ولا تنظر بعينيك في رأسك الى الذين حجبت عقولهم فاحرجها وسخت بانقطاع ثوابي
عنها فاني حلفت بعزتي وجلالي لا افتح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع
لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو علم اهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم ارضاً يمشون
عليها يا داود لان تخرج مريداً من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندي جهبذاً ومن كتبته جهبذاً
لا يكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك و
لا تؤتين منها فاحجبك عن محبتي لا تؤيس عبادي من رحمتي اقطع شهوتك لي فانما ابحت الشهوات لضعفة
خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي فانما عقوبة الاقوياء
عندي في موضع التناول ادنى ما يصل اليهم ان احجب عقولهم عني فاني لم ارض الدنيا لحبيبي
ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالماً يحجبك بسكره عن محبتي اولئك قطاع الطريق
على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بالصوم واياك والتجربة في الافطار فان محبتي للصوم
ادما تتحبب الي بمعاداة نفسك عنها الشهوات انظر اليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة انما اداريك
مداراة لتقوى على ثوابي اذا مننت به عليك وانا احبسه عنك وانت متمسك بطاعتي واوحى الله تعالى
اليه يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقاً
الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف في المقبلين يا داود
احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عندي
اذا رجع الي فهذه الاخبار ونظائرها مما لا يحصى تدل على اثبات المحبة والشوق والانس فاما تحقيق
معناها فينكشف بما سبق **بيان محبة الله للعبد ومعناها** اعلم ان شواهد القرآن متظاهرة على
ان الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى ذلك ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال تعالى يحبهم ويحبونه
وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً وقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين و

لذلك رد على من ادعى انه حبيب الله فقال تعالى قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اذا احب الله عبداً لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا قوله تعالى ان الله
يحب التوابين ويحب المتطهرين ومعناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم يضره الذنوب الماضية و
ان كثرت كما لا يضر الكفر المعاصي الماضي بعد الاسلام وقد شرط الله للمحبة غفران الذنب فقال
تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال زيد بن اسلم ان الله ليحب العبد
حتى يبلغ من حبه ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يعطي الدنيا
من يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله
ومن اكثر ذكر الله احبه الله وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته
كنت سمعه الذي يسمع به الحديث وما ورد من الفاظ المحبة خارج عن الحصر وقد ذكرنا ان محبة العبد لله
حقيقة وليس بمجاز اذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشيء الموافق والعشق عن
الميل الغالب المفرط وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس والجمال موافق ايضاً وان الجمال والاحسان تارة
يدرك بالبصر وتارة بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر فاما حب الله للعبد فلا يمكن
ان يكون بهذا المعنى اصلاً بل الاسامي كلها اذا اطلقت على الله وعلى غيره لم ينطلق عليهما بمعنى واحد اصلاً
حتى ان اسم الوجود الذي هو اعم الاسماء اشتراكاً لا يشمل الخالق والمخلوق على وجه واحد بل كل ما سوى الله
وجوده مستفاد من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساوياً للوجود المتبوع وانما الاستواء في
اطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم اذ معنى الجسم الجسمية وحقيقتها متشابهة فيهما
من غير استحقاق لاحدهما لان يكون اصلاً فيه فليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم
الوجود لله تعالى ولخلقه وهذا التباعد في سائر الاسماء اظهر كالعلم والارادة والقدرة وغير ذلك
فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع هذه الاسامي اولاً للخلق فان الخلق اسبق الى العقول
والافهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل والمحبة في وضع اللسان
عبارة عن ميل النفس الى موافق ملائم وهذا محال في حق الله تعالى فان كل كمال وجمال وبهاء ممكن
في الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول ازلاً وابداً اذ لا يتصور تجدده ولا زواله فلا يكون له الى
غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته وافعاله ولذلك قال الشيخ ابو سعيد الميهني لما قرئ عليه يحبهم ويحبونه
فبالحق يحبهم فانه ليس يحب الا نفسه واضاف الى نفسه وتصانيفه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي
متعلقة بذاته فهو اذاً لا يحب الا نفسه وما ورد من الالفاظ في حبه لعباده فهو مأول ويرجع معناه الى كشف
الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب منه والى ارادته ذلك به في الازل فحبه لمن احبه ازلي اقتضت تمكين هذا
العبد من سلوك طريق القرب واذا اضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضي
له كما قال لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فيكون تقربه بالنوافل سبباً لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه
وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل الله ولطفه فهو معنى حبه ولا يفهم هذا الا بمثال وهو ان الملك
قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك اليه اما لينصره بقوته او ليستريح بمشاهدته
في رأيه او ليهيء اسباب طعامه وشرابه فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم له وقد
يقرب عبداً ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به ولا للاستنجاد ولكن لكون العبد في نفسه موصوفاً بالاخلاق الرضية
والخصال الحميدة مما يليق به ان يكون قريباً من حضرة الملك وافر الحظ من قربه مع ان الملك لا غرض له فيه اصلاً فاذا

ومن لا يحب

وهذا انما يتصور في نفس ناقصة فاتها ما يوافقها
ويستفيد بنيله كمالاً فتلتذ بنيله
صح

فقط وليس في الوجود الا ذاته و
افعاله صح

على معنى انه الكل او ليس في الوجود غيره
فمن لا يحب الا نفسه

ازلي مهما اضيف الى الارادة الازلية
التي صح

او ليستشيره صح

رفع الملك الحجاب بتقريبه بتدبيره تعالى لعدله وجوده واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب تعالى وقد يتوصل
وحب نفسه الى الله فحب الله للعبد انما يكون بالمعنى الثاني دون المعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الثاني في ان لا
لا يسبق الى الفهم دخول التغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله والقرب من الله تعالى في البعد من
صفات البهائم والسباع والشياطين والتخلق بمكارم الاخلاق التي هي الاخلاق الالهية فهو قرب بالصفة
لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فقد صار قريبا فقد تغير فربما يظن بهذا ان القرب لما تجدد فقد تغير
وصف الرب والعبد جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه محال
بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في ازل الازال ولا ينكشف هذا الا بمثال القرب بين
الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون احدهما ثابتا فيتحرك الاخر فيحصل القرب
بتغير في احدهما من غير تغير في الاخر بل القرب في الصفات ايضا كذلك فان التلميذ يطلب القرب من درجة
استاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ
متحرك مترق من حضيض الجهل الى يفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى ان يقرب من استاذه والاستاذ
ثابت غير متغير فكذلك ينبغي ان يفهم ترقي العبد في درجات القرب فكلما صار اكمل صفة واتم علما
واحاطة بحقائق الامور واثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات واظهر نزاهة عن الرذائل صار
اقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله تعالى وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر
التلميذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى محال فانه
لا نهاية لكماله وسلوك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في
المساواة ثم درجات القرب ايضا تتفاوت تفاوتا لا نهاية له ايضا لاجل انتفاء النهاية
عن ذلك الكمال فاذا محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه
عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كانه يراه بقلبه واما محبة العبد لله فهو ميله الى
درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق الى ما فاته واذا ادرك منه شيئا يلتذ
به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى فان قلت فمحبة العبد لله ظاهرة لا التباس فيها
ولكن محبة الله للعبد ملتبسة فبم يعرف العبد انه حبيب الله فاقول يستدل عليه بعلاماته وقد
قال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه فان احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه
قال لم يترك له اهلا ولا مالا فعلامة محبة الله للعبد ان يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره و
قيل لعيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام لم لا تشتري حمارا تركبه قال انا اعز على الله من ان
يشغلني عن نفسي بحمار وفي الخبر اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه
وقال بعض العلماء اذا رايت انك تحبه ورايته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال بعض المريدين
لاستاذه قد طولعت بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه اياه قال لا قال
فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا
جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يامره وينهاه وقال اذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب
نفسه فاخص علاماته حبه لله تعالى فان ذلك يدل على حب الله تعالى له واما الفعل الدال على كونه محبوبا

فهو ان يتولى الله امره ظاهره وباطنه وسره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين
لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل لهمومه هما واحدا والمبغض للدنيا في
قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته
فهذا واشباهه هو علامة حب الله للعبد فلنذكر الان علامة محبة العبد لله تعالى فانها ايضا علامات حب الله
للعبد **القول في علامات محبة العبد لله تعالى** اعلم ان المحبة يدعيها كل واحد وما اسهل الدعوى وما
اعز المعنى فلا ينبغي ان يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخداع النفس مهما ادعت محبة الله ما لم
يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والادلة فالمحبة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في
السماء وثمارها تظهر على القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الاثار الفائضة منها على
القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الاشجار وهي كثيرة فمنها
حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام فلا يتصور ان يحب القلب محبوبا
الا ويحب لقاءه ومشاهدته واذا علم انه لا وصول اليه الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت
فينبغي ان يكون محبا للموت غير فار منه فان المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه الى مستقر محبوبه
ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المشاهدة قال عليه الصلاة والسلام
من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح من
ندم وقال بعض السلف ما من خصلة احب الى الله ان تكون في العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود
فقدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيله حيث
قالوا انا نحب الله فجعل له علامة فقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال تعالى يقاتلون
في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفي **وصية ابي بكر لعمر** رضي الله عنهما الحق ثقيل وهو
مع ثقله مريء والباطل خفيف وهو مع خفته وبيء فان حفظت وصيتي لم يكن غائب احب اليك
من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه
وروي عن اسحق بن سعد بن ابي وقاص قال حدثني ابي ان عبد الله بن جحش قال له يوم احد الا
ندعو الله فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يا رب اني اقسم عليك اذا لقيت العدو
فلقني رجلا شديدا حرده اقاتله فيك ويقاتلني ثم ياخذني فيجدع انفي واذني ويبقر
بطني فاذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله من جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك
فتقول صدقت قال سعد فلقد رايته اخر النهار وان انفه واذنه لمعلقتان في خيط وقال
سعيد بن المسيب ارجو ان يبر الله اخر قسمه كما ابر اوله وقد كان الثوري وبشر الحافي يقولان لا يكره الموت الا
مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب وقال البويطي لبعض الزهاد اتحب الموت فكانه توقف
فقال لو كنت صادقا لاحببته وتلا قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل به لان الرضا بقضاء الله افضل من طلب الفرار
منه فان قلت فمن لا يحب الموت فهل يتصور ان يكون محبا لله تعالى فاقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا
والتاسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينافي كمال حب الله لان الحب الكامل هو الذي يستغرق
كل القلب ولكن لا يبعد ان يكون له مع حب الاهل والولد شائبة من حب الله ضعيفة فان الناس متفاوتون
في الحب ويدل على التفاوت ما روي ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة

تحمل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته

من سالم مولاه فعاتبته قريش في ذلك وقالوا انكحت عقيلة من عقائل قريش بمولى فقال والله لقد
انكحته اياها واني لاعلم انه خير منها فكان قوله اشد عليهم من فعله فقالوا وكيف وهي اختك وهو مولاك
فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم
فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب غيره ايضا فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم
عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبها واما السبب الثاني للكراهة فهو ان يكون
العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء الله فذلك لا
يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصل الخبر بقدوم حبيبه عليه فاحب ان يتاخر قدومه ساعة
ليهيئ له داره ويعد له اسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق
فالكراهة بهذا السبب لا تنافي كمال الحب اصلا وعلامته الدؤوب في العمل واستغراق الهم في
الاستعداد ومنها ان يكون مؤثرا ما احبه الله على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيجتنب
اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا
عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه وقد وصف الله المحبين فقال تعالى
يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا الاية ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى
فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل شعر اريد وصاله ويريد هجري
فاترك ما اريد لما يريد بل الحب اذا غلب قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روي ان زليخا لما آمنت
وتزوج بها يوسف انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله تعالى فكان يدعوها الى فراشه
نهارا فتدافعه الى الليل واذا دعاها ليلا سوفته الى النهار وقالت يا يوسف انما كنت احبك قبل ان
اعرفه فاما اذ عرفته فما ابقت محبته محبة لسواه وما اريد به بدلا حتى قال لها ان الله تعالى امرني
بذلك واخبرني انه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت اما اذا كان الله امرني بذلك
وجعلني طريقا اليه فطاعة لامر الله تعالى فعند ذلك سكنت اليه فاذا من احب الله لا يعصيه ولذلك
قال ابن المبارك شعر تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع لو كان حبك صادقا
لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع وقال آخر شعر واترك ما اهوى لما قد هويته وارضى بما ترضى وان سخطت
نفسي وقال سهل علامة الحب ايثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيبا وانما
الحبيب من اجتنب المناهي وهو كما قال لان محبة الله له كما قال يحبهم ويحبونه واذا احبه الله تولاه و
نصره على اعدائه وانما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله الله ولا يكله الى هواه وشهواته ولذلك
قال تعالى والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فان قلت فالعصيان هل يضاد اصل
المحبة فاقول انه يضاد كمالها ولا يضاد اصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة و
ياكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف
والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روي ان نعيمان كان يؤتى به الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في كل قليل فيحده في كل معصية يرتكبها الى ان اتي به يوما فحده فلعنه رجل
وقال ما اكثر ما يؤتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه
بالمعصية من المحبة نعم تخرجه المعصية من كمال المحبة وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر
القلب احب الله حبا متوسطا واذا دخل سويداء القلب احبه الحب البالغ وعلى الجملة فدعوى المحبة خطر

محبة الله سبب

وترك المعاصي

ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك اتحب الله فاسكت فانك ان قلت لا فقد كفرت وان قلت نعم فليس
وصفك وصف المحبين فاحذر المقت ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم اعلى من نعيم اهل
المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المحبة والمعرفة ولم يتحقق بشيء من ذلك ومن
ها ان يكون مستهترا بذكر الله لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن احب شيئا اكثر بالضرورة
ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله حب ذكر الله وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسوله وحب
كل ما ينسب اليه فان من احب انسانا يحب كلب محلته فالمحبة اذا قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف
المحبوب ويحيط به ويتعلق باسبابه وذلك ليس شركة في الحب فان من احب رسول المحبوب لانه
رسوله وكلامه لانه كلامه فلم يجاوز حبه الى غيره بل هو دليل على كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه احب
جميع خلقه لانهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا
في كتاب آداب الصحبة والاخوة ولذلك قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وقال عليه الصلاة والسلام احبوا الله لما يغذوكم من نعمه واحبوني لحب الله وقال سفيان من احب
الله تعالى فكانما احب الله ومن اكرم من يكرم الله تعالى فانما يكرم الله تعالى وحكي عن بعض
المريدين انه قال كنت وجدت حلاوة المناجاة في سن الارادة فادمنت قراءة القرآن ليلا و
نهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول لي في المنام ان كنت تزعم
انك تحبني فلم جفوت كتابي اما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد اشرب في قلبي محبة القرآن
فعاودت الى حالي وقال عبد الله بن مسعود لا ينبغي ان يسأل احدكم عن نفسه الا القرآن فانه كان يحب
القرآن فهو يحب الله تعالى وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله وقال سهل علامة حب الله حب
القرآن وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب
الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا ياخذ منها الا زادا وبلغة الى الآخرة ومنها ان يكون
انسه بالخلوة ومناجاة الله وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدو الليل وصفاء الوقت بانقطاع
العوائق فاقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث
الذ عنده واطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته قيل لابراهيم بن ادهم وقد نزل من الجبل من اين اقبلت فقال
من الانس بالله وفي اخبار داود ولا تستانس الى احد من خلقي فاني انما اقطع عني رجلين رجل استبطا ثوابي
فانقطع ورجل نسيني فرضي بحاله وعلامة ذلك ان اكله الى نفسه وان ادعه في الدنيا حيران ومهما انس بغير الله
كان بقدر انسه بغير الله مستوحشا من الله ساقطا عن درجة محبته وفي قصة برخ وهو العبد الاسود الذي
استسقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى ان برخ نعم العبد لي الا ان فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم
الاسحار فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن الى شيء وروي ان عابدا عبد الله تعالى في غيضة دهرا فنظر الى طائر وقد عشش
في شجرة ياوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت الطائر قال ففعل فاوحى
الله تعالى الى نبي ذلك الوقت قل لفلان العابد استانست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك ابدا فعلامة
المحبة كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن
لذة المناجاة وعلامة الانس مصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد
انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب
علة اصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب الحب والانس صارت الخلوة والمناجاة قرة عين تدفع جميع الهموم

بل يستغرق الحب والانس قلبه حتى لا يفهم امور الدنيا ما لم يكرر على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان
فانه يكلم الناس بلسانه وانسه في الباطن بذكر حبيبه فالمحب من لا يطمئن الا الى محبوبه وقال
قتادة في قوله تعالى الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت
اليه واستانست وقال الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص محبة الله شغله عن طلب الدنيا و
اوحشه عن جميع البشر وقال مطرف بن ابي بكر المحب لا يسأم من حديث حبيبه واوحى الله تعالى الى داود
قد كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني اليس كل حبيب يحب لقاء حبيبه فها انا ذا موجود لمن
طلبني وقال موسى يا رب اين انت فاقصدك فقال اذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى بن معاذ
من احب الله ابغض نفسه وقال ايضا من لم يكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله على كلام الخلق
ولقاء الله على لقاء الخلق وعبادته على عبادة الخلق ومنها ان لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله و
يعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب
والتوبة وقال بعض العارفين ان لله عبادا احبوه فاطمأنوا اليه فذهب عنهم التأسف على كل فائت فلم يتشاغلوا
بحظ انفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره
لهم وحق المحب اذا رجع من غفلته في لحظته ان يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب ويقول يا رب
باي ذنب قطعت برك عني وابعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي وبمتابعة الشيطان فيستخرج
ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ما سبق من الغفلة ويكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء
قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيئا الا منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا وعلم
ان المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيرته وفي قوله تعالى عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ومنها ان يتنعم
بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة وقال الجنيد علامة
المحب دوام النشاط والدؤوب بشهوة تفتر بدنه ولا تفتر قلبه وقال بعضهم العمل على المحبة لا يدخله
الفتور وقال بعض العلماء والله ما اشتفى محب لله من طاعته ولو حل بعظيم الوسائل وكل هذا او
مثاله موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستثقل السعي في هوى معشوقه ويستلذ خدمته
بقلبه وان كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان احب الاشياء اليه ان يعاوده القدرة وان يفارقه
العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غالبا قهر لا محالة ما هو دونه
فمن كان محبوبه احب اليه من الكسل ترك الكسل في خدمته وان كان احب اليه من المال ترك المال في حبه
وقيل لبعض المحبين وقد كان بذل ماله ونفسه حتى لم يبق له شيء ما كان سبب حالتك هذه في المحبة فقال
سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك بقلبي كله وانت معرض عني بوجهك
كله فقال له المحبوب ان كنت تحبني فايش تنفق علي فقال يا سيدي املكك ما املك ثم انفق عليك
روحي حتى تهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبد لمعبود فكان هذا سببه ومنها ان
يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيما بهم شديدا على جميع اعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما
يكرهه كما قال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وان لا ياخذه لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله
صارف وبه وصف الله تعالى اولياءه اذ قال تعالى هم الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالشيء ويأوون
الى ذكري كما ياوي النسر الى وكره ويغضبون لمحارمي كما يغضب النمر اذا حرد فانه لا يبالي قل الناس او كثروا فانظر
الى هذا المثال فان الصبي اذا كلف بالشيء لم يفارقه اصلا وان اخذ منه لم يكن له شغل الا البكاء والصياح

حتى يرد عليه فان نام اخذه معه في ثيابه فاذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك ومن
نازعه فيه ابغضه ومن اعطاه احبه واما النمر فانه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه ان يهلك
نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصفا في الاخرة شرابه وعذب مشربه
ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الاخرة بقدره اذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى في
الابرار ان الابرار لفي نعيم الى قوله تعالى يسقون من رحيق مختوم ثم قال تعالى ومزاجه من تسنيم عينا
يشرب بها المقربون فانما طاب شراب الابرار لشوب الشراب الصرف الذي للمقربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان
كما ان الكتاب عبارة عن جميع الاعمال فقال تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين ثم قال تعالى يشهده المقربون
فكان امارة علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده المقربون وكما ان الابرار يجدون مزيدا في حالهم ومعرفتهم
بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الاخرة كقوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة وكما بدانا اول خلق نعيده وقال تعالى جزاء وفاقا اي وافق الاعمال الجزاء فقوبل الخالص بالخالص
الصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه واعماله فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها فمن كان حبه في الدنيا ورجاؤه ليتنعم بالجنة والحور والقصور مكن
من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان ومن كان مقصده رب الدار
ومالك الملك ولم يغلب عليه الا حبه بالاخلاص والصدق انزل في مقعد صدق عند مليك مقتدر
فالابرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحور والولدان والمقربون ملازمون للحضرة
عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فقوم بقضاء الشهوة للبطن والفرج
مشغولون وللمجالسة قوم اخرون ولذلك قال عليه الصلاة والسلام اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب
ولما قصرت الافهام عن درك معنى عليين عظم امره فقال تعالى وما ادراك ما عليون كما قال تعالى
وما ادراك ما القارعة ومنها ان يكون في حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن
ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب
ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم اشد من بعض فاولها خوف الاعراض
واشد منه خوف الحجاب واشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى في سورة هود هو الذي شيب سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم اذ سمع قوله تعالى الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وانما تعظم خوف البعد وهيبته
في قلب من الف القرب وذاقه وتنعم به فحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه اهل القرب في القرب
ولا يحن الى القرب من الف البعد ولا يبكي لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب
المزيد فانا قدمنا ان درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد ان يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا و
لذلك قال عليه الصلاة والسلام من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون و
لذلك قال عليه الصلاة والسلام انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة فاستغفر الله تعالى
كان الاستغفار من القدم الاولى فانها كانت بعدا بالاضافة الى القدم الثانية ويكون ذلك عقوبة
لهم على الفتور في الطريق والالتفات الى غير المحبوب كما روي عن الله جل جلاله ان ادنى ما اصنع بالعالم
اذا اثر شهوات الدنيا على طاعتي ان اسلبه لذيذ مناجاتي فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة في العموم
فاما الخصوص فيحجبهم عن المزيد مجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادي اللطف وذلك هو

المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا ذو الاقدام الراسخة ثم خوف ما لا يدرك بعد فوته سمع ابرهيم بن
ادهم قائلا يقول في سياحته وكان على جبل   كل شي لك مغفور سوى الاعراض عنا قد وهبنا لك ما فات
بقي ما فات منا فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة وطرت عليه احوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا
ابرهيم كن عبدا قال فكنت عبدا واسترحت ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق وطلب الحبيب
طلبا حثيثا فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك بسبب وقفة
او سبب رجعة وان السلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل الحب عليه من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات
في القلب لها اسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها واذا اراد الله المكر به واستدراجه
اخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء او يغتر بحسن الظن او بغلبة الغفلة والهوى والنسيان
وكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان وكما ان من اوصاف
الله ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهي اوصاف اللطف والرحمة والحكمة فمن اوصافه ما يلوح فيورث السلو
كاوصاف الجبرية والعزة والاستغناء وذلك من مقدمات المكر والشقاء والحرمان ثم خوف الاستبدال
بانتقال القلب من حب الحبيب الى غيره وذلك هو المقت والسلو مقدمة هذه المقام والاعراض والحجاب
مقدمة السلو وضيق الصدر بالبر وانقباضه عن دوام الذكر وملالته لوظائف الاوراد اسباب هذه المعاني
ومقدماتها فظهور هذه الاسباب دليل على النقل من مقام الحب الى مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة
الخوف لهذه الامور وشدة الحذر منه بصفاء المراقبة دليل صدق الحب فان من احب شيئا خاف لا محالة
فقده فلا يخلو الحب عن الخوف اذا كان المحبوب مما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله بمحض
المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد
والاستيحاش ومن عبده من طريقي المحبة والخوف احبه الله تعالى فقربه ومكنه وعلمه فالمحب لا يخلو عن خوف
والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو في
مقام المحبة ويعد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم
يثبت لها طاقة البشر وانما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب وقد روي في بعض الاخبار ان بعض
الصديقين سأله بعض الابدال ان يسأل الله تعالى له ان يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال
حار عقله وله قلبه وبقي شاخصا سبعة ايام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسأل له الصديق ربه تعالى
فقال يا رب انقصه من الذرة بعضها فاوحى الله اليه انما اعطيناه جزءا من مائة الف جزء من ذرة من المعرفة وذلك
ان مائة الف عبد سألوني شيئا من المحبة في الوقت الذي سألني هذا فاخرت اجابتهم الى ان شفعت انت لهذا
فلما اجبتك فيما سألت اعطيتهم كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة الف عبد فهذا ما اصابه من ذلك
فقال سبحانك يا احكم الحاكمين انقصه مما اعطيته فاذهب الله عنه جملة الجزء وبقي فيه عشر معشاره وهو
جزء من الف جزء من الف مائة جزء من ذرة فاعتدل حبه وخوفه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين وقد قيل في
حال العارف شعر قريب الوجد ذو مرمى بعيد عن الاحرار منهم والعبيد غريب الوصف ذو علم غريب
كان فؤاده زبر الحديد لقد عزت معانيه فغابت عن الابصار الا للشهيد ترى الاعياد في الاوقات تجري
له في كل يوم الف عيد وللاحباب افراح بعيد ولا يجد السرور له بعيد وقد كان الجنيد ينشد ابياتا يشير
بها الى اسرار احوال العارفين وان كان لا يجوز اظهاره شعر سرت باناس في الغيوب قلوبهم فحلوا بقرب
الماجد المتفضل عراصا بقرب الله في ظل قدسه تجول بها ارواحهم وتنقل موارده فيها على العز والغنى ويصدرهم عنها

لما هو اكمل تروح بعز مفرد من صفاته وتمكينه اولى التدبر والعدل تساكم من علي به ما يصونه
وابذل منه ما ادرى الحق يبذل واعطي عباد الله منه حقوقهم وامنع منه ما الذي المنع افضل ه
على ان للرحمن سرا يصونه الى اهله في السر والصون اجمل وامثال هذه المعارف التي اليها الاشارة لا
يجوز ان يشترك الناس فيها ولا يجوز ان يظهرها من انكشف له شيء منها لمن لم ينكشف له بل لو اشترك الناس
فيه لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو اكل الناس كلهم الحلال اربعين يوما لخربت الدنيا
لزهدهم فيها وبطلت الاسواق والمعايش بل لو اكل العلماء الحلال لاشتغلوا بانفسهم ولوقفت الالسنة والاقلام
عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن لله تعالى فيما هو شر في الظاهر اسرارا وحكما ولا تنتهي الحكمة كما لا غاية لقدرته ومنها كتمان
الحب واجتناب الدعوى والتوقي من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا او هيبة منه وغيرة على سره
فان الحب سر من اسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء
وتعظم العقوبة عليه في العقبى ويعجل عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش
فيه ويضطرب احواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك من غير تعمل واكتساب فهو معذور لانه مقهور وربما اشتعل
من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالقادر على الكتمان يقول
وقالوا قريب قلت ما انا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري فما لي منه غير ذكر بخاطر يهيج نار الحب
والشوق في صدري والعاجز عنه يقول شعر يخفي فيبدي الدمع اسراره ويظهر الوجد عليه النفس
يقول شعر ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكتم وقال بعض العارفين اكثر
الناس من الله بعدا اكثرهم اشارة كأنه يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل احد فهو ممقوت عند
المحبين والعلماء بالله ودخل ذو النون المصري على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء فقال
لا يحبه من وجد الم ضربه فقال الرجل لكني اقول لا يحبه من لم يتنعم بضربه فقال ذو النون ولكني اقول لا يحبه من شهر
نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فان قلت المحبة منتهى المقامات واظهارها اظهار للخير فلماذا تستنكر فاعلم
ان المحبة محمودة وظهورها ايضا محمود وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيه من الدعوى والاستكبار وحق المحب ان تنم
على حبه الخفي افعاله واحواله دون اقواله وافعاله ينبغي ان يظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب ولا الى اظهار الفعل
الدال على الحب بل ينبغي ان يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط فاما ارادته اطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه
كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا يعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذي يرى الخفيات يجزيك به علانية
واذا صمت فاغسل وجهك وادهن راسك لئلا يعلم بذلك غير ربك فاظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا
غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه وحكي ان رجلا راى من بعض المجانين ما
استجهله فيه فاخبر بذلك معروفا الكرخي فتبسم ثم قال يا اخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي
رايته من مجانينهم ومما يكره التظاهر بالحب بسبب ان المحبين لو كانوا عارفين وعرفوا احوال الملائكة في حبهم الدائم وشوقهم
اللازم الذي به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون لاستنكفوا من انفسهم
ومن اظهار حبهم وعلموا قطعا انهم اخس المحبين في مملكته وان حبهم انقص من حب كل محب لله قال بعض المكاشفين من
المحبين عبدت الله ثلاثين سنة باعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لي عند الله
شيئا فذكر اشياء من مكاشفات ايات السموات في قصة طويلة قال في اخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع
ما خلق الله من شيء فقلت من انتم قالوا نحن المحبون لله تعالى نعبده ههنا منذ ثلاثمائة الف سنة ما خطر على قلوبنا
قط سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من اعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنه في جهنم فاذا من عرف

نفسه وادبر واستحيى منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واحجامه وتردداته كما حكي عن الجنيد انه قال مرض استاذنا السري فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فاخذنا قارورة مائه فنظر اليه الطبيب وجعل ينظر اليه مليا ثم قال لي اراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت الى السري فاخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما ابصره قلت يا استاذ ويتبين المحبة في البول قال نعم وقد قال السري مرة لو شئت اقول ما ايبس جلدي على عظمي ولا نحل جسمي الا حبه ثم غشي عليه وتدل الغشية على انه افصح في غلبة الوجد ومقدماته الغشية فهذه مجامع علامات الحب وثمراته ومنه الانس والرضا كما سياتي وفي الجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يخرجون من هذين القسمين ولذلك قال الجنيد الناس في محبة الله عام وخاص فالعام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان ارضوه الا انهم يقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته الكاملة واسماءه الحسنى لم يمتنعوا ان احبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه اهل لها ولو ازال عنهم جميع النعم نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل ويظن انه محب الله تعالى وهو الذي فقدت فيه هذه العلامات او يلبس بها رياء ونفاقا وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كالعلماء السوء والقراء السوء اولئك بغضاء الله في ارضه وكان سهل اذا تكلم مع انسان قال يا دوستاي يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال للنوري في اذن القائل سرا لا يخلو اما ان يكون مؤمنا او منافقا فان كان مؤمنا فهو حبيب الله وان كان منافقا فهو حبيب ابليس وقد قال ابو تراب النخشبي في علامات المحبة ابياتا وهي شعر

لا تخدعن فللحبيب دلائل • ولديه من تحف الحبيب وسائل • منها تنعمه بمر بلائه • وسروره في كل ما هو فاعل • فالمنع منه عطية مقبولة • والفقر اكرام وبر عاجل • ومن الدلائل ان ترى من عزمه • طوع الحبيب وان الح العاذل • ومن الدلائل ان يرى متبسما • والقلب فيه من الحبيب بلابل • ومن الدلائل ان يرى متفهما • لكلام من يحظى لديه السائل • ومن الدلائل ان يرى متقشفا • متحفظا من كل ما هو قائل •

وقال يحيى بن معاذ شعر

ومن الدلائل ان تراه مشمرا • في خرقتين على شطوط الساحل • ومن الدلائل حزنه ونحيبه • جوف الظلام فما له من عاذل • ومن الدلائل ان تراه مسافرا • نحو الجهاد وكل فعل فاضل • ومن الدلائل زهده فيما يرى • من دار ذل والنعيم الزائل • ومن الدلائل ان تراه باكيا • ان قد راه على قبيح فعائل • ومن الدلائل ان تراه مسلما • كل الامور الى المليك العادل • ومن الدلائل ان تراه راضيا • بمليكه في كل حكم نازل • ومن الدلائل ضحكه بين الورى • والقلب محزون كقلب الثاكل •

بيان معنى الانس بالله تعالى قد ذكرنا ان الانس والخوف والشوق من اثار المحبة الا ان هذه اثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه فتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى امر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تألم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقتضيها لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذاته ومن ها هنا نظر بعضهم حيث قيل له انت مشتاق فقال لا انما الشوق الى غائب فاذا كان الغائب حاضرا فالى من اشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت الى ما بقي في الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد والخلوة كما حكي ان ابراهيم بن ادهم لما نزل من الجبل قيل له من اين اقبلت فقال من الانس بالله وذلك لان الانس بالله يلازمه التوحش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من اثقل الاشياء على القلب كما روي ان موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الناس الا اخذه الغشيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من آنسني بذكره واوحشني من خلقه وقال الله تعالى لداود كن بي مستانسا ومن سواي مستوحشا وقيل لرابعة بم نلت هذه المنزلة قالت بتركي ما لا يعنيني وانسي بمن لم يزل وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب لقد اعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة راس العبادة فقلت يا راهب ما اقل ما تجد في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم فقلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله تعالى قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة قلت متى يصفو الود قال اذا اجتمعت الهموم فصارت هما واحدا في الطاعة وقال بعض الحكماء عجبا للخلائق كيف ارادوا بك بدلا وعجبا للقلوب كيف استانست بسواك عنك فان قلت فما علامة الانس فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي رضي الله عنه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه فهذا معنى الانس بالله تعالى وهذه علامته وهذه شواهده وذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق والحب لظنه ان ذلك يدل على التشبيه وجهله بان جمال المدركات بالبصائر اكمل من جمال المبصرات ولذة معرفتها اغلب على ذوي القلوب منهم احمد بن غالب المعروف بغلام الخليل انكر على الجنيد وعلى ابي الحسن النوري والجماعة حديث الشوق والعشق والحب حتى انكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس الا الصبر فاما الرضا فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين الا على القشور فظن انه لا وجود الا للقشر فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال في طريق الدين قشر مجرد ووراءها اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز الا الى قشره يظن ان الجوز خشب كله ويستحيل عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل شعر

الانس بالله لا يحويه بطال • وليس يدركه بالحول محتال • والانسون رجال كلهم نجب • وكلهم صفوة لله عمال •

بيان معنى الانبساط والادلال الذي يثمره غلبة الانس اعلم ان الانس اذا دام

وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط
في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة و
لكنه محتمل ممن اقيم في مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به و
اشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله كليمه موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام ان يسأله
ليستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى ليستسقي لهم في سبعين الفا فاوحى
الله تعالى اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين و
يامنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسال عنه موسى فلم
يعرف فبينا موسى ذات يوم في طريق يمشي فاذا العبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود
في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله فسلم عليه وقال له ما اسمك قال اسمي برخ قال فانت
طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك
وما الذي بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام
اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخاطئين خلقت الرحمة وامرت بالعطف
ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر
وانبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى فقال كيف
رايت حين خاصمت ربي كيف انصفني فهم به موسى فاوحى الله اليه ان برخا يضحكني كل يوم
ثلاث مرات وعن الحسن قال احترقت اخصاص بالبصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق وابو موسى
يومئذ امير البصرة فاخبر بذلك فبعث الى صاحب الخص قال فاتي بشيخ قال يا شيخ ما بال
خصك لم يحترق قال اني اقسمت على ربي ان لا يحرقه فقال ابو موسى اني سمعت رسول الله صلى الله عليه و
سلم يقول ليكونن في امتي قوم شعثة رؤسهم دنسة ثيابهم لو اقسموا على الله لابرهم قال ووقع حريق
بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له امير البصرة انظر لا تحترق بالنار
فقال اني اقسمت على ربي ان لا يحرقني بالنار قال فاعزم عليها ان تطفأ فعزم عليها فطفئت وكان
ابو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له ابو حفص ما اصابك قال ضل
حماري ولا املك غيره قال فوقف ابو حفص فقال وعزتك لا اخطو خطوة ما لم ترد عليه
حماره قال فظهر الحمار في الوقت فمر ابو حفص فهذا وامثاله يجري لذوي الانس بالله وليس
لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر عند
العامة وقال مرة لو سمعها العوام لكفروهم وهم يجدون المزيد في احوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق
بهم واليه اشار القائل شعر قوم تخالجهم زهو بسيدهم ۝ والعبد يزهو على مقدار مولاه ۝ تاهوا برؤيته
عما سواه له ۝ يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا ۝ ولا يستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره
مهما اختلف مقامهما ففي القران تنبيهات على هذه المعاني لو فطنت وفهمت فجميع قصص القران
تنبيهات لاولي الابصار والبصائر حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار وانما هي عند ذوي الاغترار من الاسمار
فاول القصص قصة آدم وابليس اللعين اما تراهما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في
الاجتباء والعصمة اما ابليس فابلس عن رحمته وقيل انه من المبعدين واما آدم فقيل فيه وعصى آدم ربه
فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب الله نبيه في الاعراض عن عبد والاقبال على عبد ومعاني

العبودية سيان ولكن في الحال مختلفان فقال واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال في الآخر اما
من استغنى فانت له تصدى وكذلك امره بالقعود مع طائفة فقال واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا
فقل سلام عليكم وامره بالاعراض عن غيرهم فقال تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم
وقال تعالى فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي ثم قال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وكذلك الانبساط والادلال يحتمل من بعض
العباد دون بعض فمن انبساط الانس قول موسى ان هي الا فتنتك الاية وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب
الى فرعون ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون وقوله اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري وقوله اننا نخاف ان يفرط
علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى من سوء الادب لان الذي اقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس ما
دون هذا لما ان اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلاث ونودي عليه الى يوم الحشر
لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم قال الحسن العراء هو القيامة ونهي نبينا عليه الصلوة والسلام
ان يقتدي به وقيل فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها
لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد وقد
قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال تعالى منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وكان عيسى على
نبينا وعليه الصلوة والسلام من المفضلين ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث
حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس واما يحيى على نبينا وعليه الصلوة والسلام فانه اقيم مقام الهيبة
والحياء فلم ينطق حتى اثنى عليه خالقه فقال تعالى وسلام عليه يوم ولد الاية وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوه
بيوسف وقد قال بعض العلماء لقد عددت من اول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا الى راس
العشرين من اخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا واربعين خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلث
والاربع فغفر لهم وعفى عنهم ولم يحتمل العزير مسئلة واحدة سال عنها في القدر حتى قيل محي من ديوان النبوة وكذلك
كان بلعم بن باعوراء من اكابر العلماء فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك وكان آصف من المسرفين وكانت
معصيته في الجوارح فعفي عنه روي ان الله تعالى اوحى الى سليمان على نبينا وعليه الصلوة والسلام يا راس العابدين
ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك آصف وانا احلم عليه مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي لئن اخذته عصفة
من عصفاتي عليه لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فلما دخل عليه آصف اخبره سليمان بما اوحى الله تعالى اليه
فخرج آصف حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع راسه ويديه نحو السماء فقال الهي وسيدي انت انت وانا انا فكيف اتوب ان لم تتب
علي وكيف استعصم ان لم تعصمني لاعودن فاوحى الله تعالى اليه صدقت يا آصف انت انت وانا انا استقبل التوبة وقد
تبت عليك وانا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه اليه وناظر به اليه وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى عبده
نبهان كان اشقى على اهلكه كم من ذنب واجهتني به غفرته لك قد اهلكت في دونه امة من الامم فهذه سنة الله
في عباده بالتفضيل والتقديم والتاخير على ما سبقت به مشيئته الازلية وهذه القصص اوردت في القران لتعرف بها
سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل فما في القران شيء الا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى الى الخلق فتارة يتعرف
اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله احد الايات وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول الملك القدوس الاية وتارة
يتعرف اليهم في افعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته في اعدائه وانبيائه فيقول الم تر كيف فعل ربك بعاد الم تر كيف
فعل ربك باصحاب الفيل ولا يعدو القرآن هذه الاقسام الثلاثة وهي الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه او معرفة

صفاته واسمائه او معرفة افعاله ومنته على عباده ولما اشتمل سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام
الثلث وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن وقال من قرا سورة
الاخلاص فقد قرا ثلث القرآن لان منتهى التقديس فان يكون واحدا في ثلاثة امور لا يكون حاصلا
منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله تعالى لم يلد ولم يولد ولا يكون في درجته وان لم يكن اصلا له ولا فرعا
من هو مثله ودل عليه قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد ويجمع جميع ذلك قوله تعالى قل هو الله احد وجملته تفصيل
قولك لا اله الا الله فهذه اسرار القرآن ولا تتناهى امثال هذه الاسرار في القرآن ولا رطب ولا يابس
الا في كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود ثوروا القرآن والتمسوا غرائبه ففيه علم الاولين والآخرين
وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال فكره في احاد كلماته وصفا له فهمه حتى تشهد له كل كلمة منها بانه كلام
جبار ملك قاهر مقتدر وانه خارج عن حد استطاعة البشر واكثر اسرار القرآن معباة في طي القصص
والاخبار فكن حريصا على استنباطها لينكشف لك فيها من العجائب ما تستحقر معه العلوم الخارجة المزخرفة
عنه فهذا ما اردنا ذكره في معنى الانس والانبساط الذي هو ثمرته وتفاوت عباد الله فيه

القول في معنى الرضا بقضاء الله

وحقيقته وما ورد في فضيلته اعلم ان الرضا ثمرة من ثمرات المحبة وهو من اعلى مقامات المقربين
وحقيقته غامضة على الاكثرين وما يدخل عليه من التشابه والابهام غير منكشف الا لمن علمه الله التاويل وفقهه
في الدين فقد انكر منكرون تصور الرضا بكل شيء لانه فعل الله فينبغي ان يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع به
قوم فراوا الرضى بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى ولو انكشفت
هذه الاسرار لمن اقتصر على ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال
اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فلنبدأ ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات احوال الراضين ثم نذكر حقيقة
الرضا وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم نذكر انه من تمام الرضا وليس منه ترك الدعاء والسكوت على المعاصي

اما بيان فضيلة الرضا

فمن الآيات قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان الا
الاحسان ومنتهى الاحسان رضى الله تعالى عن عبده وهو ثواب رضى العبد عنه وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن
ورضوان من الله اكبر فقد رفع الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلوة حيث قال تعالى ان
الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر فكما ان مشاهدة المذكور في الصلوة اكبر من الصلوة
فرضوان رب الجنة اعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان وفي الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون
رضاك فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل واما رضى العبد فسنذكر حقيقته واما رضوان الله عن العبد
فهو بمعنى اخر يقرب مما ذكرناه في حب الله للعبد ولا يجوز ان يكشف عن حقيقته اذ تقصر افهام الخلق عن دركه
ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فانما سألوا الرضا لانه سبب
دوام النظر فكانهم راوه غاية الغايات واقصى الاماني لما ظفروا بنعيم النظر فلما امروا بالسؤال لم يسألوا
الا دوامه وعلموا ان الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه
ياتي اهل الجنة في وقت المزيد ثلث تحف من عند رب العالمين احداها هدية من عند الله ليس عندهم في
الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد
ذلك على الهدية وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك افضل
من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله اكبر من النعيم الذي هم فيه فهذا فضل رضاء الله وهو
ثمرة رضا العبد واما الاخبار فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من اصحابه فقال لهم ما انتم

فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع
القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر اخر انه قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا
انبياء وفي الخبر طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وقال صلى الله عليه و
سلم من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل وقال ايضا اذا احب الله عبدا ابتلاه
فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة انبت الله لطائفة من
امتي اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤا فيقول لهم الملائكة
هل رايتم الحساب فيقولون ما راينا حسابا فيقولون لهم هل جزتم الصراط فيقولون ما راينا صراطا فيقولون لهم
هل رايتم جهنم فيقولون ما راينا شيئا فيقول الملائكة من امة من انتم فيقولون من امة محمد صلى الله عليه وسلم
فيقولون انشدناكم الله حدثونا ما كانت اعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله هذه
المنزلة بفضل رحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحيي ان نعصيه ونرضى باليسير مما قسم
لنا فيقول الملائكة يحق لكم هذا وقال صلى الله عليه وسلم اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم
والا فلا وفي اخبار موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام ان بني اسرائيل قالوا لموسى سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه
يرضى به عنا فقال موسى الهي قد سمعت ما قالوا فقال الله تعالى يا موسى قل لهم يرضون عني حتى ارضى
عنهم ويشهد لهذا ما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال من احب ان يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عنده
فان الله ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه وفي اخبار داود على نبينا وعليه الصلوة والسلام ما لاوليائي
والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داود ان محبتي من اوليائي ان يكونوا روحانيين لا
يغتمون وروي ان موسى قال يا رب دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله تعالى اليه ان رضائي في
كرهك وانت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه قال فان رضاي في رضاك بقضائي وفي مناجاة
موسى اي رب اي خلقك احب اليك قال من اذا اخذت منه المحبوب سالمني قال فاي خلقك انت عليه ساخط
قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيت له سخط قضائي وقد روي ما هو اشد منه وذلك ان الله تعالى
قال انا الله لا اله الا انا من لم يصبر على قضائي فليتخذ ربا سوائي ومثله في الشدة قوله تعالى قدرت
المقادير واحكمت التدبير واتقنت الصنع فمن رضي فله الرضى مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني
وفي الخبر المشهور يقول الله عز وجل خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه وويل
لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفي الاخبار السالفة ان نبيا من الانبياء
شكا الى الله الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما اجيب اليه فاوحى الله اليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندي
في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا
افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما احب ويكون
ما تريد فوق ما اريد وعزتي وجلالي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لامحونك من ديوان النبوة
وروي ان آدم على نبينا وعليه الصلوة والسلام كان بعض اولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون
يجعل احدهم رجله على اضلاعه كهيئة الدرج فيصعد على راسه ثم ينزل على اضلاعه كذلك وهو مطرق
الى الارض لا ينطق ولا يرفع راسه فقال له بعض اولاده يا ابت اما ترى ما يصنع هذا بك فقال يا بني اني
رايت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا اني تحركت حركة واحدة فاهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان ومن دار
النعيم الى دار الشقاء فاخاف ان تحركت حركة اخرى فيصيبني ما لا اعلم وقال انس خدمت رسول الله صلى

عليه وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم افعله الا فعلته ولا قال في شيء كان ليته لم
يكن ولا لشيء لم يكن ليته كان وكان اذا خاصمني مخاصم من اهله يقول دعوه لو قضي شيء لكان ويروى ان الله تعالى اوحى
الى داود يا داود تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما
تريد ثم لا يكون الا ما اريد واما الآثار فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة
الذين يحمدون الله على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور الا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي
فقال ما يقضي الله تعالى وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال الفضيل ان لم تصبر على
تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن ابي رواد ليس الشأن في اكل خبز الشعير والخل ولا في
لبس الصوف والشعر ولكن الشأن في الرضا عن الله وقال عبد الله بن مسعود لأن الحس جمرة احرقت ما احرقت
وابقت ما ابقت احب الي من ان اقول لشيء كان ليته لم يكن او لشيء لم يكن ليته كان ونظر رجل الى قرحة في رجل
محمد بن واسع فقال اني لارحمك من هذه القرحة فقال اني لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج في عيني وروي في
الاسرائيليات ان عابدا عبد الله دهرا طويلا فاري في المنام فلانة الراعية رفيقتك في الجنة فسأل عنها الى ان وجدها
فاستضافها ثلاثا لينظر الى عملها فكان يبيت هو قائما وتبيت هي نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة فقال اما لك
عمل غير ما رايت قالت ما هو والله الا ما رايت لا اعرف غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصيلة واحدة هي في
ان كنت في شدة لم اتمن ان اكون في رخاء وان كنت في مرض لم اتمن ان اكون في صحة وان كنت في الشمس لم اتمن
ان اكون في الظل فوضع العابد يده على راسه وقال اهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد وعن
بعض السلف ان الله اذا قضى في السماء قضاء احب من اهل الارض ان يرضوا بقضائه وقال ابو الدرداء ذروة الايمان
الصبر للحكم والرضا بالقدر وقال عمر لا ابالي على اي حال اصبحت وامسيت في شدة او رخاء وقال الثوري يوما
عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت اما تستحيي من الله ان تسأله الرضا وانت عنه غير راض فقال استغفر الله وقال
جعفر بن سليمان الضبعي فمتى يكون العبد راضيا عن الله تعالى قالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة وكان
الفضيل يقول اذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي عن الله تعالى وقال احمد بن ابي الحواري قال ابو سليمان الداراني
ان الله عز وجل من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من مواليهم قلت وكيف ذلك قال اليس مراد العبد من الخلق
ان يرضى عنه مولاه قلت بلى قال فان محبة الله من عبيده ان يرضوا عنه وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر
حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله بحكمته وجلاله جعل الروح
والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط

بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى

اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع البلاء الا الصبر فاما الرضا فلا يتصور فانما اتي من
ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا
بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجري عليه المؤلم
ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك المها ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه او في حال خوفه قد
تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا راى الدم استدل به على الجراحة بل الذي يعدو في شغل قريب
قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالمه لشغل قلبه بل الذي يحجم او يحلق راسه بحديدة كالة يتألم
بها فان كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين والحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لان
القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق
الهم بمشاهدة معشوقه او بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به او يغتم لولا عشقه ثم لا يدرك غمه والمه

لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا اصابه من غير حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وشغل القلب
بالحب والعشق من اعظم الشواغل فاذا تصور هذا في الم يسير بسبب حب خفيف تصور في الالم
العظيم بسبب الحب العظيم فان الحب ايضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الالم
وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة
بنور البصيرة وجمال الحضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال وجلال فمن ينكشف له شيء منه فقد
يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما يجري عليه فقد روي ان امراة فتح الموصلي عثرت
فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه
وكان سهل به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا
يوجع واما الوجه الثاني فهو ان يحس به ويدرك المه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له
اعني بعقله وان كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك المه الا
انه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد منة بفعله فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الالم و
كذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر
وجعله راضيا بها ومهما اصابته بلية من الله تعالى وكان له يقين بان ثوابه الذي ادخر له فوق
ما فاته رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله عليه هذا ان كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي
يجازى به عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه فيكون
مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها
المتواصفون في نظمهم ونثرهم ولا معنى له الا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر الى الجمال
فما هو الا جلد على لحم ودم مشحون بالاقذار والاخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة
وهو فيما بين ذلك يحمل عذرة وان نظر الى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة التي تغلط فيما ترى كثيرا
فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقريب بعيدا والقبيح جميلا فاذا تصور استيلاء
هذا الحب فمن اين يستحيل ذلك في حب الجمال الازلي الابدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي
لا يعتريها الغلط ولا يدورها الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله مستفيدة بالموت
مزيد تنبه واستكشاف فهذا امر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود وحكايات
احوال المحبين واقوالهم فقد قال شقيق البلخي من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها وقال الجنيد سألت
السري السقطي هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة
ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل شيء بحبه حتى لو احب النار احببت دخول النار وقال بشر بن الحارث مررت
برجل وقد ضرب الف سوط في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت فقال لاني عاشق فقلت ولم
سكت قال لان معشوقي كان بحذائي ينظر الي فقلت فلو نظرت الى المعشوق الاكبر قال فزعق زعقة خر ميتا وقال يحيى
بن معاذ الرازي اذا نظر اهل الجنة الى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله تعالى ثمانمائة
سنة لا ترجع اليهم فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله اذا لاحظت جلاله هابت واذا لاحظت
جماله تاهت وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فاذا انا برجل اعمى مجنون مجذوم قد صرع والنمل
ياكل لحمه فرفعت راسه فوضعته في حجري وانا اردد الكلام فلما افاق قال من هذا الفضولي الذي
يدخل بيني وبين ربي لو قطعني اربا اربا ما ازددت له الا حبا قال بشر فما رايت بعد ذلك نقمة بين عبد

بين يديه فانكيتما وقال ابو عمرو محمد بن الاشعث ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء
الا النظر الى وجه يوسف كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بالم
الجوع بل في القرآن ما هو ابلغ من هذا وهو قطع النسوة ايديهن لاستهتارهن بملاحظة
جماله حتى ما احسسن بذلك وقال سعيد بن يحيى رايت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شابا و
في يده مدية وهو ينادي باعلى صوته والناس حوله وهو يقول

يوم الفراق من القيامة اطول ... والموت من الم التفرق اجمل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل ... لكن مهجتي التي تترحل

ثم بقر بالمدية بطنه وخر ميتا فسالت عنه وعن امره فقيل لي انه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا
وقيل ان يونس قال لجبرئيل على نبينا وعليهما الصلوة والسلام دلني على اعبد اهل الارض فدله على
رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وهو يقول متعتني بهما ما شئت انت و
سلبتني ما شئت انت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول وعن عبد الله بن عمر انه اشتكى ابن له فاشتد
وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن
عمر في جنازته وما رجل ابدى سرورا منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر انما كان حزني رحمة له فلما وقع امر الله
رضينا به وقال مسروق كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم للصلوة والحمار
ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب يحرسهم فجاء الثعلب فاخذ الديك فحزنوا له وكان الرجل
صالحا فقال عسى ان يكون خيرا ثم جاء الذئب فقتل الحمار فحزنوا له فقال الرجل عسى ان يكون خيرا ثم اصيب
الكلب بعد ذلك فقال عسى ان يكون خيرا ثم اصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم وبقوا هم
قال وانما اخذوا اولئك لما كان عندهم من اصوات الكلب والحمار والديك فكانت الخيرة في هلاك
هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فمن عرف خفي لطف الله رضي بفعله وروي ان عيسى على
نبينا وعليه الصلوة والسلام مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام
وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا اي شيء من البلاء
اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال
له صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة وقد اذهب الله عنه ما كان
به فصحب عيسى وتعبد معه وقطع عروة بن الزبير رجله من ركبته من اكلة خرجت بها فقال الحمد لله
الذي اخذ مني واحدة وايمك لئن كنت اخذت لقد ابقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده
تلك الليلة وكان ابن مسعود يقول الفقر والغنى مطيتان ما ابالي ايهما ركبت ان كان الفقر فان فيه الصبر
وان كان الغنى فان فيه البذل وقال ابو سليمان الداراني قد نلت من كل مقام حالا الا الرضا فما لي منه الا
مشام الريح وعلى ذلك لو ادخل الخلائق كلهم الجنة وادخلني النار كنت بذلك راضيا وقيل لعارف آخر نلت
غاية الرضا عنه فقال اما الغاية فلا ولكن مقام من الرضا قد نلته لو جعلني جسرا على جهنم يعبر الخلائق علي الى الجنة
ثم ملأ بي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليقته لاحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وهذا كلام من علم
ان الحب قد استغرق همه حتى منعه الاحساس بالم النار وان بقي احساس فيغمره ما يحصل من لذته في استشعار
حصول رضا محبوبه بالقائه اياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وان كان بعيدا من احوالنا
الضعيفة ولكن لا ينبغي ان يستنكر الضعيف المحروم احوال الاقوياء ويظن ان ما هو عاجز عنه يعجز عنه الاولياء
وقال الروذباري قلت لابي عبد الله بن الجلاء الدمشقي قول فلان وددت ان جسدي قرض بالمقاريض وان

وابقى لي اخرى

هذا الخلق اطاعوه ما معناه فقال يا هذا ان كان هذا من طريق النصح والاشفاق للخلق فاعرف وان
كان من طريق التعظيم والاجلال فلا اعرف قال ثم غشي عليه وقد كان عمران بن حصين استسقى بطنه فبقي
ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء
حاجته فدخل عليه مطرف واخوه العلاء فجعل يبكي لما يراه من حاله فقال لم تبكي فقال لاني اراك على
هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان احبه الى الله احبه الي ثم قال احدثك شيئا لعل الله ان ينفعك به
واكتم علي حتى اموت ان الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها فاعلم ان هذا البلاء ليس
بعقوبة اذ هو سبب لهذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على
سويد بن شعبة نعوده فراينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شيئا حتى كشف فقالت له امراته اهلي فداءك ما
نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقف واصبحت نضوا لا اطعم طعاما ولا اسيغ شرابا
منذ كذا وكذا فذكر اياما وما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر ولما قدم سعد بن ابي
وقاص الى مكة وقد كان كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله ان يدعو له فيدعو
لهذا ويدعو لهذا وكان مجاب الدعوة قال عبد الله بن السائب فاتيته وانا غلام فتعرفت اليه
فعرفني وقال انت قارئ اهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها فقلت له يا عم انت تدعو
للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يا بني قضاء الله عندي احسن
من بصري وضاع لبعض الصوفية ثلاثة ايام لم يعرف له خبر فقيل له لو سالت الله ان يرده عليك
فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي وعن بعض العباد انه قال اذنبت ذنبا عظيما
فانا ابكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما هو
قال قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان احب الي من ان
اقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه وقيل لعبد الواحد بن زيد ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده
فقال له حبيبي اخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه
الصوم والصلوة قال نعم قال لولا اني استحييت منك لاخبرتك بان معاملتك خمسين سنة مدخولة
معناه لم يفتح لك باب القلب فترقى الى درجات القرب باعمال القلوب وانما انت تعد في
طبقة اصحاب اليمين لان مزيدك منه في اعمال الجوارح التي هي مزيد اهل العموم ودخل جماعة على الشبلي
في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من انتم قالوا محبوك فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة
فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيتم محبتي ان صدقتم فاصبروا على بلائي وهو يقول

انا الحب للرحمن اسكرني ... وهل رايت محبا غير سكران

وقال بعض عباد اهل الشام كلكم يلقى الله مصدقا وقد كذبه وذلك ان
احدكم لو كان له اصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها شلل ظل يواريها يعني بذلك ان الذهب مذموم
عند الله والناس يتفاخرون به والبلاء زينة اهل الآخرة ويستنكفون منها وقيل انه وقع الحريق
في السوق فقيل للسري احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله
على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد
لله فاذا تاملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم
من مقامات اهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حق الله تعالى وحظوظ
الآخرة قطعا وامكانه من وجهين احدهما الرضا بالالم لما يتوقع من الثواب الموعود كالرضا بالحجامة وشرب

ولد صغير صح

قال فهل انست به قال لا

الدواء انتظارا للشفاء والثاني ان الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له وقد يغلب
الحب بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب فيكون الذ الاشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه و
نفوذ ارادته ولو في هلاك روحه كما قيل شعر وما لجرح اذا ارضاكم الم • وهذا ممكن مع الاحساس
بالالم وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن ادراك الالم فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده
فلا ينبغي ان ينكره من فقده من نفسه فانه انما فقده لفقد سببه وهو فرط الحب ومن لم يذق طعم الحب
لم يعرف عجائبه فللمحبين عجائب اعظم مما وصفناه وقد روي عن عمرو بن الحارث الرافقي قال كنت في مجلس بالرقة
عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية وكانت معنا في المجلس فضربت بالقضيب وغنت
شعر علامة ذل الهوى على العاشقين البكا • ولا سيما عاشق اذا لم يجد مشتكى • فقال لها الفتى احسنت والله يا سيدتي
افتاذنين لي ان اموت فقالت مت راشدا قال فوضع راسه على الوسادة واطبق فمه وغمض عينيه فحركناه
فاذا هو ميت وقال الجنيد رايت رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع اليه ويظهر له المحبة فالتفت
اليه الصبي وقال الى متى ذا النفاق الذي تظهر لي فقال قد علم الله اني صادق فيما اورده حتى لو قلت
لي مت لمت فقال ان كنت صادقا فمت قال فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا وقال سمنون المحب كان
في جيرتنا رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيسا فبينا هو يحرك
القدر اذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك ما في
القدر بيده حتى تساقطت اصابعه فقالت الجارية له ما هذا قال هذا موضع قولك آه وحكي عن محمد بن عبد الله
البغدادي قال رايت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد اشرف على الناس وهو يقول شعر
من مات عشقا فليمت هكذا • لا خير في عشق بلا موت • ثم رمى بنفسه الى الارض فحملوه ميتا فهذا و
امثاله قد يصدق به في حب المخلوق فالتصديق به في حب الخالق اولى لان البصيرة الباطنة اصدق من البصر
الظاهر وجمال الحضرة الربوبية اوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك
الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع ينكر لذة الالحان والنغمات الموزونة
فالذي فقد القلب لا بد وان ينكر ايضا هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب بيان ان الدعاء غير
مناقض للرضا ولا يخرج صاحبه من مقام الرضا وكذلك كراهة المعاصي ومقت اهلها ومقت اسبابها و
السعي في ازالتها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه ايضا وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين
وزعم ان المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره فيجب الرضا به وهذا جهل بالتأويل وغفلة
عن اسرار الشرع اما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك سائر الانبياء
على ما نقلناه في كتاب الدعوات ولقد كان صلى الله عليه وسلم في اعلى مقامات الرضا وقد اثنى الله تعالى
على بعض عباده فقال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا واما انكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضا به فقال تعالى
ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف وفي الخبر المشهور من شهد
منكرا ورضي به فكانه قد فعله وفي الحديث الدال على الشر كفاعله وعن ابن مسعود رضي الله عنه ليغيب
الرجل عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به وفي الخبر لو ان عبدا
قتل بالمشرق ورضي اخر بقتله في المغرب كان شريكه في قتله وقد امر الله تعالى بالحسد والمنافسة في
الخيرات وتوقي الشرور فقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد
الا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها في الناس ويعلمها ورجل آتاه الله مالا وسلطه على هلكته في الحق

وفي لفظ لو آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار فيقول الرجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتى هذا لفعلت
مثل ما يفعل واما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والاخبار لا يحصى مثل قوله تعالى
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقوله تعالى
وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وفي الخبر ان الله تعالى اخذ الميثاق على كل مؤمن ان يبغض كل منافق وعلى كل منافق
ان يبغض كل مؤمن وقال عليه الصلاة والسلام المرء مع من احب وقال من احب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة وقال صلى الله
عليه وسلم اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله من كتاب آداب
الصحبة والامر بالمعروف فلا نعيده فان قلت فقد وردت الاخبار والآيات بالرضا بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي
بغير قضاء الله فهو محال وهو قادح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله وكيف
السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على
الضعفاء القاصرين عن الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى راوا السكوت على المنكر مقاما من مقامات
الرضا وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة يتضادان اذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد
وليس من التضاد في شيء واحد ان يكره من وجه ويرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو ايضا عدو بعض اعدائك
فتكرهه من حيث انه مات عدو عدوك وترضى به من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى
من حيث انه فعله واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ووجه الى
العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله وبغيضا عنده حيث سلط عليه اسباب البعد والمقت فهو من هذا ا
الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف هذا الا بمثال فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدي محبيه اني اريد ان اميز بين من
يحبني وبين من يبغضني وانصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو اني اقصد الى فلان فاوذيه واضربه ضربا يضطره
ذلك الى الشتم لي حتى اذا شتمني ابغضته واتخذته عدوا لي فكل من احبه فاعلم ايضا انه عدوي وكل من ابغضه فاعلم انه صديقي
ومحبي فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق
في محبته عالم بشروط المحبة ان يقول اما تدبيرك في ايذاء هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضه للبغض والعداوة فانا
محب له وراض به فانه رايك وتدبيرك وفعلك وارادتك واما شتمه اياك فانه عدوان من جهته اذ كان حقه ان
يصبر ولا يشتم ولكن كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه
حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذي دبرته فانا راض به ولو لم يحصل لكان ذلك نقصانا في تدبيرك وتعويقا في
مرادك وانا كاره لفوات مرادك ولكنه من حيث انه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف
ما يقتضيه جمالك اذ كان ذلك يقتضي ان يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث نسبته اليه ومن حيث هو
وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك واما بغضك له بسبب شتمه فانا راض به ومحب له لانه على مرادك و
انا على موافقتك ايضا مبغض له لان من شرط المحب ان يكون لحبيب المحبوب حبيبا ولعدوه عدوا واما بغضه لك فاني ارضاه من حيث
انك اردت ان يبغضك اذ ابعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني ابغضه من حيث انه وصف ذلك البغيض
وكسبه وفعله واما مقته لذلك فهو ممقوت عندي لمقته اياك وبغضه ومقته لك ايضا مكروه عندي من حيث انه وصف
له وكل ذلك من حيث انه مرادك فهو مرضي محض وانما التناقض ان يقول هو من حيث انه مرادك مرضي ومن حيث انه مراد
غير مرضي مكروه فاما اذا كان مكروها لا من حيث انه فعله ومراده بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه و
يشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه اخر ونظائر ذلك لا تحصى فاذا تسليط الله دواعي الشهوة والمعصية
عليه بينا هو ضرب المحبوب يضاهي للشخص الذي ضربناه مثلا لجره الضرب الى الغضب والغضب الى الشتم ومقت الله تعالى لمن عصاه

حتى يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب الى فعل المعصية

فلئن كانت معصية تبذيره لشبهه بعض المشئوم لمن شتمه وان كان شتمه انما يحصل بتدبيره واختياره لاسبابه وفعل الله
تعالى ذلك بكل عبد من عبيده اعني تسليط دواعي المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيته بابعاده ومقته فواجب على كل
عبد محب لله ان يبغض من ابغضه الله ويمقت من مقته الله تعالى ويعادي من ابعده عن حضرته وان اضطره بقهره وقدرته
الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بابعاده قهرا ومطرودا بطرده اضطرارا
والمبعد عن درجات القرب ينبغي ان يكون مقيتا بغيضا الى جميع المحبين موافقة للمحبوب باظهار الغضب على من اظهر
المحبوب الغضب عليه بابعاده وبهذا يتقرر جميع ما ورد من الاخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار
والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله عز وجل وهذا كله يستمد من سر القدر
الذي لا رخصة في افشائه وهو ان الشر والخير كلاهما داخلان في المشية والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير
مراد مرضي به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال انهما جميعا منه من غير افتراق في الرضا والكراهة
فهو ايضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير ماذون فيه فالاولى السكوت والتادب بادب الشرع فقد قال صلى الله عليه و
سلم القدر سر الله فلا تفشوه وذلك يتعلق بعلم المكاشفة وغرضنا الان بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا
بقضاء الله ومقت المعاصي مع انها من قضاء الله تعالى وقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السر فيه وبهذا يعرف ايضا
ان الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الاسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله فان الله تعبد العباد
بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف
وسببا لتواتر مزايا اللطف كما ان حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء طلب
لازالة العطش ومباشرة سبب رتبه الله تعالى مسبب الاسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وامر به وقد ذكرنا
ان التمسك بالاسباب جريا على سنة الله لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب التوكل فهو ايضا لا يناقض الرضا لان الرضا
مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم اظهار البلاء على سبيل الشكوى والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض وقد قال بعض
السلف من حسن الرضا بقضاء الله ان لا يقول هذا يوم حار اي في معرض الشكاية وذلك في الصيف واما في الشتاء فهو
شكر والشكوى مناقض الرضا بكل حال وذم الاطعمة وعيبها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لان مذمة الصنعة مذمة
للصانع والكل من صنع الله وقول القائل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والكسب كد ومشقة كل ذلك قادح في
الرضا بل ينبغي ان يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني
لا ادري ايهما خير لي **بيان ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا** اعلم ان الضعيف
قد يظن ان نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون يدل على النهي من الخروج من بلد ظهرت
فيه المعاصي لان كل واحد منهما فرار من قضاء الله وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون
انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقي فيه المرضى مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزلا وضرا ولذلك شبهه رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالفرار من الزحف ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما اذن لمن قارب البلد
في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل واذا عرف المعنى عرف ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس
فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بد منه وكذلك مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو
اليها لاجل التنفير عن المعصية ليس مذموما فما زال السلف الصالحون يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد
واظهارهم ذلك وطلبا الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فما رايت بلدا اشر من بغداد قيل وكيف
قال هو بلد يزدرى فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله ولما قدم خراسان قيل له كيف رايت بغداد قال ما رايت بها الا شرطيا
غضبان وتاجرا لهفان او قارئا حيران ولا ينبغي ان يظن ان ذلك من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك

الشخص به وقصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وكان مقامه ببغداد ريثما يستعد للقافلة
ستة عشر يوما وكان يتصدق بستة عشر دينارا لكل يوم دينار كفارة لمقامه وقد ذم العراق جماعة
كعمر بن عبد العزيز وكعب الاحبار وقال ابن عمر رضي الله عنهما لمولى له اين تسكن فقال العراق فقال فما تصنع به بلغني انه
ما من احد يسكن العراق الا قيض الله له قرينا من البلاء وذكر كعب الاحبار يوما العراق فقال فيه تسعة
اعشار الشر وفيه الداء العضال وقد قيل قسم الخير عشرة اجزاء فتسعة اعشاره بالشام وعشره بالعراق
وقسم الشر عشرة اجزاء على العكس من ذلك وقال بعض اصحاب الحديث كنا يوما عند الفضيل بن عياض فجاءه
صوفي متدرع بعباءة فاجلسه الى جانبه واقبل عليه ثم قال اين تسكن فقال بغداد فاعرض عنه وقال يأتينا
احدهم في زي الرهبان فاذا سألناه اين تسكن قال في عش الظلمة وكان بشر بن الحارث يقول مثل المتعبد
ببغداد مثل المتعبد في الحش وكان يقول لا تقتدوا بي في المقام بها من اراد ان يخرج فليخرج وكان احمد بن
حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر في نفسي قيل واين تختار السكنى قال
بالثغور قال بعضهم وقد سئل عن اهل بغداد زاهدهم زاهد وشريرهم شرير فهذا يدل على ان من بلي
ببلدة تكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام فيها بل ينبغي ان يهاجر قال الله تعالى الم تكن ارض
الله واسعة فتهاجروا فيها فان منعه عن ذلك عيال او علاقة فلا ينبغي ان يكون راضيا بحاله مطمئن النفس اليه
بل ينبغي ان يكون منزعج القلب منها قائلا على الدوام ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها وذلك لان الظلم
اذا عم نزل البلاء ودمر على الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة فاذا ليس في شيء من اسباب نقصان الدين البتة رضاء مطلق الا من حيث اضافتها الى الله تعالى فاما هي
في انفسها فلا وجه للرضا بها بحال وقد اختلف العلماء في الافضل من اهل مقامات ثلاثة رجل يحب الموت

فصل

شوقا الى لقاء الله ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا بل ارضى بما اختاره الله تعالى لي و
رفعت هذه المسئلة الى بعض العارفين فقال صاحب الرضا افضلهم لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب
بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن اسباط فقال الثوري كنت اكره موت الفجاءة قبل اليوم واليوم وددت
اني ميت فقال له يوسف لم فقال لما اتخوف من الفتنة وقال يوسف لكني لا اكره طول البقاء فقال سفيان لم قال
لعلي اصادف يوما اتوب فيه واعمل صالحا فقيل لوهيب ايش تقول انت فقال لا اختار شيئا احب ذلك الي احبه الى الله تعالى
فقبل الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة **بيان جملة من حكايات المحبين** واقوالهم ومكاشفاتهم
قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب وقيل له ايضا يقولون انك واحد
من السبعة فقال انا كل السبعة وكان يقول اذا رأيتموني فقد رأيتم اربعين بدلا قيل وكيف وانت شخص واحد
قال لاني رأيت اربعين بدلا واخذت من كل بدل خلقا من اخلاقه وقيل له بلغنا انك ترى الخضر فتبسم وقال ليس
العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحتجب عنه وحكي عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لم يبق
ولي لله الا عرفته الا ورأيت في ذلك اليوم وليا لم اعرفه وقيل لابي يزيد البسطامي حدثنا عن مشاهدتك من الله
تعالى فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا باشد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى فقال
وهذا ايضا لا يجوز ان اطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي الى الله تعالى
فجمحت علي فعزمت عليها ان لا اشرب الماء سنة ولا اذوق النوم سنة فوفت لي بذلك وحكي عن يحيى بن معاذ انه
رأى ابا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا اخمصيه
مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فاطاله ثم قعد

فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي في الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان
قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض
فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك قال حتى عد نيفا وعشرين مقاما من مقامات الاولياء ثم التفت فرآني
فقال يحيى فقلت نعم يا سيدي فقال مذ متى انت ههنا قال منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال
احدثك بما يصلح لك ادخلني الفلك الاسفل فدورني في الملكوت السفلي واراني الارضين وما تحتها الى الثرى
ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات واراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني
اي شيء رأيت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي ما رأيت شيئا استحسنته فاسألك اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني
لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن فذكر اشياء قال يحيى فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت يا سيدي
لم لا سألته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سل ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه مني حتى لا احب ان يعرفه سواه
وحكي ان ابا تراب النخشبي كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجيده فقال له
ابو تراب يوما لو رأيت ابا يزيد فقال اني عنه مشغول فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله لو رأيت ابا يزيد
هاج وجد المريد فقال ويحك ما اصنع بابي يزيد وقد رأيت الله تعالى فاغناني عن ابي يزيد قال
ابو تراب فهاج طبعي ولم املك نفسي فقلت ويلك تغتر بالله تعالى لو رأيت ابا يزيد مرة واحدة
كان انفع لك من ان ترى الله سبعين مرة قال فبهت الفتى من قولي وانكره فقال وكيف ذلك
فقال له ويلك اما ترى الله عندك فيظهر لك على مقدارك وترى ابا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره
فعرف ما قلت فقال احملني اليه فذكر قصة قال في آخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج علينا من الغيضة وكان
يأوي الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر اليه فنظر اليه
الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابي يزيد يا سيدي نظره اليك قتله قال لا
ولكن كان صاحبك صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن
حمله لانه في مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال
اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سألت الله عز وجل دفعهم فسكت ثم قال ان لله عبادا في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم
يصبح على وجه الارض ظالم الا مات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب الله ثم ذكر
من اجابة الله تعالى اشياء لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سألوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه امور ممكنة في انفسها
فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي ان يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فان القدرة واسعة والفضل عظيم وعجائب الملك
والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان ابو يزيد
يقول ان اعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابرهيم فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا
مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا بلاء مثلهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل وقد قال بعض
العارفين كوشفت باربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى
معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي
انظر اليهن قال فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا انظر وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا فلم ازل
اتضرع حتى صرفهن عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي ان ينكرها المؤمن لافلاسه عن مثلها فلو لم يؤمن كل واحد
الا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال الايمان عليه بل هذه احوال تظهر بعد مجاوزة عقبات و
نيل مقامات كثيرة ادناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم

من كرامات صح

مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول فهذه اوائل سلوكهم واقل مقاماتهم وهي اعز موجود
في الاتقياء من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات الى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له
مبادي الحق وانكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجري مجرى انكار من انكر امكان انكشاف الصورة في الحديد
اذا شكلت ونقيت وصقلت وصورت بصورة المرآة فنظر المنكر الى ما في يده من زبرة الحديد مظلم قد
استولى عليها الصدأ والخبث وهو لا يحكي صورة من الصور فانكر امكان انكشاف المرائي فيها عند ظهور جوهرها
وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من انكر كرامات الاولياء اذ لا مستند له الا قصوره عن ذلك
وقصور من رآه وبئس المستند ذلك في انكار قدرة الله تعالى بل انما يستروح روائح المكاشفة من سلك شيئا ولو من
مبادي الطريق كما قيل لبشر باي شيء بلغت هذه المنزلة فقال كنت اكاتم الله تعالى حالي معناه اسأله ان يكتم علي
ويخفي امري وروي انه رأى الخضر عليه السلام فقال له ادع الله لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني قال
وسترها عليك فقيل معناه وسترها عن الخلق وقيل سترها عنك حتى لا تلتفت انت اليها وعن بعضهم انه قال
اقلقني الشوق الى الخضر فسألت الله مرة ان يريني اياه ليعلمني شيئا كان اهم الاشياء علي قال فرأيته فما
غلب على همي ولا همتي الا ان قلت له يا ابا العباس علمني شيئا اذا قلته حجبت عن قلوب الخلق فلم يكن لي فيها قدر ولم يعرفني
احد بصلاح وديانة فقال قل اللهم اسبل علي كثيف سترك وحط علي سرادقات حجبك واجعلني في
مكنون غيبك واحجبني عن قلوب خلقك ثم غاب فلم اره ولم اشتق اليه بعد ذلك فما تركت ان اقول هذه
الكلمات في كل يوم فحكي انه صار بحيث كان يستذل ويمتهن حتى كان اهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه في الطرق
يحمل الاشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذله
وخموله فهكذا حال اولياء الله ففي امثال هؤلاء ينبغي ان يطلبوا والمغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات
والطيالسة وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيرة الله على اوليائه تأبى الا اخفاءهم كما قال
تعالى اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري وقال عليه الصلوة والسلام رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم
على الله لابره وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة بعلمها
وعملها واقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارا اذا ذل واهتضم لم يحس
بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر ايضا بعدم التفاته الى
الذل بل كان عند نفسه اخس منزلة من ان يرى جميع انواع الذل ذلا في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار
التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجى ان يستنشق مبادي هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا
القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغي ان نطرح الايمان بانكار ذلك لاهله فمن لا يقدر ان يكون من اولياء
الله فليكن محبا لاولياء الله مؤمنا بهم فعسى ان يحشر مع من احب ويشهد لهذا ما روي ان عيسى صلوات الله على
نبينا وعليه قال لبني اسرائيل اين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق اقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل
التراب ولقد انتهى المريدون لولاية الله في طلب شروطها الى اذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة حتى
روي عن استاذ الجنيد وهو ابن الكريني ان رجلا دعاه ثلاث مرات الى طعام ثم كان يرده ثم كان يستدعيه
فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضيت نفسي على الذل عشرين سنة
حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك
لاجبت وعنه ايضا انه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فتشتت علي قلبي فدخلت الحمام وعدلت الى ثياب
فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت امشي قليلا قليلا فلحقوني ونزعوا

مرقعتي وأخذوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك ألبس الحمام فسكنت نفسي فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم عن النظر إلى النفس فإن الملتفت إلى نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله حجاب بعد ولا حائل وإنما بعد القلوب شغلها بغيره أو بنفسها وأعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكي أن شاهدا عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد فقال له يوما يا أبا يزيد أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا وأنا أصدقه وأحبه فقال أبو يزيد ولو صمت ثلثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لأنك محجوب بنفسك قال فلهذا دواء قال نعم قال قل لي حتى أعمل قال لا تقبله قال فاذكره لي حتى أعمل قال اذهب الساعة إلى المزين فاحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعة أعطيته جوزة فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف قال لأنك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال هذا لا أفعله ولكن دلني على غيره فقال ابتدئ بهذا قبل كل شيء فقال لا أطيقه قال فقد قلت لك إنك لا تقبل فهذا الذي ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتل بنظره إلى نفسه ومرض بنظر الناس إليه ولا ينجي من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغي أن ينكر إمكان الشفاء في حق من داوى نفسه بعد المرض أو لم يمرض بمثل هذا المرض أصلا فأقل درجات الصحة الإيمان بإمكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل أيضا وهذه أمور جلية في الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من علماء الشرع فقد قال عليه الصلاة والسلام لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته وأن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف وقال أيضا ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر أمر الآخرة على أمر الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا يكمل إيمان العبد حتى يكون فيه ثلاث خصال إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل وإذا قدر لم يتناول ما ليس له وفي حديث آخر ثلاث من أوتيهن فقد أوتي مثل ما أوتي آل داود العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وخشية الله في السر والعلانية فهذه شروط ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل الإيمان فالعجب ممن يدعي علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من عقله وعلمه أن يجحد ما لا يكون إلا بعد مجاوزة مقامات عظيمة وراء الإيمان وفي الأخبار أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه إنما أتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له غيري ولا يؤثر علي شيئا من خلقي وإن حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وإن قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد ألما فمن لم يبلغ إلى هذا الحد فمن أين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الإيمان ومقامات الإيمان وتفاوته في الزيادة والنقصان لا حصر لها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للصديق رضي الله عنه إن الله قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن بي من ولد آدم وفي حديث آخر إن لله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر يا رسول الله هل في خلق منها فقال كلها فيك يا أبا بكر وأحبها إلى الله السخاء وقال صلى الله عليه وسلم رأيت ميزانا دلي من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة فرجحت بهم ووضع أبو بكر في كفة وجيء بأمتي فوضعت في كفة فرجح بهم ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال لو كنت متخذا خليلا من الناس لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعني نفسه

خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها قال سفيان المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره إيثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله إشارة إلى ثمرات المحبة فأما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب تعجز القلوب عن دركه وتمتنع الألسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فإذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله احذر أن تذل لغير الله وقيل للشبلي صف لنا العارف والمحب فقال العارف إن تكلم هلك والمحب إن سكت هلك وقال الشبلي **شعر**

يا أيها السيد الكريم ... حبك بين الحشا مقيم
يا رافع النوم عن جفوني ... أنت بما مر بي عليم

ولغيره

عجبت لمن يقول ذكرت ربي ... وهل أنسى فأذكر من نسيت
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ... ولولا حسن ظني ما حييت
فأحيا بالمنى وأموت شوقا ... فكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحب كأسا بعد كأس ... فما نفد الشراب ولا رويت
فليت خياله نصب لعيني ... فإن قصرت في نظري عميت

وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلاء أوحى الله إلى عيسى صلوات الله على نبينا وعليه إني إذا اطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي وقيل تكلم سمنون يوما في المحبة فإذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الأرض حتى سال منه الدم فمات وقال إبراهيم بن أدهم إلهي إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال سري السقطي من أحب الله عاش ومن مال إلى الدنيا طاش والأحمق يغدو ويروح في لا شيء وقيل لرابعة كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم فقالت إني والله لأحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين وسئل عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام عن أفضل الأعمال فقال الرضا عن الله والحب له وقال أبو يزيد المحب لا يحب الدنيا والآخرة إنما يحب من مولاه مولاه وقال الشبلي الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم وقيل المحبة محو القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح وقال الخواص المحبة محو الإرادات واحتراق جميع الصفات والحاجات وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه وقيل معاملة المحب على أربع منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وأفضلها التعظيم والمحبة لأن هاتين المنزلتين تبقيان في الجنة مع أهل الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال هرم بن حيان المؤمن إذا عرف ربه أحبه وإذا أحبه أقبل إليه وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة وقال عبد الله بن محمد سمعت امرأة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا إلى الله تعالى وحبا للقائه قال فقلت لها فعلى ثقة أنت من عملك قالت لا ولكن لحبي إياه وحسن ظني به أفتراه يعذبني وأنا أحبه وأوحى الله تعالى إلى داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقا إلي وتقطعت أوصالهم من محبتي يا داود هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف إرادتي في المقبلين علي يا داود أحوج ما يكون العبد إلي إذا استغنى عني وأرحم ما أكون بعبدي إذا أدبر عني وأجل ما يكون عندي إذا رجع إلي وقال أبو خالد الصفار لقي نبي من الأنبياء عابدا فقال له إنكم معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معاشر الأنبياء نعمل عليه أنتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على الشوق والمحبة وقال الشبلي أوحى الله تعالى إلى آدم يا آدم من أحب حبيبا صدق قوله ومن أنس بحبيبه رضي بفعله ومن اشتاق إليه جد في سيره وكان الخواص يضرب على صدره ويقول واشوقاه إلى من يراني ولا أراه وقال

الجنيد بكى يونس حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى حتى اقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك
بحر من نار لخضته شوقا مني اليك وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله
انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضاء غنيمتي والعجز فخري والزهد
حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة وقال
ذو النون سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة فارواح العارفين قدسية جلالية فلذلك اشتاقوا الى الله
عز وجل وارواح المومنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وارواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى
الدنيا وقال بعض المشايخ رايت في جبل اللكام رجلا اسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر الى حجر
ويقول الشوق والهوى صيراني كما ترى ويقال الشوق نار الله اشعلها في قلوب اوليائه حتى يحرق
بها ما في قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف في شرح المحبة والانس
والشوق والرضا فلنقتصر عليه

كتاب النية والاخلاص والصدق وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به ايمان الموقنين ونقر بوحدانيته اقرار الصادقين ونشهد ان لا اله الا
الله رب العالمين وخالق السموات والارضين ومكلف الجن والانس والملائكة المقربين ان يعبدوه عبادة
المخلصين فقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فما لله الا الدين الخالص المتين فانه
اغنى الاغنياء عن شركة المشاركين والصلوة والسلام على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين
وعلى اصحابه واله الطيبين الطاهرين اما بعد فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وانوار
القران ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى الا العالمين والعالمون كلهم
هلكى الا العاملين والعاملون كلهم هلكى الا المخلصين وان المخلصين على خطر عظيم فالعمل بغير نية
عناء والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والاخلاص من غير صدق
وتحقيق هباء وقد قال الله تعالى في كل عمل كان بارادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية او كيف يخلص من صحح النية اذا لم يعرف حقيقة
الاخلاص او كيف يطالب المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد اراد طاعة الله
ان يتعلم النية لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص اللذين هما وسيلتا العبد الى
النجاة والخلاص ونحن نذكر معاني النية والصدق والاخلاص في ثلاثة ابواب **الباب الاول**
في حقيقة النية ومعناها **الباب الثاني** في الاخلاص وحقائقه **الباب الثالث**
في الصدق وحقيقته اما **الباب الاول** في النية وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا
من العمل وبيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية وبيان خروج النية عن الاختيار **فضيلة النية** قال
الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة هي النية وقال
صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله

ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وقال صلى الله عليه وسلم
اكثر شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته وقال تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما
فجعل النية سببا للتوفيق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم
واعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد
بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله فيقول القوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهي ثم ينادي
الملائكة اكتبوا له كذا واكتبوا له كذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول تعالى انه نواه انه نواه
وقال صلى الله عليه وسلم الناس اربعة رجل اتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو اتاني الله
ما اتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء ورجل اتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول
رجل لو اتاني الله مثل ما اتاه عملت كما يعمل فهما في الوزر سواء الا ترى كيف شركه بالنية في محاسن عمله ومساويه
وكذلك في حديث انس بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال ان بالمدينة
اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شركونا
في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية
وفي حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل ليتزوج امراة منا فكان يسمى مهاجر
ام قيس وكذلك جاء في الخبر ان رجلا قتل في سبيل الله فكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل رجلا ليأخذ
سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وفي حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غزا
وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى وقال ابي استعنت رجلا يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا
فجعلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه واخرته الا ما نوى وروي ان لا
ما جعلت له وروي في الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا
الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل له ان الله قد قبل صدقتك وشكر
حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وقد ورد في اخبار كثيرة من هم بحسنة فلم
يعملها كتبت له حسنة وفي حديث عبد الله بن عمرو من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها
ارغب ما يكون فيها ومن كانت الاخرة نيته جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد ما يكون
فيها وفي حديث ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء فقلت يا رسول الله يكون
فيهم المكره والاجير فقال يحشرون على نياتهم وقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يقتتل
المقتتلون على النيات وقال صلى الله عليه وسلم اذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل
للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة
الله هي العليا فهو في سبيل الله وعن جابر بن عبد الله انه قال عليه الصلوة والسلام يبعث كل عبد على ما مات عليه
وفي حديث الاحنف عن ابي بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله
هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وفي حديث ابي هريرة من تزوج امراة على صداق وهو
لا ينوي اداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال صلى الله عليه وسلم
من تطيب لله جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه
انتن من الجيفة واما **الاثار** فقال عمر رضي الله عنه افضل الاعمال اداء ما افترض الله والورع
عما حرم الله وصدق النية فيما عند الله وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان عون الله على

قدر النية فمن تمت نيته ثم عوقه الله لم وان نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير
تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال داود الطائي البر همته التقوى فلو تعلقت جميع
جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك وقال الثوري كانوا
يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل وقال بعض العلماء اطلبوا النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير
فانت بخير وكان بعض المريدين يطوف على العلماء ويقول من يدلني على عمل لا ازال فيه عاملا لله تعالى
فاني لا احب ان ياتي علي ساعة من ليل او نهار الا وانا عامل من عمال الله فقيل له قد وجدت
حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت او تركت فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله و
لذلك قال بعض السلف ان نعمة الله عليكم اكثر من ان تحصوها وان ذنوبكم اخفى من ان تعلموها ولكن
اصبحوا توابين وامسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك وقال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام طوبى
لعين نامت ولم تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم وقال ابو هريرة يبعثون يوم القيمة على قدر نياتهم وكان
الفضيل بن عياض اذا قرا ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم يبكي و
يرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وقال الحسن انما خلد اهل الجنة في الجنة واهل
النار في النار بالنيات وقال ابو هريرة مكتوب في التورية ما اريد به وجهي فقليله كثير وما اريد به غير
وجهي فكثيره قليل وقال بلال بن سعد ان العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى
ينظر في عمله فاذا عمل لم يدعه حتى ينظر في ورعه فان تورع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى فان صلحت
النية فبالحرى ان يصلح ما دون ذلك فاذا عماد الاعمال النيات فالعمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا
والنية في نفسها خير وان تعذر العمل بعائق

بيان حقيقة النية

اعلم ان النية والارادة والقصد
عبارات متواردة على معنى واحد وهي حالة وصفة للقلب يكتنفها امران علم وعمل العلم يقدمه لانه
اصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه وذلك لان كل عمل اعني كل حركة وسكون اختياري فانه لا
يتم الا بثلاثة امور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد ان يعلم ولا يعمل ما لم
يرد فلا بد من ارادة ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما في الحال او في المال
فقد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور ويلائم غرضه ويخالفه بعض الامور ويحتاج الى جلب
الملائم الموافق الى نفسه ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر بالضرورة الى معرفة وادراك للشي المضر
والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يبصر الغذاء لا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار
لا يمكنه الهرب منها فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها اسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس
ذلك من غرضنا ثم لو ابصر الغذاء وعرف انه غذاء موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل اليه و
رغبة فيه وشهوة له باعثة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة و
الميل ولفقد الداعية المحركة اليه فخلق الله الميل له والرغبة والارادة واعني به نزوعا في نفسه اليه وتوجها
في قلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله وهو عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له
القدرة والاعضاء المحركة حتى يتم به التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية
الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة او الظن والاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه كون الشي موافقا
له فاذا جزمت المعرفة بان الشي موافق له ولا بد ان يفعل وسلمت عن معارضة باعث اخر صارف عنه انبعثت
الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت الارادة انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء فالقدرة خادمة للارادة و
الارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الارادة وانبعاث النفس

هذا صح

بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال واما في المال فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب
وهو الباعث والغرض الباعث هو المقصد المنوي والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة
الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل الا ان انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين
اجتمعا في فعل واحد واذا كان ذلك بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليا بانهاض القدرة
وقد يكون كل واحد قاصرا الا بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا لولا الاخر لكن الاخر انتهض عاضدا له ورفيقا
معا وانا فيكون يخرج من هذا التقسيم اربعة اقسام فلنذكر لكل واحد مثالا واسما اما الاول فهو ان ينفرد
الباعث الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع فكما راه قام من موضعه فلا مزعج له الا غرض الهرب من السبع
وعرف ضراوته فانبعثت نفسه الى الهرب ورغبت فيه وانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نيته
الفرار من السبع لا نية له في القيام غيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض
الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره وممازجته واما الثاني فهو ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض
لو انفرد ومثاله من المحسوس ان يتعاون رجلان على حمل شي بمقدار من القوة كانت كافية في الحمل لو انفردت
ومثاله في غرضنا ان يسأله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره وقرابته وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها
لمجرد القرابة وانه لولا قرابته لكان يقضيها لمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بان يحضره قريب غني فيرغب في قضاء
حاجته وفقير اجنبي فيرغب فيه ايضا وكذلك من امره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم
انه لو لم يكن يوم عرفة لكان يترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يتركه لاجل انه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فاقدم على الفعل
فكان الباعث الثاني رفيق الاول فلنسم هذا موافقة البواعث الثالث ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي
مجموعهما على انهاض القدرة ومثاله في المحسوس ان يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد احدهما ومثاله من غرضنا
ان يقصده قريبه الغني فيطلب درهما فلا يعطيه ويقصده الفقير الاجنبي فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده
القريب الفقير فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس
لغرض الثواب ولغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء ولو كان الطالب
فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء ولو اجتمعا اورث مجموعهما تحريك القلب ولنسم
هذا الجنس مشاركة والرابع ان يكون احد الباعثين مستقلا لو انفرد والاخر لا يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تاثير
بالاعانة والتسهيل ومثاله في المحسوس ان يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد
الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه ومثاله في غرضنا ان يكون للانسان ورد في
الصلوات وعادة في الصدقات فاتفق ان حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل اخف عليه
بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم
يكن بمجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق الى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة فالباعث الثاني اما ان
يكون رفيقا او شريكا او معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص والغرض الان بيان اقسام النيات
فان العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات لانها تابعة لا حكم لها في نفسها
وانما الحكم للمتبوع

بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله

اعلم انه قد يظن ان سبب هذا الترجيح ان النية سر لا يطلع عليه الا الله تعالى
والعمل ظاهر ولعمل السر فضل و
هذا صحيح ولكن ليس هو المراد لانه
لو نوى ان يذكر الله تعالى بقلبه او يتفكر
في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث
ان تكون نية التفكر خيرا من التفكر و
قد يظن ان سبب هذا
الترجيح ان النية تدوم الى اخر العمل والاعمال لا تدوم وهو ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل
الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية اعمال الصلوة قد لا تدوم الا في لحظات معدودة والاعمال
تدوم والعموم يقتضي ان يكون نيته خيرا من عمله وقد يقال معناه ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده

دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد ان يكون العمل هو المراد اذ العمل بلا نية او على الغفلة لا خير فيه اصلا
والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين في اصل الخير بل المعنى به ان كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت
النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعات خير من العمل
اي لكل واحد منهما اثر في المقصود واثر النية اكثر من اثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله
الذي من جملة طاعته والغرض ان للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه
واما سبب كونها خيرا ومترجحة على العمل فلا يفهمه الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ اثر الطرق في الايصال
الى المقصد وقاس بعض الاثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح بالاضافة الى المقصود فمن قال الخبز خير
من الفاكهة فانما يعني به انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك الا من فهم ان للغذاء
مقصدا وهو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة الاثار فيها وفهم اثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض
فالطاعات غذاء القلوب والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في الاخرة وسعادتها وتنعمها
بلقاء الله تعالى فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله تعالى فقط ولن يتنعم بلقاء الله الا من مات محبا
لله عارفا به ولن يحبه الا من عرفه ولن يانس بربه الا من طال ذكره له فالانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة بدوام
الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا فرغ من شواغل الدنيا و
لن يتفرغ عن شواغلها الا اذا انقطعت عنه شهواتها حتى يصير مائلا الى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا
له وانما يميل الى الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته في الاخرة منوطة بها كما يميل العاقل الى الفصد والحجامة
لعلمه بان سلامته فيهما واذا حصل اصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه فان المواظبة
على مقتضى صفات القلب وارادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترشح الصفة و
تقوى بسببها فالمائل الى طلب العلم او طلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء الا ضعيفا فان اتبع مقتضى الميل و
اشتغل بالعلم وتربية الرياسة والاعمال المطلوبة بها تاكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع وان خالف
مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وامحق بل الذي ينظر الى وجه حسن مثلا فيميل طبعه اليه ميلا ضعيفا
لو اتبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمحاورة تاكد ميله حتى يخرج امره عن اختياره
فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع الغذاء والقوت عن صفة
الميل ويكون ذلك زبرا ودفعا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه او ينقمع وينمحي وهكذا جميع الصفات و
الخيرات والطاعات كلها هي التي تراد بها الاخرة والشرور كلها هي التي تراد بها الدنيا لا
للاخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتاكد
ذلك الا بالمواظبة على اعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح لان بين الجوارح والقلب علاقة حتى يتاثر
كل واحد منهما بالاخر فترى العضو اذا اصابته جراحة تالم بها القلب وترى القلب اذا تالم بعلمه بموت عزيز
من اعزته او بهجوم امر مخوف تاثرت به الاعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع
فكانه الامير والراعي والجوارح كالخدم والرعايا والاتباع فالجوارح خادمة للقلب بتاكيد صفاتها فيها
فالقلب هو المقصود والاعضاء الات موصلة الى المقصود ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان في الجسد
لمضغة اذا صلحت صلح بها سائر الجسد وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اصلح الراعي والرعية واراد بالراعي القلب
وقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهو صفة القلب فمن هذا الوجه يجب
لا محالة ان تكون اعمال القلب على الجملة افضل من حركات الجوارح ثم يجب ان تكون النية من جملتها افضل لانها عبارة

عن ميل القلب الى الخير وارادته له وغرضنا من الاعمال بالجوارح ان تعود القلب ارادة الخير وتؤكد فيه
الميل اليه ليتفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة الى الغرض لانه
متمكن من نفس المقصود وهذا كما ان المعدة اذا تالمت فقد تداوى بان يوضع الطلاء على الصدر وتداوى
بالشرب والدواء الواصل الى المعدة فالشرب خير من طلاء الصدر لان طلاء الصدر ايضا انما اريد
به ان يسري منه الاثر الى المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو خير وانفع فهكذا ينبغي ان تفهم تاثير الطاعات
كلها اذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن ان في وضع الجبهة على
الارض غرضا من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب
فاذا استعان باعضائه وصورها بصورة التواضع تاكد تواضعه ومن وجد في قلبه رقة على يتيم
فاذا مسح بيده على راسه وقبله تاكد الرقة في قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا اصلا لان من
مسح راس يتيم وهو غافل بقلبه او ظان انه يمسح ثوبا لم ينتشر من اعضائه اثر الى قلبه لتاكيد الرقة وكذا
من يسجد غافلا وهو مشغول الهم باغراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الارض اثر الى قلبه يتاكد
به التواضع فكان وجود ذلك كعدمه وما ساوى وجوده وعدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب
منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه هذا اذا فعل عن غفلة فان
قصد به رياء او تعظيم شخص اخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا فانه لم يؤكد الصفة المطلوبة
تاكيدها حتى اكد الصفة المطلوب قمعها وهو صفة الرياء التي هي من الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية
خيرا من العمل وبهذا ايضا يعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان هم
القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهو غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها
تاكيدا فليس المقصود من اراقة دم القربان اللحم والدم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه
الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وان عاق عن العمل عائق فلن ينال الله
لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى وكذلك قال صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة
وقد شركونا في جهادنا كما ذكرناه لان قلوبهم في صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في
طلب الشهادة واعلاء كلمة الله كقلوب الخارجين في الجهاد وانما فارقوهم بالابدان لعوائق تخص الاسباب الخارجة عن
القلب وذلك غير مطلوب الا لتاكيد هذه الصفات وبهذه المعاني تفهم جميع الاحاديث التي اوردناها
في فضيلة النية فاعرضها عليه لينكشف لك اسرارها فلا نطول بالاعادة

بيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية

اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع و
ذكر وفكر وغير ذلك مما لا يتصور احصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة اقسام طاعات ومعاص ومباحات
القسم الاول المعاصي وهي لا تتغير عن موضوعها بالنية فلا ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله صلى
الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات فيظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب
غيره او يطعم فقيرا من مال غيره او يبني مدرسة او مسجدا او رباطا بمال حرام وقصده الخير فهذا كله جهل
والنية لا تؤثر في اخراجه عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع
شر اخر فان عرفه فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات انما
عرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن ان يكون الشر خيرا هيهات بل المروج لذلك على القلب خفي الشهوة و
باطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به

الى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل ما عصي الله تعالى بمعصية اعظم من الجهل فقيل يا ابا محمد هل تعرف
شيئا اشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لان الجهل بالجهل يسد باب التعلم بالكلية فمن يظن بنفسه
انه عالم فكيف يتعلم وكذلك افضل ما اطيع الله تعالى به العلم وراس العلم العلم بالعلم كما ان راس الجهل الجهل بالجهل فان
من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم الى الدنيا و
ذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود ان من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور الا اذا
كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم وقد قال الله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال
صلى الله عليه وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه ويقرب
من تقرب من السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرب العلماء السوء بتعليم العلم السفهاء والاشرار
المشغولين بالفسق والفجور المقصورين هممهم على مماراة العلماء ومباهاة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام
الدنيا واخذ اموال اليتامى والمساكين فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله تعالى وانتهض كل واحد منهم في بلدته
نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرئ الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله ثم
قد ينتشر ذلك العلم الى مثله وامثاله ويتخذه ايضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووباله يرجع
جميعه الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته انواع المعاصي من اقواله وافعاله وفي
مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثاره من الشر منتشرة في العالم الف سنة مثلا والفي سنة وطوبى لمن اذا مات
ماتت ذنوبه معه ثم العجب من جهله حيث يقول انما الاعمال بالنيات وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في الفساد
فالمعصية منه لا مني وما قصدت به الا ان يستعين به على الخير وانما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم
يحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا من قاطع
طريق واعد له خيلا واسبابا ويقول انما اردت البذل والسخاء والتخلق باخلاق الله وقصدت به ان يغزو بهذا
السيف والخيل فان اعداد الخيل والرباط والقوة للغزاة من افضل القربات فان هو صرفه الى قطع
الطريق فهو العاصي وقد اجمع الفقهاء على ان ذلك حرام مع ان السخاء هو احب الاخلاق الى الله حتى قال صلى الله
عليه وسلم ان لله تعالى ثلثمائة خلق من تقرب اليه بواحد منها دخل الجنة واحبها اليه السخاء فليت شعري لم حرم
هذا السخاء ولم وجب عليه ان ينظر الى قرينة الحال فاذا لاح له من عادته انه يستعين بالسلاح على الشر
فينبغي ان يسعى في سلب سلاحه لا ان يمده بغيره والعلم سلاح يقاتل به الشيطان واعداء الله وقد يعاون
به اعداء الله وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا لدنياه على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله
فكيف يجوز امداده بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته بل لم يزل علماء السلف يتفقدون احوال من يتردد
اليهم فلو راوا منه تقصيرا في نفل من النوافل انكروه وتركوا اكرامه واذا راوا منه فجورا واستحلالا لحرام
هجروه ونفوه عن مجالسهم فكيف وتركوا تكليمه فضلا من تعليمه لعلمهم بان من تعلم مسئلة ولم يعمل بها وجاوز
الى غيرها فليس يطلب الا آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العالم بالسنة وما تعوذوا
بالله من الفاجر الجاهل وحكي عن بعض اصحاب احمد بن حنبل انه كان يتردد اليه سنين ثم اتفق ان اعرض عنه احمد
وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغيره وهو لا يذكره حتى قال بلغني انك طينت حائط دارك من
جانب الشارع فقد اخذت قدر سمك الطين وهو انملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم فهكذا كان
مراقبة السلف لاحوال طلبة العلم فهذا وامثاله مما يلتبس على الاغبياء واتباع الشياطين وان كانوا ارباب
الطيالسة والاكمام الواسعة واصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير اعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل

على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء اليها بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق
ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الاقران فاذا قوله عليه الصلوة والسلام
انما الاعمال بالنيات يختص من الاقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي اذ الطاعة
تنقلب معصية بالقصد وتكون طاعة بالقصد والمباح ينقلب طاعة ومعصية بالقصد فاما
المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد اصلا نعم للنية دخل فيها وهو انه اذا انضاف اليها قصود خبيثة
تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرناه في كتاب التوبة القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات
في اصل صحتها وفي تضاعف فضلها اما الاصل فهو ان ينوي بها عبادة الله لا غير فان نوى الرياء صارت معصية
واما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له
بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر امثالها كما ورد في الخبر ومثاله القعود
في المسجد فانه طاعة ويمكن ان ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل اعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين
اولها ان يعتقد انه بيت الله وان داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره وثانيها ان ينتظر
الصلوة بعد الصلوة فيكون في جملة انتظاره في الصلوة وهو معنى قوله ورابطوا وثالثها الترهب بكف السمع والبصر
والاعضاء عن الحركات والترددات فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب و
لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رهبانية امتي القعود في المساجد ورابعها عكوف الهم على الله ولزوم
السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال الى المسجد وخامسها التجرد لذكر الله تعالى او
يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله وسادسها ان يقصد افادة علم بامر بمعروف ونهي عن منكر اذ
المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلوته او يتعاطى ما لا يحل له فيامره بالمعروف ويرشده الى الدين فيكون شريكا معه
في خيره الذي يعلم منه فيتضاعف خيراته وسابعها ان يستفيد اخا في الله فان ذلك غنيمة وذخيرة للدار
الآخرة والمسجد معشش اهل الدين المحبين لله وفي الله وثامنها ان يترك الذنوب حياء من الله تعالى و
يتحامى ان يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما من ادمن
الاختلاف الى المسجد رزقه الله احدى سبع خصال اخا مستفادا في الله او رحمة مستنزلة او علما
مستطرفا او كلمة تدله على هدى او تصرفه عن ردى او يترك الذنوب خشية او حياء فهذا طريق تكثير
النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات اذ ما من طاعة الا ويحتمل نيات كثيرة وانما تحضر
في قلب العبد المؤمن بقدر جده في طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف الحسنات
القسم الثالث المباحات وما من شيء من المباحات الا ويحتمل نية او نيات يصير بها من محاسن القربات وينال
بها معالي الدرجات فما اعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي
ان يستحقر العبد شيئا من الخطوات والخطرات واللحظات فكل ذلك يسأل عنه في القيمة انه لم فعله وما الذي
قصد به هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها
عذاب وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليسأل يوم القيمة
عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعه وعن لمسه ثوب اخيه وفي خبر آخر من تطيب لله تعالى
جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة
فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية فان قلت فما الذي يمكن ان ينوي بالطيب وهو حظ من حظوظ

لاستماع ذكره وللتذكر به كما روي في الخبر من غدا الى المسجد يذكر الله او يذكر به صح

فكيف يتطيب به فاعلم ان من تطيب مثلا يوم الجمعة وفي سائر الاوقات يمكن ان يقصد التنعم بلذات الدنيا او يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الاقران او يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة او ليتودد به الى قلوب النساء الاجنبيات اذا كان مستحلا للنظر اليهن ولامور اخر لا تحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية فبذلك يكون انتن من الجيفة في القيامة الا القصد الاول وهو التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا انه يسأل عنه ومن نوقش في الحساب عذب ومن اوتي شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص له من نعيم الآخرة بقدره وناهيك خسرانا بان تستعجل ما يفنى وتخسر زيادة نعيم لا يفنى واما النيات الحسنة فانه ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وينوي بذلك ايضا تعظيم المسجد واحترام بيت الله فلا يرى ان يدخله زائر الله الا طيب الرائحة وان يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحه وان يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي الى ايذاء مخالطيه وان يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين اذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل شعر

مهما ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم

وقال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم اشار به الى ان التسبب الى الشر شر وان يقصد به معالجة دماغه ليزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر وقد قال الشافعي رضي الله عنه من طاب ريحه زاد عقله فهذا وامثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كان طلبه تجارة الآخرة وطلب الخير غالبا على قلبه واذا لم يغلب على قلبه الا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وان ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها الا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء والمباحات كثيرة ولا يمكن احصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد ما عداه ولهذا قال بعض السلف اني لاستحب ان يكون لي في كل شيء نية حتى في اكلي وشربي ونومي ودخولي الخلاء وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به التقرب الى الله تعالى لان كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصده من الاكل التقوي على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب اهله والتوصل الى ولد يعبد الله تعالى بعده فيكثر به امة محمد صلى الله عليه وسلم كان مطيعا باكله ونكاحه واغلب حظوظ النفس الاكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة وكذلك ينبغي ان يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله واذا بلغه اغتياب غيره له فليطيب قلبه بانه سيحمل سيئاته وستنقل الى ديوانه حسناته ولينو ذلك بسكوته عن الجواب ففي الخبر ان العبد ليحاسب فيبطل اعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الاعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يا رب هذه اعمال ما عملتها فيقال هذه اعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك وفي الخبر ان العبد ليأتي بحسنات امثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فيأتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فيقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقي سيئاته طالبوه فيقول الله تعالى القوا عليه من سيئاتهم ثم صكوا له صكا الى النار وبالجملة فاياك ثم اياك ان تستحقر شيئا من حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها يوم السؤال والحساب فان الله تعالى مطلع عليك وشهيد وما تلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال بعض السلف كتبت كتابا واردت ان اتربه من حائط جاري فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب فاتربته فهتف بي هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب وصلى رجل مع الثوري فرآه مقلوب الثوب فعرفه فمد يده ليصلحه ثم قبضها فلم يسوه فسأله عن ذلك فقال اني لبسته لله تعالى ولا اريد ان اسويه لغير الله وقد قال الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول

بيني وبينك الله فيقول والله ما اعرفك فيقول بلى انت اخذت لبنة من حائطي واخذت خيطا من ثوبي فهذا وامثاله من الاخبار قطع قلوب الخائفين فان كنت من اولي الحزم والنهى ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قبل ان يدقق عليك وراقب احوالك فلا تسكن ولا تتحرك ما لم تتأمل اولا انك لم تتحرك وماذا تقصد وما الذي تنال به من الدنيا وما الذي يفوتك به من الآخرة وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة فاذا علمت انه لا باعث الا الدين فامض عزمك وما خطر ببالك والا فامسك ثم راقب ايضا قلبك في امساكك وامتناعك فان ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة فلا ينبغي ان يكون الداعي هوى خفي ولا تطلع عليه ولا يغرنك ظواهر الامور ومشهورات الخيرات وافطن للاغوار والاسرار تخرج من حيز اهل الاغترار فقد روي عن زكريا على نبينا وعليه الصلاة والسلام انه كان يعمل في حائط بالطين وكان اجيرا لقوم فقدموا اليه رغيفين اذ كان لا يأكل الا من كسب يده فدخل عليه قوم فلم يدعهم الى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا ان الخير في طلب المساعدة في الطعام فقال اني اعمل لقوم باجرة وقدموا الي الرغيفين لاتقوى بهما على عملهم فلو اكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر الى البواطن بنور الله فان ضعفه عن العمل نقص في فرض وترك الدعوة الى الطعام نقص في فضل ولا حكم للفضائل مع الفرائض وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو يأكل فما كلمني حتى لعق اصابعه ثم قال لولا اني اخذته بدين لاحببت ان تأكل منه وقال سفيان من دعا رجلا الى الطعام وليس له رغبة في ان يأكل فان اجابه فاكل فعليه وزران وان لم يأكل فعليه وزر واحد واراد باحد الوزرين النفاق وبالثاني تعريضه لاخيه لما يكره لو علمه فهكذا ينبغي ان يتفقد العبد نيته في سائر الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا بنية فان لم تحضره النية توقف فان النية لا تدخل تحت الاختيار

بيان ان النية لا تدخل تحت الاختيار

اعلم ان الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه او تجارته او اكله نويت ان ادرس لله واتجر لله او آكل لله ويظن ان ذلك نية وهيهات فذلك حديث نفس او حديث لسان او فكر او انتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل عن جميع ذلك وانما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها الى ما ظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا او آجلا والميل اذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت ان اشتهي الطعام واميل اليه او كقول الفارغ نويت ان اعشق فلانا واحبه واعظمه بقلبي فذلك محال بل لا طريق الى اكتساب صرف القلب الى الشيء وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب اسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر وانما تنبعث النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها وما لم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقده فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها اسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص وبالاحوال وبالاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح مثلا ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد دينا ودنيا لا يمكنه ان يواقع على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوي الولد واذا لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم فضله فلا يمكن ان ينوي بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض وليس بنية نعم طريقه ان يكتسب هذه النية مثلا ان يقوي اولا ايمانه بالشرع ويقوي ايمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير امة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد

من ثقل المؤونة وطول التعب وغيره فاذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه
تلك الرغبة ويحرك اعضاءه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة
لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا فان لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد
الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات اذ لم تحضرهم النية و
كانوا يقولون ليس تحضرنا فيه نية حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال
ليس تحضرني نية ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره ان هاتي المدرى فقالت اجيء بالمرآة فسكت
ساعة ثم قال نعم فقيل له في ذلك فقال كان لي في المدرى نية ولم تحضرني في المرآة نية فتوقفت حتى
هيأها الله تعالى ومات حماد بن ابي سليمن وكان احد علماء اهل الكوفة فقيل للثوري الا تشهد جنازته
فقال لو كان لي نية لفعلت وكانوا اذا سئلوا عملا من الاعمال قالوا ان رزق الله نية فعلنا وكان
طاوس لا يحدث بغير نية الا بنية وكان يسأل ان يحدث فلا يحدث ولا يسأل فيبتدئ فقيل له في ذلك فقال
افتحبون ان احدث بغير نية اذا حضرت لي نية فعلت وحكي ان داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاءه
احمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحا ورده فقال ما لك قال فيه اسانيد ضعاف فقال له داود انا
لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبير انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت قال احمد فرده علي حتى انظر
فيه بالعين التي نظرت فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاوس
ادع لنا فقال حتى اجد له نية وقال بعضهم انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد وقال عيسى بن كثير
مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت فقال ابنه الا تعرض عليه العشاء قال ليس
من نيتي وهذا لان النية تتبع النظر فاذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون ان يعملوا عملا الا بالنية
لعلمهم بان النية روح العمل وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب
وعلموا ان النية ليس هي قول القائل بلسانه نويت بل هو انبعاث القلب يجري مجرى الفتوح من الله تعالى
فقد يتيسر في بعض الاوقات وقد يتعذر في بعضها نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين تيسر عليه في اكثر
الاحوال احضار النية للخيرات فان قلبه مائل بالجملة الى اصل الخير فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال
قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له ذلك في الفرائض الا بجهد جهيد وغايته ان
يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها او نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما ينبعث له داعية ضعيفة
فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته واما الطاعة على نية اجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية
فلا تتيسر للراغب في الدنيا وهذه اعز النيات واعلاها ويعز من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها
ونيات الناس في الطاعات اقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقي النار ومنهم من
يعمل اجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله و
تعظيمه لذاته ولجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لانه ميل الى الموعود في الآخرة وان
كان من جنس المألوفات في الدنيا واغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرهما
الجنة فالعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته درجة البله وانه لينالها
بعمله اذ اكثر اهل الجنة البله واما عبادة ذوي الالباب فلا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجماله
وجلاله وسائر الاعمال تكون مؤكدات وروادف وهذا ارفع درجة من الالتفات الى المنكوح و
المطعوم في الجنة فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه

فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجهه الكريم ويسخرون ممن يلتفت الى وجه
الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين ممن يتنعم بالنظر الى وجه الصورة المصنوعة من الطين بل
اشد فان التفاوت بين جمال الحضرة الربوبية وجمال الحور العين اشد واعظم كثيرا من التفاوت
بين جمال الحور العين والصورة المصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر
من مخالطة الحسان واعراضها عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفساء لصاحبتها و
الفها لها واعراضها عن النظر الى جمال وجوه النساء فعمى اكثر القلوب عن ابصار جلال الله وجماله يضاهي عمى
الخنفساء عن ادراك جمال النساء فانها لا تشعر به اصلا ولا تلتفت اليه ولو كان لها عقل وذكرت لها لاستحسنت
عقل من يلتفت اليهن ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك وكل حزب بما لديهم فرحون رأى احمد بن خضرويه
رب العزة في منامه فقال له كل الناس يطلبون مني الا ابا يزيد فانه يطلبني ورأى ابو يزيد ربه في المنام
فقال يا رب كيف الطريق اليك قال دع نفسك وتعال ورؤي الشبلي بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله
بك قال لم يطالبني على الدعاوى بالبرهان الا على قول واحد قلت يوما اي خسارة اعظم من خسران الجنة
فقال اي خسران اعظم من خسران لقائي والغرض ان هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على
قلبه واحد منها ربما لم يتيسر له العدول الى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث اعمالا وافعالا لا يستنكرها
الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرت له نية في مباح ولم تحضره في فضيلة فالمباح اولى و
انتقلت الفضيلة اليه وصارت الفضيلة في حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو
فانه افضل من الانتصار في الظلم وربما تحضره نية في الانتصار دون العفو فيكون افضل ومثل ان يكون له
نية في الاكل والشرب والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادة في المستقبل وليس تنبعث نيته في الحال
للصوم والصلوة فالاكل والنوم هو الافضل له بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت
رغبته وعلم انه لو ترفه ساعة بلهو او حديث عاد نشاطه فاللهو افضل له من الصلوة قال ابو الدرداء
اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو فيكون ذلك عونا لي على الحق وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب
فانها اذا اكرهت عميت وهذه دقائق لا يدركها الا سماسرة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطب قد
يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر في الطب وانما يبتغي به ان يعيد اليه القوة ليحتمل
العلاج بالضد والحاذق بالشطرنج قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل به الى الغلبة والضعيف البصيرة
قد يضحك به ويتعجب منه والخبير بالقتال ايضا قد يقبل الهزيمة ويولي الخصم دبره ليستجره الى مضيق فيكر عليه فيقهره
فكذلك سلوك طريق الله كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق يقف فيها على لطائف من
الحيل يستبعدها الضعفاء فلا ينبغي للمريد ان يضمر انكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم ان يعترض على
استاذه بل ينبغي ان يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه من احوالهما يسلمه لهما الى ان ينكشف له اسرارهما
بان يبلغ رتبتهما وينال درجتهما

الباب الثاني في الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته

فضيلة الاخلاص

قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال تعالى الا لله الدين الخالص
وقال تعالى الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا
يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل
عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله وعن مصعب بن سعد قال [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم
ظن ابي ان له فضلا على من دونه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم انما
نصر الله هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وعن الحسن قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سألت جبرئيل وهو يحكي عن الله تعالى قال الاخلاص سر من سري استودعته

قلب من احببت من عبادي وقال علي رضي الله عنه لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ اخلص العمل يجزك منه القليل وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخلص العمل لله اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال صلى الله عليه وسلم اول من يسأل يوم القيامة ثلاثة رجل اتاه الله العلم فيقول الله له ماذا صنعت فيما علمت فيقول يا رب كنت اقوم به اناء الليل والنهار فيقول الله تعالى له كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم فقد قيل ذلك ورجل اتاه الله مالا فيقول الله تعالى له قد انعمت عليك فماذا صنعت فيقول يا رب كنت اتصدق به اناء الليل والنهار فيقول الله تعالى له كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى له ماذا صنعت فيقول يا رب امرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى له كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع فقد قيل ذلك قال ابو هريرة ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق تسعر بهم نار جهنم يوم القيامة فدخل راوي الحديث على معاوية فبكى حتى كادت تخرج نفسه وقال صدق الله تعالى اذ قال من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم الاية وفي الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله فغضب لذلك فاخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال اين تريد رحمك الله قال اريد ان اقطع هذه الشجرة قال وما انت وذلك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتي فقال اني لا اتركك ان تقطعها فقاتله فاخذه العابد فطرحه على الارض وقعد على صدره فقال له ابليس اطلقني حتى اكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله قد اسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبدها انت وما عليك من غيرك ولله انبياء في الارض ولو شاء لبعثهم الى اهلها وامرهم بقطعها فقال العابد فلا بد لي من قطعها فنابذه القتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز اللعين فقال له هل لك في امر فصل بيني وبينك وهو خير لك وانفع قال وما هو قال اطلقني حتى اقوله فقال له اللعين انت رجل فقير لا شيء لك انما انت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل على اخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك علي ان اجعل عند راسك في كل ليلة دينارين اذا اصبحت اخذتهما فانفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك انفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي تغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا امرني الله ان اقطعها فاكون عاصيا بتركها وما ذكره اكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات فلما اصبح راى دينارين عند راسه فاخذهما وكذلك الغد ثم اصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا فغضب واخذ فاسه على عاتقه فاستقبله اللعين في صورة الشيخ فقال له الى اين قال اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما انت بقادر على ذلك وما سبيل لك اليها قال فتناوله العابد لياخذه كما فعل اول مرة فقال هيهات فاخذه اللعين وصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد اللعين على صدره وقال لتنتهين عن هذا الامر او لاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به فقال يا هذا غلبتني فخل عني واخبرني كيف غلبتك اولا وغلبتني الآن فقال لانك غضبت اول مرة لله تعالى وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك وهذه الحكاية تصديق لقوله تعالى ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين اذ لا يتخلص العبد من الشيطان الا بالاخلاص ولذلك كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تتخلصي وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال ابو سليمان طوبى لمن

صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري من خلصت نيته كفاه الله ما بينه وبين الناس وكتب بعض الاولياء الى اخ له اخلص النية في اعمالك يكفك القليل من العمل وقال ايوب السختياني تخليص النيات على العمال اشد عليهم من جميع الاعمال وكان مطرف يقول من صفى صفي له ومن خلط خلط عليه ورئي بعضهم في المنام فقيل له كيف وجدت اعمالك فقال كل شيء عملته لله وجدته حتى حبة رمان التقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رايتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرايته في كفة السيئات وكان قد نفق لي حمار قيمته مائة دينار فما رايت له ثوابا فقلت موت سنور في الحسنات وموت حمار ليس فيها فقيل لي انه قد وجه حيث بعثت فقيل لك فانه لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله فبطل اجرك ولو قلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك وتصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني نظرهم الي فوجدت ذلك لا علي ولا لي وقال سفيان لما سمع هذا ما احسن حاله اذ لم يكن عليه فقد احسن اليه وقال يحيى بن معاذ الاخلاص تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين الفرث والدم وقيل كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر موضعا فيه عرس او ماتم يجتمع فيه النساء فاتفق ان حضر يوما موضعا فيه النساء فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة اليه والى امراة معه فدعا الله بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة فلا اعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع المراة وصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة وقال بعض الصوفية كنت قائما مع ابي عبيد التستري وهو يحرث ارضه بعد العصر يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشيء فقال ابو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح الارض حتى غاب عن عيني فقلت لابي عبيد ما قال لك فقال لي سالني ان احج معه فقلت لا قال فهلا فعلت قال ليس لي في الحج نية وقد نويت ان اتم هذه الارض العشية فاخاف ان حججت معه لاجل الغرض لمقت الله تعالى فاني ادخل في عمل الله تعالى لشيء غيره فيكون ما انا فيه عندي اعظم من سبعين حجة ويروى عن بعضهم قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت اشتريها فانتفع بها في غزوتي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها فرايت تلك الليلة في النوم كان شخصين نزلا من السماء فقال احدهما لصاحبه اكتب الغزاة فاملى عليه اكتب فلان خرج متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر الي وقال اكتب خرج فلان تاجرا فقلت الله الله في امري ما خرجت اتجر ولا معي تجارة اتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال له يا شيخ قد اشتريت امس مخلاة تريد ان تربح فيها فبكيت فقلت لا تكتبوني تاجرا فنظر الى صاحبه وقال له ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا الا انه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه بما يرى وقال سري السقطي لان تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من ان تكتب سبعين حديثا او سبعمائة بعلو وقال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز وقيل العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص وقيل اذا ابغض الله عبدا اعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا اعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم واعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها وقال السوسي مراد الله من عمل الخلق الاخلاص فقط وقال الجنيد ان لله عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا اخلصوا فاستدعاهم الاخلاص الى ابواب البر اجمع وقال محمد بن سعيد المروزي الامر كله يرجع الى اصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى فيما فعل وتخلص فيما تعمل فاذا انت قد سعدت بهذين وفزت في الدارين

بيان حقيقة الاخلاص

اعلم ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال الله تعالى من بين

وفرث ودم لبنا خالصا فانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن ان يمتزج
به والاخلاص يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان للشرك درجات فالاخلاص في التوحيد
يضاده التشريك في الالهية والشرك منه خفي ومنه جلي وكذا الاخلاص والاخلاص وضده يتواردان
على القلب فمحله القلب وانما يكون ذلك في القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى
اجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوي
فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو مخلص ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص ولكن العادة جارية
بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى عن جميع الشوائب كما ان الالحاد عبارة عن الميل
ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ولسنا
نتكلم فيه اذ ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات واقل ما ورد فيه ما ورد في الخبر من ان المرائي
يدعى في القيامة باربع اسماء يا مرائي يا مخادع يا مشرك يا كافر وانما نتكلم الان فيمن انبعث لقصد التقرب
ولكن امتزج بهذا الباعث باعث اخر اما من الرياء او من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك ان يصوم لينتفع
بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب او يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه او يحج ليصح مزاجه
بحركة السفر او ليتخلص من شر يعرض له في بلده او ليهرب عن عدو له في منزله او يتبرم باهله وولده او بشغل
هو فيه فاراد ان يستريح عنه اياما او يغزو ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر وجرها
او يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه به ليراقب رحله او اهله او يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما
يكفيه من المال او ليكون عزيزا بين العشيرة او ليكون عقاره وامواله محروسا بعز العلم من الاطماع او اشتغل
بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث او يتكفل بخدمة العلماء او الصوفية لتكون
حرمته وافرة عندهم وعند الناس ولينال به رفقا في الدنيا او كتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتبة خطه
او حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكراء او توضأ ليتنظف ويتبرد او اغتسل ليطيب رائحته او روى الحديث
ليعرف بعلو الاسناد او اعتكف في المسجد ليخفف عليه كراء المسكن او صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ
الطعام او ليتفرغ لاشغاله فلا يشغله الاكل عنها او تصدق على السائل ليقطع ابرامه من السؤال عن نفسه
او يعود مريضا ليعاد اذا مرض او يشيع جنازة ليشيع جنائز اهله او يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر
به وينظر اليه بعين الصلاح والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه خطرة من هذه
الخطرات حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون
خالصا لوجه الله تعالى وتطرق الشرك اليه وقد قال الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك وبالجملة كل حظ من
حظوظ الدنيا تستريح اليه النفس ويميل اليه القلب قل او كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه وزال به
اخلاصه والانسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته قلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته
عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الاجناس فلذلك قيل من سلم له في عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله
نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث عليه الا طلب القرب
من الله تعالى وهذه الحظوظ ان كانت هي الباعث وحدها فلا يخفى شدة الامر على صاحبه فيها وانما نظرنا
فيما اذا كان القصد الاصلي هو التقرب وانضافت اليه هذه الامور ثم هذه الشوائب اما ان تكون في رتبة
الموافقة او في رتبة المشاركة او في رتبة المعاونة كما سبق في بيان النية وبالجملة فاما ان يكون الباعث النفسي
مثل الباعث الديني او اقوى منه او اضعف ولكل واحد حكم اخر كما سنذكره وانما الاخلاص تخليص العمل عن هذه

فمن عمل عملا فاشرك فيه غيري فانا منه بريء صح

الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور الا من
محب لله مستهتر به مستغرق الهم بالاخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الاكل والشرب
ايضا بل يكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلا يشتهي الطعام لانه طعام
بل لانه يقويه على عبادة الله تعالى ويتمنى ان لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى في قلبه حظ من
الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون له
هم الا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو اكل او شرب او قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته و
سكناته فلو نام مثلا ليريح نفسه فيتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن
ليس كذلك فباب الاخلاص في الاعمال كالمسدود عليه الا على الندور وكما ان من غلب عليه حب الله تعالى وحب
الاخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت اخلاصا فالذي يغلب على نفسه حب الدنيا والعلو والرياسة
وبالجملة غير الله فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة الا نادرا فعلاج
الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للاخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذا ذلك
تيسر الاخلاص وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغرورا لانه لا يدري
وجه الافة فيها كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الاول لاني
تاخرت يوما بعذر وصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث راوني في الصف الثاني فعرفت
ان نظر الناس الي في الصف الاول كان يسرني وسبب استراحة قلبي من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض
وقل ما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له الا من وفقه الله تعالى والغافلون عنه يرون حسناتهم
كلها في الاخرة سيئات وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما
عملوا وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا واشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء فان الباعث للاكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح
بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله والنضال
عن شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى الواعظ يمن على الله تعالى بنصيحة الخلق ووعظ السلاطين و
يفرح بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعي انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من اقرانه من
هو احسن منه وعظا وانصرف الناس عنه واقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى
اذ كفاه هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه
الناس عنك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت انت المثاب واغتمامك لفوات الثواب محمود ولا يدري المسكين ان انقياده
للحق وتسليمه الامر للافضل اجزل ثوابا واعود عليه في الاخرة من انفراده وليت شعري لو اغتم عمر بتصدي ابي بكر
رضي الله عنهما للامامة اكان غمه محمودا او مذموما لان انقياده للحق وتسليمه الامر الى من هو اصلح منه
اعود في الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضي الله عنه باستقلال
من هو اولى منه بالامر فما بال العلماء لا يفرحون بمثل ذلك وقد ينخدع بعض اهل العلم بغرور الشيطان
فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو اولى منه بالامر لفرح به واخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان
محض الجهل والغرور فان النفس سهلة الانقياد في الوعد بامثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه
الامر تغير ورجع ولم يف بالوعد وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحانها
فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع الا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى

ولا يستريب ذو دين ان لو كان كذلك لكان مذموما صح

في قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديدا لتفقد والمراقبة لهذه الدقائق والا
التحق باتباع الشياطين وهو لا يشعر **بيان اقاويل الشيوخ في الاخلاص** قال السوسي
الاخلاص فقد رؤية الاخلاص لان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص
وما ذكره اشارة الى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه عجب وهو من جملة
الآفات والخالص ما صفى عن جميع الآفات فهذا تعرض لآفة واحدة وقال سهل الاخلاص ان يكون سكون
العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول ابرهيم بن ادهم الاخلاص
صدق النية مع الله تعالى وقيل لسهل اي شيء اشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال
رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين وهذا اشارة الى ان حظوظ النفس
آفة عاجلا وآجلا والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة ان لا يراد بالعمل الا
وجه الله وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق فاما من يعمل لرجاء الجنة و
خوف النار فهو مخلص بالاضافة الى الحظوظ العاجلة والا فهو في طلب حظ البطن والفرج وانما المطلوب
الحق لذوي الالباب وجه الله تعالى فقط وقول القائل لا يتحرك الانسان الا لحظ والبراءة من الحظوظ
صفة الالهية ومن ادعى ذلك فهو كافر وقد قضى القاضي ابو بكر الباقلاني بتكفير من ادعى البراءة
من الحظوظ وقال هذا من صفات الالهية وما ذكره حق ولكن القوم انما ارادوا به البراءة عما يسميه
الناس حظوظا وهو الشهوات الموصوفة في الجنة فقط فاما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر الى
وجه الله تعالى فهذا حظ هؤلاء وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهؤلاء لو عوضوا
عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة
لاستحقروه ولم يلتفتوا اليه فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال
ابو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق وهذا اشارة الى آفة الرياء فقط ولذلك قال بعضهم
الاخلاص في العمل ان لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه اشارة الى مجرد الاخفاء
وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا عن العلائق وهذا اجمع للمقاصد وقال المحاسبي
الاخلاص هو اخراج الخلق عن معاملة الرب وهذا اشارة الى مجرد نفي الرياء وكذلك قول الخواص
من شرب من كاس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية وقال الحواريون لعيسى بن مريم ما الخالص
من الاعمال فقال الذي يعمل لله تعالى لا يحب ان يحمده عليه احد وهذا ايضا تعرض لترك الرياء
وانما خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال
من الكدورات وقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص
ان يعافيك الله منهما وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل
والاقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وانما البيان الشافي
بيان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص فقال ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما
امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادتك كما امرت وهذه اشارة
الى قطع كل ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا **بيان درجات الشوائب** والآفات
المكدرة للاخلاص اعلم ان الآفات المشوشة للاخلاص بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها ضعيف
مع الجلاء وبعضها قوي مع الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء الا بمثال واظهر

مشوشات الاخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا فنقول الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصا
في صلاته ثم نظر اليه جماعة او دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار
والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن اطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر
ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين الدرجة الثانية ان يكون المريد قد فهم هذه الآفة واخذ منها حذره فصار
لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت اليه ويستمر في صلاته كما كان فيأتيه في معرض الخير ويقول انت متبوع ومقتدى
بك ومنظور اليك وما تفعله يؤثر عنك ويتأسى بك غيرك فيكون لك ثواب اعمالهم ان احسنت وعليك الوزر
ان اسأت فاحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا اغمض من
الاول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالاول وهو ايضا عين الرياء ومبطل للاخلاص فانه ان كان يرى الخشوع وحسن العبادة
خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم لم يرتض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن ان تكون نفس غيره اعز عليه من نفسه فهذا محض
التلبيس بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره الى غيره فيكون له ثواب عليه
فاما هذا فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به اثيب عليه واما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من
نفسه ما ليس متصفا به الدرجة الثالثة وهي ادق مما قبلها ان يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان
ويعلم ان مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ويعلم ان الاخلاص في ان تكون صلاته في الخلوة مثل
صلاته في الملاء كذلك ويستحيي من نفسه ومن ربه ان يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعا زائدا على عادته فيقبل
على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في الملاء ايضا كذلك فهذا ايضا من الرياء الغامض لانه
يحسن صلاته في الخلوة ليحسن في الملاء فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته في الخلوة والملاء الى الخلق بل الاخلاص
ان يكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق واحدا فكان نفس هذا ليست تسمح باساءة الصلاة
بين اظهر الناس ثم يستحيي من نفسه ان يكون في صورة المرائين ويظن ان ذلك يزول بان تستوي صلاته
في الخلاء والملاء وهيهات بل زوال ذلك بان لا يلتفت الى الخلق كما لا يلتفت الى الجمادات في الخلاء والملاء
جميعا وهذا شخص مشغول الهم بالخلق في الخلاء والملاء جميعا وهذا من المكايد الخفية للشيطان الدرجة
الرابعة وهي ادق واخفى ان ينظر اليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن ان يقول له اخشع لاجلهم فانه قد
عرف انه تفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله ومن انت واقف بين يديه واستحي
من ان ينظر الله الى قلبك وانت غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص
وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة و
لكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الآفة ان يكون هذا الخاطر مما يألفه
في الخلوة كما يألفه في الملاء ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهيمة سببا
فما دام يفرق في احواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفوة الاخلاص مدنس الباطن بالشرك
الخفي من الرياء وهذا الشرك اخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء
كما ورد به الخبر ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان
ملازم للمتشمرين لعبادة الله لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص
الشارب وتطييب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن في اوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي لارتباط
نظر الخلق بها ولاستئناس الطبع بها فيدعو الشيطان الى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي ان تتركها و
يكون انبعاث القلب باطنا لها لاجل تلك الشهوة الخفية او مشوبا بها ما يخرج عن حد الاخلاص بسببه وما لا

يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يأنس الطبع به فالشيطان
يرغبه فيه ويكثر عليه في فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الانس بحسن صورة المسجد و
استراحة الطبع به ويتبين ذلك في ميله الى احد المسجدين او احد الموضعين اذا كان احسن من الآخر وكل ذلك
امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الاخلاص ولعمري الغش الذي يمتزج بخالص الذهب
له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها ما يقل لكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد
البصير وغش القلب ودغل الشيطان وخبث النفس اغمض من ذلك وادق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من
عالم افضل من عبادة سنة من جاهل واريد به العالم البصير بدقائق آفات الاعمال حتى يخلص منها فان الجاهل
نظره الى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادي الى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو زيف
في نفسه وقيراط من خالص الذهب الذي يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغر الغبي فهكذا يتفاوت امر
العبادات بل اشد واعظم ومداخل الآفات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فلينتفع
بما ذكرناه مثالا والفطن تغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل ايضا فلا فائدة في التفصيل

بيان حكم العمل المشوب في استحقاق الثواب به على العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله بل امتزج به شوب من الرياء و
حظوظ النفس فقد اختلف في ان ذلك هل يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا ام لا يقتضي شيئا اصلا فلا
يكون لا له ولا عليه اما الذي لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب واما الخالص لوجه
الله فهو سبب الثواب وانما النظر في المشوب وظاهر الاخبار يدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن
تعارض فيه والذي ينقدح فيه والعلم عند الله ان ينظر الى قدر قوة الباعث فصار العمل لا له ولا عليه
وان كان باعث الرياء اغلب واقوى فهو ليس بنافع بل هو مع ذلك مضر ومقتض للعقاب نعم العقاب
الذي فيه اخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب
اغلب بالاضافة الى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ولقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا
على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا سقط بسببه شيء من
عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطاء عن هذا ان الاعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها فداعية
الرياء من المهلكات وانما غذاء هذه المهلك وقوته بالعمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان في القلب
فهما متضادتان فاذا عمل على مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة واذا كان ذلك العمل على وفق مقتضى
التقرب فقد قوى ايضا تلك الصفة واحداهما مهلك والاخرى منجية فان كان تقوية هذه بقدر تقوية
الآخر فقد تقاوما وكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم
قدره فيكون بعد تناولهما كأنه لم يتناولهما وان كان احدهما غالبا لم يخل الغالب عن اثر فكما لا يضيع
مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا ينفك عن اثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع
مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تأثير في انارة القلب او تسويده وفي تقريبه من الله تعالى او ابعاده
فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان فلم يكن لا له ولا عليه وان كان الفعل
مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر وقد قال صلى الله عليه وسلم اتبع
السيئة الحسنة تمحها فاذا كان الرياء المحض يمحوه الاخلاص المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا فلا بد وان
يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه و

فان كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا صح

الحسنة

قد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة
عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب ان يقال مهما كان الحج
هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب وما عندي ان الغزاة لا
يدركون في انفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد ان يقال
ادراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل ان يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج القوي هو
اعلاء كلمة الله وانما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا
يلتفت قلبه الى الغنيمة اصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محالة فان قلت فالآيات والاخبار تدل على ان شوب
الرياء يحبط الثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ فقد روى طاوس وعدة من التابعين
ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف او قال يتصدق فيحب ان يحمد ويؤجر فلم يدر ما يقول
له حتى نزل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقد قصد الاجر
والحمد جميعا وروى معاذ انه صلى الله عليه وسلم قال ادنى الرياء شرك وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه و
سلم يقال لمن اشرك في عمله خذ اجرك ممن عملت له وعن عبادة ان الله عز وجل يقول انا اغنى الاغنياء عن
الشرك من عمل لي عملا فاشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي وروى ابو موسى ان اعرابيا اتاه فقال يا رسول الله
الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال عمر رضي الله عنه تقولون فلان شهيد ولعله ان يكون
قد ملأ دفتي راحلته ورقا وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له فنقول
هذه الاحاديث لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك الا الدنيا كقوله من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا
كان ذلك هو الاغلب على همه وقد ذكرنا ان ذلك عصيان وعدوان لا لان طلب الدنيا حرام
ولكن طلبها باعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن وضعها واما لفظ الشركة حيث ورد
فمطلق للتساوي وقد بينا انه اذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي ان يرجى عليه ثواب
ثم ان الانسان عند الشركة ابدا في خطر فانه لا يدري اي الامرين اغلب فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال
تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا اي لا يرجى اللقاء مع الشركة التي احسن احوالها التساقط
ويجوز ان يقال ايضا منصب الشهادة لا ينال الا بالاخلاص ويبعد ان يقال من كانت داعيته الدينية بحيث
تزعجه الى مجرد الغزو وان لم يكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار احداهما اغنياء والاخرى
فقراء فمال الى جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله وللغنيمة انه لا ثواب له على غزوه البتة ونعوذ بالله ان يكون
الامر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل لليأس على المسلمين لان امثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك
الانسان عنها الا على الندور فيكون تأثيرها في نقصان الثواب فاما ان يكون في احباطه فلا نعم الانسان
فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى هو قصد التقرب ويكون الاغلب على سره الحظ النفسي وذلك
مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الامن الا بالاخلاص والاخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وان بالغ في
الاحتياط فلذلك ينبغي ان يكون ابدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا من ان يكون في
عبادته آفة يكون وبالها اكثر من ثوابها وهكذا كان الخائفون من ذوي الابصار والبصائر وهكذا ينبغي ان
يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال سفيان لا اعتد بما ظهر من عملي وقال عبد العزيز بن ابي رواد جاورت هذا
البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شيء من اعمال البر الا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب

فن

الشيطان او في من نصيبا لله ليتركه لا لي ولا علي ومع هذا فلا ينبغي ان يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان منه اذ المقصود ان لا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكي ان بعض الفقراء كان يخدم ابا سعيد الخراز ويخف في اعماله فتكلم ابو سعيد يوما في اخلاص الحركات فاخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالبه بالاخلاص فتعذر عليه قضاء الحوائج واستضر الشيخ به فساله عن ذلك فاخبره بمطالبته نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها في اكثر اعماله فيتركها فقال له ابو سعيد لا تفعل ان الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فما قلت لك اترك العمل بالكلية وانما قلت اخلص العمل وقد قال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لاجل الخلق شرك

الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته

فضيلة الصدق قال الله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ويكفي في فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه والله تعالى وصف به الانبياء عليهم الصلوة والسلام فقال تعالى واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما اربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر وقال بشر بن الحارث من عامل الله بالصدق استوحش من الناس وقال ابو عبد الله الموصلي رايت منصورا الدينوري في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي ورحمني واعطاني ما لم اومل فقلت له احسن ما توجه العبد الى الله تعالى ماذا قال الصدق واقبح ما توجه به الكذب وقال ابو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك وقال رجل لحكيم ما رايت صادقا فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا دين الله تعالى مبنيا على ثلاثة اركان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول وقال الثوري في قوله تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا فيها صادقين واوحى الله تعالى الى داود على نبينا وعليه الصلوة والسلام يا داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى نفسه في الدجلة فقال ان كان صادقا فالله ينجيه كما نجى موسى وان كان كاذبا فالله تعالى يغرقه كما غرق فرعون وقال بعضهم اجمع العلماء والفقهاء على ثلاث خصال انها اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الاعمال وطيب المطعم وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التورية اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بني اسرائيل يجتمعون فيقرؤنها لا كنز انفع من العلم ولا مال اربح من الحلم ولا حسب اوضع من الغضب ولا قرين ازين من العمل ولا رفيق اشين من الجهل ولا شرف اعز من التقوى ولا كرم اوفق من ترك الهوى ولا عمل افضل من الفكر ولا حسنة اعلى من الصبر ولا سيئة اخزى من الكبر ولا دواء الين من الرفق ولا داء اوجع من الخرق ولا رسول اعدل من الحق ولا دليل انصح من الصدق ولا فقر اذل من الطمع ولا غنى اشقى من الجمع ولا حيوة اطيب من الصحة ولا معيشة اهنى من العفة ولا عبادة احسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس احفظ من الصمت ولا غائب اقرب من الموت وقال محمد بن سعيد المروزي اذا طلبت الله بالصدق آتاك الله مرآة بيدك حتى تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة وقال ابو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الله والرفق فيما بينك وبين الخلق وقيل لذي النون هل للعبد الى صلاح اموره سبيل فقال قد بقينا من ذنوبنا حيارى نطلب الصدق ما اليه سبيل فدعاوي الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا يثقل وقيل لسهل ما اصل هذا الامر الذي نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة فقيل زدنا فقال التقى والحياء وطيب الغذاء وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق وعن الجنيد في قوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم قال يسال الصادقين عند انفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا امر على خطر

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه اعلم ان لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية والارادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لانه منتهى الغاية في الصدق ثم هم ايضا على درجات ومن له حظ من الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقه

الصدق الاول صدق اللسان وذلك لا يكون الا في الاخبار او فيما يتضمن الاخبار وينبه عليه والخبر اما ان يتعلق بالماضي او بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالعهد والوعد والخلف فيه وحق على كل عبد ان يحفظ الفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو اشهر انواع الصدق واظهرها فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان احدهما الاحتراز عن المعاريض فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لانها تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك مما تمس الحاجة اليه وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال وفي تاديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر عن الظلمة وفي قتال الاعداء والاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الملك فمن اضطر الى شيء من ذلك فصدقه فيه ان يكون نطقه فيه لله تعالى فيما يامر الحق به ويقتضيه الدين فاذا نطق به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق ما اريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي ان يعدل الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا ورى بغيره وذلك كيلا ينتهي الخبر الى الاعداء فيقصد وليس هذا من الكذب في شيء قال صلى الله عليه وسلم ليس بكاذب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلاث مواضع بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب فالصدق ههنا يتحول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق النية وارادة الخير فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير ارادته كان صادقا وصديقا كيفما كان لفظه ثم التعريض فيه اولى وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي باصبعك دائرة وضعي الاصبع فيها وقولي ليس ههنا واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صادقا وافهم الظالم انه ليس في الدار فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند الضرورة والكمال الثاني ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فان قلبه ان كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا بامانى الدنيا وشهواتها فهو كاذب وكقوله اياك نعبد واياك نستعين وكقوله انا عبد الله فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله تعالى لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيمة بالصدق في قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبدا لنفسه او لشهواته او للدنيا لم يكن صادقا في قوله وكل ما تقيد به العبد فهو عبده

كما قال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد
الدينار تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة فسمى كل من تقيد قلبه بشيء عبدا له وانما العبد الحق لله من
اعتق اولا عن غير الله تعالى فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية
لله فيشغله بالله وبمحبته وتقيد ظاهره وباطنه بعبادته وطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم قد يجاوز
هذا الى مقام اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق ايضا عن ارادته لله تعالى من حيث هو هو بل يقنع بما يريد
الله تعالى له من تقريب او ابعاد فتفنى ارادته في ارادة الله تعالى وهذا عبد عتق عن غير الله تعالى فصار
حرا ثم عتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقود النفس موجودا لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن
وان ابتلاه رضي لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل
وهذا منتهى الصدق في العبودية فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجة الصديقين
واما الحرية عن غير الله فدرجة الصادقين وبعدها يتحقق العبودية لله تعالى وما قبل هذا فلا يستحق
صاحبه ان يسمى صادقا ولا صديقا فهذا معنى الصدق في القول الصدق **الثاني في النية** والارادة
ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات الا الله تعالى فان مازجه
شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز ان يسمى كاذبا كما رويناه في فضيلة الاخلاص من
حديث الثلاثة حين يسئل العالم ماذا عملت فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال كذبت بل اردت ان
يقال فلان عالم فانه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكن كذبه في ارادته ونيته وقيل ايضا الصدق صحة التوجه في
القصد ولذلك قال تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهذا صدق
ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق الى الخبر وهذا القول يتضمن اخبارا
بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد ما يقول فكذب في دلالته بقرينة الحال على قلبه فانه كذب
في ذلك ولم يكذب فيما تلفظ به فيرجع احد معاني الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلا بد
ان يكون مخلصا الصدق **الثالث الصدق في العزم** فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني
الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره او ان لقيت عدوا في سبيل الله قاتلت ولم ابال ان قتلت وان اعطاني الله
ولاية عدلت فيها ولم اعص الله بظلم وميل الى الخلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة
وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة وكان الصدق هنا عبارة عن القوة
والتمام كما يقال لفلان شهوة صادقة ويقال هذا المريض شهوته كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوي او
كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى فالصادق والصديق هو الذي يصادف عزيمته في
الخيرات كلها قوية تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات
وهو كما قال عمر رضي الله عنه لان اقدم فتضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر رضي الله عنه فانه
قد وجد من نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بانه لا يتامر مع وجود ابي بكر واكد ذلك بما ذكره من القتل فمراتب الصديقين
في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به الى ان يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خلي
ورايه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير بين ان يقتل هو او
ابو بكر كانت حيوته احب اليه من حيوة ابي بكر رضي الله عنه **الصدق الرابع في الوفاء** بالعزم فان النفس
قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في العزم والوعد والمؤنة فيه خفيفة فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن
وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوة ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه

ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد روي عن انس ان عمه انس بن النضر لم يشهد
بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه
وسلم غبت عنه اما والله لئن اراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما اصنع قال فشهد احدا
من العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين فقال واها لريح الجنة اني اجدها دون احد
فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة وطعنة فقالت اخته بنت النضر ما عرفت اخي الا
ببنانه ونزلت هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ووقف رسول الله صلى الله عليه
وسلم على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وقال
فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء اربعة رجل مؤمن
جيد الايمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس اليه اعينهم يوم القيامة هكذا ورفع راسه
حتى وقعت قلنسوته ورجل جيد الايمان اذا لقي العدو فكانما يضرب وجهه بشوك الطلح اتاه سهم غرب فقتله
فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في
الدرجة الثالثة وقال مجاهد رجلان خرجا على ملاء من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله مالا لنصدقن فبخلوا
به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين وقال بعضهم انما هو شيء
نووه في انفسهم ولم يتكلموا به فقال ومنهم من عاهد الله الى قوله تعالى وبما كانوا يكذبون فجعل العزم عهدا وجعل
الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق اشد من الصدق الثالث فان النفس قد تسخو بالعزم ثم تكع
عند الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوات عند التمكن وحصول الاسباب ولذلك استثنى عمر رضي الله عنه فقال لان اقدم
فتضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر اللهم الا ان تسول لي نفسي عند القتل شيئا لا اجده الآن لاني
لا آمن ان يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها اشار بذلك الى شدة الوفاء بالعزم وقال ابو سعيد الخراز رايت
في المنام كان ملكين نزلا من السماء فقالا لي ما الصدق قلت الوفاء بالعهد فقالا صدقت وعرجا الى
السماء الصدق **الخامس في الاعمال** وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به
لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا مخالف ما ذكرناه من ترك الرياء لان المرائي
هو الذي يقصد ذلك ورب واقف على هيئة الخشوع في صلوته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه
غافل عن الصلوة فمن ينظر اليه يراه قائما بين يدي الله تعالى وهو قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهذه اعمال
تعرب بلسان الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الاعمال ولذلك قد يمشي الرجل على
هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا
اياهم ولا ينجو عن هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك
اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار حتى لا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر
على الباطن فاذا مخالفة الظاهر للباطن ان كانت عن قصد سمي رياء ويفوت به الصدق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة وقال يزيد بن الحارث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته
فذلك النصف وان كانت سريرته افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته افضل من سريرته فذلك الجور وانشد

شعر
اذا السر والاعلان في المؤمن استوى … فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
فان خالف الاعلان سرا فما له … على سعيه فضل سوى الكد والعنا
كما خالص الدينار في السوق نافق … ومغشوشه المردود لا يقتضي المنى
وقال عطية بن عبد الغافر

ورجل مؤمن اسرف على نفسه اسرافا كبيرا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة
رواه الترمذي وقال حديث حسن

اذا واصحت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة يقول هذا عبدي حقا وقال معوية بن قرة من يدلني على
بكاء بالليل بسام بالنهار وقال عبد الواحد كان الحسن اذا امر بشيء كان من اعمل الناس به واذا نهى عن شيء كان
من اترك الناس له ولم ار احدا قط اشبه سريرة بعلانية منه وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول الهي عاملت الناس
فيما بيني وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويبكي وقال ابو يعقوب النهرجوري الصدق موافقة الحق
في السر والعلانية فاذن مساواة السريرة للعلانية احد انواع الصدق **الصدق السادس** وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق
في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل وسائر هذه الامور فان
هذه الامور لها مبادي ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها واذا غلب
الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقا كما يقال فلان صدق القتال ويقال هذا هو الخوف الصدق وهذه
هي الشهوة الصادقة وقد قال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون
وقال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الاية وسئل ابو ذر عن الايمان فقرا هذه الاية فقيل له
سالناك عن الايمان فقال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقرا هذه الاية ولنضرب
للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بالله الا وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق اي غير
بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع طريق كيف يصفر لونه وترتعد فرائصه وتتنغص
عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به اهله وولده وقد ينزعج عن الوطن و
يستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار كل ذلك خوفا من درك المحذور
ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان معصية الله عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم
ار مثل النار نام هاربها ولم ار مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق في هذه الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه
المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوي فاذا قوي سمي
صادقا فيه فمعرفة الله تعالى وتعظيمه والخوف منه لا نهاية لها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لجبرئيل احب
ان اراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا تطيق ذلك قال بلى ارني فواعده البقيع قد سد الافق
من جانب السماء فصار مغشيا عليه فافاق وقد عاد جبرئيل لصورته الاولى فقال صلى الله عليه وسلم ما
ظننت ان احدا من خلق الله هكذا قال وكيف لو رايت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا
تخوم الارضين السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله تعالى حتى يصير كالوصع يعني العصفور الصغير فانظر ما الذي
يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا
هو الصدق في التعظيم وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي الى السماء
وجبرئيل بالملاء الاعلى كالحلس البالي من خشية الله يعني الكساء الذي يلقى على ظهر البعير وكذلك كان
الصحابة رضي الله عنهم كانوا خائفين وما كانوا بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك
قال ابن عمر رضي الله عنهما لن يبلغ حقيقة الايمان احد حتى ينظر الى الناس كلهم حمقى في دين الله
وقال مطرف ما من الناس احد الا وهو احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الحمقى اهون من
بعض وقال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كالاباعر في جنب
الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها احقر حاقر فالصادق اذن في جميع هذه المقامات عزيز ثم درجات الصدق
لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق
حقا قال سعد بن معاذ ثلاثة انا فيهن قوي وفيما سواهن ضعيف ما صليت صلاة منذ اسلمت فحدثت

احمد

نفسي حتى افرغ منها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من
دفنها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت انه حق فقال ابن المسيب ما ظننت ان هذه
الخصال تجتمع الا في النبي صلى الله عليه وسلم فهذا صدق في هذه الامور وكم من جلة الصحابة قد ادوا الصلوة
واتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هي درجات الصدق ومعانيه والكلمات المأثورة عن المشايخ في
حقيقة الصدق في الاغلب لا يتعرض فيها الا لاحاد هذه المعاني نعم قد قال ابو بكر الوراق الصدق ثلاثة صدق
التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى والذين آمنوا
بالله ورسله اولئك هم الصديقون وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية
الذين هم اوتاد الارض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق ولكنه ذكر اقسام ما فيه الصدق فهو
ايضا غير محيط بجميع الاقسام وقال جعفر الصادق رضي الله عنه الصدق هو المجاهدة وان لا تختار
على الله غيره كما لم يختر عليك غيرك فقال تعالى هو اجتباكم وقيل قد اوحى الله تعالى الى موسى على نبينا
وعليه الصلوة والسلام اني اذا احببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان
وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان وجدته جزوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولا ابالي فاذن
من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق
عليه والله اعلم بالصواب ٥ تم كتاب النية و
الاخلاص والصدق بمنه وكرمه وعونه
يتلوه كتاب المراقبة والمحاسبة
ان شاء الله
تعالى
٥

كتاب المراقبة والمحاسبة وهو الكتاب الثامن من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت المطلع على ضمائر القلوب إذا هجست الحسيب على خواطر عباده إذا اختلجت الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض تحركت أو سكنت المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الأعمال وإن خفيت المتفضل بقبول طاعات العباد وإن صغرت المتطول بالعفو عن معاصيهم وإن كثرت وإنما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت وتنظر فيما قدمت وأخرت فتعلم أنه لولا لزومها المراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيامة وهلكت وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضل الله بقبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته الخلائق في الدنيا والآخرة وغمرت فبنفحات فضله اتسعت القلوب بالإيمان وانشرحت وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتأدبت وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبتأييده ونصرته انقطعت مكائد الشيطان واندفعت وبلطف عنايته ترجح كفة الحسنات إذا ثقلت وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت فمنه العطاء والجزاء والحكم والإبعاد والإدناء والإسعاد والإشقاء والصلاة والسلام على محمد سيد الأنبياء وعلى آله سادة الأصفياء وعلى أصحابه قادة الأتقياء

أما بعد فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الآية وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين الآية وقال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا الآية وقال تعالى يومئذ يصدر إلى آخر السورة وقال تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية وقال تعالى واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله لهم لبالمرصاد وأنهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا أنهم لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله تعالى وقد أمرهم بالصبر والمرابطة فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا أنفسهم أولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ست مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الأعمال فيها وأصلها المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران معاتبة ومعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات

المقام الأول من المرابطة المشارطة

اعلم أن مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما أن التاجر يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وإنما مطلبه وربحه تزكية النفس إذ بذلك فلاحها قال الله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة فالعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة إذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما أن الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه أو يعاتبه رابعا فكذلك العقل يحتاج إلى مشارطة النفس أولا فيوظف عليها الوظائف ويشرط عليها الشروط ويرشدها إلى طريق الفلاح ويجزم عليها الأمر بسلوك تلك الطريق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فإنه لو أهملها لم ير منها إلا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن إذا خلي له الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط فإن هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الأنبياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه في أرباح الدنيا فإنها محتقرة بالإضافة إلى نعيم العقبى ثم كيفما كانت فمصيرها إلى التصرم والانقضاء ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لأن الشر الذي لا يدوم إذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الأسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير ولذلك قيل أشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا فحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها فإن كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد فانقضاء هذه الأنفاس ضائعة أو مصروفة إلى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل فإذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما أن التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس ما لي بضاعة إلا العمر ومهما فني فقد فني رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله تعالى فيه وأنسأ في أجلي وأنعم علي به ولو توفاني لكنت أتمنى أن يرجعني إلى الدنيا يوما واحدا حتى أعمل فيه صالحا فاحسبي أنك قد توفيت ثم قد رددت فإياك ثم إياك أن تضيعي هذا اليوم فإن كل نفس من الأنفاس جوهرة لا قيمة لها واعلمي أن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر أنه ينشر للعبد بكل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التي هي وسيلته عند الملك الجبار ما لو وزع على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عن الإحساس بألم النار ويفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على أهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة أخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوؤه وهي الساعة التي نام فيها أو غفل أو اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير إذا أهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا وهكذا يعرض عليه خزائن أوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدي اليوم في أن تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي أسباب ملكك ولا تميلي إلى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وإن دخلت الجنة فألم الغبن وحسرته لا يطاق وإن كان دون ألم النار وقد قال بعضهم هب أن المسيء قد عفي عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين أشار به إلى الغبن والحسرة وقد قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذه وصيته لنفسه في أوقاته ثم ليستأنف وصيته في أعضائه السبعة العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ويسلمها إليها فإنها رعايا خادمة لها في التجارة وبها تتم أعمال هذه التجارة وإن لجهنم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وإنما يتعين لتلك الأبواب من عصى الله بهذه الأعضاء فيوصيها بحفظها عن المعاصي أما العين فيحفظها عن النظر إلى عورة مسلم أو وجه غير محرم أو النظر إلى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فإن الله تعالى يسأل العبد عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ثم إذا صرفها عن هذا لم يقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهو ما خلقت له من النظر إلى عجائب صنع الله تعالى بعين الاعتبار والنظر إلى أعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وسنة

ورسوله صلى الله عليه وسلم ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي ان يفصل عليها الامر في عضو عضو لا سيما
اللسان والبطن اما اللسان فلانه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة و
تزكية النفس ومذمة الخلق والطعن واللعن والدعاء على الاعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه
في آفات اللسان فهي بصدد ذلك كله مع انها خلقت للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد عباد الله
الى طريق الله واصلاح ذات البين وسائر خيراتها فليشترط على نفسه ان لا يحرك اللسان طول نهاره الا
في الذكر فنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فاما البطن فيكلفه
ترك الشره وتقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعه من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة ويشترط
عليها انها ان خالفت شيئا من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن لتفوتها اكثر مما نالته بشهوتها وهكذا يشترط عليه
في جميع الاعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الاعضاء وطاعاتها ثم يستأنف وصيتها في
وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها و
يرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها باسبابها وهذه شروط يفتقر اليها كل يوم ولكن
اذا تعود الانسان شرط ذلك اياما وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وان اطاع
في بعضها بقيت الحاجة الى تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها
حكم جديد ولله عليه فيه حق ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من اعمال الدنيا من ولاية او تجارة او تدريس فقل
ما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج الى ان يقضي حق الله سبحانه فيها فعليه ان يشترط على نفسه الاستقامة فيها
والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يوعظ العبد الآبق المتمرد فان النفس بالطبع
متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين
فهذا وما يجري مجراه هو اول مقام المرابطة مع النفس وهي المحاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل و
تارة قبله للتحذير قال الله تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وهذا في المستقبل وكل نظرة في كثرة
ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من
نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وقال تعالى
يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس
به نفسه ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل وروى عبادة بن الصامت انه عليه الصلاة
والسلام قال لرجل سأله ان يوصيه ويعظه اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه و
ان كان غيا فانته عنه وقال بعض الحكماء اذا اردت ان يكون العقل غالبا على الهوى فلا تعجل بقضاء
الشهوة حتى تنظر العاقبة فان مكث الندامة في القلب اكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان ان
المؤمن ابصر العاقبة فامن الندامة وروى شداد بن اوس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ان دان نفسه اي حاسبها ويوم الدين
هو يوم الحساب وقوله تعالى انا لمدينون اي لمحاسبون وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان
تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتهيئوا للعرض الاكبر وكتب الى ابي موسى الاشعري حاسب نفسك
في الرخاء قبل حساب الشدة وقال لكعب كيف تجدها في كتاب الله تعالى يعني التوراة قال ويل لديان الارض
من ديان السماء فعلاه بالدرة وقال الا من حاسب نفسه فقال كعب والله يا امير المؤمنين انها التي تليها
في التوراة ما بينهما حرف الا من حاسب نفسه وهذا كله اشارة الى المحاسبة للمستقبل اذ قال صلى الله عليه وسلم دان نفسه

وعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الامور اولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم اقدم عليها فباشرها

المرابطة الثانية المراقبة

اذا اوصى الانسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى الا المراقبة لها عند الخوض
في الاعمال وملاحظتها بالعين الكالئة فانها ان تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها
اما الفضيلة فقد سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه وقال
ايضا اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقال تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال تعالى
الم يعلم بان الله يرى وقال تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وقال تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون و
الذين هم بشهاداتهم قائمون وقال ابن المبارك لرجل راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال كن ابدا كانك
تراه وقال عبد الواحد بن زيد اذا كان سيدي رقيبا علي فما ابالي بغيره وقال ابو عثمان المغربي افضل ما
يلزم الانسان نفسه في هذه الطريق المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم وقال ابن عطاء افضل الطاعات
مراقبة الحق على دوام الاوقات وقال الجريري امرنا هذا مبني على اصلين ان تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل ويكون
العلم على ظاهرك قائما وقال ابو عثمان قال لي ابو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك
اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك وحكي انه كان لبعض مشايخ هذه الطائفة تلميذ
شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض اصحابه كيف تكرمه وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول
كل واحد منهم طيرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طيره في موضع لا يراه احد ودفع الى الشاب مثل ذلك
وقال انه حيث لا يراك احد فرجع كل واحد بطيره مذبوحا ورجع الشاب والطير حي في يده فقال له
الشيخ ما لك لم تذبح وقد ذبح اصحابك فقال لم اجد موضعا لا يراني احد اذ الله مطلع علي في كل مكان
فاستحسنوا مراقبته وقالوا لحق لك ان تكرمه وحكي ان زليخا لما خلت بيوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام
قامت فغطت وجه صنمها فقال لها يوسف ما لك اتستحيي من مراقبة جماد ولا استحيي من مراقبة الملك
الجبار وحكي عن بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت له الا تستحيي فقال ممن استحيي وما يرانا
الا الكواكب فقالت واين مكوكبها وقال رجل للجنيد بم استعين على غض البصر فقال بعلمك ان نظر الناظر
اليك اسبق من نظرك الى المنظور اليه وقال الجنيد انما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل
وعن مالك بن دينار قال جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حوراء خلقت من ورد الجنة قيل له ومن
يسكنها قال يقول الله عز وجل انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني والذين
انثنت اصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي اني لاهم بعذاب اهل الارض فاذا نظرت الى اهل الجوع والعطش
من مخافتي صرفت عنهم العذاب وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال اولها علم القلب بقرب الرب تعالى وقال
المرتعش المراقبة مراعاة السر لملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة ويروى ان الله تعالى قال لملائكته انتم موكلون
بالظواهر وانا رقيب على البواطن وقال محمد بن علي الترمذي اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك واجعل
شكرك لمن لا ينقطع نعمه عليك واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه
وقال سهل لم يتزين القلب بشيء افضل ولا اشرف من علم العبد بان الله شاهده حيث كان وسئل بعضهم عن
قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه فقال معناه ذلك لمن راقب ربه وحاسب نفسه
وتزود لمعاده وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه
سهو ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية وانتظار الموت بالتأهب له ومحاسبة نفسك قبل ان تحاسب وقيل
اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا ان ما يخفى عليه يغيب

الم ترانا اليوم اسرع ذاهب وان غدا للناظرين قريب وقال حميد الطويل لسليمان بن علي عظني فقال لئن كنت اذا عصيت الله خاليا ظننت انه يراك لقد اجترات على امر عظيم ولئن كنت تظن انه لا يراك فقد كفرت وقال سفيان الثوري عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة وقال فرقد السبخي ان المنافق ينظر فاذا لم ير احدا دخل مدخل السوء وانما يراقب الناس ولا يراقب الله وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة من هذه الغنم فقال اني مملوك فقال قل لسيدك قد اكلها الذئب قال فاين الله قال فبكى عمر ثم غدا الى المملوك فاشتراه من مولاه واعتقه وقال اعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وارجو ان تعتقك في الآخرة

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها

اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه فمن احترز في امر من الامور بسبب غيره يقال انه يراقب ويراعي جانبه ونعني بهذه المراقبة حالة القلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة اعمالا في الجوارح وفي القلب اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه واما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهي العلم بان الله تعالى مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك فهذه المعرفة اذا صارت يقينا اعني انها خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب قهرته فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فاذا استولت على القلب استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همته اليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين والى اصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين الدرجة الاولى مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم والاجلال وهي ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير اصلا وهذه مراقبة لا نطول النظر في تفصيل اعمالها فانها مقصورة على القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج الى تدبير وتثبت في حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كليته الراعي والقلب هو الراعي فاذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه هما واحدا وكفاه الله تعالى سائر الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع انه لا صمم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن عاتبه اذا مررت بي فحركني ولا يستبعد هذا فانك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة لملوك الارض حتى ان خدم الملوك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بمهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي فربما يتخطى الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض له وقيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق قال ما اعرف الا رجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان الا سريعا حتى دخل عتبة الغلام فقال له عبد الواحد بن زيد من اين جئت يا عتبة قال من موضع كذا وكان طريقه الى السوق فقال من لقيت في الطريق فقال ما لقيت احدا وعن يحيى بن زكريا على نبينا وعليهما الصلوة والسلم انه مر بامراة فدفعها على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها الا جدارا وحكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا عنهم فتقدمت اليه فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله تعالى اشهى فقلت انت وحدك فقال معي ربي وملكاي فقلت

من سبق من هؤلاء قال من غفر الله له قلت فاين الطريق فاشار نحو السماء وقام ومشى فقال اكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا منه ولا يسمع الا منه فهذا لا يحتاج الى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لا تتحرك الا بما هو فيه ودخل الشبلي على ابي الحسين النوري وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شيء فقال له من اين اخذت هذه المراقبة والسكون فقال من سنور كانت لنا فكانت اذا ارادت الصيد رابطت راس الجحر لا تتحرك لها شعرة وقال ابو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر اريد الرملة للقاء ابي علي الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد ان في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وانا جائع وعطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شيء فدخلت المسجد فاذا بشخصين قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما اجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم اسمع الجواب فقلت نشدتكما بالله الا رددتما علي السلام فرفع الشاب راسه من مرقعته فنظر الي وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقي من القليل الا القليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما اقل شغلك حتى تتفرغ الى لقائنا فاخذ مني كليتي فنظر الي وطاطا راسه في المكان فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي فلما كان وقت العصر قلت عظني فرفع راسه الي وقال يا ابن خفيف نحن اصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة ايام لا اكل ولا اشرب ولا انام ولا رايتهما اكلا ولا شربا ولا ناما فلما كان في اليوم الثالث قلت في سري احلفهما ان يعظاني لعلي انتفع بعظتهما فرفع الشاب راسه وقال يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلم قم عنا فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك

الدرجة الثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع ممارسة الاعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة فانهم يرون الله في الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيامة ويعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك في خلوتك قد تتعاطى اعمالا فيحضرك صبي او امراة فتعلم انه مطلع عليك فتستحيي منه فتحسن جلوسك وتراعي احوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وان كان لا يدهشك ولا تستغرقك فانها تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك او كبير من الاكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما انت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد في مراقبة الله تعالى ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج الى ان يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل اما قبل العمل فلينظر ان ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره اهو لله تعالى خاصة او هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فان كان لله سبحانه امضاه وان كان لغير الله تعالى استحيى من الله وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبتها فيه وهمها به وميلها اليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وانها عدوة نفسها ان لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف في بداية الامور الى حد البيان واجب محتوم لا محيص عنه فان في الخبر انه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين الديوان الاول لم والثاني كيف والثالث لمن ومعنى لم اي لم فعلت هذا اكان عليك ان تفعله لمولاك او ملت اليه بشهوتك وهواك فان سلم منه بان كان عليه ان يعمل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثاني فقيل كيف فعلت هذا فان لله في كل عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره وقدره

من ص

قدره وصفته الا بعلم فيقال له كيف فعلت ابعلم محقق ام بجهل وظن فان سلم هذا اتى الديوان الثالث وهو
المطالبة بالاخلاص فيقال له لم عملت الوجه الله خالصا فوفاء بقولك لا اله الا الله فيكون اجرك على الله او لمراءاة
الخلق مثلك فخذ اجرك منه او عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا ام عملته بسهو وغفلة
فقد سقط اجرك وحبط عملك وخاب سعيك وان عملته لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي اذ
كنت عبدا لي تاكل رزقي وتترفه بنعمتي ثم تعمل لغيري اما سمعتني اقول ان الذين تدعون من دون الله عباد
امثالكم ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ويحك اما
سمعتني اقول الا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد انه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل
ان يطالب واعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا فلا يبدئ ولا يعيد الا بعد التثبت ولا يحرك جفنا ولا انملة
الا بعد التامل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ ان الرجل ليسال عن كحل عينيه وعن فتات الطين باصبعيه
وعن لمسه ثوب اخيه قال الحسن كان احدهم اذا اراد ان يتصدق بصدقة نظر وتثبت فان كان لله امضاه
وقال الحسن رحم الله عبدا وقف عند همه فان كان لله امضاه وان كان لغيره تاخر وفي حديث سعد
حين اوصاه سلمان اتق الله عند همك اذا هممت وقال محمد بن علي ان المومن وقاف متان يقف عند
همه ليس كحاطب ليل فهذا هو النظر الاول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقية باسرار
الاعمال واغوار النفس ومكايد الشيطان ومن لم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله ويرضاه
في نيته وهمته وفكرته وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة بل الاكثرون يرتكبون بالجهل فيما يكرهه
الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولا تظن ان الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر بالجهل هيهات بل
طلب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم افضل من الف ركعة من غير عالم لانه يعلم افات
النفوس ومكائد الشيطان ومواضع الغرور فيتقيها والجاهل لا يعرفها فكيف يحترز منها فلا يزال الجاهل
في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة نعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو راس كل شقاوة واساس كل
خسران فحكم الله على كل عبد ان يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم وعن السعي
ويرجح القلب عن الفكر والهم به فان الخطرة الاولى في الباطل اذا لم تدفع اورثت الرغبة والرغبة تورث الهم
والهم يورث جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي ان يحسم مادة الشر من منبعه
الاول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه ومهما اشكل على العبد ذلك واظلمت الواقعة فلم ينكشف له فليتفكر
فيه بنور العلم وليستعذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فليستضئ بنور علماء
الدين وليفر من العلماء المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل اشد فقد اوحى الله تعالى الى داود لا تسال عني عالما
اسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي والقلوب المظلمة بحب الدنيا
وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى فان مستضئ انوار القلوب حضرة الربوبية
فكيف يستضئ بها من استدبرها واقبل على عدوها وعشق ضدها وهي شهوات الدنيا فليكن همة
المريد اولا في احكام العلم او في طلب عالم معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة فيها ان لم يجد من هو عديم
الرغبة فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات والعقل
الكامل عند هجوم الشهوات جمع بين الامرين وهما متلازمان حتى من ليس له عقل وازع عن الشهوات
فليس له بصر ناقد في الشبهات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه
ابدا فما قدر العقل الضعيف الذي سعد الادمي به حتى يحتاج الى محوه وتحقيره بمقارفة الذنوب ومعرفة

ثم لم يعرف نفسه وربه وعدوه وهو الشيطان

آفات الاعمال لقد اندرست في هذه الاعصار فان الناس كلهم هجروا هذه العلوم واشتغلوا بتوسط
الخلق في الخصومات الثائرة من اتباع الشهوات وقالوا هذا هو الفقه ولم يخرجوا هذا العلم الذي هو فقه
الدين من جملة العلوم وتجردوا لفقه الدنيا الذي ما قصد به الا دفع الشواغل عن القلب ليتفرغ لفقه الدين
فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه وفي الخبر انكم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسياتي
عليكم زمان خيركم فيه المتثبت ولهذا توقف طائفة من الصحابة في القتال مع اهل العراق واهل الشام
كسعد بن ابي وقاص وابن عمر واسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا
لهواه معجبا برايه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال اذا رايت شحا مطاعا وهوى
متبعا واعجابا برايه واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق
فقد خالف قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن
اكذب الحديث واراد به ظنا بغير دليل كما يستفتي بعض العوام قلبه فيما اشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة
هذا الامر وعظمه كان دعاء الصديق رضي الله عنه اللهم ارني الحق حقا وارزقني اتباعه وارني
الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله علي متشابها فاتبع الهوى وقال عيسى عليه الصلوة والسلام
الامور ثلاثة امر استبان رشده فاتبعه وامر استبان غيه فاجتنبه وامر اشكل عليك فكله الى عالمه وقد كان
من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك ان اقول في الدين بغير علم فاعظم نعمة الله تعالى على
عباده هو العلم وكشف الحق والايمان عبارة عن نوع علم وكشف ولذلك قال تعالى وكان فضل الله عليك
عظيما واراد به العلم وقال تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال تعالى ان علينا للهدى وقال تعالى
ثم ان علينا بيانه وقال تعالى وعلى الله قصد السبيل وقال علي رضي الله عنه الهوى شريك العمى ومن
التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة رب بعيد
اقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء ظن نعم
الخلق التكرم والحياء سبب الى كل جميل واوثق العرى التقوى واوثق سبب اخذت به سبب بينك
وبين الله تعالى انما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان
لم تاته اتاك وان كنت جازعا على ما افلت من يديك فلا تجزع على ما لم يصل اليك واستدل على ما لم يكن
بما كان فان الامور اشباه وانما المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنيا
فلا تكثر به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك اسفا وليكن سرورك بما قدمت واسفك على ما خلفت و
شغلك لاخرتك وهمك فيما بعد الموت وغرضنا من نقل هذا كله قوله كرم الله وجهه ومن التوفيق التوقف عند
الحيرة فاذا النظر الاول للمراقبة نظره في الهم والحركة اهي لله ام للهوى وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من
كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والاخر
للاخرة اثر الاخرة على الدنيا واكثر ما يستعمل في حركاته ان يكون مباحا ولا يعنيه فيتركه لقوله صلى الله عليه و
سلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه النظر الثاني المراقبة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي
حق الله تعالى فيه ويحسن النية في اتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على اكمل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع
احواله فانه لا يخلو في جميع احواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة
الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الادب فان كان قاعدا مثلا فينبغي ان يقعد مستقبل القبلة
لقوله صلى الله عليه وسلم خير المجالس ما استقبل به القبلة ولا يجلس متربعا اذ لا يجالس الملوك كذلك وملك

امتنانا على عبده ص

ك

الملوك مطلع عليه قال ابرهيم بن ادهم رحمه الله جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول اهكذا تجالس الملوك فلم اجلس بعد ذلك كذلك وان كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الاداب التي ذكرناها في موضعها فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لاداءها وفاء بالمراقبة فاذا لا يخلو العبد اما ان يكون في طاعة او في معصية او مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص و الاكمال ومراعاة الادب وحراستها عن الافات وان كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والاقلاع و الحياء والاشتغال بالتكفير وان كان في مباح فمراقبته بمراعاة الادب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها ولا يخلو العبد في جملة احواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض لله تعالى عليه اما فعل يلزمه مباشرته او محظور يلزمه تركه او ندب حث عليه الشرع ليسارع به الى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله او مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي ان يتفقد العبد نفسه في جميع اوقاته في هذه الاقسام الثلاث فاذا كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغي ان يلتمس افضل الاعمال ليشتغل بها فان من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والارباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك ياخذ العبد من دنياه لاخرته كما قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات ثلاث ساعة مضت لا تعب على العبد فيها كيف ما انقضت في مشقة او في رفاهية وساعة مستقبلة لم تات وساعة راهنة ينبغي ان يجاهد فيها نفسه و يراقب فيها ربه فان لم تاته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات الاولى وان اتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الاولى ولا يطول امله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كانه في اخر انفاسه فينبغي ان يكون على وجه لا يكره ان يدركه الموت وهو على تلك الحالة ويكون جميع احواله مقصورة على ما رواه ابو ذر لا يكون المومن ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وما روي عنه ايضا في معناه على العاقل ان يكون له اربع ساعات فساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان في هذه الساعة عونا له على سائر الطاعات ثم هذه الساعة التي هو مشغول الجوارح فيها بالمطعم والمشرب لا ينبغي ان يخلو عن عمل هو افضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام الذي يتناوله مثلا فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك افضل من كثير من اعمال الجوارح والناس فيه اقسام قسم ينظرون اليه بعين التبصرة والاعتبار فينظرون في عجائب صنعها وكيفية ارتباط قوام الحيوانات بها وكيفية تقدير الله تعالى لاسبابها وخلق الشهوة الباعثة عليها وخلق الالات المسخرة للشهوة فيها كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الالباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار اليها ويودهم لو استغنوا عنها ولكن يرون انفسهم مقهورين فيها مسخرين لشهواتها وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون في المصنوع الصانع ويترقون منها الى صفات الخالق فيكون مشاهدة ذلك سببا لتذكر ابواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو اعلى المقامات وهو مقام العارفين وعلامات المحبين اذ المحب اذا راى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله تعالى فله في النظر منه الى الصانع مجال رحب ان فتحت له ابواب الملكوت وذلك عزيز جدا وقسم رابع ينظرون اليها بعين الرغبة والحرص فيتاسفون على ما فاتهم منها ويفرحون بما حضرهم من جملتها ويذمون منها ما لا يوافق هواهم ويعيبونها ويذمون فاعلها فيذمون الطبيخ والطابخ ولقد تورع عن هذا الله تعالى فان من ذم شيئا من خلق الله بغير اذن الله فقد ذم الله تعالى ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر

فهذه هي المرابطة الثانية بالمراقبة للاعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن احكم الاصول

المرابطة الثالثة محاسبة النفس

بعد العمل ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها اما الفضيلة فقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال ولذلك قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وفي الخبر انه جاءه رجل فقال يا رسول الله اوصني فقال امستوص انت قال نعم قال اذا هممت بامر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وفي الخبر ينبغي ان يكون للعاقل اربع ساعات ساعة فيها يحاسب نفسه وقال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقال صلى الله عليه اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم مائة مرة و قال الله سبحانه وتعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وعن عمر رضي الله عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبة شريكه والشريكان انما يتحاسبان بعد العمل و روي عن عايشة رضي الله عنها ان ابا بكر رضي الله عنه قال لها عند الموت ما احد من الناس احب الي من عمر ثم قال لها كيف قلت فاعادت ما قال فقال لا احد اعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وابدلها بكلمة غيرها وحديث ابي طلحة حين شغله الطير في صلوته فتدبر شغله فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما ورجاء للعوض مما فاته وفي حديث عبد الله بن سلام انه حمل حزمة من حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك ما يكفونك فقال اردت ان اجرب بها نفسي هل تنكره وقال الحسن المومن قوام على نفسه يحاسبها لله تعالى وانما خف الحساب في الاخرة على اقوام حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيمة على قوم اخذوا هذا الامر عن غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المومن يفجاه الشيء يعجبه فيقول والله انك لتعجبني وانك لمن حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشيء فيرجع الى نفسه فيقول ما اردت بهذا والله ما اعذر بهذا والله لا اعود لهذا ابدا ان شاء الله تعالى وقال انس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما وقد خرج معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب امير المومنين بخ بخ والله لتتقين الله او ليعذبنك وقال الحسن في قوله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة قال لا تلقى المومن الا يعاتب نفسه ماذا اردت بكلمتي ماذا اردت باكلتي ماذا اردت بشربتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحم الله عبدا قال لنفسه الست صاحبة كذا الست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم الزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس كما سياتي وقال ميمون بن مهران التقي اشد محاسبة لنفسه من سلطان عاشم ومن شريك شحيح وقال ابرهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة اكل من ثمارها واشرب من انهارها واعانق ابكارها ثم مثلت نفسي في النار اكل من زقومها واشرب من صديدها واعالج سلاسلها واغلالها فقلت لنفسي يا نفسي اي شيء تريدين فقالت اريد ان ارد الى الدنيا فاعمل صالحا قلت فانت في الامنية فاعملي وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب على منبر البصرة وهو يقول رحم الله امرا حاسب نفسه قبل ان يصير الحساب الى غيره رحم الله امرا اخذ بعنان عمله فنظر ما ذا يريد به رحم الله امرا نظر في مكياله رحم الله امرا نظر في ميزانه فما زال يقول رحم الله امرا رحم الله امرا حتى ابكاني وحكي عن صاحب للاحنف بن قيس قال كنت اصحبه فكان عامة صلوته بالليل الدعاء وكان يجي الى المصباح فيضع اصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا

بيان حقيقة المحاسبة

بعد العمل اعلم ان العبد كما يكون له وقت اول النهار يشارط فيها على نفسه على سبيل التوصية بالحق ينبغي ان يكون له
في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها فكذلك يفعل التجار في الدنيا
مع الشركاء في آخر كل سنة حرصا على الدنيا وخوفا من ان يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته ولو حصل
لهم لكان لا يبقى الا اياما قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة ابد
الآباد فما هذه المساهلة الا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله منه ومعنى المحاسبة مع الشريك
ان ينظر في راس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه
وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك راس مال العبد في دينه الفرائض
وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملة نفسه الامارة بالسوء
فليحاسبها على الفرائض فان اداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها
طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها بالجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها بها و
تعذيبها ومعاتبتها واستوفى منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه يفتش في حساب
الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي ان يتقي غبينة
النفس ومكرها فانها خداعة مكارة فليطالبها بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول النهار وليتكفل بنفسه
من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره واذكاره وقيامه وقعوده
واكله وشربه ونومه وحتى عن سكوته انه لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس
وصح عنده قدر ما ادى الحق فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي عليه فليثبته عليه وليكتبه على صحيفة
قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وعلى جريدته ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها
فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد
تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء
وينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة من جميع الاعضاء الظاهرة و
الباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما فاذا هو ابن ستين
سنة فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتي القى
الملك باحد وعشرين الف ذنب كيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو
ميت فسمعوا قائلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي ان يحاسب على الانفاس وعلى
معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجرة في داره لامتلأت داره في
مدة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه احصاه الله ونسوه

المرابطة الرابعة في معاقبة النفس

على تقصيرها مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير
في حق الله لا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليها مقارفة المعاصي وانست وعسر فطامها وكان ذلك
سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها فاذا اكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا
نظر الى غير محرم ينبغي ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من الاطراف بمنعه عن شهواتها
هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روي عن منصور بن ابرهيم ان رجلا من العباد كلم امراة فلم يزل
حتى وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده في النار حتى نشت وروي انه كان في بني اسرائيل رجل يتعبد
في صومعته فمكث بذلك زمانا طويلا فاشرف ذات يوم فاذا هو بامراة فافتتن بها وهم بها فاخرج رجله

لينزل اليها فادركه الله سبحانه بسابقة علمه فقال ما هذا الذي اريد ان اصنع فرجع الى نفسه وعصمه الله
تعالى وندم فلما اراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد ان تعصي الله
تعود معي في صومعتي لا يكون والله ذلك ابدا فتركها معلقة من الصومعة يصيبها الامطار والرياح

ح

والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله تعالى له بذلك وانزل في بعض الكتب ذكره ويحكى ان
ابن غزوان وابا موسى كانا في بعض مغازيهم فكشفت جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت
وقال انك للحاظة الى ما يضرك ونظر بعضهم نظرة واحدة الى امراة فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء البارد طول
حياته فكان يشرب الماء الحار ليتنغص على نفسه العيش ويحكى عن الجنيد انه قال سمعت ابن الكريني يقول
اصابتني ليلة جنابة واحتجت ان اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تلكؤا وتقصيرا فحدثتني
نفسي لو تركت حتى اصبح واسخن الماء او ادخل الحمام ولا اعنت على نفسي فعلت ولغاه انا اعامل الله

ان صح

تعالى في طول عمري فيجب له علي حق فلا اجد في المسارعة ولجد الوقوف والتأخر اليت لا اغتسل
الا في مرقعتي هذه واليت ان لا انزعها ولا اعصرها ولا اجففها في الشمس ويحكى ان حسان بن ابي سنان
مر بغرفة فقال متى بنيت هذه الغرفة ثم اقبل على نفسه فقال لتسألين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم
سنة فصامها وقال مالك بن ضيغم جاء رباح القيسي يسأل عن ابي بعد العصر وهو نائم فقال انوم هذه
الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فاتبعناه رسولا وقلنا الا نوقظه لك فجاء الرسول وقال هو
اشغل من ان يفهم شيئا ادركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول قلت هذا وقت نوم هذه
الساعة فكان هذا عليك ينام الرجل متى شاء وما يدريك ان هذا ليس وقت نوم تتكلمين بما لا تعلمين
اما ان لله علي عهدا لا انقضه ابدا ان لا اوسدك الارض لنوم حولا الا لمرض حائل او لعقل زائل سوءة
لك سوءة لك اما تستحين كم توبخين وعن غيك لا تنتهين قال ثم جعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رأيت
ذلك انصرفت وتركته ويحكى ان تميم الداري نام ليلة ولم يقم يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع
وعن طلحة رضي الله عنه قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء ويقول لنفسه ذوقي
نار جهنم اشد حرا اجيفة بالليل بطالة بالنهار قال فبينا كذلك اذ ابصر النبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة
فاتاه فقال يا رسول الله غلبتني نفسي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الم يكن لك بد من الذي صنعت ما لقد
فتحت لك ابواب السماء لقد باهى الله بك الملائكة ثم قال لاصحابه تزودوا من اخيكم فجعل الرجل يقول يا فلان
ادع لي يا فلان ادع لي فقال صلى الله عليه وسلم عمهم به فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى
امرهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مآبهم وقال حذيفة بن قتادة
قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهواتها فقال ما في الارض نفس ابغض الي منها فكيف اعطيها شهوتها ودخل
ابن السماك على داود الطائي حين مات وهو في بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن و
عذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم ترى ثواب من كنت له تعمل وعن وهب بن منبه ان رجلا تعبد زمانا ثم بدت
له الى الله حاجة فقام سبعين سبتا ياكل في كل سبت احد عشر تمرة ثم سأل الحاجة فلم يعطها فرجع الى نفسه و
قال منك اتيت لو كان فيك خير لاعطيت حاجتك فنزل اليه ملك وقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك
التي مضت وقد قضى الله حاجتك وقال عبد الله بن قيس كنا في غزاة لنا فحضر العدو فصيح في الناس فقاموا
الى المصاف في يوم شديد الريح واذا رجل امامي وهو يخاطب نفسه ويقول اي نفسي الم اشهد مشهد كذا
وكذا فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك ورجعت والله لاعرضنك اليوم على الله اخذك او تركك فقلت لارمقنه

اليوم في شيء تحمل الناس على عدوهم وكان في اوائلهم ثم ان العدو حملوا على الناس فانكشفوا فكان في موضعه
حتى انكشفوا امرات وهو ثابت يقاتل في الله ما نال ذلك حتى جاء به صريعا فعددت به وبدا بستر والله
سبعين طعنة او اكثر وقد ذكرنا حديث ابي طلحة لما اشتغل قلبه في الصلوة بطير في حائطه فتصدق
بالحائط كفارة له وكان عمر يضرب قدميه بالدرة بالليل ويقول ماذا عملت اليوم وعن مجمع انه رفع رأسه
الى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه ان لا يرفع رأسه الى السماء ما دام في الدنيا وكان الاحنف
بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل وكان يضع اصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك على ان صنعت كذا وكذا
يوم كذا وكذا ويكرر ذلك على نفسه وانكر وهيب بن الورد شيئا على نفسه فنتف على شعرات كن على
صدره حتى عظم الدم ويقول لنفسه ويحك انما اريد بك الخير وراى محمد بن بشر داود الطائي وهو يأكل
عند افطاره خبزا بغير ملح فقال له لو اكلته بملح فقال ان نفسي لتدعوني الى الملح منذ سنة ولا ذاق
داود ملحا ما دام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة اولي الحزم لانفسهم والعجب انك تعاقب عبدك و
امتك واهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في امر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم
خرج امرهم من الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي اعظم عدو لك واشد طغيانا عليك و
من طغيانها اعظم من ضررك من طغيان اهلك فان غايتهم ان يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت
لعلمت ان العيش عيش الآخرة وان فيه النعيم المقيم الذي لا آخر له ونفسك تنغص عليك عيش الآخرة فهي
بالمعاقبة اولى من غيرها **المرابطة الخامسة المجاهدة** وهو انه اذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغي
ان يعاقبها بالعقوبة التي مضت وان رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل او ورد من الاوراد فينبغي
ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات وتداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال
الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه حين فاتته صلوة العصر في جماعة بان تصدق بارض
له قيمتها مائتا الف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته صلوة في جماعة احيا تلك الليلة واخر ليلة صلوة المغرب حتى طلع
كوكبان فاعتق رقبتين وفات ابن ابي ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم
سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومواخذة لها بما فيه نجاتها فان قلت ان كانت
لا تطاوعني نفسي على الاجتهاد والمواظبة على الاوراد فما سبيل معالجتها فاقول علاجها ان تسمعها ما ورد في
الاخبار من فضل المجتهدين ومن انفع اسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ
احواله وتقتدي به وكان بعضهم يقول اذا اعترتني فترة في العبادة فعملت عليه اسبوعا الا ان هذا علاج قد تعذر
اذ فقد في عباد الله من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين فينبغي ان تعدل من المشاهدة الى السماع فلا شيء انفع
من سماع احوالهم ومطالعة اخبارهم وما كانوا عليه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم ابد
الآباد لا ينقطع فما اعظم ملكهم وما اشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه اياما قلائل بشهوات مكدرة
ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه ابد الآباد نعوذ بالله منه ونحن نورد الآن من اوصاف المجتهدين
وفضائلهم ما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال صلى الله عليه وسلم رحم الله اقواما يحسبهم
الناس مرضى وما هم بمرضى وقال الحسن جهدتهم العبادة قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم
وجلة قال الحسن يعملون ما عملوا من اعمال البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله وقال صلى الله عليه وسلم
طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ويروى ان الله تعالى يقول للملائكة ما بال عبادي مجتهدين فيقولون الهنا خوفتهم
شيئا فخافوه وشوقتهم الى شيء فاشتاقوا اليه فيقول تبارك وتعالى فكيف لو راوني لكانوا اشد اجتهادا

قال الحسن لقد رأيت اقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا يأسفون على شيء
منها ادبر ولهي كانت اهون في اعينهم من هذا التراب الذي تطؤونه بارجلكم ان كان احدهم ليعيش عمره كله ما
طوي له ثوب ولا امر اهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض شيئا قط وادركتهم عاملين بكتاب
ربهم وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في
فكاك رقابهم اذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله تعالى ان يتقبلها واذا عملوا السيئة
احزنتهم وسألوا الله ان يغفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك والله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا
بالمغفرة وحكي ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه واذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له عمر يا فتى
ما الذي بلغ بك ما ارى فقال يا امير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها وحلاوتها
واستوى عندي ذهبها وحجرها وكأني انظر الى عرش ربي بارزا والناس يساقون الى الجنة والنار فاظمأت
لذلك نهاري واسهرت ليلي وقليل حقير كل ما انا فيه في جنب ثواب الله وعقابه وقال ابو نعيم كان
داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت
قراءة خمسين آية ودخل رجل عليه يوما فقال ان في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن اخي ان
لي في هذا البيت منذ عشرين سنة ما نظرت الى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون
فضول الكلام وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا الى احمد بن رزين من غدوة الى العصر فما التفت يمنة
ولا يسرة فقيل له في ذلك فقال ان الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما العبد الى عظمة الله
عز وجل وكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة وقالت امرأة مسروق ما كان يوجد مسروق الا و
ساقاه منتفختان من طول الصلوة وقالت والله اني كنت لاجلس خلفه فابكي رحمة له وقال ابو الدرداء
لولا ثلاث ما احببت العيش يوما الظمأ لله بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة اقوام
ينتقون اطايب الكلام كما ينتقى اطايب التمر وكان الاسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى
يخضر جسده ويصفر وكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها اريد وكان يصوم
حتى يخضر جسده ويصلي حتى يسقط فدخل عليه انس بن مالك والحسن فقالا له ان الله تعالى لم يأمرك
بكل هذا فقال انما انا عبد مملوك لا ادع من الاستكانة شيئا الا جئت به وكان بعض المجتهدين يصلي
في كل يوم الف ركعة حتى اقعد من رجليه فكان يصلي جالسا الف ركعة فاذا صلى العصر احتبى ثم
قال عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا منك عجبت للخليقة كيف انست بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت
قلوبها بذكر سواك وكان ثابت البناني قد حببت اليه الصلوة فكان يقول اللهم ان كنت اذنت لاحد ان
يصلي لك في قبره فأذن لي ان اصلي في قبري وقال الجنيد ما رأيت اعبد من السري اتت عليه ثمان وتسعون
سنة ما رئي مضطجعا الا في علة الموت وقال الحارث بن سعد مر قوم براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من
شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقاة الاهوال وهم
غافلون قد اعتكفوا على حظوظ انفسهم ونسوا حظهم الاكبر من ربهم فبكى القوم عن آخرهم
وعن ابي محمد المغازلي قال جاور ابو محمد الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الى عمود ولا الى حائط
ولم يمد رجليه فعبر عليه ابو بكر الكتاني فسلم عليه وقال له يا ابا محمد بم قدرت على اعتكافك فقال علم
صدق باطني فاعانني على ظاهري فاطرق الكتاني ومشى متفكرا وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلي
فرأيته قد مد كفيه يبكي حتى رأيت الدموع تتحدر من بين اصابعه فدنوت منه فاذا دموعه قد خالطها صفرة

فقلت له بالله يا فتح بكيت الدم فقال لولا انك حلفتني بالله ما اخبرتك نعم بكيت دما فقلت له على ما
ذا بكيت الدموع فقال على تخلفي عن واجب حق الله ثم بكيت الدم على الدموع لئلا يكون نصح لي الدموع قال
فرايته في المنام بعد موته فقلت له ما صنع الله بك قال غفر لي فقلت له فما ذا صنع في دموعك فقال قربني
ربي عز وجل وقال لي يا فتح الدمع على ما ذا قلت يا ربي على تخلفي عن واجب حقك فقال والدم على ما ذا قلت
على دموعي ان لا يصح لي فقال لي يا فتح ما اردت بهذا كله لقد صعد الي حافظاك اربعين سنة بصحيفتك ما فيها
خطيئة وقيل ان قوما ارادوا السفر فحادوا عن الطريق فانتهوا الى راهب منفرد عن الناس فنادوه
فاشرف عليهم من صومعته فقالوا يا راهب انا اخطانا الطريق فكيف هو قال فاومى براسه الى السماء فعلم الناس ما
اراد فقالوا يا راهب انا سائلوك فهل انت مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لن يرجع والعمر لا يعود و
الطالب حثيث فتعجب القوم من كلامه فقالوا يا راهب علام الخلق غدا عند مليكهم قال على نياتهم فقالوا اوصنا
قال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغكم البغية ثم ارشدهم الى الطريق وادخل راسه في صومعته
وقال عبد الرحمن بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبني فناديته
ثانية فلم يجبني فناديته ثالثة فاشرف علي وقال يا هذا ما انا براهب انما الراهب من رهب الله في
سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على الائه وشكره على نعمائه و
تواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر في حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله
قائم قد اسهره ذكر النار ومسألة الجبار فذلك هو الراهب واما انا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة
عن الناس لئلا اعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله تعالى بعد ان عرفوه فقال يا اخي لم يقطع الخلق
عن الله تعالى الا حب الدنيا وزينتها لانها محل المعاصي والذنوب والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب الى الله عن ذنبه
واقبل على ما يقربه من ربه وقيل لداود الطائي لو سرحت لحيتك فقال اني اذا لفارغ وكان اويس القرني يقول
هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة واحدة وهذه ليلة السجود فيحيي الليل كله في سجدة وقيل لما تاب
عتبة الغلام كان لا يتهنى بالطعام والشراب فقالت امه لو رفقت بنفسك قال الرفق اطلب دعيني اتعب
قليلا واتنعم كثيرا وقيل مسروق فما نام قط الا ساجدا على وجهه وقال سفيان الثوري عند الصباح يحمد
القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى وقال عبد الله بن داود كان احدهم اذا بلغ اربعين طوى
فراشه اي كان لا ينام طول الليل وكان كهمس بن الحسن يصلي كل يوم الف ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا ماوى
كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسمائة وكان يبكي ويقول ذهب نصف عملي وكانت ابنة الربيع بن خثيم تقول
يا ابت ما لي ارى الناس ينامون وانت لا تنام فيقول يا ابنتاه ان اباك يخاف البيات ولما رات ام الربيع
ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته يا بني لعلك قتلت قتيلا فقال نعم يا والدتي قالت فمن هو حتى
نطلب اهله فيعفو عنك فوالله لو يعلمون ما انت عليه لرحموك وعفوا عنك فقال يا والدتي هي نفسي
قال الربيع اتيت اويسا فوجدته جالسا قد صلى الفجر ثم جلس فقلت لا اشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى
صلى الظهر ثم قام الى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى
العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم غلبته عيناه فقال اللهم اني اعوذ بك من عين نوامة ومن بطن لا
يشبع فقلت حسبي هذا منه ورجعت ونظر رجل الى اويس فقال يا ابا عبد الله ما لي اراك كانك مريض فقال وما
لاويس ان لا يكون مريضا يطعم المريض واويس غير طاعم وينام المريض واويس غير نائم وقال احمد بن حرب
يا عجبا لمن يعرف الجنة تزين فوقه والنار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال رجل من النساك اتينا ابراهيم بن ادهم فوجدناه قد

صلى العشاء فقعدت ارقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم ينقلب من جنب الى جنب الليل كله حتى طلع
الفجر واذن مؤذن فوثب الى الصلاة ولم يحدث وضوءا فحال ذلك في صدري فقلت له رحمك الله
قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد الوضوء فقال كنت الليلة كلها جائلا في رياض الجنة احيانا وفي
اودية النار احيانا فهل في ذلك نوم وقال ثابت البناني ادركت رجالا كان احدهم يصلي حتى ما ياتي
فراشه الا حبوا وقيل لعبد الله مكث ابو بكر بن عياش رحمه الله اربعين سنة لا يضع جنبه الى فراش ونزل الماء
في احدى عينيه عشرين سنة لا يعلم به اهله وقيل كان ورد ابن سمنون رحمه الله يصلي في كل يوم خمسمائة ركعة
وعن ابي بكر المطوعي رحمه الله قال كان وردي في شبيبتي كل يوم وليلة ان اقرا قل هو الله احد ثلاثين الف مرة
او اربعين الف مرة شك الراوي وكان منصور بن المعتمر رحمه الله اذا رايته قلت رجل اصيب بمصيبة منكسر
الطرف منخفض الصوت رطب العينين حارت عيناه قالت له امه ما هذا الذي تصنع تبكي بالليل عامته لا تسكت
لعلك يا بني اصبت نفسا لعلك قتلت قتيلا فيقول يا امه انا اعلم بما صنعت بنفسي وقيل لعامر بن عبد الله
كيف صبرك على سهر الليل وظماء الهواجر فقال هل هو الا اني صرفت طعام الليل الى النهار وليس في ذلك خطير
امر وكان يقول ما رايت مثل الجنة نام طالبها وما رايت مثل النار نام هاربها وكان اذا جاء الليل قال اذهب
حر النار النوم فما ينام حتى يصبح واذا جاء النهار قال اذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسي فاذا جاء الليل قال
من خاف ادلج فاذا اصبح قال عند الصباح يحمد القوم السرى وقال الهيثم صحبت عامر بن عبد قيس اربعة اشهر فما رايته نام بليل
ولا نهار وروي عن رجل من اصحاب علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال صليت خلف علي كرم الله وجهه الفجر فلما سلم
انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه و
سلم وما ارى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله و
يراوحون بين اقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم حتى تبل ثيابهم و
كان القوم باتوا غافلين يعني من كان حوله وكان ابو مسلم الخولاني علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول
لنفسه قومي فوالله لازحفن بك زحفا حتى يكون الكلل منك لا مني فاذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه
وقال انت اولى بالضرب من دابتي وقال ايظن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان يستاثروا به دوننا كلا والله لنزاحمنهم
زحاما حتى يعلموا انهم قد خلفوا وراءهم رجالا وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وهو بلغ من
الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد متزيدا وكان اذا جاءه الشتاء اضطجع على السطوح ليضربه البرد واذا
كان في الصيف دخل البيوت ليجد الحر والغم ولا ينام وانه مات وهو ساجد وكان يقول اللهم اني احب لقاءك فاحب لقائي
وقال القاسم بن محمد غدوت يوما وكنت اذا غدوت بدات بعائشة رضي الله عنها اسلم عليها فغدوت يوما اليها فاذا هي
تصلي صلاة الضحى وهي تقرا فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتبكي وتدعو وتردد الاية فلما رايت ذلك ذهبت الى
السوق فقلت افرغ من حاجتي ثم ارجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت وهي كما هي تردد الاية وتدعو وتبكي وقال محمد بن
اسحق لما ورد علينا عبد الرحمن بن الاسود حاجا اعتلت احدى قدميه فقام يصلي على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء
العشاء وقال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وقال علي رضي الله عنه سيما الصالحين
صفرة الالوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين وقيل للحسن ما
للمتهجدين احسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وكان عامر بن عبد قيس يقول الهي
خلقتني ولم تؤامرني وتميتني ولا تعلمني وخلقت معي عدوا وجعلته يجري مني مجرى الدم وجعلته يراني ولا اراه
ثم قلت لي استمسك الهي كيف استمسك ان لم تمسكني الهي في الدنيا الهموم والاحزان وفي الاخرة العقاب والحساب فاين

النهار الى الليل ونوم صـ

الراحة والفرح وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صيحات كان اذا صلى العتمة وضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم يضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد فحدثت به بعض البصريين فقال لا تنظر الى صياحه انظر الى ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح وعن القاسم بن راشد الشيباني قال كان زمعة نازلا عندنا بالمحصب وكان له اهل وبنات فكان يقوم فيصلي ليلا طويلا فاذا كان السحر نادى باعلى صوته ايها الركب المعرسون اكل هذا الليل ترقدون فلا تقومون وترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ فاذا طلع الفجر نادى باعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعض الحكماء ان لله عبادا انعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فاطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر اليه فصارت قلوبهم معادن الصفا واليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن القدرة فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها طرائف من لطيف الفوائد ما لا يمكن واصفا ان يصفه فهم في باطن امورهم كالديباج حسنا وفي الظاهر مناديل مبذولون لمن ارادهم تواضعا وهذه طريقة لا يبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقال بعض الصالحين بينما انا اسير في بعض جبال بيت المقدس اذ هبطت الى واد هنالك فاذا انا بصوت قد علا واذا تلك الجبال تجيب له دوي عال فاتبعت الصوت فاذا انا بروضة عليها شجر ملتف فاذا انا برجل قائم فيها يردد هذه الاية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الى قوله تعالى ويحذركم الله نفسه قال فجلست خلفه اسمع كلامه وهو يردد هذه الاية اذ صاح صيحة خر منها مغشيا عليه فقلت واسفاه هذا لشقائي ثم انتظرت افاقته فافاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول اعوذ بك من مقام الكذابين واعوذ بك من اعمال البطالين اعوذ بك من اعراض الغافلين ثم قال لك خشعت قلوب الخائفين واليك فزعت امال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يده وقال ما لي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك يا دنيا بابناء جنسك والافك نعمك الى محبيك فادعي اياهم فاخدعي ثم قال اين القرون الماضية واهل الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى مر الزمان يفنون فناديته يا عبد الله انا منذ اليوم خلفك انتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر الاوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت الى نفسه ام كيف يفرغ من ذهبت ايامه ثم قال انا لها ولكل شدة اتوقع نزولها ثم لهى عني ساعة وقرا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة اخرى اشد من الاولى وخر مغشيا عليه فقلت قد خرجت نفسه فدنوت منه فاذا هو يضطرب ثم افاق وهو يقول من انا ما خطري هب لي اساءتي بفضلك وجللني بسترك واعف عن ذنوبي بكرم وجهك اذا وقفت بين يديك فقلت له بالذي ترجوه لنفسك وتثق به الا كلمتني فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من اوبقته ذنوبه واني لفي هذا الموضع منذ شاء الله اجاهد ابليس ويجاهدني فلم يجد عونا علي ليخرجني مما انا فيه غيرك فاليك عني يا مخدوع فقد عطلت علي لساني وميلت الى حديثك شعبة من قلبي فانا اعوذ بالله من شرك ثم ارجو ان يعيذني من سخطه ويتفضل علي برحمته قال فقلت هذا ولي الله اخاف ان اشغله فاعاقب في موضعي هذا فانصرفت فتركته وقال بعض الصالحين بينما انا اسير في مسيري اذ ملت الى شجرة لاستريح تحتها فاذا بشيخ قد اشرف علي فقال لي يا هذا قم فان الموت لم يمت ثم هام على وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لي في الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من ايقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر اليك واملأ قلبي من المحبة لك والحزن

من ذل التوبيخ غدا عندك فقد آن لي الحياء منك وحان لي الرجوع عن الاعراض عنك قال لولا حلمك لم يسعني اجلي ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك املي ثم مضى وتركني وانشد وافيه يقول نحل الجسم مكتئبا لغربة اجره تراه بقفر او بطن واد ينوح على معاص فادحات يكدر ثقلها صفو الوداد فان هاجت مخاوفه وزادت فدعوته اغثني يا عماد فانت بما الاقيه عليم كثير الصفح عن زلل العباد وقيل الذي التلذذ بالعوان اذا اقبلن في حلل حسان منيف فهو من اهل ومال يسيح الى مكان من مكان ليخمل ذكره ويعيش فردا ويظفر في العبادة بالامان يلذذه التلاوة اين ولى وذكرا بفواده وباللسان وعند الموت ياتيه بشير يبشره بالنجاة من الهوان ويدرك ما اراد وما تمنى من الراحات في غرف الجنان وكان كرز بن وبرة يختم القران في كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه في العبادات غاية المجاهدة فقيل له قد اجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة الاف سنة فقال فكم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون الف سنة فقال فكيف يعجز احدكم ان يعمل سبع يوم حتى يامن ذلك اليوم يعني انك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة الاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين الف سنة كان ربحك كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والاخرة لا غاية لها فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع احوال هؤلاء فانه قد عز الان وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو انجع في القلب وابعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة واذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع احوال هؤلاء فانهم يكن الا تخير وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون في غمارهم وهم العقلاء والحكماء وذووا البصائر في الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من اهل عصرك ولا ترضي لنفسك ان تنخرط في سلك الحمقى وتقنع بالتشبه بالاغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء فان حدثتك نفسك بان هؤلاء رجال اقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع احوال النساء المجتهدات وقل لها لا تستنكفي يا نفس ان تكوني اقل من امراة فاخسس برجل يقصر عن امراة في امر دينها ودنياها ولنذكر الان من احوال المجتهدات فقد روي عن حبيبة العدوية انها كانت اذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت الهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك ابوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ثم تقبل على صلاتها فاذا كان السحر وطلع الفجر قالت الهي هذا الليل قد ادبر وهذا النهار قد اسفر فليت شعري اقبلت مني ليلتي فاهنا ام رددتها علي فاعزي وعزتك لهذا دابي ودابك ما ابقيتني وعزتك لو انتهرتني من بابك ما برحت لما وقع في نفسي من جودك وكرمك ويروى عن عجردة انها كانت تحيي الليل وكانت مكفوفة فاذا كانت في السحر نادت بصوت لها محزون اليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون الى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا الهي اسالك لا بغيرك ان تجعلني في اول زمرة السابقين وان ترفعني لديك في درجة المقربين وان تلحقني بالصالحين فانت ارحم الرحماء واعظم العظماء واكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي الى الفجر وقال يحيى بن بسطام كنت اشهد مجلس شعوانة فكنت ارى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو اتيناها اذا خلت فامرناها بالرفق بنفسها فقال انت وذلك قال فاتيناها فقلت لها لو رفقت بنفسك واقصرت عن هذا البكاء شيئا لكان ذلك اقوى لما تريدين قال فبكت ثم قالت والله لوددت ان ابكي حتى تنفد دموعي ثم ابكي دما حتى لا تبقى قطرة دم في جارحة من جوارحي واني لي بالبكاء فلم تزل تردد واني لي بالبكاء حتى غشي عليها وقال محمد بن معاذ حدثتني امراة من المتعبدات قالت رايت في المنام كاني دخلت الجنة فاذا اهل الجنة قيام فقلت لهم ما شانهم فقال لي قائل خرجوا ينظرون الى هذه المراة التي زخرفت الجنان لقدومها فقلت ومن هذه المراة قالت امة سوداء من اهل الابلة يقال لها شعوانة قالت فقلت اختي والله قالت فبينا انا كذلك اذ اقبل بها على نجيبة تطير بها في الهواء فلما رايتها ناديت يا اختي اما ترين

مكاني من مكانك فلو دعوت مولاك فالحقني بك قالت فتبسمت الي وقالت يا بني لقد رومك ولكن لحفظي عني اشير الزمني الحزن قبلك وتقديمي بحبر الله على هواك ولا يضرك متى مت وقال عبد الله بن الحسين كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا وكانت في بعض الليالي نائمة الى جنبي فانتبهت فلمستها فلم اجدها فقمت اطلبها فاذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي الا غفرت ذنوبي فقلت لها لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقال لا يا مولاي بحبه لي اخرجني من الشرك الى الاسلام وبحبه لي انام عيني وكثير من خلقه نيام وقال ابو هاشم القرشي قدمت علينا امراة من اهل اليمن يقال لها سرية فنزلت في بعض ديارنا قال فكنت اسمع لها من الليل انينا وشهيقا فقلت يوما لخادم لي اشرف على هذه المراة ماذا تصنع قال فاشرفت عليها فما اراها تصنع شيئا غير انها لا ترد طرفها عن السماء وهي مستقبلة القبلة تقول خلقت سرية ثم غذيتها بنعمتك من حال الى حال وكل احوالك لها حسن وكل بلائك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة اتراها تظن انك لا ترى سوء فعالها وانت عليم خبير وانت على كل شيء قدير وقال ذو النون المصري خرجت ليلة من وادي كنعان فلما علوت الوادي اذا سواد مقبل علي وهو يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي فلما قرب مني السواد اذا هي امراة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت لي من انت غير فازع مني فقلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت لي ما الذي ابكاك قلت وقع الدواء على داء قد قرح فاسرع في نجاحه قالت فان كنت صادقا فلم بكيت قلت يرحمك الله والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم ذلك قالت لان البكاء راحة القلب فسكت متعجبا من قولها وقال احمد بن علي استاذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح لنا فسمعناها تقول اللهم اني اعوذ بك ممن جاء يشغلني عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا امة الله ادعي لنا فقالت جعل الله قراكم من بيتي المغفرة ثم قالت لنا مكث عطاء السلمي اربعين سنة لا ينظر الى السماء فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فاصابه فتق في بطنه فيا ليت عفيرة اذا رفعت راسها لم تعص واذا عصت لم تعد وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى السوق ومعي جارية حبشية فاجلستها في موضع بناحية السوق وذهبت في بعض حوائجي وقلت لا تبرحي حتى انصرف اليك قال فانصرفت فلم اجدها في الموضع فانصرفت الى منزلي وانا شديد الغضب عليها فلما راتني عرفت الغضب في وجهي فقالت لي يا مولاي لا تعجل علي انك اجلستني في موضع لم ار فيه ذاكرا لله تعالى فخفت ان يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت لها انت حرة فقالت ساء ما صنعت كنت اخدمك فيكون لي اجران واما الان فقد ذهب عني احدهما وقال ابن العلاء السعدي كانت لي ابنة عم يقال لها برية تعبدت وكانت تكثر القراءة في المصحف فكلما اتت على اية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه المراة حتى نعذلها في كثرة البكاء قال فدخلنا عليها فقلنا يا برية كيف اصبحت قالت اصبحنا اضيافا منيخين بارض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها كم هذا البكاء وقد ذهبت عيناك منه فقالت ان تكن لعيني عند الله خير فما يضرهما ما ذهب منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء اطول من هذا ثم اعرضت فقال القوم قوموا بنا والله لهي في شيء غير ما نحن فيه وكانت معاذة العدوية اذا جاء النهار تقول هذا يومي الذي اموت فيه فما تطعم حتى تمسي فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي اموت فيها فتصلي حتى تصبح الليل وقال ابو سليمان الداراني بت ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها وقمت انا الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة الى السحر فلما كان السحر قلت لها ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه ان نصوم له غدا وكانت شعوانة تقول في دعائها الهي ما اشوقني الى لقائك واعظم رجائي بجزائك وانت الكريم الذي لا يخيب لديك امل الاملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهي ان كان دنا اجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللي فان عفوت فمن اولى بذلك وان عذبت فمن اعدل منك هنالك الهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك والويل لها ان لم تسعدها الهي انك لم تزل بي برا ايام حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي ولقد رجوت من تولاني في حياتي باحسانه ان يسعفني عند مماتي بغفرانه الهي كيف ايأس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حياتي الهي ان كانت ذنوبي قد اخافتني فان محبتي لك قد ازجتني فكن لي من امري بما انت اهله وعد بفضلك على من غره جهله الهي لو اردت اهانتي لما هديتني ولو اردت فضيحتي لم تسترني فمتعني بما له هديتني وادم لي ما به سترتني الهي ما اظنك تردني في حاجة افنيت فيها عمري الهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عذابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك وقال الخواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى اقعدت وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئا من العفو ليهون عليها الامر قال فشهقت فقالت علمي بنفسي قرح فؤادي وكلم كبدي والله لوددت ان الله تعالى لم يخلقني ولم اك شيئا مذكورا ثم اقبلت على صلاتها فعليك ان كنت من المرابطين المراقبين لنفسك ان تطالع احوال الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر وان اردت مزيدا فعليك بالمواظبة على كتاب حلية الاولياء فهو مشتمل على شرح احوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه يتبين لك بعدك وبعد اهل عصرك من اهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى اهل زمانك وقالت انما يتيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الاعوان والان فان خالفت اهل زمانك راوك مجنونا وسخروا بك فوافقهم فيما هم عليه فلا يجري عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك ان تنخدع بخدعها واياك ان تنخدع بتزويرها وقل لها ارايت لو هجم سيل جارف يغرق اهل البلاد وثبتوا على مواضعهم ولم ياخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت على ان تفارقهم وتركب سفينة تنجو بها من الغرق فهل يختلج في نفسك ان المصيبة اذا عمت طابت ام تترك موافقتهم وتستجهلهم في صنيعهم وتاخذ حذرك مما دهاك فاذا كنت تترك موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى الا ساعة فكيف لا تهرب من عذاب الابد وانت متعرضة له في كل حال ومن اين تطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقة اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك ان تحملها على الاجتهاد فان استعصت لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتعريفها سوء نظرها لنفسها فعساها ان تنزجر عن طغيانها

المرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها اعلم ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة من الخير وامرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي اقسم الله تعالى بها ورجوت

اوحى الله تعالى الى عيسى ابن مريم عظ نفسك صح

ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى الله لتدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن
من تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغل بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ نفسك فان اتعظت
فعظ الناس والا فاستحي مني وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك ان تقبل
عليها فتقرر عندها جهلها وحماقتها فانها ابدا تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد انفها واستنكافها
اذا نسبت الى الحمق فتقول لها ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس
غباوة وحمقا اما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانك صائرة الى احدهما على القرب فما لك
تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين
او غدا فاراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو آت قريب وان البعيد ما ليس
بآت اما تعلمين ان الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطاة فانه لا يأتي في
شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا يأتي في
الصبي دون الشباب ولا في الشباب دون الصبي بل كل نفس من الانفاس يمكن ان يكون فيه الموت فجاءة
فان لم يكن الموت فجاءة فيكون المرض فجاءة ثم يفضي الى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب
اليك من كل قريب اما تدبرين قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون الى قوله تعالى
لاهية قلوبهم ويحك يا نفس ان كانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك ان الله لا يراك فما اعظم
كفرك وان كان مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك واقل حياءك ويحك لو واجهك عبد من
عبيدك بل اخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فباي جسارة تتعرضين
لمقت الله تعالى وغضبه وشديد عقابه افتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك
ان الهاك البطر عن اليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس او في بيت الحمام او قربي اصبعك من النار
ليتبين لك قدر طاقتك ام تغترين بكرم الله تعالى وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعولين
على كرم الله تعالى في مهمات دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا تتكلين الى كرم الله
تعالى فاذا ارهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضي الا بالدينار والدرهم فما لك تنزعين الروح
في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله حتى يعثر بك على كنز او يسلط عبدا من عبيده فيحمل
اليك حاجتك من غير سعي وطلب اتحسبين ان الله كريم في الدنيا الا في الآخرة وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل
لها وان رب الدنيا والآخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى ويحك يا نفس ما اعجب نفاقك ودعاويك

سعيك صح

الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر عليك الم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها وقال في امر الآخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك في امر الدنيا خاصة
وصرفك عن السعي فيها فكذبته بافعالك واصبحت تتكالبين على طلبها طلب المدهوش المستهتر ما هذا من
علامة الايمان لو كان الايمان باللسان فلما ذا كان المنافقون في الدرك الاسفل من النار ويحك كانك لا تؤمنين
بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت وهيهات اتحسبين ان تتركين سدى الم تكوني نطفة من مني
يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فان كان هذا من اضمارك فما اكفرك واجهلك
اما تتفكرين انه من ماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم اماتك فاقبرك افتكذبينه في قوله
ثم اذا شاء انشرك فان لم تكوني مكذبة فما لك لا تأخذين حذرك ولو ان يهوديا اخبرك في الذ اطعمتك بانه يضرك

تطعمك

في مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه افكان قول الانبياء عليهم الصلاة والسلام المؤيدين بالمعجزات

وقول الله تعالى في كتبه المنزلة اقل عندك تاثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وظن مع نقصان عقل وقصور علم
فالعجب انه لو اخبرك طفل بان في ثوبك عقربا لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة له ببرهان ودليل افكان قول
الانبياء والعلماء والحكماء وكافة الاولياء اقل عندك من قول صبي من جملة الاغبياء ام صار حر جهنم واغلالها وانكالها
وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وافاعيها وعقاربها احقر عندك من عقرب لا تحسين بالمها الا يوما او اقل
منه ما هذا افعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا عليك وسخروا من عقلك فان كنت قد عرفت جميع ذلك وآمنت به
فما لك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة فبماذا امنت استعجال الاجل وهبك انك
وعدت بالامهال مائة سنة افتظنين ان من يطعم الدابة في حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها
ان ظننت ذلك فما اعظم جهلك ارايت لو سافر رجل ليتفقه في الغربة فاقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه في السنة
الاخيرة عند رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه ان تفقه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة او حسبانه
ان مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله سبحانه ثم هب ان الجهد في آخر العمر نافع وانه موصل الى
الدرجات العلى فلعل اليوم آخر عمرك فلم لا تشتغلين فيه بذلك فان اوحي اليك بالامهال فما المانع لك من المبادرة
وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيها من التعب والمشقة افتنتظرين يوما يأتيك
لا يعسر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط الا محفوفة بالمكاره ولا تكون
المكاره قط خفيفة على النفوس هذا محال وجوده اما تتاملين منذ كم تعدين نفسك وتقولين غدا غدا فقد
جاء الغد وصار يوما كان له حكم الامس لا بل ما تعجزين عنه اليوم فانت عنه غدا اعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة
التي تعبد العبد بقلعها فاذا عجز عن قلعها للضعف واخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فاخرها الى سنة
اخرى مع العلم بان طول المدة يزيد الشجرة قوة ويزيد القالع ضعفا ووهنا فما لا يقدر عليه في الشباب فلا يقدر عليه
قط في المشيب بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والقضيب الرطب يقبل الانحناء فاذا جف
وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فاذا كنت لا تفهمين هذه الامور الجلية وتركنين الى التسويف فما لك تدعين الحكمة واي حماقة
تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعني عن الاستقامة الا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الآلام
والمشقات فما اجهلك واقبح اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات
الدائمة ابد الآباد ولا مطمع في ذلك الا في الجنة فان كنت ناظرة لنفسك فانظري لها في مخالفتها ورب لذة تمنع لذات
وما قولك في عقل مريض اشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة ايام ليصح ويتهنا بشربه طول العمر ويخبره
انه ان شربه مرض مرضا مزمنا وامتنع عليه شربه طول العمر فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة ثلاثة ايام ليتنعم

الصبر صح

طول العمر ام قضاء الشهوة في الحال خوفا من الم المخالفة ثلاثة ايام حتى يلزمه الم المخالفة ثلثمائة يوم وثلاثة الاف يوم و
جميع عمرك بالاضافة الى الابد الذي هو مدة نعيم اهل الجنة وعذاب اهل النار اقل من ثلاثة ايام بالاضافة الى
جميع العمر وان طالت مدته وليت شعري الم الصبر عن الشهوات اعظم شدة واطول مدة او الم النار في دركات
جهنم فمن لا يطيق الصبر على الم المجاهدة كيف يطيق الم عذاب الله ما اراك تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفي
او لحمق جلي اما الكفر الخفي فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب و
اما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات الى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك
مع انك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز او حبة من المال او كلمة واحدة تسمعينها من الخلق
بل تتوصلين الى غرضك فيها بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ويحك لا

ينبغي ان لا تغرنك الحيوة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك فما امرك مهما لغيرك ولا تضيعي اوقاتك
فالانفاس معدودة فاذا ذهب منك نفس فقد ذهب بعضك فاغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل و
الغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها يا نفس اما تستعدين
للشتاء بقدر طول مدته وتجمعين له القوت والكسوة والحطب واللبد والجبة وجميع الاسباب ولا تتكلين في ذلك
على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب وغير ذلك فانه قادر على ذلك افتظنين ان زمهرير
جهنم اخف بردا واقصر مدة من زمهرير الشتاء ام تظنين ان العبد ينجو منها بغير حساب سعي هيهات كما لا يندفع برد
الشتاء الا بالجبة والنار وسائر الاسباب فلا يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد وصدق الطاعات و
انما كرم الله تعالى في ان عرفك طريق التحصن ويسر لك اسبابه لا في ان يندفع عنك العذاب دون حصنه كما ان كرم الله في دفع برد
الشتاء ان خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديد وحجر حتى تدفع به برد الشتاء عن نفسك وكما ان شرى
الحطب والجبة مما يستغني عنه خالقك ومولاك وانما تشترينه لنفسك اذ خلقه سببا لاستراحتك فطاعاتك
ومجاهداتك ايضا هو مستغن عنها وانما هي طريقك الى نجاتك فمن احسن فلنفسه ومن اساء فعليها والله غني
عن العالمين يا نفس ويحك ارعوي عن جهلك وقيسي آخرتك بدنياك فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة و
كما بدأكم تعودون وسنة الله لن تجدي لها تبديلا ولا تحويلا ويحك ما اراك الا الفت الدنيا وانست بها
فعسر عليك مفارقتها وانت مقبلة على مقاربتها وتؤكدين في نفسك مودتها فاحسبي انك غافلة عن عقاب
الله وثوابه وعن اهوال القيامة واحوالها فما انت مؤمنة بالموت المفرق بينك وبين محابك افترين ان من يدخل
دار ملك ليخرج من الجانب الآخر فمد بصره الى وجه مليح يعلم انه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لا محالة الى مفارقته
اهو معدود من العقلاء ام من الحمقى اما تعلمين ان الدنيا دار ملك الملوك وما لك فيها الا مجاز وكل ما فيها
لا يصحب المجتازين بعد الموت ولذلك قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي
احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به اما تعلمين ان كل
من يلتفت الى ملاذ الدنيا ويانس بها مع ان الموت من ورائه فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وانما
يتزود من السم المهلك وهو لا يدري اوما تنظرين الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف جمعوا
ما لا ياكلون ويبنون ما لا يسكنون ويأملون ما لا يدركون ويبني كل واحد قصرا مرفوعا الى جهة السماء ومقره
قبر محفور تحت الارض فهل في الدنيا حمق وانتكاس اعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا و
يخرب آخرته وهو صائر اليها قطعا اما تستحيين من مساعدة هؤلاء على حماقتهم واحسبي انك لست ذا بصيرة
تهتدين الى هذه الامور وانما تميلين بالطبع الى التشبه والاقتداء فقيسي عقل الانبياء والحكماء والعلماء
فالعلماء بعقل هؤلاء المكبين على الدنيا واقتدي من الفريقين بمن هو اعقل عندك ان كنت تعتقدين في نفسك
العقل والذكاء ما اعجب امرك واشد جهلك واظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة
الجلية ولعلك اسكرك حب الجاه وادهشك عن فهمها اوما تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل قلوب
بعض الناس اليك فاحسبي ان كل من على وجه الارض سجدوا لك واطاعوك افما تعرفين انه بعد
خمسين سنة لا تبقين انت ولا احد ممن على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسياتي زمان لا يبقى ذكرك
ولا ذكر من ذكرك كما قد اتى على الملوك الذين من قبلك فهل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فكيف
تبيعين ما يبقى ابد الآباد بما لا يبقى اكثر من خمسين سنة ان بقي هذا اذا كنت ملكا من ملوك الارض
سلم لك الشرق والغرب حتى اذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب كيف وادبارك وشقاوتك

تبتغى

ان يسلم لك امر محلتك بل امر دارك فضلا عن محلتك فان كنت لا تتركين الدنيا رغبة في الآخرة لجهلك و
عمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن كثرة عنائها وتوقعا عن سرعة
فنائها ام ما لك لا تزهدين في قليلها بعد ان زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا ان ساعدتك
فلا يخلو بلدك عن جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها فاف
لدنيا يسبقك بها هؤلاء الاخساء فما اجهلك واخس همتك واسقط رايك اذ رغبت ان تكوني
في زمرة المقربين من الصديقين والنبيين في جوار رب العالمين ابد الآبدين لتكوني في صف
النعال من جملة الحمقى الجاهلين اياما قلائل فيا حسرة عليك اذ خسرت الدنيا والدين فبادري ويحك
فقد اشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد النذير فمن ذا يصلي عليك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك
بعد الموت ومن ذا يترضى ربك عنك بعد الموت ما لك الا ايام معدودة هي بضاعتك ان اتجرت
فيها فقد ضيعت اكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرة في حق نفسك فكيف اذا
ضيعت البقية واصررت على عادتك اما تعلمين ان الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك
والدود انيسك والفزع الاكبر بين يديك اما علمت ان عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك وقد آلوا
كلهم على انفسهم بالايمان المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم ياخذوك الى انفسهم اما تعلمين انهم يتمنون
الرجعة الى الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم وانت في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا
بحذافيرها لاشتروها لو قدروا عليها وانت تضيعين ايامك ويحك ما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق
وتبارزين الله في السر بالعظائم افتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الله اهو اهون الناظرين عليك و
تامرين الناس بالخير وانت متلطخة بالرذائل تدعين الى البر وانت فارة وتذكرين الله وانت له ناسية
اما تعلمين ان المذنب انتن من العذرة وان العذرة لا تطهر غيرها من النجاسات فلم تطمعين في تطييبك
وانت غير طيبة في نفسك لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت ان الناس لا يصيبهم بلاء الا بشؤمك
ويحك قد جعلت نفسك حمار الابليس يقودك حيث يريد ويسخر بك ومع هذا تعجبين من عملك وفيها
من الآفات ما لو نجوت منها راسا براس لربحت وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وقد لعن الله
ابليس بخطيئة واحدة مع كونه متعبدا صفيه ويحك اتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كانك
غير مرتحلة عنها اما تنظرين الى اهل القبور كانوا قد جمعوا كثيرا وبنوا كثيرا شديدا واملوا بعيدا فاصبح
جمعهم بورا وبنيانهم قبورا واملهم غرورا اما لك بهم عبرة اما لك اليهم نظرة اتظنين انهم دعوا الى
الآخرة وانت من الخالدين هيهات هيهات ما انت الا وهدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فابني
على ظهر الارض قصرك فان بطنها عن قليل قبرك اما تخافين اذا بلغت النفس التراقي ان تبدو
رسل ربك منحدرة اليك بسود الالوان وكلح الوجوه وبشرى العذاب فهل ينفعك حينئذ الندم او يقبل
منك الحزن او يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك انك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك
انك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما نفع مال يزيد وعمر ينقص ويحك تعرضين
عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لم يستكمله و
مؤمل لغد لم يبلغه وانت تشاهدين ذلك في اخوانك واقربائك وجيرانك وترين تحسرهم عند الموت
ثم لا ترجعين عن جهالتك فاحذري ايتها النفس المسكينة يوما آلى الله فيه على نفسه ان لا يترك فيه عبدا
امره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظري باي بدن تقفين بين يديه

وباي لسان تجيبين فاعدي للسؤال جوابا وللجواب صوابا واعملي لبقية عمرك في ايام قصار لايام طوال وفي دار
زوال لدار مقامة وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود اعملي قبل ان لا تعملي اخرجي من الدنيا اختيارا
خروج الاحرار قبل ان تخرجي منها على الاضطرار ولا تفرحي بما يساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون
ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمرح وياكل ويشرب وقد
حق له في كتاب الله تعالى انه من وقود النار فليكن نظرك يا نفس الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها
اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للآخرة ابتدارا ولا تكوني ممن يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة
فيما بقي وينهى الناس ولا ينتهي واعلمي انه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت
مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة فان
من اعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار وما اراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية فان كانت
القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها بدوام التهجد والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على
الصيام فان لم تزل فبقلة المخالطة والكلام فان لم تزل فبصلة الارحام واللطف بالايتام فان لم تزل فاعلمي
ان الله قد طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطني نفسك على
النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وكل ميسر لما خلق له فان لم يبق فيك
مجال للوعظ فاقنطي من نفسك والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله منه فلا سبيل لك الى القنوط ولا
سبيل لك الى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك فان ذلك اغترار وليس رجاء فانظري الآن هل ياخذك الحزن
على هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فان سمحت فمستقى الدموع من
بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع الرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واستعيني بارحم الراحمين واشتكي الى اكرم
الاكرمين وادمني الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية لعله ان يرحم ضعفك ويغيثك فان مصيبتك قد عظمت
وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وزاحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب
ولا مستغاث ولا مهرب الا الى مولاك فافزعي اليه بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم جهلك و
كثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب الملهوف وقد اصبحت والله مضطرة الى رحمة الله
محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق ولم ينجع عليك العظات ولم يكسرك التوبيخ فالمطلوب
منه كريم والمسؤول جواد والمستغاث به رؤوف والرحمة واسعة والكرم فائض والعفو شامل وقولي يا ارحم الراحمين
يا رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر انا الجريء الذي لا اقلع انا المتمادي الذي لا استحيي هذا مقام
المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل اغاثتي وفرجي وارني آثار رحمتك
واذقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة عصمتك يا ارحم الراحمين اقتداء بابيك آدم صلى الله على نبينا وعليه و
سلم فقد قال وهب بن منبه لما اهبط الله عز وجل آدم الى الارض من الجنة مكث لا ترقا له دمعة فاطلع الله عز وجل
عليه في اليوم السابع وهو محزون كظيم منكس راسه فاوحى الله تعالى اليه يا آدم ما هذا الجهد الذي ارى بك فقال
يا رب عظمت مصيبتي واحاطت بي خطيئتي واخرجت من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي
دار الشقاء بعد السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلاء بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي
دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا ابكي على خطيئتي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم الم اصطفك لنفسي
واحللتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي الم اخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي واسجدت
لك ملائكتي فعصيت امري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي لو ملأت الارض رجالا كلهم مثلك يعبدونني

قلبك صح

ويسبحونني ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكى آدم عند ذلك ثلاثمائة عام وكان عبيد الله البجلي كثير البكاء
يقول في بكائه طول ليله الهي انا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي انا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت
لي شهوة اخرى واعبيداه خطيئة لم تبل وصاحبها في طلب اخرى واعبيداه ان كانت النار لك مقيلا وماوى
واعبيداه ان كانت المقامع لراسك مهيأ واعبيداه قضيت حاجة الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى وقال
منصور بن عمار سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابدا يناجي ربه وهو يقول يا رب وعزتك ما اردت
بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك
مستخف ولكن سولت لي نفسي واعانني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى علي فعصيتك بجهلي وخالفتك
بفعلي فمن عذابك الآن من يستنقذني او بحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني واسوأتاه من الوقوف
بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا امع المخفين اجوز ام مع المثقلين احط
ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي وكلما طال عمري كثرت معاصي فالى متى اتوب والى متى اعود فكم اتوب
وكم اعود اما آن لي ان استحيي من ذنوبي فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم فانما
مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء
فمن اهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا
ويوشك ان لا يكون الله
سبحانه وتعالى
عنه راضيا

تم كتاب المحاسبة والمراقبة بتوفيق الله وتاييده ويتلوه كتاب التفكر
وهو الكتاب التاسع من ربع المنجيات
من كتاب احياء علوم
الدين

كتاب الفكر وهو الكتاب التاسع من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

الحمد لله الذي لم يقدر لانتهاء عزته نحوا ولا قطرا ولم يجعل لمرقى الاوهام ومرمى الافهام على حمى عظمته مجرى وترك قلوب الطالبين في بيداء كبريائه والهة حيرى كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا واذا همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا صبرا ثم قيل اجيلي في ذل العبودية فكرك لانك لو تفكرت في جلال الربوبية لم تقدري له قدرا وان طلبت وراء الفكر في صفاتك امرا فانظري في ايادي نعم الله واياديه كيف توالت عليك تترى وجددي لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتاملي في بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ونفعا وضرا ويسرا وعسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطيا ونشرا وايمانا وكفرا وعرفانا ونكرا فان جاوزت النظر في الافعال الى النظر في الذات فقد حاولت امرا امرا وخاطرت بنفسك مجاوزا حد طاقة البشرية ظلما وجورا فقد انبهرت العقول دون مبادي اشراقه وانتكصت على اعقابها اضطرارا وقهرا وصلوات الله وسلامه على محمد اذ كان سيد ولد آدم ولم يعد سيادته فخرا صلوة تبقى لنا في عرصات القيمة عدة وذخرا وعلى آله واصحابه الذين اصبح كل واحد منهم في سماء الدين شمسا وبدرا ولطوائف المسلمين صدرا **اما بعد** فقد وردت السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة سنة وكثر الحث في كتاب الله على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار ومبدا الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم واكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته ولكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلم انه كيف يتفكر وفيماذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به اهو مراد لعينه او لثمرة تستفاد منه فان كان لثمرة فما تلك الثمرة اهي من العلوم او من الاحوال او منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن الان نذكر اولا فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر وثمرته ثم مجاري الفكر ومسارحه ان شاء الله تعالى

فضيلة التفكر

قد امر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى واثنى على المتفكرين فقال تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال ابن عباس ان قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله تعالى فانكم لن تقدروا قدره وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال صلى الله عليه وسلم ما لكم لا تكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل فقال كذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه فان بهذا المغرب ارضا بيضاء بياضها نورها ونورها بياضها مسيرة الشمس اربعين يوما فيها خلق الله لم يعصوا الله عز وجل طرفة عين قالوا يا رسول الله فاين الشيطان عنهم قال ما يدرون خلق الشيطان ام لا قالوا امن ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم ام لا وعن عطاء قال انطلقت انا وعبيد بن عمير الى عائشة رضي الله عنها وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول النبي صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فاخبرينا باعجب شيء رايته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت وقالت كل امره كان عجبا اتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني اتعبد لربي فقام الى القربة فتوضا منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى اتى بلال فاذن بصلوة الصبح فقال يا رسول الله وما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعني ان ابكي وقد انزل الله علي

في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وقيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقراهن ويعقلهن وعن محمد بن واسع ان رجلا من اهل البصرة ركب الى ام ذر بعد موت ابي ذر فسالها عن عبادة ابي ذر فقالت كان نهاره اجمع في ناحية يتفكر وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وقيل لابرهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العلم وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل ويقول اذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلي وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفي قوله تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال امنع قلوبهم التفكر في امري وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امراة كانت تسكن البادية قريبا من مكة انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ادخر في حجب الغيوب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان ان طول الوحدة افهم للفكرة وطول الفكرة دليل على الجنة وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله عز وجل من افضل العبادة وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن علي ورآه ساكتا متفكرا اين بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل وقال ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وبينا ابو شريح يمشي اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكي فقيل له ما يبكيك قال تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب اجلي وقال ابو سليمان عودوا اعينكم البكاء وقلوبكم التفكر وقال الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن الفكرة يزيد الخوف وقال ابن عباس التفكر في الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه ويروى ان الله تعالى قال في بعض كتبه اني لست اقبل كلام كل حكيم ولكن انظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم وقال الحسن ان اهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال اسحق بن خلف كان داود الطائي رحمه الله على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن انه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح فقال ما شعرت بذلك وقال الجنيد اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال يا لها من مجالس ما اجلها ومن شراب ما الذه طوبى لمن رزقه وقال الشافعي رضي الله عنه استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكرة وقال ايضا صحة النظر في الامور نجاة من الغرور والعزم في الراي سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل

ان تقدم وقال ايضا الفضائل اربعة احدها الحكمة وقوامها الفكرة والثاني العفة وقوامها في ترك الشهوات و
الثالث القوة وقوامها في الغضب والرابع العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس فهذه اقاويل العلماء في
الفكر وما شرع احد في ذكر حقيقته وبيان مجاريه **بيان حقيقة الفكر وثمرته** اعلم ان الفكر هو احضار معرفتين
في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله ان من مال الى العاجلة وآثر الحيوة الدنيا واراد ان يعرف ان الآخرة اولى
بالايثار من العاجلة فله طريقان احدهما ان يسمع من غيره ان الآخرة اولى بالايثار فيقلده ويصدقه من غير بصيرة
بحقيقة الامر فيميل بعمله الى ايثار الآخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والثاني
ان يعرف ان الابقى اولى بالايثار ثم يعرف ان الآخرة ابقى فيحصل من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان الآخرة
اولى بالايثار ولا يمكن تحقيق المعرفة بان الآخرة اولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين السابقتين
في القلب للتوصل الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتاملا وتدبرا اما التدبر والتامل
والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة واما اسم التذكر والاعتبار والنظر
فهي مختلفة المعاني وان اصل المسمى واحدا كما ان اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شيء واحد
ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته
الى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوائد فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار
المعرفتين من حيث انه يعبر منهما الى معرفة ثالثة فان لم يقع العبور ولم يكن الا الوقوف على المعرفتين فينطلق
عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار واما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه معرفة ثالثة فمن ليس يطلب
المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفائدة التذكار تكرار المعارف
على القلب لترسخ وتثبت ولا تنمحي عن القلب وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة
فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر والمعارف اذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص اثمرت
معرفة اخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة وازدوجت مع معرفة اخرى حصل من ذلك نتاج آخر و
هكذا يتمادى النتاج ويتمادى العلوم ويتمادى التفكر الى غير نهاية وانما ينسد طريق زيادة المعارف بالموت او
بالعوائق هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى طريق زيادة المعارف وطريق التفكر واما اكثر الناس
فانما منعوا الزيادة في العلوم لفقدهم رأس المال وهو المعارف التي بها يستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له
فانه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صنعة التجارة فلا يربح فكذلك قد يكون معه
من المعارف ما هو رأس مال العلوم ولكن ليس يحسن استعمالها وتاليفها وايقاع الازدواج المفضي الى
النتاج منها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة يكون بنور الهي في القلب يحصل بالفطرة للانبياء صلوات
الله وسلامه عليهم وذلك عزيز جدا وتارة قد يكون بالتعلم والممارسة وهو الاكثر ثم المتفكر قد يحضره هذه
المعارف ويحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصوله ولا يقدر على التعبير عنه لقلة ممارسته لصناعة التعبير
والايراد فكم من انسان يعلم ان الآخرة اولى بالايثار علما حقيقيا ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على ايراده او
التعبير عنه مع انه لم يحصل معرفته الا عن المعرفتين السابقتين وهو ان الابقى اولى بالايثار وان الآخرة ابقى
من الدنيا فتحصل له معرفة ثالثة وهو ان الآخرة اولى بالايثار فرجع حاصل حقيقة الفكر الى احضار معرفتين
للتوصل به الى معرفة ثالثة واما ثمرة الفكر فهي العلوم والاحوال والاعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير نعم اذا
حصل العلم في القلب تغيرت اعمال الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع للعلم والعلم تابع الفكر فالفكر اذا هو
المبدأ والمفتاح للخيرات كلها وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان في الفكر

كانه

طلب

تغير حال القلب واذا تغير حال القلب

ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر فاذن التفكر افضل من جملة الاعمال
ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة فقيل هو الذي ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى
الزهد والقناعة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال الله تعالى لعلهم يتقون او يحدث لهم
ذكرا وان اردت ان تعلم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من امر الآخرة فان الفكر فيه يعرفنا ان
الآخرة اولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت القلوب الى الرغبة في الآخرة
والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها و
النفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغيرت حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته
ثم اثمر تغير الارادة اعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال الآخرة فههنا خمس درجات
اولها التذكر وهو احضار المعرفتين في القلب وثانيها التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما والثالث
حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور
المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما تجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه
نار تستضيء بها الموضع فتصير العين مبصرة بعد ان لم تبصر وتنتهض الاعضاء للعمل فكذلك زناد
نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تاليفا مخصوصا فينبعث
نور المعرفة كما ينبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل الى ما لم يكن يميل اليه كما يتغير
البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض العاجز عن العمل بسبب نظره للعمل عند ادراك البصر ما لم
يكن مبصرة فاذا ثمرة الفكر العلوم والاحوال فالعلوم لا نهاية لها والاحوال التي يتصور ان ينقلب على القلب
لا يمكن حصرها فلهذا لو اراد مريد ان يحصر فنون الفكر ومجاريه وانه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان
مجاري الفكر غير محصورة وثمراته غير معدودة نعم نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات
العلوم الدينية وبالاضافة الى الاحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جمليا فان تفصيل
ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على علوم تلك العلو
مستفادة من افكار مخصوصة فلنشر الى الضبط الجامع فيه ليحصل الوقوف على مجاري الفكر **بيان مجاري
الفكر** اعلم ان الفكر قد يجري في امر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا ما يتعلق
بالدين فلنترك القسم الآخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى فجميع افكار العبد
اما ان يتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما ان يتعلق بالمعبود وصفاته وافعاله ولا يمكن ان يخرج
عن هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا الى محبوب عند الرب تعالى او فيما هو مكروه و
لا حاجة الى الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب تعالى اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته و
اسمائه الحسنى واما ان يكون نظرا في افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما
وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام بمثال وهو ان حال السائرين الى الله سبحانه والمشتاقين الى
لقائه يضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالا لنا فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا
يعدو فكره من ان يتعلق بمعشوقه او يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر في جماله وحسن صورته
في ذاته ليتنعم بالفكر فيه وبمشاهدته واما ان يتفكر في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على اخلاقه وصفاته
ليكون ذلك مضعفا للذته ومقويا لمحبته وان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين
محبوبه حتى يتنزه عنها او في الصفات التي تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء خارج من هذه

ل

الفكر

م

الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوعب
القلب حتى لا يترك فيه متسعا لغيره فمحب الله سبحانه ينبغي ان يكون كذلك فلا ينظر ولا يتفكر الا في محبوبه
ومهما كان تفكره محصورا في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة اصلا فلنبدأ بالقسم
الاول وهو تفكره في صفات نفسه وافعال نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذي
يتعلق بعلم المعاملة الذي هو مقصود هذا الكتاب واما القسم الاخر فيتعلق بعلم المكاشفة وكل واحد
مما هو مكروه عند الله او محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصي والى باطن كالصفات المنجيات
والمهلكات التي محلها القلب وقد ذكرنا تفصيلها في ربع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصي
تنقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما ينسب الى جميع البدن كالفرار من الزحف وعقوق الوالدين
والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة امور الاول التفكر في انه
هو مكروه عند الله ام لا فرب شيء لا يظهر كونه مكروها فما طريق الاحتراز عنه الثالث في ان هذا المكروه
هل هو متصف به في الحال فيتركه او هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه او قارفه فيما مضى من الاحوال
فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم هذه الانقسامات فاذا جمعت هذه الانقسامات
زادت مجاري الفكر في هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى التفكر اما في جميعها او في اكثرها وشرح
احاد هذه الاقسام يطول ولكن انحصر هذا القسم اعني قسم المعاملة في بعض انواع الطاعات والمعاصي
والصفات المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع مثالا ليقيس به المريد سايرها وينفتح له باب
الفكر ويتسع له طريقه النوع الاول المعاصي ينبغي ان يفتش العبد صبيحة كل يوم جميع اعضائه السبعة تفصيلا ثم
بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية بها فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم
او هو متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد منها فينظر في اللسان فيقول انه متعرض
للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني الى غير ذلك من
المكاره فيقررها ولا في نفسه انها مكروهة عند الله ويتفكر في شواهد القران والسنة على شدة العذاب
فيها ثم يتفكر في احواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر انه كيف يحترز منها ويعلم انه لا
يتم له الا بالعزلة والانفراد وبان لا يجالس الا صالحا تقيا ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله عليه او
يضع حجرا في فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز و
يتفكر في سمعه انه يصغي به الى الغيبة والكذب وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وان ذلك انما
يسمعه من زيد وعمرو وانه كيف ينبغي ان يحترز عنه بالاعتزال او بالنهي عن المنكر مهما سمع ذلك
ويتفكر في بطنه انه انما يعصي الله فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله
ومقوي للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله واما باكل الحرام والشبهة فينظر من اين مطعمه وملبسه و
مسكنه وما مكسبه ويتفكر في طرق الحلال ومداخله ثم يتفكر في وجوه الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام
ويقرر على نفسه ان العبادات كلها ضايعة عند الله تعالى مع اكل الحرام وان اكل الحلال هو اساس العبادات كلها وان الله
لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر فهكذا يتفكر في اعضائه ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء
فمهما حصل بالفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها واما النوع
الثاني وهو الطاعات فينظر اولا في الفرائض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير
او كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع الى عضو عضو فيتفكر في الافعال التي تتعلق بها مما يحبه الله تعالى

فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض وغيرها عبرة ولتستعمل في طاعة الله وتنظر
في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قادر على ان انظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور
على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فازجره بذلك عن معصيته فلم لا افعل وكذلك يقول في سمعه اني قادر
على استماع كلام ملهوف واستماع حكمة وعلم او استماع قراءة وذكر فما لي اعطله وقد انعم الله تعالى علي به لاشكره فما لي
اكفر نعمة الله تعالى فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول اني قادر على ان اتقرب الى الله تعالى بالتعليم
والوعظ والتودد الى قلوب اهل الصلاح وبالسؤال عن احوال الفقراء او ادخال السرور على قلب زيد الصالح و
عمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول انا قادر على ان اتصدق بالمال
الفلاني فاني مستغن عنه ومهما احتجت رزقني الله تعالى مثله وان كنت محتاجا الان فانا الى ثواب الايثار احوج
مني الى ذلك المال وهكذا يفتش عن جميع اعضائه وجملة بدنه واموال عن دوابه وغلمانه واولاده فان كل ذلك
ادواته واسبابه ويقدر على ان يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يرغبه
في البدار الى تلك الطاعات ويتفكر في اخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى تزكو بها عمله وقس
على هذا سائر الطاعات واما النوع الثالث وهي الصفات المهلكة التي محلها القلب فيعرفها مما ذكرناه في ربع
المهلكات وهي استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة
والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستشهاد
بالعلامات عليه فان النفس ابدا تعد بالخير من نفسها وتكذب فاذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان
يجرب نفسه بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون يجربون انفسهم واذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من
غيره ثم يجربها في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة
ام لا ولها علامات ذكرناها في ربع المهلكات فاذا دلت العلامة على وجودها فكر في الاسباب التي تقبح تلك
الصفات عنده وتبين ان منشاها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة كما لو راى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر
ويقول انما عملي ببدني وجوارحي وبقدرتي وارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو من خلق الله وفضله
علي فهو الذي خلقني وخلق جوارحي وخلق قدرتي وارادتي وهو الذي حرك اعضائي بقدرته فكيف
اعجب بعملي او بنفسي ولا اقوم لنفسي بنفسي واذا احس في نفسه الكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول
لها لم ترين نفسك اكبر والكبير من هو كبير عند الله وذلك ينكشف بعد الموت وكم من كافر في الحال يموت مقربا الى
الله تعالى بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند الموت بسوء الخاتمة فاذا عرف ان الكبر
مهلك وان اصله الحماقة فيتفكر في علاج ازالته وذلك بان يتعاطى افعال المتواضعين واذا وجد في نفسه شهوة الطعام
وشرهه تفكر في ان هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله تعالى و
صفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه اغلب كان بالبهائم اشبه وعن الملائكة
المقربين ابعد وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد
ان يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما في هذه الكتب واما النوع الرابع وهو المنجيات فهو التوبة والندم على الذنوب
والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات و
محبة الله وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا
اسبابه وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة الى الله تعالى
فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الا العلوم وان العلوم لا يثمرها الا الافكار فاذا اراد

ان يكتسب لنفسه حال التوبة والندم فليفتش ذنوبه اولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه
ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيه وليحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله تعالى به حتى
ينبعث له حال الندم واذا اراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان الله تعالى اليه واياديه عليه
وفي ارساله جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر وليطالع ذلك واذا اراد حال المحبة والشوق
فليتفكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعه كما سنرمز الى
طرف يسير منه في القسم الثاني من الفكر واذا اراد حال الخوف فلينظر اولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم
لينظر في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم في
هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة
في النقير والقطمير ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الامر انه يصرف الى الشمال فيكون من اصحاب النار او
يصرف الى اليمين فينزل دار القرار ثم لينظر بعد اهوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها
واهوالها وسلاسلها واغلالها وزقومها وصديدها وانواع العذاب فيها وقبح صورة الزبانية الموكلين
بها وانه كلما نضجت جلودهم بدلت جلودا غيرها وانهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وانهم اذا راوها
من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا الى جميع ما ورد في القران من شرحها واذا اراد ان يستجلب
حال الرجاء فلينظر الى الجنة ونعيمها واشجارها وانهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها
الدائم فهكذا طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب احوال محبوبة او التنزه عن صفات مذمومة و
قد ذكرنا في كل واحد من هذه الاحوال كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر اما بذكر مجامعه فلا يوجد
فيه انفع من قراءة القران بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفاء للعالمين ففيه ما يورث
الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة
فينبغي ان يقراها العبد ويردد الاية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد اخرى ولو مائة مرة فقراءة اية
بتفكر وفهم خير من ختمة وليتوقف في التامل فيها ولو ليلة واحدة فان تحت كل كلمة منها اسرارا لا ينحصر ولا يوقف
عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة اخبار رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانه قد اوتي جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة لو تاملها العالم حق التامل لم ينقطع فيه نظره
طول عمره وشرح احاد الايات والاخبار يطول فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في
روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان هذه
الكلمات جامعة حكم الاولين والاخرين وهي كافية للمتاملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت
على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحال بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر
في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله او مكروهة والمبتدي ينبغي ان يكون مستغرق
الوقت في هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة والمقامات الشريفة وينزه باطنه وظاهره عن
المكاره وليعلم ان هذا مع انه افضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب
الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله سبحانه واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه اي ينسى نفسه
واحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ
للنظر في احوال نفسه واوصافها بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق فاما ما ذكرناه فهو معرفة
عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فاذا ضيع جميع عمره في اصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان الخواص

يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور وقال فيم انت فقال ادور في البوادي اصحح حالي في التوكل فقال افنيت عمرك في
عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين واما
التنزه عن الصفات المهلكات يجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح واما الاتصاف بالصفات المنجية وسائر الطاعات
يجري مجرى تهيئة المراة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها فان استغرقت جميع
عمرها في تبرئة الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب فهكذا ينبغي ان تفهم طريق الدين ان كنت من اهل
المجالسة وان كنت كالعبد السوء لا يتحرك الا خوفا من الضرب وطمعا في الاجر فدونك واتعاب البدن بالاعمال الظاهرة
فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا ولكن للمجالسة اقوام اخرون واذا عرفت مجال الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد وبين
ربه فينبغي ان تتخذ ذلك ديدنك صباحا ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة من الله تعالى و
المقربة اليه تعالى بل كل مريد فينبغي ان يكون له جريدة يثبت فيها جميع الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات و
جملة المعاصي والطاعات ويتصفح جريدته ويعرض نفسه عليها كل يوم ويكفيه من المهلكات عشرة فانه ان سلم منها سلم من غيرها
وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه و
من المنجيات عشرة الندم على الذنوب والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال
الخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله سبحانه وتعالى و
الخشوع له فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة فمهما كفي من المذمومات واحدة منها فيخط عنها
في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها وتنزيه قلبه منها ويعلم ان ذلك لم يتم الا بتوفيق
الله تعالى وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو اقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا
يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة و
الندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي وهكذا هذا يحتاج اليه المريد المتشمر واما اكثر الناس المعدودين من
الصالحين فينبغي ان يثبتوا في جريدتهم المعاصي الظاهرة كاكل الشبهة واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء
والثناء على النفس والافراط في معاداة الاعداء وموالاة الاولياء والمداهنة مع الخلق في ترك الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر فان اكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في
جوارحه وما لم تطهر الجوارح عن الاثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم
نوع من المعصية فينبغي ان يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاص هم بمعزل عنها مثاله العالم الورع فانه
لا يخلو في غالب الامر عن اظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت اما بالتدريس او بالوعظ ومن فعل
ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون فانه ان كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك
عن الاعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات وان رد كلامه لم يخل عن انفة وغيظ وحقد على
من يرده هو اكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول ان هذا غيظك من حيث انه رد
الحق وانكره فان وجد تفرقة بين ان يرد كلامه او يرد على عالم اخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح
بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد والاعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والايراد حرصا على
استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول انما حرصك على تحسين الالفاظ
والتكلف فيها لنشر الحق وتحسين موقعه في القلوب اعلاء لدين الله تعالى فان كان فرحه بحسن الفاظه و
ثناء الناس عليه اكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من اقرانه فهو مخدوع وانما يدندن حول طلب الجاه وهو
يظن انه مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره حتى يكون للموقر له والمعتقد لفضله

اكثر احتراما ويكون بلقائه اشد استبشارا ممن يميل في موالاة غيره وان كان ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما ينتهي
الامر باهل العلم الى ان يتغايروا تغاير النساء فيشق على احدهم ان يختلف بعض تلامذته الى غيره واذا كان
يعلم انه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل هذا رشح الصفات المهلكات المستكنة في سر القلب التي
قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو اما
مالك او هالك ولا مطمع له في سلامة العوام فمن احس في نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه الانفراد والعزلة
وطلب الخمول والمدافعة للفتاوي حيث يسئل فقد كان المسجد يحوي جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكل من يفتي كان يود ان يكفيه غيره وعند هذا ينبغي ان يتقي شياطين
الانس اذ قالوا لا تفعل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام
مستغن عني فقد كان معمورا قبلي وكذلك يكون بعدي ولو مت لم تنهدم اركان الاسلام فالدين مستغن عني
واما انا فلست مستغنيا عن اصلاح قلبي واما اداء ذلك الى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فان الناس لو
حبسوا او قيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب العلو والرياسة يحملهم على كسر القيود و
هدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس ما دام الشيطان يحبب الى الخلق
الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيمة بل ينتهض لنشره اقوام لا نصيب لهم في الاخرة كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر
فلا ينبغي ان يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى في قلبه حب الجاه والثناء و
التعظيم فان ذلك بذر النفاق وقال صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل
وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الجاه والمال في دين الرجل
المسلم ولا ينقلع حب الجاه من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم
فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منه وهذه وظيفة العالم
المتقي فاما امثالنا فينبغي ان يكون تفكرنا فيما يقوي ايماننا بيوم الحساب اذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعا
ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما اعمالنا اعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيئا هرب منه ومن رجا
شيئا طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشبهات والحرام وترك المعاصي ونحن منهمكون فيها وان طلب
الجنة بتكثير النوافل والطاعات ونحن مقصرون في الفرائض منها فلم يحصل الناس من ثمرة العلم الا انه يقتدي بنا
في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء اولى باجتنابه منا فليتنا كنا
كالعوام اذ متنا ماتت معنا ذنوبنا فما اعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسأل الله تعالى ان يصلحنا ويصلح
بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجاري افكار العلماء والصالحين
في علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفاتهم عن انفسهم وارتقوا منها الى التفكر في جلال الله وعظمته
والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف بجميع
المنجيات وان ظهر فيه شيء قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكدرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف
لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد
اخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة ولا طريق له في كمال التنعم الا باخراج العقارب من ثيابه وهذه ا
المذمومة عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوشات وفي القبر يزيد الم لدغها على لدغ العقارب و
الحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفاته المحبوبة والمكروهة عند ربه تعالى

القسم الثاني التفكر في جلال الله تعالى وعظمته وكبريائه وفيه مقامان المقام الاعلى الفكر
في ذاته وصفاته ومعاني اسمائه وهذا مما منع عنه حيث قيل تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في
ذات الله وذلك لان العقول تتحير فيه ولا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون ثم لا يطيقون
دوام النظر بل سائر الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال الله تعالى كحال بصر الخفاش بالاضافة
الى نور الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يختفي نهارا وانما يتردد ليلا لينظر في بقية نور الشمس اذا
وقع على الارض واحوال الصديقين كحال الانسان في النظر الى الشمس فانه يقدر على النظر اليها
ولكن لا يطيق دوامه ويخشى على بصره لو ادام النظر ونظر المختطف يورث العمش ويفرق البصر
كذلك النظر الى ذات الله تعالى يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل فالصواب اذن ان لا
يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله وصفاته فان العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به
بعض العلماء وهو ان الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس داخل
العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه قد حير عقول اقوام حتى انكروه اذ لم
يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طائفة عن احتمال اقل من هذا اذ قيل لهم انه يتعالى عن ان يكون له راس ورجل ويد وعين
وعضو وان يكون جسما مشخصا له مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا ان ذلك قدح في عظمة الله وجلاله حتى قال
بعض الحمقى من العوام ان هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله لظن المسكين ان الجلالة والعظمة في هذه
الاعضاء وهذا لان الانسان لا يعرف الا نفسه فلا يستعظم الا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه
ثم غايته ان يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سرير وبين يديه غلمان يمتثلون امره فلا جرم غايته ان يقدر ذلك في حق الله تعالى
وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ورجل ولا له طيران لانكر ذلك وقال
كيف يكون خالقي انقص مني افيكون مقصوص الجناح او يكون زمنا لا يقدر على الطيران او يكون لي آلة وقدرة لا يكون
له مثلها وهو خالقي ومصوري وعقول اكثر الخلق قريب من هذا العقل وان الانسان لجهول ظلوم كفار ولذلك اوحى
الله تعالى الى بعض انبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني ولكن اخبرهم عني بما يفهمون ولما كان النظر في
ذات الله وصفاته خطرا من هذا الوجه اقتضى ادب الشرع وصلاح الخلق ان لا يتعرض لمجاري الفكر فيه لكنا نعدل
الى المقام الثاني وهو النظر الى افعاله وعجائب صنعه وبدائع امره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه
وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فينظر من صفاته الى آثار صفاته فانا لا نطيق
النظر الى الصفات كما انا نطيق النظر الى الارض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل به على عظم نور الشمس بالاضافة
الى نور القمر وسائر الكواكب لان نور الارض من آثار نور الشمس والنظر في الاثر يدل على المؤثر دلالة ما وان كان
لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا اثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من انوار ذاته بل لا
ظلمة اشد من العدم ولا نور اظهر من الوجود ووجود الاشياء كلها نور من انوار ذاته تعالى وتقدس اذ قوام وجود
الاشياء بذاته القيوم بنفسه كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها ومهما انكسف بعض الشمس
جرت العادة بان يوضع طست ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر اليه فيكون الماء واسطة يغض قليلا
من نور الشمس حتى يطاق النظر اليه فكذلك الافعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا نبهر بانوار الذات
بعد ان تباعدنا عنها بواسطة الافعال فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا
في ذات الله **بيان كيفية التفكر في خلق الله تعالى** اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله
وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف فيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة

وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد عشر عشر ذلك
ولكنا نشير الى جمل ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا نعرف اصلها فلا يمكننا
التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها الا ان الله تعالى قال سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن
انفسهم ومما لا يعلمون وقال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون والى ما نعرف اصلها وجملتها ولا نعرف تفصيلها
فيمكننا ان نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الى ما ادركناه بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر اما الذي لا ندركه
بالبصر فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغيرها ومجال التفكر فيها مما يضيق ويغمض فلنعدل الى
الاقرب الى الافهام وهي المدركات بحس البصر وذلك هي السموات السبع والارض وما بينهما فالسموات
مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركاتها ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من
جبالها ومعادنها وانهارها وبحارها وحيواناتها ونباتاتها وما بين السماء والارض وهو الجو مدرك
بغيومها وامطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها فهذه هي
الاجناس المشاهدة من السموات والارض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم الى انواع وكل نوع ينقسم الى اقسام
ويتشعب كل قسم الى اصناف ولا نهاية لانشعاب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاته وهيآته ومعانيه الظاهرة
والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والارض من جماد ونبات وحيوان وفلك وكوكب الا
ومحركها هو الله تعالى وفي حركتها حكمة او حكمتان او عشرة او الف حكمة كل ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية ودال على جلاله
وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه وقد ورد القرآن بالحث على التفكر في هذه الآيات كما قال تعالى ان في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب وكما قال ومن آياته من اول القرآن الى آخره فلنذكر
كيفية التفكر في بعض الآيات فمن آياته الانسان المخلوق من النطفة واقرب شيء اليك نفسك وفيك من العجائب الدالة
على عظمة الله تعالى ما تنقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيره وانت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها
كيف تطمع في معرفة غيره وقد امرك الله سبحانه بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال تعالى وفي انفسكم افلا
تبصرون وذكر انك مخلوق من نطفة قذرة فقال تعالى قتل الانسان ما اكفره الى قوله تعالى ثم اذا شاء
انشره وقال تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب الآية وقال تعالى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى
فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقال تعالى الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين وقال تعالى انا خلقنا
الانسان من نطفة امشاج نبتليه وقال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة ثم ذكر كيف جعل النطفة
علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية فتكرير ذكر
النطفة في كتاب الله العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك التفكر في معناه فانظر الآن الى النطفة وهي قطرة من الماء قذرة
لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وانتنت كيف اخرجها رب الارباب من بين الصلب والترائب وكيف
جمع بين الذكر والانثى فالقى الالفة والمحبة في قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف
استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من اعماق العروق وجمعه في الرحم ثم كيف خلق المولود
من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر وكيف جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف
جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاعضاء الظاهرة وركب
الرأس وشق السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤوسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل
ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص
ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء باقسام اخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف

مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة او زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الابصار فلو ذهبنا
نصف ما في آحاد هذه الاعضاء من العجائب والآيات لانقضى فيه الاعمار فانظر الآن الى العظام وهي اجسام
قوية صلبة كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة
واشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان
محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض اعضائه المترددة في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما
كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل
مفاصلها وربط بعضها ببعض باوتار انبتها من احد طرفي العظم والصقه بالطرف الآخر كالرباط
ثم خلق في احد طرفي العظم زوائد خارجة منها وفي الآخر نقرا غائصة فيها موافقة لشكل الزوائد
لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار العبد ان اراد تحريك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه
ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها وركبها وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال
والصور فالف بعضها الى بعض بحيث استوى به كرة الرأس كما تراه فمنها ستة تخص القحف واربعة عشر للحي الاعلى
واثنان للحي الاسفل والبقية هي الاسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي الانياب
والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبا للرأس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريفات
وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على البعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب
الظهر من اسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من اربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلاثة اجزاء مختلفة و
يتصل به من اسفله العصعص وهو ايضا مؤلف من ثلاثة اجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر و
عظام الكتف وعظام اليدين وعظام العانة وعظام العجز وتتبع عظام الفخذين والساقين واصابع
الرجلين فلا نطول بذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان مائتا عظم وثمانية واربعين
عظما سوى العظام الصغيرة التي حشي بها خلل المفاصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة
رقيقة وليس المقصود من ذكر اعداد العظام ان تعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الاطباء والمشرحون
وانما الغرض ان تنظر منها في مدبرها وخالقها انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها وخصصها
بهذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا يحتاج
الى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها واهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلال
خالقها ومصورها فشتان بين النظرين ثم انظر كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن
الانسان خمسمائة عضلة والعضلة هي مركبة من لحم وعصب ورباط واغشية وهي مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف
مواضعها ومقدار حاجاتها فاربعة وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدقة العين واجفانها لو نقصت واحدة من جملتها اختل
امر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وامر الاعصاب والعروق والاوردة والشرايين
عددها ومنابتها وانشعاباتها اعجب من هذا كله وشرحها يطول فللتفكر مجال في آحاد هذه الاجزاء ثم في آحاد الاعضاء
ثم في جملة البدن وكل ذلك نظر الى عجائب اجسام البدن وعجائب المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس اعظم فانظر
الآن الى ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه وصفاته لترى فيه من العجائب والصنعة ما يقضى به العجب وكل ذلك صنع الله في قطرة ماء
فترى من هذا صنعه في قطرة ماء فما صنعه في ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته في اوضاعها واشكالها ومقاديرها
واعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من
ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هي احكم خلقا واتقن صنعا واجمع للعجائب من بدن الانسان بل لا نسبة لجميع ما

فی الارض الی عجائب السموات ولذلک قال تعالی ءانتم اشد خلقا ام السماء فارجع الآن الی النطفة وتأمل
حالها اولا وما صارت الیه ثانیا وتأمل لو اجتمع الانس والجن علی ان یخلقوا للنطفة سمعا او بصرا او عقلا
او قدرة او علما او روحا او یخلقوا فیها عظما او عرقا او عصبا او جلدا او شعرا هل یقدرون علیه بل
لو ارادوا ان یعرفوا کنه حقیقته وکیفیة خلقته بعد ان خلق الله ذلک لعجزوا عنه فالعجب منک لو نظرت
الی صورة انسان مصورة علی حائط قد تأنق النقاش فی تصویرها حتی قرب من صورة الانسان
وقال الناظر الیها کانها انسان لعجبت من صنعة النقاش وحذقه وخفة یده وتمام فطنته وعظم فی قلبک
محله مع انک تعلم ان تلک الصورة انما تمت بالصبغ والقلم والحائط وبالید وبالقدرة وبالعلم وبالارادة وشیء
من ذلک لیس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غیره وانما منتهی فعله الجمع بین الصبغ والحائط
علی ترتیب مخصوص فیکثر تعجبک منه وتستعظمه وانت تری النطفة القذرة کانت معدومة فخلقها خالقها
فی الاصلاب والترائب ثم اخرجها منها وشکلها فاحسن تشکیلها وقدرها فاحسن تقدیرها وصورها
فاحسن تصویرها وقسم اجزاءها المتشابهة الی اجزاء مختلفة فاحکم العظام فی ارجائها وحسن اشکال اعضائها
وزین ظاهرها وباطنها ورتب عروقها واعصابها وجعلها مجری لغذائها لیکون ذلک سبب بقائها وجعلها
سمیعا بصیرا عالما ناطقا وخلق لها الظهر اساسا لبدنها والبطن حاویا لآلات غذائها والرأس جامعا
لحواسها ففتح العینین ورتب طبقاتها واحسن شکلها ولونها وهیأتها ثم حماها بالاجفان
لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذاء عنها ثم اظهر فی مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع
اکنافها وتباعد اقطارها فهو ینظر الیها ثم شق اذنیه واودعهما ماء مرا لیحفظ سمعها ویدفع الهوام عنها وحوطها
بصدفة الاذن لتجمع الصوت فتردها الی صماخها ولتحس بدبیب الهوام الیها وجعل فیها تحریفات واعوجاجات لتکثر
حرکة ما یدب فیها ویطول طریقه فیتنبه من النوم صاحبها اذا قصدتها دابة فی حال النوم ثم رفع الانف من وسط الوجه
واحسن شکله وفتح منخریه واودع فیه حاسة الشم لیستدل باستنشاق الروائح علی مطاعمه واغذیته ولیستنشق
بمنفذ المنخرین روح الهواء غذاء لقلبه وترویحا لحرارة باطنه وفتح الفم واودعه اللسان ناطقا وترجمانا و
معربا عما فی القلب وزین الفم بالاسنان لتکون آلة الطحن والکسر والقطع فاحکم اصولها وحدد رؤوسها وبیض
لونها ورتب صفوفها متساویة الرؤوس متناسقة الترتیب کانها الدر المنظوم وخلق الشفتین وحسن لونهما
وشکلهما لتنطبق علی الفم فتسد منفذه ولیتم بهما حروف الکلام ثم خلق الحنجرة وهیأها لخروج الاصوات و
خلق اللسان قدرة للحرکات والتقطیعات لتقطع الصوت فی مخارج مختلفة تختلف بها الحروف
لیتسع طریق النطق بکثرتها وخلق الحناجر مختلفة الاشکال فی الضیق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة
الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتی اختلفت بسببها الاصوات فلا یتشابه صوتان بل یظهر بین کل صوتین
فرقان حتی یمیز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت فی الظلمة ثم زین الرأس بالشعور والاصداغ وزین
الوجه باللحیة والحاجبین وزین الحاجب برقة الشعر واستقواس الشکل وزین العینین بالاهداب ثم خلق
الاعضاء الباطنة وسخر کل واحد لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذاء والکبد لاحالة الغذاء الی الدم والطحال
والمرارة والکلیة لخدمة الکبد والطحال لخدمته بجذب السوداء عنه والمرارة لخدمته بجذب الصفراء عنه والکلیة لخدمته
بجذب المائیة عنه والمثانة تخدم الکلیة بقبول الماء عنه ثم تخرجه فی طریق الاحلیل والعروق تخدم الکبد فی ایصال الدم
الی سائر اطراف البدن ثم خلق الیدین وطولهما لتمتدا الی المقاصد وعرض الکف وقسم الاصابع الخمس وقسم کل اصبع
بثلاث انامل ووضع الاربعة فی جانب والابهام فی جانب لیدور الابهام علی الجمیع ولو اجتمع الاولون والآخرون

علی ان یستنبطوا بدقیق الفکر وجها آخر فی وضع الاصابع سوی ما وضعت علیه من بعد الابهام عن الاربعة وتفاوت
الاربعة فی الطول وترتیبها فی صف واحد لم یقدروا علیه اذ بهذا الترتیب صلحت للقبض والاعطاء فان بسطها کان له طبقا
یضع علیها ما یرید وان جمعها کانت له آلة للضرب وان ضمها ضما غیر تام کانت مغرفة له وان بسطها وضم اصابعها کانت
مجرفة له ثم خلق الاظفار علی رؤوسها زینة للانامل وعمادا لها من ورائها حتی لا تنقطع ولیلتقط بها الاشیاء
الدقیقة التی لا تتناولها الانامل ولیحک بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذی هو اخس الاعضاء لو عدمه الانسان و
ظهرت به حکة لکان اعجز الخلق واضعفهم ولم یقم احد مقامه فی حک بدنه ثم هدی الید الی موضع الحک حتی تمتد الیه ولو
فی النوم والغفلة من غیر حاجة الی طلب ولو استعان بغیره لم یعثر علی موضع الحک الا بعد تعب طویل ثم خلق هذا کله
فی النطفة وهی فی جوف الرحم فی ظلمات ثلاث ولو کشف الغطاء والغشاء وامتد البصر الیه لکان یری التخطیط و
التصویر یظهر علیها شیئا فشیئا ولا یری المصور ولا آلته فهل رأیت مصورا فاعلا لا یمس الیه ولا یلاقیه وهو یتصرف فیه
فسبحانه ما اعظم شأنه واظهر برهانه ثم انظر مع کمال قدرته الی تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عن الصبی لما کبر کیف
هداه السبیل حتی تنکس وتحرک وخرج من ذلک المضیق وطلب المنفذ حتی کانه عاقل بصیر بما یحتاج الیه ثم لما خرج واحتاج
الی الغذاء کیف هداه الی التقام الثدی ثم لما کان بدنه سخیفا لا یحتمل الاغذیة الکثیفة دبر له فی خلق اللبن اللطیف
واستخرجه من بین فرث ودم خالصا سائغا وکیف خلق الثدیین وجمع فیهما اللبن وانبت منهما الحلمتین علی قدر ما ینطبق
علیه فم الصبی ثم فتح فی حلمة الثدی ثقبا ضیقا جدا حتی لا یخرج اللبن الا بعد المص تدریجا فان الطفل لا یطیق منه الا القلیل
ثم کیف هداه الی الامتصاص حتی یستخرج من ذلک المضیق اللبن الکثیر عند شدة الجوع به ثم انظر الی عطفه ورأفته کیف اخر
خلق الاسنان الی تمام الحولین لانه فی الحولین لا یتغذی الا باللبن فیستغنی عن السن فاذا کبر لم یوافقه اللبن
السخیف ویحتاج الی طعام کثیف غلیظ ویحتاج الطعام الی المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند الحاجة لا قبلها
ولا بعدها فسبحانه کیف اخرج تلک العظام الصلبة من تلک اللثات اللینة ثم حنن قلوب الوالدین علیه للقیام بتدبیره
فی الوقت الذی کان عاجزا عن تدبیر نفسه ثم انظر کیف رزقه القدرة والتمییز والعقل والهدایة تدریجا حتی
بلغ وتکامل فصار مراهقا ثم شابا ثم کهلا ثم شیخا اما شکورا او کفورا مطیعا او عاصیا مؤمنا او کافرا تصدیقا
لقوله تعالی هل اتی علی الانسان حین من الدهر لم یکن شیئا مذکورا الآیات الی قوله تعالی اما شاکرا واما کفورا فانظر
الی اللطف والکرم ثم الی القدرة والحکمة تبهرک عجائب الحضرة الربوبیة فالعجب کل العجب لمن یری خطا حسنا
او نقشا علی حائط فیستحسنه فیصرف جمیع همه الی التفکر فی النقاش والخطاط وانه کیف نقشه وخطه و
کیف اقتدر علیه ولا یزال یستعظمه ویقول ما احذقه وما اکمل صنعته واحسن قدرته ثم ینظر الی هذه العجائب
فی نفسه وفی غیره ثم یغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا یحیره جلاله وحکمته فهذه نبذة
من عجائب بدنک التی لا یمکن استقصاؤها وهو اقرب مجال الفکر واجلی شاهد علی عظمة خالقک وانت غافل
عنها مشغول ببطنک وفرجک لا تعرف من نفسک الا ان تجوع فتأکل وتشبع فتنام وتشتهی فتجامع وتغضب
فتقاتل وتشارکک فی معرفة ذلک البهائم والسباع کلهم وانما خاصیة الانسان التی حجبت عنها البهائم معرفة الله
تعالی بالنظر فی ملکوت السموات والارض وعجائب الآفاق والانفس اذ بها یدخل العبد فی زمرة الملائکة المقربین
ویحشر فی زمرة النبیین والصدیقین مقربا من حضرة رب العالمین ولیس هذه الرتبة للبهائم ولا لانسان
رضی من الدنیا بشهوات البهائم فانه شر من البهیمة بکثیر اذ لا قدرة للبهیمة علی ذلک واما هو فقد خلق
له القدرة ثم عطلها وکفر نعمة الله فیها اولئک کالانعام بل هم اضل سبیلا واذا عرفت طریق الفکر فی نفسک
فتفکر فی الارض التی هی مقرک ثم فی انهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها الی ملکوت السموات

اما الارض فمن آياته ان خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا وجعلها ذلولا ليمشوا في مناكبها و
حصلها وقرارا لا تتحرك وارسى فيها الجبال اوتادا لمنعها من ان تميد ثم وسع اكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ
جميع جوانبها وان طالت اعمارهم وكثر تطوافهم قال تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها
فنعم الماهدون وقال تعالى وهو الذي جعل لكم الارض فراشا واكثر في كتابه العزيز ذكر الارض ليتفكروا في
عجائبها فظهرها مقر الاحياء وبطنها وطن الاموات ولذلك قال الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا و
انظر الى الارض وهي ميتة فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت فانبتت عجائب النبات
وخرجت منها اصناف الحيوانات ثم انظر كيف احكم جوانب الارض بالجبال الراسيات والشوامخ الصم الصلاب
وكيف اودع المياه تحتها ففجر العيون واسال الانهار تجري على وجهها وانما اخرج من الحجارة اليابسة و
من التراب الكدرة ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شيء حيا فاخرج به فنون الاشجار والنبات
من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الالوان والاشكال و
الطعوم والصفات والارائح يفضل بعضها على بعض في الاكل تسقى جميعها بماء واحد وتخرج من ارض
واحدة وان قلت ان اختلافها لاختلاف بذورها واصولها فمتى كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد
الرطب ومتى كانت في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم انظر الى اراضي البوادي وفتش
ظاهرها وباطنها فلا ترى فيها شيئا بل تراها ترابا متشابها فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت وانبتت
من كل زوج بهيج الوانا مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر
فانظر الى كثرتها واختلاف اصنافها وكثرة اشكالها ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعها وكيف اودع
العقاقير المنافع الغريبة فهذا النبات يغذي وهذا يقوي وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا
يسخن وهذا اذا حصل في المعدة قمع الصفراء من اعماق العروق وهذا يستحيل الى الصفراء وهذا يقمع البلغم و
السوداء وهذا يستحيل اليه وهذا يستحيل دما وهذا يصفي الدم وهذا ينوم وهذا يفرح وهذا يقوي وهذا
يضعف فلم تنبت من الارض ورقة ولا ثمرة الا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد يحتاج الفلاح
في تربيتها الى عمل مخصوص فالنخل تؤبر والكرم يقطع والزرع ينقى منه الحشيش وبعضها يستنبت ببث البذر
في الارض وبعضها بغرس الاغصان وبعضها يركب في الشجر ولو اردنا ان نذكر اختلاف النبات ومنافعها وخواصها
وعجائبها لانقضت الايام في وصفها فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر في عجائب النبات
ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض ففي الارض قطع متجاورات مختلفة فانظر
الى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها بعضها منطبعة تحت
المطارق كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل وكيف هدى الله الناس
الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني والآلات والنقود والحلي منها ثم انظر الى معادن الارض من النفط والكبريت
والقير وغيرها واقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر الى
رحمة الله كيف خلق بعض الاراضي سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحا مالحا لا يمكن
تناول مثقال منه ليكون ذلك تطييبا لطعامك اذا اكلته فيتهنأ عيشك وما من جماد وحيوان ونبات الا وفيه
حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شيء منها عبثا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق وكما ينبغي وعلى ما ينبغي وكما يليق بجلاله
وكرمه ولطفه ولذلك قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق **ومن آياته
اصناف الحيوانات** وانقسامها الى ما يطير والى ما يسير وانقسام ما يسير الى ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على اربع وعلى

عشر وعلى مائة كما تشاهد في بعض الديدان ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع
فانظر الى طيور الجو والى وحوش البر والى البهائم الاهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معها في عظمة خالقها
وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن ان نستقصي ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجائب البقة او النملة
او النحل او العنكبوت وهي من صغار الحيوان في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي الفها لزوجها وفي ادخارها
لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجاتها لم نقدر فترى العنكبوت يبني بيتها على طرف
نهر فيطلب اولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه ان يصل بالخيط الى طرفيه ثم تبتدئ
فتلقي اللعاب الذي هو خيطها على جانب له فيلتصق به ثم تعدو الى الجانب الآخر فتحكم الطرف الآخر من الخيط
ثم تحكم كذلك ثانيا وثالثا وتجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا احكمت معاقد
القمط ورتبت الخيوط كالسدى اشتغلت باللحمة فتضع اللحمة على السدى وتحكم العقد على موضع التقاء السدى
باللحمة وترعى في جميع ذلك تناسب الهندسة وتجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب وتقعد في زاوية مترصدة لوقوع
الصيد في الشبكة فاذا وقع بادرت الى اخذه واكله فان عجزت عن الصيد كذلك طلبت لنفسها زاوية من حائط ووصلت
طرفي الزاوية بخيط ثم علقت نفسها بخيط آخر وبقيت منكسة في الهوى تنتظر ذبابا يطير فاذا طار ذباب رمت نفسها اليه
فاخذته ولفت خيطها على رجله واحكمته ثم اكلته وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من هذه العجائب ما لا يحصى افترى انها
تعلمت هذه الصنعة من نفسها او تكونت بنفسها او كونها آدمي او علمها فلا هادي لها ولا معلم افيشك ذو بصيرة في انها
مسكينة عاجزة ضعيفة بل الفيل العظيم شخصه الظاهر قوته عاجز عن امر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف
افلا تشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم و
البصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الالباب
والعقول فضلا عن سائر الحيوانات وهذا الباب ايضا لا حصر له فان الحيوانات واشكالها واخلاقها
وطباعها غير محصورة وانما سقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهدة نعم اذا رأى حيوانا غريبا
ولو دودا تجدد تعجبه وقال سبحان الله ما اعجبه والانسان اعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو
نظر الى الانعام التي الفها ونظر الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوائدها من جلودها واصوافها
واوبارها واشعارها التي جعلها الله لباسا للخلق واكنانا لهم في ظعنهم واقامتهم وآنية لاشربتهم واوعية
لاغذيتهم وصوانا لاقدامهم وجعل البانها ولحومها اغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة
للاثقال قاطعة للبوادي والمفازات لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها
الا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه فسبحان من الامور مكشوفة في علمه من غير تفكر ومن غير تأمل
وتدبر ومن غير استعانة بوزير او مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج باقل القليل مما خلقه
صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق الا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته و
الاقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته فمن الذي يحصي ثناء عليه هو كما اثنى على نفسه وانما غاية معرفتنا الاعتراف بالقصور
والعجز عن معرفته فنسأل الله ان يكرمنا بهدايته بمنه ورأفته **ومن آياته البحار** العميقة المكتنفة لاقطار الارض
التي هي قطع من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف في البوادي والجبال عن الماء بالاضافة
الى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الارض في البحر كالاصطبل في الارض فانسب اصطبلا الى جميع
الارض واعلم ان الارض بالاضافة الى البحر مثله وقد شاهدت عجائب الارض والتي فيها فتأمل عجائب البحر
فان عجائب ما فيها من الحيوان والجواهر اضعاف عجائب ما تشاهده على ظهر الارض كما ان سعته اضعاف سعة

ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما يرى ظهورها في الارض فيظن انها جزيرة فينزل الركاب عليها فربما يحسون
بالنيران اذا اشتعلت فيتحرك فيعلم انه حيوان وما من صنف من اصناف حيوان البر من فرس وبقر وطير
وادمي الا وفي البحر امثالها واضعافها وفيها اجناس لا يعهد لها نظير في البر وقد ظهر ذكرها واوصافها في مجلدات
جمعها اقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجائبه ثم انظر كيف خلق اللؤلؤ ودوره في صدفه تحت الماء وانظر كيف
انبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وانما هو نبات على هيئة شجرة ينبت من الحجر وتامل ما عداه من العنبر واصناف
النفائس التي يقذفها البحر وتستخرج منه ثم انظر الى عجائب السفن كيف امسكها الله تعالى على وجه الماء وسير
فيها التجار وطلاب الاموال وسخر لهم الفلك لتحمل اثقالهم ثم ارسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف الملاحين موارد
الرياح ومهابها ومواقيتها ولا تستقصي على الجملة عجائب صنع الله في البحر في مجلدات واعجب من ذلك كله ما هو
اظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق سيال مشف متصل الاجزاء كانه شيء واحد لطيف
التركيب سريع القبول للتقطيع كانه منفصل مسخر للتصرف قابل للاتصال والانفصال به حياة كل ما على وجه الارض
من حيوان ونبات فلو احتاج العبد الى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزائن الدنيا في تحصيلها لو ملكها واذا شربها
ثم منع من اخراجها لبذل جميع خزائن الارض في اخراجها فالعجب من الادمي كيف يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر
ويغفل عن نعمة الله في شربة ماء اذا احتاج الى شربها او الاستفراغ منها بذل جميع الدنيا فيها فتامل في عجائب
المياه والانهار والابار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال وكل ذلك شواهد متظاهرة وايات متناصرة
ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بارئها معربة عن كمال حكمته وفيها منادية ارباب القلوب بنغماتها قائلة
اما تراني وما ترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوائدي افتظن اني تكونت
بنفسي او خلقني احد من جنسي او ما تستحيي تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة احرف فتقطع بان صنعها ادمي عالم قادر مريد
متكلم ثم تنظر الى عجائب الخطوط الالهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الالهي الذي لا تدرك الابصار ذاته
ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه وتقول النطفة لارباب السمع والعقل لا الذين
هم عن السمع لمعزولون توهمني في ظلمة الاحشاء مغموسا في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي
فينقش النقاش حدقتي واجفاني وجبهتي وخدي وشفتي فترى النقوش تظهر شيئا فشيئا على التدريج و
لا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجها ولا خبر منها للام ولا للاب ولا للنطفة
ولا للرحم افما هذا النقاش باعجب ممن تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت اليها مرة او مرتين لتعلمته فهل تقدر
على ان تتعلم هذا الجنس من النقش الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع اجزائها من غير ملامسة النطفة
ومن غير اتصال بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت لا تتعجب من هذه العجائب ولا تفهم بها ان الذي
صور ونقش وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش ومصور كما ان نقشه وصنعه لا يساويه نقش وصنع
فبين الفاعلين من المباينة والتباعد ما بين الفعلين فان كنت لا تتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك
فانه اعجب من كل عجب فان الذي اعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك من التبين مع هذا البيان جدير بان تتعجب
منه فسبحان من هدى واضل واغوى وارشد واشقى واسعد وفتح بصائر احبائه فشاهدوه في جميع
ذرات العالم واجزائه واعمى قلوب اعدائه واحتجب عنهم بعزه وجلاله فله الخلق والامر والامتنان والفضل
واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ومن اياته الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب
الارض لا يدرك بحس اللمس عند هبوب الريح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد
الطيور محلقة في جو الهواء ومستقرة مستقلة فيه باجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه و

موجه وهبوب الرياح كما تضطرب امواج البحر فاذا حرك الله الهواء وجعله ريحا هابة فان شاء جعله نشرا بين
يدي رحمته كما قال تعالى وارسلنا الرياح لواقح فيصل بحركته روح الهواء الى الحيوانات والنبات فيستعد
للنماء وان شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس
مستمر الى قوله تعالى منقعر ثم انظر الى لطف الهواء ثم شدته وقوته مهما ضغط في الماء فالزق المنفوخ يتحامل
عليه الرجل القوي ليغمسه في الماء فيعجز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه فانظر كيف ينقبض
الهواء من الماء بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة امسك الله تعالى السفن على وجه الارض وكذلك كل مجوف فيه هواء
لا يغوص في الماء لان الهواء ينقبض عن الغوص في الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة فتبقى
مع ثقلها وصلابتها معلقة في الهواء اللطيف فتبقى السفينة كالذي يقع في بئر فيتعلق بذيل
رجل قوي ممتنع عن الهوي في البئر فالسفينة بمقعرها تتشبث باذيال الهواء القوي حتى تمتنع من
الهوي والغوص في الماء فسبحان من علق المركب الثقيل في الهواء اللطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة
تشد ثم انظر الى عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج والصواعق
والشهب فهي عجائب ما بين السماء والارض وقد اشار القران الى جملته في قوله تعالى وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين وهذا هو الذي بينهما واشار الى تفصيله في مواضع شتى حيث
قال تعالى والسحاب المسخر بين السماء والارض وحيث تعرض للرعد والبرق والسحاب والمطر فاذا لم
يكن لك حظ من هذه الجملة الا ان ترى المطر بعينك وتسمع الرعد باذنك فالبهيمة تشاركك في هذه
المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهائم الى عالم الملا الاعلى فقد فتحت عينيك فادركت ظاهرها فغمض عينيك
الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجائب باطنها وغرائب اسرارها وهذا ايضا باب يطول الفكر فيه
ولا مطمع في استقصائه فتامل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع من جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله
تعالى اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك في جو السماء الى ان ياذن الله في ارسال
الماء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذي اراده الله تعالى وعلى الشكل الذي شاء فترى السحاب يرش
الماء على الارض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا يتصل واحدة باخرى بل تنزل
كل واحدة في الطريق التي رسم لها لا تعدل عنها فلا يتقدم المتاخر ولا يتاخر المتقدم حتى تصيب الارض
قطرة قطرة فلو اجتمع الاولون والاخرون على ان يخلقوا منها قطرة او يعرفوا عدد ما ينزل منها في بلدة واحدة
او قرية لعجز حساب الانس والجن عنه فلا يعلم عددها الا الذي اوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء
من الارض ولكل حيوان فيها من طير ووحش ودود مكتوب على تلك القطرة بخط الهي لا يدرك بالبصر الظاهر
انه رزق الدودة الفلانية التي هي في ناحية الجبل الفلاني يصل اليها عند عطشها في الوقت الفلاني هذا مع
ما في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجائب التي لا تحصى كل
ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لاحد من الخلق فيه شرك ومدخل بل ليس للمؤمنين من
خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا للعميان الجاحدين الا الجهل بكيفيته ورجم الظن بذكر
سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور الماء ينزل لانه ثقيل بطبعه وانما هذا سبب نزوله ويظن ان هذه معرفة
انكشفت له ويفرح ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذي خلقه وما الذي خلق الماء الذي طبعه الثقل وما الذي
رقى الماء المصبوب في اسفل الاشجار الى اعالي الاغصان وهي ثقيلة بطبعها فكيف هوت الى اسفل ثم
ارتفعت الى فوق في داخل تجاويف الاشجار شيئا فشيئا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع اطراف

الاوراق فيتعدى كل جزء من كل ورق ويجري الماء في تجاويف عروق شعرية صغار يرى منها العرق الذي
هو اصل الورق ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود في طول الورق عروق صغار فكان الكبير نهر
وما انشعب عنها جداول ثم ينشعب من الجداول سواق اصغر منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة
تخرج عن ادراك البصر حتى تنبسط في جميع عرض الورق فيصل الماء في اجوافها الى سائر اجزاء الورق
ليغذيه وينميه ويزينه ويبقي طراوته ونضارته وكذلك الى سائر اجزاء الفواكه وان كان الماء يتحرك
بطبعه الى اسفل فكيف يتحرك الى فوق فان كان يجذبه جاذب فما الذي سخر ذلك الجاذب فان كان ينتهي
بالاخرة الى خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه في اول الامر فنهاية الجاهل
بداية العاقل ومن آياته ملكوت السموات وما فيها من الكواكب وهو الامر كله ومن ادرك الكل وفاته
عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا فالارض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالاضافة
الى السموات كقطرة في بحر واصغر وانظر كيف عظم الله امر السماء والنجوم في كتابه وما من
سورة الا وتشتمل على تفخيمها في مواضع فكم من قسم في القرآن بها كقوله تعالى والسماء ذات
البروج والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب وقوله تعالى والشمس و
ضحاها والنجم اذا هوى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فقد علمت ان عجائب النطفة
القذرة التي عجز عنها الاولون والاخرون وما اقسم الله بها فكيف ظنك بما اقسم الله به و
احال الارزاق عليه فقال تعالى وفي السماء رزقكم واثنى على المتفكرين فيه فقال تعالى و
يتفكرون في خلق السموات والارض وقال صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية
ثم مسح بها سبلته اي تجاوزها من غير فكر وذم المعرضين عنه فقال تعالى وجعلنا السماء سقفا
محفوظا وهم عن آياتها معرضون فاي نسبة لجميع البحار والارض الى السماء وهذه متغيرات على القرب
وقال تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا وقال تعالى أانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها
فسويها فانظر الى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت ولا تظنن ان معنى النظر الى الملكوت بان تمد
البصر اليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فان البهائم تشاركك في هذا
النظر فان كان هذا المراد فلم مدح الله تعالى ابرهيم بقوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت
السموات والارض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب
عن الابصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملكوت و
لا يحيط احد بشيء من علمه الا بما شاء وهو عالم الغيب ولا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من
رسول فاجل ايها الناظر فكرك في الملكوت فعسى تفتح لك ابواب السماء فتجول بقلبك في اقطارها الى
ان يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى لك ان تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضي
الله عنه حيث قال رأى قلبي ربي وهذا لان بلوغ الاقصى لا يكون الا بعد مجاوزة الادنى وادنى شيء
اليك نفسك ثم الارض التي هي مقرك ثم الهواء المكتنف لك ثم النبات والحيوان وما على وجه الارض ثم عجائب
الجو وهو ما بين السماء والارض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم الملائكة الذين هم حملة
العرش وخزان السموات ثم تجاوز منه الى النظر الى رب العرش والكرسي ورب السموات وما بينهما فبينك
وبينه هذه المفاوز العظيمة والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة وانت بعد لم تفرغ من العقبة
القريبة النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعي معرفة ربك وتقول

قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا اتفكر والى ماذا اتطلع فارفع الآن رأسك الى السماء وانظر فيها و
في كواكبها وفي دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤوبها في
الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعا في منازل مرتبة بحساب مقدر
لا يزيد ولا ينقص الى ان يطويها الله سبحانه وتعالى طي السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها
واختلاف الوانها فبعضها يميل الى الحمرة وبعضها الى البياض وبعضها الى اللون الرصاصي ثم انظر
كيفية اشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والاسد والانسان وما من صورة
في الارض الا ولها مثال في السماء ثم انظر الى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع كل
يوم وتغرب بسير آخر سخره لها خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف
المواقيت واطبق الظلام على الدوام او الضياء على الدوام وكان لا يتميز وقت المعاش عن
وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر الى ايلاجه
الليل في النهار والنهار في الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص
وانظر الى امالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع
والخريف فاذا انخفض من وسط السماء اشتد القيظ واذا كان فيما بينهما اعتدل الزمان
وعجائب السموات لا مطمع في احصاء عشر عشير جزء من اجزائها وانما هذا تنبيه على طريق الفكر
واعتقد على الجملة انه ما من كوكب من الكواكب الا ولله سبحانه وتعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره
ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب
التي بجنبه وبعده وقس ذلك بما ذكرناه من اعضاء بدنك اذ ما من جزء الا وفيه حكمة بل
حكم كثيرة وامر السماء اعظم بل لا نسبة لعالم الارض الى عالم السماء لا في كبر جسمه ولا في كثرة
معانيه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في كبر الارض فانت تعرف
من كبر الارض واتساع اطرافها انه لا يقدر آدمي على ان يدركها ويجول في جوانبها وقد اتفق الناظرون على
ان الشمس مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة وفي الاخبار ما يدل على عظمها والكواكب
التي تراها اصغرها مثل الارض ثماني مرات وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها اذ للبعد صارت ترى
صغيرا ولذلك اشار تعالى الى بعدها فقال تعالى رفع سمكها فسويها وفي الاخبار ان بين كل سماء
الى الاخرى مسيرة خمسمائة عام فاذا كان هذا مقدار كوكب واحد منها الارض فانظر الى السماء التي
الكواكب مركوزة فيها والى عظمها ثم انظر الى سرعة حركتها وانت لا تحس بحركتها فضلا من ان تدرك
سرعتها لكن لا تشك في انه في لحظة يسير مقدار عرض كوكب لان الزمان من طلوع اول جزء من كوكب الى
تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الارض مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل
الارض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وانت غافل عنه وانظر كيف عبر جبرئيل على نبينا وعليه
الصلوة والسلام عن سرعة حركته اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم
فقال كيف تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا الى ان قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر
الى عظم شخصها ثم انظر الى خفة حركتها ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم كيف اثبت صورتها مع اتساع
اكنافها في حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها فهذه
السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها بل انظر الى باريها كيف خلقها ثم امسكها من غير عمد ترونها

من غير علاقة تشدها وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك انك تدخل بيت غنى فتراه مزوقا بالصبغ مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وانت ابدا تنظر الى هذا البيت العظيم والى ارضه والى سقفه والى هوائه والى عجائب امتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه ولا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك اليه فما هذا البيت دون البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو ايضا جزء من الارض التي هي اخس اجزاء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر اليه ليس له سبب الا انه بيت ربك هو انفرد ببنائه وترتيبه وانت نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم الا شهوتك او حشمتك وغاية شهوتك ان تملا بطنك ولا تقدر ان تاكل عشر ما ياكله بهيمة فيكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك ان يقبل عليك عشرة او مائة من معارفك فينافقون بالسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك وان صدقوك في مودتهم اياك فلا يملكون لك ولا لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا وقد يكون في بلدك من اغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر في جمال ملكوت السموات والارض ثم غفلت عن التنعم بالنظر الى جلال مالك الملكوت والملك وما مثلك ومثل عقلك الا كمثل النملة تخرج من جحرها الذي حفرته في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الاركان مزين بالجواري والغلمان وانواع الذخائر والنفائس فانها اذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق الا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخارها فاما حال القصر والملك الذي في القصر فهو بمعزل عنه وعن الفكر فيه بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر الى نفسها وغذائها وبيتها وكما غفلت النملة عن القصر وارضها وسقفها وحيطانها وسائر بنيانها وغفلت ايضا عن سكانها فانت غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته فلا تعرف من السماء الا ما تعرفه النملة منك ومن سطح بيتك نعم ليس للنملة طريق الى ان تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه واما انت فلك قدرة على ان تجول في الملكوت وتعرف من عجائبها ما الخلق غافلون عنها ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فانه مجال لا اخر له ولو استقصينا اعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله علينا بمعرفته وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالاضافة الى ما عرفه جملة العلماء والاولياء وما عرفوه قليل بالاضافة الى ما عرفه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما عرفه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قليل بالاضافة الى ما عرفه الملائكة المقربون كاسرافيل وجبرائيل وغيرهما ثم جميع علوم الملائكة والجن والانس اذا اضيف الى علم الله سبحانه لم يستحق ان يسمى علما بل هو الى ان يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا اقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فهذا بيان معاقد الجمل التي يجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله تعالى وليس فيها فكر في ذات الله ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله كانت معرفتك بجلاله وعظمته اتم كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة غريبة من تصنيفه او شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسبه له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى ان كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من ابيات شعره يزيده محلا في قلبك ويستدعي التعظيم له من نفسك فهكذا تامل في خلق الله وتصنيفه وتاليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى ابدا وانما لكل عبد منه بقدر ما رزق فليقتصر على ما ذكرناه ولنضف الى هذا ما فصلناه في كتاب الشكر فانا نظرنا في ذلك الكتاب في فعل الله من حيث هو احسان الينا وانعام علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل الله فقط وكل ما نظرنا فيه فان الطبيعي ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلالته وشقاوته والموفق ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السماء والارض الا والله تعالى يضل بها من يشاء ويهدي بها من يشاء فمن نظر في هذه الامور من حيث انها فعل الله وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله وعظمته واهتدى ومن نظر فيها قاصرا النظر عليها من حيث يؤثر بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب فقد شقي وارتد فنعوذ بالله من الضلال ونسأله ان يجنبنا مزلة اقدام الجهال بمنه وفضله وكرمه انه مجيب الدعوات

تم

وقد تم كتاب التفكر بعون الله وحسن توفيقه ويتلوه كتاب ذكر الموت وما بعده وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات من احياء علوم الدين

٥

كتاب ذكر الموت وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الاكاسرة وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فارداهم في الحافرة فنقلوا من القصور الى القبور ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان الى مقاساة الهوام والديدان ومن التنعم بالطعام والشراب الى التمرغ في التراب ومن انس العشيرة الى وحشة الوحدة ومن المضجع الوثير الى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصنا وعزا واتخذوا من دونه حجابا وحرزا وانظر هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء واستأثر باستحقاق البقاء واذل اصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ثم جعل الموت مخلصا للاتقياء وموعدا في حقهم للقاء وجعل القبر سجنا للاشقياء وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء فله الانعام بالنعم المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة وله الشكر في السموات والارض وله الحمد في الاولى والآخرة والصلوة والسلام على محمد ذي المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله واصحابه صلوة وسلاما كثيرا **اما بعد** فجدير بمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود انيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الارض مستقره والقيامة موعده والجنة او النار مورده ان لا يكون له فكر الا في الموت ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله ولا تدبير الا فيه ولا تطلع الا اليه ولا تعريج الا عليه ولا اهتمام الا به ولا حوم الا حوله ولا انتظار وتربص الا له وحقيق بان يعد نفسه من الموتى ويراها في اصحاب القبور فان كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشيء الا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه ونحن نذكر من امر الموت ومقدماته ولواحقه واحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب لما بعد الموت الرحيل فما بقي من العمر الا القليل والخلق عنه غافلون اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين الشطر الاول في مقدمات الموت وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ابواب **الباب الاول** في فضل ذكر الموت والترغيب فيه **الباب الثاني** في طول الامل وقصره **الباب الثالث** في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت **الباب الرابع** في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين **الباب الخامس** في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين **الباب السادس** في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور **الباب السابع** في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور **الباب الثامن** فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام

الباب الاول في ذكر الموت

والترغيب فيه اعلم ان المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره وان ذكر به كرهه ونفر منه اولئك هم الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ثم الناس اما منهمك واما تائب مبتدئ او عارف منتهي اما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا واما التائب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقاء وعلامة هذا ان يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك في الدنيا واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الامر يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روي عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الي من الغنى والسقم احب الي من الصحة والموت احب الي من الحيوة فسهل علي الموت حتى القاك فاذا التائب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنيه واعلى منهما رتبة من فوض امره الى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حيوة بل يكون احب الاشياء اليه احبها الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك في الدنيا ايضا يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا اذ ينغص عليه نعيمه ويتكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من اسباب النجاة

بيان فضيلة ذكر الموت كيف ما كان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر هادم اللذات معناه نغصوا به اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو ان البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء احد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها ان ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن ذكر الموت تدعو الى الانهماك في الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له والاطلاق تحفة في حقه وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم واراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذي سلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه اخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي الا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر واقامته الفرائض وقال عطاء الخراساني مر النبي صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا وقال كفى بالموت واعظا وخرج صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال صلى الله عليه وسلم اذكروا الموت اما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فاحسنوا الثناء عليه فقال صلى الله عليه وسلم كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر رضي الله عنه اتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله فقال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة **واما الآثار** قال الحسن رضي الله عنه فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال الربيع بن خثيم ما غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت وكان يقول اذا انا مت لا تشعروا بي احدا وسلوني الى ربي سلا وكتب بعض الحكماء الى رجل من اخوانه يا اخي احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كان بين ايديهم جنازة وقال ابراهيم التيمي شيئان قطعا عني لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله تعالى وقال كعب من عرف الموت

من هذا العذاب

في

س

هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال مطرف رايت فيما يرى النائم كان قائلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم الا والهين وقال اشعث كنا ندخل على الحسن فانما هو النار وامر الآخرة وذكر الموت وقالت صفية ان امراة شكت الى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة وكان عيسى اذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما وكان داود اذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع اوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وقال الحسن ما رايت عاقلا قط الا اصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظني فقال انت اول خليفة تموت قال زدني قال ليس من آبائك احد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاء نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبرا في داره وكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم به ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد وقال مطرف بن عبد الله الشخير ان هذا الموت قد نغص على اهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة اكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال ابو سليمان الداراني قلت لام هارون اتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف احب لقاء الله وقد عصيته

بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت

في القلب اعلم ان الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه ان يفرغ العبد قلبه عن كل شيء الا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى مفازة مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وانفع طريق فيه ان يكثر ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم ويتامل كيف محى التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت اجزاؤهم في قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم واوحشت ديارهم فمهما تذكر رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وامله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد وقد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك واكل التراب اسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة ملك الموت وقرع سمعه النداء اما بالجنة او بالنار فعند ذلك يتذكر في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم قال ابو الدرداء اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم وقال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز الا ترون انكم تجهزون كل يوم غاديا او رائحا الى الله عز وجل تضعونه في صدع من الارض قد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير الموت نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا فينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد من مفارقته نظر ابن مطيع ذات يوم الى داره فاعجبه حسنها ثم بكى ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا اعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته

الباب الثاني في طول الامل وفضيلة قصر الامل وسبب طوله وكيفية معالجته

فضيلة قصر الامل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من دنياك لآخرتك ومن حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا وروي عن علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه الحب للدنيا ثم قال الا ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن يبغض واذا احب عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين ابناء وللدنيا ابناء فكونوا من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الآخرة قد اتت مقبلة الا وانكم في يوم عمل حساب ليس فيه عمل وقالت ام المنذر اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال يا ايها الناس الا تستحيون من الله قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال ابو سعيد الخدري اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيمسح بالتراب فاقول يا رسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وروي انه صلى الله عليه وسلم اخذ ثلاثة اعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه واما الثالث فابعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذاك الامل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الاجل دون الامل وقال صلى الله عليه وسلم مثل ابن آدم والى جنبه تسع وتسعون منية ان اخطاته المنايا وقع في الهرم قال ابن مسعود هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع اليه والهرم وراء الحتوف والامل وراء الهرم فهو يامل وهذه الحتوف شوارع اليه فايها امر به اخذه فان اخطاته الحتوف قتله الهرم وهو ينظر الى الامل قال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا الى جنب الخط وخط خطا خارجا فقال اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان للخط الذي في الوسط وهذا الاجل محيط به وهذه الاعراض للخطوط تنهشه هذا وذلك الامل للخط الخارج وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنان الحرص والامل وفي رواية وتشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وقال صلى الله عليه وسلم نجا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الامة بالبخل والامل وقيل بينما عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة فقال عيسى اللهم انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد اليه الامل فقام وجعل يعمل فساله عيسى عن ذلك فقال بينما انا اعمل اذ قالت لي نفسي الى متى تعمل وانت شيخ كبير فالقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتي وقال الحسن قال صلى الله عليه وسلم اكلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحياء وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة واعوذ بك من حياة تمنع

خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع العمل **الآثار** قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى أجلي لخشيت على
ذهاب عقلي ولكن الله من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق وقال
الحسن السهو والأمل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولاهما ما مشى المسلمون في الطرق وقال الثوري بلغني أن الإنسان
خلق أحمق ولولا ذلك لم يهنه العيش قال سعيد بن عبد الرحمن إنما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها وقال سلمان الفارسي
ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وضاحك ملء فيه ولا يدري
أساخط رب العالمين عليه أم راض وثلاث أحزنتني حتى أبكتني فراق محمد وحزبه والأحبة وهول المطلع و
الوقوف بين يدي الله لا أدري إلى الجنة يؤمر بي أو إلى النار وقال بعضهم رأيت زرارة بن أوفى بعد موته في المنام فقلت
أي الأعمال أبلغ عندك قال التوكل وقصر الأمل وقال الثوري الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ و
لا بلبس العباء وسأل المفضل بن فضالة ربه أن يرفع عنه الأمل فذهبت عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه
الأمل فرجع إلى الطعام والشراب وقيل للحسن يا أبا سعيد ألا تغسل قميصك قال الأمر أعجل من ذلك وقال
الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم وقال بعضهم أنا كرجل ماد عنقه والسيف عليه
ينتظر متى تضرب عنقه وقال داود الطائي لو أملت أن أعيش شهرا لرأيتني قد أتيت عظيما وكيف أؤمل ذلك
وأرى الخلائق تغشى الخلائق في ساعات الليل والنهار وحكي أنه جاء شقيق البلخي إلى أستاذ له يقال له أبو هاشم
الرماني وفي طرف كسائه شيء مصرور فقال الأستاذ له أيش هذا معك قال لوزات دفعها إلي أخ لي وقال
أحب أن تفطر عليه فقال يا شقيق وأنت تحدث نفسك أنك تبقى إلى الليل لا كلمتك أبدا قال فأغلق في وجهي الباب
ودخل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته إن لكل سفر زادا لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى
وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الأمل فتقسو قلوبكم و
تنقادوا لعدوكم فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه وربما
كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغترا وإنما تقر عين من وثق بالنجاة
من عذاب الله وإنما يفرح من أمن من أهوال القيامة فأما من لا يداوي كلما إلا أصابه جارح من ناحية
أخرى فكيف يفرح أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيلتي وتبدو مسكنتي
في يوم يبدو فيه الغني والفقير الموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو
عنيت به الجبال الذابت ولو عنيت به الأرض لتشققت أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وأنكم صائرون
إلى إحداهما وكتب رجل إلى أخ له أما بعد فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في
أضغاث أحلام والسلام وكتب آخر إلى أخ له إن الدنيا طويل والموت من الإنسان قريب وللنقص في كل يوم
نصيب وللبلى في جسمه دبيب فبادر قبل أن تنادى بالرحيل والسلام وقال الحسن كان آدم صلى الله على نبينا وعليه
وسلم قبل أن يخطئ أمله خلف ظهره وأجله بين عينيه فلما أصاب الخطيئة حول فجعل أمله بين عينيه وأجله
خلف ظهره وقال أبو عبد الله بن شميط سمعت أبي يقول أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتا قط مات من
غير سقم أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذا قط من غير عدة إنك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدم
من لذاتك أبالصحة تغترون أم بطول العافية تمرحون أم الموت تأمنون أم على ملك الموت تجترئون إن ملك الموت إذا
جاءكم لا يمنعه منك كثرة مالك ولا كثرة احتشادك أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط
ثم يقول رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت وقال أبو زكريا التيمي بينا سليمان
بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتي بحجر منقور فطلب من يقرأه فأتي بوهب بن منبه فإذا فيه ابن آدم إنك لو رأيت قرب ما

بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وإنما يلقاك
غدا ندمك لو قد زلت قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وفارقك الولد القريب ورفضك الوالد و
النسيب فلا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان
بكاء شديدا وقال بعضهم رأيت كتابا من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فإني أحمد
إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني أحذرك متحولك من دار مهلتك إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك فتصير
في قرار باطن الأرض بعد ظاهرها فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فإن يكن الله معك
فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة وإن يكن غير ذلك فأعاذني الله وإياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم يبلغك صيحة
الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الأرض من أهلها والسموات من سكانها فباحت
الأسرار وأسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين
فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فليت شعري ما حالي وحالك يومئذ
ففي هذا ما هدم اللذات وسلى عن الشهوات وقصر عن الأمل ما يقظ النائمين وحذر الغافلين أعاننا الله و
إياك على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين فإنما نحن به وله والسلام
وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال يا أيها الناس إنكم لن تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وإن
لكم معادا ليجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقي عبد أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته
التي عرضها السموات والأرض وإنما يكون الأمن غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوة بسعادة
ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون ألا ترون أنكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله
عز وجل وقد قضى نحبه وانقطع أمله فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد وقد خلع الأسباب
وفارق الأحباب وواجه الحساب وايم الله إني لأقول مقالتي هذه ولا أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم
من نفسي ولكنها سنن من الله عادلة أمر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته وأستغفر الله تعالى لي ولكم ثم وضع
كمه على وجهه فبكى حتى بلت دموعه لحيته وما عاد إلى مجلسه حتى مات وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت
للموت منذ ثلاثين سنة فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء وقال الثوري رأيت شيخا في مسجد الكوفة
يقول أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بي لو أتاني ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا
لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار
وقال أبو محمد الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فقعد ناحية وهي تدفن فجئت
فقعدت قريبا منه ومن طال أمله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب واعلم يا أخي أن كل شيء يشغلك عن ربك
فهو عليك شؤم واعلم أن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور إنما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما
ندم عليه أهل القبور وأهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون وقال
محمد بن أبي توبة أقام معروف الكرخي الصلاة فقال لي تقدم فقلت إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم
غيرها فقال معروف وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع خير
العمل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته إن الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على أهلها
منها الظعن فكم عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة
بأحسن ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى إنما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم
في الدنيا ينافس وهو بها قرير عين إذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير

لقوم آخرين مصانعه ومعناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر انها تسر قليلا وتحزن كثيرا وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يقول في خطبته اين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم اين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان اين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فاصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجا النجا

بيان السبب في طول الامل وعلاجه

اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل والآخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه والانسان مشغوف بالاماني الباطلة فيمني نفسه ابدا بما يوافق مراده وانما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال واهل ودار واصدقاء ودواب وسائر اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحوال امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد وقال الايام بين يديك فالى ان تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى ان تفرغ من بناء هذه الدار او عمارة هذه الضيعة او ترجع من هذا السفر او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكنه او تفرغ عن قهر هذا العدو الذي يشمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة اشغال اخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم ويفضي به شغل الى شغل بل الى اشغال الى ان تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه فتطول عند ذلك حسرته واكثر اهل النار انما صياحهم من سوف يقول ولخرناه من سوف والمسوف المسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور ان يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات ما فرغ منها الا من طرحها

شعر

فما قضى احد منها لبانته ... وما انتهى ارب الا الى ارب

واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم احبب ما احببت فانك مفارقه واما الجهل فهو ان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر رجال وانما قلوا لان الموت في الشباب اكثر فالى ان يموت شيخ يموت الف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجاة ولا يدري ان ذلك غير بعيد فالمرض غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل في ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو ابدا يظن انه يشيع الجنائز ولا يقدر ان يشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو مشاهدة موت غيره واما موت نفسه فلا يألفه ولا يتصور ان يألفه فانه لا يقع واذا وقع لم يقع دفعة اخرى بعده فهو الاول وهو الآخر وسبيله ان يقيس نفسه بغيره ويعلم انه لا بد وان تحمل جنازته ويدفن في قبره ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض واذا عرفت ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافي في القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة واما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذي اعيى الاولين والآخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان بالله تعالى واليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب

الحقير فاذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها وان اعطي ملك الارض من المشرق الى المغرب فكيف وليس عند كل عبد من الدنيا الا قدر يسير مكدر فكيف يفرح بها او يترسخ في القلب حبها مع الايمان بالآخرة ولا علاج في تقدير الموت في القلب مثل النظر الى من مات من الاقران والاشكال وانهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا اما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما واما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر الانسان كل ساعة في اطرافه واعضائه وليتدبر انها كيف تأكلها الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر ان الدود يبتدئ بحدقته اليمنى اولا او باليسرى فما على بدنه شيء الا وهو طعمة الدود وما له من نفسه الا العلم والعمل الصالح الخالص لوجه الله وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر واهوال يوم القيامة وقرع النداء يوم العرض الاكبر فامثال هذه الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له

بيان مراتب الناس في طول الامل وقصره

اعلم ان الخلق في ذلك يتفاوتون فمنهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك ابدا قال الله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة ومنهم من يأمل البقاء الى الهرم وهو اقصى العمر الذي قد شاهده ورآه وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ شاب في طلب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يأمل الى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها ولا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف واذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة ومنهم من يأمل الصيف او الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يأمل الى يوم وليلة فلا يستعد الا لنهاره واما الغد فلا قال عيسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه لا تهتموا لرزق غد فان يكن غد من آجالكم فستأتي فيه ارزاقكم مع آجالكم فان لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز امله ساعة كما قال صلى الله عليه وسلم يا عبد الله اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقاء ايضا ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول لعلي لا ابلغه ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كانه واقع به وهو ينتظره وهذا الانسان هو الذي يصلي صلاة مودع وفيه كما ورد ما نقل عن معاذ بن جبل انه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ايمانه قال ما خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها اخرى وكما نقل عن الاسود وهو حبشي انه كان يصلي ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال له قائل ما هذا قال انظر ملك الموت من اي جهة يأتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من امله مقصور على شهر كمن امله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله فان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم يظهر اثر قصر الامل في المبادرة الى العمل فكل انسان يدعي انه قصير الامل فهو كاذب وانما يظهر ذلك باعماله فانه قد يعتني باسباب ربما لا يحتاج اليها في سنته فيدل ذلك على طول امله وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فليستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت فان عاش الى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح انه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على بالك يا مسكين فان السير حاد بك وانت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا يكون كذلك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس امهلت فيه

بيان المبادرة الى العمل وحذر آفة التأخير

اعلم ان من له اخوان غائبان ينتظر قدوم احدهما في غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر او سنة فلا يستعد للذي
يقدم الى شهر او سنة وانما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيء الموت
بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي
مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل ابدا فانه يرى لنفسه متسعا في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم ما ينتظر احدكم من الدنيا الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او
الدجال فالدجال شر غائب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل
شغلك وحياتك قبل موتك وقال صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ اي انه لا
يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله
غالية الا ان سلعة الله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وقال صلى الله عليه
وسلم اذا انس من اصحابه غفلة او غرة نادى فيهم بصوت رفيع اتتكم المنية راتبة لازمة اما بشقاوة واما بسعادة
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا النذير والموت المغير والساعة الموعد وقال ابن عمر رضي الله
عنهما خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على اطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا الا مثل ما بقي من
يومنا هذا في مثل ما مضى منه وقال صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في
آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته
واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش يقول صبحتكم ومسيتكم بعثت انا والساعة كهاتين وقرن بين اصبعيه و
قال ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقال
صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف فقال نعم
التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال السدي الذي خلق الموت و
الحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ايكم اكثر للموت ذكرا واحسن له استعدادا واشد منه خوفا وحذرا و
قال حذيفة ما من صباح ولا مساء الا ومناد ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى انها لاحدى
الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر في الموت قال سحيم مولى بني تميم جلست الى عامر بن عبد الله
وهو يصلي فاوجز في صلوته ثم اقبل علي فقال ارحني بحاجتك فاني اتبادر قلت وما تبادر قال ملك
الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام الى الصلوة ومر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال دعني
انما ابادر خروج نفسي وقال عمر رضي الله عنه التؤدة في كل شيء خير الا في اعمال الآخرة وقال المنذر سمعت
مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادري قبل ان ياتيك الامر ويحك بادري قبل ان ياتيك الموت حتى كرر
ذلك ستين او سبعين مرة اسمعه ولا يراني وكان يقول الحسن في موعظته المبادرة المبادرة فانما هي الانفاس
لو حبست انقطعت عنكم اعمالكم التي تتقربون بها الى الله تعالى رحم الله امرأ نظر لنفسه وبكى على ذنوبه ثم قرأ
هذه الاية انما نعد لهم عدا يعني الانفاس آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخولك
في قبرك واجتهد ابو موسى الاشعري قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو امسكت ورفقت بنفسك بعض
الرفق فقال ان الخيل اذا ارسلت فقاربت راس مجراها اخرجت جميع ما عندها والذي بقي من اجلي اقل
من ذلك فلم يزل على ذلك حتى مات وكان يقول لامراته شدي رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض الخلفاء
على منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا كقوم صيح بهم فانتبهوا وعلموا ان الدنيا ليست بدار لهم ف

فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد اظلكم وترحلوا فقد جد بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة
لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يحل بالفوز او
الشقوة لمستحق لافضل العدة فاتقى عبد ربه ونصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه
وامله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه اغفل
ما يكون عنها وانه ما بين احدكم وبين الجنة والنار الا الموت ان ينزل به فيا لها حسرة على ذي غفلة ان
يكون عمره عليه حجة وان ترديه ايامه الى شقوة جعلنا الله واياكم ممن لا يبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة
معصية ولا يحل به بعد الموت حسرة انه سميع الدعاء وانه بيده الخير وانه فعال لما يشاء وقال بعض المفسرين
في قوله تعالى فتنتم انفسكم بالشهوات واللذات وتربصتم بالتوبة وارتبتم شككتم حتى جاء امر الله الموت
وغركم بالله الغرور وقال الحسن تصبروا وتشددوا فانما هي ايام قلائل وانما انتم ركب وقوف يوشك ان يدعى
الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم وقال ابن مسعود ما منكم من احد يصبح الا وهو ضيف
وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة وقال ابو عبيدة الباجي دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه
فقال مرحبا بكم واهلا وحياكم الله بالسلام واحلنا واياكم دار المقام هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم
واتقيتم فلا يكون حظكم من هذا الخير رحمكم الله ان تسمعوه بهذه الاذن وتخرجوه من هذه الاذن فان من راى
محمدا صلى الله عليه وسلم فقد راه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحا
الوحا النجا النجا علام تعرجون انتم ورب الكعبة كانكم والامر معا رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا فاكل كسرة
ولبس خلقا ولزق بالارض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى ياتيه اجله
وهو على ذلك وقال عاصم الاحول قال لي فضيل الرقاشي وانا سائل له يا هذا لا يشغلك كثرة الناس عن نفسك
فان الامر يخلص اليك دونهم ولا تقل اذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار في لا شيء فان الامر محفوظ عليك ولم
تر شيئا قط احسن طلبا ولا اسرع ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم

الباب الثاني في سكرات الموت

وشدته اعلم انه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها
لكان جديرا بان يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بان يطول
فيه فكره ويعظم له استعداده لا سيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك
لا تدري متى يغشاك وقال لقمان لابنه يا بني امر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل ان يفجأك والعجب
ان الانسان لو كان في اعظم اللذات واطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات
لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع
وهو عنه غافل فما لهذا سبب الا الجهل والغرور واعلم ان شدة الالم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة الا من
ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس الى الالام التي ادركها واما بالاستدلال باحوال الناس
في النزع على شدة ما هم فيه فاما القياس الذي يشهد له فهو ان كل عضو لا روح له فلا يحس بالالم فاذا كان
فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح فمهما اصاب العضو جرح او حريق سرى الاثر الى الروح فبقدر ما يسري الى
الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الاجزاء فلا يصيب الروح الا بعض الاثر فان كان في الالام ما
يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما اعظم ذلك الالم وما اشده والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح
فاستغرق جميع اجزائه حتى لم يبق جزء من اجزاء الروح المنتشر في اعماق البدن الا وقد حل به الالم فلو اصابته
شوكة فالالم الذي يجده انما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي اصابته الشوكة وانما يعظم اثر الاحتراق

لان اجزاء النار تغوص في سائر اجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا وباطنا الا وتصيبه النار
فتحسه الاجزاء الروحانية المنتشرة في سائر اجزاء اللحم واما الجراحات فانما تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط
فكان لذلك الم الجرح دون الم النار فالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع اجزائه فانه المنزوع
المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الاعصاب وجزء من الاجزاء ومفصل من المفاصل ومن اصل كل شعرة
وبشرة من الفرق الى القدم فلا تسأل عن كربه والمه حتى قالوا ان الموت لاشد من الضرب بالسيف والنشر بالمناشير
والقرض بالمقاريض لان قطع البدن بالسيف انما يولم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر
نفس الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه
مع شدة المه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم
يترك له قوة الاستغاثة اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان فقد ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها ويو
دها لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة
سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة في حلقه وصدره وقد تغير لونه واربد حتى كانه ظهر منه
التراب الذي هو اصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالالم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان
الى اعالي جفونه وتتقلص الشفتان ويتقلص اللسان الى اصله وترتفع الانثيان الى اعالي موضعهما وتخضر انامله
فلا تسأل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان المه عظيما فكيف والمجذوب نفس
الروح المتألم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من اعضائه تدريجا فتبرد اولا قدماه ثم ساقاه ثم
فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا
واهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبل توبة العبد ما
لم يغرغر وقال مجاهد في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت
الآن قال اذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف
سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس
انما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك
عظم خوف الانبياء والاولياء من الموت حتى قال عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلم يا معشر الحواريين ادعوا الله ان يهون
على سكرات الموت هذه السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة اوقفني خوفي على الموت وروي ان نفرا من بني اسرائيل
مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسألونه فدعوا الله تعالى فاذا هم برجل قد
قام وبين عينيه اثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما اردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين عاما ما
سكنت مرارة الموت من قلبي وقالت عائشة رضي الله عنها لا اغبط احدا يهون عليه الموت بعد الذي رايت من شدة
موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه كان عليه الصلوة والسلام يقول عند الموت اللهم انك تاخذ الروح
من بين العصب والقصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه علي وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكر الموت وغصته والمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان اهون
الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم
قال اني لاعلم ما يلقى ما منه عرق الا ويألم للموت على حدته وكان علي كرم الله وجهه يحض على القتال
يقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف اهون من موت على فراش وقال الاوزاعي بلغنا ان
الميت يجد الم الموت ما لم يبعث من قبره وقال شداد بن اوس الموت افظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو اشد

من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو ان الميت نشر فاخبر اهل الدنيا بالم الموت ما انتفعوا
بعيش ولا لذوا بنوم وعن زيد بن اسلم عن ابيه قال اذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت
وكربه درجته في الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به في الدنيا هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير
الى النار وعن بعضهم انه كان يسأل كثيرا من المحتضرين كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له كيف تجده فقال
كان السموات مطبقة على راسي وكان نفسي يخرج من ثقب ابرة وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجاءة
راحة للمؤمن واسف على الفاجر وروي عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان شعرة من شعر
الميت وضعت على اهل السموات والارض لماتوا باذن الله لان في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء الا
مات ويروى لو ان قطرة من الم الموت وضعت على جبال الارض كلها لذابت وروي ان ابرهيم على نبينا وعليه
الصلوة والسلام لما مات قال الله سبحانه كيف وجدت الموت يا خليلي فقال كسفود جعل في صوف رطب
ثم جذب فقال اما انا قد هونا عليك وروي عن موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام انه لما صارت روحه
الى الله عز وجل قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت فقال وجدت نفسي كالعصفور يقلى على المقلى لا يموت
فيستريح ولا ينجو فيطير وروي انه صلى الله عليه وسلم قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عنده قدح من ماء فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون
علي سكرات الموت وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا ابتاه وهو يقول لا كرب على ابيك بعد
اليوم وقال عمر رضي الله عنه لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا امير المؤمنين الموت كغصن كثير الشوك
ادخل في جوف رجل فاخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فاخذ ما اخذ وابقى ما ابقى وقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام
تفارقني وافارقك الى يوم القيامة فهذه سكرات الموت على اولياء الله واحبائه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي
وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلاث الاولى شدة النزع كما ذكرنا **الداهية الثانية**
مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الخوف والروع منه على القلب فلو راى صورته التي يقبض عليها روح العبد
المذنب فيها اعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته وروي عن الخليل صلوات الله على نبينا وعليه هل تستطيع ان تريني الصورة
التي تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل اسود
قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان فغشي على ابرهيم ثم افاق وقد عاد
ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك لكان حسبه وروى ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود كان رجلا غيورا وكان اذا خرج اغلق الابواب فاغلق ذات يوم وخرج
فاشرفت امرأته فاذا هي برجل في الدار فقالت من ادخل هذا الرجل الدار ولئن جاء داود ليلقين منه
عنتا فجاء داود فرآه فقال من انت قال انا الذي لا اهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب فقال فانت والله
اذن ملك الموت وزمل داود مكانه وروي ان عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام مر بجمجمة فضربها
برجله فقال تكلمي باذن الله فقالت يا روح الله انا ملك زمان كذا وكذا بينا انا جالس في ملكي على تاج
وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي اذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي
اليه فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة فهذه داهية
يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون فقد حكى الانبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من
يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال

ليبلغ بسكرات الموت ص

اهل ص

واما المطيع فلا يراه في احسن صورة واجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس ان ابرهيم على نبينا و
عليه الصلوة والسلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج اغلقه فرجع ذات يوم فاذا
برجل في جوف البيت فقال له من ادخلك داري فقال ادخلنيها ربها فقال انا ربها فقال ادخلنيها من هو
املك بها مني ومنك فقال من انت من الملائكة قال انا ملك الموت قال هل تستطيع ان تريني الصورة التي
تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه
وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه و
منها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يترايا له ملكاه الكاتبان عمله
فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق اجلستنا وعمل صالح احضرتنا وان كان فاجرا
قالا لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس شر قد اجلستنا وعمل غير صالح قد احضرتنا وكلام قبيح قد اسمعتنا
فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا ابدا **الداهية الثالثة**
مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم
واستسلمت للخروج ارواحهم ولن تخرج ارواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى البشريين اما ابشر
يا عدو الله بالنار او ابشر يا ولي الله بالجنة ومن هذا كان خوف ارباب اولي الالباب وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج احدكم من الدنيا حتى يعلم اين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة
او النار وقال صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره
الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذلك كذلك ان المؤمن اذا فرج له عما هو قادم عليه
احب لقاء الله واحب الله لقاءه وروي ان حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به من آخر
الليل قم فانظر اي ساعة هي فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء فقال اعوذ بالله من صباح الى
النار ودخل مروان على ابي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال ابو هريرة اللهم اشدد ثم بكى
ابو هريرة وقال والله ما ابكي حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن انتظر احدى البشريين من ربي
بجنة ام بنار وروي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى اذا رضي عن عبد قال
يا ملك الموت اذهب الى فلان فأتني بروحه لاريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث احب فينزل
ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم قضبان الريحان واصول الزعفران كل واحد منهم يبشره
ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فاذا نظر اليهم ابليس
وضع يده على راسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده ما لك يا سيدنا فيقول اما ترون ما اعطي هذا
العبد من الكرامة اين كنتم عن هذا قالوا قد جهدنا به ولكنه كان معصوما وقال الحسن لا راحة للمؤمن
الا في لقاء الله ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وامنه وعزه وشرفه
وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة الى الحسن فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه
اليه ثم قال يا اخوتاه الساعة والله افارقكم الى النار او الى الجنة وقال محمد بن واسع عند الموت يا اخوتاه
عليكم السلام الى النار او يعفو الله وتمنى بعضهم ان يبقى في النزع ابدا ولا يبعث لثواب ولا عقاب فخوف
سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهي الداهية العظمى عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة
خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع ولكنا لا نطول بذكره واعادته

بيان ما يستحب من احوال المحتضر عند الموت اعلم ان المحبوب عند الموت من صورة المحتضر ان يكون في نفسه

هو الهدوء والسكون ومن لسانه ان يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله
اما الصورة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال راقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه وذرفت عيناه
ويبست شفتاه فهو من رحمة الله قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب
الله قد نزل به واما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهو علامة الخير قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله وفي رواية حذيفة فانها تهدم ما قبلها من الخطايا وقال عثمان
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة وقال عبيد الله وهو
يشهد وقال عثمان اذا احتضر الميت فلقنوه لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت زاده
الى الجنة وقال عمر رضي الله عنه احضروا موتاكم ولقنوهم وذكروهم فانهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا اله الا
الله وقال ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في
قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص
وينبغي للملقن ان لا يلح على الميت في التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدي
الى استثقاله التلقين وكراهته للكلمة ويخشى ان يكون ذلك سبب سوء الخاتمة وانما معنى هذه الكلمة ان يموت
الرجل وليس في قلبه غير الله فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في
حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها متاسفا على لذاتها وكانت الكلمة على راس اللسان ولم ينطق القلب
على تحقيقها وقع الامر في خطر المشية فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله بالقبول واما حسن
الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الاخبار بفضل حسن الظن دخل
واثلة بن الاسقع على مريض فقال اخبرني كيف ظنك بالله فقال اغرقتني ذنوب لي واشفيت على هلكة و
لكني ارجو رحمة الله فكبر واثلة وكبر اهل البيت بتكبيره وقال الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي
ما شاء ودخل صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك فقال ارجو الله واخاف ذنوبي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد مؤمن في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله الذي
يرجو منه وامنه من الذي يخاف وقال ثابت البناني كان شاب به حدة وكانت له ام تعظه كثيرا تقول يا بني ان لك
يوما فاذكر يومك فلما نزل به امر الله تعالى اكبت عليه امه فجعلت تقول يا بني قد كنت احذرك مصرعك هذا و
اقول ان لك يوما قال يا اماه ان لي ربا كثير المعروف واني لارجو ان لا يعدمني اليوم بعض معروفه قال
ثابت فرحمه الله بحسن ظنه به وقال جابر بن وداعة كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له امه يا بني توصي
بشيء قال نعم خاتمي لا تسلبينيه فان فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمني به فلما دفن رؤي في النوم فقال اخبروا امي
ان الكلمة قد نفعتني وان الله سبحانه قد غفر لي ومرض اعرابي فقيل له انك تموت قال الى اين يذهب بي قالوا الى
الله قال فما كراهتي ان اذهب الى من لا نرى الخير الا منه وقال المعتمر بن سليمان قال ابي حين حضرته الوفاة يا معتمر
حدثني بالرخص لعلي القى الله تعالى وانا حسن الظن به وكانوا يستحبون ان يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن
ظنه بربه

بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب بلسان الحال عنها قال الاشعث بن اسلم سأل ابرهيم
على نبينا وعليه الصلوة والسلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك الموت
ما تصنع اذا كانت نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بارض والتقى الزحفان كيف تصنع قال ادعو الارواح
باذن الله فتكون بين اصبعي هاتين وقال ودحيت له الارض فتركت مثل الطست بين يديه يتناول منها حيث يشاء قال
وهو يبشره بانه خليل الله تعالى وقال داود لملك الموت على نبينا وعليهما الصلوة والسلام مالي لا اراك تعدل بين الناس تاخذ

هذا او تدع هذا فقال بما انا اعلم منك انما هي صحف وكتب تلقى اليّ فيها اسماء . وقال وهب بن منبه كان ملك من
الملوك اراد ان يركب الى ارض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات وكذلك
طلب دابة فلم تعجبه حتى اتي بدواب فركب احسنها فجاء ابليس فنفخ في منخره نفخة فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول
وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فاخذ بلجام دابته فقال ارسل اللجام فقد
تعاطيت امرا عظيما قال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى انزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو
سر فادنى اليه راسه فساره وقال انا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى ارجع الى اهلي واقضي
حاجتي واودعهم قال لا والله لا ترى اهلك وثقلك ابدا فقبض روحه فخر كانه خشبة ثم لقي عبدا مؤمنا في تلك الحال
فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لي اليك حاجة اذكرها في اذنك فقال هات فساره وقال انا ملك الموت فقال مرحبا واهلا
بمن طالت غيبته علي فوالله ما كان على الارض غائب احب الي من ان القاه منك فقال له ملك الموت اقض
حاجتك التي خرجت لها فقال ما لي حاجة اكبر عندي ولا احب من لقاء الله تعالى قال فاختر على اي
حال شئت ان اقبض روحك فقال او تقدر على ذلك قال نعم اني امرت بذلك قال فدعني حتى اتوضا
واصلي فاقبض روحي وانا ساجد فقبض روحه وهو ساجد . وقال بكر بن عبد الله المزني
جمع رجل من بني اسرائيل مالا فلما اشرف على الموت قال لبنيه اروني اصناف اموالي فاتي
بشيء كثير من الخيل والابل والرقيق وغيرها فلما نظر اليها بكى تحسرا عليه فرآه ملك الموت وهو
يبكي فقال له ما يبكيك فوالذي خولك ما انا بخارج من منزلك حتى افرق بين روحك وبدنك
قال فالمهلة حتى افرق قال هيهات انقطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور اجلك فقبض روحه
وروي ان رجلا جمع مالا فاوعى ولم يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه
بابين وثيقين وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع اهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره
ورفع احدى رجليه على الاخرى وهم ياكلون فلما فرغوا اقبل على نفسه وقال يا نفس انعمي
لسنين فقد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى اقبل عليه ملك الموت في هيئة رجل
عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة
قرعة وقرعتين وهو على فراشه فوثب اليه الغلمان وقالوا ما شانك فقال ادعوا الي مولاكم قالوا
والى مثلك يخرج مولانا قال نعم فاخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة
اشد من الاولى فوثب اليه الحرس فقال اخبروه اني ملك الموت فلما سمعوه القي عليهم الرعب و
وقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا له قولا لينا وقولوا هل تاخذ به احدا فدخل عليه وقال
اصنع في مالك ما انت صانع فاني لست بخارج منها حتى اخرج نفسك فامر بماله حتى وضع بين
يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال انت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني ان اتخلى
لربي فانطق الله المال فقال لم تسبني وقد كنت تدخل على السلطان بي ويرد المتقي عن بابه
وكنت تنكح المتنعمات بي وتجلس مجالس الملوك بي وترد المتقون وتنفقني في سبيل الشر فلا امتنع
منك ولو انفقتني في سبيل الخير نفعتك خلقت وابن آدم من تراب فمنطلق باثم ومنطلق ببر
ثم قبض ملك الموت روحه فسقط . وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما
في الارض مثله ثم عرج الى السماء فقالت الملائكة لمن كنت اشد رحمة ممن قبضت روحه قال امرت بقبض
نفس امراة في فلاة من الارض فاتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في

فلاة لا متعهد له بها فقالت الملائكة الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته فقال
ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء . وقال عطاء بن يسار اذا كان ليلة النصف من شعبان دفع
الى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة وهو لا يدري وقال الحسن ما
من يوم الا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى اجله
قبض روحه فاقبل اهله برنة وبكاء فياخذ ملك الموت بعضادتي الباب فيقول والله ما اكلت له رزقا
ولا افنيت له عمرا ولا انتقصت له اجلا وان لي فيكم لعودة ثم عودة حتى لا ابقي منكم احدا قال الحسن فوالله
لو رأوا مقامه وسمعوا كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على انفسهم . وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من
الجبابرة من بني اسرائيل جالس في منزله قد خلا ببعض اهله اذ نظر الى شخص قد دخل من باب بيته فثار
اليه فزعا مغضبا فقال له من انت ومن ادخلك على داري فقال اما الذي ادخلني الدار فربها واما انا فالذي
لا يمنعني الحجاب ولا استاذن على الملوك ولا اخاف سطوة السلاطين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان
مريد قال فسقط في يدي الجبار وارتعد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع اليه راسه مستجديا متذللا
له فقال له انت اذن ملك الموت قال انا هو قال فهل انت ممهلي حتى احدث عهدا قال هيهات انقطعت
مدتك وانقضت انفاسك ونفدت ساعاتك فليس الى تاخيرك سبيل قال فالى اين تذهب بي
قال الى عملك الذي قدمته والى بيتك الذي مهدته قال فاني لم اقدم عملا صالحا ولم امهد بيتا حسنا قال
فالى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط ميتا بين اهله فمن صارخ وباك قال يزيد الرقاشي لو يعلمون
سوء المنقلب كان العويل على ذلك اكثر . وعن الاعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود
فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رأيته
ينظر الي كانه يريدني قال فما تريد قال اريد ان تخلصني منه فتامر الريح حتى تحملني الى اقصى الهند ففعلت الريح
ذلك فقال سليمان لملك الموت بعد ان اتاه ثانيا رايتك تديم النظر الى واحد من جلسائي قال
نعم كنت اتعجب منه لاني كنت امرت ان اقبض روحه باقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك فتعجبت من ذلك

الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين

اعلم ان في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة حيا وميتا وقولا وفعلا وجميع احواله عبرة للناظرين و
تبصرة للمستبصرين اذ لم يكن احد اكرم على الله منه اذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر
هل امهله ساعة عند انقضاء مدته وهل اخره لحظة بعد حضور منيته لا بل ارسل الله الملائكة الكرام
الموكلين بقبض ارواح الانام فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر الى
رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك عند النزع كربه وظهر انينه
وترادف قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه
حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهده فهل رايت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا و
هل راقب الملك فيه اهلا وعشيرا او هل سامح اذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا هيهات بل امتثل ما كان به
مامورا واتبع ما وجده في اللوح المحفوظ مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود
وهو اول من تنشق عنه الارض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب انا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما
نلقاه بل نحن اسراء الشهوات وقرناء المعاصي والسيئات فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وامام المتقين
وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وسلم لعلنا نظن انا مخلدون او نتوهم انا مع سوء افعالنا عند الله مكرمون

هيهات هيهات بل نتيقن انا جميعا على النار واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللصدر
عنها متوهمون لا بل ظلمنا انفسنا ان كنا لغالبا الظن مستظرين مما نحن والله من المتقين وقد قال الله رب العالمين
وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فلينظر كل عبد الى نفسه
انه من الظالمين او بانه الى المتقين وانظر الى نفسك بعد ان تنظر الى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ما
وفقوا عليه من الخائفين ثم انظر الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فانه كان من امره على يقين اذ كان سيد النبيين
وقائد المتقين فاعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد امره عند الانقلاب الى جنة المأوى قال ابن مسعود
دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت امنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت
عيناه ثم قال صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله اوصيكم بتقوى الله واوصي بكم الله اني
لكم منه نذير مبين ان لا تعلوا على الله في عباده وبلاده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى
الجنة المأوى والكأس الاوفى فاقرءوا على انفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله وروي انه
صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عند موته من لامتي بعدي فاوحى الله تعالى الى جبريل ان بشر حبيبي اني لا اخذله في
امته وبشره بانه اسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة على الامم حتى
تدخلها امته فقال الان قرت عيني وقالت عائشة رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغسله
بسبع قرب من سبع ابار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل احد ودعا لهم واوصى
بالانصار فقال اما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون واصبحت الانصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها
اليوم وان الانصار عيبتي التي اويت اليها فاكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا
خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى ابو بكر رضي الله عنه وظن انه يريد نفسه فقال النبي صلى
الله عليه وسلم على رسلك يا ابا بكر سدوا هذه الابواب الشوارع في المسجد الا باب ابي بكر فاني لا اعلم امرا افضل في
الصحبة من ابي بكر قالت عائشة رضي الله عنها فقبض صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري
وجمع الله تعالى بين ريقي وريقه عند الموت فدخل علي اخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه
يعجبه ذلك فقلت اخذه لك فاومى براسه اي نعم فناولته اياه فادخله في فيه فاشتد عليه فقلت الينه لك فاومى
براسه اي نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل يده فيها ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب
يده يقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى فقلت اذا والله لا يختارنا وروى سعيد بن عبد الله عن ابيه قال لما رأت
الانصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا اطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى
الله عليه وسلم فاعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه
فاعلمه بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه وقال ما تقولون قالوا نقول نخشى ان تموت وتصايح نساؤهم
لاجتماع رجالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فخرج متوكئا على علي والفضل والعباس امامه ورسول الله صلى الله
عليه وسلم معصوب الراس يخط برجليه الارض حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله تعالى
واثنى عليه وقال ايها الناس بلغني انكم تخافون علي الموت استنكارا منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم
الم انع اليكم ونعيت اليكم انفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به و
اني اوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفي
خسر الى اخرها وان الامور تجري باذن الله فلا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة
احد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم

سبع مرات نخ

واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم الم يشاطروكم الثمار الم
يوسعوا عليكم في الديار الم يؤثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم
وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستأثروا عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض حوضي
اعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء اشد بياضا من اللبن والين من
الزبد واحلى من الشهد من شرب منه لم يظمأ ابدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤها المسك من حرمه في الموقف
غدا حرم الخير كله الا فمن احب ان يرد علي غدا فليكفف لسانه ويده الا مما ينبغي فقال العباس يا نبي الله اوص
بقريش فقال انما اوصي بهذا الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا
آل قريش بالناس خيرا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم ائمتهم واذا
فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وروي ابن مسعود انه
قال لابي بكر رضي الله عنه سل يا ابا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال صلى الله عليه وسلم قد دنا الاجل و
تدلى فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى الجنة
المأوى والفردوس الاعلى والكأس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ الاسنى والعيش المهنى فقال يا نبي الله من يلي
غسلك قال رجال من اهل بيتي الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك قال في ثيابي هذه وفي حلة يمنية وفي بياض
مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا انتم
غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان
اول من يصلي علي الله عز وجل وهو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم ياذن للملائكة في الصلاة علي
فاول من يدخل من خلق الله ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم
الملائكة باجمعهم ثم انتم فادخلوا علي افواجا فصلوا علي افواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني
بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الامام واهل بيتي الاولى فالاولى ثم زمر النساء ثم زمر
الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال رجال من اهل بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم
وهم يرونكم قوموا فادوا عني الى من بعدي وقال عبد الله بن زمعة جاء بلال في اول ربيع الاول فاذن
بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا ابا بكر يصلي بالناس فخرجت فلم ار بحضرة
الباب الا عمر في رجال ليس فيهم ابو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال اين ابو بكر يابى الله ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات
مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة يا رسول الله ان ابا بكر رجل رقيق اذا قام في مقامك غلبه
البكاء فقال انكن صويحبات يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس قال فصلى ابو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر
وكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة بعد ذلك ويحك ماذا صنعت بي والله لولا اني ظننت ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امرك ما فعلت فيقول عبد الله اني لم ار احدا اولى بذلك منك قالت عائشة وما
قلت ذلك ولا صرفته عن ابي بكر الا رغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة الا من سلم الله
وخشيت ايضا ان لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي ابدا الا ان يشاء
الله فيحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به فاذا الامر امر الله والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ما
تخوفت عليه من امر الدين والدنيا قالت عائشة فلما كان اليوم الذي قبض فيه صلى الله عليه وسلم راوا منه
في اول النهار خفة فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين واخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجن عني
هذا الملك يستاذن علي فخرج من في البيت غيري ورأسه في حجري فجلس وتنحيت في ناحية من
البيت فناجى من الملك طويلا ثم انه دعاني فاعاد رأسه في حجري وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا
الحس جبرئيل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال
ان الله عز وجل ارسلني اليك وامرني ان لا ادخل عليك الا باذن فان لم تاذن لي ارجع وان اذنت
لي دخلت وامرني ان لا اقبضك حتى تامرني فماذا امرك فقلت اكفف حتى ياتيني جبرئيل فهذه
ساعة جبرئيل قالت عائشة فاستقبلنا بامر لم يكن له عندنا جواب ولا رأي فوجمنا وكانما ضربنا
بصاخة ما نحير اليه شيئا وما يتكلم احد من اهل البيت اعظاما لذلك الامر وهيبة ملات اجوافنا قالت
وجاء جبرئيل في ساعته تلك فسلم فعرفت حسه وخرج اهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل يقرأ
عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو اعلم بالذي تجد منك ولكن يريد ان يزيدك كرامة وشرفا
وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وان يكون سنة في امتك فقال صلى الله عليه وسلم اجدني وجعا
فقال ابشر فان الله تعالى اراد ان يبلغك ما اعد لك فقال يا جبرئيل ان ملك الموت استاذن علي واخبره
الخبر فقال جبرئيل يا محمد ان ربك اليك مشتاق قال فلا يبرح الم يعلمك الذي يريد بك والله ما استاذن
ملك الموت على احد قط ولا يستاذن عليه ابدا الا ان ربك متم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح
اذن حتى يجيء واذن للنساء فقال لفاطمة عليها الصلوة والسلام ادني يا فاطمة فاكبت عليه فناجاها
فرفعت رأسها وعيناها تدمع باربع ما تطيق الكلام ثم قال ادني مني رأسك فاكبت عليه فناجاها
فرفعت رأسها وهي تضحك ولا تطيق الكلام وكان الذي رأينا منها عجبا فسالناها بعد ذلك فقالت
اخبرني وقال اني ميت اليوم فبكيت ثم قال ادعو الله تعالى ان يلحقك بي في اول اهلي وان يجعلك
معي فاضحكني واذنت ابنيها منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت فسلم واستاذن فاذن له فقال الملك ما
تامرنا يا محمد قال الحقني بربي الآن فقال بلى ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن احد تردده عنك
ولم ينهني عن الدخول على احد الا باذنه ولكن ساعتك امامك قالت وخرج جبرئيل فقال السلام
عليك يا رسول الله هذا اخر ما انزل فيه الى الارض ابدا طوي الوحي وطويت الدنيا وما كانت لي في الارض
حاجة غيرك وما لي فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفي والذي بعث محمدا بالحق ما في البيت احد
يستطيع ان يحير اليه في ذلك كلمة ولا يبعث الى احد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت
فقمت الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى اضع رأسه بين يدي وامسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبينه
يرشح رشحا ما رأيته من انسان قط فجعلت اسلت ذلك العرق وما وجدت رائحة شيء قط اطيب منه فكنت
اقول اذا افاق بابي وامي ونفسي واهلي ما تلقى جبينك من العرق فقال يا عائشة ان نفس المؤمن تخرج
بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى اهلينا فكان اول رجل
جاءنا ولم يشهده اخي عبد الرحمن بعثه الي ابي فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يجيء احد وانما
صدهم الله عنه لانه ولاه جبرئيل وميكائيل وجعل اذا اغمي عليه قال بل الرفيق الاعلى كان الخيرة تعاد
عليه فاذا اطاق الكلام قال الصلوة الصلوة انكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلوة الصلوة
كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلوة الصلوة قالت عائشة فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة ما لقيت من يوم الاثنين والله لا يزال الامة

تصاب بعظيمة فيه وقالت ام كلثوم يوم اصيب علي رضي الله عنه بالكوفة ويلها ما لقيت من يوم الاثنين
مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل علي وفيه قتل ابي فما لقيت من يوم الاثنين وقالت
عائشة لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتج الناس حتى ارتفعت الرنة وسجي رسول الله صلى الله عليه و
سلم بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم بموته واخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط اخرون فلاثوا
الكلام الا بعد بغير بيان وبقي اخرون معهم عقولهم وكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلي فيمن
اقعد وعثمان فيمن اخرس فخرج عمر الى الناس وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت وليرجعنه
الله وليقطعن ايدي وارجل المنافقين يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت وانما واعده
ربه كما واعد موسى وهو اتيكم وفي رواية انه قال يا ايها الناس كفوا السنتكم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانه لم يمت والله لا اسمع احدا يذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات الا علوته بسيفي
هذا واما علي كرم الله وجهه فانه اقعد فلم يبرح البيت واما عثمان رضي الله عنه فجعل لا يكلم احدا يؤخذ
بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن احد من المسلمين في مثل حال ابي بكر والعباس رضي الله عنهما فان الله عز
وجل عزم لهما على التوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعووا الا بقول ابي بكر جاء العباس فقال و
الله الذي لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال الله بين اظهركم انك
ميت وانهم ميتون وبلغ ابا بكر رضي الله عنه الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنظر اليه ثم اكب عليه فقبله ثم قال بابي وامي يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت
مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى الناس فقال يا ايها الناس من كان يعبد محمدا
فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل الاية فكان الناس لم يسمعوا هذه الاية الا يومئذ وفي رواية ان ابا بكر رضي الله عنه لما
بلغه الخبر دخل البيت الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه
تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد العقل والمقال فاكب عليه فكشف عن وجهه و
قبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بابي انت وامي ونفسي واهلي طبت حيا وميتا انقطع
بموتك ما لم ينقطع بموت احد من الانبياء والنبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى
صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا ان موتك كان اختيارا منك لجدنا لموتك بالنفوس
ولولا انك نهيت عن البكاء لانفدنا عليك ماء الشؤون فاما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفان
لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من
السكينة لم يقم احد لما خلفت من الوحشة اللهم ابلغ نبيك عنا واحفظه فينا وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه لما دخل
ابو بكر البيت وصلى واثنى عج اهل البيت عجيجا سمعه اهل المصلى كلما ذكر شيئا ازدادوا فما سكن عجيجهم الا
تسليم رجل على الباب صيت جلد فقال السلام عليكم يا اهل البيت كل نفس ذائقة الموت الاية ان في الله خلفا من كل احد و
دركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا فاستمعوا له وانكروه وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء
فقد صوته فاطلع احدهم فلم ير احدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد لا يعرفون صوته يا اهل البيت اذكروا الله
واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا وبامره
فاعملوا فقال ابو بكر هذا الخضر واليسع حضرا النبي صلى الله عليه وسلم واستوفى القعقاع بن عمرو حكاية خطبة ابي بكر
رضي الله عنه فقال قام ابو بكر في الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم

فحمد الله تعالى على كل حال وأثنى عليه وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر
عبده وغلب الأحزاب وحده فلله الحمد وحده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه و
أشهد أن الكتاب كما نزل وأن الدين كما شرع وأن الحديث كما حدث وأن القول كما قال وأن الله هو
الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوتك
أفضل ما صليت به على أحد من خلقك اللهم فاجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على
سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام المتقين محمد قائد الخير وإمام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب
زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون وانفعنا
بمقامه المحمود يوم القيمة واخلفه فينا في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت وباركت على إبرهيم إنك حميد مجيد أيها الناس
إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لم يمت وإن الله قد تقدم
إليكم في أمره فلا تدعوه جزعا فإن الله عز وجل اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم ما عنده على ما عندكم وقبضه
إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر
يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم و
عاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم وقال ابن عباس لما فرغ أبو بكر رضي الله
عنه من خطبته قال يا عمر أنت الذي بلغني أنك تقول ما مات نبي الله صلى الله عليه وسلم أما ترى أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال يوم كذا وكذا كذا وكذا وقال تعالى في كتابه إنك ميت وإنهم ميتون ثم قال عمر والله
لكأني لم أسمع بها في كتاب الله تعالى قبل الآن لما نزل بنا ثم قال أشهد أن الكتاب كما نزل وأن الحديث كما
حدث وأن الله تعالى حي لا يموت إنا لله وإنا إليه راجعون وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله صلى
الله عليه وسلم ثم جلس إلى أبي بكر وقالت عائشة رضي الله عنها لما اجتمعوا لغسله قالوا والله لا ندري كيف نغسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا أو نغسله في ثيابه قالت فأرسل الله عليهم النوم حتى ما بقي منهم إلا
واضع لحيته في صدره نائما قال قائل لا ندري من هو اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم في ثيابه فانتبهوا فغسل
النبي صلى الله عليه وسلم في قميصه حتى إذا فرغ من غسله كفن وقال علي رضي الله عنه أردنا خلع قميصه فنودينا
لا تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فأقررناه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ما
نشاء أن يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه إلا قلب لنا حتى نفرغ منه وإن معنا لحفيفا في البيت كالريح الرخاء
ويصوت بنا ارفقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنكم ستكفون فهكذا كان وفاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يترك سيد المرسلين لبنة ولا لبنة إلا دفن سرا قال أبو جعفر فرش لحده بمفرش وقطيفة و
فرشت ثيابه عليها التي كانت يلبس يقظان على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها في أكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا
ولا بنى في حياته لبنة ولا قصبة على قصبة ففي وفاته عبرة تامة للمسلمين وأسوة حسنة **وفاة أبي بكر**
رضي الله عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت **شعر** لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى
إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك
ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فإن الحي إلى الجديد أحوج من الميت وقالت عائشة
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل فقال أبو بكر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا
عليه في مرضه وقالوا ألا ندعو لك طبيبا ينظر إليك فقال قد نظر إلي طبيبي وقال إني فعال لما يريد ودخل عليه

سلمان يعوده فقال يا أبا بكر أوصنا فقال إن الله تعالى فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغك واعلم
أن من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك ولما ثقل أبو بكر و
أراد الناس أن يستخلف فاستخلف عمر فقال الناس استخلفت علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك فقال أقول
استخلفت على خلقك خير خلقك ثم أرسل إلى عمر فجاء فقال إني موصيك بوصية فاعلم أن لله حقا في النهار لا يقبله
في الليل وأن له حقا بالليل لا يقبله بالنهار وأنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وإنما ثقلت موازين من ثقلت
موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل وإنما خفت
من خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الباطل وحق لميزان أن لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف وإن الله تعالى ذكر
أهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء وإن الله تعالى
ذكر أهل النار بأسوء أعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول القائل أنا أفضل من هؤلاء وإن الله سبحانه ذكر آية
الرحمة وآية العذاب في كتابه ليكون المؤمن راغبا راهبا ولا يلقي بيده إلى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فإن حفظت
وصيتي هذه فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت ولا بد لك منه وإن ضيعت وصيتي فلا يكونن غائب أبغض إليك
من الموت ولست تعجزه وقال سعيد بن المسيب لما احتضر أبو بكر جاءه ناس من أصحابه فقالوا يا خليفة رسول الله
زودنا فإنا نراك لما بك فقال أبو بكر رضي الله عنه من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق المبين
قالوا وما الأفق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض وأنهار وأشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة من قال هذا
القول جعل الله روحه في ذلك المحل **دعاء أبي بكر** رضي الله عنه اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة
بك إليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم إنك خلقت
الخلق فرقا وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك اللهم
إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لها مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك اللهم إن أحدا لا يشاء
حتى تشاء فاجعل مشيتك لي أن أشاء ما يقربني إليك اللهم إنك قد قدرت حركات العباد فلا يتحرك شيء إلا بإذنك فاجعل
حركاتي في تقواك اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير
القسمين اللهم إنك خلقت الجنة والنار وخلقت لكل واحد منهما أهلا فاجعلني من سكان جنتك اللهم إنك أردت
بقوم الإيمان وشرحت له صدورهم وأردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدري
للإيمان وزينه في قلبي اللهم إنك دبرت الأمور فجعلت مصيرها إليك فأحيني بعد الموت حيوة طيبة
وقربني إليك زلفى اللهم ومن أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فأنت ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة
إلا بالله قال أبو بكر رضي الله عنه هذا كله في كتاب الله تعالى **وفاة عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال
عمرو بن ميمون كنت قائما ذات غداة أصيب فيها عمر ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس وكان إذا مر بين الصفين قام
بينهما فإذا رأى خللا قال استووا حتى إذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر فلعله قرأ بسورة يوسف أو النحل أو نحو
ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة
فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا وشمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم سبعة
وفي رواية تسعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر
عبد الرحمن بن عوف فقدمه فأما من كان يلي عمر فقد رأى ما رأى وأما نواحي المسجد فلا يدرون ما الأمر
غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلوة خفيفة فلما
انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلني فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة قال قاتله الله لقد كنت أمرت

امر بمعروف ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم قد كنت انت وابوك تحبان ان يكثر العلوج
بالمدينة وكان العباس اكثرهم رقيقا فقال ابن عباس ان شئت فعلت اي ان شئت قتلناهم قال بعد ما تكلموا
بلسانكم وصلوا الى قبلتكم وحجوا حجكم ثم احتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل
يومئذ فقائل يقول اخاف عليه وقائل يقول لا باس فاتي بنبيذ فشرب منه فخرج من جوفه ثم اتي بلبن فشرب
منه فخرج من جوفه فعرفوا انه ميت قال فدخلنا وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال ابشر يا امير المومنين
ببشرى من الله عز وجل قد كان لك في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الاسلام ما قد علمت
ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت ان ذلك كفافا لا علي ولا لي فلما ادبر الرجل اذا ازاره
يمس الارض فقال ردوا علي الغلام فقال يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه ابقى لثوبك واتقى لربك ثم
قال يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين الفا ونحوه فقال ان وفى به
مال آل عمر فاده من اموالهم والا فاسال في بني عدي بن كعب فان لم تف اموالهم فاسال في قريش ولا
تعدهم الى غيرهم وادّ عني هذا المال انطلق الى ام المومنين عائشة فقل يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل
امير المومنين فاني لست اليوم للمومنين اميرا وقل يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فسلم
واستاذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستاذن ان يدفن مع
صاحبيه فقالت كنت اريده لنفسي ولاوثرنه اليوم على نفسي فلما اقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء
فقال ارفعوني فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا امير المومنين اذنت قال الحمد لله ما
كان شيء اهم الي من ذلك فاذا انا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل يستاذن عمر فان اذنت لي فادخلوني وان
ردتني ردوني الى مقابر المسلمين وجاءت ام المومنين حفصة والنساء يسترنها فلما رايناها قمنا فولجت
عليه فبكت عنده ساعة واستاذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا اوص يا
امير المومنين استخلف فقال ما ادري احق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عثمان وعليا والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله
بن عمر وليس له من الامر شيء على هيئة التعزية له فان اصابت الامارة سعدا فذاك والا فليستعن به
ايكم امر فاني لم اعزله من عجز ولا خيانة وقال اوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف
لهم فضلهم ويحفظ حرمتهم واوصيه بالانصار خيرا الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من
محسنهم وان يعفو عن مسيئهم واوصيه باهل الامصار خيرا فانهم ردء الاسلام وجباة المال وغيظ
العدو وان لا يوخذ منهم الا فضلهم عن رضاهم واوصيه بالاعراب خيرا فانهم اصل العرب ومادة
الاسلام ان يوخذ من حواشي اموالهم ويرد على فقرائهم واوصيه بذمة الله وذمة رسوله صلى الله
عليه وسلم ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به
فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر وقال يستاذن عمر بن الخطاب قالت ادخلوه فادخل فوضع هنالك
مع صاحبيه وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال قال لي جبرئيل ليبك الاسلام على موت عمر
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل ان يرفع
وانا فيهم فلم يرعني الا رجل قد اخذ بمنكبي فالتفت فاذا هو علي بن ابي طالب فترحم على عمر وقال ما خلفت
احدا احب الي ان القى الله بمثل عمله منك وايم الله اني كنت لاظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك اني كنت
كثيرا اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت انا وابو بكر وعمر ودخلت انا وابو بكر وعمر وخرجت

انا وابو بكر وعمر فاني كنت لارجو واظن ان يجعلك الله معهما

وفاة عثمان

رضي الله عنه الحديث في
قتله مشهور فقد قال عبد الله بن سلام اتيت اخي عثمان لاسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا
يا اخي رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة في البيت فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال
عطشوك قلت نعم قال فادلى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى اني لاجد برده بين ثديي وبين كتفي
وقال لي ان شئت نصرت عليهم وان شئت افطرت عندنا فاخترت ان افطر عنده فقتل ذلك اليوم
رحمه الله وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان في الموت حين جرح ما ذا قال عثمان وهو يتشحط
قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع امة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله
تعالى ان لا يجتمعوا ما اجتمعوا الى يوم القيامة وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين
اشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال ائتوني بصاحبيكم الذين البا كم علي فجيء بهما كانهما جملان او حماران
فاشرف عليهم عثمان فقال انشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم
المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بير رومة يجعل دلوه مع دلو المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها
من صلب مالي وانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها وانا اشرب من ماء البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم بالله و
بالاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في
المسجد بخير منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي وانتم اليوم تمنعوني ان اصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال
انشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم نعم ثم قال انشدكم بالله وبالاسلام
هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثبير مكة ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته
بالحضيض فركضه وقال اسكن يا ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان قالوا نعم قال الله اكبر شهدوا
لي ورب الكعبة اني شهيد ثلاثا وروي عن شيخ من ضبة ان عثمان رضي الله عنه حين ضرب والدماء تسيل على
لحيته جعل يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني استعيذ بك منهم واستعينك
على جميع امري واسالك الصبر على ما ابتليتني

وفاة علي

رضي الله عنه قال الاصبغ الحنظلي لما كانت
الليلة التي اصيب فيها علي رضي الله عنه اتاه ابن النباح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلوة وهو مضطجع متثاقل فعاد
الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي رضي الله عنه يمشي وهو يقول اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك
ولا تجزع من الموت اذا حل بواديك فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت ام كلثوم ابنة علي فجعلت
تقول ما لي ولصلوة الغداة قتل زوجي امير المومنين صلوة الغداة وقتل ابي صلوة الغداة وعن شيخ من قريش
ان عليا رضي الله عنه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن علي انه لما ضرب اوصى بنيه ثم لم ينطق
الا بلا اله الا الله حتى قبض ولما ثقل الحسن بن علي رضي الله عنهما دخل عليه الحسين فقال يا اخي لاي شيء تجزع
تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى علي بن ابي طالب وهما ابواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد
وهما اماك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك فقال يا اخي اقدم على امر لم اقدم على مثله وعن محمد بن الحسين قال لما نزل
القوم بالحسين وايقن انهم قاتلوه قام في اصحابه خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال قد نزل بنا من الامر ما ترون
وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها حتى لم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء الا خسيس عيش
كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المومن في لقاء الله تعالى واني لا ارى
الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا شقاوة

الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين

لما حضرت معوية رضي الله عنه الوفاة قال اقعدوني فاقعد فجعل يسبح الله

تعالى ويذكره ثم بكى وقال تذكرتك يا معوية بعد الهرم والا عظام الا كان هذا وغصن الشباب نضر
ريان ثم بكى حتى علا بكاؤه وقال يا رب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم اقل العثرة وارحم
العبرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق باحد سواك وروى شيخ من قريش انه دخل
مع جماعة عليه في مرضه فاذا في جلده غضون فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فهل الدنيا اجمع الا ما جربنا و
رأينا اما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا واستلذذنا بعيشنا فما لبثت الدنيا ان نقضت منا
حالا بعد حال وعروة بعد عروة فاصبحت الدنيا وقد تركتنا واخلقتنا واستلانت الينا فاف للدنيا من
دار ثم اف لها من دار وروي ان اخر خطبة خطبها معوية انه قال ايها الناس ان من زرع قد استحصد واني
قد وليتكم ولن يليكم احد بعدي الا من هو شر مني كما كان من قبلي خيرا مني ويا يزيد اذا وفى دنا اجلي فول غسلي رجلا
لبيبا فان اللبيب من الله بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد الى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب
النبي صلى الله عليه وسلم وقراضة من شعره واظفاره فاستودع القراضة انفي وفمي واذني وعيني و
اجعل الثوب على جلدي دون اكفاني ويا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين فاذا ادرجتموني في جديدتي
ووضعتموني في قبري فخلوا معوية وارحم الراحمين وقال محمد بن عقبة لما نزل بمعوية الموت قال يا ليتني
كنت رجلا من قريش بذي طوى واني لم ال من هذا الامر شيئا ولما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة نظر
الى غسال بجانب دمشق يلوي ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك والله ليتني كنت غسالا اكل
بكسب يدي يوما بيوم ولم ال من امر الناس شيئا فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم اذا حضرهم
الموت يتمنون ما نحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه كيف تجدك
يا امير المؤمنين قال اجدني كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة الاية وقالت فاطمة
بنت عبد الملك امراة عمر بن عبد العزيز كنت اسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول اللهم اخف عليهم موتي ولو
ساعة من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت بيني وبينه باب وهو في قبة
له فسمعته يقول تلك الدار الاخرة نجعلها الاية ثم هدأ فجعلت لا اسمع له حركة ولا كلاما ثم قلت لوصيف
له انظر انائم هو فلما دخل عليه صاح فوثبت فاذا هو ميت وقيل له لما حضره الموت اعهد يا امير المؤمنين قال
احذركم مثل مصرعي هذا فانه لا بد لكم منه وروي انه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب فلما نظر اليه قال
ارى الرجل قد سقي السم ولا امن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال ولا تامن الموت ايضا على من لم يسق السم قال
الطبيب هل احسست بذلك يا امير المؤمنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج يا
امير المؤمنين فاني اخاف ان تذهب نفسك قال ربي خير مذهوب اليه والله لو علمت ان شفائي عند شحمة
اذني ما رفعت يدي الى اذني فتناولته اللهم خر لعمر في لقائك فلم يلبث الا اياما قلائل حتى مات وقيل لما
حضرته الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك يا امير المؤمنين ابشر فقد احيا الله بك سننا واظهر بك عدلا فبكى ثم قال
اليس اوقف فاسال عن امر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي ان لا تقوم بحجتها بين يدي الله
عز وجل الا ان يلقنها الله تعالى حجتها فكيف بكثير مما صنعنا وفاضت عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات و
لما قرب وقت موته قال اجلسوني فاجلسوه فقال انا الذي امرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلاث مرات
ولكن لا اله الا الله ثم رفع راسه فاحد النظر فقيل له في ذلك فقال اني لارى حضرة ما هم بانس ولا جن ثم
قبض ويحكى عن هرون الرشيد انه انتقى اكفانه بيده وكان ينظر اليها ويقول ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه
وفرش المامون رمادا واضطجع عليه ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وكان المعتصم يقول عند

هذا الموت مم

الموت لو علمت ان عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لا باس
عليك يا امير المؤمنين فقال ليس الا هذا لقد ذهبت الدنيا والاخرة وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد
نظر الى صناديق ليبنيه من ياخذها بما فيها ليته كان بعرا وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون
انك لا تغفر لي فكان عمر بن عبد العزيز يعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ولما حكي ذلك للحسن قال اقالها قال
نعم قال عسى

بيان اقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة

ومن بعدهم من اهل التصوف لما حضر معاذا
رضي الله عنه الوفاة قال اللهم اني كنت اخافك فانا اليوم ارجوك اللهم انك تعلم اني لم اكن احب الدنيا وطول البقاء فيها
لجري الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لظما الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر و
لما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه احد فكان كلما افاق من غمرة فتح طرفه ثم قال اللهم اخنقني خنقك فوعزتك
انك تعلم ان قلبي يحبك ولما حضر سلمان رضي الله عنه الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما ابكي جزعا على الدنيا ولكن
عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون بلغة احدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما نظر
في جميع ما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما ولما حضر بلالا الوفاة قالت امراته واحزناه فقال واطرباه غدا
نلقى الاحبة محمدا وحزبه وقيل فتح عبد الله بن المبارك عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ولما حضر
ابرهيم النخعي الوفاة بكى فقيل ما يبكيك قال انتظر من الله رسولا يبشرني بالجنة او بالنار وحضر ابن المنكدر
الوفاة فبكى فقيل ما يبكيك فقال والله ما ابكي لذنب اعلم اني اتيته ولكن اخاف اني اتيت شيئا حسبته هينا
وهو عند الله عظيم ولما حضر عامر بن عبد قيس الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال ما ابكي جزعا ولا حرصا على الدنيا
ولكن ابكي على ما يفوتني من ظما الهواجر وعلى قيام الليل بالشتاء ولما حضر فضيل الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه
وقال وا بعد سفري وقلة زادي ولما حضر ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل راسي على التراب فبكى
نصر فقال ما يبكيك فقال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وانت ذا تموت فقيرا غريبا فقال اسكت فاني سالت
الله تعالى ان يحييني حيوة الاغنياء وان يميتني موت الفقراء ثم قال لقني ولا تعد علي ما لم اتكلم
بكلام ثان وقال عطاء بن يسار تبدى ابليس لرجل عند الموت فقال له نجوت مني فقال له ما امنتك
بعد وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك فقال اية في كتاب الله قوله تعالى انما يتقبل الله من
المتقين ودخل الحسن على رجل يجود بنفسه فقال ان هذا امرا وله لينبغي ان يتقى اخره وان امرا هذا
اخره لينبغي ان يزهد في اوله وقال الجريري كنت عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز
وهو يختم فقلت في هذه الحالة يا ابا القاسم قال ومن اولى بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفتي و
قال رويم حضرت وفاة ابي سعيد الخراز وهو يقول شعر حنين قلوب العارفين الى الذكر وتذكارهم
وقت المناجاة في السر اديرت كؤوس للمنايا عليهم فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذي السكر همومهم جوالة
بمعسكر به اهل ود الله كالانجم الزهر فاجسامهم في الارض قتلى بحبه وارواحهم في الحجب نحو العلى تسري
فما عرسوا الا بقرب حبيبهم وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر وقيل للجنيد ان ابا سعيد الخراز كان كثير
التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب ان يطير روحه اشتياقا وقيل لذي النون عند موته ما تشتهي
قال ان اعرفه قبل موتي بلحظة وقيل لبعضهم وهو في النزع قل الله قال الى متى تقولون لي الله وانا
محترق بالله وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينوري فقدم فقير فقال السلام عليكم هل ههنا
موضع نظيف يمكن للانسان ان يموت فيه فاشاروا اليه بمكان وكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء
وركع ما شاء الله ثم مضى الى ذلك المكان ومد رجليه ومات وكان ابو العباس الدينوري يتكلم

كما لابين صر

ن

لك

مات سلمان صر

فعاله

دهم

وجلس يوماً فصاحت امرأة تواجداً فقال لها موتي فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار فالتفتت
إليه وقالت ها قد مت فوقعت ميتة ويحكى عن فاطمة أخت أبي علي الروذباري قالت لما قرب أجل أخي
علي الروذباري وكان رأسه في حجري فتح عينيه فقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت
وهذا قائل يقول يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها ثم أنشأ يقول شعر
وحقك لا نظرت إلى سواكا بعين مودة حتى أراكا أراك معذبي بفتور لحظ وبالخد المورد من جناكا وقيل
للجنيد قل لا إله إلا الله فقال ما نسيته فأذكره وسأل جعفر بن نصير بكران الدينوري خادم الشبلي ما الذي
رأيت منه عند موته فقال قال علي درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبي أعظم منه ثم
قال وضئني للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك على لسانه فقبض على يدي وأدخلها في
لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة وقيل لبشر بن الحارث
لما احتضر وكان يشق عليه كأنك تحب الحياة فقال القدوم على الله شديد وقيل لصالح بن مسمار الدينوري
ألا توصي بابنك وعيالك فقال إني لأستحيي من الله أن أوصي بهم إلى غيره ولما احتضر أبو سليمان الداراني
أتاه أصحابه فقالوا أبشر فإنك تقدم إلى رب غفور رحيم فقال لهم ألا تقولون احذروا فإنك تقدم على
رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير ولما احتضر الواسطي قيل له أوصنا قال احفظوا مراد الحق فيكم
واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال لها ما يبكيك فقالت عليك أبكي فقال إن كنت باكية فابكي على نفسك
فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة وقال الجنيد دخلت على السري أعوده في مرض موته فقلت كيف تجدك
فأنشأ شعر كيف أشكو إلى طبيبي ما بي والذي بي أصابني من طبيبي فأخذت المروحة لأروحه فقال
كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ثم أنشأ شعر القلب محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع و
الصبر مفترق كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق يا رب إن يك شيء فيه لي فرج
فامنن علي به ما دام بي رمق وحكي أن قوماً من أصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له قل لا إله إلا الله فأنشأ
يقول شعر إن بيتاً أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحجج لا أتاح الله لي
فرجاً يوم أدعو منك بالفرج وحكي أن أبا العباس بن عطاء دخل على الجنيد في وقت نزعه فسلم فلم يجب ثم أجاب
بعد ساعة وقال اعذرني فإني كنت في وردي ثم ولى وجهه إلى القبلة وكبر ومات وقيل للكتاني لما
حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقرب أجلي ما أخبرتكم به وقفت على باب قلبي أربعين سنة فكلما مر فيه
غير الله حجبته وحكي عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه
سكرات الموت فإنه كان وكان فذكرت محاسنه فلما أفاق قال من المتكلم قلت أنا فقال إن ملك الموت يقول
لي إني بكل سخي رفيق ثم طفي ولما حضرت يوسف بن أسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقاً فقال
يا أبا محمد هذا أوان القلق والجزع فقال يا أبا عبد الله وكيف لا أقلق ولا أجزع فإني والله لا أعلم أني صدقت
الله في شيء من عملي فقال حذيفة واعجباً لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله تعالى في
شيء من عمله وعن المغازلي قال دخلت على شيخ من أصحاب هذه القصة وهو عليل فهو يقول يمكنك أن تفعل
ما تريد فارفق بي ودخل بعض المشايخ على ممشاد في وقت وفاته فقال له فعل الله تعالى وصنع من باب الدعاء
فضحك فقال منذ ثلاثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي وقيل لرويم عند الموت قل لا إله إلا الله
فقال لا أحسن غيره ولما حضر النوري الوفاة قيل له قل لا إله إلا الله فقال أليس ثم ودخل المزني على الشافعي رحمهما
الله في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف أصبحت فقال أصبحت من الدنيا راحلاً وللإخوان مفارقاً ولسوء عملي

ملاقياً وبكأس المنية شارباً وعلى الله تعالى وارداً ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أو إلى النار فأعزيها
ثم أنشأ يقول شعر فلما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلما تعاظمني ذنبي فلما
قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما ولولاك
لا يغوي بإبليس عابد وكيف وقد أغوى صفيك آدما فهذه أقاويلهم وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم
فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب فتكلم كل واحد بمقتضى حاله والكل صحيح بالإضافة
إلى أحوالهم ولما حضر أحمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسألة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت أدقه
خمساً وتسعين سنة هو ذا يفتح لي الساعة لا أدري أيفتح بالسعادة أو بالشقاوة فأنى لي أوان الجواب

الباب السادس في أقاويل القادمين على الجنائز والمقابر وعلى علم زيارة القبور

الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير إلا لأهل الغفلة فإنهم لا تزيدهم مشاهدتها إلا قساوة لأنهم
يظنون أنهم أبداً إلى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون أو يحسبون ذلك و
لكنهم على القرب لا يقدرونه ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز كلهم هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم و
انقرض على القرب زمانهم فلا ينظرن عبد إلى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولاً عليها فإنه محمول عليها على القرب
وكأن قد ولعله في غد أو بعد غد ويروى عن أبي هريرة أنه كان إذا رأى جنازة قال امضوا فإنا على الأثر وكان مكحول
الدمشقي إذا رأى جنازة قال اغدوا فإنا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول والآخر لا
عقل له وقال أسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر إليه و
لما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى أعلم إلى ما ذا صرت
ولا أعلم ما دمت حياً وقال الأعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا
نشهد الجنائز فلا نرى إلا متقنعاً باكياً فهكذا كان خوفهم من الموت والآن لا ننظر إلى جماعة يحضرون جنازة
إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر أقرانه إلا في الحيلة التي بها
يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر منهم إلا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله إذا حمل عليها ولا سبب لهذه
الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والأهوال
التي بين أيدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فإن أحسن
أحوال الحاضرين بكاؤهم على الجنائز على الميت ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على الميت نظر إبراهيم الزيات إلى
أناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيراً لكم إنه نجا من أهوال ثلاثة ملك الموت
قد رأى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد أمن وقال أبو عمرو بن العلاء جلست إلى جرير وهو يملي على كاتبه شعراً
فاطلعت جنازة فأمسك فقال شيبتني والله هذه الجنائز وأنشأ يقول شعر تروعنا الجنائز مقبلات
ونلهو حين تذهب مدبرات كروعة ثلة لمغار ذئب فلما غاب عادت راتعات فمن آداب حضور
الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي أمامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابه وسننه في الفقه ومن آدابه
حسن الظن بالميت وإن كان فاسقاً وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح فإن الخاتمة مخطرة لا يدرى
حقيقتها ولذلك روي عن عمر بن ذر أنه مات واحد من جيرانه فكان مسرفاً على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته
فحضرها هو وصلى فلما أدلي في قبره وقف على قبره فقال يرحمك الله يا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت
وجهك بالسجود وإن قالوا مذنب وذو خطايا ويحكى أن رجلاً من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة
فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته إذ لم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملتها إلى

المصلى فما صلى عليها احد فحملها الى الصحرا لدفنها فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرآها كالناس
كالمنتظر للجنازة فقصد ان يصلي عليها فانتشر الخبر في البلد بان الزاهد نزل ليصلي على فلان فخرج اهل
البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلوة الزاهد عليه فقال لهم قيل لي في المنام انزل الى الموضع
فلان ترى فيه جنازة ليس معها الا امراة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امراته
وسالها عن حاله وانه كيف كان سيرته قالت كما عرفت فكان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال
انظري هل تعرفين منه شيئا من اعمال الخير قالت نعم ثلاثة كان كل يوم يفيق عن سكره وقت الصبح فيبدل
ثيابه ويصلي الصبح بالجماعة ثم يعود الى الفسق في الماخور والثاني انه ابدا لا يخلو بيته عن يتيم ويتيمين فكان
احسانه اليهم اكثر من احسانه الى اولاده وكان شديدا التفقد لهم والثالث انه كان يفيق في اثناء سكره في ظلام
الليل فيبكي ويقول يا رب اي زاوية من زوايا جهنم تريد ان تملاها بهذا الخبيث ويعني به نفسه فانصرف الزاهد
وقد ارتفع اشكاله وعن صلة بن اشيم وقد حفر له قبر فقال لعلي قبره فانتبه منها نفخ من ذي عظمة والافا في الاالك
ناجيا **بيان حال المقبرة** وما قيل فيها على القبور قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس قال
من لم ينس القبر والبلى وترك افضل زينة الدنيا واثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من
اهل القبور وقيل لعلي كرم الله وجهه ما شانك جاورت المقبرة فقال اني اجدهم خير جيران اني اجدهم جيران
صدق يكفون الالسنة ويذكرون الاخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايت منظرا الا والقبر
افظع منه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقابر فجلس الى قبر فكنت
ادنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك يا رسول الله قال هذا قبر امي امنة بنت وهب
استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي فاستاذنته في ان استغفر لها فابى علي فادركني ما يدرك الولد من الرقة و
كان عثمن بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار
فلا تبكي وتبكي اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر اول منزل من منازل
الاخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج فما بعده اشد وقيل ان عمرو بن العاص مر بالمقبرة فنزل و
صلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه فقال ذكرت اهل القبور وما حيل بينهم وبينه فاحببت ان اتقرب
الى الله سبحانه بهما وقال مجاهد اول ما يكلم ابن آدم حفرته يقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة
وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فماذا اعددت لي وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في
قبري وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في ذلك فقال اقعد الى قوم يذكروني معادي وان قمت
لم يغتابوني وكان جعفر بن محمد رضي الله عنهما ياتي القبور ليلا ويقول يا اهل القبور ما لي اذا دعوتكم
لا تجيبوني ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابي وكاني اكون مثلهم ثم يستقبل الصلوة الى طلوع الفجر وقال
عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد ارقت الليلة البارحة تفكرا في القبر وساكنه انك لو رايت الميت
بعد ثلاثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس به ولرايت بيتا تجول فيه الهوام مع تغير الريح وبلى
الاكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب قال ثم شهق شهقة وخر مغشيا عليه وكان يزيد الرقاشي
يقول ايها المقبور في حفرته المتخلي بوحدته المستانس في بطن الارض باعماله ليت شعري باي اعمالك استبشرت
وباي اخوانك اغتبطت ثم يبكي حتى يبل لحيته ويقول استبشر والله باعماله الصالحة واغتبط
والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان اذا نظر الى القبور خار كما يخور الثور وقال
حاتم الاصم من مر بالمقابر ولم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول

يا ابناه لسنك كثير لي عمها وان كان لا يفك في القبور حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه دهبلا وقال يحيى بن معاذ
يا ابن آدم كما ك الى دار السلام فانظر من اين تخطيها ان اجبته من دينك واشتغلت بالرحلة اليه وخلفها ان
اجبته من فراق منعهما وكان الحسن بن صالح اذا اشرف على المقابر يقول ما احسن ظواهرك انما الدواهي
في بواطنك وكان عطاء السلمي اذا جن عليه الليل خرج الى المقبرة فوقف ثم يقول يا اهل القبور متم فوا
وعاينتم فراعماه ثم يقول غدا عطاء في القبور فلا يزال يردد ذلك دابه حتى يصبح وقال سفيان من اكثر
ذكر الموت وجد له روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النيران وكان الربيع
بن خثيم قد حفر في داره قبرا فكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول
رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت يرددها ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل وقال احمد
بن حرب يتعجب الارض من رجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم فيقول يا ابن آدم لا تذكر طول بلاك وما
بيني وبينك شيء وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم
اقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور ابائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم اما تراهم صرعى
قد حلت بهم المثلات والحكم فيهم البلى واصابت الهوام مقيلا في ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن
صار الى هذه القبور وقد امن من عذاب الله وقال ثابت البناني دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها
فاذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يغرنك صموت اهلها فكم من نفس مغمومة فيها وروي ان فاطمة بنت
الحسين نظرت الى جنازة زوجها الحسن بن الحسين فغطت وجهها وقالت **شعر** وكانوا رجاء ثم اسوا رزية
لقد عظمت تلك الرزايا وجلت وقيل انها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة
قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا وسمعوا من الجانب الاخر
بل يئسوا فانقلبوا وروى ابو سهل البيتي توفيت امراة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن
فقال له الحسن يا ابا فراس ماذا اعددت لهذا اليوم فقال شهادة ان لا اله الا الله منذ ستين سنة فلما دفنها
قام الفرزدق على قبرها فقال **شعر** اخاف وراء القبر ان لم يعافني اشد من القبر التهابا واضيقا اذا
جاء في يوم القيامة قائد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا لقد خاب من اولاد آدم من مشى الى النار مغلول
القلادة ازرقا وانشد واقف اهل القبور قف على القبور وقل في ساحاتها من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قعرها قد ذاق برد الامن من روعاتها اما السكون لذي القبور فواحد لا يستبين الفضل في درجاتها
لو جاوبوك فلجروك بالسن تصف الحقائق بعدهم من حالاتها اما المطيع فنازل في روضة يفضي الى ما شاء من دوحاتها
والمجرم الطاغي بها متقلب في حفرة ياوي الى حياتها وعقارب تسعى اليه فروحه في شدة التعذيب من لدغاتها
ومر داود الطائي على امراة تبكي على قبر وهي تقول عدمت الحيوة ولا نلتها اذا انت في القبر قد الحدكا
فكيف اذوق طعم الكرى وانت بيمناك قد وسدكا ثم قالت يا ابناه ليت شعري باي خديك بدا الدود فصعق
داود مكانه وخر مغشيا عليه وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فانشات اقول **شعر** اتيت القبور فناديتها
فاين المعظم والمحتقر واين المدل بسلطانه واين المزكي اذا ما افتخر قال فنوديت من بينهم اسمع صوتا ولا ارى شخصا و
هو يقول تفانوا جميعا وما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر تروح وتغدو بنات الثرى وتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلي عن اناس مضوا اما لك فيما ترى معتبر قال فرجعت وانا باكي حزين من ذلك **ابيات** وجدت
مكتوبة على القبور وجد على قبر مكتوب **شعر** تناجيك اجداث وهن سكوت وسكانها تحت التراب خفوت
ايا جامع الدنيا لغير بلاغه لمن تجمع الدنيا وانت تموت وعلى قبر اخر ايا غانم اما ذراك فواسع وقبرك معمور الجوانب محكم و

وما ينفع المقبور عمران قبره اذا كان فيه جسمه يتهدم ⁂ وقال ابن السماك مررت بالمقابر فاذا على قبر مكتوب
تمر اقاربي جنبات قبري كأن اقاربي لم يعرفوني ⁂ ذوو الميراث يقتسمون مالي وما يألون ان جحدوا ديوني
وقد اخذوا سهامهم وعاشوا فيا لله اسرع ما نسوني ⁂ ووجد على قبر مكتوبا ⁂ ان الحبيب من الاحباب مختلس
لا يمنع الموت بواب ولا حرس ⁂ فكيف تفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه اللفظ والنفس اصبحت يا غافلا
في النقص منغمسا وانت دهرك في اللذات منغمس ⁂ لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ولا الذي كان منه العلم يقتبس
كم اخرس الموت في قبر وقفت به عن الجواب لسانا ما به خرس ⁂ قد كان قصرك معمورا له شرف فقبرك الآن في الاجداث
مندرس ⁂ ووجد مكتوبا على قبر آخر ⁂ وقفت على الاحبة حين صفت قبورهم كافراس الرهان
فلما ان بكيت وفاض دمعي رأت عيناي بينهم مكاني ⁂ ووجد على قبر طبيب مكتوبا ⁂ قد قلت لما قال لي قائل
قد صار لقمان الى رمسه فاين ما يوصف من طبه وحذقه في الماء مع جسه ⁂ هيهات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه
ووجد على قبر آخر مكتوبا ⁂ يا ايها الناس كان لي امل قصر بي عن بلوغه الاجل فليتق الله ربه رجل امكنه في حياته
العمل ما انا وحدي نقلت حيث ترى كل الى مثله سينتقل ⁂ فهذه ابيات كتبت على القبور لتقصير سكانها عن
الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذي ينظر الى قبر غيره فيرى مكانه بين اظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم انهم لا يبرحون
من مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق انه لو عرض عليهم يوم واحد من ايام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك احب اليهم من الدنيا
بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشفت لهم حقائق الامور فانما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به
تقصيره فيتخلص من العقاب وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم
على ساعة من الحيوة وانت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على امثالها ثم انت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على
تضييعها عند خروج الامر عن الاختيار اذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رأيت
اخا لي في الله فيما يرى النائم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لان اقدر على ان اقولها اعني الحمد لله احب
الي من الدنيا وما فيها ثم قال الم تر حيث كانوا يدفنونني فان فلانا قد قام فصلى ركعتين لان اكون اقدر على ان اصليهما احب
الي من الدنيا وما فيها ⁂ بيان اقاويلهم عند موت الولد ⁂ حق على من مات ولده او قريب من اقاربه ان ينزله في تقدمه
عليه في الموت منزلة ما لو كانا في السفر فسبقه ولده الى البلد الذي هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه
بانه لاحق به على القرب وليس بينهما الا تقدم وتأخر وهكذا الموت فان معناه السبق الى الوطن الى ان يلحق المتأخر
واذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يعزى به كل مصاب قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأن اقدم سقطا احب الي من ان اخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله وانما ذكر السقط
تنبيها بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب قال زيد بن اسلم توفي ابن لداود على
نبينا وعليه الصلوة والسلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الارض ذهبا قيل
له فان لك من الاجر مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد
فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم او اثنان قال واثنان وليخلص
الوالد الدعاء لولده عند الموت فانه ارجى دعاء واقرب الى الاجابة وقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال
اللهم اني اصبحت ارجوك له واخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي ووقف ابو سنان على قبر ابنه فقال اللهم اني
وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام ابوه عمر بن
ذر بعد ما وضع في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ما قلت وما قيل
لك ثم قال اللهم ان هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته اجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت الزمته طاعتك

وطاعتي اللهم وما وعدتني عليه من الاجر في مصيبتي فقد وهبت لك ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فابكى الناس
ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا الى انسان مع الله حاجة فلقد مضينا وتركناك
ولو اقمنا ما نفعناك ونظر رجل الى امرأة بالبصرة فقال ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك الا من قلة
الحزن فقالت يا عبد الله اني لفي حزن ما يشركني فيه احد قال وكيف قالت ان زوجي ذبح شاة في يوم الاضحى
وكان لي صبيان مليحان فقال الاكبر منهما للآخر اريك كيف ذبح ابي الشاة قال نعم فاخذه وذبحه فما شعرنا به الا
متشحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ الى الجبل فرهقه ذيب فاكله وخرج ابوه يطلبه فمات
عطشا من شدة الحر قالت فافردني الدهر كما ترى فامثال هذه المصائب ينبغي ان يتذكر عند موت الاولاد ليتسلى به
عن شدة الجزع فما من مصيبة الا ويتصور ما هو اعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الاكثر ⁂ بيان
زيارة القبور والدعاء للميت ⁂ وما يتعلق به ⁂ زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار
وزيارة قبور الصالحين محبوبة لاجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن
زيارة القبور ثم اذن فيه فقد روي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت
نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان في زيارتها تذكرة للآخرة غير ان لا تقولوا هجرا وزار رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبر امه في الف مقنع فلم ير باكيا اكثر من يومئذ وعند ذلك قال اذن لي في الزيارة دون الاستغفار
كما رويناه من قبل وقال ابن ابي مليكة اقبلت عائشة رضي الله عنها يوما من المقابر فقلت يا ام المؤمنين من اين
اقبلت قالت من قبر اخي عبد الرحمن فقلت اليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم امر بها ولا
ينبغي ان يتمسك به فيؤذن للنساء في الخروج الى المقابر فانهن يكثرن الهجر على رؤس المقابر فلا يفي خير زيارتهن
بشرها ولا يخلون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظائم والزيارة سنة فكيف يحتمل لاجلها ذلك نعم لا بأس بخروج
النساء في ثياب بذلة ترد اعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر
وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فان في معالجة
جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين في ظل الله وقال ابن ابي مليكة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا موتاكم وسلموا عليهم وصلوا عليهم فان لكم فيهم عبرة وعن نافع ان ابن عمر
كان لا يمر بقبر واحد الا وقف عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن ابيه رضي الله عنهما ان فاطمة بنت النبي
صلى الله عليه وسلم ورضي عنها كانت تزور قبر عمها حمزة في الايام فتصلي وتبكي عنده وقال النبي صلى الله عليه
وسلم من زار قبر ابويه او احدهما في كل جمعة غفر له وكتب بارا وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله تعالى من البارين وقال صلى الله عليه
وسلم من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي وقال صلى الله عليه وسلم من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا
وشهيدا يوم القيامة وقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم
ويصلون على النبي حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج في سبعين
الفا من الملائكة يوقرونه والمستحب في زيارة القبور ان يقف مستدبر القبلة مستقبلا بوجهه الميت وان يسلم ولا يمسح
القبر ولا يقبله ولا يمسه فان ذلك من عادة النصارى قال نافع كان ابن عمر رأيته مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول
السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي وينصرف وعن ابي امامة قال رأيت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى
الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقالت
عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استأنس به ورد عليه السلام

حتى يقوم وقال سليمان بن سحيم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم قلت يا رسول الله هؤلاء الذين
ياتونك ويسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وقال ابو هريرة اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه
رد عليه السلام وقال رجل من آل عاصم الجحدري رايت عاصما الجحدري في منامي بسنتين فقلت اليس قد مت
قال بلى قلت فاين انت قال انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها
الى بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى اخباركم قلت اجسامكم ام ارواحكم فقال هيهات بليت الاجسام وانما
تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى
طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع يزور يوم
الجمعة فقيل له لو اخرت الى الاثنين فقال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال
الضحاك من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل له وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة وقال
بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبان فيشهد الصلوة على الجنائز فاذا امسى وقف
على باب المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على
هذه الكلمات قال الرجل فامسيت ذات ليلة فانصرفت الى اهلي ولم آت المقابر فادعو كما كنت ادعو فبينا
انا نائم اذا انا بخلق كثير قد جاءوني فقلت من انتم وما حاجتكم قالوا نحن اهل المقابر قلت وما جاء
بكم قالوا انك كنت عودتنا منك هدية عند انصرافك الى اهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت
تدعو قلت فاني اعود لذلك فما تركتها بعد وقال بشار بن غالب النجراني رايت رابعة العدوية العابدة
في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت يا بشار بن غالب هداياك تاتينا على اطباق من نور مخمرة بمناديل
الحرير ثم اتى بها الميت فقال قلت وكيف ذلك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الاحياء اذا دعوا للمؤمنين
الموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على اطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم اتى به الميت فقيل هذه هدية
فلان اليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الميت في قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه
من ابيه او اخيه او صديق له فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحياء للاموات الدعاء و
الاستغفار وقال بعضهم مات اخ لي فرايته في المنام فقلت ما كان حالك حيث وضعت في قبرك قال اتاني
آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لي لرايت انه سيضربني به فنعوذ بالله من هذا ويستحب تلقين الميت بعد الدفن
والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الازدي شهدت ابا امامة الباهلي وهو في النزع فقال يا سعيد اذا انا مت
فاصنعوا بي كما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا مات احدكم فسويتم عليه التراب فليقم احدكم على راس
قبره ثم يقول يا فلان بن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثانية فانه يستوي قاعدا ثم
ليقل يا فلان بن فلانة فانه يقول ارشدنا رحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له اذكر العهد الذي خرجت عليه
من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله
عليه وسلم نبيا وبالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا ياخذ كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما نقعد عند هذا وقد لقن
حجته ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم امه قال فلينسبه الى حواء ولا باس بقراءة
القرآن على القبر روي عن علي بن موسى الحداد قال كنت مع احمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن
الميت جاء رجل اعمى يقرا عند القبر فقال له احمد يا هذا ان القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر
قال محمد بن قدامة لاحمد يا ابا عبد الله ما تقول في مبشر بن اسمعيل الحلبي قال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا قال
نعم قال اخبرني مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن ابيه انه اوصى اذا دفن ان يقرا عند راسه فاتحة البقرة وخاتمتها

Margin notes (right page): نعيم خ — ضريح خ — مبشر بن خ صح

وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له احمد فارجع الى الرجل فقل له يقرا وقال محمد بن احمد المروزي سمعت احمد
يقول اذا دخلتم المقابر فاقرءوا فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله احد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر فانه
يصل اليهم وقال ابو قلابة اقبلت من الشام الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت
راسي على قبر فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب القبر يشتكيني يقول لقد آذيتني منذ الليلة قال ثم قال انكم لا تعلمون و
نحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال للركعتين اللتين ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله عنا اهل الدنيا
خيرا اقرئهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم نور امثال الجبال فالمقصود من زيارة القبور للزائر
الاعتبار وللمزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغي ان يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به وانما يحصل
له الاعتبار بان يصور في قلبه الميت كيف تفرقت اجزاؤه وكيف يبعث من قبره وانه على القرب سيلحق به كما روي
عن مطرف بن ابي بكر الهذلي قال كانت عجوز في بني عبد القيس متعبدة فكانت اذا جاء الليل تحزمت ثم قامت
الى المحراب واذا جاء النهار خرجت الى القبور فبلغني انها عوتبت في كثرة اتيانها الى المقابر فقالت ان القلب
القاسي اذا جفا لم يلينه الا رسوم البلى واني لآتي القبور فكاني انظر الى الموتى وقد خرجوا من بين اطباقها وكاني
انظر الى تلك الوجوه المتعفرة والى تلك الاجسام المتغيرة والى تلك الاكفان الدسمة فيا لها من نظرة لو اشربها
العباد قلوبهم ما انكل مرارتها للانفس واشد تلفها للابدان بل ينبغي ان يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد
العزيز حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لو رايتني بعد ثلث وقد
دخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان على الاسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح
الفم ونتا البطن فعلا على الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرايت اعجب مما تراه
الآن ويستحب الثناء على الميت وان لا يذكر الا بالجميل قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات
صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم افضوا الى ما قدموا وقال
صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير ان يكونوا من اهل الجنة تاثموا وان يكونوا من اهل النار فحسبهم
ما هم فيه وقال انس بن مالك مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاثنوا عليه شرا فقال
صلى الله عليه وسلم وجبت ومر باخرى فاثنوا عليها خيرا فقال وجبت فسال عمر عن ذلك فقال انه هذا اثنيتم
عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وانتم شهداء الله في الارض وقال ابو هريرة قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليموت فيثني عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى لملائكته
اشهدكم اني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي

الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور ببيان حقيقة الموت

اعلم ان للناس في حقيقة
الموت ظنونا كاذبة اخطاوا فيها فظن بعضهم ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وان
موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا راي الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وظن
قوم انه ينعدم بالموت ولا يتالم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر الى ان يعاد في وقت الحشر وقال آخرون
ان الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هي الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث و
لا تحشر اصلا وكل هذه الظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي يشهد له طريق الاعتبار وتنطق به الآيات و
الاخبار ان الموت تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة او منعمة ومعنى مفارقتها
للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء آلات الروح تستعملها حتى انها لتبطش
باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح فالروح تعلم

Margin notes (left page): ابن صح — بلغني ان صح

الاشياء بنفسها من غير آلة وكذلك تتألم بنفسها بانواع الحزن والغم والكمد وتتنعم بانواع الفرح والسرور و
كل ذلك لا يتعلق بالاعضاء فكل ما هو وصف الروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو
لها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد الى ان يعاد الروح الى الجسد ولا يبعد ان يعاد الى الجسد في
القبر ولا يبعد ان يوخر الى يوم البعث والله اعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل
الاعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في بعض الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فيكون الروح العالمة
العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الاعضاء وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن استعصاء
الاعضاء كلها فكل الاعضاء آلات للروح وهي المستعملة لها واعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم و
آلام الغموم ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم يبطل منها العلوم والادراكات ولا بطل منها قبولها
للالام واللذات فالانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللالام واللذات وذلك لا يموت اي لا ينعدم
ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن ان يكون آلة له مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الاعضاء
كلها وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهي باقية نعم تغير حاله من جهتين احدهما انه سلب منه عينه واذنه
ولسانه ويده ورجله وسائر اعضائه وسلب منه اهله وولده واقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله
ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر املاكه ولا فرق بين ان يسلب هذه الاشياء من الانسان وبين
ان يسلب الانسان من هذه الاشياء فان المولم هو الفراق والفراق يحصل تارة بان ينهب مال الرجل وتارة
بان يسبى الرجل عن المال والالم واحد في الحالتين وانما معنى الموت سلب الانسان عن امواله بازعاجه الى عالم
آخر لا يناسب هذا العالم فان كان له في الدنيا شيء يانس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره
عليه بعد الموت ويصعب شقاوه في مفارقته بل يلتفت قلبه الى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص
كان يلبسه مثلا ويفرح به وان لم يكن يفرح الا بذكر الله ولم يانس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلي بينه
بين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل اذ جميع اسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله فهذا احدى جهتي المخالفة
بين حال الموت وحال الحيوة والثاني انه ينكشف له بالموت ما لم يكن له مكشوفا في الحيوة كما ينكشف للمتيقظ ما لم
يكن مكشوفا في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واول ما ينكشف له ما يضره وما ينفعه من حسناته وسيئاته
وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت
الشواغل انكشف له جميع اعماله فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر عليها تحسرا يوثر ان يخوض غمرة النار للخلاص من
تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس
قبل الدفن ويشتعل فيه نيران الفراق اعني فراق ما كان يطمئن اليه من هذه الدنيا الفانية دون ما اراد منها لاجل
الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه
وهذا حال من لم ياخذ من الدنيا الا بقدر الضرورة وكان يود ان ينقطع ضرورته ليستغني عنه فقد حصل ما كان
يوده واستغنى عنه وهذه انواع من العذاب والالام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم بعد الدفن قد يرد روحه الى
الجسد لنوع آخر من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك
من الملوك في داره وملكه وحريمه اعتمادا على ان الملك يتساهل في امره او على ان الملك ليس يدري بما يتعاطاه
من قبيح افعاله فاخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة و
خطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت الى من يتشفع اليه
في العصاة عليه فانظر الى حال هذا الماخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة

والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن اليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته نعوذ بالله منه
فان الخزي والافتضاح وهتك الستر اعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما فهذه اشارة
الى حال الميت عند الموت شاهدها اولو البصائر بمشاهدة باطنة اقوى من مشاهدة العين ويشهد له شواهد
الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحيوة ومعرفة حقيقة الحيوة بمعرفة
حقيقة الروح في نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم يوذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتكلم فيه ولا ان
يزيد على ان يقول قل الروح من امر ربي فليس لاحد من علماء الدين ان يكشف عن سر الروح وان اطلع عليه وانما المأذون
فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها آيات واخبار كثيرة
اما الآيات فما ورد في الشهداء قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الآية ولما قتل صناديد بدر ناداهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان يا فلان اني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم
حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم
الا انهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص في بقاء روح الاشقياء وبقاء ادراكها ومعرفتها والآية نص في ارواح
الشهداء ولا يخلو الميت عن شقاوة او سعادة وقال صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من
رياض الجنة وهذا نص صريح فان الموت معناه تغير حال فقط وما يكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند
الموت من غير تاخر وانما يتاخر بعض انواع العذاب والثواب دون اصله وروى انس بن مالك عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات احدكم عرض عليه مقعده
غدوة وعشية ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار فيقال هذا مقعدك حتى تبعث اليه
يوم القيامة وليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم في الحال وعن ابي قيس قال كنا مع علقمة في جنازة
فقال اما هذا فقد قامت قيامته وقال علي رضي الله عنه حرام على نفس ان تخرج من الدنيا حتى تعلم من اهل الجنة ام
من اهل النار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا ووقي فتان
القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة وقال مسروق ما غبطت احدا ما غبطت مؤمنا في اللحد قد استراح من نصب
الدنيا وامن من عذاب الله وقال يعلى بن الوليد كنت امشي يوما مع ابي الدرداء فقلت له ما تحب لمن تحب قال الموت قلت
فان لم يمت قال يقل ماله وولده وانما احب الموت لانه لا يحبه الا المؤمن والموت اطلاق للمؤمن من السجن وانما احب
قلة المال والولد لانه فتنة وسبب للانس بالدنيا والانس بما لا بد من فراقه غاية الشقاوة فكل ما سوى الله
وذكره والانس به فلا بد من فراقه عند الموت ولهذا قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما انما مثل المؤمن حين يخرج
نفسه وروحه مثل رجل كان في سجن فاخرج منه فهو يتفسح في الارض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكرناه حال من تجافى
عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له انس الا بذكر الله وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات توذيه
فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به انسه من غير عائق ولا دافع وما اجدر
ذلك بان يكون منتهى النعيم واللذات واكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لانهم ما اقدموا على القتال
الا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين الى لقاء الله راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا
فقد باعها طوعا بالآخرة والبائع لا يلتفت قلبه الى المبيع وان نظر الى الآخرة فقد اشتراها وتشوق اليها فما اعظم فرحه
بما اشتراه اذا رآه وما اقل التفاته الى ما باعه اذا فارقه وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق في بعض الاحوال
ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير والقتال سبب الموت وكان سببا لادراك الموت على مثل هذه الحالة فلهذا
عظم فيه النعيم اذ معنى النعيم ان ينال الانسان ما يريده قال الله تعالى ولهم فيها ما يشتهون فكان هذا اجمع لمعاني

الجنة واعظم العذاب اه منع الانسان عن مراده كما قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا الجمع
عبارة لعقوبات جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه من غير تاخير فهذا امر انكشف
لارباب القلوب بنور اليقين وان اردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع احاديث الشهداء يدل عليه وكل
حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة اخرى فقد روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر يا جابر الا ابشرك بالخير قال ان الله تعالى احيى اباك فاقعده بين
يديه فقال تمنّ علي يا عبدي ما شئت اعطكه قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك اتمنى عليك ان تردني
الى الدنيا فاقاتل مع نبيك صلى الله عليه وسلم فاقتل فيك مرة اخرى فقال انه سبق القضاء مني انهم
لا يرجعون وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له لم تبكي وانت في الجنة قال ابكي اني لم اقتل في سبيل
الله الا قتلة واحدة وكنت اشتهي ان ارد الى الدنيا فاقتل فيه قتلات في الدنيا واعلم ان المؤمن ينكشف
له عقيب الموت من سعة جلال الله تعالى ما يكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله
كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف لا يبلغ البصر اقصاه فيه انواع الازهار
والاشجار والطيور والثمار فلا يشتهي العود الى السجن المظلم وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
له مثلا فقال لرجل مات اصبح هذا من الدنيا مرتحلا وترك لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى
الدنيا كما لا يسر احدكم ان يرجع الى بطن امه فعرفك بهذا ان نسبة سعة الآخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى
ظلمة الرحم وقال صلى الله عليه وسلم ان مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا خرج من بطنها بكى
على مخرجه حتى اذا راى الضوء لم يحب ان يرجع الى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا افضى الى ربه لم
يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا
مات فقال مستريح او مستراح منه اشار بالمستريح الى المؤمن وبالمستراح منه الى الكافر اذ يستريح اهل
الدنيا منه وقال ابو عمر صاحب السقيا مر بنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر الى قبر فاذا بجمجمة بادية فامر
رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها هذا الثرى شيئا وانما الارواح التي تعاقب وتثاب
الى يوم القيامة وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم ليغسلونه
ويكفنونه وانه لينظر اليهم وقال مالك بن انس بلغني ان ارواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت وقال
النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول الا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب تمور
في جوها فالله الله في اخوانكم من اهل القبور فان اعمالكم تعرض عليهم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تفضحوا موتاكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم من اهل القبور ولذلك قال ابو الدرداء
اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله بن رواحة وكان قد مات وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو
بن العاص عن ارواح المؤمنين اذا ماتوا اين هي قال في صور طير بيض في ظل العرش وارواح الكافرين في
الارض السابعة وقال ابو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يعرف من يغسله
ويحمله ومن يدليه في قبره وقال صالح المري بلغني ان الارواح تتلاقى عند الموت فتقول ارواح الموتى للروح
التي تخرج اليهم كيف كان ماواك وفي اي الجسدين كنت في طيب او خبيث وقال عبيد بن عمير اهل القبور يتوكفون
الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول الم ياتكم او ما قدم عليكم فيقولون انا لله وانا
اليه راجعون سلك به غير سبيلنا وعن جعفر بن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل
الغائب وقال مجاهد ان الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره وروى ابو ايوب الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا فيقولون انظروا
اخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسالونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة
فاذا سالوه عن رجل مات قبله فقال مات قبلي قالوا انا لله ذهب به الى امه الهاوية

بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى

اما بلسان المقال او بلسان الحال التي هي افصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم
الاحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي الم
تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي اذ كنت تمر بي فذادا فان كان مصلحا اجاب
عنه مجيب القبر فيقول ارايت ان كان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر اني اذا اتحول عليه خضرا ويعود
جسمه نورا وتصعد روحه الى الله والفذاد هو الذي يقدم رجلا ويؤخر اخرى كذلك فسره الراوي وعن
عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت الا نادته حفرته التي يدفن فيها انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان
كنت في حياتك مطيعا لله كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا فانا اليوم عليك نقمة انا الذي من دخلني مطيعا
خرج مني مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مني مثبورا وقال محمد بن صبيح بلغني ان الرجل اذا وضع في قبره
فعذب او اصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى ايها المتخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه اما كان لك
فينا معتبر اما كان لك في تقدمنا اياك فكرة اما رايت انقطاع اعمالنا عنا وانت في المهلة فهلا استدركت ما فات
اخوانك وتناديه بقاع الارض ايها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من اهلك في بطن الارض ممن
غرته الدنيا قبلك ثم سبق به اجله الى القبور وانت تراه محمولا تهاداه احبته الى المنزل الذي لا بد له منه وقال يزيد
الرقاشي بلغني ان الميت اذا وضع في قبره احتوشته اعماله ثم انطقها الله فقالت ايها العبد المنفرد في حفرته
انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا انيس لك اليوم عندنا وقال كعب اذا وضع العبد الصالح في القبر
احتوشته الاعمال الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فيقول
الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد اطال بي القيام لله عليهما فياتونه من قبل راسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه
فقد اطال ظماه لله في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فياتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد انصب
نفسه واتعب بدنه وحج وجاهد لله لا سبيل لكم عليه قال فياتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي
فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت
حيا وطبت ميتا قال وتاتيه ملائكة الرحمة فيفرشون له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد
بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره وقال عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة
بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء الا قبره يقول
ويحك يا ابن آدم اليس قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي فما اعددت لي

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

قال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة رجل من الانصار
فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا راسه ثم قال اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال
ان المؤمن اذا كان في قبل من الآخرة بعث الله تعالى ملائكة كان وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره
فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت ابواب السماء فليس منها باب
الا يحب ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قيل اي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من
الكرامة فاني عهدت اليهم منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك
وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم قال فينتهرانه انتهارا شديدا

وهي لحوقه تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد ان صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة من ربك وجنات فيها
نعيم مقيم فيقول وانت بشرك الله بخير من انت فيقول انا عملك الصالح والله ما علمت ان كنت لسريعا في طاعة الله بطيئا
عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادي مناد ان افرشوا له من فراش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له فرش من
الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال صلى الله عليه وسلم واما
الكافر فانه اذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار و
سرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وغلقت
ابواب السماء فليس منها باب الا ويكره ان تدخل روحه منه فاذا صعد بروحه قيل اي رب عبدك فلان
لم تقبله ارض ولا سماء فيقول ارجعوه واروه ما اعددت له من الشر اني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم
وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري
فيقال لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول ابشر بسخط من الله وبعذاب اليم مقيم
فيقول بشرك الله بشر من انت فيقول انا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا في معصية الله بطيئا في طاعة الله فجزاك الله
شرا فيقول وانت فجزاك الله شرا ثم يقيض له اصم اعمى ابكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على ان
ينقلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضربه بها
بين عينيه ضربة يسمعها من على الارض سوى الثقلين قال ثم ينادي مناد ان افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا
الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن علي ما من ميت يموت الا مثل له عند
الموت اعماله الحسنة واعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيئاته وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان المؤمن اذا احتضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك ومنابر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة
من العجين ويقال يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي راضية مرضية الى روح الله وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت
على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر اتته الملائكة بمسح
فيه جمرة فينزع روحه انتزاعا شديدا ويقال يا ايتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله
وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وان لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب بها الى سجين وعن
محمد بن كعب القرظي انه قال كان يقرأ قوله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت
قال اي شيء تريد في اي شيء ترغب اتريد ان ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشق الانهار
قال لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال يقول الجبار كلا انها كلمة هو قائلها اي ليقولنها عند الموت وقال ابو هريرة قال
النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعين ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر
ليلة البدر هل تدرون فيما ذا انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط
عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس يخدشونه ويلحسونه
وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغي ان يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان اعداد هذه العقارب
والحيات بعدد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات المذمومة فان
لها اصولا معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها الى اقسام وتلك الصفات باعيانها هي المهلكات
وهي باعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما
يؤذي ايذاء الحية وارباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها الا

ان مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة فامثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة واسرار خفية ولكنها
عند ارباب البصائر واضحة فمن لم ينكشف له حقائقها فلا ينبغي ان ينكر ظواهرها بل اقل درجات
الايمان التصديق والتسليم فان قلت فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيئا من ذلك
فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك ثلاث مقامات في التصديق بامثال هذا احدها
وهو الاظهر والاصح والاسلم ان تصدق بانها موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد
فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت اما
ترى الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بانه عليه الصلاة و
السلام يشاهده فان كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح الايمان بالملائكة والوحي اهم لك وان آمنت به و
جوزت ان يشاهد النبي ما لا تشاهده الامة فكيف لا تجوز هذا في الميت وكما ان الملك لا يشبه الا
الآدميين والحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي من جنس
آخر وتدرك بحاسة اخرى المقام الثاني ان تتذكر امر النائم وانه قد يرى في النوم حية تلدغه وهو
يتألم بذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى
به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه حية والحية موجودة
في حقه والعذاب حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد واذا كان العذاب في الم اللدغ فلا فرق بين حية
تتخيل او تشاهد المقام الثالث انك تعلم ان الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها هو السم ثم السم ليس
هو الالم بل عذابك في الاثر الذي يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الاثر من غير سم لكان
العذاب قد توفر ولا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان يضاف الى السبب الذي يفضي اليه في
العادة فانه لو خلق في الانسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يكن تعريفها الا بالاضافة
اليه فيكون الاضافة للتعريف بالسبب ويكون ثمرة السبب حاصلة وان لم تحصل صورة السبب و
السبب يراد لثمرته لا لذاته وهذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند
الموت فيكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة مؤذية يشبه انقلاب
العشق مؤذيا عند موت المعشوق فانه كان لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ بسببها مؤلما حتى
نزل بالقلب ما يتمنى معه لو لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو احد انواع عذاب
الميت فانه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه فعشق ماله وعقاره وجاهه وولده واقاربه و
معارفه ولو اخذ جميع ذلك منه في حياته من لا يرجو رجوعه اليه فما ذا ترى ان يكون حاله اليس يعظم شقاؤه
ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليتني لم يكن لي مال قط ولا جاه قط فكنت لا اتأذى بفراقه فالموت
عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة فما حال من لم يفرح الا بالدنيا فيؤخذ منه الدنيا
ويسلم الى اعدائه ثم يضاف الى هذا العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله تعالى
فان حب غير الله يحجبه عن لقاء الله والتنعم به فيتوالى عليه الم الفراق لجميع محبوباته وحسرته على ما فاته من نعيم
الآخرة ابد الآباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى وذلك هو الذي يعذب بنار الفراق الا الجحيم
قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم واما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب الا الله
وكان مشتاقا الى لقاء الله تعالى فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت
عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الامن من الزوال ابد الآباد ولمثل هذا فليعمل العاملون وللمقصود

ان الرجل يحب فرسه بحيث لو خير بين ان يؤخذ منه وبين ان يلدغ عقربا لآثر الصبر على لدغ العقرب فاذا ألم
فراق الفرس عنده اعظم من لدغ العقرب وحبه للفرس هو الذي يلدغه اذا اخذ منه فرسه فليستعد لهذه
اللدغات فان الموت يأخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره واهله وولده وجاهه ومعارفه وجاهه و
حوله بل يأخذ منه سمعه وبصره واعضاءه وييأس عن رجوعه اليه فاذا لم يحب سواه وقد اخذ جميع ذلك منه
فذلك اعظم عليه من العقارب والحيات وكما لو اخذ منه وهو حي فيعظم عذابه فكذلك اذا مات لانا قد بينا ان
المعنى الذي هو المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت اشد لانه يتسلى في الحيوة باسباب يشغل
بها حواسه من مجالسه ومحادثيه ويتسلى برجاء العود اليه وبرجاء العوض منه ولا سلوة بعد الموت اذ قد انسد
عليه طرق التسلي وحصل اليأس فاذا كل قميص لم يحتج اليه بل قد احبه بحيث كان يشق عليه لو اخذ منه فانه يبقى
متأسفا عليه ومعذبا به فان كان مخفا من الدنيا سلم وهو المعنى بقوله نجا المخفون وان كان مثقلا
عظم عذابه وكما ان حال من يسرق عليه دينار اخف من حال من يسرق منه عشرة دنانير فكذلك حال صاحب
الدرهم اخف من حال صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم صاحب الدرهم اخف
حسابا من صاحب الدرهمين وما من شيء من الدنيا يتخلف عنك عند الموت الا وهو حسرة عليك بعد الموت فان
شئت فاستكثر وان شئت فاستقلل فان استكثرت فلست بمستكثر الا من حسرتك وانما تكثر الحيات
والعقارب في قبور الاغنياء الذين استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا اليها فهذه
مقامات الايمان في حيات القبر وعقاربه وسائر انواع عذابه ورأى ابو سعيد الخراز ابنه قد مات
في المنام فقال له يا بني عظني قال لا تخالف الله تعالى قال يا بني زدني قال يا ابه لا تطيق قال
قل قال لا تجعل بينك وبين الله قميصا فما لبس القميص ثلاثين سنة فان قلت فما الصحيح في هذه المقامات
الثلاث فاعلم ان في الناس من لم يثبت الا الاول وانكر ما بعده ومنهم من انكر الاول واثبت الثاني وما بعده
ومنهم من لم يثبت الا الثالث واما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار ان كل ذلك في حيز الامكان وان من
ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجائب تدبيره فينكر من افعال الله سبحانه
ما لم يأنس به ولم يألفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلاث في التعذيب ممكن والتصديق بها واجب
ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الانواع ورب عبد يجمع عليه هذه الانواع الثلاث نعوذ بالله من عذاب
الله قليله وكثيره هذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الارض من يعرف ذلك تحقيقا والذي
اوصيك به ان لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل تشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيفما كان
فان اهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن اخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع انفه
فاخذ طول الليل يتفكر في انه هل يقطعه بسكين او بسيف او بموسى واهمل طريق الحيلة في دفع اصل العذاب عن نفسه
وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع ان العبد بعد الموت لا يخلو عن عقاب عظيم او عن نعيم مقيم فينبغي ان يكون
الاستعداد له فاما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان

بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر

ويتم القول عن عذاب القبر قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات
العبد اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي صلى الله
عليه وسلم فان كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه و
سلم فيقولان كنا نعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له
نم فيقول دعوني ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه

حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيئا وكنت اقوله
فيقولان انا كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التامي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف اضلاعه فما يزال
فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن
الخطاب رضي الله عنه يا عمر كيف بك اذا انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة اذرع في ذراع و
شبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب
ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق
الخاطف يجران اشعارهما ويبحثان القبر بانيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال ويكون
معي مثل عقلي الآن قال نعم قال اذا اكفيكهما وهذا نص صريح في ان العقل لا يتغير بالموت وانما يتغير البدن و
الاعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا للآلام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل المدرك هذه الاعضاء
بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك للاشياء ولو تناثرت اعضاء الانسان
كلها ولم يبق المدرك الذي لا يتجزى ولا ينقسم لكان الانسان العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت فان
ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرأ عليه العدم وقال محمد بن المنكدر بلغني ان الكافر يسلط عليه في قبره دابة
عمياء صماء في يدها سوط من حديد في راسه مثل غرب الجمل تضربه به الى يوم القيامة لا تراه فتتقيه ولا تسمع
صوته فترحمه وقال ابو هريرة اذا وضع الميت في القبر جاءت اعماله الصالحة فاحتوشته فان اتاه من قبل راسه
جاءت قراءته للقرآن وان اتاه من قبل رجليه جاء قيامه وان اتاه من قبل يديه قالتا اليدان كان والله يبسطني
للصدقة والدعاء لا سبيل لكم اليه وان جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك الصلوة والصبر ناحية فيقول
اما اني لو رأيت خللا لكنت انا صاحبه قال سفيان يحاجش عنه اعماله كما يحاجش الرجل عن اخيه واهله وولده
ثم يقال له عند ذلك بارك الله لك في مضجعك فنعم الاخلاء اخلاؤك ونعم الاصحاب اصحابك وعن حذيفة قال
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على راس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المؤمن في هذا
ضغطة تزول منها حمائله وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر ضغطة ولو
سلم او نجا منها احد لنجا سعد بن معاذ وعن انس قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت
امرأة مسقامة فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله فلما انتهينا الى القبر فدخله النبي صلى الله عليه
وسلم التمع وجهه صفرة فلما خرج اسفر وجهه فقلنا يا رسول الله رأينا منك شيئا فمم ذلك فقال ذكرت ضغطة
ابنتي وشدة عذاب القبر فاخبرت ان قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين

الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام

اعلم ان انوار البصائر المستفادة
من كتاب الله تعالى وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج الاعتبار تعرفنا احوال الموتى على الجملة وانقسامهم
الى سعداء واشقياء ولكن حال زيد وعمرو وبكر فلا ينكشف به اصلا فانا ان عولنا على ايمان زيد فلا ندري على ما
ذا مات وكيف ختم له وان عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محلها القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف
على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة حكم
زيد وعمرو الا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه واذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة الى عالم
الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وانما يدرك بعين اخرى خلقت تلك العين في كل انسان ولكن الانسان جعل
عليها غشاوة كثيفة من شهواته واشغاله الدنيوية فصارت لا يبصر بها ولا يتصور ان يبصر بها شيئا من عالم الملكوت
ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه ولما كانت الغشاوة منقشعة عن اعين الانبياء فلا جرم نظروا

الى الملكوت فشاهدوا عجائبه والموتى في عالم الملكوت فاخبروا بذلك ولذلك رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وزينب ابنته وكذلك حال ابي جابر لما استشهد
اذ اخبر ان الله تعالى اقعده بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدة لا يطمع فيها لغير الانبياء و
الاولياء الذين تقرب درجتهم منهم وانما الممكن لامثالنا مشاهدة اخرى ضعيفة الا انها ايضا
مشاهدة نبوية واعني بها المشاهدة في المنام وهو من انوار النبوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهو ايضا انكشاف لا يحصل الا بانقشاع الغشاوة
من القلب فلذلك لا يوثق الا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه ومن كثر
فساده ومعاصيه اظلم قلبه فكان ما يراه اضغاث احلام ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة
عند النوم لينام طاهرا وهو اشارة الى طهارة الباطن ايضا فهو الاصل وطهارة الظاهر بمنزلة التكملة و
مهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم في النوم حتى نزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية وقل ما يخلو الانسان عن منامات
دلت على امور فوجدها صحيحة والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم وهي من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الآدمي
وهي من اوضح الادلة على عالم الملكوت والخلق غافلون عنه كغفلتهم عن سائر عجائب القلوب والعالم والقول في
حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة ولكن القدر الذي يمكن ذكره
هنا مثال يفهمك المقصود وهو ان تعلم ان القلب مثال مرآة تتراءى فيها الصور وحقائق الامور وان كل ما
قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم الى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة
باللوح المحفوظ وتارة بامام مبين وتارة بالكتاب المبين كما ورد في القرآن فجميع ما جرى في العالم و
ما سيجري مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظنن ان ذلك اللوح من خشب
او حديد وان الكتاب من كاغد او رق بل ينبغي ان تفهم قطعا ان لوح الله تعالى لا يشبه لوح الخلق وكتابه
لا يشبه كتاب الخلق كما ان ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل ان كنت تطلب له مثالا يقربه
الى فهمك فاعلم ان ثبوت المقادير في اللوح يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن
وقلبه فانه مسطور فيه حتى كانه حيث يقرأه ينظر اليه ولو فتشت عن دماغه جزءا جزءا لم تشاهد ذلك
الخط فمن هذا النمط ينبغي ان تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله تعالى وقضاه واللوح كمرآة
العلوم في المثال كمرآة تظهر فيها الصور فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة اخرى لكانت صورة تلك المرآة
تتراءى في هذه الا ان يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلوم واللوح مرآة رسوم العلوم كلها موجودة
فيها واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت فان
هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت
ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب وما دام متيقظا فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب
عن عالم الملكوت ومعنى النوم ان تركد الحواس فلا تورد على القلب فاذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا في جوهره
ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كما تقع الصورة في مرآة اذا ارتفع الحجاب بينهما الا
ان النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع في القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه
ويكون المتخيلات اثبت في الحفظ من غيره فيبقى الخيال في الحفظ فاذا انتبه لم يتذكر الا الخيال فيحتاج المعبر ان ينظر
ان هذا الخيال حكاية اي معنى من المعاني فيرجع الى المعاني بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني وامثال ذلك ظاهرة عند

من نظر الى المعبر ويكفيك في ذلك مثال واحد وهو ان رجلا قال لابن سيرين رايت كان في يدي خاتما اختم
به افواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان فقال صدقت فانظر
الى ان روح الختم هو المنع ولاجله يراد الخاتم وانما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه
وهو كونه مانعا للناس من الاكل والشرب ولكن الخيال الف المنع عند الختم بالخاتم فيمثله بالصورة الخيالية
التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ الا الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا الذي لا
تنحصر عجائبه وكيف لا وهو اخو الموت وانما الموت اعجب العجائب وهذا لانه يشبهه من وجه ضعيف اذ في
كشف الغطاء عن عالم الغيب حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل فما ذا ترى في الموت الذي يخرق
الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تاخير نفسه اما محفوفا بالانكال
والمخازي والفضائح نعوذ بالله منه واما مكتنفا بنعيم مقيم وملك كبير وعند هذا يقال للاشقياء وقد
انكشف الغطاء لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ويقال افسحر
هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها الآية واليه الاشارة بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون و
اعلم العلماء واحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره
فلو لم يكن للعاقل هم وغم الا الفكرة في خطر تلك الحال ان الحجاب عماذا ينقشع وما الذي ينكشف وراء
الغطاء من شقاوة لازمة او سعادة دائمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا
وهذه العظائم بين ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا واهلينا واسبابنا وذرياتنا بل باعضائنا وسمعنا
وبصرنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن اين من ينفث روح القدس في روعه فيقول له ما
قال لسيد النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك
ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان في الدنيا
كعابر سبيل ما بنى لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا و
لا خليلا نعم قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين ان خلة الله
تخللت باطن قلبه وان حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا لخليل ولا حبيب وقد قال لامته ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله وانما امته من اتبعه وما اتبعه الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الآخرة فانه ما دعا الا الى
الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عن الدنيا واقبلت على
الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته وصرت من امته وبقدر
ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم فاما من طغى و
آثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فلو خرجت من مكمن الغرور وانصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت
انك من حين تصبح الى حين تمسي لا تسعى الا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك الا لاجل الدنيا ثم تطمع
ان تكون غدا من امته واتباعه ما ابعد ظنك وما ابرد طمعك افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف
تحكمون ولنرجع الى ما كنا بصدده فقد امتد عنان الكلام الى غير مقصده ولنذكر الآن من المنامات
الكاشفة لاحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به اذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك الا المنامات

بيان منامات تكشف عن احوال الموتى

والاعمال النافعة في الآخرة فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله
عليه وسلم من رآني فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأيت النبي صلى الله عليه و
سلم في المنام معرضا عني فقلت يا رسول الله ما شأني فالتفت الي وقال الست تقبل وانت صائم فقال والذي نفسي

بيده لا اقبل امراة وانا صائم ابدا وقال العباس كنت ودا لعمر بن الخطاب فاشتهيت ان اراه في المنام فما
رايته الا عند قرب الحول فرايته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا اوان فراغي ان كاد عرشي ليهد لولا اني
لقيته رؤوفا رحيما وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما قال لي علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح لي الليلة
في منامي فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من امتك قال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم من هو خير لي منهم وابدلهم
بي من هو شر لهم مني فخرج الى الصلاة فضربه ابن ملجم لعنه الله وقال بعض الشيوخ رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعرض عني فقلت يا رسول الله ان سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد
بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انك لم تسأل شيئا فقلت لا فاقبل علي فقال غفر الله لك وروي عن عباس بن عبد
المطلب رضي الله عنه قال كنت مواخيا لابي لهب مصاحبا له فلما مات واخبر الله تعالى عنه بما اخبر حزنت عليه
واهمني امره فسألت الله تعالى حولا ان يريني اياه في المنام قال فرايته يلتهب نارا فسألته عن حاله فقال صرت
الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين في كل الليالي والايام قلت وكيف ذلك قال
ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتني اميمة فبشرتني بولادة آمنة اياه ففرحت به واعتقت وليدة لي فرحا
به فاثابني الله بذلك ان رفع عني العذاب في كل ليلة الاثنين وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجا فصحبني رجل
كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن الا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال اخبرك
عن ذلك خرجت حاجا ومعي ابي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينا انا نائم اذا اتاني آت فقال
لي قم فقد امات الله تعالى اباك وسود وجهه قال فقمت مذعورا فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ميت اسود الوجه
فدخلني من ذلك رعب فبينا انا في ذلك الغم اذ غلبتني عيني فنمت فاذا على راس ابي اربعة سودان معهم اعمدة
من حديد اذ اقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين اخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم اتاني فقال
لي قم فقد بيض الله وجه ابيك فقلت له من انت بابي انت وامي فقال انا محمد رسول الله قال فقمت فكشفت الثوب عن وجهه
فاذا هو ابيض فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز قال رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده اذ اتي بعلي ومعاوية رضي الله عنهما
فادخلا بيتا واجيف عليهما الباب وانا انظر فما كان باسرع ان خرج علي وهو يقول قضي لي ورب الكعبة
وما كان باسرع ان خرج معاوية على اثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة واستيقظ ابن عباس من نومه
مرة فاسترجع فقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فانكره اصحابه قال رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال الا تعلم ما صنعت امتي بعدي على اهل بيتي قتلوا ابني
الحسين وهذا دمه ودماء اصحابه ارفعها الى الله تعالى فجاء الخبر بعد اربع وعشرين يوما فقتل في
اليوم الذي رآه ورئي الصديق رضي الله عنه بعد موته فقيل انك لانت تقول ابدا في لسانك هذا اوردني
الموارد فما فعل الله بك قال قلت به لا اله الا الله فاوردني الموارد الجنة

بيان منامات المشايخ

قال بعض المشايخ رايت ممشاد الدينوري في المنام فقلت يا سيدي ما فعل الله بك قال ابيحت لي الجنان فقيل
يا ممشاد هل استحسنت فيها شيئا قلت لا يا سيدي فقال لو استحسنت منها شيئا لوكلتك اليها ولم اوصلك
الي ورئي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي قيل بماذا قال بما خلطت جدا
بهزل قط وعن منصور بن اسمعيل قال رايت عبد الله البزاز في النوم فقلت ما فعل الله بك قال اوقفني بين يديه
فغفر لي كل ذنب اقررت به الا ذنبا واحدا فاني استحييت ان اقر به فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت
ما كان ذلك الذنب قال نظرت الى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله ان اذكره وقال ابو جعفر الصيدلاني

رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وحوله جماعة من الفقراء فبينا نحن كذلك اذ انشقت
السماء ونزل ملكان احدهما بيده طست وبيد الآخر ابريق فوضع الطست بين يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فغسل يديه ثم امر بين يدي القوم حتى غسلوا ايديهم ثم وضع الطست بين يدي فقال
احدهما للآخر لا تصب على يديه فانه ليس منهم فقلت يا رسول الله اني احبك واحب هؤلاء الفقراء و
قد روي عنك انك قلت المرء مع من احب قال بلى فقال صب على يديه فانه منهم قال الجنيد رايت في النوم
كاني اتكلم على الناس فوقف علي ملك فقال اقرب ما تقرب به المتقربون الى الله تعالى ماذا فقلت
عمل خفي بميزان وفي فولى الملك وهو يقول كلام موفق والله ورئي مجمع في النوم فقيل له رايت الامر
قال رايت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة وقال رجل من اهل الشام للعلاء بن زياد
رايتك في النوم كانك في الجنة فنزل عن محله واقبل عليه ثم قال لعل الشيطان اراد امرا فعصمت منه فاشخص
رجلا يقتلني وقال محمد بن واسع الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره وقال صالح بن بشير رايت عطاء السلمي
في النوم فقلت له رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا فقال اما والله لقد اعقبني ذلك الحزن فرحا طويلا
وفرحا دائما فقلت في اي الدرجات انت فقال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية وسئل
زرارة بن اوفى في المنام اي الاعمال افضل عندكم فقال الرضى وقصر الامل وقال يزيد بن مذعور رايت الاوزاعي
في المنام فقلت يا ابا عمرو دلني على عمل اتقرب به الى الله عز وجل قال ما رايت هناك درجة ارفع من درجة العلماء
ثم درجة المحزونين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى اظلمت عيناه وقال ابن عيينة رايت اخي في المنام
فقلت يا اخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر لي وقال
علي الطلحي رايت في المنام امراة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من انت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت
اخطبني الى سيدي وامهرني فقلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن آفاتها وقال ابراهيم بن اسحق الحربي
رايت زبيدة في المنام فقلت ما فعل الله بك قالت غفر لي فقلت لها بما انفقت في طريق مكة قالت اما النفقات
في طريق مكة فرجعت اجورها الى اربابها وغفر لي بنيتي ورئي سفيان الثوري في المنام فقيل له
ما فعل الله بك قال وضعت اول قدمي على الصراط والثاني في الجنة وقال احمد بن ابي الحواري رايت فيما يرى
النائم جارية ما رايت احسن منها وكانت يتلألأ وجهها نورا فقلت لها من اين ضوء وجهك قالت تذكر
تلك الليلة بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمعك فمسحت به وجهي فمن ثم ضوء وجهي كما ترى وقال الكتاني
رايت الجنيد في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال طاحت الاشارات وذهبت العبارات وما حصلنا الا على
ركعتين كنا نصليهما في الليل ورايت زبيدة في المنام فقلت لها ما فعل الله بك قالت غفر لي بهذه الكلمات
الاربع لا اله الا الله افني بها عمري لا اله الا الله ادخل بها قبري لا اله الا الله اخلو بها وحدي لا اله الا الله القى بها
ربي ورئي بشر في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني ربي وقال يا بشر اما استحييت مني كنت تخافني كل ذلك
الخوف ورئي ابو سليمان في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني وما كان شيء اضر علي من اشارات القوم الي
وقال ابو بكر الكتاني رايت في النوم شابا لم ار احسن منه فقلت من انت قال التقوى قلت فاين تسكن قال في كل قلب
حزين ثم التفت فاذا امراة سوداء كاوحش ما يكون فقلت من انت قالت السقم قلت فاين تسكنين قالت في كل قلب
فرح مرح قال فانتبهت واعتقدت ان لا اضحك الا غلبة وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ابليس وثب
علي فاخذت العصا لاضربه فلم يفزع منها فهتف بي هاتف ان هذا لا يخاف من هذه وانما يخاف من نور يكون في القلب

وقال المسوحي رأيت ابليس في النوم فقلت له الا تستحيي من الناس فقال يا الله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس ما كنت العب
بهم طرفي النهار كما يلعب الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هؤلاء قد اسقموا جسمي واشار بيده الى اصحابنا الصوفية
وقال ابو سعيد الخراز كنت في دمشق فرأيت في المنام كأن النبي صلى الله عليه وسلم جاءني متكئا على ابي بكر وعمر رضي
الله عنهما فجاء فوقف علي فانا اقول شيئا من الاصوات وادق في صدري فقال شر هذا اكثر من خيره وعن ابي عيينة
قال رأيت سفيان الثوري في النوم كأنه في الجنة يطير من شجرة الى شجرة يقول لمثل هذا فليعمل العاملون قلت له
اوصني قال اقلل من معرفة الناس وروى ابو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبة قال رأيت سفيان الثوري في النوم فقلت
ما فعل الله بك قال نظرت الى ربي كفاحا فقال لي هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد فقد كنت قواما اذا الظلم
الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد فدونك فاختر اي قصر اردته وزرني فاني منك غير بعيد ورأى الشبلي بعد
موته بثلاثة ايام فقيل له ما فعل الله بك فقال ناقشني حتى ايست فلما رأى يأسي تغمدني برحمته ورأى مجنون بني
عامر في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وجعلني حجة على المحبين ورأى الثوري في المنام فقيل له ما
فعل الله بك فقال رحمني فقيل له ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين ورأى
بعضهم فسئل عن حاله فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا ورأى مالك بن انس فقيل له ما فعل الله بك
فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت ورأى في الليلة التي مات
فيها الحسن البصري كأن ابواب السماء مفتحة وكأن مناديا ينادي الا ان الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض
ورأى الجاحظ فقيل له ما فعل الله بك فقال **شعر** فلا تكتب بخطك غير شيء يسرك في القيمة ان تراه ورأى
الجنيد ابليس في المنام عريانا فقال له الا تستحيي من الناس فقال هؤلاء ناس الناس اقوام في مسجد الشونيزية
قد اضنوا جسدي واحرقوا كبدي قال الجنيد فلما انتبهت غدوت الى المسجد فرأيت جماعة قد وضعوا رؤوسهم
على ركبهم يتفكرون فلما رأوني قالوا لا يغرنك حديث الخبيث ورؤي النصراباذي بمكة في النوم فقيل له ما فعل
الله بك فقال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا ابا القسم ابعد الاتصال انفصال فقلت لا يا ذا الجلال فما وضعت
في اللحد حتى لحقت بالاحد ورأى عتبة حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة انا لك عاشقة فانظر لا تعمل
من الاعمال شيئا يحال بيني وبينك قال عتبة طلقت الدنيا ثلاثا لا رجعة لي عليها حتى القاك وقيل رأى ايوب السختياني
جنازة عاص فدخل الدهليز لئلا يحتاج الى الصلاة فرأى بعضهم الميت في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي
وقال قل لايوب لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وقال بعضهم رأيت الليلة التي مات فيها داود
الطائي نورا وملائكة نزولا وملائكة صعودا فقلت اي ليلة هذه فقالوا ليلة مات فيها داود الطائي وقد
زخرفت الجنة لقدوم روحه وقال ابو سعيد الشحام رأيت سهل الصعلوكي في المنام فقلت ايها الشيخ فقال دع
التشيخ قلت تلك الاحوال التي شاهدناها فقال لم تغن عنا فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي بمسائل كانت
تسأل عنها العجز وقال ابو بكر الرشيدي رأيت محمدا الطوسي المعلم في النوم فقال لي قل لابي سعيد الصفار المؤدب
شعر وكنا على ان لا نحول عن الهوى فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا فانتبهت فذكرت له ذلك فقال كنت
ازور قبره كل جمعة فلم ازره هذه الجمعة وقال ابن ابي راشد رأيت ابن المبارك في النوم بعد موته قلت اليس قد مت
قال بلى قلت فما صنع بك ربك قال غفر لي مغفرة احاطت بكل ذنب لي قلت سفيان الثوري قال بخ بخ ذلك
من الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية وقال الربيع بن سليمان رأيت الشافعي رضي الله عنه في المنام بعد
وفاته فقلت يا ابا عبد الله ما صنع الله بك قال اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب ورؤي رجل من اصحاب
الحسن البصري ليلة مات الحسن كأن مناديا ينادي ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين واصطفى

الحسن بن ابي الحسن على اهل زمانه وقال ابو يعقوب القاري الدقيقي رأيت في المنام رجلا آدم طوالا والناس
يتبعونه قلت من هذا قال اويس القرني فاتبعته فقلت اوصني رحمك الله فكلح في وجهي فقلت مسترشد فارشد
ارشدك الله فاقبل علي وقال اتبع رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في
خلال ذلك ثم ولى وتركني وقال ابو بكر بن ابي مريم رأيت ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت ما فعلت يا ورقاء قال
نجوت بعد كل جهد قلت فاي الاعمال وجدتموها افضل قال البكاء من خشية الله وقال يزيد بن نعامة هلكت
جارية في طاعون الجارف فلقيها ابوها في المنام فقال لها يا بنية اخبريني عن الآخرة قالت يا ابت
قدمنا على امر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة او تسبيحتان او ركعة او ركعتان في فسحة عملي احب
الي من الدنيا وما فيها وقال بعض اصحاب عتبة الغلام رأيت عتبة في المنام فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنة
بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك فلما اصبحت جئت الى بيتي فاذا خط عتبة في حائط البيت مكتوب يا هادي المضلين
ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحياء
المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يا ارحم الراحمين آمين رب
العالمين وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثوري في الجنة يطير من نخلة الى نخلة ومن شجرة الى شجرة فقلت
يا ابا عبد الله بم نلت هذا فقال بالورع قلت فما بال علي بن عاصم قال ذلك لا يكاد يرى الا كما يرى الكوكب
ورأى رجل من التابعين النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله عظني قال نعم من لم يتفقد النقصان
فهو في النقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وقال الشافعي رضي الله عنه دهمني في هذه الايام امر
امضني وآلمني ولم يطلع عليه غير الله فلما كان البارحة اتاني آت في منامي فقال يا محمد بن ادريس قل اللهم اني
لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا استطيع ان آخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي
الا ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية فلما اصبحت اعدت ذلك فلما ترحل النهار
اعطاني الله عز وجل طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها فهذه جملة
من المكاشفات تدل على احوال الموتى وعلى الاعمال المقربة الى الله زلفى فلنذكر بعد هذا ما بين يدي
الموتى من ابتداء نفخة الصور الى آخر القرار اما في الجنة او في النار

الشطر الثاني من الكتاب في احوال الميت من وقت نفخة الصور الى آخر الاستقرار اما في الجنة او النار

وتفصيل ما بين يديه
من الاهوال والاخطار وفيه بيان نفخة الصور وصفة ارض المحشر واهله وصفة عرق اهل المحشر وصفة
طول يوم القيامة ودواهيها واساميها وصفة المسائلة عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الخصماء ورد
المظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة وصفة الحوض وصفة جهنم واهوالها وانكالها وحياتها وعقاربها
وصفة الجنة واصناف نعيمها وعدد الجنان وابوابها وغرفها وحيطانها وانهارها واشجارها ولباس اهلها
وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وشرابهم وصفة حور العين والولدان وصفة النظر الى وجه الله تعالى
وباب في سعة رحمة الله سبحانه وبه يختم الكتاب

صفة نفخ الصور

قد عرفت فيما سبق من شدة احوال
الميت في سكرات الموت وخطره في خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم لمنكر ونكير وسؤالهما ثم لعذاب القبر
وخطره ان كان مغضوبا عليه واعظم من ذلك كله الاخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض
على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم مجاوزة الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار
النداء عند فصل القضاء اما بالاسعاد واما بالاشقاء فهذه احوال واهوال لا بد لك من معرفتها ثم الايمان بها على
سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر فيها لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها واكثر الناس لم يدخل الايمان باليوم

الاخرصيهم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء فؤادهم ويدل عليه شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما يكتنفه من المصاعب والاهوال بل اذا سئلوا عن اليوم الاخر نطقت به السنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن اخبر بان ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه صدقت ثم مد اليد لتناوله كان مصدقا بلسانه ومكذبا بعمله وتكذيب العمل ابلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له ان يشتمني وكذبني وما ينبغي له ان يكذبني اما شتمه اياي فيقول ان لي ولدا واما تكذيبه فقوله لن يعيدني كما بدأني وانما قصور البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لامثال تلك الامور ولو لم يشاهد الانسان توالد الحيوانات وقيل له ان صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمي المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى فمن خلق الآدمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب اعضائه عجائب تزيد على الاعاجيب في بعثه واعادته فكيف ينكر ذلك من قدرة الله وحكمته من يشاهد ذلك في صنعته وقدرته فان كان في ايمانك ضعف فقو الايمان بالنظر في النشأة الاولى فان الثانية مثلها واسهل منها وان كنت قوي الايمان فاشعر قلبك تلك المخاوف والاخطار واكثر فيها التفكر والاعتبار ليسلب عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار وتفكر اولا فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور فانها صيحة واحدة ينفرج بها القبور عن رؤوس الموتى فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متحيرا وجهك مغبرا بدنك من فرقك الى قدمك في تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد ازعجهم الفزع والرعب مضافا الى ما كان عليهم من الغموم والهموم وشدة الانتظار لعاقبة الامر كما قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون الآية وقال تعالى فاذا نقر في الناقور الآية ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة الى قوله تعالى الى ربهم ينسلون وصدق المرسلون فلو لم يكن بين يدي الموتى الا هول تلك النفخة لكان جديرا بان يتقى فانها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات ومن في الارض اي يموتون بها الا من شاء الله وهو بعض الملائكة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة واصغى بالاذن متى يؤمر فينفخ قال مقاتل القرن وذلك ان اسرافيل واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السموات والارض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من في السموات والارض اي مات كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله وهو جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ثم يأمر الله تعالى ملك الموت ان يقبض روح جبرائيل ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى اربعين سنة ثم يحيي الله تعالى اسرافيل فيأمره ان ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام على ارجلهم ينظرون الى البعث وقال صلى الله عليه وسلم حين نعت صاحب الصور فاهوى بيده الى فيه وقدم رجلا واخر اخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ الا فاتقوا النفخة فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة او شقاوة وانت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من المترفين والاغنياء المتنعمين فملوك الارض في ذلك اليوم اذل اهل الجمع واصغرهم واحقرهم يوطؤن بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري ورؤوس الجبال منكسة رؤوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم عن النفرة من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم اقبلت الشياطين

المردة بعد تمردها وعتوها واذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك

صفة ارض المحشر واهله

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة الى ارض المحشر ارض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا ترى عليها ربوة يختفي الانسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الاعين بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض اذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى والرادفة هي النفخة الثانية وحقيق لتلك القلوب ان تكون يومئذ واجفة وتلك الابصار ان تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ارض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لاحد قال الراوي والعفرة بياض ليس بالناصع والنقي هو النقي عن القشر والنخالة اي الاعلم الذي لا بناء يستر ولا تفاوت يرد البصر ولا تظنن ان تلك الارض مثل ارض الدنيا بل لا تساويها الا في الاسم قال الله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال ابن عباس يزاد فيها وينقص وتذهب اشجارها وجبالها واوديتها وما فيها وتمد مد الاديم العكاظي ارض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمست الشمس والقمر واظلمت الارض لخمود سراجها فبينما انت كذلك اذ دارت السماء من فوق رؤوسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام والملائكة قيام على حافاتها وارجائها فيا هول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم عراة حفاة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان قالت سودة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم راوية الحديث قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض قال شغل الناس عن ذلك لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فاعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك من النظر والالتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وفي طبع الآدمي انكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الانسان الحية وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصور المشي من غير رجل والمشي بالرجل ايضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاياك ان تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت اشد انكارا لها فاحضر في قلبك صورتك وانت واقف عاريا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من القضاء بالسعادة او بالشقاوة واعظم هذه الحالة فانها عظيمة

صفة العرق

ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف اهل السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطير فاشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة امرها ثم ادنيت من رؤوس العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضح لحر الشمس قد صهره حرها واشتد كربه وغمه من

وبهائم تدافعت الخلائق ودفع بعضها بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة
الخجلة والحياء من الافتضاح والاخزاء عند العرض على جبار السماء فاجتمع عليهم وهج الشمس وحر
انفاسهم واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من اصل كل شعرة حتى سال على
صعيد القيمة ثم ارتفع الى ابدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم الى
حقويه وبعضهم الى شحمة اذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وقال ابو هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا
ويلجمهم ويبلغ اذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث اخر قياما شاخصة ابصارهم
اربعين سنة الى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تدنو الشمس من الارض يوم القيمة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ نصف ساقه
ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ فخذيه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه واشار بيده
فالجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على راسه هكذا فتامل يا مسكين في عرق اهل المحشر
وشدة كربهم وان فيهم من ينادي ويقول يا رب ارحني من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل
ذلك ولم يلقوا حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدري الى اين يبلغك العرق واعلم ان كل
عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل
مشقة في امر بمعروف ونهي عن منكر فيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيمة ويطول فيه الكرب ولو سلم
ابن ادم من الجهل والغرور لعلم ان تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات اهون امرا واقصر زمانا من عرق
الكرب والانتظار في القيمة فانه يوم عظيم وشدته صعب ومدته طويلة

صفة طول يوم القيامة

يقف فيه الخلائق شاخصة ابصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في امورهم يقفون ثلثمائة عام لا ياكلون
فيه اكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجد فيه وجوههم روح نسيم قال كعب وقتادة يوم يقوم الناس لرب العالمين
قال يقومون مقدار ثلثمائة عام بل قال عبد الله بن عمر تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية ثم قال
كيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر اليكم وقال الحسن ما ظنك بقوم
قاموا على اقدامهم مقدار خمسين الف سنة لم ياكلوا فيها ولم يشربوا اكلة وشربة حتى اذا انقطعت اعناقهم عطشا
واحترقت اجوافهم جوعا انصرف بهم الى النار فسقوا من عين انية قد اني حرها واشتد لفحها فلما بلغ المجهود
منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا بنبي الا
دفعهم وقال دعوني دعوني نفسي نفسي شغلني امري عن امر غيري واعتذر كل واحد منهم بشدة غضب
الله وقال قد غضب ربنا اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه
وسلم لمن يؤذن له فيه لا يملكون الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا فتامل في طول هذا اليوم و
شدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم ان من طال انتظاره للموت
في الدنيا لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اهون عليه من
الصلوة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد ان تكون من اولئك المؤمنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالامر
اليك والاستعداد بيديك فاعمل في ايام قصار لايام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل

عمر الدنيا وهي سبعة الاف سنة فانك لو صبرت سبعة الاف سنة مثلا لتخلص من يوم مقداره خمسون الف
سنة لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا

صفة يوم القيمة ودواهيها واساميها

فاستعد يا مسكين
لهذا اليوم العظيم شانه المديد زمانه القاهر سلطانه القريب اوانه يوم ترى السماء فيه انفطرت والكواكب من هوله
انتثرت والنجوم الزواهر انكدرت والشمس فيه كورت والجبال سيرت والعشار عطلت والوحوش حشرت و
البحار سجرت والنفوس الى الابدان زوجت والجحيم سعرت والجنة ازلفت والجبال فيه نسفت والارض فيه مدت يوم
زلزلت فيه الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها يوم يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يوم فيه حملت الارض
والجبال فدكتا دكة واحدة يوم وقعت فيه الواقعة وانشقت فيه السماء فهي يومئذ واهية الى قوله تعالى خافية يوم
تسير الجبال وترى الارض بارزة يوم رجت فيه الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم
يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل كل مرضعة الاية يوم تبدل الارض
غير الارض الاية يوم تنسف فيه الجبال نسفا فيتركها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يوم ترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب يوم انشقت فيه السماء فكانت وردة كالدهان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان
يوم يمنع فيه من الكلام ولا يسال الا فيه عن الاجرام بل يؤخذ بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا يوم يعلم فيه كل نفس ما احضرت وتشهد ما قدمت واخرت يوم تخرس فيه الالسن وتنطق فيه الجوارح يوم
شيب ذكره سيد المرسلين اذ قال له الصديق اراك قد شبت فقال لقد شيبتني هود والواقعة والمرسلات و
عم يتساءلون واذا الشمس كورت فيا ايها القارئ العاجز حظك من قرائتك ان تمجمج القران وتحرك به اللسان ولو
كنت متفكرا فيما تقرأه لكنت جديرا بان تنشق مرارتك فيما شاب منه شعر سيد البشر عليه الصلوة والسلم واذا قنعت بحركة
اللسان فقد حرمت ثمرة القران فالقيامة احد ما ذكر فيها وقد وصف الله تعالى بعض دواهيها واكثر اساميها لتقف
بكثرة اساميها على كثرة معانيها فليس المقصود تكرير الاسامي والالقاب بل الغرض تنبيه اولي الالباب فتحت كل اسم من اسماء
القيمة سر وتحت كل نعت من نعوتها معنى فاحرص على ذكر معانيها ونحن الان نجمع لك اساميها يوم القيمة ويوم الحسرة ويوم
الندامة ويوم المحاسبة ويوم المسائلة ويوم المسابقة ويوم المناقشة ويوم المنافسة ويوم الزلزلة ويوم الدمدمة ويوم
الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجفة ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الداهية ويوم الازفة
ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم الفراق ويوم المساق ويوم القصاص ويوم التناد ويوم
الحساب ويوم المآب ويوم العذاب ويوم الفرار ويوم القرار ويوم اللقاء ويوم البقاء ويوم الجزاء ويوم البكاء ويوم
الحشر ويوم النشر ويوم الوعد ويوم الوعيد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم القضاء ويوم العناء
ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم البعث ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النشور ويوم المصير ويوم النفخ ويوم الصيحة ويوم
الرجفة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم الفزع ويوم الجزع ويوم المنتهى ويوم الماوى ويوم الميقات ويوم
الميعاد ويوم المرصاد ويوم القلق ويوم العرق ويوم الافتقار ويوم الانكدار ويوم الانتشار ويوم الانشقاق ويوم
الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود ويوم التغابن ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم الظلمة ويوم
الحسرة ويوم لا ريب فيه ويوم تبلى السرائر ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ويوم تشخص فيه الابصار ويوم لا يغني مولى عن مولى
شيئا ويوم لا تملك نفس لنفس شيئا ويوم يدعون الى نار جهنم دعا ويوم يسحبون في النار على وجوههم ويوم تقلب
وجوههم في النار ويوم لا يجزي والد عن ولده ويوم يفر المرء من اخيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
ويوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ويوم ترد فيه المعاذير وتبلى السرائر وتظهر الضمائر وتكشف الاستار وتخشع
الابصار وتسكن الاصوات ويقل الالتفات وتبرز الخفيات وتظهر الخطيئات ويساق العباد ومعهم الاشهاد ويشاب

الصغير وسكر الكبير ووضعت الموازين ونشرت الدواوين وبرزت الجحيم واغلي الحميم وزفرت النار ويئس
الكفار وسعرت النيران وتغير الالوان وخرس اللسان ونطق جوارح الانسان فيا ايها الانسان ما
غرك بربك الكريم حيث اغلقت الابواب وارخيت الستور واستترت عن الخلايق وتفاديت الفجور فماذا
تفعل وقد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معاشر الغافلين يرسل الله الينا سيد المرسلين صلى الله
عليه وعلى اله وصحبه اجمعين وينزل عليه الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا
ويقول اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون
لاهية قلوبهم ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وما يدريك
لعل الساعة قريب ثم يكون احسن احوالنا ان نتخذ دراسة هذا القرآن عملا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة اوصاف
هذا اليوم واساميه ولا نستعد للتخلص من دواهيه فنعوذ بالله من هذه الغفلة ان لم يتداركنا الله بواسع المغفرة و
الرحمة صفة المسايلة ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الاحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير
ترجمان فتسأل عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينما انت في كرب القيامة وشدة غطائها اذ نزلت ملائكة من
ارجاء السماء باجسام عظام واشخاص ضخام غلاظ شداد امروا ان ياخذوا بنواصي المجرمين الى موقف العرض على الجبار قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ملكا ما بين شفري عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك بنفسك اذا شاهدت
مثل هؤلاء الملائكة ارسلوا اليك لياخذوك الى مقام العرض وتراهم على عظم اشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مشفقين
مستشعرين مما بدا من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح الا ويخرون لاذقانهم
خوفا من ان يكونوا هم المأخوذين فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر اقوام من شدة
الفزع فيقولون للملائكة افيكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فيفزع الملائكة باصواتهم منزهين
لمليكهم عما توهمه اهل الارض وقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة صفا
محدقين بالخلايق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند ذلك
يصدق الله تعالى قوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين فوربك
لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون فيبدا بالانبياء يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم وقد ارسلتم الى الخلايق
وكانوا قد علموا فذهش عقولهم فلا يدرون بما يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا انك انت علام الغيوب
وهم في ذلك الوقت صادقون اذ طارت فيه العقول وامحت العلوم الا ان يقويهم الله تعالى فيدعى نوح فيقال هل
بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير ويدعى عيسى فيقول تعالى ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله فيبقى يتشحط تحت هيبة هذا السؤال سنين فيا لعظيم يوم يقام فيه السياسة
على الانبياء بمثل هذا السؤال ثم تقبل الملائكة ينادون واحدا واحدا يا فلان بن فلان هلم الى موقف العرض
وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ويتمنى اقوام ان يذهب بهم الى النار ولا يعرض قبايح
اعمالهم على الجبار ولا يكشف ستره على ملاء من الخلايق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش واشرقت
الارض بنور ربها وايقن قلب كل عبد باقبال الجبار لمسائلة العباد وظن كل واحد انه ما يراه احد سواه وانه
المقصود بالاخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار عند ذلك يا جبرئيل ائتني بالنار فجاء بها جبرئيل وقال
لها يا جهنم اجيبي خالقك ومليكك فصادفها جبرئيل على غيظها وغضبها فلم تلبث بعد ندائه ان ثارت وفارت
وزفرت الى الخلايق وشهقت وسمع الخلايق تغيظها وزفيرها وانتهض خزانها متوثبة الى الخلايق غضبا على
من عصى الله تعالى وخالف امره فاخطر ببالك واحضر في قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فزعا ورعبا

فتساقطوا على ركبهم وولوا مدبرين يوم ترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها وسقط بعضهم على الوجوه
منكبين وينادي الظالمون والعصاة بالويل والثبور وينادي الصديقون نفسي نفسي فبينما هم كذلك
اذ زفرت النار زفرتها الثانية فيتضاعف خوفهم ويتخاذل قواهم وظنوا انهم ماخوذون ثم زفرت زفرة
الثالثة فتساقط الخلايق لوجوههم وشخصوا بابصارهم ينظرون من طرف خاشع خفي انصدعت عنده
قلوب الظالمين فبلغت لدى الحناجر كاظمين وذهلت العقول من السعداء والاشقياء اجمعين وعند
ذلك يقبل الله تعالى على الرسل ويقول ماذا اجبتم فاذا رأوا ما اقيم من السياسة على الانبياء اشتد الفزع
على العصاة ففر الوالد من ولده والاخ من اخيه والزوج من زوجته وبقي كل واحد منتظرا لامره
ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره وسره وعلانيته وعن جميع
جوارحه واعضائه قال ابو هريرة قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة فقال صلى الله عليه و
سلم هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة قالوا لا قال فهل تضارون في القمر
ليلة البدر ليس في سحابة قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم فيلقى العبد فيقول
الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول العبد نعم فيقول
فظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول فاني انساك كما نسيتني فتوهم نفسك يا مسكين وقد اخذت الملا
ئكة بعضديك وانت واقف بين يدي الله تعالى يسالك الم انعم عليك بالشباب ففيماذا ابليته الم امهلك
في العمر ففيماذا افنيته الم ارزقك الاموال فمن اين اكتسبته وفيماذا انفقته الم اكرمك بالعلم فماذا عملت فيما
علمت فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعدد عليك انعامه ومعاصيك وايا ديه ومساويك فان انكرت
شهدت عليك جوارحك قال انس كنا يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال اتدرون مم
اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال فيقول بلى
قال فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين
شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول للاعضاء بعدا
لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل فنعوذ بالله من الافتضاح على ملاء الخلق بشهادة الاعضاء الا ان الله
تعالى وعد المؤمن ان يستر عليه ولا يطلع عليه غيره وسأل ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت النجوى من
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنو احدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول
عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول اني سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ستر على مؤمن عورة ستر الله عورته يوم القيامة فهذا انما يرجى لعبد مؤمن ستر على الناس
عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساوي الناس ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهو
لو سمعوه فهو جدير بان يجازى بمثله في القيامة وهب انه قد ستر عن غيرك اليس قد قرع سمعك النداء
الى العرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك اذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولبك
طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم فقدر نفسك
انت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما يقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلايق اليك ابصا
رهم فتوهم نفسك في ايدي الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك الى عرش الرحمن فرموك من ايديهم وناداك
الله عز وجل بعظيم كلامه يا ابن ادم ادن مني فدنوت منه بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر
واعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها وكم من

طاعة غفلت عن آفاتها فانكشفت لك عن مساويها فكم لك من خجل وجبن وكم لك من حصر وعي فليت
شعري بأي قدم تقف بين يديه وبأي لسان تجيب وبأي قلب تعقل ما تقول ثم تفكر في عظم حيائك
اذا ذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدي اما استحييت مني فبارزتني بالقبيح واستحييت من
خلقي فاظهرت لهم الجميل أكنت أهون عليك من سائر عبادي استخففت بنظري اليك فلم تكترث
واستعظمت نظر غيري ألم انعم عليك فماذا غرك بي أظننت اني لا اراك وانك لا تلقاني وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا ويسأله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان وقال صلى الله عليه و
سلم ليقفن احدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم انعم عليك ألم اوتك مالا فيقول بلى فيقول
ألم ارسل اليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى الا النار وينظر عن شماله فلا يرى الا النار فليتق احدكم
النار ولو بشق تمرة فان لم يكن فبكلمة طيبة وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا وسيخلو الله عز وجل به كما يخلو احدكم
بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين
يا ابن آدم ألم اكن رقيبا على عينيك وانت تنظر بهما الى ما لا يحل لك ألم اكن رقيبا على اذنيك وهكذا حتى عد سائر الاعضاء
وقال مجاهد لا يزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأل عن اربع خصال عن عمره فيم افناه وعن علمه ما
عمل فيه وعن جسده فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه فاعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك وبخطر ذلك
بين ان يقال لك سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم في الآخرة وعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك
الاولون والآخرون واما بين ان يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه وعند ذلك لو بكت
عليك السموات والارض لكان ذلك جديرا بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله تعالى و
على ما بعت به آخرتك من دنيا دنية لم تبق معك

صفة الميزان

ثم لا تغفل عن الميزان وتطاير الكتب الى الشمائل
والايمان فان الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق اسود فيلقطهم
لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها
وقسم آخر لا سيئة لهم فينادي مناد ليقم الحامدون لله عز وجل على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل
ذلك باهل قيام الليل ثم بمن لم يشغله تجارة الدنيا ولا بيع عن ذكر الله تعالى وينادى عليهم سعادة لا
شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث هم الاكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله
ان الغالب حسناتهم او سيئاتهم ولكن يأبى الله الا ان يعرفهم حقيقة ذلك ليتبين من فضله عند العفو وعدله
عند العقاب فتطاير الصحائف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وتنصب الميزان وتشخص الابصار الى
الكتب أتقع في اليمين او في الشمال ثم الى لسان الميزان أيميل الى جانب السيئات او الحسنات وهذه حالة هائلة
تطيش فيها عقول الخلائق روى الحسن رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه في حجر
عائشة فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دموعها على خد النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال ما يبكيك
يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون اهليكم يوم القيامة قال والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن فان
احدا لا يذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه ام يثقل وعند الصحف
حتى ينظر أبيمينه يأخذ او بشماله وعند الصراط وعن انس قال يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي
الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها
ابدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وعند خفة
الميزان تبتدر الزبانية وبايديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار الى النار قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة انه يوم ينادي الله تعالى فيه آدم فيقول قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم
بعث النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة فلما سمع الصحابة ابلسوا حتى ما
اوضحوا بضاحكة فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم الذي عند الصحابة قال اعملوا وابشروا فوالذي نفس
محمد بيده ان معكم لخليقتين ما كانتا مع احد الا كثرتاه مع من هلك من بني آدم قال فسري عن القوم
فقال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما انتم في الناس يوم القيامة الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة
في ذراع الدابة

صفة الخصماء ورد المظالم

فقد عرفت هول الميزان وخطره وان الاعين شاخصة الى
لسان الميزان فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه الى آخر السورة واعلم انه
لا ينجو عن خطر الحساب والميزان الا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع اعماله واقواله
وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وانما
حسابه لنفسه ان يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصيره في فرائض الله تعالى
ويرد المظالم حبة حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق
عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وان مات قبل رد المظالم احاط به خصماؤه فهذا يأخذ بيده
وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بتلبيبه هذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزأت
بي وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فأسأت جواري وهذا يقول عاملتني
فغششتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني واخفيت عني عيب متاعك وهذا يقول كذبت في سعر
متاعك وهذا يقول رأيتني محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتني وهذا يقول وجدتني مظلوما وكنت قادرا على
دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتني فبينا انت كذلك وقد انشب الخصماء فيك مخالبهم واحكموا في تلابيبك
ايديهم وانت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك احد عاملته على درهم او جالسته في مجلس الا وقد استحق
عليك مظلمة بغيبة او جناية او نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء الى سيدك
ومولاك لعله يخلصك من بين ايديهم اذ قرع سمعك نداء الجبار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم
فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما انذرك الله تعالى به على لسان رسوله حيث
قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الآية فما اشد فرحك اليوم بتمضمضك باعراض الناس و
تناولك اموالهم وما اشد حسرتك في ذلك اليوم اذ وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب
السيئات وانت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على ان ترد حقا او تظهر عذرا فعند ذلك تؤخذ حسناتك
التي تعبت فيها عمرك وتنقل الى خصمائك عوضا عن حقوقهم قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل
تدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع فقال صلى الله عليه وسلم المفلس من
امتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا و
سفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي
ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر الى مصيبتك في مثل هذا اليوم اذ ليس تسلم
لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان فان سلمت لك واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك
واخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وانت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عنك
يوم الا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من اكل الحرام و
الشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء وعن ابي ذر

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين تنتطحان فقال يا ابا ذر اتدري فيم تنتطحان قلت لا
قال ولكن ربك يدري وسيقضي بينهما يوم القيمة قال ابو هريرة في قوله تعالى وما من دابة في الارض
ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم انه يحشر الخلق كلهم يوم القيمة حتى البهائم والدواب والطير وكل
شيء فيبلغ من عدل الله عز وجل ان يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر
يا ليتني كنت ترابا فكيف انت يا مسكين في يوم ترى صحيفة خصمائك محبرة وترى صحيفتك مشحونة بسيات
طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فيقول يا رب هذه سيات ما قارفتها قط
فيقال هذه سيات الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة
والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر اصناف المعاملة وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الشيطان قد يئس ان تعبد الاصنام بارض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك من
بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليجيء يوم القيمة بامثال الجبال من
الطاعات فيرى انهن ستنجيه فما يزال عبد يجيء فيقول يا رب ان فلانا ظلمني بمظلمة فيقول امح من
حسناته فما يزال كذلك حتى ما يبقى له من حسناته شيئا وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من
الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم ليحتطبوا فلم يلبثوا ان اوقدوا نارهم وصنعوا ما ارادوا فكذلك
الذنوب ولما نزل قوله تعالى ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله ايكرر علينا
ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذي حق حقه قال
الزبير والله ان الامر لشديد فما اعظم شدة يوم لا يسامح فيه ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا كلمة حتى
ينتقم للمظلوم من الظالم قال انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله تعالى العباد عراة غرلا
بهما قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك
انا الديان لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من اهل النار عنده مظلمة ولا لاحد
من اهل النار ان يدخل النار ولاحد من اهل الجنة عنده مظلمة حتى اقصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف
وانما نأتي الناس عراة غرلا بهما فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله عباد الله مظالم العباد باخذ
اموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق في معاشرتهم فان ما يكون بين العبد وبين
الله خاصة المغفرة اليه اسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال ارباب المظالم
فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله تعالى بكمال الاخلاص بحيث لا
يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله تعالى فينال به لطفه الذي ادخره لاحباب المؤمنين في دفع
مظالم العباد عنهم كما روي عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بينما رسول الله صلى الله
عليه وسلم جالس اذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما اضحكك يا رسول الله بابي انت و
امي قال رجلان جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من اخي فقال
الله تعالى اعط اخاك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف
تصنع ولم يبق من حسناته شيء فقال يا رب فليحمل عني من اوزاري قال وفاضت عينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك اليوم ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم
قال فقال الله تعالى للطالب ارفع رأسك في الجنان فرفع رأسه فقال يا رب ارى مدائن من فضة مرتفعة
وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا او لاي صديق هذا او لاي شهيد هذا قال لمن اعطى

الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال انت تملكه قال بماذا قال بعفوك عن اخيك قال يا رب اني قد عفوت
عنه قال الله تعالى خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله
واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين وهذا تنبيه على ان ذلك انما ينال بالتخلق باخلاق الله
تعالى وهو اصلاح ذات البين وسائر الاخلاق فتفكر الآن في نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم
او تلطف لك حتى عفي عنك وايقنت بسعادة الابد كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل
القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه
الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار واشرق كما يشرق القمر ليلة البدر
فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا راسك خاليا عن الاوزار ظهرك ونضرة نعيم النعيم وبرد الرضا
يتلألأ من جبينك وخلق الاولين والآخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك في حسنك وجمالك و
الملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤس الاشهاد هذا فلان بن فلان قد رضي الله
عنه وارضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا افترى هذا المنصب ليس باعظم من المنزلة التي
تنالها في قلوب الخلق في الدنيا برياءك ومداهنتك وتصنعك وتزينك فان كنت تعلم انه خير منه بل لا
نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله تعالى
ولن يدرك ذلك الا به وان تكن الاخرى والعياذ بالله بان تخرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة
وهي عند الله عظيمة فمقتك لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد السوء لا اتقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا
النداء الا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى ويقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلق اجمعين
وعند ذلك تبادر اليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فاقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها وصورها
المنكرة فاخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملأ الخلق وهم ينظرون الى سواد وجهك والى ظهور
خزيك وانت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا و
تنادي الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه
فشقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وربما يكون ذلك بذنب اذنبته خيفة من عباد الله او طلبا للمكانة
في قلوبهم او خوفا من الافتضاح عندهم فما اعظم جهلك اذ تخشى من الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد
الله في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملأ العظيم مع التعرض لسخط الله تعالى و
عقابه الاليم والسياق بايدي الزبانية الى سواء الجحيم فهذه احوالك واهوالك وانت بعد لم تشعر
بالخطر الاعظم وهو خطر الصراط

صفة الصراط

ثم تفكر بعد هذه الاحوال في قول الله تعالى يوم
نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفي قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم و
قفوهم انهم مسؤلون فالناس بعد هذه الاحوال يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود على متن النار احد
من السيف وادق من الشعر فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف جوازه على الصراط
ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا واثقل الظهر بالاوزار وعصى تعثر في اول قدم من الصراط
وتردى فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك اذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من
تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت ان تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب
قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك عن المشي على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط
فكيف بك اذا وضعت عليه احدى رجليك فاحسست بحدته واضطررت الى ان ترفع القدم الثانية و

الخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف ينكسون فتسفل الى جهة النار رؤسهم وتعلو ارجلهم فيا له من منظر ما افظعه ومرتقى ما اصعبه ومجاز ما اضيقه فانظر الى حالك وانت ترحف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر باوزارك تلتفت يمينا وشمالا الى الخلق وهم يتهافتون والرسول صلى الله عليه وسلم يقول يا رب سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق فكيف بك لو زلت قدمك فلم ينفعك ندمك وقلت واويلاه هذا ما كنت اخاف يا ليتني قدمت لحياتي يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يا ليتني كنت ترابا يا ليتني لم تلدني امي وعند ذلك تختطفك النيران والعياذ بالله وينادي المنادي اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الا الصياح والانين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن به فما اطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد له متهاونا فما اعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذا لم يبعثك على السعي في طلب رضاء الله تعالى بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط وارتياع قلبك من خطره في الجواز وان سلمت فاهنك به هولا وفزعا ورعبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الصراط بين ظهري جهنم فاكون اول من يجيز بامته من الرسل ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان قال صلى الله عليه وسلم هل رايتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تختطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يمر على الصراط مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجري ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا فاما اهل النار الذين هم اهلها فلا يموتون ولا يحيون واما ناس يؤخذون بذنوب وخطايا فيحرقون فيكونون فحما ثم يؤذن في الشفاعة وعن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السماء ينتظرون فصل القضاء وذكر الحديث الى ذكر سجود المؤمنين قال ثم يقول لهم ارفعوا رؤسكم فيرفعون رؤسهم فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره اصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى نوره اصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه فيضيء مرة ويطفأ مرة فاذا اضاء قدم قدمه فمشى واذا طفئ قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم منهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي اعطي نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق يدا ويجر رجلا ويعلق رجلا وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله الذي اعطاني ما لم يعط احدا اذ نجاني منها بعد اذ رايتها فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل وقال انس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصراط كحد السيف او كحد الشعرة وان الملائكة ينجون

المؤمنين والمؤمنات وان جبريل لآخذ بحجزتي واني لاقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير فهذه اهوال الصراط وعظائمه فطول فيه فكرك فان اسلم الناس من اهوال القيامة من طال فيها فكره في الدنيا فان الله تعالى لا يجمع على عبد بين خوفين فمن خاف هذه الاهوال في الدنيا امنها في الآخرة ولست اعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود الى لهوك ولعبك فما ذلك من الخوف في شيء بل من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك من معاصي الله تعالى ويحثك على طاعته وابعد من رقة النساء خوف الحمقى اذا سمعوا الاهوال سبق لسانهم الى الاستعاذة وقالوا استعنت بالله نعوذ بالله سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما تضحك انت على من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن فاذا راى انياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه اعوذ بهذا الحصن الحصين واستعين بشدة بنيانه واحكام اركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فانى يغني ذلك عن السبع وكذلك اهوال الآخرة ليس لها حصن الا لا اله الا الله صادقا ومعنى صدقه ان لا يكون له مقصود سوى الله ولا معبود سوى الله ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد عن الصدق في توحيده وامره مخطر في نفسه فان عجزت عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سنته ومتشوقا الى مراعاة قلوب الصالحين من امته ومتبركا بادعيتهم فعساك تنال من شفاعته او شفاعتهم فتنجو بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة

صفة الشفاعة اعلم انه اذا حق دخول النار نعوذ بالله من ذلك على طوائف من المؤمنين فان الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الانبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند الله سبحانه جاه وحسن معاملة فان له شفاعة في اهله وقرابته واصدقائه ومعارفه فكن حريصا على ان تكتسب عندهم الشفاعة وذلك بان لا تحقر آدميا اصلا فان الله تعالى خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصية اصلا فان الله خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه ولا تستحقر طاعة اصلا فان الله خبأ رضاه في طاعته فلعل رضا الله تعالى فيه ولو الكلمة الطيبة او اللقمة او النية الحسنة او ما يجري مجراه وشواهد الشفاعة في القرآن والاخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وروى عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابرهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز ثم رفع يديه وقال امتي ثم بكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد فسله ما يبكيك فاتاه فساله فاخبره والله اعلم به فقال يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وقال صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد بعدي وجعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واعطيت الشفاعة وكل نبي بعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر وقال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وانا اول من تنشق عنه الارض وانا اول شافع ومشفع بيدي لواء الحمد تحته آدم ومن دونه وقال صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة واني اختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم للانبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه واكن قائما بين يدي ربي منتصبا مخافة ان يبعث بي الى الجنة وتبقى امتي بعدي

فاقول يا رب امتي فيقول الله عز وجل يا محمد وما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فما ازال
اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد بعث بهم الى النار وحتى ان مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت النار
لغضب ربك في امتك من بقية وقال صلى الله عليه وسلم اني لاشفع يوم القيمة لاكثر مما على وجه الارض
من حجر ومدر وقال ابو هريرة اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش
منها نهشة ثم قال انا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله تعالى الناس الاولين والاخرين
في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون
فيقول الناس بعضهم لبعض الا ترون ما قد بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض
عليكم بادم فياتون ادم فيقولون له انت ابو البشر خلقك الله تعالى بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا
لك اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم ادم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم
يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا
الى نوح فياتون نوحا فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله تعالى عبدا شكورا
اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وانه قد
كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم خليل الله فياتون ابرهيم
فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي غضب
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله واني كذبت ثلاث كذبات ويذكرها نفسي نفسي اذهبوا
الى غيري اذهبوا الى موسى فياتون موسى فيقولون يا موسى انت رسول الله فضلك برسالاته وبكلامه على
الناس اشفع لنا الى الله تعالى الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب
بعده مثله واني قتلت نفسا لم اومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فياتون عيسى فيقولون
يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا الا ترى ما نحن فيه فيقول
عيسى ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي اذهبوا
الى غيري اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم
النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه فانطلق فاتي
تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله لي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي ثم يقال يا
محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي واقول امتي امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك
من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده
ان بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر او كما بين مكة وبصرى وفي حديث اخر هذا السياق بعينه
مع ذكر خطايا ابرهيم وهو قوله في الكوكب هذا ربي وقوله لالهتهم بل فعله كبيرهم وقوله اني سقيم فهذه شفاعة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولاحاد امته من العلماء والصالحين شفاعة ايضا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل
الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من ربيعة ومضر وقال صلى الله عليه وسلم فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولاهل
البيت وللرجل وللرجلين على قدر عمله وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اهل الجنة يشرف يوم
القيامة على اهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما اعرفك من انت فيقول انا الذي مررت بي في
الدنيا يوما فاستسقيتني ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسال الله تعالى ذكره ويقول
اني اشرفت على اهل النار فناداني رجل من اهلها فقال هل تعرفني فقلت لا من انت قال انا الذي استسقيتني في الدنيا

فسقيتك فاشفع لي بها عند ربي فشفعني فيه فيشفعه الله تعالى فيومر به فيخرج من النار وعن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا
مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وقال صلى الله عليه و
سلم فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري
وقال ابن عباس جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى اذا
دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تعالى اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابرهيم
خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال
اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابرهيم خليل الله و
هو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك وادم اصطفاه الله
وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيمة ولا فخر وانا
اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين و
الاخرين ولا فخر

صفة الحوض

اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا صلى الله عليه
وسلم وقد اشتملت الاخبار على وصفه ونحن نرجو ان يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي
الاخرة ذوقه فان من صفاته ان من شرب منه لم يظما ابدا قال انس اغفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اغفاءة ورفع راسه مبتسما فقالوا يا رسول الله لم ضحكت فقال اية نزلت علي
انفا وقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر الى اخر السورة ثم قال هل تدرون ما
الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد
عليه امتي يوم القيامة انيته عدد الكواكب وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما انا
اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت ما هذا يا جبرئيل قال هذا الكوثر
الذي اعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك اذفر وقال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما بين حوضي مثل ما بين صنعاء والمدينة ومثل ما بين المدينة وعمان وروى ابن عمر
رضي الله عنهما انه لما نزل قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو
نهر في الجنة حافتاه من ذهب شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واشد ريحا من المسك
يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان حوضي ما بين عدن الى عمان البلقاء ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من
العسل واكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا اول الناس ورودا عليه
فقراء المهاجرين فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن هم يا رسول الله قال هم الشعث رؤسا الدنس
ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد وقال عمر بن عبد العزيز لما سمع هذا الحديث
والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي ابواب السدد الا ان يرحمني الله لا جرم لا ادهن
راسي حتى اشعث ولا اغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ وقال ابو ذر قلت يا رسول الله ما انية
الحوض قال والذي نفس محمد بيده لانيته اكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية
من شرب منه لم يظما ابدا اخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة ماؤه
اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وعن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا

يتباهون انهم اكثر واردة فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد ان يكون في جملة الواردين
وليحذر ان يكون متمنيا او مغترا وهو يظن انه راج فان الراجي للحصاد من بث البذر ونقى الارض و
سقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله تعالى بالانبات ودفع الصواعق الى اوان الحصاد واما من
ترك الحراثة والزراعة وتنقية الارض وسقيها واخذ يرجو فضل الله تعالى ان ينبت له الحب و
الفاكهة فهذا مغتر ومتمنى وليس من الراجين في شيء وهكذا رجاء اكثر الخلق وهو غرور الحمقى فنعوذ
بالله من الغفلة والغرور فان الاغترار بالله اعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور

صفة جهنم وعذابها

وانكالها ايها الغافل المغرور عما انت فيه من
شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء دع التفكر فيما انت مرتحل عنه واصرف الفكر الى موردك
فانك تعلم ان النار مورد للجميع اذ قيل وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا
ونذر الظالمين فيها جثيا فانت من الورود على يقين ومن النجاة على شك فاستشعر في قلبك هول
ذلك المورد واهلها فعساك تستعد للنجاة بالتشمر لاعمالها وتامل في حال الخلائق وقد قاسوا
من دواهي القيمة ما قاسوا فبيناهم في كربها واهوالها وقفين ينتظرون حقيقة انبائها وتشفع
شفعائها اذ احاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب واظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا
وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فايقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى اشفق
البراء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قايلا اين فلان بن فلان المسوف نفسه في
الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم
التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون ذق انك انت العزيز الكريم
فاسكنوا دارا ضيقة الارجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير
شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والويل تجمعهم امانيهم فيها الهلاك ومالهم منها فكاك قد
شدت اقدامهم الى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من اكنافها ويصيحون في اطرافها
يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد اثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك
اخرجنا منها فانا لا نعود وتقول الزبانية هيهات لات حين امان ولا خروج لكم من دار الهوان و
اخسؤا فيها ولا تكلمون ولو اخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه عائدون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا
في جنب الله يتاسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الاسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم و
النار من تحتهم والنار عن ايمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار و
لباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل
السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم
النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والثبور ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤسهم الحميم
يصهر به ما في بطونهم والجلود وتهشم بالمقامع جباههم فيتفجر الصديد من افواههم وتنقطع من العطش
اكبادهم وتسيل على الخدود احداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الاطراف شعورها بل جلودها
وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وعري من اللحم عظامهم فبقيت الارواح منوطة
بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف
بك لو نظرت وقد اسودت وجوههم اشد سوادا من الحميم واعميت ابصارهم وابكمت السنتهم وقصمت ظهورهم

وكسرت عظامهم وجدعت اذانهم ومزقت جلودهم وغلت ايديهم الى اعناقهم وجمعت بين نواصيهم واقدامهم
وهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤن حسك الحديد باحداقهم فلهيب النار سار في بواطن اجزائهم و
حيات العقارب والهاوية متشبثة بظواهر اعضائهم هذه جملة احوالهم فانظر الان في تفصيل اهوالهم و
تفكر ايضا في اودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في جهنم سبعين الف واد في كل واد
سبعون الف شعب في كل شعب سبعون الف ثعبان وسبعون الف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى
يواقع ذلك كله وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن او وادي
الحزن قيل يا رسول الله وما جب الحزن او وادي الحزن قال واد في جهنم يتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة اعده الله
تعالى للقراء المرائين فهذه سعة جهنم وانشعاب اوديتها وهي بحسب عدد اودية الدنيا وشهواتها وعدد
ابوابها بعدد الاعضاء السبع التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم
السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الان في عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا
ينتهي ارب من الدنيا الا الى ارب اعظم منه فلا ينتهي هاوية من جهنم الا الى هاوية اعمق منها قال ابو هريرة كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قلنا الله و
رسوله اعلم قال هذا حجر ارسل في جهنم منذ سبعين عاما الان حين انتهى الى قعرها ثم انظر الى تفاوت الدركات فان
الاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا فكما ان اكباب الناس على الدنيا متفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها و
من خائض فيها الى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا يترادف
انواع العذاب على كل من في النار كيف كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه الا ان اقلهم
عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى
اهل النار عذابا ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر الان الى من خفف عليه واعتبر بمن شدد
عليه ومهما شككت في شدة عذاب النار فقرب اصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم انك اخطأت في القياس فان
نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان اشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات
لو وجد اهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر في بعض الاخبار حيث قال ان نار
الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى اطاقها اهل الدنيا ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم نار
جهنم فقال اوقدت تلك النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى
اسودت فهي سوداء مظلمة وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن
لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فاشد الحر الشمس وزمهرير الشتاء من نفسها وقال
انس بن مالك يؤتى بانعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل رايت نعيما قط
فيقول لا ويؤتى باشد الناس ضرا في الدنيا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له هل رايت ضرا قط فيقول
لا وقال ابو هريرة لو كان في المسجد مائة الف او يزيدون ثم تنفس رجل من اهل النار لماتوا وقد قال بعض العلماء
في قوله تعالى تلفح وجوههم النار انها لفحتهم لفحة فما ابقت لحما على عظم الا القته عند اعقابهم ثم انظر بعد ذلك
في نتن الصديد الذي يسيل من ابدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق جهنم القي في الدنيا لانتن اهل الارض فهذا شرابهم ويسقى من ماء صديد يتجرعه
ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه
ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون من شجر من زقوم فمالئون

منها البطون فيشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وقال تعالى إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها
كأنه رؤوس الشياطين الى قوله تعالى لشوبا من حميم تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية وقال تعالى
إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف
من يكون طعامه ذلك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله تعالى واحذروا
وخافوا مما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فإنها لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم
التي أنتم فيها حلتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خبثتها عليكم وقال أبو الدرداء
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون
بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون
بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب
فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد فإذا أدنيت من وجوههم سقط لحمها فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم
فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون
أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال قال فيقولون
ادعوا لنا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون قال الأعمش أنبئت أن بين دعائهم
وبين إجابة مالك إياهم ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا
الآية فيقال اخسؤوا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة
والويل وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه
ولا يكاد يسيغه قال يقرب إليه فيتكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه
قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ويقول الله تعالى و
يقول الله تعالى وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم
فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفظاظة منظرها وقد سلطت
على أهلها وأغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة
ثم يأخذ بلهزمته يعني شدقه يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم
الله الآية وقال صلى الله عليه وسلم إن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا
وهذه العقارب والحيات إنما سلطت على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس و
من وقي ذلك وقي هذه الحيات فلم تمثل له ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم أجسام أهل النار فإن الله
يزيد في أشخاصهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع
أجزائهم دفعة واحدة على التوالي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر في النار مثل
جبل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث وقال شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة
قد غطت وجهه وقال صلى الله عليه وسلم إن الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيامة يتوطاه الناس و
مع عظم الأجسام كذلك يحرقهم النار مرات فيجدد جلودهم ولحومهم وقال الحسن كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا

البهش

ثم تفكر الآن في بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فإن ذلك يسلط عليهم في
أول إلقائهم إلى النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام
مع كل زمام سبعون ألف ملك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على
أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الأخدود
لو أرسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة
بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون أيضا من ذلك قال محمد بن كعب لأهل النار
خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا يقولون ربنا
أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل فيقول الله تعالى
مجيبا ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم الآية ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل
صالحا إنا موقنون فيجابون فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الآية ثم يقولون يا مالك ليقض علينا
ربك فيجابون إنكم ماكثون ثم يقولون يا أهل الجنة أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله فيجابون
إن الله حرمهما على الكافرين ثم يقولون ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجابون
أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ويقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل
فيجيبهم الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه الآية ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا الآية فيجيبهم الله
تعالى اخسؤوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب قال مالك بن أنس
قال زيد بن أسلم في قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة
سنة ثم قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه
كبش أملح فيقال يا أهل الجنة خلود لا موت ويا أهل النار خلود لا موت وعن الحسن قال يخرج من
النار رجل بعد ألف عام وليتني كنت ذلك الرجل ورئي الحسن جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له لم
تبكي قال أخشى أن يطرحني في النار ولا يبالي فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها و
أحزانها ومحنها لا نهاية لها فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت
نعيم الجنة وفوت لقاء الله وفوت رضاه مع علمهم بأنهم كانوا باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة
إذ لم يبيعوها إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل مكدرة منغصة فيقولون
في أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياما قلائل ولو صبرنا
لكانت قد انقضت عنا أيامها وبقينا في جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان فيا لحسرة هؤلاء
وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ثم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم
الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر يوم القيامة بناس
من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله تعالى
لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها فيقولون
ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون
علينا قال ذلك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بي بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين
تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني
وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم قال أحمد بن

عذاب صه

لون

حرب ان احدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار وقال عيسى كم نفس صحيح ووجه صبيح
ولسان فصيح غدا بين اطباق الثرى يصيح وقال داود الهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على
حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف صبري على صوت عذابك فانظر يا مسكين في هذه الاهوال
واعلم ان النار خلقها الله تعالى باهوالها وخلق لها اهلا لا يزيد ولا ينقص وان هذا امر قد قضي
الله تعالى وفرغ منه قال الله تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة ولعمري اشار به الى
يوم القيمة ولكن ما قضي الامر يوم القيمة بل في ازل الازال ولكن اظهر يوم القيمة ما سبق به القضاء
فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري ان القضاء بماذا سبق في
حقك فان قلت فليت شعري ماذا موردي والى ماذا مآلي ومرجعي وما الذي سبق به القضاء
في حقي فلك علامة تستانس بها وتصدق رجاءك بسببها وهو ان تنظر الى احوالك واعمالك فان كلا
ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار وان كنت لا تقصد خيرا
الا وتحيط بك العوائق فتدفعك ولا تقصد شرا الا وتيسر لك اسبابه فاعلم انك مقضي عليك فان
هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم و
ان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين **صفة الجنة واصناف**
نعيمها هذه الدار التي عرفت همومها وشرورها تقابلها دار اخرى فتامل نعيمها وسرورها فان من
احدهما استقر لا محالة في الاخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان
وسق نفسك بسوط الخوف وبزمام الرجاء الى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب
الاليم فتفكر في اهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر من الياقوت الاحمر في
خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر متكئين على ارائك منصوبة على اطراف
انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كانهن
الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان اذا اختالت احداهن في
مشيها حمل اعطافها سبعون الفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض ما تتحير فيه الابصار مكللات
بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات في قصور هن
الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب واباريق و
كاس من معين ويطوف عليهم خدام وولدان كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام امين في جنات
وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد اشرقت
في وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبانواع التحف من ربهم يتعاهدون
وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون
ويأكلون من اطعمتها ويشربون من انهارها لبنا وخمرا وعسلا في انهار اراضيها فضة وحصباؤها
مرجان وعلى ارض ترابها مسك اذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان
الكافور ويؤتون باكواب واي اكواب اكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب
فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من
وراءه برقته وحمرته لم يصنعه آدمي فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صناعته في كف خادم يحكي ضياء وجهه
الشمس في اشراقها ولكن اين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن اصداغه وملاحة احداقه فيا عجبا لمن يؤ

بدار هذه صفتها ويوقن بانه لا يموت اهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الاحداث بعين
التغير الى اهلها كيف يانس بدار قد اذن الله في خرابها ويتهنا بعيش دونها والله لو لم يكن فيها الا سلامة
الابدان مع الامن من الموت والجوع والعطش وسائر اصناف الحدثان لكان جديرا بان يهجر الدنيا
بسببها وان لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته كيف واهلها ملوك آمنون وفي انواع السرور
ممتعون لهم فيها ما يشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الكريم ينظرون وينالون
بالنظر من اللذة ما لا ينظرون معه الى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين اصناف هذه
النعم يترددون ومن زوال هذه النعم آمنون قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نادى مناد يا اهل الجنان لكم ان تصحوا ولا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا
فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تيأسوا ابدا فذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها
بما كنتم تعملون ومهما اردت ان تعرف الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله بيان واقرأ من قوله تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان الى آخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وان اردت ان
تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتامل الآن تفصيلها بعد ان اطلعت على جملتها وتامل اولا عدد الجنان قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما
وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وليس بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه
في جنات عدن ثم انظر الى ابواب الجنة فانها كثيرة بحسب اصول الطاعات كما ان ابواب النار كثيرة بحسب
اصول المعاصي قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين من ماله في
سبيل الله دعي من ابواب الجنة وللجنة ابواب فمن كان من اهل الصلوة دعي من باب الصلوة ومن كان من اهل
الصيام دعي من باب الصوم ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الجهاد دعي
من باب الجهاد فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ما على احد من ضرورة من ايها دعي فهل يدعى احد منها كلها
فقال نعم وارجو ان تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه انه ذكر النار فعظم امرها ذكرا لا احفظه
ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة تخرج من
تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كانما امروا به فشربوا منها فاذهبت ما في بطونهم من اذى او بأس ثم
عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلا تغير اشعارهم بعدها ابدا ولا تشعث رؤوسهم
كانما دهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان
يطيفون بهم كما يطيف ولدان اهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبة يقولون له ابشر اعد الله لك من كذا
كذا قال ثم ينطلق غلام من اولئك الولدان الى بعض ازواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي
كان يدعى في الدنيا فتقول انت رأيته فيقول انا رأيته وهو على اثري فيستخفها الفرح حتى تقوم على
اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح اخضر واحمر واصفر
من كل لون ثم رفع راسه فنظر الى سقفه فاذا مثل البرق ولولا ان الله عز وجل قدره لالم ان يذهب بصره ثم
طأطأ راسه فاذا ازواجه واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكأوا فقالوا الحمد لله الذي
هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ثم ينادي مناد تحيون فلا تموتون ابدا وتقيمون
فلا تظعنون ابدا وتصحون فلا تمرضون ابدا قال صلى الله عليه وسلم آتي يوم القيمة باب الجنة
فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد وتامل الآن في غرف

الجنة واختلاف درجات العلو فيها فان الآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما ان بين الناس
في الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به
تفاوت ظاهر فان كنت تطلب اعلى الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك احد بطاعة الله تعالى
فقد امرك الله تعالى بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى وسابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة
وقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك او جيرانك بزيادة
درهم او بعلو بناء ثقل ذلك عليك وضاق به ذرعك وتنغص بسببه عيشك واحسن احوالك ان
تستقر في الجنة وانت لا تسلم من اقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها قال
ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف فوقهم
كما يرون الكوكب الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل
الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال ايضا
ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في افق من آفاق السماء وان ابا بكر وعمر
منهم وانعما وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يا
رسول الله بابينا انت وامنا قال ان في الجنة غرفا من اصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها و
باطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات ما لا عين رأت ولا اذن سمعت قال قلت يا رسول الله ولمن
هذه الغرف قال لمن افشى السلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال
قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال امتي تطيق ذلك وساخبركم عن ذلك من لقي اخاه فسلم او رده
عليه فقد افشى السلام ومن اطعم اهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام ومن صام شهر
رمضان ومن كل شهر ثلاثة ايام فقد ادام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة
فقد صلى بالليل والناس نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لؤلؤ في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة
حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمرد اخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على
كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في
كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة يعني من القوة ما يأتي على جميع ذلك **صفة حائط
الجنة وارضها واشجارها وانهارها** تامل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرم
منها لقناعته بالدنيا عوضا عنها قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان حائط الجنة لبنة من ذهب و
لبنة من فضة وترابها زعفران وطينها مسك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة
فقال درمكة بيضاء مسك خالص وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يسقيه
الله عز وجل الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره ان يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا
انهار الجنة تتفجر من تحت تلال او تحت جبال المسك ولو كان ادنى اهل الجنة حلية عدلت بحلية اهل الدنيا جميعا
لكان ما يحليه الله عز وجل في الآخرة افضل من حلية اهل الدنيا جميعا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود وقال
ابو امامة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله عز وجل ينفعنا بالاعراب ومسائلهم
اقبل اعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه

مؤذية وما كنت ارى ان في الجنة شجرة

وسلم ماهي قال السدر فان لها شوكا فقال قال الله عز وجل في سدر مخضود يخضد الله تعالى شوكه
فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تتفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا طعاما ما منها لون يشبه
الآخر وقال جرير بن عبد الله نزلنا الصفاح فاذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس تبلغه فقلت
للغلام انطلق بهذا النطع فاظله به فانطلق فاظله فلما استيقظ فاذا هو سلمان فاتيته اسلم عليه فقال
يا جرير تواضع لله فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري ما الظلمات يوم القيامة
قلت لا ادري قال ظلم الناس بينهم ثم اخذ عودا لا اكاد اراه من صغره قال يا جرير لو طلبت في الجنة مثل
هذا لم تجد قلت يا ابا عبد الله فاين النخل والشجر قال اصولها اللؤلؤ والذهب واعلاها الثمرة **صفة
لباس اهل الجنة** وفرشهم وسررهم وارائكهم وخيامهم قال الله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب و
لؤلؤا ولباسهم فيها حرير والآيات في تفصيل ذلك كثيرة واما تفصيله في الاخبار فقد روى ابو هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال رجل يا رسول الله اخبرنا عن ثياب اهل الجنة اتخلق خلقا ام
تنسج نسجا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مم تضحكون من جاهل سأل عالما ثم قال صلى الله عليه وسلم بل تنشق عنها ثمر الجنة مرتين وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون
ولا يمتخطون ولا يتغوطون فيها آنيتهم وامشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم
زوجتان يرى مخ ساقيهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد
يسبحون الله بكرة وعشيا وفي رواية على كل زوجة سبعون حلة وقال صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب قال ان عليهم التيجان وان ادنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق و
وقال صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن اهل لا
يراه الآخرون رواه البخاري في الصحيح قال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها اربعة آلاف
مصراع من ذهب قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش
مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السماء والارض **صفة طعام اهل الجنة** بيان طعام اهل
الجنة مذكور في القرآن من الفواكه والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن واصناف كثيرة
لا تحصى قال الله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا الآية وذكر الله تعالى شراب اهل الجنة في مواضع كثيرة
وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء حبر من احبار اليهود فذكر اسولة الى ان قال فمن اول الناس اجازة يعني على الصراط فقال
فقراء المهاجرين قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة فقال زيادة كبد النون قال فما غداؤهم
على اثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان ياكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها
تسمى سلسبيلا فقال صدقت وقال زيد بن ارقم جاء رجل من اليهود الى رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم الست تزعم ان اهل الجنة ياكلون فيها ويشربون و
قال ان اقر لي بهذا خصمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذي نفسي بيده ان احدهم
ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والنكاح فقال اليهودي فان الذي ياكل ويشرب له
الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فاذا ا
البطن قد ضمر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر

بين يديك مشويا وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة طيرا امثال البخاتي قال
ابو بكر انها لناعمة يا رسول الله قال انعم منها من يأكلها وانت ممن يأكلها يا ابا بكر وقال عبد الله بن عمر
في قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف قال يطاف بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس في الاخرى
وقال عبد الله بن مسعود في قوله ومزاجه من تسنيم قال يمزج لاصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفا وقال
ابو الدرداء في قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو ان رجلا من
اهل الدنيا ادخل يده فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريح طيبها

صفة الحور العين والولدان

قد تكرر في القرآن اوصافهم ووردت الاخبار بزيادة شرح فيه روى انس رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم
او موضع قدمه خير من الدنيا وما فيها ولو ان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت على الارض لاضاءت ولملأت
ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها يعني الخمار وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان قال ينظر الى وجهها في خدرها اصفى من
المرآة وان ادنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها
بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بي
دخلت الجنة فرأيت موضعا يسمى البيذخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر فقلن السلام
عليك يا رسول الله فقلت يا جبرئيل ما هذا النداء قال هؤلاء المقصورات في الخيام استأذن ربهن في
السلام عليك فاذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن الخالدات فلا نظعن ابدا و
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى حور مقصورات في الخيام وقال مجاهد في قوله تعالى لهم فيها
ازواج مطهرة من الحيض والغائط والبول والبزاق والنخامة والمني والولد وقال الاوزاعي
في شغل فاكهون اي شغلهم افتضاض الابكار وقال رجل يا رسول الله ايباضع اهل الجنة قال يعطى الرجل
منهم من القوة في اليوم الواحد افضل من سبعين منكم وقال عبد الله بن عمر ان ادنى اهل الجنة منزلة من يسعى
معه الف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليزوج
خمسمائة حوراء واربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا وقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شرى الا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل
صورة دخل فيها وان فيها لمجتمع للحور العين يرفعن باصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا
نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له وقال يحيى بن ابي
كثير في قوله تعالى في روضة يحبرون قال السماع في الجنة وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحور في الجنة
يتغنين يقلن نحن الحور الحسان خبئنا لازواج كرام وقال ابو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه باحسن صوت سمعه
الانس والجن وليس بمزامير الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه

بيان جمل متفرقة من اوصاف الجنة

وردت الاخبار بها روى اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه الا هل
مشمر للجنة ان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة
نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام ابدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون
لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحض عليه وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال يا رسول الله هل في الجنة خيل فانها تعجبني قال ان احببت ذلك اتيت بفرس من ياقوتة حمراء
فتطير بك في الجنة حيث شئت وقال رجل آخر ان الابل تعجبني فهل في الجنة من ابل فقال يا عبد الله ان
ادخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة وقال
صلى الله عليه وسلم اذا استقر اهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان الى الاخوان فيسير سرير هذا الى سرير
هذا فيلتقيان فيتحدثان ما كان بينهما في الدنيا فيقول يا اخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله سبحانه
فغفر لنا وقال صلى الله عليه وسلم اهل الجنة جرد مرد بيض جعد مكحلون ابناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم
طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة اذرع وقال صلى الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف
خادم واثنان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء وان
عليهم التيجان وان ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وقال صلى الله عليه وسلم نظرت الى
الجنة واذا الرمانة من رمانها كجلد البعير المقتب واذا طيرها كالبخت واذا فيها جارية فقلت يا جارية لمن
انت فقالت لزيد بن حارثة واذا في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال كعب
خلق الله تعالى آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس اشجار الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون
فهذه صفات اهل الجنة ذكرناها جملة ثم نقلناها تفصيلا وقد ذكر الحسن البصري جملتها اذ قال ان رمانها مثل
الدلاء وان انهارها لمن ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وانهار من
خمر لذة للشاربين لا تسفه الاحلام ولا يصدع منها الرؤس وان فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على بال بشر ملوك ناعمون ابناء ثلاث وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء كحل جرد مرد قد
امنوا العذاب واطمأنت بهم الدار وان انهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد وان
عروقها وكرمها وكثبانها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمه الا الله تعالى وان ريحها ليوجد من مسيرة
خمسمائة سنة وان فيها الخيلا والابلا هفافة رحالها وازمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون
فيها وازواجهم الحور العين كأنهن بيض مكنون وان المرأة لتأخذ بين اصبعيها سبعين حلة
قد طهر الله لهم الاخلاق من السوء والاجساد من الموت لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا
يتغوطون وانما هو جشاء ورشح مسك ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اما انه ليس يكر
الغدو على الرواح والرواح على الغدو وان آخر من يدخل الجنة وادناهم منزلة ليمد له في
بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره
حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه يغدى عليهم بسبعين الف صحفة من ذهب ويراح عليهم
بمثلها في كل صحفة لون ليس في الاخرى يجد طعم آخره كما يجد طعم اوله وان في الجنة لياقوتة فيها
سبعون الف دار وفي كل دار سبعون الف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب وقال مجاهد
ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه وارفعهم الذي
ينظر الى ربه بالغداة والعشي وقال سعيد بن المسيب ليس احد من اهل الجنة الا وفي يده ثلاثة
اسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة وقال ابو هريرة ان في الجنة حوراء
يقال لها العيناء اذا مشت مشى عن يمينها وعن يسارها سبعون الف وصيفة وهي تقول اين
الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الجنة اشد

وترك الدنيا مهر الآخرة وقال ايضا طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الآخرة عز النفوس فيا عجبا
لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى

صفة الرؤية والنظر الى وجه الله تعالى

قال الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى وهي اللذة
الكبرى التي ينسى فيها نعيم اهل الجنة وقد شهد له الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده اهل البدعة
وقال جرير بن عبد الله البجلي كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى القمر ليلة البدر فقال
انكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على
صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وهو
مخرج في الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى للذين
احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم
عند الله موعدا يشتهي ان ينجزكموه قالوا اما هذا الموعد الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا و
يدخلنا الجنة ويجيرنا من النار قال فيرفع الحجاب وينظرون الى وجه الله فما اعطوا شيئا احب اليهم
من النظر اليه وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل
ما فصلناه من النعم عند هذه النعمة ننسى وليس لسرور اهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لا نسبة
لشيء من لذات الجنة الى لذة اللقاء وقد اوجزنا الكلام ههنا لما فصلناه في كتاب المحبة والرجاء
فلا ينبغي ان يكون همة العبد من الجنة شيئا سوى لقاء المولى فاما سائر نعيم الجنة فانه يشارك فيها
البهيمة المسرحة في المرعى ونختم الكتاب

بباب في سعة رحمة الله تعالى

على سبيل التفاؤل فقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفال وليس لنا من الاعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدي برسول الله
صلى الله عليه وسلم بالتفاؤل ونرجو ان يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة
الله تعالى فقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال تعالى ومن
يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله من كل ما زلت به القدم
او طغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا ونستغفره من اقوالنا التي لا يوافقها اعمالنا ونستغفره
مما ادعيناه واظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل
قصدنا به وجهه تعالى الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل وعد وعدناه به من انفسنا ثم قصرنا
في الوفاء به ونستغفره من كل نعمة انعم بها علينا فاستعملناها في معصيته ونستغفره من كل تصريح
وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى
تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه او استفدناه و
نرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا او كتبه او سمعه ان يكرم بالمغفرة
والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا فان الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على اصناف الخلائق
فائض ونحن خلق من خلق الله تعالى لا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لله عز وجل مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام فبها
يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ويروى انه اذا
كان يوم القيامة اخرج الله سبحانه كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم

الراحمين فيخرج من النار مثل اهل الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى الله لنا يوم
القيامة ضاحكا فيقول ابشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم احد الا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا
او نصرانيا وقال صلى الله عليه وسلم يشفع الله آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة الف الف و
عشرة الف الف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة للمؤمنين هل احببتم لقائي
فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد اوجبت لكم مغفرتي وقال
صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة اخرجوا من النار من ذكرني يوما او خافني في مقام
وقال صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع اهل النار في النار ومن شاء الله معهم من اهل القبلة قال
الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم اذ انتم معنا في النار قالوا
كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيامر باخراج من كان في النار من اهل القبلة
فيخرجون فلما راى الكفار ذلك قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما اخرجوا ثم قرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ارحم بعبده
المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وقال جابر بن عبد الله من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة
فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته يوم القيامة فذلك الذي
يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن اوبق نفسه واثقل
ظهره ويروى ان الله عز وجل قال لموسى يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي
لو استغاث بي لاغثته وعفوت عنه وقال سعيد بن بلال يؤمر يوم القيامة باخراج رجلين من
النار فيقول الله تعالى ذلك بما قدمت ايديكما وما انا بظلام للعبيد ويامر بردهما الى النار
فيعدو احدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر فيؤمر بردهما ويسالهما عن فعلهما فيقول
الذي عدا الى النار قد حذرت من وبال المعصية فلم اكن اتعرض لسخطك ثانيا ويقول الذي تلكأ
ظني بك كان يشعرني ان لا تردني اليها بعد ما اخرجتني منها فيامر بهما الى الجنة وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة يا امة محمد ما كان لي قبلكم فقد وهبته
لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي ويروى ان اعرابيا سمع ابن عباس يقرا وكنتم
على شفا حفرة من النار فانقذكم منها فقال الاعرابي والله ما انقذكم منها وهو يريد ان يوقعكم فيها
فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت
فبكيت فقال مهلا لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا
حدثتكموه الا حديثا واحدا وسوف احدثكموه اليوم وقد احيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وقال عبد الله بن عمرو بن العاص
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه سيخلص رجلا من امتي يوم القيامة على رؤس الخلائق فينشر
عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون
فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم
فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقول يا رب ما هذه البطاقة
مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات
وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله سبحانه شيء وقال صلى الله عليه وسلم في آخر حديث طويل يصف القيامة

والصراط ان الله تعالى يقول للملائكة يوم القيمة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه
من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم
في قلبه مثقال نصف دينار فاخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن
امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم
يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا
يظلم مثقال ذرة الاية فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم
الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر من افواه الجنة يقال له نهر
الحيوة فيخرجون منها كما تخرج الحبة من حميل السيل الا ترونها تكون مما يلي الحجر او الشجر ما يكون الى
الشمس من اصيفر ما يكون منها الى الظل ابيض قالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال
فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الله
الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتم فهو لكم فيقولون ربنا
اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول الله تعالى لكم عندي افضل من هذا فيقولون
يا ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم بعده ابدا رواه البخاري و
مسلم في صحيحيهما وروى البخاري ايضا عن ابن عباس قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم فقال عرضت على الامم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه احد والنبي
معه الرهط فرايت سوادا كثيرا فرجوت ان يكون امتي فقيل لي هذا موسى وقومه ثم قيل لي
انظر هكذا وهكذا فرايت سوادا كثيرا فقيل لي هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون
الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك اصحابه فقالوا
اما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد امنا بالله ورسوله هؤلاء هم ابناؤنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة وقال
ادع الله ان يجعلني منهم فقال عليه الصلوة والسلام انت منهم فقام اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم قال
سبقك بها عكاشة وعن عمرو بن حزم الانصاري قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج
الينا الا لصلوة مكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا
انه قد حدث حدث قال لم يحدث الا خير ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل الجنة من امتي سبعين الفا لا
حساب عليهم واني سالت ربي في هذه الايام الثلاثة المزيد فوجدت ربي ماجدا واجدا كريما فاعطاني مع
كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا قال قلت يا رب وتبلغ امتي هكذا قال اكمل لك العدد من الاعراب
وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض لي جبرئيل في جانب الحرة فقال لي بشر امتك
انه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت يا جبرئيل وان سرق وان زنى قال نعم وان سرق وان
زنى قلت وان سرق وان زنى قال وان سرق وان زنى وان شرب الخمر وقال ابو الدرداء قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت يا رسول الله وان زنى وان سرق فقال
ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت يا رسول الله وان زنى وان سرق فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان
فقلت يا رسول الله وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق وان رغم انف ابي الدرداء وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة دفع الى كل مؤمن رجل من اهل الملل فقيل له هذا فداءك

من النار وروى مسلم في الصحيح عن ابي بردة انه حدث عمر بن عبد العزيز عن ابيه ابي موسى عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله مكانه النار يهوديا او نصرانيا فاستحلفه عمر بن
عبد العزيز بالله الذي لا اله الا هو ثلاث مرات ان اباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف له و
روي انه وقف صبي في بعض المغازي ينادى عليه فيمن يزيد في يوم صائف شديد الحر فبصرت به امراة في خباء
القوم فاقبلت تشتد واقبل اصحابها خلفها حتى اخذت الصبي والصقته الى بطنها ثم القت ظهرها على
حر البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا ما هم فيه فاقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فاخبروه الخبر فسر برحمتها ثم بشرهم فقال اتعجبون من رحمة هذه
لابنها قالوا نعم قال فان الله تبارك وتعالى ارحم بكم جميعا من هذه لابنها فتفرق المسلمون على افضل السرور
واعظم البشارة فهذه الاحاديث وما اوردناه في كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله
تعالى فنرجو الله تعالى ان لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل
علينا بما هو اهله بمنه وكرمه
وجوده ورحمته
امين

وقد يسر الله تعالى بفضله وعنايته توفيق اتمام كتابته للعبد الضعيف الخاطي المذنب الراجي الى عفو ربه
الصمد عماد بن محمود بن محمد اصلح الله حاله ونور بنور المعرفة
باله وحصل اماله وغفر لهم ولسائر المؤمنين
في الرابع عشر من ربيع الثاني سنة
ست عشر وتسعمائة
هجرية نبوية
الحمد لله و
المنة